

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_232409

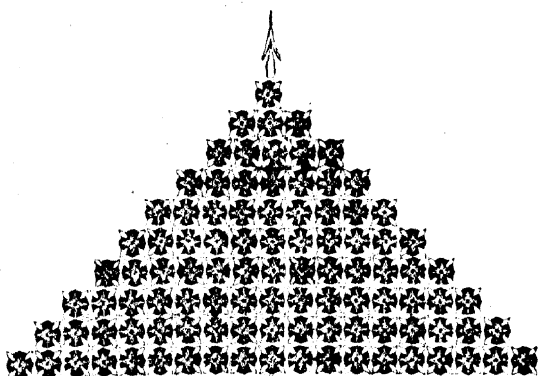
UNIVERSAL
LIBRARY

(فهرسة الجزء الثانى من تفسير الخطيب الشربىنى)

سورة الرعد ١٤٢	سورة يوسف عليه السلام ٨٧	سورة هود عليه السلام ٤٢	سورة يونس عليه السلام ٢
سورة الاسراء ٢٧٢	سورة النحل ٢١٤	سورة الحجر ١٩٢	سورة ابراهيم عليه السلام ١٦٧
سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ٤٩٤	سورة طه عليه الصلاة والسلام ٤٤٧	سورة مريم عليها السلام ٤١٢	سورة الكهف ٢٤٧
سورة الفرقان ٦٤٦	سورة النور ٥٩٥	سورة المؤمنين ٥٦٩	سورة الحج ٥٢٥

* (تمت) *

الجزء الثاني من السراج المنير في الاعانة على معرفة
بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للنسفي
الامام الخطيب النريفي قدس الله
روحه وعم بالرحمة
ضريحه
آمين
٢



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سورة يونس عليه السلام مكية﴾

الافان كنت في شك الآتين أو الثلاث أو ومنهم من يؤمن به الآية مائة وتسع أو عشر آيات
وعدد كلماتها ألف وثمانمائة واثنان وثلاثون كلمة وحروفها سبعة آلاف وخمسمائة وسبعة
وستون حرفاً وهي أول المثني ان جعلنا براة مع الانفصال من الطوال والافراء أولان
(بسم الله) جامع العباد بعد تفريقهم بحاله من العظمة والامتنان (الرحمن) الذي عظمهم
بالايجاد وخص منهم من شاء بالايان (الرحيم) الذي خص أولياءه بالرضوان المبيع للبغنان
(الر) قال ابن عباس والضحاك الر أنا الله أرى والمرأنا الله أعلم وأرى وقبل أنا الرب لأرب
غيري وقال سعيد بن جبير الروح ونون حروف اسم الرحمن وقد سبق الكلام على حروف
الهياء أول البقرة واتفقوا على أن الروح وحده ليس آية واتفقوا على أن قوله طه وحده آية
والفرق أن قوله تعالى الر لا يشاكل مقاطع الآتي بعده بخلاف قوله تعالى طه فإنه يشاكل
مقاطع الآتي التي بعده وقرأ فالون وابن كثير وخص بفتح الراء والالف بعده ها ورش بين
اللفظين والباقيون بالامالة المحضة (تلك) أي الآيات العظيمة جدا التي اشتملت عليها هذه
السورة والسورة التي تقدمت هذه السورة وهذه الحروف المقطعة المشيرة الى أن القرآن كلام
الله تعالى قد أعجز القادرين على التلفظ بهذه الحروف (آيات الكتاب) أي الذكر الجملع لكل
خبر وهو هذا القرآن الذي وافق كل ما فيه من القصص كل ما في التوراة والانجيل من ذلك فدل
ذلك على صدق الآتي به قطعاً لأنه لم يكن يعرف شيئاً من الكتابين ولا جالس أحد ابغله (الحكيم)

أى المحكم وقوله تعالى (أَكُنْ لِلنَّاسِ) أى أهل مكة استغفام انكار والتعجب وقوله تعالى
 (تَجِبَا) خبر كان والعجب تغير النفس بما لا تعرف سببه مما خرج عن العادة ثم ذكر الحامل على
 العجب وهو اسم كان بقوله تعالى (أَنْ أَوْحَيْنَا) أى اوحينا (الى رجل منهم) أى من أهل مكة
 ومن قريش وهو محمد صلى الله عليه وسلم يعرفون صدقه ونسبه وأما ته قبل كانوا يقولون العجب
 ان الله تعالى لم يجدد رسولا يرسله الى الناس الا نبيم أبى طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور
 نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحى والنبوة وهول يمكن صلى الله عليه وسلم
 بقصر عن عظماتهم فيما يعتبر فيه الا فى المال وخفة المال أهون شئ فى هذا الباب ولذلك كان
 أكثر الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كذلك وقد قال تعالى وما أموالكم ولا اولادكم بالى
 تقربكم عندنا زلفى (أن أُنذِرَ النَّاسَ) عامة أى أعلمهم مع الخوف ما أمامهم من البعث وغيره
 وأن هى المفسرة لان الإيحاف فيه معنى القول (وبشر الذين آمنوا) انما عزم فى الانذار لانه قل
 أن يسلم أحد من كبيرة أو صغيرة أو هفوة جليلة أو حقيرة على اختلاف الرتب وتباين المقامات
 وخصص البشارة اذ ليس للكافر ما يصح أن يبشر به (أَنْ) أى بأن (لهم قدم) أى سلف (صدق
 عند ربهم) اختلفت عبارات المفسرين وأهل اللغة فى معنى قدم صدق فقال ابن عباس أجرا
 حسنا مما قدموا من أعمالهم وقال مجاهد الاعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقهم
 ونسيجهم وقال الحسن عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه وقال عطاء مقام صدق لازوال له
 ولا يوش فيه وقال زيد بن أسلم هو شفاعته الرسول صلى الله عليه وسلم وأضيف القدم الى الصدق
 وهو نفعه تكفولهم مسجد الجامع وصلاة الاولى وحب الحصيد وقال أبو عبيدة كل سابق فى
 خير أو شر فهو عند العرب قدم قال الشاعر

صل لى العرش واتخذ قدما * ينحك يوم العثار والندم

وهو مؤثب فيقال قدم حسنة وقدم صالحة وقوله تعالى (قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا السَّحَرَمِينَ)
 قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر بكسر السين وسكون الحاء على أن الاشارة للقرآن المشتمل على
 ذلك والباقيون بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء على أن الاشارة للنبي صلى الله عليه وسلم
 (ان ربكم) الموجد لكم والمربى والمحسن هو (الله الذى خلق) أى قدروا ووجد (السَّحَرَاتِ)
 والارض على اتساعها وما كثرة ما فيها من المنافع (فى ستة أيام) من أيام الدنيا أى فى قدرها لانه
 لم يكن ثم شمس ولولا خلقهما فى لحة والعدول عنه لتعلم خلقه الثبوت (فان قيل) ان اليوم قد
 يراد به اليوم مع ليلته وقد يراد به النهار وحده فما المراد (أجيب) بأن الغالب فى اللغة أنه مراد
 باليوم اليوم بليته ولما أوجد سبحانه وتعالى هذا الخلق الكبير المتباعد الاقطار الواسع
 الاشارة المقتضى الى عظيم التدبير ولطيف التصريف والتقدير عبر سبحانه وتعالى عن عمله
 فيه عمل المولى فى ممالكهم بقوله مشير الى عظمته بأداة التراخي (ثم استوى) أى عمل فى تدبيره
 واتقان ما فيه واحكامه عمل المعنى بذلك (على العرش) المتقدم وصفه فى الاعراف الغلظة
 وليست ثم للترتيب بل كناية عن علو الرئاسة وبعد منازلها ثم بين ذلك الاستواء بقوله (يَبْدَأُ)

الامر كله فلا يخفى عليه عاقبة امر من الامور لان التدبير اعدل احوال الملك فالاستواء
 كتابه عنه وقوله تعالى (ما من شفيح الا من بعد اذنه) تقرر بعظمته جل وعلا ورد على من زعم
 ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له (ذالكم الله) أي الموصوف بتلك
 الصفات المقتضية للالوهية والربوبية (ربكم) أي الذي يستحق العبادة منكم (فاعبدوه) أي
 وحدوه ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك أو انسان فضلا عن جاد لا يضر ولا ينفع فان
 عبادتكم مع الشريك ليست عبادة ولولا فضله لم يكن لمن زل أدنى زلة طاعة وقوله تعالى
 (أفلاتنكرون) قرأه حفص وحجرة والكسائي بضمهم الذال والباقون بالتشديد بادغام التاء
 في الاصل في الذال أي فلا تنفكرون أدنى تفكر فينبشكم عن أنه المستحق للربوبية والعبادة
 لا ما تعبدونه (اليه) تعالى (مرجعكم) أي رجوعكم بالموت والنشور حال كونكم (جميعا)
 لا يتخلف منكم أحد فاستعدوا للقائه وقوله تعالى (وعند الله) مصدر منصوب بفعله المقدّمون
 لنفسه لان قوله تعالى اليه مرجعكم وعدم من الله وقوله تعالى (حقا) أي صدقا لا خفاء فيه
 مصدر آخر منصوب بفعله المقدّمون كد لغيره وهو ما دل عليه وعاد الله (انه يبدأ الخلق) أي يجمعهم
 ابتداء (ثم يعيده) أي ثم يبعثهم ثم يجمعهم وفي هذا دليل على الحشر والنشر والمعاد وحجته وقوعه
 ورد على منكري البعث ووقوعه لان القادر على خلق هذه الاجسام المولفة والاعضاء المركبة
 على غير مثال سبق قادر على اعادة ما بعد تفرقها بالموت والبلى فيركب تلك الاجزاء المتفرقة
 تركيبا ثانيا ويخلق الانسان الاول مرة أخرى فاذا ثبت القول بجمعة المعاد والبعث بعد الموت
 كان المقصود منه ايصال الثواب المطيع والعقاب للعاصي وهو قوله تعالى (ليجزى الذين آمنوا
 وعملوا الصالحات بالقسط) أي بالعدل لا ينقص من أجورهم شيئا (والذين كفروا وهم شراب
 من جهنم) وهو ما حارقه اتمى حزمه (وعذاب اليم) أي بالغ في اليلام (بما كانوا يكفرون) أي
 بسبب كفرهم (هو الذي جعل الشمس ضياء) أي ذات ضياء (والقمر نورا) أي ذات نور وخص
 الشمس بالضياء لانه أقوى وأكدم من النور وخص القمر بالنور لانه أضعف من الضياء لان
 الشمس نيرة في ذاتها والقمر نير بعرض مقابله الشمس والاكساب منها وقرأ قبل همزة
 مفتوحة بمدودة بعد الضاد والباقون بياء مفتوحة والضمير في قوله تعالى (وقدره منازل) يرجع
 الى الشمس والقمر أي قدر مسير كل واحد منهما منازل وقدره ذات منازل أو يرجع الى القمر
 فقط وتخصيصه بالذكر لسرعة مسيره ومعانية منازل واناطة أحكام الشرع به ولذلك عليه بقوله
 تعالى (لتعلموا عدد السنين والحساب) أي حساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم
 ونصرت قانتكم لان الشهور والمعتبرة في الشريعة مبينة على رؤية الالهة والسنة المعتبرة
 في الشريعة هي السنة القمرية كما قال تعالى ان عدة الشهر عند الله اثني عشر شهرا في كتاب
 الله (فائدة) منازل القمر ثمانية وعشرون منزلا وأسمائها الشرطان والبطين والثريا
 والدران والهقعة والهنعة والذراع والثرة والطرف والجهة والزبرة والصرفة
 والعوا والسمالك والغفر والزباني والاكيل والقلب والشولة والنعام والبلدة

وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعد وسعد الاخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو
المؤخر وبطن الحوت وهذه المنازل مقسومة على البروج وهي اثنا عشر برجا الحل والنور
والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو
والحوت فلكل برج منزلان وثلاث فينزل القمر في كل ليلة منه منزلا فيستتر بمثلين ان كان
الشهر ثلاثين وان كان تسعا وعشر بن ليلة واحدة فيكون انقضاء الشهر مع نزوله تلك المنازل
ويكون مقام الشمس في كل منزلة ثلاثة عشر يوما فيكون انقضاء السنة مع انقضائها وانتفاع
الخلق بضوء الشمس وبشور القمر عظيم فالشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل وبحركة
الشمس تنفصل السنة الى هذه الفصول الاربعة وبالفصول الاربعة تنقسم مصالح هذا العالم
وبسبب الحركة اليومية يحصل النهار والليل والنهار يكون زمانا للتكسب والمطلب والليل يكون
زمانا للراحة (ما خلق الله ذلك) المذكور (الا بالحق) أي لم يخلق ذلك باطلا ولا عبثا تعالى الله عن
ذلك اظهار القدرته ودلائل وحدانيته ونظيره قوله تعالى في آل عمران ويتفكرون في خلق
السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال تعالى في سورة أخرى وما خلقتنا السماء
والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا (يفصل) أي بين (الآيات) أي الدلائل
الباهرة واحدة في اثر واحدة بآياتنا شافيا (لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن
كثير وأبو عمرو وحفص بالياء والباءون بالنون * ولما استدلل سبحانه وتعالى على اثبات الالهية
والتوحيد بقوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وثانيا بأحوال الشمس
والقمر استدلل ثالثا بقوله تعالى (ان في اختلاف الليل والنهار) أي بالجمعي والذهاب والزيادة
والنقصان ورابعا بقوله تعالى (وما خلق الله في السموات) من ملائكة وشمس وقر ونجوم
وغير ذلك (و) ما خلق الله في (الارض) من حيوان وجبال وبحار وأنهار وأشجار وغير ذلك
* (فائدة) * أقسام الحوادث في هذا العالم محصورة في أربعة أقسام أحدها الاحوال الحادثة
في العناصر الاربعة ويدخل فيها أحوال الرعد والبرق والسهاب والامطار ويدخل فيها
أيضا أحوال البحار والصواعق والزلازل والخسوف وثانيها أحوال المعادن وهي بحسبة كثيرة
وثالثها اختلاف أحوال النبات ورابعها اختلاف أحوال الحيوانات وبجمله هذه الاقسام
الاربعة داخل في قوله تعالى وما خلق الله في السموات والارض هذه الاحوال
لا يدخل تحت الحصر بل كل ما ذكر العقل في أحوال أقسام هذا العالم فهو جزء مختصر
من هذا الباب (آيات) أي دلالات على قدرته تعالى (لقوم يتقون) الله فانه يحملهم على
التفكير والتذكر وخصهم بالذكرا لانهم المنتفعون بها حال القفال من تدبر في هذه الاحوال علم أن
الدينامي مخلوقة لشقاء الناس فيها وان خالقها وخالقهم ما أهملهم بل جعلها لهم دار عمل واذا
كان كذلك فلا بد من أمر ونهي ثم من ثواب وعقاب ليعتدوا بالحسن عن المسيء فهذه الاحوال
في الحقيقة دالة على صحة القول بآيات المبدأ واثبات المعاد * ولما أقام الله سبحانه وتعالى
الدلائل القاهرة على صحة القول بآيات الاله الرحمن وعلى صحة القول بآيات الاله الرحيم الحكيم

وعلى صحة القول بالمعاد والحشر والنشر شرع في شرح أحوال من يكفر بها وشرح أحوال
من يؤمن بها وقد ابتدأ بأولها ووصفه بأربع صفات مبتدئاً بأولها بقوله تعالى (أَنَّ الَّذِينَ
لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) أى لا يخافونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها فهم
مكذبون بالنواب والعقاب والرجاء يكون بمعنى الخوف وبمعنى الطمع فن الأول قول العرب
فلان لا يرجو فلان بمعنى لا يخافه ومنه قوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقاراً ومنه قول أبي ذؤيب
الهمذلي * اذلسته النحل لم يرج لسعها * أى لم يخفها ومن الثانى قولهم فلان يرجو فلان أى
يطمع فيه والمعنى لا يطمعون في ثوابنا والصفة الثانية والثالثة قوله تعالى (ورضوا بالحياة الدنيا
واطمأنوا بها) فیه مملون لها عمل المقيم فيها مع ما يشاهدونه من سرعة زوالها منهمكين في لذاتها
وزخارفها وسكنوا فيهم اسكون من لا ينزع عنها والصفة الرابعة قوله تعالى (والذين هم عن آياتنا)
أى دلائل وحدانيتنا (عاقلون) تاركون النظر فيها بمنزلة العاقل عن الشيء الذى لا يخطر بباله
طول عمره مذكّر ذلك الشيء وبالجملة فهذه الصفات الاربعة دالة على شدة بعدهم عن طلب
الاستعداد بالسعادات الاخرية ويحتمل أن الصفة الاخيرة لفرق آخر ويكون المراد بالاولين
من أنكروا البعث ولم يردوا بالحياة الدنيا وبالآخر من الهام حب العاجل عن التأمل في الآجل
والاعداد له ولما وصفهم الله تعالى بتلك الصفات قال (أولئك ما أوأهم النار بما كانوا
يكسبون) من الشرك والمعاصي ولم يشرح أحوال المنكرين الجاحدين ذكر تعالى شرح من
يؤمن بها فقال (أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) والاعمال الصالحة عبارة عن الاعمال التي
تحمل النفس على ترك الدنيا وطلب الآخرة والاعمال المذمومة ما يـكون بالصد من ذلك
(يهديمهم) أى يرشدهم (بهم بآياتهم) أى بسبب آياتهم الى سلوك سبيل يؤدى الى الجنة أو لما
يريدونه في الجنة أولادراك الحقائق كما قال صلى الله عليه وسلم من عمل بمعلم ورثه الله علم ما يعلم
وقال مجاهد المؤمنون يكون لهم نور عيشي بهم الى الجنة وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان
المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول أنا عملك فيكون له نورا وقائد الى
الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول أنا عملك فينطلق به حتى يدخله
النار ومفهوم ترتب الهداية على الايمان والعمل الصالح قد دلّ على أن سبب الهداية هو
الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله جل وعلا بآياتهم على استقلال الايمان بالسببية وان
العمل الصالح كالثمرة والرديف ثم انه تعالى لما وصفهم بالايمان والاعمال الصالحة ذكر بعد ذلك
درجات كراماتهم ومراتب سعاداتهم وهى أربعة الاولى قوله تعالى (تجزي من فتحهم الانهار ارفى
جنان النعيم) أى يكونون جالسين على سرر رفوعة في البساتين والانهار تجرى من بين أيديهم
ينظرون اليها من أعالي أسرتهم وقصورهم ونظيره قوله تعالى قد جعل ربك تنحلاً سريعاً
ما كانت قاعدة عليه ولكن المعنى بين يديك وكذا قوله وهذه الانهار تجري من تحتي أى بين يدي
فكذلك هنا الثانية قوله تعالى (دعواهم فيها) قال بعض المفسرين أى طلبهم لما يشتهون
في الجنة أن يقولوا (سبحانك) أى تنزهك من كل سوء ونقيصة (الهم) أى يا الله فاذا ما طلبوا

بين أيديهم على موائد كل مائدة ميل في ميل على كل مائدة سبعون ألف صحيفة في كل صحيفة لون من
 الطعام لا يشبه بعضها بعضاً فإذا فرغوا من الطعام حمدوا الله تعالى فذلك قوله تعالى وآخر
 دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وأن المراد بقوله سبحانه اللهم اشتغال أهل الجنة بالتسبيح
 والتحميد والتقديس لله تعالى والثناء عليه بما هو أهله وفي هذا الذكر سرورهم وابتهاجهم وكال
 لذاتهم وهذا أولى ويدل عليه ما روى عن جابر رضي الله تعالى عنه أنه قال سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يولون ولا يتغوطون ولا
 يتخبطون قالوا يا أبا الطاهر الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما
 يلهمون النفس أي يخرج ذلك الطعام جشاء وعرقاً الثالثة قوله تعالى (وتحيتهم) فيها بينهم
 وتحية الملائكة لهم (فيها) أي الجنة (سلام) وتأنيبهم الملائكة أيضاً من عندهم بالسلام قال
 تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال تعالى سلام قولاً من رب رحيم
 الرابعة قوله تعالى (واخردعواهم) أي وآخردعائهم (أن الحمد لله رب العالمين) أي أن يقولوا
 ذلك وأن هي الخففة من الثقله وقد ذكرنا أن بعض المفسرين جعل التسبيح والتحميد على
 أحوال أهل الجنة بسبب المأكول والمشروب فانهم إذا اشتوا شيئاً قالوا سبحانه اللهم فحصل
 ذلك الشيء فإذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموائد عند ذلك قال الرازي وهذا
 القائل مارق نظره في دنياه وأخرا عن المأكول والمشروب وحقيق بمثل هذا الإنسان أن يعتدي
 زمره البهائم وأما المحققون فقد تركوا ذلك اه ولا ينبغي هذه المبالغة فقد قاله البغوي وتبعه
 جماعة من المفسرين وقال الزجاج أعلم الله أن أهل الجنة يفتتحون بتعظيم الله تعالى وتزيينه
 ويحتمون بشكره والثناء عليه قال البيضاوي المعنى انهم إذا دخلوا الجنة وعابوا أعظمه الله
 تعالى وكبرياه ومجده ونعمته ونبهوا بالجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز
 بأصناف الكرامات وألله تعالى خمدوه وأنشأ عليه بصفات الأكرام ولما وصف الله تعالى
 الكفار بأنهم لا يرجون لقاء الله ورضوا بالحياة الدنيا وطمأنوا بها وكانوا عن آيات الله غافلين
 بين أن من غفلتهم أن الرسول متى أئذروهم استجلبوا العذاب جهلاً منهم وسفهاً بقوله تعالى (ولو
 يعجل الله للناس النسر) أي ولو يعجل الله للناس إجابة دعائهم بالشرف فيما لهم فيه مضرة ومكره
 (استجلبهم بالخير) أي كما يحبون أن يعجل لهم إجابتهم بالخير (لقضى إليهم أجلهم) أي لاهلكهم
 ولكن عيهم زلت في النضرين الحارث حين قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر
 علينا حجارة من السماء أو آتنا بعذاب أليم ويدل عليه قوله تعالى (فند) أي فنتزل (الذين
 لا يرجون لقاءنا في طغيانهم) أي في تمردهم وعتوهم (يعمهمون) أي يترددون متحيرين وقال ابن
 عباس هذا في قول الرجل عند الغضب لاهله وولده لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو
 دعاء الرجل على نفسه وأهله وما له بما يكره أن يستجاب له فيه وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم إني أتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه إنما أنا بشر فأني
 المؤمنون إذ يتأهون أو ستمته أو جلدته أو لعنته فاجعلها له صلاة وذكره وقربة تقربه بها إلى يوم

القيامة (فان قيل) قابل التجميل في الآلية بالاستحجال وكان مقتضى النظم أن يقابل التجميل
 بالتجميل والاستحجال بالاستحجال أجب بأن تقدير الكلام ولو يجعل الله للناس الشر نجيلة
 للشر حين استجملوه استجبالا كاستجبالهم بالخير فحذف منه ما حذف دلالة الباقي عليه وقال في
 الكشف أصل هذا الكلام ولو يجعل الله للناس الشر نجيلة لهم بالخير لأنه وضع استجبالهم
 بالخير موضع نجيلة لهم بالخير شعرا بسرعة اجابته لهم وأسعافه بطلبهم حتى كان استجبالهم
 بالخير تجميل لهم * وما حكى تعالى عنهم أنهم يستجملون في نزول العذاب بين أنهم كاذبون في ذلك
 الطلب والاستحجال بقوله تعالى (واذا من الإنسان) أي الكافر (الضر) أي المرض والفقير
 (دعا بالجنبة) أي على جنبه مضطجعا (أو قاعدا أو قائما) وفائدة التردد تنعيم الدعاء لجميع
 الأحوال وأولاصناف المضار والمعنى أنه لو نزل بالإنسان أدنى شيء يكرهه ويؤذيه فانه يتضرع
 الى الله تعالى في ازالته عنه وفي دفعه عنه وذلك يدل على أنه ليس صادقا في طلب الاستحجال
 (قلما كشفنا عنه ضرة) أي أزلنا عنه ما نزل به (مر) أي مضى على ما كان عليه من الكفر (كان
 لم يدعنا) أي كانه فأسقط الضمير على سبيل التخفيف ونظيره قوله تعالى كان لم يلبثوا (الى ضر
 سه) قال الحسن نسي ما كان دعا الله فيه وما صنع الله به في ازالته ذلك البلاء عنه وانما جعل
 الإنسان في هذه الآية على الكفر لأن العمل المذكور لا يليق بالمسلم البتة وقول بعضهم كل
 موضع في القرآن ورد فيه ذكر الإنسان فالمراد هو الكافر مردود فقد قال تعالى هل أفي على
 الإنسان حين من الدهر وقال تعالى ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين وقال تعالى
 واقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه وأما المؤمن اذا ابتلى ببليّة ومحنة وجب عليه رعاية
 أمور أولها أن يكون راضيا بقضاء الله تعالى غير معترض بالقلب واللسان عليه وانما وجب عليه
 ذلك لانه تعالى مالك على الاطلاق وملاك الاستحقاق فله أن يفعل في ملكه ما شاء ولانه تعالى
 حكيم على الاطلاق وهو منزّه عن فعل العيب فكل ما فعله فهو حكمة وصواب فيجب عليه الصبر
 وترك القلق فان أبقى عليه تلك المحنة فهو وعد وان أزالها عنه فهو فضل وثانيها أنه في ذلك
 الوقت ان اشتغل بذكر الله تعالى والثناء عليه بدلا عن الدعاء كان أفضل لقوله صلى الله عليه وسلم
 حكمة عن الله تعالى من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيه أفضل ما أعطى السائلين ولأن
 الاشتغال بالذكر اشتغال بالحق والاشتغال بالدعاء اشتغال بطلب حظ النفس ولا شك ان الأول
 أفضل وثالثها أنه تعالى اذا أزال عنه تلك البليّة وجب عليه أن يبالغ في الشكر وأن لا يخلو عن
 ذلك الشكر في السراء والضراء وأحوال الشدة والرخاء فهذا هو الطريق الصحيح عند نزول
 البلاء وحينئذ يكون المؤمن على الضم من الكافر لأن الكافر منهمك في الشهوات والاعراض
 عن العبادات كما قال تعالى (كذلك) أي مثل ما زين لهؤلاء الكافرين هذا العمل القبيح (زين
 للمسرفين) أي المشركين (ما كانوا يعملون) من القبائح لأعراضهم عن الذكر واتباعهم
 الشهوات وانما سمى الكافر مسرفا لانه أتلف نفسه بتضييعها في عبادة الاوثان وأتلف ماله في
 البجعة والسائبية والوصيلة والمزين هو الله تعالى لانه مالك الملك وخالق كلهم عبده يتصرف

فيهم كيف شاء وقبل هو الشيطان وذلك بأقدار الله تعالى إياه على ذلك والافهو أخسر وأحق
 (ولقد أهلكا القرون) أي الأمم الماضية (من قبلكم) بأهل مكة (لما ظلموا) أي حين أشركوا
 وقوله تعالى (وجاءتهم رسالهم بالبينات) أي بالحجج الدالة على صدقهم حال من الواو باضمار قد
 أو عطف على ظلموا (وما) أي والحال أنهم ما (كانوا يؤمنوا) أي وما استقام لهم أن يؤمنوا ولو
 جاءتهم كل آية لعلته تعالى بأنهم يموتون على كفرهم واللام لتأ كيد النبي (كذلك) أي مثل ذلك
 الجزاء العظيم وهو ألا كهملما كذبوا رسالهم (نجزى القوم المجرمين) أي نجزيكم يا أهل مكة
 بتكذيبكم محمد أصلى الله عليه وسلم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرهم وانهم
 اعلام فيه (ثم جعلناكم) أي أيها المرسل اليهم أشرف رسلنا (خلافة) جمع خليفة (في الأرض
 من بعدهم) أي استخلفناكم فيها بعد القرون التي أهلكناها استخلاف من يجتهد (تنتظرون) ونحن
 أعلم بكم من أنفسكم في علم الشهادة لأقامة الحجج (كيف تعملون) من خبر أو شرف فجاز بكم به
 وقدم ترتقا وهذا ومنه قوله تعالى ليلوكم أيكم أحسن عملا وقال صلى الله عليه وسلم إن الدنيا
 خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فانظروا كيف تعملون وقال قتادة صدق الله ربنا ما جعلنا
 خلفاء إلا لينظر إلى أعمالنا فأروا أنفسكم من أعمالكم خير بالليل والنهار قال الزجاج وموضع
 كيف نصب بقوله تعملون أي لأعمول تنظر لأنهم حرف استفهام والاستفهام لا يعمل
 فيه ما قبله لأنه صدر الكلام فلا يتقدمه عامله وظاهر كلامه أن كيف مفعول لتعملون
 وجهور النعمة على أنه حال من ضمير تعملون (وإذا تلى عليهم) أي وإذا قرئ على هؤلاء
 المشركين (آياتنا) أي القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد حالة كون تلك الآيات (بينات) أي
 ظاهرات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك (قال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يصفون
 عذابنا ولا يرجون نوابنا لأنهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث بعد
 الموت فإنه لا يرجو نوابا ولا يخاف عقابا (أنت) أي من عندك (بقرآن) أي كلام مجموع جامع
 لما تريد (غير هذا) في نظمته ومعناه (أو بدله) بالفاظ أخرى والمعاني باقية وقد كانوا عالمين
 بأنه صلى الله عليه وسلم مثلهم في العجز عن ذلك ولكنهم قصدوا أن يأخذوا في التفسير صاعلي
 اجابة مطلوبهم فيبطل مدعاه أو يهلك واختلف في هذا القائل فقال قتادة هم مشركو أهل
 مكة وقال مقاتل هم خصة نفر عبد الله بن أمية الجمحي والوليد بن المغيرة ومكدر بن حفص وعمر
 ابن عبد الله بن أبي قيس العامري والعامري بن عامر بن هشام قالوا النبي صلى الله عليه وسلم
 إن كنت تريد أن تؤمن بك فأنت بقرآن ليس فيه ترك للعبادة والآلات والعزى ومناعة وليس فيه
 عيبها وإن لم ينزل الله فقل أنت من عند نفسك أو بدله فاجعل مكان آية عذاب آية راحة أو مكان
 حرام حلالا أو مكان حلال حراما ولما كان كانه قبل فإذا أقول لهم قال الله تعالى (قل) لهم
 (ما يكون) أي ما يصح (لن) ولا يتصور وجهه من الوجوه (أن أبدلهم تلقاء) أي قبل
 (نفسى) وانما كتبت بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر
 وقرأ نافع وأبو عمرو وبقيع الباقون بالسكون (إن) أي ما (أسمع إلا ما يوحى إلى) فيها

قوله لأنها حرف
 استفهام كذا في
 النسخ وظاهر أن
 كيف اسم لا حرف
 اه مصححه

أمرهم به أو أنها كم عنه أي لا آتى بشئ ولا أذرسأمن فخذ ذلك الامتعالو حى الله تعالى
 وأوامره ان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس الى تبديل
 ولا نسخ (انى أخاف ان عصيت ربى) أى بتبديله (عذاب يوم عظيم) فانى مؤمن به غير مكذب ولا
 شك كغيرى ممن يتكلم الهذيان بما لا يخاف عاقبته فى ذلك اليوم الذى تذهل فيه كل مرضعة
 عما أرضعت وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ولى وانى يفتح الياء والباقون بالسكون (قل) يا محمد
 هؤلاء المشركين الذين طلبوا منك تغيير القرآن وتبديله (لو شاء الله ما تلونه عليكم) أى لو شاء
 الله لم ينزل هذا القرآن ولم يأمرنى بقراءته عليكم (ولا أدراكم به) أى ولا أعلمكم به على لسانى
 وقرأ ابن كثير بخلاف عن البرى بقصر الهمزة بعد اللام جواب لو أى لا أعلمكم به على لسان
 غيرى والباقون بالمد المتفصل وقوله تعالى (فقد لبنت) أى سكنت قراءة نافع وابن كثير
 وعاصم بالظهار الشاء عند التاء والباقون بالادغام (فيكم عمراً) سنين أربعين (من قبله) أى قبل
 أن يوحى الى هذا القرآن لأتأمله ولا أعلمه فى ذلك إشارة الى أن هذا القرآن معجز خارق للعادة
 وتقريره ان أولئك الكفار كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول عمره الى ذلك
 الوقت وكانوا علمين بأحواله وأنه ما طالع كتاباً ولا تلمذ لاستاذ ولا تعلم من أحد ثم بعد انقراض
 أربعين سنة على هذا الوجه جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نقائس علم الاصول ودقائق
 علم الاحكام ولطائف علم الاخلاق وأسرار قصص الاولين وعجز عن معارضته العلماء والقصاص
 والبلغاء وكل من له عقل سليم فانه يعرف أن مثل هذا لا يحصل الا بالوحى والالهام من الله تعالى
 (أفلا تفتقلون) أى أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكير لتعلموا أن مثل هذا الكتاب
 العظيم على من لم يلم ولم يلمذ ولم يطالع كتاباً ولم يمارس مجادلة أنه لا يكون الا على سبيل الوحى من
 الله تعالى لا من مثلى وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم انتم بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء
 اليه (تنبيه) أقام صلى الله عليه وسلم بعد أن أوحى اليه بمكة ثلاث عشرة سنة ثم هاجر فقام
 بالمدينة عشر سنين وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة قال الزورى ورد فى عمره صلى الله عليه
 وسلم ثلاث روايات احدها أنه توفى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ستين سنة والثانية خمس
 وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهى أصحها وأشهرها وتأولوا رواية ستين بأن راوينا
 اقتصر فيها على العقود وتركوا الكسر ورواية الخمس أيضاً متأولة وحصل فيها اشتباه ولما أقمت
 الدلائل على أن هذا القرآن من عند الله وجب أن يقال انه ليس فى الدنيا أحد أجهل ولا أظلم
 على نفسه من منكر ذلك كما قال تعالى (فمن) أى لا أحد (أظلم عن اقرى) أى نعمد (على
 الله كذبا) أى أى كذب كان من شريك أو ولداً وغير ذلك وكان الاصل مبنى على تقدير أن
 يكون هذا القرآن من عنده وكنه وضع هذا الظاهر مكانه تعميماً وتعليقاً للعكم بالوصف
 (أو كذب بآياته) أى دلائل توحيديه فكفر بها كما فعلتم انتم وذلك من أعظم الكذب وقوله تعالى
 (انه) أى الشأن (لا يفلح) بوجه من الوجوه (المجرمون) أى المشركون تأكيده لما سبق من
 هذين الوصفين (ويعبدون) أى هؤلاء المشركون (من دون الله) أى غيره (مما لا يعترهم) أى

ان لم يعبدوه (ولا ينفعهم) أي ان عبدوه وهو الاصنام لانهم حجارة وجاد لا تقدر ولا تنفع
 والكافرون قادرون على التصرف فيها تارة بالاصلاح وتارة بالفساد واذا كان العابد أصلح
 حال من العبود كانت العبادة باطلة لان العبادة أعظم أنواع التعظيم فلا تليق الابن بضرة
 وينفع بان يثيب على الطاعة ويعاقب على المعصية وكان أهل الطائفة يعبدون اللات وأهل
 مكة يعبدون العزى ومناة وهبل واسافا ونائلة (ويقولون هؤلاء) أي الاصنام التي تعبدوها
 (شفعاً وناعداً لله) ونظيره قوله تعالى اخبرنا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقبل
 انهم وضعوا هذه الاصنام والاوثان على صوراً بنياهم وأكابرهم وزعموا أنهم متى اشتغلوا
 بعبادة هذه القبايل فان أولئك الاكابر يـكونون شفعا لهم عند الله قال الرازي وتطيره
 في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الاكابر على اعتقاد أنهم اذا عظموا تقبورهم
 فانهم يكونون شفعا لهم عند الله اهـ ولكن تعظيمهم لهؤلاء ليس كتعظيم الكفار وفي هذه
 الشفاعة قولان أحدهما أنهم يزعمون أنها تنفع لهم فيما يسميهم من أمور الدنيا في اصلاح
 معاشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون بعث الموت والشافئ أنهم يزعمون أنها تنفع لهم
 في الآخرة ان يكن بعث قاله ابن جرير عن ابن عباس وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط
 جهالتهم حيث تركوا عبادة موجدتهم الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعاً أنه لا ينفع ولا ينفع
 على توهم أنه ربما ينفع لهم قال النضر بن الحرث اذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى
 وقوله تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين (أنتبهون) أي يخبرون (الله) وهو العالم بكل شيء
 المحيط بكل محيط (عالم يعلم) أي لا يوجد له به علم في وقت من الاوقات استفهام انكار تهكم
 بهم وعبادتهم من المحال الذي هو شفاعة الاصنام واعلام بأن الذي انبؤا به باطل غير منطوق
 تحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه وقوله تعالى (في السموات والاف الارض)
 تأكيد لنفيه لاقام لم يوجد فيه ما فهو منتف معدوم وهذا على طريق الازام والمقصود في علم
 الله بذلك الشفيع وأنه لا وجود له البتة لانه لو كان موجودا لكان معلوماً لله تعالى وحيث لم يكن
 معلوماً لله تعالى وجب أن لا يكون معلوماً موجودا وهذا من مثل مشهور في العرب فان الانسان
 اذا أراد نفي شيء عن نفسه يقول ما علم الله ذلك مني ومقصوده أنه ما حصل ذلك الشيء منه قط ولا
 وقع (سبحانه) أي تزيهاً عن كل شيء فيه شائبة نقص (وتعالى عما يشركون) ما مصدريه أو
 موصولة اي عن اشراكهم أو عن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على
 الخطاب لقوله أنتبهون الله والباقون بالياء على الغيبة فكانه قبل للذي صلى الله عليه وسلم
 قل أنت سبحانه وتعالى عما يشركون ويجوز أن يكون الله سبحانه وتعالى هو الذي نزه نفسه
 عما قالوه فقال سبحانه وتعالى عما يشركون ولما أقام تعالى الدلالة القاهرة على فساد القول
 بعبادة الاصنام بين السبب في كيفية حدوث هذا المذهب الفاسد بقوله (وما كان الناس الا أمة
 واحدة) أي جمعا على الدين الحق وهو دين الاسلام وقيل على الضلال في فترة الرسل واختلف
 القائلون بالاول أنهم متى كانوا كذلك فقال ابن عباس ومجاهد كانوا على دين الاسلام من لدن

آدم الى أن قتل قابيل هابيل وقال قوم الى زمن نوح وكانوا عشرة قرون ثم اختلفوا في عهد نوح
 فبعث الله تعالى اليهم نوحا وقال آخرون كانوا على دين الاسلام من زمن نوح بعد الغرق حيث لم
 يذره الله على الارض من الكافرين ديارا الى أن ظهر الكفر فيهم وقال آخرون من عهد ابراهيم
 عليه السلام الى زمن عروب بن لحي وهذا القائل قال المراد من الناس في قوله تعالى وما كان
 الناس الا أمة واحدة العرب خاصة (فاختلفوا) بأن ثبت بعض وكفر بعض (ولولا كلمة سبقت
 من ربك) وهو تأخير الحكم الى يوم القيامة وقيل تلك الكلمة هي قوله سبحانه سبقت
 رحمتي غضبي فلما كانت رحمته غالبية اقتضت تلك الرحمة الغالبة اسبال السر على الجاهل الضال
 وامهاله الى وقت الوجدان (لقضى بينهم) أي الناس ينزل العذاب في الدنيا دون يوم القيامة
 (فيما فيه يختلفون) من الدين باهلا لك المبطل وبقاء الحق وكان ذلك فصلا بينهم (ويقولون) أي
 كفار مكة (لولا) أي هلا (أنزل عليه) أي محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) أي غير ما جاء به
 كما كان للأنبياء من الناقة والعصا واليد (فقل) يا محمد لهؤلاء الكفرة المعاندين (انما الغيب)
 أي ما غاب عن العباد أمره (لله) أي هو المختص بعلمه ومنه الآيات فلا يأتي بها الا هو وانما
 على التبليغ (فاتظروا) أي نزول ما اقترحقوه وقيل نزول العذاب ان لم يؤمنوا (انني معكم من
 المنظرين) أي لما يفعل الله تعالى بكم لعنادكم وبجودكم الآيات وكني بالقرآن وحده آية
 باقية على وجه الدهر بدبعة في الآيات رقية المسلك بين المجهزات مع عجزكم عن معارضته بتبديل
 أو غيره فأى عسدا أعظم من هذا (واذا أذقنا الناس) أي كفار مكة (رحمة) أي صحة وسعة
 (من بعد ضراء) أي شدة وبلاء (مستهم) سلط الله تعالى القحط سبع سنين على أهل مكة حتى
 كادوا يهلكون ثم رجعهم فأنزل عليهم المطر الكثير حتى اخضت البلاد وعاش الناس بعد ذلك
 فلم يعطوا بذلك بل رجعوا الى العناد والكفر كما قال تعالى (إذا لهم مكر في آياتنا) بالاستهزاء
 والتكذيب وقيل لا يقولون هذا من رزق الله انما يقولون سقينا بنوء كذا وعن أبي هريرة رضي
 الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى ليصبح القوم بالنعمة ويعسيهم بها
 فيصبح طائفة منهم بها كافرون يقولون مطرنا بنوء كذا والنوء عند العرب هي منازل القمر اذا
 طلع نجم سقط نظيره (قل الله) أي قل لهم يا محمد الله (أسرع مكر) منكم أي أعجل عقوبة وأشد
 أخذاً وأقدر على الجزاء ومعنى الوصف بالسرعية أنه قضى بعقابهم قبل تدبيرهم مكابدهم
 والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالى انما الاستدراج أو الجزاء على المكفرانهم لما قابلو النعمة
 الله بالمكر قابل مكرهم بأشد منه وهو امهالهم الى يوم القيامة (ان رسلنا) أي الحنظلة الكرام
 الكاسين (يكتبون ما تكرون) لانهم وكوا بكم قبل كونكم نطفاء ولم يوكوا بكم الا بعد علم موكلهم
 بكل ما تفعّلونه ولا يكتبون مكركم الا بعد اطلاعهم عليه واما هو سبحانه وتعالى فانه اذا قضى قضاء
 لا يمكن أن يطلع عليه رسله الا باطلاعه فكيف بغيرهم واذا تبين أنه عالم بأمورهم وهم جاهلون
 بأمورهم علم أنه لا يدعهم يدبرون كيدا الا وقد سبب له ما يجعله في ضحورهم وقرأ بوعرو بسكون
 السين والباقون بالرفع ثم أخذ سبحانه وتعالى بين ما ينضج به أسرية مكره في مثال دال على ما في

الآية قبلها ان المعنى الكلى لا يصل الى افهام السامعين الا بدكر مثال جلي واضح يكشف عن
 حقيقة ذلك المعنى الكلى فقال (هو الذي يسيركم) أى يحملكم على السير في كل وقت تسيرون فيه
 لا تقدرّون على الانفكاك عنه ويمكنكم منه (في البر والبحر) أى يسبب لكم أسبابا بوجوب سيركم
 فيها وقرأ ابن عامر بعد الباء الاولى بنون ساكنة بعدها شين مفعومة والباقون بسين
 مهملة مفتوحة بعدها ياء مكسورة مشددة ولما كان العطب بسير البحر أظهر مع أن السير فيه
 من أكبر الآيات وأوضح البينات ينسبهم معرضا عن ذكر البر بقوله تعالى (حتى اذا كنتم فى
 كونا الارواح لكم منه) (فى الفلك) أى السفن (فان قيل) كيف جعل الكون فى الفلك غاية للتيسير
 فى البحر مع أن الكون فى الفلك متقدم لاحالة على التيسير فى البحر (أجيب) بأنه لم يجعل الكون
 فى الفلك غاية للتيسير بل تقدير الكلام كانه قيل هو الذى يسيركم حتى اذا وقع فى جملة تلك
 التيسيرات الحصول فى الفلك كان كذا وكذا ولفظ الفلك يطلق على الواحد وعلى الجمع فان
 أريد الواحد كان كناية قفل أو الجمع كان كناية مجرى والمراد هنا الجمع لقوله تعالى (وغيرين بهم)
 أى عن فيها وعدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليجمعهم منها ويستدعى
 منهم الانكار والتفويض والاتفات فى الكلام عن الغيبة الى الحضور والعكس فى فصيح كلام
 العرب (بريح طيبه) أى لينة الهموب (وفر حواجا) أى تلك الريح وبالفلك الجارية بهم وقوله
 تعالى (جاءتها) جواب اذا والضمير للفلك أو للريح الطيبة بمعنى تاقمتا (ريح عاصف) أى
 شديدة الهموب فأزعجت سفينةهم وأسأتهم (وجاءهم الموج) أى وجاءهم كواب السفينة الموج
 وهو ما ارتفع وعلما من ضرب الماء فى البحر وقيل هو شدة حركة الماء واختلاطه (من كل مكان)
 أى يعتاد مجئ الموج منه فأرجف قلوبهم (وظنوا أنهم أحيط بهم) أى فظنوا ان الهلاك قد
 أحاط بهم وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن أحاط بهم العدو (دعوا الله لمخلصين) أى من غير
 اشتراك به (له الدين) أى الدعاء لانهم لا يدعون حينئذ غيره لان الانسان فى هذه الحالة لا يطمع
 الا فى فضل الله ورجته ويصير منقطعاعن جميع الخلق ويصير بقلبه وروحه وجميع أجزائه
 منصرفا الى الله تعالى وقوله تعالى (لئن أنجيتنا من هذه) الشدة التى نحن فيها وهى الريح
 العاصفة والأمواج الشديدة (لنسكون من الشاكرين) على إرادة القول أو مفعول دعوا
 لانه من جملة القول أى لنسكون من الشاكرين لك بالايمان والطاعة على انعامك علينا
 بانجائنا منا نحن فيه من هذه الشدة (فلأنجاهم) أى هؤلاء الذين ظنوا أنهم أحيط بهم من
 الشدة التى كانوا فيها إجابة لدعائهم (اذا هم يغيثون) أى فاجأوا الفساد وسارعوا الى ما كانوا عليه
 من الكفر والمعاصي (فى الارض) أى جنسها (بغير الحق) * فان قيل البقى لا يكون بحق فما
 معنى قوله بغير (أجيب) بأنه قد يكون بحق كاستيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم
 واجراق زروعهم وقطع أشجارهم كإفعل صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة فان ذلك إفساد بحق
 قال صاحب المفردات البقى على ضربين أحدهما غير محمود وهو مجاوزة الحق الى الباطل والى
 الشبهة والآخر كفعل المسلمين ما ذكر (يا أيها الناس انما بغيكم) أى ظلمكم (على أنفسكم)

لعمد وباله عليها خاصة قال صلى الله عليه وسلم أسرع الخيرة ثوابا صلة الرحم وأجمل الشرع قابا البغي
 واليمين الفاجرة وروى ثمان يهملهم ما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن
 عباس لو بنى جبل على جبل لذلك الباغي وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين في أخيه
 يا صاحب البغي ان البغي مصرة * فاربع خيرة فعالم المرء أعدله
 فلو بنى جبل يوما على جبل * لاندك منه أعاليه وأسفله
 وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر وعلى تقدير الانتفاع بالبغي
 هو عرض زائل كما قال تعالى (متاع الحياة الدنيا) أي لا يتهبأ لكم بغي بعضكم على بعض الا
 أياما قليلة وهي مدة حياتكم مع قصرها وسرعة انقضاءها (ثم الينا) بعد البعث (مرجعكم)
 في القيامة (فنتبئكم) أي فنضربكم (بما كنتم تعملون) في الدنيا من البغي والمعاصي فنجازيكم
 عليها وقرر أخفض متاع نصب العين على أنه مصدر مؤكدة أي تتمتعون متاع الحياة الدنيا
 والباقيون بالرفع على أنه خبر بغيركم وعلى أنفسكم صلته أو خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك
 متاع الحياة الدنيا وعلى أنفسكم خبر بغيركم ولما قال تعالى يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم
 متاع الحياة الدنيا أتبعه بتمثل عجيب ضربه لمن يبغي في الارض ويغتر بالدنيا ويشتمل تمسكها
 ويقوى اعراضه عن أمر الآخرة والتأهب لها بقوله تعالى (انما مثل الحياة الدنيا) أي حالها
 العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واعتار الناس بها والمثل قول سائر يشبه
 فيه حال الثاني بالاول (كأما أنزلناه) وحقق أمره وبينه بقوله تعالى (من السماء فاختلط به)
 أي بسببه (نسأت الارض) أي اشتبك بعضه ببعض والاختلاط تداخل الاشياء بعضها في
 بعض (مما يأكل الناس) من الحبوب والثمار ونحو ذلك (و) مما يأكل (الانعام) من
 الحشيش ونحوه (حتى اذا أخذت الارض زخرفها) أي حسننها وجمجمتها من النباتات
 (وازينت) باظهار ألوان زهرها من أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من الزهور كالعروس اذا
 أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكسنتها وزينت بغيرها من ألوان الزين واصل ازينت
 زينت أبدلت التاء زايًا وأدغمت في الزاي (وطن أهلها) أي أهل تلك الارض (انهم قادرون
 عليها) أي متمكنون من تحصيل جذاها وحصادها (أناها أمرنا) أي قضاؤنا من البرد والحار
 المفرط وغيره (ليلاً ونهاراً) أي في الليل وفي النهار (فجعلناها) أي زرعها (حصيداً) أي
 كالخصود المناجل وقوله تعالى (كان) محققة أي كأنها (لم تكن) أي لم تكن (بالامس) تلك
 الزروع والاشجار قائمة على ظهر الارض وحذف المضاف من جعلناها ومن كان لم تكن
 للمبالغة * (تنبيه) تشبيه الحياة الدنيا بهذا النبات يحتمل وجوها الاول ان عاقبة هذه الدنيا
 التي تنقها المرء في باب الدنيا كعاقبة هذا النبات الذي حين عظم الرجاء في الانتفاع به وقع
 اليأس منه لان الغالب أن المتمسك بالدنيا اذا وضع قلبه عليها وعظمت رغبته فيها يأتيه الموت
 وهو معنى قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما آتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبسوتون أي خاسرون
 الدنيا وقد انفقوا أعمارهم فيها وخاسرون من الآخرة مع أنهم توجهوا اليها الثاني أنه تعالى بين

أنه كالم يحصل لذلك الزرع عاقبة محمودة فكذلك المغفرة بالدنيا المحب لها لا يحصل له عاقبة تحمد
مع أن المنافع التي تحصل فيها مخلوطة بالمضار والمتاع فان سعادة الدنيا غير خالصة من الآفات
بل هي مزوجة بالبليات والاستقرار يدل عليه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من طلب ما لم يخلق
أتعب نفسه ولم يرزق فقصيل يارسول الله وما هو قال سرور يوم بتمامه الثالث أن مالك ذلك
البستان لما عره بآتاعاب النفس وكذا الروح وعلق قلبه على الانتفاع به فاذا حصل ذلك
السبب المهلك صار العناء الشديد الذي تحمله في الماضي سببا لحصول الشقاء الشديد في
المستقبل وهو ما يحصل له في قلبه من الحسرات فكذا حال من وضع قلبه على الدنيا وأتعب
نفسه في تحصيلها فاذا مات وفاته كل ما فات صار العناء الذي تحمله في تحصيل أسباب الدنيا سببا
لحصول الشقاء العظيم له في الآخرة (كذلك) أي مثل هذا التفصيل الذي ذكرناه (تفصيل
الآيات) أي بينها (لقوم يتفكرون) لانهم المتفكرون بها ولما تقرر تعالى الغافلين عن الميل الى
الدنيا بالمثل السابق رغبهم في الآخرة بقوله تعالى (واقه يدعو) أي يعلق دعاءه على سبيل
التجدد والاستمرار بالمدة (التي دار السلام) قال قتادة السلام هو الله وداره الجنة وسمى
سبحانه وتعالى بالسلام لانه واجب الوجود لذاته فقدس لم من الفناء والتغير وسلم من احتياجه
في ذاته وصفاته ومن الافتقار الى الغير وهذه الصفة ليست الاله سبحانه كما قال تعالى والله الغني
وأنتم الفقراء وقال تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله وقيل السلام بمعنى السلامة وقيل
المراد بالسلام الجنة سميت الجنة دار السلام لان أهلها يحيى بعضهم بعضا بالسلام والملائكة تسلم
عليهم قال الله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ومن كمال رحمته وجوده
وكرمه على عباده أن دعاهم الى الجنة التي هي دار السلام وفيه دليل على أن فيها ما لا عين
رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان العظيم لا يدعو الى عظيم ولا يصف الاعظميا
وقد وصف الله تعالى الجنة في آيات كثيرة من كتابه وعن جابر قال جاءت ملائكة الى النبي صلى
الله عليه وسلم وهو نائم فقالوا ان صاحبكم هذا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مائدة وبعث
دعائيا فن أجاب الداعي دخل الداروا كل من المائدة ومن لم يحب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل
من المائدة والدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم (والله يهدي من يشاء) من عباده
بما يخلق في قلبه من الهداية (الى صراط مستقيم) وهو دين الاسلام عم سبحانه وتعالى بالدعوة
أو لاظهار الحجج وخص بالهداية ثانيا اظهار القدرة لان الحكم له في خلقه وقال الجنيـد
الدعوة عامة والهداية خاصة بل الهداية عامة والعمة خاصة بل العمة عامة والاتصال خاص
وقيل يدعوا بالآيات ويهدي للعقائ والمعارف وقيل الدعوة لله والهداية من الله وقال بعضهم
لا تنفع الدعوة لمن لم يسبق له من الله الهداية (للذين أحسنوا) أي بالايان (الحسن) وهي
الجنة (وزيادة) وهي النظر الى تعالى في الآخرة كافي الحديث الصحيح اذا دخل أهل الجنة
الجنة نودوا أن يا أهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فرائ الله ما أعطاهم الله شأوا حب
اليهم منه والرخشسرى في كشفه قال في هذا وزعت المشبهة والمجبرة لان المعزة يشكرون

الزوية ويرده عليهم قول الله تعالى وجوه يومئذ ماضية الى ربها ناظرة فأنبت الله لاهل الجنة
 أمرين أحدهما النضارة وهي حسن الوجوه وذلك من نعيم الجنة والثاني النظر الى الله تعالى
 يومئذ بن عباس رضي الله تعالى عنهما الحسنى الحسنة والزيادة عشرة أمثالهما وعن الحسن عشر
 أمثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن ثعبرة
 الزيادة أن غمر الصحابة بأهل الجنة فتقول ما تريدون أن أمطركم فلا يريدون شيئا إلا أمطرهم
 ولا مانع من أن تفسر الزيادة بذلك كله إذا تباين فيها والفضل واسع (ولا يرهق) أي يغشى
 (وجوههم قتر) أي سواد (ولاذلة) أي كآبة وكسوف يظهر منه الانكسار والهوان
 (أو لئن) أي هؤلاء الذين وصفهم الله هم (أصحاب الجنة) وقوله تعالى (هم فيها خالدون) إشارة
 الى كونها دائمة آمنة من الانقطاع ولا زوال فيها ولا انقراض بخلاف الدنيا وزخارفها ولما بين
 تعالى حال الفضل فيمن أحسن بين حال العدل فيمن أساء بقوله تعالى (والذين كسبوا السيئات)
 أي الشر (جزاء سيئة) منهم (بمثلها) بعدل الله من غير زيادة وفي ذلك إشارة الى الفرق بين
 السيئات والحسنات لأن الحسنات يضاعف ثوابها العاقلها من الواحد الى العشرة الى السبعمائة
 لي أضاعف كثيرة تفضلها من تعالى وتكرما وأما السيئة فانه يجازى عليها بمثلها بعدل الله
 تعالى (وترهقهم) أي تغشاهم (ذلة) عكس أهل الجنة (مالهم من الله من عاصم) أي مانع يمنعهم
 من عذاب الله إذا نزل بهم (كأنما أغشيت) أي ألبست (وجوههم قطعاً من الليل مطاباً) لقرط
 سوادها وظلمتها وقرأ ابن كثير والكسائي بسكون الطاء أي جراً والباقون بفتحها جمع قطعة
 أي أجراً (أو لئن) أي هؤلاء الاشقياء (أصحاب النار هم فيها خالدون) لا يتمكنون من مفارقتها
 (وإذا ذكر يوم تحشرهم) أي الفريقين الناجين والمهلكين العابدين منهم والمعبودين من كل
 جانب وناحية الى موقف الحساب حال كونهم (جميعاً) لا يتخلف عنهم أحد وهو يوم القيامة
 والحشر الجمع يكره الى موقف واحد (ثم يقول للذين أشر كوا ما كنتم) أي الزموا مكانكم
 لا تبرحوا منه حتى تنظروا ما يفعله بكم وقوله تعالى (أنتم) تأكيد للضمير المستتر في الفعل المقدر
 ليحلف عليه (وشركاؤكم) أي من كنتم تعبدونه من دون الله (فزيلنا) أي فرقنا (بينهم) أي بين
 المشركين وشركائهم وقطعنا ما كان بينهم من المتواصل في الدنيا وذلك حين تبرأ كل معبود من
 دون الله عن عبده وقيل فرقنا بينهم وبين المؤمنين كافي آية وامتازوا اليوم أي المجرمون
 والاول أنسب بقوله تعالى (وقال شركاؤهم) لهؤلاء المشركين (ما كنتم إيانا تعبدون) أي
 انما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن تعبدوا لله إذ إذا طاعتموهم واختلقوا في
 المراءب هؤلاء الشركاء فقال بعضهم الملائكة واستشهدوا بقوله تعالى ويوم يحشرهم جميعاً ثم
 تقول للملائكة هؤلاء إياكم كانوا يعبدون ومنهم من قال هي الاصنام والدليل عليه أن هذا
 الخطاب مشق على الوحيد والتعبد وذلك لا يليق بالملائكة المقربين وسماوا شركاء لانهم
 جعلوا نصيباً من أموالهم لتلك الاصنام ففسدوا بهم شركاء لانفسهم في تلك الاموال ثم اختلفوا
 في هذه الاصنام كيف ذكرت هذا الكلام فقال بعضهم ان الله تعالى خلق الحياة والعقل

والنطق فيها فقد رت على ذكر هذا الكلام وقال آخرون ان الله تعالى خلق فيها الكلام من غير
أن يخلق فيها الحياة حتى سمع منها ذلك ~~الكلام~~ والاول أظهر لان ظاهر قوله تعالى وقال
شركاؤهم يقتضي أن يكون فاعل ذلك القول هو الشركاء (فان قيل) اذا أحيها الله تعالى هل
يقينها أو يقينها (أجيب) بأن الكل محتمل فان الله تعالى يفعل في خلقه ما يشاء وأحوال القيامة
غير معلومة الا القليل الذي أخبر الله تعالى عنه في القرآن وعلى لسان أنبيائه وقال بعضهم المراد
بهؤلاء الشركاء كل من عبد من دون الله من انس وملك وجن وشمس وقر وصنم وهذا أظهر
وعلى هذا والاول سمعوا شركاء لان الله تعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله تعالى مكانكم
صاروا شركاء في هذا الخطاب ولما قال لهم شركاؤهم ذلك قالوا بل كنا عبدكم فقال شركاؤهم
(فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم) فانه تعالى العالم بكنهه الحال (ان كنا عن عبادتكم لغافلين)
أى لم نأمر بها ولم نعلم بها وعلى القول بأنها الاصنام فنقول ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعلم فأنما
جادات لاحس لها بشئ ولا شعور البتة * (تنبيه) ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي
القاروقة بين الخفيفة والثاقبة (هناك) أى في ذلك الموقف من المكان العظيم الأحوال المتوالى
الزوال (تلول) أى تختبر (كل نفس) طاعة وعاصية (ما أسلفت) أى ما قدمت من عمل فتعين
نفعه وضرة يؤدى الى سعادة أو شقاوة وقرأ أحزته والكسائي بناء من التلاوة أى تقرأ أذكر
ما قدمت أو من التوفيق تبع كل شخص عمله فيقوده الى الجنة أو الى النار والباقيون بعد التاء
موحدة من البلوى وهو الاخبار (ورزوا الى الله) أى الى جزائه اياهم عما أسلفوا فلم يكن
لهم قدرة على قصد غيره (مولاهم الحق) أى ربهم ومتولى أمرهم على الحقيقة ولا التفات الى
سواء من تلك الأباطيل بل انقطع رجاءهم من كل ما يدعون في الدنيا وهو المراد بقوله تعالى
(وضل عنهم) أى ذهب وبطل وضاع (ما كانوا يفترون) أى يعمدون كذبه من أن معبوداتهم
شركاء ويتقوا في ذلك المقام أن توليهم لغير الله كان باطلا غير حق ولما بين فضايح عبدة الاوثان
اتبه اذكر الدلائل على فساد هذا المذهب بمجيب الحجة الاولى قوله تعالى (قل) أى قل يا محمد
لهؤلاء المشركين (من يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات فانحصر الرزق في ذلك
أما من السماء فبتنزل الامطار وأما من الارض فلان الغذاء إما أن يكون نباتا أو حيوانا أما
النبات فلا ينبت الا من الارض وأما الحيوان فهو يحتاج أيضا الى الغذاء ولا يمكن أن يكون
غذاء كل حيوان حيوانا آخر والازم الذهاب الى ما لا نهاية له وذلك محال ثبت ان أغذية
الحيوانات يجب انتهائها الى النبات وثبت أن تولد النباتات من الارض فثبت القطع بأن الارزاق
لا تفصل الا من السماء والارض (أمن يملك السمع) أى الاسماع (والابصار) أى من
يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سوياعليه من القطرة العجيبة عن على رضى الله
تعالى عنه كان يقول سبحانه من بصر بشعم وسمع بعظم وأنطق بلحم وأجمعهما وحفظهما من
الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما الطيفان يؤذيهما أدنى شئ بكلاهما وحفظه (ومن
يخرج الحى من الميت) كان يخرج الانسان من النطفة والطائر من البيضة (ويخرج الميت من

الحق) كان يخرج النطفة من الانسان والبيضة من الطائر وقيل المراد أن يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقرأ نافع وحفص وحزرة والكسائي ميت في الموضعين بعد الميم بكسر الياء المشددة والباقون بعد الميم يسكون الياء (ومن يدبر الامر) أى ومن يلى تدبير أمر الخلائق وهو تعميم بعد تخصيص وذلك لأن أقسام تدبير الله تعالى في العالم السفلى وفي العالم العلوى وفي عالم الارواح والاجساد أمور لا نهاية لها وذكر كلها كالتعذر فلما ذكر بعض تلك الافاصيل عقبها بالكلام الكلى ليدل على الباقي ثم بين تعالى أن الرسول صلى الله عليه وسلم اذا سألهم عن مدبر هذه الاحوال (فسيقولون الله) اذ لا يقدرون على المسكامة والعناد في ذلك لقرط وضوحه واذا كانوا يقولون بذلك (فقل) لهم يا محمد (أفلا تتقون) الشرك مع اعترافكم بأن كل الخيرات في الدنيا والآخرة انما تحصل بفضل الله تعالى واحسانه (فذا لكم الله ربكم الحق) أى الثابت ربو بيته ثباتا لا ريب فيه واذا ثبت أن هذا هو الحق وجب أن يكون ماسوا ضلالا لأن النقيضين يتنصع أن يكونا حقيقين وأن يكونا باطلين فاذا كان أحدهما حقا وجب أن يكون ماسوا باطلا كما قال تعالى (فماذا بعد الحق الا الضلال) اذ لا واسطة بينهما فهو واستفهام تقرير أى ليس بعده غيره فمن اخطأ الحق وهو عبادة الله تعالى وقعه في الضلال ولذلك سبب عنه قوله تعالى (فأنى) أى فكيف ومن أى جهة (تصرفون) أى تعدلون عن عبادته وأنتم تقولون بأن الله هو الحق (كذلك) أى كما حقت الربوبية لله تعالى أو أن الحق بعده الضلال أو أنهم معصرفون عن الحق (حق كلمة ربك) في الاول (على الذين فسقوا) أى عتدوا في كفرهم وخروجوا عن حد الاستصلاح وقوله تعالى (أنهم لا يؤمنون) يدل من الكلمة أى حق عليهم اتقاء الايمان وعلم الله منهم ذلك والمراد بكلمة الله العدة بالعذاب وهو لا ملأ من جهنم الاية وأنهم لا يؤمنون لتعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون أو ذلك تفسير لكلمته التي حقت وقرأ نافع وابن عامر كلمة بالالف بعد الميم على الجمع والباقون بغير الف بعد الميم على الافراد الحجة الثانية قوله تعالى (قل) أى قل يا محمد لهؤلاء (هل من شركائكم) الذين زعموهم شركاء أو شركوهم في أموالكم من أنعامكم وزرعكم (من يبدأ الخلق) كما بدأ به ليصع لكم ما ادعيتم من الشراكة (ثم يعيده) كما كان (فان قيل) هم غير معترفين بالاعادة فكيف اخرج عليهم تعالى بها كالأبتداء في الالتزام بها (أجيب) بأنها الظهور وبرهانها وان لم يقرروا بها وضعت موضع ما دفعه دافع كان مكابرا اذا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على أنهم في انكارهم لها منكرون أمر مسلم معترف بصحته عند العقلاء ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينوب عنهم في الجواب بقوله تعالى (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده) لأن لما جهنم لا يدعهم أن يعترفوا بها (فأنى) أى فكيف (تؤفكون) عن عبادته مع قيام الدلائل (فان قيل) ما الفائدة في ذكر هذه الحجة على سبيل السؤال والاستفهام (أجيب) بأن الكلام اذا كان ظاهرا جليا ثم ذكر على سبيل الاستفهام كلف ذلك ابلغ وأوقع في القلب الحجة الثالثة قوله تعالى (قل) أى قل يا محمد لهم (هل من شركائكم من يهدى الى الحق) نخب الحجج وخلق الاهتداء وارسال الرسل ولما كانوا

جاهلين بالجواب الحق في ذلك أم معاندين أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم أن يجب بقوله تعالى (قل الله) أي الذي له الاحاطة الكاملة (يهدى الحق) من يشاء لأحدنا ممن زعموه شركاء فالاشتغال بشئ منها عبادة أو غيرها جهل محض قال الزجاج يقال هديت إلى الحق وهديت للحق بمعنى واحد فالتعالى ذكرها تيقن اللغتين في قوله تعالى من يهدى إلى الحق وفي قوله تعالى قل الله يهدي الحق وقوله تعالى (أفمن يهدي إلى الحق) أي وهو الله تعالى (أحق أن يتبع آمن لا يهدي) أي يهدي (الأن يهدي) أحق أن يتبع استفهام تقرير وتوبيخ أي الأول أحق (فيا لكم كيف يحكمون) هذا الحكم الفاسد من اتباع من لا يستحق اتباعه وقوله تعالى (وما يتبع أكثرهم) في تفسيره وجهان الأول وما يتبع أكثرهم في إقرارهم بالله تعالى (الافتراء) لأنه قول غير مستند إلى برهان عندهم بل معهود من أسلافهم الثاني وما يتبع أكثرهم الافتراء في قولهم للانصام آلهة وانها شفعاء عند الله تعالى الافتراء حيث قلده واقبه آباءهم قال الرازي والقول الأول أقوى لأن في القول الثاني محتاج إلى تفسير لا كثير بالكل (أن الظن لا يغني من الحق) فيما المطلوب فيه العلم (شياً) من الاغناء فدللت هذه الآية على أن كل من كان ظاناً في مسائل الأصول وما كان قاطعاً لا يكون مؤمناً (فان قيل) فقول أهل السنة أنا مؤمن ان شاء الله يمنع من القطع فوجب أن يلزمهم الكفر (أجاب) الرازي بأن هذا ضعيف من وجوه الأول أن مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه أن الايمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل فالشك حاصل في أن هذه الاعمال هل هي موافقة لأمر الله تعالى والشك في أحد أجزاء الماهية لا يوجب الشك في تمام الماهية الثاني أن الغرض من قوله ان شاء الله تعالى بقاء الايمان عند الخاتمة الثالث الغرض هضم النفس وكسرها (ان الله عليم) أي بالغ العلم (بما يفعلون) أي من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين فيجازيهم عليه وقوله تعالى (وما كان) عطف على قوله ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي الخ فهو حتمت مذ مقول القول أي قل لهم ذلك الكلام (هذا القرآن) أي الجامع لكل خير مع التادية بأساليب الحكمة المجردة لجميع الخلق (أن يفتري) أي افتراء (من دون الله) أي غيره لأن المفتري هو الذي تأتي به البشر وكفار مكة زعموا أن محمداً صلى الله عليه وسلم أتى به من عند نفسه فأخبر الله تعالى أن هذا القرآن وحى أنزله عليه وأنه مبرأ عن الافتراء والكذب وأنه لا يقدر عليه أحد الا الله ثم ذكر ما يؤكده هذا بقوله تعالى (ولكن) أنزل (نصديق الذي بين يديه) أي قبله من الكتب الذي أنزلها على أنبيائه كالتوراة والانجيل فثبت بذلك أنه وحى من الله أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم وأنه مجزؤه فانه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يجتمع بأحد من العلماء ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن العظيم المجزؤه وفيه أخبار الأولين وقصص الماضين وقيل نصديق الذي القرآن بين يديه من القيامة والبعث (ونفصيل الكتاب) أي تبين ما كتب الله من الاحكام وغيرها (لأرب) أي لاشك (فيه) وقوله تعالى (من رب العالمين) متعلق بتصديق أو بائزال المحذوف (أم) أي بل (يقولون افتراء) أي اختلقه محمد ومعنى الهوة فيه للانكار

(قل) أى قل لهم يا محمد ان كان الامر كما يقولون (فأتوا بسورة مثله) فى الفصاحة والبلاغة وحسن النظم فأنتم عرب مثله فى البلاغة والقطنة (فان قيل) هل يتناول ذلك جميع السور الصغار والكبار ويختص بالسور الكبار (أجيب) بأن هذه الآية فى سورة يونس وهى مكية فكيف المراد مثل هذه السورة لانها أقرب ما يمكن أن يشار اليه هكذا أجاب الرازى والاولى التناول لجميع السور فانهم لا يقدرون أن يأتوا بأقصر سورة (فان قيل) لم قال فى البقرة بسورة من مثله وهى بسورة مثله (أجيب) بأنه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ ولم يكتب ولم يتلذذ لاحد فقيل فى سورة البقرة فأتوا بسورة من مثله بناء على أن الضمير يرجع للنبي صلى الله عليه وسلم أى فليأت انسان يساوى محمد صلى الله عليه وسلم فى عدم مطالعة الكتب وعدم الاشتغال بالعلوم بسورة تساوى هذه السورة وحيث ظهر المجز ظهر المجز فهذا لا يدل على أن السورة فى نفسها مجيزة ولكنه يدل على أن ظهور مثل هذه السورة من انسان مثل محمد صلى الله عليه وسلم فى عدم التعلم والتلذذ مجيز ثم بين تعالى فى هذه السورة ان تلك السورة فى نفسها مجيزة فان الخلق وان تتلذذوا وتعلموا واطلغوا وتفكروا لا يمكنهم الاثبات بمعارضة سورة واحدة من هذه السور وهو المراد من قوله تعالى (وادعوا من استطعتم) أى فاستمعوا بما يمكنكم أن تستمعوا به (من دون الله) أى غيره فانه تعالى وحده قادر على ذلك (ان كنتم صادقين) أى فى أى آيت به من عندى لان العاقل لا يجزم بشئ الا اذا كان عنده منه مخرج وذلك لا يكون الا عن دليل ظاهر وسلطان قاهر باهر * (تنبيه) * هو انب تحدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن ستة أولها أنه تحداهم بكل القرآن كما قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ثانيها أنه تحداهم بعشر سور فقال تعالى فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ثالثها أنه تحداهم بسورة واحدة كما قال تعالى فأتوا بسورة من مثله رابعها أنه تحداهم بحديث مثله خامسها أن فى تلك المراتب الاربعة كان يطلب منهم أن يأتى بالمعارضة وجعل يساوى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عدم التلذذ والتعلم ثم فى هذه السورة طلب منهم معارضة سورة واحدة من أى انسان سواء تعلم العلوم أم لم يتعلمها سادسها أن فى المراتب المتقدمة تحدى واحد من الخلق وفى هذه المرتبة تحدى جميعهم وجوز أن يستعين البعض ببعض فى الاثبات بهذه المعارضة كما قال تعالى وادعوا من استطعتم من دون الله وهى آخر المراتب فهذا المجموع الدلائل التى ذكرها الله تعالى فى اثبات ان القرآن مجيز ثم ان الله تعالى ذكر السبب الذى لا جله كذبوا بالقرآن فقال تعالى (بل كذبوا) أى أوقعوا التكذيب الذى لا تكذيب أشنع منه أسرع فى ذلك (بحالهم يحبطوا بعلمه) أى القرآن أول ما سمعوه قبل أن يتدبروا آياته من غير شبهة أصلا بل عندا وطغيا وانفورا بما يخالف دينهم فهو من باب من جهل شيئا أعاده والاحاطة ادارة ما هو كالحائط حول الشئ واحاطة العلم بالشئ العلم به من جميع وجوهه (ولم يأتهم) أى الى زمن تكذيبهم (تأويله) أى تأويل ما فيه من الاخبار الغيوب وما فيه من الوعيد حتى تبين لهم

أنه صدق أم كذب ومعنى التوقع في لما أنه قد ظهر لهم بالآخرة إجماع لما كثر عليهم التصدي
 فجربوا عقولهم في معارضته فصغرت وضعفت دونها ومع هذا لم يقله واعن التكذيب بتزوا
 وعنادا (كذلك) أي مثل تكذيبهم هذا التكذيب العظيم في الشناعة قبل تدبر المجزأة
 (كذب الذين من قبلهم) أي من كفار الأمم الماضية فظلو فأهلكا هم بظلمهم (فانظر) يا محمد
 كيف كان عاقبة الظالمين يتكذيب الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك فكذلك يهلك من
 كذبك من قومك وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون الخطاب لكل فرد
 من الناس والمعنى فانظر أيها الإنسان كيف كان عاقبة من ظلم فأخذوا أن تفعل مثل فعله
 (ومنهم) أي من قومك يا محمد (من يؤمن به) أي القرآن أي يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق
 ولكنه يعاند بالتكذيب (ومنهم من لا يؤمن به) في نفسه لغباوته وقلة تدبره ومنهم من يؤمن به
 في المستقبل بأن يتوب عن الكفر ويبدله بالإيمان ومنهم من يصبر ويستقر على الكفر وإنما فسرت
 هذه الآية بهذين التأويلين لأن كلمة يؤمن من تصلح للحال والاستقبال (وذلك أعلم بالفسدين)
 أي المعاندين على التفسير الأول والمصرين على التفسير الثاني وفي ذلك تهديد لهم (وان
 كذبوا) أي وان يكذبوا يا محمد بعد الزام الحجّة (فقل) لهم (لي عمل) من الطاعة وجزاءها
 (ولكم عملكم) من الشرك وجزاء عقابه أي فقبّر أي منهم فقد أعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم
 جزاء عملكم حقا كان أو باطلا (أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) لا تؤاخذون
 بعلمي ولا تؤاخذوا بعملكم واختلف في معنى ذلك فقيل معنى الآية الزجر والردع وقيل بل
 معناه استقالة قلوبهم وقال مقاتل والكلبي هذه الآية منسوخة بآية السيف قال الرازي
 وهذا بعيد لأن شرط الناسخ أن يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول هذه الآية اختصاص كل
 واحد بأفعاله وبفرائد أفعاله من الثواب والعقاب وذلك لا يقتضي حرمة القتال وآية القتال
 ما رفعت شيئا من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا انتهى ولا تنبغي هذه المبالغة
 مع مثل من ذكر وقد تبعهما جماعة من المفسرين ولما قسم تعالى الكفار قسمين منهم من
 يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به قسم من لا يؤمن به قسمين منهم من يكون في نهاية البغض له
 والعداوة ونهاية النفرة عن قبول دينه ومنهم من لا يكون كذلك فوصف القسم الأول في
 قوله تعالى (ومنهم) أي من هؤلاء المشركين (من يستمعون إليك) إذا قرأت القرآن وعلت
 الشرائع بإسماعهم الظاهرة ولا يتبعهم لشدة عداوتهم وبغضهم لك فإن الإنسان إذا قوى
 بغضه لا حرو عظمته نفرت منه صارت نفقه معرضة عن جميع جهات محاسن كلامه (أفأنت
 تسمع الصم) أي أتعذر على إسماعهم (ولو كانوا) مع الصم (لا يسمعون) أي لأن الأصم العاقل
 ربما تفرس واستدل إذا وقع في صمناخه دوى الصوت فإذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا
 فقد تم الأمر فكذلك لا تعذر على إسماع الأصم الذي لا يعقل لا تعذر على إسماع من أصم الله
 تعالى قلبه فإن الله تعالى صرف قلوبهم عن الاتقاع بما يستحقون ولم يوفقهم لذلك فشبهم
 بالصم في عدم الاتقاع بما يتلى عليهم ثم وصف القسم الثاني في قوله تعالى (ومنهم من يتقرون

الملك) أى يعاينون دلائل نبوتك ولا يصدقونك (أفانت تمدى العمى) أى أفقدت على هدايتهم
 (ولو كانوا) مع العمى (لا يصرون) أى لا بصيرة لهم لأن الاعى الذى فى قلبه بصيرة قد يهدس
 ويتظن فأنا العمى مع الحق فجهد البلا فلا تقدر على هدايته من أعى الله تعالى بصيرته فهو لاه
 فى اليأس من أن يقبلوا أو يصدقوا كالصم والعمى الذين لا عقول لهم ولا بصر فلا يقدر على
 اسماعهم وهدايتهم إلا الله تعالى * (تنبيه) * اختلف فى أن السمع أفضل أو البصر ففهم من قال
 السمع واحتج على ذلك بأمر منها تقدمه فى الآيات ومنها أن القوة السامعة تدرك المسموع من
 جميع الجوانب والقوة الباصرة لا تدرك المرفى إلا من جهة واحدة وهى المقابل ومنها أن
 الإنسان إنما يستفد العلم من التعلم من الاستاذ وذلك لا يكون إلا بقوة السمع فاستكمال
 النفس بالكالات العلمية لا يحصل إلا بقوة السمع ومنها أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
 يراهم الناس ويسمعون كلامهم فثبتت لهم ما حصلت بسبب ما معهم من الصفات المرئية وانما
 حصلت بسبب ما معهم من الاحوال المسموعة وهو الكلام وتبلغ الشرائع وبيان الاحكام
 ومنها أن المعنى الذى يمتاز به الانسان من سائر الحيوانات هو النطق بالكلام وانما يتفهم
 بذلك بالقوة السامعة فتعلق السمع النطق الذى يحصل به شرف الانسان ومتعلق البصر ادراك
 الألوان والاشكال وذلك أمر مشترك فيه بين الناس وبين سائر الحيوانات ومنهم من قال
 البصر واحتج بأمر منها أن آلة القوة الباصرة هى النور وآلة القوة السامعة هى الهواء
 والنور أشرف من الهواء ومنها أن جمال الوجه يحصل بالبصر وبذاته عيبه وذهاب السمع
 لا يورث الانسان عيبا فى جمال وجهه والعرب تسمى العينين الكريمتين ولا تصف السمع بمثل
 هذا وفى الحديث يقول الله تعالى من أذهب كريمتيه فصر واحتسب لم أرض له ثوابا دون
 الجنة ومنها أنهم قالوا فى المثل المشهور ليس وراء العين بيان وذلك يدل على أن أكمل وجوه
 الادراكات هو الابصار ومنها أن كثيرا من الانبياء سمع الله واختلفوا فى أنه هل واه منهم أحد
 أم لا وأيضا فان موسى عليه السلام أسمعه الله تعالى كلامه من غير سبق سؤال والناس فلما
 طلب الرؤية قال لن ترانى وذلك يدل على أن حال الرؤية أعلى من حال السماع وهذا هو الظاهر
 ولما حكم تعالى على أهل الشقاوة بالشقاوة بقضائه وقدره السابق فيهم أخبر تعالى أن تقدير
 الشقاوة عليهم ما كان ظلامه بقوله تعالى (إن الله لا يظلم الناس شيئا) أى لأنه تعالى فى جميع
 أحواله متفضل وعادل فيتصرف فى ملكه كيف يشاء وانطلق كلهم عبيده وكل من تصرف
 فى ملكه بالفضل والعدل لا يكون ظالما وانما قال تعالى (ولكن الناس أنفسهم يظلمون) لأن
 فعلهم منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضاء الله تعالى وقدره فيهم ففى ذلك
 دليل على أن لا يعبد كسبا وأنه ليس مسلوب الاختيار كما زعمت الجبهة وقرأ آية والكسبان
 بكسر النون مخففة ورفع السين والباقون بنصب النون مشددة ونصب السين ولما وصف تعالى
 هؤلاء الكفار بقوله الاصفاء وترك التدبر أبعه بالوعيد بقوله تعالى (ويوم نحشرهم) أى
 وإذ كرمناهم يوم نحشر هؤلاء المشركين لموقف الحساب وأفضل الحشر اخراج الجماعة

وازعاجهم عن مكانهم (كأن) أي كأنهم (لم يلبثوا) في دنياهم والجملة في موضع الحال من
 ضمير تحشرهم البارز أي مشبهين عن لم يلبثوا (الأساعة) حقيرة (من النهار) أي يستقصرون
 مدتها في الدنيا وفي القبور لهول ما يرون (يتعارفون بينهم) أي يعرف بعضهم بعضا إذا
 بعثوا ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال والجملة حال مقدرة متعلق الطرف والتقدير يتعارفون
 يوم تحشرهم وقوله تعالى (قد خسروا الذين كذبوا بقاء الله) أي بالبعث يحفل وجهين الأول
 أن يكون على إرادة القول أي يتعارفون بينهم فائلم ذلك الثاني أن يكون كلام الله تعالى
 فيكون شهادة من الله تعالى عليهم بالخسران والمعنى أن من باع آخرته بالدنيا فقد خسرها لأنه
 أعطى الكثير الشريف الباقى وأخذ القليل الخسيس الفاني (وما كانوا مهتدين) أي إلى
 رعاية مصالح التجارة وذلك لانهم اغتروا بالظاهر وغفلوا عن الحقيقة فصاروا كمن رأى زباجة
 خسية فظنها جوهرة ثم ريفه فاشترها بكل ماله فإذ عرضها على الناقدين خاب سعيه
 وفات أمله ووقع في حرق الروع وعذاب القلب وقوله تعالى (وإنما) فيه ادغام ان الشرطية
 في ما الزائدة (ترينك) يا محمد (بعض الذي نعدهم) به من العذاب في حياتك وجواب الشرط
 محذوف أي فذلك (أو توفينك) قبل أن ترينك ذلك الوعد في الدنيا فانك تستراه في الآخرة
 وهو قوله تعالى (فألينا) بعد البعث (مرجعهم) فنريك هناك ما هو أقر لعينك وأسر لقلبك
 وقوله تعالى (ثم الله شهيد على ما يفعلون) فيه وعيد وتهديد لهم أي أنه تعالى شهيد على
 أفعالهم التي فعلوها في الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيامة ولما بين تعالى حال محمد صلى الله عليه
 وسلم مع قومه بين أن حال كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم كذلك بقوله تعالى
 (ولكل أمة) أي من الأمم التي خلت من قبلك (رسول) يدعوهم إلى الله تعالى وقوله تعالى
 (فأجابه رسولهم قضي بينهم بالقسط) فيه إضمار تقديره فإذا أجابه رسولهم وبلغهم ما أرسل به
 إليهم فكذبهم قوم وصدقته آخرون قضي أي حكم وفصل بينهم بالقسط أي بالعدل وفي وقت هذا
 القضاء والحكم بينهم قولان أحدهما أنه في الدنيا بأن يهلك الكافرين ويبقى رسوله والمؤمنين
 لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا والثاني في الآخرة وذلك أن الله تعالى إذا جمع
 الأمم يوم القيامة للحساب والفصل بين المؤمنين والكافرين والطائعين والعاصين جى بالرسول تشهد
 عليهم لقوله تعالى وحي بالنبیین والشهداء وقضى بينهم والمراد منه المبالغة في إظهار العدل
 وهو قوله تعالى (وهم لا ينظرون) في جزاء أعمالهم شيئا بل يجازى كل واحد على قدر عمله فكذلك
 يفعل هؤلاء (ويقولون متى هذا الوعد) الذي تعدنا به يا محمد من نزول العذاب ومن قيام
 الساعة وإنما قالوا ذلك على وجه التكذيب والاستبعاد (إن كنتم صادقين) أي فيما تعدونا
 به وإنما قالوا بلفظ الجمع على سبيل التعظيم أو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وإن
 كان كل أمة قالوا الرسولوا مثل ذلك وهو الموافق لقوله تعالى ولكل أمة رسول قال الله تعالى
 (قل) أي قل لهم يا محمد (لأملك لنفسي ضرا) من مرض أو فقر أدفعه (ولأنفعا) من صحة
 أو غنى أجليه (الأمأشاء الله) أن يقدرني عليه فكيف أملك لكم حلول العذاب أو قيام

الساعة ولا يقدر على ذلك أحد إلا الله تعالى (لكل أمة أجل) أي مدة مضروبة (إذا جاء أجلهم) أي انقضت مدة أعمالهم (فلا يستأخرون) أي لا يتأخرون (عنه ساعة) ثم عطف على الجملة الشرطية **ب** كما لها (ولا يستقدمون) أي ولا يتقدمون أي ولا يستعجلون فإن الوفاء بالوعد لا يتعمه والسين فيهما بمعنى الوجدان أي لا يوجد لهم المعنى الذي منع منه الفعل ويجوز أن يكون المعنى لا يجردون التأخر ولا التقدم وإن اجتهدوا في الطلب فيكون في السين معنى الطلب وتدل الآية على أن أحد الأيموت إلا بانقضاء أجله وكذا المقتول لا يقتل إلا على هذا الوجه وقرأه آلون والبرى وأبو عمرو بإسقاط الهمزة الأولى وسهل ورش وقبيل الثانية وابدلها أيضاً حرف مد والباقون بالتحقيق قال الله تعالى (قل) أي قل لهم يا محمد أيضاً (أرأيتم أن أتاكم عذابه) الذي تستعجلون به (بيانا) أي في الليل بفترة كما يفعل العذوق (أو نهارا) أي وقت أنتم فيه تشغلون بطلب المعاش والكسب (ماذا) أي أي شيء (يستعجل منه) أي من عذابه وعذاب كل مكروه لا يحتمل شيء منه (المجرمون) أي المشركون وضع المجرمون موضع المضمر للدلالة على أنهم لجرمهم ينبغي أن يفزعوا من مجيء الوعيد لأن يستعجلوا وجلة الاستفهام متعلقة بأرأيتم وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال وتعرفوا الخطأ فيه (أثم إذا ما وقع) أي حل بكم (آمنتم) أي آمنتم بالله وأل العذاب وقت نزول العذاب وهو وقت اليأس والهمزة لانكار التأخير فلا يقبل منكم وقوله تعالى (الآن) على إرادة القول أي قبل لهم إذا آمنوا وقت نزول العذاب الآن (وقد كنتم به تستعجلون) تكذبا واستهزاء * (تنبيه) * اتفق فالون مع ورش على النقل هنا واتفق القراء كلهم على همزة الوصل التي بعد همزة الاستفهام إن فيها وجهين وهما البدل والتسهيل وقوله تعالى (ثم قبل للذين ظلموا) عطف على قبل المقدر أي من أي قائل كان استهانة بهم وقرأ هشام والكسائي بانهام القاف وهو أن تضم القاف قبل الباء والباقون بالكسر (ذوقوا عذاب الخلد) أي الذي تخلدون فيه واللاتيان بضم إشارة إلى تراخي ذلك عن الإهلاك في الدنيا المكث في البرزخ أو إلى أن عذابه أدنى من عذاب يوم الدين (هل) أي ما (تجزون إلا بما كنتم تكسبون) في الدين من الكفر والمعاصي (ويستنبئونك) أي يستخبرونك يا محمد (أحق هو) أي ما وعدتنا به من نزول العذاب وقيام الساعة وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء قاله يحيى بن أخطب لما قدم مكة (قل) لهم في جوابهم (أي وربي أنه لحق) أي كائن ثابت لا يدم من نزوله بكم * (تنبيه) * أي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك توصل بأوه في التصديق فيقال أي والله ولا ينطقون به وحده (وما أنتم بمجهزين) أي بفاوتين العذاب لأن من عجز عن شيء فقد فاته (ولو أن لكل نفس ظلت) أي أشركت (ما في الأرض) من الأموال (لا فتدت به) من عذاب يوم القيامة ولم يتفعها القداء لقوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون (وأسر والندامة لما رأوا العذاب) أي حين عاينوه وأبصروه صاروا مهوتين متصيرين فلم يطبقوا عنده بكاء ولا صراخا سوى اسرار الندم كالحال فمن ذهب به ليصلب فإنه يبق مهوتا متصيرا لا ينطق بكلمة وقيل أنهم أخلصوا الله في تلك الندامة

ومن أخلص في الدعاء أسرهم وفيه تهكم بهم وبإخلاصهم لانهم انما أتوا بهذا الاخلاص في غير
 وقته بل كان من الواجب عليهم أن يأووا به في دار الدنيا وقت التكليف وقيل المراد بالاسرار
 الاظهار وهو من الاضداد لانهم انما أخفوا الندامة على الكفر والفسق في الدنيا لاجل حفظ
 الرياسة وفي القيامة بطل هذا فوجب الاظهار وليس هناك تخلد (فان قيل) أسر وأجاء على افظ
 الماضي والقيامة من الامور المستقبلة (أجيب) بأنها الماضي كانت واجبة الوقوع جعل الله
 مستقبليها كالماضي (وقضى بينهم) أي بين الخلائق (بالقسط) أي بالعدل (وهم لا يظلمون)
 (فان قيل) هذه الآية مكررة (أجيب) بأن الاولى في القضاء بين الانبياء وتكذيبهم وهذه عامة
 وقيل بين المؤمنين والكفار وقيل بين الرؤساء والاتباع فان الكفار وان اشتركوا في العذاب
 فلا بد أن يقضى الله تعالى بينهم لانه لا يمتنع أن يكون قد ظلم بعضهم بعضا في الدنيا وانه فيكون
 في ذلك القضاء تخفيف عذاب بعضهم وتثقل لعذاب الباقي لان العدل يقتضي أن يخفف
 المظلومين من الظالمين ولا يسيل اليه الا أن يخفف من عذاب المظلومين وينقل في عذاب الظالمين
 وقوله تعالى (الآن لله ما في السموات والارض) تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب
 (الآن وعد الله) أي ما وعده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من البعث الجزاء ومن ثواب
 الطائع وعقاب العاصي (حق) لاشك فيه (وايكن أكثرهم) أي الناس (لا يعلمون) أي
 جاهلون عن حقيقة ذلك فهم باقون على الجهل معدودون مع البهائم لقصور عقولهم الاظهار من
 الحياة الدنيا (هو) أي الذي يملك ما في السموات والارض (يحيي ويميت) أي قادر على الاحياء
 والامانة لا يمدد عليه شيء مما أراد (واليه ترجعون) بعد الموت للجزاء وقوله تعالى (يا أيها
 الناس) خطاب عام وقيل لاهل مكة (قد جاءكم موعد من ربكم) أي كتاب فيه مالكم وعليكم
 وهو القرآن (وشفاء) أي دواء (لما في الصدور) أي القلوب من داء الجهل لان داء الجهل أضرت
 للقلب من المرض للبدن وأمر اض القلب هي الاخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات
 المهلكة والقرآن منزيل لهذه الامراض كلها لان فيه المواعظ والزواجر والتخويف والترغيب
 والترهيب والتحذير والتذكير فهو الشفاء لهذه الامراض القلبية وانما خص تعالى الصدر
 بالذكر لانه موضع القلب وغيره وهو أعز موضع في الانسان لمكان القلب فيه (وهدي) من
 الضلالة (ورحمة) أي اكرام عظيم (للمؤمنين) لانهم هم الذين اتفقوا به دون غيرهم
 واختلف في تفسير قوله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته) فقال مجاهد وقتادة فضل الله القرآن
 ورحمته أن جعلنا من أهله وقال ابن عباس والحسن فضل الله الاسلام ورحمته القرآن وعن
 أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال يكتب الله
 والاسلام وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته تزينه في قلوبنا وقيل فضل الله الاسلام
 ورحمته الجنة وقيل فضل الله القرآن ورحمته السنن ولا مانع من أن تفسر الآية بجميع ذلك
 اذ لا تنافي بين هذه الاقوال والباء في بفضل الله وبرحمته متعلقة بمحذوف يفسره ما بعده تقديره
 قل فليفرحوا بفضل الله وبرحمته (فبذلك فليفرحوا) والتكرير للتأكيد والتقرير واجباب

اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فخفف أحد المقولتين لدلالة
المذكور عليه والقاء داخله لعنى الشرط كما أنه قيل إن فرحوا بشئ فليفرحوا بهما
فانه لا مفرح به أحق منهما (هو) أى الحديث عنه من الفضل والرحمة (خبر عما يجمعون)
أى من حطام الدنيا ولذاتها الفانية وقرأ ابن عامر بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة
(قل) يا محمد ليكفار مكة (أرأيت) أى أخبروني (ما أنزل) أى خلق (الله لكم من رزق) وانه
نعلى جعل الرزق منزلاً لانه مقدر فى السماء يحصل بأسباب منها (فجعلتم منه) أى من ذلك الرزق
(حرماً واحلاً) وهو مثل ما ذكره من تحريم السابعة والوصيلة والحام ومثل قولهم هذه
أنعام وحرث حجر ومثل قولهم هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزوانا ومثل قولهم
ثمانية أزواج من الضأن اثنين (قل) اللهم يا محمد (الله أذن لكم) فى هذا التحريم والتحليل (أم)
أى بل (على الله فتفرون) أى تكذبون على الله بنسبة ذلك اليه (وما ظن الذين يفترون) أى
يعمدون (على الله الكذب) أى أى شئ ظنهم به (يوم القيامة) أيحسبون أن لا يؤاخذهم
ولا يجازيهم على أعمالهم فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع والتهديد والوعيد العظيم
لمن يفترى على الله الكذب (إن الله لذو فضل على الناس) بنعم كثيرة لا تحصى منها انزال
الكتب مفضلاً فيها ما يرضيه وما يسيخطه ومنها ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام لبيانها
بما يحتمل عقول الخلق منها ومنها طول مهالهم على سوء أفعالهم ومنها انعامه عليهم بالعقل
فكان شكره واجبا عليهم (ولكن أكثرهم) أى الناس (لأنكروا) هذه النعم
ولا يستعملون العقل فى دلائل الله تعالى ولا يقبلون دعوة أنبيائه ولا يتفكرون باستماع كتب الله
وقوله تعالى (وما تكون) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (فى شأن) أى عمل من الاعمال
وجمع شؤون والضمير فى قوله تعالى (وما تلوونه) ألامال شأن لأن تلاوة القرآن شأن من
شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شأنه واما التنزيل كأنه قيل وما تلوون التنزيل
(من قرآن) لأن كل جزء منه قرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له واما الله تعالى والمعنى وما تلو
من الله من قرآن نازل عليكم وقوله تعالى (ولا تعملون من عمل) أى أى عمل كان تعميم للخطاب
بعد تخصيصه بمن هو رئيسهم وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك ذكر حيث خص بمافيه
فخامة وهو الشأن وذكر حيث عم بقوله تعالى من عمل بما يتناول الجليل والحقير وقيل إن الكل
داخلون فى الخطابين الاولين أيضاً لانه من المعالوم انه اذا خطب رئيس القوم كان القوم
داخلين فى ذلك الخطاب كما فى قوله تعالى يا أيها النبي اذا طلقتم النساء (الا كالعالميةكم شهدوا)
أى رقباً فخصى عليكم أعمالكم لأن الله تعالى رقيب على كل شئ وعالم بكل شئ اذ لا محدث
ولا خائى ولا موجد الا الله تعالى فكل ما يدخل فى الوجود هتامن أحوال العباد وأعمالهم
الظاهرة والباطنة داخل فى علمه وشاهد عليه (اذ تفيضون) أى الله شاهد عليكم حين تدخلون
وتخوضون فيه أى ذلك العمل وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج اذ تتشرون
فيه يقال أفاض القوم فى الحديث اذا تشروا فيه (وما يعزب) أى يغيب (عن بلك) يا محمد

أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة وأتاما البشرى في الآخرة قتلى الملائكة أيهم مسلمين
 مبشرين بالقوز والكرامة وما يروونه من يساض وجوههم واعطاء الصحائف بأيمانهم وما
 يقرؤن منها وسلام الله تعالى عليهم كما قال تعالى سلام قولا من رب رحيم وغير ذلك من المبشرات
 بما بشر الله تعالى به عباده المتقين في كتابه وعلى السنة أنبيائه من جنسه وكريم ثوابه فان لفظ
 البشارة مشتق من خبر سار يظهر أثره في بشرة الوجه فكل ما كان كذلك دخل في هذه الآية
 ثم انه تعالى لما ذكر صفة أوليائه وشرح أحوالهم قال تعالى (لا تبديل) أي بوجهه من الوجوه
 (لكلمات الله) أي لا تغيير لا قولة ولا اخلاف لمواعيده والكلمة والقول سواء ونظيره قوله
 تعالى ما يبدل القول لدى وقوله تعالى (ذلك) إشارة الى كونهم مبشرين في الدارين (هو
 الفوز العظيم) هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المشر به وتعتيم شأنه وليس من شرطه
 أن يقع بعده كلام يتصل بما قبله (ولا يحرزك) يا محمد (قولهم) أي هؤلاء المشركين أي لا يغمك
 تكذيبهم وتهديدهم وتشويرهم في تدبيرهلاك وإبطال امرك وسائر ما يتكلمون به في شأنك
 وقرأ نافع بضم الباء وكسر الزاي من آخره والباقيون بفتح الباء وضم الزاي وكلاهما بمعنى وقوله
 تعالى (أن العزة) أي القوة (لله جميعا) استئناف بمعنى التعليل كانه قيل ما لي لا أحرز فضيل
 ان العزة لله جميعا أي ان الغلبة والقهر في ملكة الله جميعا لا يملك أحد شيئا منها الا هم ولا
 غيرهم فهو يغلبهم وينصرهم عليهم قال تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وقال تعالى انا لننصر
 رسلا وقيل ان المشركين كانوا يمززون بكثرة أموالهم وأولادهم وعبيدهم فأخبر الله
 تعالى ان جميع ذلك في ملكه فهو قادر على أن يسلب جميع ذلك ويذلهم بعد العز (هو السميع)
 أي البليغ السمع لا قوا لهم (العليم) أي المحيط العلم بصنائعهم وجميع أحوالهم فهو البالغ
 القدرة على كل شيء فيجازيهم وهو تعليل لتفرد العزة لانه تفرد بهذين الوصفين فانتقبا
 عن غيره ومن انتقبا عنه كان دون الحيوانات العجم فأنى يكون له عزة (فان قيل) قوله تعالى
 ان العزة لله جميعا بضاد قوله تعالى والله العزة لرسوله وللمؤمنين (أجيب) بالمتع لان عزة
 الرسول والمؤمنين كلها بالله فهي لله (ألا ان الله من في السموات ومن في الارض) ملكا وخالقا
 (فان قيل) اقد ذكر الله تعالى في الآية المتقدمة ألا ان الله ما في السموات والارض بلفظ ما وقال
 هنا بلفظ من فافاد بذلك (أجيب) بأنه تعالى غلب في الآية الاولى ما لا يعقل على من يعقل
 لكثرته وفي هذه غلب العاقل على غيره لشرفه وقيل مجموع الآيتين دال على ان الكل خلقه
 وملكه وقيل ان المراد بمن في السموات الملائكة ومن في الارض الثقلان وانما خصهم بالذكر
 لشرفهم واذا كان هؤلاء في ملكه وتحت قهره فما لا يعقل منها أحق أن لا يكون له ندا وشريكا
 فهو كالليل على قوله تعالى (وما يتبع الذين يدعون) أي يعبدون (من دون الله) أي غيره
 أصناما (شركاء) على الحقيقة وان كانوا يسمونهم أشركاء تعالى الله عن ذلك (ان) أي ما يتبعون
 في ذلك (الا الظن) أي ظننا انها آلهة تشفع لهم وانما تقربهم الى الله تعالى ثم بين تعالى ان هذا
 الظن لا حكم له بقوله تعالى (وان) أي ما (هم الا يحرمون) أي يكذبون في ذلك ويجوز

(من مثقال) أى وزن (ذرة) وهى التلة الحمراء الصغيرة خفيفة الوزن جداً وقيل المراد بها الهباء وهو الشئ المنبث الذى تراه فى البيت فى ضوء الشمس وقرأ الكسائى بكسر الزاى والباقون بالضم ومن صله على القراءتين وانما قيد بقوله تعالى (فى الارض ولا فى السماء) تقريرا للعقول العامة (فان قيل) لم تقدم ذكر الارض على السماء وقدم ذكر السماء على الارض فى سورة سبأ حيث قال تعالى ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض فافادة ذلك (أجيب) بأن الكلام هنا فى حال أهلها والمقصود منه هو البرهان على احاطة علمه على ان العطف بالواو حكمه حكم التنبيه (ولأصغر من ذلك) أى الذرة (ولأكبر) أى منها (الافى كتاب بين) أى بين رهو اللوح المحفوظ وقرأ حمزة برفع الراء من أصغروا كبر على الاستداء والخبر والباقون بالنصب على ان ذلك اسم لا وفى كتاب خبرها (الآن أولياء الله) أى الذين يتولونه باطاعة ويتولاهم بالكرامة (لاخوف عليهم) من حقوق مكروء (ولا هم يحزنون) بفوات مأمول وفسرهم بقوله تعالى (الذين آمنوا وكانوا يتقون) الله يامتثال أمره ونهيهم وهذا الذى فسر الله تعالى به الاولياء لا مزيد عليه وعن على رضى الله عنه هم قوم صفرو الوجوه من السهر وعش العيون من العبرخص البطون من الخوا وعن سعيد بن جبيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من أولياء الله تعالى فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعنى السمى والهيشة وعن ابن عباس الاخبار والسكنية وعن عمر رضى الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عباد امامهم بأنبياء ولا شهداء تغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نجحهم قال هم قوم تحابوا فى الله بغير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية ونقل النووى فى مقدمة شرح المذهب عن الامامين الشافعى وأبى حنيفة رضى الله تعالى عنهم ما ان كلامهما قال اذا لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولى وذلك فى العالم العامل بعلمه وقال القشيرى من شرط الولى أن يكون محفوظا كما أن من شرط النبى أن يكون معصوما فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخادع فالولى هو الذى نوات أفعاله على الموافقة ولما نفى الله عنهم الخوف والحزن زادهم فقال تعالى مينا لتوليته لهم بعد أن شرع بتوليته لهم (لهم البشرى) أى الكاملة (فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) أما البشرى فى الدنيا فقست بأشياء منها الرؤيا الصالحة فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال البشرى هى الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له وقال صلى الله عليه وسلم ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقال الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فاذا حلم أحدكم حلميا يخافه فليست عود منه وليصق عن شماله ثلاث مرزات فانه لا يضره وقال الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ومنها محبة الناس له وذكرهم اياه فى الفناء الحسن وعن أبى ذر قال قلت يا رسول الله ان الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال ثلاث عاجل بشرى المؤمن ومنها البشرى لهم عند الموت قال تعالى تنزل عليهم الملائكة

أن يكون وما يتبع في معنى الاستفهام أى وأى شئ يتبعون وشركاء على هذا نصب يسدعون
 وعلى الأول يتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقصر على
 أحدهم الله لالة وقوله تعالى (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) أى ليزول عنكم التعب
 والكلال فيه بما تقاسون في نهاركم من تعب التردد في المعاش (والنهار بمصر) أى مضياً
 تبصرون فيه مطالب أوزاقكم ومكاسبكم تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بهما
 ليلهم على تفرد به استحقاق العبادة وإضافة الابصار إلى النهار مع أنه يصرفه على طريق نقل
 الاسم من المسبب إلى السبب كقولهم ليل نائم لأن الليل سبب للسكون قال قطرب تقول العرب
 أظلم الليل أى صار ذا ظلمة وأضاء النهار أى صار ذا ضوء (أن في ذلك) المذكور (آيات) أى
 دلالات على وحدانيته تعالى (اقوم يسمعون) سماع اعتبار وتدريب يقولون بذلك أن الذى خلق
 الأشياء كلها هو الله المعبود المتفرد بالوحدانية في الوجود ثم ذكر الله تعالى نوعاً من أباطيل
 الكفار بقوله تعالى (قالوا) أى اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله (أتخذ الله
 ولداً) قال الله تعالى (سبحانه) أى تنزيهاً له عن الولد (هو الغنى) عن كل أحد وإنما يطلب الولد
 من يحتاج إليه ثم بين تعالى غناه بقوله تعالى (له ما في السموات وما في الأرض) من ناطق
 وصامت ملكاً وخلقاً ولما بين تعالى بالدليل الواضح امتناع ما أضفوا إليه عطف بالانكار
 والتوبيخ فقال (أن) أى ما (عندكم من سلطان) أى حجة (بهذا) أى الذى تقولونه ثم بالغ تعالى
 في ذلك الانكار عليهم بقوله تعالى (أتقولون على الله ما لا تعلمون) حقيقته وصحته وتضيفون
 إليه ما لا يجوز إضافة إليه تعالى جهلاً منكم والاستفهام للتوبيخ (قل) يا محمد لهؤلاء الذين
 يحتقرون على الله الكذب فيقولون عليه الباطل ويرعون أن له ولداً (أن الذين يفترون) أى
 يتعمدون (على الله الكذب لا يفلحون) أى لا ينجحون في سعيهم ولا يفوزون بطلوبهم بل خابوا
 وخسر وأفانهم لا ينجحون من النار ولا يفوزون بالجنة ومن الناس من إذا فاز بشئ من المطالب
 العاجلة والمقاصد الخسيسة ظن أنه قد فاز بالمقصد والله سبحانه وتعالى أزال هذا الخيال بأن
 قال (متاع في الدنيا) وفيه ضمائر تقديره لهم متاع في الدنيا على أنه مبتدأ خبره محذوف ويصح أن
 يكون خبراً لمبتدأ محذوف تقديره افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر
 أوجياتهم أو تقلبهم متاع في الدنيا وهو أيام يسيرة بالنسبة إلى طول بقائهم في العذاب (ثم الإنسا
 من جهنم) بالموت (ثم يذيقهم العذاب الشديد) بعد الموت (بما) أى بسبب ما (كانوا يكفرون)
 ولما ذكر سبحانه وتعالى في هذه السورة من أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر
 والعناد شرع بعد ذلك في قصص الأنبياء وما جرى لهم مع أممهم وذكر الله تعالى منهم في هذه
 السورة ثلاث قصص القصص الأولى قصة نوح عليه السلام المذكورة بقوله تعالى (وانزل
 يا محمد عليهم) أى كفار قريش (نبأ) أى خبر (نوح) وذلك ليكون لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم ولاصحابه أسوة من سلف من الأنبياء فإنه كان صلى الله عليه وسلم إذا سمع أن معاملة
 هؤلاء الصالحين مع كل الرسل ما كان الأعلى هذا الوجه خفف ذلك على قلبه كما يقال المصيبة

اذا عت خفت ولان الكفار اذا سمعوا هذه القصص وعلموا ان الجهال وان بالغوا في ابداء
 الانبياء المتقدمين الا ان الله تعالى أعلنهم بالآخرة ونصرهم وأيدهم وقهر أعداءهم كان
 سماع هؤلاء الكفار لامثال هذه القصص سببا لانتكسار قلوبهم ووقوع الخوف والوجل
 في صدورهم ولان الكلام اذا طال تقريرا في نوع من أنواع العلوم فربما حصل نوع من أنواع
 الملالة فاذا انتقل الانسان من ذلك الفن من العلم الى فن آخر شرح صدره وطاب قلبه ووجد
 في نفسه رغبة جديدة وقوة حادثة وميل اقويا ولانه صلى الله عليه وسلم لما لم يعلم علم اول بطالع
 كتاب ثم ذكر هذه القصص من غير تفاوت ومن غير زيادة ومن غير نقصان دل ذلك على أنه صلى الله
 عليه وسلم اعلمها بالوحي والتزيل ويدل من بناء نوح (اذ قال لقومه) وهم بنو قاييل
 (يا قوم ان كان كبر) أي شق وعظم (عليكم مقامي) أي لبي فيكم ألف سنة الاخسين عاما
 (وتد كبرى) أي وعظي اياكم (بآيات الله) أي بحجته وبيانه فعزمت على قلبي وطردى
 (فعلى الله توكلت) أي فهو حسي وثقتي أوقياحي على الدعوة لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة
 قاموا على أرجلهم يعطونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكي عن عيسى عليه
 السلام أنه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود (فاجعوا أمركم) أي فاعزموا على أمر تفعلونه
 في أذي بالاهلاك وغيره (وشركاءكم) أي وادعوا شركاءكم أو الواو يعني مع أي مع شركائكم
 وهي الاصنام وانما حثهم على الاستعانة بها بناء على مذهبهم الفاسد واعتقادهم أنهم انما تنصرف
 وتنفع مع اعتقادهم أنها جاد لا تنصرف ولا تنفع تبكيها وتوحيها لهم (ثم لا يكن أمركم) أي الذي
 تقصدون به (عليكم غمة) أي مستورا من غمة اذا ستره بل اظهره وباهره في مجاهرة فانه
 لا معارضة لي بغير الله الذي يستوي عنده السر والجمهور (ثم اقصوا لي) أي أمضوا
 ما في أنفسكم وافرغوا منه يقال قضى فلان اذا مات ومضى وقضى دينه اذا فرغ منه وقيل
 معناه توجهوا الى بالقتل والمكروه وقيل فاقضوا ما أنتم قاضون وهذا مثل قول الصحرة
 لفرعون فاقض ما أنت قاض أي اعمل ما أنت عامل (ولا تنظرون) أي ولا تؤخرون بعد
 اعلامكم اياي ما أنتم عليه وانما قال ذلك اظهرا لقله مبالاة وثقت به بما وعده به من كلامه
 وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا (فان توليت) أي أعرضت عن تذكري (فما سألتكم من أجر)
 أي من جعل وعوض على تبليغ الرسالة فينفركم عني وتنهمني لاجل من طمع في أموالكم
 وطلب أجر على عطيتكم ومتى كان الانسان فارغا عن الطمع كان قوله أقوى تأثيرا في القلب (ان
 أجرى الاعلى الله) وهو الثواب الذي يثيب به في الآخرة أي ما أنصحكم الالوجه الله تعالى لا
 لغرض من أغراض الدنيا وهكذا ينبغي لكل من ينفع الناس بعلم أو ارشاد الى طريق الله تعالى
 (وامرت أن اكون من المسلمين) أي اني ما موريا للاستسلام لكل مكروه وبصل الى منكم لاجل
 هذه الدعوة وقيل بدین الاسلام وانما مضى فيه غير ما رآه قبله ولم تقبلوه (فكذبوه) أي
 أصروا على تكذيبه بعد ما ألزمهم الحق وبين أن توليتهم ليست الالعنادهم وفردهم لاجرم حقت
 عليهم كلمة العذاب (فصيناه) من الفرق (ومن معه في الملك) أي السفينة وكانوا غائبين

(وجعلناهم) أى الذين أنجيناهم معه فى القلک (خلاقف) فى الارض يخلفون الهالكين بالغرق (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان وقوله تعالى (فانظر) أى أيها الانسان أوبيا محمد (كيف كان عاقبة المذيرين) تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له وهذه القصة اذا سمعها من صدق النبي صلى الله عليه وسلم ومن كذب به كان زجرا للمكلفين من حيث يخافون أن ينزل بهم مثل ما نزل بقوم نوح وتكون داعية للمؤمنين على الثبات على الايمان لصلوا الى مثل ما وصل اليه قوم نوح وهذه الطريقة فى الترغيب والتحذير اذا جرت على سبيل الحكاية عن تقدم كانت أبلغ من الوعيد المبتدا ولهذا الوجه أكثر تعالى ذكره فأصيص الانبياء عليهم السلام (ثم بعثنا من بعده) أى نوح (رسلا الى قومهم) لم يسم هنا تعالى من كان بعد نوح من الرسل وقد كان بعده هود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب صلوات الله وسلامه عليهم (فخاؤهم بالبينات) أى بالمعجزات الواضحات التى تدل على صدقهم (فما كانوا يؤمنوا) أى فما استقام لهم أن يؤمنوا لشدة عنادهم وخذلان الله تعالى اياهم (عما) أى بسبب ما (كذبوا به من قبل) أى أنهم كانوا قبل بعثة الرسل اليهم أهل جاهلية متكذبين بالحق فواقع فصل بين حالتهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم أحد (كذلك) أى مثل ما طبعنا على هؤلاء بسبب تكذيبهم الرسل (نطبع) أى نختم (على قلوب المعتدين) فى كل زمن اسكل من تعمد العدول فيما لا يحل له فلا يقبل الايمان لانهما كهما فى الضلال واتباعهم المألوف وفى أمثال ذلك دليل على أن الافعال واقعة بقدره الله تعالى وكسب العبد * القصة الثانية قصة موسى عليه السلام المذكورة بقوله تعالى (ثم بعثنا من بعدهم) أى هؤلاء الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملئه) أى أشرف قومه وغيرهم تسع لهم فهو مرسل الى الجميع (بآياتنا) التسع (فاستكبروا) عن اتباعها والايمان بها وهو أعظم الكبر أن يتناول العبيد برساله ثم بعد تبينها ويتعظموها عن قبولها (وكانوا قومًا مجرمين) أى كفارًا ذوى آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترأوا عن ردها (فلما جاءهم الحق) أى جاء فرعون وقومه (من عندنا) أى الذى جاء به موسى من عنده وعرفوا أنه ليس من عند موسى وهرون لتظاهر المعجزات الظاهرات المريحة للشك (قالوا) أى غير متأملين له ولا ناظرين فى أمره لضرط تزدهم (إن هذا السحرمبين) أى بين ظاهر يعرفه كل أحد وهم يعلمون أن الحق أبعد شئ من السحر الذى لا يظهر الا على كافر أو فاسق وقوله تعالى (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أحر هذا) فيه حذف تقديره أتقولون للحق لما جاءكم هو سحر هذا الخذف السحر الاول اكفاء بدلالة الكلام عليه ثم قال أحر هذا وهو استفهام على سبيل الانتكار بمعنى انه ليس بسحر ثم احتج على صحة قوله تعالى فقال (ولا يقل السامعون) فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يطل سحر السحرة فقلب العصا حية وقلق البحر معلوم بالضرورة انه ليس من باب التوهم والتخييل فثبت انه ليس بسحر (قالوا) أى قوم فرعون لموسى (أجئتنا للتفتنا) أى لتردنا وتصرنا والفت والقتل أخوان (عما وجدنا عليه آياتنا) أى من الدين وعبادة الاصنام

ثم قالوا لموسى وهرون (وتكون لكما الكبرياء) أى الملك والعز (فى الارض) أى أرض مصر
قال الزجاج سعى الملك كبرياء لانه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا وأيضاً الملول لموصوفون بالكبر
ولهذا وصف ابن الرقيات مصعباً فى قوله

ملكه ملك رافة ليس فيه * جبروت منه ولا كبرياء

ينبى ما عليه الملول من ذلك ويجوز ان يقصد وبذلك ذمهما وأنهما ان ملكا أرض مصر تجبرا
وتكبرا كما قال القبطى لموسى عليه السلام ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض (وما نحن
لكما بمؤمنين) أى بصدقين فيما جئنا به (وقال فرعون) لقومه ارادة للمناظرة لما أتى به موسى
عليه السلام (اتوفى بكل ساحر عليم) أى بالغ فى علم السحر ثلاثين شئ من السحر متأخر
البعض وقرأه الكسائى بغير ألف بين السين والحاء وتشديد الحاء مفتوحة وألف بعدها
بصفة فعال دال على زيادة قلق فرعون والباقون بألف بعد السين وتخفيف الحاء مكسورة
ولألف بعدها (فلما جاء السحرة) أى كل من فى أرض مصر منهم قالوا لموسى أما ان تلقى
وأما ان نكون نحن الملقين (قال لهم موسى ألقوا) جميع (ما أتمم لملقون) (فان قيل) كيف
أمرهم بالكفر والسحر والامر بالكفر كفر (أجيب) بأنه انما أمرهم بالقاء ما معهم من الحبال
والعصى التى معهم ليطهر للخلق انما أتوا به عمل فاسد وسعى باطل لا على طريق أنه عليه السلام
أمرهم بالسحر (فلما ألقوا) ما معهم من الحبال والعصى وخيلوا السحرهم أعين الناس
أنها تسعى (قال موسى) منكر اعليهم (ما جئتم به السحر) قرأ أبو عمرو بهم زتين الاولى همزة
الاستفهام فهى مفتوحة والثانية همزة وصل وله فيها وجهان التسهيل والبدل فالاستفهامية
مبتدأ وجئتم خبرها والسحر بدل منه وقرأ الباقون بهـزة وصل فتسقط فى الوصل أى
الذى جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا ثم أخبر موسى عليه السلام بقوله (ان
الله سيضلهم) أى يهلكهم ويظهر فضيحة صاحبه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) أى لا يثبت
ولا يقويه وقول البيضاوى وفيه دليل على أن السحر افساد وتغويه لا حقيقة له محمول على
ما يفعله أصحاب الحيل بمعوثة الآلات والادوية والافله حقيقة فهو حق عند أهل السمنة وهو
علم بكيفية استعدادات تقتدرهم النفوس البشرية على ظهور التأثير فى عالم العناصر (ويحق)
أى يثبت ويظهر (الله الحق بكلماته) أى بقضائه ووعد الصادق لموسى عليه السلام وقد
أخبر الله تعالى فى غير هذه السورة انه كيف أبطل ذلك السحر وذلك بسبب أن ذلك الشعبان
قد تلقف ذلك الحبال والعصى (ولو كره الجرمون) ذلك * ولما بين تعالى أن قوم موسى شاهدوا
هذه المعجزات ومع ذلك لم يؤمن منهم الا القليل كما قال تعالى (فما آمن لموسى الا ذرية من قومه)
واعتاد كرتعالى ذلك تسلياً لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه كان يفتن بسبب اعراض القوم
عنه واسقارهم على الكفر بين تعالى أن له فى هذا الباب بسائر الانبياء اسوة لأن الذى ظهر من
موسى عليه السلام من المعجزات كان أمر اعظيها ومع ذلك فما آمن له الا ذرية من قومه
والذرية اسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس الذرية القليل والماء الذى فى قومه

راجعة الى موسى أي فما آمن من قومه الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كانه قيل
 الأولاد آمن أولاد قومه وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من
 أبنائهم مع الخوف وقيل راجعة الى فرعون والذرية امر أنه أسبى ومومن آل فرعون
 وحازن فرعون وامرأة خازنه وما شطته (على خوف من فرعون وملائهم) أي خوف منه
 لانه كان شديد البطش وكان قد أظهر العداوة مع موسى وإذا علم ميل القوم الى موسى كان
 يبالغ في ابدائهم فلهذا السبب كانوا خائفين منه ومن أشرف قومه والضهير لفرعون وجمعه
 على ما هو المعتاد في ضمير العظمة لأنه ذو أصحاب يأتمرون به وقيل المراد بفرعون أنه كما يقال
 ربيعة ومضر (أن يقتلهم) أي يصرفهم ويصدّهم عن الايمان (وأن فرعون لعال) أي
 متكبر فاهر (في الارض) أي أرض مصر (وانه لمن المسرفين) أي الجاهلون الخ
 فانه كان من أخس العبيد وادعى الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب لبني اسرائيل (وقال
 موسى) لقومه (يا قوم ان كنتم آمنتم بالله) أي صدقتم به وبآياته (فعلية نوكلوا) أي ثقبوا به
 واعقدوا عليه فانه ناصر أوليائه ومهلك أعدائه (ان كنتم مسلمين) أي مستسلمين لقضاء الله
 تعالى مخلصين له وقيل ان كنتم آمنتم بالقلب وأسلمتم بالظاهر (فقالوا) مجيبين له (على الله
 نوكلنا) أي عليه اعقدنا لا على غيره ثم دعوا ربهم فقالوا (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم
 الظالمين) أي لا تسلطهم علينا فيقتلوننا (ونحن) أي خلصنا (برحمتك من القوم الكافرين)
 أي من أيدي قوم فرعون لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم في الاعمال الشاقة وانما قالوا
 ذلك لانهم كانوا مخلصين لاجرم ان الله تعالى قبل نوكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا
 يخافونه وجعلهم خلفاء في الارض وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على أن الداعي ينبغي
 أن يتوكل أولا لتعجب دعونه * ولما شرح الله تعالى خوف المؤمنين من الكافرين وما ظهر
 فيهم من التوكل على الله تعالى أتبعه بأن أمر موسى وهرون عليهما السلام بالتخاذ البيوت
 بقوله تعالى (وأوحينا الى موسى وأخيه) أي الذي طلب موازرته ومعاشرته (أن تتوا)
 أي اتخذا (لقومكما بمصر بيوتا) تسكنون فيها وترجعون اليها للعبادة (واجعلوا) أنتم
 وقومكما (بيوتكم) أي تلك البيوت (قبلة) مصلى أو مساجد كما في قوله تعالى في بيوت أذن
 الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه موجهة نحو القبلة أي الكعبة وكان موسى عليه السلام يصلي اليها
 وقرأ ورش وأبو عمرو وخص بيوتنا ويوتكم برفع الباء والباقيون بالخفض (وأقيموا الصلاة)
 فيها ذكر المفسرون في كيفية هذه الواقعة وجوها ثلاثة الاقول أن موسى عليه السلام ومن معه
 كانوا في أول أمرهم مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم خفية من الكفرة لئلا يظهر واعليهم
 ويؤذهم ويقتلهم عن دينهم كما كان المؤمنون على هذه الحالة في أول الاسلام بمكة الثاني
 انه قيل انه تعالى لما أرسل موسى اليهم أمر فرعون بتقريب مساجد بني اسرائيل ومنعهم من
 الصلاة فأمرهم الله تعالى أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفا من فرعون الثالث
 أنه تعالى لما أرسل موسى اليهم وأظهر فرعون تلك العداوة الشديدة أمر الله تعالى موسى

وهرون وقومهما باخذ المساجد على رغم الاعداء وتكفل الله تعالى بأن يصونهم من شر الاعداء وقد خص الله تعالى موسى وهرون في أول هذه الآية بالخطاب بقوله تعالى أن تتوا لقومكم لان التبرؤ للقوم واتخاذ المعابد مما يعطاه رؤس القوم للتشاور ثم عم هذا الخطاب فقال واجعلوا بيوتكم قبله لان جعل البيوت مساجد واقامة الصلاة مما ينبغى أن يفعله كل أحد ثم خص موسى عليه السلام في آخر الكلام بالخطاب فقال تعالى (وبشر المؤمنين) أى بالنصر في الدنيا والجنة في العقبى لان الغرض الاصلى من جميع العبادات حصول هذه البشارة فنص الله تعالى موسى به بالبدل بذلك على أن الاصل في الرسالة هو موسى عليه السلام وان هرون عليه السلام تبعه ثم أن موسى عليه السلام لما بلغ في اظهار المعجزات القاهرة القاهرة ورأى القوم مصرين على الجحد والعناد والانكار اخذ يدعو عليهم ومن حق من يدعو على الغير أن يذكر أو لا سبب اقدامه على الجرائم وكان جرمهم هو لاجل جهنم الدنيا يركون (و) لهذا السبب قال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه) أى أشرف قومه على ما هم عليه من الكفر والكبر (زينة) أى عظيمة يتزينون به من الحلبة واللباس وغيرهما من الدواب والفلان وأنثاء البيت الفاخر ونحو ذلك (وأموال) أى كثيرة من الذهب والفضة وغيرهما (في الحياة الدنيا) روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما كان لهم من فسطاط مصر الى أرض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وباقت ثم بين غايتها لهم فقال مقتحمها بالنداء باسم الرب ليعيده وتابعه من مثل حالهم (ربنا) أى يا ربنا آتيتهم ذلك (ليضلوا) أى في خاصة أنفسهم ويضلوا غيرهم (عن سبيلك) أى دينك واللام للعاقبة وهى متعلقة بآتيت كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقبل لام كى أى آتيتهم كى تفننهم وقيل هو دعاء عليهم بجمع من ممارسة أحوالهم أنه لا يكون غير ذلك وقرأ عاصم وحزرة والكسائى يضم الياء والباقون بالفتح (ربنا) اطمس على أموالهم) أى اسحقها وغيرها عن هينتها قال قتادة صارت أموالهم وحرورهم وزرعوهم وجواهرهم حجارة وقال محمد بن كعب جعل سكرهم حجارة وقال ابن عباس بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهينتها صحاحا وأنصافا وثلاثا وارباعا ودعا ر بن عبد العزيز بنحريطة فيها أشياء من بقايا آل فرعون فاخرج منها البيضة مشقوقة والجوزة مشقوقة وانها كالخمر قال السدى مسخ الله تعالى أموالهم حجارة والتخيل والتمثيل والدقيق والاطعمة فكانت احدى الآيات التسع (واشد على قلوبهم) أى اطبع عليها واستوثق حتى لا تنشرح للايمان وقوله (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) جواب للدعاء أو دعاء بالمفظ النهى أو عطف على ليضلوا وما بينه من دعاء معترض وقوله تعالى (قال قد أجبت دعوتكما) فيه وجهان الاول قال ابن عباس ان موسى كان يدعو وهرون كان يؤمن فلذلك قال دعوتكما وذلك أن من يقول عند دعاء الداعي آمين فهو يصادع لان قوله آمين تأويله استجب فهو سائل كما أن الداعي سائل أيضا الثانى أن يكون كل منهما ذكر هذا غاية ما فى الباب أن يقال انه تعالى حكى هذا الدعاء عن موسى بقوله تعالى وقال موسى ربنا وهذا لا ينافى أن يكون هرون قد ذكر

الدعاء أيضا وأما قوله تعالى (فاستجبوا) فمعناه استجابه على الدعوة والرسالة والزيادة في الزم
 اعطية فقد لبث نوح في قومه ألف سنة الا خمسين عاما فلا تستجيبا قال ابن جرير ان فرعون لبث
 بعد هذا الدعاء أربعين سنة (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) أي الجاهلين الذين يظنون انه متى
 كان الدعاء مجابا كان المقصود حاصل في الحال فرجما أجاب الله تعالى دعاء الانسان في مطلوبه
 الا انه انما رجا يوصله اليه في وقته المقدور والاستجبال لا يصدر الا من الجهال وهذا كما قال
 تعالى لنوح عليه الصلاة والسلام اني أعظك ان تكون من الجاهلين وهذا النهي لا يدل على
 ان ذلك قد صدر من موسى عليه السلام كما أن قوله تعالى لن أشركت ليحبط عملك لا يدل على
 صدور الشرك منه صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن ذكوان بتخفيف الذون والباقون بتشديدها
 لأن نون التوكيد تثقل وتحقق ولما أجاب الله تعالى دعاءهم أمر بني اسرائيل وكانوا سائمة
 ألف بالخروج من مصر في الوقت المعلوم وبسر لهم أسبابه وفرعون كان غافلا عن ذلك فلما سمع
 انهم خرجوا وعزموا على مفارقة مملكته خرج في عقبهم كما قال تعالى (وجاوزنا) أي قطعنا (بين
 اسرائيل) أي عبدنا المخلص لنا (البحر) حتى بلغوا الشط حافتيهم لهم (فأتبعهم فرعون
 وجنوده) أي لحقهم وأدركهم يقال تبعه وأتبعه اذا أدركه وحقه (بغيا وعدوا) أي ظلما
 وعدوانا وقيل بغيا في القول وعدوا في الفعل فلما أدركهم فرعون قالوا لموسى أين المخلص
 واخرج البحر أمنا وفرعون ورائنا قد كنا نلقى من فرعون البلاء العظيم فأوحى الله تعالى
 الى موسى أن اضرب به صلك البحر فضر به فافتلق لموسى وقومه فكان كل فرق كالطود العظيم
 وكشف عنه وجه الارض وانتشر لهم البحر فلما وصل فرعون الى البحر هابوا دخوله وكان فرعون
 على حصان أدهم وكان معه في عسكره ثمانمائة ألف حصان على لون حصانه وميكائيل يسوقهم
 حتى لم يشد منهم احد فلما خرج آخر بني اسرائيل من البحر تقدمهم جبريل على فرس وخاض
 البحر فلما وجد الحصان رجع الانحى لم يملك فرعون من أمره شيئا فنزل البحر واتبعه جنوده حتى
 اذا اكملوا جميعا في البحر وهم أولهم بالخروج التطم البحر عليهم فلما أتاه الفرق أتى بكلمة
 الاخلاص كما قال تعالى (حق اذا أدركه الفرق) أي لحقه (قال آمنت أنه) أي بأنه (لا اله الا
 آتوني آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) (فان قيل) انه آمن ثلاث مرات أولها وقوله آمنت
 وثانيها وقوله لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وثالثها وقوله وأنا من المسلمين فما السبب في عدم
 القبول (اجاب) العلماء عن ذلك بأجوبة منها انه إنما آمن عند نزول العذاب والايان والتوبة
 عند معاناة الملائكة والعذاب غير مقبول وبدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا
 بأسنا ودرس جبريل في فيه من جما البحر مخافة أن تناله الرحمة وقاله (آلآن) تؤمن (وقد
 عصيت قبل) وضيعت التوبة في وقتها وأثرت دينك الفانية على الآخرة الباقية (وكن من
 المفسدين) بضالك واضلالك عن الايمان والتوبة حتى أغلق بابها بحضور الموت ومعاناة
 الملائكة وانما قال له وكن من المفسدين في مقابلة قوله وأنا من المسلمين ومنها ان فرعون انما
 قال هذه الكلمة ليتوصل بها الى دفع ما نزل به من النبلة الحاضرة ولم يكن قصده الاقرا بوحداية

الله تعالى والاعتراف به بالربوبية فلم ينقمه ما قال في ذلك الوقت ومنها ان فرعون كان من المهرية
 المنكرين لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى ولذلك قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به
 بنو اسرائيل فلم ينقمه ذلك لحصول الشك في ايمانه ومثل هذا الاعتقاد الفاسد لا تزول ظلمته
 الا بنور الحق القطعية والدلائل البينة ومنها ما روى في بعض الكتب أن بعض أقوام بنى
 اسرائيل لما جاوزوا البحر اشتغلوا بعبادة العجل فلما قال فرعون آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به
 بنو اسرائيل انصرف ذلك الى العجل الذي آمنوا بعبادته في ذلك الوقت فكانت هذه الكلمة
 في حقهم سبباً لزيادة الكفر ومنها ان الايمان انما كان يتم بالاقرار بوحدانية الله تعالى وبالاقرار
 بقوة موسى عليه السلام وفرعون لم يقترب بالنسبة فلم يصح ايمانه وتطيرمان الواحد من الكفار
 لو قال ألف مرة أشهد أن لا اله الا الله فانه لا يصح ايمانه الا اذا قال معه وأشهد أن محمداً رسول
 الله فكذا هنا ومنها أن جبريل عليه السلام أتى فرعون بفتوى ما قول الامير في عبدنا
 في مال مولاه ونعمته فكفر نعمته ومحمد حقه وادعى السيادة فنه فكتب فرعون فيه بقوله أبو
 العباس الوليد بن مضع جزاء العبد الخارج عن سيدهم الكافر بنعمته أن يعزق في البحر ثم أتى
 فرعون لما عرق رفع جبريل عليه السلام اليه خطه (فان قيل) فما فائدة قدس جبريل في فم فرعون
 ذلك لانه في تلك الحالة انما أن يكون التكليف ثابتاً أم لا فان كان فكيف يمنعه من التوبة وان
 كان غير مكلف فلا فائدة في ذلك (أجيب) بأن التكليف كان ثابتاً وجبريل عليه السلام لم يفعل
 ذلك من قبل نفسه فانه عبد مأمور والله تعالى يفعل ما يشاء كما قال تعالى فان الله يضل من يشاء
 ويهدي من يشاء وقال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة وهكذا فعل
 بفرعون منه من الايمان عند الموت جزاء على تركه الايمان أولاً وقدس الحما في فم فرعون من
 جنس الختم والطبع على القلب ومن الناس من قال فائل هذا القول هو الله تعالى لانه ذكر بعده
 (فالمؤمن تهيبك) أي يخرجك من البحر (بيدك) أي جسمك الذي لا روح فيه كاملاً سوا
 لم يتغيراً وتخرجك من البحر بآمن غير لباس أو ان المراد بالبدن الدرع قال الليث البدن
 هو الدرع الذي يكون قصير الكمين وهذا منقول عن ابن عباس قال كان عليه درع من ذهب
 يعرف به فأخرجه الله تعالى من الماء مع ذلك الدرع ليعرف (تكون لمن خلقك) أي بصلتك
 (آية) أي عبرة فيعرفوا عبوديتك ولا يقدموا على مثل فعلك وعن ابن عباس أن بعض بني
 اسرائيل شكوا في موته فأخرج لهم لبروه ويشاهد ما خلق على ذلك الدل والمهانة بعدما سمعوا
 منه قوله أنار بكم الاعلى ليعلموا ان دعواه كانت باطلة وان ما كان فيه من عظم الشأن وكبرياء
 الملك آل أمره الى ما يرون لعصيانه ربه (وان كثير من الناس عن آياتنا لعاقلون) أي لا يعتبرون
 بها وهذا الكلام ليس الا كلام الله تعالى ولكن القول الاول أشهر (ولقد برأنا) أي أنزلنا
 (في اسرائيل موباً صدق) أي منزلنا لصالحا مرضيا وهو مصر والشام وانما وصف المكان
 بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيئاً أضافته الى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق
 وقدم صدق والسبب فيه أن الشيء اذا كان كاملاً صالحاً لا بد أن يصدق الظن فيه وقيل أو صدق

الشأم والقمر والاردن لانها بلاد انقلب والتبر والبركة (ورزقناهم من الطيبات) أي
 الخلاقات المستندات من القواكه والحبوب والالبان والاعمال وغيرها فأورث تعالى
 بني اسرائيل جميع ما كان تحت أيدي فرعون وقومه من الناطق والصامت والحار والبارد
 كما قال تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها (فما اختلفوا)
 أي هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني اسرائيل في أمر دينهم (حتى جاءهم العلم) أي
 جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك أنهم كانوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم مقرين به مجمعين على
 نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوباً عندهم وكانوا يخبرون بعينه وصفته ونعته ويقضون
 بذلك على المشركين فلما بعث صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فآمن به بعضهم كعبدة الله بن
 سلام وأصحابه وكفر به بعضهم بغيرا وحسدا وإيثارا لبقاء الرياسة وانهم اختلفوا في دينهم إلا
 من بعد ما قرأوا التوراة وعلموا أحكامها (أن ذلك) بالمحمد (يقضى بينهم يوم القيامة) أي الذي
 هو أعظم الايام (فيما كانوا) أي بأفعالهم الجبلية (فيه يختلفون) أي فيقبز الحق من
 الباطل والصادق من الزنديق ويسكن كلاله واخلت المفسرون فيمن الخطاب بقوله تعالى
 (فان كنت في شك مما أنزلنا عليك فأسأل الذين يقرؤون الكتاب) أي التوراة (من قبلك) أي
 فانه ثابت عندهم يخبرونك بصدقه تفصيل هو النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد أنه
 كقوله تعالى يا أيها النبي اتق الله ولا تطلع الكافرين والمنافقين وقوله تعالى لئن أشركت ليحبطن
 عملك وقوله تعالى لعيسى عليه السلام أنت قلت للناس اتخذوني وأمتي الهين من دون الله
 ومن الأمثلة المشهورة ابالك أعني واسمعي يا جارة والذي بدلي على صحة ذلك وجوه الاول قوله
 تعالى في آخر السورة يا أيها الناس فين أن ذلك المذكور وفي الآية على سبيل الرمز هم
 المذكورون في هذه الآية على سبيل التصريح الثاني أنه صلى الله عليه وسلم لو كان شاك في
 نبوة نفسه لكان شك غيره في نبوته أقوى وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية الثالث إذا قدر
 أن يكون شك كافي بنبوة نفسه فكيف يراد ذلك الشك باخبار أهل الكتاب عن نبوته مع أنهم
 في الأكثر كانوا ثبت أن الخطاب وإن كان في الظاهر معه صلى الله عليه وسلم إلا أن المراد هو
 اللاقة ومثل هذا معناه فان السلطان إذا كان له أمير ومثقت راية ذلك الأمير جمع فإذا
 أراد أن يأمر الرعية بأمر مخصوص فانه لا يوجه خطابه عليهم بل يوجه ذلك الخطاب
 على ذلك الأمير الذي بعده أميراً عليهم ليصكون ذلك أشد تأثراً في قلوبهم وقيل
 الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على حقيقته ولكن الله تعالى علم أنه صلى الله عليه وسلم
 لا يشك في ذلك الآن المتصور أنه حتى سمع هذا الكلام فانه يصرح ويقول يارب لا تخش ولا
 أحلب الخبيثين قول أهل الكتاب بل أكتفى بما أنزلته على من الدلائل الظاهرة ولهذا قال
 صلى الله عليه وسلم لا أشك ولا أسأل أحد منهم وتظهر هذا قوله لا تملأكم أهواءا كما كانوا
 يعبدون والمتصور أن يصرحوا بالجواب الحق ويقولوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا
 يعبدون الحق وكما قال تعالى لعيسى عليه السلام أنت قلت للناس اتخذوني وأمتي الهين

والمقصود منه أن يصريح عيسى عليه السلام بالبراءة من ذلك فكذلك هنا وقرأ ابن كثير
والكسائي بنقل حركة الهمزة الى السين والباءون بالهمزة وسكون السين وقيل الخطاب
لكل من يسمع أى ان كنت أيها السامع في شك عما أنزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على أن
من خالفه شبهة في الدين ينبغي أن يسارع الى حلها بالرجوع الى أهل العلم وأظهر هذه الاقوال
أولها وهذه الاقوال تجري في قوله تعالى (لقد جاءك الحق من ربك) أى الآيات القاطعة
لامدخل للمرية فيه (فلا تكونن من المتربن) أى الشاكين فيه وفي قوله تعالى (ولا تكونن
من الذين كذبوا بآيات الله فيكونن من الخاسرين) أى الذين خسروا أنفسهم (ان الذين
حققت عليهم كلمة ربك) أى ثبت عليهم قوله تعالى الذى يكتبه في اللوح المحفوظ وأخبر به
الملائكة أنهم (لا يؤمنون) أى يمورون كفارا فلا يكون غيره اذ لا يكذب كلامه ولا ينقض
قضاؤه (ولو جاءهم كل آية) فان السبب الاصلى لايمانهم وهو تعلق ارادة الله تعالى به مفقود
فان الدليل لا يهدى الا باعانة الله تعالى واذا لم تحصل تلك الاعانة ضاعت تلك الدلائل (حتى
يرا العذاب الالم) فحينئذ لا ينفعهم الايمان كالم ينفع فروع وقرأ نافع وابن عامر كلمات
بالف بعد الميم على الجمع والباءون بغير ألف على الافراد القصة الثالثة قصة يونس عليه السلام
الذ كورة بقوله تعالى (فلولا) أى فهلا (كانت قرية) واحدة من قرى الامم الماضية التى
أهلكناها (أمنت) أى آمن أهلها عند اثبات الآيات وعند رؤية أسباب العذاب (ففنعها)
أى فسبب عن ايمانهم ذلك أنه نفعها (ايانها) بأن تقبله الله تعالى منها وكشف العذاب عنها
وقوله تعالى (الاقوم يونس) استثناء منقطع بمعنى لكن قوم يونس (الما آمنوا) أى لما أخلصوا
الايمان أول مارأوا آية العذاب ولم يؤخروه الى حوله (كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة
الدنيا) ويجوز أن يكون متصلا والجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه كأنه قيل
ما آمن أهل قرية من القرى الهالكة فنفعهم ايمانهم الاقوم يونس (ومتعناهم الى حين) أى
الى انقضاء آجالهم روى عن ابن مسعود وغيره ان قوم يونس كانوا بأرض فينوى من أرض
الموصل فأرسل الله تعالى اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان فدعاهم فأبوا فقبل له
ان العذاب مصعبهم الى ثلاثة أيام فاخبرهم بذلك فقالوا انالم نجرب عليك كذبا فانظروا فان
بات فيكم تلك الليلة فليس بشئ وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصعبكم فلما كان في جوف تلك
الليلة خرج يونس عليه السلام من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رؤسهم
قدر ميل وقال وهب غامت السماء غما عظيما أسودا ثلا يدخن دخانا عظيما فهبط حتى غشى
مدينتهم واسودت سطوحهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك فطلبوا يونس بينهم فلم يجدوه
وقذف الله تعالى في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم واولادهم وودابهم
ولبسوا المسوح وأظهروا الايمان والتوبة وأخلصوا النية وقزوا بين كل والد وولدها من
النساء والدواب حتى بعضهم الى بعض وعلت أصواتها واختلفت بأصواتهم وعجوا ونضروا
الى الله تعالى وقالوا آمنا بما جاء به يونس عليه السلام فرجهم الله تعالى واستجاب دعاءهم

وكشف عنهم العذاب بعد ما أظلمهم وكل ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود رضي
الله تعالى عنه بلغ من نوبتهم ان تراءوا المظالم حتى ان الرجل كان يقطع الحجر وكان قد وضع عليه
أساس بنيانه فبرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقيه علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فأتى
فقال لهم قولوا يا حيّ يا قيّم لا اله الا انت فقلوها فكشف عنهم
وعن الفضيل بن عياض اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجبت وأنت أعظم منها وأجل افعالنا
ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله وسمنائي بقية القصة ان شاء الله تعالى في سورة والصفات
(فان قيل) قد حكى الله تعالى عن فرعون انه تاب في آخر الامر ولم يقبل توبته وحكى عن قوم
يونس أنهم آمنوا وقبل توبتهم فما الفرق بين الحالين (أجيب) بأن فرعون اغتاب تاب بعد أن
شاهد العذاب وهو وقت اليأس من الحياة وأما قوم يونس فانهم تابوا قبل ذلك فانهم لما ظهرت
أمارات دلت على قرب العذاب تابوا قبل أن ينزل بهم ولم يباشروهم فكانوا كالمرضى يخاف
الموت ويرجو العافية وإن الله تعالى قد علم صدق نياتهم في التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون
فانه لم يصدق في ايمانه ولا أخلص فلم يقبل منه قال الله تعالى (ولو شاء ربك يا محمد لأمن بك)
وصدقك (من في الارض كلهم) بحيث لم يشذ منهم أحد (جميعا) أي مجتمعين على ذلك في آن واحد
لا يختلفون في شيء منه ولكن لم يشأن يصدقك ويؤمن بك الا من سبق له السعادة في الازل وفي
هذا نسبية للنبي صلى الله عليه وسلم فانه كان حريصا على ايمانهم كلهم فأخبر الله تعالى أنه لا يؤمن
به الا من سبق له السعادة الازلية فلا تتعب نفسك على ايمانهم وهو قوله تعالى (أفأنت
تكره الناس) أي الذين لم يرد الله ايمانهم (حتى يكونوا مؤمنين) أي ليس ايمانهم اليك حتى
تكروههم عليه وتحرص عليه انما ايمان المؤمن واضلال الكافر بمشيئة الله تعالى وقضائه وليس
لاحد ذلك سواء كما قال تعالى (وما كان) أي وما ينبغي وما يتأتى (لنفس) أي واحدة فاقوفا
(أن تؤمن) أي يقع منها ايمان في وقت ما (الا باذن الله) أي بإرادته لها بالايمان فان هدايتها
الى الله فهو المهدى والمضل وقال ابن عباس بأمر الله وقال عطاء بمشيئة الله (وبجعل) الله
(الرجس) أي العذاب واخذلان فانه سببه وقرأ شعبة وحده بالنون (على الذين لا يعقلون)
أي لا يتدبرون في آيات الله تعالى فينتفعوا بها وهم يدعون أنهم أعقل الناس ويتساقطون
في مساوي الاخلاق وهم يدعون أنهم أبعد الناس عنها فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
ولما بين الله تعالى في الآيات السابقة أن الايمان لا يحصل الا بتخليق الله تعالى ومشيئته أمر
بالنظر والاستدلال في الدلائل بقوله تعالى (قل انظروا) أي قل يا محمد لاهل المشركين الذين
يسألونك الآيات (ماذا) أي الذي (في السموات والارض) من الآيات وواضح الدلالات
من عجائب صنعه ليدلهم على وحدته وكمال قدرته في العالم العلوي والسموي والقسم وهما
دليلان على اللبس والنهار والنجوم وحركات الافلاك ومقاديرها وأوضاعها والكواكب
وما يختص بذلك من المنافع وفي العالم السفلي الجبال والبحار والمعادن والنبات والحيوان
وأخصها حال الانسان كل ذلك من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وأنه خالقها كما قال

وفي كل شيء آية • تدل على أنه واحد

المقاتل

وقرأ عاصم وحزرة في الموصل بكسر اللام والباقون بضمها وأما الهجزة من انظروا فكل القراء
يتنبئون بالضم (وماتنقى الآيات) أي وإن كانت في غاية الوضوح (والنذر) جمع نذير أي الرسل
(من قوم لا يؤمنون) في علم الله تعالى وحكمه (تنبيه) قال الصوابون ما هنا محتمل وجهين
الأول أن تكون نفيًا بمعنى أن هذه الآيات والنذر لا تجد الفائدة في حق من حكم الله تعالى
عليه بأنه لا يؤمن كقولك لا يعني عنك المال إذا لم تنفق والثاني أن تكون استفهامًا كقولك
أي شيء يعني عنهم وهو استفهام بمعنى الإنكار (فهل) أي ما (ينتظرون) أي أهل مكة يتكذبون
(الآ) أي ما أي وقائع (مثل أيام) أي وقائع (الذين خلوا من قبلهم) أي من مكذبي الأمم
كل قبض وقوم نوح وما انطوى بينهما من الأمم أي مثل وقائعهم من العذاب (قل) أي قل لهم
يا محمد (فانتظروا) أي العذاب (إني معكم من المنتظرين) أي لنزول العذاب بكم وقوله
تعالى (ثم نجي رسلاً والذين آمنوا) عطف على محذوف دل عليه قوله تعالى (الأمم أيام الذين
خلوا من قبلهم) كأنه قيل لنهلك الأمم ثم نجي رسلاً ومن آمن بهم على حكاية الأحوال الماضية
وقرأ أبو عمرو وحده بسكون السين (كذلك) أي كما تخيّلنا رسلاً والذين آمنوا معهم من
الهالك (حقاً علينا نجي المؤمنين) أي نجيكم يا محمد ومن آمن معك وصدقك من الهالك
والعذاب (فإن قيل) قوله تعالى حقاً يقتضي الوجوب والله تعالى لا يجب عليه شيء (أجيب) بأن
ذلك حق بحسب الوعد والحكم لأنه حق بحسب الاستحقاق لما ثبت أن العبد لا يستحق على
خالقه شيئاً وهو اعتراض بين التشبيه والمثلية ونصب بفعله المقدر وقيل بدل من ذلك
وقرأ حفص والكسائي بسكون النون الثانية والباقون بفتحها وأما الوقف عليها فجميع
القراء يفتنون على الجيم لأنها مرسومة في المصحف بالجيم بلا ياء فهي في القرآن وقفاً وصلاباً
لجميع القراء ولما ذكر تعالى الدلائل على أقصى الغايات وأبلغ النهايات أمر رسوله صلى الله عليه
وسلم بأفهامه فقال (قل) يا محمد (يا أيها الناس) أي الذين أرسلت إليهم فمشكروا
في أمرهم ولم يؤمنوا بك (إن كنتم في شك من ديني) أي الذي أدعوك إليه أنه حق وأصررت
على ذلك وعبدتم الأصنام التي لا تنفع ولا تضر (فلا أعبد الذين يعبدون من دون الله) أي
غيره وهو الأصنام التي لا قدر لها على شيء (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) يقبض أرواحكم
التي لا شيء عندهم يعدها فانه الذي يستحق العبادة وانما خص الله تعالى هذه الصفة للتمديد
وقيل أنهم لما استعملوا يطلب العذاب أجابهم بقوله ولكن أعبد الله الذي هو قادر على
أهلاككم ونصرى عليكم (وأمرت أن) أي بأن (أكون من المؤمنين) أي المستقين
بما جاء من عند الله وقيل أنه لما ذكر العبادة وهي من أعمال الجوارح أتبعها بذكر الإيمان
لأنه من أعمال القلوب (فإن قيل) كيف قال في شك وهم كفار يعتقدون بطلان ما جاء به
(أجيب) بأنه كان فيهم شاكون أو أنهم لما رأوا الآيات اضطربوا وشكوا في أمره صلى
الله عليه وسلم وقوله تعالى (وإن أقوم وجهك للدين) عطف على أن أكون غير أن صله

أن محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لأن المقصود وصلها بما تضمن معنى المصدر
لبدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وأمرت
بالاستقامة في الدين والاستعداد فيه بأداء الفرائض والانتهاض عن القبائح أو في الصلاة
بإستقبال القبلة وقوله (حنيفا) حال من فاعل أقم أو من الدين أو من الوجه ومعناه مائلا
مع الدين غير معوج عنه إلى دين آخر وقوله تعالى (ولا تكونن من المشركين) أي ممن يشرك
بالله في عبادته غيره تهلك خطا بالنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته أي ولا تكونن أيها
الإنسان وكذا قوله تعالى (ولا تدع) أي تعبد (من دون الله) أي غيره (مالا يتقعد) أي
ان عبده (ولا يضرك) ان لم تعبده (فان فعلت) ذلك (فانك اذا من الظالمين) لنفسك لانك
وضعت العبادة في غير موضعها والظلم وضع الشيء في غير محله فاذا كان ماسوى الحق معزولا
عن التصرف كان اضافة التصرف الى ماسوى الحق وضعا للشيء في غير موضعه فيكون ظلما
ولما ذكر تعالى الاوثان وبين أنها لا تقدر على ضر ولا نفع بين تعالى أنه هو القادر على كل شيء
وأنه ذو الجود والكرم والرحمة بقوله تعالى (وان عيسك) أي يصيبك (الله بضر) كفقير
مرض (فلا كاشف) أي لا دافع (له الا هو) لانه الذي أنزل به (وان يدرك بغير) كراهة وصحة
(فلا راد) أي دافع (لفضله) أي الذي أراد له (يصيبه) أي بالخير (من يشاء من عباده
وهو الغفور) أي البليغ الستر للذنوب (الرحيم) أي البالغ في الاكرام وقرأ أبو عمرو وقالون
والكسائي بسكون الهاء والباقون بالضم فرج سبحانه وتعالى جانب الخير على جانب الشر من
ثلاثة أوجه الاول أنه تعالى لما ذكر أساس الضر بين أنه لا كاشف له الا هو وذلك يدل على أنه
تعالى يزيل المضار لان الاستثناء من الشيء اثبات ولما ذكر الخير لم يقل بأنه يدفعه بل قال انه
لا أراد فضله وذلك يدل على أن الخير مطلوب بالذات وأن الشر مطلوب بالعرض كما قال صلى الله
عليه وسلم عن ربه تعالى انه قال سبقت رحمتي غضبي الشافي أنه سبحانه وتعالى قال في صفة الخير
يصيب به من يشاء من عباده وذلك يدل على أن جانب الخير أقوى وأغلب الثالث أنه تعالى
قال وهو الغفور الرحيم وهذا أيضا يدل على قوة جانب الرحمة وحاصل الكلام في هذه الآية أنه
سبحانه وتعالى بين أنه منفرد بالخلق والايجاد والتكوين والابداع وأنه لا موجد سواه ولا
معبود الاياه وأن جميع الممكنات مسندة اليه وجميع الكائنات محتاجة فالإيدى مرفوعة
اليه والحاجات منتهية اليه والعقول والهة فيه والرحمة والجود فائض منه ولما ذكر تعالى
الدلائل المذكورة في التوحيد والنبوة والمعاد وزين أمر هذه السورة بهذه البيانات الدالة
على كونه تعالى مبتدئا بالخلق والابداع والتكوين والاختراع ختمها بهذه الخاتمة الشريفة
العالية ثلاثية لا حذر بقوله تعالى (قل) يا محمد (يا أيها الناس) أي الذين أرسلت اليهم
(قد جاءكم الحق من ربكم) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من الله تعالى والقرآن
فليرين لكم عذري (من هتدي) أي آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وعمل بما في الكتاب (فانما
يهتدي لنفسه) لانه اتبع الحق الثابت وقرك الباطل الزائل فانقذ نفسه من النار وأوجب لها

الجنة ثواب اهتدائه لمن ضل) أى كفر بها أو بشئ منها (فأما يضل عليها) أى على نفسه لأن وبال ضلاله عليها لأن من ترك الباقي وتمسك بما ليس في يده منه شئ فقد غر نفسه ثم قال صلى الله عليه وسلم (وما أنا عليكم بوكيل) أى حفيظ أى موكول إلى أمركم وإنما أنا بشير ونذير قال ابن عباس ر هذه الآية منسوخة بآية السيف قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (وانتبع يا محمد ما يوحى إليك) بالامتنال والتبليغ (واصبر) أى على دعوتهم وتحمل أذيتهم (حتى يحكم الله) أى بنصره عليهم واطهار دينك أو بالأمر بالقتال (وهو خير الحاكين) اذ لا يمكن الخطأ في حكمه تعالى لاطلاع على السرائر كاطلاعه على الطواهر فكم يقتل المشركين والجزية على أهل الكتاب يعطونها عن يدهم صاغرون وأنشد بعضهم في الصبر

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبرى * وأصبر حتى يحكم الله في أمرى

سأصبر حتى يعلم الصبر أنى * صبرت على شئ أمرت من الجبر

وروى أن أبا قتادة تخلف عن تلقى معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل المدينة فقال له مالك لم تتلقنا قال لم يكن عند نادواب قال فإين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب أهلك يوم بدر وقد قال صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدى أثره قال معاوية فماذا قال قال فاصبر واثق تلقوني قال فاصبر قال اذا نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان

ألا بلغ معاوية بن حرب * أمير الظالمين شكلا مى

بأننا صابرون فنظروكم * الى يوم التغابن والخصام

وقول البيضاوى تعالى لنخشمى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق يونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون حديث موضوع

﴿سورة هود عليه السلام مكية﴾

الاولم الصلاة الآية والافلعلك تارك الآية وأنتك يؤمنون به الآية مائة وثلاث وعشرون آية وكلما ألف وسبعمائة وخمس عشرة وحر وفها سبعة آلاف وستمائة وخمسة أحرف وعن أبي بكر رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله عجل اليك الشيب قال شيبني هود وأخواتها الحاقفة والواقعة وعم يساء لون وهل أنا حديث الغاشية

(بسم الله) أى الذى له تمام العلم وكال الحكمة وجميع القدرة (الرحمن) لجميع خلقه بعموم البشارة والنذارة (الرحيم) لاهل ولايته بالحفظ في سلوك سبيله وقوله تعالى (الركاب) مبتدا وخبر أو كتاب خبر مبتدا محذوف وتقدم الكلام على أوائل السور أول سورة البقرة وقرأ أبو عمرو وابن عامر وشعبة وحزم والكسائى بالامالة والباقيون بالفتح وقوله تعالى (أحكمت آياته) صفة للكتاب وفسر الاحكام بوجوه الاقل أحكمت آياته أى نظمت نظاما محكما لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء المحكم المرفق ولا يعتبره اخلال من جهة اللفظ والمعنى ولا يستطيع أحد

نقض شيء منه ولا الطعن في شيء من بلاغته أو فصاحته الثاني أن الأحكام عبارة عن منع
 الفساد من الشيء فقوله أحكمت آياته أي لم تنسخ بكتاب كأنه صفت الكتاب والشرائع به كما قال
 ابن عباس الثالث أنها أحكمت بالطبع والدلائل أو جعلت حكمية منقول من حكم بالضم إذا
 صار حكمها لأنها مشتملة على أمهات الحكم النظرية والعملية وقوله تعالى (ثم فصلت) صفة
 أخرى للكتاب أي بينت بالأحكام والقصص والمواعظ والأخبار وبالأزوال نجما ونجما أو فصل
 فيها وخلص ما يحتاج إليه أو يجعلها سورا وقال الحسن أحكمت بالأمر والنهي ثم فصلت بالوعد
 والوعيد * (تنبيه) * معنى ثم في قوله ثم فصلت ليس للتراخي في الوقت لكن في الحال كما تقول
 هي محكمة أحسن الأحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل وفلان كريم الأصل ثم كريم الفعل
 وقوله تعالى (من لدن حكيم خبير) أي الله تعالى صفة أخرى للكتاب والتقدير الركب من
 حكيم خبير أو خبر به خبر والتقدير الرمن لدن حكيم خبير أو وصلة لاحكمت وفصلت أي
 أحكمت وفصلت من لدن حكيم خبير وعلى هذا التقدير قد حصل بين أوائل هذه السورة وبين
 آخرها مناسبة لطيفة كأنه يقول تعالى أحكمت آياته من لدن حكيم وفصلت من لدن خبير
 عالم بكيفيات الأمور وقوله تعالى (أن لا تعبدوا إلا الله) يحتمل وجوها الأول أن تكون مفعولا
 له والتقدير كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لاجل أن لا تعبدوا إلا الله الثاني أن تكون
 مفسرة لأن في تفصيل الآيات معنى القول قال الزاوي والجل على هذا أولى لأن قوله تعالى
 وأن اسـتعفروا معطوف على قوله تعالى أن لا تعبدوا فيجب أن يكون معناه أي لا تعبدوا
 ليكون الأمر معطوفا على النهي فإن كونه بمعنى أن لا تعبدوا يمنع عطف الأمر عليه الثالث
 أن يكون كلاما مابتدا منقطعها عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه وسلم اغترأ منه على
 اختصاص الله تعالى بالعبادة ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم (انـي لكم منه) أي الله
 (نذير) بالعقاب على الشرك (وبشير) بالثواب على التوحيد كأنه قيل ترك عبادة غير
 الله تعالى بمعنى تركها انـي لكم منه نذير وبشـير كقوله تعالى فضرب الرقاب * (تنبيه) *
 هذه الآية الكريمة مشتملة على أشياء مترتبة الأول أنه تعالى أمر أن لا تعبدوا إلا الله لأن
 ما سواه محدث مخلوق مربوب وإنما حصل بتسكويين الله وإيجاده والعبادة عبارة عن
 إظهار الخضوع والخشوع ونهاية التواضع والتسذل وذلك لا يليق إلا بالخالق المبدى الرحيم
 المحسن فثبت أن عبادة غير الله تعالى منكورة المرتبة الثانية قوله تعالى (وان استغفروا
 ربكم) المرتبة الثالثة قوله (ثم توبوا إليه) واختلفوا في بيان الفرق بين هاتين المرتبتين على
 وجوه الأول أن معنى قوله وأن استغفروا أي اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم بين الشيء
 الذي يطلب به ذلك وهو التوبة فقال ثم توبوا إليه لأن الداعي إلى التوبة والمحرك عليها هو
 الاستغفار الذي هو عبارة عن طلب المغفرة فالاستغفار مطلوب بالذات والتوبة مطلوبة لكونها
 من مهمات الاستغفار وما كان آخرافي الحصول كان أولافي الطلب فلهذا السبب قدم
 ذكر الاستغفار على التوبة الثاني وأن استغفروا من الشرك والمعاصي ثم توبوا أي أرجعوا

إليه بالطاعة الثالث الاستغفار وطلب من الله تعالى لازالة ما لا ينبغي والتوبة سعي من الانسان
 في ازالة ما لا ينبغي فقدم الاستغفار وليدل على ان المؤمن يجب عليه أن لا يطلب الشيء الا من
 مولاه فانه هو الذي يقدر على تحصيله ثم بعد الاستغفار ذكر التوبة لانها عمل يأتي به الانسان
 ويتوسل به الى دفع المكروه والاستعانة بفضل الله تعالى تقدم على الاستعانة بسعي النفس
 ثم انه تعالى لما ذكر هذه المراتب الثلاثة ذكر بعدها ما يرتب عليها من الاستئثار بالمطلوبة ومن
 المعالوم ان المطالب محصورة في نوعين لانه انما يكون حبه ولها في الدنيا وفي الآخرة اما المنافع
 الدنيوية فهي المرادة من قوله تعالى (يمتعكم منا عيشا حسنا) أي بطيب عيش وسعة رزق (الى أجل
 مسمى) وهو الموت (فان قيل) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر
 وقال أيضا خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل وقال تعالى ولولا أن يكون
 الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحن ليموتهم سقفا من فضة فهذه النصوص دالة على أن
 نصيب المشتغل بالطاعات في الدنيا هو الشدة والبليّة ومقتضى هذه الآية أن نصيب المشتغل
 بالطاعات الراحة في الدنيا فكيف يجمع بينهما (أجيب) بأن المشتغل بعبادة الله ومحبه مشغول
 بحب شيء يمتنع تغيره وزواله وفناؤه فكلما كان امعانه في ذلك الطريق أكثر وتوغل فيه أكثر كان
 انقطاعه عن الخلق أكثر وكلما كان الكمال في هذا الباب أكثر كان الابتهاج والسرور
 أكثر لانه آمن من تغير مطلوبه وأمن من زوال محبوه وأما من كان مشغولا بحب غير الله كان
 أبدا في ألم الخوف من فوات المحبوب وزواله وكان عيشه منعصا وقلبه مضطربا ولذلك قال تعالى
 في صفة المشتغلين بخدمته فلنصيبه حياة طيبة وقيل المراد بالمتاع الحسن عدم العذاب
 بعذاب الاستئصال كما استأصل أهل القرى الذين كفر وأسمى سبحانه وتعالى منافع الدنيا
 بالمتاع لاجل التنبيه على حقارتها وقلتها ونبه تعالى على كونها منقضية بقوله تعالى الى أجل
 مسمى فصار هذه الآية دالة على كونها حقيرة خسيسة منقضية وأما المنافع الآخروية فقد
 ذكرها تعالى بقوله تعالى (ويؤت) أي في الآخرة (كل ذي فضل) أي في العمل (فضله)
 أي جزاءه لأن مراتب السعادة في الآخرة مختلفة لانها متقدرة بمقدار الدرجات الحاصلة
 في الدنيا فلما كان الاعراض عن غير الحق والاقبال على عبودية الحق درجات غير متناهية
 فكذلك مراتب السعادات الآخروية غير متناهية فلهذا السبب قال تعالى ويؤت كل ذي
 فضل فضله وقال أبو العالمة من كثرت طاعاته في الدنيا زادت درجاته في الآخرة وقال ابن عباس
 من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن
 استوت سيئاته وحسناته كان من أهل الاعراف ثم يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل
 سنة كتبت له سنة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي عملها
 في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من حسناته العشر واحدة وبقي له
 تسع حسنات ثم يقول ابن مسعود هلك من غلب آجاده أعشاره وقوله تعالى (وان تولوا) فيه
 حذف احدي التامين أي وان تعرضوا عما جئكم به من الهدى (فاني) أي فقل لهم اني (أخاف

عليكم عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل وقبل يوم الشدائد
وقد ابتلوا بالقسط حتى أكلوا الجيف (إلى الله مرجعكم) أي رجوعكم في ذلك اليوم فيثيب
الحسن على إحسانه ويعاقب المسيء على إساءته (وهو على كل شيء قدير) أي قادر على جميع
المقدورات لا دافع لقضائه ولا مانع لمشيئته ومنه الثواب والعقاب وفي ذلك دلالة على قدرة
عالية وجلالة عظمته لهذا الحاكم وعلى ضعف هذا العبد والملوك القاهر العالی إذا رأى عاجزا
مشرفا على الهلاك فإنه يخلصه من الهلاك ومنه المثل المشهور ملكك فأصبح أي فاعف يقول
مصنف هذا الكتاب قد أنفقت عمري في خدمة العلم ومطالعة الكتب ولا رجاء لي في شيء إلا
أنني في غاية الذلة والقصور والكره إذا قد وعظا فأسألك يا أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين
ونسأترعوب المعيوبين أن تفيض بهال رحمتك علي وعلى والدي وأولادي وأخواني
وأحبابي وأن تخصني وإياهم بالفضل والتجاوز والجود والكرم واختلفوا في سبب نزول قوله
تعالى (إلا أنهم يثنون صدورهم) فقال ابن عباس نزلت في الأخنس بن شريق وكان رجلا حلو
الكلام حلوا المنظر يليق رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوى بقلبه على ما يكره فعني
قوله تعالى يثنون صدورهم يحقون ما في صدورهم من الشنعاء والعداوة وقال عبد الله بن
شداد نزلت في بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره
وطأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه النبي صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كانوا يحنون ظهورهم
كي لا يسمعوا كلام الله تعالى ولا ذكره وروى البخاري عن ابن عباس أنها نزلت فيمن كان يسخر
أن يتخلى أو يجامع فيفضي إلى السماء وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره
ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي وقال السدي يثنون صدورهم أي يعرضون
بقلوبهم من قولهم ثبت عنائي (ليستخفوا منه) أي من الله تعالى بسرهم فلا يطلع رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عليه وقبل من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قيل أنها نزلت في
طائفة من المشركين قالوا إن أربخينا علينا ستورا واستغثينا ثيابا وطوي بنا صدورنا على عداوة
محمد كيف يعلم (ألا حين يستغشون ثيابهم) أي يأوون إلى فراشهم ويتغطون بثيابهم (يعلم)
تعالى (ما يسرون) في قلوبهم (وما يعلنون) بأفواههم أي أنه لا تفاوت في علمه تعالى بين
أسرارهم وأعلانهم فلا وجه لتوصلهم إلى ما يريدون من الاختفاء (أنه) تعالى (علم بذات
الصدور) أي بالقلوب وأحوالها وما علم تعالى أنه يعلم ما يسرون وما يعلنون أوردناه بما يدل على
كونه عالم بجميع المعلومات بقوله تعالى (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) فذكر
تعالى أن رزق كل حيوان إنما يصل إليه من الله تعالى فلعل يكن عالم بجميع المعلومات لما
حصلت هذه المهمات والدابة اسم لكل حيوان دب على وجه الأرض ولا شك أن أقسام
الحيوانات وأنواعها كثيرة وهي الأجناس التي تكون في البر والبحر والجبال والله تعالى
عالم بكل كيفية طباعها وأعضائها وأحوالها وأغذيتها ومساكنها وما وافقها ويخالقها فالله
الجليل لا يطبق السموات والأرض ولطباع الحيوانات والنبات كيف لا يكون عالما بأحوالها

روى أن موسى عليه السلام عند نزول الوحي عليه تعلق قلبه بأحوال أهله فأمره الله تعالى أن
 يضرب عصاه على خجرة فانشقت وخرج منها خجرة ثانية ثم ضرب عصاه عليها فانشقت وخرج
 منها خجرة ثالثة ثم ضرب بعصاه عليها فانشقت فخرجت منها دودة كالذرة وفي فيها شئ يجري
 مجرى الغذاء لها ورفع الله تعالى الحجاب عن سمع موسى عليه السلام فسمع أن الدودة كانت
 تقول سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني (فان قيل) ان كلمة على
 للوجوب فبذل على ان ايصال الرزق الى الدابة واجب على الله تعالى (أجيب) بأنه تعالى انما
 أتى بذلك تحقيقاً لوصوله بحسب الوعد والفضل والاحسان وجلا على التوكل فيه وفي هذه
 الاية دليل على ان الرزق قد يكون حراماً لانه ثبت ان ايصال الرزق الى كل حيوان واجب
 على الله تعالى بحسب الوعد والله تعالى لا يخل به ثم قد نرى ان انساناً لا يأكل من الحلال طول
 عمره فلو لم يكن الحرام رزقاً لكان الله تعالى مأوَّسلاً رزقه اليه فيصكون الله تعالى قد أدخل
 بالواجب وذلك محال فلما ان الحرام قد يكون رزقاً (ويعلم) تعالى (مستقرها) قال ابن عباس
 هو المكان الذي تأوى اليه وتستقر فيه لبلانها (ومستودعها) هو الذي تدفن فيه اذا
 ماتت وقال عبد الله ابن مسعود المستقر أرحام الامهات والمستودع المكان الذي تموت فيه
 وقال عطاء المستقر أرحام الامهات والمستودع أصلاب الآباء وقيل الجنة أو النار والمستودع
 القبر لقوله تعالى في صفة الجنة والنار حسنت مستقر أو ساءت مستقر أو مقاما ولا مانع أن
 يفسر ذلك بهذا كله (كل) أى كل واحدة من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها (في
 كتاب) أى ذكرها ثبت في اللوح المحفوظ (مبين) أى بين كما قال تعالى ولا تطب ولا يابس الا
 في كتاب مبين ولما أثبت تعالى بالدليل المتقدم كونه عالماً بالعلوم أثبت كونه تعالى قادراً
 على كل القدرات بقوله تعالى (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام) أى من
 أيام الدنيا أولها الاحد وآخرها الجمعة وتقدم الكلام على تفسير ذلك في سورة الاعراف (وكان
 عرشه على الماء) قال كعب بن مالك باقوته خضراء ثم نظر اليها بالهيبه فصارت ما نرى تعد ثم خلق
 الريح فجعل الماء على منها ثم وضع العرش على الماء وقال أبو بكر الاصم ومعنى قوله تعالى
 وكان عرشه على الماء كقولهم السماء على الارض وليس ذلك على سبيل كون أحدهما ملتصقا
 بالآخر وقال حمزة ان الله عز وجل كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وخلق
 القلم فكتب به ما هو خالقه وما هو كائن من خلقه ثم ان ذلك الكتاب سجد لله تعالى ومجده
 ألف عام قبل أن يخلق شئاً من خلقه ففي هذا دلالة على كمال قدرته تعالى لان العرش مع كونه
 أعظم من السموات والارض كان على الماء وقد أمسكه الله تعالى من غير دعامه تحته ولا علاقة
 فوقه وقوله تعالى (ليسألكم) متعلق بخلق أى خلقها وما فيها منافع لكم ومصالح ليجتبركم وهو أعلم
 بكم منكم (أيكم أحسن عملاً) أى أطوع لله وأورع عن محارم الله وهذا القيام الخيرة عليهم وقد
 مر أمثال ذلك ولما بين تعالى أنه انما خلق هذا العالم لاجل ابتلاء المكلفين وامتحانهم وهذا
 يوجب القطع بمصول الحشر والنشر لان الابتلاء والامتحان يوجب تخصيص المحسن بالرحمة

والثواب وتخصيص المسمى بالعقاب وذلك لا يتم الا مع الاعتراف بالمعاد والقيامه خاطب تعالى
محمد صلى الله عليه وسلم فقال جلا وعلا (ولئن قلت) يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك (انكم
مبعوثون من بعد الموت) أى للعساب والحزاء (ليقولن الذى كفروا ان) أى ما (هكذا) أى
القرآن بالبعث أو الذى تقوله (الاصحوميين) أى بنى وقراء حمزة والكسائي يفتح السين وألف
بعدها وكسر الحاء فيكون ذلك راجعا للنبي صلى الله عليه وسلم والباقون بكسر السين وسكون
الحاء ولما حكى تعالى عن الكفار أنهم يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم حكى عنهم نوعا آخر
بقوله تعالى (ولئن أخرنا عنهم العذاب الى) مجيئ (أمة) أى جماعة من الاوقات (معدودة) أى
قليلة (ليقولن) أى استهزاء (ما يحبسهم) أى ما يمنعهم من الوقوع قال الله تعالى (الايوم بأنهم)
كيوم بدر (ليس مصروفا) أى مدفوعا العذاب (عنهم وحق) أى نزل (بهم) من العذاب
(ما كانوا يستهزؤن) أى الذى كانوا يستهجلون فوضع يستهزؤن موضع يستهجلون لأن
استهجلهم كان استهزاء (فان قيل) لم قال تعالى وحق على لفظ الماضى مع أن ذلك لم يقع
(أجيب) بأنه وضع الماضى موضع المستقبل تحفيقا ومبالغة في التأكيذ والتقرير والتهديد
ولما ذكر تعالى أن عذاب الكفار وان تأخر الا أنه لا بد وأن يحق بهم ذكر بعده ما يدل على كفرهم
وعلى كونهم مستحقين لذلك العذاب بقوله تعالى (ولئن أذقنا) أى أعطينا (الانسان) أى
الكافر (منارحة) أى نعمة كفى وصحة بحيث يجد لذتها (ثم نزعناها) أى سلبنا تلك النعمة
(منه انه ليؤس) أى قنوط من رحمة الله تعالى لقلة صبره وعدم ثقته به (كفور) أى جحود
لنعمتنا عليه وأما المسلم الذى يعتقد أن تلك النعمة من جود الله تعالى وفضله واحسانه فانه
لا يحصل له اليأس بل يقول لعلة تعالى يردها على بعد ذلك أحسن وأكمل وأفضل مما كانت (ولئن
أذقناه) أى الكافر (نعماء بعد ضراء مسته) كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين
وهما أذقناه ومستته من حيث الاسناد اليه تعالى في الاول والى الضراء فى الثانى نكتة عظيمة
وهى أن النعمة صادرة من الله تعالى تفضلا منه لخبر ما أحديد دخل الجنة الابرجة الله تعالى
قبل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا والضرر صادر من العبد كسبب لانه السبب فيه باجته لابه اياه
بالمعاصى غالب القوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ولا ينافى
ذلك قوله تعالى قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا غير أن الحسنه احسان وامنان
والسيئة مجازاة وانتقام لخبر ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكه يشا كلها وحتى
انقطاع شمع لعلة الابذنب وما يعفو الله أكثر (ليقولن) أى الذى أصابه النعمة والغنى
(ذهب السيئات) أى المصائب التى أصابتني (عنى) ولم يتوقع زوالها ولا يشكر عليها (انه لفرح)
أى فرح بطر (خفور) على الناس بما أذقه الله تعالى من نعمائه وقد شغله الفرح والفخر عن
الشكر فين سبغانه وتعالى فى هذه الآية أن أحوال الدنيا غير باقية بل هى أبدا فى التغير والزوال
والتحول والاتقال فان الانسان اما أن يتحول من النعمة الى المحنة ومن اللذات الى الآفات
كالقسم الاول واما أن يكون بالعكس من ذلك وهو أن ينتقل من المكروه الى المحبوب كالقسم

الثاني ولما بين تعالى أن الكافر عند الابتلاء لا يكون من الصابرين وعند الفوز بالنعمة لا يكون
 من الشاكرين بين حال المتقين بقوله تعالى (الآ) أي لكن (الذين صبروا) على الضراء وعملوا
 الصالحات أي في النعمة أي فأنهم أن أصابهم شدة صبروا وأن ألهم نعمة شكروا (وأولئك
 لهم مغفرة وأجر كبير) فجمع لهم تعالى بين هذين المطلقين أحدهما زوال العقاب والخلص
 منه وهو المراد من قوله تعالى لهم مغفرة والثاني الفوز بالنواب ودخول الجنة وهو المراد
 من قوله تعالى وأجر كبير (فلعلكم) يا محمد (تأركم بعض ما يوحى اليك) فلا تبلغهم أيام ليلتهم
 به فأنهم كانوا يستهزئون بالقرآن ويضحكون منه وقرأ جزء والكسائي بالأمانة محضة وورش بين
 اللفظين والباقيون بالفتح (وضأ ثقب به صدرك) أي تلاوته عليهم لاجل (أن يقولوا لولا) أي
 هلا (أنزل عليه كثر) ينفعه في الاستبعا كالملوك (أوجامعهم ملك) يصدقه كما أقرنا وروى
 عن ابن عباس أن رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهباً إن كنت رسلاً وقال
 آخرون أنتم بالملأكة ليشهدوا بنبؤتك فقال لا أقدر على ذلك فنزل (أنما أنت نذير) فلا عليك
 إلا البلاغ لا الأتيان بما أقرحوه (والله على كل شيء وكيل) فتوكل عليه أنه عالم بحالهم وفاعل
 بهم جزاء أفعالهم وأفعالهم (أم) أي بل (يقولون) كفار مكة (أقرأه) أي اخلفه من تلقاء
 نفسه وليس هو من عند الله قال الله تعالى (قل) لهم يا محمد (فأتوا بعشر سور مثله) في البيان
 وحسن التنظيم (مفريات) فأنكم عريون مثلي قال ابن عباس هذه السور التي وقع بها هذا
 التحدي معينة وهي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف
 والانتقال والتوبة ويونس وهود وقيل التحدي وقع عطلق السور وهو متقدم على التحدي
 بسورة واحدة والتحدي بسورة واحدة وقع في سورة البقرة وفي سورة يونس أما تقدم هذه
 السورة على سورة البقرة فظاهراً لأن هذه السورة مكية وسورة البقرة مدنية وأما في سورة يونس
 فلا كل واحدة من هاتين السورتين مكية فتكون سورة هود متقدمة في النزول على سورة
 يونس كما قاله الرازي وأنكر المبرد هذا وقال بل سورة يونس أولاً وقال معنى قوله في سورة يونس
 فأتوا بسورة مثله أي مثله في الخبر عن القيب والاحكام والوعد والوعيد فجزوا فقال لهم
 في سورة هود أن يحجزتم عن الأتيان بسورة مثله في الاخبار والاحكام والوعد والوعيد فأتوا
 بعشر سور من غير وعد ولا وعيد وانما هي مجزء البلاغة (وادعوا) أي وقل لهم يا محمد ادعوا
 للمعاونة على ذلك (من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) في أنه مفترى والضمير في قوله
 تعالى (فإن لم يستجيبوا لكم) أي بآيات ما دعوتهم إليه للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين
 لأنه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يحدوهم وقال تعالى في موضع آخر فإن لم يستجيبوا
 لك فاعلم والتعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم (فاعلموا أنما أنزل) ملتبسا (بعلم الله) أي بما
 لا يعلمه إلا الله تعالى من نظم بحجز الخلق وأخبار بغيوب لا سبل لهم إليه ولا يقدر عليه سواه
 وقوله تعالى (وان) مخففة من الثقيلة أي وانه (لا اله الا هو) وحده وإن توحده واجب
 والاشراية ظلم غظيم (فهل أنتم مسلمون) أي ثابتون على الاسلام راضون بظلمهم فيه اذ

بحقق عندكم اعجازهم مطلقا وقيل الخطاب للمشركين والضعيف لم يستجيبوا لمن استطعم أي فأن
 لم يستجيب لكم من تدعونه من دون الله إلى المظاهرة على معارضة لعلمهم بالعجز عنه وأن طاعتهم
 أقصر من أن تبلغه فاعلموا أنه منزل من عند الله وأن ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل
 أنتم بعد هذه الحجة القاطعة مسلمون أي أسلوا وفي مثل هذا الاستفهام إيجاب بليغ لما فيه من
 معنى الطلب والتنبية على قيام الموجب وزوال العذر واختلف في سبب نزول قوله تعالى
 (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) أي بعمله الذي يعمل من أعمال البر (نوف اليهم أعمالهم) أي
 التي عملوها من خير كصدقة وصله رحم (فيها) أي في الدنيا (وهم فيها لا يبخسون) أي نوصل اليهم
 أجورا أعمالهم واقية كاملة من غير يخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرياسة وسعة
 الرزق وكثرة الأولاد ونحو ذلك (أو تلك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط) أي بطل
 (ما صنعوا) أي عملوا (فيها) أي الآخرة فلا ثواب لهم (وباطل ما كانوا يعملون) لأنه لغير الله
 تعالى فقال مجاهد نزلت في أهل الرياء قال صلى الله عليه وسلم إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك
 الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء والرياء هو أن يظهر الإنسان الأعمال
 الصالحة لتحمده الناس ويعتقد واقية الصلاح فهذا هو العمل الذي لغير الله تعالى نفوذ بالله من
 الخذلان وقال أكثر المفسرين إنها نزلت في الكافر وأما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة وادته
 الآخرة غالبه فيجاري بحسناته في الدنيا ويناب عليها في الآخرة وعن أنس أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يناب عليها الرزق في الدنيا ويجزيه في الآخرة
 وأما الكافر فيطمع بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيرا
 وقيل نزلت في المنافقين الذين يطلبون بغزوهم مع النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم من غير أن
 يؤمنوا بالآخرة وثوابها وقيل في اليهود والنصارى وهو منقول عن أنس وما ذكر تعالى الذين
 يريدون بأعمالهم الحياة الدنيا ويزينها ذكر من كان يريد بعمله وجهه الله تعالى والدار الآخرة
 بقوله تعالى (أفمن كان على بينة من ربه) قيل هو النبي صلى الله عليه وسلم والبيئة هي القرآن
 (ويتلوه) أي يتبعه (شاهد) يصدقه (منه) أي من الله تعالى وهو جبريل عليه السلام (ومن
 قبله) أي القرآن (كتاب موسى) وهو التوراة شاهده أيضا وقوله تعالى (أماما) أي ككاتب مؤتمنا
 به في الدين (ورجحة) أي على المنزل عليهم لانه الوصلة إلى الفوز بسعادة الدارين حال من كتاب
 موسى والجواب محذوف لظهوره والتقدير أفمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا
 ويزينها وليس لهم في الآخرة إلا النار ليس مثله بل بينهم تفاوت بعيد وتباين بين وقبل هو من
 آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره والمزاد بالبيئة هو البيان والبرهان والمراد بالشاهد هو
 القرآن ومنه أي من الله ومن قبله كتاب موسى أي ويتلو ذلك البرهان من قبل محي القرآن
 كتاب موسى أي في دلائله على هذا المطلوب لافي الوجود قال الرازي وهذا القول هو الاظهر
 لقوله تعالى (أولئك يؤمنون به) وهذه صفة جمع ولا يجوز رجوعه إلى محمد صلى الله عليه وسلم
 انتهى ويجوز أن تكون التعظيم أوله صلى الله عليه وسلم ومن تبعه ورعا يكون هذا أولى كما

جري عليه بعض المفسرين والاشارة الى من كان على بينة والضعيف فيه للقرآن واذا كان هذا
 الفريق ليس له في الآخرة الا النار فهذا الفريق ليس له في الآخرة الا الجنة (ومن يكفر به) أى
 بالنبي صلى الله عليه وسلم والقرآن (من الاحزاب) أى اصناف الكفار فيدخل فيهم اليهود
 والنصارى والنجوس (فالنار موعده) يعنى في الآخرة روى سعيد بن جبيرة عن أبى موسى ان
 النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسمع بي يهودى ولا نصرانى فلا يؤمن بى الا كان من أهل النار
 قال أبو موسى فقلت في نفسي ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول مثل هذا الا عن القرآن
 فوجدت الله تعالى يقول ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده قال بعض العلماء ولما دلت
 الآية على أن من يكفر به كانت النار موعده دل على أن من لا يكفر به كانت الجنة موعده
 وقوله تعالى (فلا تألفك في مرة) أى في شك (منه) أى القرآن أو الموعود (انه الحق من ربك)
 الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط ويؤيد ذلك
 قوله تعالى (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) أى لا يصدقون بما أوحينا اليك أو بأن
 موعده الكفار النار ثم وصف الله تعالى هؤلاء المنكرين الجاحدين بصفات كثيرة في معرض
 الذم الصفة الاولى كونهم مقررين على الله كما قال تعالى (ومن) أى لا أحد (أظلم ممن افترى
 على الله كذبا) بنسبة الشريك والولد اليه أو أسند اليه ما لم ينزله أو نفي عنه ما أنزله الصفة
 الثانية أنهم يعرضون على الله تعالى في موقف الذل والهوان كما قال تعالى (أو لئن يعرضون
 على ربهم) أى يوم القيامة (فان قبل) هم لا يختصون بهذا العرض لان العرض عام في كل
 العباد كما قال تعالى وعرضوا على ربك صفا (أجيب) بأنهم يعرضون فيفتخون بشهادة
 الاشهاد عليهم كما قال تعالى (ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) فيحصل لهم من
 الخزي والنكال ما لا يحصى وهذه هي الصفة الثالثة واختلف في هؤلاء الاشهاد فقال مجاهد
 هم الملائكة الذين يحفظون أعمالهم عليهم في الدنيا وقال متانل هم الناس كما يقال على رؤس
 الاشهاد أى على رؤس الناس وقال قوم هم الانبياء كما قال تعالى فلنساءن الذين أرسل اليهم
 ولنساءن المرسلين والقائدة في اعتبار قول الاشهاد المبالغة في اظهار الفضيحة (فان قبل)
 العرض على الله يقتضى أن يكون الله تعالى في حيز وهو تعالى منزعه عن ذلك (أجيب) بأنهم
 يعرضون على الاماكن المعدة للحساب والسؤال أو يكون ذلك عرضا على من يوجب بأمر الله
 تعالى من الانبياء والمؤمنين والاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب أو جمع شهيد
 كشريف وأشرف قال أبو علي الفارسي وكان هذا أرجح لان ما جاء من ذلك في التنزيل جاء
 على فاعل كقوله تعالى وجئناك شهيدا على هؤلاء وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال ان الله تعالى يدين المؤمن يوم القيامة فيستره من الناس فيقول أى عبدى تعرف
 ذنب كذا وكذا فيقول نعم حتى اذا قرره بذنوبه قال تعالى سترتها عليك في الدنيا وسترتها لك
 اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وأما الكافر والمنافق فتقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم
 ولما أخبر الله تعالى عن حالهم في عقاب القيامة أخبر عن حالهم في الحساب بقوله تعالى (الآلعة)

الله على الظالمين) فبين تعالى انهم في الحال ملعونون من عند الله وهذه هي الصفة الرابعة
 ثم وصفهم بالصفة الخامسة بقوله تعالى (الذين يصدون عن سبيل الله) أي دينه ثم وصفهم
 بالصفة السادسة بقوله تعالى (ويغوغوا) أي يضلون السبيل (عوجا) أي معوجة أي كانوا هم
 ظلوا أنفسهم بالتزام الكفر والضلال فقد أضافوا اليه المنع من الدين الحق والقاء الشبهات
 وتعويج الدلائل المستقيمة لانه لا يقال في العاصي انه يسخر عوجا وانما يقال ذلك فيمن يعرف
 كيف الاستقامة وكيفية العوج بسبب القاء الشبهات وتقرير الضلالات ثم وصفهم بالصفة
 السابعة بقوله تعالى (وهم) أي والحال انهم (بالآخرة هم كافرون) وتكرر لفظهم لتأكيد
 كفرهم وتوعيلهم فيه الصفة الثامنة كونهم عاجزين عن الفراء من عذاب الله كما قال تعالى
 (أولئك لم يكونوا معجزين في الارض) أي ما كانوا معجزين في الدنيا أن يعاقبهم اذ لا يمكنهم
 أن يهربوا من عذابه فان هرب العبد من عذاب الله تعالى محال لانه تعالى قادر على جميع
 المكائلات ولا تتفاوت قدرته بالقرب والبعد والقوة والضعف الصفة التاسعة انهم ليس لهم
 أولياء يدفعون عقاب الله تعالى عنهم كما قال تعالى (وما كان لهم من دون الله) أي غيره (من
 أولياء) أي أنصار ينعونهم من عذابه الصفة العاشرة مضاعفة العذاب كما قال تعالى
 (يضاعف لهم العذاب) أي بسبب اضلالهم غيرهم وقيل لانهم كفروا بالله وكفروا بالبعث
 والقشور الصفة الحادية عشرة قوله تعالى (ما كانوا يستطيعون السمع) قال قتادة صم عن سماع
 الحق فلا يسمعون خيرا فينتعون به (وما كانوا يصرون) خيرا فباخذوا به قال ابن عباس أخر
 الله تعالى انه أحال بين أهل الشرك وبين طاعة الله تعالى في الدنيا وفي الآخرة أما في الدنيا فانه قال
 ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يصرون وأما في الآخرة فانه قال فلا يستطيعون خاشعة
 أبصارهم الصفة الثانية عشرة قوله تعالى (أولئك الذين خسروا أنفسهم) فانهم اشتروا عبادة
 الآلهة بعبادة الله تعالى فكان مصيرهم الى النار المؤبدة عليهم وذلك أعظم وجوه الخسرانات
 الصفة الثالثة عشرة قوله تعالى (وضل) أي غاب (عنهم ما كانوا يفترون) على الله تعالى من
 دعوى الشريك وان الآلهة تشفع لهم الصفة الرابعة عشرة قوله تعالى (لاجرم أنهم في الآخرة
 هم الاخسرون) أي لا أحد أبين وأكدر خسرانا منهم * (وتنبه) * قال القراء ان لاجرم بمنزلة
 قولنا لا بد ولا محالة ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقا تقول العرب لاجرم انك محسن
 على معنى حقا انك محسن وقال الزجاج ان كلمة لا تفي لما ظنوا أنه ينفعهم وجرم معناه كسب
 ذلك الفعل والمعنى لا ينفعهم ذلك وكسب ذلك الفعل لهم الخسران في الدنيا والآخرة قال
 الأزهري وهذا من أحسن ما قيل في هذا الباب وقال سيبويه لا رد على أهل الكفر كما رد وجرم
 معناه أحق والمعنى أنه أحق كفرهم وقوع العذاب والخسران بهم واحتج سيبويه بقول الشاعر
 ولقد طعنت بأعين طعنة * جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا

أراد أحق الطعنة فزارة أن يغضبوا * وما ذكركم تعالى عقوبة الكفار وخسرانهم اتبعه
 بذكر أحوال المؤمنين في الدنيا ويرجى بهم في الآخرة بقوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا

الصالحات وأخبتوا إلى ربهم) أى اطعوا الله واطعوا إليه وخشعوا إليه إذا الاختبات في اللقمة هو
 الخشوع والخضوع وطعاً بقية القلب ويتعدي إلى وباللام فإذا قلت أخبت فلان إلى كذا
 فعناء اطعاً إلى الله وإذا قلت أخبت له فعناء خشع وخضع له فقولته تعالى أن الذين آمنوا وعملوا
 الصالحات أشارة إلى جميع عمل الجوارح وقوله تعالى وأخبتوا الإشارة إلى أعمال القلوب وهي
 الخشوع والخضوع لله تعالى وإن هذه الأعمال الصالحة لا تنفع في الآخرة إلا بصحصول أعمال
 القلب وهي الخشوع والخضوع (أولئك) أى الذين هذه صفتهم (أصحاب الجنة هم خالدون)
 فأخبر تعالى عن حالهم في الآخرة بأنهم من أهل الجنة التي لا انقطاع لنعيمها ولا زوال * ولما ذكر
 سبحانه وتعالى أحوال الكفار وما كانوا عليه من العصى عن طريق الحق ومن الضم عن
 معاهه وذكر أحوال المؤمنين وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق والانقياد للطاعة ذكر
 فيهما مثالا مطابقا بقوله تعالى (مثل) أى صفة (الفرقتين) أى الكفار والمؤمنين (كالا عصى
 والاصم) هذا مثل الكافر شبه بالاصم لتعاميه عن آيات الله وبالاصم لتصاميه عن استماع
 كلام الله تعالى وتأسيه عن تدبر معانيه (والبصير والسميع) هذا مثل المؤمن شبه بالبصير
 والسميع لأن أمره بالضم من الكافر فيكون كل منهما مأهلاً بشهائين باعتبار وصفين أو يشبهه
 الكافر بالجامع بين العمى والضم والمؤمن بالجامع بين ضدهما على أن تكون الواو في الاضم
 وفي السميع لغطف الصفة على الصفة بخلافه على التشبيه الاول فإنه لغطف الموصوف على
 الموصوف ويعبر عنه بعطف الذات على الذات (هل يستويان) أى هل يستوي القرينان
 (مثلاً) أى تشبيها لا يستويان ويصح أن يكون مثلاً صفة لصند ومخدوف أى استواء مثلاً لأن
 يكون حالاً من فاعل يستويان وقوله تعالى (أفلا تدرون) فيه ادغام التاء في الاصل في الدال أى
 تفعلون بضرب الامثال والتأمل فيها وقرأ حفص وحزرة والكسائي بخفض الدال والباقون
 بالتشديد وقد جرت عادة الله تعالى بأنه إذا أورد على الكفار أنواع الدلائل اتبعها بالقصص
 ليعيرهم كرهاً مؤكداً لتلك الدلائل وفي هذه السورة ذكر أنواع من القصص القصص الاولى قصة
 نوح عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (واقعد أرسلنا نوحاً إلى قومه) وقوله (أتى لكم) قرأه
 ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بفتح الهمزة أى بأتى والباقون بكسرها على إرادة القول
 (نذير مبين) أى بين التذكرة أخوف من العقاب لمن خالف أمر الله تعالى وقوله (أن لا تعبدوا إلا
 الله) بدل من أتى لكم أو ففعلوا مبين (أتى أخاف عليكم) أى إن عبدتم غيره (عذاب يوم
 أليم) أى مؤلم مومج في الدنيا والآخرة قال ابن عباس بعث نوح بعد أربعين سنة ولبث يدعو
 قومه تسعة مائة وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة
 وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعة مائة وخمسين سنة وعاش بعد
 الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألف سنة وأربع مائة وخمسين ولما حكى تعالى
 عن نوح عليه السلام أنه دعا قومه إلى عبادة الله تعالى حكى عنهم أنهم ما دعوا في نبوته ثلاثة
 أنواع من التشبهات بقوله تعالى (فقال هؤلاء الذين كفروا من قومه) وهم الآخر إلى ما نراك

البشر مثلنا) هذه الشبهة الاولى أى انك بشر مثلنا لا حرية لك علينا تختص بالنبوة ووجوب
 الطاعة وانما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة جهلا منهم لان الله تعالى اذا اصطفى عبدا
 من عباده وأكرمه بنبوته ورسالته وجب على من أرسله اليهم اتباعه الشبهة الثانية ما ذكره
 الله تعالى عنهم بقوله تعالى (ومازالا تتبعك الا الذين هم أراذلنا) أى أسافلنا كالحاكة وأهل
 الصنائع الخسيسة وهو جمع أراذل بفتح الهمزة كقوله تعالى أ كابر بحجر ميها وقوله صلى الله عليه
 وسلم أحاسنكم أخلاقا أوجع أراذل بضم الذا لجمع رذل بسكونها فهو على الاول جمع مفرد
 وعلى الثانى جمع جمع ثم قالوا ولو كنت صادقا لاتبعك الا ~~ك~~ا بر من الناس والاشراف منهم
 وانما قالوا ذلك جهلا منهم أيضا لان الرفعة بالدين واتباع الرسول لا بالمناصب العالية والمال
 (بادى الرأى) أى اتبعوك فى أول الرأى من غير تثبيت وتفكير فى أمرك ولو تفكر واما اتبعوك
 ونصبه على الطرف أى وقت حدوث أول رأىهم وقرأ أبو عمر وبأدى بهمزة مفتوحة بعد
 الدال والباقون بياء مفتوحة وأبدل السوسى همزة الرأى ألفا وقفها ووصلا وأما حجة
 فأبدلها وقفها ووصلا الشبهة الثالثة ما ذكره الله تعالى عنهم فى قوله تعالى (وما ترى لكم)
 أى لك ولئن اتبعك (علينا من فضل) أى بالمال والشرف والجاه تستحقون به الاتباع منا
 وهذا أيضا جهل منهم لان الفضيلة المعتبرة عند الله تعالى بالإيمان والطاعة لا بالشرف
 والرياسة وقولهم (بل تظنكم كاذبين) خطاب لنوح عليه السلام فى دعوى الرسالة وأدجوا
 قومه معه فى الخطاب وقيل خاطبوه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وقيل كذبوه فى دعوى
 النبوة وكذبوا قومه فى دعوى العلم بصدقه فغلب الخطاب على الغائبين وما ذكرناه هذه الشبهة
 لنوح عليه السلام (قال لهم يا قوم أرايتم) أى أخبروني (أن كنت على بينة) أى نبوة
 ورسالة (من ربى وأتاني رجة) أى نبوة ورسالة (من عنده) من فضله وإحسانه (فعميت)
 أى خفيت والتبست (عليكم) ووجد الضمير اما لان البينة فى نفسها هى الرحمة واما لانه لكل
 واحدة منهم ما وقرأ حفص وحجزة والكسافى بضم العين وتشديد الميم والباقون بفتح العين
 وتخصف الميم (أنزلكموها) أى أنكرتكم على قبولها وأنتم لها كارهون) أى لا تختارونها
 ولا تتأملون فيها لانه لا على ذلك فالتحسدة واقعة لو استطاع نبي الله لآزمها قومه ولكنه
 لا يملك ذلك وانفق القرأ على ضم النون من أنزلكموها لاتصالها باللام رسما وحيث اجتمع
 ضمير وانفس أحدهما صرفا وغا وقدما لا عرف منها جاز فى الثانى الوصل كما فى الآية والفصل
 كان يقال أنزلكم اياها (ويا قوم لا أسألكم عليه) أى على تبليغ الرسالة وهو وان لم يذكر
 معلوم مما ذكر (مالا) أى بعتلا تعهونه (إن) أى ما (أجرى الاعلى الله) أى ما نواب
 يتلقى الاعلته فانه المأمور منه تعالى وقرأ ابن كثير وشعبة وحجزة والكسافى بسكون الياء
 والباقون بالفتح وقول نوح عليه السلام (وما أنا بطارد الذين آمنوا) جواب لهم حين طلبوا
 طردهم فأنهم طلبوا من نوح عليه السلام قبل أن يطردوا الذين آمنوا وهم الأراذلون فى زعمهم
 فقال ما يجوزنى ذلك (أنهم خلأوا بهم) أى بالبعث فيضاحون طائفة هم غفلة وبأخذ لهم من

ظلمهم وطردهم أو أنهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف أطردهم (ولكني أراكم قوما
 تجهلون) أي أن هؤلاء المؤمنين خير منكم أو عاقبة أمركم وتسفهون عليهم بأن تدعوهم
 أراذل (ويا قوم من نصرتي) أي بمعنى (من الله) أي من عقابه (أن طردتهم) عني وهم
 مؤمنون مخلصون (أفلا) أي فهلا (تذكرون) أي تعظون وقرأ حفص وحزرة والكسائي
 بخفيف الذال والباقون بالتشديد بادغام الناء في الأصل في الذال (ولأقول لكم عندي
 خزانة الله) أي خزانة رزقه فكما أني لأسألكم ما لا فكذلك لأدعي أني أملك ما لا ولا غرض لي
 في المال لأأخذوا لدفعه وقوله (ولأعلم الغيب ولا أقول أني ملك) فأعظم به عليكم حتى
 تقولوا ما أنت الا بشر مثلنا بل طريقتي التواضع والخضوع ومن كان هذا شأنه وطريقته
 كذلك فانه لا يستنكف عن مخالطة الفقراء والمساكين ولا يطلب مجالسة الامراء والسلاطين
 ثم أكد ذلك بقوله (ولأقول للذين تردون) أي تحتمل (أعينكم) أي لأقول في حقهم
 (ان يؤتيهم الله خيرا) فان ما أعذ الله تعالى لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا (الله أعلم
 بما في أنفسهم) وهذا كالدلالة على أنهم كانوا ينسبون اتباعهم مع الفقر والذلة الى النفاق (انني
 اذا) أي ان فعلت ذلك (لمن الظالمين) لنفسى ومن الظالمين لهم (فان قيل) هذه الآية تدل على
 تفصيل الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان الانسان اذا قال لأدعي كذا وكذا
 اغما يحسن اذا كان ذلك الشيء أشرف من أحوال ذلك القائل (أجيب) بأن نوحا عليه السلام
 انما ذكر ذلك جوابا عما ذكره من الشبهة فانهم طعنوا في اتباعه بالفقر فقال ولا أقول لكم
 عندي خزانة الله حتى أجمع لهم أغنياء وطعنوا فيهم أيضا بأنهم منافقون فقال ولا أعلم الغيب
 حتى أعرف كيفية باطنهم وانما تكفي في بناء الاحوال على الظاهر وطعنوا فيه انه من البشر
 فقال ولا أقول اني ملك حتى تتفوا عني ذلك وحينئذ فالآية ليس فيها ذلك (فان قيل) في هذه
 الآية دلالة على أن طرد المؤمنين لطلب مرضاة الكفار من أصول المعاصي فكيف طرد محمد
 صلى الله عليه وسلم بعض فقراء المؤمنين لطلب مرضاة الله حتى عاتبه الله تعالى في قوله ولا تطرد
 الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي (أجيب) بأن الطرد المذكور في هذه الآية محمول على
 الطرد المطلق على سبيل التأنييد والطرد المذكور في واقعة محمد صلى الله عليه وسلم محمول على
 التبعيد في أوقات معينة رعاية للمصلحة ولي أن الكفار أوردوا تلك الشبهة وأجاب نوح عليه
 السلام عنها بالجوابات الموافقة للصحة وأوردوا عليه كلامين الاول ما حكاه الله تعالى عنهم
 بقوله تعالى (قالوا يا نوح قد جادلتنا) أي خاصمتنا (فأكثر جدالنا) أي فأطنبت فيه
 وهذا يدل على أنه عليه السلام كان قد أكثر في الجدال معهم وذلك الجدال ما كان الا في اثبات
 التوحيد والنبوة والمعاد وهذا يدل على أن الجدال في تقرير الدلائل وإزالة الشبهات حرفة
 الانبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى أن التقليد والجهل حرفة الكفار والثاني ما ذكره الله
 تعالى عنهم بقوله (فانتما بعدنا) أي من العذاب (ان كنتم من الصادقين) في الدعوى
 والوعيد فان مناظرتك لا تؤثرتنا (قال) لهم نوح عليه السلام في جواب ذلك (انما يا أيكم به الله

أَنْ شَاءَ) فَجِيلُهُ لَكُمْ فَإِنْ أَمَرَ إِلَهُهُ أَنْ شَاءَ بِجِيلِهِ وَأَنْ شَاءَ آخِرُهُ إِلَى (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْزِزِينَ) أَيُّ بَشَائِئِنِ
 اللَّهُ تَعَالَى وَلَمَّا أَجَابَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ شَأْنِهِمْ خَتَمَ الْكَلَامَ بِخَاتَمَةِ قَاطِعَةٍ فَقَالَ (وَلَا يَنْفَعُكُمْ
 نَصِيحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ) أَيُّ يَضِلُّكُمْ وَجَوَابَ الشَّرْطِ
 مُحَذِّفٌ دَلَّ عَلَيْهِ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصِيحِي وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ إِنْ كَانَ اللَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ فَإِنْ أَرَدْتُ أَنْ
 أَنْصَحَ لَكُمْ فَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصِيحِي فَهُوَ مِنْ بَابِ اعْتِرَاضِ الشَّرْطِ عَلَى الشَّرْطِ وَنَظِيرُ ذَلِكَ مَا لَوْ قَالَ
 رَجُلٌ لَزَوْجَتِهِ أَنْتَ طَالِقٌ إِنْ دَخَلْتَ الدَّارَ إِنْ كَلِمَتُ زَيْدٍ دَخَلَتْ ثُمَّ كَلِمَتُ لَمْ تَطْلُقْ فَيَشْتَرِطُ فِي وَجُوبِ
 الْحُكْمِ وَقَوْعِ الشَّرْطِ الثَّانِي قَبْلَ وَقَوْعِ الْأَوَّلِ وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدِيرٌ بِإِدَاكَ الْكَفَرِ
 مِنَ الْعَبْدِ فَإِنَّهُ إِذَا أَرَادَ مِنْهُ ذَلِكَ فَانْهَى عَنْهُ صَدُورَ الْإِيمَانِ مِنْهُ (هُوَ رَبُّكُمْ) أَيُّ خَالِقُكُمْ
 وَالتَّصَرُّفِ فِيكُمْ وَفَقْوَاعِدُهُ (وَالِيهِ تَرْجِعُونَ) فَيَجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ قَالَ تَعَالَى (أَمْ)
 أَيُّ بَلٍ يَقُولُونَ اقْتِرَاءَهُ أَيُّ اخْتِلَافِهِ وَجَاءَهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ وَالْمَاهِ تَرْجِعُ إِلَى الْوَحْيِ الَّذِي بَلَّغَهُ
 إِلَيْهِمْ (قُلْ) لَهُمْ (إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلِيَ اجْرَأِي) وَهَذَا مِنْ بَابِ حَذْفِ الْمُضَافِ لِأَنَّ الْمَعْنَى فَعَلِيَ أَنَّهُ
 اجْرَأِي وَالْأَجْرَامُ اقْتِرَافُ الْحُظُورِ فِي الْآيَةِ مُحَذِّفٌ وَهُوَ أَنَّ الْمَعْنَى إِنْ كُنْتَ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلِيَ
 عِقَابُ جَرْمِي وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا وَكَذَّبْتَنِي فَعَلَيْكُمْ عِقَابُ ذَلِكَ التَّكْذِيبِ لِأَنَّهُ حَذَفَ هَذِهِ
 الْبَقِيَّةَ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهَا (وَأَبَارِيهِمْ تَجْرِمُونَ) أَيُّ مِنْ عِقَابِ جَرْمِكُمْ فِي اسْتِنَادِ الْاِقْتِرَاءِ إِلَى
 * (تَبَسُّمِهِ) * أَكْثَرَ الْمُفْسِّرِينَ عَلَى أَنَّ هَذَا مِنْ بَقِيَّةِ كَلَامِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ قَوْمِهِ وَقَالَ مُقَاتِلُ
 أُمِّ يَقُولُونَ أَيُّ الْمُشْرِكُونَ مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ اقْتِرَاءَهُ أَيُّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتَلَقَ الْقُرْآنَ مِنْ
 عِنْدِ نَفْسِهِ وَهَذِهِ الْآيَةُ وَقَعَتْ فِي قِصَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِثْنَاءِ قِصَّةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 قَالَ الرَّازِيُّ وَقَوْلُهُ بَعِيدٌ جَدًّا (وَأَوْحَى إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ) أَيُّ لَنْ يَسْقُطَ عَلَى
 الْإِيمَانِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (الْأَمِنْ قَدْ آمَنَ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنْ قَوْمُ نُوحٍ كَانُوا يَضْرِبُونَ نُوحًا حَتَّى
 يَسْقُطَ فَيَلْقَوْنَهُ فِي لُبْدٍ وَيَلْقَوْنَهُ فِي بَيْتٍ يَنْظُرُونَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ فَيُخْرِجُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَيَدْعُوهُمْ
 إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَرَوَى أَنَّهُ شَيْخَانَهُمْ جَاءَهُمْ مَوْتُهُمَا عَلَى عَصَاهُ وَمَعَهُ ابْنُهُ فَقَالَ لِابْنِهِ لَا يَغْوِيَنَّكَ هَذَا
 الشَّيْخُ الْمَجْنُونُ فَقَالَ ابْنُهُ مَا مَكْنَى مِنَ الْعَصَا فَأَخَذَهَا مِنْ أَبِيهِ وَضَرَبَ بِهَا نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى
 شَجَّهَ شَجَّةً مُشْكِرَةً فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ الْآمِنْ قَدْ آمَنَ (فَلَا تَبْتَئِسْ) أَيُّ
 لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ مَهْلِكُهُمْ (بِمَا) أَيُّ بِسَبَبِ مَا (كَانُوا يَقْعَلُونَ) مِنَ الشَّرِّ وَتَتَقَدَّلُ مِنْهُمْ فَيَحْتَنِظُ
 دَعَا عَلَيْهِمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا وَحَكَ مُحَمَّدُ بْنُ
 إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ بَلَّغَهُ أَنَّكُمْ كَانُوا يَطْشُونَ بِهِ فَيَحْتَنِفُونَهُ حَتَّى يَقْشَى عَلَيْهِ فَإِذَا
 أَفَاقَ قَالَ رَبِّ اغْزُرْ لِقَوْمِي فَأَنْهَى لِيَعْلَمُوا حَتَّى تَعَادُوا فِي الْمَعْصِيَةِ وَاسْتَدْعَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ الْبَلَاءَ وَهُوَ
 يَنْتَظِرُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى الْجَلِيلِ فَلَا يَأْتِي قُرْنُ الْإِلَاحِ الْإِنْجُسُ مِنَ الَّذِينَ قَبْلَهُمْ وَلَقَدْ كَانَ بَأْسُ الْقُرْنِ
 الْآخِرِ مِنْهُمْ فَدَعَا قَدْ كَانَ هَذَا الشَّيْخُ مَعَ آبَائِنَا وَأَجْدَادِنَا هَكَذَا مَجْنُونًا فَلَا يَقْبَلُونَ مِنْهُ شَيْئًا
 فَشَكَى إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لِيَلَاؤُنِيهَا حَتَّى قَالَ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ
 مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ (وَاصْنَعِ الْفُلَ) أَيُّ السَّفِينَةَ (بِأَعْيُنِنَا) قَالَ ابْنُ

عباس يرى منا وقال مقاتل بعلنا وقيل بحفظنا (ووحينا) أي باهر نالك كيف صنعها
(ولا تخاطبني في الدين ظموا) أي ولا تراجعني في الكفار ولا تدعني في استدفاع العذاب عنهم
(أنهم مغرورون) أي محكوم عليهم بالإغراق فلا يسيل إلى كفه وقيل لا تخاطبني في انك كنهان
وأمر أئمة راعية فانهم ما هالكان مع القوم وروى أن جبريل عليه السلام أتى فوحى فقال
إن ربك يأمر بك أن تصنع الفلك قال كيف أصنع ولست بخمار قال إن ربك يقول أصنع فانك
بأعيننا فأخذ القدم فجعل يجر ولا يخطئ وصنعها فعملها مثل جوجوا الطير وفي قوله تعالى
(ويصنع الفلك) قولان أحدهما أنه حكاية حال ماضية أي في ذلك الوقت كان يصدق عليه
أنه يصنع الفلك الثاني التقدير فأقبل يصنع الفلك فاقصر على قوله ويصنع الفلك ثم إن نوحا
عليه السلام أقبل على عملها ولها عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ عدة
الفلك من القار وغيره وجعل قومه يمزنون عليه ويسخرون منه كما قال تعالى (وكلما تر عليه ملائكة
أي جماعة من قومه مسخروا منه) أي استمروا به ويقولون يا نوح قد صرت بخمار بعد ما كنت
نبيما فاعقم الله أرحام نسائهم فلا يولد لهم قال ابن عباس رضي الله عنهما اتخذ نوح عليه السلام
السفينة في سنتين وكان طول السفينة ثلثمائة ذراع وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة
بطون فجعل في البطن الأول الوحوش والهوام وفي البطن الأوسط الدواب وركب هو ومن
معه البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد وقال قتادة كان بابها في عرضها وروى عن أنس
كان طولها ألف ذراع وماتت ذراع وعرضها سقائه وقيل إن الحواريين قالوا لعيسى عليه
السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فأنطلق بهم حتى انتهى بهم إلى كتيب من
تراب فأخذ كفا من ذلك التراب فقال أئدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال كعب بن
حلم قال فضرب الكتيب بعصاه فقال قم يا ذن الله فاذا هو قائم منه عن رأسه التراب وقد شاب
فقال له عيسى عليه السلام هكذا هلكت قال لا ولكن مت وأنا شاب ولكنني ظننت أنها
الساعة فن ثم شئت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع وعرضها سقائه ذراع
وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عبد الله
تعالى كلما كنت فعاد ترابا قال البغوي والمعروف إن طولها ثلثمائة ذراع وعن زيد بن أسلم قال
مكث نوح مائة سنة يغرس الأشجار ومائة سنة يعمل الفلك وعن كعب الأحبار إن نوحا عمل
السفينة في ثلاثين سنة وروى أنها كانت ثلاث طبقات الطبقة السفلى للدواب والوحوش
والطبقة الوسطى فيها الانس والطبقة العليا فيها الطير فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله
تعالى إلى نوح عليه السلام أن اغز ذنب القيل فغمره فوق منخريه وخزيرته فأقبل على
المرث ولم أفسد القار في السفينة فجعل يقرض حبالها أوحى الله تعالى إليه أن اضرب بين
عجني الاسد فضرب فخرج من مخرو منور وسنورة وهو القط فأقبل على القار فأكله قال الرازي
وأعلم أن أمثال هذه المباحث لا تنجني لأنها أمور لا حاجة إلى معرفتها البتة ولا يتعلق بعرفتها
فائدة البتة فكان الخوض فيها من باب الفضول لا سيما مع القطع بأنه ليس ههنا ما يدل على

الجانب الصحيح والذي نعلمه انها كانت في السعة بحيث تسع المؤمنين من قومه وما يحتاجون
 اليه والحصول زوجين من كل حيوان لان هذا القدر مذكور في القرآن وما آمن معه الا قليل
 فأما تمين ذلك القدر فغير معلوم (قال) لهم لما سخر وامنه (ان تسخر وامنا فانا نسخر منكم
 كما تسخرون) اذا سخرنا وغرقتم (فان قيل) السخرة لا تلحق بمنصب النبوة (أجيب) بأن ذلك
 ذكر على سبيل الازدواج في مشاكلة الكلام كافي قوله تعالى وحرا سبعة سنين مثلها والمعنى ان
 تسخر وامنا فسترون عاقبة سخر يتكم وهو قوله تعالى (فسوف تلعون من يأتيه عذاب يخزيه)
 أي يهينه في الدنيا وهو الفرق (وبحل عليه) في الآخرة (عذاب مقيم) وهو النار التي
 لا انقطاع لها وقوله تعالى (حتى اذا جاء أمرنا) أي باهلاكهم غاية لقوله ويصنع الفلق وما
 ينسما حل من الضمير فيه أو حتى هي التي يتبدأ بعدها الكلام واختلف في التنوير في قوله
 تعالى (وقار التنور) فقال عكرمة والزهرى هو وجه الارض وذلك انه قيل لنوح عليه السلام
 اذا رأيت الماء فار على وجه الارض فاركب السفينة وروى عن علي رضي الله عنه أنه قال فار
 التنور وقت طلوع الفجر ونور الصبح وقال الحسن ومجاهد والشعبي انه التنور الذي يخبر فيه
 وهو قول أكثر المفسرين ورواية عطية وابن عباس لانه حل الكلام على حقيقته ولفظ التنور
 حقيقته هو الموضع الذي يخبر فيه وهو قول أكثر المفسرين فوجب حل اللفظ عليه وهو لا
 اختلافوا منهم من قال انه تنور لنوح ومنهم من قال انه كان لا دم عليه السلام قال الحسن كان
 تنور من حجارة كانت حواء تخبر فيه فصارت الى نوح فقيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء
 يفور من التنور فاركب السفينة أنت وأصحابك واختلوا أيضا في موضعه فقال مجاهد
 والشعبي كان في ناحية الكوفة وكان الشعبي يحلف بالله ما فار التنور الا من ناحية الكوفة
 وقال اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة وكان التنور على عيمن الداخل مما يلي باب
 كندة وكان فوران الماء منه على النوح وقال مقاتل كان ذلك تنور آدم عليه السلام
 وكان بالشام موضع يقال له عين وردة وروى عن ابن عباس أنه كان بالهند ومعنى فار نبع على
 قوة وشدة تشبيه بغليان القدر عند قوة النار ولا شبهة ان التنور لا يفور والمراد فار الماء من
 التنور فلما فار أمر الله تعالى نوحا عليه السلام أن يحمل في السفينة ثلاثة أنواع من الاشياء
 الاقل قوله تعالى (فلما حل فيها) أي السفينة (من كل زوجين اثنين) والزوجان عبارة
 عن كل شيئين يكون أحدهما ذكرا والاخر أنثى والتقدير من كل شيئين هما كذلك فاحل منهما
 في السفينة اثنين واحد ذكر وواحد أنثى وفي القصة ان نوحا عليه السلام قال يا رب كف أحمل
 من كل زوجين اثنين فحشر الله تعالى اليه السباع والطير فجعل يضرب سببه في كل جنس
 فيقع الذكور في يده والأنثى في يده اليسرى فيحملهما في السفينة وقرأ حفص بتوین لام
 كل أي واحمل من كل شيء زوجين اثنين الذكور زوج والانثى زوج (فان قيل) ما الفائدة في قوله
 زوجين اثنين والزوجان لا يكونان الا اثنين (أجيب) بأن هذا على مثال قوله تعالى لا تتخذوا
 الهين اثنين وقوله تعالى نفخة واحدة والباقيون بغير تنوين فهذا السؤال غير وارد النوع

الثاني من الاشياء التي أمر الله تعالى نوحا عليه السلام أن يحملها في السفينة قوله تعالى
 (وَأَهْلَكَ) وهم أبناؤه وزوجته وقوله تعالى (الامن سبق عليه القول) بأنه من المفرقين وهو
 ابنه كنعان وأمه راعلة وكانا كافرين حكم الله تعالى عليهما بالهلاك بخلاف سام وحام وياث
 وزوجاتهم ثلاثة وزوجته المسلمة (فان قيل) الانسان أشرف من سائر الحيوانات فلم يبدأ بالحيوان
 (أجيب) بأن الانسان عاقل فهو لعقله مضطرا الى دفع أسباب الهلاك عن نفسه فلا حاجة فيه
 الى المبالغة في الترغيب بخلاف السعي في تخلص سائر الحيوانات فلهذا السبب وقع الانتداء به
 النوع الثالث من الاشياء التي أمر الله تعالى نوحا عليه السلام بحملها في السفينة قوله تعالى
 (ومن آمن) أى واجل معك من آمن معك من قومك واختلف في العدد الذي ذكره الله تعالى
 في قوله تعالى (وما آمن معه الا قليل) فقال قتادة وابن جريج لم يكن معه في السفينة الا ثمانية نفر
 نوح وامرأته المسلمة وثلاثة بنين له وهم سام وحام وياث ونسأوهم وقال ابن اسحق كانوا عشرة
 سوى نسأهم نوح وبنوه الثلاثة وستة ناس من آمن به وأزواجهم جميعا وقال مجاهد كانوا
 اثنين وسبعين نفرا رجلا وامرأة وعن ابن عباس قال كان في سفينة نوح ثمانون نصفهم رجال
 ونصفهم نساء وقال الطبري والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله تعالى وما آمن
 معه الا قليل فوصفهم بالقلة فلم يجد عددا بقدا رفلا ينبغي أن يجاوز في ذلك حد الله تعالى اذ لم
 يرد عدد في كتاب الله تعالى ولا في خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم نحو ذلك عن
 الرازي وقال مقاتل جل نوح معه في السفينة جسد آدم عليه السلام فجعله معترضا بين الرجال
 والنساء وقصد نوح عليه السلام جميع الدواب والطيور ليحملها قال ابن عباس أقول ما حل نوح
 الدرة وآخر ما حل الحمار فلما دخل الحمار أدخل صدره وتعلق ابليس بذنبه فلم تستقل رجلاه
 فجعل نوح يقول ويحك ادخل فينفض فلا يستطيع حتى قال ويحك ادخل وان كان الشيطان
 معك كلمة زلت على لسانه فلما قالها خلى الشيطان سيده فدخل ودخل الشيطان معه فقال نوح
 ما أدخلك على يا عبد الله قال مالك بدأ أن تحملني معك فكان معه على ظهر السفينة هكذا انفذه
 البغوي قال الرازي وأما الذي يروى ان ابليس دخل السفينة فبعيد لانه من الجن وهو جسم
 ناري أو هو ان فكيف يؤثر الفرق فيه وأيضا كتاب الله تعالى لم يدل عليه ولم يرد في ذلك خبر صحيح
 فالاولى ترك الخوض في ذلك قال البغوي وروى أن بعضهم قال ان الحية والعقرب أتيا نوحا
 عليه السلام فقالتا اجلنا معك فقال انكما سبب البلاء فلا أجلكما فقالتا اجلنا فانا نضمن لك
 أن لا نضر أحدا ذكرك فني قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين لم يضراء وقال
 الحسن لم يحمل نوح في السفينة الا ما بلد ويبيض فأما ما يتولد من الطين من حشرات الارض
 كالنمل والبعوض فلم يحمل منها شيئا (وقال) نوح لمن معه (اركبوا) أى صبروا (فيها) أى
 السفينة وحصل ذلك ركوبا لانها في الماء كركوب في الارض وقوله تعالى (بسم الله يحجراها
 ومرساها) متصل باركبوها حال من الواو في اركبوها أى اركبوها فيها مسحين الله وأقائلين بسم الله
 وقت ابحارها وارسائها قال الضمك كان نوح اذا أراد أن تجرى السفينة قال بسم الله جرت

وإذا أراد أن ترسو قال بسم الله رست وقرأ حفص وحزرة والكسائي نصب الميم من جرث
ورست أي جريها وورسوها وهم مصدران والباقون بضم الميم من أبحر وأرست أي بسم
الله أبحرأوها ورسأوها وأمال الألف بعد الراء أبو عمر ووحفص وحزرة والكسائي محضة وورش
بين اللفظين والباقون بالفتح وذكر وفي عامل الأعراب في بسم الله وجوها الأولى اركبو اسم
الله الثاني ابدؤا بسم الله الثالث بسم الله أبحرأوها (إن ربي لغفور رحيم) أي لولا مغفرته
أفراطتكم ورحمته أياكم لما نجياكم وقوله تعالى (وهي تجري بهم) متعلق بمحذوف دل عليه
اركبو أي فركبو اسمين الله تعالى وهي تجري وهم فيها (في موج) وهو ما ارتفع من الماء إذا
اشتدت عليه الريح (كأجبال) في عظمه وارتفاعه على الماء قال العلماء بالبر أرسل الله تعالى
المطر أربعين يوما وليله وخرج الماء من الأرض فذلك قوله تعالى ففحصنا أبواب السماء بماء
منهمس وجفنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر فصار الماء نصفين نصف من السماء
ونصف من الأرض وارتفع الماء على أعلى جبل وأطوله أربعين ذراعا وقيل خمسة عشر
ذراعا حتى أغرق كل شيء وروى أنه لما كثر الماء في السكك خافت امرأه على ولدها من الفرق
وكانت تحبه حباً شديداً فخرجت به إلى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء ارتفعت حتى
بلغت ثلثيه فلما بلغها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتهما رفعت الصبي
بيديه حتى ذهب بهما الماء فلورحم الله تعالى منهم أحد الرحم هذه المرأة وما قيل من أن الماء
طبق ما بين السماء والأرض وكانت السفينة تجري في جوفه كما تسبح السمكة فليس ثابت قال
البيضاوي والمشهور أنه علاشواخ الجبال خمسة عشر ذراعاً فان صعد إلى أن طبق ما بين السماء
والأرض ففعل ذلك أي ما ذكر من علو الموج قبل التطبيق (ونادى نوح ابنه) كنعان وكان
كافراً كما مر وقيل كلن اسمه يام (وكان في معزل) عزل فيه نفسه أماناً من الله وأوديته ولم يركب
معه وأمان السفينة وأمان الكفار كانه انفراد عنهم وظن نوح عليه السلام أن ذلك إنما
كان لأنه أحب مفارقتهم ولذلك ناداه بقوله (يا بني اركب معنا) في السفينة وقرأ عاصم بفتح الياء
اقتصاراً على الفخ من الألف المبدلة من ياء الإضافة في قولك يا بنياء والباقون بالكسر في الوصل
ليس لعل على ياء الإضافة المحذوفة كما قال الشاعر

يا بانية عم لا تلومي واهجعي ثم حذف الألف للتحفيف (ولا تكن مع الكافرين) أي في دين ولا
مكان فتلك ولما قال له ذلك (قال سآوى) أي التجبى وأصير (إلى جبل يعصم) أي يمنعني (من
الماء قال) له نوح عليه السلام (لا عاصم) أي لا مانع (اليوم من أمر الله) أي من عذابه وقوله
(الامن رحم) استيقظ منه قطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم بقوله تعالى ما لهم به
من علم الا اتباع الظن وقيل الامن رحم أي الا اراحم وهو الله تعالى وقيل الامكان من رحمه
الله تعالى فانه مانع من ذلك وهو السفينة (وحال بينهما) أي بين نوح وابنه وأبين ابنه والجبل
(الموج) المذكور في قوله موج كأجبال (فكان) ابنه (من المفرقين) أي فصار من المهاجرين
بالماء (و) لما انتهى الطوفان وأغرق قوم نوح (قبس) أي قال الله تعالى أو لم ينزلناهم من قبل

بأرض ابلي مائه) أى اشربه (وباسمها ألقى) أى أمسكى مائه ناداهما بما نادى به الحيوان
 المميز على لفظ التخصص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر الحيوانات ثم أمرهما بما يؤمر به
 أهل التميز والعقل غشياً لكمال اقتيادهما لما يشاءن تكوينا فيهما وهما من مختلفتان من
 كلمتين الأولى مضعومة والثانية مفتوحة قرأو عمر ووفاع وابن كثير بإبدال الثانية واوا خاصة
 والباقون بالتخفيف (وغيض الماء) أى نقص وذهب وقرأ هشام والكسائي بإشمام الغين وهو
 ضم الغين قبل الباء والباقون بالكسر وكذا وقيل (وقضى الأمر) أى وأنجزما وعد من أهلاك
 الكافرين وانجاء المؤمنين (واستوب) أى استقرت السفينة (على الجودي) وهو جبل
 بالجزيرة قريب من الموصل (وقيل) أى قال الله تعالى أوملك بأمره تعالى (بعدا) أى هلاكاً
 (للقوم الظالمين) ونجى أخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وإن تلك
 الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر وبكون مكنون قاهر وإن فاعلها واحد لا يشارك
 في أفعاله فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره بأرض ابلي مائه وباسمها ألقى ولأن يقضى
 ذلك الأمر الهائل غيره ولأن تستوى على متن الجودي وتستقر عليه الابتسوة واقتراره
 وروى أن السفينة لما استقرت بعث نوح عليه السلام الغراب ليأبته بخبر الأرض فوقع على
 جيفة فلم يرجع فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون في منقارها ولطخت رجلها بالطين فعلم نوح
 أن الماء قد نقص فقبل أنه دعا على الغراب بالخوف فلذا أيا ألف البيوت وطوق الحمامة الخضر
 التي في عنقها ودعا لها بالامان فن ثألف البيوت وروى أن نوحاً ركب السفينة لعشر مئة
 من رجب وجرت بهم السفينة ستة أشهر ومرت بالبيت العتيق وقد رفعه الله تعالى من الفرق
 وبقي موضعه فطافت به السفينة سبعاً وأودع الحجر الأسود في جبل أبي قبيس وهبط نوح ومن
 معه في السفينة يوم عاشوراء فصامه نوح وأمر من معه بصيامه شكر الله تعالى وبنو أقرية بقرب
 الجبل سميت سوق غنائن فهي أول قرية عمرت على وجه الأرض بعد الطوفان وقيل أنه
 لم ينبغ أحد من الكفار من الفرق غير عوج بن عنق وكان الماء يصل إلى حجرته وهذا يأتي على
 القول باطباق الماء قال هذا القائل وسبب نجاة أن نوحاً احتاج إلى خشب ساج للسفينة
 فلم يمكنه نقله فحمله عوج إليه من الشأم فنجاه الله تعالى من الفرق بذلك (فان قيل) كيف
 أغرق الله تعالى من لم يبلغ الحلم من الأطفال (أجيب) بأنه تعالى يتصرف في خلقه لا يستل
 عما يفعل وقبل أن الله تعالى أعقم أرحام نسائهم أربع مائة سنة فلم يولد لهم تلك المدة (ونادى
 نوح ربه) أى دعاه وسأله (فقال رب ان ابنى من أهلى) وقد وعدتني أن تعطيني وأهلى (وان وعدك
 الحق) أى الصدق الذى لا خلف فيه (وأنت أحكم الحاكمين) لأنك أعلمهم وأعدلهم (فان
 قيل) إذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال رب على نادى بالقاء (أجيب) بأن القاء
 تفصيل لمجل نادى مثلها في نواضف فصل وقيل نادى أى أراد نداءه فقال رب (قال) الله تعالى له
 (يا نوح انه) أى هذا الابن الذى سألت نجاة (ليس من أهلك) أى المحكوم بنجاة لم لايمانهم
 وكفره ولهذا أعلن بقوله تعالى (انه عمل غير صالح) وقرأ الكسائي بكسر الميم ونصب اللام بغير

تتوین ونصب الراہی عمل الکفر والتکذیب وکل هذا غیر صالح والباقون بفتح المیم ورفع
اللام منونة ورفع الراہی ذوعمل غیر صالح أو صاحب عمل غیر صالح فجعل ذات العمل للمبالغة
كقول الخنساء نصف ناقة ترتع * فأنما هي اقبال وادبار * واختلف علماء التفسير هل كان ذلك
الولد ابن نوح أو لأعلى أقوال الاول وهو قول ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبیر والضحاك
والاکثرین أنه ابنه حقيقة وبديل عليه أنه تعالى نص عليه فقال ونادی نوح ابنه ونوح أيضا
نص عليه فقال یا بنی وصرف هذا اللفظ الى أنه ربه وأطلق عليه اسم الابن لهذا السبب صرف
للکلام عن حقيقته الى مجازه من غير ضرورة القول الثاني أنه كان ابن امرأته وهو قول محمد
ابن علی الباقر وقول الحسن البصري القول الثالث وهو قول مجاهد والحسن أنه ولد حنت
ولدى قراشه ولم يعلم نوح بذلك واحتج هذا القائل بقوله تعالى في امرأته نوح وامرأه لوط
نحاثا هما قال الرازی وهذا قول واه حيث يجب صون منصب الانبياء عن هذه الفضيحة لاسيما
وهو خلاف نص القرآن وقد قيل لابن عباس ما كانت تلك الخيانة فقال كانت امرأته نوح تقول
زوجي مجنون وامرأه لوط تدل الناس على ضيفه اذ انزل به (فلا تأسأني ما ليس لك به علم) أي بما
لا تعلم أصواب هوام لا لأن اللائق بأمثالك من أولى العزم بناء أمورهم على التحقيق وقرأنا نفع
وابن كثير وابن عامر بفتح اللام وتشديد النون والباقون بسكون اللام وتخفيف الدون وأثبت
الماء بعد النون في الوصل دون الوقف ورش وأبو عمرو وحذفها الباقر وقفا ووصلوا إلى
أعظك أي عواظي كراهة (أن تكون من الجاهلين) فتسأل كما يسألون وأنما سمى نداه مسؤالا
لنضمن ذكر الوعد بنجاة أهله واستجازه في شأن ولده (قال) نوح رب اني أعوذ بك (أن) أي من
أن (أسألك) في شيء من الأشياء (ما ليس لي به علم) تأديبا بديك وتعاطا بوعظك (والاذنغولي)
أي الان ما فرط مني وفي المستقبل ما يقع مني (وترجني) أي تسترزلاني وتحميها وتكرمني
(أكن من الخاسرين) أي الغريقين في الخسارة (فان قيل) هذا يدل على عصاة الانبياء لوقوع
هذه الزلة من نوح عليه السلام (أجيب) بأن الزلة الصادرة من نوح انما هي كونه لم يستعص
ما يدل على نفاق ابنه وكفره لأن قومه كانوا على ثلاثة أقسام كافر يظهر كفره ومؤمن بخفي
إيمانه ومنافق لا يعلم حاله في نفس الامر وقد كان حكم المؤمنين هو النجاة وحكم الكافرين هو الفرق
وكان ذلك معلوما وأهل النفاق فبقي أمرهم مخفيا وكان ابن نوح منهم وكان يجوز فيه كونه
مؤمنا وكانت الشفقة المفرطة التي تكون للاب في حق الابن تحمله على حمل أعماله وأفعاله
لأعلى كونه كافرا بل على الوجوه العجيبة فأخطأ في ذلك الاجتهاد كما وقع لآدم عليه السلام
في الاكل من الشجرة فلم يصدر عنه الا الخطأ في الاجتهاد فلم تصدر منه معصية فجاء الى ربه
تعالى وخشع له ودعاه وسأله الغفرة والرحمة كما قال آدم عليه السلام ربنا ظننا انفسنا وان لم
تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين لأن حسنات الارباب سيئات المقرين (قيل) أي قال
الله تعالى أو ملك بأمره تعالى (يا نوح اهبط) أي انزل من السفينة أو من الجبل الى الارض
المستوية (بسلام) أي بعظم وأمن وسلامة (منا) وذلك أن الفرق لما كان عامافي جميع

الارض فعندما خرج نوح عليه السلام من السفينة علم أنه ليس في الارض شيء مما ينقذ به
 من النبلت والحيوان فكان كالتائف في أنه كيف يعيش وكيف يدفع جهات الحاجات عن نفسه
 من الماء كمول والمنشروب فلما قال الله تعالى اهبط بسلام منا زال عنه ذلك الخوف لأن ذلك
 يدل على حصول السلامة وأن لا يكون الامم وسعة الرزق ثم انه تعالى لما وعده بالسلامة
 أردفه بأن وعده بالبركة بقوله تعالى (وبركات عليك) وهو عبارة عن الدوام والبقاء والنيات
 لأن الله تعالى صبر نوحا عليه السلام أبا البشر لأن جميع من بقى كانوا من نسله لأن نوحا لما خرج
 من السفينة مات كل من كان معه ممن لم يكن من ذريته ولم يحصل النسل الامم من ذريته فالحلق
 كلهم من نسله أو أنه لم يكن معه في السفينة الامم كان من نسله وذريته وعلى التقديرين
 فالخلق كلهم من ذريته ويدل على ذلك قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فثبت أن نوحا كان
 آدم الاصغر فكان أبا الانبياء والخلق بعد الطوفان كلهم منه ومن ذريته وكان بين نوح وآدم
 ثمانية أجداد وقوله تعالى (وعلى أمم من معك) يحتمل أن تكون من البين فيراد الامم الذين
 كانوا معه في السفينة لانهم كانوا اجاعات أو قيل لهم أمم لأن الامم تتشعب منهم وأن تكون
 لا ابتداء الغاية أى على أمم ناشئة من معك وهى الامم الى آخر الدهر قال في الكشف وهو الوجه
 وقوله تعالى (وأمم) بالرفع على الابتداء وقوله تعالى (سنتهم) أى في الدنيا صفة والخبر محذوف
 تقديره ومن معك أمم سنتهم وانما حذف لأن قوله من معك يدل عليه والمعنى أن السلام
 منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين بنشوء من معك ومن معك أمم يمتعون في الدنيا (ثم يسمهم
 مناعذاب أليم) في الآخرة وهم الكفار وعن محمد بن كعب القرظى دخل في ذلك السلام كل
 مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعدهم من المتاع والعذاب كل كافر وقيل المراد بالامم الممتعة
 قوم هود وصالح ولوط وشعيب ولما شرح تعالى قصة نوح عليه السلام على التفصيل قال تعالى
 (تلك) أى قصة نوح التي شرحناها ومحل تلك رفع على الابتداء وخبرها (من أنباء الغيب) أى
 من الاخبار التي كانت غائبة عن الخلق وقوله تعالى (نوحيا اليك) خبر ثان والضمير لها أى
 موحاة اليك وقوله تعالى (ما كنت تعلمها) أنت ولا قومك من قبل هذا) أى نزول القرآن خبر آخر
 والمعنى أن هذه القصة مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحاشنا اليك ونظير هذا ان يقول
 انبياء لا تعلم هذه المسئلة لأنك ولا أهل بلدك (فان قيل) قد كانت قصة طوفان نوح
 مشهورة عند أهل العلم (أجيب) بأن ذلك كان بحسب الاجمال وأما التفاصيل المذكورة
 فما كانت معلومة أو بأنه صلى الله عليه وسلم كان أميا لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يعلمها وكذلك
 كانت أمته ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فاصبر) أى أنت وقومك على
 أذى هؤلاء الكفار كما صبر نوح وقومه على أذى أولئك الكفار (ان العاقبة للمتقين)
 البشر والمعادى وفي هذا تنبيه على ان عاقبة الصبر لنبينا صلى الله عليه وسلم النصر والفرج
 أى السرور كما كان لنوح وقومه (فان قيل) هذه القصة ذكرت في يونس في الحكمة والعائدة
 فيها عاداتها (أجيب) بأن القصة الواحدة قد ينفع بها من وجوه في السورة الاولى كان

الكفار يستجلبون نزول العذاب فذكر تعالى قصصه نوح في بيان أن قومه كانوا يكذبونه بسبب
 أن العذاب ما كان يظهر ثم في العاقبة ظهر فكذا في واقعة محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذه
 السورة ذكرت لأجل أن الكفار كانوا يباليون في الإيحاء فذكرها الله تعالى لبيان أن أقسام
 الكفار على الأجزاء والإيحاء كان حاصلها في زمان نوح عليه السلام فلما صبر فاز وظهر فكأن
 يا محمد كذلك لتسأل المقصود ولما كان وجه الانتفاع بهذه القصص في كل سورة من وجه آخر
 لم يكن تكريرها خاليا عن الحكمة والفائدة * القصص الثانية من القصص التي ذكرها الله تعالى
 في هذه السورة قصة هود عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (وإلى عاد) أي وأرسلنا إلى عاد
 (أحاهم) فهو معطوف على قوله تعالى نوحا وقوله تعالى (هودا) معطوف بيان ومعالم أن تلك
 الأخوة ما كانت في الدين وإنما كانت في النسب لأن هودا كان رجلا من قبيلة عاد قبيلة من
 العرب كانوا بنساجية اليمن (فان قيل) أنه تعالى قال في ابن نوح أنه ليس من أهل قبيل أن قرابة
 النسب لا تفيد إذ لم تحصل قرابة الدين وهنا أثبت هذه الأخوة مع الاختلاف في الدين (أجيب)
 بأن قوم محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يستبعدون أن يكون رسولا من عند الله تعالى مع أنه واحد
 من قبيلتهم فذكر الله تعالى أن هودا كان واحدا من عاد وان صالحا كان واحدا من عود لا زالة
 هذا الاستبعاد ولما تقدم أمر نوح عليه السلام مع قومه استشرى السامع إلى معرفة ما قال
 هود عليه السلام هل هو مثل قوله ألا فلا تستأنف الجواب بقوله (قال يا قوم اعبدوا الله) أي
 وحدوه ولا تشركوا معه شيئا في العبادة (ما لكم من الله غيره) أي هو الهكم لأن هذه الأصنام التي
 تعبدونها حجارة لا تضر ولا تنفع (فان قيل) كيف دعاهم إلى عبادة الله تعالى قبل إمامة الدليل
 على ثبوت الإله (أجيب) بأن دلائل وجود الله تعالى ظاهرة وهي دلائل الاتفاق والانفاس
 وقلوب وجد في الدنيا طائفة يشكرون وجود الإله ولذلك قال تعالى في صفة الكفار ولئن سألتهم
 من خلق السموات والأرض ليقولن الله وقرأ الكسائي بكسر الراء والهاء صفة على اللفظ
 والباقيون بالرفع صفة على محل الجار والمجرور ومن زائدة (إن أنتم إلا مفترون) أي كاذبون في
 عبادتكم غيره وكرر قوله (يا قوم) للاستعطاف وقوله (لأأسألكم عليه أجران أجران الأعلى
 الذي فطرني) أي خلقتني خاطب به كل رسول قومه إزالة للثمة وتحيضا للنصيحة فانه الاتصاف
 مادامت مشوبة بالمطامع (أفلا تعقلون) أي أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا الحق من المبطل
 والصواب من الخطا فتستعملون ثم قال (ويا قوم) أيضا لما ذكر (استغفروا ربكم) أي آمنوا به
 (ثم توبوا إليه) من عبادة غيره لأن التوبة لا تصح إلا بعد الإيمان (يرسل السماء) أي المطر
 (عليكم مدارا) أي كثير الدر (ويزدكم قوة إلى قوتكم) أي ويضاعف قوتكم وانما رغبتهم
 بكثرة المطر وزيادة القوة لأن القوم كانوا أصحاب زرع وبساتين وهما رات حرا صاعليا أشد
 الحرص فكانوا أخرج شئ إلى الماء وكانوا مذلين غيرهم بما وتوا من شدة القوة والبطش
 والبأس والعبدة مهايين في كل ناحية وقيل أراد القوة في المال وقيل القوة على التكاح وقيل
 حبس عنهم المطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسايتهم وعن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهم أنه

وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حبابه فقال اني رجل ذومال ولا يولد لي فعلني شيئا لعل الله
يرزقني ولذا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد
سبع مائة مرة فولد له عشر بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته ثم قال ذلك فوفد مرة أخرى
فسأله الرجل فقال ألم تسع قول هود ويزد كم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم بأموال
وبنين (ولا تنزلوا) أى ولا تعرضوا عن قبول قولى ونصى حالة كونكم (بجرمين) أى
مشركين * ولما حكى الله تعالى عن هود ما ذكره لقومه حكى أيضا ما ذكره لقومه له وهو أشياء أولها
ذكره تعالى بقوله (قالوا يا هود ما جئنا بسينة) أى بحجة تدل على صحة دعوائك وسميت سينة
لانها تين الحق ومن المعلوم أنه عليه الصلاة والسلام كان قد أظهر لهم المعجزات الا ان القوم
لجهلهم أنكروها وزعموا أنه ما جاء بشئ من المعجزات وثانيها قولهم (وما نحن بشاركي الهمنا)
أى عبادتها وقولهم (عن قولك) أى صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركى وهذا أيضا
من جهلهم فانهم كانوا يعرفون أن النافع والضار هو الله تعالى وأن الاصنام لا تنفع ولا تضرع
وذلك حكم فطرة العقل وبديهة النفس وثالثها قولهم (وما نحن لك بؤمين) أى مصدقين
وفي ذلك اقنأط لمن الاجابة والتصديق ورابعها قولهم (ان) أى ما (نقول) في شأنك
(الا عترتك) أى أصابك (بعض الهمنا بسوء) لسببك اياها فجعلتك مجنوناً وأفسدت عقلك ثم
انه تعالى ذكر أنهم لما قالوا ذلك (قال) هود عليه السلام بحجبيها لهم (انى أشهد الله) على
(واشهدوا) أنتم أيضا على (أنى برى عما تشركون من دونه) أى الله وهو الاصنام التي كانوا
يعبدونها (فكيدونى) أى احتالوا في هلاكى (جميعا) أنتم وأصنامكم التي تعتقدون أنها تضرع
وتنفع فانها لا تضرع ولا تنفع * (فأشده) * اتفق القراء على اثبات الباء في كيدونى هنا ووفقا
ووصل اثباتها في المصحف (ثم لا تنتظرون) أى يهملون وهذا فيه مجزة عظيمة لهود عليه السلام
لانه كان وحيداً في قومه وقال لهم هذه المقالة ولم يهملهم ولم يحض منهم مع ما هم فيه من الكفر
والجبور ثقة بالله تعالى كما قال تعالى (انى توكلت على الله ربي وربكم) أى فوضت أمري
اليه واعتمدت عليه (ما من دابة) تدب على الارض ويدخل في هذا جميع بنى آدم والحيوان
لانهم يدبون على الارض (الا هو أخذ بناصيتنا) أى مالئكمها وقاهرها فلا يقع نفع ولا ضرر الا
بأذنه والناصية باسم منبته والعرب عند العرب منبت الشعر في مقدم الرأس وبسمى الشعر النابت
هنا ناصية باسم منبته والعرب اذا وصفوا انساناً بالذلة والخضوع قالوا ما ناصية فلان الايد
فلان وكانوا اذا أسروا الاسير أو أرادوا اطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته ليكون ذلك علامة
لقهره فحطبوها في القرآن بما يعرفون من كلامهم (ان ربي على صراط مستقيم) أى
طريق الحق والعدل فلا يظلمهم ولا يعمل الا بالاحسان والانصاف فيجازى المحسن باحسانه
والمسيء بعصيان وقوله تعالى (فان تولوا) فيه حذف احدى التامين أى تعرضوا (فقد ألقاكم)
جميع (ما أرسلت به اليكم) فان قبل البلاغ كان قبل التولى فكيف وقع جزاء الشرط
(أجب) بأن مضاه فان تولوا لم أعاب على تقصير من جهتي وصرتم محجوجين لانكم أنتم

الذين أصررتهم على التكذيب وقوله (ويستخلف ربى قوماً غيركم) استئناف بالوعيد لهم بأن الله تعالى يهلكهم ويستخلف قوماً آخرين في ديارهم وأموالهم يوحدونه تعالى ويعبدونه (ولا تضرّونه) أى الله مباشرة كحكم (شيئاً) من الضرر انما تضرّون أنفسكم وقيل لا تنقصونه شيئاً اذا أهلككم لان وجودكم وعدمكم عنده سواء (ان ربى على كل شيء صغيراً وكبيراً جباراً وجليلاً) (حفظ) أى رقيب عالم بكل شيء وقادر على كل شيء فيحفظنى أن تنالونى بسوءه وأحفظ لأعمال العباد حتى يجازيهم - م عليها أو - حفظ على كل شيء يحفظه من الهلاك اذا شاء ويهلكه اذا شاء (ولما لم يرجعوا ولم يعروا بينة ولا رغبة ولا رغبة) (جاء أمرنا) أى عذابنا وذلك هو ما نزل بهم من الریح العقيم عذبهم الله تعالى به اسبع ليال وثمانية أيام - حسوماً تدخل في مناخرهم وتخرج من أدبارهم وترفعهم وتضرّ بهم على الارض على وجوههم حتى صاروا كأعجاز نخل خاوية وهناك همزان مفتوحان من كلمتين قرأ فالون والبرى وأبو عمر بإسقاط الاولى وقرأ أورش وقنبل بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية والباقون بتحقيقهما (نجينا هوداً والذين آمنوا معه) أى من هذا العذاب وكانوا أربعة آلاف (برجعة منا) لان العذاب اذا نزل قديم المؤمنين والكافرين فلما أنجى الله تعالى المؤمنين من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه (ونجينا هم من عذاب غليظ) هو عذاب الآخرة ووصفه بالغليظ لانه أعظم من عذاب الدنيا (ونجينا هوداً والذين آمنوا معه من أن يصل اليهم الكفار بسوء مع اجتهدهم في ذلك ونجينا هم من عذاب غليظ هو الریح المدكورة * ولما ذكر الله تعالى قصة عاد خاطب أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال (ولذلك عاد) وهو إشارة الى قبورهم وآثارهم كأنه تعالى قال سيحوى الى الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم انه تعالى جمع أوصافهم ثم ذكر عاقبة أحوالهم في الدنيا والآخرة أما أوصافهم فتلاثة الصفات الاولى قوله تعالى (بحمدوا) بآيات ربهم) أى بالمعجزات التى أتى بها هود عليه السلام الصفة الثانية قوله تعالى (وعصوا رسله) أى هوداً وحده وانما أتى به بلفظ الجمع اما للتعظيم أولاً ومن عصى رسولاً فقد عصى جميع الرسل لقوله تعالى لا تفرق بين أحد من رسله الصفة الثالثة قوله تعالى (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) أى ان السفلة كانوا يقلدون الرؤساء في قولهم ما هذا الا بشر مثلكم فأطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرد بهم وعصوا من دعاهم الى الايمان ولا يرد بهم والجبار المرتفع المتفرد والعنيد والعنود والمعاند هو المنازع المعارض * ولما ذكر تعالى اوصافهم ذكر أحوالهم بقوله تعالى (واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة) أى جعل الاعن رد بها لهم ومتابعوا مصاحباً في الدنيا والآخرة ومعنى اللعنة الابعاد من رحمة الله تعالى ومن كل خير وقيل اللعنة في الدنيا من الناس وفي الآخرة لعنة على رؤس الاشهاد * ثم انه تعالى بين السبب الاصل في نزول هذه الاحوال المكروهة بهم بقوله تعالى (الآن عاداً كفروا ربهم) أى كفروا برهم فحذف الباء أو أن المراد بالكفر الجحد أى جحدوا ربهم وقيل هو من باب حذف المضاف أى كفروا بعممة ربهم * (تنبيه) * الأداة استفتاح لان ذكر الابن يدى كلام بعضهم موقعه ويجل خطبه ثم قال (الآبعاء لعاد) دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على أنهم كانوا مستوجبين للمزل بهم بسبب ما حكم

عنهم وانما كرر الاءاد ذكرهم تفضيلا لامرهم وحناء على الاعاء باربعالهم وقوله تعالى (قوم
 هود) عطف بيان لعاد وفائدة تمييزهم من عاد الثانية عاد ارم والاياء الى استحقاقهم للبعد
 بما جرى بينهم وبين هود القصة الثالثة التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة قصة صالح
 عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (والى نود) وهم سكان الحجر اى وأرسلنا الى نود (أخاهم)
 فهو معطوف على قوله تعالى نوحا كما عطف عليه والى عاد وقوله تعالى (صالحا) عطف بيان وتلك
 الاخوة كانت في النسب لافى الدين كما مر فى هود ثم أخرج قوله عليه السلام على تقدير سؤال
 بقوله (قال يا قوم) اى يا من يعز على أن يحصل لهم سوء (اعبدوا الله) اى وحدوه وخصوه
 بالعبادة (ما لكم من الغيرة) هو الهكم المستحق للعبادة لانه الامنام ثم ذكر الدلائل الدالة
 على وحدانيته تعالى بقوله (هو أنشأكم) اى ابتدأ خلقكم (من الارض) وذلك أنهم من بنى آدم
 وأدم خلق من الارض وأما الانسان مخلوق من المني وهو متولد من الدم والدم متولد من
 الاغذية وهى اما حيوانية واما نباتية فأما الحيوانية فالحال الانسان فوجب انتهاء الكل
 الى النبات والنبات متولد من الارض فثبت أنه تعالى أنشأ الانسان من الارض وقيل من بمعنى
 فى كما فى قوله تعالى اذ نادى للصلاة من يوم الجمعة (واستعمركم فيها) اى جعلكم عمارها وسكانها
 وقال الضحاك أطال أعماركم فيها حتى ان الواحد منهم كان يعيش ثمانمائة سنة الى ألف سنة وكذا
 كان قوم عاد وروى ان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وحصلت لهم
 الاعمار الطويلة فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربه ما سبب تلك الاعمار فأوحى الله اليه أنهم غمروا
 بلادى فعاش فيها عبادى وأخدم معاوية فى احياء الارض فى آخر عمره فقبل له فى ذلك فقال
 ما خلقى عليه الا قول القائل

ليس القى ببقى لابتضاء به * ولا يكون له فى الارض آثار

وقال مجاهد استعمركم من العصى اى جعلها لكم ما عستم فاذا ممت انتقلت الى غيركم * وما بين لهم
 عليه السلام عظمة الله تعالى بين لهم طريق الرجوع اليه بقوله (فاستغفروه) اى آمنوا به
 (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره لان التوبة لانصح الابعدا لايان وقدم تمثل ذلك (ان ربي
 قريب) من خلقه بعلمه لكل من أقبل عليه من غير حاجة الى حركة (محجب) لكل من ناداه
 لا كعبود اتكم فى الامرين * وما قرأ لهم عليه السلام هذه الدلائل (قالوا) له (يا صالح قد كنت
 فينا مر جوا قبل هذا) اى القول الذى جئت به لما ترى فيك من مخايل الرشد والسداد فانك
 كنت تعطف على فقهنا ونعيب ضيعتنا وتعود مرضانا فقوى رجائنا فيك أن تصرد بنينا
 فكيف أظهرت العداوة * ثم انهم أضافوا الى هذا التحجب الشديد فقالوا (أنتما تأان نعبدما)
 كان (بعبد آباؤنا) من الالكهة ومقصودهم بذلك التمسك بطرف التقليد وجوب متابعة الاءاء
 والاسلاف وتظهر هذا التحجب ما حكاه الله تعالى عن كفار مكة حيث قالوا أجعل الالهة الها
 واحد ان هذا الشئ عجاب ثم قالوا (واتالى شك مما تدعونا اليه) من التوحيد وتزل عبادة
 الاصنام (مررب) اى موقع فى الرية وهى قلق النفس واتقاء الطمأنينة باليقين والرجاء فعلق

النفس عجيبة الخيرة على جهة الظن ونظيره الامل والطمع والتمهي المتع من الفعل بصيغة لا تفعل
 وقولهم هذا مبالغه في تزييف كلامه (قال) صالح عليه السلام بحبيبالهم (يا قوم اوبئتم) أي
 أخبروني (أن كنت علي بينة) أي بيان وبصيرة (من ربّي) وأقبح حرف الشك على سبيل الجزم
 ليلالهم الخطأ حال المخاطبين (وأتاني منه رحمة) أي نبوة ورسالة (فمن ينصرتني) أي عنفي
 (من الله) أي عذابه (ان عصيته) أي ان خالفت أمره في تبليغ رسالته والمنع عن الاشتراك به
 (فما يزيدوني) أي بأمركم لي بذلك (غير تخشع) أي غير تفضل قال الحسن بن الفضل لم يكن صالح
 في خسارة حتى يقول فما يزيدوني غير تخشع وإنما المعنى فما يزيدوني بما قد ولون الانسبى اياكم
 الى الخسارة * ولما كانت العادة فيمن يدعي النبوة عند قوم بعدد من الاصنام أن يطلبوا المعجزة
 وأمر صالح عليه السلام هكذا كان يروى أن قومه خرجوا في عبد لهم فسلوه أن يأثمهم بآية
 وأن يخرج لهم من محجرة معينة أشاروا إليها ناقة فدعاه به فخرجت كما سألو وأشار إليها بقوله
 (ويا قوم هذه ناقة الله) وضافتم الى الله اضافة تشريف كبيت الله (لكم آية) أي معجزة من
 وجوه أحد هاتين خلقها الله تعالى من الصخرة ثابتهما أنه تعالى خلقها في جوف الجبل ثم شق
 الجبل عنها ثالثها أنه تعالى خلقها حاملا من غير ذكر ثم ولدت فصلايئسهما رابعها أنه تعالى
 خلقها على تلك الصورة دفعة واحدة خامسها ما روى أنه كان لها شرب يوم ولكل القوم شرب
 يوم آخر سادسها أنه كان يحصل منها لبن كثير فيكفي الخلق العظيم به فكل واحد من هذه الوجوه
 معجز قوي وليس في القرآن الا أن هذه الناقة كانت آية معجزة وأما بيان أنهم كانت آية معجزة من
 أي الوجود فليس فيه بياض * (فقيه) * آية نصب على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال
 منها تقدمت عليها لتسكبرها ولو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت اتصبت على الحال ثم قال
 لهم (قد رويها) أي اتركوها على أي حالة كان ترككم لها (تأكل) مما أرادت (في أرض الله)
 من العشب والنبات فليس عليكم مؤنتها فاصارت مع كونها آية لهم تتفهم ولا تضرمهم لانهم كانوا
 يتفهمون بلبسها ثم انه عليه السلام خاف عليها منهم لما شاهد من اصرارهم على الكفر فأن
 انخصم لا يحب ظهور رجحة خصمه بل يسعى في اخفائها وابطالها بأقصى الامكان فلهذا السبب
 كان يخاف من اقدامهم على قتلها فلهذا احتاط وقال (ولا تقسوها بسوء) أي بعقر أو غيره ثم
 نوعدهم بقوله (فما أخذكم) ان مستقوها بسوء (عذاب قريب) أي في الدنيا لا يتأخر عن مسكم
 لها الا يسيرا وذلك تحذير شديد لهم في الاقدام على قتلها فخالقوه (ففقروها) وذبجوها (فقال)
 لهم عند بلوغه الخبر (تمتعوا) أي عيشوا (في داركم) والمتع التلذذ بالمنافع والملاذ التي تدرك
 بالحواس وذلك لا يحصل الا للعي وفي المراد من الدار وجهان أحدهما البلد ونسبى البلد
 الديار لانه يدار فيها أي ينصرف فيها يقال ديار بكر لبلادهم الثاني دار الدنيا أي تمتعوا في الدنيا
 (ثلاثة أيام) وذلك أنهم لما عكروا الناقة أنذرهم صالح عليه الصلاة والسلام بنزول العقاب بعد
 هذه المدة قال ابن عباس انه تعالى لما أمهلهم تلك الايام الثلاثة فقد رغبهم في الايمان ثم
 قالوا صالح عليه السلام وما علامة ذلك قال تصبر وجوهكم في اليوم الاوّل مصفرة وفي

الثاني حجرة وفي الثالث مسوقة ثم يأتيكم العذاب في اليوم الرابع فلما رأوا وجوههم مسوقة
 أيقنوا حينئذ بالعذاب فخصطوا واستعدوا للعذاب فصحبهم اليوم الرابع كما قال تعالى (ذلك)
 أي الوعد العالي الرتبة في الصدق (وعد غير مكذوب) أي فيه فاقس في العارف بمخطف الحرف
 واجرائه مجرى المفعول به كقوله * ويوم شهدناه (أي ورب يوم شهدنا فيه) صلحا وعاصرا *
 أو غير مكذوب على الجواز أو وعد غير كذب على أنه مصدر وقوله تعالى (فلما جاء أمرنا فنجينا صالحا
 والذين آمنوا معه برحمة منا) في تفسيره وقراءة الله - مزتين وعدد الذين آمنوا معه مثل ما تقدم
 في قصة عاد (و) نجيناهم (من خزي يومئذ) وهو هلاكهم بالصيحة أو ذلهم أو فضيحتهم يوم
 القيامة وقرأ نافع والـ ~~كسائي~~ بفتح الميم من يومئذ على البناء لاضافتها إلى بعني وكسرهما
 الباقيون على الاعراب والاول أكثر (أن ربك هو القوي) فهو يغلب كل شيء (العزير) أي
 القادر على منع غيره من غير أن يقدرا حد عليه ثم أخبرنا على عن عذاب قوم صالح بقوله (وأخذ
 الذين ظلموا) أي أنفسهم بالكفر (الصيحة) أي صيحة جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة
 واحدة فهلكوا جميعا أو أنتم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم في صدورهم فأتوا جميعا كما
 قال تعالى (فأصموا في ديارهم جائحين) أي باركين على الركبتين * (تنبيه) * انما قال تعالى
 وأخذ ولم يقل وأخذت لأن الصيحة محمولة على الصباح وأيضا فصل بين الفعل والاسم المؤنث
 بفواصل فكان الفاصل كالعرض من تاء التأنيث وقوله تعالى (كان) مخففة من الثقيلة واسمها
 محذوف أي كانوا (لم يغنوا) أي بقيوا (فيها) أي ديارهم ولم يسكنوها مدة من الدهر يقال
 غنيت بالمكان إذا أقيمت به وقوله تعالى (ألان غود كفر وارهم ألبعد النمود) تفسيره
 ما تقدم في قوله تعالى ألان عادا كفر وارهم الآية وقرأ حفص وحزرة ألان غود بغير تنوين
 للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة والباقيون بالتنوين للذهاب إلى الحى أو إلى الأب الأكبر
 ومن نون وقف على ألف بعد الدال ومن لم ينون وقف على الدال ساكنة وقرأ الـ ~~كسائي~~
 بعد النمود بتنوين غود مع الكسر لما تروا الباقيون بغير تنوين مع الفتح لما تروا أيضا القصة
 الاربعة التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام المذكورة
 في قوله تعالى (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) أي بالحق ومن وراءه الحق يعقوب
 والمراد بالرسول الملائكة ولفظ رسلنا جمع وأقله ثلاثة واختلف في الزائد على ذلك وأجمعوا على
 أن الأصل فيهم كان جبريل عليه السلام واقصر ابن عباس وعطاء على أقل الجمع ففلا كانوا
 ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وهم الذين ذكرهم الله تعالى في سورة الذاريات بقوله تعالى
 هل أتاكم حديث ضيف ابراهيم المـ ~~كسائي~~ في الحجر وثبتهم عن ضيف ابراهيم وقال
 الضحاك كانوا تسعة وقال محمد بن كعب القرظي كان جبريل ومعه سبعة أملاك وقال
 السدي كان جبريل ومعه أحد عشر ملكا على صورة الغلمان الذين يكونون في غاية الحسن
 قال الصوريون ومثلت كلمة قدهم هنا لأن السامع لقصص الانبياء يتوقع قصة بعد قصة وقد
 للتوقع ودخلت اللام في القدر كيد الخبر (قالوا سلاما) أي سلمنا عليك سلاما بمجوز نصبه بقاوا

على معنى ذكر واسلاماً أى سلوا (قال سلام) أى أمركم أو جوا بى سلام أو وعليه ~~كنتم~~ سلام
 * (تنبه) * قوله سلام أكمل من قوله السلام لأن التذكير يفيد السكال والمبالغة والتمام
 ولهذا صرح وقوعه حينئذ لأن الكثرة إذا كانت موصوفة بما يجعلها مبدءاً وأما لفظ السلام
 فإنه لا يفيد إلا الماهية (فان قيل) فلاى تنبى ما كنى الاولى فى التحلل من الصلاة عند النوى
 (أجيب) بأن ذلك سنة متبعة وقراءة وحكمة والكسائى بكسر السين وسكون اللام ولا ألف بعدها
 والباقون بفتح السين واللام وبعدها ألف قال القسراء ولا فرق بين القراءتين كما يقال
 حل وحلال وحرم وحرام وقيل سلم هو معنى الصلح أى نحن سلم صلح غير حرب (فما لبث أن جاء
 بهجمل حينئذ) أى فما أبداً بحجبه به والحديد المشوى على الحجارة المحمأة فى حفرة من الارض
 وكان سينا يقطر ودكه كما قال تعالى فى موضع آخر فجاء بهجمل سمين قال قتادة كان عامة مال
 ابراهيم البقر روى أن ابراهيم عليه السلام مكث خمس عشرة ليلة لم يأته ضيف فاعتم لذلك
 وكان يجب الضيف ولا يأكل الامعة فلما جاءته الملائكة رأى أضيافاً لم ير مثلهم فجعل
 قراهم وجاء بهجمل سمين مشوى (فلما رأى أيديهم) أى الاضياف (لأنصل اليه) أى
 لايتدبوا أيديهم اليه (نكرهم) أى أنكرهم وأنكر حالهم لامتناعهم من الطعام (وأوجس)
 أى أضر فى نفسه (منهم خيفة) أى خوفاً قال قتادة وذلك انهم كانوا اذ انزل بهم ضيف فلم
 يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يأت بخير وانما جاء بشر (قالوا لا تخف) يا ابراهيم (أنا) ملائكة
 الله (أرسلنا الى قوم لوط) بالعذاب وانما لم يدينوا لاننا كل (وأمر أنه) أى ابراهيم
 سارة وهى ابنة عم ابراهيم (قائمة) وراءه الاسترسمع محاورتهم وعلى رؤسهم القدمة فسمعت
 البشارة بالولد التى دل عليها فيما مضى قوله بالبشرى (ففتحكت) سروراً من تلك البشرى
 لزوجها مع كبره ورماعته من غيرها لانها كانت عجوزاً عقيمة فأزيل ذلك الطعن عنها بقوله تعالى
 (فبشرناها) أى على لسان الملائكة تنشريها لطفها وتغنيها لشأنها (باسحق) تلداه (ومن وراء
 اسحق يعقوب) أى يكون يعقوب عليه السلام ابناً لاسحق عليه السلام فتعيش حتى ترى ولده
 ولدها قال البقاعى والذى يدل على هذا التقدير من انهم بشروه بالولد قبل امر أنه فسمعت
 فحجبت ما بأتى عن نص التوراة وساقى عن التوراة عبارة مطولة وقيل سبب سرورها زوال
 الخيفة أو هلاك أهل الفساد وقيل ففتحكت لحاضت كما قال الشاعر
 عهدى بلى ضاحكاً فى لبانة * أى حاضت فى جماعة من النساء وهذا يرد على القراء حيث
 قال فتحكت بمعنى حاضت لم تنعم من ثقة وقال آخر * فتحكت الضميع لقتلى هذيل * أراد انها
 تحميم فرحاً * (تنبيه) * ههنا همزان مكسوران من كلمتين قرأوا لولن والبزى بتسهيل الاولى
 مع المد والقصر وقرأ أورش وقنبل بتسهيل الثانية وابدائها أيضاً حرف مد وقرأ أبو عمرو وباسقاط
 أحدهما مع المد والقصر والباقون بتحقيق الهمزتين ولا الف بينهما (قالت يا بولتنا) هذه
 كلمة يقال عند أمر عظيم والالف مبدلة من ياء الاضافة (ألدوا بنا هوز) وكانت ابنة سبعين
 سنة فى قول ابن اسحق وقال مجاهد تسع وتسعين سنة (وهذا بقى) أى زوجى حتى يبنى بذلك لانه

قيم أمرها وقولها (شجناً) نصب على الحال قال الواحدى وهذا من لطيف التصوّر وغامضه
 فإن كلمة هذا الإشارة فكان قولها وهذا بعل شجناً قائم مقام أن يقال أشبى إلى بعل حال كونه
 شجناً والمقصود تعريف هذه الحالة المخصوصة وهى الشجوخة وكان ابن مائة وعشرين سنة
 فى قول ابن اسحق وقال مجاهد مائة سنة وكان بين البشارة والولادة سنة (أن هذا الشئ عجيب)
 أى أن الولد من هرمين فهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك (قالوا) أى
 الملائكة لسارة (أنعجبين من أمر الله) متكررين عليه اذ لك أى لانعجبين من ذلك فإن الله
 تعالى قادر على كل شئ وإذا أراد شيئاً كان سريراً فان خوارق العادات باعتبار أهل بيت النبوة
 ومهبط المعجزات وتخصيصهم بيزيد النعم والكرامات ليس بمستغرب (رحمة الله وبركاته)
 عليكم أهل البيت) أى بيت ابراهيم وأهل منصوب على المدح أو النداء لقصد التخصيص
 كقولهم اغفر لنا أيها العصابة وهذا على معنى الدعاء من الملائكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل
 على أن أزواج الرجل من أهل بيته (أنه) تعالى (حميد) أى محمود على كل حال وأفاعل
 ما يستوجب به الحمد (محميد) أى كثير الخير والاحسان والقصة الخامسة التى ذكرها الله تعالى
 فى هذه السورة قصة لوط عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (فلما ذهب عن ابراهيم الروح)
 أى الخوف وهما أوجس من الخيفة حين أنكر أضيافه واطمأن قلبه بعرفانهم (وجاءه
 البشرى) بدل الروح بالولد أخذ (بجادلنا) أى يجادل رسلنا (فى) شأن (قوم لوط) وجواب لما
 أخذ يجادلنا لأنه حذف اللفظ لدلالة الكلام عليه وقيل تقديره لما ذهب عن ابراهيم الروح
 جادلنا (فان قيل) كيف جادل ابراهيم الملائكة مع علمه بأنهم لا يمكنهم مخالفة أمر الله وهذا
 منكر (أجيب) بأن المراد من هذه المجادلة تأخير العذاب عنهم لعلمهم بؤمنون ويرجعون عما هم
 فيه من الكفر والمعاصى لأن الملائكة قالوا انما هم لكوأهل هذه القرية أو أن مجادلته انما
 كانت فى قوم لوط بسبب مقام لوط فيهم ولهذا قال ابراهيم عليه السلام رأيت لو كان فيها
 خمسون رجلاً من المؤمنين أتهم لكونها قالوا لا قال وأربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا قال
 فثلاثون قالوا لا حتى بلغ خمسة قالوا لا قال رأيت لو كان فيها رجل مسلم أتهم لكونها قالوا لا
 فعند ذلك قال ان فيها لوطا وقد ذكر الله تعالى هذا فى سورة العنكبوت فقال ولما جاء رسلنا
 ابراهيم بالبشرى قالوا انما هم لكوأهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا
 نحن أعلم عن فيها لنجسينه وأهلها الا امر أنه كانت من الغابرين قال ابن جرير وكان فى قري
 لوط أربعة آلاف ألف ولو كانت هذه المجادلة مذمومة لما مدحه بقوله تعالى (ان ابراهيم خليم)
 أى لا يتعجل مكافأة غيره بل يتأنى فيها غيرا ويعفو ومن هذا حاله يجب من غيره هذه الطريقة
 وهذا مدح عظيم من الله تعالى لابراهيم ثم ضم الى ذلك ما يتعلق بالحلم وهو قوله تعالى (أوآده)
 أى كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس (متنب) أى رجا فلما طال مجادلتهم قالوا له
 (يا ابراهيم أعرض عن هذا) أى الجدال وان كانت الرحمة لديك فلا فائدة فيه (انه قد جاء أمر
 ربك) أى قضاؤه الا نزل بعذابهم وهو أعلم بحالهم (وانهم آتتهم عذاب غير مردود) أى لا سبيل

الى دنفه وردة (ولما بعث رسلنا لوطا) أي هؤلاء الملائكة الذين بشروا ابراهيم بالولد قال ابن عباس انطلقوا من عند ابراهيم الى لوط وهو ابن أخي ابراهيم عليه الصلاة والسلام وبين القريتين أربعة فراسخ ودخلوا عليه على صورة شباب مرد من بني آدم وكانوا في غاية الحسن ولم يعرف لوط انهم ملائكة الله تعالى (سوى بهم) أي حزن بسببهم (وضاق بهم ذرا) أي صدره ايقال ضاق ذرع فلان بكذا اذا وقع في مكروه لا يطيق الخروج منه وذلك ان لوط انظر الى حسن وجوههم وطيب روائحهم تخاف عليهم خبت قومه وأن يهجر عن مقامهم وقيل ساء ذلك لانه عرف بالآخرة انهم ملائكة الله تعالى وانهم جاؤا لاهلاك قومه ففر قلبه على قومه (وقال هذا يوم عصيب) أي شديد كانه قد عصب به الشر والبلاء أي شديده ما خوذ من العصابة التي تشد بها الرأس قال قتادة خرجت الملائكة من عند ابراهيم فحرقوه لوط فأتوا لوط انصف النهار وهو في أرض له يعمل فيها وروى أنه كان يحطب وقد قال الله تعالى لهم لا تلهكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فاستضافوه وانطلق بهم فلما مضى ساعة قال لهم ما بلغكم من أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله انها الشمر قريبة في الأرض علي يقول ذلك أربع مرات وروى أن الملائكة جاؤا الى بيت لوط فوجدوه في داره ولم يعلم بذلك أحد الأهل بيت لوط فخرجت امرأته فأخبرت قومه وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط (وجاءه قومه) لما علموا بهم (بهرون) أي يسرعون (اليه) قاله ابن عباس وقال الحسن الاحراع المشي بين مشيين (ومن قبل) أي قبل مجيئهم الى لوط وقيل من قبل مجيئ الرسل اليهم (كانوا يعلمون السينات) أي القساعات الخفية والفاحشة القبيحة وهي آيات الرجال في أدبارهم لوط (قال) لقومه حين قصدوا أضفاه وظنوا انهم غلبان من بني آدم (يا قوم هؤلاء بناتي) قال مجاهد وسعيد بن جبير أراد بيانه نساء قومه وأضافهن الى نفسه لأن كل بني هو أبو أمته كالوالد لهم أي فترزحوا منهن وقيل أراد بنات نفسه عرضهن عليهم بشرط الاسلام وقيل كان في ذلك الوقت وفي تلك الشريعة يباح تزويج المرأة المسلمة بالكافر كما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته من أبي لهب وأبي العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يرتجعهما ابتغى (هن أظهر لكم) أي أنظف فعلا (فان قبل) افعّل التفضيل يقتضي كون العمل الذي يطلبونه طاهرا ومعلوم انه فاسد لانه لا طهارة في آيات الرجال (أجيب) بأن هذا جار مجرى قوله تعالى اذلك خبر نزلام شجرة الزقوم ومعلوم أن شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا يوم أهدأ اعل هبل قال الله اعل وأجل ولا عائله بين الله تعالى والصم وانما هو كلام خرج مخفج المقابلة ولهذا نظائر كثيرة (فأتقوا الله) وراقبوه واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والمعاصي (ولا تحزونا) أي تفضضوني (في ضنني) أي أضبابي (اليس منكم رجل رشيد) يهتدى الى الحق بقاء مر بالمعروف وينهى عن المنكر (قالوا لقد علمت ما لنا في بنائك من حق) أي حاجة (وانك لتعلم ما تريد) أي من آيات الله كدور وما لنا فيه الشهوة فعند ذلك (قال) أي لوط عليه السلام (لو أني لبكم

قوله ابن الربيع
هو كذلك في متن
المواهب قال
شارحه على
الصواب ورواه
يحيى بن بكير ومعن
ابن عيسى وأبو
مصعب وغيره عن
مالك وروى
الجهور عنه انه
ابن ربيعة واذعى
الاصبلي انه ابن
الربيع بن ربيعة
هـ

قوة) أى طاقه (أو أى إلى ركن شديد) أى عشيرة تنصرف في شتت بجركن الجبل في شدة وعنه
 صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى لوطا كان يأوى إلى ركن شديد والركن الشديد نصر الله
 ومعوته فكان النبي صلى الله عليه وسلم استقر من لوط عليه السلام قوله أو أى إلى ركن
 شديد وعده نادرة إذ لا يمكن أشد من الركن الذى كان يأوى إليه وجواب لوط محذوف تقديره
 لبطشت بكم أو ولد ففتكم روى أنه أغلق بابه دون أضيقه وأخذ يجادلهم من وراء الباب
 فقتلوا الجدار فلما رأته الملائكة ما على لوط من الكرب (قالوا يا لوط انزل ربك لن يصلوا
 اليك) بسوء فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه في عقوبتهم
 فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها قدر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در من منظوم
 وهو راق الثياب فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم كما قال تعالى فطمسنا أعينهم فصاروا
 لا يعرفون الطريق ولا يهتدون إلى بيوتهم فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط
 قوما صخرة * (تنبيه) * لن يصلوا اليك جملة موصلة التي قبلها لانهم إذا كانوا رسل الله لن
 يصلوا اليه ولن يقدروا على ضرره ثم قالوا له (فأسر بأهلك بقطع) أى طائفة (من الليل)
 وقرأ نافع وابن كثير بعد الفاء بهمزة وصل من السرى والباقيون بهمزة قطع من الاسراء (ولا
 يلتفت منكم أحد) أى لا ينظر إلى ورائه لئلا يرى عظيم ما نزل بهم وقوله (الامرأتك) قرأه
 ابن كثير وأبو عمرو ورفيع التاء على أنه يدل من أحد والباقيون بالنصب على أنه استثناء من الأهل
 أى فلا تنسرها (أنه مصيها ما أصابهم) فلم يخرج بها وقيل خرجت والتفت فقالت واقوما
 فجاءها جبر فقتلها روى أنه قال لهم متى موعد هلاكهم فقالوا له (إن موعدهم الصبح) قال
 أريد أسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح قريب) أى فأسرع الخروج عن أمرت بهم (فلما
 جاء أمرنا) أى عذابنا بهم لا كهم (جعلنا عاليها) أى قراهم (سافها) روى أن جبريل
 عليه السلام أدخل جناحه تحت قرى قوم لوط المؤتفكات المذكورة في سورة براة وكانت
 خمس مدائن وفيها أربعة مائة ألف وقيل أربعة آلاف فرقع المدائن كلها حتى جمع أهل
 السما صياح الديكة ونهيق الجمل ونباح الكلاب لم يكفأ لهم إناه ولم ينتبه نائم ثم أسقطها مقلوبة
 إلى الأرض (وأما طرنا عليها) أى المدن بعد قلبها وقيل على شذاها وهو بضم الشين المجهمة
 وبذا اللين يجهتين أولاهما مشددة وهم الذين ليسوا من أهلها يكونون في القوم وليسوا منهم
 (هجرة من سجيل) أى من طين طبع بالنار كما قال تعالى في موضع آخر من طين وقيل مثل السجيل
 وهو الدلو العظيمة (منضود) أى متتابع يبيع بعضها بعضا (مسومة) أى معلة عليها اسم
 من يربى بها وقال أبو صالح رأيت بها عند أم هانئ وهي حجارة فيها خراط حرد على هيئة الخزع
 وقال الحسن عليها أمثال الخواتيم وقال ابن جرير كان عليها اسم يعلم بها أنها ليست من حجارة
 الأرض وقوله تعالى (عند ربك) غارف لها (وما هي) أى تلك الحجارة (من الظالمين) أى
 مشركي مكة (يبعد) أى بشئ بعيدا وكان بعيدا لأنها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد
 إلا أنها إذا وقعت منها فهي أسرع شئ لحوقا بالمرء فيكأنها مكان قريب منه وفيه وعيد لهم

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل فقال بعنى ظالمى مكة ما من ظالم منهم الا وهو
يعرض عليه حجر فيسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى أى هي قرية من ظالمى مكة
يترون عليها في مدينتهم القصص السادسة التى ذكرها الله تعالى في هذه السورة قصة شعيب عليه
السلام المذكورة في قوله تعالى (والى مدين) أى وأرسلنا الى مدين وهم قبيلة أبوه مدين بن
ابراهيم عليه السلام وقيل هو اسم مدينة بناها مدين المذكور وعلى هذا فالتقدير وأرسلنا
الى أهل مدين فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه (أخاهم) أى في النسب لافى الدين و (شعيبا)
محطف بيان وكان قائلا قال فقال لهم فقل (قال) ما قال اخوته من الانبياء فى البداية بأصل
الدين (يا قوم) مستعطفاهم مظهر اغاية الشفقة (اعبدوا الله) أى وحدوه ولا تشركوا به
شيئا (مالك من الغيرة) فلقد اتفقت كما ترى كلمتهم واتحدت الى الله تعالى دعوتهم وهذا
وحده قطعى الدلالة على صدق كل منهم لما علم قطعاً من تباعد اعصارهم وتناهي ديارهم
وان بعضهم لم يلم بالعلوم ولا عرف أخبار الناس الا من الحى القيوم ولما دعاهم الى
العدل فيما بينهم وبين الله تعالى دعاهم الى العدل فيما بينهم وبين عبده فى أقبح ما كانوا
يتخذونه بعد الشر لتدنيا فقال (ولا تنقصوا) بوجه من الوجوه (المكيال والميزان) أى لا الكيل
ولا آله ولا الوزن ولا آله والكيل تعديل الشيء بالآلة فى القلة والكثرة والوزن تعديله
فى الخفة والنقل فالكيل العدل فى الكمية والوزن العدل فى الكيفية ثم علل ذلك بقوله (أتى)
أراكم تجحرون) أى بثروة وسعة تغنيكم عن التظيف قال ابن عباس كانوا موسرين فى نعمة
وقال مجاهد كانوا فى خصب وسعة فحذرهم زوال تلك النعمة وغلاء السعر وحلول النعمة
ان لم يؤمنوا ويحبوا وهو قوله (وأنى أخاف عليكم) ان لم تؤمنوا (عذاب يوم يحيط
بكم فيه) انكم جميعا وهو عذاب الاستئصال فى الدنيا وعذاب النافى الآخرة ومنه قوله تعالى
وان جنتهم لمحيطه بالكافرين والمحيط من مصفة اليوم فى الظاهر وفى المعنى من مصفة العذاب
وذلك مجاز مشهور وكقوله هذا يوم عصب (ويا قوم أوفوا) أى أتموا انعاما حسنا (المكيال
والميزان) أى الكيل والوزن وآلتهما (فان قبل) النهى عن النقصان أمر بالابقاء فافائدة
قوله تعالى أوفوا (أجيب) بأنهم نهوا أولاً عن القبيح الذى كانوا عليه من نقص المكيال والميزان
لان فى التصريح بالقبيح نهي عن المنهى وتغييره ثم ورد الأمر بالابقاء الذى هو حسن فى العقول
مصرحاً بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجوبه مقيداً (بالقسط) أى ليكون الابقاء على
وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان أمر اجماعى الواجب لان ما جاوز العدل فضل
وأمر مندوب اليه غير المأمور به وقد يكون محظوراً كما فى الربا وقوله تعالى (ولا تبخسوا الناس
أشياءهم) نعمهم بعد تخصيص فانه أهم من أن يكون فى المقدار وفى غيره فانهم كانوا يأخذون
من كل شئ يباع كما تفعل السامرة وكانوا يمسكون الناس وكانوا ينقصون من أثمان ما يشترون
من الاشياء فنهوا عن ذلك فظهر بهذا البيان ان هذه الاشياء غير مكررة بل فى كل واحد منها فائدة
زائدة والحاصل انه تعالى نهى فى الآية الاولى عن النقصان فى المكيال والميزان وفى الثانية أمر

باعطاء قدر الزيادة ولا يحصل الخزم واليقين بأداء الواجب الا عند أداء ذلك القدر من الزيادة
 ولهذا قال الفقهاء انه تعالى أمر بغسل الوجه وذلك لا يحصل الا عند غسل جزء من الرأس
 فكأنه تعالى نهى أولاً عن سعي الانسان في أن يجعل مال غيره ناقصاً يحصل له تلك الزيادة
 وفي الثاني أمر بأن يسعى في تنقيص مال نفسه ليخرج بالتعيين عن العهدة كما قيده بقوله تعالى
 بالقسط وفي الآية الثالثة نهى عن النقص في كل الأشياء وكذا قوله تعالى (ولا تعموا
 في الارض مفسدين) فان العتويم تنقيص الحقوق وغيره من أنواع الفساد ومفسدين حال
 مؤكدة لمعنى عاملها وفائدتها اخراج مائة صديقه الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام
 (بقيت الله) قال ابن عباس يعني ما بقى لكم من الحلال بعد ابقاء الكيل والوزن (خير
 لكم) مما تأخذونه بالتطفيف وقال مجاهد مما يحصل لكم في الدنيا من المال الحرام
 (ان كنتم مؤمنين) أي مصدقين بما قلت لكم وأمرتكم به * (فائدة) * بقيت رسمت هنا
 بالتاء المحرورة وقف عليها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي والباقون وقضوا علمها بالهاء (وما
 أنا عليكم بحفيظ) أعلم جميع أعمالكم وأقدر على كفكم عما يكون منها فساداً ولما أمرهم
 شعب عليه السلام بشئين بالتوحيد وترك الخس (قالوا) له (يا شعيب) سمعوا باسمه استخفافاً
 وغفلة وأنكروا عليه متميزين به (أصلواتك تأمرتك) أي تفعل معلن فعل من يأمر دائماً بكيفية
 (أن تترك ما يعبد) أي على سبيل المواظبة (أباؤنا) من الاصنام فخذف الذي هو التكليف
 لأن الانسان لا يؤمر بفعل غيره قالوا له ذلك في جواب أمره لهم بالتوحيد (أو) ترك
 (أن تفعل) أي دائماً (في أموالنا نساء) من قطع الدراهم والذناير وفساد المعاملة
 والمقامرة ونحوها مما يكون افساد المال قالوا له ذلك في جواب النهي عن التطفيف والامر
 بالايفاء وانما اضافوا ذلك الى صلاته تكماً واستزاه بها واشعاراً بأن مثل هذا لا يدعوا اليه
 داع عقلي وانما دعا اليه خطرات ووساوس من جنس ما توظب عليه وكان شعب عليه
 الصلاة والسلام كثر الصلاة في الليل والنهار وكان قومه اذا رأوه يصلي تغاضوا وتضاحكوا
 وقصدوا بقولهم أصلواتك تأمرتك السخرية والهزة كما أنك اذا رأيت معنوها يطالع كتباً ثم
 يذكر كلاماً فاسداً فيقال له هذا فائدة مطالعة تلك الكتب على سبيل الهزة فكذا هنا وقرأ حفص
 وحزرة والكسائي أصلواتك بالافراد والباقون بالجمع والتاء بالرفع في القراءة وغلظ ورش
 اللام في أصلواتك وقولهم له (أنك لانت الحليم الرشيد) تم كتم به وقصدوا وصفه بضد ذلك كما
 يقال للخبيل الخسيس لورا لسانه لسجده لك وعلوا انكار ما سمعوه منه واسمعه بأنه موسوم
 بالحلم والرشد المانع من المبادرة الى مثل ذلك ثم أخرج قوله عليه الصلاة والسلام على تقدير
 سؤال بقوله (قال يا قوم) مستعطفاً لهم لما بينهم من عواطف القرابة منبهاً لهم على أحسن النظر
 فيما ساقه على سبيل القرض والتقدير ليكون أدعى الى سبيل الوفاق والانصاف (أرايتم) أي
 أخبروني (ان كنت على بينة) أي برهان (من ربي) وعطف على جملة الشرط المستفهم عنه قوله
 (ورزقني) والضمير في (منه) لله تعالى أي من عنده باعائه بلا كتمني في تحصيله وعظم الرزق

بقوله (رزقنا حسنا) جليلا وما لاحلا لم أعظم فيه أحدا وجواب الشرط محذوف أي فهل يسوغ
مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحية والجسمانية أن أخون في وحيه فأخالفه في أمره
ونفيه وهذا اعتذار عما أنكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الآباء (وما أريد
أن أخالفكم) أي وأذهب (إلى ما أنها كم عنه) فارتكبه (أن) أي ما (أريد) أي فيما أمركم به
وأنها كم عنه (إلا الإصلاح) أي ما أريد إلا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي وأمرى بالمعروف
ونهي عن المنكر (ما استطعت) أي وهو الإلباغ والانداز فقط ولا استطيع إجباركم على
الطاعة لأن ذلك إلى الله تعالى فانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء (وما توفيتني) أي لأصايب الحق
والصواب (إلا بالله) أي لا ببعوته وتأنيده (عليه) لا على غيره (توكلت) أي اعتمدت في جميع
أموري فانه القادر على كل شيء وما عداه عاجز وهذه الصيغة تفيد الحصر فلا ينبغي للإنسان
أن يتوكل على أحد إلا الله تعالى وفيه إشارة إلى محض التوحيد الذي هو أقصى مراتب
المبدأ وأما قوله (وآلله أئيب) ففيه إشارة إلى معرفة المعاد وهو أيضا تفيد الحصر لأن قوله وآلله
أئيب يدل على أنه لا مأتب للخلق إلا إلى الله تعالى وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا ذكر
شعبا قال ذلك خطيب الأنبياء الحسن مر اجعته قومه (ويا قوم لا يجرمكم) أي لا يكسبكم
(شقا) أي خلافي وهو فاعل يعمرم والضمر مفعول أول والمفعول الثاني (أن يصيبكم) عذاب
العاجلة على كفركم وأفعالكم الخبيثة قال في الكشف جرم مثل كسب في تعديه إلى مفعول
واحد وإلى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبه آياه ومنه قوله تعالى لا يجرمكم
شقا أي أن يصيبكم (مثل ما أصاب قوم نوح) من الفرق (أو قوم هود) من الریح العقيم
(أو قوم صالح) من الرجفة (وما قوم لوط منكم بعيد) لافي الزمان ولا في المكان لانهم كانوا
حديثي عهد بهلاكهم وكانوا جيران قوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم فان القرب في الزمان
والمكان يفيد زيادة المعرفة وبكال الوقوف على الاحوال فكأنه يقول اعتبروا بأحوالهم
واحذروا من مخالفة الله ومنازعته حتى لا ينزل بكم مثل ذلك العذاب (فان قيل) لم قال بعيد
ولم يقل بعيدين (أجيب) بأن التقدير وما اهلا كهم بشئ بعيد وأيضاً يجوز أن يسوى في قريب
وبعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودهما على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق
ونحوهما انتهى (واستغفروا ربكم) أي آمنوا به (ثم توبوا إليه) عن عبادة غيره لأن التوبة
لأنصح الأبعد الإيمان وقدمت لذلك (ان ربى رحيم) أي عظيم الرحمة للساكنين (ودود) أي
محب لهم * ولما بالغ عليه السلام في التقرير والبيان أجابوه بأنواع فاسدة الأولى (قالوا له)
(يا شعيب ما نفقه) أي ما نفهم (كثيرا مما تقول) (فان قيل) انه كان يخاطبهم بلسانهم فلم
قالوا ما نفقه (أجيب) بأنهم كانوا لا يلقون إليه أذهانهم لشدة فقرتهم عن كلامه وهو قوله تعالى
وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وأنهم فهموه ولكنهم ما أقاموا له وزنا فنذكروا
هذا الكلام على وجه الاستهانة كما يقول الرجل لصاحبه اذ لم يعبا بجدته ما أدري ما تقول
النوع الثاني قولهم له (وانالرك فينا ضعيفا) أي لا قوة لك فتشغ منان أردناك بسوء أو ذليلا

لا عزلك وقيل أعنى بلفظ جبر قاله قتادة وفي هذا تجوز العمى على الانبياء إلا أن هذا اللفظ لا يحسن الاستدلال به في إثبات هذا المعنى لأنه ترك الظاهر من غير دليل وقيل ضعيف البصر قاله الحسن * النوع الثالث قولهم له (ولولا رهطك) أى عشيرتك وعزيتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا تخوف من شوكهم (لرجنالك) بالجارية حتى توت والرهط من الثلاثة إلى عشرة وقيل إلى السبعة والمقصود من هذا الكلام أنهم ينوأنه لا حرمة له عندهم ولا وقع له في صدورهم وإنهم أعلم يقتلوه لأجل احترام رهطه * النوع الرابع قولهم له (وما أنت علينا بعزير) أى لا تعز علينا ولا تنكرم حتى نكرمك من القتل وزفرك عن الرجم وأنما يعز علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوتنا ولما خوف الكفار شيئا عليه السلام بالقتل والابتناء حكى الله تعالى عنهم ما ذكره في هذا المقام وهو نوعان * الأول (قال) لهم (يا قوم) مستعظا لهم مع غلظتهم عليه (أرهطى أعز عليكم من الله) المحبط بكل شيء قدرة وعلما حتى تظهر لهم في قرأني منهم ولم تنظروا إلى الله تعالى في قرني منه لما ظهر على من كرامته تعالى (وأنه قد غمرواكم ظهريا) أى جعلته كالمسحوق كالمسحوق المنيوذوراء الظاهر بأشراككم به والاهانة لرسوله قال في الكشف والظاهر منسوب إلى الظهور والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة إلى الاسم اسمى بكسر الهمزة وقوله (أن ربي بما تعملون محبط) أى أنه علم بأحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها * النوع الثاني قوله (يا قوم اعملوا على مكاتكم) والمكاة الحالة التي يمكن صاحبها من عمله والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية الممكنة والقدرة وكل ما في وسعكم وطاقاتكم من إيصال الشرور إلى (أنى) أيضا (عامل) بما آتاني الله من القدرة والاطاعة (سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب) فمن موصولة مفعول العلم (فان قيل) لم يقل فسوف تعلمون (أجيب) بأن إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل وأما حذف الفاء فيجعله جوابا عن سؤاله قد روهو المسمى في علم البيان بالاستئناف البياني تقديره أنه لما قال (يا قوم اعملوا على مكاتكم) أى عامل فكأنهم قالوا فإذا يكون بعد ذلك فقال سوف تعلمون فظهر أن حذف حرف الفاء ههنا أكمل في بيان الفصاحة والتحويل لأنه استئناف (وارتقبوا) أى انظروا عاقبة أمركم (أنى معكم رقيب) أى منتظروا الرقيب بمعنى الرقيب من رقبته كالضرب والضرب بمعنى الضارب والصارم أى بمعنى المراقب كالعشير والندم أو بمعنى المرتقب كالفتير والرفيع بمعنى المنقصر والمرتفع (ولما جاء أمرنا) بعدا بهم وأهلا بهم (كهم) نخبة شعيبا والذين آمنوا معه برجة) أى بفضل (مننا) بأن هديناهم للإيمان ووفقناهم للطاعة (فان قيل) لم جاءت قصة عاد وقصة مدين بالواو وقصة صالح ولوط بالقاف (أجيب) بأن قصة عاد ومدين لم يسبقهما ذكر وعدي مجرى مجرى السبب لاختلاف قصتي صالح ولوط فانما ذكر بعدهم والوعد وذلك قوله تعالى وعدي فربكذب وقوله أن موعدهم الصبح فلذلك جاء بألفاء النسبية (وأخذت الذين ظلموا) أى ظلموا أنفسهم بالشر والفسق (الضيعة) أى ضيعة جبريل عليه السلام ضاحح بهم صيحة جبريل وأرواحهم وما قاربها وقيل أنهم صيحة من السماء (فأصموا)

في ديارهم جاعين) أي باركين على الركبتين (كان لم يغنوا) أي كانوا لم يقيموا (فيها) أي
 ديارهم مدة من الدهر مأخوذ من قولهم غنى بالمكان إذا أقام فيه مستغنياً عن غيره (الآباء)
 أي هلاكاً (للمدين كما بعدت غود) انما شبههم بهم لأن عذابهم كان أيضاً بالصيحة لكن صيغتهم
 كانت من فتحهم وصيحة مدين كانت من فوقهم قال ابن عباس لم يعذب الله تعالى أمتين بعذاب
 الا قوم شعيب وقوم صالح فأما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم وأما قوم شعيب
 فأخذتهم الصيحة من فوقهم * القصة السابعة التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة وهي آخر
 قصصها قصة موسى عليه الصلاة والسلام المذكورة في قوله تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا)
 أي التوراة مع ما فيها من الشرائع والاحكام (وسلطان مبين) أي برهان بين ظاهر على صدق
 نبوته ورسالته وقيل المراد بالآيات المعجزات وبالسلطان المبين العصا لأنها أظهر الآيات
 وذلك لأن الله تعالى أعطى موسى تسع آيات ينشأت وهي العصا واليد البيضاء والطوفان
 والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص من الثروات والسنين وهنهم من أبدل نقص
 الثروات والسنين باطلال الجبل وخلق البحر قال بعض المحققين سميت الحجة سلطاناً لأن
 صاحب الحجة يقهر من لا حجة له كالسلطان يقهر غيره والعلماء سلاطين بسبب كمالهم في القوة
 العلمية والمولود سلاطين بحسب ما معهم من القدرة والمكنة الآن سلطة العلماء أكمل
 وأقوى من سلطة المولود لأن سلطة العلماء لا تقبل التسخ والعزل وسلطة المولود تقبلهما
 ولأن سلطة المولود تابعة لسلطة العلماء لأن سلطة العلماء من جنس سلطة الأنبياء وسلطة
 المولود من جنس سلطة القرائنة (إلى فرعون) طاعة القبط (ومثله) أي أشرف قومه الذين
 تتبعهم الأذئاب لأن القصد الأكبر رفع أيديهم عن بني إسرائيل (فأتبعوا أمر فرعون) أي
 اتبعوا طريقه فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي إلى ما لا يخفى فساد على من له
 أدنى مسكة من العقل ولم يتبعوا موسى الهادي إلى الحق المؤيد بالمعجزات الظاهرة الباهرة
 لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم (وما أمر فرعون برشيد) أي بسديد ولا حميد العاقبة
 ولا يدعوا إلى خير وقبل رشيد ذو رشد وانسلاخ فرعون من الرشيد كان ظاهراً لأنه كان دهرياً
 نافياً للصانع والمعاد وكان يقول لا إله إلا العالم وانما يجب على أهل كل بلد أن يشغلوا بطاعة
 سلطانهم وعبوديته رعاية المصلحة العالم وكل الرشدي عبادة الله تعالى ومعرفة فلما كان هو نافياً
 لهذين الأمرين كان خالياً عن الرشيد بالكلية (يقدم قومه يوم القيامة) إلى النار كما كان يقدمهم
 في الدنيا إلى الضلال أو كما تقدم قومه في الدنيا فأدخلهم الجحيم وأغرقهم فكذلك يقدمهم في
 القيامة فدخلهم النار كما قال تعالى (فأوردتهم النار) (فان قيل) لم يقل يقدم قومه فيوردتهم
 النار بل أتى بلفظ الماضي (أجيب) بأنه انما أتى بلفظ الماضي مبالغة في تحققة ونزل
 النار له منزلة الماء فسمى اتیانهم مورداً ولهذا قال تعالى (وبئس الورد المورود) ووردهم لأن
 الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الابدان والنار ضدته (فان قيل) لفظ النار مؤنث فكان
 مقتضى ذلك أن يقال وبئست الورد المورود (أجيب) بأن لفظ الورد مذكر فكان التذكير

والثاني بائرين كما تقول نعم المنزل دارك ونعمت المنزل دارك فمن ذكر غلب المنزل ومن أنثى
على تأنيث الدار (وأتبعوا في هذه) أي الدنيا (لعنة) أي طردوا وبعد اعن الرحمة (ويوم القيامة)
أي واتبعوا يوم القيامة لعنة أخرى فهم ملعونون في الدنيا والآخرة وتطهيره قوله تعالى في سورة
القصص واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبحين (بئس الرفد) أي العون
(المرفود) رَفَدَهُمْ سَأَلَ رَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ هُوَ اللَّعْنَةُ بَعْدَ اللَّعْنَةِ وَقَالَ قَتَادَةُ
تَرَادَفَتْ عَلَيْهِمْ لَعْنَتَانِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَعْنَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَعْنَةٌ فِي الْآخِرَةِ وَكُلُّ شَيْءٍ جَعَلْتَهُ عَوْنًا لِّشَيْءٍ فَقَدْ
رَفَدَتْهُ بِهِ وَسَمِيَتْ اللَّعْنَةُ عَوْنًا لِأَنَّهَا إِذَا اتَّبَعْتَهُمْ فِي الدُّنْيَا بَعْدَتْهُمْ عَنْ الرَّحْمَةِ وَأَعَانَتْهُمْ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ
الضَّلَالِ وَسَمِيَتْ رَفْدًا أَيْ عَوْنًا لِهَذَا الْمَعْنَى عَلَى التَّهَكُّمِ كَقَوْلِ الْقَائِلِ * تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ *
وسميت معانًا لأنها أُرْدِفَتْ فِي الْآخِرَةِ بِلَعْنَةٍ أُخْرَى لِيَكُونَاهُمَا دَيْنَيْنِ إِلَى طَرِيقِ الْحَيْمِ وَلِمَّا ذَكَرَ تَعَالَى
قِصَصَ الْأَوَّلِينَ قَالَ تَعَالَى (ذَلِكَ) أَيْ الْمَذْكُورُ وَهُوَ مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ (مَنْ أَتْبَاءُ الْقُرَى) أَيْ أَخْبَارُ
أَهْلِ الْقُرَى وَهُمْ الْأُمَمُ السَّالِفَةُ فِي الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (نَقَصَهُ عَلَيْهِ) أَيْ نَحَبَرَهُ بِهِ
يَا مُحَمَّدُ خَبَرًا بَعْدَ خَبَرٍ وَفَائِدَةُ ذِكْرِ هَذِهِ الْقِصَصِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَعْلَمَ السَّامِعُ أَنَّ
الْمُؤْمِنَ يَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَعْنَى الْجَمِيلِ فِي الدُّنْيَا وَالنَّوَابِ الْجَزِيلِ فِي الْآخِرَةِ وَإِنَّ الْكَافِرَ
يَخْرُجُ مِنَ اللَّعْنَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْعِقَابِ فِي الْآخِرَةِ وَإِذَا تَكَثَّرَتْ هَذِهِ الْأَفْصَاحُ عَلَى السَّمْعِ فَلَا بُدَّ
وَأَنْ يَلِيَنَّ الْقَلْبَ وَيَتَضَخَّ النَّفْسُ وَتَزُولَ الْعِدَاةُ وَيَحْصُلَ فِي الْقَلْبِ خَوْفٌ يَحْمِلُهُ عَلَى النَّظَرِ
وَالِاسْتِدْلَالِ فِي أَخْبَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ هَذِهِ الْقِصَصُ مِنْ غَيْرِ مَطَالَعَةِ كِتَابٍ وَلَا تَلْتَمِذَ دَلَالَةٍ
عَلَى نُبُوَّتِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى (مَنْهَا) أَيْ الْقُرَى (قَائِمٌ) أَيْ بَاقٍ كَالزَّرْعِ الْقَائِمِ
هَلَاكُ أَهْلِهِ دُونَهُ (وَمِنْهَا) (حَصِيدٌ) أَيْ عَاقِي الْأَثَرِ كَالزَّرْعِ الْمَحْصُودِ هَلَاكُ مَعَ أَهْلِهِ (وَمَا ظَلَمْنَا هُمْ) أَيْ
بَاهِلًا كَهُمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ (وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَرِيدُ
وَمَا نَقَصْنَا هُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ النِّعَمِ وَالرِّزْقِ وَلَكِنْ نَقَصُوا حَظَّ أَنْفُسِهِمْ حِينَ اسْتَفْهَنُوا بِمُحَقِّقِ اللَّهِ
تَعَالَى (فَأَغْنَتْ) أَيْ دَفَعَتْ (عَنْهُمْ أَلِهَتَهُمْ) أَيْ أَصْنَاءَهُمْ (الَّتِي يَدْعُونَ) أَيْ يَعْبُدُونَ (مَنْ دُونَ
اللَّهِ) أَيْ غَيْرِهِ (مَنْ شَيْءٍ) أَيْ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ (لِمَا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ) أَيْ عِقَابُهُ (وَمَا زَادَهُمْ) بِعِبَادَتِهِمْ
(غَيْرَ تَتَبُّعٍ) أَيْ غَيْرَ تَحْسِيرٍ وَقِيلَ تَدْمِيرٍ وَلَمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِتَابِهِ
بِمَا فَعَلَهُ بِأَمْرِهِمْ مِنْ تَقَدُّمِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِمَا خَالَفُوا الرِّسَالَ وَمَا وَرَدَ عَلَيْهِمْ مِنْ
عَذَابِ الْاسْتِنْصَالِ وَبَيَّنَّ أَنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَلَ بِهَمِّ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا قَالَ تَعَالَى بَعْدَهُ (وَكَذَلِكَ)
أَيْ وَمِثْلُ ذَلِكَ الْإِخْذُ الْعَظِيمُ (أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ) أَيْ الْقُرَى (ظُلْمَةٌ) وَالْمُرَادُ
أَهْلُهَا وَتَطْهِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَكَمْ قَصَفْنَا مِنْ قَرْيَةٍ
كَانَتْ ظُلْمَةً فَيَنْ تَعَالَى أَنَّ عَذَابَهُ لَيْسَ مَقْصُورًا عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ بِهَلَاكِتِهِ فِي الْحَالِ فِي أَخْذِ كُلِّ الظَّالِمِينَ
يَكُونُ كَذَلِكَ * وَلَمَّا بَيَّنَّ تَعَالَى كَيْفَ أَخَذَ الْأُمَمَ الْمُتَقَدِّمَةَ ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّهُ أَخَذَ بِكُلِّ ظَالِمٍ
عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ اتَّبَعَهُ عَمَّا يَزِيدُنَا تَكْبِيرًا وَتَقْوِيَةً بِقَوْلِهِ تَعَالَى (إِنَّا أَخَذْنَاهُ الْيَمِّ) أَيْ مَوْلَاهُ (شَدِيدٍ)
أَيْ صَعْبٍ مَقْنَتِ الْقَوَى وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ الشَّعْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم قال ان الله تعالى ليجلي للظالم حتى اذا اخذته لم يقله ثم قرأ وكذلك اخذ ربك اذا اخذ
القرى وهي ظالمة ان اخذته ألم شديد وفي هذه الآية الكريمة والحديث الشريف دلالة على أن
من أقدم على ظلم فانه يتدارك بالتوبة والابانة ورد الحقوق الى أهلها ان كان الظلم للغير لا يقع
في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا ينظر ان هذه الآية مختصة بظالمى الامم الماضية
بل هي عامة في كل ظالم وبعضه الحديث (ان في ذلك) أى ما ذكر من عذاب الامم الماضية
وأهلها (آية) أى عبرة وموعظة (لمن خاف عذاب) يوم الحياة (الآخرة) لانه ينظر
ما أحل الله تعالى بالجرمين في الدنيا وما هو إلا أنموذج لما أعد لهم في الآخرة فاذا رأى عظمته
وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطافا في زيادة التقوى والخشعة
من الله تعالى وقوله (ذلك) إشارة الى يوم القيامة لأن عذاب الآخرة دل عليه (يوم مجموع) أى
فيه (الناس) أى ان خلق الأولين والآخرين كلهم يحشرون في ذلك اليوم ويجمعون ثم وصفه
تعالى بوصف آخر بقوله تعالى (وذلك يوم مشهود) أى يشهده أهل السموات وأهل الارض
(وما تؤخرونه) أى ذلك اليوم وهو يوم القيامة (الالاجل) أى وقت (معدود) أى معلوم محدود
وذلك الوقت لا يعلمه الا الله تعالى (يوم يأتي) ذلك اليوم (لآسكم) فيه حذف احدى التامين
أى لا تسلكم (نفس الاباذنه) تعالى وقرأ نافع وأبو عمرو والكسائي بإسكان الياء بعد التاء
من يأتي وصلا ووقفا وحذفها الباقون وأما التاء من تسلكم فشددها البرزى في الوصل وخففها
الباقون (فان قيل) كيف يوفق بين قوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله تعالى
هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون (أجيب) بأن ذلك اليوم يوم طويل له موافق
ومواطن ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام ولا يؤذن لهم
وفي بعضها يؤذن لهم فيسلكون وفي بعضها يحتم على أفواههم وتسلكم أيديهم وتشهد أرجلهم
(فتهم) أى الناس (شقي و) منهم (سعيد) أى فثمة من سبقت له الشقاوة فوجبت له النار بقتضى
الوعيد ومنهم من سبقت له السعادة فوجبت له الجنة بموجب الوعد وعن علي رضي الله تعالى
عنه قال كافي جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ففقد وقعد ناحوله
ويده مخضرة ثم نكت بها الارض ساعة ثم قال ما من نفس منقوسة الا قد كتب مكانها من
الجنة أو النار فقالوا يا رسول الله أفلا تسلك على كتابنا فقال اعلموا فكل ميسر لما خلق له أما
من كان من أهل السعادة فسيصير الى عمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير
لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ فأتانا من أعطى واتى وصديق الحسنى فسنيسره للسرى الآية وبقيع
الغرقد هو مقبرة أهل المدينة الشريفة ومدفنهم فيه والمخضرة كالسوط والعصا مما يسكه
الانسان بيده والنكت بالنون والتاء المثناة من فوق ضرب الشيء بثلث المخضرة أو باليد أو نحو
ذلك حتى يؤثر فيه (فأما الذين شقوا) في علمه تعالى (ففي النار لهم فيها زفير) وهو صوت شديد
(وشهيق) وهو صوت ضعيف وقيل الزفير اخراج النفس والشهيق رده وقيل الزفير بمنزلة
استدعاء صوت الجبر بالتهيق والشهيق بمنزلة آخر صوت الجمار اذا رددته في صدره وقيل الزفير

في الملقق والشهيق في الصدر وعلى كل المراد منها الدلالة على شدة كربهم ونغمهم (خالد بن فيها)
وقوله تعالى (مادامت السموات والارض) فيه وجهان أحدهما سموات الآخرة وأرضها وهي
مخلوقة دائمة للابد والدليل على أن لها سموات وأرضا قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض
والسموات وقوله تعالى وأورثنا الارض تقواً من الجنة حيث نشاء ولانه لا بد لاهل الآخرة مما
يقبلهم ويظلمهم أما سماه يخلقها الله تعالى أو يظلمهم العرش وكل ما أظلك فهو سماه وكل ما استقر
قدمك عليه فهو أرض والوجه الثاني أن المراد مدة دوامهم في الدنيا (آل أي غير (ما شاء ربك)
من الزيادة على مدتة بما لا منتهى له وذلك هو الخلود فيها أبداً (أن ربك فعال لما يريد) من غير
اعتراض (وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء
ربك) كما تقدم ودل عليه قوله تعالى (عطاء غير مجدوذ) أي مقطوع وقيل الاستثناء في أهل
الشقاوة يرجع الى قوم من الموحدين يذخلهم الله تعالى النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها
فيكون ذلك استثناء وذلك كاف في صحة الاستثناء لأن زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن
البعض من غير الجنس لان الذين أخرجوا من النار سعداء في الحقيقة استثناءهم الله تعالى من
الاستثناء لما روى عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بالشقاوة وفي رواية
أن الله تعالى يخرج ما شاء من النار فيدخلهم الجنة وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لصين
قوم ما سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله بفضلهم ورحمته الجنة وفي رواية أنه
صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشقاوة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة
فيسمون الجهنمين وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي ليا تين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس
فيها أحد أي من أهل الكفار من أمه محمد صلى الله عليه وسلم بأن تحلى طبقهم التي كانوا فيها
وان نازع في ذلك الرخصي على مذهبه الفاسد من أن أهل الكفار يدخلون في النار وأما
الاستثناء في أهل السعادة فيرجع الى مدة لبثهم في النار قبل دخولهم الجنة أو ان الاستثناء
راجع الى الفريقين فانهم مفارقوا الجنة أيام عذابهم وان التأيد من مبداء معين ينقص
باعتبار الابتداء كما ينقص باعتبار الانتهاء وهو لا وان شقوا بعض ما نهم فقد سعدوا بما جانهم
ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله تعالى فمنهم شقي وسعيد تقسيما محصيا لان شرطه أن تكون صفة
كل قسم منتظمة عن قسمه لأن ذلك الشرط حيث التقسيم لا تنفصال حقيقي أو مانع
من الجميع من الجنة والنار مدة تعميرهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ وهو ما بين الموت الى
البعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيكون المعنى
خالد في الجنة والنار اهذ المقدار وقيل معناه لو شاء ربك لأخرجهم منها ولكنه لا يشاء
لانه تعالى حكم لهم بالخلود وقال الفراء هذا الاستثناء استثناء الله تعالى ولا يفعله كقولك والله
لا ضربك الا ان أرى غير ذلك وعزيتك ان تضربه وقال أهل المعاني هذه عبارة عن التأيد
على عادة العرب يقولون لا أتيتك مادامت السموات والارض ولا يكون كذا ما اختلف الليل
والنهار يعنون أبداً وقيل ان أهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب أحيانا

وكذلك أهل الجنة نعمون بها هو أعلى من الجنة وهو الفوز برضوان الله تعالى ولقائه كما قال
تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة
في جنات عدن ورضوان من الله أكبر وقرأ حفص وحزرة والكسائي سعدوا بضم السين على
البناء المفعول من سعده الله بمعنى أسعده والباقون بقضها وعطاء نصب على المصدر المؤكد أي
أعطوا عطاء أو الحلال من الجنة ولما شرح الله تعالى أفاضل عبدة الاوثان ثم اتبعه بأحوال
الاشقياء وأحوال السعداء شرح للرسول صلى الله عليه وسلم أحوال الكفار من قوله فقال
(فلانك) يا محمد (في مرية) أي شك (مما بعد هؤلاء) المشركون من الاصنام أتنا نعذبهم كما
عذبنا من قبلهم وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم) أي
كعبادتهم (من قبل) وقد عذبناهم (وانا لموفوهم) مثلهم (نصيهم) أي حظههم من
العذاب (غير منقوص) أي كاملا غير ناقص ولما ذكر تعالى في هذه الآية اعراضهم عن
الاتباع مع ما أتى به من المعجزات وأنزل عليه من الكتاب سلاها بأخيه موسى عليه السلام بقوله
تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي التوراة الجامعة للخبر (فاختلف فيه) أي الكتاب
فاً من به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير
الحساب والجزاء للخالق إلى يوم القيامة (لقضى) أي لوقع القضاء (بينهم) أي بين من اختلف
في كتاب موسى في الدنيا فيما اختلفوا فيه بانزال ما يستحقه المبطل لتمييزه الحق ولكن سبقت
الكلمة ان القضاء الكامل انما يكون يوم القيامة كما قال تعالى في سورة نونس عليه السلام
فما اختلفوا حتى جاءهم العلم الآية ولما كان الاختلاف قد يكون بغير التكفر بين تعالى أنه به
لان كل طائفة من اليهود تنسركشكها فيه وفعلها فعل الشاك فقال تعالى مؤكدا (وانهم لفي
شك) أي عظيم يحيط بهم (منه) أي من الكتاب والقضاه (مرتب) أي موقع في الريب
والثمة والاضطراب مع ما رأوا من الآيات التي منها سماع كلام الله تعالى ورؤية ما كان يقبل
في جبل الطور من خوارق الاحوال وقيل الضمير في وانهم راجع لكفار مكة وفي منه للقرآن
(وان كلا) أي كل الخلاق وقوله تعالى (لما) ما زائدة واللام موطئة لقسم مقدر تقديره والله
(لموفينهم ربك أعمالهم) فيجازي المصدق على تصديقه الجنة ويجازي المكذب على تكذيبه
النار وقرأ نافع وابن كثير وشعبة بضم السين وان والباقون بالتشديد وقرأ ابن عامر وعاصم
وحزرة بتشديد ميم لما والباقون بالتخفيف * (فائدة) * قال بعض الفضلاء انه تعالى لما أخبر
عن توفية الاجزية على المستحقين في هذه الآية ذكر فيها سبعة أنواع من التأكيدات أولها
كلمة ان وهي للتأكيد وثانيها اللفظة كل وهي أم الباب في التأكيد وثالثها اللام الداخلة على
خبر ان تصيد التأكيد أيضا ورابعها حرف ما اذا جعلته على قول الفراء موصولا وخامسها
المضمر وسادسها اللام المشائية الداخلة على جواب القسم وسابعها النون المذكورة في قوله
تعالى لموفينهم بجميع هذه الالفاظ السبعة الدالة على التوكيد في هذه الكلمة الواحدة تدل
على ان أمر الربوبية والعبودية لا يتم الا بالتسليم والقيامة وأمر الحشر والقسر ثم أوقفه بقوله

تعالى (انه بما يعملون خبير) وهو من أعظم المؤكدات فانه تعالى لا يخفى عليه شيء من أعمال
 عباده فقيه وعبد المحسنين ووعيد للمكذبين الكافرين ولما بين تعالى أمر الوعد والوعيد قال
 لنبيه صلى الله عليه وسلم (فاستقم) أي على دين ربك والعمل والدعاء اليه (كما أمرت) والامر
 في ذلك التأكيد فانه صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها فهو كقولك للقاتم قم حتى
 آتيتك أي دم على ما أتت عليه من القيام حتى آتيتك وبوطيئة لقوله تعالى (ومن تاب معك) أي
 ويستقيم أيضا على دين الله والعمل بطاعته من آمن معك قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى
 عنه الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ عنه وروغان الثعلب وأشار صلى الله عليه
 وسلم إلى شدة الاستقامة بقوله شيبتي هود وأخواتها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
 ما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آية أشد ولا أشق من هذه الآية وعن بعضهم رأيت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم في النوم نقلت له روى عنك أنك قلت شيبتي هو دفعنا نعم فقلت بأي آية
 قال قوله تعالى فاستقم كما أمرت وعن سفیان ابن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي
 في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحد غيرك قال قل آمنت بالله ورسوله ثم استقم قال الامام الرازي
 ان هذه الآية أصل عظيم في الشريعة وذلك لان القرآن لما ورد بالامر بأعمال الوضوء مرتبة
 في اللفظ وجب اعتبار الترتيب فيها لقوله تعالى فاستقم كما أمرت ولما ورد بالامر في الزكاة بأداء
 الايل من الايل والبق من البقر وجب اعتبارها وكذا القول في كل ما ورد أمر الله تعالى به
 انتهى ولما كانت الاستقامة هي التوسط بين طرفي الافراط والتفريط نهى عن الافراط بقوله
 تعالى (ولا تظفوا) أي لا تتجاوزوا الحد فيما أمرتم به أو نهيتم عنه بالزيادة افراطاً فان الله تعالى
 انما أمركم ونهاكم لتذيب أنفسكم للحاجته إلى ذلك ولن تطبقوا ان تقدروا الله حق قدره
 والدين حقين لم يشأتماً أحد الاغلب كما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الاغلب فسدوا وقاربوا ويسروا واستعينوا بالغدوة
 والروحة وشئ من الدلجة فقوله صلى الله عليه وسلم ان الدين يسر ضد العسر اراد به التسهيل
 في الدين وترك التشديد فان هذا الدين مع يسره وسهولته قوى فلن يغالب ولن يقاوى وقوله
 وسددوا أي اقصوا السداد في الامور وهو الصواب وقاربوا أي اطلبوا المقاربة وهي القصد
 الذي لا غلظ فيه ولا تقصير والغدوة الروح بكره والروح الرجوع عشاء والمراد منه اعملوا بالنهار
 واعملوا بالليل ايضاً وقوله واستعينوا بشئ من الدلجة اشارة الى تقليله ولما نهى تعالى عن الافراط
 وهو الزيادة تنصرت بحاً أفهم النهي عن التفريط وهو التقصص عن المأمورين بحاً من باب أولى ثم
 علل ذلك مؤكداً تنزيلاً لمن يفرط أو يفرط منزلة المنكر فقال (انه بما يعملون بصير) أي عالم بأعمالكم
 كلها لا يخفى عليه شيء منها فيجازيكم عليها (ولا تتركوا) أي عملوا (الى الذين ظلموا) أدنى ميل
 (فمنكم النار) أي نصيبكم بجرها والنهي متناول للاختطاط في هواهم والانتطاع اليهم
 ومصاحبتهم وبجالتهم وزيارتهم وعراقتهم والرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتزبي بزيمهم ومد
 العين إلى زهرتهم وذكرهم بمقاييسهم وتامل قوله تعالى ولا تتركوا فان الركون هو الميل

اليسير وحكى أن الموفق صلى خلف الامام فقرأ بهذه الآية تغشى عليه فلما أفاق قيل له في ذلك
 فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالطالم ولما خالط الزهري السلطين كتب اليه أخ له في
 الدين عاقبنا الله وبالله أباجسكم من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعوا الله لك
 ويرحمك أصبحت شيخا كبيرا وقد أنقذتكم الله تعالى بما فهمكم من كتابه وعلكم من سنة نبيه
 وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه وتعالى لبيدته للناس ولا يكتونه واعلم
 أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك أنت وحشة الطالم وسهلت سبيل التي بدوتك عن
 لم يؤد حقاً ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحي باطلهم وجسر يعبرون عليك
 الى ملاذهم وسلم يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب
 الجاهلة فما أيسر ما عروا لك في جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك
 من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم نخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة
 واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يبجل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو
 دينك فقد دخله سقم وهي زائدة فقد حضر السفر البعيد وما ينبغي على الله من شيء في الارض
 ولا في السماء والسلام وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائررون للملوك وعن
 الاوزاعي ما من شيء أبغض الى الله تعالى من عالم يزور عملا أي من الطلبة وعن محمد بن سلمة الذباب
 على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء وقال صلى الله عليه وسلم من دعا الطالم بالبقاء فقد
 أحب أن يعصى الله في أرضه ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في برية هل يلقى
 شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وقوله تعالى (وما لكم من دون الله من أولياء)
 أي أعوانا وأنصارا يمنعوك من عذابه حال من قوله فتمسك النار أي فتمسك النار وأنتم على هذه
 الحالة (ثم لا تنصرون) أي لا تجدون من ينصركم ويخلصكم من عذاب الله في القيامة ففي هذه
 الآية وعيد لمن ركن الى الطلبة بأن عسمة النار كيف يكون حال الطالم في نفسه ولما أمر تعالى
 بالاستقامة أوردناه بالامر بالصلاة بقوله تعالى (وأنتم الصلاة) وذلك يدل على أن أعظم العبادات
 بعد الايمان بالله تعالى هو الصلاة وقوله تعالى (طريق في النهار) الغداة والعشي أي الصبح والظهر
 والعصر وقوله تعالى (ورزقا) جمع رزقة أي طائفة (من الليل) أي المغرب والعشاء (أن
 الحسنات) كاصوات الخمس (يذهبن) أي يكفرن (السيئات) أي الذنوب الصغار لما رواه مسلم
 أنه صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهن ما اجتنب
 الكبائر وزاد في رواية أخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنب الكبائر
 وعن أبي هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أرايت لو أن نهر
 يباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ما تقولون هل يبقى من درنه شيء قالوا لا يا رسول الله
 لا يبقى من درنه شيء فقال ذلك مثل الصلوات الخمس عموما لله خطايا وعن جابر قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم
 خمس مرات وعن الحسن أن الحسنات قول العبد سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر

وسبب نزول هذه الآية ما رواه الترمذي عن أبي اليسر بن عمر قال أتني امرأة وزوجها بعته
النبي صلى الله عليه وسلم في بيت فقالت بعني بدرهم غرا قال فأعجبني فقلت إن في البيت غرا هو
أطيب من هذا قال فحببني فدخلت معي البيت فأهويت إليها فقبلتها فأنيت أبا بكر فذكرت ذلك
له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا فأنيت عمر فذكرت ذلك فقال استر على نفسك وتب
ولا تخبر أحدا فأنيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك فقال أخنت رجلا غاريا في سبيل
الله في أهله بمنزل هذا حتى غنى أنه لم يكن أسلم الا تلك الساعة حتى ظن أنه من أهل النار وأطرق
رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا حتى أوحى اليه وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل
إلى قوله تعالى (ذلك ذكرى للذاكرين) أي عظة للمتقين قال أبو اليسر فأنيت فقراها على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال أحسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ألهذا خاصة أم للناس عامة
قال بل للناس عامة قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وعن عبد الله بن مسعود أن رجلا
أصاب من امرأة قبله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فنزلت فقال رجل يا رسول الله
ألهذا خاصة فقال بل للناس كافة وعن معاذ بن جبل قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال
يا رسول الله أرايت رجلا لي امرأة ليس بينهما معرفة وإيس يأني الرجل إلى امرأة شيا إلا قد أتى
هو إليها إلا أنه لم يجامعها قال فأنزل الله تعالى هذه الآية وأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتوضأ
ويصلي فقال معاذ بن جبل فقلت يا رسول الله أهي له خاصة أم للمؤمنين عامة قال بل للمؤمنين
عامة قال العلماء الصغائر من الذنوب تكفرها الاعمال الصالحة مثل الصلاة والصدقة والذكر
والاستغفار ونحو ذلك من أعمال البر وأما الكائرن من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح
ولها ثلاث شرائط الاول الافلاخ عن الذنب بالكلية الثاني الندم على فعله الثالث العزم
التام على أن لا يعود اليه في المستقبل فاذا حصلت هذه الشرائط محبت التوبة وكانت مقبولة
ان شاء الله تعالى والاشارة في قوله تعالى ذلك ذكرى إلى ما تقدم ذكره من قوله تعالى فاستقم كما
أمرت إلى ههنا وقيل هو اشارة إلى القرآن وقوله تعالى (واصبر) خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم أي واصبرا بمحمد على أذى قومك أو على الصلاة وهو قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر
عليها (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) أي أجر أعمالهم وعدل عن الضمير ليكون كالبرهان
على المقصود ودليلا على أن الصلاة والصبر احسان وإيماء بأنه لا يعتد بهما دون الاخلاص ولما
بين تعالى أن الامم المتقدمين حل بهم عذاب الاستئصال بين أن السبب فيه أمر ان السبب
الاول انه ما كان فيهم قوم يهتدون عن الفساد في الارض فقال تعالى (فأولوا) أي فهلا (كل من
القرين) أي من الامم الماضية (من قبلكم أو لوبيقة) أي أصحاب رأي وخبر وفضل (يهدون
عن الفساد في الارض) ويسمى الفضل والجود ببيعة لان الرجل يستقي على يضرجه أجوده
ونفله فصار مثالا للجودة والفضل ويقال فلان من بيعة القوم أي من خيارهم وبه فسر
بيت الحاسية ان تذهبوا ثم يأتي ببيتكم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال يتباها ويحور
أن تكون البيعة بمعنى البقرى كالتقية بمعنى التقوى أي فهلا كان منهم ذو بقاء على أنفسهم

وصيانة لهم من حفظ الله تعالى وعقابه * (قائدة) * حكى عن الليل أنه قال كل ما في القرآن من كلمة ولا يشاء إلا التي في الصافات قال صاحب الكشف وما حمت هذه الحكاية في غير الصافات لولا أن تداركه نعم من ربه ولولا رجال مؤمنون ولولا أن نبينا انتهى وقوله تعالى (الاقليبا لمن أئجينا منهم) استثناء منقطع معناه ولكن قليلا من أئجينا من القرون فهو عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي السبب الثاني لنزول عذاب الاستئصال قوله تعالى (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) أي ما نعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل أسبابها وأعرضوا عما وراء ذلك (وكانوا مجرمين) أي كافرين * (تنبيه) * قوله تعالى واتبع الذين ظلموا أن كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمولان المعنى الاقليبا من أئجينا منهم فهو عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا اجراء الاتراف ظلموا والعمال فكانه قيل أئجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا اجراءهم وقوله تعالى وكانوا مجرمين عطف على أترفوا أي اتبعوا الاتراف وكانهم مجرمين لأن تابع الشهوات مغشوب بالآثم وأعلى اتبعوا أي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ثم بين تعالى أنه ما أهلك أهل القرى بظلم بقوله تعالى (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم) أي بشرك (وأهلها مصلحون) فيما بينهم والمعنى أنه لا يهلك أهل القرى بمجرد كونهم مشركين إذا كانوا مصلحين في المعاملات فيما بينهم والحال أن عذاب الاستئصال لا ينزل لأجل كون القوم معتقدين الشرك بل إنما ينزل ذلك العذاب إذا أساءوا في المعاملات وسعوا في الأذى والظلم ولهذا قيل إن حقوق الله تعالى مبناها على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد مبناها على الضيق والشح ويقال في الإنزال الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم وإنما نزل على قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعب عذاب الاستئصال لما حكى الله تعالى عنهم من أذى الناس وظلم الخلق (ولو شاء ربك لجلد الناس أمة واحدة) أي أهل ملة واحدة وهي الاسلام كقوله تعالى أن هذه أممكم أمة واحدة وفي هذه الآية دليل على أن الأمر غير الإرادة وأنه تعالى لم يرد الإيمان من كل أحد وأن ما أراد به يجب وقوعه والمعتزة يوصلون هذه الآية على مشيئة الألباء والاجبار ولهذا قال الزمخشري يعنى لا يضطرهم إلى أن يكونوا أهل ملة واحدة (ولا يزالون مختلفين) أي على أديان شتى ما بين يهودي ونصراني ومجوسي ومشرك ومسلم فكل أهل دين من هذه الأديان اختلقوا في دينهم أيضا اختلافا كثيرا لا ينضب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفرق اليهود على إحدى وسبعين فرقة وفي رواية إلا أن من قبلكم من أهل الكتاب افرقوا على اثنين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفرق على ثلاث وسبعين فرقة ففتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة والمراد بهذه الفرق أهل البدع والأهواء كالقدرية والمعتزة والرافضة والمراد بالواحدة هي ملة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فأقواله وأفعاله (فان قيل) ما الدليل على أن الاختلاف في الأديان فلم لا يجوز أن يحمل على الاختلاف في الألوان والألسنة والأذواق والأعمال (أجيب) بأن الليل عليه ما قبل هذه

الآية وهو قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة فيجب حمل الاختلاف على
 ما يحجزهم من أن يكونوا أمة واحدة وما بعد هذه الآية وهو قوله تعالى (الامن رحم ربك)
 أى أراد لهم الخير فلا يختلفون فيه فيجب حمل الاختلاف على معنى يصح أن يستثنى منه ذلك
 وفي هذه الآية دلالة على أن الهداية والايان لا تحصل الا بتخليق الله تعالى لأن تلك الرحمة
 ليست عبارة عن اعطاء القدرة والعقل وارسال الرسل وانزال الكتب وازاحة العذرة فان كل
 ذلك حاصل في حق الكفار فلم يبق الا أن يقال تلك الرحمة هو أنه سبحانه وتعالى خلق فيهم تلك
 الهداية والمعرفة (ولذلك خلقهم) أى خلق أهل الاختلاف للاختلاف وخلق أهل الرحمة
 للرحمة روى عن ابن عباس أنه قال خلق الله أهل الرحمة لئلا يختلفوا وخلق أهل العذاب لان
 يختلفوا وخلق الجنة وخلق لها أهلاً وخلق النار وخلق لها أهلاً والحاصل أن الله تعالى خلق
 أهل الباطل وجعلهم مختلفين وخلق أهل الحق وجعلهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف
 وهم أهل الباطل ومصيرهم الى النار وحكم على بعضهم بالاتفاق وهم أهل الحق ومصيرهم
 الى الجنة ويدل ذلك قوله تعالى (وتت كلمة ربك) وهى (لاملا أن جهنم من الجنة) أى الجن
 (والناس أجمعين) وهذا صريح بأن الله تعالى خلق أقوام الجنة والرحمة فهداهم ووقفهم
 لأعمال أهل الجنة وخلق أقوام الضلالة والنار فخذلهم ومنهم من الهداية ولما ذكر تعالى
 القصص الكثيرة في هذه السورة ذكر نوعين من الفائدة أولهما تثبيت القوادى بقوله تعالى
 (وكلاً) أى وكل بنا (نقص عليك) وقوله تعالى (من أنباء الرسل) أى تخبر ليه بيان لكل وقوله
 تعالى (ما ثبت به قوادك) يدل من كلا وهى تثبيت قواده زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات
 نفسه على أداء الرسالة وعلى الصبر واحتمال الأذى وذلك لأن الإنسان اذا ابتلى بمحنة وبليّة
 فاذا رأى له فيه مشاركا خف ذلك على قلبه كما يقال المصيبة اذا عت خفت واذا سمع الرسول
 صلى الله عليه وسلم هذه القصص وعلم أن حال جميع الانبياء مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل
 الأذى من قومه وأمكنه الصبر عليه * الفائدة الثانية قوله تعالى (وجاءك فى هذه الحق) أى
 فى السورة وعليه الاكثر وفى هذه الانبياء المقتصة فيها وقال الحسن فى هذه الدنيا قال الرازى
 وهذا بعيد غير لائق بهذا الموضوع لانه لم يجز للدنيا ذكر حتى يعود الضمير لها (فان قيل) قد جاءه
 الحق فى غير هذه السورة بل القرآن كله حق وصدق (أجيب) بأنه انما خصم بالذكر نشر يقالها
 (وموعظة وذكرى للمؤمنين) وخصم بالذكر لا تتفاعهم بذلك بخلاف الكفار فقد ذكر تعالى
 أمورا ثلاثة الحق والموعظة والذكرى أما الحق فهو اشارة الى البراهين الدالة على التوحيد
 والعدل والنبوة والمعاد وأما الموعظة فهى اشارة الى السفر عن الدنيا وتبصير أحوالها وأما
 الذكرى فهى اشارة الى الارشاد الى الاعمال النافذة الصالحة فى الدار الآخرة ولما بلغ تعالى
 الغاية فى الانذار والاعذار والترغيب والترهيب اتبع ذلك بأن قال لرسوله صلى الله عليه وسلم
 (وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكاتكم) أى حالتكم وفيه وعيد وتهديد وان كانت صيغته
 صيغة الامر فهو قوله تعالى لا بليس واستغفر من استغفرتهم بموتك وأجلب عليهم بخيلك

ورجلك وقرأ شعبة بعد التوب بالفتح على الجمع والباقون بغير ألف على الأفراد (أنا عاملون) أى على حالتنا التى أمرنا بها زينا (واستظروا) أى ما يهدمكم الشيطان به من الخذلان (أنا منتظرون) أى ما يحل بكم من نعم الله تعالى وعذابه فهو ما نزل على أمثالكم وقيل أنا منتظرون ما وعدنا الرحمن من أنواع الفقران والاحسان ثم انه تعالى ذكر خاتمة شريفة عالية جامعة لكل المطالب الشريفة المقدسة فقال (ولقد غيب السموات والارض) أى علم ما غاب فيها ما فعله سبحانه وتعالى نافذ في جميع مخلوقاته خفيها وجليها (واليه) أى لا الى غيره (يرجع الامر كله) أى اليه يرجع امر الخلق كله في الدنيا والآخرة وقرأ نافع وحفص بضم الياء وفتح الجيم على البناء للمفعول والباقون بفتح الياء وكسر الجيم ولما كان أول درجات السيرة الى الله تعالى عبوديته وآخرها التوكل عليه قال تعالى (فاعبدوه) ولا تشغل بعبادته غيره (وتوكل عليه) أى ثق به في جميع أمورك فانه ككافيك (ومار بك بغافل عما تعملون) فيحفظ على العباد أعمالهم لا يخفى عليه شئ منها فيجزى المحسن باحسانه والمسيء بما ساءه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة * (فائدة) * قال كعب الجبار خاتمة التوراة خاتمة سورة هود وقول اليساوى تعالى ثم يخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوطا وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء حديث موضوع

﴿سورة يوسف عليه السلام مكية كلها﴾
مائة واحدى عشرة آية وعدد كلماتها ألف وتسعمائة وست وتسعون كلمة
وعدد حروفها سبعة آلاف ومائة وستة وسبعون حرفا

(بسم الله) الذى وسع كل شئ قدرة وعلم (الرحمن) لجميع خلقه المئين لهم طريق الهدى (الرحيم) الذى خص حربه بالاعداد عن مواطن الردى وقوله تعالى (الر) تقدم الكلام على أوائل السور أول سورة البقرة وقرأ أورش بالا مالة بين بين وأبو عمرو وابن عامر وشعبة وحمرزة والكسائي بالا مالة محضة والباقون بالفتح واختلف في سبب نزول هذه السورة فعن سعيد بن جبيرة انه قال لما أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يتلوه على قومه فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فترأت هذه السورة فتلاها عليهم فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فترأت الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني فقالوا لو ذكرتنا فترأت ألم بأن الذين آمنوا أن نخشع قلوبهم لذكر الله وعن ابن عباس انه قال سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا احذتنا عن امر يعقوب وولده وشأن يوسف فترأت هذه السورة وقوله تعالى (تلك) إشارة الى آيات هذه السورة أى تلك الآيات التى أنزلت عليك فى هذه السورة المسماة بالر هي (آيات الكتاب) أى القرآن (المبين) أى المبين فيه الهدى والرشد والحلال والحرام المظهر للعق من الباطل الذى ثبت فيه قصص الاولين والآخرين وشرحت فيه أحوال المتقدمين (أنا أنزلناه) أى الكتاب (قرأنا عرسا) أى بلفظة العرب لكى يعلموا معانيه ويفهموا ما فيه روى ان علماء اليهود قالوا

لكبراء المشركين أسأوا محمد الم اتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن كيفية قصة يوسف
فأنزل الله تعالى هذه الآية وذكر فيها أنه تعالى عبر عن هذه القصة بألفاظ عربية ليعلموا من
فهمها والتقدير أنا أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف حال كونه قرأنا غير بيان رسمي بعض
القرآن قرأنا الآن القرآن اسم جنس يقع على الكل والبعض (أعلمكم) يا أهل مكة (تقولون) أي
أراد أن تفهموا وتحيطوا بمعانيه ولا يلبس عليكم ولوجعلناه قرأنا أن نجعلها لقاولوا لفصلت
آياته واختلف العلماء هل في القرآن شيء غير العربية فقال أبو عبيدة من زعم أن في القرآن
لساناً غير العربية فقد أعظم على الله القول واحتج بهذه الآية أنا أنزلناه قرأنا غير بيان وروى عن
ابن عباس ومجاهد وعكرمة أن فيه من غير لسان العرب من سهيل ومشكاة واليم واستبرق
وجع بعض المفسرين بين القولين بأن هذه الألفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت على ألسنتهم
صارَت عربية فصيحة وإن كانت غير عربية في الأصل لكنهم لما تكلموا بها نسبت إليهم
وصارت لهم لغة وهو جمع حسن (نحن نقص عليك أحسن القصص) أي أحسن الاقتصاص
لأنه اقتصر على أروع الأساليب والقصص اتباع الخبر بعضه بعضاً وأصله في اللغة من قص الاثر
إذا تمعه وانما سميت الحكاية قصة لأن الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئاً فشيئاً والمعنى
أننا سنذكر يا محمد أخبار الأمام السالفة والقرون الماضية أحسن البيان أو قصة يوسف عليه
السلام خاصة وسميها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والقوائد التي تصلح
للدين والدنيا وما فيها من سير الملوك والممالك والغلبان ومكر النساء والصبر على أذى الأعداء
وحسن التجاوز عنهم بعد اللقاء وغير ذلك قال خالد بن معدان في سورة يوسف ومريم يتفكك فيهما
أهل الجنة في الجنة وقال ابن عطاء لا يسمع سورة يوسف محزون الاستراح اليها (بما) أي بسبب
ما (أو حيناً) أي بإيجائنا (اليك) يا محمد (هذا القرآن) الذي قالوا فيه أنه مفترى فحن تنابع
القصص القصة بعد القصة حتى لا يشك شاك ولا يتبرى عمرته من عند الله (وإن كنت من
قبله) أي إيجائنا اليك وهذا القرآن (لن الغافلين) أي عن قصة يوسف وأخوته لأنه صلى الله
عليه وسلم إنما علم ذلك بالوحى وقيل لمن الغافلين عن الدين والشريعة وإن هي الخففة من
الثقل - له واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وقوله تعالى (اذ قال يوسف لأبيه) بدل من
أحسن القصص أو منصوب باضمار اذكر يوسف اسم عبري وقيل عربي ورد بأنه لو كان
عربياً لصرف وسئل أبو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الأسف في اللغة الحزن والأسف العبد
واجتمع في يوسف فسمي به وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الكريم ابن
الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم وقوله (يا أبا) أصله
يا أي فغرض من الباء التأنيث لتساوئهما في الزيادة ولذلك قلبها ابن كثير وابن عامرهما في
الوقف ووقف الباقون بالباء كالرسم وفي الوصل بالياء للجميع وفتح التاء في الوصل ابن عامر
وكسرها الباقون (الذي رأيت) أحد عشر كوكباً والشمس والقمر) قال أهل التفسير رأى يوسف
عليه الصلاة والسلام في منامه وكان ابن اثني عشر سنة وقيل سبع عشرة وقيل سبع سنين

لسيلة الجمعة وكانت ليلة القدر كان أحد عشر كوكبا نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر
فسجدوا له وفسروا الكواكب باخوته وكانوا أحد عشر يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم
والشمس والقمر رأيه وأتمه يجعل الشمس للام لانها موثقة والقمر للاب لانه مذكروا الذي رواه
البضاوي بعالم الكشاف عن جابر من أن يهوديا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أخبرني عن النجوم
التي رآه ن يوسف فأخبره بأسمائها فقال اليهودي اى والله انها الاسماؤها قال ابن الجوزي
انه موضوع وقوله (رأيتهم لى ساجدين) استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرر
لان الرؤية الاولى تدل على أنه شاهد الكواكب والشمس والقمر والثانية تدل على انه شاهد
كونها ساجدة له وقال بعضهم انه لما قال انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر قبله
كيف رأيت قال رأيتهم لى ساجدين وقال آخرون يجوز أن يكون أحد هما من الرؤية
والآخر من الرؤيا وهذا القائل لم يبين أن أيهما يعمل على الرؤية وأيها يعمل على الرؤيا
قال الرازى فذكر قولنا بجملا غير مبين (فان قيل) قوله رأيتهم وقوله ساجدين لا يليق
الابالعلاء والكواكب جمادات فكيف جاءت اللفظة المخصوصة بالعلاء في حق الجمادات
(أجيب) بأنها لما وصفت بالسجود صارت كأنها تعقل وأخبر عنها كما أخبر عن يعقل كما قال
تعالى في صفة الاصنام وتراهم يتظنون اليك وهم لا يصرون وكفى قوله تعالى يا أيها النمل
ادخلوا مساكنكم (فان قيل) لم أفرد الشمس والقمر بالذكر مع أنهم من جملة الكواكب
(أجيب) بأنه أفردهما للفضل لهما وشر فهما على سائر الكواكب كقوله تعالى وملائكته
وجبريل وميكال وهل المراد بالسجود نفس السجود حقيقة أو التواضع كلاهما محتمل
والاصل في الكلام جملة على الحقيقة قال أهل التفسير ان يعقوب عليه السلام كان شديد
الحب ليوסף عليه السلام فحسده اخوته لهذا السبب وظهروا ذلك ليعقوب فلما رأى يوسف
هذه الرؤيا وكان تأويلها أن أبويه واخوته يخضعون له وخاف عليه حسدهم وبغيتهم
(قال) له أبوه (يا بني) بصيغة التصغير للشفقة أو لصغر سنه على ما تقدم وقرأ حفص
في الوصل بفتح الباء والباقون بالكسر والتشديد للجمع (لأن قصص رؤياك على اخوتك)
أى لا تخبرهم برؤياك فانهم يعرفون تأويلها (فيكذبوا لك كيدا) أى فيصنأوا في هلاكك
(فان قيل) لم يقل فيكذبوا كما قال فيكذبوني (أجيب) بأن هذه اللام تأكيده للصلة كقوله
لرؤيا تعبرون وكقوله نعمتكم ونصحتك وشكوتك وشكوتك وقيل صلته كقوله لربهم
يرهبون (ان الشيطان للانسان عدو مبين) أى ظاهر العداوة كما فعل بالدم وحواء فلا يألو
جهدا فى تسويلهم وانارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وعن أبي قتادة قال كنت
أرى الرؤيا فآذ أرى أحدكم ما يحبه فلا يتحدث به الا من يحب واذا رأى ما يكره فلا يحدث به
وليقتل عن يساره ثلاثا وايتعدوا لله من الشيطان الرجيم وشرها فانها لا تضره وعن أبي
سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فانها من

الله فليحمد الله عليها وليحدث بها واذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان
 فليستهذه بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لاتضره وعن أبي رزين العقيلي أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءا من النبوة وهي على رجل طائر
 ما لم يحدث بها فاذا حدثت بها سقطت قال وأحسبه قال ولا يحدث بها الا ليبياً أو حبيبا
 وانما أضيفت الرؤيا المحبوبة الى الله اضافة تشريف بخلاف الرؤيا المكروهة وان كانتا جميعا
 من خلق الله تعالى وتدبيره وارادته ولا فعل للشيطان فيهما ولكنه يحضر المكروهة ويرتضيها
 فيستحب اذا رأى الشخص في منامه ما يحب أن يحدث به من يحب واذا رأى ما يكره فلا
 يحدث به وليستعوذ بالله من الشيطان الرجيم من شرها وليستقل ثلاثا وليتحول عن جنبه الآخر
 فانما لاتضره فان الله تعالى جعل هذه الاسباب سببا لسلامته من المكروه كما جعل الصدقة
 سببا لوقاية المال قال الحكماء ان الرؤيا الرديئة يظهر تعبيرها عن قريب والرؤيا الجيدة انما
 يظهر تعبيرها بعد حين قالوا والسبب فيه ان رجة الله تعالى تقتضي أن لا يحصل الاعلام بوصول
 الشر الا عند قريب وصوله حتى يكون الحزن والغم أقل وأما الاعلام بالتغير فانه يحصل
 متقدما على ظهوره زمن طويل حتى تكون البهجة الحاصلة بسبب توقع حصول ذلك الخير
 أكثر وأتم ولهذا لم تظهر رؤيا يوسف عليه السلام الا بعد أربعين سنة وهو قول أكثر المفسرين
 وقال الحسن البصري كان بينهم اثناون سنة حتى اجتمع على ابيه واخوته وخر والهسا جدين
 (وكذلك) أي وكما اجتنبك ذلك للاطلاع على هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكال
 نفس (بجنتيك) أي يختار لك ويصطفيك (وبك) بالدرجات العالية واجتباء الله تخصيصه بفيض
 الهي يحصل منه أنواع الامرات بلاسي من العبد وذلك مخصوص بالانبياء وبعض من
 يقاربهم من الصديقين والشهداء والصالحين وقوله (وبعلمك) كلام مستأنف خارج عن التشبيه
 والتقدير وهو بعلمك (من) أي بعض (تأويل الاحاديث) من تأويل الرؤيا وغيرها من
 كتب الله تعالى والاعخبار المروية عن الانبياء المتقدمين وكان يوسف عليه السلام في تعبير الرؤيا
 وغيرها غاية التأويل ما تؤول اليه عاقبة الامر (ويتم نعمته عليك) بالنبوة قال ابن عباس لان
 منصب النبوة أي ومع الرسالة أعلى من جميع المناصب وكل الخلق دون درجة الانبياء فهذا
 من تمام النعمة عليهم لان جميع مناصب الخلق دون منصب الرسالة والنبوة فالكمال المطلق
 والتمام المطلق في حق البشر ليس الا النبوة والرسالة وقيل يجتبيك بالنبوة ويتم نعمته عليك
 بسعادات الدنيا وسعادات الآخرة أما سعادات الدنيا فالاعمال الكثيرة من الاولاد والخدم والاباع
 والتوسع في المال والجاه والاجلال في قلوب الخلق وحسن الشناء والحمد وأما سعادات الآخرة
 فالعلوم الكثيرة والاخلاق الفاضلة والاستغراق في معرفة الله تعالى (وعلى آل يعقوب) أي
 أولاده وهذا يقتضي حصول تمام النعمة لآل يعقوب وتمام النعمة هو النبوة والرسالة كما مر
 فلزم حصولها لآل يعقوب وأيضا ان يوسف عليه السلام قال اني رأيت أحد عشر كوكبا وكان
 تأويله أحد عشر نسلا لهم فضل وكال ويستضيء بعلومهم ودينهم أهل الارض لانه لاشئ أضوأ

من الكواكب وبها انتهى وذلك يقتضى أن تكون جهلة أولاد يعقوب أنبياء ورسل (فان قيل)
 كيف يجوز أن يكونوا أنبياء وقد أقدموا على ما أقدموا عليه في حق يوسف عليه السلام
 (أجيب) بأن ذلك وقع منهم قبل النبوة والعصمة من المعاصي انما تعتبر بعد النبوة لاقبلها على
 خلاف فيه (كما اتجه على أبيك) بالنبوة والرسالة وقيل انعام النعمة على ابراهيم عليه السلام
 خلاصه من النار واتخاذ خلد لاوعلى اسحق خلاصه من الذبح وقد اؤده بذبح عظيم على قول ان
 اسحق هو الذبح (من قبل) أى من قبل هذا الزمان وقوله (ابراهيم واسحق) عطف بيان
 لابيوك ثم ان يعقوب عليه السلام لما وعده بهذه الدرجات الثلاثة ختم الكلام بقوله (ان ربك
 عليم) أى بليغ العلم (حكيم) أى بليغ الحكمة وهى وضع الاشياء فى أئقن مواضعها (لقد كان
 فى) خبر (يوسف واخوته) وهم أحد عشر يهوذا وروبل وشمعون ولاوى وزبولون
 قال البقاعى بزى وبام موحدة وبشجر وأتمهم ليان بنت ليمان وهى ابنة خال يعقوب وولده
 من سريتين احدهما زنى والاخرى بلقم كذا قاله البغوى وقال الرازى والاخرى بلهمة
 أربعة اولاد واسماءهم دان ونفثالى قال البقاعى بنون مفتوحة وفام سا كنة ومنثاة نفوقية
 ولا م بعد هاء و جاد وأشر ثم قوت لما فتزوج باختيار ارحيل فولدت له يوسف وبنيامين وقيل
 جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ (آيات) أى علامات ودلائل على قدرة الله تعالى وحكمته
 فى كل شئ (للسائلين) عن قصصهم قال الرازى ولين لم يسأل عنهم وهو كقوله تعالى فى أربعة أيام
 سواء للسائلين وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أن اليهود سألوه عن قصة يوسف
 وقيل سألوه عن سبب انتقال ولاد يعقوب من أرض كنعان الى أرض مصر فذكر لهم قصة يوسف
 فوجدوها موافقة لما فى التوراة فحجبوا منه فكان دلالته على نبوته صلى الله عليه وسلم لانه
 لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يجالس العلماء وأصحاب الاخبار ولم يأخذ عنهم شيئا فدل ذلك على
 أن ما أتى به وحى سماوى أو جاءه الله تعالى اليه وعرفه به وهذه السورة تشتمل على أنواع من
 العبر والمواعظ والحكم منها رؤيا يوسف عليه السلام وما حقق الله تعالى فيها من حسد اخواته
 وما آل اليه أمر من الملك ومنها ما اشقل على حزن يعقوب ومبره على فقد ولده و آل اليه
 أمر من بلوغ المراد وغير ذلك من الآيات التى اذا فكر فيها الانسان اعتبر وقرأ ابن كثير آية
 على التوحيد والباقيون على الجمع (اذ) أى واذا كراذ (قالوا) أى بعض اخوة يوسف لبعض
 بعد أن بلغتهم الرؤيا وقالوا ما رضى أن نسجد له اخرته حتى يسجد له أبواه (ليوسف واخوه)
 أى بنيامين (أحب الى أيتامنا) اللام لام الابتداء وفيها تأكيده وتحقيق لمضون الجملة أرادوا
 ان زيادة محبة لهما أمر ثابت لاشبهه فيه وخبر المبتدأ أحب ووجدلان أفعل يستوى
 فيه الواحد وما فوقه مذكرا كان أو مؤنثا اذ لم يعرف أو لم يصف وقيل اللام لام قسم تقديره
 والله ليوسف وانما قالوا أو اخوه وهم جميعا اخوته لأن أمتها كانت واحدة والواو فى قولهم
 (فحن عصبه) واو الحال أى يفضلهما فى المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما
 ولا منفعة ونحن جماعة أقوياء نقوم بعراقه فحن أحق بزيادة المحبة منهما الفضلنا بالصكرثرة

والمنفعة عليهما والفصبة والعصابة العشرة فافوقها وقيل الى الاربعين سمو بذلك لانهم
 جماعة تعصب بهم الامور ويستكني بهم النوائب (ان ابا ناني ضلال) أي خطا (مبين)
 أي بين في اشارة حب يوسف وأخيه عليهما والقرب المحقق في اللعب في كلنا واحد لاننا في النبوة
 سواء ولنا حزية تقتضي تفضيلنا وهي انا عصابة لنا من النفع له والذب عنه والكفاية
 ما ليس لهما • (تنبيه) • ههنا سؤالات • الاول ان من المعلوم ان تفضيل بعض الاولاد على
 بعض يورث الحقد والحسد فلم أقدم يعقوب عليه السلام على ذلك (أجيب) بأنه انما فضلها
 في المحبة والهمة ليست في وسع البشر فكان معذورا فيها ولا يلحقه في ذلك لوم • الثاني كيف
 اعترضوا على أيهم وهم يعلمون انه نبي وهم مؤمنون به وأجيب بانهم وان كانوا
 مؤمنين بقبولته لكن جوزوا أن يكون فعله باجتهاد ثم ان اجتهادهم أدى الى تخطئة أيهم
 في ذلك الاجتهاد لكونهم أكبر سنا وأكثر نفعا وغاب عنهم ان تخصيصهما بالبر كان لوجوه
 أحدها أن أمهما ماتت نائيهما أنه كان في يوسف من آثار الرشد والنجابة ما لم يجده في سائر
 أولاده نالها أنه وان كان صغيرا إلا أنه كان يخدم أباه بأنواع من الخدمة أعلى وأشرف
 مما كان يصدر عن سائر أولاده والحاصل أن هذه المسئلة كانت اجتهادية وكانت مخلوطة بميل
 النفس وموجبات الفطرة فلا يلزم من وقوع الاختلاف فيها طعن أحد الخصمين في دين الآخر
 الثالث أنهم نسبوا أباهم الى الضلال عن رعاية مصالح الدنيا والبعد عن طريق الرشد لا الضلال
 في الدين • الرابع أن قولهم ليموسف وأخوه أحب الى أينا منا محض حسد والحسد من أمهات
 الكثر لا سماء وقد أقدموا بسبب ذلك الحسد على أمور مذمومة منها قولهم (اقتلوا يوسف
 أو اطرحوه أرضا) أي بصحت يحصل اليأس من اجتماعه بأبيه ومنها القاؤه في ذل العبودية
 ومنها أنهم أبقوا أباهم في الحزن الدائم والاسف العظيم ومنها اقدمهم على الكذب وكل ذلك
 يقدح في العصمة والنبوة (أجيب) بما تقدم أن ذلك كان قبل النبوة وقرأ نافع وابن كثير
 وهشام والكسائي بضم التنوين من مبين في الوصل والباقون بالكسر فان وقف القارئ على
 مبين وامتنع في الابداء يتبدى بالضم للجميع وقولهم (يحل لكم وجه أيكم) جواب الامر
 أي يصف لكم وجه أيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا يشارككم في محبته
 أحد وقولهم (وتكولوا) مجزوم بالعطف على يحل لكم أو منصوب باضمار ان (من بعده)
 أي قتل يوسف وأطرحه (قوما صالحين) بأن تتوبوا الى الله تعالى بعد فعلكم فانه يرفع عنكم
 وقال مقاتل يصلح أمركم فيما بينكم وبين أيكم (قال قاتل منهم) هو يهودا وكان أحسنهم رأيا فيه
 وهو الذي قال فلن أبرح الارض وقيل رويل وكان أكبرهم سنا (لا تقتلوا يوسف وألقوه)
 أي اطرحوه (في غيابة الحب) أي في أسفله وظلمته والغبابة كل موضع ستره وأغيبه عن النظر
 قال القائل فان أبا يوما غيتني غيابتني • فسير وابسرى في العشرة والاهل
 أراد غيابة حفرة التي يدفن فيها والحب البئر الكبيرة التي ليست مطوية سميت جبلا لأنها قطعت
 قطعاً لم يحصل فيها شيء غير القطع من طين أو ما أشبهه وانما ذكر الغيابة مع الحب دلالة على

أن المشير أشار بطرحه في موضع مظلم من الجلب لا يلحقه نظر الناظرين قال بعض أهل العلم أنهم
 عزموا على قتله وعصمه الله تعالى رجة بهم ولو فعلوا لهلكوا أجمعين واختلف في موضع ذلك
 الجلب فنقل قتادة هويت المقدس وقال وهب هو بأرض الاردن وقال مقاتل هو على ثلاثة
 فراعص من منزل يعقوب وقرأ نافع بألف بين الباء والتاء على الجمع والباقون بغير ألف على
 التوحيد (يلتقطه) أي يأخذه (بعض السيارة) جمع سيار أو أي المبالغ في السير وذلك الجلب
 كان معروفاً رده عليه كثير من المسافرين فاذا أخذه ذهبوا به إلى ناحية أخرى فاستريح منه
 (أن كنتم فاعلين) أي ما أردتم من التفريق فاكنفوا بذلك ولما أجمعوا على التفريق بين
 يوسف وأبيه بضرب من الحيل (قالوا) اعمال التحيلة في الوصول إليه مستفهمين على وجه
 التعجب لانه كان أحسن منهم السوء فكان يحذره هم عليه (يأبأ بآمالك) لا تأمناعلي يوسف
 (و) الحال (أنا للناصحون) أي فاثمون بعصيته وحفظه * (تنبيه) * اتفق القراء على اخفاء
 النون الساكنة عند النون المتحركة واتفقوا أيضاً على ادغامها مع الاشمام (أرسله معنا غداً)
 أي إلى الصحراء (ترزع) أي تسرع في أكل القواكه ونحوها وأصل الرزع أكل البهائم
 في الخصب في زمن الربيع ويستعار للانسان اذا أريد به الاكل الكثير (وتلعب) روى
 أنه قيل لابي عمرو كيف يقولون تلعب وهم أنبياء فقال لم يكونوا يومئذ أنبياء وأيضاً جاز أن يكون
 المراد باللعب الاندام على المباحات لأجل انشراح الصدر كما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال
 لجابر فها لكرا تلاعبها وتلاعبك وأيضاً كان لعهم الاستباق والاتصال والقرض منه
 المحاربة والمقاتلة مع الكفار والدليل عليه قولهم انا ذهبنا نستبق وانما سمعوه لعباً لانه
 في صورته وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالنون فيهما والباقون بالياء وسكن العين
 أبو عمرو وابن عامر وعاصم وحركة والكسائي وكسرهما الباقيون في الوصول وقيل وجه آخر
 وهو أنه ثبت الياء في ترزع بعد العين وقفوا وصلوا (وأنا للناشطون) أي يلعبون في الحفظه
 حتى نرذه اليك سالماً قال أبو حيان واتصب غداً على الطرف وهو ظرف مستقبل يطلق
 على اليوم الذي يلي يومك وعلى الزمن المستقبل من غير تقييد وأصل غداً غداً وخذفت الواو
 انتهى ثم إن يعقوب عليه السلام اعتذر لهم بعذرين الأول ما حكاه الله تعالى عنه بقوله (قال
 أتني ليجزني أن تذهبوا به) أي ذهابكم به والحزن هنا ألم القلب بفراق المحبوب لانه كان
 لا يقدر أن يصبر عنه ساعة وقرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي والباقون بفتح الياء وضم الزاي
 والثاني قوله (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) بالرفع واللعب أو قلعه اقامكم به
 وكان يعقوب عليه السلام رأى في النوم أن الذئب شدة على يوسف فكان يحذره في أجل هذا
 ذكر ذلك وكأنه لقنهم العلة وفي أمثال العرب البلاء موكل بالمنطق والمراد به الجفسي وكانت
 أرضهم كثيرة الذئاب (قالوا) يجيبين عن الثاني بما يلين الابل لارساله مؤكدين لتطيب خاطرهم
 دالين على القسم بلامه (لئن أكله الذئب ونحن) أي والحال أنا (عصبة) أي جماعة عشرة
 رجال يمثلهم تعصب الامور وتكفي الخطوب وأجابوا عن القسم بما أغنى عن جواب الشرط

بقولهم (أفأذا) أي إذا كان هذا (الخاسرون) أي كاملون في الخسارة لا فائدة أصعبنا أختانا
فخص المساواة من أموالنا أشد تضييعا وأعرضوا عن جواب الاقل لأن حقدهم وغيفهم
كان بسبب العذر الاول وهو شدة حبه له فلما سمعوا ذلك المعنى تغافلوا عنه وأقله أن يقولوا
ما وجه الشرح بفرقه يوما والسماح بفراننا كل يوم وقرأ الذيب ورش والسومى والكسافى
بإبدال الهمزة ياء وقفا وصلوا وجزء وقفا وصلوا والباقون بالهمزة وقفا وصلوا وقوله تعالى
(فلما ذهبوا به) فيه اضمحار واختصار تقديره فأرسله معهم فلما ذهبوا به (وأجمعوا أن يجعلوه
في غيابة الحب) أي وعزموا على القائه فيها ولا بد من تقدير جواب وهو جعلوه فيه او حذف
الجواب في القرآن كثير بشرط أن يكون المذكور دليلا عليه وهنا كذلك قال وهب وغيره
من أهل السير والخبار أن اخوة يوسف قالوا له ما تشناق أن تخرج معنا الى مواشينا فتصيد
وتسبى قال بلى قالوا فاسأل أباك أن يرسل معنا قال يوسف أقبل فدخلوا جميعا على أبيهم
وقالوا يا أبانا إن يوسف قد أحب أن يخرج معنا الى مواشينا فقال يعقوب ما تقول يا بني قال
نعم يا أبت انى أرى من اخوتي اللين والطف فأحب أن تأذن لي وكان يعقوب عليه الصلاة
والسلام يكره مفارقتهم ويحب مرضاهم فأذن له فأرسله معهم فلما خرجوا به من عند أبيهم جعلوا
يحملونه على رقابهم وأبوهم ينظر اليهم فلما بعدوا عنه وصاروا الى العصراء أقوم على الارض
وأظلموا له ما في أنفسهم من العداوة وأغلظوا له القول وجعلوا يضربونه فجعلوا كلما جاء الى
واحد منهم واستغاث به يضربه فلم ير منهم رجما فضر به حتى كادوا يقتلوه وهو يصيح يا بني
ويا يعقوب لو رأيت يوسف وما نزل به من اخوته لأحزنك ذلك وأبكاك يا بني ما أسرع ما نسوا
عهده وجعل يكي بكاء شديدا فأخذه رويل فجلبه الى الارض ثم جلس على صدره وأراد قتله
فقال له مه لا يا بني لا تقتلني فقال له يا ابن راحيل أنت صاحب الاحلام الكاذبة قل لروياك
تخلصك من أيدينا ولوى عنقه فاستغاث يوسف بيهودا وقال له اتق الله في وحل بيني وبين
من يريد قتلي فأدركته رجمة ورقة فقال له يودا يا اخوتاه ما على هذا عاهدتوني فانظروا به
الى الحب لمطرحوه فيه فجأوه به على يتر على غير الطريق واسع الاسفل ضيق الرأس فجعلوا
يدلونه في البئر فبثعوا بشعر البئر فبطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قصي
أستتر به في الحب فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتونسك فقال انى لم أر
شيا فألقوه فيها وكان في البئر ماء فقط فيه ثم أوى الى حفرة كانت في البئر فقام عليها فنادوه
فظن أنها رجمة أدركته فأجابهم فأرادوا أن يرضفوه بصخرة ليقتلوه فنعهم يهودا من ذلك وكان
يهودا يأتيه بالطعام ويبقى فيها ثلاث ليال (وأوحينا اليه) في الحب في صغره وهو ابن سبع
عشرة سنة أو دونها كما أوحى الى يحيى وعيسى عليهما السلام في صغرهما وفي القصص أن
ابراهيم عليه السلام حين ألقى في النار جرد عن ثيابه فأناه جبريل عليه السلام بقصميه من
حر الجنة فألبسه اياه ودفعه ابراهيم عليه السلام الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعل يعقوب
في عمه عليهما يوسف فأخرجها جبريل وألبسه اياها (لتنبتهم) أي لتضربهم بعد هذا اليوم

(يأمرهم) أي بصنعهم (هذاهم لا يشعرون) أي أنك يوسف لعلوا شاك وبعدهم
 أو هامهم وطول العهد المغير للهيئات كما قال تعالى فعرّفهم وهم له منكرون والمقصود من ذلك
 تقوية قلبه وأنه سيخلص عما هو فيه من الخنة ويصير مستولياً عليهم ويصبرون تحت أمره
 ونبيه وقهره روى أنهم لما دخلوا عليه لطلب الخنطة عرفهم وهم له منكرون ودعاب الصواع
 فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجمام انه كان لكم أخ من أبيكم يقال له
 يوسف فطرحوه وقتلهم لايبكم أكله الذئب وقيل لايشعرون بأبيهم الذي أنت في التبرأ منك
 ستخبرهم بصنيعهم هذا والفائدة في اخفاء ذلك الوحي عنهم انهم لو عرفوه ربما ازداد حسدهم
 وكانوا يقصدون قتله وقيل ان المراد من هذا الوحي الالهام كما في قوله تعالى وأوحينا إلى أم
 موسى وقوله تعالى وأوحى ربك إلى النحل (و) لما كان من المعلوم أنه ليس بعد هذا الفعل
 الذي فعلوه الا الاعتذار (جاءوا أباهم) دون يوسف (عشاء) في ظلة الليل لئلا يتفرس أبوه
 في وجوههم اذ أراهم في ضياء النهار ضده ما جأوا به من الاعتذار وقد قبل لان طلب
 الحاجة في الليل فان الحياة في العيين ولا تغذو بالنهار من ذنب فتطلب في الاعتذار
 (يكون) والبكاء جريان الدمع من العين والآية تدل على أنه لا يدل على الصدق لاحتمال
 التصنع روى ان أمراً حاكمت الى شريح فبكت فقال الشعبي يا أبا أمية أما تراها تبكي
 فقال قد جاء أخوة يوسف يكون وهم ظلمة كذبة لا ينبغي للانسان أن يقضي الا بالحق فعند
 ذلك فزع يعقوب عليه السلام فقال هل أصابكم في غمكم شيء قالوا لا قال فاعمل يوسف (قالوا)
 يا أبانا انا ذهبننا سبق قال الزجاج يسابق بعضنا بعضاً في الرى ومنه قوله عليه الصلاة والسلام
 لا سبق الا في خوف أو فضل أو حافر يعني بالفضل الرى وقيل العدو ولتنبين أين أسرع عدوا
 (وترك يوسف) أخانا (عند متاعنا) أي ما كان معنا من محتاج اليه في ذلك الوقت من ثياب
 وزاد ونحو ذلك (فأكله) أي فتسبب عن انفراد أن أكله (الذئب وما) أي والحال انك ما
 (أنت بمؤمن) أي بمصدق لما علموا أنه لا يصدقهم بغير أماره (لناولو كأصادقين) في هذه القصة
 لمحبة يوسف عند فكيف وأنت تسمى الظن بنا وقيل لا تصدقنا لأنه لا دليل لنا على صدقنا
 وان كأصادقين عند الله تعالى (و) لما علموا أنه لا يصدقهم بغير أماره (جاءوا على قبضه) أي يوسف
 عليه السلام (بدم كذب) قال القراء أي مكذب فيه لأنه وصفه بالمصدق على تقدير ذى كذب أو
 مكذب أطلق على المصدر بمبالغة لأنه غير مطابق للواقع لانهم ادعوا أنه دم يوسف عليه السلام
 والواقع أنه دم صخرة ذبحوها ولطخوا القميص بذلك الدم قال القاضي ولعل غرضهم
 في نزع قبضه عند القائه في غيابة الجب أن يفعلوا هذا لئلا يصدقهم اذ بعد أن يفعلوا
 ذلك طمأنى نفس القاصص ولا بد في المعصية من أن يقترب بها الخذلان فلو خرقوه مع الخنة
 بالدم لكان الاتهام أقوى فلما شاهد يعقوب عليه السلام القميص صحى علم كذبهم
 روى أن يعقوب عليه السلام أخذ القميص منهم وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه
 بدم القميص وقال تالله ما رأيت كالدم مذنباً أحلم من هذا كل اخي ولم يمزق قبضه (تنبيه)

على قيصه محله النصب على الطرقيه كأنه قيل وجازا فوق قيصه بدم كما تقول جاء على جماله باجماله ولا يصح أن يكون حالا متقدمة لأن حال الجرور لا يتقدم عليه قال الشعبي قصة يوسف كماها في قيصه وذلك أنهم لما ألقوه في الحب نزعوا قيصه ولطخوه بالدم وعرضوه على أبيه ولما شهد الشاهد قال ان كان قيصه قد من قبل ولما أتى بقيصه الى يعقوب وألنى على وجهه ارتد بصيرا ثم ذكر تعالى ان اخوة يوسف لما ذكروا ذلك الكلام واحتجوا على صدقهم بالقبيص المطبخ بالدم (قال يعقوب عليه السلام) (بل سولت) أي زينت (لكم أنفسكم أمرا) ففعلتموه واختلف في السبب الذي عرف به كونهم كاذبين على وجوه الاول أنه كان يعرف الحسد الشديد في قلوبهم الثاني كان عالما بأنه حى لأنه عليه السلام قال ليوسف وكذلك يحتمل ذلك دليل على كذبهم في ذلك القول الثالث أنه لما رأى قيصه صحيحا قال كذبتم لوأكله الذئب لخرق ثوبه وقيل أنه لما قال ذلك قال بعضهم بل قتله للصمصاء فقال كيف قتلوه وتركوأقيسه وهم الى قيصه أخرج منهم الى قتله فلما اختلفت أقوالهم عرف بسبب ذلك كذبهم وقوله (فصبر جميل) مرفوع بالابتداء لكونه موصوفا وخبره محذوف والتقدير فصبر جميل أولى من الجزع ومنهم من أضمر ابتداء قال الخليل الذي أفعله صبر جميل وقال قطرب معناه فصبري صبر جميل وقال القراء فهو صبر جميل وعن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الصبر الجليل فقال صبر لا شكوى فيه فنزل لم يصبر كما قال يعقوب انما أشكوا بني وحزني الى الله وقال بجاهد فصبر جميل من غير جزع وقال النوري ان من الصبر ان لا تحدث بوجعك ولا بصيبك ولا تذكى نفسك وروى ان يعقوب عليه السلام كان قد سقط حاجباه وكان يرفعهما بخرقة فقبل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فأوحى الله تعالى اليه يا يعقوب أتشكوى فقال يارب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها في قصة الافك أنها قالت والله لئن حلفت لاتصدقوني ولئن اعتذرت لاتعذرروني فغلب ومثلكم كمثل يعقوب وولده والله المستعان على ما تصفون فأنزل الله تعالى في عذرهما ما أنزل وقوله فصبر جميل يدل على أن الصبر على قهين قديكون جميلا وقد يكون غير جميل فالصبر الجميل أن يتكسفه ان هذا البلاء من الحق فاستغراقه في شهود نور الملبى بتمعه من الاشتغال بالشكايه من البلاء ولذلك قيل المحبة القائمة لاتزداد بالوفاء ولا تنقص بالهفاء لانها لو ازدادت بالوفاء لكان المحبوب هو النصيب والحظ وموصل النصيب لا يكون محبوبا بالذات بل بالعرض فهذا هو الصبر الجميل وأما الصبر بالرضا بقضاء الله تعالى بل كان لسايرا لاغراض فذلك الصبر لا يكون جميلا (فان قيل) الصبر على قضاء الله تعالى واجب وأما الصبر على ظلم الظالمين فغير واجب بل الواجب ازالته لاسيما في الضرر العائد الى الغير فلم يصبر بعبودية على ذلك ولم يبالغ في البعث مع شدة وجعته في حضور يوفى ونهايه حبه له وكان من بيت عظيم شريف وكان الناس يعرفونه ويعتقدون فيه (أجيب) بأنه يحتمل أن يكون منع من الطلب بوحى تشديد اللعنة عليه زيادة في أجره وأما لو بالغ في البعث لزمها أقدموا على ايدائه ولم يمكنوه من الطلب والتمنع

فرأى أن الأصوب الصبر والسكوت وتفويض الامر بالكلية الى الله تعالى وقال (والله
 المستعان) أى المطلوب منه العون (على ما تصفون) أى تذكر من أمر يوسف والمعنى أن
 اقدامه على الصبر لا يكون الا بمعونة الله تعالى لأن الدواعى النفسانية تدعوه الى اظهار الجزع
 وهى قوية والدواعى الروحية تدعوه الى الصبر فكان الحاربة وقعت بين الصنفين فلم تحصل
 اعانة الله تعالى لم تحصل الغلبة فقوله فصبر جميل يحجرى محجرى قوله اياك نعبد وقوله والله المستعان
 على ما تصفون يحجرى محجرى قوله اياك نستعين * ولما أراد الله تعالى خلاص يوسف من الحب بين
 سببه بقوله تعالى (وجاءت سيارة) وهم القوم المسافرون * وما بذلك لانهم يسبون فى الارض
 وكانوا رفقة من مدين يريدون مصر فأخطوا الطريق فانطلقوا بهم يومين على غير طريق
 فهبطوا على أرض فيها جاب يوسف وكان الحب فى فقره بعسدة عن العمران أى لم يكن
 الا للراحة روى أن ماءه كان ملهاً فعذب حين ألقي يوسف فيه فلما نزلوا أرسلوا رجلاً يقال له
 مالك بن ذعر لطلب الماء فذلك قوله تعالى (فأرسلوا واردهم) أى الذى يريد الماء ليستقى منه
 والوارد هو الذى يتقدم الرفقة الى الماء فيبهي الارشبة والدلاء (فأدلى) أى أرسل (دلوه) فى
 البئر يقال أدلى الدلو اذا أرسلته فى البئر ودلوتها اذا أخرجتها والدلو معروف والجمع الدلاء
 فلما أرسلها تعاقب بالحبيل يوسف عليه السلام فلما خرج فاذا هو بغلام أحسن ما يكون قال
 صلى الله عليه وسلم أعطى يوسف شطرا الحسن ويقال انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت
 جدته قد أعطيت سدس الحسن قال ابن اسحق ذهب يوسف وأمه ثلثي الحسن وحكى الثعلبي
 عن كعب الاحبار قال كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخيم العينين مستوى الخلق
 أبيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين خيمص البطن صغير السرة وكان
 اذا تبسم رأيت النور من ضواحه واذا تكلم رأيت شعاع النور من شياها لا يستطيع أحد
 وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله وصورة
 قبل أن يصيب الخطيئة فلما رأه مالك بن ذعر (قال يا بشرى هذا غلام) نادى البشرى بشاره
 لنفسه كأنه قال تعالى فهذا أولك وعن الاعشى أنه قال دعا امرأته اسمها بشرى فقال يا بشرى
 وعن السدى أن المدلى نادى صاحبه وكان اسمه بشرى فقال يا بشرى كما قرأه حمزة وعاصم
 والكسائي فانهم قرؤا بحذف الياء بعد الالف والباقون بأثبت الياء وقيل ذهب به فلما دنا من
 أصحابه صاح بذلك وروى أن جدران البئر كانت تسكى على يوسف حين أخرجه منها واختلف
 فى ضمير (وأسرته بضاعة) الى من يعوده وفيه قولان الأول أنه عائذ الى الوارد وأصحابه
 أخفوا من الرفقة أنهم وجدوه بالحب وذلك أنهم قالوا ان قلنا للسيارة التقطناه شاركوا وان
 قلنا اشتريناه سألونا الشركة فالأصوب أن نقول ان أهلا لنا جعلوه بضاعة عندنا على أن يبعه
 لهم بمصر والثانى ونقل عن ابن عباس أنه قال وأسروه يعنى اخوة يوسف أسر راسه وذلك
 أن يهودا كان يأتيه بالطعام كل يوم فلم يجده فى البئر فأخبر اخوته فطلبوه فاذا هم بمالك بن ذعر
 وأصحابه نزول فأتوهم فاذا هم يوسف فقالوا هذ اعبد لنا أبى منا وتابعهم يوسف على ذلك

لانهم قعدوه بالقتل بلسان العبرانية قال الرازي والاول اولى لاق قوله واسرته بضاعة يدل
 على أن المراد أنهم أسروه حال ما حكموا بأنه بضاعة وذلك انما يليق بالوارد لا باخوة يوسف
 * (تنبيه) * البضاعة القطعة من المال تجعل للتجارة من بضعت الشيء اذا قطعت عنه قال الزجاج
 وبضاعة منصوب على الحال كانه قال وأسروه حال ما جعلوا بضاعة ولما جعل تعالى هذا البلاء
 سببا للوصول الى مصر ثم صارت وقائعه الى أن صار ملكا بمصر وحصل ذلك الذي رآه في النوم
 فكان العمل الذي عمله الاعداء في دفعه عن ذلك المطلوب صيره الله تعالى سببا لحصول ذلك
 المطلوب فلهذا المعنى قال تعالى (والله عليم) أي بالغ العلم (بما يعملون) أي لم يحف عليه ما فعلوه
 يوسف وأبيه (وشروه) أي باعوه اذ قد يطلق لفظ الشراء على البيع يقال شريت الشيء بمعنى
 بعته وانما حمل هذا الشراء على البيع لان الضمير في شروه وفي كافوا فيه من الزاهدين يرجع
 الى شيء واحد وذلك ان اخوته زهدوا فيه فباعوه وقيل ان الضمير يعود الى مالك بن زعر
 وأصحابه وعلى هذا يكون لفظ الشراء على يابه وقال محمد بن اسحق ركب أعلم أخوته باعوه
 أم السبارة واختلفوا في معنى قوله تعالى (بئس نجس) فقال الضحاك أي حرام لان غن الحرام
 حرام ويسمى الحرام نجسا لانه نجس البركة وقال ابن مسعود أي زبوف وقال عكرمة أي
 بئس قليل ويدل لهذا قوله تعالى (دراهم معدودة) لانهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان
 أقل من أربعين درهما انما كانوا يأخذون ما دونها اعداها اذا بلغتها وهي أوقية وزونها واختلفوا
 في عدد تلك الدراهم فقال ابن عباس كانت عشرين درهما فاقسموها درهماين درهماين وعلى
 هذا لم يأخذ أخوه بنيامين شقيقه منها شيئا وقال مجاهد كانت اثنين وعشرين درهما وقال
 عكرمة أربعين درهما (وكافوا) أي اخوته (فيه) أي يوسف (من الزاهدين) لانهم لم يعلموا منزله
 عند الله تعالى ومعنى الزهد قلعة الرغبة يقال زهد فلان في كذا اذا لم يرغب فيه وأصله القلعة
 يقال رجل زهيد اذا كان قليل الطمع وقيل كانوا في الثمن من الزاهدين لانهم لم يكن قصدهم
 تحصيل الثمن وانما كان قصدهم تباعد يوسف عن أبيه وقيل الضمير في كانوا للسبارة لانهم
 التقطوه والمثلث للشيء ثم اؤن به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه لاجرم باعوه بأوكس
 الاثمان روى في الاخبار أن مالك بن زعر انطلق هو وأصحابه يوسف وتبعهم اخوته يقولون
 استوثقوا منه لانه أبى فذهبا به حتى أتوا مصر وعرضه مالك على البيع فاشتراه قطفير
 أو اطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من
 العمالقة وقدام يوسف ومات في حياة يوسف فلما بعد قابوس بن مصعب فدعاه يوسف
 الى الاسلام فأبى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة
 واستوزره ربان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله تعالى العلم والحكمة وهو ابن ثلاث
 وثلاثين سنة ووفى وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في أيامه فرعون موسى عاش
 أربع مائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى
 من أولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين ديناراً وزوج نعل وثوبين أي يمين

وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر فدخلوا به السوق بعرضونه للبيع
فترافع الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه ووزنه ذهباً ووزنه فضة ووزنه مسكاً وحريراً وكان وزنه
أربع مائة رطل وكان عمره حينئذ سبع عشرة سنة وقيل ثلاث عشرة سنة فابتاعه قطيفر
من مالك بهذا الثمن فذلك قوله تعالى (وقال الذي اشتراه من مصر لأمراءه) وأسماها زليخا
وقيل راعيل (أكرمى منواه) قال الرازي اعلم ان شيأ من هذه الروايات لم يبدل عليه القرآن
ولم يثبت أيضاً في خبر صحيح وتفسير كتاب الله تعالى لا يتوقف على شيء من هذه الروايات فاللافت
بالعاقلة أن يحترق من ذكرها انتهى ولكن البغوي ذكرها وتبعه على ذلك جماعة من المفسرين
واللام في أمر أنه متعلقة بقال لا باشتراه والمتنوى موضع الإقامة أي اجعلني منزله ومقامه
عندنا كما يما أي حسننا من ضياع دليل قول يوسف انه ربي أحسن منواي والمراد تفقده
بالاحسان وتعهد به بحسن الملكية حتى تكون نفسه طيبة في محبة ناسا كنه في كنفنا قال
المحققون أمر العزيز أمر أنه باكرام مشواه دون اكرام نفسه يدل على أنه كان ينظر اليه على
سبيل الاجلال والتعظيم وهو كما يقال سلام الله على المجلس العالي * ولما أمر باكرام مشواه
على ذلك بأن قال (عسى أن ينفعنا) أي يقوم باصلاح مهماتنا ونبيعه بالربح ان أردنا بيعه
(أو نتخذه ولداً) أي تنبناه وكان حصوا وليس له ولد قال ابن مسعود أقرض الناس ثلاثة العزيز في
يوسف حيث قال لأمراءه أكرمى منواه عسى أن ينفعنا وابنة شعيب حين قالت لا يبهى في موسى
أسناً جره وأبو بكر في عمر حيث استخلفه (وكذلك) أي وكما نجيها من القتل والجلب وعطفنا
عليه قلب العزيز (مكالم يوسف في الارض) أي أرض مصر قال البقاعي التي هي كالارض
كلها لكثرة منافعتها بالملك فيها التمكن من الحكم بالعدل والنبوة وقوله تعالى (ولنعلمه من
تأويل الاحاديث) أي تعبيرا لربنا عطف على مقدرة معلق بمكنا أي لنسكنه أو لوالوا زائدة
(والله غالب على أمره) أي الأمر الذي يريد لانه تعالى فعال لما يريد ولا دافع لقضائه ولا مانع
عن حكمه في أرضه وسمائه وأعلى أمر يوسف أراد اخوته قتله فغلب أمره عليهم وأرادوا أن
يلتقطه بعض السيارة ليندرس اسمه فغلب أمره وظهر اسمه واشتهر ثم باعوه ليكون مملوكا
فغلب الله أمره حتى صار مملوكا وسجدوا بين يديه ثم أرادوا أن يضربوا أباهم ويعطيه وقلبه
حتى يحلوه لهم وجهه فغلب أمره تعالى فأظهره على مكروهم واحتمات عليه أمره العزيز
لتخذه عن نفسه فغلب أمره تعالى فعصمه حتى لم يمسسوه بل هرب منه غاية الهرب ثم بذات
جهدها في اذلاله والقاء التهمة عليه فأبى الله تعالى الاعزاز به وراة أنه ثم أراد يوسف عليه
السلام ذكر الساقية فغلب أمره تعالى فأناشاه ذكره حتى مضى الاجل الذي ضرب به الله تعالى
له وكم من أمر كان في هذه القصة وفي غيرها يرشد الى أنه لا أمر غيره (ولكن أكثر الناس)
وهم الكفار (لا يعقلون) أن الأمر كله بيد الله تعالى أو أن أكثر الناس لا يعقلون ما هو صانع
بيوسف وما يريد منه فمن تأمل في الدنيا وبغائب أحوالها عرف وتيقن ان الأمر كله لله وان قضاء
الله تعالى غالب * ولما بين تعالى أن اخوته أساءوا اليه وصبر على تلك الشدايد والحن ومكنه

في الارض اتبع الامر بتمام النعمة عليه بقوله تعالى (ولما بلغ أشده) أي منتهى شبابه وقوته
 وشده تقول العرب بلغ فلان أشده إذا انتهى منتهاه في شبابه وقوته وهذا اللفظ مستعمل
 في الواحد والجمع يقال بلغ فلان أشده وبلغوا أشدهم وهو ثلاث وثلاثون سنة وقال السدي بلغ
 ثلاثين سنة وقال الضحالك عشرين سنة وقال الكلبي الأشد ما بين ثمانية عشر إلى ثلاثين وقيل
 اقصاه اثنان وستون سنة قال الاطباء ان الانسان يتحدث في أول الامر ويتزايد كل يوم شأفاً
 إلى أن ينتهي إلى غاية الكمال ثم يأخذ في التراجع إلى أن ينتهي إلى العدم والهاق كالقمر (آتياء
 حكماً) أي حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل أو حكمايين الناس (وعلماً) أي علم تأويل الاحاديث وقيل
 المراد بالحكم النبوة والرسالة وتقدم ان قوله تعالى وأوحينا أنه وحى حقيقة قال الرازي فلا
 يبعد أن يقال ان ذلك الوحي اليه في ذلك الوقت لا لاجل بعثته إلى الخلق بل لاجل تقوية قلبه
 وإزالة الحزن عن صدره ولاجل أن يستأنس بحضور جبريل عليه السلام (وكذلك) أي ومثل
 ذلك الجزء الذي جزيناه به (فجزي المحسنين) قال ابن عباس يعني المؤمنين وعنه أيضاً يعني
 المهتدين وقال الضحالك يعني الصابرين على النوائب كما صبر يوسف عليه السلام وعن الحسن
 من أحسن عبادته في شبابه آتاه الله الحكمة في كتابه * ولما أخبر تعالى أن سبب النعمة
 عليه احسانه اتبعه دليله فقال تعالى (وراودته التي هو في بيتها) أي امرأة العزيز راودت يوسف
 (عن نفسه) لان الماراة في غاية الحسن والجمال طمعت فيه ويقال ان زوجها كان عاجزاً
 والمرادة مفاعلة من راوود اذا جاء وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه أي فعلت ما يفعل
 المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرج منه من يده يحتمل أن يغلبه عليه ويأخذه منه وهو
 عبارة عن التعليل لمواقفه اياها (وغلقت الابواب) أي أطبقته واكثت سبعة والتشديد للتكثير
 أولمبالغة في الايقان لأن مثل هذا الفعل لا يكون الا في ستر وخفية لاسيما اذا كان حراماً ومع
 قيام الخوف الشديد (وقالت) له (هيت) أي تهبأت وقصعت (لك) خاصة فاقبل إلى وامتنل
 أمرى قال الواحدى هيت لك اسم للفعل نحو رويدوصه ومه ومعناه هلم في قول جميع أهل اللغة
 وقرأ نافع وابن عامر بكسر الهاء والباقون بالفتح وقرأ هشام بعد الهاء بهمزة ساكنة والباقون
 بياء ساكنة وقرأ ابن كثير بضم * التاء وفحها والباقون بالفتح (قال) اي يوسف عليه السلام (معاذ
 الله) أي أعوذ بالله واعتصم به وألجأ اليه مما تدعني اليه (انه) أي الذي اشتراني (ربى) أي
 سيدي (أحسن متواي) أي أكرم منزلي فلا أخونه في أهله وقيل انه أي الله ربى أحسن متواي
 أي آوأي ومن بلاه الحب أنجاني (انه لا يفلح الظالمون) أي ان فعلت هذه القلة فأنا ظالم ولا يفلح
 الظالمون (ولقد همت به وهم بها) أي قصدت مخالطته وقصدت مخالطتها والهيم بالشيء قصده
 والعزم عليه ومنه الهام وهو الذي اذا هم بشئ أمضاه والمراد به متهمة ميل الطبع ومنازعة
 الشهوة لا الفصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر
 الجزيل من الله تعالى من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهيم ولهذا قال بعض أهل
 الحقائق الهيم قسمان هيم ثابت وهو اذا كان معه عزم وعقد ورضاً مثل هيم امرأة العزيز

فالعبد مأخوذ به وهم عارض وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم
 يوسف عليه السلام والعبد غير مأخوذ به مالم يتكلم أو يعمل كما روى عن أبي هريرة رضي الله
 تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل اذا تحدثت عبدى بأن يعمل حسنة فأنا
 أكتبها حسنة مالم يعملها فاذا عملها فأنا أكتبها له بعشرة أمثالها واذا تحدثت بأن يعمل سيئة
 فأنا أغفرها له مالم يعملها فاذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها قال في الكشف ويجوز أن يريد بقوله
 وهم بها شارف أن بهم بها كما يقول الرجل قتله لولم أخف الله يريد مشاركة القتل ومشافهته
 كأنه شرع فيه (ولأن رأى) أى بعين قلبه (برهان ربه) أى الذى آتاه آياه من الحكم والعلم
 أى لهم بها لکنه كان البرهان حاضر لديه حضور من يراه بالعين فلم بهم أصلا مع كونه فى غاية
 الاستعداد لذلك لما آتاه الله تعالى من القوة مع كونه فى سن الشباب فلولا المراقبة لهم بها التوفير
 الداعى غير أن نور الشهود محاسنها أصلا وهذا التقدير هو اللائق بمثل مقامه عليه السلام مع أنه
 الذى تدل عليه أساليب هذه الآيات من جعله من المخلصين والمحسنين المصروف عنهم السوء
 وإن السجين أحب إليه من ذلك مع قيام القاطع على كذب ما تضمنه قولها ما جزم أن أراد
 بأهلك سواء الآية من مطلق الإرادة ومع ما يتهم من تقدير ما ذكر بعد لولا فى خصوص هذا
 التركيب من أساليب كلام العرب فانه يجب أن يكون المقدر بعد كل شرط من معنى ما دل عليه
 ما قبله وهذا مثل قوله تعالى ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها أى لا بدت به وأما ما ورد
 عن السلف مما يعارض ذلك من تفسيرهم بها بأن حل الهميان وجلس بها مجلس المجامع وبأنه
 حل تكسرا ولبه وقعد بين شعبها الأربع وهى مستلقية على قفاها ومن تفسير البرهان بأنه سمع
 صوتا ياله وإياها فلم يكثر له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمعه ثالثا عرض عنها فلم يجمع فيه حق
 مثل له يعقوب أعاض على أعلقه وقبل ضرب يده على صدره فخرجت شهوته من أنامله وقبل كل
 ولدي يعقوب ولده اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولده أحد عشر ولدا من أجل ما نقص من شهوته
 حين هم وقبل صبح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنا قعد لا ريش له وقبل بدت
 كشف فيما بينهن ما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين
 فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقر بوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا
 يوم ترجعون فيه الى الله فلم يجمع فيه فقال الله تعالى للجرير عليه السلام أدرك عبدى قبل أن
 يدرك الخطيئة فأنشط جرير له وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب فى ديوان
 الانبياء وقبل رأى غمائل العزيز وقبل قامت المرأة الى صنم كان هناك فسترته وقالت أستحي أن
 يرانا فقال يوسف استحييت مما لا يسمع ولا يبصر ولا أستحي من السميع العليم بذات الصدور فلم
 يصح منه شئ عن أحد منهم مع أن هذه الأقوال التى وردت عنهم اذا جمعت تناقضت وتكاذبت
 قال الرنخشرى وهذا ونحوه ممن يورده أهل الخبر والحشوا الذين دينهم بيت لله وأنبيائه
 فأخى الله أولئك فى إرادهم ما يؤذى الى أن يكون انزال الله السورة التى هى أحسن القصص
 فى القرآن العربى المبين ليعتدى بنبي من أنبياء الله تعالى فيما ذكره وأهل العدل والتوحيد

ليسوا من مقاتلهم ورواياتهم بحمد الله بسيل وأطال في رد ذلك وكذا فعل الرازي وقيل وهم
 بها أي بزجرها ووعظها وقيل هم بها أي غمه امتناعه منها وقيل هم بها أي نظر إليها وقيل هم
 بضر بها وادفعها وقيل هذا كله قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن إلى يوسف عليه
 السلام قبل شهوة حتى نبأ الله تعالى فألقى عليه هيئة النبوة فشغلت هيئته كل من رآه عن حسنه
 (كذلك) أي مثل ذلك التثبيت نثبت في كل أمر (لنصرف عنه السوء) أي الهم بالزنا وغيره
 (والفحشاء) أي الزنا وغيره وقيل السوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بالشهوة والفحشاء
 هي الزنا فكانه قيل لم فعل به هذا فقيل انه (من عبادنا) أي الذين عظمناهم (المخلصين) أي في
 عبادتنا الذين هم خير صرف لا يخاطبهم غش وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام
 بعد الخاء والباقون بالفتح قال الرازي فوروده باسم الفاعل دل على كونه آتيا بالطاعات
 والقربات مع صفة الاخلاص ووروده باسم المفعول يدل على أن الله تعالى استخلصه واصطفاه
 لحضرته وعلى كلا اللفظين فانه من أدل الالفاظ على كونه منزها عما أضافوه اليه وهذا مع قول
 ابلis لا غيبتهم أجمعين العباد منهم المخلصين شهادة من ابلis أن يوسف عليه السلام بري
 من الهم فمن نسبته إلى الهم ان كانوا من أتباع دين الله فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته وان
 كانوا من أتباع ابلis وجنوده فليقبلوا شهادة ابلis على طهارته قال ولعلهم يقولون كفاي
 أول الامر فلا مدة لبلis إلا نازدنا ونجربنا عليه في السفاهة كما قال الجزوري

وكنفت فتي من جند ابلis فارنقي * بي الامر حتى صار ابلis من جندی

فلومات قبلي كنت أحسن بعده * طرائق فسق ليس بحسنها بعدی

ثم ذكر سبحانه وتعالى مبالغة في الامتناع بالحد في الهرب دل على اخلاصه وأنه لم يهتم أصلا
 فقال (واستبقا الباب) أي أوجدا المسابقة بغاية الرغبة من كل منهما هذا الهرب منها وهذه لمعنه
 فكل منهما بذل أقصى جهده في السبق فلحقته عند الباب الاقصى مع أنه قد كان سبقها بقوة
 الرجولية وقوة الداعية إلى الفرار إلى الله تعالى ولكن عاقه اتفاق المكر بكون الابواب كانت
 مغلقة فكان يشغل بفحصها فعلق بأدنى ما وصلت اليه من قميصه وهو ما كان من ورائه
 خوف فواته فاشتد تعلقها به مع اعراضه هو عنها وهربه منها فقصه فأراد الخروج فذعته (و) لم
 تزل تنازعته حتى (قذت) أي شقت (قميصه) وكان القصد (من دبر) أي الناحية من الخلف منه
 وانقطعت منه قطعة فقبضت في يدها (وألقيا) أي وجدا (سيداها) أي زوجها قاطعير وهو العزيز
 تقول المرأة لبعولها سيدی ولم يقل سيدهما لأن ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة
 (لدى) أي عند (الباب) جالس مع ابن عم المرأة (فان قيل) كيف وجد الباب وقد جمعه في قوله
 وعلقت الابواب (أجيب) بانه أراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص من العار
 فقد دروى كعب الاجبار أن يوسف لما هرب جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من
 الابواب فلما رأت المرأة ابن عمها خائفة وخافت التهمة فسأبت يوسف بالقول (وقالت)
 لزوجها (ما جازا من أراد باهلك سوا) أي فاحشة زنا وغيره ثم خافت عليه أن يقتل وذلك لشدة

حبها فقالت (الآن يسجن) أي يحبس في السجن ويمنع التصرف (أو عذاب اليم) أي مؤلم بأن يضرب بالسياط ونحوها وانما بدأت بالسجن قبل العذاب لأن الحب لا يشتى إيلام المحبوب وانما أرادت أن يسجن عندها يوما ويومين ولم ترد السجن الطويل فإنه لا يعبر عنه بهذه العبارة بل يقال يجب أن يجعل من المسجونين ألا ترى أن فرعون هكذا قال في حق موسى عليه السلام في قوله لن اتخذت الها غيري لاجتماعك من المسجونين فلما سمع يوسف عليه السلام مقالها (قال) ميراثا نفسه (هي) بضمير الغيبة لاستحيائه بمواجهتها بإشارة أو ضمير خطاب (راودني عن نفسي) أي طلبت مني الفاحشة فأبيت وفررت منها وذلك أن يوسف عليه السلام ما كان يريد أن يذ كر ذلك القول ولا يهتك سترها ولكن لما قالت هي ما قالت ولطغت عرضه احتاج إلى إزالة هذه التهمة عن نفسه وصدقه لعمرى فيما قال لا يحتاج إلى بيان أكثر من الحال الذي كان فيه وهو أنهم ما عند الباب ولو كان الطلب منه لما كان إلا في محلها الذي تجلس فيه وهو صدر البيت وأشرف موضع فيه وأيضا هو عبد لهم والعبد لا يمكنه أن ينسلط على مولاه إلى هذا الحال وأيضا أن المرأة زينت نفسها على أكمل الوجوه وأما يوسف فما كان عليه أثر من آثار زين النفس فكان الحاق هذه الفتنه بالمرأة أولى ثم انه تعالى أظهر ليوسف عليه السلام دليلا آخر يقوى تلك الدلائل المذكورة ويدل على أنه برى من الريب وإن المرأة هي المذنبه وهو قوله تعالى (وشهد شاهد من أهلها) أي وحكم حاكم من أهل المرأة واختلفوا في هذا الشاهد فقال سعيد بن جببر والضحاك كان صبيا في المهدي أنطقه الله تعالى كرامة ليوسف عليه السلام وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال تكلم في المهدي أربعة وهم صغار شاهد يوسف وابن ماشطة بنت فرعون وعيسى بن مريم وصاحب جريج الراهب ورواه الامام أحمد وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهدي الا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وصبي كان يرضع أمه فتراكب حسن الهيئة فقالت أمه اللهم اجعل ابني مثل هذا فقال الصبي اللهم لا تجعلني مثله وهم هذا الاعتبار صاروا خمسة وزاد الثعلبي سادسا وهو يحيى بن زكريا عليه ما السلام وزاد غيره على ذلك ولعل الحصر فيما ذكر في الحديث كان قبل العلم بالزيادة فلا تناقض وأوصلهم السبوطي إلى أحد عشر ونظمهم فقال

تكلم في المهدي النبي محمد * ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومعري جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الأخدود ورويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التي * يقال لها زنى ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها * وفي زمن الهادي المبارك يختم

وقالت طائفة عظيمة من المفسرين انها كان لها ابن عم وكان رجلا حكيما وانفق في ذلك الوقت أنه كان مع الملك يريد أن يدخل عليها فقال قد سمعنا الخلبة من وراء الباب وشق القميص الا أنا لا ندري أيك أقدم صاحبه ولكن (آن كان قبسه قدم من قبل) أي من قدام (فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قبسه قدم من دبر) أي من خلف (فكذبت وهو من الصادقين) لانه لو لا ادباره

منها واقبالها عليه لما وقع ذلك فعرف سببها صفة ذلك بلا شبهة كما قال تعالى (فلما رأى) أى
سببها (قصه) أى يوسف عليه السلام (قد من دبر قال) لها زوجها قطفiro وقد قطع بصدقه
وتكذبها مؤكدا لاجل انكارها (انه) أى هذا القذف له (من كيد كتن) معشر النساء
والكيد طلب الانسان بما يكره (ان كيد كتن عظيم) والعظيم ما يتقص مقدار غيره عنه حسا
أو معنى (فان قيل) كيف وصف كيد النساء بالعظم مع قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا
وهلا كان مكر الرجال أقوى من مكر النساء (أجيب) بأن الانسان ضعيف بالنسبة لخلق
ما هو أعظم منه كخلق السموات والارض وبأن كيدهن أدق من كيد الرجال وأطف وأخفى
لأن الشيطان عليهن لنقصهن أقدر ومكرهن في هذا الباب أعظم من كيد جميع البشر
لأن لهن من المكر والحيل والكيد في اتمام مرادهن ما لا يقدر عليه الرجال في هذا الباب
ولأن كيدهن في هذا الباب يورث العار ما لا يورثه كيد الرجال ولما ظهر للقوم براءة يوسف
من ذلك الفعل المنكر حكى تعالى أنه قال (يوسف) أى يا يوسف (أعرض) أى انصرف بكليتك
مجاورا (عن هذا) الحديث فلا تذكره لاحد حتى لا يشيع وينشر بين الناس ثم اتفت الى المرأة
وقال لها (واستغفري لذنبيك) أى توبى الى الله تعالى بما رميتي يوسف به من الخطيئة وهو يرى
منها (انك كنت من الخاطئين) أى الاعمى قال أبو بكر الاصم ان ذلك الزوج كان قليل الغيرة
فاكتفى منها بالاستغفار وقيل ان القاتل المذكور هو الشاهد (فان قيل) كيف قال من الخاطئين
بلفظ التذكير (أجيب) بأنه قال ذلك تغليب للذكور على الاناث أو أن المراد انك من نسل
الخطائين فمن ذلك النسل سرى ذلك العرق الخطيئ فيك ثم شاع الخبر واشتهر (وقال نسوة)
أى وقال جماعة من النساء وكنن حسا امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب
وامرأة صاحب السجين وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنى به غير حقيقى
ولذلك لم يلحق فعله تاء التانيث وقوله (فى المدينة) أى مدينة مصر ظرف أى أشعن الحكاية فى
مصر واصفة نسوة وقيل مدينة عين شمس (امرات العزيز) وانما أضفنها الى زوجها ارادة
لشاعة الخبر لان النفس الى سماع أخبار أولى الاخطار أميل وبردن قطفiro والعزير المالك
بلسان العرب ورسم امرأة التاء المجرورة ووقف عليها ابن كثير وأبو عمرو والكسائى بالهاء
والباقون بالتاء وأما الوصل فهو بالتاء للجميع (تراودقناها) أى عبدها الكنعانى يقال فتأى
وقتأى أى عدى وجارى (عن نفسه) أى تطلب منه الفاحشة وهو يمنع منها (قد شغفها حبا)
أى شق شغاف قلبها وهو حجابها حتى وصل الى فؤادها وحبا انصب على التمييز وقيل جلدة رقيقة
يقال لها لسان القلب قال النابغة

وقد حال هم دون ذلك والنج * مكان انشغاف بتبغيه الاصابع

وقرأناهم وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار ال قد عند الشين والباقون بالادغام (انا
لترأها) أى نعلم أمرها علما هو كالرؤية (فى ضلال) أى خطأ (مبين) أى بين ظاهرا حيث تركت
ما يجب على أمثالها من العفاف والستر بسبب حبها إياه (فلما سمعت) زليخا (بمكرهن) أى قولهن

وانما سمي ذلك مكرًا لوجوه الاقل ان النسوة انما ذكرن ذلك الكلام استدعائاً لروية يوسف عليه السلام والنظر الى وجهه لانهن عرفن انهن اذا قلن ذلك عرضت يوسف عليهن لتعهد عذرهما عندهن. الثاني ان زليخا أسرّت اليهن حبها ليوسف عليه السلام وطلبت منهن كتمان هذا السر فلما أظهرن السر كان ذلك مكرًا الثالث انهن وقعن في غيبتها والغيبة انما ذكركر على سبيل الخفية فأشبهت المكر (أرسلت اليهن) ندعوهن لتقيم عذرهما عندهن قال وهب اتخذت مأذبة ودعت أربعين امرأة من أشرف مدنيتهن فبينهن الخمس (واعلمت) أي أعددت (لهن) متكا (أي طعاما يقطع بالسكين وهو الاترج وانما سمي الطعام متكا لانه يتكا عنه قال جليل فظللنا بنعمة واتكنا * وشربنا الخلال من قلله

والمسكا ما يتكا عليه عند الطعام والشراب والحديث لانهم كانوا يتكثرون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك جاء النبي عنه في الحديث أن يأكل الرجل متكنا وقال صلى الله عليه وسلم لا آكل متكنا وقيل انما زينت البيت بالوان الفواكه والاطعمة ووضعت الوسايد ودعت النسوة الاثني عشر بها بحب يوسف عليه السلام (وأتت) أي أعطت (كل واحدة منهن سكيناً) أي اتنا كل بها وكانت عادتتهن أن يأكلن اللحم والنواكه بالسكين (وقالت) زليخا ليوسف عليه السلام (أخرج عليهن) أي النسوة وكان يخاف من مخالفتها فخرج عليهن يوسف وكانت قد زينت به واختبأ به في مكان وقرأ أبو عمرو وعاصم وحزرة والكسائي بكسر التاء في الوصل والباقيون بالضم وأما الابتداء فجميع القراء يبتدئون الهمزة بالضم (فلما رأينه) أي النسوة (أكبرنه) أي أعظمه ودهش عند رؤيته اتفق الاكثرون على انهن انما أكبرنه بمحبتهن الجمال الفائق والحسن الكامل وكان يوسف قد أعطى شطر الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال رأيت يوسف ليلة أسرى بي الى السماء كالقمر ليلة البدر ذكره البغوي بغير سند وقال ابن اسحق كان يوسف اذا سار في أزقة مصر ثلاثاً وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها ويقال انه وراث حسن آدم عليه السلام يوم خلقه الله تعالى قبل أن يخرج من الجنة وقيل وراث الجمال من جدته سارة وقيل أكبرنه يعني حضن والماء للسكر يقال أكبرت المرأة اذا حضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حذو الصغرى الى حذو الكبر وكان أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله

خف الله واسترذ الجمال برفع * فان لحث حاضت في الخدور والعواتق

وقيل أمنين قال الكميت

ولمؤاته الخليل من رأس شاقق * صهلن وأميين المنى المدفقا

وقال الرازي انما أكبرنه لانهن رأين عليه نور النبوة وسما الرسالة وآثار الخضوع والاختبات وشاهدن فيه شهادة الهيبة وهيبة ملكية وهي عدم الالتفات الى الطعوم والنكوح وعدم الاعتماد عليهن وكان الجمال العظيم مقروناً بتلك الهيبة فوق العجب والمهابة منه في قلوبهن

(وقطعن أيديهن) أي جرحنها بالسكاكين التي معهن. وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج ولم
يجدن إلا من فرط الدهشة يوسف وقال وهب مات جماعة منهن (وقلن حاشن الله) أي تنزيها له
الرسم بغير ألف بعد الشين وقرأ أبو عمرو في الوصل دون الوقف بألف بعد الشين والباقيون بغير
الف وقفًا ووصلوا (ما هذا) أي يوسف عليه السلام (بشرا) وأعمال ماعل ليس هي اللغة القدي
الجزازية وبدل عليها هذه الآية وقوله تعالى ما هن أمهاتهم (أن) أي ما (هذا الإله كريمة)
أي على الله لما حوامن الحسن الذي لا يكون عادة في السمعة البشرية فان الجمع بين الجنال
الرائق والسكال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة (قالت) أي زليخا للنسوة لما
راين يوسف ودشن عند رؤيته (قد لكن) أي فهذا هو (الذي لمتني فيه) أي في محبته قبل أن
تصورنه حق تصورهن ولو تصورنه بما عايتن لعذرتني ثم انما صرحت بما فعلت فقالت (ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم) أي فامتنع من ذلك الفعل الذي طلبت وانما صرحت بذلك لأنها
علمت انها لا ملامة عليها منهن وانهن قد أصابهن ما أصابهن عند رؤيته ثم قالت (ولئن لم يفعل
ما أمره) أي وان لم يطاوعني في ما دعوته اليه (لنسجن) أي لعاقبن بالحبس (وليكونا من
الصاغرين) أي الذليلين المهانين فقال النسوة ليوسف أطع مولانا في ما دعوك اليه فاختر
يوسف عليه السلام السجن على ما دعت اليه فلذلك (قال رب السجن أحب الي مما يدعونني
اليه) وإن كان هذا مما تشبهه النفس وذلك مما تنكره نظرا الى العاقبة فان الأول فيه المزم
في الدنيا والعقاب في الآخرة والثاني فيه المدح في الدنيا والثواب الدائم في الآخرة (فان قيل)
إن الدعاء كان منها فلم أضافه اليهن جميعا (أجيب) بأنهن خوفنه من مخالفتها وزيين له مطاوعتها
وقيل انهن دعونه الى أنفسهن قال بعض العلماء لو لم يقل السجن أحب الي مما يتسل بالسجن
والأولى بالعباد أن يسأل الله تعالى العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان
يسأل الله الصبر بقوله سألت الله البلاء فاسأله العافية رواء الترمذي (والأ) أي وان لم (تصرف
عني كيدهن) أي فيما أردن مني بالتنبذ على العصمة (أصب) أي أمل (اليهن) يقال صفا فلان
الى كذا اذا مال اليه واشتاقه (وأكن) أي أصر (من الجاهلن) أي من السفهاء بارتكاب
ما يدعونني اليه فان الحكميم لا يفعل القبيح وفي ذلك دليل على أن من ارتكب ذنبا انما يرتكبه
عن جهالة والقصد بذلك الدعاء ولذلك قال تعالى (فاستجاب له ربه) أي فأجاب الله تعالى دعاءه
الذي تضمنه هذا الثناء لأن الكريم يغيث التلويح عن التصريح كما قيل
اذا أتني عليك المرمو بما • كفالك من تعرضه الثناء

(فصرف عنه كيدهن) أي فغلبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة
المضمنة للعصيان (أنه هو السميع) أي لدعاء الملتجئين اليه (العليم) أي للضامروا والنيات فيصيب
ما صبح فيه القصد وطالب منه العزم (ثم بدا) أي ظهر (لهم) أي العزيز رؤا أحبابه (من بعد ما رأوا
الآيات) أي الدالة على براءة يوسف عليه السلام كشهادة الصبي وقد القيص وقطع النساء
أيديهن واستعصما عنهن (ليصبنه جنى) أي الى (حسين) ينقطع فيه كلام الناس وذلك ان

المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد العبراني قد فضخني في الناس يقول لهم اني راودته عن نفسه
 وانا لا اقدر على اظهار عذري فاما ان تاذن لي فأخرج واعتذر واما ان تحبسه كما حبستني
 فعند ذلك وقع في قلب العزيز ان الاصلح حبسه حتى يسقط عن السنة الناس ذكر هذا الحديث
 وحق تقل القضية فضحه * (تنبيه) * في فاعل بدأ أربعة أوجه أحسنها انه ضمير يعود على
 السجن بفتح السين أي ظهر لهم حبسه والثاني ان الفاعل ضمير المصدر المقهوم من الفعل وهو
 بدأ أي بدأ بهم بداء والثالث انه ضمير يدل عليه السياق أي بدأ بهم رأى والرابع أنه محذوف
 وليسبحنه قائم مقامه أي بدأ بهم السجن غذف وأقيمت الجملة مقامه وليست الجملة فاعلا لان
 الجمل لا تكون كذلك وقيل الحبس هنا خمس سنين وقيل سبع سنين وقال مقاتل بن سليمان حبس
 يوسف اثنتي عشرة سنة وقال الرازي والصحيح ان هذه المقادير غير معلومة وانما القدر المعلوم انه
 بقى مسجوناً مدة طويلة لقوله تعالى واذكر بعد أمة وعن عكرمة قال قال رجل ذوراً للعزيز
 متى تركت هذا العبد يعتذر الى الناس ويقص عليهم أمره فان تركه في بيته لا يخرج الى الناس
 فان خرج للناس عذروه وفضحو أهلك فأمر به فسجن (ودخل معه السجن تينان) وهما
 غلامان كانا للوليد بن زوان العملي ملك مصر الاكبر أحدهما خباز صاحبه وطعامه
 والاخر ساقية صاحبه شرابه غضب الملك عليهم ما حبسهما وكان السبب فيه ان جماعة من
 أشرف مصر أرادوا المكر بالملك واعتبأه وقتله فضمنوا لهذين الغلامين ما لا على أن يسما الملك
 في طعامه وشرابه فأجابا الى ذلك ثم ان الساقى ندم ورجع عن ذلك وقبيل الخباز الرشوة وسم
 الطعام فلما حضر الطعام بين يدي الملك قال الساقى لانا كل أيها الملك فان الطعام مسموم فقال
 الخباز ولا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشرب فاشرب فلم يضره وقال الخباز
 كل من طعامك فأبى فأطعم من ذلك الطعام دابة فهلكت فأمر بحبسهما وكان يوسف عليه
 السلام حين دخل السجن قال لاهله اني أعبر الاحلام فقال أحد القئين لصاحبه هلم فلنحرب
 هذا العبد العبراني فترامى له رؤيا قال ابن مسعود وما رأيا شيئاً وانما تحالما ليوسف وقال قوم
 بل كانوا رأيا حقيقة فرأهما يوسف وهما مهمومان فسألهما عن شأنهما فذكر أنهما صاحبا الملك
 حبسهما وقد رأيا رؤيا فغتمهما فقال يوسف قصا على ما رأيتما (قال أحدهما) وهو صاحب
 شراب الملك (انني أرا في أعصى خيراً) (فان قيل) كيف يعقل عصا الخمر (أجيب) عن ذلك
 بثلاثة أقوال أحدها أن يكون المعنى أعصى غيب خمر أي الغيب الذي يكون عصيه خمر
 فحذف المضاف الثاني ان العرب تسمى الشيء باسم ما يؤول اليه تقول فلان يطبخ دساً وهو يطبخ
 عصيراً الثالث قال أبو صالح أزد وعمان يسهون الغيب بالخمر فوقت هذه اللفظة الى أهل مكة
 فنطقوا بها قال الضعفاء نزل القرآن بالسنة جميع العرب وذلك انه قال اني رأيت في المنام كأنني
 في بستان واذا فيه شجرة فيها ثلاثة أغصان عليها ثلاثة عناقيد من عنب فحبيتها وكان كاس
 الملك يدي ففصرتها فبقيت الملك فشربه (وقال الآخر اني أرا في أحل فوق رأسي خبراً
 تاكل الطير منه) وذلك انه قال رأيت في المنام كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز وألوان

الطعام وسباع الطير تنهش منه (سنتا) أي أخبرنا (بتأويله) أي بتفسيره (أنازلك من المصنعين)
 أي في علم التفسير لأنه متى عبر لم يخطئ كما قال وعلمتني من تأويل الأحاديث وقيل في أمر الدين
 لأنه كان شديد المواظبة على الطاعات من الصوم والصلاة فإنه كان يصوم النهار ويقوم الليل كله
 ومن كان كذلك فإنه يوفق بما يقوله في تعبير الرؤيا وفي سائر الأمور وقيل في حق الشركاء
 والاصحاب لأنه كان يعود مرضاهم ويؤنس حزينهم وإذا ضاق على أحدهم وسع عليه وإذا
 احتاج أحدهم جمع له شياً قيل أنه لما دخل السجن وجد قوماً اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم
 وطال حزنهم فجعل يسكنهم ويقول اصبروا وأبشروا وتوكلوا فبقوا بارك الله فيك يا فتى
 ما أحسن وجهك وخلقت وحديثك لقد بورك لنا في جوارك فإني أنت يا فتى قال أنطونيوس
 ابن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله إبراهيم فقال له عامل السجن والله يا فتى
 لو استطعت خلعت سديك ولكن سأحسن جوارك فكن في أي بيوت السجن شئت وروى
 أن القسيس لما رأى يوسف قال لقد أحبناك حين رأيناك فقال له ما يوسف أنشد كما الله أن لا تحبلي
 فوالله ما أحبني أحد قط إلا دخل على من حبه بلاء لقد أحبتني عتي فدخل على بلاء ثم أحبني
 أي فألقيت في الحب وأحبني امرأة العزيز فنجست فلما قصا عليه الرؤيا ذكره يوسف أن يعبر
 لهما ما سألاهما علم في ذلك من المكروه على أحدهما (قال) معرض عن سؤالهما أخذ في غيره
 من أظهار المجزة في الدعاء إلى التوحيد (لا يأتيك طعام ترزقانه) أي في منامك (الآباء تذكروا
 بتأويله) أي في البقرة (قيل أن يأتيك) تأويله وقيل أراد به في البقرة يقول لا يأتيك طعام
 ترزقانه من منازلك تطعمه أنه الأسماك بتأويله بقدره ولونه والوقت الذي يصل اليك قبل
 أن يصل وأي طعام أكلته ومتى أكلته وهذه كمحزوة عيسى عليه السلام حيث قال وأبشركم
 بماتنا كلون وما ندخرون في بيوتكم فقالوا هذا فعل العرافين والكهنة فمن أين لك هذا العلم
 فقال ما أنا بكا من (ذلك) أي هذا التأويل والخبار بالمغيبات (بما علمني ربي) وفي ذلك
 حث على إيمانهم ثم قواه بقوله (أنى تركت مله) أي دين (قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة
 هم كفرون) وكره أن يظنهم للتأكيده لشدة إنكارهم للمعاد وما ألقى يوسف عليه السلام المدونة
 وأظهر المجزة أظهر أنه من أهل بيت النبوة بقوله (وانعت مله) أي أنى إبراهيم واسحق ويعقوب
 ليسمعوا قوله وبطبعوا أمره فيمليدهم اليه من التوحيد فإن الإنسان متى ادعى حرفة أيه
 ويحسد لم يستبعد ذلك منه وأضاف كمال درجة إبراهيم واسحق ويعقوب أمر مشهور في الدنيا
 فإذا أظهر أنهم آباؤه عظموه ونظروا إليه بعين الاجلال فكان إقبادهم له أتم وتأييد لهم
 بكلامه أكل (فان قيل) أنه كان نبياً فكيف قال اتبعته مله وآبائي والنبي لا بد وأن يكون
 محتسباً بشريعة نفسه (أجيب) بأن مراد التوحيد الذي لا يتغير وأعلمه كان رسولاً من عند الله
 تعالى إلا أنه كان نبياً على شريعة إبراهيم عليه السلام وقرأ عاصم وحزق والكسائي بسكون
 ياء آباءى والباقيون بالفتح (ما كان) أي ما صم (لنا) معشر الأنبياء (أن ننزلك بالقلم من شيء) لأن الله
 تعالى طهره وطهر آباءه عن الكفر وظهر قوله تعالى ما كان لله أن يتخذ من ولد وإذ قال من شيء

لأن أصناف الشرك كثيرة فمنهم من يعبد الأصنام ومنهم من يعبد النار ومنهم من يعبد
الكواكب ومنهم من يعبد الملائكة فقولهم من شئ رد على هؤلاء الطوائف وارشاد إلى الدين
الحق وهو أنه لا موجد ولا خالق ولا رازق إلا الله (ذلك) أي التوحيد (من فضل الله علينا)
بالوحي (وعلى الناس) أي ما نزلهم به من الوحي ليعتدوا به (ولكن أكثر الناس) أي
المبعوث إليهم (لا يشكرون) هذه النعمة التي أنعم الله تعالى بها عليهم لأنهم تركوا عبادة
وعبدوا غيره ثم دعاهم إلى الإيمان فقال (يا صاحبي السجن) أي يا صاحبي في السجن
فأضافهما إلى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكأن الله لم يتركهم في غير مسروقة فكذلك
السجن معصوب فيه غير معصوب وإنما المعصوب غيره وهو يوسف عليه السلام وأما كنى
السجن كما قيل لسكان الجنة أصحاب الجنة ولسكان النار أصحاب النار (أأرباب) أي آلهة
(متفرقون) أي متباينون من ذهب وفضة وصفر وحديد وخشب وحجارة وصغير وكبير
ومتوسط وغير ذلك (خير) أي أعظم في صفة المدح وأولى بالطاعة (أم الله الواحد القهار)
أي المتوحد بالالوهية الذي لا يغالب ولا يشرك في الربوبية غيره خير والاستفهام للتعظيم
وفي الهمزتين في أرباب من القراءات ما في أنذرهم وقدمت (فان قيل) هل يجوز التفاضل بين
الأصنام وبين الله تعالى حتى يقال إنها خير أم الله (أجيب) بأن ذلك خرج على سبيل القرص
والمعنى لو سلمنا أنه حصل منها ما يوجب الخير فهي خير أم الله الواحد القهار ثم بين عجز الأصنام
فقال (ما تعبدون) وإنما خاطبهم بلفظ الجمع وقد ابتدأ بالتنبيه في مخاطبته لأنه أراد جميع
من في السجن من المشركين والعبادة خضوع القلب في أعلى مراتب الخضوع وبين حقارة
معبوداتهم وسفالتها بقوله (من دونه) أي الله الذي قام البرهان على هيئته وعلى اختصاصه
بذلك (الأسماء) وبين ما يريد وأوضحه بقوله (سميتموها) أي ذوات أو وجدتم لها أسماء (أنتم)
سميتموها آلهة وأربابا وهي حجارة جاد خالية عن المعنى لا حقيقة لها (وأباؤكم) من قبلكم
سموها كذلك (ما أنزل الله بها) أي عبادتها (من سلطان) أي حجة وبرهان (إن الحكم)
أي ما الحكم (آلله) أي المختص بصفات الكمال والحكم فصل الأمر بما تدعو إليه الحكمة
(أمر) وهو النافذ الأمر المطاع الحكم (أن لا تعبدوا إلاياه) لأنه المستحق للعبادة لا هذه
الاسماء التي سميتموها آلهة ولما ظاهرا الدليل على هذا الوجه الذي كان جديرا بالإشارة إلى فضله
أشار إليه بأداة البعد تنبيها على علو مقامه وعظيم شأنه فقال (ذلك) أي الشأن العظيم وهو
توحيدهم وإفراده عن خلقه (الدين القيم) أي المستقيم الذي لا عوج فيه (ولكن أكثر الناس)
وهم الكفار (لا يعلمون) ما يصبرون إليه من العذاب فيشركون ولما قرأ يوسف عليه السلام
أمر التوحيد والنبوة عاد إلى الجواب عن السؤال الذي ذكره فقال (يا صاحبي السجن) أي
الذي يحصل فيه الانكسار للنفس والرقعة في القلب فتخلص فيه المودة ولما كان في الجواب
ما يسهو الخبار أنهم يجوز كل من ماله الفائقان الجاه إلى التعيين كان ذلك عذرا له في الخروج
عن الابق فقل (أما أحدكم) وهو صاحب شراب الملك (فيسقى ربه) أي سيده (خرا) على

عادته والعناقد الثلاثة هي ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يدعوه الملك فيرده الى رتبته التي كان عليها هذا أول رؤياه (وأما الآخر) وهو صاحب طعام الملك (فصلب) والسلاسل الثلاثة ثلاثة أيام ويدعوه الملك فيصليه (فتأكل الطير من رأسه) هذا تأويل رؤياه قال ابن مسعود فلما سمعوا قول يوسف عليه السلام قالاماراً يا شياطينا كأنك لقلب فقال لهم يوسف عليه السلام (قضى) أي تم (الأمر الذي فيه تستقيم) أي تطلبان الاتمافيه علام بالقوة فسألتما عن تأويله وهو تعبير رؤيا كما كذبتم أو صدقتم أفلح عن جهل ولا غلط (وقال) يوسف عليه السلام (لذي ظن) أي علم وتحقق فالظن به في العلم لانه قاله عن وحى لقوله قضى الأمر ويجوز أن يكون ضمير ظن للساقى فهو حينئذ على بابه (أنه نأج منهما) وهو الساقى (اذكرني عند ربك) أي سيدك ملك مصر بما رأيت من معنى من معالي الاخلاق وطهارة الشيم الدالة على بعدى عمارت به والمراد بالرب هنا غير الماردية في قوله أرباب متفرقون فحبا الساقى وصلب صاحبه وفق ما قاله لهم ما يوسف عليه السلام واختلف في ضمير (فأنساه الشيطان ذكر ربه) على قولين أحدهما أنه يعود الى الساقى وهو قول جماعة من المفسرين أي فأنسى الشيطان الساقى أن يذكر يوسف عند الملك قالوا الان صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساقى حتى أنساه ذكر يوسف أولى من صرفه الى يوسف والقول الثاني وعليه أكثر المفسرين أنه يرجع الى يوسف عليه السلام وقال الرازى انه الحق أي ان الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه تعالى حتى استعان بمخلوق مثله وتلك غفلة تعرضت له عليه السلام فان الاستعانة بالمخلوق في رفع الظلم جائزة في الشريعة الا ان حسنات الابرار سيئات المقترين فهذا وان كان جائز العامة الخلق الا ان الاولى بالصديقين أن يقطعوا نظرهم عن الاسباب بالكلية وأن لا يشتغلوا بالاسباب فلهاذا صار يوسف عليه السلام مؤاخذا بهذا القول ولم يؤاخذه تعالى في تلك القصة البتة بل ذكره بأعظم وجوه المدح والثناء فعلم بذلك أنه عليه السلام كان مبرأ عما نسب اليه الجهال والحشوية اليه (فان قيل) كيف تمكن الشيطان من يوسف حتى أنساه ذكر ربه (أجيب) بأن ذلك انما كان شغل خاطر وأما التسليم الذي هو عبارة عن ترك الذكر وازالة عن القلب بالكلية فلا يقدر عليه واختلف في قدر البضع في قوله تعالى (فلبث في السجن بضع سنين) فقال مجاهد ما بين الثلاث الى التسع وقال ابن عباس ما دون العشرة قال البغوي وأكثر المفسرين ان البضع في هذه الآية سبع سنين وكان قد لبث قبله خمس سنين فجملة اثناعشرة سنة وقال وهب أصاب أيوب البلا سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقى اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلاً لا يطلع حبسك فبكى يوسف وقال يا رب أنسى قلبي كفرة البلى فقلت كلمة قال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا بكته التي قالها ما لبث في السجن ما لبث ثم بكى الحسن وقال نحن اذا نزل بنا بلا فزعنا الى الناس ذكره الثعلبي عمر سلا وبقر سنة وقال الحسن أيضاً دخل جبريل على يوسف عليهما السلام في السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يا أخا المذيرين مالي أمال بين

الخاطئين فقال له جبريل يا طاهر يا ابن الطاهر ينقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك
 أما استحييت مني واستشفعت لادميين فوعزني لالبئسك في السجن بضع سنين قال يوسف وهو
 في ذلك عن راض قال نعم قال اذا الالبالي وقال كعب قال جبريل ليوسف ان الله تعالى يقول لك
 من خلقك قال الله قال فن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فن حبيبك الى أهلك قال الله قال فن
 أنجالك من كرب البئر قال الله تعالى قال فن صرف عنك السوء والفتنة قال الله قال فكيف
 استشفعت بآدمي مثلك قال محمد بن عمر الرازي في تفسيره والذي جربته من أول عمري الى آخره
 ان الانسان كلما عول في أمر من الامور على غير الله تعالى صار ذلك سببا للنبله والمحنة والشدة
 والرزية واذا عول على الله تعالى ولم يرجع الى أحد من الخلق حصل ذلك المطلوب على أحسن
 الوجوه فهذه التجربة قد استقرت لي من أول عمري الى هذا الوقت الذي بلغت الى السابع
 والخمسين فعند ذلك استقر قلبي على أنه لا مصلحة للانسان في التعويل على شئ سوى فضل الله
 تعالى واحسانه * ولما دنا فرج يوسف عليه السلام رأى ملك مصر الاكبر الريان بن الوليد رؤيا
 عجيبه هائلة كما قال تعالى (وقال الملك اني أرى) أى رأيت عبر المضايع حكاية للعالم لشدة
 ما هاله من ذلك (سبع بقرات سمان) أى خرجن من نحر يابس والسبع زيادة البدن من الشحم
 واللحم وسمان جمع سمينة ويجمع سبعين أيضا عليه يقال رجال سمان ونساء سمان كما يقال رجال
 كرام ونساء كرام (يا كاهن) أى يتلعهن (سبع) أى من البقر (عجاف) جمع عجفاء أى بهازيل
 خرجن من ذلك النهر * (تنبيه) * جمع عجفاء على عجاف والقياس عجف نحو حمرأ وحجر حلاله على
 سمان لانه نقبضه ومن دأبهم حمل النظر على التظير والنقيض على النقيض (و) اني أرى (سبع
 سنبلات خضر) أى قد انعقد حبها (و) اني أرى سبع سنبلات (أخر يابس) أى قد أدركت
 فالتوت اليا بسات على الخضر حتى غلب عليها وانما استعنى عن بيان حالها بما نص من حال
 البقرات والسنبلات ثبات كالفصبة فيها جلة حبوب منتظمة فكانه قيل فكان ماذا فقبل قال
 الملك بعد أن جمع الصحرة والكهنة والمعبرين (يا أيها الملام) أى الاشراف النبلاء الذين غلبوا
 العميون مناظرهم والقلوب ما أثرهم (أفتوتني في رؤياي) أى أخبروني بتأويلها (ان كنتم للرؤيا
 تعبرون) أى ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا فاعبروها * (تنبيه) * اللام في الرؤيا مزيدة فلا تعلق
 لها بشئ وزيد لتقدم المعمول تقوية للعامل كما زيدت اذا كان العامل فرعا كقوله تعالى فعال
 لما يريد ولا تزداد فيما عدا ذلك الا ضرورة وقيل ضمن تعبرون معنى ما تعدي باللام تقديره ان كنتم
 تتدبون لعبارة الرؤيا وقيل متعلقة بمحذوف على أنها البيان كقوله تعالى وكنا نأفقه من
 الزاهد بن تقديره أعنى فيه وكذلك هذا تقديره أعنى للرؤيا وعلى هذا يكون مفعول تعبرون
 محذوف تقديره تعبرونها وفي الآية ما يوجب حال العلماء من حاجة الملوك اليهم فكانه قيل فما
 قالوا فقبل (قالوا) هذه الرؤيا (أضغاث) أى اخلاط (أحلام) مختلطة مختلفة مشبهة جمع ضغت
 بكسر الصاد واسكان الفين المجبة وهي قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس والاحلام جمع حلم
 بضم الحاء واسكان اللام وضمها وهو الرؤيا فقيدها بالاضغاث وهو ما يكون من الرؤيا باطلا

لكونهم حديث النفس ووسوسة الشيطان لكونهم انشبهوا بأخطأ النبات التي لا تناسب بينها
 لأن الرؤيا تارة تكون من الملك وهي العصبة وتارة تكون من تحزين الشيطان وتخطيطة
 وتارة من حديث النفس ثم قالوا (وما نحن) أي بأجمعنا (بشأ ويل الاحلام) أي الملمات الباطلة
 (بالمؤمن) أي ليس لها تأويل عندنا وإنما التأويل للملمات الصادقة كأنه مقدمة ثانية للعدر
 ولمسأل الملك عن هذه الرؤيا واعترف الحاضر بالجزع عن الجواب ثم ذكر ذلك الشرابي واقعة
 يوسف عليه السلام لأنه كان يعتقد فيه كونه منجرا في هذا العلم كما قال تعالى (وقال الذي تمجأ)
 أي بخلص (منهما) أي من صاحبي السجن وهو الشرابي إن في الحبس رجلا فاضلا صالحا
 كثير العلم كثير الطاعة قصصنا أو الخبائر عليه منامين فذكرنا ويله ما فصدق في كل ما ذكر وما
 أخطأ في حرف فكانت هذه الرؤيا سببا لخالص يوسف عليه السلام ولم يذكر الشرابي إلا بعد
 طول المدة كما قال تعالى (وذكر) بالذال المهملة أي طلب الذكر بالذال الموحدة وزنه افتعل (بعد
 أمة) أي وذكروا يوسف بعد جماعة من الزمان مجمعة أي مدة طويلة والجملة اعتراض ووقول
 القول (أنا أنبئكم بشأ ويله فأسلون) أي إلى يوسف عليه السلام فإنه أعلم الناس فأرسلوه إليه
 قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولم يكن السجن بالمدينة فأتاه فقال الساقى المرسل إليه
 مناديا له نداء القريب تحببا إليه (يوسف) وزاد في التحبب بقوله (أيها الصديق) أي البليغ
 في الصدق والتصديق لأنه جرب أحواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه وهذا يدل
 على أن من أراد أن يتعلم من رجل شيئا فإنه يحب عليه أن يعظمه وأن يخاطبه بالالفاظ المشعرة
 بالاجلال ثم أنه أعاد السؤال يعني اللفظ الذي ذكره الملك فقال (أفئسا) أي أذكر لنا الحكم (في
 سبع بقرات سمان) أي رأيت الملك (بأكلهن سبع) من البقر (بحاف و) في (سبع سنبلات)
 سبع سنبله وهي جمع الحب من الزرع (خضرو) في سبع (آخر) من السنابل (يابسات) أي في
 رؤيا ذلك ونم ما فعل من ذكر السؤال بعين اللفظ فإن نفس الرؤيا قد تختلف بحسب اختلاف
 الالفاظ كما هو مذكور في ذلك العلم ثم قال (لعلني أرجع إلى الناس) أي إلى الملك وجماعته
 بفتور القلب مانع بمعنى (لعلهم يعلمون) أي بتأويل هذه الرؤيا وقيل بمنزلة في العلم وقرأنا نافع
 وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر يفتح الباء والباقون بالسكون (قال) يوسف عليه السلام معبرا
 لتلك الرؤيا أما البقرات السمان والسنبلات الخضراء ف سبع سنين خصبات وأما البقرات الجفاف
 والسنبلات اليابسات ف سبع سنين مجذبة فذلك قوله (ترزعون سبع سنين) وهو خبر بمعنى
 الامر كقوله تعالى والمطلقات يتربصن والوالدان يرضعن وإنما خرج الامر في صورة الظاهر
 للامبالغة في الإيجاب فيجعل كأنه وجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الامر قوله
 فخره في سنبله وقوله (دأبا) نصب على الحال أي دأبين أي سبع سنين متتابعة على عادتك
 في الزراعة والدأب العادة وقيل أزرعوا بجدة واجتهاد وهذا تأويل السبع السمان والسنبلات
 بالخضر وقرأ حفص بفتح الهزعة وسكنها الباقرن وأبدلها السومى الفوقفا ووصلا وجزة وقفا
 فتلطفا فاحصد ثم فخره أي اتركوه (في سنبله) لئلا يفسد ولا يقع فيه للسوس وذلك أبقي له على

طول الزمان (الاقليلا عما تكون) أى ادرسوا قليلا من الخطة للاكل بقدر الحاجة أمرهم
بمحافظة الاكل ولوقت الحاجة أيضا وهو وقت السنين المجدية كما قال (ثم يأتي من بعد ذلك) أى
السبع المخصبات (سبع شداد) أى مجديات صعب وهي تأويل السبع الجفاف والسفيلات
الباسات (يا كلن ما قدمتهن) أى يا كل أهلن ما ذخرتم لاجلهن فأسند اليهن على الجواز
تطبيقا بين المعبر وهويا كلهن سبع عجاف والمعبر به وهويا كلن ما قدمتهن (الاقليلا عما
تخسرون) أى تحزرون وتذخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو ابقاء الشيء فى الحصن بحيث
يحفظ ولا يضيع (ثم يأتي من بعد ذلك) أى السبع المجديات (عام فيه يقات الناس) أى يعطرون
من الغيث وهو المطر وقيل ينقدون من قول العرب استغثت فأعاني (وفيه يعصرون)
من العنب خرا ومن الزيتون زيتا ومن السمسم دهنأ وأراد بذلك كثرة النعم والخير وقال
أبو عبيدة بن جعون من الكرب والشدة والجذب وقرأ حزة والكسافى بالتاء على الخطاب لأن
الكلام كله مع الخطاب والباقيون بالياء على الغيبة ردأ الى الناس ولما رجع الشراى الى الملك
وعرض عليه التعبير الذى ذكره يوسف عليه السلام استحسنه (وقال الملك) أى الذى العزيز
فى خدمته (أتوفى به) لا سمع ذلك منه وأكرمه وهذا يدل على فضيلة العلم فانه سبحانه وتعالى
جعل له سببا للخلاص من المحنة الدينية فكيف لا يكون العلم سببا للخلاص من المحن
الآخرة بقائه الرسول لياق به الى الملك (فلما جاءه) أى يوسف عليه السلام عن قرب من الزمان
(الرسول) بذلك وهو السابق وقال له أجب الملك (قال) له يوسف عليه السلام (ارجع الى ربك)
أى سيدك الملك ولم يخرج معه حتى يظهر برهانه للملك ولا يراه بعين النقص ولذلك قال (فأسأله
ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) وانما قال يوسف عليه السلام فأسأله ما بال النسوة ولم يقل
فأسأله أن يقتل عن حالهن لأن قوله فأسأله لا يحتمل أن يكون بمعنى المسئلة أى أسأله عن شأنهن
وان يكون بمعنى الطلب وهو ان يقتل عن شأنهن فحسن تقييده بلفظ ما الذى يسأل بهن عن
حقيقة الشيء ليهيجه أن يعزله للتفتيش عن حالهن لأن الانسان حرص على تحقيق الشيء
ويستكشف أن ينسب الى الجهل به بخلاف ما لو قال سل ان يقتل أى اطلب منه فانه لا يسأل
بهذا الطلب ولا يلتفت اليه لاسيما الملوك وانما لم يعرض للسيدة مع ما صنعت به كرها
ومراعاة للادب وقدم سؤال النسوة وغص حالهن لتظهر براءه فاسأله لانه لو خرج فى الحال
لربما كان يبقى فى قلب الملك من تلك التهمة أثر فلما التمس من الملك أن يفحص عن حال تلك
الواقعة دل ذلك على براءته من تلك التهمة فبعد خروج وجهه لا يقدر أحد أن يلطعه بتلك الرذيلة
وان توصل بها الى الطعن فيه وفى ذلك دليل على أنه ينبغي للشخص أن يجتهد فى نفي التهم
وتنقي مواقعها وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لقد عجت من يوسف ومصره والله يغفر له
حين سئل عن البقرات الجفاف والسمان ولو كنت مكانه ما أجبتهم حتى اشتربت أن
يخرجوني ولقد عجت منه حيث أناء الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولنت
فى المعجن مطلب لا سرعت الاجابة وبأدبهم الباب ولما بقيت العذر ان كان حليما ذأناة
واصل الحديث فى العجيبين مختصرا وانما قال صلى الله عليه وسلم ذلك على سبيل التواضع لأنه

صلى الله عليه وسلم كان في الامر منه مبادرة وبجمله لو كان مكان يوسف والنواضع لا يصغر كبيرا
 ولا يضع رفيعا ولا يظلم لذي حق حقه لكنه يوجب لصاحبه فضلا ولبسه جلالة وقدرا وقوله
 والله يعفركم مثل هذه المقدمة مشعرة بتعظيم الخطاب من توقيره وتوقيره كما تقول لمن تعظمه
 عفا الله عنك ما صنعت في أمرى ورضى الله تعالى عنك ما جوابك عن كلامي وقوله ان كان
 الحلبان هي الخففة من الثقبلة والاناة الوفاق وقيل هو اسم من الثأني في الامور وقرأ ابن
 كثير والكسائي بفتح السين ولا همزة بعدها والباقيون بسكون السين وهمزة مفتوحة بعدها
 (ان ربى) أى الله (بكيدهن عليم) حين قلن أطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد
 بعلم الله تعالى عليه وأنه برى بما عيب به والوعيد لهن على كيدهن وقيل المراد برى الملك
 وجعله له وبالنفسه ليكون مريال وفيه اشارة الى كون ذلك الملك عالما بكيدهن ومكرهن ولما
 قال يوسف عليه السلام ذلك وأبى أن يخرج من السجن قيل تين الامر رجع الرسول الى الملك
 فأخبره بما قال عليه السلام فكانه قيل فافعل الملك فقبل (قال) للنسوة بعد ان جمعتهن وامرأة
 العزيز معهن (ما خطبك) أى ما شأنتك العظيم وقوله (اذراودتن) أى خادعتن (يوسف
 عن نفسه) دليل على أن براءته كانت متحققة عند كل من علم القصة وانما خاطب الملك جميع
 النسوة بهذا الخطاب والمراد بذلك امرأة العزيز وولدها ليكون أسرتها وويل ان امرأة العزيز
 راودته عن نفسه وسائر النسوة أمره بطاعته فلذلك خاطبتهن فكانه قيل فاقبلن قيل (قلن
 حاش لله) أى عياذ بالله الملك الاعظم وتنزيه الله من هذا الامر (ما علمنا عليه) أى يوسف عليه
 السلام وأغرقن في النفي فظن (من سوء) أى من خيانة في شئ من الاشياء ولما أن يوسف
 عليه السلام راى جانب امرأة العزيز حيث قال ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن فذكرهن
 ولم يذكر تلك المرأة البتة وعرفت المرأة أنه اغتار لذكرها رعاية لحقها وتعظيم الجانبها واخفاء
 للامر عنها ارادت أن تكافئه على هذا الفعل الحسن فلا جرم أزال الغطاء والوطاء فلذلك
 (قالت امرأة العزيز) مصرحة بحقيقة الحال (الآن حصص الحق) أى ظهر وتبين (أنا
 راودته) أى خادعته (عن نفسه) وأكذبت ما أفصح به مدحا ونفيا لكل سوء بقولها مؤكدا
 لاجل ما تقدم (وانه لمن الصادقين) أى الغريبين في هذا الوصف في نسبة المارودة الى وتبرئة
 نفسه فقد شهد النسوة كلهن ببراءته وأنه لم يقع منه ما ينسب به الى شئ من سوء البتة في
 نسب بعد ذلك هما وغيره فهو تابع لمجرد الهوى في نفي من المخلصين قال الرازي رأيت في بعض
 الكتب ان امرأة جات بزوجها الى القاضي وأدعت عليه المهر فأمر القاضي بأن تكشف
 عن وجهها حتى يتمكن الشهود من اقامة الشهادة فقال الزوج لا حاجة الى ذلك فاني مقر
 بصداقها في دعواها فقالت المرأة لما أكرمتني الى هذا الحد فاشهد وانى أبرأت ذمتك من كل
 حق لي عليك ولما رجع الرسول الى يوسف عليه السلام وأخبره بشهادته ببراءته قال (ذلك)
 أى الخلق العظيم في تنبى في السجن الى أن تين الحق (ليعلم) العزيز باقرارها وهي في الامن
 وأبى محل الضيق والخوف علموا كذا (انني لم أخنه) أى في أهله ولا في غيرها (بالغيب) أى

والحال أن كلامنا غائب عن صاحبه هذا أقول الأكثرين أنه قول يوسف عليه السلام قال
 القراء ولا يعد وصل كلام انسان بكلام آخر إذا دلت القرينة عليه ومثاله قوله تعالى أن
 الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة هذا كلام بلقيس ثم قال الله تعالى
 وكذلك يفعلون وقوله تعالى ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه كلام الداعي ثم قال الله
 تعالى أن الله لا يخلف الميعاد ثم ختم الكلام بقوله (وإن الله لايهدي) أي يستدوينج
 بوجه من الوجوه (كيد الخائنين) أي ولو كنت خائناً لما خلصني الله من هذه الورطة العظيمة
 وحيث خلصني منها ظهراني برى عما نسبوني اليه وقبل انه كلام امرأة العزيز والمعنى اني
 وان كنت أحتل عليه الذنب في حضوره لكني ما أحتل الذنب عليه في غيبته أي لم تقل فيه وهو
 في السجن خلاف الحق ثم انها بالغت في تأكيد هذا القول وقالت وإن الله لايهدي كيد
 الخائنين يعني اني لما أقدمت على الكيد والمكر لاجرم افترضته وانه لما كان برياً من الذنب
 لاجرم طهره الله تعالى منه * واعلم أن هذه الآية على القول الاول دالة على طهارة يوسف عليه
 السلام من وجوه كثيرة الاول قولها أنا راودته عن نفسه والثاني قولها وان لمن الصادقين
 وهو اشارة الى أنه صادق في قوله هي راودتني عن نفسي والثالث قول يوسف عليه السلام
 ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب والحشوية يذكرون أنه لما قال يوسف هذا الكلام قال له جبريل
 عليه السلام ولا حين هممت قال الرازي وهذا من رواياتهم الخبيثة وما صحت هذه الرواية
 في كتاب معتد أي وانما أسندها بعضهم لابن عباس بل هم يلحقونها بهذا الموضع سبعاً منهم في
 تحريف ظاهر القرآن ورابعها أن اقدامه على قوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب مع أنه خانه
 بأعظم وجوه الخيانة اقدام على وقاحة عظيمة وعلى كذب عظيم من غير أن يتعلق به مصلحة
 بوجه ما أو اقدام على مثل هذه الوقاحة من غير فائدة أصلاً لا يليق بأحد من العقلاء فكيف
 يليق اسناده الى نبي مرسل من سلاله الانبياء الاصفياء فثبت أن هذه الآية تدل دالة قاطعة
 على براءته مما يقول الجهال والحشوية واختلفوا في تفسير قوله (وما أبرئ نفسي) لان ذلك
 يختلف باختلاف ما قبله لان قوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ان كان من كلام يوسف عليه
 السلام وقدم أنه قول الاكثرين فهو أيضاً كلامه وان كان من كلام المرأة فهذا أيضاً كلامها
 فعلى الاول قد تمسك به الحشوية وقالوا انه عليه السلام لما قال ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب
 قال له جبريل ولا حين حلت تكه سراً وبك فعند ذلك قال يوسف عليه السلام وما أبرئ نفسي
 (ان النفس لامارة بالسوء) أي بالزنا (الا ما رحم) أي عصم منه (رب ان ربي غفور) أي اللهم الذي
 همته (رحيم) أي لو فعلته لتساب على وهذا ضعيف كما قاله الرازي لما تقدم أن الآية المتقدمة
 برهان قاطع على براءته من الذنب وانما قال ذلك عليه السلام لانه لما قال ذلك ليعلم أني لم أخنه
 بالغيب كان ذلك جاريًا مجرى مدح النفس وتركيبتها وقد قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم
 فاستدل ذلك على نفسه بقوله وما أبرئ نفسي والمعنى وما أفرق نفسي ان النفس لامارة
 بالسوء مبالغة الى القبايح واغلبة في المعصية وعلى الثاني أنها لما قالت ذلك ليعلم أني لم أخنه

بالغيب قالت وما أرى نفسي من الخيانة مطلقا فاني قد خنته حين أحتل الذنب عليه وقلت
 ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجنه وأودعته في الحبس كأنها أرادت الاختصاص بها
 كان واختاف في قوله (وقال الملك) بينهم من قال هو العزيز ومنهم من قال هو الريان الذي
 هو الملك الأكبر قال الرازي وهذا هو الاظهر لوجهين الاول ان قول يوسف اجعلني على
 خزائن الارض يدل عليه الثاني قوله استخلصه لنفسه يدل على أنه قبل ذلك ما كان خالصا
 وقد كان يوسف عليه السلام قبل ذلك خالصا للعزيز فدخل هذا على ان هذا الملك هو الملك الاكبر
 انتهى ولما صرح به ولم يستغن بضميره كراهية الالتباس لما تحتل بينه وبين جواب امرأة
 العزيز من كلام يوسف عليه السلام ولو كان الكل من كلامها لاستغنى بالضمير ولم يحتاج الى
 ابرازه (اثبتوني به استخلصه لنفسه) أي اجعله خالصا لدون شريك قال ابن عباس فأنام
 الرسول فقال له ألق عنه ثياب السجن وألبسه ثيابا جدد واقم الى الملك فدعاه أهل السجن وهو
 يومئذ ابن ثلاثين سنة واغتسل وتطاف ولبس ثيابا جدد ابعدان دعاه لاهل السجن فقال
 اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تم عنهم الاخبار وكتب على باب السجن هذه
 منازل البلوى وقبور الاحياء وبيوت الاحزان وتجربة الاسدقاء وشجاعة الاعداء
 ثم أتى الملك فلما رآه غلاما حده فقال أيعلم هذا رؤياي ولا يعلمها السحرة والكهنة ثم أقعده
 قدامه وقال له لا تحف وألبسه طوقا من ذهب وثياب حرير وأعطاه دابة مسرجة من مئة
 كدابة الملك وروى أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو في الحبس وقال قل اللهم
 اجعل لي من عندك فرجا ومخرجا وارزقني من حيث لا أحسب فقيل الله تعالى دعاه وأظهر
 هذا السبب في تخليصه من السجن وروى أن يوسف لما دخل عليه قال اللهم اني أسألك
 بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدوتك من شره ثم سلم عليه بالعربية فقال ما هذا اللسان
 قال هذا اللسان عجمي اسمعيل ثم دعاه بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال هذا اللسان آباءى قال
 وهب كان الملك يتكلم بسبعين لغة ولم يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان أجابه
 يوسف عليه السلام وزاد بالعربية والعبرانية (قلنا كلمه) أي كلم الملك يوسف عليه السلام
 وشاهد منه ما شاهد من جلال النبوة وجعل الوزارة وخالل السيادة ومخايل السعادة
 أقبل عليه وقال اني أحب أن أسمع منك تأويل رؤياي شفاها فأجابه بذلك الجواب شفاها
 وشهد قلبه بصحته فعند ذلك (قال) له (انك اليوم لدينا مكيين أمينين) أي ذو مكانة وأمانة
 على أمرنا فأتى بها الصديق (قال) أرى أن تزرع في هذه السنين الخمسة زروعا كثيرا وتبنى
 الخرائن وتجمع فيها الطعام فإذا جاءت السنين المجدة بعنا الغلال فيحصل بهذا الطريق
 مال عظيم فقال الملك ومن لي بهذا الشغل فقال يوسف (اجعلني على خزائن الارض) جمع
 خزائنه وأراد خزائن الطعام والاموال والارض ارض مصر أي خزائن الارض لا أرضك مصر وقال
 الربيع بن أنس أي خرج مصر ودخله روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في هذه الآية قال رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستغفله من

ساعته لکنه لما قال ذلك أخوه الله تعالى سنة فأقام في بيته سنة مع الملك قال الرازي وهذا
 من العجائب لانه لما تناقل عند الخروج من السجن سهل الله تعالى عليه ذلك على أحسن
 الوجوه ولم يسارع في ذكر هذا الالتباس أخرا لله تعالى ذلك المطلوب عنه وهذا يدل على أن
 ترك التصرف أتم والقويض بالكلية الى الله تعالى أولى ثم قال (اني حفيظ عليم) أي ذو
 حفظ وعلم بأمرها وقيل كاتب وحاسب (فان قيل) لم طلب يوسف عليه السلام الامارة والنبي
 صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الامارة ولم طلب الامارة من سلطان كافر ولم
 يصبر مدة ولم أظهر الرغبة في طلبها في الحال ولم طلب أمر الخزانة في أقل الامر مع ان هذا
 يورث نوع تمسمة ولم مدح نفسه وقد قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم ولم ترك الاستثناء في هذا وقد
 قال تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله فهذه سبعة أسئلة (أجيب) عنها
 بأن الاصل في جواب هذه الاسئلة ان التصرف في أمور الخلق كان واجبا عليه لجأزله
 أن يتوصل اليه بأي طريق كان وانما كان ذلك واجبا عليه لوجوه الاول أنه كان رسولا حقا
 من الله تعالى الى الخلق والرسول يجب عليه مراعاة الامة بقدر الامكان والثاني أنه علم بالوحي
 أنه سيحصل القمط والضيق الشديد فلعنه تعالى أمره أن يذبر في ذلك ويأتي بطريق لا جأله يقل
 ضرر ذلك القمط في حق الخلق والثالث أن السعي أيضا في اصال النفع الى المستحقين ورفع
 الضرر عنهم أمر مستحسن في العقول فكان مكلفا عليه السلام برعاية المصالح من هذه الوجوه
 وما كان يمكنه رعايتها الا بهذا الطريق وما لا يتم الواجب الابه فهو واجب وانما مدح نفسه
 لأن الملك وان علم كماله في علوم الدين لكن ما كان عالما بأنه في هذا الامر وأيضا مدح النفس
 انما يكون مذموما اذا قصد به الشخص التطاول والتفاخر والتوصل الى غير ما يحل وأما هذا
 الوجه فليس بمذموم وقوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم المراد به تزكية حال من لا يعلم كونها من كرامة
 والدليل قوله تعالى بعد هذه الآية هو أعلم بمن اتقى أما اذا كان الانسان عالما بأنه صدق وحق
 فهذا اقل ممنوع منه وانما ترك الاستثناء لانه لو ذكر له بما اعتقد الملك فيه انه انما ذكره لعله أنه
 لا قدرة له على ضبط هذه المصلحة كما ينبغي فلهذا المعنى ترك الاستثناء ولما سأل يوسف عليه
 السلام ما تقدم قال معلما بأنه قد أجيب بتخيير الله تعالى له (وكذلك) أي كأنما مناعا عليه
 بالخلاص من السجن (مكالم يوسف في الارض) أي أرض مصر (ينبأ) أي ينزل (منها حيث
 يشاء) بعد الضيق والحبس قال ابن عباس وغيره ولما انقضت السنة من يوم سأل الامارة دعاه
 الملك فوجه وجعل خاتم الملك في اصبغه وقلده سيفه وجعل له سريرا من ذهب مكلا بالدر
 والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع عليه ستون فراشا فقال يوسف عليه السلام
 أما السرير فأشبهه ملكا وأما الخاتم فأدبره أمره وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آباءي
 وأمره أن يخرج فخرج لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الشاظر وجهه في صفاء لونه فانطلق
 حتى جلس على ذلك السرير ودانت له الملوك ودخل الملك بيته وفوض اليه أمر مصر وعزل
 قاضيها كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحق قال ابن زيد وكان ملك مصر خزان

كثيرة فسلم سلطانه كله اليه وجعل امره وقضاه نافذا في مملكته ثم مات قطيعا بعد ذلك فزوجه
 الملك امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا كما كنت تريدن قالت أيها الصديق لا ينبغي
 فاني كنت امرأته حسنة ناهية كما ترى في ملك ودينا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك
 الله في حسنك وهيئتك فقلبتني نفسي فوجدته يا يوسف عليه السلام عذرا فأصابها فوالت له
 ذكرين أفرأيت وميشا فأقام العدل بمصر وأحببه الرجال والنساء وأسلم على يديه الملك وكثير من
 الناس وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام بالدرهم والدينار في السنة الأولى ثم بالحلي
 والجواهر في السنة الثانية ثم بالذواب في السنة الثالثة ثم بالعبيد والاماء في السنة الرابعة ثم
 بالضياع والعقار في السنة الخامسة ثم بأولادهم في السنة السادسة ثم برقايم في السنة
 السابعة حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا صار عبد فقال الناس ما رأينا كاليوم ملكا أجمل
 ولا أعظم من هذا صار كل الخلق عبيدا له فلما سمع ذلك قال اني أشهد الله اني أعفت أهل مصر
 عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع أحدا ممن يطلب الطعام أكثر من حل بعير
 ثلاثين صيق الطعام على الباقيين هذا المخلص ما قاله البغوي والزنجشري وغيرهما قال الرازي
 والله أعلم بحقيقة الحال وروى ان يوسف عليه السلام كان لا يبيع من طعام في تلك
 الايام فقيل له تجوع ويبدل خزائن الارض فقال ان شئت نسيت الجائع وأمر يوسف طباط
 الملك أن يجعل غداه نصف النهار وأدب ذلك أن يذيق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائعين قال
 البغوي فمن ثم جعل الملوكة غداهم نصف النهار قال الله تعالى (فصيب) أي فخص (برحمتنا من
 نساء) في الدنيا والآخرة (ولا نضيع أجر المحسنين) بل نؤتيهم أجورهم عاجلا وأجلالاً انضاعة
 الاجرام ان تكون للجزأ والجهل أو للجل والسكل تمنع في حق الله تعالى فالانضاعة بمنع
 (ولا جبر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) الشرك والفواحش قال الرازي وهذا
 تنصيص من الله تعالى على أن يوسف عليه السلام كان في الزمان السابق من المتقين وليس
 ههنا زمان سابق يحتاج الى بيان أنه كان فيه من المتقين الا ذلك الوقت الذي قال الله تعالى
 فيه ولقد همت به وهم بها فكأن هذا من الله تعالى شهادة بأنه عليه السلام كان في ذلك الوقت
 من المتقين وايضا قوله ولا نضيع أجر المحسنين شهادة من الله تعالى على أنه كان من المخلصين
 فنبت أن الله تعالى شهد بأن يوسف كان من المتقين ومن المحسنين ومن المخلصين والجاهل
 الحشوي يقول انه كان من المذنبين ولا شك أن من لم يقبل قول الله تعالى مع هذه التاكيدات
 كان من الاخسرين ولما اشتد القحط وعظم البلاء عم ذلك جميع البلاد حتى وصل الى
 بلاد الشام وأرض كنعان وقصد الناس مصر من كل مكان للميرة فجعل يوسف عليه السلام
 لا يعطى أحدا أكثر من حل بعير وان كان عظيما تقسب طابين الناس وتزاحم الناس عليه ونزل
 باليعقوب منازل بالناس من الشدة فبعث بنيه الى مصر للميرة وأمسك بنيامين أخا يوسف
 لأمه وأبيه فذلك قوله تعالى (وجاء اخوة يوسف) وكانوا عشرة وكان منزلهم بالعربيات من ارض
 فلسطين فغوروا الشام وكانوا أهل ايل وشباه فدعاهم أبوهم يعقوب عليه السلام وقال بلغني أن

بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فجهزوا اليه واقصدوه لشتر وامنه ما يحتاجون من الطعام
وههنا همزتان مختلفتان من كلمتين فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمر وبشيل الثانية والساكون
بالتحقيق * ولما أمرهم أبوهم بذلك خرجوا حتى قدموا مصر (فدخلوا عليه فعرفهم) قال ابن
عباس بأول نظرة اليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه (وهم له منكرون) أي لم
يعرفوه وذلك لوجوه الأول أنه عليه السلام أمر بحجابه بأن يوقه وهم من البعد وما كان يسكنهم
معهم الا بواسطة الثاني أنهم حين لقوه في الحب كان صغيرا ثم انهم رأوه بعد وفور الحجة وكبر
الحجة قال ابن عباس وكان بين ان قدفوه في البئر وبين أن دخلوا عليه أربعون سنة فلذلك أنكره
وقال عطاء انما لم يعرفوه لانه كان على سرير الملك وكان يرى ملوك مصر عليه ثياب حريري
عنقه طوق من ذهب ثم ان يوسف عليه السلام أمر بانزالهم وكرامهم وكانت عادته أن لا يزيد
أحد على جل بعير وكانوا عشرة فاعطاهم عشرة أجمال كما قال تعالى (ولما جهزهم بجهازهم)
أي وفاهم كيلهم والجهاز ما بعد من الامتعة للثقة كمدد السفر وما يحمل من بلدة الى أخرى
وما ترف به المرأة الى زوجها فقالوا ان لنا شيئا كبيرا وأخا خربق معه وذكرنا أن آباهم
لاجل سنه وشدة حره لم يحضروا أن اخاهم في خدمة أبيه ولا بدلهما أيضا من جلين آخرين
من الطعام فلما ذكروا ذلك قال يوسف عليه السلام فهذا يدل على أن حب أيكم له أزيد من
حبه لكم وهذا شيء عجيب لانكم أنتم مع جلالكم وعظمتكم وأدبكم اذا كانت محبة أيكم
لذلك الاخ أكثر من محبته لكم دل ذلك على أنه أعجوبة في العقل والادب فجيئني به حتى
أراه كما قال تعالى حكاية عنه (قال اتوني بأخ لكم من أيكم) أي الذي خلفته عنده وقبل
انه لما نظر اليهم وكلوه بالعبانية قال لهم اخبروني من أنتم وما أمركم فاني أنكرت شأنكم قالوا
قوم من أرض الشام أصابنا ما أصاب الناس فحشنا غمنا فقال لعلمكم جئتم لتظروا الى عودة
بلادنا قالوا والله لسنابجوا سببنا نحن اخوة بنو أب واحد وهو شيخ صديق يقال له
يعقوب بنى من أنبياء الله تعالى قال وكمنتم قالوا كنا اثني عشر فذهب أخ لنا الى البرية فهلك
فيها وكان أحبنا الى أينا قال فكم أنتم ههنا قالوا عشرة قال وابن الابن الآخر قالوا عندنا
لانه أخو الذي هلك وأبوهم مبتلى به قال فن يعلم ان الذي تقولون حق قالوا أيها الملك اننا لبلاد
لا يعرفنا فيها أحد فقال يوسف عليه السلام فأتوني بأخيكم الذي من أيكم ان كنتم
صادقين فأننا أرضي بذلك فقالوا ان أبانا يحزن على فراقه وسراوده عنه قال فدعوا بعضكم
عندي رهينة حتى تأتوني بأخيكم فاقرعوا بينهم فأصاب القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا
في يوسف فحفظوه عنده ثم انه قال لهم (الأترون أني أوفى الكل) أي أمته ولا أبخس منه شيئا
وقرأ نافع بفتح الباء من أني والباقون بالسكون وأما الباء من أوفى فجميع القراء يثبتونها في
الوقف لثباتها في الرسم وحذفوها في الوصل للقاء الساكنين (وأنا خير المنزلين) أي
المضيفين فانه كان قد أحسن ضيافتهم مدة أقامتهم عنده قال الرازي وهذا يضعف قول من
يقول من المفسرين انه اتهمهم ونسبهم الى أنهم عميون وجواسيس ولوشافهم بهذا الكلام

فلا يليق به أن يقول لهم ألا ترون أني أوفى الصكيل وأخبر المتزلين وأيضاً يعد من يوسف
 عليه السلام مع كونه صدقاً أن يقول لهم انتم عيون وجواسيس مع أنه يعرف براءتهم
 عن هذه التهمة لأن البهتان لا يليق بحال الصديق ثم قال عليه السلام (فان لم تأتوني به) أي
 بأخيتكم (فلا كيل) أي فلامبرة (لكم عندى) ولم يمنعهم من غيره (ولا تقررون) نهى أوعطف
 على محل فلا كيل لكم أي قهرموا ولا تقرروا منى ولا تدخلوا ديارى فجمع لهم عليه السلام
 بين الترغيب والترهيب فالترغيب في قوله الأول والترهيب في قوله الثاني لأنهم كانوا في نهاية
 الحاجة الى الطعام وما كان يمكنهم تحصيله الا من عنده ومع ذلك لم يحطروا بهم أنه يوسف فكانه
 قيل فما قالوا ف قيل (قالوا اسراود) أي بوعد لا خلف فيه حين نصل (عنه أباه) أي سلكه فيه
 وتنازعه الكلام ويحتمل فيه وتلطف في ذلك ولا ندع جهداً (وانا لفاعلون) أي ما أمرتنا
 به والتزمناه (و) لما أرغبهم وأرهبهم في شأن أخيه (قال لفتيته) أي علمائه الكيلين جسع
 فقي وقرأ حفص وحزرة والكسائي بألف بعد الباء المنة تحت وبعد الالفون مكسورة
 والباقون بالياء المنة تحت ثم بناء مشاة فوق مكسورة (اجعلوا بضاعتهم) أي التي أتوا بها
 عن الميرة وكانت دواهم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنها كانت النعال والادم
 (في رحالهم) جمع رحل أو عيتم التي يحملون فيها الطعام (لعلهم يعرفونها) أي بضاعتهم (إذا
 اقبلوا) أي رجعوا (الى أهلهم) وقهوا أو عيتم (لعلهم يرجعون) البنا واختلف في السبب
 الذي من أجله ود يوسف عليه السلام بضاعتهم في رحالهم على أوجه الأول أنه أراد أن يكون
 ذلك المال معونة لهم على شدة الزمان وكان يخاف اللصوص من قطع الطريق فوضع تلك
 الدراهم في رحالهم حتى تبقى مخفية الى أن يصلوا الى أبيهم الثاني أراد أن يعترف أباه أنه
 أكرمهم وطلبهم لزيد الأكرام فلا يشغل على أبيه ارسال أخيه الثالث مقصوده أن يعرفوا أنه
 لا يطلب ذلك الا لاجل الايدام والظلم ولا يطلب زيادة الثمن الرابع أراد أن يحسن اليهم على
 وجه لا يلحقهم فيه عيب ولا منة الخامس قال القراء انهم متى شاهدوا بضاعتهم في رحالهم وقع
 في قلوبهم أنهم وضعوا تلك البضاعة في رحالهم على سبيل السهو وهم أنبياء وأولاد أنبياء
 ف يرجعون ليعرفوا السبب فيه ويردوا الملك الى مالكه السادس أراد به التوسعة على أبيه لأن
 الزمان كان زمان القمط السابع رأى ان أخذ عن الطعام من أبيه ومن أخوته على شدة حاجتهم
 الى الطعام لئلا يظن الثامن خاف أن لا يكون عند أبيه من المال ما يرجعون به مرة أخرى التاسع
 أنهم متى قهوا المتاع فوجدوا بضاعتهم فيه علواً ذلك كرم من يوسف عليه السلام وحفاه
 فيبغضهم ذلك الى العود اليه والحرص على معاملته عليه السلام (فلما رجعوا) أي اخوة يوسف
 عليه السلام (الى أبيهم قالوا يا أبانا) انا قد مناعلى خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة عظيمة لو كان
 رجلاً من آل يعقوب ما أكرمنا كرامه فقال يعقوب عليه السلام اذ رجعت الى ملك مصر
 فأقرومتي السلام وقولوا له ان أبا نايدي عولت بما وليتنا ثم قال لهم أين شبعون قالوا ارتبته ملك
 مصر وأخبروه بالقصة وقولهم (منع منا الكيل) فيه قولان أحدهما أنهم لما طلبوا الطعام

لاخيههم الغائب عندهم منعوا منه والثاني أنهم منعوا الكيل في المستقبل وهو قول
 يوسف عليه السلام فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ويدل لهم ما قولهم (فأرسل معنا
 أخانا بنيامين (تكتل) فان حزمة والكسائي قرأه بالياء أي يكتل لنفسه وهذا يدل لقول
 الاول والباقيون بالنون أي تكتل نحن وإياه وهذا يدل لقول الثاني (واناله لحافلون) عن
 أن يناله مكروه حتى ترده اليك فلما قالوا يعقوب عليه السلام هذه المقالة (قال لهم هل
 آمنكم) أي أقبل منكم الآن وفي مستقبل الزمان تأمينكم لي فيه بما يسوون في تأميننا مستقبلا
 (عليه) أي بنيامين (الا كما آمنكم) أي في الماضي (على أخيه) يوسف عليه السلام (من
 أقبل) فانكم أكدتم غاية التأكيده فلم تحفظوه ولم تردوه إلى والامن اطمئنان القلب الى
 سلامة النفس فانافي هذا لا آمن عليه الا الله تعالى (فأله) المحيط علما وقدره (خير حفظا) منكم
 ومن كل أحد ففيه التوفيق الى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع الامور وقرأ حفص وحزمة
 والكسائي بفتح الحاء وألف بعدها وكسر القاء والباقيون بكسر الحاء وسكون القاء وهو منصوب
 على التمييز في القراءتين وتحتمل الاولى النصب على الحال اللازمة (وهو أرحم الراحمين) أي
 أرحم بي من أن يفجعني به بعده صديقي بأخيه فلا يجمع على مصيبتين (ولما) أرادوا تقرير
 ما قدموا به من المرة (فكروا متاعهم) أي أوعيتهم التي جالوها من مصر (وجدوا بضاعتهم) أي
 ما كان معهم من كنعان لشراء القوت (ردت اليهم) والوجدان ظهور الشيء للنفس بحاسة
 أو ما يغني عنها فكانه قيل ما قالوا فقبل (قالوا) أي لا يهيم عليه السلام (يا أبا نأما) استغفاهمية
 أي أي شيء (ينغي) أي يزيد جميع القراء أئبتوا الياء وقفا ووصلا لنباتهما في الرسم فكانه قال
 لهم ما الخير فقالوا يا نأما ذلك ونأ كيدا للسؤال في استعجاب أخيه (هذه بضاعتنا ردت اليينا)
 هل من مزيد على ذلك أكرمنا وأحسن مشوانا وباع منا ورده علينا متاعنا ولما كان التقدير
 ورجع بها اليه بأخيها فيظهر له نفعنا وصدقنا (وتعبرأ هلنا) أي تجلب اليهم الميرة برجوعنا اليه
 والميرة الاطعمة التي تحمل من بلد الى بلد (ونحفظ أخانا) فلا يصيبه شيء مما تحشى عليه تأ كيدا
 للوعد بحفظه (وزداد كبل بعير) لاخيها (ذلك كبل يسير) أي سهل على الملك لسخائه وحرصه
 على البذل وقيل قصر المدة ليس سبيل مثله أن تطول مدته بحسب الحبس والتأخير وقيل قليل
 فابعث أخانا معنا حتى نبذل تلك القلة بالكثرة فكانه قيل ما قال لهم فقبل (قال) يعقوب
 عليه السلام (لن أرسله) أي بنيامين كائنا (معكم) أي في وقت من الاوقات (حتى تؤتوني
 موثقا) أي عهدا مؤكدا (من الله) قرأ ابن كثير بإثبات الياء بعد النون وقفا ووصلا
 وأبو عمرو بإثبات الياء وقفا ووصلا وحذفها الباقيون وقفا ووصلا وقوله (لأنتني) أي كلكم
 (به) أي تحلفوا بالله لأنتني به من الاثبات وهو الهجي في كل حال جواب القسم والمعنى حتى
 تحلفوا بالله لأنتني به (الا) أي في حال (أن يحاط) أي تحصل الاطاحة بمصيبة من المصائب
 لا طاقة لكم بها (بكم) فتهلكوا من عند آخركم كل ذلك زيادة في التوثيق بما حصل له من
 المصيبة يوسف عليه السلام وان كان الاعتقاد في حفظه انما هو على الله تعالى وهذا من باب

اعقلها و هو كل فاجابوه الى ذلك كما قال تعالى (فلما اتوهم موثقهم) بذلك (قال الله على ما نقول) نحن وانتم (وكيف) أى شهيد وأرسله معهم بعد ذلك (فان قيل) لم أرسله معهم وقد شاهد منهم ما شاهدني يوسف عليه السلام (أجيب) بأن ذلك لوجوه أحدها أنهم كبروا ومالوا الى الخير والصالح الثاني انه كان شاهداً أنه ليس بينهم وبين بنيامين من الحسد والخقد مثل ما كان بينهم وبين يوسف عليه السلام الثالث لعل الله أوحى اليه وضمن حفظه وإيصاله اليه (و) لما عزموا على الخروج الى مصر وكانوا موصوفين بالكمال والجمال وأبناء رجل واحد (قال لهم) يا بني لاتدخلوا اذا قدمتم الى مصر (من باب واحد) من أبوابها (وادخلوا من أبواب) واحترز من أن تكون متلاصقة أو متقاربة جداً بقوله (متفرقة) أى تفرقا كثيراً وهذا حكم التكليف للابواب والعين وهي من قدر الله تعالى وقد ورد شرعاً بذلك ففي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال العين حق وفي رواية عن أحمد بن حنبل عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين وفي رواية عن جابر أن العين لتدخل الجمل القدر والرجل القبر وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم كان يذو الحسن والحسين فيقول أعيد كما بكلمات الله الثابتة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ويقول هكذا كان يعوذ إبراهيم اسمعيل واسحق صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر النبيين وعن عبادة بن الصامت قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول النهار فوجدته شديد الوجع ثم عدت اليه في آخر النهار فرأيت به معافى فقال أن جبريل عليه السلام أتاني فرقاني فقال بسم الله أرقبك من كل شيء يؤذيك من كل عين وحسد الله يشفيك قال فأنفت وفي رواية أن بنى جعفر بن أبي طالب كانوا غلماناً يضافقات أسماء يارسول الله أن العين اليهم سريرة فاسترق لهم من العين فقال لها نعم وفي رواية دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت أم سلمة وعندها صبي يشتكي فقالوا يارسول الله أصابته العين فقال أمانتسترقون له من العين وعن عائشة رضي الله تعالى عنها كان يؤمر العائن أن يتوضأ ثم يقتل منه المعين الذي أصيب بالعين ولما خاف يعقوب عليه السلام أن يسبق من أمره هذا الى بعض الاوهام أن الحذر يغنى عن القدر في ذلك بقوله عليه السلام (وما أغنى) أى ادفع (عنكم) بقولي ذلك (من الله من شيء) قدره عليكم وانما ذلك شفقة ومن من يذو للتأ كيد واعلم أن الانسان مأثور بأن يراعى الاسباب المعتبرة في هذا العالم بأن يجوزم بأنه لا يحصل الا ما قدره الله تعالى وان الحذر لا يدفع القدر فالانسان مأثور بأن يحذر الاشياء المهلكة والاغذية الضارة ويسعى في تحصيل المنافع ودفع المضار بقدر الامكان ومع ذلك يكون جازماً بأنه لا يصل اليه الا ما قدره الله تعالى ولا يحصل في الوجود الا ما اراده الله تعالى فقوله عليه السلام لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة اشارة الى رعاية الاسباب المعتبرة في هذا العالم وقوله وما أغنى عنكم من الله من شيء اشارة الى عدم الالتفات الى الاسباب بل الى التوحيد المخلص والبراءة من كل شيء سوى الله تعالى ولما تضمن

الامر كله اليه تعالى وجب رد كل امر اليه وقصر النظر عليه فقال منها على ذلك (ان الحكم
 الا لله) وحده الذي ليس الحكم الا له (عليه) أي على الله وحده (توكلت) أي جعلته
 وكلي فرضيت بكل ما يفعل (وعليه) وحده (فليتوكل المتوكلون) أي الثابتون في باب
 التوكل فان ذلك من أعظم الواجبات من فعله فاز ومن أغفله خاب وقد ثبت بالبرهان ان لا حكم
 الا لله فلزم القطع بأن حصول كل الخيرات ودفع كل الاقات من الله تعالى وذلك يوجب أن
 لا توكل الا على الله تعالى فهذا مقام شريف عال والشيخ أبو حامد الغزالي أكثر في تقرير
 هذا المعنى في كتاب التوكل من كتب احياء علوم الدين فمن أراد الاستقصاء فيه فليطالع
 ذلك الكتاب * ولما قال يعقوب عليه السلام وما أغنى عنكم من الله من شيء صدقه الله
 تعالى في ذلك فقال (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أي متفرقين (ما كان) ذلك
 التفرق (يعني عنهم من الله) أي من قضاؤه وأغرق في النفي فقال (من شيء) أي مما قضاه
 عليهم كما تقدم من قول يعقوب عليه السلام فسر قوا وأخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله
 ونضاعت العصية على يعقوب عليه السلام وقوله تعالى (الاحاجة) استثناء منقطع أي
 لكن حاجة (في نفس يعقوب) وهي الوصول الى ما أمر به شفقة عليهم (قضاها) يعقوب عليه
 السلام وبرزها من نفسه الى أولاده فعملوا فيها بما رده فاغنى عنهم الخلاص من عقوق أبيهم
 فقط (وأنه) أي يعقوب عليه السلام مع أمره لبنيه بذلك (لذو علم) أي معرفة بالحكمين حكم
 التكليف وحكم التقدير وإطلاع على الكونين عظيم (لما علمناه) بالوحي ونصب الحجج ولذلك
 قال وما أغنى عنكم من الله من شيء ولم يغتر بنديه * ولما كان قد بطن أن كل أحد يكون
 كذلك أي يعلم ما علمه نبي ذلك سبحانه وتعالى بقوله جل شأنه (ولكن أكثر الناس) أي لاجل
 ما نالهم من الاضطراب (لا يعلمون) أي ليسوا بآذرى علم الماعلناهم لا عراضهم عنه واستفراغ
 قواهم في الاهتمام بما وقع التكليف لهم به ومن أحوال الدنيا ومقابله قطرهم القوقعة السلبية
 برزها الى ما ندعوهم اليه الحظوظ والشهوات حتى لا يكون طب لمخلوق * ولما أخبر تعالى عن
 دخولهم الى البلد أخبر عن دخولهم لحاجتهم الى يوسف عليه السلام فقال (ولما دخلوا)
 أي اخوة يوسف عليه السلام (على يوسف) في المقدمة الثانية بأنهم بنيامين فالواحد أخونا
 فقال أحسنتم واحسنتم وسجدون خير ذلك عندي ثم أنزلهم وأكرم منزلهم ثم أضافهم
 وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحيد فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا
 أجلسني معه فقال يوسف القدير صار أخوك هذا وحيدا فأجلسه معه على مائدة وصار يواكله
 فلما كان الليل أمر أن ينزل كل اثنين منهم يتناقض بنيامين وحده فقال يوسف هذا بنام معي علي
 فراشي كما قال تعالى (آوى) أي ضم (اليه أخاه) فبات معه وجعل يوسف يضعه اليه ويشعو
 ثم قال له ما اسمك فقال بنيامين قال وما بنيامين قال المشكل وذلك انه لما ولد هلك أمه قال
 وما اسم أمك قال راحيل بنت لاوى قال فهل لك من ولد قال نعم عشرة بنين ولما رأى ناسفه
 لاخ له هلك قال له أتعجب أن أكون أخاك بدل أخيك فقال ومن يجدا أخاك مثلك ولكنك لم يلدك

يعقوب ولا راحل فبكي يوسف وقام اليه وعانقه (وقال اني أنا أخوك فلا تبئس) أي لا تحزن
 (بما كانوا يعملون) أي بشئ فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا فلا تلتفت الى
 أعمالهم المنكرة التي قد أقدموا عليها وقد جعلنا الله تعالى على خير ولا تعلم بشئ من ذلك وقرأ
 نافع وابن كثير وأبو عمر ويفتح الباء والباقون بالسكون ومذ بعد النون من أنا قبيل الهمزة
 المقفوحة نافع والباقون بالفتح ثم انه ملأ لهم أو عيبتهم كما أرادوا وكان في المرة الاولى أبطأ
 في تجهيزهم في طول المدة ليعرف أخبارهم من حيث لا يشعرون ولذلك لم يعطف بالقاء وأسرع
 في تجهيزهم في هذه المرة قصدا الى انفرادهم بأخيه من غير رقيب بالحيلة التي دبرها فلذلك أنت
 الفاء في قوله (فلما جهزهم) أي اعجل جهازهم وأحسنه (بجهازهم جعل) نفسه أو بأدونه
 (السقاية) أي المشربة التي كان يشرب بها (في رحل أخيه) أي وعاء طعام أخيه بنيامين
 كما فعل بيضاء عنهم في المرة الاولى قال ابن عباس كانت من زبرجد وقال ابن اسحق كانت من
 فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجواهر وجعلها يوسف عليه
 السلام ميكا لا لئلا يكال بغيرها وكان يشرب فيها قال الرازي هذا بعيد لان الاء الذي يشرب
 فيه الملك لا يصلح أن يجعل صاعا وقيل كانت الدواب تنقيها قال وهذا أيضا بعيد لان الاتية
 التي تنقي الدواب فيها لا تكون كذلك قال والاصوب أن يقال كان ذلك الاناسيا له قيسة
 اما الى هذا الحد الذي ذكره فلا والسقاية والصواع واحد ثم اوتملوا وأمهلهم يوسف عليه
 السلام حتى انطلقوا وذهبوا منزلا وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم بعث خلعهم من
 استوفهم وجسهم (ثم أذن) أي أعلن فيهم النداء (مؤذن) فالتل برفع صوته وان كانوا
 في غاية القرب منه بمبادل عليه اسقاط الاداة (أيها العير) أي القافلة قال أبو الهيثم كل مسير
 عليه من الابل والجر والغال فهو عير قال وقول من قال العير الابل خاصة باطل فقوله أيها العير
 أي أصحاب العير كقوله يا خيل الله أركبي قال القراء كانوا أصحاب ابل وقال مجاهد كانت
 العير جيرا وقرأ ورش بابدال همزة مؤذن واوا وقفا ووصلا وهمزة في الوقف فقط والباقون
 بالقصر (انكم لسارقون) ففقدوا حتى تنظر الذي فقدنا والسرقة أخذ ما ليس له أخذه في خفاء
 من حرز مثله (فان قيل) هل كان هذا النداء بأمر يوسف عليه السلام أو ما كان بأمره فان كان
 بأمره فكيف يلقى يوسف عليه السلام مع علوه منصبه أن يهتأقوا ما ورثه منهم الى السرقة
 كذنا وبهنا وان كان بغير أمره فلا أظهر برأتهم عن تلك التهمة (أجيب) بأجوبة الاول
 أنه عليه السلام لما أظهر لأخيه أنه يوسف قال لست فأارقك قال لاسيبل الى ذلك الانتدبير
 حيلة أنسبك فيها الى ما يليق بك قال رضيت بذلك وعلى هذا لما تألم قلبه بسبب هذا الكلام
 لانه قد رضي به فلا يكون ذلك ذنبا الثاني انكم لسارقون يوسف من أيه الا أنهم ما أظهروا
 هذا الكلام فهو من المعارض وفي المعارض مندوحة من الكذب الثالث أن المنادي
 اعياذك النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا يخرج أن يكون كذبا الرابع ليس في القرآن
 ما يدل على أنهم قالوا هذا بأمر يوسف عليه السلام قال الرازي والاقرب الى ظاهر الحال أنهم

فعلوا ذلك من أنفسهم لانهم لم يطلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك أحد غيرهم غلب على
 ظمهم أنهم الذين أخذوها ولما وصل اليهم الرسول قال لهم ألم تحسن ضيافتكم وتكرم منواكم
 وتضيكم كبلكم وفعلنا بكم ما لم تفعل بغيركم قالوا بلى وما ذلك قالوا سقاية الملك فقد ناهوا ولا تنهم
 عليها غيركم فذلك قوله تعالى (قالوا) الحال أنهم قد (أقبلوا عليهم) أي على جماعة الملك المنادى
 وغيره (ماذا) أي ما الذي (تفقدون) مما عكفنا أخذه والفقدان ضد الوجود (قالوا تفقد) وكان
 للسقاية اسمان فعبروا بقولهم (صواع الملك) والصواع هو المكيال وهو السقاية المتقدمة سموه
 تارة كذا وتارة كذا وانما اتخذوا هذا الاناء مكيالا لعزة ما يكال به في ذلك الوقت (ولن جاء به
 حل بغير) أي من الطعام والبعير يطلق لغة على الذكر خاصة وأطلقه بعضهم على الناقة أيضا
 وجعله نظير انسان وهو ما جرى عليه الفقهاء في باب الوصية والجمع في القلة على أربعة
 وفي الكثرة على بعرا (وأنا به زعيم) قال مجاهد هذا الزعيم هو الذي أذن والزعيم الكفيل وهذه
 الآية تدل على أن الكفالة كانت صحيحة في شرعهم وقد حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في قوله الزعيم غارم واذا ورد في شرعنا ما يقر شرع غيرنا هل يكون شرعنا في ذلك خلاف
 والراجح أنه ليس بشرع لنا (فان قيل) كيف تصح هذه الكفالة مع أن السارق لا يستحق شيئا
 (أجيب) بأنهم لم يكونوا سارقا في الحقيقة فيحصل ذلك على مثل رد الضائع فيكون ذلك جهالة
 أو أن مثل هذه الكفالة كانت جائزة عندهم في ذلك الزمان (قالوا) أي اخوة يوسف
 عليه السلام (تالله) التاء حرف قسم وهي عند الجاهل هو ريدل من واو القسم والواو ريدل من الباء
 فهي فرع الفرع فلذلك ضعف عن التصريف في الاسماء فلا تدخل الاعلى الجلالة الكريمة
 أو الرب مضافا للكعبة أو الرحمن في قول ضعيف ولو قلت تالرجن لم يجز أي والله (لقد علمت)
 أي بما جرت به من أمانتنا قبل هذا في كون مجيئنا (ما بيننا) وأكدا والني باللام فقالوا
 (لنفسد) أي نوقع الفساد (في الأرض) أي أرض مصر (و) لقد علمت (ما كنا) أي بوجه من
 الوجوه (سارقين) أي موصوفين بهذا الوصف قطعاً (فان قيل) من أين علموا ذلك (أجيب) بأن
 ذلك يعلم محاراً وأمن أحوالهم وقيل لانهم ردوا البضاعة التي جعلت في رحالهم قالوا فلو كنا
 سارقين ما رددناها وقيل قالوا ذلك لانهم كانوا معروفين بأنهم لا يتناولون ما ليس لهم وكانوا اذا
 دخلوا مصر كموا أفواههم كي لا تتناول شيئا من حروث الناس (قالوا) أي أصحاب يوسف
 عليه السلام المنادى ومن معه (تأجراؤه) أي السارق وقيل الصواع (ان كنتم كاذبين)
 في قولكم ما كنا سارقين ووجد فيكم والجزاء مقابلة العمل بما يستحق من خير وشر (قالوا)
 وثوقنا منهم بالبراءة واخبارا بالحكم عندهم (جزاؤه من وجد في رحله) ولتحققهم البراءة علقوا
 الحكم على مجزئ الوجدان لا السرقة ثم أكدوا ذلك بقولهم (فهو جزاؤه) قال ابن عباس
 كان ذلك الزمان كل سارق يسرقه فلذلك قالوا ذلك أي فالسارق جزاؤه أن يسلم
 بمرقته إلى المسروق منه فيسترق سنة وكان ذلك سنة آل يعقوب في حكم السارق
 وكان حكم ملك مصر أن يضرب السارق ويغرم ضعي قيمة المسروق فأراد يوسف أن يحبس

أخاه عنده فرد الحكم اليهم ليستمكن من حبسه عنده على حكمهم (كذلك) أي الجزاء (تجزي
الظالمين) بالسرقه قال أصحاب يوسف فلا بد من تفتيش رجالكم فردوهم الى يوسف عليه السلام
فأمر بتفتيشها بين يديه (فبدأ بأوعيتهم) ففتشها (قبل وعاء أخيه) لثلاثتهم فلم يجد فيها شيئاً (ثم)
أي بعد تفتيش أوعيتهم والثاني في ذلك (استخرجها) أي السقاية أو الصاع لانه ذكر وبوث
(من وعاء أخيه) فلما خرج الصاع من وعاء بنيامين تكس اخوته رؤسهم من الحياء وأقبلوا
على بنيامين بلومونه ويقولون له ايش الذي صنعت فضمتنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل
ما زال لنا منك بلاء حتى أخذت هذا الصاع فقال بنيامين بل بنو راحيل ما زال لهم منك بلاء
ذهبتم بأخي فاهلكتموه في البرية ان الذي وضع هذا الصاع في رحلي هو الذي وضع البضاعة
في رجالكم فأخذ بنيامين رقيقاً وقيل ان المنادى وأصحابه هم الذين تولوا تفتيش رجالهم
وهم الذين استخرجوا الصاع من رحله فأخذه برقبته وردوه الى يوسف عليه السلام * (تنبه) *
ههنا حمزان مختلفتان من كلتي قرأتان فابن كثير وأبو عمرو بابدال الثانية بباء والباقون
بالتحقيق (كذلك) أي مثل ذلك الكيد (كدنا يوسف) خاصة بأن علمناه اياه جزاء لهم
على كيدهم يوسف عليه السلام في الابتداء وقد قال يعقوب ليوسف عليه السلام فيكيدوا
لك كيدا والكيد من الخلق الحيلة ومن الله تعالى التدبير بالحق فالمراد من هذا الكيد هو
ان الله تعالى ألقى في قلب اخوته بأن حكموا أن جزاء السارق هو أن يسرق لاجرم لما ظهر
الصاع في رحله حكموا عليه بالاسترقاق وصار ذلك سبباً لتكيد يوسف عليه السلام من
امساك أخيه عنده نفسه * ولما كان الكيد يشعر بالحيلة والخديعة وهو في حق الله تعالى
محال جل على الغاية ونهايته هنا القاء الانسان من حيث لا يشعر في أمر مكره لا سبيل له
الى دفعه فالكيد في حق الله تعالى محال على هذا المعنى وقيل المراد بالكيد ههنا ان اخوة
يوسف سعوا في ابطال أمره والله تعالى نصره وقواه وأعلى أمره وقوله تعالى (ما كان) أي
يوسف (ليأخذ أخاه في دين الملك) أي حكمه بيان لكيد لان جزاءه كان عنده الضرب
وقفرهم مشى ما أخذ لا أنه يستعبد وقوله تعالى (الآن يشاء الله) فيه وجهان أحدهما
أنه استثناء منقطع تقديره ولكن بمشيئة الله أخذه في دين غير دين الملك وهو دين آل يعقوب عليه
السلام ان الاسترقاق جزاء السارق والثاني انه مفرغ من الاحوال العاتية والتقدير
ما كان ليأخذه في كل حال الا في حال التباسه بمشيئة الله أي انه في ذلك * ولما كان يوسف عليه
السلام انما كان من ذلك بعلو درجته وعكسه ورفقته بعدما كان فيه عندهم من
الصغار كان ذلك محل عجب فقال تعالى التفاتنا الى مقام التكلم (ترفع درجات من نشاء) أي
بالعلم كما رفعنا درجته وكان الاصل درجانه ولكنه عم لأنه أدل على العظمة فكان أليق
بظهورها وفي هذه الآية دليل على ان العلم أشرف المقامات وأعلى الدرجات لان الله تعالى
لما هدى يوسف عليه السلام الى هذه الحيلة مدحه لاجل ذلك ورفع درجته على اخوته ووصف
ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى ترفع درجات من نشاء عندما حكى عنه دلائل التوحيد والبراءة

عن الهبة الشمس والقمر والكواكب وقرأ حاصم وحزرة والكسافي بتكوين التام والباقيون
 بغير تكوين (وفوق كل ذي علم عليم) قال ابن عباس فوق كل عالم عالم إلى أن ينهى
 العلم إلى الله تعالى فآله تعالى فوق كل عالم لأنه هو الغني بعلومه عن التعلم وفي الآية دليل على أن
 أخوة يوسف عليه السلام كانوا علماء وكان يوسف أعلم منهم قال ابن الأنباري يجب أن يتم العالم
 نفسه ويستشعر التواضع لربه تعالى ولا يطمع نفسه في العليسة في العلوم لأنه لا يتجاوز عالم من عالم
 فوقه * ولما حصل لأخوة يوسف من إخراج الصواع من رحل بنيامين ما حصل فكأنه قيل
 لما كان فعلهم عند ذلك فقيلاً (آلوا) نسبية لأنفسهم ودفع اللعازين خاصتهم (أن يسرق)
 ولم يجوزوا بسرقة لعلمهم بأمانته وظنهم أن الصواع دس في رحله وهو لا يشعر كما دس بضاعتهم
 في رحالهم وكان قد قال لهم ذلك (فقد سرق أخ له من قبل) أي يوسف وكان غرضهم من
 ذلك أنالسنا على طريقته ولا على سيرته وهو وأخوه مختصان بهذه الطريقة لأنهم ما من أمة أخرى
 واختلوا في التي نسبوا إلى يوسف عليه السلام على أقوال فقال سفيان بن عيينة أخذ حاجة
 من الطبر التي كانت في بيت يعقوب فأعطاهما سائلًا وقال مجاهد جاءه سائل فأخذ بيضة من
 البيت فناولها للسائل وقال وهب كان يخاف الطعام من مائدة يعقوب للفقراء وقال سعيد بن
 جببر كان جده أبو أمته كافر يعبد الوثن وأمرته أمته أن يسرق تلك الاوثان ويكسرها فلعل يترك
 عبادة الاوثان ففعل ذلك فهذا هو السرقة وقال محمد بن اسحق أن يوسف عليه السلام كان
 عند عمته ابنة اسحق وكانت تحبه حباً شديداً فأرادت أن تمسكه عند نفسها وكان قد بقي
 معها منطلقاً لبيها اسحق عليه السلام وكانوا يتبركون بها فشدها على وسط يوسف عليه السلام
 من تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت انه سرقها وكان علمهم أن من سرق يسترق فقال يعقوب
 عليه السلام ان كان قد فعل ذلك فهو سارق فأمسكته عندها حتى ماتت فقوصلت بهذه الحيلة
 إلى امساكه عند نفسها قال ابن الأنباري وليس في هذه الأفعال كلها سرقة ولكنها تشبهها
 فغير وجهها عند الغضب وقيل انهم كذبوا عليه وبهتوه وكانت قلوبهم مملوءة من الغضب على
 يوسف بدء تلك الوقائع وبعد انقضاء المدة الطويلة قال الرازي وهذه الواقعة تدل على أن قلب
 الحاسد لا يطمئن من الغل البتة (فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها) أي يظهرها (لهم) والضمير
 للكلمة التي هي قوله (قال) أي في نفسه (أنتم شتمتمكم) أي من يوسف وأخيه أي
 لسرقتكم أنكم من أيكم وظلمكم له وقيل الضمير يرجع إلى الكلمة التي قالوها في حقه وهي
 قولهم فقد سرق أخ له من قبل وعلى هذا يكون المعنى فأسر يوسف جواب الكلمة التي قالوها
 في حقه (والله أعلم) منكم (بما تصفون) أي تقولون وأنه ليس كما قلتم قال أصحاب الاخبار
 والسيران يوسف عليه السلام لما استخرج الصاع من رحل بنيامين فقره وأدناه إلى أذنه ثم قال
 ان صاعى هذا يخبرني أنكم كنتم اثني عشر رجلاً واحد وانكم انطلقتم بأخ لكم من أيكم
 فبحقوه فقال بنيامين أيها الملك ان صاعك يخبرك من جعله في رحلي ثم قره وأدناه من أذنه فقال
 ان صاعى غضبان وهو يقول كيف تسألوني عن صاحبي وقد رثيت مع من كنت قالوا فغضب

روييل لذلك وكانوا أولاد يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا وكان روييل إذا غضب لم يقيم لغضبه شيء
 وكان إذا صاح ألفت كل حامل حملها إذا سمعت صوته وكان مع هذا إذا مسه أحد من
 ولدي يعقوب عليه السلام يسكن غضبه وكان أقوى الأخوة وأشدّهم وروى أنه قال لأخوته
 كم عدد الأسواق بعصر قالوا عشرة فقال كفوني أنتم الأسواق وأنا كفيتكم الملك
 أو كفوني أنتم الملك وأنا كفيتكم الأسواق ودخلوا على يوسف فقال روييل لتردن علينا أخانا
 أو لا يصحّ صيحة لا تبقى بعصر أمراً أحمل الألف ولدها وقامت كل شعرة في جسده حتى
 خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم إلى جنب روييل فسه ويرى خذيده فالتفت به
 فذهب الغلام فسه فسكن غضبه فقال لأخوته من مسني منكم قالوا لم يصك منا أحد فقال
 روييل إن هنا بذرا من يذري يعقوب فقال يوسف من يعقوب وروى أنه غضب ثانياً فقام إليه
 يوسف فركضه برجله وأخذ بثلابه فوقع على الأرض وقال أنتم بامعشر العبرانيين تظنون
 أن لا أحد أشد منكم فلما صار أمرهم إلى هذا ورأوا أن لا سبيل لهم إلى تخليصه خضعوا وذلوا
 وقالوا يا أيها العزيز نخطبوك بما يليق بالكبير ليق لهم (أنقله) أي هذا الذي وجد الصواع
 في رحله (أبأشيقاً كبيراً) أي في سنه وقدره وهو مغرم به لا يقدر على فراقه ولا يصبر عنه
 (نخذاً أحدنا مكانه) وأحسن إلى أبيه بأرساله إليه (انترأله) أي نعلمك علما هو كالرؤية وبحسب
 ما رأيناه (من المحسنين) أي العريقين في ضفة الاحسان فاجري في أمرنا على عادة احسانك فكانه
 قبل فما أجابهم قبل (قال معاذ الله) هو نصب على المصدر وحذف فعله وأضيف إلى المفعول أي
 نعوذ بالذي لا مثله معاذ اعظيما من (أن تأخذ الأمر وجدنا متاعنا عنده) ولم يقل سرق متاعنا
 لانه لم يفعل في الصواع فعل السارق ولم يقع منه قبل ذلك ما يصح اطلاق الوصف عليه ثم علله
 بقوله (أنا إذا) أي إذا أخذنا أحدنا مكانه (الظالمون) أي عريقون في الظلم في دينكم فلم تطلبون
 ما هو ظلم عندهم ولما استأسهم بما قال عن اطلاق بنيامين حكى الله تعالى ماتم لهم من
 الرأي فقال (فلما) دال بالقاء على قرب زمن تلك المراجعات (استأسوا) أي أسوا (منه) لما
 رأوا من احسانه واطقه ورجته بأسا شديداً بما رأوا من ثباته على أخذه بعينه وعدم استبداله
 (خلصوا) أي انفردوا عن غيرهم حال كونهم (نجيباً) وهو مصدر يصلح للواحد وغيره أي ذوى
 نجوى يتأجى بعضهم بعضاً فكانه قيل فما قالوا فليل (قال كبيرهم) في السن وهو روييل وقيل
 في الفضل والعلم وهو يهوذا وقيل شمعون وكان له الرئاسة على أخوته (أن تعلو) مقرر لهم
 بما يعرفونه مع قرب الزمان ليستندتوجهم في بذل الجهد في الخلاص من غضب أبيهم (أن
 أباكم) أي الشيخ الكبير الذي فجعتهم في أحب ولده الله (قد أخذ عليكم) أي قبل أن
 يعطيكم هذا الولد الآخر (موتفاً) أي عهداً وثيقاً (من الله) في أخيكم وانما جعل حلفهم بالله
 موثقاً منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته وقوله (ومن قبل ما فرغتم) في هذه الآية وجوه
 أظهرها أن ما مرزبة فيعلق الطرف بالفعل بعدها والتقدير ومن قبل هذا فرطتم أي قصرتم في
 حق يوسف وشأنه وزبادة ما كثيرة وبه بدأ الرخصى وغيره وقيل انهم صددت به في محل رفع

بالابتداء والخبر هو قوله (في يوسف) أي وتفرطكم كائن أو مستقر في يوسف وإلى هذا ذهب
 الفارسي وقيل غيبت ذلك ولا تطيل بذلك ذكره أذ في هذا القدر كفاية (قلن أرح) أي أفرق
 (الارض) أي أرض مصر (حتى يأذن لي أبي) أي بالعود اليه (أو يحكم الله لي) بخلاص أخى
 (وهو خير الحاكمين) أي أعدلهم (فان قيل) هذه الواقعة من أولها إلى آخرها تزوير وكذب
 فكيف يجوز لينوسف عليه السلام أن يعمل مثل هذه الاعمال بأبيه ولم يخبره بكانه وحسن أخاه
 أيضا عنده مع علمه بشدة وجدان أبيه عليه وشدة غمه وفيه ما فيه من العقوق واذا الناس من
 غيبت لاسيما ويعلم انه اذا حبس أخاه عنده بهذه التهمة فانه يعظم حزن أبيه وبشدة غمه فكيف
 يلبق بالرسول المعصوم المبالغ في التزوير إلى هذا الحد (أجيب) بأجوبة كثيرة للعلماء وأحسنها
 انه انما فعل ذلك بأمر الله تعالى له لاعتنا أمره وانما أمره الله تعالى بذلك ليزيد بلاه يعقوب عليه
 السلام فيضاعف له الاجر على البلاه ويلحقه بدرجة آتائه والله تعالى أسرا ولا يعلمها أحد من
 من خلقه وهو المتصرف في خلقه بما يشاء فهو الذي أخفى خبر يوسف عن يعقوب في هذه المدة
 مع قرب المسافة لما يريد أن يدبره فيهم والله أعلم بأحوال عبادهم ثم قال كبيرهم (ارجعوا إلى
 أبيكم) دوني (فقلوا) له أي متطيقين في خطابكم (يا أبانا) وأكدها ما اتاكم فانه ينكرها
 وقولوا (ان ابنك سرق) (فان قيل) كيف يحكمون عليه بأنه سرق من غيرينة وهو قد أجابهم
 بالجواب الشافي فقال الذي جعل الصاع في رحلي هو الذي جعل البضاعة في رحالكم (أجيب)
 بأنهم لما شاهدوا الصاع وقد أخرج من متاعه غلب على ظنهم أنه سرق فلذلك نسبوه إلى
 السرقة في ظاهر الامر لا في حقيقة الحال ويدل على أنهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم (وما
 شهدنا) عليه (الاعمالنا) ظاهر من رؤيتنا الصاع يخرج من وعائه وأما قوله وضع الصاع
 في رحلي من وضع البضاعة في رحالكم فالفرق ظاهر لان هنالك المراجعة والبضاعة اليهم
 اعترفوا بأنهم هم الذين وضعوها في رحالهم وأما هذا الصاع فان أحد الميعترف بأنه هو الذي
 وضع الصاع في رحله فلهذا السبب غلب على ظنهم أنه سرق فشهدوا ببناء على الظن (وما كنا
 للغيب) أي ما غاب عنا حين أعطينا الموثق (حافظين) أي ما كنا نعلم ان ابنك يسرق ويصير أمرنا
 إلى هذا ولولعلنا ذلك ما ذهبنا به معنا وانما قلنا ونحفظ أخانا مما لنا إلى حفظه سبيل وحقيقة
 الحال غيبتهم لومة لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى ففعل الصاع دس في رحله ونحن لانعلم ذلك
 ففعل حيلة دبرت في ذلك غاب عنا علمها كما صنع في ربضاعتنا (واسأل القرية) أي أهلها على
 حذف المضاف وهو مجاز مشهور وقيل انه مجاز لكنه من باب اطلاق المحل واردة الحال (التي
 كفاها) وهي مصر عما أخبرناك به بخبروك بصدق فان الامر قد اشتهر عندهم وقيل هي قرية
 من قرى مصر كانوا ارتحلوا منها إلى مصر (واسأل العير) أي القافلة وهم قوم من كنعان
 جيران يعقوب عليه السلام (التي أقبلنا فيها) والسؤال طلب الاخبار بأدائه من الهمة أهل
 أو غيرهما والقرية الارض الجامعة لحشد وداصلة وأصلها من قرية التاء جمعته والعير قافلة
 الجير من العير بالفتح وهو الحمار هذا هو الاصل ثم كثر حتى استعمل في غير الجير ولما كان ذلك

بالانكار لما يصدق من كرم أخيههم كدوه بقولهم (وانا) أى والله انا (صادقون) فى أقوالنا
 ولما رجعوا الى أمهم وقالوا له ما قال كبيرهم فكانه قيل فما قال لهم فقيل (قال) لهم (بل سئلت)
 أى زينت زينافيه غي (لكم أنفسكم أمرا) أى حدثتكم بأمر ففعلتوه والا فإدري الملك
 أن السارق يؤخذ بسرقة (فصبر جميل) أى فأمرى صبر جميل أو فصبر جميل صبرى أو أجل وقدم
 مثل ذلك فى واقعة يوسف الأنة قال فيها والله المستعان على ما تصفون وقال هنا (عسى الله أن
 يأتي نبيهم) أى يوسف وشقيقه بنيامين والآخر الثالث الذى أقام بمصر (جميعا) أى فلا يضاف
 منهم أحد وانما قال يعقوب عليه السلام هذه المقالة لانه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته
 علم أن الله تعالى سيجعل له فرجا ومخرجا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله تعالى
 وتفرض أن هذه الافعال نثأت عن يوسف عليه السلام وأن الامر يرجع الى سلامة واجتماع
 ثم علل هذا بقوله (انه هو العليم) أى البليغ العلم بما خفى عنان من ذلك فيعلم أسبابه الموصلة الى
 المقاصد (الحكيم) أى البليغ فيما يدبره ويقضيه (و) لما ضاق قلب يعقوب عليه السلام
 بسبب الكلام الذى سمعه من أبنائه فى حق بنيامين (تولى عنهم) أى انصرف بوجهه عنهم لما
 تولى عنده من الحزن (وقال يا أسفا) أى يا أسفى (على يوسف) أى تعال هذا وأنت والاسف
 أشد الحزن والحسرة والالاف بدل من بقاء المتكلم وانما أسف على يوسف ودون أخويه والحادث
 انما هو مصيبتهم ما لاصبته كانت قاعدة المصائب والحزن القديم اذا صادفه حزن آخر كان
 ذلك أوجع لقلب وأعظم لهيجان الحزن الاول كما قال منهم بن نورية لما رأى قبر اجدد اجدد
 حزنه على أخيه مالك

فقالوا أبكي كل قبر رأيت * لقبر نوى بين اللوى والدكادك

فقلت نعم أن الامى يبعث الاسى * فدعنى فهذا كله قبر مالك

ولانه كان وانما بجهايتهم ما دون حياته وفى حديث رواء الطبرانى لم تقط أمة من الامم ان الله وانا
 اليه راجعون عند المصيبة الأنة محمد صلى الله عليه وسلم ألا ترى الى يعقوب حين أصابه
 ما أصابه لم يسترجع وقال يا أسفا (وابيضت عيناه) أى انمحق سوادهما وبدا يابسا (من الحزن)
 أى من كثرة البكاء عليه وقيل عند غلبة البكاء يكثر الماء فى العين فتصير العين كأنها ابيضت
 من يياض ذلك الماء وقيل ضعف بصره حتى صار يدرك ادراكا طفيفا وقيل عى وقال مقاتل
 لم يصبرهم ما ست سنين حتى كشفه الله تعالى بقميص يوسف عليه السلام قيل ان جبريل عليه
 السلام دخل على يوسف فى السجن فقال ان بصر أيلك ذهب من الحزن عليك فوضع يده على
 رأسه وقال ليت أى لم تلدنى ولم أكن حزنا على أبى (فان قيل) هذا اظهار للجزع وجار مجرى
 الشكاية وهو لا يليق بمثل يعقوب عليه السلام (أجيب) بأنه لم يذكر الا هذه الكلمة ثم عظم
 بكائه ثم أسكلسانه عن النباحة وذكر ما لا ينبغي ولم يظهر الشكاية مع أحد من الخلق
 ويدل لذلك قوله (فهو كظيم) أى مغمووم مكروب لا يظهر كربه وقوله انما أشكو بنى وحزنى الى
 الله فكل ذلك يدل على أنه لما عظمت مصيبته وقويت محنته صبر وتجرع القصة وما أظهر

الشكايه به فلا جرم استوجب به المدح العظيم والثناء الجليل روى ان يوسف عليه السلام قال
 لجبريل عليه السلام هل لك علم يعقوب قال نعم قال فكيف حزنه قال حزن سبعين شكلى وهى
 التى لها ولد واحد عيوت قال فهل له أجر قال نعم أجر مائة شهيد ولعل أمثال ذلك لا يدخل تحت
 التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدايد وايضا البكاء مباح فقد بكى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يخطئ الرب واناعلى
 فراقك يا ابراهيم محزونون رواه الشيخان * (تنبيه) * شرف الانسان باللسان والعين والقلب
 فبين تعالى أن هذه الثلاثة كانت غريفة في الغم فاللسان كان مشغولا بقوله يا أسفا والعين
 بالبكاء والبياض والقلب بالغم الشديد الذى يشبه الوعاء المملوء الذى سده فلا يمكن خروج الماء
 منه وهذا مبالغة في وصف ذلك الغم * ولما وقع من يعقوب عليه السلام ذلك كان قائلا يقول
 فما قال له أولاده فصيل (قالوا) له حنقنا من ذلك (ناله تفتق) أى لا تفتقز أى لا تزال (تذكر
 يوسف) تنجعا ففتقز جواب القسم وهو على حذف لا كقول الشاعر

فقلت بين الله أرح قاعدا * ولو قطعوا رأسى الملك وأوصالى

ويدل على حذفها أنه لو كان مشتبا لا تترن بلام الابتداء ونون التوكيد معاندا البصريين
 أو أحدهما عند الكوفيين فتفتقزنا قاصدة بمعنى لا تزال كما تقرر ورسمت فتفتقزوا أو (حتى) الى
 أن (تكون حرضا) أى مشرفا على الهلاك لطول مرضك وهو مصدر يستوى فيه الواحد
 وغيره (أو تكون من الهالكين) أى الموتي (فان قيل) لم حلفوا على ذلك مع أنهم لم يعلموا ذلك
 قطعا (أجيب) بأنهم بنوا الأمر على الظاهر قال أكثر المفسرين قائل هذا الكلام هم اخوة
 يوسف وقال بعضهم ليس الاخوة بل الجماعة الذين كانوا في الدار من أولاده وخدمه * ولما قالوا
 لذلك فكان قائلا يقول فما قال لهم فصيل (قال) لهم انما أشكوا بنى (والبت أشد الحزن
 بهي بذلك لانه من صعبته لا يطاق حمله فيباح به وينشر (وحزن) مطلقا وان كان سببه خفيفا
 بقدر الخلق على ازالته (الى الله) المحيط بكل شئ علما وقدرة لا الى غيره فهو الذى تنفع الشكوى
 اليه (وأعلم من الله) أى الملك الاعلى من اللطف بنا أهل البيت (مألا تعلمون) فأتيني بالفرج
 من حيث لا أحسب وفي ذلك إشارة الى أنه كان يعلم حياة يوسف ويتوقع رجوعه اليه وذكره
 لسبب هذا التوقع أمورا أحدها أن ملك الموت أتاه فقال له يا مالك الموت هل قبضت روح ابني
 يوسف قال لا يا بنى الله ثم أشار الى جانب مصر وقال اطلبه من ههنا وذلك قال (يا بنى اذهبوا
 فتمسكوا) أى واتمسكوا بطلب الخبر بالحاسة وهو قريب من التمسك بالجسم وقيل التمسك
 بالحاء يكون فى التمسك بالجسم يكون فى الشر ومنه الجاسوس وهو الذى يطلب الكشف عن
 عورة الناس والمعنى فتمسكوا خبرا (من) أخبار (يوسف وأخيه) أى اطلبوا خبرهما
 وثانيها أنه علم أن رؤيا يوسف عليه السلام صادقة لأن أمارات الرشد والكمال ظاهرة فى حق
 يوسف عليه السلام ورؤيا مثل لا تخطئ وثالثها العلة تعالى أوحى اليه أنه سيوصله اليه ولكنه
 تعالى ما عين الوقت فلهذا أتى فى التلقى ورابعها قال السدي لما أخبره بنوه بسيرة الملك وكان

حاله وأقواله وأفعاله طمع في أن يكون هو يوسف وقال بعد أن يظهر في الكفر أمره ثم
 تطف ينييه وقال لهم (ولتأسوا) أي تقنطوا (من روح الله) قال ابن عباس من رجة الله
 وقال قتادة من فضل الله وقال ابن زيد من فرج الله (انه لا بأس من روح الله الا القوم
 الكافرون) أي الغريقون في الكفر قال ابن عباس ان المؤمن من الله على خير يرجوه في البلاء
 ويحمده على الرخاء والكافر على الضد من ذلك فان اليأس من رجة الله لا يحصل الا اذا اعتقد
 الانسان أن الله العالم غير قادر على الكمال أو غير عالم بجميع المعلومات أو ليس بكرم بل هو
 بخيل وكل واحد من هذه الثلاثة يوجب الكفر واذا كان اليأس لا يحصل الا عند حصول أحد
 هذه الثلاثة وكل واحد منها كفر ثبت أن اليأس لا يحصل الا لمن كان كافرا وقرأ البري بعد التاء
 من تأسوا وبعد الياء من لا يأس بألف وبعدها ياء مضروحة بخلاف عنه والباقون به حزة
 مقدوحة قبلها ياء مأكنة * ولما قال يعقوب عليه السلام لبنيه ذلك قبلوا منه هذه الوصية وعادوا
 الى مصر (فلما دخلوا عليه) أي على يوسف عليه السلام (قالوا يا أيها العزيز) وكان العزيز
 لقب الملك مصر يومئذ (مسنأ وأهلنا) أي من خلفنا هم وراءنا (الضر) أي لا بسنما لبسة
 فحسها (وجئتني بضاعة) وقالوا (مزجاة) اتمانقصها وأردا تمها وألهمنا جميعا وقال الحسن
 البضاعة المزجاة القلبلة واختلفوا في تلك الرداة فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة
 لا تقبل في ثمن الطعام وقيل متاع الاعراب الصوف والسمن وقيل الاقط وقيل النعال والادم
 وقيل ان دراهم مصر كان ينقش فيها صورة يوسف عليه السلام والدراهم التي جاؤا بها ما كان
 فيها ذلك فما كانت مقبولة عند الناس ثم سبوا عن هذا الاعتذار لانه أقرب الى رجة أهل
 الكرم قولهم (قاوف لنا الكيل) أي شفقة علينا بسبب ضعفنا (وتصدق) أي تفضل (علينا)
 زيادة على الوفاء كما عودتنا بفضل ترجونا به ولما رأوا أفعاله تدل على عسكه يدن الله تعالى علوا
 ذلك بقولهم (وان الله) أي الذي له الكمال كله (يجزي المتصدقين) أي وان كانت على غنى قوي
 فكيف اذا كانت على أهل الحاجة والضعف * (فائدة) * سنل سفيان بن عيينة هل حرمت
 الصدقة على نبي من الانبياء سوى نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام قال سفيان ألم تسمع قوله
 وتصدق علينا الآية يريد أن الصدقة كانت حلالا لهم ولايهم وروى أن الحسن سمع رجلا
 يقول اللهم تصدق على قال ان الله لا يتصدق وانما يتصدق من يني الثواب قل اللهم أعطني
 وتفضل على (فان قيل) اذا كان ابوهم أمرهم أن يتصدقوا من يوسف وأخيه فلم عادوا الى
 الشكوى (أجيب) بأن التمسس يتوصل الى مطلوبه بجميع الطرق والاعتراف بالهجر
 وضمورقة الحال وقلة المال وشدة الحاجة وذلك مما يرقق القلب فقالوا فخر به في هذه الامور
 فان رفق قلبه لم نأذ صكرنا له المقصود والاسكتنا ففقدوا هذه المقدمة قال أبو اسحق ذكرني
 أنهم لما كلموه بهذا الكلام أدركته المرققة على اخوته فافرض دمه فباح بالذي كان يكره فلهذا
 (قال) لهم (هل علمتم) مقرر لهم بعد ان استأسوا به قال البقاعي والظاهر ان هذا كان بغير
 زجهان (ما) أي قبح الذي (فعلتم يوسف) أي أخبكم الذي علمتم بينه وبين أبيه (وأخيه) أي

جعلكم ابا فريد آمنه ذليلا بينكم ثم في قولكم له لما وجد الصاع في رحله لا يزال يا بني البلاء
من قبلكم يا بني راحيل وانما قال لهم ذلك ليعمالهم وتقرضوا على التوبة وشفقة عليهم لما
راى من عجزهم وتمسكهم لامعانة وتثريا وقيل أعطوه كتاب يعقوب عليه السلام في تخليص
بنيا من وذكر والده ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف وأخيه فقال لهم ذلك وقوله (أذا أنتم جاهلون)
أى فاعلون فعلهم أولانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين تلويحنا الى معرفته فقد روى أنه لما قال هذا
تبسم وكان في تبسمه أمر من الحسن لا يحمله منه من رآه ولو مرة واحدة فعرفوه بذلك فلذلك
(قالوا أنك لانت يوسف) استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقيل عرفوه بنظره
وخلقهم حين كلمهم وقيل رفع الحاج عن رأسه فراء علامته بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان
لسارة يعقوب واسحق مثلها وقرأ ابن كثير بهمزة مكسورة بعدها فون على الخبر وقرأ آلون
وأبو عمرو بهمزة مفتوحة بعدها همزة مكسورة مسهلة بينهما ألف على الاستفهام وقرأ ورش
بغير ألف بينهما والتسهيل في الثانية على الاستفهام أيضا وقرأ الباكون بتحقيق الهمزة مع
القصر ولهناسم وجه ثان وهو المذوقيل انهم لم يعرفوه حتى (قال لهم) أنا يوسف وزادهم بقوله
(وهذا أخى) بنيامين شقيقى وانما ذكر لهم ليزيدهم ذلك معرفته وتبنياني أمره وليبني عليه
قوله (قد من الله علينا) قال ابن عباس بكل خير في الدنيا والآخرة وقال آخرون بالجمع بينا بعد
الفرقة (انه من يتق) أى المعاصى (ويصبر) أى على البليات وأذى الناس وقال ابن
عباس يتق الزنا ويصبر على العزوبة وقال مجاهد يتق المعصية ويصبر على السجن (فان الله
لا يضيع أجر المحسنين) والمعنى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجرهم فوضع المحسنين
موضع الضمير لاستتماله على المتقين وقرأ قبل بآيات الباء بعد القاف وقفوا ووصلا واختلف
المعربون في ذلك على وجهين أجودهما أن أثبت خوف العلة في الجزم لغة لبعض العرب
وأثبتوا عليه قول قيس بن زهير

ألم يأتيتك والاباء تنبى * بما لاقت لبون بنى زياد

(وقول الآخر)

هجوت زيان ثم جفت معتذرا * من هجوزيان لم تهجو ولم تدع

(وقول الآخر)

إذا الهجوز غضبت فطلقى * ولا ترضاها ولا تلقى

والثاني أنه مرفوع غير مجزوم ومن موصولة والفعل صلتها فلذلك تم بآيات لامة وسكن يصبر
لما الى الحركات وان كانت في كلمين وقرأ الباكون بالحذف وقفوا ووصلا ولما ذكر يوسف عليه
السلام لاخوته ان الله تعالى من عليه وأنه من يتق ويصبر فان الله تعالى لا يضيعهم صدقوه فيه
واعترفوا بالفضل والمرتبة ولذلك (قالوا) خسمين بقولهم (تالله) أى الملك الاعظم (أقد أثرك)
أى اختارك (الله علينا) بالعلم والعقل والطم والحسن والملك والتقوى وغير ذلك واحتج بعضهم
بهذه الآية على ان اخوته لما كانوا أنبياء ملاق جميع المناصب التي تكون مغايرة لمناصب النبوة

كالعدم بالنسبة اليه فلو شاركوه في منصب النبوة لما قالوا ذلك ثم قالوا (وان كنا لخاطئين) أي
 والحال ان شأنا انا كالمذنبين بما فعلنا معك ولذلك اذ لنا الله تعالى لك فكانه قبيل ما قال لهم
 على قدرته وتمكنه مع ما سلف من اها تهم له فقبيل (قال) لهم قول الكرام اقتداء باخوانه من
 الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام (لالتقريب) أي لا لوم ولا تعنيف ولا هلاك (عليكم اليوم)
 وانما خصه بالذكرا لانه مظنة التثريب فاذا انتفى ذلك فيه فحاط ذلك بما بعده ولما اعفاهم من
 التثريب كانوا في مظنة السؤال عن كمال العفو المازيل للعقاب من الله تعالى فاتبعه الجواب عن
 ذلك بالدعاء لهم بقوله (يقفر الله) أي الذي لا اله غيره (لكم) أي ما فرط منكم وعبر في هذا الدعاء
 بالمضارع ارشاد لهم الى اخلاص التوبة وورعهم في ذلك ورجاهم بالصفة التي هي سبب الغفران
 فقال (وهو) تعالى (أرحم الراحمين) لجميع العباد لاسيما التائب فهو جدير بادراك النعم روى
 أنهم أرسلوا اليه انك لتدعونا الى طعامك وكرامتك بكرة وعشيا ونحن نسحق بمافرط منا فقال
 ان أهل مصر يتطرونني وان ملكك فيهم بعين العبودية فيقولون سبحان من بلغ عبد ابعشرين
 درهما ما بلغ ولقد شرفت الان بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي والى من
 ذرية ابراهيم عليه السلام ولما اقترأ عليهم بعد اجتماع نخلهم بازالة ما يخشونه دنيا وأخرى
 سأل عن أبيه فقال ما فعل أبي بعدى قالوا ابض عيناه من الحزن فأعطاهم قميصه وقال
 (اذهبوا بقميصي هذا) وهو قميص ابراهيم عليه السلام الذي لبسه حين ألقى في النار عريانا
 فأنجاه جبريل بقميص من حر رابضة فألبسه اياه وكان ذلك عند ابراهيم فلما ملأ ابراهيم وريته
 اسحق فلما مات اسحق وريته يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك في قصبة من فضة
 وسد رأسيها وعلقها في عنقه لما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما ألقى في
 البئر عريانا جاءه جبريل وعلى يوسف ذلك التعويذ فأخرج القميص وألبسه اياه في الوقت
 جاءه جبريل عليه السلام وقال ارسل ذلك القميص فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا
 على سقيم الا عوفي فدفع يوسف ذلك القميص الى اخوته وقال اذا وصلت الى أبي (فالقوه على
 وجهه أبي يأت) أي يصير (بصيرا) أي يرذله بصره كما كان أديأت الى حال كونه بصيرا
 (وانتوني) أي أبي وأنتم (بأهلكم) أي مصاحبين لكم (أجمعين) لا يتخلف منكم أحد فرجعوا
 بالقميص لهذا القصد وروى أن يهوذا هو الذي حمل القميص لما الطخوه بالدم فقال لا يحمل
 هذا غيري لا فرحه كما أكرنته لحمله وهو خاف من مصر الى كنعان وبينهما غمامون فرسعا (ولما
 فصلت العير) من عريش مصر وهو آخر بلاد مصر الى أول بلاد الشام (قال أبوهم) لولد ولده
 ومن حوله من أهله مؤكدا للعلم أنهم ينكرون قوله (اني لاجد ريح يوسف) أو وصلت اليه ريح
 الصبا باذن الله تعالى من مسيرة ثلاثة أيام أو غمانية أو أكثر قال مجاهد هبت ريح فصفت
 القميص ففاحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة فعلم عليه السلام
 أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص قال أهل المعاني ان الله تعالى
 أوصل اليه ريح يوسف عليه السلام عند انقضاء مدة المحنة ونجى وقت الفرج من المكان

البعيد ومنع من وصول خبره اليه مع قرب إحدى البلدتين من الأخرى في مدة ثمانين سنة وذلك يدل على أن كل سهل فهو في زمان المحنة صعب وكل صعب فهو في زمان الاقبال سهل ومعنى أجدر يح يوسف أنتم وعبر بالوجود لانه وجد ان له بحاسة الشم (لولا أن تفندون) أي تنسبونني الى الخرف قال أبو بكر الأنباري أفند الرجل إذا خرف وتغير عقله وعن الأصمعي إذا كثر كلام الرجل من خرف فهو مفند قال في الكشف يقال شخج مفند ولا يقال عجوز مفند لانهم لم تكن في شبهم ذات رأى حتى تفند في كبرها وقيل التفند الفساد يقال فندت فلانا إذا أفسدت رأيه ورددته قال بعضهم

يا صاحبي دعا لوى وتفندي * فليس ما فات من أمر مجرد

ولما ذكر يعقوب عليه السلام ذلك (قالوا) أي الحاضرون عنده (تالله أنك لني ضلالك) أي حيك (القديم) ليوسف لانتساء ولا تذلل عنه على بعد العهد وهو كقول اخوة يوسف ان أبانا لني ضلال مبين وقال مقاتل معني الضلال هنا الشقاء أي شقاء الدنيا والمعنى أنك لني شقائك القديم عما تكابدهم من الاحران على يوسف وقال الحسن انما خاطبوه بذلك لاعتقادهم أن يوسف قد مات فكان يعقوب في ولوعه بذكره ذاهبا عن الرشد والصواب ثم انهم عجلوا له بشيرا فأسرع قبل وصولهم بالقميص (فلما) وزيدت (أن) لتأكد مجيئه على تلك الحالة وزادتها بعد ما قيس مطرد (جاء البشير) وهو يهوذا بذلك القميص (ألقاه) أي طرحه البشير (على وجهه) أي يعقوب وقيل ألقاه يعقوب على وجه نفسه (فارتد) أي رجع (بصيرا) أي صيره الله بصيرا كما كان كما يقال طالت النظرة والله تعالى هو الذي أطالها * ولما ألقى القميص على وجهه وبشر بحياة يوسف عليه السلام عظم فرحه وانشرح صدره وزالت أحزانه فعند ذلك (قال) لبنيه (ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون) من حياة يوسف وان الله تعالى يجمع بيننا قال السهيلي لما جاء البشير الى يعقوب عليه السلام أعطاه في بشارته كلمات كان يرويه عن أبيه عن جده عليهم السلام وهي الطيفا فوق كل لطيف الطيف في أمورى كلها كما أحب ورضنى في دنياى وآخرى وروى أن يعقوب عليه السلام قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة فعند ذلك (قالوا يا أبانا) منادين بالاداء التي تدل على الاهتمام العظيم بما بعدهما له من عظيم الوقع (استغفر) أي اطلب من الله تعالى أن يغفر (لناذوننا) أي التي اقترناها هم قالوا مؤكدين بتحقيق الاخلاص في التوبة (أنا كنا خاطئين) أي متعمدين لللاثم بما ارتكبنا في أمر يوسف عليه السلام ومن حق المعترف بذنبه أن يصفح عنه ويسئل له المغفرة قال صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فكانه قبل فما قال لهم فقبل (قال) لهم (سوف أستغفر) أي أطلب أن يغفر (لكم ربى) الذى أحسن الى بأن يغفر لى حتى لا يفرق بيني وبينهم في دار البقاء والربوبية ملك هو أتم الملك على الإطلاق وهو ملك الله تعالى وظاهر هذا الكلام أنه لم يستغفر لهم في الحال بل وعدهم بأن يستغفر لهم بعد ذلك

واختلفوا في سبب هذا المعنى على وجود فقال ابن عباس والاصمغونيون أراد أن يستغفر
لهم في وقت السحر لأن هذا الوقت أوفق الاوقات لرجاء الاجابة وفي رواية أخرى له أنه أخر
الاستغفار إلى ليلة الجمعة لانها أوفق لاوقات الاجابة وقال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة
في نيف وعشر من سنة وقال طاوس أخر إلى السحر من ليلة الجمعة فوافق ليلة عاشوراء وقيل
استغفر لهم في الحال وقوله سوف استغفر لكم معناه اني أداوم على هذا الاستغفار في الزمان
المستقبل وقيل قام إلى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزي على
يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولادي ما فعلوا في حق يوسف فأوحى الله تعالى إليه اني قد
غفرت لك ولهم أجمعين وعن الشعبي قال أسأل يوسف أن عفا عنكم أستغفر لكم وي (أنه
هو الغفور الرحيم) كل ذلك تسكيناً لقلوبهم ونصحاً لرجائهم وروى أن يوسف عليه السلام
كان بعث مع الشبر إلى يعقوب عليه السلام مائتي راحلة وجهازاً كثيراً ليعقوب
وأهل بيته فتهيأ يعقوب عليه السلام للخروج إلى مصر فخرج بهم فلما دنا من مصر كلم يوسف
الملك الذي فوقه فخرج يوسف عليه السلام والملك في أربعة آلاف من الجنود والعظماء وركب
أهل مصر معه ما بأجمعهم يتلقون يعقوب وكان يعقوب عشى وهو يتوكأ على يده وذاق فطر
إلى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد
منهم من صاحبه ذهب يوسف يده بالسلام فقال له جبريل لا حتى يدايعقوب بالسلام فقال
يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقال الثوري لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام
عانق كل واحد منهما صاحبه وبكى فقال يوسف يا أبت بكيت على حتى ابيضت عيناك ألم
تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى يا بني ولكن خشيت أن يسلب دينك فيحال بيني وبينك فذلك
قوله تعالى (فلما دخلوا على يوسف آوى) أى ضم (إليه أبويه) قال الحسن أباه وأمه وكانت
حبة اكرامها بما يتميزان به وغلب الالب في التثنية لذكورته وعن ابن عباس أنها خالته
لسا وكانت أمه قد ماتت في نفاس بنيامين قال البغوي وفي بعض التفاسير ان الله تعالى أحيا
أمه حتى جاءت مع يعقوب إلى مصر (فان قيل) ما معنى دخولهم عليه قبل مصر (أجيب) بأنه
حين استقبلهم نزل بهم في خيمة أو بيت هناك فدخلوا عليه وضم إليه أبويه (وقال) مكرماً
(ادخلوا مصر) أى البلد المعروف وأتى بالشرط للامن لا للدخول فقال (ان شاء الله آمنين) من
جميع ما ينوب حتى عافرتهم في حق وفي حق أخى روى أن يعقوب عليه السلام وولده دخلوا
مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل واهراًة وخرجوا منها مع موسى عليه السلام والمقاتلون
منهم سقانة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلاً سوى الصبيان والشيوخ (ولما استقرت
بهم الدار بدخول مصر) (رفع أبويه) أى أجلسهما معه (على العرش) أى السرير الرفيع
والرفع هو النقل إلى العلو (وخروله) أى انحنوا له أبواه وأخوته (سجداً) أى سجدوا فاجتمعوا
والتواضع قد يسمى سجوداً كقول الشاعر ترى الالك في سجد الجوافر لا وضع جبهة وكان
تحية في ذلك الزمان لأولادهم وضعوا الجباه وكان ذلك على طريقة التحية والتعظيم لا على طريقة

العبادَة وكان ذلك جازا في الامم السالفة فنسخت في هذه الشريعة وروى عن ابن عباس
 أنه قال معناه خذوا لله سجدا بين يدي يوسف عليه السلام فيكون سجود شكر لله لاجل وجدان
 يوسف وبذل عليه قوله تعالى ورفع أبويه على العرش وخزوا له سجدا وذلك يشعر بأنهم صعدوا
 على السرير ثم سجدوا لله تعالى ولو أنهم سجدوا ليوسف لجدوا له قبل الصعود على السرير
 لأن ذلك أدخل في التواضع (فان قيل) هذا التأويل لا يطابق قول يوسف عليه السلام (وقال)
 يا أيها رب هذا أنا وبلى ربى من قبل) والمراد منه قوله انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر
 رأيتهم لى ساجدين أى رأيتهم ساجدين لاجلى أى انهم سجدوا لله لطلب مصلحة والسعي
 في اعلال منصبى واذا كان هذا محتملا سقط السؤال قال الرازى وعندي أن هذا التأويل متعين
 لانه يعدم عقل يوسف ودينه أن يرضى بأن يسجد له أبوه مع سابقته في حقوق الولادة
 والشجوخة والعلم والدين وكال تنبؤ وأنها جعلوا يوسف كالقبط وسجدوا وشكروا النعمة
 وجدانه فانه يقال صليت للكعبة كما يقال صليت الى الكعبة قال خسان

ما كنت أعرف ان الامر منصرف * عن هاشم ثم منها عن أبي الحسن

أليس أول من صلى لقبلكم * واعرف الناس بالآثار والسنن

ثم استأنف يوسف عليه السلام فقال (قد جعلها ربى) أى الذى ربانى بها وصلى اليها (حقا) أى
 مطابقة للواقع لتأويلها وتأويل ما أخبرنى به أنت والتأويل تفسير ما يؤول اليه معنى الكلام
 وعن سلمان رضى الله تعالى عنه أن ما بين رؤياه وتأويلها أربعون سنة وعن الحسن أنه لى
 في الحب وهو ابن سبع عشرة سنة وبقي في العبودية والسجن والملك ثمانين سنة ثم وصل الى أبيه
 وأقاربه وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة فكان عمره مائة وعشرين سنة (وقد أحسن) أى
 أوقع احسانه (بى) تصديقا لما بشرنى به من اتمام النعمة وتعمية أحسن البلاء أدل على القرب
 من التعدي به نالى وان كان أصل أحسن أن يتعدى بالى كما قال تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك
 وقيل ضمن معنى لطف فتعدي بالبلاء كقوله تعالى وبالوالدين احسانا وقال (أذا خرجنى من
 السجن) ولم يذكر اخراجه من الحب لوجوه أولها انه قال لاخوته لا تريب عليكم اليوم ولو ذكر
 واقعة الحب لكان ذلك تنريالهم فكان اهماله جاريا مجرى الكرم ثانيها أنه لما خرج من الحب
 لم يصير ملكا بل صيره عبدا وانما صار ملكا بعد اخراجه من السجن فكان هذا الانحراج أقرب
 من أن يكون انعاما كاملا ثالثها أنه لما خرج من الحب وقع في المضار الحاصلة بسبب تهمة
 المرأة ولما خرج من السجن وصل الى أبيه واخوته فكان هذا أقرب الى المنفعة مع أن اللفظ
 محتمل للجب أيضا لكنه احتمال خفى ولما كان يعقوب وولده بأرض كنعان وتحول الى بدو قال
 ابن عباس ومنه قدم على يوسف قال يوسف عليه السلام (وجاء بكم من البدو) أى من أطراف
 بادية فلسطين وذلك من أكبر النعم كما جاء في الحديث من يرد الله به خيرا ينقله من البادية الى
 الحاضرة والبدو ضد الحاضرة وهو من الظهور يقال بداءه واداسكن في البادية روى عن عمر
 اذ الله وما جفونا أى تخلقنا باخلاق البدوين قال الواحدى البدو بسط من الارض يظهر فيه

الشخص من بعيد وأصله من بدايد وبدوا ثم سمي المكان باسم المصدر وفي الآية دلالة على أن
 فعل العبد خلق الله تعالى لانه أضاف أخرجه من السجن الى الله تعالى ومجيئهم من البدو اليه
 (من بعد أن نزع) أى أفسد (الشيطان) بسبب الحسد (بينى وبين أخوتى) وأصل النزغ
 دخول فى أمر لافساده (فان قيل) اضافة يوسف عليه السلام لغيره الى الله تعالى والشر الى
 الشيطان تقتضى ان فعل الشريس من الله تعالى كما قاله بعض المبتدعة ولو كان منه لضافه اليه
 (أجيب) بأن اضافة هذا الفعل الى الشيطان مجاز لان الفاعل المطلق هو الله تعالى فى الحقيقة
 قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لقصدنا فنبت بذلك ان الكل من عند الله تعالى وبفضائه
 وقدره وليس للشيطان فيه مدخل الا بالقائه الوسوسة والتعريض لافساد ذات البين وذلك باقدار
 الله تعالى اياه على ذلك كما حكى الله تعالى ذلك عنه بقوله تعالى وما كان لى عليكم من سلطان الا أن
 دعوتكم فاستجبتم لى ولما كان حصول الاجتماع بينه وبين اخوته وأبويه مع الالفه والمحبة
 وطيب العيش وفرار البال وكان فى غاية البعد عن العقول الا أنه تعالى لطيف قال يوسف
 عليه السلام (ان ربي لطيف لما يشاء) أى لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وثقفيه مشيئة
 ويتمهل دونها فاذا أراد حصول الشيء سهل أسبابه فحصل وان كان فى غاية البعد عن الحصول
 (انه هو العليم) بوجوه المصالح والتدابير (الحكيم) أى الذى يفعل كل شىء فى وقته وعلى
 وجهه يقتضى الحكمة روى أن يوسف عليه السلام طاف بأبيه فى خزائنه فلما أدخله خزانة
 القراطس قال يا بنى ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمان مراحل قال
 أمرنى جبريل بذلك قال أو مائتة قال أنت أقرب منى اليه فسأله فقال جبريل الله أمرنى
 بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب قال فهلا خفتى ولما حضر يعقوب عليه السلام
 الموت وصى يوسف عليه السلام أن يحمله ويدفنه عند أبيه فغضى بنفسه فدفنه غمعة ثم عاد الى مصر
 وأقام به عدة ثلاثا وعشرين سنة ولما تم أمره وعلم أنه لا يدوم ناقت نفسه الى الملك الدائم
 فقال (رب قد آتيتنى) واقترح بقدر لان الحال حال توقع السامع لشرح حال الرؤيا (من الملك)
 أى بعضه بعد بدعى منه جدا وهو ملك مصر (وعلمتني من) أى بعض (تأويل الاحاديث)
 طبق ما بشرنى به أبى وأخبرت به أنت من التمكين والتعظيم قبل قواك والله غالب على أمره ثم
 ناداه بوصف جامع للعلم والحكمة فقال (فأطرق) أى خالق (السموات والارض) ثم أعلمه بما هو
 أعلم به منه من أنه لا يقول على غيره فى شىء من الاشياء (أنت ولي) أى الاقرب الى باطنها
 وظاهرها (فى الدنيا والاخرة) أى الاولى لى غيرك والولى يفعل لموليه الاصلح والاحسن فأحسن
 لى فى الاخرة أعظم مما أحسن لى فى الدنيا روى أنه صلى الله عليه وسلم حكى عن جبريل عن
 رب العزة جبريل وعلا أنه قال من شغلته ذكرى عن مستغنى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين
 فلهذا المعنى من أراد الدعاء لا بد وأن يقدم عليه ذكر الشايع على الله تعالى فهذا يوسف
 عليه السلام لما أراد أن يذكر الدعاء قدم عليه الثناء وهو قوله رب قد آتيتنى من الملك وعلمتني
 من تأويل الاحاديث فأطرق السموات والارض ثم ذكر عقب الدعاء وهو قوله (توفنى) أى

اقتبس روي واقبأ تاماً في جميع أمرى حسا ومعنى حال كوني (مسلماً) ولما كان المسلم
 حقيقة من كان مريفاً في الاخلاص عقبه بقوله (والحقني بالصالحين) وتظهر ما قبله الخليل
 عليه السلام في قوله الذي خلقني فهو يهدين فمن ههنا الى قوله رب هب لي حكماً على الله تعالى
 ثم من قوله رب هب لي حكماً الى آخر الكلام دعاء فكذا ههنا (تنبيه) • اختلف في قوله قوفي
 مسلماً هل هو طلب منه للوفاة أم لا فقال قتادة سأل ربه الموقوف به ولم يمتني قط الموت قبله
 وكثير من المفسرين على هذا القول وقال ابن عباس في رواية عطاء يريد اذا توفيتني قفوني على
 الاسلام فهذا مطلب لان يجعل الله تعالى وفاته على الاسلام وليس فيه ما يدل على انه طلب
 الوفاة واللفظ صالح للامرين ولا يعنى الرجل العاقل اذا اكل عقله لأن تمتي الموت وتعظم
 رغبته فيه لوجوه كثيرة منها ان الخطباء والبلغاء وان أطنبوا في مذمة الدنيا الا أن حاصل
 كلامهم يرجع الى ثلاثة أمور أحدها ان هذه السعادات سريعة الزوال مشرفة على الفناء
 والام الحاصل عند زوالها أشد من اللذة الحاصلة عند وجدانها وثانيها انها غير حاصلة بل هي
 موزجة بالمنغصات والمكدرات وثالثها ان الاراذل من الخلق يشاركون الافاضل فيها بل ربما
 كان حصّة الاراذل أعظم بكثير من حصّة الافاضل فهذه الجهات الثلاثة منقطة عن هذه
 اللذات ولما عرف العاقل انه لا يحصل تحصيل هذه اللذات الا مع هذه الجهات الثلاثة المنقطة
 لا يجرم تمتي الموت ليتخلص عن هذه الآفات ومنها أن تداخل اللذات الدنيوية قليلة وهي ثلاثة
 أنواع لذّة الاكل ولذّة الشكاح ولذّة الرياسة ولكل واحدة منها عيوب كثيرة أمّا لذّة الاكل ففيها
 عيوب أحدها ان هذه اللذّة ليست لذّة قوية فانه لا يمكن ابقاؤها فان الانسان اذا أكل وشبع
 لم يبق فيه الا لذّة اذبالا كل فهذه اللذّة ضعيفة ومع ضمهها غير باقية وثانيها انها في نفسها خسيسة
 وان الاكل عبارة عن تطيب ذلك الطعام بالبراق المتجمع في القوم ولا شك انه شيء منفر ولما يصل
 الى المعدة يظهر فيه الاستحالة الى الفساد والتفنن والعفونة وذلك أيضاً منفر وثالثها ان جميع
 الحيوانات الخسيسة شاركة له فيها ورابعها ان الاكل انما يطيب عند اشتداد الجوع والجوع
 نقص واقفة وخامسها ان الاكل مستحق عند العقلاء حتى قيل من كانت همته ما يدخل في بطنه
 فقيمة ما يخرج من بطنه فهذه اشارات مختصرة الى معائب الاكل وأمّا لذّة الشكاح فذا ذكر
 في الاكل حاصل ضائع أشياء أخرى ان الشكاح سبب لحصول الولد وحينئذ تكدر الانهاص
 فتكثر الحاجات الى المال فيحتاج الانسان بسببها الى الاحتيال في المال بطرق لانهاية لها وربما
 صارها لكاسب طلب المال وأمّا لذّة الرياسة فعيوبها كثيرة منها أن يكون على شرف الزوال
 في كل حين وأوان ومنها انه عند حصولها في الخوف الشديد من الزوال ومنها أنه يكون عند
 زوالها في الاسف العظيم والحزن الشديد بسبب ذلك الزوال فالعاقل اذا تأمل في هذه المعاني
 علم قطعانه لا صلاح له في طلب هذه اللذات فيكون لقاء الله عنده أرجح فيمتني الموت وعن عمر بن
 عبد العزيز رضي الله تعالى عنه ان ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسئلة للموت
 فقال له صنع الله لك خيراً كثيراً احييت سفتنا وأمت بدعا وفي حياك خير وراحة لاهل سليم فقال

أَفَلَا كُونَ كَالْعَبْدِ الصَّالِحِ لَمَّا أَقْرَأَهُ عَلَيْهِ وَجَّعَ لَهُ أَمْرَهُ قَالَ تَوْفَّقِي مَسْلَمًا وَالْحَقُّ فِي الصَّالِحِينَ
 (فَإِنْ قِيلَ) الْإِنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يَمُوتُونَ لِمَا هَلَاكَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَكَانَ هَذَا
 الدَّعَاءُ حَاصِلُهُ طَلَبُ تَحْصِيلِ الْحَاصِلِ وَانْهَاجُ الْبُحُورِ (أَجِيبْ) بِأَنْ حَالُ كَمَالِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَسْتَقِلَّ
 لِحُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى وَجْهِ يَسْتَقِرُّ قَلْبُهُ عَلَى ذَلِكَ الْإِسْتِسْلَامِ وَيَرْضَى بِقَضَاءِ اللَّهِ وَتَطْمَئِنُّ النَّفْسُ
 وَيُنْشَرِحُ الصَّدْرُ وَيَنْفَسِحُ الْقَلْبُ فِي هَذَا الْبَابِ وَهَذِهِ حَالَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى الْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ وَضْعُ
 الْكُفْرِ وَالْمَطْلُوبُ هُنَا هُوَ الْإِسْلَامُ بِهَذَا الْمَعْنَى (فَإِنْ قِيلَ) إِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مِنْ أَكْبَرِ
 الْإِنْبِيَاءِ وَالصَّلَاحِ أَوَّلَ دَرَجَةِ الْمُؤْمِنِينَ فَالْوَصْلُ إِلَى الْغَايَةِ كَيْفَ يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَطْلُبَ الْبِدَايَةَ
 (أَجِيبْ) بِأَنْ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا قَالَ يَعْنِي بِأَنْ يَطْلُقَهُ بِأَبْنَاهُ إِبْرَاهِيمَ وَاسْمُ عَمِلٍ
 وَاصْحَقُ وَبِعُقُوبَ وَالْمَعْنَى الْحَقُّ فِيهِمْ فِي نَوَابِهِمْ وَدَرَجَاتِهِمْ وَوَلَدَ لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ امْرَأَةٍ
 الْعَزِيزِ ثَلَاثَةَ أَفْرَائِيمَ وَمِيشَا وَهُوَ جَدُّ يَوْسُفَ بْنِ نُونٍ وَرَحْمَةُ امْرَأَتِهِ يُيُوسُفَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَلَمَّا نَاقَتْ
 نَفْسَهُ إِلَى الْمَلِكِ الْخُلْدِ وَقَتَّى الْمَوْتَ فَلَمْ يَأْتْ عَلَيْهِ إِلَّا سَبْعُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ طَبِيبًا طَاهِرًا وَنَشَاحَ
 النَّاسِ فِي دَفْنِهِ فَطَلَبَ أَهْلُ كُلِّ مَحَلَةٍ أَنْ يَدْفِنَ فِي مَحَلَتِهِمْ رَجَاءً بِرُكْنِهِ حَتَّى هُمُوبًا قَتْلًا قَرَأُوا
 أَنْ يَجْعَلُوا فِي صَنْدُوقٍ مِنْ مَرْمَرٍ وَيَدْفِنُوهُ فِي النَّيْلِ حَيْثُ يَتَفَرَّقُ الْمَاءُ بِمَصْرٍ لِيَجْرِيَ عَلَيْهِ الْمَاءُ
 وَيَصِلَ بِرُكْنِهِ إِلَى جَمْعِهِمْ قَالَ عِكْرَمَةُ دَفِنَ فِي الْجَانِبِ الْإِيمَنَ مِنَ النَّيْلِ فَأَخْصَبَ ذَلِكَ الْجَانِبُ
 وَأَجْصَدَ الْجَانِبُ الْآخَرَ فَقُنْطِلَ إِلَى الْجَانِبِ الْإِيسَرَ فَأَخْصَبَ ذَلِكَ الْجَانِبُ وَأَجْصَدَ الْآخَرَ
 فَدَفْنُوهُ فِي وَسْطِهِ وَقَدَّرُوا ذَلِكَ بِسُلْسُلَةٍ فَأَخْصَبَ الْجَانِبَانِ إِلَى أَنْ أَخْرَجَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
 وَدَفْنَهُ بِقَرْبِ آبَائِهِ بِالنَّشَامِ وَقَدِيرَ اللَّهُ تَعَالَى زِيَارَتَهُ وَزِيَارَةَ آبَائِهِ فِي عَامٍ شَرَعَتْ فِي هَذَا التَّفْسِيرِ
 سَنَةً أَرْبَعٌ وَسِتِينَ وَتَسْعَمَانَةَ جَعَلَى اللَّهُ تَعَالَى وَأَبْنَى وَأَهْلَى وَأَصْحَابِي وَأَحِبَّائِي مَعَهُمْ فِي دَارِ
 كَرَامَتِهِ وَمَلَأَتْهُمُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَآخُوهُ عَلَى الْوَجْهِ الْأَحْكَمِ وَالصَّرَاطِ
 الْإِقْوَمِ مِنْ ابْتِدَائِهِ إِلَى اتِّهَانِهِ قَالَ تَعَالَى مُشِيرًا إِلَى أَنَّهُ دَلِيلُ كَافٍ فِي تَحْقِيقِ نَبْوَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ يَقُولُهُ (ذَلِكَ) أَيُّ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ لَكَ بِأَمْرِهِ مِنْ قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا جَرَى لَمَعَ آخُوهُ
 ثُمَّ صَارَ إِلَى الْمَلِكِ بَعْدَ الرُّقَى (مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ) أَيُّ أَخْبَارِ مَا غَابَ عَنْكَ (تَوْجِيهِ الْبَلِكِ) أَيُّ الَّذِي
 أَخْبَرَكَ بِهِ مِنْ أَخْبَارِ يُوسُفَ وَحَى أَوْحِيَانَهُ الْبَلِكِ (وَالْحَالُ الْبَلِكِ) مَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ أَيُّ عِنْدَ آخُوهُ
 يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (أَذَى) أَيُّ حَيْنٍ (أَجْعُوا أَمْرَهُمْ) أَيُّ عَزَمُوا عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْفَاءُ
 يُوسُفَ فِي الْجَبِّ (وَهُمْ يَكْمُرُونَ) أَيُّ يَدْبُرُونَ الْآذَى فِي الْخَفِيَّةِ يُوسُفَ وَالْمَعْنَى أَنَّ هَذَا النَّبِيَّ غَيْبٌ
 لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا طَالَعَ الْكُتُبَ وَلَا تَهْلَذَا لِأَحَدٍ وَلَا كَانَتْ الْبَلَدَةُ بِلَدَةِ الْعُلَمَاءِ وَإِيَّانَهُ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْقِصَّةُ الطَّوِيلَةُ عَلَى وَجْهِ لَا يَقَعُ فِيهِ تَحْرِيفٌ وَلَا غُلَاطٌ مِنْ غَيْرِ مَطَالَعَةٍ وَلَا تَعْلَمُ وَمِنْ
 غَيْرِ أَنْ يَقَالَ إِنَّهُ جَازِمٌ مَعَهُمْ لَا يَذُو أَنْ يَكُونَ مَجْزَاً وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ ذَكَرَ عَلَى سَبِيلِ
 التَّحْكِيمِ بِهِمْ لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَعْلَمُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا كَانَ مَعَهُمْ وَلَمَّا سَأَلَتْ قُرَيْشُ وَالْيَهُودُ
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ لَهُ أَبُو حَيَّانٍ عَنْ ابْنِ الْأَثَارِيِّ عَنْ قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 فَلَزِمَتْ مُشْرُوحَةً هَذَا الشَّرْحَ الشَّافِي مَبْنِيَّةً هَذَا الْبَيَانِ الْوَاقِعُ فَأَقْبَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكُونَ

ذلك سبب اسلامهم فخالقوا تاملوه عزاء الله تعالى بقوله (وما أكرم الناس) أي أهل مكة (ولو
 حرصت) على إيمانهم (بمؤمنين) لعنادهم وتصميمهم على الكفر وكان ذلك إشارة إلى ما ذكر الله
 تعالى في قوله تعالى أنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ثم نفي عنه التهمة بقوله
 تعالى (وما ننسأ لهم عليه) أي على تبليغ هذا الكتاب الذي أوحيناها إليك وأغرق في النفي فقال
 (من أجر) حتى يكون سؤالك سبباً لأن يتمموا أو يقولوا لولا أنزل عليه كثر ليستغن بدعنا سؤالنا
 ثم نفي عن هذا الكتاب كل غرض ديني بقوله تعالى (إن هو إلا ذكر) أي عظة من الله تعالى
 (للعالمين) عامة ثم إن الله تعالى أخبر عنهم أنهم لما تأملوا الآيات الدالة على توحيد الله تعالى
 بقوله تعالى (وكانين) أي وكمن (من آية) دالة على وحدانية الله تعالى (في السموات) كالنيرين
 وسائر الكواكب والصحاب وغير ذلك مما لا يحصىه إلا الله تعالى (والارض) من الجبال
 والشجر والدواب وغير ذلك مما لا يحصىه إلا الله تعالى (يعتزون عليها) أي يشاهدونها (وهم عنها
 معرضون) أي لا يتفكرون فيها فلا عجب إذا لم يتأملوا في الدلائل على نبوتك فإن العالم ملو من
 دلائل التوحيد والقدرة والحكمة ثم أنهم يعتزون عليها ولا يلتفتون إليها * ولما كان ربحاً قليل
 كيف يوصفون بالأعراض وهم يعتقدون أن الله تعالى فاعل تلك الآيات بين أن اشراكهم
 سقط لذلك بقوله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله) حيث يقولون بأنه الخالق الرازق (والوهم
 مشركون) بعبادته الاصنام قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم لم يقولوا الله لكنهم كانوا
 يشركون شركاً في العبودية وعن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في تلبية مشركي العرب كانوا
 يقولون في تلبيةهم ليبيك لا شريك لك الا شريكاً هو لك تملكه وما ملك يعنون الاصنام وعنه أيضاً
 أن أهل مكة قالوا الله ربنا وحمده لا شريك له والملائكة بناته فلم يوحداً بل أشركوا وقال عبدة
 الاصنام ربنا الله وحده والاصنام شفعاء وناجده وقالت اليهود ربنا الله وحده وعزير ابن الله
 وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال عبدة الشمس والقمر ربنا الله وحده وهؤلاء أربابنا وقال
 المهاجرون والانصار ربنا الله وحده لا شريك له ولما كان أكثر هؤلاء لا ينقادون إلا بالعذاب
 قال تعالى (أنا منوا) انكار فيه معنى التوبيخ والتهديد (أن تأتيهم) في الدنيا (غاشية) أي نقمة
 تفشاهم وتشلهم (من عذاب الله) أي الذي له الأمر كله كما أتى من ذكرنا قصصهم من الامم
 (أوتأتيتهم الساعة بغتة) أي فجأة وهم عنها في غاية الغفلة وقوله تعالى (وهم لا يشعرون) أي
 بوقت اتيانها قبله كالتأكد لقوله بغتة * ولما كان صلى الله عليه وسلم مبلغاً عن الله تعالى أمره
 أن يأمرهم باتباعه بقوله تعالى (قل يا أيها الخلق وأصفاهم وأعظمهم نصيحاً وخلصاً) (هذه)
 أي الدعوة إلى الله تعالى التي يدعو إليها (سبيلي) أي طريقتي التي أدعو إليها الناس وهي
 توحيد الله تعالى ودين الاسلام وسعي الدين سبباً لانه الطريق المؤدى إلى نواب الجنة (ادعوا
 إلى الله) أي إلى توحيد الله واليمان به (على بصيرة) أي حجة واضحة وقوله (أنا) تأكيداً للمستتر
 في ادعوا على بصيرة لانه حال منه أو مبتدأ خبره على بصيرة وقوله (ومن اتبعني) أي من آمن بي
 ويصدق بما جاءني عطف عليه لأن كل من ذكر الحق وأجاب عن الشبهة فقد دعا بمقدور وسعه

الى الله وهذا دل على أن الدعاء الى الله انما يحسن ويجوز مع هذا الشرط وهو أن يكون على
بصرة عما يقول ويؤمن فان لم يكن كذلك وألفه ومحض الغرور وقال صلى الله عليه وسلم العلماء
أمناء الرسل على عباد الله من حيث يحفظون ما يدعون اليه * (فائدة) * جميع القراء فيبتون
الياء وقفا وصلاتهما في الرسم (وسبحان) أى وقل سبحان (الله) تنزيها لله تعالى عما يشركون
به (وما آمن المشركين) أى الذين اتخذوا مع الله ضدًا ونذا ولما قال أهل مكة للنبي صلى الله
عليه وسلم هلا بعث الله ملكا قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك) الى المكلفين (الارجالا) أى
مثل ما لك رجل لا ملائكة ولا انما كما قاله ابن عباس ولا من الجن كما قاله الحسن (يوشى اليهم)
أى بواسطة الملائكة مثل ما يوشى اليك وقرأ أحفص قبل الواو البنون وكسر الحاء والباقون
بالياء وفتح الحاء وضم الهاء من اليهم حجة على أصله وكسرها الباقون (من أهل القرى) أى من
أهل الامصار والمدن المنفية بالدر والحجر ونحوه لأن أهل البوادي لأن أهل الامصار أفضل
وأعلم وأكل وأعقل من أهل البوادي ومكة أم القرى لأنها مجمع لجميع الخلائق لما أمر وابه
من حج البيت وكان العرب كلهم يأثونها فكيف تعجبوا في حقل قال الحسن لم يبعث الله نبيا من
البادية لفظهم وجفائهم ثم هددهم سبحانه وتعالى بقوله تعالى (أفلم يسيرا) أى هؤلاء
المشركون المكذوبون (في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من المكذبين
للرسل والايات فيحذروا تكذيبك ويعتبروا بهم وبما حل بهم من عذابنا * ولما أن الله تعالى نجى
المؤمنين عند نزول العذاب بالام الماضية المكذبة وما في الآخرة خير لهم من ذلك بقوله تعالى
(ولداو الآخرة) أى ولداو الحال الآخرة أو الساعة الآخرة أو الحياة الآخرة (خير) وهى
الجنة (الذين اتقوا) الله من حياة ما آلهما الموت وان فرحوا فيها بالحال وان امتدت ألف
عام وكان عيشها كله رغدا من غير آلام (أفلا يدعقلون) فيستعملون عقولهم فتبعون الداعي الى
هذا السبيل الاقوم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالناء على الخطاب لاهل مكة والباقون بالياء
على الغيبة لهم وللمشركين المكذبين وقوله تعالى (حتى اذا استبأس الرسل) غاية لخذوف دل
عليه الكلام أى لا يفروهم ثم نادى أيامهم فان من قبلهم أمهلوا حتى أيس الرسل من النصر
عليهم في الدنيا ومن ايمانهم لانهم في الكفر متفرقين مقادين فيه من غير وازع (وظنوا)
أى ايقن الرسل (أنهم قد كذبوا) بالتشديد كإقرأ غير حجة وعاصم والكسائي تكذبا لا ايمان
بعده وأما بالتخفيف كإقرأ هؤلاء فالعنى ان الام ظنوا أن الرسل قد أخلفوا ما وعدوا به من
النصر عليهم (جاءهم نصرنا) لهم بخذلان أعدائهم (فنجى من نشاء) أى النبي والمؤمنون وقرأ
ابن عامر وعاصم بنون مضمومة بعد هاجم مشددة ويا بعد الجيم مفتوحة والباقون بنون
الاولى مضمومة والثانية ساكنة وتخفيف الجيم وسكون الياء (ولا يرد بأسنا) أى عذابنا (عن
القوم الجرمين) أى المشركين ما نزل بهم * ولما ذكر سبحانه وتعالى هذه القصص وحث
على الاعتبار بها بقوله أفلم يسيرا أتبعه بأن في أحاديثهم أعظم عبرة فقلل حشا على تأملها
والاستبصار بها (لقد كان في قصصهم) أى يوسف واخوته أو في قصص الرسل (عبرة) أى عظة

عظيم (لاولى الآيات) أى لذى العقول المبرأة من شوائب الكدر ويعتبرون به إلى ما يسهلهم
 لأن من قدر على ما قهر من أمر يوسف عليه السلام لقادر على أن يعز محمد صلى الله عليه وسلم
 ويعلى كلمته وينصره على من عاداه كما نؤمن كان كما فعل يوسف وغيره * ولما كان من أجل العبرة
 في ذلك القطع بحقيقة القرآن به تعالى على ذلك بتقدير سؤال فقال تعالى (ما كان حديثا يفترى)
 أى يخلق لأن الذى جاء به من عنده هو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه أن يفتره لأنه
 لم يقرأ الكتب ولم يتلذذ لا حد ولم يخالف العلماء في الحال أن يفترى * هذه القصة بحيث تكون
 مطابقة لما رأوه في التوراة من غير تفاوت كما يعلم من قوله تعالى (ولكن تصديق الذى بين يديه)
 أى من الكتب الإلهية المنزلة من السماء كاللوراة والانجيل ففي ذلك إشارة إلى أن هذه
 القصة وردت على الوجه الموافق لما في التوراة من ذكر قصة يوسف عليه السلام (و) زاد على
 ذلك بقوله (تفصيل) أى تبين (كل شئ) أى يحتاج إليه من الدين اذ ما من أمر ديني إلا وله سند
 من القرآن بوسط أو بغير وسط وقيل المراد تفصيل كل شئ من واقعة يوسف مع أبيه وأخوته
 قال الواحدى وعلى التفسيرين جميعا فهو من العام الذى أريد به الخاص كقوله تعالى ورحمى
 وسعت كل شئ أى يجوز أن يدخل فيها وقوله تعالى وأوتيت من كل شئ (وهدى) من الضلال
 (ورجى) ينال بها خير الدارين (لقوم يؤمنون) أى يصدقون خصم بالذكر لانهم هم الذين
 اتفقوا به كقوله تعالى هدى الله فبما نزل من أنزله معجزا باهرا وقاضيا بالحق لا يزال ظاهرا
 ومارواه البيضاءوى تعالى للكشاف من أنه صلى الله عليه وسلم قال علوا أرفاهكم سورة يوسف فانه
 أجمع اسم تلاها وعلما أهلها وما ملكك عينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا
 يحسد أحدا حديث موضوع والله أعلم

﴿سورة الرعد مكية﴾

الاولايزال الذين كفروا الآية ويقول الذين كفروا لست مرسل الاية أو مدينة الاولون
 قرأنا سيرة به الجبال وهى ثلاث وأربع وأخمس وأست وأربعون آية وعدد كلماتها
 ثمانمائة وخمس وخسون كلمة وعدد حرفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وسبعة وأحرف
 (بسم الله) الحق الذى كل ما عداه باطل (الرحمن) الذى هم الرغبة والرغبة بعموم الرحمة
 (الرحيم) الذى خص من شاء بما يرضاه عظيم الرغبة (المر) قال ابن عباس معناه أنا الله أعلم
 وأرى وقال في رواية عطاء أنا الله الملك الرحمن وقد تقدم الكلام على شئ من أوائل السور
 في أول سورة البقرة وقرأ قالون وابن كسبر وحفص بالفتح وقرأ ورش بين بين والباقيون بالأمالة
 (تلك) أى هذه الآيات (آيات السحاب) أى القرآن والاضافة بمعنى من وقيل المراد بالسحاب
 السورة الكاملة ووصفت بالكمال من تعريف السحاب بأل لأن خبر المبتدأ اذ عرف بالام
 المنفوس أفاد المبالغة وقوله تعالى (والذى أنزل اليك من بين) أى القرآن مبتدأ وخبره (الحق)
 أى الموضوع على كل شئ منه في موضعه على ما تدعو اليه الحكمة الواضح الذى لا يقض شئ منه

عن مطابقة الواقع من بعث ولا غيره (ولكن أكثر الناس) أي مشركي مكة (الأيونون)
 لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه قال مقاتل نزلت في مشركي مكة حين قالوا إن محمد أقوله من تلقاء
 نفسه قد والله تعالى عليهم بذلك * ولما ذكر تعالى أن أكثر الناس لا يؤمنون ذكر عقبه ما يدل على
 صحة التوحيد والمعاد بأمور أحدها قوله تعالى (الله الذي رفع السموات بغير عمد) أي سوارى جمع
 عمود كآدم وأديم وعماد كاهب واهاب والعمود جسم مستطيل يمنع الارتفاع أن يميل (ترونها)
 أي وأنتم ترون السماء مرفوعة بغير عمد من تحتها تسندها ولأن فوقها علاقة تحسكها فالعمد
 منفية بالكلمة قال إياس بن معاوية السماء مقببة على الأرض مثل القبة ففي ذلك دلالة عظيمة
 على وحدانية تعالى لأن هذه الأجسام الغريبة بقيت واقفة في الحق العالی وبسبب أن
 يكون بقاؤها هناك لا عيانها لذلالتها فهذا برهان باهر على وجود الإله القادر القاهر وقيل الضمير
 راجع إلى العمدة أي أنها أعمد ولكن لا ترونها أنتم ومن قال بهذا القول يقول إن عمدها على
 جبل قاف وهو جبل من زمر محيط بالديار والسماء عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة
 قال الرازي وهذا التأويل في غاية السقوط لأن السموات لما كانت مستقرة على جبل قاف
 فأى دلالة تبي فيها على وجود الإله * (تنبه) * الله يستند إلى الذي رفع السموات خبره ويجوز
 أن يكون الموصول صفة والخبر يدير الأمر ثانياً بقوله تعالى (ثم استوى على العرش) بالخط
 والتدبير والقهر والقدرة أي أن من فوق العرش إلى ما تحت الثرى في حفظه وتديره وفي
 الاحتياج إليه وتقدم الكلام على ذلك في سورة الأعراف بما فيه كفاية وثالثها قوله تعالى
 (وسبح) أي ذلل (الشمس والقمر) لمتافع خلقه مقهوران بجران على ما يريد (كل) منهما
 (يجرى) في فلكه (لأجل سمى) أي إلى وقت معلوم وهو وقت فناء الدنيا وزوالها وعند مجي
 ذلك الوقت تقطع هذه الحركات وتبطل تلك التسميات كما وصف الله تعالى ذلك في قوله
 إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا السماء انشقت وإذا السماء انفطرت وعن
 ابن عباس للشمس مائة وعشرون منزلاً كل يوم لها منزل وذلك يتم في ستة أشهر ثم إنها تعود مرة
 أخرى إلى واحد واحد منها في ستة أشهر مرة أخرى وكذلك القمر له ثمانية وعشرون منزلاً
 فالمراد بقوله تعالى كل يجري لأجل مسمى هذا وتحققه أنه تعالى قدر لكل واحد من تلك
 الكواكب سيراً إلى جهة خاصة بقدر خاص من السرعة والبطء وحينئذ يلزم أن يكون لها
 بحسب كل لحظة ولحظة حالة أخرى ما كانت حاصله قبل ذلك * ثم أنه تعالى لما ذكر هذه الدلائل
 قال (بدر الأمر) أي يقضى أمر ملكه من الإيجاد والاعدام والاحياء والامانة والاعتناء
 والافتقار ويدخل فيه أنزال الوحي وبعث الرسل وتكليف العباد وفي ذلك دليل عجيب على كمال
 القدرة والرحمة وذلك لأن هذا العالم المعلوم من أهلاء العرش إلى ما تحت الثرى أنواع
 وأجناس لا يحيط بها إلا الله عز وجل والدليل المذكور يدل على أن اختصاص كل واحد منها
 بوضعه وموضعه وطبيعته وحليته ليس إلا من الله تعالى ومن المعلوم أن من استغفل
 عن هذه الأمور فله شأن عال قال إذا تأمل في هذه الآية علم أنه تعالى يدير عالم

قوله جمع عمود كآدم
 وأديم الخ في حاشية
 الجبل والعامية على
 فتح العين والميم وهو
 اسم جمع وعباره
 بعضهم أنه جمع نظراً
 إلى المعنى دون
 الصناعة وقراً
 أبو حنيفة ويحيى بن
 وثاب عمده بضمين
 ومنزله يحفل أن
 يكون عمداً ككتاب
 وشبه وكاتب وكب
 وأن يكون عموداً
 كرسول ورسول اه

الاجساد وعالم الارواح ويدبر الكبير كما يدبر الصغير فلا يشغله شأن عن شأن ولا يمنعه تدبير عن
 تدبير وذلك يدل على أنه تعالى متعال في ذاته وصفاته وعلمه وقدرته عن مشابهة المحدثات
 والممكنات * ولما كان هذا ينافي الالبس فيه قال تعالى (يقصّل) أي يبين (الآيات) التي
 برزت الى الوجود وتدبرها الدالة على وحدانيته وكمال حكمته المشتملة عليها مبتدعاً بغير فهمها
 ويبين بينها مبانيه لالبس فيها تقريرا للعقول لكم وتدريباً الفهم لكم لتعلموا أنها فعل الواحد
 المختار * ولما كان هذا التدبير وهذا التفصيل دالاً على تمام القدرة وغاية الحكمة وكان
 البعث لفصل القضاء والحكم بالعدل واظهار العظمة هو مخطط الحكمة على ذلك بقوله (لعلكم)
 يا اهل مكة (تلقوا ربكم) بالبعث (توقنون) فتعلموا أن من قدر على خلق هذه الاشياء
 وتدبرها على عظمتها وكبرتها قادر على ايجاد الانسان واجباة به بعد موته يروى أن واحداً
 قال لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه انه تعالى كيف يحاسب الخلق دفعة واحدة فقال
 كما يرزقهم الآن دفعة واحدة وكما يصعدناهم ويحبب دعاءهم الآن دفعة واحدة وحاصل
 الكلام أنه تعالى كما قدر على ابقاء الاجرام الفلكية والنيرات الكوكبية في الجوف العالي لا يهد
 أن يرد الارواح الى الاجساد وان كان الخلق عاجزين عنه وكما يمكنه أن يدبر من فوق العرش
 الى ما تحت الثرى لا يشغله شأن عن شأن فكذلك يحاسب الخلق بحيث لا يشغله شأن عن شأن
 * (تنبيه) * البقین صفة من صفات العلم وهي فوق المعرفة والدراية وهي سكون الفهم مع
 ثبات الحكم وزوال الشك * ولما ذكر تعالى الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته من رفع
 السماء بغير عمد وأحوال الشمس والقمر وأردفها بذكر الدلائل الارضية بقوله تعالى (وهو الذي
 مدّ الارض) أي بسطها طولا وعرضا تثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان ولو شاء
 لجعلها كالجدار والازج لا يستطاع القرار عليها هذا اذا قلنا ان الارض مسطحة لا كرة وعند
 أصحاب الهيئة أنهم اكرة فكيف يقولون بذلك ومدّ الارض ينافي كونها كرة كما ثبت بالدليل
 (أجيب) بأن الارض جسم عظيم والكرة اذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها تشاهد
 كالسطح كما أن الله تعالى جعل الجبال أو نادى مع أن العالم من الناس يستقرون عليها فكذلك
 ههنا ومع هذا قاله تعالى قد أخبر أنه مدّ الارض ودحاها وبسطها وكل ذلك يدل على
 التسطيع والله تعالى أصدق قديلاً وأبين دليلاً من أصحاب الهيئة هذا هو الدليل الاول من
 الدلائل الارضية الثاني منها قوله (وجعل) أي وخلق (فيها) أي الارض (رواسي) أي جبالاً
 ثوابت واحداً راسية أي ثابتة باقية في حيزها غير منتقلة عن مكانها لا تتحرك ولا يتحرك ما هي
 راسية فيه وهذا لا بد وأن يكون بتخليق القادر والحكيم قال ابن عباس أول جبل وضع على
 وجه الارض جبل أبي قبيس ولما غلب على الجبال وصفها بالرواسي صارت الحصنة تغني عن
 الحوضوف فجعلت جميع الاسم كحائط وكاهل قاله أبو حيان الثالث منها قوله تعالى (وأنا هار)
 أي وجعل في الارض أنهاراً جارية لمنافع الخلق والنهر الجرى الواسع من مجارى الماء وأصله
 الاتساع ومنه الهاء والاتساع ضياعه الرابع منها قوله تعالى (ومن كل الفرات) وهو متعلق

بقوله تعالى (جعل فيها) أى الارض (زوجين اثنين) أى وجعل فيهما من جميع أنواع
 الفمار صنفين اثنين والاختلاف اتمام من حيث الطم الحلو والحامض أو اللون كالاسود
 والابيض أو الحجم كالصغير والكبير والطبيعة كالحار والبارد (فان قيل) الزوجان لابد وأن
 يكونا اثنين في الفائدة في اثنين (أجيب) بأنه قيل انه تعالى أول ما خلق العالم وخلق فيه
 الاشجار خلق من كل نوع من الانواع اثنين فقط فلو قال خلق زوجين لم يعلم أن المراد النوع
 أو الشخص فلما قال اثنين علم أنه تعالى أول ما خلق من كل زوجين اثنين لأقل ولا يزيد فكم أن
 الناس وان كان فيهم الآن كثرة فابتدأوهم من زوجين اثنين بالشخص آدم وحواء فكذا
 القول في جميع الاشجار والزرع الخامس منها قوله تعالى (ينشى) أى يعطى (الليل) بظلمته
 (النهار) أى والنهار الليل بنوثة فيعتدل فعلهما على ما قدره الله تعالى له ما في السر من
 الزيادة والنقصان وذلك من الحكم النافعة في الدين والدنيا الظاهرة لكل ذى عقل انما تدبره
 بفعله واختياره وقهره واقتداره وقرأ شعبة وسجدة والكسافى بفتح الغين وتشديد الشين
 والباقون يسكون الغين وتخفيف الشين * ولما ذكر تعالى هذه الدلائل النيرة والقواطع القاهرة
 جمعها وناطها بالفكر فقال تعالى (ان في ذلك) أى الذى وقع التحدث عنه من الآيات
 (آيات) أى دلالات (اقوم يفكرون) أى يهتمدون في الفكر فيستدلون بالصنعة على
 الصانع وبالسبب على المسبب والتفكير والتدبر تصرف القلب في طلب معانى الاشياء ثم انه
 تعالى ذكر دليله لاظهار حجة بقوله تعالى (وفي الارض) أى التى أنتم مكانها تشاهدون
 ما فيها مشاهدة لا تقبل الشك (قطع) أى بقاع مختلفة (مجاورات) أى متقاربات يقرب
 بعضهما من بعض واحدة طيبة والاخرى سجة لا تنبت وأخرى صالحة للزرع وللشجر وأخرى
 بالعكس وأخرى قليلة الربع وأخرى كثيرة مع انتظام الكل في الارضية وهو من دلائل قدرته
 تعالى (وجنات) أى بساين فيها أنواع الاشجار من نخيل وأعاب وغير ذلك كما قال تعالى (من
 أعقاب وزرع ونخيل صنوان) جمع صنو وهي التخلات يجمعها أصل واحد وتشعب فرعها
 ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس عم الرجل صنو أبيه يعنى أنهم من أصل واحد
 (وغر صنوان) أى متفرقات محتانة الاصول وسمى البستان جنة لانه يستربأ بشجاره الارض
 وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص برفع العين واللام والنون الثانية من صنوان والراء من
 غير مع التنوين في العين واللام والنون وعدم التنوين في الراء والباقون بالخفض في الاربعة
 وعدم التنوين في الراء * ولما كان الماء بمنزلة الاب والارض بمنزلة الام وكان الاختلاف
 مع اتحاد الاب والام أعجب وأدل على الاسناد الى الواحد المسبب لالى شئ من الاسباب قال
 (تسقى) قراءة ابن عامر وعاصم بالياء على التسديد كبرى أى المذكور وقراءة الباقيين بالتاء على
 التأنيث أى الجنات وما فيها (بما واحد) فتخرج أغصانها وثمراتها في وقت معلوم لا تآخر
 عنه ولا تقدم والماء جسم رقيق مانع به حياة كل نام وقيل في حذمه جوهر سيمال به قوام
 الارواح (وتفضل بعضها على بعض في الاصل) أى الطم ما بين حلو وحامض وغير ذلك

وفي الشكل والرائحة والمنفعة وغير ذلك وذلك أيضا ما يدل على النادو الحكيم فإن اختلافها
 مع اتحاد الأصول والأسباب لا يكون إلا بقصص قادر يختار قال مجاهد وذلك كمثل بني آدم
 صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد وقال الحسن هذا مثل ضربه الله تعالى لقلوب بني آدم وكانت
 الأرض طينة واحدة في يد أي في قدرة الرحمن فسطحها فصارت قطعاً متباورات فينزل عليها
 الماء من السماء فتخرج هذه زهرتها وشجرها وتربتها ونباتها وتخرج هذه سبخها وملكها وخبيثها
 وكل بسقي بماء واحد وكذلك الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم من السماء تذكرة تفرق قلوب
 قوم فتضع وتضع وتفسد قلوب قوم فتلهو ولا تسمع وقال الحسن والله ما جالس القرآن
 أحد إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان قال تعالى وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
 ولا يزيد الظالمين إلا خساراً وقرأ حزة والكسائي بالياء ليطابق قوله تعالى يدبر الأمر والباقون
 يا نون وقرأ نافع وابن كثير بسكون الكاف والباقون بالرفع (آن في ذلك) أي الأمر العظيم
 الذي ذكرناه (آيات) أي دلالات (للقوم يعقلون) أي يستعملون عقولهم بالتدبر
 والتفكير في الآيات الدالة على وحدانيته تعالى * ولما ذكر تعالى الدلائل القاهرة الدالة على
 معرفة المبدأ ذكر بعده ما يدل على المعاد بقوله تعالى (وإن نحب) أي بأكرم الخلق من تكذيب
 الكفار لك بعد أن كنت تعرف عندهم بالصادق الأمين (فنجب) أي فيحقق أن يتجسس منه
 (قولهم) أي منكري البعث (أنذا كما تراباً) أي بعد الموت (أنا السالتي خلق جديد) أي
 خلق بعد الموت كما كآفله ولم يعلموا أن القادر على إنشاء الخلق وما قدم على غير مثال قادر على
 إعادةهم (وقيل) وإن نحب من اتخاذ المشركين ما لا يضركهم ولا ينفعهم آفة يعبدونها
 مع إقرارهم بأن الله تعالى خلق السموات والأرض وهو يضر ويمنع وقدراً وأقدرة الله تعالى
 وما ضرب لهم به الأمثال فنجب قولهم ذلك والعجب تغير النفس برؤية المستبعد في العادة وقال
 المتكلمون العجب هو الذي لا يعرف سببه وذلك في حق الله تعالى محال لأنه تعالى على علام الغيوب
 لا تخفى عليه خافية وقرأ أبو عمرو وخلاص الكسائي بادغام الباء في الفاء والباقون بالظهار
 * (تنبيه) هنا آيتان في كل منهما همزتان تقرأ قالون بهما في الهمزة الأولى وتسهيل الثانية
 ويدخل بينهما الفاعل الاستفهام وفي الآية الثانية همزة مكسورة وبعدها نون مشددة على الخبر
 وورش كذلك الآية لا يدخل بين الهمزتين في أنذا الفاء ينقل في الثاني على أصله وابن كثير
 يقرأ بالاستفهام فيهما من غير ادخال ألف بين الهمزتين مع تحريك الأولى وتسهيل الثانية فيهما
 وأبو عمرو وكذلك مع ادخال ألف بينهما وابن عامر في الأولى بهمزة مكسورة وبعدها ذال مفتوحة
 على الخبر وفي الثانية بهمزة مفتوحة محقة وهمزة مكسورة محقة على الاستفهام وأدخل هشام
 بينهما الفاء بخلاف عنه والباقون بهمزتين محقتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة ولا ألف
 بينهما في الموضعين * (فائدة) * جميع ما في القرآن من ذلك أحد عشر موضعاً في تسع سور
 والاحد عشر مكررة قصير اثنين وعشرين في هذه السورة موضع والثاني والثالث في سورة
 الاسراء والرابع في المؤمنون والخامس في النمل والسادس في النكبات والسابع في السجدة

والثامن والتاسع في الصلوات والعاشر في الواقعة والحادي عشر في التزعات وأما كران شاه
الله تعالى في كل سورة من السور المذكورة فمذهبه في محله (أو لئلا) أي الذين جمعوا أنواعا من
البعد من كل خير (الدين كفر واربهم) أي غطوا ما يجب اظهاره بسبب الاستمالة التي بها
خلقهم ثم رباهم بأنواع اللطف فإذا أنكر وأعادهم فقد أنكر وابدأهم (أو لئلا) للبعثاء
البعثاء (الاعلال) يوم القيامة (في أعناقهم) بسبب كفرهم والغل طوق من حديد تقيد به اليد
في العنق رقبيل المراد بالاعلال ذلهم وانقيادهم يوم القيامة كما يقاد الاسير بالذل بالذل وقيل
انهم مقيدون بالضللال لا يرجي فلاحهم (أو لئلا) أي الذين لا خسارة أعظم من خسارتهم
(أصحاب النار هم فيها خالدون) أي ثابت خلودهم دائما لا يخرجون منها ولا يموتون حولها كان
صلى الله عليه وسلم يذمهم تارة بعذاب يوم القيامة وتارة بعذاب الدنيا والقوم كما يذمهم
بعذاب يوم القيامة أنكروا القيامة والبعث والحشر والنشر وهو الذي تقدم ذكره في الآية
الاولى وكلما ذمهم بعذاب الدنيا قالوا له نحن نأثم هذا العذاب وطلدوا منه اظهاره وانزاله على
سبيل الطعن واظهار ان الذي يقوله كلام لا أصل له نزل (ويستجيبونك) أي استجوابه وتكذيبنا
والاستجبال طلب التجميل وهو تقديم الشيء قبل وقته الذي يقدره (بالسنة) أي العذاب
(قبل الحسنه) أي الرحمة وذلك أن مشركي مكة كانوا يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من
عندنا فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم (تنبيه) قوله قبل الحسنه فيه
وجهان أحدهما متعلق بالاستجبال ظرفا له والثاني أنه متعلق بمحذوف على أنه حال مقدرة
من السيئة قاله أبو البقاء (وقد) أي والحال أنه قد خلت من قبلهم المثلثات (جمع مثله بفتح الميم
وضم المثله كصدقة وصدقات أي عقوبات أمثالهم من المكذبين أقل ما يعتبرون بها (وأنزلهم
لذو مغفرة للناس على ظلمهم) واللام يتركز على ظهرها دابة كما قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس
بما كسبوا ما تركوا على ظهورهم من دابة وقال ابن عباس معناه لذو تحجارتهم المشركين إذا
آمَنوا (وأنزلهم لشديد العقاب) للمصريين على النمرك الذين ماؤا عليه وقال مقاتل أنه
لذو تحجارتهم شركهم في تأخير العذاب عنهم وشديد العقاب إذا عاقبهم ولما بين سبحانه وتعالى
أن المكذبات طعنوا في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم بسبب طعنهم في الحشر والنشر أو لأنهم طعنوا
في نبوته بسبب طعنهم في همة ما يذكرونهم به من نزول عذاب الاستمالة ثانيا ثم طعنوا في نبوته
بأن طلبوا لظنه المهجرة والبيئة ثلثا وهو المذكور في قوله تعالى (ويقول الذين كفروا لولا أنزل
أي هلا (أنزل عليه) أي محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) أي مثل عيسى له موسى
ونافذ صالح وذلك لأنهم أنكروا كون القرآن من جنس المجهزات وقالوا هذا كتاب مثل سائر
الكتب وأبطلوا الإنسان بتخفيف معين وكلب معين لا يكون مهيأ مثل مهيأ موسى وعيسى
عليهما السلام وكان ينبغي صلى الله عليه وسلم راغبيا في اجابة مقترحاتهم لثمة التفاته إلى إيمانهم
قال الله تعالى له (انما أنت منذر) أي ليس عليك إلا الانذار والتخفيف وليس عليك إيمان
الآيات (ولكل قوم هاد) أي نبي يهديهم إلى ربهم على عظيم من الآيات لا بما يقتضون

وقرأ ابن كثير في الوقف بيا بعد الدال وفي الوصل بغير ياء وتنوين الدال والباقون بغير ياء في
 الوقف والوصل مع تنوين الدال * ولما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات أجابهم آية
 تعالى عن عظيم قدرته وكمال علمه بقوله تعالى (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) من ذكر وغيره وواحد
 ومتعدد وغير ذلك (وما تغيب) أي تنقص (الارحام) من مدة الحمل (وما تزداد) أي من مدة الحمل
 فقد تكون سبعة أشهر وأزيد عليها إلى سنتين عند الامام أبي حنيفة وإلى أربع عند الامام الشافعي
 وإلى خمس عند الامام مالك رضي الله تعالى عنهم وقيل إن الضحك ولد سنتين وهرم بن
 حبان بن بطن أمه أربع سنين ولذلك سمي هرما وقيل ما تنقصه الرحم من الاولاد وتزيد
 منهم يروى أن شريكاً كان رابعاً أبعة في بطن أمه وقيل من نقصان الولد فيجوز
 ناقصا والزيادة تمام خلقه وقيل ما تنقص بالسقط عن إن يتم وما يزداد بالتام وقيل ما تنقص
 بظهور دم الحيض وذلك أنه إذا سال الدم في وقت الحمل ضعف الولد ونقص عقد الحصول
 ذلك قال ابن عباس كلما سال الحيض في وقت الحمل يوماً زاد في مدة الحمل يوماً ليحصل الجنين
 ويعتدل الامر والآن يتحمل جميع ذلك إذا لفتنا في هذه الاقوال ويدل لذلك قوله تعالى
 (وكل شيء) من هذا وغيره من الآيات المقترحات وغيرها (عنده) أي في علمه وقدرته (يعتدار)
 في كيفيته ويكتنه لا يجاوز ولا يقصر عنه لانه تعالى عالم بكيفية كل شيء ويكتنه على الوجه
 المفضل المبين * (تنبيه) * قوله تعالى هذه يجوز أن يكون مجزواً لمحل صفة لشيء أو مفعول
 صفة لكل أو منصوبه ظرفاً لقوله يعتقد أو ظرفاً للاداء تنقرا الذي تعلق به الجار لوقوع خبرها
 (عالم الغيب) وهو ما غاب عن كل مخلوق (والشهادة) وهو ما شاهدوه وقيل الغيب هو
 المعدم والشهادة هو الموجود وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشهادة ما حضر في الحس
 (الكبير) أي العظيم (المتعال) عن خلقه بالقهر المنزه عن صفات النقص فهو تعالى موصوف
 بالعلم الكامل والقدره التامة وقرأ ابن كثير في الوقف والوصل بيا بعد اللام والباقون بغير
 ياء وحقاً ووصلاً * ولما كان علمه تعالى شاملاً لجميع الاشياء قال تعالى (سوله منكم) أي في علمه
 تعالى (من أسر القول) أي أخفى معناه في نفسه (ومن جهره) أي أظهره فقد استوى
 في علمه تعالى السر بالقول والجاهريه (ومن هو مستخف) أي مستتر (بالليل) أي بظلامه
 (وبالنهار) أي بظهوره به في سره (بالنهار) والسر بفتح السين يسكن الراء الطريق
 وقال ابن عباس سواء ما أظهره للقلوب وأظهره للالسنه وقال مجاهد سواء من يقضي على
 المقابح في ظلمات الليل ومن يأتى في النهار انظاره على سبل التواري والضربى (له) يعود
 الى من في قوله هو امنكم من أسر القول ومن جهره ومن هو مستخف بالليل واللائسان
 (مقببات) أي ملائكة تعقبه والذي عليه الجمهور ان المراد بالملائكة الحفظة وانما يصح
 وصفهم بالمقببات لاجل أن ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار وبالعكس وانما لاجل انهم
 يتقبون أعمال العباد ويتقونهم بالحفظ والكتب وكل من عمل علامة عاد اليه فتعقب
 فعل هذا الواحد من المقببات ملائكة الليل والنهار يروى عن عثمان بن عفان قال قال رسول الله اخبرني

عن العبدكم معه من ملك فقال صلى الله عليه وسلم لك عن عبيدك الحسنات وهو أمر على الذي
على الشغال فإذا علمت حسنة كتبت عشرة وإذا علمت سيئة قال الذي على الشغال صاحب
اليمين اكتب قال لاله أن يتوب أو يستغفر فيستأذنه ثلاث مرات فإذا قال ثلاثاً قال اكتب
أراحنا الله منه فمئس القرين ما أقل مراقبته لله واستحياءه مناهه وقوله تعالى له معقبات (من
بين يديه) أي قدومه (ومن - لمعه) أي ورائه وملك قابض على ناصيتك فإذا نواضعت لربك
رفعتك وإن تجبرت فصحك وملكك لي شفتيك يحفظان عليك الصلاة وملك على فيك لا يدع أن
تدخل الحية في فيك وملكك على عبيدك فهذه عن مؤملات على كل آدمي ملائكة بالليل وملائكة
بالنهار منهم عشرون ملكاً على كل آدمي وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر
وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم الله تعالى وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي
فيقولون تركناهم وهم يصلون وقال مجاهد ما من عبد إلا وله ملك موكل يحفظه من الجن
والانس والهوام في نومه ويقظته (فان قبل) الملائكة ذكر كور فلم ذكروا في جمع الاناث وهو
المعقبات (أجيب) بجوابين الاول قال القراء المعقبات ملائكة تعقبه واحدها معقب
ثم جمعت معقبه معقبات كما قبل أبنات وربالات جميع ابناء وربال والذي على التسديد كبير
قوله تعالى (يحفظونه) والثاني وهو قول الاخفش انما أنت لكثرة ذلك منها نحو نسيابة
وعلمة وهو ذكر واختلاف في المراد من قوله تعالى (من أمر الله) على أقوال أحدها أنه
على التقديم والتأخير والتقدير له معقبات من أمر الله يحفظونه ثانياً ان فيه اخباراً أي ذلك
الحفظ من أمر الله أي بما أمر الله تعالى به فحذف الاسم وأبقى خبره وثالثها أن كلمة من معناها
الباء والتقدير يحفظونه بأمر الله وباعائه وقال كذب الاخبار لولا ان الله تعالى وكل بكم
ملائكة يذبون عنكم في مطعكم ومشربكم وعوراتكم تحفظكم الجن وقال ابن جرير
معنى يحفظونه أي يحفظون عليه الحسنات والسيئات (فان قل) ما الفائدة في تخصيص هؤلاء
الملائكة مع بني آدم وتسلطهم عليهم (أجيب) بأن الانسان إذا علم أن الملائكة تخصه عليه
أعماله كان إلى الخد من المعاصي أقرب لأن من اعتقد جلالة الملائكة وعلا مراقبتهم فإذا
حاول الاقدام على معصية واعتقد أنهم يشاهدونها زجره الحياء منهم عن الاقدام اليها كما زجره
إذا حضر من يعظمه من البشر وإذا علم أن الملائكة تخصه عليه تلك الاعمال كان ذلك أيضاً
ردعاً عنها وإذا علم أن الملائكة يكتبونها كان الردع أكمل ولما دل ذلك على غاية القدرة
والعظمة قال تعالى (أن الله) مع قدرته (لا يغير ما بقوم) أي لا يسلبهم نعمته (حتى يغيروا) أي
الذي (بأنفسهم) من الاحوال الجيلة إلى الاحوال القبيحة (راداً أراد الله بقوم سواء) أي
هلا كانوا (فلا مردة) أي لا يقدراً حدلاً من المعقبات ولا من غيرها أن يرد ما نزل به من
من قضائه وقدره (وما لهم) أي ان أراد الله بهم سواء (من دونه) أي غير الله (من وال)
بلى أمرهم وينصرهم ويمنع العذاب عنهم وقرأ ابن كثير في الوقت بالثبات الياء بعد اللام دون

الوصل والباقون بغيره بعد اللام وتفاوت وصله * ولما خوف الله تعالى بقوله وإذا أراد الله بقوم
 سوء أتبعه بذكر آيات تشبه النعم والاحسان من بعض الوجوه وتشبه العذاب والقهر من بعض
 الوجوه بقوله تعالى (هو الذي يرثكم البرق خوفاً) أي للمساقرين من الصواعق (وطمعا) أي
 للمقيم في المطر وقيل أن كل شيء يحصل في الدنيا بحتم الخير والشر فهو وخير بالنسبة إلى
 قوم وشر بالنسبة إلى آخرين فكذلك المطر خير في حق من يحتاج إليه في أوانه وشر في حق من
 يضره ذلك أتم بحسب المكان وأتم بحسب الزمان والبرق معروف وهو لعمري يظهر من بين
 السحاب (وينشئ) أي يخلق (السحاب الثمال) أي بالمطر * (تنبيه) * خوفاً وطمعاً مصدران
 ناصهما محذوف أي تخافون خوفاً وطمعون طمعا ويجوز غير ذلك والسحاب قال علي بن أبي
 طالب رضي الله تعالى عنه غزال الماء وهو غيم ينسحب في السماء وهو اسم جنس جمعي واحد
 صحابه وأكثر المفسرين على أن الرعد في قوله تعالى (ويسبح الرعد بحمده) على أنه اسم للملك
 الذي يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه ولا يرد ذلك عطف الملائكة عليه في قوله
 تعالى (والملائكة) أي تسبحه (من خيفته) أي الله لأنه أفرد بالذكر تشریفه قاله كافي في قوله تعالى
 وملائكته ورسوله وجبريل وميكال قال ابن عباس أقبلت يهود على النبي صلى الله عليه وسلم
 فقالوا أخبرنا عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار
 يسوق بها السحاب قال ابن الأثير والمخاريق جمع مخراق وهو في الأصل ثوب يلف ويضرب به
 الصبيان بعضهم بعضاً وهي آلة تزجر به الملائكة السحاب وتسوقه وقد جاء بنفسه المخراق
 في حديث آخر وهو سوط من نور تزجر به الملائكة السحاب وعن ابن عباس أنه قال من سمع
 صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير
 فإن أصابته صاعقة فعلى دينه وعن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث
 وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وفي بعض الأخبار يقول الله تعالى
 لو أن عبادي أطاعوني لسنعتهم المطر بالليل وأطاعت الشمس عليهم بالنهار ولم أسمعهم صوت
 الرعد وفي رواية عن ابن عباس الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقه حيث يئمر وأنه يحوز
 الماء في نفرة إبهامه وأنه يسبح الله تعالى إذا سبح لا يبقى ملك في السماء إلا رفع صوته بالتسبيح
 فعند ما يغزل المطر وعن الحسن أن الرعد خلق من خلق الله ليس علك وقد اختلفت الروايات
 في ذلك ففي بعضها أنه ملك موكل بالسحاب وفي بعضها أنه ملك ينفق بالغيث كما ينفق الراعي
 بفتح وفي بعضها أنه ملك يسوق السحاب بالتسبيح كما يسوق الحادى الأبل بحدائه وفي بعضها
 أنه ملك سمي به وهو الذي تسمعون صوته وقد وردت الإشارة إلى ذلك في البقرة وقيل هؤلاء
 الملائكة أعوان الرعد جعل الله تعالى له أعواناً فهم خائفون خاضعون طائعون وقيل المراد
 بهم جميع الملائكة واسعة تظهر وقوله تعالى (ويرسل الصواعق) جمع صاعقة وهي العذاب
 المهلك تنزل من البرق فخرق من تنبيهه (فيصيبهم لمن يشاء) فيهلكه (وهم يجادلون في الله)
 حيث يكذبون ويسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب التشديد في الخصومة روى أن عامر

ابن الطقبيل واربد بن زبيعة أخا لبيد وقد اى رسول الله صلى الله عليه وسلم قاهدين لقتله
 فاخذهم عامر بالمجادلة ودارا ربد من خلفه ليضربه بالسيف فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وقال اللهم اكفهم ما جاشت فأرسل الله تعالى على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامر بقعدة فبات
 في بيت سلوامة فكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلوامة فترات وعن الحسن أنه قال
 كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم فتراب دعونه الى الله تعالى
 ورسوله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعونني اليه هم هو امن
 ذهب أوفضة أو حديد أو نحاس فاستعظم القوم مقالته فانصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
 فقالوا يا رسول الله ما رأينا رجلاً لا كفر قلباً ولا أعنى على الله منه فقال صلى الله عليه وسلم
 ارجعوا اليه فرجعوا اليه فجعل لا يزيدهم على مقالته الاولى وقال أجب محمد الى رب لا أراه
 ولا أعرفه فانصرفوا وقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقالته الاولى وأخبت فقال ارجعوا اليه
 فرجعوا فيبغضهم عنده ينازعونه ويدعونوه وهو يقول هذه المقالة اذا رفعت صحابة فكانت
 فوق رؤسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرق الكافر وهم جلوس بغاؤا يسعون لخبروا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبلهم قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
 احترق صاحبكم فقالوا من أين علمت فقالوا أوحى الله تعالى الى النبي صلى الله عليه وسلم ويرسل
 الصواعق فيصيبهم من يشاء وهم يجادلون في الله (وهو شديد الحال) واختلف المقسرون في
 قوله تعالى وهو شديد الحال فقال على رضى الله عنه شديد الأخذ وقال ابن عباس شديد الحول
 وقال مجاهد شديد القوة وقال أبو عبيدة شديد القوة والمغالبة واختلف في قوله تعالى (له) اى
 الله (دعوة الحق) فقال على دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة أن لا اله الا الله وقال
 الحسن الحق هو الله تعالى وكل دعاء اليه دعوة الحق (والذين يدعون) أى وهم الكفار (من
 دونه) أى غير الله وهى الاصنام (لا يستجيبون) أى الاصنام (لهم) أى الكفار (شيئاً) مما
 يطلبونه من نفع أو دفع ضرر (الا أى الاستجابة) (بسط) أى كاستجابة باسط (كفهم الى الماء)
 أى على شفير البئر يدعونه (ليبلغ فاه) أى بارتفاعه من البئر اليه (وما هو) أى الماء (يبلغه) أى
 فاه أبداً لانه جمد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته فكذلك ما همم بمسجدين لهم أبداً لان
 أصنامهم كذلك وقيل شبهوا في قلته فأنه دعاهم لا ألهمهم عن أراد أن يعرف الماء بيديه ليشر به
 فبسط كفيه ناشراً أصابعهما ولم يصل كفاه الى ذلك الماء ولم يبلغ مطلوبه من مشربه ثم انه
 تعالى عم في أنه لا يستجاب لهم بقوله تعالى (ومادعاء الكافرين الا في ضلال) أى ضياع لانفعته
 فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبههم وان دعوا آلهتهم لم تستطع اجابتهم وقيل المراد بالداء فى الخالين
 العبادة وقوله تعالى (ولله يستجيبون فى السموات والارض) يحتمل أن يراد به السجود على حقيقته
 وهو وضع الجبهة وعلى هذا فيكون قوله تعالى (طوعاً) للملائكة والمؤمنين من التفلين حالتي
 الشدة والرخاء وقوله تعالى (وكرهاً) للكافرين والمنافقين الذين أكرهوا على السجود بالسيف
 وأن يراد به التعظيم والاعتراق بالعبودية فنكل من السموات والارض معترف بعبودية الله

تعالى كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وأن يراد به الانقياد والخضوع وترك
 الامتناع وكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى لان قدرته ومشيئته نافذة
 في الكل * (تنبيه) قوله تعالى طوعا وكرها اتمام فعول من أجله واما حال أى طائعين وكرهين
 واختلف في تفسير قوله تعالى (وظلالهم بالغدق) أى البكر (والاصال) أى العشايا أى تسجد
 فقال أكثر المفسرين كل شخص سواء كان مؤمناً أو كافراً فان ظله يسجد لله قال مجاهد
 ظل المؤمن يسجد لله تعالى وهو طائع وظل الكافر يسجد لله تعالى وهو كاره وقال الزجاج جاء
 في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانباري ولا يبعد أن يخلق الله
 تعالى في الظلال عقولاً وأفهاماً تسجد بها لله وتخشع وقيل المراد من عبود الظلال ميلها من
 جانب الى جانب وطولها بسبب انحطاط الشمس وقصرها بسبب ارتفاع الشمس وهي منقاد
 مسلسلة في طولها وقصرها وميلها من جانب الى جانب وانما خص الغدق والاصال بالذكر
 لان الظلال انما تعظم وتكثر في هذين الوقتين * (تنبيه) الغدق جمع غداة كقنى وقناة
 والا صال جمع الاصل والاصل جمع اصيل وهو ما بين العصر الى غروب الشمس * ولما بين تعالى
 ان كل من في السموات والارض ساجد لله تعالى عدل الى الرذعلى عباد الاصنام بقوله تعالى
 (قل) يا أشرف المخلوق على الله تعالى اقومك (من رب السموات والارض) أى من مالكمها
 وما فيهم ما ومدبرهما وخالقهما (قل الله) أى أجب عنهم بذلك ان لم يقولوه ولا جواب لهم غيره
 ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه ولقنهم الجواب به وروى أنه لما قال للمشركين ذلك عطفوا
 عليه وقالوا أجب أنت فأمره الله تعالى فأجاب بذلك ثم ألزمهم الحجة على عبادتهم الاصنام بقوله
 تعالى (قل) لهم (أفأنتخذتم من دونه) أى غير الله (أولياء) أى أصناماً تاعبدونها (لا يعلمون
 لانفسهم نهياً) يجلبونه (ولأضراً) يدفعونه فكيف يعلمون لكم ذلك وقرأ ابن كثير وحفص
 باظهار النذال في اتخذتم عند التاء والباقون بالادغام ثم ضرب الله تعالى مثلاً للمشركين الذين
 يعبدون الاصنام والمؤمنين الذين يعبدون الله فقال تعالى (قل هل يستوى الاعبي والبصير)
 قال ابن عباس يعنى المشرك والمؤمن وانما مثل الكافر بالاعبى لانه لا يهتدى سبيلاً فكذلك
 الكافر لا يهتدى سبيلاً * ثم ضرب الله مثلاً للايمان والكفر بقوله تعالى (أم هل تستوى
 الظلمات) أى الكفر (والنور) أى الايمان الجواب لا وقرأ أشعبة وحزرة والكسائي يستوى
 بالياء على التكبير والباقون بالتأنيث وأما اللام من هل هنا فلا تدغم على القراءتين
 (أم جعلوا لله شركاء) والهمزة للانكار وقوله تعالى (خلقوا خلقه) صفة شركاء أى خلقوا
 سموات وأرضين ونفساً وقرأ جبلاً وبحاراً وجناتاً وانساً (قتشابه الخلق) أى خلق الشركاء
 بخلق الله (عليهم) من هذا الوجه فلا يدرون ما خلق الله ولا ما خلق آلهم فاعتقدوا استحقاق
 عبادتهم بخلقهم وهذا استفهام انكار أى ليس الامر كذلك ولا يستحق العبادة الا الخالق
 ولما كان من المعلوم قطعاً ان جوابهم ان الخلق كله لله لزمهم الحجة فقال تعالى (قل) لهؤلاء
 المشركين (الله خالق كل شئ) أى عما يصح أن يكون مخلوقاً فهو من العموم الذي يراد به

الخصوص فلا يدخل في ذلك صفات الله تعالى وإذا كان لا خالق غيره فلا يشارك في العبادة
 أحد فوجب أن ينقرب بالالهية كما قال تعالى (وهو الواحد) أي الذي لا يجانس شيء وكل ما سواه
 لا يخلو عن مماثل مماثله وأين رتبة من يماثل من رتبة من لا مثل له (القهار) الذي كل شيء تحت
 قهره فيدخل تحت قضاؤه ومشينته وأرادته ثم ضرب تعالى مثلا للحق والباطل بقوله تعالى (أنزل
 من السماء) أي السحاب أو السماء نفسها (ماء) أي مطرا (فسالأت أودية) أي أنها رجعت واد
 وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فانتفع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتذكيرها
 لأن المطر يأتي على تناوب بين البقاع (بقدرها) أي بمقدارها الذي علم الله تعالى أنه نافع غير ضار
 أو بمقداره في الصغير والكبير (فاحتل السيل زبداريا) أي عاليا عليه هو ما على وجهه من
 قدر ونحوه (ومما توفدون عليه في النار) أي من جواهر الأرض الذهب والفضة والنحاس
 والحديد (أبتغاه) أي طلب (حلبة) أي زينة (أو متاع) أي ينتفع به كالأواني إذا أديت
 وآلات الحرب والحراث والمقصود من هذا بيان منافعتها (زبد مثله) أي مثل زبد السيل وهو
 خبثه الذي ينتفيه الكبر ومن لا ابتداء أو للتبعض وقرأ حفص وحجزة والكسائي بالياء
 على الغيبة على أن الضمير للناس واضماره للعلم به والباقيون بالتاء على الخطاب (كذلك) أي مثل
 هذا الضرب العلى الرتب المتبين السبب (يضرب الله) أي الذي له الأمر كله (الحق والباطل)
 أي مثلهما فإنه تعالى مثل الحق في إفادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الأودية
 على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به أنواع المذافع ويمكث في الأرض بأن يثبت بعضه في منافعه
 وبسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون والفتى والآبار ومثل الباطل في قلة نفعه وسرعة
 زواله بزبد هما وهو قوله تعالى (فأما الزبد) أي من السيل وما أقدم عليه من الجواهر (فيذهب
 جفاء) قال أبو حيان مضمعلا أي متلاشيا لا منفعة فيه ولا بقاء له وقال ابن التباري منقرقا
 واتصاه على الحال (وأما ينتفع الناس) من الماء ومن الجواهر الذي هو مثل الحق (فيمكث
 في الأرض) أي يثبت ويبقى لينتفع به أهلها (كذلك) أي مثل ذلك الضرب (يضرب) أي يبين
 (الله) الذي له الإحاطة الكاملة علما وقدرة (الأمثال) فيجعلها في غاية الوضوح وإن كانت
 في غاية الغموض قال أهل المعاني هذا مثل ضربه الله تعالى للحق والباطل فالباطل وإن علا على
 الحق في بعض الاوقات والاحوال فإن الله يحقه ويطله ويجعل العقاب للحق وأهله كالزبد الذي
 يعلو على الماء فيذهب الزبد فيبقى الماء الصافي الذي ينتفع وكذلك الصفون من هذه الجواهر يبقى
 ويذهب العلو الذي هو الكدر وهو ما ينتفيه الكبير مما يذاب من جواهر الأرض كذلك الحق
 والباطل وقيل هذا مثل للمؤمن واعتقاده وانتفاعه باليمان كمثل الماء الصافي الذي ينتفع به
 الناس ومثل الكافر وخبث اعتقاده كمثل الزبد الذي لا ينتفع به البتة * ثم انه تعالى لما ذكر الحق
 والباطل ذكر ما لا اله الا الله من الثواب والعقاب فقال تعالى (الذين استجابوا لربهم) أي أجابوه
 إلى ما دعاهم اليه من التوحيد والعدل والنبوة وبعث الاموات وانتزام الشرائع الواردة
 على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم (الحسن) قال ابن عباس وقال أهل المعاني الحسن

هي المنفعة العظمى في الحسن وهي المنفعة الخالصة عن شوائب المضرة الدائمة الخالصة عن
 الانقطاع المقرونة بالتعظيم والاجلال ولم يذكر تعالى الزيادة ههنا لانه تعالى ذكرها في سورة
 أخرى وهي قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة هذا ما لا لاهل الحق وأما ما لا لاهل الباطل
 فهو ما ذكره بقوله جل من قائل (والذين لم يستجيبوا له) وهم الكفرة فلهم أنواع ثلاثة من العذاب
 والعقوبة فالنوع الأول قوله تعالى (لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لاقتدوا به) أي
 جعلوه فكل أنفهم بغاية جهدهم لأن المحبوب بالذات لكل انسان هو ذاته وكل ما دونه وهو
 انما يحبه لكونه وسيلة الى مصالح ذاته فاذا كانت النفس في الضرر والالم والتعب وكان مالها
 لما يساوي عالم الاجناس والارواح فانه يرضى بأن يجعله فداء لنفسه لأن المحبوب بالعرض لا بد
 وأن يكون فداء لما كان محبوبا بالذات والسكينة في به عائدة الى ما في قوله ما في الارض والنوع
 الثاني من أنواع العذاب الذي أعد الله تعالى لهم ما ذكره بقوله تعالى (أولئك لهم سوء
 الحساب) وهو المناقشة فيه وعن النبي بأن يحاسب العبد بذنبه كله لا يغفر منه شيء واذا نوقشوا
 لانهم أحبوا الدنيا وأعرضوا عن المولى فلما ماتوا بقوا محرومين عن معشوقهم الذي هو الدنيا
 وبقوا محرومين من النور بسعادة خدمة المولى والنوع الثالث من عقوباتهم ما ذكره بقوله
 تعالى (وما أوهام) أي مرجعهم (جهنم) وذلك لانهم كانوا غافلين عن الاشتغال بخدمة المولى
 عاشقين للذات الدنيا فاذا ماتوا فارقوا معشوقهم فيمترقون على مفارقتها وليس عندهم شيء آخر
 يجبر هذه المصيبة فلذلك كان مأواهم جهنم * ثم انه تعالى وصف هذا المأوى بقوله عز من قائل
 (وبئس المهاد) أي الفراش والمخصوص بالذم محذوف أي جهنم * ونزل في حزة وأبي جهل
 وقيل في عمار وأبي جهل (أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق) أي يؤمن به ولا يعمل بما فيه وهو
 حزة وعمار رضى الله تعالى عنهما (كن هو أعمى) أي أعمى البصيرة ولا يؤمن به ولا يعمل بما فيه
 وهو أبو جهل قال ابن الخازن في تفسيره وجل الآية على العموم أولى وان كان السبب خصوصا
 والمعنى لا يستوى من يصبر الحق ويتبعه ومن هو لا يصبر الحق ولا يتبعه وانما شبه الكافر والجاهل
 بالاعمى لان الاعمى لا يهتدى لرشد (انما يتذكر) أي يتعظ (أولو الالباب) أي أصحاب العقول
 الذين يطلبون من كل صورة معناها وبأخذون من كل قشرة لبابها ويعبرون من ظاهر كل حديث
 الى سره ولبابه (الذين يوفون بعهد الله) أي ما عاهدوه على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته حين
 قالوا بلى أو ما عاهد الله تعالى عليهم في كتيبه (ولا ينقضون الميثاق) أي ما وافقوه من المواثيق بينهم
 وبين الله تعالى وبينهم وبين العباد فهو تعميم بعد تخصيص (والذين يصلون ما أمر الله به أن
 يوصل) أي من الايمان والرحم وغير ذلك والا كثرون على أنه أراد به صلة الرحم عن أبي
 موسى ان عبد الرحمن بن عوف عاديا بالدرداء فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول فيما يحكي عن ربه تعالى أنا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسم من اسمي فمن وصلها
 وصلته ومن قطعها قطعته أو قال بته وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الرحم متعلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطع الله وعن

أي هزيمة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يسط له في رزقه وأن
 ينسأ له في أثره فليصل رحمه ومعنى ينسأ يؤخر والمراد به تأخير الأجل وفيه قولان أحدهما وهو
 المشهور أنه يراد في عمره زيادة حقيقية والثاني يشارك له في عمره فكانه قد زيد فيه وعن ابن عمرو بن
 العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل
 الذي إذا انقطعت رحمه وصلها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال تأتي يوم القيامة لها
 السنة ذلقة الرحم فتقول أي رب قطعت والأمانة تقول أي رب تركت والنعمة تقول أي رب
 كفرت وعن الفضيل بن عياض أن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من أين أنتم فقالوا من خراسان
 قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا أن العبد لو أحسن كل الاحسان وكان له دجاجة
 فأساء إليها لم يكن من المحسنين (ويخشون ربهم) أي وعيده عموما والخشية خوف يشوبه تعظيم
 (ويخافون سوء الحساب) خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) أي على
 طاعة الله تعالى وعن معاصيه وفي كل ما ينبغي الصبر فيه وقال ابن عباس صبروا على أمر الله
 وقال عطاء على المصائب والنوائب وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصي ومرجع السكك
 واحد فان الصبر الحبس وهو تجرع مرارة منع النفس عما يحب عملا يجوز فعله (انتقاء) أي
 طلب (وجه ربهم) أي رضاه لا طلب غيره من جورا وسعة أرواء وألغرض من أغراض الدنيا
 أو نحو ذلك (وأقاموا الصلاة) أي المقرضة وقبل مطلق الصلاة فيدخل فيه الفرض والنفل
 (وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) قال الحسن المراد به الزكاة فان لم يتهم بترك الزكاة
 فالأولى أن يؤذيهام سرا وان كان يتهم بتركها دائما فالأولى أن يؤذيهام علانية وقبل المراد بالسرا
 صدقة التطوع وبالعلانية الزكاة وقبل المراد بالسرا ما يؤذيه من الزكاة بنفسه وبالعلانية
 ما يدفعه إلى الامام (ويبدرون) أي يدفعون (بالحسن السبعة) كالجمل بالحلم والأذى بالصبر
 روى عن ابن عباس قال يدفعون بالصالح من العمل السيئ من العمل وهو معنى قوله تعالى
 ان الحسنات يذهبن السيئات وقوله صلى الله عليه وسلم اذا عملت سيئة فاعمل بحسنة تحبسها
 السر بالسرا والعلانية بالعلانية وعن عتبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 ان مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كشئ رجل عليه درع ضيق قد خنقه ثم عمل
 حسنة فانفكت حلقة ثم عمل حسنة أخرى فانفكت أخرى حتى يخرج إلى الارض وقال ابن
 عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سوء غيرهم وعن الحسن اذا حرموا أعطوا
 واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن عمر ليس الواصل من وصل ثم وصل تلك مجازاة لكن
 من قطع ثم وصل وعطف من لم يصله وليس الحليم من ظلم ثم حلم حتى اذا هجمه قوم احتاج
 الحليم من قدر ثم عفا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا ارأوا منكرا أمروا بتغييره
 وروى أن شقيقا البلخي دخل على ابن المبارك مستنكرا فقال له من أين أنت فقال من بلخ فقال
 وهل تعرف شقيقا قال نعم فقال وكف طريقة أصحابه قال اذا منعوا صبروا واذا أعطوا شكروا
 فقال ابن المبارك طريقة كلابنا هكذا فقال شقيق فكيف ينبغي أن يكون الامر فقال الكاملون

هم الذين اذا منعوا شكروا واذا أعطوا آثروا (أولئك) أى العالو الرتبة (لهم عقي الدار)
 وبينها تعالى بقوله (جنت عدن) أى اقامة لانفسك اهلها يقال عدن بالمكان اذا أقام به ثم
 استأنف بيان تمكنهم به بقوله تعالى (يدخلونها) ولما كانت الدار لا تطيب بدون الاحبة قال
 تعالى عاطفا على الضمير المرفوع (ومن صلح من آبائهم) أى الذين كانوا سببا في ايجادهم فيشمل
 ذلك الآباء والامهات وان علوا (وأزواجهم وذرياتهم) أى الذين تسببوا عنهم والمعنى أنه يلحق
 بهم من صلح من أهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم به اللهم وتغفيرا للسأنهم ويتقال ان من أعظم
 موجبات سرورهم أن يجتمعوا فيمذكروا أحوالهم في الدنيا ثم يشكروا الله تعالى على الخلاص
 منها والقوز بالجنة. ولذلك قال الله تعالى في صفة أهل الجنة أنهم يقولون يا ليت قومي يعلمون بما
 غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وفي ذلك دليل على أن الدرجة تعول بالشفاعة وان الموصوفين
 بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في أنسهم
 والتسديد بالصلاح دلالة على أن مجرد الانساب لا تنفع وفسر ابن عباس الصلاح بالتصديق فقال
 يريد من صدق بما صدقوا وان لم يعمل مثل أعمالهم قال الرازي قوله وأزواجهم ليس فيه
 ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة ولعل الاولى من مات عنها وماتت عنه وما روى عن سودة
 انها لما هم الرسول صلى الله عليه وسلم بطلاقها قالت دعني يا رسول الله أحشر في جله نساءك
 كالدليل على ما ذكرنا اه وعلى هذا من تزوجت بغيره قيل انها تخبر بينهم ثم زاد تعالى في ترغيبهم
 بقوله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم) لأن الاكثار من ترداد رسل الملك أعظم في الفخروا أكثر
 في السرور والعزيز* ولما كان اتباعهم من الاماكن المعنوية مع القدرة على غيرها أدل على الادب
 والكرم قال تعالى (من كل باب) قال ابن عباس لهم خيمة من درة تحبوبة طولها فرسخ وعرضها
 فرسخ لها ألف باب مصارعها من ذهب يدخلون عليهم من كل باب يقولون لهم (سلام عليكم) أى
 فاضم القول هنا دلالة الكلام عليه (بما صبرتم) على أمر الله والباء للسببية أى بسبب صبركم
 أو البديهة أى بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه (فان قيل) به يتعلق قوله بما صبرتم قال
 الزمخشري محذوف تقديره هذا بما صبرتم وقال البيضاوي متعلق بعلبكم أو محذوف لا بسلام
 فان الخبر فاصل مع أن الزمخشري قال ويجوز أن يتعلق بسلام أى نسلم عليكم ونكرمكم
 بصبركم وهذا أظهر ورد الاول بأن الممنوع منه انما هو المصدر المؤول بحرف مصدرى وفعل
 والمصدر هنا ليس كذلك* ولما تم ذلك تسبب عنه قوله تعالى (فتم عقي الدار) وهي المسكن
 في قرار المهيا بالآنية التي يحتاج اليها والمرافق التي تنفع بها والعقي الانتهاء الذي يؤدي اليه
 الابتداء من خير أو شر والمخصوص بالمدح محذوف أى عقيكم* ولما ذكر تعالى صفات الشهداء
 وما يترتب عليها من الاحوال الشريفة العالسة أتبعا بذكر أحوال الاشقياء وذكر ما يترتب
 عليها من الاحوال الخزية المكربة وأتبع الوعد بالوعيد والثواب بالعقاب ليكون البيان
 كاملا فقال تعالى (والذين يتقون عهد الله) أى فيعملون بخلاف موجهه والنقض التفرق
 الذي ينشئ تأليف البناء (من بعد منثاقه) أى الذي أوثقه عليهم من الاقرار والقبول

(ويقطعون ما) أى الذى (أمر الله به أن يوصل) وذلك فى مقابلة قوله من قبل والذين يصلون ما
أمر الله به أن يوصل فجعل من صفات هؤلاء القطع بالضد من ذلك الوصل والمراد به قطع ما يوجب
الله تعالى وصله أى لما له من المحاسن الجليلة والخفية التى هى عين الصلاح ويدخل فى ذلك وصل
الرسول صلى الله عليه وسلم بالموا الالة والمعانة ووصل المؤمنين ووصل الأرحام ووصل سائر
من له حق (ويفسدون) أى يوقعون الفساد (فى الأرض) أى فى أى جزء كان منها بالظلم وتهنيج
القتل والدعاء الى غير دين الله تعالى (أو لئلا) أى البعداء البغضاء (لهم اللعنة) أى الطرد
والبعد (ولهم سوء الدار) والدار لهم هى جهنم وليس لهم فيها الا ما يسوء الصائرا لها * ولما حكم
تعالى على من نقض عهده فى قبول التوحيد والنبوة بأنهم ملعونون فى الدنيا وعذبون
فى الآخرة فكانه قبل لو كانوا أعداء الله تعالى لما فتح الله عليهم أبواب النعم والذات فى الدنيا
فأجاب الله تعالى بقوله تعالى (الله ييسر الرزق) أى يوسعه (لمن يشاء) ويقدر (أى يضيقه على من
يشاء) سواء فى ذلك الطائع والعاصى ولا تعلق لذلك بالكفر والإيمان فقد يوجد الكافر موسعا
عليه دون المؤمن ويوجد المؤمن موسعا عليه دون الكافر فالدينادار امتحان * ولما كانت السعة
منفعة الفرح الأعظم من وفقة الله تعالى قال الله تعالى (وفرحوا) أى كفاركم ففرح بطر
(بالخيرة الدنيا) أى بما نالوه فيها الا فرح سرور بفضل الله والعافية عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى
يستوجبوا نعيم الآخرة (وما الخيرة الدنيا) أى بكمالها (فى الآخرة) أى فى جنبها (الامتاع) أى
حقير متلاش يتبعه ويذهب كجمالة الراس وبهى ما يتجمل من غيرات أو شره بما سويق
أو يفح ذلك (ويقول الذين كفروا) من أهل مكة (لولا) أى هلا (أنزل عليه) أى على هذا الرسول
(آية) أى علامة بينة (من ربه) أى المحسن اليه كالعصا والدملجى والناقلة لصالح لهم مدى بها
فتمن به * وأمره الله تعالى أن يحجبهم بقوله (قل) أى لهؤلاء المعاندين (إن الله يضل من يشاء)
اضلاله فلا تغنى عنه الآيات شيئا وأن أنزلت كل آية (ويهدى) أى يرشد (آية) أى الى دينه
(من أناب) أى رجع اليه كآبى بكر الصديق وغيره ممن تبعه من العشرة المشهود لهم بالجنة
وغيرهم ولو حصلت آية واحدة فلا تستغلو بطلب الآيات ولكن تضرعوا الى الله تعالى
فى طلب الهداية وقوله تعالى (الذين آمنوا) بدل من أناب أو خبر مبتدأ محذوف (وتطمئن)
أى تسكن (قلوبهم) بكسر اللام أى أنسابه واعتمادا عليه ورجاء منه أو يذكر رجته ومغفرته بعد
الفاق والاضطراب من خشيته أو يذكر دلائله الدالة على وجوده أو بالقرآن الذى هو أقوى
المعجزات وقال ابن عباس يريد اذا سمعوا القرآن خشعت قلوبهم واطمأننت (فان قيل) قد قال
الله تعالى فى سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل ضد
الاطمئنان فكيف الجمع بين هاتين الآيتين (أجيب) بأنهم اذا ذكروا العقاب ولم يأمنوا
أن يقدموا على المعاصى فهناك يحصل الوجع واذا ذكروا وعده بالنواب والرحمة سكنت
قلوبهم الى ذلك وحينئذ حصل الجمع بينهما (ألا بد كراثة) أى الذى له الجلال والاكرام لا بد كرا
غيره (تطمئن) أى تسكن (القلوب) ويثبت اليقين فيها وقوله تعالى (الذين آمنوا وعملوا

الصالحات) حيث أخبره (طوبى لهم) واختلف العلماء في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح
 لهم وقرّة عين وقال عكرمة نعمى لهم وقال قتادة حسنى لهم وقال النخعي خير لهم وكرامة وقال
 سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحبشية قال الرازى وهذا القول ضعيف لأنه ليس في القرآن
 إلا العربي لأسماء واشتقاق هذا اللفظ من اللغة العربية ظاهر وعن أبي هريرة وأبي الدرداء
 أن طوبى شجرة في الجنة تظل الجنان كلها وقال عبيد بن عمير هي شجرة في جنة عدن أصلها
 في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة غصن منها لم يخلق الله لونا ولا زهرة إلا وفيها
 منه إلا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا غرة إلا وفيها منها ينبع من أصلها عنبان الكافور
 والسلسيل وقال مقاتل وكل ورقة منها تظل أمة عليها ملك يسبح الله تعالى بأنواع التسبيح وعن
 أبي سعيد الخدري أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما طوبى قال شجرة في الجنة مسيرة مائة
 سنة ياب أهل الجنة تخرج من أكمامها وعن معاوية بن قرة عن أبيه يرفع طوبى شجرة غرسها
 الله تعالى بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلى والحلل وإن أغصانها ترى من وراء سور الجنة
 وفي رواية عن أبي هريرة أنه قال إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله تعالى لها تنفتحي لعبدي
 عما يشاء فتفتتح له عن فرس مسرجة بلجامها وهيئتها كما يشاء وتتفق له عن راحله برجلها
 وزمامها وهيئتها كما يشاء وقيل طوبى فعلى من الطيب قلبت ياقوه وأوالضم ما قبلها مصدر
 لطاب كشرى وزاني ومعنى طوبى لك أصبت خيرا وطيبا (وحسن ما ب) أي حسن المنقلب
 (كذلك) أي مثل إرسال الرسل الذين قدمنا الإشارة إليهم في آخر سورة يوسف وفي غيرها
 (أرسلناك في أمة) أي جماعة كثيرة (قد خلعت من قبلها) أي تقدمتها (أم) طال إذا هم
 لا يثبتهم ومن آمن بهم واستنزأوهم بهم في عدم الإجابة حتى كانوا صواب هذا القول
 فليس يبدع إرسال الله لهم (لتتلقوا) أي لتقرأ (عليهم) أي على أمتك (الذي أوحينا إليك) من
 القرآن وشرائع الدين (وهم) أي والحال أنهم (يكفرون بالرحمن) أي بالبالغ الرحمة الذي
 وسعت رحمته كل شيء وقال قتادة هذه الآية مكية نزلت في صلح الحديبية وذلك أن سهل بن
 عمرو لما جاء للصلح واتفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلى
 اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهل بن عمرو لا نعرف الرحمن إلا صاحب الجلالة يعني
 مسيلة الكذاب اكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحمن
 أي أنهم يكفرونه ويحجودونه قال البغوي والمعروف أن الآية مكية وسبب نزولها
 أن أبا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو يا الله يا الرحمن فرجع إلى المشركين
 فقال إن محمد يدعو الله ويدعو لها آخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن إلا الرحمن الجلالة
 فنزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله وأدعوا الرحمن أيا ما تدعوا فإله الأسماء الحسنى
 وروى الضحاك عن ابن عباس أنها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
 اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قال الله تعالى (قل) لهم يا محمد إن الرحمن الذي أنكرتم
 معرفته (هو ربنا لا اله الا هو عليه توكلت) أي اعتمدت عليه في أموري كلها (والله متاب)

أى مرجعى ومرجعكم روى أن أهل مكة فقدوا في فناء الكعبة فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم وعرض الإسلام عليهم فقال له عبد الله بن أمية الخزومي سير لنا جبال مكة حتى ينفتح المكان علينا واجعل لنا فيها أنما رازرع فيها وأحى لنا بعض أمواتنا لنسألهم أحق ما تقول أم باطل فقد كان عيسى يحيى الموتى ويخبرنا الریح حتى نركبها إلى البلاء فقد كانت الریح مسخرة لسلیمان فليست بأهون على ربك من سلیمان فنزل قوله تعالى (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) أى نقلت عن أما كتبها (أو قطعت) أى شقت (به الأرض) من خشية الله تعالى عند قراءته فجعلت أنما راو عيوننا (أو كذب به الموتى) أى بأن يحيوا وجواب لو محذوف أى لكان هذا القرآن في غاية ما يكون من العجبة واكتفى بمعرفة السامعين مراده وهذا معنى قول قتادة قال لو فعل هذا القرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم وقبل تقدير لما آمنوا ونقل عن الفراء أن جواب لوهي الجملة من قوله وهم يكفرون ففي الكلام تقديم وتأخير وما بينهما اعتراض وتقدر الكلام وهم يكفرون بالرحن لو أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كذب به الموتى لكفروا بالرحن ولم يؤمنوا بالمسبح من علمنا فيهم (فان قيل) لم حذف التأني في قوله تعالى وكذب به الموتى وثبتت في الفعليين قبله (أجيب) بأنه من باب التغليب لأن الموتى يشمل المذكر والمؤنث (بل الله الأمر) أى القدرة على كل شيء (جميعا) وهذا اضطراب عما تضمنته لومن معنى النبي أى بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات لكن الإرادة لم تتعلق بذلك لعله تعالى بأنه لا يبين قلوبهم ويؤيد ذلك قوله تعالى (أألم يئأس الذين آمنوا) عن إيمانهم مع ما رأوا من أحوالهم وذهب أكثرهم إلى أن معناه أفلم يعلم الذين آمنوا (أن) أى بأنه (لويشاء الله) أى الذي له صفات الكمال (لهدى الناس جميعا) أى إلى الإيمان من غير آية ولكنه تعالى لم يشأ هداية جميع الخلائق (ولا يزال الذين كفروا) أى جميع الكفار (تضييم بما) أى بسبب ما (صنعوا فأرعة) أى نازلة ودهامية تفرعهم بأنواع البلايا تارة بالجدب وتارة بالسلب وتارة بالقتل وتارة بالأسر وغير ذلك واختلف في الكفار على قولين قبل أرادهم جميع الكفار لأن الوقائع الشديدة التي وقعت لبعض الكفار من ذلك أوجبت حصول الغم في قلب الكل وقيل المراد الكفار من أهل مكة والالف واللام للمعهود السابق ويدل لهذا قول ابن عباس أراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها إليهم (أو تحل) أى تنزل نزولا ثابتا تلك القارعة (قريمان دارهم) أى قتلوهن أمرهم وقيل معناه أو تحل أنت يا محمد بجيشك قريمان دارهم مكة كحال بالحديبية (حتى يأتي وعد الله) أى بالنصر وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه بفتح مكة أو بالنصر على جميع الكفرة في زمن عيسى عليه السلام فيقطع ذلك لأنه لا يبقى على الأرض كافر وقيل أراد بوعد الله يوم القيامة لأن الله يجمعهم فيه فيجازيهم بأعمالهم (أن الله لا يخلف الميعاد) لمتناع الكذب في كلامه تعالى * ولما كان الكفار يسألون هذه الآيات منه صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستزاء والسخرية وكان ذلك يشق عليه ويأذى من تلك الكلمات أنزل الله تعالى تسليما له وتصيرا له

على سفاقة قومه (ولقد استهزئ برسل من قبلك) كما استهزئ بك (فألميت للذين كفروا) أي أطلت المدة تأخير العقوبة (ثم أخذتهم) بالعقوبة (فكيف كان عقاب) أي هو واقع موقعه فكذلك أنفعل عن استهزأبك والاملاء الامهال بأن يترك مدة من الزمان في راحة وأمن كالهيئة على لها في المرحى وهذا استهفاهم معناه التهجب وفي ضمنه وعيد شديد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستهزاء ثم انه تعالى أورد على المشركين ما يجري مجرى الحجج وما يكون توحيها لهم وتجييبا من عقولهم فقال تعالى (أفمن هو قائم) أي رقيب (على كل نفس بما كسبت) أي علمت من خير وشر وهو الله تعالى القادر على كل الممكنات العالم بجميع المعلومات من الجزئيات والكليات ولا بد لهذا الكلام من جواب فإن من موصولة صلتها هو قائم والموصول مرفوع بالابتداء وخبره محذوف تقديره كن ليس بهذه الصفة وهي الأصنام التي لا تنفع ولا تضر تدل على هذا المحذوف قوله تعالى (وجعلوا لله شركاء) وتفسيره قوله تعالى (أفمن شرح الله صدره للاسلام الآية) تقديره كن قسا عليه يدل عليه قوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وانما حسن حذفه كون الخبر مقابلا للمبتدأ وقد جاء مبينا كقوله تعالى (أفمن يخلق) لا يخلق وقوله تعالى (قل سمعهم) فيه تنبيه على أن هؤلاء الشركاء لا يستحقون والمعنى سمعهم بأسمائهم الحقيقية فأنهم اذا عرف حقائقهم أنها حجارة وأغرض ذلك عما هو مركز العجز ومحل النقص عرف ما هم عليه من ضافة العقول وركاكة الآراء ثم قبل أرجعتهم عن ذلك الى الاقرار بأنهم من جلة عبده (أم تتذنبون) أي تجبرونه (بما لا يعلم) وعلم محيط بكل شيء (في الارض) من كونها آلهة ببرهان قاطع (أم) تسمونهم شركاء (نظا من القول) أي بحجة اقناعية يقال بالقيم وكل ما لا يعلم فليس بشئ وهذا احتجاج ببلغ على أسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز * ولما كان التقدير ليس لهم على شيء من هذا برهان قاطع ولأول ظاهر يخى عليه قوله تعالى (بل زين) أي وقع التزيين بأمر من لا يرد أمره على يدهم كان من شياطين الانس وشياطين الجن (للذين كفروا مكرهم) أي أمرهم الذي أرادوا به ما يراى بالمكر من اظهار شيء وابطان غيره وذلك أنهم أظهروا أن شركاءهم آلهة حقواهم يعلمون بطلان ذلك وليس بهم في الباطن الاتقليد الآباء وأظهروا أنهم يعبدونها لتقر بهم الى الله تعالى ولتشفع لهم وهم لا يعتقدون بعنا ولا نشورافصار كل ذلك من فعلهم فعل الماكر (وصدوا) غيرهم (عن السبيل) أي طريق الهدى الذي لا يتقال لغيره سبيل فان غيره عدم بل العدم خير منه فيهم لم يسلكوا السبيل ولا تزكوا غيرهم يسلكه ضلوا وأضلوا وليس ذلك بحجيب فان الله أضلهم (ومن يضل الله) أي الذي له الامر كما به ارادة اضلاله (فما له من هاد) وقرأ ابن كثير باثبات الياء بعد الدال في الوقف دون الوصل والماقون بغير ياء وقفا ووصلا وكذلك من واق وكذا ولواق ولما أخبر الله تعالى بملك الامور المذكورة بين أنه جمع لهم بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة بقوله تعالى (لهم عذاب في الحياة الدنيا) بالقتل والاسر والذم والاهانة واعتنام الاموال واللعن ونحو ذلك مما فيه عظيمهم (ولعذاب الآخرة أشق) أي أشد في المشقة بسبب القوة والشدّة

وكثرة الأنواع والدولم وعدم الانقطاع ثم بين تعالى أن أحد الايقيم من عذابه بقوله تعالى
 (ومالهم من الله من واق) أى مائع يمنعهم إذا أراد بهم سوءا فى الدنيا ولا فى الآخرة والواق
 فاعل من الوقاية وهى العجز على دفع الأذية * ولما ذكر تعالى عذاب الكفار فى الدنيا والآخرة
 أتبعه بذكرواب المتقين بقوله تعالى (مثل) أى صفة (الجنة) أى التى هى مقرهم (التى وعد
 المتقون) واختلف فى اعراب ذلك على أقوال الأول قال سيبويه مثل الجنة مبتدأ وخبره
 محذوف والتقدير فيما قصناه عليك مثل الجنة والثانى قال الزجاج مثل الجنة جنة من صفتها
 كذا وكذا والثالث مثل الجنة مبتدأ وخبره (تجربى من تحتها الانهار) كما تقول صفة زيد
 أعمر والرابع الخبر (أكلها) أى ما كولها (دائم) لانه الخارج عن العادة فقد وصف الله تعالى
 الجنة ثلاثة أوصاف الأول تجربى من تحتها أى من تحت قصورها وأشجارها الانهار الثانى
 أن أكلها دائم لا ينقطع أبدا بخلاف جنة الدنيا والثالث قوله تعالى (وظلها) أى دائم ليس كظل
 الدنيا لا تنسخه الشمس ولا غيرها ذاليس فيها شمس ولا قمر ولا ظلة بل ظل عود ولا ينقطع ولا يزول
 ثم انه تعالى لما وصف الجنة بهذه الصفات الثلاثة بين تعالى أنها للمتقين بقوله تعالى (تلك) أى
 الجنة العالية الاوصاف (عقبى) أى آخر أمر (الذين اتقوا) أى الشرك ثم كرر الوعيد
 للكافرين بقوله تعالى (وعقبى) أى منتهى أمر (الكافرين النار) لا غير وفى ترتيب النظمين
 الطماع للمتقين واقتناط للكافرين واختلف فى قوله تعالى (والذين آتيناهم الكتاب) على قولين
 الأول أنهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والمراد بالكتاب القرآن (فرحون بما أنزل اليك) من
 أنواع التوحيد والعدل والنبوة والبعث والاحكام والقصاص (ومن الأحزاب) أى الجماعات
 من اليهود والنصارى وسائر الكفار (من يشكر بعضه) وهذا قول الحسن وقتادة (فان قيل)
 الأحزاب منكررون كل القرآن (أجيب) بأنهم لا يشكرون كل ما فى القرآن لانه ورد فيه
 اثبات الله تعالى وإثبات علمه وقدرته وحكمته وأفاضل الانبياء والأحزاب لا يشكرون كل
 هذه الاشياء والقول الثانى أن المراد بالكتاب التوراة وبأهل الذين أسلموا من اليهود والنصارى
 كعبد الله بن سلام وأصحابه ومن أسلم من النصارى وهم غافلون رجلا أربعون من نجران
 وغانية من اليمن واثنتان وثلاثون من أرض الحبشة وفرحوا بالقرآن لانهم آمنوا به وصدقوه
 والأحزاب بقية أهل الكتاب وسائر المشركين وقيل كان ذكر الرجن قليلا فى القرآن فى الابتداء
 فلما أسلم عبد الله بن سلام ومن تبعه من أهل الكتاب ساءهم قل ذكر الرجن مع كثرة ذكره فى
 التوراة فلما ذكر الله تعالى ذكره فى القرآن فرحوا به فأمر الله تعالى والذين آتيناهم الكتاب
 يفرحون بما أنزل اليك ومن الأحزاب من يشكر بعضه يعنى مشركى مكة حين كتب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فى كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم قالوا ما نعرف الرجن الا رجن اليمامة
 يعنى مسيلة فأمر الله تعالى وهم بذكر الرجن هم كافرون * ثم انه تعالى لما بين هذا جاع كل ما يحتاج
 المرء اليه فى معرفة المبدأ والمعاد ويثبت بالفاظ قليلة فقال (قل) أى يا أكرم المخلوق على الله تعالى
 (أنا أمرت) أى وقع الى الأمر الجاهل الذى لا شك فيه ولا تغيير عنه الامر كله (أن أعبد

(الله) أي وحده ولذلك قال (ولا أشرك به) شيئا (الله) وحده (أدعوا إليه ما تب) أي مرجى
 للبزاة لا إلى غيره (وذلك) أي كما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلسانهم (أنزلناه) أي
 القرآن (حكما) والحكم فصل الأمر على الحق (عربيا) بلسانك ولسان قومك وانما سمى القرآن
 حكما لأن فيه جميع التكليف والحلال والحرام والنقض والابرام فلما كان سببا للحكم جعل
 نفس الحكم على سبيل المبالغة وروى أن المشركين كانوا يدعون النبي صلى الله عليه
 وسلم إلى مله آتاه فوعده الله تعالى على متابعتهم في تلك المذاهب بأن يصلي إلى قبلتهم بعد
 ما حوله الله تعالى عنها بقوله تعالى (ولترابعت أهواءهم) أي الكفار فيما يدعونك إليه من
 ملتهم (بعد ما جاز من العلم) أي بأنك على الحق وأن قبلتك هي الكعبة (مالك من الله من
 ولي) أي ناصر (ولا واق) أي مانع من عذابه قال ابن عباس الخطاب مع النبي صلى الله عليه
 وسلم والمراد أمته * ونزل المعبر الكفار النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة النساء (ولقد أرسلنا
 رسلا من قبلك وجعلناهم أزواجا) أي نساء ينكحون في كان لسيان ثلثمائة امرأة وسبع مائة
 سرية وكان لدا وعليه السلام مائة امرأة (وذرية) أي أولاد أفانت مثلهم وكانوا يقولون
 أيضا لو كان رسولنا من عند الله لكان أي شيء طلبناه منه من المعجزات أتى به فرد الله تعالى
 عليهم بقوله تعالى (وما كان لرسول أن يأتي بأية إلا بآذن الله) أي بإرادته لأن المعجزة الواحدة
 كافية في إزالة العذر والعلل وفي اظهار الحجج والبينة وأما الزائد عليها فهو مفضول إلى مشيئة
 الله تعالى إن شاء أظهرها وإن لم يشأ لم يظهرها لا اعتراض لاحد عليه في ذلك * ولما نوهدهم
 صلى الله عليه وسلم نزول العذاب وظهور النصر له واقومه وتأخر ذلك عنهم قالوا لو كان نبيا
 صادقا لما ظهر كذبه فرد الله تعالى عليهم بقوله تعالى (لكل أجل) أي مدة (كتاب) أي مكتوب
 قد أثبت فيه أن أمر كذا يكون في وقت كذا من الثواب والعقاب والاحكام والاتبان
 بالآيات وغيرها إثباتا ونسقا على ما تقتضيه الحكمة * ولما اعتراضوا على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وقالوا إن محمدا بأمر أصحابه بأمر اليوم ثم بأمر بخلافه غدا وما سبب ذلك إلا أنه
 يقوله من تلقاء نفسه فرد الله تعالى عليهم بقوله تعالى (يخو الله ما يشاء) أي محمودة من الشرائع
 والاحكام وغيرها بالتسخير فرفع (ويثبت) ما يشاء إثباته من ذلك بأن يقره ويمضي حكمه كقوله
 تعالى ما تسخ من آية إلى قوله تعالى ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
 وعاصم بكون الناء المثلثة وتخفيف الباء الموحدة والباقيون بفتح الناء وتشديد الباء الموحدة
 * (تنبيه) في هذه الآية قولان أحدهما أنها عامة في كل شيء كما يقتضيه ظاهر اللفظ وهذا
 مذهب عمر وابن مسعود وغيرهما قالوا إن الله يجمعون الرزق ويرزق فيه وكذا القول في الأجل
 والسعادة والشقاوة والإيمان والكفر وروى عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه كان يطوف
 بالبيت وهو يكي ويقول اللهم ان كنت كفتني في أهل السعادة فأبقيتني فيها وان كنت كفتني في
 الشقاوة فأخفني وأبقيتني في أهل السعادة والمغفرة فأنك نعمو أمشاه وتبث وعندك أم الكتاب
 ومثله من ابن مسعود وهذا التأويل رواه جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بعض

الآثار أن الرجل يكون قديمي من عمره ثلاثون سنة فيقطع رحمه فيرد إلى ثلاثة أيام والرجل
 يكون قديمي من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيرد إلى ثلاثين سنة وروى أن الله تعالى ينزل أي أمره
 في آخر ثلاث ساعات تبقى من الليل فينظر في الساعة من في أم الكتاب الذي لا يتصرفه أحد
 غيره فيعمو ما يشاء ويثبت والقول الثاني أن هذه الآية خاصة في بعض الأشياء دون بعض
 واختلفوا على هذا القول فقال سعيد بن جبيرة وقتادة يعمو الله ما يشاء من الشرائع والقوانين
 فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه وقال ابن عباس يعمو الله ما يشاء ويثبت إلا الرزق
 والأجل والعادة والشقاوة واستدل لهذا بما رواه حذيفة بن أسيد قال سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول إذا أمر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكا فصورها وخلق
 سمعها وبصرها وجلدها وحلها وعظمها ثم قال يارب أذكر أم أمي فيقضي ربك ما يشاء ويكتب
 الملك ثم يقول الملك يارب رزقه فيقضي ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول يارب أشق أم سعيد
 فيكتبان فيكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزد ولا ينقص وقال عطية عن ابن
 عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله تعالى ثم يرجع لمعصية الله تعالى فيموت على ضلاله فهو الذي
 يعمو والذي يثبت يعمل الرجل بطاعة الله فيموت وهو في طاعته فهو الذي يثبت وقال الحسن
 يعمو ما يشاء أي من جاء أجله يذهب به ويثبت من لم يحن إلى أجله وعن سعيد بن جبيرة قال
 يعمو ما يشاء من ذنوب العباد فيغيرها ويثبت ما يشاء فلا يغيرها وقال عكرمة يعمو الله ما يشاء
 من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات كما قال تعالى فأولئك يدل الله سيئاتهم حسنات
 وقال السدي يعمو الله ما يشاء يعني القمر ويثبت ما يشاء يعني الشمس بيانه قوله تعالى فمحونا آية
 الليل وجعلنا آية النهار مبصرة وقال الربيع هذا في الأرواح يقبضها الله تعالى عند النوم فمن
 أراد موته أمسه ومن أراد بقاءه أثبته ورده إلى صاحبه بيانه قوله تعالى الله يتوفى الأنفس
 حين موتها الآية وقيل إن الله تعالى يثبت في أول كل سنة حكمها فإذا مضت السنة محاه
 وأثبت حكما آخر للسنة المستقبلة وقيل يعمو الله الدنيا ويثبت الآخرة وقيل إن الحفظة
 يكتبون جميع أعمال بني آدم وأقوالهم فيعمو الله من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب
 وقيل هذا في الحسن والمصائب فهي مثبتة في الكتاب ثم يعموها بالدعاء والصدقة (وعنده) تعالى
 (أم الكتاب) أصل الكتب والعرب تسمى كل ما يجري مجرى الأصل للشيء أمًا ومنه أم الرأس
 للدماغ وأم القرى لمكة وكل مدينة فهي أم لما حوالها من القرى فكذلك أم الكتاب هو الذي
 يكون أصلا لجميع الكتب وفيه قولان الأول أنه اللوح المحفوظ الذي لا يغير ولا يتبدل وجميع
 حوادث العالم العلوي والسفلي يثبت فيه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان الله
 ولا شيء ثم خلق اللوح وأثبت فيه أحوال جميع الخلق إلى قيام الساعة والقول الثاني أن أم
 الكتاب أصله الذي لا يغير من شيء وهو الذي كتب في الأزل وقال ابن عباس في رواية عكرمة
 هنا كتابان كتاب سوى أم الكتاب يعمو ما يشاء منه ويثبت وعنده أم الكتاب لا يغير من شيء وعلى
 هذا فالكتاب الذي يعمو منه ويثبت هو الكتاب الذي تكتبه الملائكة على الخلق وعن ابن

عباس قال ان الله لو حافظ مسيرته خمسمائة عام من دوة بضائه دفنان من ياقوتة لله فيه في كل يوم ثلثمائة وستون لحظة يعومها يشاء وينبت وعند أم الكتاب وسأل ابن عباس كعبا عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه * ولما كان من مقترحاتهم وطلبنا منهم استهزاء استعجال السيدة مما وعدوا به وكانت النفس ربما غمت وقوع ذلك البعض وابشائه لمؤمن به غيره فقررنا الفصل النزاع قال تعالى (واما نرينك) يا محمد وأكده بنا كيد لا اعلام بأنه لا حرج عليه في ضلال من ضل بعد ابلاغه (بعض الذي نعهدهم) أي من العذاب وأنت حتى مما تريد أو تريد أصحابك قبل وفاتك فذلك شافيك من أعدائك والوعد الخبر عن خير مضمون والوعد الخبر عن شر مضمون والمعنى ههنا عليه وسماه وعد التزيلة لهم إياه في طلب نزول منزلة الوعد (أو توفيقك) أي قبل أن نرينك ذلك فلا لوم عليك ولا عتب (فانما عليك البلاغ) أي ليس عليك التبليغ الرسالة اليهم وليس عليك أن تجازيهم ولأن تأنيهم بالمقترحات والبلاغ اسم أقيم مقام التبليغ واما فيه ادغام فون ان الشرطية في ما الزائدة (وعليها الحساب) أي علينا أن نقاسمهم يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم فلا تحتفل بأعراضهم ولا تستعجل بمذاهبهم * (تنبيه) * قال أبو حيان هنا شرطان لأن المعطوف على الشرط شرط فيكون ذلك كل شرط ما يناسب أن يكون جزاء مرتب عليه والتقدير واما نرينك بعض الذي نعهدهم فذلك شافيك من أعدائك واما توفيقك قبل حلوله بهم فلا لوم عليك ولا عتب وقد مررت الإشارة الى ذلك ولما وعد الله تعالى بنبيه محمد أصلى الله عليه وسلم بأن يره بعض ما يعده ويوفاه قبل ذلك بين تعالى أن آثار حصول تلك المواعيد وعلاماتها قد ظهرت وقويت بقوله تعالى (أولم يروا) أي كفار مكة (أناتأت الأرض) أي نقصد أرض هؤلاء الكفرة (نتقها من أطرافها) بما يفتح الله تعالى على المسلمين من ديار الشرك أرضا بعد أرض حوالى أرضهم هذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة وقال مجاهد هو خراب الأرض وقبض أهلها وعن عكرمة قال هو قبض الناس وعن الشعبي مثله وعطاء وجماعة نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء ويؤيد هذا ما رواه عمرو بن العاص أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤسا جهالا فاستولوا فاقفوا بغير علم فضلوا وأضلوا وقال الحسن قال عبد الله بن مسعود عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله وقال علي أنما مثل الفقهاء كمثل الالف اذا قطعت لم تعد وقال سليمان لا يزال الناس بخير ما بقى الأول حتى يتعلم الآخر واذا هلك الأول قبل أن يتعلم الآخر هلك الناس وقيل لسعيد بن جبيرة ما علامة هلاك الناس قال هلاك علمائهم ثم أثبت تعالى لنفسه أمرا كذا فقال (وان الله) أي الملك الأعلى (يحكم) في خلقه بما يريد لانه (لامعقب) أي راد لان التعقيب بذ الشيء بعده فصله (الحكمة) وقد حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالاخبار وذلك كاش لا يمكن تغييره * (تنبيه) * محل جملة لامعقب لحكمه النصب على الحال كانه قبل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد حامرا (وهو) عز

وجعل مع تمام القدرة (سريع الحساب) فيحاسبهم بحا قليل في الآخرة بعد ما عذبهم
 بالقتل والاعلاء في الدنيا وقال ابن عباس يريد سريع الانتقام يعني حسابه للجحازة بالخير
 والنشر فجازاة الكفار بالانتقام منهم ومجازاة المؤمنين بإيصال الثواب اليهم وقد تقدم
 الكلام في معنى سريع الحساب قبل هذا وقوله تعالى (وقدمكم الذين من قبلهم) أي
 من كفار الامم الماضية قبل مكر وابتدائهم مثل غر ومكر باراهيم وفرعون ومكر عيسى واليهود
 مكر وابعيسى فيه تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (قلته المصكر جميعا) أي أن مكر
 جميع الماكرين حاصل بتخليقه واورادته لأنه تعالى هو الخالق لجميع أعمال العباد فالمكر
 لا يضره الا بانه ولا يؤثر الا بتقديره فيه أمان له صلى الله عليه وسلم من مكرهم فكانه قيل اذا كان
 حدوث المكر من الله تعالى وتأثيره في الممكور به من الله وجب أن لا يكون الخوف الا من الله
 تعالى لا من أحد من المخلوقين وذهب بعض المفسرين الى أن المعنى قلته جزاء المكر وذلك
 أنهم لما مكروا بالمؤمنين بين الله تعالى أنه يجازيهم على مكرهم قال الواحدى والاول أظهر
 القولين بدليل قوله تعالى (يعلم ما تكسب كل نفس) أي ان اكساب العباد مع لومة الله تعالى
 وخلاف المعارف يمنع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة لعبد على الفعل والترك فكان الكل
 من الله فيجازيهم على أعمالهم وفي ذلك وعيد وتهديد للكفار الماكرين ثم انه تعالى أكد
 ذلك التهديد بقوله تعالى (وسيعلم الكفار لمن عقبي الدار) أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة
 ألهم أم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبالألف بعد الكاف
 على الافراد والكاف مفتوحة والفاء مكسورة مخففة والباقون بالألف بعد الفاء على الجمع
 فالكاف مضمومة والفاء مفتوحة مشددة فمن قرأ بالافراد أراد الجنس كقوله تعالى ان الانسان
 لني خسر ليرى واقف قراءة الجمع وقال عطاء المستهزون وهم خمسة والمقسمون وهم ثمانية وعشرون
 وقال ابن عباس يريد أبا جهل قال الرازي والاول هو الصواب أي ليرى واقف قراءة الجمع كما مر
 * ولما تقدم قوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه عطف عليه بعد شرح
 ما استتبعه قوله تعالى (ويقول الذين كفروا استمرسلا) أي لكونك لا تأتي بمقرحاتهم مع
 أنه صلى الله عليه وسلم لم يقل يوما انه قادر عليها فكانه قيل فما أقول لهم فقال تعالى (قل) لهم
 (كني بالله) الذي له الاحاطة الكاملة (شهيدا) أي بليغ العلم في شهادته بالاطلاع على ما ظهر
 وما بطن (يعني وينسكم) يشهد بتأييد رسالتي وتصحيح مقالتي بما أظهر من الآية وأوضح من
 الدلالة بهذا الكتاب ويشهد بتكذيبهم بادعائكم القدرة على المعارضة وترككم لها معجزا وهذا
 أعلى مراتب الشهادة لأن الشهادة قول يفيد غلبة الظن بان الامر كما شهد به والمعجزة فعل
 مخصوص بوجوب القطع بكونه رسولا من عند الله واختلف في قوله تعالى (ومن عنده علم
 الكتاب) فروى العوفي عن ابن عباس أنهم علماء اليهود والنصارى أي أن كل من كان عالما
 من اليهود والنصارى ومن النصارى بالانجيل علم أن محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل من عند الله لما
 يجد من الدلائل الدالة على نبوته فيها تشهد بذلك من شهادته وأكبرهم أنكره منهم والشأن

أن المراد شهادة أهل الكتاب من الذين آمنوا بهم عبد الله بن سلام و سلمان الفارسي وغير
الداري وقال الحسن ومجاهد والزجاج وسعيد بن جبيرة ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى
قال الحسن لا والله لا يعني إلا الله والمعنى كفى بالله الذي يستحق العبادة وبالله الذي لا يعلم علم
ما في اللوح الا هو شهيد ابني وبينكم وهذا أظهر كما استظهره البقاعي وان كان عطف الصفة
على الموصوف خلاف الاصل اذ يقال شهد بهذا زيد الفقيه لازيد الفقيه لانه جائز في الجملة
وقبل معناه أن علم أن القرآن الذي جئتمكم به معجز ظاهر وبرهان باهر لما فيه من الفصاحة
والبلاغة والاخبار عن الغيوب وعن الامم الماضية فمن علم بهذه الصفة كان شهيدا بيبي
وبينكم والله أعلم بمراده وما رواه البيضاوي تبعا للزحخشري وتبعهما ابن عادل من أنه صلى
الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الرعد أعطى من الاجر عشر حسنة من بوزن كل صحاب
مضى وكل صحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من المؤمنين بعهد الله حديث
موضوع

﴿سورة ابراهيم عليه السلام مكية﴾

الاقوله تعالى ألم ترالى الذين بدلوا نعمة الله الايتين وهى اثنتان وخسرون آية وعدد كلماتها
ثمانمائة واحد وثلاثون كلمة وعدد حروفها ثلاثة آلاف وأربع مائة وأربعة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى (الر) تقدم الكلام عليها أول يونس وهو ذو قوله تعالى
(كتاب) خبر مبتدأ محذوف أى هذا القرآن كتاب وألوان قلنا انها مبتدأ والجملة بعده صفة
ويجوز أن يرتفع بالابتداء وخبره الجملة بعده وجازا لا ابتداء بالنكرة لانها موصوفة تقديرا
تقديره كتاب أى كتاب يعنى عظيم من بين الكتب السماوية (أرسلناه إليك) بأشرف
الخلق عند الله تعالى (لتخرج الناس) أى عامة قومك وغيرهم بدعائك اياهم (من الظلمات) أى
الكفر وأنواع الضلالة (الى النور) أى الايمان والهدى قال الرازى والآية دالة على أن
طريق الكفر والبعد كثيرة وأن طريق الحق ليس الا واحد لانه تعالى قال لتخرج الناس
من الظلمات وهى صبغة جمع وعبر عن الايمان والهدى بالنور وهو اقط مفرد وذلك يدل
على أن طريق الجهل والكفر كثيرة وأن طريق العلم والايمان ليس الا واحدا * (تنبيه) *
القائلون بأن معرفة الله تعالى لا يمكن تحصيلها الا من تعليم الرسول احتجوا بهذه الآية
وذلك يدل على أن معرفة الله تعالى لا تحصل الا من طريق التعليم وأجيب بأن الرسول
صلى الله عليه وسلم كان نبيا وأما المعرفة فهى انما تحصل من الدليل وقوله تعالى (ياذن
ربهم) متعلق بالانخراج أى بتوفيقه وتسهيله ويدل من الى النور (الى صراط) أى طريق
(العزيز) أى الغالب (الحديد) أى المحمود على كل حال المستحق لجميع الحمد وفى قوله (الله)
قراءتان فقرأ نافع وابن عامر برفع الهاء وصلوا ابتداء على انه مبتدأ خبره (الذى له ما فى
السموات وما فى الارض) أى ملكا وخالقا وقرأ الباقون بالجر على أنه بدل أو عطف بيان وما

بعده صفة * (تنبيه) * ذهب جماعة من المحققين الى أن قولنا الله جار مجرى الاسم العلم لذات الله سبحانه وتعالى وذهب قوم آخرون الى أنه لفظ مشتق قال الرازي والحق عندنا هو الاول لان الامة لما اجتمعت على أن قولنا لا اله الا الله وجب التوحيد المحض علمنا أن قولنا الله جار مجرى الاسم العلم وقد قال تعالى هل تعلم له سميا أي هل تعلم من اسمه الله غير الله وذلك يدل على قولنا الله اسم لذاته المخصوصة ولذا استشكل قراءة الجر اذا الترتيب الحسن أن يذكر الاسم ثم يذكر عقبه الصفات كقوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور وأما الخالق الله فلا يحسن وأجيب عن ذلك بأنه لا يبعد أن تذكر الصفة أولا ثم يذكر الاسم ثم تذكر الصفة مرة أخرى كما يقال حررت بالامام الاجل محمد الفقيه وهو بعينه نظير قوله تعالى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض والآية تفيد حصر ما في السموات وما في الارض له لا لغيره وذلك يدل على أنه لا مالك الا الله ولا حاكم الا الله وأنه تعالى خالق لعمال العباد لانها حاصلة في السموات والارض فوجب القول بان أفعال العباد له بمعنى كونها مملوكة له والمالك عبارة عن القدرة فوجب كونها مقدورة لله واذا ثبت أنهم مقدور لله وجب وقوعها بقدرته الله والالكان العبد قدم مع الله تعالى من ايقاع مقدوره وذلك محال ثم انه تعالى لما ذكر ذلك عطف على الكفار بالوعيد فقال تعالى (وويل للكافرين) أي الذين تركوا عبادة من يستحق العبادة الذي له ما في السموات وما في الارض وعبدوا من لا يملك شيئا البتة بل هو مملوك لله تعالى لانه من جله ما في السموات وما في الارض وويل مبتدأ وجازا لا ابتدأ به لانه دعاء كسلام عليكم وللكافرين خيره وقوله تعالى (من عذاب شديد) أي يعذبهم في الآخرة متعلق بويل ولا يضر الفصل بالخبر ثم وصفهم بقوله تعالى (الذين يستعجبون) أي يحتملون (الحياة الدنيا على الآخرة) أي يؤثرونها عليها (ويصدون عن سبيل الله) أي يمنعون الناس عن قبول دين الله (ويغفونها) أي السبيل (عوجا) أي معوجة والاصل ويغنون لها زبغا وميلا لحذف الجاروا وصل الفعل الى الضمير (أو لتلك) أي الموصوفون بهذه الصفات (في ضلال بعيد) أي عن الحق واسناد البعد الى الضلال اسناد مجازي لان البعدهم الضلال بميلهم عن الباقي الى الفاني ثم ذكر ما يجري مجرى تكميل النعمة والاحسان في الوجهين بقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول) أي في زمن من الازمان (الابلسان) أي لغة (قومه) أما بالنسبة الى الرسول فلانه تعالى بين أن سائر الانبياء كانوا مبغوثين الى قومهم خاصة وأما أنت يا محمد فمبعوث الى عامة البشر وكان هذا الانعام في حقك أكمل وأفضل وأما بالنسبة الى عامة الخلق فهو أنه تعالى ذكر أنه ما بعث رسولا الا بلسان أولئك القوم (ليبين لهم) ما أمروا به ففهموه عنه يسر وسرعة لان ذلك أسهل لفهم أسرار تلك الشريعة والوقوف على حقائقها وأبعد عن الغلط والخطا * (تنبيه) * تمسك طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية بهذه الآية على أن محمد صلى الله عليه وسلم لم يرسل لغرب العرب من وجهين الاول ان القرآن لما كان نازلا بلغة العرب لم يعرف كونه معجزة بسبب ما فيه من الفصاحة الا العرب وحيد فلا يكون القرآن حجة الا عليهم الثاني ان قوله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ الْمُرَادُ بِذَلِكَ اللِّسَانُ لِسَانُ الْعَرَبِ وَذَلِكَ لِتَبَيُّنِ عَلَى أَنَّهُ
مَبْعُوثٌ إِلَى الْعَرَبِ فَقَطْ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْقَوْمِ أَهْلَ دَعْوَتِهِ وَالدَّلِيلُ عَلَى عُمُومِ الدَّعْوَةِ قَوْلُهُ
تَعَالَى قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جِيءَ ابِلُ إِلَى النَّقْلِ لِأَنَّ التَّحْدِيَّ كَمَا وَقَعَ مَعَ الْإِنْسِ
وَقَعَ مَعَ الْجِنِّ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى قُلْ لَنْ أَجْمَعْتَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِعِثَلٍ هَذَا الْقُرْآنَ لَا يَأْتُونَ
بِمَثَلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا * ثُمَّ بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ الْأَضْلَالَ وَالْهَدَايَةَ بِشَيْئَتِهِ بِقَوْلِهِ
تَعَالَى (فَبِضَلِّهِمْ يَسِئُوا) (فَبِضَلِّهِمْ يَسِئُوا) (فَبِضَلِّهِمْ يَسِئُوا) هَدَايَتُهُ فَانَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُضِلُّ وَالْمُهَادِي
وَلَيْسَ عَلَى الرِّسْلِ إِلَّا التَّبْلِيغُ وَالْبَيَانُ وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْهَادِي الْمُضِلُّ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (وَهُوَ الْعَزِيزُ)
فِي مَمْلَكَةٍ فَلَا رَادَّ لَهُ عَنْ مَشِئَتِهِ (الْحَكِيمُ) فِي صُنْعِهِ فَلَا يَهْدِي وَلَا يَضِلُّ الْحَكِيمَةُ * وَلَمَّا بَيَّنَّ تَعَالَى
أَنَّهُ أَعْمَأُ رَسَلٍ مُجْمَدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى النَّاسِ لِيُزَجِّجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَ
كُلَّ أَنْعَامِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى قَوْمِهِ فِي ذَلِكَ الْإِرْسَالِ وَفِي تِلْكَ الْبَعْدَةِ أَتْبَعَ ذَلِكَ بَشْرَ حَبَشَةٍ سَائِرِ
الْأَنْبِيَاءِ إِلَى أَقْوَامِهِمْ وَكَيْفِيَّةَ مُعَامَلَةِ أَقْوَامِهِمْ لِيَكُونَ ذَلِكَ تَصْغِيرًا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَى أَزَى قَوْمِهِ وَارْتِدَادًا إِلَى كَيْفِيَّةِ مَكَامَتِهِمْ وَمُعَامَلَتِهِمْ فَذَكَرَ تَعَالَى عَلَى الْعَادَةِ الْمَأْلُوفَةَ قِصَصَ
بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَبَدَأَ بِقِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَى بِآيَاتِنَا) أَيُّ الْعَصَا وَالسِّدِّ وَالْجُرَادِ وَالْقُمَّلِ وَالضَّفَادِعِ وَالدِّمِّ وَفُلْقِ الْجَبْرِ وَانْفِجَارِ الْعَبْرُونَ
مِنَ الْجَبْرِ وَاطِّلَالِ الْجَبَلِ وَالْمَنْ وَالسَّالْوَى وَسَائِرُ مَجَازَاتِهِ (أَنْ أَخْرَجَ قَوْمَكَ) (أَنْ أَخْرَجَ قَوْمَكَ) (أَنْ أَخْرَجَ قَوْمَكَ) أَيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ
(مِنَ الظُّلُمَاتِ) أَيُّ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ (إِلَى النُّورِ) أَيُّ الْإِيمَانِ وَالْهُدَى * (تَنْبِيهِ) * يَجُوزُ
أَنْ تَكُونَ أَنْ مَصْدَرُهُ أَيُّ بَأْنٍ أَخْرَجَ وَالبَاءُ فِي بَأْنَتِنَا لِلْعَالِ وَهَذِهِ لِلتَّعْدِيَةِ وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ
مُفْسَّرَةً لِلرَّسَالَةِ بِمَعْنَى أَيُّ وَبِصُكُونِ الْمَعْنَى أَيُّ أَخْرَجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ أَيُّ قَاتَلَهُ أَخْرَجَ
قَوْمَكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْسُوا (وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ بَنِمَ
اللَّهُ وَقَالَ مُقَاتِلٌ بَوَاقِعَ اللَّهِ فِي الْأُمِّ السَّالِفَةِ يَقَالُ فَلَانْ عَالَمُ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ أَيُّ بَوَاقِعَهُمْ وَفِي الْمَثَلِ
مِنْ سِرِّ رُومَارِهِ قَالَ الرَّازِيُّ مَعْنَاهُ مَنْ رَأَى فِي يَوْمٍ سُرُورَهُ بِصُغُرِ غَيْرِهِ رَأَى غَيْرَهُ فِي يَوْمٍ آخِرٍ
بِصُغُرِ غَيْرِهِ وَقَالَ تَعَالَى وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَالْمَعْنَى عَظَمَةُهَا بِالتَّوْبِغِيبِ وَالتَّوْبِغِيبِ
وَالْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ وَالتَّوْبِغِيبُ وَالْوَعْدُ أَنْ يَذَكَرَهُمْ مَا أُنْعِمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى مَنْ قَبْلَهُمْ عَنِ آمَنُوا
بِالرَّسْلِ فَيَمَسُّ لَفِ مِنْ الْأَيَّامِ وَالتَّوْبِغِيبُ أَنْ يَذَكَرَهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ وَاتَّقَامُهُ عَنِ كَذِبِ
الرَّسْلِ فَيَمَسُّ لَفِ مِنْ الْأَيَّامِ مِثْلَ مَازَلْ بَعَادَ وَغُودَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ لِيَرْغُبُوا فِي الْوَعْدِ فَصَدَّقُوا
وَيَحْذَرُوا مِنَ الْوَعْدِ فَيَتَرَكُوا التَّكْذِيبَ وَقِيلَ بِأَيَّامِ اللَّهِ فِي حَقِّ مُوسَى أَنْ يَذَكَرَ قَوْمَهُ بِأَيَّامِ الْحَنَةِ
وَالْبَلَاءِ حِينَ كَانُوا تَحْتَ أَيْدِي الْقَبْطِ يَسُومُونَهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ لَخْلَافِهِمْ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ وَجَعَلَهُمْ
مَلُوكًا بِعَدَمِ أَنْ كَانُوا عَمَلًا كَبِيرًا (أَنْ فِي ذَلِكَ) أَيُّ التَّذْكِيرِ الْعَظِيمِ (لَا يَأْتِ) عَلَى وَجْهَانِ اللَّهُ تَعَالَى
وَعَظَمَتِهِ (لِكُلِّ صَبَّارٍ) أَيُّ كَثِيرِ الصَّبْرِ عَلَى الطَّاعَةِ وَعَنِ الْمَعْصِيَةِ (شُكُورٍ) أَيُّ كَثِيرِ الشُّكْرِ
لِأَنَّهُمْ وَأَعْمَاحُ الصُّبُورِ وَالشُّكُورِ بِالْإِعْتِبَارِ بِالْآيَاتِ وَإِنْ كَانَ فِيهَا عِبْرَةٌ لِأَسْكَالِ لَأَنَّهُمْ الْمُتَفَعِّلُونَ
بِعَادُونَ غَيْرِهِمْ فَلِهَذَا خَصَّهُمْ بِالْآيَاتِ فَكَأَنَّهُ لَيْسَتْ لغيرِهِمْ فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى هُدًى لِلْمُتَّقِينَ فَانَّ

الانتفاع لا يمكن حصوله الا لمن يكون صابرا شاكرا آمنا لا يكون كذلك فلا ينفع بها البتة
 * ولما أمر الله تعالى موسى أن يذكرهم بأيام الله حكى عنه أنه ذكركمهم بقوله تعالى (واذ قال
 موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم) وقوله (اذ أنجاكم من آل فرعون) ظرف للنعمة بمعنى
 الانعام أي اذكروا انعام الله عليكم في ذلك الوقت (يسومونكم سوء العذاب) بالاسـ تعداد
 (ويذبحون) أي تذبيح كثيرا (أبناءكم) أي المولودين (ويستقيمون) أي يستقيمون (نساءكم)
 أحياء وذلك كقول بعض السكينة أن مولودا يولد في بني اسرائيل يكون سبب زوال ملك
 فرعون (فان قيل) لم يذكر تعالى في سورة البقرة يذبحون بغير واو وذكركم هنامع الواو (أجيب)
 بأنهم انما حذفوا في سورة البقرة لانها تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب وفي التفسير
 لا يحسن ذكر الواو وهنا أدخل الواو فيه لانه نوع آخر لانهم كانوا يعذبونهم بأنواع من العذاب
 غير التذبيح فليس تفسير العذاب (وفي ذلكم بلاء) أي انعام وبلاء (من ربكم عظيم) لان
 البلاء لا يكون ابتلاء بالنعمة والمنة جميعا ومنه قوله تعالى ونبأكم بالشر والخير فتنة (فان
 قيل) تذبيح الابناء فيه بلاء وأما استحباء النساء فكيف فيه ابتلاء (أجيب) بأنهم كانوا
 يستقيمون ويتزكوا تحت أيديهم كالاماء فكان ذلك ابتلاء وقوله تعالى (واذ) أي
 واذكروا اذ (تأذن ربكم) فهو أياضاً من كلام موسى عليه السلام وتأذن بمعنى أذن كتعود
 وأعد غير أنه أبلغ لما في الفعل من معنى التكلف والمبالغة (لئن شكرتم) أي يا بني اسرائيل نعمتي
 بالتوحيد والطاعة (لازيدنكم) نعمة الى نعمة ولاضاعف لكم ما أنعمتكم فان الشكر قديم
 الموجود وصيد المفود والشكر عبارة عن الاعتراف بنعمة المنعم مع تقطيعه وتوطئ النفس
 على هذه الطريقة ثم قدرني العبد عن تلك الحالة الى أن يصير حجة للمنعم شغلا له عن الالتفات
 الى النعمة ولا شك أن منبع السموات وعنوان كل الخيرات محبة الله تعالى وعرفته وأما الزيادة
 في النعمة فهي على قسمين روحانية وجسمانية فالاولى هي أن الشاكر يكون أبدا في مطالعة
 أقسام نعمة الله تعالى وأنواع فضله وكرمه وأما الثانية فلأن الاستقراء دل على أن كل من كان
 اشتغاله بشكر نعم الله أكثر كان وصول نعم الله اليه أكثر نسأل الله تعالى القيام بواجب شكر
 النعمة حتى يزيدنا من فضله وكرمه وإحسانه ويفعل ذلك باهلينا وأحبائنا ثم انه تعالى لما ذكر
 ما يستحقه الشاكر ذكر ما يستحقه مقابله بقوله تعالى (ولئن كفرتم) أي بجدتم النعمة بالكفر
 والمعصية لا عذبكم دل عليه (ان عذابي لشديد) أي لمن كفر نعمتي ولا يشكرها ومن عادة
 أكرم الأكرمين أن يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد ولما بين موسى أن الاشتغال بالشكر
 يوجب تزايد الخيرات في الدنيا والآخرة والاستغفال بكفران النعم يوجب العذاب الشديد
 وحصول الآفات في الدنيا والآخرة بين بعده أن منافع الشكر ومضار الكفران لا تعود الا الى
 صاحب الشكر وصاحب الكفران وأما المأمور والمشكور فانه متعال عن أن يتفصح بالشكر
 أو يستغفر بالكفران فلا جرم قال تعالى (وقال موسى ان تكفروا أنتم يا بني اسرائيل ومن
 في الارض) وأكده بقوله تعالى (جميعا) أي من الثقلين فانما ضرر ذلك يعود على أنفسكم

وحرمتوها الخبر كله (فإن الله لعنف) عن جميع خلقه فلا يزاد بشكر الشاكرين ولا ينقص
 بكفر الكافرين (جيد) أي محمود في جميع أفعاله لانه فيها متفضل عادل وقوله تعالى (ألم يأتكم)
 يا بني اسرائيل (نبأ) أي خبر (الدين من قبلكم قوم نوح) وكانوا ملء الارض (و) نبأ (عاد) قوم
 هود وكانوا أشد الناس أبدانا (و) نبأ (عمود) قوم صالح وكانوا أقوى الناس على نحت الصخور
 وبناء القصور يحتمل أن يكون من كلام موسى أو كلام مبدأ من الله تعالى اقوم محمد صلى
 الله عليه وسلم وهو استغفهم تقرير وقوله تعالى (والذين من بعدهم) أي بعد هؤلاء الامم
 الثلاثة (لا يعلمهم الا الله) فيه قولان الاول أن يكون المراد لا يعلم كنه مقاديرهم الا الله تعالى
 لان المذكور في القرآن جله فاما ذكر العدد والعمر والكيفية والكمية فغير حاصل والقول
 الثاني ان المراد ذكر اقوام ما بلغنا أخبارهم أصلا كذبوا رسالنا لعرفهم أصلا ولا يعلمهم الا
 الله ولذلك كان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني أنهم يدعون علم
 الانساب الى آدم عليه السلام وقد نفي الله علمها عن العباد وعن ابن عباس أنه قال بين عدنان
 واسماعيل ثلاثون أبابا يعرفون وتطير هذه الآية قوله تعالى وقروا بين ذلك كثيرا وكلا ضربا له
 الامثال وكلا تبرنا تبيرا وقوله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وعنه صلى
 الله عليه وسلم أنه كان في تنسابه لا يجاوز مدبر عدنان بن أدو قال تعلموا من أنسابكم ما تصلون
 به أرحامكم وتعلموا من التجوم ما تستدلون به على الطريق قال الرازي والقول الثاني أقرب
 ولما جاءتهم أي هؤلاء الاقوام الذين تقدم ذكرهم (رسلمهم بالبينات) أي الدلائل الواضحات
 والمعجزات الباهرات أو ابأموراؤها ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله تعالى (فردوا) أي الامم
 (أيديهم في أفواههم) وفي ذلك احتمالات الاول ان الكفار ردوا أيديهم في أفواههم فعضوها
 غيظا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا علىكم الانامل من الغيظ والثاني أنهم لما سمعوا
 كلام الانبياء بمحبوا منه وضعوا كؤا على سبيل الضربة فعضوا ذلك ردوا أيديهم في أفواههم كما
 يفعل ذلك من غلبه الضحك فيضع يده على فمه والثالث أنهم وضعوا أيديهم على أفواههم
 مشيرين بذلك الى الانبياء أن كفوا عن هذا الكلام واسكتوا عن ذكر هذا الحديث والرابع
 أنهم أشاروا بأيديهم الى ألسنتهم والى ما تكلموا به من قولهم الكفر كما حكى الله تعالى ذلك عنهم
 بقوله تعالى (وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به) أي على زعمكم أي ان هذا جوابنا لكم ليس عندنا
 غيره اقنطالهم من التصديق هذا هو الامر الثاني الذي أتوا به وقبل الضمير في ردوا راجع
 للرسل عليهم السلام وفيه وجهان أحدهما أن الكفار أخذوا أيدي الرسل ووضعوها على
 أفواههم لسكتوا ويقطعوا الكلام والثاني ان الرسل لما يسوا منهم سكتوا ووضعوا أيدي
 أنفسهم على أفواه أنفسهم فان من ذكر كلاما عند قوم وأنكروه وخافهم فذلك المتكلم ربما
 وضع يده نفسه على فم نفسه وغرضه أن يعرفهم أنه لا يعود الى ذلك الكلام البتة والامر الثالث
 قولهم (وانا لنفي شك مما) أي نفي (تدعوننا) أيها الرسل (اليه) أي من الدين (مريب) أي
 موجب الريسة أي موقع في الريسة والشبهة والريسة قلق النفس وان لا تطمن الى الامر الذي

يشك فيه (فان قيل) انهم قالوا اولانا كفرناحما أرسلتم به فكيف يقولون ثانيا وانما لي شك
والشك دون الكفر (أجيب) بأنهم لما صرحوا بكفرهم بالرسول كلهم حصل لهم شبهة وجوب
الشك لهم فقالوا ان لم تدع الجزم واليقين في كفرناحما قل من أن تكون شاكين مرتين في
صحة نبوتكم وعلى التقديرين فلا يسيل الى الاعتراف بنبوتكم * ولما قال هؤلاء الكفار للرحل
ذلك (قالت) لهم (وسلمهم) مجيبين (أفي الله شك) أي هل تشكون في اقله وهو استفهام انكار أي
لا شك في توحيد الدلائل الظاهرة عليه منها قوله تعالى (فاطر) أي خالق (السموات والارضين)
أي وما فيهما من الانفس والارواح والارزاق وقرأ أبو عمرو ورسلمهم هنا وفيما ترفى جاءتهم
رسلمهم باسكان السين والساكنين بالرفع * ولما قاموا بالدليل على وجود الله تعالى وصفوه بكال
الرحمة يقولهم (يدعوكم) أي الى الايمان بعبادته وقولهم (ليغفر لكم) اللام متعلقة بـ دعوا أي
لاجل غفران ذنوبكم كقوله

دعوت لما نالني مسورا * فلي فلي يدي مسور

ويجوز أن تكون معدية كقوله دعوتك لزيد والتقدير يدعوك الى غفران ذنوبكم وقوله (من
ذنوبكم) قال السيبويطي من زائدة فان الاسلام يغفر به ما قبله أو تبعية لاجراء حقوقي
العباد اه أي والمغفور لهم ما بينهم وبين الله تعالى قال الرازي والعاقل لا يجوز له المصير الى كلمة
من كلام الله تعالى بأنهم زائدة من غير ضرورة اه وقال في الكشف ما علمته جاء هكذا الا
في خطاب الكافرين كقوله واتقوه وأطيعوا يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا أجيبوا داعي
الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون
يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يوقفك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين وأن
لا يسوى بين الفريقين في المعاد اه قال الرازي وأما قول الكشف فهو من باب الظلمات
لان هذا التبعض ان حصل فلا حاجة الى ذكر هذا الجواب وان لم يحصل كان هذا الكلام
فاسدا (ويؤخركم) أي ولا يفعل بكم فعل من تعهدون من الملول في المعاجلة في الاهلاك
لمن خالفهم بل يؤخركم (الى أجل مسمى) أي الى وقت قد سماه وبين مقداره يبلغكم واه انتم
أمنتم به والاعاجلة لكم بالهلاك قبل ذلك الوقت ان أنتم ما آمنتم (فان قيل) أليس قال تعالى
فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فكيف قال هنا ويؤخركم الى أجل
مسمى (أجيب) بأن الاجل على قسمين معلق ومبرم (قالوا) أي الامم مجيبين للرسول (ان) أي
ما (أنتم) أيها الرسل (الابشر مثلنا) أي لا فضل لكم علينا فلم تحضون بالنبوة دوننا ولما ارسل الله
تعالى الى البشر رسلا ليعلمهم من جنس أي من البشر في زعم القائلين أفضل وقول الكشف
وهم الملائكة جار على مذهبه (تريدون أن تصدقونا عما كان بعد آبائنا) أي ما تريدون بقولكم
هذا الصلة ناعن آلهتنا التي كان آبائنا يعبدونها (فأقولنا بسلطان مبين) أي بحجة ظاهرة على
صدقكم * ولما حكى الله تعالى عن الكفار شبهاتهم في الطعن في النبوة حكى عن الانبياء عليهم
الصلاة والسلام جوابهم عنها بقوله تعالى (قالت لهم رسلمهم) مجيبين لهم (ان) أي ما (نحن

لا تبشروا هؤلاء (كما قلتم فسلوا أن الامر كذلك لكنهم بنوا أن التماس في البشرية لا يمنع
 من اختصاص بعض بمنصب النبوة بقولهم) (ولكن الله عمن) أي بفضل (على من يشاء من
 عباده) بالنبوة والرسالة فيصطفي من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف كما قال تعالى
 الله أعلم حيث يجعل رسالته (وما كان) أي ماصح واستقام (لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن
 الله) أي الا بأمره لا نابعيد من يوبون فليس البنا الايمان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى
 نأتيكم بما اقترحتموه وانما هو امر متعلق بمشيئة الله تعالى فله أن يخص كل نبي بنوع من
 الآيات (وعلى الله فليستوكل) بأمر حتم (المؤمنون) أي يثقوا به فلا تخاف من تخويفكم
 ولا تلتفت الى تهديدكم فان توكلنا على الله واعتمادنا على فضل الله فان الروح متى كانت
 مشرقة بالمعارف الالهية مشرقة باضواء علم الغيب قلنا تالي بالاحوال الجسمانية وقلنا تقيم
 لها وزنا في حالتها السرا والضرأ فلها ذوق كذا على الله ودعوا على فضله وقطعوا أطماعهم
 عن سواه وعموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به أنفسهم قصد أوليا ألا ترى الى
 قولهم (وما لنا أن نتوكل على الله) أي أي عذر لنا في أن لا نتوكل عليه (وقد هدا ناسلنا) أي
 وقد عزتنا طريق النجاة وبين لنا الرشدا فان من فاز بنهر العبودية ووصل الى مقام الاخلاص
 والمكاشفة يقيم عليه أن يرجع في أمر من الامور الى غير الحق وفي هذه الآية دلالة على أنه تعالى
 يعصم أوليائه والمخلصين في عبوديته عن كيد أعدائهم ومكرهم وقرأ أبو عمر وبسكون الباء
 والباقون بالرفع وكذلك رسلهم سكن أبو عمر والسين ورفعها الباقيون ثم قالوا (وانصبرن على
 ما آذيتونا) فان الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات والحق لا بد وأن يصبر غلبا قاهرا وبالباطل
 لا بد وأن يصبر مغلوبا متهورا ثم قالوا (وعلى الله فليستوكل المتوكلون) فان قيل أي فرق بين
 المتوكلين (أجيب) بأن الاول لاستحداث التوكل والثاني طلب دوامه أي فليثبت المتوكلون
 على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم * ولما حكى الله تعالى عن الانبياء عليهم السلام
 انهم استكنفوا في دفع شر وأعدائهم بالتوكل عليه والاعتماد على حفظه وحياته حكى عن
 الكفار أنهم بالغوا في السفاهة بقوله تعالى (وقال الذين كفروا رسلهم مستهينون لمن قصروا
 النجاءهم عليه (لنصر جنكم من ارضنا) أي التي لنا الآن الغلبة عليها) (ولتعودن في ملتنا) أي
 حلفوا يكونن أحد الامرين اما اخراجكم أي الرسل واما عودكم الى ملتنا أي ديننا (فان قيل)
 قد يفهم هذا بظاهره أنهم كانوا على ملتهم قبل ذلك (أجيب) بأن العود هنا بمعنى الصيرورة وهو
 كنعري كلام العرب كثره فاشية لا تكاد تسمعهم يستعدون صار ولكن عادي يقولون ما عدت
 أراه عاد لا يكلمني ما عاد لقلان مال وقد أجمعت الامة على ان الرسل من أول الامر انما نشؤوا
 على التوحيد لا يعرفون غيره ويجوز أن يكون الخطاب لكل رسول ولين آمن معه فقلبوا الجماعات
 على الواخذ وقيل ألتعودن في ملتنا أي الى ما كنتم عليه قبل ادعاء الرسالة من السكوت عند
 ذكره ما به وعدم التعرض له بالظن والقبح * ولما ذكر الكفار هذا الكلام قال تعالى (فأوحى
 اليهم) أي الوسل (رجهم) وقوله تعالى (لنهلكن الظالمين) أي الكافرين حكاية تقتضي اضمحار

القول أو أجرى الإحياء مجرى القول لانه ضرب منه (ولتكن لكم الارض) أي أرضهم
(من بعدهم) أي بعدهم لا كهم وتطيره قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربهم وقوله تعالى وأورثكم أرضهم وديارهم قال الزمخشري وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من آذى جاره ورثه الله داره قال ولقد عايت هذا في مدة قريية كان لي خال بظله عظيم
القرية التي أنا فيها ويؤذي في فئات ذلك العظيم وما كنى الله ضيعته فنظرت يوما إلى أبناء خالي
يترددون منها ويأمرون ويبنهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدنهم
به وسجدنا شكر الله تعالى (ذلك) أي النصر وإراث الارض (لمن خاف مقامى) أي موقفي وهو
موقف الحساب لأن ذلك الموقف موقف الله الذي يوقف فيه عباده يوم القيامة وتطيره وأما من
خاف مقام ربه وقوله تعالى وإن خاف مقام ربه جنتان وقيل ذلك لمن خاف مقامى أي خافى
فالمقام مقمهم مثل ما يقال سلام على المجلس العالى والمراد السلام على فلان (وخاف وعبد) قال
ابن عباس ما وعدت من العذاب وهذا يدل على أن الخوف من الله غير الخوف من وعده
لأن العطف يقتضى المغايرة وفي تفسير قوله تعالى (واستغفروا) قولان أحدهما ما طلب الفتح
أى واستنصر الله تعالى على أعدائهم وهو كقوله تعالى إن تستغفروا فقد جاءكم الفتح والثاني
الفتح الحكيم والقضاء أى واستصكمموا الله وسألوه القضاء بينهم وهو مأخوذ من الفتاحة وهى
الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فعلى القول الاول المستغفح هم الرسل
لأنهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب لما أبسوا من إيمانهم قال نوح رب لا تذر على
الارض من الكافرين ديارا وقال موسى ربنا اطمس على أموالهم وقال لوط انصرفنى على
القوم المفسدين وعلى القول الثانى قال الرازى فالاولى أن يكون المستغفح هم الامم وذلك أنهم
قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا ومنه قول كفار قريش اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فأمر طرعلينا بحجارة من السماء وكقول آخر إن اتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين
(وخاب) أى خسرو هلك (كل جبار) أى متكبر عن طاعة الله وقيل هو الذى لا يرى فوقه
أحد وقبل هو المتعظم فى نفسه المتكبر على إقرانه واختلفوا فى قوله تعالى (عند) فقال مجاهد
معاند للحق ومجانبه وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر وقال قتادة
هو الذى يأبى أن يقول لا اله الا الله وقيل هو المحب بما عنده ولما حكم تعالى على الكافر بالخسبة
ووصفه بكونه جبارا عند اوصف كيفية عذابه بأمر الاول قوله تعالى (من ورثه) أى
امامه (جهنم) أى هو صائر اليها قال أبو عبيدة هو من الاضداد وقال الشاعر

عسى الكرب الذى أمسى فيه * يكون وراءه فرج قريب

ويقال أيضا الموت وراء كل أحد وقال تعالى وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا أى
امامهم وقال نعلب هو اسم للماوراء عنك سواء كان خلقا أم قدما فبصح اطلاق لفظ الورا
على خالف وقد ام وقال ابن الانبارى وراء بمعنى بعد قال الشاعر * وليس وراء الله الخلق مهرب
ومعنى الآية على هذا ان الكافر بعد الخسبة يدخل جهنم الامر الثانى ما ذكره تعالى بقوله

(ويسقى) أى فى جهنم (من ماء صديد) وهو ما يسيل من جوف أهل النار محتلطاً بالقيح والدم
 جعل ذلك شراب أهل النار وقال محمد بن كعب هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر
 (فإن قيل) علام عطف ويسقى (أجيب) بأنه عطف على محذوف تقديره من ورثه جهنم
 بلى فيها ما بلى ويسقى من ماء صديد (يتجزعه) أى يتكلف أن يشربه مرة بعد مرة لمرارة
 وحرارته ونقته (ولا يكاد يشبعه) أى ولا يقدر على ابتلاعه قال الزمخشري دخل كاد للمبالغة
 يعنى ولا يقارب أن يشبعه فكيف تكون الاساعة كقوله تعالى لم يكديراها أى لم يقرب من
 رؤيتها فكيف يراها (فإن قيل) كيف الجمع على هذا الوجه بين تجزعه ولا يكاد يشبعه
 (أجيب) بجوابين أحدهما أن المعنى ولا يشبعه جميعه كأنه يتجزع البعض وما أساغ الجميع
 والثانى أن الدليل الذى ذكر انما دل على وصول ذلك الشراب الى جوف ذلك الكافر لأن ذلك
 ليس باساعة لأن الاساعة فى اللغة اجراء الشراب فى الحلق واستطابة المشروب والكافر يتجزع
 ذلك الشراب على كراهية ولا يشبعه أى لا يستطيبه ولا يشربه شراباً مرة واحدة وعلى هذين
 الوجهين يصح حمل لا يكاد على نفي المقاربة الامر الثالث ما ذكره تعالى بقوله تعالى (ويأتينه
 الموت) أى أسبابه المقضية له من أنواع العذاب (من كل مكان) أى من سائر الجهات وقيل من
 كل مكان من جسده حتى من أصول شعره وابهام رجله (وما هو بميت) فيستريح وقال ابن
 جرير متعلق نفسه عند حنجرتة فلا يخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكان من جوفه فتسفعه
 الحياة الامر الرابع ما ذكره تعالى بقوله تعالى (ومن ورثه) أى ومن بين يديه بعد ذلك العذاب
 (عذاب غليظ) أى شديد كل وقت يستقبله أشد مما قبله وقيل هو الخلود فى النار وقيل هو قطع
 الانفاس وحبسها فى الاجساد * وما ذكره تعالى أنواع عذابهم بين بعده ان سائر أعمالهم نصير
 ماطلة ضائعة وذلك هو الخسران الشديد بقوله تعالى (مثل) أى صفة (الذين كفروا بربههم
 أعمالهم) أى الصالحة كصدقة وصلة ورحم وفك أسير واقراء ضيف وبر والذى عدم الانتفاع
 بها (كماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف) أى شديد هبوب الريح فجعلته هباء منثوراً لا يقدر
 عليه كما قال تعالى (لا يقدرون) أى الكفار يوم الجزاء (عما كسبوا) أى عملوا فى الدنيا (على
 شئ) أى لا يجدون لهم ثواباً لفقده شرطه وهو الايمان وقرأ نافع الرياح بالجمع والباقون بالافراد
 (ذلك) إشارة الى ضلالهم مع حسابهم أنهم محسنون (هو الضلال البعيد) أى الخسران
 الكبير لأن أعمالهم ضلت وهلك فلا يرجع عودها * (تنبيه) * فى ارتفاع قوله تعالى مثل
 أوجه أحدها وهو مذهب سيئويه أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره فيما يتلى عليكم مثل الذين
 كفروا وتكون الجملة من قوله تعالى أعمالهم كرماد مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول
 كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد والثانى وهو مذهب القراء التقدير مثل أعمال الذين كفروا
 برهم كرماد فحذف المضاف اعتماداً على ذكره بعد المضاف اليه وهو قوله تعالى أعمالهم ومثله
 قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة المعنى ترى وجوه الذين
 كذبوا على الله مسودة الثالث أن يكون التقدير صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد كقوله صفة

زيد غرضه مصون وماله مبذول الرابع أن تكون أعمالهم بدلامن قوله مثل الذين كفروا
 والتقدير مثل أعمالهم وقوله تعالى كرماد هو الخبر وقيل غير ذلك وقوله تعالى (المر) أى تنظر
 خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمة وقيل لكل واحد من الكفرة على الالفاظ
 (أن الله خلق السموات) على عظمتها وارتفاعها (والارض) على تباعد أقطارها واتساعها
 وقوله تعالى (بالخلق) أى بالحكمة والوجه الذى يحق أن تخلق عليه متعلق بخلق وقر أحزة
 والكسائى بأف بعد الخلاء وكسر اللام ورفع القاف وخفض الارض والباقون بغير ألف بعد
 الخلاء وفتح اللام والقاف ونصب الارض (ان يشأ يذهبكم) أيها الناس (وبأت) بدلكم (بخلق
 جديد) أطوع منكم رتب ذلك على كونه خالق السموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق
 أصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم قدر أن يبدلهم بخلق آخر ولم يتنع عليه كما قال تعالى (وما
 ذلك على الله بعزيز) أى عسى فانه تعالى قادر بذاته ولا اختصاص له بتعدد وردون مقدور
 ومن هذا شأنه كان حقيقا أن يؤمن به ويعبد ربه فوابه وخوف من عقابه يوم الجزاء * ولما ذكر
 تعالى أصناف عذاب هؤلاء الكفار وذكر عقوبته أن أعمالهم تصير محبطة باطله ذكر كيفية
 مجازاتهم عند تمسك اتباعهم بهم وكيفية اقتضاهم عندهم بقوله تعالى (وبرزوا) أى
 الخلاق من قبورهم (لنجمعها) والتعبير فيه وفيما يأتى بالماضى وان كان معناه الاستقبال
 التحقق وقوعه لأن كل ما أخبر الله تعالى عنه فهو حق وصدق وكان لا محالة فصار كأنه قد
 حصل ودخل فى الوجود وتظهر ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار * (تنبيه) * البروز فى اللغة
 الظهور بعد الاستتار وخرق حق الله تعالى محال فلا بد من تأويله وهو من وجهين الاول أنهم
 كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله تعالى فإذا
 كان يوم القيامة انكشفوا لله عن أنفسهم وعلوا أن الله تعالى لا تخفى عليه خافية الثانى أنهم
 خرجوا من قبورهم فبرزوا والحساب الله تعالى وحكمه * ثم حكى الله تعالى عنهم أن الضعفاء
 يقولون للرؤساء هل تقدر أن تدفع عذاب الله تعالى عنا بقوله تعالى (فقال الضعفاء) أى
 الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعفاء الرأى (الذين استكبروا) أى المتبوعين الذين طلبوا الكبر
 وأذعوه فاستغفروهم به حتى تكبروا على الرسل وقوله تعالى (أنا كآلكم تبعاً) يصح أن يكون
 مصدرانعت به للمبالغة أو على اضمار مضاف وأن يكون جمع تابع أى تابعين لكم فى تكذيب
 الرسل فكنتم سبب ضلالتنا وقد جرت عادة الاكابر بالدفع عن أتباعهم المساعدين لهم على
 أباطيلهم (فهل أنتم) أى فى هذا اليوم (مغنون) أى دافعون (عننا من عذاب الله) أى من
 انتقامه (من شئ) فان قيل فما الفرق بين من فى عذاب الله وبين من فى شئ (أجيب) بأن الاولى
 للشيئين والناية للتبعيض كأنه قيل هل أنتم مغنون عننا بعض الشئ الذى هو من بعض عذاب
 الله ويجوز أن يكونا للتبعيض معا معنى هل أنتم مغنون عننا بعض شئ هو بعض عذاب الله وعند
 هـ هذا حكى الله تعالى عن الذين استكبروا أنهم قالوا (لو هذا الله) أى الذى له صفات الكمال
 (الهدى بناكم) أى لو أرشدنا الله تعالى لارشدناكم ودعوناكم الى الهدى ولكنه لم يهدنا فاضلنا

وكنتم لتسبعاً فاضلناكم ولما كان الموعوب لقولهم هذا الجزع قالوا (سواء علينا) أي نحن
وأنتم (أجر عنا أم صبرنا) أي مستوعبنا الجزع والصبر والجزع بلغ من الحزن لانه يصرف
الإنسان عما هو يصدده ويقطعه عنه (مألنا من محيص) أي منحي ومهرب عما نحن فيه
من العقاب * (تنبيه) * يحتمل أن يكون هذا من كلام المتبوعين وأن يكون كلام القريرين
ويؤيد الثاني ما روي أنهم يقولون في النار عاوا الجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم
الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر فعند ذلك يقولون
ذلك وقال محمد بن كعب القرظي بلغني أن أهل النار استعاوا بالجزع كما قال الله تعالى
وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوم من العذاب فردت الخزنة عليهم
أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى فردت الخزنة عليهم ادعوا وما دعاء الكافرين
إلا في ضلال فلما يتسوما عند الخزنة نادوا يامالك ليقتض علينا ربك سألو الموت فلا يجيبهم
ثمانين سنة والسنة ثمانمائة وستون يوماً واليوم كالف سنة مما تعدون ثم يجيبهم بقوله أنكم
ما كنون فلما يسوا عما عنده قال بعضهم لبعض ذلك ولما ذكر تعالى المناظرة التي وقعت
بين الرؤساء والاتباع من كفرة الانس أردفها بالمناظرة التي وقعت بين الشيطان وبين
اتباعه بقوله تعالى (وقال الشيطان) الذي هو أول المتبوعين في الضلال ورأس المضلين
والمتكبرين (لما قضى الأمر) أي أحكم وفرغ منه وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار
النار أخذ أهل النار في لوم إبليس وتقريره وتوبيخه فيقوم فيهم خطيباً قال مقاتل يوضع له
منبر من نار فيجتمع أهل النار إليه يلومونه فيقول لهم ما أخبر الله تعالى بقوله (إن الله
وعدهم وعد الحق) أي بالبعث والجزاء على الأعمال فصدقكم (ووعدهم) أن
لاجنة ولا نار ولا حشر ولا حساب (فأخلفتمكم) أي الوعد فلم أقل شيئاً إلا كان زيفاً
فانبعثوني مع كوفي وعدوكم وتركتكم ربكم وهو وليكم * (تنبيه) * في الآية اضمحار من
وجهين الأول أن التقدير إن الله وعدكم وعد الحق فصدقكم كما تقدم تقريره ووعدهم
فأخلفتمكم وحذف ذلك لدلالة تلك الحالة على صدق ذلك الوعد لأنهم كانوا يشاهدونها وليس
وراء العيان شيء ولانه ذكر في وعد الشيطان الاخلاف فدل ذلك على الصدق في وعد الله
تعالى الثاني أن قوله ووعدهم فصدقكم فأخلفتمكم الوعد يقتضي فعولاً ناسياً وحذف هذا للعلم به
والتقدير ووعدهم فصدقكم فأخلفتمكم الوعد يقتضي فعولاً ناسياً وحذف هذا للعلم به
اغترارهم بزيادة في تدعيمهم فقال (وما كان لي عليكم من سلطان) أي سلطان من حزمه أي
قوة وقدرة أقرهم على الكفر والمعاصي وأجلسكم على منابقي وقوله (الآن أدعوتكم) استثناء
منقطع قال النحويون لأن الدعاء ليس من جنس السلطان فعناه لكن دعوتكم (فاستجبتم لي)
هكمين الشهوات لأن النفس تدعو إلى هذه الأحوال الدنيوية ولا يتصور كيفية العبادات
الأخرية والكلمات النفسانية والله يدعوا إليها ويرغب فيها كما قال والآخر خير وأبني قال
الرازي وعندى أنه يمكن أن يقال كلمة الإله هنا استثناء حقيقي لأن قدرة الإنسان على حل الغير

على عمل من الاعمال تارة تكون بالقهر والقسر وتارة يكون بتقوية الداعية في قلبه بالقاء
 الوساوس اليه فهذا نوع من أنواع التسليط اه ثم قال لهم (فلاتلوموني) أي لانه ما كان مني
 الا الدعا والقاء الوسوسة (ولوموا أنفسكم) لانكم سمعتم دلائل الله تعالى وجاءتكم الرسل
 فكان من الواجب عليكم أن لاتلقنوا إلى ولا تسمعوا قولي فلما رجعت قولي على الدلائل الظاهرة
 كان اللوم بكم أولى باجابتكم ومتابعي من غير حجة ولا دليل (فان قيل) لم قال الشيطان فلان لوموني
 وهو لوم بسبب اقامه على تلك الحالة والوسوسة الباطلة (أجيب) بأنه أراد لاتلوموني
 على فعلكم ولوموا أنفسكم عليه لانكم عدلتم عما توجه من هداية الله تعالى لكم * ثم قال
 تعالى حكاية عن الشيطان انه قال (ما أتاكم مني حتى تغيثني فما يجني منه وقراً ماعدا حرة بفتح الحاء
 مع التشديد وقراً حرة بكسر الحاء مع التشديد على الاصل في التقاء الساكنين لان ياء الاعراب
 ساكنة وياء المتكلم اصلها السكون فلما التقيا كسرت لالتقاء الساكنين قال البضاوي
 وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع حركة ياء الاضافة اه
 فقوله اصل مرفوض أي متروك عند النحاة والافهوقراءة متواترة عند القراء فيجب المصير اليها
 لانها وردت من رب العالمين على لسان سيد المرسلين وقول القراء واعلمها من وهم القراء فانه
 قل من سلم منهم من الوهم ممنوع فقد قال أبو حنيفة هي قراءة متواترة نقلها السلف واقتنى
 آثارهم فيها الخلف فلا يجوز أن يقال فيها انها خطأ أو مبيعة أو رديشة وقد نقل جماعة من أهل
 اللغة انها لغة لكن قل استعملها ونصر قطرب على أنها لغة في بني يربوع ونصر على أنها
 صواب أبو عمرو بن العلاء سئل عنها والقاسم بن معن من رؤساء الكوفيين قال الله تعالى
 حكاية عن الشيطان انه قال (اني كفرت بما أشركتوني من قبل) أي كفرت اليوم بإشراككم
 إياي من قبل هذا اليوم أي في الدنيا كقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى
 كفروهم بإشراكهم إياه تبرؤ منه واستنكاره كقوله تعالى انابرأ منكم وبما تعبدون من
 دون الله كفروا بكم روى البغوي بسنده عن عقبة بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم في حديث الشفاعة يقول عيسى ذلك النبي الاتمي فيأتوني فيأذن الله لي أن أقوم فيثور
 مجلسي من أطيب ريح شهها أحد حتى أتى ربي فيشفعني ويجعل في ثورامن شهر رأسي الى
 ظفر قدمي ثم يقول الكفار قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فينشفع لنا فيقولون ما هو غير
 الشيطان هو الذي أضلنا فيأتونه فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم قم أنت فاشفع لنا
 فانك أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه أثنى ريح شهها أحد ثم يعظم لهمهم ويقول عند ذلك
 ان الله وعدكم وعد الحق الآية قال في الكشف وقوله (ان الظالمين) أي الكافرين (لهم
 عذاب أليم) أي مؤلم من كلام الله تعالى ويحتمل أن يكون من جملة قول ابليس وانما حكى
 الله تعالى ما سبق له في ذلك الوقت ليكون لطفًا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد
 لما لا بد لهم من الوصول اليه وأن يتصوروا في أنفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان

ما يقول فيخافوا ويعلموا ما يحمله لهم منه وينجيهم * ولما بالغ سبحانه وتعالى في شرح حال الاشقياء
 من الوجوه الكثيرة شرح أحوال السعداء وما أعد لهم من الثواب العظيم والاجر الجزيل
 وذلك أن الثواب منفعة خاصة دائمة مقرونة بالتعظيم فالمنفعة الخاصة اليها الاشارة بقوله تعالى
 (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار) وكونهم اداة أشير اليها
 بقوله تعالى (خالدين فيها) وهو حال مقدرة والتعظيم حصل لهم من وجهين أحدهما قوله تعالى
 (بإذن ربهم) لأن تلك المنافع انما كانت تفضل لهم من الله تعالى وانعاما والثاني قوله تعالى
 (تحتهم فيها سلام) لأن بعضهم يحيى بعضا بهذه الكلمة والملائكة يحبونهم بها كما قال تعالى
 والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والرب يحبيهم أيضا بهذه التحية كما قال تعالى
 سلام قولاً من ربهم ويحتل أن يكون المراد انهم لما دخلوا الجنة سلوا من جميع آفات
 الدنيا وحسراتها وفنون آلامها واستقامها وأنواع همومها وغمومها لأن السلام مشتق من
 السلامة * ولما شرح سبحانه وتعالى أحوال الاشقياء وأحوال السعداء ذكر مثاليين الحال
 في حكم هذين القسمين بقوله تعالى (آل عمران) أي تنظر والخطاب يحتمل أن يكون للنبي صلى الله
 عليه وسلم ويدخل معه غيره وأن يكون لكل فرد من الناس أي ألم ترأيها الانسان (كيف
 ضرب الله) أي المحيط بكل شئ علما وقدره (مثلا) سيرة بحيث يعم نفعه والمثل قول سائر
 يشبه فيه حال الثاني بالاول ثم ينبه بقوله تعالى (كلمة طيبة) قال ابن عباس وأكثر المفسرين
 هي لا اله الا الله (كشجرة طيبة) قال ابن مسعود وأنس هي النخلة وعن ابن عباس هي شجرة
 في الجنة وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله تعالى ضرب مثل
 المؤمن شجرة فاخبروني ما هي قال عبد الله فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صيبا فوقع
 في قلبي أنها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقولها وأنصغر القوم وروى فنفعتني
 مكان عمر فاستحييت فقال له عرياني لو كنت قلتم الكائنات أحب الي من جراتهم ثم قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انها النخلة قبل الحكمة في تشبيه الانسان بالنخلة من بين سائر
 الاشجار أن النخلة أشبه به من حيث انها اذا قطع رأسها يبست وسائر الاشجار يتشعب من
 جوانبها بعد قطع رأسها وأنها تشبه الانسان بحيث انها لا تحمل الا بالقحاح لانها خلقت من
 فضلة طيبة آدم عليه السلام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أكرموا عمتكم قبل ومن عمتنا قال
 النخلة (أصلها ثابت) أي في الارض (وفرعها) أي غصنها (في السماء) أي في جهة العلو
 والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء تريد ارتفاعه وشموخه (تؤتي) أي
 تعطي (أكلها) أي فرعها (كل حين بإذن ربها) أي بارادته والحين في اللغة الوقت يطلق
 على القليل والكثير واختلفوا في مقدار هذا فقال مجاهد الحين هنا سنة كاملة لأن النخلة
 تنمر في كل سنة مرة وقال قتادة ستة أشهر يعني من حين طلوعها الى وقت صرامها وقال الربيع
 كل حين يعني كل غدوة وعشية لأن عمر النخل يؤكل ليلانها وأوصفا وشواتم فكل منها
 الجمار والطلع والبلع والخلال والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس الى

حين الطرى الرطب فأكلها دأتم في كل وقت قال العلماء ووجه الحكمة في غنبل كلمة
 الاخلاص بالشجرة لان الايمان ثابت في قلب المؤمن كشوت أصل هذه الشجرة في الارض
 وعمله يصعد الى السماء كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فكذلك
 فرع هذه عال في السماء وتنال بركتها وثوابها ونفعها ولان الشجرة لا تكون شجرة الانبلاثة أشباه
 عرق راسخ وأصل قائم وفرع عال كذلك الايمان لا يتم الانبلاثة أشباه تصديق القلب وقول
 اللسان وعمل بالايديان ثم نبه تعالى على عظم هذا المنزل ليقبل على تدبره ليعلم المراد منه فيلزم
 فقال (ويضرب الله) أي الذي له الاحاطة الكاملة (الامثال للناس لعلهم يتذكرون) أي
 يتعظون فان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني العقلية فيحصل الفهم
 التام والوصول الى المطلوب * ولما ذكر مثل حال السعداء اتبعه بمثل حال الاعداء فقال (ومثل
 كلمة خبيثة) هي كلمة الكفر (كشجرة خبيثة) هي الخنظل وقيل النوم وقيل الكشوت
 بمثلثة في آخره قال الجوهري ثبت تعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الارض قال
 الشاعر هي الكشوت لأصل ولا ورق * ولا نسيم ولا ظل ولا نمر

وقيل شجرة الشوك (أجنت) أي استوصلت (من فوق الارض) أي عروقها قريبة
 منه (طالها من قرار) أي أصل ولا عرق فكذلك الكفر بالله تعالى ليس له حجة ولا نبات
 ولا قوة وعن عبادة انه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما أعلم لها في الارض
 مستقرا ولا في السماء مصعد الا أن تلزم عنق صاحبها - أي يوافي به يوم القيامة * ولما وصف
 الله سبحانه وتعالى الحكمة الطيبة في الآية المتقدمة أخبر بقوله تعالى (ثبت الله الذين آمنوا
 بالقول الثابت) أنه تعالى ثبتهم بها (في الحياة الدنيا) أي في القبر وقيل قبل الموت
 (وفي الآخرة) أي يوم القيامة عند البعث والحساب وقيل في القبر على القول الثاني * ولما
 وصف الكلمة الخبيثة في الآية المتقدمة أخبر بقوله تعالى (ويضل الله الظالمين) أي الكفار
 أنه تعالى لا يهديهم للجواب الصواب (ويضل الله ما يشاء) أي ان شاء هدى وان شاء أضل -
 لا اعتراض عليه روى عن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اذا سئل
 في القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله تعالى ثبت الله الذين آمنوا
 بالقول الثابت وروى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في القبر
 وتولى عنه أصحابه يسمع قرع نعالهم أناءه لمكان فقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا
 الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى
 مقعدك من النار قد أبدلك الله بمقعد من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فبما فرأها
 جميعا قال قتادة ذكر لنا أنه يسمع له في قبره ثم رجع الى حديث أنس قال وأما المنافق أو الكافر
 فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيه فيقال
 ما صرت ولا تلبت ثم يضرب بعطرقه من حديد ضربة بين أذنيه فيصبح صيحة يسمعها من يليه غير

الثقلين وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال شهدنا جنازة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
 فرغنا من دفنها وانصرف الناس قال انه الآن يسمع خفق نعالكم أتاه منكر ونكبر أعينهما
 مثل قدور النحاس وأنيابهما مثل صياصي البقر وأصواتهما مثل الرعد فيجلسانه فيسأله
 ما كان يعبدون من نبيه فان كان يعبد الله تعالى قال كنت أعبد الله ونبي محمد صلى الله
 عليه وسلم جاءنا بالبينات والهدى فآمننا به واتبعناه فذلك قوله تعالى ينبت الله الذين آمنوا
 بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة فيقال له على اليقين حيت وعليه مت وعليه تبعث
 ثم يفتح له باب الى الجنة ويوسع له في حفرة وان كان من أهل الشك قال لا أدري سمعت الناس
 يقولون شيئا فقلت به فيقال له على الشك حيت وعليه مت وعليه تبعث ثم يفتح له باب الى النار
 ويسلط عليه عقارب وتنانين لوتفخ أحدهم في الدنيا ما أثبت شيئا فتنشه وتوهم الارض فتسظم
 عليه حتى تختلف أضلاعه فذأل الله الثبات لنا ولوالدنا ولا حجابنا في الدنيا والآخرة انه كريم
 جواد ثم ثمة تعالى عاد الى وصف الكافرين فقال (المر) أي تنظر وفي الخطاب ما تقدم (الى
 الذين بدلو) والتبديل جعل الشيء مكان غيره (نعمة الله) أي التي أسبغها عليهم من كلمة
 التوحيد ومن جميع النعم الدينية وتيسر الرزق وغير ذلك بأن جعلوا مكان شكرها (كفرا)
 وهم يدعون أنهم أشكروا الناس للاحسان وأعلاهم هم في الوفاء وأبعدهم عن الجفاء (وأحلوا)
 أي أنزلوا (قومهم) أي الذين تابعوهم في الكفر باضلالهم اياهم (دار البوار) أي الهلاك
 مع ادعائهم أنهم أذب الناس عن الجوارض الا عن الأهل روى البخاري في التفسير أنهم كفار
 أهل مكة وقوله تعالى (جهنم) عطف بيان (بصلواتنا) أي بدخلونا (وبئس القرار) أي المقر
 (وجعلوا لله) أي الذين يعلمون انه لا شريك له في خلقهم ولا رزقهم لان له الكمال كله (أندادا)
 أي شركاء. وقوله تعالى (ليضلوا عن سبيله) أي دين الاسلام فيه قرآن كثير وأبو عمرو
 بفتح اليا من ضل يضل والباقون بضم اليا من أضل يضل وليس الضلال ولا الاضلال
 غرضهم في اتخاذ الأنداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض * ولما حكى الله تعالى عنهم هذه
 الأنواع الثلاثة من الأعمال القبيحة قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) أي تهديد لهم فانهم
 لا يشكون في قولك وان عاندوا (تعتوا) بدنيا كم قليلا (فان مصيركم) أي مرجعكم (الى النار)
 في الآخرة ولما أمر الله تعالى الكافرين على سبيل التهديد والوعيد بالمتع بنعيم الدنيا أمر
 المؤمنين بترك المتع بالدنيا والمبالغة في المجاهدة بالنفس والمال بقوله تعالى (قل لعبادي)
 فوصفهم بأشرف أوصافهم وأضافهم الى ضميره الشريف تحبيبا لهم فيه ثم اتبع هذا الوصف
 ما يناسبه من اذعانهم لسيدهم بقوله تعالى (الذين آمنوا) أي أوجدوا وهذا الوصف
 (يقوموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم) فيه وجهان أحدهما يصح أن يكون جوابا لأمير محمد و
 تقديره قل لعبادي الذين آمنوا أقوموا الصلاة وأنفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا والثاني يصح
 أن يكون هو أمر الحق ولا محذور فامنه اللام أي اقيموا ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك
 جهنا ولم يحسن في قوله

محمد فقد نفست كل نفس * اذا ما خفت من شيء تبالا

أى تبالي به أى تكثرت به لدلالة قل عليه (سرا وعلانية) أى يتقون أموالهم في حال السر والعلانية وقيل المراد بالسرا صدقة التطوع وبالعلانية اخراج الزكاة الواجبة * (تنبيه) * في انصاب سر أو علانية وجوه أحدها أن يكون على الحال أى ذوى سر وعلانية بمعنى مسرتين ومعلنين والثاني على الظرف أى وقت سر وعلانية وثالثها على المصدر أى اتفاق سر واتفاق علانية * ولما أمرهم الله تعالى بأقامة الصلاة والاتفاق أشار إلى عدم التهاون بذلك بقوله عز وجل (من قبل أن ياتي يوم) أى عظيم جدا ليس كشيء من الأيام التي تعرفونها (لا يبع فيه) أى فيشتري المقتصر ما يتدبره قصيره أو يقضى به نفسه (ولا خلل) أى مخاللة أى صداقة تتفجع في ذلك اليوم قال مقاتل انما هو يوم لا يبع فيه ولا شرا ولا بخلا ولا قرابة فكانه تعالى يقول أنفقوا أموالكم في الدنيا حتى تجددوا ثواب ذلك الاتفاق في مثل هذا اليوم الذي لا يحصل فيه مباحة ولا مخاللة ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة البقرة لا يبع فيه ولا خلة ولا شفاعة (فان قيل) كيف نفي الله تعالى المخاللة في هاتين الآيتين مع انه تعالى أثبت في قوله تعالى الاخلا بومئذ بعضهم لبعض عدوا للمتقين (أجيب) بأن الآية الدالة على نفي المخاللة محمولة على نفي المخاللة بسبب ميل الطبع ورغبة النفس والآية الدالة على حصول المخاللة محمولة على حصول المخاللة الحاصلة بسبب عبودية الله تعالى ومحبة الله تعالى * ولما طال الكلام في وصف أحوال السعداء وأحوال الأشقياء وكانت العمدة العظمى والميزة الكبرى في حصول السعادات معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وفي حصول الشقاوة فقد ان ذلك ختم تعالى أحوال الفريقين بقوله تعالى (الله) أى الملك الاعلى المحيط بكل شيء ثم اتبعه بالدلائل الدالة على وجوده وكمال علمه وقدرته وذكرنا عشرة أنواع من الدلائل أولها قوله تعالى (الذي خلق السموات) وثانيها قوله تعالى (والارض) وهما أكبر خلقا منكم وأعظم شأنا وثالثها قوله تعالى (وأزّل من السماء ماء) فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس * (تنبيه) * الله مبتدا وخبره الذي خلق ورزقا مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويصح أن يكون المراد بالسماء هنا السحاب اشتقاقا من السمو والارتفاع وأن يكون الجرم المعهود فينزل من السماء إلى السحاب ومن السحاب إلى الارض وقد ذكرت ذلك في سورة البقرة وفي غيرها ورابعها قوله تعالى (ونحّر لكم الفلك) أى السفن (لتجري في البحر) أى بالركوب والجل (بأمره) أى بمشيئته وأرادته وخامسها قوله تعالى (ونحّر لكم الأنهار) أى ذللها لكم لتجرونها حيث شئتم لأن ماء البحر لا يتفجع به في سفن الزرع والثمرات ولا في الشراب فكان ذلك نعمة من الله تعالى وسادسها وسابعها قوله تعالى (ونحّر لكم الشمس والقمر) حال كونهما (دائبين) أى جارين في فلكهما لا يفتران في سيرهما وانارتها وتأثيرهما في انارة الظلمة واصلاح النبات والحیوان الى آخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها والشمس سلطانها النهار وبها تعرف فصول السنة وهى أفضل من القمر لكثرة نفعها والقمر سلطانة الليل وبه يعرف انقضاء

الشهور وكل ذلك بتسخير الله تعالى وانعامه وثامنها وناسعها قوله تعالى (وتضرلكنم
 الليل والنهار) يتعاقبان فيكم بالضياء والظلمة والزيادة والنقصان وذلك من نعم الله تعالى على
 عباده حيث جعل لهم الليل ليسكنوا فيه والنهار ليتغذوا فيه من فضله وعاشرها قوله تعالى
 (وأنا كم من كل ما سألتموه) أي ما أنتم محتاجون اليه على حسب مصالحكم فأنتم سألتموه
 بالقوة * ولما ذكر سبحانه وتعالى بعض ما أنعم به على عباده بين أن العبد عاجز عن حصرها
 وعدّها بقوله تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) أي لا تحيطوا بها ولا تطبقوا عدّها
 وبلوغ آخرها هذا إذا أرادوا أن يعدّوها على الاجمال واما على التفصيل فلا يقدر عليه
 ولا يعلم الا الله تعالى (ان الانسان) أي الكافر وقال ابن عباس يريد بأجهل (الظلم)
 أي كثير الظلم لنفسه (كفار) أي كفور لنعم ربه وقيل ظلم في الشدة يشكو ويجزع كفار
 في النعمة يجمع وينزع (فان قيل) لم قال تعالى هنا ان الانسان اظلم كفار وفي الفصل ان الله
 لغفور رحيم (أجيب) بأنه تعالى يقول للعبد اذا حصلت لك النعم الكثيرة فأنت الذي أخذتها
 وأنا الذي أعطيتها فحصل لك عند أخذها وصفان وهما كونك ظالوما كفارا ولي وصفان عند
 اعطائها وهما كونك غفورا رحيم والمقصود كانه يقول ان كنت ظالوما فانا غفور وان كنت
 كفارا فانا رحيم أعلم بعجزك وقصيرك فلا أقابل قصيرك الا بالتوقير ولا أجازي جوارك الا بالولفاء
 ونسأل الله حسن العاقبة والرحمة * ولما بين الله تعالى بالدلائل المتقدمة أن لامعبود الا الله
 سبحانه وتعالى وانه لا يتجوز عبادة غير الله البتة حكى عن ابراهيم عليه السلام مبالغة في انكاره
 عبادة الاوثان بقوله تعالى (واذ) أي واذا كرلهم مذكرا بأيام الله خبر ابراهيم اذ (قال ابراهيم
 رب) أي الحسن الى باجابة دعائي (اجعل هذا البلدا) أي مكة (أمنّا) أي ذا أمن وقد أجاب
 الله تعالى دعاءه فجعله حرما لا يفسق فيه دم انسان ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد فيه مبدؤه ولا يتحلى
 خلاله (فان قيل) أي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلدا آمنا
 (أجيب) بأن المسؤل في الاول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون وفي الثاني
 أن يزيل عنها الصفة التي كانت حاصله لها وهي الخوف ويجعل لها تلك الصفة وهي الامن كانه
 قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (فان قيل) كيف أجاب الله تعالى دعاءه مع ان جماعة من
 الجبابرة قد أغاروا عليهم وأخافوا أهلها (أجيب) بجوابين أحدهما ان ابراهيم عليه السلام
 لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء والمراد منه جعل مكة أمنة من الخراب وهذا موجود
 بحمد الله تعالى فلم يقدرا حد على اضرار مكة (فان قيل) رد على هذا ما ورد عنه صلى الله عليه
 وسلم أنه قال يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة (أجيب) بأن قوله تعالى اجعل هذا
 البلد يعني الى قرب يوم القيامة وخراب الدنيا فهو عام مخصوص بقصة ذي السويقتين فلا
 تعارض بين النصين والجواب الثاني أن المراد جعل أهلها آمنين كقوله تعالى واسأل القرية
 أي أهلها وهذا الجواب عليه أكثر المفسرين وعلى هذا فقد اختص أهل مكة بزيادة الامن في
 بلدهم كما أخبر الله تعالى بقوله ويخطف الناس من حولهم وأهل مكة آمنون من ذلك حتى ان

من التجأ إلى مكة أمن على نفسه وماله وحتى إن الوحوش إذا كانت خارجة الحرم استوحشت
وإذا كانت داخله الحرم استأنست لعلها أنه لا يهجمها أحد في الحرم وهذا القدر من الأمن
حاصل بحمد الله بمكة وسرهما (واجبني) أي بعدني (وبني أن) أي عن أن (نعبدا الاصنام)
أي اجعلنا في جانب غير جانب عبادتها (فان قيل) الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون
في الفائدة في قوله اجنبني عن عبادة الاصنام (أجيب) بأنه عليه الصلاة والسلام انما سأل
ذلك هضم نفسه واظهارا للحاجة والفاقة إلى فضل الله في كل المطالب وفي ذلك دليل على أن
عصمة الانبياء بتوفيق الله تعالى وحفظه اياهم (فان قيل) كان كفار قريش من آبائهم مع انهم
كانوا يعبدون الاصنام فكيف أجيب دعاؤه (أجيب) بأن المراد من كان وجود حال الدعاء
ولا شبهة أن دعوته كانت بحجة فيهم وأن هذا الدعاء مخصوص بالمؤمنين من أولاده والدليل
عليه أنه قال عليه السلام في آخر الآية فمن تعني فانه مني وذلك يفيد أن من لم يتبعه على دينه
فانه ليس منه وتظهر قوله تعالى انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح والصنم المصنوع على خلقه
البشر وما كان مضموا على غير خلقه البشر فهو وثن فانه الطبري ولذا المسائل ابن عيينة كيف
عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد أحد من بني اسمعيل صنما واحتج بقوله تعالى واجنبني وبني
أن نعبدا الاصنام انما كانت انصاب الحجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فبئس ما صننا حجر افهو
بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر أي يطوفون به أسابع تشبيها بالكعبة ويسمونه الدوار
بضم الدال مشددة وقد تفتح قال الجوهرى دوار بالضم صنم وقد تفتح فاستحب أن يقال طاف
بالبيت ولا يقال دار بالبيت قال الرازي وهذا الجواب ليس بقوى لانه عليه السلام لا يجوز
أن يريد بهذا الدعاء الاعادة غير الله والحجر كانه في ذلك ثم حكى الله تعالى عن ابراهيم أنه قال
(رب انهن) أي الاصنام (أضلن كثيرا من الناس) بعبادتهم لها (تنبيه) * اتفق كل الفرق
على أن قوله أضلن مجاز لانهم اجادات والجلال لا يفعل شيئا البتة الا انه لما حصل عند عبادتها
أضيف اليها كما تقول فنفتهم الدنيا وغرتهم أي اقتدوا بها واغترابا بسببها ثم قال (فمن تعني)
أي على التوحيد (فانه مني) أي فانه جار مجرى بعضي افطر اختصاصه بي وقر به مني (ومن
عصاني) أي في غير الدين (فانك غفور رحيم) وهذا سر مح في طلب الرحمة والمغفرة لا لولا
العصاة ولذا ثبت حصول هذه الشفاعة في حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثبت حصولها في
حق محمد صلى الله عليه وسلم لانه مأثور بالافتداء كما قال تعالى واتبع له ابراهيم وقبل ان هذا
الدعاء كان قبل أن يعلم ابراهيم ان الله لا يغفر الشرك وقيل انك قادر ان تغفر له وترجه بأن تنقله
عن الكفر إلى الاسلام وقيل المراد من هذه المغفرة أن لا يعاجلهم بالعقاب فلا يعجلهم حتى
يتوبوا قال الرازي واعلم أن هذه الاوجه ضعيفة وارفضي ما تقرأ أولا * (تنبيه) * حكى الله
سبحانه وتعالى عن ابراهيم عليه السلام في هذا الموضع انه طلب من الله تعالى سبعة أمور
الاول طلب من الله تعالى نعمة الامان وهو رب اجعل هذا البلد آمنا المطالب الثاني أن يرفقه
بقوم يعاملون بالتوحيد ويصونه عن المشرك وهو قوله واجنبني وبني أن نعبدا الاصنام المطالب

الثالث قوله (ربنا انى اسكنت من ذريتى) أى بعض ذريتى أو ذرية من ذريتى لحذف المفعول على هذا القول وهم اسمعيل ومن ولده منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم (بواد) هو وادى مكة المشرفة لتكونه في فضاء منخفض بين جبال تجرى فيه السيول (غير ذى زرع) أى لا يكون فيه من الزرع قط فانه حجرى لا ينبت قوله تعالى قرأنا عريبا غدي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج (عند بيتك المحترم) أى الذى حرمت التعرض له والتماون به وجعلت ماحوله حرما لمكانه أولانه لم يزل منعاز رايها به كل جبار كالشئ المحترم الذى حقسه أن يجتنب أولانه محترم عظيم الحرمه لا يجل انتهاكه أولانه حرم على الطوفان أى منع منه كما سعى عتيقا لانه أعتق منه فلم يستول عليه أولانه أمر الصائرين اليه أن يحزموا على أنفسهم أمسياء كانت تحمل لهم من قبل أولانه حرم موضع البيت حين خلق السموات والارض وحفه ببسة املاك وهو مثل البيت المعمور الذى بناه آدم فرفع الى السماء السادسة وروى ان هاجر كانت أمة لسارة فوهبتها لابراهيم عليه السلام فولدت منه اسمعيل فقالت سارة كنت أريد أن يهب الله لى ولدا من خليله فنفغني به ورزقه خادمى وغارت عليهما وقالت لابراهيم بعد همامنى وناشدته بالله أن يخرجهم من عندنا فنقلهما الى مكة واسمعيل رضيع حتى وضعهما عند البيت عند دوحه فوق زمزم فى اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بهما ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرأافيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفل ابراهيم منطلقا فبعثته أم اسمعيل وقالت لابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه ائيس ولا شئ فقالت لذلك مراروا هو لا يلتفت اليها فقالت له الله أمر لى بهذا قال نعم قالت اذا لا يصنعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعاهم ولاد الدعوات وروى عنه وقال ربنا انى أسكنت من ذريتى حتى بلغ بثكرون وجعلت أم اسمعيل رضعه وتشرب من ذلك الماء حتى اذا تقدم ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يلتوى أو قال يلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الارض يليه اقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى من أحد فلم تر أحد ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسك ثم تسعت فسمعت أيضا فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث فادهاى بالملك عند موضع زمزم فبعث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول يدها هكذا وجعلت تفرق من الماء فى سقاها وهو يفر بعد ما تعرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم برحم الله أم اسمعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تفرق من الماء لكانت زمزم عيننا معنا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال الملك لا تخافوا الضيعة فان هبنات الله بينه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الارض كالراية يأتىه السيل فيأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كذا فترجلوا فى أسفل مكة فنظروا طائرا فقالوا ان هذا الطائر يلدور على الماء

لعهد ناهي الوادي وما فيه ماء فأرسلوا جرياً وجرين فاداهم بالماء فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا
 وأتم اسمعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك فقال نعم ولكن لاحق لكم في الماء
 قالوا نعم قال ابن عباس قالت ذلك أتم اسمعيل وهي تحب الانس فتزولوا وأرسلوا الى أهلهم
 فتزولوا معهم حتى اذا كان بهم أهل أبيات منهم قشب الغلام وتعلم العربية منهم والفهم وأعجبهم
 حتى شب فلما أدرك تزوجوه امرأة منهم وماتت أتم اسمعيل فنجى ابراهيم بعد ما تزوج اسمعيل
 وتقدم غلام هذه القصة في سورة البقرة ثم قال (رب ليقيموا الصلاة) الام لا مكي متعلقة
 بأسكت أي ما أسكنتهم بهذا الوادي المقفر الذي لا شيء فيه الا إقامة الصلاة عند بيتك المحترم
 ويعمر وبذلك وعبادك وماتعمر به مساجدك ومتعبداً لك متبركين بالبيعة التي شرفتها
 على البقاع مستعبدين بحجوارك الكريم متقربين اليك بالهـكوف عند بيتك والطواف به
 والر كوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك وتكرير النداء وتوسطه
 للاشعار بأنهم المقصود بالذات من أسلاكهم هـالك والمقصود من الدعاء توفيقهم لها (فاجعل
 أفئدة) أي قلوباً محترقة بالاشواق (من الناس) ومن للتبعيض والمعنى واجعل أفئدة بعض
 الناس (تهوى) أي تغيل (اليهم) ويدل عليه ما روى عن مجاهد لو قال أفئدة الناس لاحتكم
 عليه فارس والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير لو قال أفئدة الناس لاحت اليهود
 والنصارى واليهوس ولكنه قال أفئدة من الناس فهم المسلمون وقال ابن عباس لو دل أفئدة
 الناس لاحت اليه فارس والروم والناس كلهم * ولما دعاهم بالدين دعاهم بالرزق فقال
 (وارزقهم من الثمرات) ولم يقل وارزقهم الثمرات وذلك يدل على أن المطلوب بالدعاء ايصال
 بعض الثمرات اليهم ومحتمل أن يكون المراد ايصال بعض الثمرات اليهم ايصالها اليهم على سبيل
 التجارات كما قال تعالى تجبي اليه ثمرات كل شئ حتى توجد فيه الفواكه الصيفية والربيعية
 والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بحجب وأن يكون المراد عارة القرى بالقرب منها
 لتحصل تلك الثمار وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم أنه قال كانت الطائفت من أرض
 فلسطين فلما قال ابراهيم ذلك رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقاً للحرث (لعلهم يشكرون)
 يدل على أن المقصود للعالم من منافع الدنيا أن يتفرغ لاداء العبادات وإقامة الطاعات فان
 ابراهيم عليه السلام بين أنه انما طلب تيسير المنافع على أولاده لاجل أن يتفرغوا لإقامة
 الطاعات واداء الواجبات * ولما طلب عليه السلام من الله تعالى تيسير المنافع لأولاده
 وتسهيلها عليهم * ذكر أنه لا يعلم عواقب الاحوال ونهاية الامور في المستقبل فانه تعالى هو
 العالم بها والمحيط بأسرارها فقال (ربنا انك تعلم ما نخفي) أي نسر (وما نعلن) وهذا هو المطلوب
 الرابع والمعنى أنك أعلم بأحوالنا ومصلحتنا ومفاسدنا من قبل ما نخفي من الحزن المتكرر في القلب
 وحصول الفاقة بيني وبين اسمعيل وما نعلن من البكاء وقبل ما نخفي من الحزن المتكرر في القلب
 وما نعلن يريد ما جري بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من نكلنا قال الى الله
 أكلكم قالت الله أمرتكم بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا واختلف في قوله تعالى (وما يخفي على

الله من شئ في الارض ولا في السماء) مقبل من تته قول ابراهيم عليه السلام يعني وما يخفى على
الله الذي هو عالم الغيب من شئ في أي مكان والا كثرون على انه قول الله تعالى تصديقا
لابراهيم فيما قال كقوله تعالى وكذلك يفعلون ولقطة من تفهيد الاستغراق كأنه قيل وما يخفى
عليه شئ تأ ولما تم ابراهيم عليه السلام ما دعا به أتبعه الحمد على ما رزقه من النعم بقوله تعالى
(الحمد لله) أي المستجمع لصفات الكمال (الذي وهب لي) أي أعطاني (علي الكبير) أي وهب لي
وأنا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استغنا بالنعمة واظهار المافيه من المحبة
(اسماعيل واسحق) ومقدار ذلك السن غير معلوم من القرآن وانما يرجع فيه الى الروايات فقال
ابن عباس ولدا اسمعيل لابراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولده اسحق وهو ابن مائة واثنى
عشرة سنة (فان قيل) ان ابراهيم عليه السلام انما ذكر هذا الدعاء عند ما سكن اسمعيل واته
في ذلك الوادي وفي ذلك الوقت ما ولدا حق ككيف يمكنه أن يقول ذلك (أجيب) بأن هذا
يقضي أن ابراهيم انما ذكر هذا الكلام في زمن آخر لاعتقاب ما تقدم من الدعاء قال الرازي
ويمكن أيضا أن يقال انه عليه السلام انما ذكر هذا الدعاء بعد كبر اسمعيل وظهور اسحق وان
كان ظاهر الروايات بخلافه انتهى * (تنبيه) * قوله على الكبير يعني مع كقوله
اني على ما ترين من كبرى * أعلم من حيث يؤكل الكيف

وهو في موضع الحال * ولما ذكر الدعاء على سبيل الرمز والتعريض لاعلى وجه الانصاح
والتصريح قال (ان ربي) أي المحسن الي (السميع الدعاء) أي لجيبه (فان قيل) الله تعالى
يسمع كل دعاء أجابه أولم يجبه (أجيب) بأن هذا من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وقبله
ومنه سمع الله لمن حده المألوب الخامس قوله (رب اجعلني مقيم الصلاة) أي معذلا لها
وواظبا عليها * (تنبيه) * في الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى لأن قوله تعالى
حكاية عن ابراهيم عليه السلام واجنبي وبني أن نعبد الاصنام يدل على ان ترك المنهيات
لا يحصل الا من الله تعالى وقوله رب اجعلني مقيم الصلاة يدل على ان فعل المأمورات لا يحصل
الا من الله تعالى وذلك تصريح بأن ابراهيم عليه السلام كان مصرعا على أن الكل من الله تعالى
وقوله تعالى (ومن ذرئتي) عطف على المنصوب في اجعلني أي واجعل بعض ذرئتي كذلك لان
كلمة من في قوله ومن ذرئتي للتبعيض وأما ذكر هذا التبعيض فلا نه علم بالاعلام الله تعالى انه
يكون في ذريته جمع من الكفار وذلك قوله تعالى لا ينال عهدى الطالبين المطلوب السادس
أنه عليه السلام لما دعا الله تعالى في الطالب المذكور دعا الله تعالى أن يقبل دعاءه فقال
(وبنا وتقبل دعاء) قال ابن عباس يريد عبادتي بدليل قوله تعالى وأعتزلكم وماتدعون من
دون الله وقيل دعائي المذكور المطلوب السابع قوله (ربنا) أي أيها الملك لا مورا المدبر لنا
(اغفر لي) * فان قيل ان طلب المغفرة انما يكون بعد سابقة ذنب (أجيب) بأن المقصود من
ذلك الالتجاء الى الله تعالى وقطع الطامع الا من فضله وكرمه ورجته ثم أشركه أعقرب الناس
اليه وأحقهم بشكره فقال (ولو ادتي) * فان قيل كيف جاز أن يستغفر لوالديه وكذا

كافرين (أجيب) بوجوه الأول أن المتع منه لا يعلم إلا بتوقيف فعله لم يجد منه منعاً وظن
 كونه جائزاً الثاني أراد بوالديه آدم وحواء الثالث كان ذلك بشرط الاسلام وقال
 بعضهم كانت أمته مؤمنة ولذلك خص أباه بالذكر في قوله فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه * ثم دعا
 لمن تبعه في الدين من ذريته وغيرهم بقوله (وللمؤمنين) أي العربيين في هذا الوصف (يوم
 يقوم) أي يبدو ويظهر (الحساب) وقيل أراد يوم يقوم الناس فيه للحساب فاكثري ذكر
 الحساب لكونه مفهوماً عند السامع وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله تعالى لا يرد دعاء مخلقه
 إبراهيم عليه السلام وفيه بشارة عظيمة للمؤمنين بالمغفرة فسأل الله تعالى أن يغفر لنا ولوالدينا
 ولما يتخاضوا لأجبابنا ولننظر في هذا التفسير ودعاً لمن كان سبباً فيه بالمغفرة * ولما بين تعالى
 دلائل التوحيد ثم حكى عن إبراهيم عليه السلام أنه طلب من الله تعالى أن يصونه عن الشرك
 وطلب منه أن يوفقه للأعمال الصالحة وأن يخصه بالرحمة والمغفرة في يوم القيامة عقبه بقوله
 تعالى مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون) لأن الغفلة
 معنى يمنع الإنسان عن الوقوف على حقائق الأمور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعتري الإنسان
 من قلة التحفظ والتيقظ وهذا في حق الله تعالى محال والمقصود من ذلك التنبيه على أنه ينتقم
 للمظلوم من الظالم فقيه وعييد وتمديد للظالم وإعلام له بأنه لا يعامله معاملة الغافل عنه بل ينتقم
 ولا يتركه مغفلاً عنه وعن سفيان بن عيينة فيه تسلية للمظلوم وتمديد للظالم فقيل له من قال
 هذا فغضب وقال إنما قاله من علمه (فان قيل) كيف يليق به صلى الله عليه وسلم أن يحسب الله
 موصوفاً بالغفلة وهو أعلم الناس به (أجيب) بوجوه الأول أن المراد به التثبت على ما كان
 عليه من أنه لا يحسب الله غافلاً كقوله لا تدع مع الله الها آخر والثاني أن المقصود منه بيان
 أنه لو لم ينتقم لكان عدم الانتقام لأجل غفله عن ذلك الظلم والثالث أن المراد ولا تحسبنه
 معاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقيض والقطيع
 والرابع أن يكون هذا الكلام وإن كان خطاباً مع النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر إلا أنه
 يكون في الحقيقة خطاباً مع الأمة * ثم بين تعالى أنه (انما يؤخرهم) أي عذابهم (ليوم) موصوف
 بخمس صفات الصفة الأولى قوله تعالى (نحصر فيه الأبصار) أي أبصارهم لا تفرق مكانها
 من هول ما ترى في ذلك اليوم الصفة الثانية قوله تعالى (مهطعين) أي مسرعين إلى الداعي
 أو مقبلين بأبصارهم لا بطرقون هيبة وخوفاً وقيل المهطع الخاضع الذليل الساكن الصفة
 الثالثة قوله تعالى (مقنعي رؤسهم) أي رافعيها إذا انقاع رفع الرأس إلى فوق فأهل الموقف
 من صفتهم أنهم رافعو رؤسهم إلى السماء وهذا بخلاف المعتاد لأن من توقع البلاء بطرق
 بصره إلى الأرض وقال الحسن وجهه الناس يوم القيامة إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد
 الصفة الرابعة قوله تعالى (لا يرتد إليهم طرفهم) أي بل تثبت عيونهم شاحصة لا يطفون
 بعينهم ولا يكتفون بعينهم مفتوحة عمدة ومن غير قصر يك لا إحسان قد شغلهم ما بين أيديهم
 الصفة الخامسة قوله تعالى (وأفنتهم) أي قلوبهم (هواً) أي خالية من العقل لفرط الحيرة

والدهشة وقال قتادة خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت في حناجرهم فلا تخرج من أفواههم ولا تعود إلى أماكنها * (تنبيه) * اختلقوا في وقت حصول هذه الصفات فقبل أنها عند المحاسبة بدليل أنه تعالى أنما ذكر هذه الصفات عقب وصف ذلك بأنه يوم يقوم الحساب وقيل أنها تحصل عندما يتميز فريق عن فريق فالسعداء يذهبون إلى الجنة والأشقياء إلى النار وقيل يحصل عند أجابة الداعي والقيام من القبور قال الرازي والاولى (وأندرا الناس) بالجمد أى خوفهم يوم القيامة وهو قوله تعالى (يوم يأتيهم العذاب) أى الذى تقدم ذكره وهو نخوس أبصارهم وكونهم مطعنين مقنعي رؤسهم (فيقول الذين ظلموا) أى كفروا (ربنا أخرجنا) أى بأن تردنا إلى الدنيا (إلى أجل قريب) إلى أمد واحد من الزمان قريب (فنجب دعوتك) أى بالتوجه بدو تدارك ما فرطنا فيه (وتتبع الرسل) فيبايعوننا إليه فيقال لهم (توب بغير أولئك) أى حلفتهم (من قبل) في الدنيا (مالكم) وأكذبتهم بقوله (من زوال) أى مالكم عنها اتقال ولا بعث ولا نشوركما قال في آية أخرى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يوت وكانوا يقولون لآل زوالنا من هذه الحياة إلى حياة أخرى ومن هذه الدار إلى دار المجازاة لأنهم كانوا يشكرون أن يزولوا عن حياة إلى موت أو عن شسباب إلى هرم أو عن غنى إلى فقر ثم أنه تعالى زادهم توبخا آخر بقوله تعالى (وسكنتم) في الدنيا (في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر من الام السابقة (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) أى وظهر لكم بما تشاهدون في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما نزل عندكم من أخبارهم (وضربنا) أى وبيننا (لكم الأمثال) في القرآن أن عقابهم عادت إلى الوبال والخزى والشكال مما يعلم به أنه قادر على الاعادة كما قدر على الابتداء وقادر على التعذيب المؤجل كما يفعل الهلاك المجل وذلك في كتاب الله تعالى كثير * ولما ذكر تعالى صفة عقابهم أتبعه بذكر كيفية مكربهم بقوله تعالى (وقدمكر وأمكرهم) أى الشديد العظيم الذى استقر غوائيه جهدهم واختاب في عود الضمير في مكروا وعلى وجوه الاول أن يعود إلى الذين سكنوا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم لأن الضمير يعود إلى أقرب مذكور والثاني إلى قوم محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى وأندراى يا محمد الناس وقدمكر قومك مكربهم وذلك المكرب هو الذى ذكر الله تعالى في قوله واذمكربك الذين كفروا بالنبوت أو يقتلوك ويخرجوك (وعند الله مكربهم) أى ومكتب عند الله فعلهم فهو مجاز بهم عليه بمكره أعظم منه وقبل أن مكربهم لا يزال أمر محمد صلى الله عليه وسلم الذى هو ثابت ككشوت الحبال وقد حكى عن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه في الآية قول آخر وهو أنها نزلت في عمرو الجبار الذى ساج إبراهيم في ربه فقال عمرو ذان كان ما بقوله إبراهيم حقا فلا تنهى حتى أصعد إلى السماء فأعلم ما فيها ثم أمر عمرو وصاحبه فأتخذ لنفسه تابوتا وجعل له بابا من أعلاه وبابا من أسفله وربط قوائمه الأربع بأربعة نسور وكان قد جوعها ورفع فوق الجوانب الأربع من التابوت عصيا أربعة وعلق على كل واحدة منها قطعة لحم ثم أنه جلس مع صاحبه في ذاك التابوت فلما أبصرت النسور تلك اللعوم تصاعدت في جوع

الهواء فطارت يوماً حتى أبعدت في الهواء فقال غرود لصاحبه افتح الباب الاسفل وانظر الى
 الارض كيف تراها ففعل فقال أرى الارض مثل اللبنة والجبال مثل الدخان قال فطارت
 النسور يوماً آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال غرود لصاحبه افتح الباب
 الاعلى ففتحت فاذا السماء هبشتها وفتحت الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة ونودي اياها
 الطائي أين تريد قال عكرمة كان معي في الثابت غلام قد جمل القوس والفتاب فرمى بهم
 فعاد اليه السهم ملطخاً بالدم بدم سمكة قد ذقت نفسها من بحر في الهواء وقبل طائر أصابه السهم
 فقال كيف اتى السماء فنكس تلك العصي التي علق عليها اللحوم فتدقلت النسور وهبطت الى
 الارض فسمعت الجبال خفيف الثابت والنسور ففرغت وظنت ان قد حدث في السماء حدث
 وأن القيامة قد قامت فكادت تزول عن أما كنتم ان ذلك قوله تعالى (وان كان مكروهاً) أى من
 القوة والضخامة (لتزول منه الجبال) قال الرازي ولا حاجة في تأويل الآية الى هذا فإنه لم يبح
 فيه خبر صحيح معتمد انتهى والمراد بالجبال هنا قبل حقيقة تأويل شرايع الاسلام المشبهة بها في
 القزار والنبات وقرأ البكائي بفتح اللام الاولى ورنع الاخيرة والباقيون بكسر الاولى وفتح
 الثانية والتقدير يعلى القراءة الاولى وان كان بحيث انه تزول منه الجبال وقبل ان نافية واللام
 لتأكيد النفي (فلا تحسبن الله) الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد منه أمته (مخلف وعده
 رسله) من النصر واعلاء الكلمة واظهار الدين كما قال تعالى اننا لننصر رسلاً وقال تعالى كتب
 الله لا غلبن أنا ورسلي (فان قيل) هلا قال مخلف رسله وعده ولم يقدم المقعول الثاني على
 الاول (أجيب) بأنه تعالى قدّم ذلك ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلاً قوله تعالى ان الله
 لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليس له على انه تعالى لما لم يخلف وعده أحداً وليس من شأنه
 اخلاف المواعيد فكيف يخلف رسله الذين هم خيرته وصفوته (ان الله) أى ذو الجلال
 والاکرام (عزيز) أى غالب بقدر ولا يقدر عليه (ذو انعام) أى عمن عساه وقوله تعالى
 (يوم تبدل الارض غير الارض) بدل من يوم يأتيهم أو ظرف للاتقام والمعنى يوم تبدل هذه
 الارض التي تعرفونها أرضاً أخرى غير هذه المعروفة وقوله تعالى (والسماوات) عطف على
 الارض وتقديره والسماوات غير السموات والتبديل التغيير وقد يكون في الذات كقولك
 بدلت الدراهم ذنانير ومنه بدلناهم جلوداً غيرها وبدلناهم بجنتهم جنتين وفي الاوصاف كقولك
 بدلت الحلقة خاتماً اذا ذبها وسويتها خاتماً فتأمن شكل الى شكل آخر ومنه قوله تعالى
 فأولئك يدل الله سبحانه على حقائق والآيات محتملة لكل واحد من هذه المفهومين نعم ابن
 عباس رضي الله تعالى عنهما هي تلك الارض وانما تغير اوصافها وأنشد

وما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التي كنت تعلم

فتبدل اوصافها فتسير عن الارض بسببها وتغير مجاريها وتستوى فلا ترى فيها عرجاً
 ولا أمناً وتبدل السماوات تتشاركوا كبها وكوفشها رخسوف قرها وانشقاقها وكونها
 أبواباً وبدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفرة

كقرصة القاء ليس فيها علم لاحد أخرجه في الصحيحين العفراء بعين المهملة زهى البيضاء
 الى حجرة وللهذا شبهها بقرصة النقا وهو الخير لا يبيض الجيد الفائق المائل الى الحجرة كان لئلا
 ميلت يواض وجهه الى الحجرة وقوله ليس فيها علم لاحد يعنى ليس فيها علامة لاحد لتبديل هبتها
 رصفها وزوال جمالها وجميع بنائها فلا يبق فيها أثر يستدل به وعن ابن مسعود انه قال تبدل
 الارض بأرض كالفضة البيضاء فبقية لم يفسد فيها دم ولم تعمل عليها خطيئة وقال علي بن أبي
 طالب كرم الله وجهه الارض من فضة والسم من ذهب وقال محمد بن كعب وسعيد بن جبير
 تبدل الارض خبيرة بيضاء بأكل المؤمن من تحت قدميه وعن الضحالة أيضا من فضة كالصنائب
 وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية
 فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله فقال على الصراط أخرجه مسلم وروى ثوبان أن حبرا
 من اليم وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين تكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض
 قال هم في الظلمة دون الجسر قال الرازى واعلم أنه لا يعد أن يقال المراد من تبدل الارض
 والسموات هو أنه تعالى يجعل الارض جهنم والسموات الجنة والدليل عليه قوله تعالى **ولا**
إن كآب الا برازاني عليين وقوله تعالى **كلان كآب** الفجار لني سجين **(وبرزوا)** أى خرجوا من
 قبورهم **(لله)** أى لحكمه والوقوف بين يديه تعالى للعقاب **(الواحد)** أى الذى لا شريك له
(القهار) أى الذى لا يدفعه شئ عن مراده كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولما
 وصف نفسه سبحانه وتعالى بكونه قهارا بين عجزهم وذلتهم بقوله تعالى **(وترى)** يا محمد أى تبصر
(المجرمين) أى الكافرين **(ين يومئذ)** أى يوم القيامة ثم ذكر تعالى من صفات عجزهم وذلتهم أمور
 الصفة الاولى قوله تعالى **(مترنين)** أى مشدودين **(فى الاصفاد)** جمع صفد وهو القيد قال
 الكلبي كل **ككاف** مفرع شيطان فى غل وقال عطاء هو معنى قوله تعالى واذا النفوس زوجت
 أى قرنت فتقرن نفوس المؤمنين بنفوس الحور العين ونفوس الكافرين بنفوس الشياطين
 وقيل هو قرن بعض الكفار ببعض فتضم تلك النفوس الشقية والارواح الكدرة الظلمانية
 بعضها الى بعض **أكونها** متشاكسة متجانسة وتنادى ظلمة كل واحدة منها الى الاخرى وقال ابن
 زيد قرنت أيديهم وأرجلهم الى رقابهم بالاغلال الصفة الثانية قوله تعالى **(سرايلهم)**
 أى قصهم جمع سرايل وهو التميمي **(من قطران)** وهو نقي يتحالب من شجر يسمى الابل فيطبخ
 وتطلى به الابل الجربى فيحرق الجرب بحرارته وحده وقد تصل حرارته الى داخل الجوف
 ومن شأنه أنه يتسارع فيه اشتعال النار وهو أسود اللون منتن الريح فيحرق قطلى به جلود أهل النار
 حتى يصير ذلك الطلاء **كالسرايل** فيحصل بسببها أربعة أنواع من العذاب لنزع القطران
 وحرقه وأسراع النار فى جلودهم واللون الوحش وتنق الريح وأيضا التفاوت بين قطران
 القيامة وقطران الدنيا كالتفاوت بين البارين الصفة الثالثة قوله تعالى **(ونفسي)** أى نعلو
(رجوهم النار) وتظلمه قوله تعالى **أفمن يتقى** بوجهه سوء العذاب وقوله تعالى يوم يصحبون
 فى النار على وجوههم ولما كان موضع العلم والجهل والقلب وموضع الكفر والوهم هو

الرأس وأثر هذه الأحوال يظهر في الوجه فلماذا خص الله تعالى هذين العضوين بظهور آثار العقاب فيما فقال في القلب نار الله الموقدة التي تطلع على الافتسدة وقال في الوجه وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى (ليجزى الله) متعلق بيزروا (كل نفس ما كسبت) أى من خير أو شر وهذا أولى من قول الواحدى المراد منه أنفس الكفار لأن ما سبق ذكره لا يليق أن يكون جزاء لاهل الايمان * ولما كان حساب كل نفس جديراً بأن يستعظم قال (إن الله سريع الحساب) أى لا يشغله حساب نفس عن حساب أخرى ولا شأن عن شأن وقوله تعالى (هـ) إشارة الى القرآن الذى يخرج الناس من الظلمات الى النور نزل منزلة الحاضر وقيل الى السورة (بلاغ) أى كان غاية الكفاية فى الايصال (لناس) والموعظة لهم وقوله تعالى (ولينذروا) أى وليتقوا (به) عطف على محذوف ذلك المحذوف متعلق ببلاغ نذره أى لينصروا ولينذروا وقيل الواو مزيدة ولينذروا متعلق ببلاغ (وليعلموا) أى بما فيه من الحجج على وحدانية الله تعالى (أنعموا) أى الله (اله واحد) فيستدلوا بذلك على أن الله واحد لا شريك له (وليدرك) بادغام التاء فى الـ فى الذا لى أى يعظ (أو لوالالباب) أى أصحاب العقول الصافية من الاكدار والافهام الصحيحة فانه موعظة لمن انقط * (تنبيه) * ذكر سبحانه وتعالى لهذا البلاغ ثلاث فوائد مستفادة من قوله تعالى ولينذروا به وتاليه والحكمة فى انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التى منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية التى هى التدرع بلباس التقوى جعلنا الله تعالى من الفائزين بها بحمد وآله وفعل ذلك والدنيا وأحبائنا ومارواه البيضاء وبعالزخم شري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة ابراهيم أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد حديث موضوع قال العلامة ابن جماعة فى شرح منظومة ابن فرج ألقى أولها غراى صحيح فرغ من غرائب الجوى بكفر واضع الحديث أى والمشهور عدم تكفيره

﴿سورة المجرمية﴾

وهى تسع وتسعون آية وستمائة وأربع وخمسون كلمة وعدد حروفها

ألفان وسبعمائة وستون حرفاً

(بسم الله) الملك الواحد القهار (الرحمن) الذى أسبغ نعمه على سائر بريته فمحزنت عن وصفه الانكار (الرحيم) الذى خص أهل ولايته بنجاتهم من النار وقوله تعالى (الر) ذكر فيه الغم والامالة أول يونس وقيل له منه انا الله أرى وقد مننا الكلام على أوائل السور فى أول سورة البقرة وقوله تعالى (تلك) إشارة الى آيات هذه السورة أى هذه الآيات (آيات الكتاب) أى القرآن والاضافة بمعنى من وقوله تعالى (وقرآن مبین) أى مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة وقيل المراد بالكتاب هو السورة وكذا القرآن وقيل المراد بالكتاب التوراة والانجيل وبالقرآن هذا الكتاب ثم بين سبحانه وتعالى حال الكفار يوم القيامة بقوله تعالى (ربما يؤذ)

أى يتخى (الذين ~~ص~~فروا) اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين في ذلك اليوم (لو كانوا مسلمين)
وقبل حين يعاينوا حال المسلمين عند نزول النصر وحلول الموت ورب لك كثير فانه يكثر منهم تخي
ذلك وقيل للتقليل فان الاحوال تدهشهم فلا يفقهون حتى يتموا ذلك الا في احيان قليلة
فان قيل لم دخلت رب على المضارع وقد اودخلها الاعلى الماضى (اجيب) بأن المترقب
في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به في تحقيقه فكاه قيل ربما و قد قرأ عاصم ونافع
بتخفيف باه ربما والباقون بالتشديد قال أبو حاتم أهل الحجاز يخففون ربما وقبس وبكر
يشقلونها ولما تبادوا في طغيانهم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (ذرهم) أى دعهم
عن النهى عما هم عليه والصدع به بالتذكرة والنصيحة وخلفهم (يا كواو يمتعوا) بديانهم
وتنفيد شهواتهم والتمتع بالتلذذ وهو طلب اللذة حالا بعد حال كالقرب في أنه طلب القرب
حالا بعد حال (ويبلغهم الامل) أى ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن
أخذ حظهم من السعادة وعن الاستعداد للمعاد وقرأ أبو عمر في الوصل بكسر الهاء والميم
وحزة والكسائي برفع الهاء والميم والباقون بكسر الهاء ورفع الميم وأما الوقف فالجميع
بكسر الهاء والكلام على الهاء الثانية وأما الهاء الاولى فكسورة للجمع وقفا وصلا ولما
كان هذا أمر الاشغال به الأحق تسبب عنه التمديد بقوله تعالى (فسوف يعلمون) أى
ما يحل بهم بعد ما فسدها لهم في زمن التمتع من سوء صنيعهم وهذا قبل الامر بالقتال
* (تنبيه) * في الآية دليل على أن ايثارا التلذذ والتمتع في الدنيا يؤدى الى طول الامل وليس
ذلك من اخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمتع في الدنيا من أخذ لاق الهالكين والاخبار في ذم
الامل كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم يرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الحرص على المال
والحرص على العمر وعن علي رضي الله تعالى عنه انما أخشى عليكم اثنتين طول الامل واتباع
الهوى فان طول الامل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق * ولما هددهم تعالى
بآية التمتع والهاء الامل أتبعه بما يؤكده الزجر بقوله تعالى (وما أهلكنا من قرية) أى
من القرى والمراد أهلها ومن مزيدة (الاولها كتاب معلوم) أى أجل مضروب بمحدود
مكتوب في اللوح المحفوظ لهلاكها * (تنبيه) * المستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل
أن لا تدخلها الواو كقوله تعالى الا لهل منذرون وانما توسطت لتأكد لصوق الصفة بالموصوف
كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاهني وعليه ثوب * (فائدة) * رسم كتاب هنا ثبات
الالف * ثم بين تعالى الآية السابقة بقوله تعالى (ما تسبق) وأكدا الاستغراق بقوله تعالى (من)
أمة وقيل من مزيدة كقولك ما جاءني من أحد أى أحدوين إن المراد بالكتاب الاجل بقوله
تعالى (أجلها) أى الذي قدرناه لها (وما يستأخرون) أى عنه * (تنبيه) * انث الامة أولاهم
ذكرها آخر اجلا على اللفظ في الاول وعلى المعنى في الثاني قال البقاعي وانما ذكره لثلاث
بصرفه الى خطابه صلى الله عليه وسلم فتعنا في الآية دليل على أن كل من مات أو قتل فانما
مات بأجله وإن من قال يجوز أن يموت قبل أجله مخطئ * ولما بالغ تعالى في تهديد الكفار ذكر

شبههم في انكار نبوته صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر) أي
 القرآن في زعمه (أنك لجنون) انما نسبوه الى الجنون اما لانهم كانوا يستبعدون كونه رسولا
 حقا من عند الله لان الرجل اذا جمع كلاما مستبعدا من غيره فربما قال به جنون واما لانه عليه
 الصلاة والسلام كان يظهر عليه عند نزول الوحي حالة شبيهة بالغشي فظنوا أنها جنون ويدل
 عليه قوله تعالى أولم يتفكروا ما يصاحبهم من جنّة ثم أتبعوه ما زعموا أنه دليل على قولهم
 فقالوا (لوما) أي هلا (تأتينا باللائكة) أي يشهدون لك بأنك رسول من عند الله حقا (ان
 كنت من الصادقين) في ادعائك للرسالة وان هذا القرآن من عند الله ولما كان في قولهم
 أمران أجاب الله تعالى عن قولهم الثاني لانه أقرب بقوله تعالى (ما ننزل الملائكة الا بالحق)
 أي الا ننزل الملائكة بالحق والمصلحة ولا حكمة في أن تأتيكم بهم عيانا شاهدونهم ويشهدون
 لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله تعالى
 وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي والعذاب وقرأ شعبة بضم
 التامع فتح الزاى ورفع الملائكة وحقق وحجرة والكسائي بنونين الاولى مضمومة والثانية
 مفتوحة وكسر الزاى ونصب الملائكة والباقون بالتاء مفتوحة مع فتح الزاى ورفع الملائكة
 وشدد التاء البزى في الوصل وأما الزاى فهي مشددة للجميع من يفتح ومن يكسر (وما كانوا)
 أي الكفار (إذا) أي اذا تأتيهم الملائكة (منظرين) أي لزوال الامهال عنهم فيعذبون في الحال
 ان لم يؤمنوا وبصدقوا وكان حينئذ يفوت ما قضينا به من تأخيرهم واخراجهم من أرونايمانة من
 اصلاهم ثم أجاب تعالى عن الاول بقوله تعالى مؤكدا التكذيبهم (انا نحن) بما التامن العظمة
 والقدرة (زلنا) أي بالتدريج على لسان جبريل عليه السلام (الذكر) أي القرآن (واناله
 لحافظون) أي من التبديل والتحريف والزيادة والنقصان ونظيره قوله تعالى ولو كان من
 عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء كلها لا يقدر
 أحدهم من جميع الخلق من الجن والانس أن يزيده أو ينقص منه كلمة واحدة أو حرفا واحدا
 وهذا مختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فانه قد دخل على بعضها التحريف
 والتبديل والزيادة والنقصان (فان قيل) فلم اشتغلت العصابة بجمع القرآن في المحصف وقد
 وعد الله تعالى بحفظه وما حفظه الله تعالى فلا خوف عليه (أجيب) بأن جمعهم القرآن في
 المحصف كان من أسباب حفظ الله تعالى آياته فانه تعالى لما أراد حفظه قيضهم لذلك قال أصحابنا
 وفي هذه الآية دلالة قوية على كون البسملة آية من أول كل سورة لان الله تعالى قد وعد حفظ
 القرآن والحفظ لا معنى له الا أن يبقى مصونان من الزيادة والنقصان فلو لم تكن البسملة آية من
 القرآن لما كان مصونان التغيير ولما كان محفوظا عن الزيادة ولو جاز أن يظن بالعصابة أنهم
 زادوا جازا أيضا أن يظن بهم النقصان وذلك يوجب خروج القرآن عن كونه حجة وقيل الضمير
 في له راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى والحمد لحافظون عن أراد به سواهم كقوله
 تعالى والله يعصمك من الناس ولما أساء الكفار عليه صلى الله عليه وسلم في الاول وخطبوه

بالسفاهة وقالوا انك لمجنون وكان عادة هؤلاء الجهال مع جميع الانبياء قال سبحانه وتعالى
تسليبه على وجه راد عليهم (ولقد أرسلنا من قبلك) أى رسلا تحذف ذكر الرسل لدلالة الارسل
عليه وقوله تعالى (في شيع) أى فرق (الاولين) من باب اضافة الصفة الى الموصوف كقوله تعالى
حق اليقين سمو اشيعا المتابعة بعضهم بعضا في الاحوال التي يجتمعون عليها في الزمن الواحد
والشيع جمع شيعه وهي الفرقة المجتمعة المتفقة كلمتهم على مذهب وطريقة وقال القراء
الشيعه هم الاتباع وشيعه الرجل اتباعه وقيل الشيعه من يتقوى بهم الانسان (وما يأتينهم)
عبر بالمضارع على حكاية الحال الماضية فان ما لا تدخل على مضارع الاوهو في معنى الحال
ولا على ماض الاوهو قريب من الحال والاصل وما كان يأتينهم (من رسول) أى على أى وجه
كان (الا كانوا به) جيلة وطبعاء (يستزنون) كاستزنا قومك بك فصبروا فاصبروا (كذلك)
أى مثل ادخالنا التكذيب في قلوب هؤلاء المستهزئين بالرسول (فلسكه) أى ندخله (في قلوب
الجرمين) أى كفار مكة المستهزئين (لا يؤمنون به) أى بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل
بالقرآن وفي الآية دليل على أن الله تعالى يخلق الباطل في قلوب الكفار والسلك ادخال الشيء
في الشيء كالتحيط في المحيط والرمح في المطعون ومنه قوله تعالى ما سلككم في سقر وقيل
الضمير في سلكه يعود للذكر كما ان الضمير في به يعود اليه وجمله لا يؤمنون به حال من ذلك
الضمير والمعنى على هذا مثل ذلك السلك الذي ذكر في قلوب الجرمين مكذبا به غير مؤمن به قال
البيضاوي وهذا الاستدلال ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع اليه
اه وما أعدت الضمير عليه في ذلك هو ما قاله ابن الخازن وجرى عليه الجلال السيوطي وقوله
تعالى (وقد خلت سنة الاولين) أى سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم وعيد شديد
للكفار مكة بأنه ينزل بهم مثل ما نزل بالام الماضية المكذبة وقال الزجاج قدمت سنة الله
في أن يسلك الكفر والضلال في قلوبهم قال الرازي وهذا أليق بظاهر اللفظ وقرأ أبو عمرو وجوزة
والكسائي بادغام تاء التأنيث في السين والباقون بالاعطاف وقوله تعالى (ولو قمنا عليهم بآيات
السماء) الآية هو المراد في سورة الانعام في قوله تعالى ولونزلنا عليك كتابا في قرطاس الآية
أى الذين يقولون لو ما أنينا بالملائكة فلو أنزلنا بالملائكة (فظلوا فيه) أى فظلت الملائكة
(يعرجون) أى يصعدون في الباب وهم يرونها عيانا (لقالوا) أى من عتوهم في الكفر (انما
سكوت ابصارنا) أى سددت عن الابصار بالسهر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير
بالتحفيف وأحبرت من السكر ويدل عليه قراءة الباقيين بالتشديد (بل نحن قوم مسهرون)
أى قد سهرنا بمجد ذلك أى كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات كاشتقاق القمر وما جاء به
النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن المعجز الذي لا يستطيع الجن والانس أن يأتوا بمثله وقيل
الضمير في يعرجون للمشركين أى فظل المشركون يصعدون في ذلك الباب فينظرون في
ملكوت السموات وما فيها من العجائب لما آمنوا العنادهم وكفرهم وقالوا انما سهرنا وقرأ
الكسائي بادغام لام في النون والباقون بالاعطاف ولما أجاب الله تعالى عن شبهة منكري

النسبة والقول بالنسبة مقرر على القول بالتوحيد ودلائل التوحيد منها ما هو ومنها أروضة
 بدأ منها يذكر الدلائل السماوية فقال مفتعها يحرف التوقيع (ولقد جعلنا) بما لنا من العظمة
 والقدرة الباهرة (في السماء بروجاً) قال الألب البروج واحد هاجر من بروج الفلك والبروج
 هي النجوم الكبار مأخوذة من الظهور يقال تبرزت المرأة إذا ظهرت وأراد بها المنازل التي
 تنزلها الشمس والقمر والكواكب السيارة وهي اثنا عشر برجاً الحمل والثور والجوزاء
 والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو
 والحوت وهي منازل الكواكب السبعة السيارة المربخولة الحمل والعقرب والزهرة
 ولها النور والميزان وعطارد وله الجوزاء والسنبلة والقمر وله السرطان والشمس
 ولها الاسد والمشتري وله القوس والحوت وزحل وله الجدي والدلو وهذه البروج
 مقسومة على ثمانية وستين درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس في كل سنة
 مرة وبها تتم دورة الفلك ويقطعها القمر في ثمانية وعشرين يوماً قال ابن عباس في هذه الآية
 يريد بروج الشمس والقمر يعني منازلهما وقال عطية هي قصور في السماء عليها الحرس وقال
 مجاهد هي النجوم العظام قال أبو اسحق يريد نجوم هذه البروج وقرأ نافع وابن كثير وابن
 ذكوان وعاصم باظهار الالف قد عند الجيم والباقون بالادغام (وزيئها) أي السماء بالشمس
 والقمر والنجوم والاشكال والهيئات البهية (للتناظرين) أي المعبرين المستدلين بها على
 توحيد خالقها ومبدعها وهو الله الذي أوجد كل شيء وخلقه وصوره (وحفظنا هامن كل
 شيطان رجيم) أي مرجوم وقيل ماعون قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن
 السموات وكانوا يدخلونها ويسمعون أخبار الغيوب من الملائكة فيلقونهم على الكهنة فلما
 ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات ولما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من
 السموات كلها فامنعهم من أحد يريد استراق السمع الارض بشهاب فلما منعوا تلك المقاعد
 ذكروا ذلك لابلوس فقال لقد حدث في الارض حدث فبهتهم ينظرون فوجدوا رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يتلو القرآن فقالوا والله هذا حدث وقوله تعالى (الامن استرق السمع) يدل من
 كل شيطان رجيم وقيل استثناء منقطع أي لكن من استرق السمع واستراق السمع اختلاسه
 قال ابن عباس يريد الخطفة اليسيرة وذلك أن الشياطين يركب بعضهم بعضاً الى السماء الدنيا
 يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب كما قال تعالى (فأتبعه شهاب مبین) وهو شعلة
 من نار ساطعة وقد يطلق على الكواكب لما فيها من البريق يشبه شهاب النار فلا يحظى أحد
 فتم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه أو جنبه أو يده حيث يشاء الله ومنهم من يجلبه فيصير
 غولاً فيضل الناس في البوادي روى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
 قضى الامر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعوا لقوله كأنه سلسلة على صفوان
 فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير فيسميها مسترقو
 السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف سبعين بكفه غرقها ويتدب بين أصابعه

فيسمع الكلمة فيلقها الى من تحته ثم يلقها الاخر الى من تحته حتى يلقها الى لسان الساحر
أو الكاهن وربما أدركه الشهاب قبل أن يلقها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها
مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا فبذلك تلك الكلمة التي سمعها من
السما (فان قيل) اذا جاز أن يسمع الشيطان أخبار الغيوب من الملائكة يخرج الاخبار عن
المغيبات عن كونه معجزا لدلالة على الصدق لان كل غيب يخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم
فام فيه الاحتمال وحينئذ يخرج عن كونه معجزا لدلالة على الصدق (أجيب) بأننا نبتنا كون
محمد صلى الله عليه وسلم رسولا بسائر المعجزات ثم بعد العلم ببقوته نقطع بأن الله تعالى أعجز
الشياطين عن تلقف الغيب بهذا الطريق وعند ذلك يصير الاخبار عن الغيب معجزا ولما شرح
الله تعالى الدلائل السماوية في تقرير التوحيد أتبعها بذكر الدلائل الارضية وهي أنواع النوع
الاول قوله تعالى (والارض مدناها) قال ابن عباس بسطناها على وجه الماء قال البغوي
يقال انها مسيرة خمسمائة سنة في مثلها دحيت من تحت الكعبة (فان قيل) فهل يدل ذلك على
أنها بسيطة وأكزة عظيمة على ما يقوله أرباب الهيئة (أجيب) بان ليس في الآية دلالة على شيء من
ذلك لان الارض على تقدير كونها كرة فهي في غاية العظيمة والكرة العظيمة ترى كالسطح
المستوي وتقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة وسأتي زيادة على ذلك ان شاء الله تعالى في
سورة النازعات النوع الثاني قوله تعالى (وألقينا فيها رواسي) أي جبالا ثوابت واحدها
راس والجمع راسية وجمع الجمع رواسي وهو كقوله تعالى وألقى في الارض رواسي أن تمسك بكم
قال ابن عباس لما بسط الله تعالى الارض على الماء مالت بأهلها كالسفينة فأرسلها الله تعالى
بالجبال الثقال لكي لا تمسك بأهلها وقيل ان الله تعالى خلقها لتكون دلالة للناس على طرق
الارض ونواحيها لانها كالأعلام فلا تميل الناس عن الحاجة المستقيمة ولا يقعون في الضلال
النوع الثالث قوله تعالى (وأبنتنا فيها) واختلف في عود ضمير فيها فقيل يعود الى الارض لان
أنواع النبات المنفقع به يكون في الارض وقيل الى الجبال لانهم أقرب مذكوروا قوله تعالى
(من كل شيء وزن) وانما يوزن ما يتولد من الجبال والاولى عوده لهما واختلفوا في
المراد بالوزن فقال ابن عباس أي معلوم وقال مجاهد أي مقدار معين تقتضيه حكمته وقال
الحسن أعنى به الشيء الموزن كالذهب والفضة والرماس والحديد وهو ذلك مما يستخرج
من المعادن والاولى أنه جميع ما ينبت في الارض والجبال لان ذلك نوعان أحدهما يستخرج
من المعادن وجميع ذلك موزن والثاني النبات فبعضه موزن وبعضه بالكيل وهو يرجع الى
الوزن لان الصاع والمقدردان بالوزن (وجعلنا لكم فيها) أي انعاما منا ونفضلا عليكم
(معاش) وهي بياض ريحة من غير متجمع معيشة وهو ما يعيش به الانسان مدة حياته في الدنيا
من المطاعم والملابس والمعادن وغيرها (و) جعلنا لكم (من لستم له برازقين) من العبيد
والانعام والنبات والطير فانكم تنفعون بها ولستم لها برازقين لان رزق جميع الخلق على الله
تعالى وبعض الجهال يظنون في أكثر الامور انهم هم الذين يرزقون المعال والخدم والعبيد

وذلك خطأ فإن الله هو الرزاق يرزق الخدم والخدم والملوك والملوك لأنه تعالى خلق الأطعمة
والاشربة وأعطى القوة الغاذية والهاضمة والاله يحصل لاحد رزق (فان قيل) صبغة من محتصة
عن يعقل (أجيب) بأنه تعالى أثبت لجميع الدواب رزقا على الله تعالى حيث قال وما من دابة في
الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها فقلب من يعقل على غيره حكى أن الماء قد
قل في بعض الاودية والجبال واشتد الحر قال بعضهم فرأيت بعض تلك الوحوش رفعت رأسها
الى السماء عند اشتداد عطشها قال فرأيت الغيوم قد أقبلت وأمطرت وامتلأت الاودية
(تنبيه) قيل لا يجوز أن يكون ومن لستم له رازقين حجر وراعطا على الضمير المحرور لا يقال
أخذت منك وزيدا بالاعادة الخافض كافي قوله تعالى واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح والرامي الجواز كما قرئ قوله تعالى تساءلون به والارحام بالخفض في القرآت السبع
وهذا أعظم دليل ولما بين سبحانه وتعالى أنه أثبت لهم كل شيء موزون وجعل لهم معايش أشعر
بذكر ما هو السبب لذلك فقال تعالى (وان) أي وما (من شيء) أي ما ذكر وغيره من الاشياء الممكنة
وهي لانهاية لها (الا عندنا خزائنه) أي قادرون على ايجاده وتكوينه أضعاف ما وجد منه
فضرب الخزان مثلا لا قدره على كل مقدور وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال
في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البحر والبر والخزان جمع خزانة وهي اسم للمكان الذي
يخزن فيه للعفظ وقيل أراد ما تبيع الخزان وقيل المطر لانه سبب الارزاق لبني آدم والوحش
والطير والدواب ومعنى عندنا أي في حكمه تعالى وتصرفه وأمره وتدبيره (وما ننزله) من بقاء
القدرة (الا بقدر معلوم) أي على حسب المصالح وقيل ان لكل أرض حدا ومقدارا من المطر
يقال لا ينزل من السماء قطرة مطر الا وهما ملك يسوقها الى حيث يشاء الله ولما تم ما أراد من
آتي السماء والارض وخفقه بشمول قدرته لكل شيء أتبعه ما ينشأ عنهما مما هو بينهما مودع في
خزائن قدرته بقوله تعالى (وأرسلنا الرياح) جمع ريح وهو جسم لطيف منبث في الجو يسرع المر
(لواقيح) أي حوامل لانها تحمل الماء الى السحاب فهي لاقحة يقال لاقحة اذا حملت الولد
وقال ابن سعد ويرسل الله تعالى الريح فتصل الماء فتجمعه في السحاب ثم تتربه تسدر كما تدر
اللقحة ثم تطر وقال عبيد بن عمير يبعث الله تعالى الريح المثيرة فتثير السحاب ثم يبعث الله المؤلفة
فتؤلف السحاب بعضها الى بعض فتجعلها كما ما يبعث الله اللواقيح تلتقي الشجر وعن ابن عباس
قال ما هبت ريح قط الا جئنا النبي صلى الله عليه وسلم على ركبته وقال اللهم اجعلها رحمة ولا
تجعلها ريحا وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح
قال اللهم اني أسألك خيرا وخيرا ما فيها وخيرا ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها
وشر ما أرسلت به وقرأ حمزة بالافراد والباقيون بالجمع (فأنزلنا) أي بعظمنا بسبب تلك السحاب
التي حملتها الريح (من السماء) أي الحقيقية أو جهتها أو السحاب لان الاسباب المترتبة يسند
الشيء تارة الى القريب منها وتارة الى البعيد (ماء) وهو جسم مانع سيال به حياة كل حيوان
من شأنه الاعتذاء (فأسقينا كوه) أي جعلناه لكم سقيا يقال سقينا ماء يشربه وأسقينا أي

مكنته منه ليس في به ما شئته ومن يريد وثق سبحانه وتعالى عن غيره ما أثبتته أو لال نفسه بقوله
 (وما أنتم له) أي لذلك الماء (بمقارنين) أي استخرانه بأيد بكم والخزن وضع الشئ في مكان
 مهم بالاحتفظ فثبت أن القادر عليه واحد مختار ومن دلائل التوحيد الاحياء والامانة كما قال
 تعالى (وانالخن فحي) أي لنا هذه الصفة على وجه العظمة فحي بها من نشاء من الحيوان
 بروح البدن ومن الروح بالمعارف ومن النبات بالنبوءان كان أحدهما حقيقة والاخر مجازا
 لأن الجمع جائز (ونمت) أي لنا هذه الصفة فنبرز بها من عظمة تنامنا نشاء (ونحن الوارثون) أي
 الارث التام اذ امات الخلائق الباقون بعد كل شئ كما لا شئ فليس لاحد تصرف بامانة
 ولا احياء فثبت بذلك الوحدة اية والفعل بالاختيار فلما ثبت بهذا كمال قدرته وكانت آثار
 القدرة لا تكون محكمة الا بالعلم قال تعالى (ولقد علمنا المستقدمين منكم) وهو من قضينا بعونه
 أو لا من لدن آدم فيكون في موته كانه يسارع الى التقدم اليه وان كان هو وكل من أهله مجتهدا
 بالعلاج في تأخيرهم (ولقد علمنا المستأخرين) أي الذين غد في أعمالهم فنؤخر موتهم حتى يكونوا
 كأنهم يسابقون الى ذلك وان عاجلوا الموت بشرب سم أو نحوه أو عاجله لهم غيرهم بضربهم
 بسيف أو غيره فعرف من ذلك قطعا أن الفاعل واحد مختار وقال ابن عباس أريد بالمستقدمين
 الاموات والمستأخرين الاحياء وقال عكرمة المستقدمين من خلق الله تعالى والمستأخرين
 من لم يخلق وقال الحسن المستقدمين في الطاعة والخير والمستأخرين المستبطون عنه
 وقيل المستقدمين من القرون الاولى والمستأخرين أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
 المستقدمين في الصفوف والمستأخرين فيها وذلك أن النساء كن يخرجن الى الجماعة فيقفن
 خلف الرجال فرعا كان في الرجال من في قلبه رية فيتأخر الى آخر صف الرجال ومن النساء
 من في قلبها رية فتقدم الى أول صف النساء لتقرب من الرجال فقال النبي صلى الله عليه
 وسلم خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها
 * (تنبيه) في سبب نزول هذه الآية قولان أحدهما أن امرأه حسناء كانت تصلي خلف النبي
 صلى الله عليه وسلم فكان بعضهم يستقدم حتى يكون في أول صف حتى لا يراها ويتأخر بعضهم
 حتى يكون آخر صف فاذا ركع نظر من تحت ابطه فنزلت والثاني أن النبي صلى الله عليه وسلم
 حترض على الصف الاول فارد حوا عليه وقال قوم بيوتهم فاصبى عن المسجد لئيبعن دورنا
 ولتشرين درواقرية من المسجد حتى نذكر الصف المقدم فنزلت (وان ربك هو يحشرهم) أي
 المستقدمين والمستأخرين للجزاء ونوسط الضمير للدلالة على أنه القادر والمتولى لحشرهم لا غيره
 وتصدير الجلة بأن لتحقيق الوعد والتنبيه على أن ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه
 بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله تعالى (انه حكيم) أي باهر الحكمه
 متقن في أفعاله (عليم) وسع علمه كل شئ ولما استدلل سبحانه وتعالى بتخليق الحيوانات على صحة
 التوحيد في الآية المتقدمة أرفده بالاستدلال بتخليق الانسان على هذا المطلوب بقوله تعالى
 (ولقد خلقنا الانسان) قال الرازي والمفسرون أجمعوا على أن المراد منه آدم عليه السلام ونقل

في كتب الشيعة عن محمد بن علي الباقر أنه قال قد انقضى قبل آدم الذي هو أبونا ألف ألف آدم
أو أكثر سمي أنسا ناظهوره وإدراك البصراياه وقيل من النسبان لانه عهد اليه نفسي (من
صلصال) أي من الطين الشديد اليابس الذي لم تصببه نار اذ انقرته سمعت له صلصلة أي صوتا
وقال ابن عباس هو الطين اذ انضب عنه الماء تشقق فاذا حرك تشقق وقال مجاهد هو الطين
المتن واختاره الكسائي وقال الفراء هو طين خلط برمل فصار له صوت عند نقره وقال الرازي
قال المفسرون خلق الله تعالى آدم من طين قصوره وتركه في الشمس أربعين سنة فصار صلصالا
لا يدري أحد ما رآه ولم يروا شيئا من الصور يشبهه الى أن نفخ فيه الروح (من جأ) أي طين
أسود متين (مسنون) أي مصور بصورة الآدمي وقال ابن عباس هو التراب المبطل المتن وقال
مجاهد هو المتن المتغير قال البغوي وفي بعض الآثار ان الله تعالى خروطينة آدم وتركه حتى صار
متغيرا أسود ثم خلق منه آدم عليه السلام قال ابن الخازن والجمع بين هذه الأقوال على ما ذكره
بعضهم ان الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام قبض قبضة من تراب الارض واليه
الاشارة بقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم ان ذلك التراب بله بالماء
وجأ حتى اسود وأتى ريمجه وتغير واليه الاشارة بقوله تعالى من جامسنون ثم ان ذلك الطين
الاسود المتغير صورته الله صورة انسان أجوف فلما جف وبيس كانت تدخل فيه الريح فيسمع له
صلصلة واليه الاشارة بقوله تعالى من صلصال كالفخار وهو الطين اليابس ينفخ في الشمس ثم نفخ
فيه الروح فكان بشرا سويا * ولما ذكر سبحانه وتعالى خلق الانسان ذكر ما خلقه قبل من الجآن
فقال تعالى (والجآن) قال ابن عباس هو أبو الجن كما ان آدم عليه السلام أبو البشر وابلوس أبو
الشياطين وفي الجن مسلمون وكافرون ويأكلون ويشربون ويحيون ويموتون كبنى آدم وأما
الشياطين فليس فيهم مسلمون ولا يموتون الا اذا مات ابلوس وقال وهب ان من الجن من يولد
له ويأكلون ويشربون بمنزلة الآدميين ومن الجن من هو بمنزلة الريح لا يتولدون ولا يأكلون
ولا يشربون وهم الشياطين قال ابن الخازن والاصح ان الشياطين نوع من الجن لا شتر اكهم
في الاستتار سمو اجناسا لثوارهم واستتارهم عن الاعين من قولهم جن الليل اذا استتر
والشيطان هو العاني المتترد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر وانتصاب الجآن بفعل
يفسره (خلقناه من قبل) أي قبل خلق الانسان (من نار السموم) أي من ريح حارة تدخل
مسام الانسان فتقتله من قوة حرارتها قال الرازي فالريح الحارة فيها نار وبها فنج كما ورد في
الخبر انها من فيج جهنم انتهى ويقال السموم بالنار والحروب بالليل وقال الكلبي عن أبي صالح
السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهي نار تكون بين السماء وبين الخراب فاذا أحدث
الله تعالى أمرا خرقت الخراب فهوت الى ما أمرت به فالهامة التي تسمعون خرقت ذلك الخراب
وعن ابن عباس هذه السموم جز من سبعين جزأ من السموم التي خلق منها الجآن واليه
الآية وعن الضحاك عن ابن عباس كان ابلوس من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من
نار السموم وخلق الجن الذين ذكرهم في القرآن من ما من نار أو من الملائكة خلقوا

من النور. ولما ذكر الله تعالى حدوث الانسان الاول واستدل بذكره على وجود الاله القادر
 المختار ذكر بعده واقعته بقوله تعالى (واذ) أى واذكربا أشرف الخلق قول ربك عز وجل اذ
 (قال ربك) أى المحسن اليك بتشريف أليك آدم عليه السلام لتشر بفك (للملائكة) أى خالق
 بشرا) أى حيوانا كثيفا ياشرو بياق والملائكة والجن لا ياشرون للطف أجامهم عن
 اشارة البشر والبشرة فظاهر الجلد من كل حيوان وقوله تعالى (من صلصال من جامسنون)
 تقدم تفسيره (فأداسو به) أى عدلته وأتمته وهما نه لنفخ الروح فيه بالفعل (ونفخت فيه من
 روجي) أى خلقت الحياة فيه وليس ثم نفخ ولا منفوخ وإنما هو غنيل وأضاف الروح اليه تشريفا
 كما يقال بيت الله وهو ما يصير به الروح عالما وأشرف منه ما يصير به العالم عاملا خاشعا وسأني
 الكلام على الروح ان شاء الله تعالى في سورة سبحان عند قوله تعالى ويسألونك عن الروح
 (فقروا) أى اسقطوا (له) تغليها حال كونكم (ساجدين) وتقدم في سورة البقرة الكلام
 على من المخاطب بالسجود وهل هو كل الملائكة أو ملائكة السموات أو ملائكة الارض
 وهل هو سجدوا تخنأ أو غيره (فسجد الملائكة) وقوله تعالى (كلهم أجمعون) قال سيبويه
 تأكيده بعد تناكيده وسئل المبرد عن ذلك فقال لو قال فسجد الملائكة احتمل أن يكون سجد
 بعضهم فلما قال كلهم زال هذا الاحتمال فظهر أنهم سجدوا بجماعتهم عند هذا بقى احتمال وهو
 أنهم سجدوا دفعة واحدة أو سجد كل واحد في وقت آخر فلما قال أجمعون ظهر أن الكل
 سجدوا دفعة واحدة قال الزجاج وقول سيبويه أجمعون لا أجمعين معرفة فلا يكون حالا وقوله
 تعالى (الا ابليس) أجمعوا على أن ابليس كان مأمورا بالسجود لا دم واختلفوا في انه هل كان
 من الملائكة أم لا وقد سبق هذه المسئلة على الاستتصاء في سورة البقرة وقوله تعالى (أى أن
 يكون مع الساجدين) أى لا دم استئناف تقديره ان قالوا قال هل سجد فقبل أى ذلك واستكبر
 عنه (قال) الله تعالى له (يا ابليس مالك ألا تسكون) أى أن تكون ولا حري به أى ما منعك أن
 تسكون (مع الساجدين) لا دم (قال لم أكن لا سجد لبشر) جسماني كثيف واللام لتأكيده النفي
 أى لا يصح مني وينافي حالى أن أسجد وانما لك روحاني لبشر (خلقته من صلصال من جام
 سنون) وهو أخس العناصر وخلقته من نار وهى أشرفها استنقص آدم باعتبار النوع
 والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف (تنبيه) * قال بعض المتكلمين انه تعالى
 أوصل هذا الخطاب الى ابليس على اسان بعض رساله وضعف لأن ابليس قال في الجواب لم أكن
 لا سجد لبشر خلقته من صلصال فقوله خلقته خطاب الحضور لا خطاب الغيبة وظاهره يقتضى
 أن الله تعالى تكلم مع ابليس بغير واسطة وأن ابليس تكلم مع الله بغير واسطة فكيف يعقل هذا
 مع ان مكالمه الله تعالى من غير واسطة من أعظم المناصب وأشرف المراتب فكيف يعقل حصوله
 لرأس الكفرة ورئسهم * (وأجب) * بأن مكالمه الله تعالى انما تكون منصبا عالما اذا كانت
 على سبيل الاكرام والاعظام فأما اذا كانت على سبيل الالهانة والاذلال فلا (قال) الله تعالى له
 (فانزع منها) أى من الجنة وقبل من السموات وقبل من زمرة الملائكة وقد تقدم الكلام

على ذلك أيضا في سورة الاعراف (فانك رجيم) أي مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد
 رجيم بالخروج وشيطان رجيم بالشهيق وهو وعد ينضم الجواب عن شبهته (وان عليك اللعنة)
 أي هذا الطرد والابعاد (إلى يوم الدين) قال ابن عباس يريد يوم الجزاء حيث يجازى العباد
 بأعمالهم مثل قوله تعالى مالك يوم الدين (فان قيل) كلفة الى تفيد حصر انتهاء الغاية فلهذا يفيد
 ان اللعنة لا تقص الا الى يوم الدين وعند القيامة يزول اللعن (أجيب) بجوابين الاول أن
 المراد التأيد وذكر القيامة أبعد غاية ذكرها الناس في كلامهم كقوله تعالى مادامت السموات
 والارض في التأيد والثاني أنه مذموم مدعو عليه باللعن في السموات والارض الى يوم
 القيامة من غير أن يعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذب عذابا يقتزن اللعن معه فيصير اللعن حيث
 كان ائلا بسبب أن شدة العذاب تذهل عنه ولما جعله الله تعالى رجما ملعونا الى يوم القيامة
 فكان قائلا يقول فماذا قال فقيل (قال رب) فاعترف بالعبودية والاحسان اليه (فألتظرفي)
 أي أترني والانتظار تأخير المحتاج للنظر في أمره والقضاء متعلقة بمعدوف دل عليه فخرج
 منها فانك رجيم (إلى يوم يفتنون) أي الناس أراد أن يجد فسحة في الاغواء ونجاة من الموت
 اذ لا موت بعد وقت البعث (قال) الله تعالى بحسب الاول دون الثاني بقوله تعالى (فانك من
 المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) وهو المسمى فيه أهلك عند الله وهو النعمة الاولى وما يتبعها
 من موت كل مخلوق لم يكن في دار الخلد (فان قيل) كيف أجابه الله تعالى الى ذلك الالهال
 (أجيب) بأنه اعما أجابه الى ذلك زيادة في بلائه وشقائه وعذابه لالا كرامه ورفع مرتبته
 * ولما أجيب لذلك كأنه قيل فماذا قال فقيل (قال رب) أي أيها الموجد والمدبر لي وقوله
 (تعالى غوثي) أي خيتني من رحمتك الباء فيه للقسم ومصدرية وجواب القسم (لا زرين)
 أي أقسم باغوائك اياي لا زرين (لهم في الارض) حب الدنيا ومعاصيك كقوله فبهزتك
 لاغوينهم أجمعين الا انه في ذلك الموضع أقسم بعزة الله وهي من صفات الذات وهنا أقسم باغواء
 الله وهي من صفات الافعال والفقهاء قالوا القسم بصفات الذات صحيح واختلقوا في القسم
 بصفات الافعال والراجح فيها العصة (ولاغوينهم) أي بالاضلال عن الطريق الحميد مقابلقاء
 الوسوسة في قلوبهم ولاجلتهم (أجمعين) على الغواية وقوله (الاعباد لك منهم المخلصين) قرأه
 ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام أي الذين أخلصوا دينك عن الشوائب وقرأه
 الباقر بن يقطين أي الذين أخلصهم الله تعالى بالهداية وانما استثنى ابليس المخلصين لانه علم
 ان كيد لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه قال الرازي والذي حله على هذا الاستثناء أنه لا يصير كتابا
 في دعواه فلما احتزرا بليس عن الكذب علمنا ان الكذب في غاية الخساسة * (تنبيه) * قال
 رويم الاخلاص في العمل هو أن لا يريد صاحبه منه عوضا من الدارين ولا عوضا من المكين
 وقال الجنيد الاخلاص سر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلم ملك فكيفه ولا شيطان فيفسده
 ولا هو فيقبله وذكر القشيري وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سألت جبريل عليه
 السلام عن الاخلاص ما هو قال سألت رب العزة عن الاخلاص ما هو قال سر استودعته قلب

من أحب من عبادي * ولما ذكر ابلis أنه يغوى بنى آدم الامن عصمه الله بنوفقه وتضمن هذا الكلام تفويض الامور الى الله تعالى والى ارادته (قال تعالى (هَذَا) اى الذى ذكرته من حال المستثنى والمستثنى منه (مراط) اى طريق (على مستقيم) اى لا انحراف عنه لاني قضيت به وحكمت به عليك وعليهم ولولم تقل أنت * ولما قال ابلis لازين لهم فى الارض ولا غوى بينهم أجمعين الاعباد لك منهم المخلصين أو هم هذا أن له سلطانا على عباد الله غير المخلصين فبين تعالى كذبه أنه ليس له سلطان على أحد من عبيد الله سواء كانوا مخلصين أو لم يكونوا مخلصين بل ومن اتبع منهم ابلis باختياره صار تبعه ولكن حصول تلك المتابعات أيضا ليس لاجل ابلis وأوهم ان له على بعض عباد الله سلطانا فبين تعالى كذبه وذكر تعالى انه ليس له على أحد منهم سلطان ولا قدرة أصلا بقوله تعالى (ان عبادى) اى المؤمنين كلهم (ليس لك) اى بوجه من الوجوه (عليهم سلطان) اى لتردهم كلهم عما يرضينى وتظهر هذه الآية قوله تعالى حكاية عن ابلis وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى وقال تعالى فى آية أخرى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطاننا على الذين يتولون والذين هم بمشركون (الامن اتبعك) اى بتعمده منه ورغبة فى اتباعك (من الغاوين) اى ومات من غير توبة فانى جعلت لك عليهم سلطانا بالتزوين والاعواء وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الآية فقال معناه ليس لك عليهم سلطان تلقيمهم فى ذنب يضيق عنه عفوى وقيل ان الاضافة للتشريف فلا تشمل الانخالص فحينئذ يكون الاستثناء منقطعاً وافادة صورة الاستثناء على تقدير الانقطاع الترشيف بالاضافة اليه والرجوع عن اتباع العدو الى الاقبال عليه لان ذوى الانفس الآثية والهم العلية يشافسون فى ذلك المقام ويرونه كما هو الحق أعلى مرام (وان جهنم لموعدهم) اى الغاوين وهم ابلis ومن تبعه (أجمعين) ثم بين تعالى أنهم متفاوتون فيها بقوله تعالى (لها) اى لجهنم (سبعة أبواب) اى سبع طبقات قال على رضى الله تعالى عنه أتدرون كيف أبواب النار هكذا ووضع احدى يديه على الاخرى اى سبعة أبواب بعضها فوق بعض وان الله تعالى وضع الجنات على العرض ووضع النار بعضها على بعض قال ابن جرير النار سبعة دركات أولها جهنم ثم لظى ثم الحطيط ثم السعير ثم سقر ثم الحميم ثم الهاوية (تنبيه) تخصيص العدد لان أهلها سبع فرق وقيل جعلت سبعة على وفق الاعضاء السبعة من العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل لانها مصادر السبائك فكانت مواورها الابواب السبعة ولما كانت هى بعينها مصادر الحسنات بشرط النية والنية من أعمال القلب زادت الاعضاء واحدا فجعلت أبواب الجنان ثمانية قال تعالى (لكل باب) اى منها (منهم) اى من الغاوين خاصة لا يشاركهم فيها مخلص (جزء) اى نصيب وقرأ شعبة بضم الزاى والباقون بالسكون (مقسوم) اى معلوم فلكل دركة قوم يسكنونها قال الفضل فى الدرجة الاولى أهل التوحيد الذين أدخلوا النار يعذبون بمقدور ذنوبهم ثم يخرجون فى الثانية النصارى وفى الثالثة اليهود وفى الرابعة الصابئون وفى

الخامسة المجوس وفي السادسة أهل الشرك وفي السابعة المنافقون فذلك قوله تعالى ان
 المنافقين في الدرك الاسفل من النار وروى عن عمرو بن رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم لهم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمتي أو قال على أمة محمد ول
 شرح تعالى أحوال أهل العقاب أتبعه بصفة أهل الثواب بقوله تعالى وكذلك أنكار المكذبين
 بالبعث (ان المتقين) أي الذين اتقوا الشرك بالله تعالى كما قال جهور الصحابة والتابعين وهو
 الصحيح لأن المتقي هو الآتي بالتقوى مرة واحدة كما أن الضارب هو الآتي بالضرب مرة واحدة
 والقاتل هو الآتي بالقتل مرة واحدة فكأنه ليس من شرط صدق الوصف بكونه ضارباً أو قاتلاً
 كونه آتياً بجميع أنواع الضرب والقتل ليس من شرط صدق الوصف بكونه متقياً كونه آتياً
 بجميع أنواع التقوى لأن الآتي بفرد واحد من أفراد التقوى يكون آتياً بالتقوى لأن كل فرد
 من أفراد الماهية يجب كونه مشتتاً على تلك الماهية (في جنات) أي بساتين قال الرازي
 أما الجنات فأربعة لقوله تعالى ولن خاف مقام ربه جنات ثم قال ومن دونهم جنتان فيكون
 المجموع أربعة وقوله ولن خاف مقام ربه جنات يؤكد ما قلناه لأن من آمن بالله لا يتفك قلبه
 من الخوف من الله تعالى وقوله تعالى ولن خاف يكتفي في صدقه حصول هذا الخوف مرة واحدة
 وقوله تعالى (وعيون) قال الرازي يحتمل أن يكون المراد منها ما ذكره الله تعالى في قوله مثل الجنة
 التي وعد المتقون فيها أنها من ماء غير آسن وأنها من لبن لم يتغير طعمه وأنها من خمر لا يشارب
 وأنها من عسل مصفى ويحتمل أن يكون المراد من هذه العيون منابع مغايرة لتلك الأنهار
 (فان قيل) هل كل واحد من المتقين محتص بعيون أو تجري تلك العيون بعضها إلى بعض
 (أجيب) بأن كل واحد من الوجهين محتمل فيجوز أن يختص كل واحد بعينين ينفع هوبها
 ومن يختص به من الحور والولدان ويكون ذلك على قدر حاجاتهم وعلى حسب شهواتهم ويحتمل
 أن يجري من بعضهم إلى بعض لأنهم يطهرون عن الحقد والحسد وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام
 وحفص برفع العين والباقون بالكسر وقرأ بكسر التنوين في الوصل أبو عمرو وابن ذكوان
 وعاصم وحزة والباقون بالضم ولما كان المنزل لا يجس من الأبالسة والانس قال تعالى
 (ادخلوها) أي يقال لهم ذلك (بسلام) أي سالمين من كل آفة مر حبا بكم (آمنين) من ذلك دائماً
 ولما كان الانس لا يكمل الا بالجنس مع كمال المودة وصفاء القلوب عن الكدر قال تعالى (وترعنا)
 أي بما لنا من العظمة والقُدرة (مافي صدورهم من غل) أي حقد كامن في القلب ويطلق على
 الشصاء والعداوة والحسد والبغضاء فكل هذه الخصال المذمومة داخله في الغل لأنها كامنة
 في القلب يروى ان المؤمنين يحبسون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم إلى
 الجنة وقد نقيت قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد حال كونهم (أخواناً) أي متصافين
 حالة كونهم (على سرر) جمع سرير وهو مجلس رفيع موطأ للسرور وهو أخو ذمته لانه مجلس
 سرور قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم يريد على سر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر
 والياقوت والسرير مثل ما بين صنعاء إلى الحامية (مقابلين) لا يرى بعضهم قبا بعض فان المقابل

التواجه وهو تقيض التدابر ولا شك أن المواجهة أشرف الأحوال وعن مجاهد رضى الله تعالى
 عنه تدور بهم الاسرة حينئذ او وافيكوون في جميع أحوالهم متقابلين * (تنبيه) * ليس
 المراد الاخوة في النسب بل المراد الاخوة في المودة والمخالطة كما قال تعالى الاخلاء يومئذ
 بعضهم لبعض عدو الا المتقين وعن الجنيدي أنه قال ما أحلى الاجتماع مع الاصحاب وما أمر
 الاجتماع مع الاعداد وقوله تعالى (لا يجمعهم فيها نصب) أى اعياء وتعب وجهود ومشقة
 استئناف أحوال بعد حال أحوال من الضمير في متقابلين وقوله تعالى (وما هم منها بمخرجين)
 المراد به كونه خلودا بلا زوال وبقاء بلا فناء وكما لا يلائق صف وفوزا بلا حرمان * ولما ذكر تعالى
 أحوال المتقين وأحوال غيرهم أتبع ذلك بقوله تعالى (نبي) أى خيرا بأفضل الخلق (عبادى)
 اخبارا جليلا (أنى أنا) أى وحدى (الغفور) أى للمؤمنين (الرحيم) بهم وقرأ نافع وابن كثير
 وأبو عمرو بفتح الياء من عبادى وانى والباقون بالسكون وأما البسمزة في نبي فلم يبدلها الاجزة
 في الوقف فقط وكذا البسمزة من نبهم ونقل عن حجة كسر الهاء في الوقف (وأن عذابى) أى
 وحدى للعصاة (هو العذاب الاليم) أى المؤلم * (تنبيه) * في هذه الآية طائفت الاولى أنه
 سبحانه وتعالى أضاف العباد الى نفسه وهذا تشرىف عظيم ألا ترى انه قال لنبيه محمد صلى الله
 عليه وسلم سبحانه الذى أسرى بعبد ليلا الثانية انه تعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ
 في التأكيدات بالفاظ ثلاث أولها قوله تعالى أنى وثانيها قوله أنا وثالثها ادخال حرف الالف
 واللام على قوله تعالى الغفور الرحيم ولما ذكر العذاب لم يقل أنى أنا الملعوب وما وصف نفسه
 بذلك بل قال وأن عذابى هو العذاب الاليم الثالثة انه أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ
 اليهم هذا المعنى فكانه أشهد رسوله على نفسه في التزام المغفرة والرحمة والرابعة انه لما قال
 نبي عبادى كان معناه نبي كل من كان معتزفا بعبوديتي وهذا كما يدخل فيه المؤمن المطيع كذلك
 يدخل فيه المؤمن العاصي وكل ذلك يدل على تغليب جانب الرحمة من الله تعالى وعن أبي هريرة
 رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق الرحمة يوم
 خلقها مائة رحمة فأمسك منها عندة تسعة وتسعين وأرسل في خلقه رحمة فلو يعلم الكافر بكل
 الذى عند الله من الرحمة لم يأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذى عند الله من العذاب
 لم يأمن من النار وعن عبادة رضى الله تعالى عنه قال بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أنه قال لو يعلم العبد قدر عفو الله ما تورع من حرام ولو يعلم قدر عذابه لجمع نفسه الى قتلها
 وعنه صلى الله عليه وسلم أنه مر بفر من أصحابه وهم يضحكون فقال أنضحكون وقد ذكر
 الجنة والنار بين أيديكم فنزل نبي عبادى أنى أنا الغفور الرحيم * ولما بالغ تعالى في تقرير النبوة
 ثم أرفده بذكر دلائل التوحيد ثم ذكر تعالى عقبه أحوال القيامة ووصف الاشقياء والسعداء
 أتبع ذلك بقصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليكون معاهم رغب في العبادات الموجهة
 للفوز بدرجات الاولياء ومخافة المعصية المرجبة للاستحقاق دركات الاشقياء واقتم
 من ذلك بقصة ابراهيم عليه السلام فقال تعالى (ونبهم) أى خبر يا سيد المرسلين عبادى

(عن ضيف ابراهيم) وهم ملائكة اثناعشر أو عشرة أو ثلاثة منهم جبريل عليه السلام
(فان قيل) الضيف هو المنضم الى غيره لطلب القرى (أجيب) بأن هؤلاء هموا بهذا الاسم لانهم
على صورة الضيف فهو من دلالة التضمن وقيل أيضا ان من يدخل دار انسان ويلتجئ اليه
يسمى ضيفا وان لم يأكل (اذ دخلوا عليه) أي ابراهيم وكان يكنى أبا الضيفان كان لقصره أربعة
أبواب لكن لا يفوته أحد (فقالوا سلاما) أي نسلم عليك سلاما وسلمت سلاما (قال) ابراهيم عليه
السلام بلسان الحال أو المقال (آنا) أي أنا ومن عندي (منكم وجاؤون) أي خائفون وكان
خوفهم لامتناعهم من الاصل أولانهم دخلوا في براذن وبغير وقت والوجل اضطراب
النفس لتوقع ما تكره (قالوا لا توجل) أي لا تخف (آنا) رسل ربك (نبشركم بغلام) أي ولد
ذكر في غاية القوة ليس كالأولاد الشيوخ ضعيفا وقرأ حمزة بفتح النون وسكون الباء وضم
السين مخففة والباءون بضم النون وفتح الباء وكسر السين مشددة (عليهم) أي ذى علم كثير
هو اسحق عليه السلام كما ذكر في هود وتقدم ذكر القصة هناك بأسرها (قال) ابراهيم عليه
السلام (أبشركوني) أي بالولد وقوله (على أن مسني الكبر) حال أي مع مسه اباي (فان
قيل) كيف قال (قم) أي فبأي تنبي (نبشرون) أي ينوون ذلك بيانا شافيا مع أنهم
قد ينووا بشروا به وما فائدة هذا الاستفهام (أجيب) بأنه أراد أن يعرف ان الله تعالى
هل يعطيه الولد مع بقائه على صفة الشيخوخة أو يعطيه شابا ثم يعطيه الولد والسبب في هذا
الاستفهام ان العادة جارية بأنه لا يحصل في حالة الشيخوخة التامة وانما يحصل في حال
الشباب أو انه استفهام تعجب ويدل لذلك قولهم (قالوا بشرك بالحق) قال ابن عباس
يريدون بما قضاه الله تعالى والمعنى ان الله تعالى قضى أن يخرج من صلب ابراهيم اسحق ويخرج
من صلب اسحق ذرية مثل ما أخرج من صلب آدم وقولهم (فلا تهن) أي بسبب
تبشيرك (من القاطنين) أي الذين هم في البرية من ابراهيم عليه السلام عن القنوط ونهى الانسان عن
الشيء لا يدل على كونه فاعلا للمنهى عنه كما في قوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين ثم
حكى الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام أنه (قال ومن يقنط) أي يأس من هذا البأس (من
وجهة ربه) أي الذي لم يرزأ حسنه عليه (الاضالون) أي المخطئون طريق الاعتقاد الصحيح
في دينهم من تمام القدرة وانه لا تضروه معصية ولا تنفع طاعة وقرأ أبو عمر والكسائي بكسر
النون والباءون بقهها ولم يتحقق عليه السلام البشري ورأى اتيانهم مخففين على غير الصفة
التي يأتي عليها الملك للوحى وكان هو وغيره من المارفين بالله عالين بأنه ما ينزل الملك الا بالحق كان
ذلك سببا لان يسألهم عن أمرهم ليزول وجله كله ولذلك (قال) عليه السلام (فما) بقاء السبب
(خطبتكم) أي شأنتكم قال أبو حيان والخطب لا يكاد يقال الا في الأمر الشديد اه وقال
الزماني انه الأمر الجليل (أيهم المرسلون) فانكم ما جئتم الا لأمر عظيم يكون فضلا بين هاتين
وناه (قالوا آنا أرسلنا) أي أرسلنا العزيز الحكيم الذي أنت أعرف الناس في هذا الزمان به
(آلى) اهلاكم (قوم) أي ذى منعة (مجرمين) أي كفريين وهم قوم لوط وقوله تعالى (الآل لوط)

فيه وجهان أحدهما انه استثناء متصل على أنه مستثنى من الضمير المستكن في مجرمين بمعنى
أجرموا كلهم الآل لوط فانهم لم يجرموا ويكون معنى قوله تعالى (انا المنجوههم أجمعين) أى
لما انهم استثنوا اخبار نجاتهم لكونهم لم يجرموا ويكون الارسال حينئذ شاملا للمجرمين
ولآل لوط لاهلاك أولئك وانجاء هؤلاء والثانى انه استثناء منقطع لأن آل لوط لم يندرجوا
في المجرمين البتة فيكون قوله تعالى انا المنجوههم أجمعين جرى مجرى خبر لكن في اتصاله بآل لوط
لأن الماء في لكن آل لوط منصوبهم وقرأ حزة والكسائي بسكون النون وتخفيف الجيم والباقون
بفتح النون وتشديد الجيم وقوله تعالى (الامرأته) استثناء من آل لوط أو من ضميرهم على
الأول وعلى الثانى لا يكون الامن ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الآن يجعل انا المنجوههم
اعتراضا وقوله تعالى (قد رنا) قرأ شعبة بتخفيف الدال والباقون بالتشديد (انهم المني الغابرين) أى
من الباقيين في العذاب ليعرفها * (تنبيه) * معنى التقدير في اللفظ جعل الشيء على مقدار غيره
يقال قدر هذا الشيء لهذا أى اجعله على مقداره وقد والله تعالى الاقوات أى جعلها على
مقدار الكفاية ويفسر التقدير بالقضاء فيقال قضى الله تعالى عليه وقدره عليه أى جعله على
مقدار ما يكفي في الخير والشر وقيل معنى قدرنا كتبنا وقال الزجاج دبرنا (فان قيل) لم أسند
الملائكة فعل التقدير الى انفسهم مع أنه لله عز وجل (أجيب) بأنهم انما ذكروا هذه العبارة
لما لهم من القرب والاختصاص بالله تعالى كما تقول خاصة الملك دبرنا كذا أو مرنا بكذا والمدير
والآمر هو الملك لا هم وانما يريدون بهذا الكلام اظهار مالهم من الاختصاص بذلك الملك
فكذا هنا * ولما بشر الملائكة عليهم السلام ابراهيم عليه السلام بالولد وأخبروه بأنهم مرسلون
بعذاب قوم مجرمين ذهبوا بعد ابراهيم عليه السلام الى لوط وأله وهذه هي القصة الثانية
المذكورة في هذه السورة قال تعالى (فلما جاء آل لوط المرسلون) ههنا هم زان مقفوحتان من
كلمتين فقرأ قالون والبرى وأبو عمر وباسقاط واحدة منهما مع المد والقصر وقرأ ورش وقيل
بتسهيل الثانية وابدأها حرف مد والباقون بتحقيق الهمزتين وكذا وجاء أهل المدينة (قال)
لهم (انكم قوم منكرون) لانهم دخلوا عليه جميعا فاستكروهم وخاف من دخولهم لاجل شر
يوصلونه اليه ولجل انهم كانوا شيئا مarda احسان الوجوه فخاف أن يهجم قومه عليهم بسبب
طلبهم فقال هذه الكلمة وقيل ان النكرة ضد المعرفة قوله عليه السلام انكم قوم منكرون
أى لأعرفكم ولأعرف انكم من أى الاقوام أنتم ولأى عرض دخلتم على فعند ذلك (قالوا)
أى الملائكة (بل جئنا ننبأ) أى بالعذاب الذى (كانوا) أى قومك (فيه يفترون) أى يشكون
في نزولهم وبالجاهل يوصف بالشك وان كان مكذبا من جهة ما يعرض لفته من حيث
أنه لا يرجع الى نفسه فيما هو عليه ثم أكدوا ما ذكره بقولهم (وأننا نراك بالحق) أى باليقين
الذى لا شك فيه ثم أكدوا هذا التأكيد بقولهم (وانا لصادقون) أى فيما أخبرنا لذهبه
(فأسر يا هاتك) أى فاذهب بهم في الليل (يقطع من الليل) أى في طائفة من الليل وقبله هى آخره
قال الشاعر افتت الباب واقتطرى في النجوم * كم علينا من قطع ليل بهم

كأنه طال عليه الليل فخطب ضجيجته بذلك أو كان يجب طول الليل للواصل وقرأ نافع وابن
 كثير يوصل همزة فأسير بعد الفاء من السرى والباقون بالقطع وهما يعني (واسع أدبارهم)
 أى وقن على آثار أهلك وسر خلفهم وتطلع على أحوالهم (ولا يلتفت منكم أحد) أى لا تلتفت
 إليه ما نزل بهم من البلاء وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن نجو من آل لوط (وامضوا
 حيث نؤمرون) أى إلى المكان الذى أمركم الله بالمضى إليه قال ابن عباس هو الشام وقال
 الفضيل حيث يقول لكم جبريل وذلك أن جبريل أمرهم أن يعضوا إلى قرية معينة ما عمل أهلها
 عمل قوم لوط وقيل إلى الأردن وقيل إلى مصر * (تنبيه) * حيث ههنا على بابها من كونها طرف
 مكان مبهم ولا يهاها تعدى إليها الفعل من غير واسطة (وقضينا) أى وأوحينا (إليه) ولما ضمن
 قضينا معنى الإيحاء تعدى بالى ومثله وقضينا إلى بنى إسرائيل وقوله تعالى (ذلك الأمر) مبهم
 تفسيره (أن دابر هؤلاء مقطوع) أى مستأصلون عن آخرهم حتى لا يبق منهم أحد وقوله تعالى
 (محصين) حال من هؤلاء ومن الضعيف مقطوع وجعله للعمل على المعنى فإن دابر هؤلاء فى
 معنى مدبرى هؤلاء أى يتم استئصالهم فى الصباح (وجاء أهل المدينة) أى مدينة من مدائن قوم
 لوط وهى سدوم بسين مهملة وذال مبهمة وأخطأ من قال بهملة (يستبشرون) أى باضياف لوط
 طمعافهم وليس فى الآية دليل على المكان الذى جاءه إلا أن القضية تدل على أنهم جاؤا دار
 لوط وقيل أن الملائكة لما كانوا فى غاية الحسن اشتهر خبرهم حتى وصل إلى قوم لوط وقيل
 امرأه لوط أخبرتهم بذلك قال الرازى وبالجمله فالقوم قالوا نزل بلوط ثلاثة من المردم را يناقض
 أصح وجهها ولا أحسن شكلا منهم فذهبوا إلى دار لوط طلبا منهم لا وثلك المرد والاستبشار
 انظهار السرور ولما وصلوا إليه (قال) لهم لوط (ان هؤلاء ضيقي) أى وحق على الرجل أكرام
 الضيف (فلا تفتخون) فيهم يقال فضحه يفضحه إذا أظهر من أمره ما يلزم به العار واذا قصد
 الضيف بسوء كان ذلك اهانة لصاحب المحل ثم أكد ذلك بقوله (واتقوا) أى خافوا (الله)
 فى أمرهم (ولا تحزون) أى ولا تتجولون فيهم بقصدكم إياهم بفعل الفاحشة من الخزيه وهى
 الحياء أو لا تذولون بسببهم من الخزي وهو الهوان (قالوا) أى قومى فى جواب قوله لهم
 (أولم تنهك عن العالمين) أى عن أن تضيف أحدا من العالمين وقيل أولم تنهك أن تدخل الغرباء
 المدينة فإن انقلب منهم الفاحشة وقيل أولم تنهك أن تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل
 أحد وكان لوط عليه السلام يمنعهم عنهم بقدر وسعته ثم (قال) لهم (هؤلاء بناتى) أى نساء القوم
 لأن كل أمة أولاد نبيها رجالهم بنوه ونسأؤهم بناته فكانه قال لهم هؤلاء بناتى فأنكحوهن
 وخالوا بنى فلا تعرضوا لهم (أن كنتم فاعلين) أى ما أقول لكم أقضاء الشهوة والكلام فى ذلك
 قدم مراتب الاستقصاء فى سورة هود وقرأ نافع بفتح ياء بناتى والباقون بسكونها قال الله تعالى لنبيه
 محمد صلى الله عليه وسلم على لسان ملائكته (اعمرك) أى وحياتك وما أقسم بحياة أحد غيره
 وذلك يدل على أنه أكرم الخلق على الله تعالى (أنهم لفي سكرتهم) أى شدة غفلتهم اتى أزال
 عقولهم (بهمون) أى يتعبدون الخطاب للوط عليه السلام قالت له الملائكة ذلك أى

فكيف يعقلون قولك ويلتفتون الى نصيحتك * (تنبيه) * اعمرك مبتدأ محذوف الخبر
 وجوبا وانهم وما في حيزه جواب القسم تقديره لعمرك قسمي أو يميني انهم والعمر والعمر
 بالفتح والضم واحد وهو البقاء الانهم خصوا القسم بالمفتوح لا يشار الاخف فيه وذلك لان
 الخلق كثير الدور على السننهم بلعمري ولعمرك (فأخذتهم الصيحة) أى صيحة هائلة مهلكة
 وجل هي صيحة جبريل عليه السلام قال الرازي ليس في الآية دليل على ذلك فان ثبت دليل
 قوى قبله والاليس في الآية دليل الانهم جاءتهم صيحة عظيمة مهلكة وقوله تعالى
 (مشرفين) أى داخلين في وقت الشروق وهو بزوغ الشمس حال من مفعول أخذتهم ثم بين
 سبحانه وتعالى ما تسبب عن الصيحة مع ما قبلها بقوله تعالى (فجعلنا) أى جعلنا من العظمة والقدرة
 (عاليها) أى مدائنهم (سافلهما) بأن رفعها جبريل عليه السلام الى السماء وأسقطها من قلوبه
 الى الارض (وأمرنا عليهم) أى أهل المدائن التي قلبت المدائن لاجلهم (بمطار من مصبل)
 أى طين طين بالنار * (تنبيه) * دلت الآية الكريمة على أن الله تعالى عذبهم بثلاثة أنواع
 من العذاب أحدها الصيحة الهائلة المنكرة وثانيها أنه جعل عاليها سافلهما وثالثها أنه أمطر
 عليهم بمطار من مصبل وقد تمت الإشارة الى ذلك في سورة هود (أن في ذلك) أى المذكور
 من هذه الأنواع (آيات) أى دلالات على وحدانية الله تعالى (للمؤمنين) أى الناظرين
 الاعتبارين جمع متوهم وهو الناظر في السمعة حتى يعرف حقيقة الشيء وسمته (وانها) أى هذه
 المدائن (ليسيل) أى طريق قريش الى الشام (مقيم) أى لم يدرس بل يشاهدون ذلك
 ويرون أثره أفلا يعتبرون ثم قال سبحانه وتعالى مشيراً الى زيادة الحث على الاعتبار بالتأكيـد
 (أن في ذلك) أى هذا الامر العظيم (آية) أى علامة عظيمة في الدلالة على وحدانيته تعالى
 (للمؤمنين) أى كل من آمن بالله وصدق الانبياء والرسل عرف ان ذلك انما كان لاجل
 ان الله تعالى انتقم لانيائهم من أولئك الجهال أما الذين لا يؤمنون بالله فانهم يحملونه على
 حوادث العالم ووقائعه ثم ذكر تعالى القصة الثالثة وهي قصة شعب عليه السلام بقوله
 تعالى (وان) مخففة من الثقيلة أى وانه (كان) أى جبله وطبعاً (أصحاب الايكة) وهم
 قوم شعب عليه السلام وقد ذكر الله تعالى قصتهم في سورة الشعراء والايكة الشجر
 المتكاثف وقيل الشجر الملتف وقال ابن عباس هي شجر المقل وقال الكلبي الايكة الغيضة
 أى غيضة شجر بقرب مدين (لظالمين) أى عريقين في الظلم تكذيبهم شعيباً عليه السلام
 (فانتقمنا منهم) أى بسبب ذلك قال المفسرون اشتد الحزفهم أياماً ثم اضطرم عليهم المكان ناراً
 فهلكوا عن آخرهم وقوله تعالى (وانهما) فيه قولان الأول ان المراد قري قوم لوط والايكة
 والقول الثاني أن الضمير للايكة ومدين لأن شعيباً كان مبعوثاً اليهما فلما ذكر الايكة
 دل به كراه على مدين فجاء ضميرها (لبامام) أى طريق (مبين) أى واضح والامام اسم لما يؤتم به
 قال القراء انما جعل الطريق اماماً لانه يؤم ويتبع وقال ابن قتيبة لأن المسافرين يأتم به حتى
 يصل الى الموضع الذي يريد ثم ذكر تعالى القصة الرابعة وهي قصة صالح عليه السلام بقوله

تعالى (ولقد كذب أصحاب الحجر) وهم غودقوم صالح عليه السلام وديارهم بين المدينة
 الشريفة والشام (المرسلين) أي كلهم يكذب رسولهم كما كذب هؤلاء المرسلين بتكذيبك
 لأن الرسل يشهد بعضهم لبعض بالصدق فنكذب واحدا منهم فقد كذب الجميع وهم في إثبات
 الرسالة بالمحجة على حد سواء ثم أتبع ذلك قوله تعالى (وآياتناهم) أي بالناظر العظيمة والقدرة
 على يد رسولهم صالح عليه السلام (آياتنا) أي آيات الكتاب المنزل على نبيهم أو معجزات كالناقة
 وكان فيها آيات كثيرة كخروجهم من الصخرة وعظيم خلقها وقرب ولادتها وغزارة لبنها وانما
 أضاف الآيات إليهم وإن كانت لنبيهم صالح عليه السلام لأنه مرسل من ربهم إليهم بهذه الآيات
 (فكانوا عنها) أي الآيات (معرضين) أي تاركينها غير ملتفتين إليها لا يتفكرون فيها ثم أخبر تعالى
 عنهم أنهم كانوا مثل هؤلاء في الأمن من العذاب والعقوبة عما يراهم مع أنهم كانوا أشد منهم
 فقال تعالى (وكانوا يضنون) والنحت قلع جزء بعد جزء من الجسم على سبيل المسح (من الجبال)
 أي التي تقدم أنا جعلنا هارواشي (يونا آمنين) عليهما من الانهدام وذهب الصوص وتخريب
 الأعداء لولا قتل أكبيونكم التي لا بقاء لها على أدنى درجة وقرأ ورش وأبو عمرو وحفص
 برفع الباء والباقون بكسر ها (فأخذهم الصيحة) أي صيحة العذاب (معجبين) أي وقت الصبح
 (فما أغنى) أي ما دفع عنهم (الضر والبلاء) ما كانوا يكسبون أي يعملون من بناء البيوت
 الوثنية واستكثار الأموال والعدد وعن جابر رضي الله تعالى عنه مرزنا مع رسول الله صلى
 الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا ندخلوا مساكن الذين ظلوا أنفسهم الآن نكفونوا بأكبر
 حذرا أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فأسرع حتى
 خلفها ولم يذكر تعالى هذه القصص تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم فإنه إذا سمع أن الأمم السالفة
 كانوا يعملون أنبياء الله بمنزل هذه المعاملات سهل تحمل تلك السفاهة قال تعالى (وما خلقنا
 السموات والأرض) أي على ما لها من العلو والسعة والأرض على ما لها من المنافع والغرائب
 (وما بينهما) من هؤلاء المشركين المكذبين وعذابهم ومن الماء والرياح والسموات المسبب عنه
 النبات وغير ذلك (الابالحق) أي الإخلاص ملتبس بالحق فيبتكر فيه من وفقه الله تعالى ليعلم
 النشأة الآخرة ثم هذه النشأة الأولى (وإن الساعة) أي القيامة (لآتية) لا محالة فيجازي الله
 تعالى كل أحد بعمله ثم إنه تعالى لما صبره على أذى قومه رغبه بعد ذلك في الصفع عن سيئاتهم
 بقوله تعالى (فاصفع الصفع الجميل) أي اعرض عنهم اعراضا لجزع فيه ولا تهمل بالانتقام
 منهم وهذا منسوخ بآية السيف قال الرازي وهو بعد لأن المقصود من ذلك أن يظهر الخلق
 الحسن والصفر والصفع فكيف يصبر منسوخا ١٥ والأقول جرى عليه البغوى وجماعة من
 المفسرين ثم علل تعالى هذا الأمر بقوله (إن ربك) أي الحسن إليك الأمر لك بهذا (هو) أي
 وحده (الخلق) أي المتكبر ومنه هذا الفعل (العليم) أي البالغ العلم بكل العلومات فليست
 أقوالهم وأفعالهم الآمنة سبحانه وتعالى لأنه خالقها وقد علمت أنه لا يضيع مثقال ذرة فاعتمد
 عليه في أخذ خلقه فانه نعم المولى ونعم النصير ولما صبره الله تعالى على أذى قومه وأمره أن يصفح

الصفيح الجليل اتبع ذلك بذكر النعم العظيمة التي خص الله تعالى أفضل خلقه بها بقوله تعالى
 (ولقد أنزلنا) بأفضل الخلق على الناس العظيمة والقدرة كما آتيناها لما تقدم (سبحا) يكون
 كل سبع منها كفيلا باغلاق باب أبواب من النيران السبعة وهي أم القرآن الجامعة لجميع معاني
 القرآن التي أمرنا بأعادتها في كل ركعة زيادة في حفظها وتبركا بل حفظها وتذكرا المعانيها
 وتخصيصها لها عن بقية الذكر الذي تكفلنا بحفظه والسبب في وقوع هذا الاسم على الفاتحة
 لأنها سبع آيات وهذا ما عليه أكثر المفسرين روى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ الفاتحة وقال هي
 السبع المثاني رواه أبو هريرة وقبل المراد سبع سور وهي الطوال واختلف في السابعة فقيل
 الانفال وبرامة لأنها ما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بآية البسلة وقبل الحواميم السبع
 وقيل سبع صحائف وهي الاسباع وقوله تعالى (من المثاني) صفة للسبع وهو جمع واحد
 منثاة والمنثاة كل شيء يثنى أي يجعل اثنين من قولك ثبت الشيء ثبنا أي عطفته وضممت اليه
 آخر ومنه يقال لركبتي الدابة ومرقها مثاني لأنها ثني بالفضد والعضد ومثاني الوادي معافقه
 أما تسمية الفاتحة بالمثاني فلوجوه الاول أنها ثني في كل صلاة بمعنى أنها تقرأ في كل ركعة الثاني
 أنها ثني بما بعدها فيما يقرأ معها الثالث أنها قسمت قسمين اثنين لما روى أنه صلى الله عليه وسلم
 قال يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين والحديث مشهور وقد ذكرته في
 وجه تسميتها صلاة عند ذكرها الرابع أنها قسمان اثنان ثناء ودعاء وأيضا النصف الاول منها حق
 الربوبية وهو الثناء والنصف الثاني حق العبودية وهو الدعاء الخامس أن كلماتها منثاة منثلة
 الرحمن الرحيم بالثناء وبالنسبة اهدانا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم وأما
 السور والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعود والوعيد وغير ذلك ولما فيها
 من الثناء كلها ثني على الله تعالى بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى (نبيه) * من في من المثاني
 أما اللسان أو للتبعيض إذا أردت بالسبع الفاتحة والطوال والبيان أن أردت الاسباع قال
 الزخشي ويحجز أن تكون كتب الله كلها مثاني لأنها ثني عليه لما فيها من المواعظ المكررة
 ويكون القرآن بعضها وقوله تعالى (والقرآن العظيم) أي الجامع لجميع معاني الكتب
 السماوية المتكفل بخبري الدارين مع زيادات لا تحصى فيه أوجه أحدها أنه من عطف بعض
 الصفات على بعض أي الجامع بين هذين النعتين الثاني أنه من عطف العام على الخاص إذ
 المراد بالسبع أما الفاتحة وأما الطوال فكأنه ذكر مرتين بجهة الخصوص ثم باندرجها في
 العموم الثالث أن الواو مقممة * ولما عرف سبحانه وتعالى رسوله عظيم نعمه عليه فيما يتعلق
 بالدين وهو أنه آناه سبحانه من المثاني والقرآن العظيم نهاء عن الرغبة في الدنيا بقوله تعالى
 (لا تعلقن عينين) أي لا تشغل سررك وخطرك بالالتفات (إلى ما منتهى آرزواجانهم) أي
 أصنامنا من الكفار والزنج في اللغة الصنف وقد أوتيت القرآن العظيم الذي فيه خفي عن
 كل شيء قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه من أوفى القرآن قرأى أن أحدا أوفى في الدنيا أفضل
 مما أوفى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وتأول سفيان بن عيينة هذه الآية بقول النبي صلى الله

عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن أي لم يستغن وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
تصدق عينيكم أي لا تتقن ما فضلنا به أحدا من متاع الدنيا وقيل أتت من بعض البلاد سبع
قوافل ليهود قرظطة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجوهر وسائر اللامعة فقال المسلمون
لو كانت هذه الأموال لنا لقوتنا بها وأخضعناها في طاعة الله تعالى فقال الله تعالى لقد أعطيكم
سبع آيات من خير من هذه القوافل السبع وفقر الواحدى هذا المعنى فقال انما يكون ما ذا
عنيته إلى الشيء إذا أدام النظر فيه وادامة النظر إلى الشيء تدل على استحضاره وتبينه وكان
النبي صلى الله عليه وسلم لا ينظر إلى ما يستحسن من متاع الدنيا يرى أنه نظر إلى نعيم في المصطلق
وقد عوس في أبوابها وأبعارها وهو أن تحف أبوابها وأبعارها على أخذها إذا تركت من
العمل أيام الربيع فتكثر شهوها ولحومها وهي أحسن ما تكون وعن أبي هريرة رضي الله
تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى
من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم وقوله تعالى (ولا تحزن عليهم) نهى له عن
الالفات اليهم لم يؤمنوا فيخلصوا أنفسهم من النار ولما نهاه سبحانه وتعالى عن الالتفات
إلى أولئك الاغنياء من الكفار أمره بالتواضع للفقراء المسلمين بقوله تعالى (واخفض جناحك
إلى أن جانبك) (للمؤمنين) أي العرب يقين في هذا الوصف واصبر نفسك معهم وارفق بهم سمع
أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا والتواضع للمؤمنين أمره بتبليغ
ما أرسل به اليهم بقوله تعالى (وقل إني أنا النذير) من عذاب الله أن ينزل عليكم إن لم تؤمنوا
وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو يفتح الياء والباقون بالسكون (المبين) أي البين الاذار وقوله
تعالى (كأأنزلنا) أي العذاب (على المقتسمين) قال ابن عباس هم اليهود والنصارى سموا بذلك
لانهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه فوافق كتبهم آمنوا به وما خالف كتبهم كفروا به
وقال عكرمة أنهم اقسام سور القرآن فقال واحد هذه السورة في وقال آخر هذه السورة في
وانما فعلوا ذلك استهزاء به وقال مجاهد انهم اقسام كتبهم فآمن بعضهم ببعضها وكفروا بعضهم
ببعضها وقال قتادة أراد بالمقتسمين كفار قريش قال سموا بذلك لأن أقوالهم تقسمت في القرآن
فقال بعضهم انه محقر وزعم بعضهم أنه كهانه وزعم بعضهم أنه أساطير الاولين وقال ابن
السائب سموا بالمقتسمين لانهم اقساموا طرق مكة وذلك أن الوليد بن المغيرة بعث رجلا من أهل
مكة قبل سنة عشر وقيل أربعين وقال انطلقوا فافتقروا على طرق مكة حمت يربكم أهل
الموسم فاذا سألوكم من محمد فقل بعضكم انه مجنون وليقل بعضكم انه كاهن وليقل بعضكم
انه سامر وليقل بعضكم انه شاعر فذهبوا وقعدوا على طرق مكة يقولون ذلك لمن يترجمهم من حجاج
العرب وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام نصبوه حكا فاذا جاءوا سألوا عما قال أولئك
فيقول حسدوا فافعلوا الله تعالى يوم بدر وقوله تعالى (الذين جاءوا القرآن عضين) نعت
للمقتسمين وقال ابن عباس هم اليهود والنصارى جزوا القرآن أجزاء فآمنوا بما وافق التوراة
والانجيل وكفروا بالباقي وقال مجاهد قسموا كتاب الله فصرقوه وبددوه وقيل كانوا يستغزون به

فيقول بعضهم سورة البقرة في ويقول بعضهم سورة آل عمران في وقيل اقتصوا القرآن فقال
 بعضهم سحر وقال بعضهم سحر وقال بعضهم كذب وقال بعضهم أساطير الاولين وقيل هم أهل
 الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على أن القرآن ما يقرئونه من كتبهم فيكون ذلك
 تنبيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن منيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وسحر
 وأساطير الاولين بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب يخوفوهم * (تنبيه) * عظيم جمع
 عضة وهي الفرقة والعظيم الفرق وتقدم معنى جعلهم القرآن كذلك وقيل العضة السحر بلغة
 قريش يقولون هو عاضه وهي عاضه وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضه
 والمستعضه أي الساحرة والمستسحرة وقيل هو من العضة وهو الكذب والبهتان يقال عاضه
 عضا وعضيه أي رماه بالبهتان وقيل جمع عضوا مأخوذ من قولهم عضيت الشيء أعضيه اذا فرقه
 وجعلته أجزاء وذلك أنهم جعلوا القرآن أعضاء مفرقة فقال بعضهم سحر وقال بعضهم أساطير
 الاولين ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه على أنه يسأل هؤلاء المقتسمين الذين جعلوا القرآن
 عظيم بقوله تعالى (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) فيكون الضمير عائدا على المقتسمين
 لأنه الأقرب ويحتمل أن يعود على جميع المكلفين لأن ذكرهم تقدم في قوله تعالى وقيل اني أنا
 النذير المبين أي لجميع الخلق قال جماعة من المفسرين يستلون عن لا اله الا الله وقال أبو
 العالية يستلون عما كانوا يعبدون وما أجابوا به المرسلين (فان قيل) كيف الجمع بين قوله في
 فوربك لنسألنهم أجمعين وبين قوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان (أجيب) بأن
 النبي ينصرف الى بعض الاوقات والاشبات الى وقت آخر لان يوم القيامة يوم طويل وفيه
 مواقف يستلون في بعضها ولا يستلون في بعض آخر وتطير له قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون وقال
 في آية أخرى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
 (فاصدع) أي اجهر بعلو شدة فارها بين الحق والباطل وقرأ حمزة والتكاوي بأشمام الصاد
 الساكنة قبل الدال والباقون بالصاد الخالصة (عما) أي بسبب ما (تومحوا) به أمر النبي صلى
 الله عليه وسلم في هذه الآية باظهار الدعوة روى عن عبد الله بن عبيدة قال كان مستغنيا حقي
 نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه (وأعرض) أي اعراض من لا يسأل (عن المشركون)
 بالرفع الجدل عن الاذى والاجتهاد في الدعاء ولا تلتفت الى لومهم بالذم على اظهار الدعوة قال
 بعض المفسرين كالبحر في هذا منسوخ بآية القتال قال الرازي وهو ضعيف لان معنى هذا
 الاعراض ترك المجالاة فيهم فلا يكون منسوخا * ولما كان هذا الصدد في غاية الشدة عليه صلى
 الله عليه وسلم لكثرة ما يلقي عليه من الاذى خفف عنه سبحانه وتعالى بقوله معلل له (انا) أي
 بمالئامن العظمة والقدرة (كفناك المستزين) أي شر الذين هم عريقون في الاستمزاز وهم
 خمسة نفر من رؤساء قريش الوليد بن المغيرة والعاصي بن اكل ومعدني بن قيس والاهود
 ابن عبد المطلب والاسود بن عبد يغوث ووصف سبحانه وتعالى هؤلاء بقوله تعالى (الذين
 يجعلون مع الله الها آخر) وقيل ليس بصفة بل مبهمة وانضمته معنى الشرط دخلت الفاء في خبره

وهو (فسوف يعلمون) أي عاقبة أمرهم في الدارين * ولما ذكر سبحانه وتعالى أن قومه
يسفهون عليه ولا سيما أولئك المقتسمون قال له تعالى (ولقد نعلم) أي نحقق وقوع علمنا (أنك)
أي على ما لك من الحلم وسعة البطان (يضيق صدرك) أي يوجد ضيقه وتعبد (بما يقولون)
أي من الاستهزاء والتكذيب بك وبالقرآن لأن الجبل له البشرية والمزاج الانساني يقتضي
ذلك ففسد هذا قال تعالى (فسبح) ملتبسا (بحمده ربك) أي نزهه عن صفات النقص وقال
الضحاك قل سبحان الله وبحمده وقال ابن عباس فصل بأمر ربك (وكن من الساجدين) أي
من المصلين روى أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وقد تمت معناه في
سورة البقرة * (تنبيه) * اختلف الناس كيف صاروا لاقبال على الطاعات سبباً زال ضيق
القلب والحزن فقال العارفون المحققون إذا اشتغل الانسان بهذه الانواع من العبادات تنور
باطنه ويشرق عليه وينفصح وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقارتها فلا
يلتفت اليها وقال بعض الحكماء إذا نزل بالانسان بعض المكروه فزع إلى الطاعات فكأنه
يقول يا رب يجب علي عبادتك سواء أعطيتني الخيرات أو ألقيتني في المكروهات فأنا عبدك بين
يديك فأفضل لي ما تشاء (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) قال ابن عباس يريد الموت وسعى
الموت يقيناً لأنه أمر متيقن وهذا مثل قوله تعالى في سورة مريم وأوصاني بالصلاة والزكاة
ما دمت حياً وروى البغوي بسنده عن ابن جبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى
الله إلي أن أجمع المال وأكون من التجارين ولكن أوحى إلي أن أسبح بحمده ربك وكن من
الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (فان قيل) أي فائدة لهذا التوقيت مع أن كل أحد
يعلم أنه إذا مات سقطت عنه العبادات (أجيب) بأن المراد منه واعبد ربك في جميع زمان
حياتك فلا تخل لحظة من لحظات الدنيا بهذه العبادات وعن عمر رضي الله عنه قال نظر رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انظروا إلى هذا الذي نورا الله قلبه لقد رأيته بين أبيه يغذونه بأطيب
الطعام والشراب ولقد رأيته عليه حلة ثراها أو قال شريته له بمائتي درهم فدعا حب
الله وحب رسوله إلى ما ترون وما وراءه البيضاء يتعالي لمحشرى من أنه صلى الله عليه وسلم قال
من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستمزين
بحمد صلى الله عليه وسلم حديث موضوع

﴿سورة النمل عتبة﴾

الاقوله تعالى وان عاقبتهم إلى آخر السورة وحكي الاسم عن بعضهم أنها كلها مدنية وقال آخرون
من أولها إلى قوله كن فيكون مدني وما سواه مكى وعن قتادة ~~بالعكس~~ وتسمى سورة النمل
والمقصود من هذه السورة الدلالة على أنه تعالى تام القدرة والعلم فاعل الاختيار مغزى عن
شوائب النقص وأدل ما فيها على هذا المعنى أمر النمل لما ذكر من شأنه في دقة الفهم في ترتيب

يوتها وزجها وسائر أمرها من اختلاف ألوان ما يخرج منها من أعسالها وجعله شفاء مع أكلها
 من الثمار النافعة والعذرة وغير ذلك من الأمور ووسمها بالنم واضمح وهي مائة وثمانية وعشرون
 آية واللذان ونما ثمانية وأربعون كلمة وعدد حروفها سبعة آلاف وسبع مائة وسبعة أحرف
 (بسم الله) أي المحيط بدار الكمال فاشاء فصل (الرحمن) أي الذي عمت نعمته جلجل خلقه
 وحقيقه صغيره وكبيره (الرحيم) أي الذي خص من شاء بنعمته النجاة عما يسخطه بما يراه وقوله
 تعالى (أتى أمر الله) فيه وجهان أحدهما أنه ماض لفظا مستقبلي معنى إذا المراد به يوم القيامة
 وإنما برزه في صورة ما وقع وانقضى تحقيقا له وصدق الخبر به والثاني أنه على باب المراد
 مقدما له وأوائله وهو نضر رسوله صلى الله عليه وسلم أي جاء أمر الله ودنا وقرب فانه يقال في
 الكلام المعتاد انه قد أتى ووقع اجراء لما يجب وقوعه مجرى الواقع يقال لمن طلب الاعانة
 وقرب حصولها جاءك الفتوى أي أتى أمر الله وعدا (فلا تستجلبوه) وقوعا قبل مجيئه فانه واقع
 لا محالة روى أنه صلى الله عليه وسلم قال بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بإصبعه السبابة
 والوسطى قال ابن عباس كان مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة * ولما مر
 جبريل بأهل السموات مبعوثا إلى النبي صلى الله عليه وسلم لم قالوا الله أكبر قامت الساعة وروى
 أنه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا أي محمد صلى الله عليه وسلم يزعم
 أن القيامة قد اقتربت فأمسكوا عن بعض ما تقولون حتى تنظروا ما هو كائن فلما تأخرت قالوا
 ما نرى شيئا فنزل اقترت للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى
 شيئا مما تخوفنا به فنزل أي أمر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم
 وظنوا أنهم اقدأت حقيقة فنزل فلا تستجلبوه فاطمأنوا فكان الكفار قالوا اسلمنا لك يا محمد الا أنا
 نعبد هذه الاصنام لتشفع لنا عند الله تعالى فخلصنا من هذا العذاب المحكوم به فأجابهم الله
 تعالى بقوله تعالى (سبحانه) أي تنزيها له (وتعالى عما يشركون) أي تبرأ سبحانه وتعالى بالاوصاف
 الحميدة عن أن يكون له شريك في ملكه وقرأ آجزة والكسائي أي بالامالة وقرأ ورش بالفتح وبين
 اللفظين والباقون بالفتح وقرأ آجزة والكسائي عما تشركون في الموضوعين بالتاء على وفق قوله
 فلا تستجلبوه والباقون بالياء على الغيبة على تلوين الخطاب أو على أن الخطاب للمؤمنين أولهم
 ولغيرهم * ولما أجاب سبحانه وتعالى الكفار عن شبهتهم بقوله تنزيها لنفسه عما يشركون وكان
 الكفار قالوا هب ان الله تعالى قضى على بعض عبيد بالشر وعلى آخرين بالنجى ولكن كيف
 يمكنك أن تعرف هذه الأمور التي لا يعلمها الا الله تعالى وكيف صرت بجنت تعرف أسرار
 الله تعالى وأحكامه في ما يملكه وملكوته فاجابهم الله تعالى بقوله (ينزل الملائكة) قال ابن عباس
 يريد بالملائكة جبريل وحده قال الواحدى يسمى الواحد بالجمع اذا كان ذلك الواحد رئيسا
 وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتخفيف الزاى والباقون بتشديد ها والمراد (بالروح) الوحي أو القرآن
 فان القلوب تحيا به من موت الجهالات وقوله تعالى (من أمره) أي بارادته حال من الروح (على
 من يشاء من عباده) وهم الانبياء (أن أذروا) أي خوفوا الكافرين بالعذاب وأعلموهم (أنه)

أى الشان (لا اله الا أنا) أى لا اله غيرى وقوله تعالى (فاتقون) أى خافوني رجوع الى مخاطبتهم
 بما هو المقصود * (تنبيه) * فى قوله تعالى ان أنذرنا ثلاثة أوجه أحدها أنها المفسرة لأن
 الوحي فيه ضرب من القول والانزال بالروح عبارة عن الوحي قال تعالى وكذلك أوحينا اليك
 روحنا من أمرونا الثانى أنها المخففة من الثقل وجميعها ضمير الشأن محذوف الثالث أنها
 المصدرية التى من شأنها نصب المضارع وحصلت بالامر كقولهم كتب اليه بأن قم والاية تدل
 على أن نزول الوحي بواسطة الملائكة وان النبوة عطاءة * ولما وحده سبحانه وتعالى نفسه ذكر
 الآيات الدالة على وحدانيته من حيث انها تدل على أنه تعالى هو الموجد لاصول العالم
 وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة بقوله تعالى (خلق السموات) أى التى هل السقف المظلم
 (والارض) أى التى هى البساط المقل (بالحق) أى أوجدهما على مقدار وشكل وأوضاع
 وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته (تعالى) أى تعاليها فأت الوصف (عما يشتركون) به
 من الامتنام * ولما كان خلق السموات والارض غيبا تقدمه وكان خلق الانسان على هذه
 الصفة شهادة فتكون أقوى فى الدلالة على وحدانيته تعالى قال تعالى (خلق الانسان) أى
 هذا النوع (من نطفة) أى آدم عليه السلام من مطلق الماء ومن تفرع عنه بعد زوجه حواء
 من ماء مقيد بالدفق الى أن صيره قويا شديدا (فاذا هو خصيم) أى شديد الخصومة (مبين) أى
 بينها روى أن أبى بن خلف الجمحي وكان يشكر البعث جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم
 رميم فقال تزعم يا محمد أن الله يبعي هذا العظم بعد ما قدرتم فنزلت هذه الآية ونزل فيه أيضا قوله
 تعالى قال من يبعي العظام وهى رميم قال الخازن فى تفسيره والصحيح ان الآية عامة فى كل
 ما يقع فيه الخصومة فى الدنيا ويوم القيامة وجلها على العموم وأولى ولما كان أشرف الاجسام
 الموجودة فى العالم السفلى بعد الانسان سائر الحيوانات وأشرفها الانعام ذكرها بقوله تعالى
 (والانعام) أى الأزواج الثمانية الضأن والمعز والابل والبقر ونصبه بفعل يفسره
 (خلقها) قال الواحدى تم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتدأ فقال (لكم فيها دفء)
 أى ما يدفأ به من اللباس والاكسية ونحوها المتخذة من الاصواف والاوبار والاشعار قال
 ويجوز أيضا أن يكون تمام الكلام عند قوله والانعام خلقها لكم ثم ابتدأ فقال تعالى فيها
 دفء قال الرازى قال صاحب النظم وأحسن الوجهين أن يكون الوقف عند قوله تعالى خلقها
 والدليل عليه أنه عطف عليه ولكم فيها جمال والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جمال ولما
 ذكر تعالى الانعام ذكر لها أنواعا من المنافع الاول قوله تعالى لكم فيها دفء النوع الثامن
 قوله تعالى (ومنافع) أى ولكم فيها منافع من نسلها ودرها وركوبها والحمل عليها وسائر
 ما يتنفع به من الانعام وانما عبر تعالى عن ذلك بلفظ المنفعة وهو اللفظ الدال على الوصف
 الاعم لأن الدر والنسل قد يتنفع به فى الاكل وقد يتنفع به فى البيع بالنقد وقد يتنفع به بأن
 يستدل بالثياب وسائر الضروريات فعبّر عن جملة هذه الاقسام بلفظ المنافع ليتناول الكل
 النوع الثالث قوله تعالى (ومنماتها كلون) فان قيل تقديم التلطف في هذا المحسر لان تقديم

الظرف مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها (أجيب) بأن الاكل من هذه الانعام هو الذي يعمده الناس في معاشهم وأما الاكل من غيرها كالذبايح والبطوالا وزصيد البر والبحر فليس يعمده في الاغلب وأكله يجري مجرى التفكه به فخرج ومنها تأكلون مخرج الغالب في الاكل من هذه الانعام (فان قيل) منفعة الاكل مقدمة على منفعة اللباس فلم تقدمت منفعة اللباس عليه (أجيب) بأن منفعة اللباس أكثر من منفعة الاكل فلهاذا تقدمت على منفعة الاكل (ولكم فيها جال) أي رينة (حين تريحون) أي تردونهم من مراعيها الى مراعيها بالعشي (وحين تسرحون) أي تخرجونهم بالغداة الى المريع فان الافنية تنزيبها في الوقتين وتقبل أهلها في أعين الناظرين اليها (فان قيل) لم تقدمت الراحة على التسريح (أجيب) بأن الجال في الراحة أظهر اذا أقبلت ملائى البطون حافله الضرر ثم اوت الى الحظائر حاضرة لاهلها فنفرح أهلها بما بخلاف تسريحها الى المريع فانها تخرج جائعة البطون ضامرة الضرر ثم تأخذ في التفرق والانتشار للمريع في البرية فليس في التسريح تتجمل كما في الراحة النوع الرابع قوله تعالى (وتحمل أنقالكهم) جمع نقل وهو متاع المسافر (الى بلد) أي غير بلدكم أردتم السفر اليه (لم تكونوا بالغيه) أي غير واصلين اليه على غير الابل (الابشق الانفس) أي الالكفة ومشقة والشق بكسر الشين نصف الشيء أي لم تكونوا بالغيه بالغيه الالبقصة ان قوة النفس وذهاب نصفها وقال ابن عباس يريد من مكة الى اليمن والى الشام والى مصر قال الواحدى والمراد كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير ابل شق عليكم وخص ابن عباس هذه البلاد لان متاجر أهل مكة كانت الى هذه البلاد (فان قيل) المراد من قوله تعالى والانعام خلقها لكم الابل فقط بدليل أنه وصفها الى آخر الآية بقوله وتحميل أنقالكهم الى بلد وهذا الوصف لا يليق بالابل (أجيب) بأن المقصود من هذه الآيات تعدد منافع الانعام فبعض تلك المنافع حاصل في الكل وبعضها يختص ببعض والدليل عليه أن قوله ولكم فيها جال حاصل في البقر والغنم مثل حصوله في الابل (تنبيه) * احتج منكر وكرامات الاولياء بهذه الآية فانها تدل على أن الانسان لا يمكنه الانتقال من بلد الى بلد الا بشق النفس وحمل الانتقال على الابل ومنبتو الكرامات يقولون ان الاولياء قد ينتقلون من بلد الى بلد آخر بعد في ليلة واحدة من غير تعب وتحميل مشقة وكان ذلك على خلاف هذه الآية فيكون باطلا واذا بطل القول بالكرامات في هذه الصورة بطل القول بها في سائر الصور اذ لا قائل بالفرق وأجاب المنتبئون بأننا نخص عموم هذه الآية بالادلة الدالة على وقوع الكرامات (ان ربكم) أي الموجد لكم والحسن اليكم (لروى) أي يبلغ الرحمة لمن يتوسل اليه بما رضىه وقرأ أبو عمرو وشعبة وحزرة والكسائي بقصر الهمزة والياقون بالمدة (رحيم) أي يبلغ الرحمة بسبب وبغير سبب وقوله تعالى (والخليل) أي الصاهلة وهو اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والرهط (والبغال) أي المتولدة بينهما وبين الحمار (والحجر) الناهقة عطف على الانعام أي وخلق هذه الحيوانات (لتركبوها) أي لاجل أن تركبوها وفي نصب قوله تعالى (وزينة) أوجه أحدها أنه مفعول من أجله وانما وصل الفعل الى

الاول باللام في قوله تعالى لتركبوها والى هذا بنفسه لاختلاف شرطه في الاول وهو عدم التمسك
 الفاعل فان الخالق هو الله تعالى والراكب الخساطيون بخلاف الثاني الثاني انهم منصوبة
 على الحال وصاحب الحال اما مفعول خلقها واما مفعول لتركبوها فهو مصدر اقيم مقام
 الحال الثالث ان يتصب بتقدير فعل قدره الزمخشري بقوله وخلقها زينة وقدره ابن
 عطية وغيره بقولهم وجعلها زينة الرابع انهم مصدر افعل محذوف أى وتزينون بها زينة
 * (تنبيه) * احتج القائلون وهم ابن عباس والحاكم وأبو حنيفة ومالك بتعريم لحوم الخيل
 بهذه الآية قالوا منفعته الاكل اعظم من منفعة الركوب ولو كان أكل لحم الخيل جائزا لكان
 هذا المعنى أولى بالذكر وحيث لم يذكره تعالى علمنا أنه يحرم أكله لان الله تعالى خص الانعام
 بالاكل حيث قال تعالى ومنها تأكلون وخص هذه بالركوب فقال لتركبوها فعلمنا أنها
 مخلوقة للركوب لا للاكل واحتج القائلون باباحة أكل اللحم من الخيل وهم سعيد بن جبير
 وعطاء وشريح والحسن والشافعي بما روى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله تعالى
 عنها قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة وما روى
 عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الجر الاهلية وأذن في
 الخيل وفي رواية أن كنانا في زمن خيبر للخيل وجحر الوحش ونهى النبي صلى الله عليه وسلم
 عن الجمار الاهلي هذه رواية البخاري وسلم وفي رواية أخرى داود قال ذبحنا يوم خيبر الخيل
 والبغال والحمير وكأقد أصابنا محضة فنهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا
 عن الخيل وأجابوا عن هذه الآية بأن ذكر الركوب والزينة لا يدل على أن منفعتها محصورة بذلك
 وانما خص هاتين المنفعتين بالذكر لانهما معظم المقصود ولهذا سكت عن حمل الاثقال على
 الخيل مع قوله تعالى في الانعام ونحمل أثقالكم ولم يلزم من ذلك تحريم الاثقال على الخيل وقال
 الواحدى لوديات هذه الآية على تحريم أكل هذا الحيوان لكان تحريم أكلها معلوما في
 مكة لاجل أن هذه السورة مكية ولو كان الامر كذلك لكان قول عامة المفسرين والمحدثين ان
 لحوم الجر الاهلية حرمت عام خير أى وذلك في المدينة باطلا لان التحريم لما كان حاصل قبل
 هذا اليوم لم يكن تخصيص هذا التحريم بهذه السنة فائدة قال الرازي وهذا جواب
 حسن متين وقال ابن الخازن والدليل الصحيح المعتمد عليه في اباحة لحوم الخيل ان السنة صينة
 للكتاب ولما كان نص الآية يقتضى أن الخيل والبغال والحمير مخلوقة للركوب والزينة
 وكان الاكل مسكوتا عنه ودار الامر فيه على الاباحة والتحريم فوردت السنة باباحة لحوم
 الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير أخذنا به جماين النصين * ولما ذكر سبحانه وتعالى هذه
 الانواع من الحيوان ذكرها على سبيل الاجمال بقوله تعالى (ويخلق ما لا تعلمون) وذلك
 لان أنواعها وأصنافها وأقسامها كثيرة خارجة عن الحد والاحصاء ولو خاض الانسان
 في شرح عجائب أحوالها لكان المذكر بعد كتبه المجلدات الكثيرة كالقطرة في البحر فيكون
 أحسن الاحوال ذكرها على سبيل الاجمال كما ذكر الله تعالى في هذه الآية وروى عطاء

ومقاتل والضحاك عن ابن عباس أنه قال إن عن بين العرش نهر من نور مثل السموات السبع
والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل كل يوم ويقتل فيه اذ نوراً الى نوره
وجال الى جماله ثم ينقض فيخلق الله تعالى من كل نقضة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك يدخل
كل يوم منهم سبعون ألفاً البيت المعمور وفي الكعبة أيضاً سبعون ألفاً لا يعودون اليه الى
أن تقوم الساعة سبحانه من له هذا الملك العظيم قال تعالى وما يعلم جند ربك الا هو وفسر
قادة الآية بالسوس في النبات والدود في القواكه وفسر هابه ضهم بما أعد الله تعالى لاهل
الجنة في الجنة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر * ولما شرح الله تعالى
دلائل التوحيد قال تعالى (وعلى الله) أي الذي له الاحاطة بكل شيء (قد السبيل) أي بيان
الطريق المستقيم انما ذكرت هذه الدلائل وشرحها اراحة لاعدوا زالة لعلهم لك من هلك
عن بينة ويحيي من حي عن بينة والمراد بالسبيل الجنس ولذلك أضاف اليها القصد وقال
(ومنها) أي السبيل (جائر) أي حائد عن الاستقامة (فان قيل) هذه الآية تدل على أن الله
تعالى يحب عابه الارشاد والهداية الى الدين واراحة العليل والاعذار كما قال به المعتزلة لانه
تعالى قال وعلى الله قصد السبيل وكلمة على للوجوب قال تعالى ولله على الناس حج البيت
(أجيب) بأن المراد على الله تعالى بحسب الفضل والكرم أن يبين الدين الحق والمذهب
الصحيح (فان قيل) لم غير أسلوب الكلام حيث قال في الاقل وعلى الله قصد السبيل وفي الثاني
ومنها جائر دون وعليه جائر (أجيب) بأن المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر
انما جاء بالعرض ثم قال تعالى (ولم يشاء) هدايتكم (لهذاكم) الى قصد السبيل (أجمعين)
فتمتدنون اليه باختيار منكم قال الرازي وهذا يدل على أن الله تعالى ما شاء هداية الكفار وما
أراد منهم الايمان لأن كلمة لو تفيد انتفاء الشيء لا تنافي غيره * ولما ذكر تعالى نعمه على عباده بخلق
الحيوانات لاجل الانتفاع وازينة عقبه يذكر انزال المطر لان من أعظم النعم على عباده فقال
(هو) أي لا غيره مما تدعى فيه الالهية (الذي أنزل) أي بقدرته الباهرة (من السماء) اما
من نفسها ومن غيرها ومن جهتها ومن السحاب كما هو مشاهد (ماء) أي واحداً تحسونه
بالذوق والبصر (لكم منه) أي من ذلك الماء (شراب) أي تشربونه وقد بين تعالى في آية
أخرى ان هذه النعمة جليلة فقال وجعلنا من الماء كل شيء حي (فان قيل) ظاهر هذا ان
شرابنا ليس الا من المطر (أجيب) بأنه تعالى لم ينف أن يشرب من غيره ويتقديراً للحصر لا يمنع
أن يكون الماء العذب تحت الارض من جملة ماء المطر سكن هذا البديل قوله في سورة المؤمنون
وأنزّلنا من السماء ماءً بقدر فأسكاه في الارض (ومنه) أي من الماء (شجر) أي ينبت بسببه
والشجر هنا كل نبات من الارض حتى الكلا وفي الحديث لا تأكلوا من الشجر فانه
معتب يعني الكلا (فان قيل) قال المفسرون في قوله تعالى والتجسم والشجر يسجدان المراد
من التجسم ما ينجم من الارض محال ليس له ساق ومن الشجر ما له ساق (أجيب) بأن عطف الجنس
على النوع وبالضمة مشهور وأيضاً فلفظ الشجر يشعر بالاختلاط يقال تشاجر القوم اذا اختلط

أصوات بعضهم ببعض وتشاجرت الرياح إذا اختلطت وقال تعالى حتى يحكمونكم فيما يجهر
بينهم ومعنى الاختلاط حاصل في العشب والكلأ فوجب إطلاق لفظ الشجر عليه ويصح
أن يكون المراد بالشجر هنا ما له ساق لأن الأبل تقدر على رمي ورق الأشجار الكبار وحفظه
فاطلاق الشجر على الكلأ مجاز (فيه) أي الشجر (تسبون) أي ترعون مواشكم يقال أسهت
الماشية إذا خلى شها ترعى وسامت هي إذا رعت حيث شاءت قال الزجاج أخذ ذلك من
السومة وهي العلامة لأنها تؤثر في الأرض برعيها علامات وقال غيره لأنها تعلم الأرض في
المرعى * ولما ذكر تعالى الحيوانات تفصيلاً واجبالاً ذكر الثمار تفصيلاً واجبالاً بقوله تعالى
(يَنْبُتْ) أي الله (لكم به) أي بذلك الماء (الزروع والزيتون والتخيل والأعناب ومن كل
الثمرات) فبدأ بذكر الزرع وهو الحب الذي يثبت به كالخنطة والشعير والأرز لأن به قوام
البدن ونحو بذكر الزيتون لما فيه من الأدم والدهن وبارك فيه وثالث بذكر التخيل لأن ثمرها
غذاء وفاكهة وختم بذكر الأعناب لأنه شديد التخيل في المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر
تعالى سائر الثمار اجبالاً لأنه بذلك على عظيم قدرته وجزيل نعمته على عباده لأن الحبة
الواحدة تقع في الطين فإذا مضى عليها مقدار معين من الوقت نفذ في داخل تلك الحبة أجزاء
من رطوبة الأرض ونذاوتهم فتفتتح الحبة فينشق أعلاها وأسفلها فيخرج من أعلى تلك الحبة
شجرة صاعدة من داخل الأرض إلى الهواء ومن أسفلها شجرة أخرى غائصة في قعر الأرض
وهذه الغائصة هي المسماة بعروق الشجرة ثم إن تلك الشجرة لا تزال تزداد وتنمو وتقوى ثم
تخرج منها الأوراق والأزهار والأكام والثمار ثم إن تلك الثمرة تشتمل على أجسام مختلفة
الطبايع مثل العنب فإن ثمره وعجمه باردان يابسان كشيئان ولحمه وماؤه حاران رطبان لطيفان
والى ذلك الإشارة بقوله تعالى (إن في ذلك لآية) بينه على أن فاعل ذلك تام القدرة بقدر على
الاعادة وأنه مختار يفعل ذلك في الوقت الذي يريد وأنما تحصل معرفة ذلك (لقوم يتفكرون)
فيما ذكر من دلائل قدرته ووحدايته فيؤمنون * ثم ذكر سبحانه وتعالى أشياء تدل على أنه
الفاعل المختار بقوله تعالى (ومضركم) أي أيها الناس لإصلاح أحوالكم (الدليل) للسكنى
(والنهار) للمعاش ثم ذكر رؤية النهار وقال (والشمس) أي المنافع اختصاصها ثم آية الليل
فقال (والقمر) لأمور علقها به (والنجوم) أي الآيات نصبها لها * ثم نبه على تغييرها بقوله
تعالى (مضرات) أي بأنواع التغيير لخلقها له على أوضاع دبرها (بأمره) أي بأمره
سبب الصلاحكم ومصلح ما به قوامكم دلالة على وحدانيته تعالى وفعله بالاختيار ولو شاء تعالى
لقام أسبابا غيرها وأغنى عن الأسباب وقرأ ابن عامر برفع الأربع وهي الشمس والقمر
والنجوم ومضرات على الابتداء والخبر وواقفه حفص في الاثنين الآخرين والنجوم مضرات
لا غير والباقي بالنصب عطفا على ما قبله في السلافة الأولى وفي الرابع وهو مضرات
على الحال * ولما ذكر سبحانه وتعالى هذه الأشياء وجعلها مضرات للمنافع عباده ختم
ذلك بقوله (إن في ذلك) أي التمهيد العظيم (آيات) أي دلالات متعددة كثيرة عظيمة

(لقوم يقولون) أى يتدبرون فيعلون أن جميع الخلق تحت قدره وقدرته وتسخيره لما أراده منهم وقوله تعالى (وما ذرا) أى خلق (لكم في الأرض) عطف على الليل أى وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات وقيل أنه في موضع نصب بفعل محذوف أى وخلق هكذا قدره أبو القاء وكأنه استبعد تسلطه على ذلك فقد رُفِعَ لانتقا وقوله تعالى (مختلفا) حال منه وقوله تعالى (أولآنه) أى في الخلقة والهيئة والكيفية فاعل به (أن في ذلك لآية لقوم يذكرون) أى يتفكرون (تنبيه) ختم تعالى الآية الأولى بالتميم لأن ما فيه يحتاج إلى تأمل ونظر وختم الثانية بالعقل لأن مدار ما قدم عليه وختم الثالثة بالتذكير لانه نتيجة ما تقدم وجمع الآيات في الثانية دون الأولى والثالثة لأن ما ينطبق بها أكثر ولذلك ذكر معها العقل * ولما استدل سبحانه وتعالى على إثبات الاله أولا بأجرام السموات والأرض وثانياً بسيدن الانسان وثالثا بمجائب خلقة الحيوان ورابعاً بمجائب الثبات ذكر خامساً عجائب العناصر وبدأ بالاستدلال بعنصر الماء بقوله تعالى (وهو) أى لا غيره وقرأ قالون وأبو عمر والكسائي بـ سكون الهاء والباقيون بضمها (الذى سخر البحر) أى ذلله وهبأ لعيش ما فيه من الحيوان وتكون الجواهر وغير ذلك قال علماء الهيئة ثلاثة أرباع كرة الأرض غائصة في الماء فذا فهو البحر المحيط وجعل في هذا الربع المسكون سبعة أبحر قال تعالى والبحر عتده من بعده سبعة أبحر والبحر الذى سخره الله تعالى للناس هو هذه البحار فمن تسخيرها للخلق مأمور ومنه جعلها بحيث يتمكن الناس من الانتفاع بها بالركوب والقوص وبغير ذلك فنافع البحار كثيرة وذكر سبحانه وتعالى منها هنا ثلاثة منافع الأولى قوله تعالى (لتأكلوا منه) أى بالاصطياد وغيره من لحوم الاسماك (لحماطربا) لا تجد أنتم منه ولا آلين وهو أربط اللحوم فيسرع اليه القصاد فيبادر إلى أكله عندنا في ذلك دلالة على كمال قدرته تعالى وذلك أن السمك لو كان كالهالما لعرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطرى لانه لما خرج من البحر المالح اللحم الطرى في غاية العذوبة علم انه يخلق الله وقدرته لا يحسب الطبع وعلم بذلك ان الله تعالى قادر على اخراج الضد من الضد المنفعة الثانية قوله تعالى (وتسخر جوامنه) أى يجهدكم في القوص وما يتبعه (حامية) أى اللؤلؤ والمرجان كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (تلبسونها) أى نساؤكم وهن بعضكم فكان اللابس أنتم ولأن زينة النساء بالخلى انما هو لاجل الرجال فكان ذلك زينة لهم المنفعة الثالثة قوله تعالى (وترى الفلك) أى السفن (مواخ) أى تنخر الماء أى تشقه بجريها (فيه) أى مقبله ومديره وذلك انك ترى سفينتين احدهما تقبل والاخرى تدبر برمح واحدة وقال مجاهد تنخر الرمح السفن يعنى أنها اذا جرت يسمع لها صوت وقال الحسن مواخ يعنى مملوءة متاعا وقوله تعالى (وليتنبوا) أى لتطلبوا عطف على تأكلوا وما بينهما اعتراض وقيل عطف على محذوف تقديره ليتنبوا بذلك ولتنبوا (من فضله) أى من سعة ورقة بركوبها للتجارة والوصول الى البلدان التاسعة (ولعلكم تشكرون) الله على هذه النعم التي أنتم عاجزون عنها لولا تسخيرها ثم انه تعالى ذكر بعض النعم التي خلقها الله تعالى في الاوص بقوله تعالى (والأنى

في الارض رواسي) أي جبالاً ثوابت (أن تميد) أي كراهة أن تميل وتضطرب (بكم) وقيل
 لثلاثين بكم والاول قدره البصريون والثاني قدره الكوفيون وقد تقدم مثل ذلك في قوله
 تعالى بين الله لكم أن تضلوا روى أن الله تعالى خلق الارض فجعلت قمم وفوهات الملائكة
 ما هي عتقاً أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة ثم خلقت وقوله تعالى
 (وأشهارا) عطف على رواسي لأن الالتقاء به في الخلق والجعل ألا ترى أنه تعالى قال في آية
 أخرى وجعل فيها رواسي من فوقها وقال تعالى وألقيت عليك محبة مني وذكر تعالى الانهار
 بعد الجبال لأن معظم عيون الانهار وأصولها تكون من الجبال (و) جعل لكم فيها (سبلاً) أي
 طرقاً مختلفة تسلكون فيها في أسفاركم والتردد في حوائجكم من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان
 (لعلكم تهتدون) أي سلك السبل الى مقاصدكم والى معرفة الله تعالى فلا تضلوا (و) جعل
 لكم فيها (علامات) أي من الجبال وغيرها جمع علامة تهتدون بها في أسفاركم * ولما كانت
 الدلالة بالنجم أنفع الدلالات وأوضحها را وبجرب الابل وانهارا به على عظمها بالالتفات الى مقام
 الغيبة لأفهام العموم ثلاثين أن المخاطب مخصوص والامر لا يعتد به فقال تعالى (وبالنجم)
 أي الجففس (هم) أي أهل الارض كلهم وأولى الناس بذلك المخاطبون وهم قريش ثم العرب
 كلها لفرط معرفتهم بالنجوم (يهتدون) وقدم الجبار تنبيهاً على أن الدلالة بغيره بالنسبة اليه
 سباقه وقيل المراد بالنجم الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقيل الضمير لقريش لأنهم
 كانوا كثيرى الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مساربهم بالنجوم * ولما ذكر سبحانه
 وتعالى من عجائب قدرته وبديع خلقه ما ذكر على الترتيب الاحسن والنظم الاكمل وكانت
 هذه الاشياء المخلوقة المذكورة في الآيات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله ووحدة نيته
 وأنه تعالى المنفرد بخلقها جميعها قال على سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة
 هذه الاصنام العاجزة التي لا تنفع ولا تضر ولا تقدر على شيء (أفمن يخلق) أي هذه الاشياء
 الموجودة وغيرها (كن لا يخلق) شيأ من ذلك بل على ايجاد شيء ما فكيف يمكنه العاقل أن
 يشتغل بعبادة من لا يستحق العبادة وترك عبادة من يستحقها وهو الله تعالى (فان قيل) ذلك
 الزام للذين عبدوا الاوثان وسعوا الهة تشبه بالله فقد جعلوا عواغداً من الخلق مثل الخالق فكان
 حق الزام أن يقال أفمن لا يخلق كن يخلق (أجيب) بأنهم لما جعلوا غير الله مثل الله تعالى
 في تسميته باسمه والعبادة له وسؤاياه وبنسه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهوا بها
 فأنكر عليهم ذلك بقوله تعالى أفمن يخلق كن لا يخلق (فان قيل) من لا يخلق أن أريد به جميع
 ما عبد من دون الله كان ورود من واضحا لأن العاقل يغلب على غيره فيعبر عن الجميع عن ولو جى
 أيضاً بالجازوان أريد به الاصنام فلم جى عن الذى هو لاوى العلم (أجيب) بأنهم سموها
 آلهة وعبدوها فاجروها مجرى أوى العلم ألا ترى الى قوله تعالى على اثره والذين تدعون من
 دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون والى قول الشاعر

بكيت الى ضرب الله اذ هو رزقى * فقلت ومثلى بالكما جدير

أمر بقطاها من يعبر جناحه * لعل إلى من قد هويت أطير
وكل قطاة لا تعبر جناحها * تعبر بذل والجناح قصير

فأوقع من على سرب لمعاملة معاملته العقلاء وقيل للمشكاة بينه وبين من يخلق وقيل
لمعنى أن من يخلق ليس يكن لا يخلق من أولى العلم فكيف بما لا علم عنده بقوله تعالى ألهم أرجل
عشرون بها يعنى أن الآلهة حالهم مخطئة عن حال من لهم أرجل وأيدواذان وقلوب لأن هؤلاء
أحياء وهم أموات فكيف تصح لهم العبادة إلا أنهم الوصحت لهم هذه الأعضاء لصح أن يعبدوا
* ولما كان هذا القدر ظاهرا غير خاف على أحد فلا يحتاج فيه إلى تدقيق الفكر والنظر بل
يجزى التذكرة فيه كفاية لمن فهم وعقل ختم تعالى ذلك بقوله تعالى (أولئك الذين) بما تشاهدونه
من ذلك ولو من بعض الوجوه فتؤمنون * (تنبيه) * احتج أهل السنة بهذه الآية على أن العبد
غير خالق لأفعال نفسه لانه تعالى ميز نفسه عن الأشياء التي يعبدونها بصفة الخالق لانه
الغرض من قوله تعالى أن يخلق يكن لا يخلق بيان تميزه عن هذه الأشياء بصفة الخالق وأنه إنما
استحق الألوهية والعبودية لكونه تعالى خالقاً وهذا يقتضى أن العبد لو كان خالقاً لشيء لوجب
كونه الهامعبدوا ولما كان ذلك باطلا علمنا أن العبد لا يقدر على الخلق والايجاد ولما
كانت المقدورات لا تخصى وأكثرها نعم على العباد مذكورة لهم بخالقهم قال تعالى عليهم بأحسنه
من غير سبب منهم (وان تعبدوا) كلهم (نعمت الله) أى انعم الملك الاعظم الذى لا رب
غيره عليكم من صحة البدن وعافية الجسم واعطاء النظر الصحيح والعقل السليم وبطش اليدين
ومشى الرجلين الى غير ذلك مما أنعم به عليكم وما خلق لكم مما تحتاجون اليه من أمر الدنيا
حتى لو رام أحدكم معرفة أدنى نعمة من هذه النعم لم يجز عنها وعن معرفتها وحصرها فان تتبعها
يفوت الحصر (للتخصوها) أى لا تنضبوا وعددها ولا تبلغه طاقتكم مع كثرتها واعراضكم
بجله عن شكرها والعبد وان أنعب نفسه فى القيام بالطاعات والعبادات وبالغ فى شكر نعم الله
تعالى فإنه يكون مقصر لأن نعم الله كثيرة وأقسامها عظيمة وعقل الخلق قاصر عن الاحاطة
بعبادها فضلا عن غاياتها لكن الطريق الى ذلك أن يشكر الله تعالى على جميع نعمه مفصلها
ومجملها (ان الله لغفور) أى لتقصيركم فى القيام بشكرها يعنى النعمة كما يجب عليكم (رحيم)
بكم فوسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصى وقوله تعالى (والله يعلم
ما كنوا يكرون) بالنبي صلى الله عليه وسلم وما يعلنون أى وما يظهر من أداءه صلى الله عليه
وسلم فأخبر الله تعالى بأنه عالم بكل أحوالهم سرها وعلانيتها لا يخفى عليه خافية وان دقت
وخضت والوجه الثانى أنه تعالى لما ذكر الاصنام وذكر عجزها فى الآية المتقدمة ذكر فى هذه
الآية أن الآله الذى يستحق العبادة يجب أن يكون عالما بكل المعلومات سرها وجهرها وهذه
الاصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة * ثم وصف تعالى هذه الاصنام بصفات الاولى
مذكورة فى قوله تعالى (والذين تدعون) أى تعبدون (من دون الله) أى الاصنام وتعتقدون

انها آلهة وقرأعاصم بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب (لايخلقون شيأ وهم
 يخلقون) أي يصورون من الحجارة وغيرها (فان قيل) قوله تعالى في الآية المتقدمة أفن يخلق
 كن لا يخلق يدل على أن هذه الاصنام لا تخلق شيأ وهم يخلقون وهذا هو المعنى المذكور في تلك
 الآية المذكورة فافائدة هذا التكرار (أجيب) بأن فائدته أن المعنى المذكور في الآية
 المتقدمة أنهم لا يخلقون شيأ فقط والمذكور في هذه الآية أنهم لا يخلقون شيأ وهم يخلقون
 كغيرهم فكان هذا زيادة في المعنى وهو فائدة التكرار فكأنه تعالى بدأ بشرح نقصهم في ذواتهم
 وصفاتهم فبين أولاً أنهم لا تخلق شيأ ثم بين ثانياً أنها كما لا تخلق غيرها فهي مخلوقة كغيرها
 الصفة الثانية قوله تعالى (أموات) أي جادات لأرواح لها (غير أحياء) إذا لاله الذي يستحق
 أن يعبد هو الحي الذي لا يموت (فان قيل) علم من قوله أموات أنها غير أحياء فافائدة في ذكره
 (أجيب) بأن من الأموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله تعالى حيوانا
 وأجساد الحيوانات التي تبعث بعد موتها وأما الحجارة فأموات لا يعقب موتها حياة وذلك
 أعرق في موتها وقيل ذكر لنا كيد لان الكلام مع الكفار الذين يعبدون الاوثان وهم في نهاية
 الجهالة والضلالة ومن تكلم مع الجاهل الغبي فقد يعبر عن المعنى الواحد بالعبارات الكثيرة
 وغرضه الاعلام بكون المخاطب في غاية الغباوة في أنه لا يفهم المعنى المقصود بالعبارة الواحدة
 الصفة الثالثة قوله تعالى (وما يشعرون) أي الاصنام (أيان) أي وقت (سيعنون) أي وما تعلم
 هؤلاء الآلهة متى تبعث الأحياء تم كما يجالها لان شعور الجاد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه
 حتى الإلهي القيوم سبحانه وتعالى وقيل الضمير راجع للاصنام قال ابن عباس ان الله تعالى
 يبعث الاصنام لها أرواح ومعها شياطين فيؤمر بالكل الى النار وقيل المراد بقوله تعالى
 والذين تدعون من دون الله الملائكة وكان ناس من الكفار يعبدونهم فقال الله تعالى انهم
 أموات أي لا بد لهم من الموت غير أحياء أي باقية حياتهم وما يشعرون أي لا علم لهم بوقت
 بعثهم * ولما زيف سبحانه وتعالى طريقة عبدة الاصنام وبين فساد مذهبهم قال تعالى (الهلكم)
 أي أيها الخلق جميعا المعبود بحق (الله) أي متصف بالالهية على الاطلاق بالنسبة الى كل
 أوان وكل زمان وكل مكان (واحد) لا يقبل التعدد الذي هو مثال النقص بوجه من الوجوه
 لان التعدد يستلزم إمكان القانع المستلزم للجزء المستلزم للعدد عن رتبة الالهية (فالذين)
 أي فتسبب عن هذا أن الذين (لا يؤمنون بالآخرة) أي دار الجزاء ومحل اظهار الحكم
 الذي هو غرة الملك والعدل الذي هو مدار العظمة (قلوبهم منكورة) أي جاحدة للوحداية
 (وهم) أي والحال أنهم يسبب انكار ذلك (مستكبرون) أي متكبرون عن الايمان بها
 (الاجرم) أي حقا (ان الله يعلم) علم غيبيا وشاهديا (ما يسرون) أي ما يخفون مطلقا وبالنسبة
 الى بعض الناس (وما يعلنون) أي يظهرون فيجازيهم بذلك * ولما كان في ذلك معنى التهديد
 على ذلك بقوله تعالى (انه) أي العالم بالسرو والعلن (لا يحب المستكبرين) أي على خلقه فها
 بالث المستكبرين على التوحيد واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى عدم محبتهم انه يعاقبهم

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قال رجل يا رسول الله ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسداً فقال ان الله يجبل حبب الجبال الكبير بطر الحق ونمض الناس ومعنى بطر الحق أنه يستكبر عند سماع الحق فلا يقبله ومعنى نمض الناس استنقاصهم وازدراؤهم ولما بالغ سبحانه وتعالى في دلائل التوحيد وأورد الدلائل القاهرة في ابطال مذاهب عبدة الاصنام قال تعالى عا طفا على قلوبهم منكرة (واذا قيل لهم) أي لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وقوله تعالى (ما) استهامة (ذا) موصولة أي ما الذي (أنزل ربكم) على محمد صلى الله عليه وسلم واختلف في قائل هذا القول فقيل كلام بعضهم لبعض وقيل قول المسلمين لهم وقيل قول المؤمنين الذين اقتصروا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم (فالوا) مكابرين في انزال القرآن هو (أساطير) أي أكاذيب (الآواين) مع عجزهم بعد تحديهم عن معارضتهم أقصر سورة منه مع علمهم بأنهم أقصر الناس وأنه لا يكون من أحد من الناس متقدم أو متأخر قول الا قالوا أبلغ منه (فان قيل) هذا كلام متناقض لانه لا يكون منزلاً من ربهم وأساطير (أجيب) بأنهم قالوه على سبيل السخرية كقوله ان رسولكم الذي أرسل اليكم ليجنون واللام في قوله تعالى (ليحملوا) لام العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً وذلك لما وصفوا القرآن بكونه أساطير الا قبل كان عاقبتهم بذلك أن يحملوا (أوزارهم) أي ذنوب أنفسهم وانما قال تعالى (كامله) لئلا يتوههم أنه يكفر عنهم شيء بسبب البلايا التي أصابهم في الدنيا وأعمال البر التي عملوها في الدنيا بل يعاقبون بكل أوزارهم (يوم القيامة) الذي لا شك فيه ولا محيص عن اتبانه قال الرازي وهذا يدل على أنه تعالى قد سبق بعض العقاب عن المؤمنين اذ لو كان هذا المعنى حاصل في حق الكل لم يكن تخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة (و) يحملوا أيضاً (من) جنس (أوزار) الجهلة الضعفاء (الذين يضلونهم) وقوله تعالى (بغير علم) حال من مفعول يضلونهم أي يضلون من يعلم أنهم ضلال أو من الضال أو من الضال والباطل وانما حصل الرؤساء الذين أضلوا غيرهم وصدّوهم عن الايمان مثل أوزار الاتباع لانهم دعوهم الى الضلال فاتبعوهم فاشتركوا في الاثم وعى أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجر من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً أخرجه مسلم ومعنى الآية والحديث أن الرئيس والكبير اذا سن سنة حسنة أو بسنة فيجبهه عليه باجاعة فعملوا بها فان الله تعالى يعطيهم ثوابه وعقابه حتى يكون ذلك الثواب والعقاب مساوياً لكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع الذين عملوا بالسنة الحسنة أو السيئة وليس المراد بأن الله يوصل جميع الثواب أو العقاب التي يستحقه

الاتباع الى الرؤساء ويدل ذلك قوله تعالى ولا تزددوا زرة وزر أخرى وقوله تعالى وأن ليس
للإنسان الاماسى * (تنبيه) * قال الواحدى لفظه من في قوله تعالى ومن أوزار ليست
للتبعض لانها لو كانت كذلك لنقص عن الاتباع بعض الاوزار وقد قال صلى الله عليه وسلم
لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا لكنها الجنس كما قدرت ذلك في الآية الكريمة أى ليعملوا من
جنس أوزار الاتباع وقيل انهم للتبعض وجرى عليه البيضاوى تعالى الزمخشري (الاسماء) أى
بنس (مايزرون) أى يحملون حملهم هذا وفى هذا وعيد وتهديد لهم (فان قيل) ان الله تعالى - حكى
هذه الشبهة عن القوم ولم يجب عنها بل اقتصر على محض الوعيد فى السبب فى ذلك (أجيب) بأن
السبب فيه أنه تعالى بين كون القرآن معجزا بطريقين الاول أنه صلى الله عليه وسلم تخداهم
أولا بكل القرآن وثانيا بعشر سور وثالثا بسورة فجوزا عن المعارضة وذلك يدل على كونه معجزا
الثانى أنه تعالى حكى هذه الشبهة بعينها فى آية أخرى وهى قوله تعالى اكتبها فى نوحى عليه بكرة
وأصيلا وأبطلها بقوله تعالى قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض ومعناه أن القرآن
يشتمل على الاخبار الغيوب وذلك لا يتأتى الا من يكون عالما بأسرار السموات والارض * ولما
ثبت كون القرآن معجزا بهذين الطريقين وتكرر شرح هذين الطريقين مرارا كثيرة لاجرم
اقتصر فى هذه الآية على مجرد الوعيد ولم يذكر ما يجرى مجرى الجواب عن هذه الشبهة ثم انه
سجانه وتعالى بالغ فى وصف وعيد هؤلاء الكفار بقوله انه الى (قدمكر الذين من قبلهم) أى من
راوا آثارهم ودخلوا فى ديارهم (فأتى الله) أى أمره (بنيانهم من القواعد) أى من جهة العمدة
التي بنوا عليها مكرهم (فخر) أى سقط عليهم السقف من فوقهم (ومارسب هلاكهم وقرأ أبو
عمر فى الوصل بكسر الهاء والميم وحزة والكسافى بضم الهاء والميم والباقون بكسر الهاء
وضم الميم وأما الوقف فحزمة بضم الهاء على أصله والباقون بالكسر (وأناهم العذاب من
حيث لا يشعرون) أى من جهة لا تخاطر بها لهم وهذا على سبيل التخييل أى التشبيه والتخييل
لا فساد ما أرموه من المكرب بالرسول فجعل الله هلاكهم فيما أرموه كحال قوم بنو نينا وحمود
بالاساطين فأتى البنيان من الاساطين بأن تضعفت فسقط عليهم السقف فهلكوا وضوء من
حفر لاخيه جبا وقع فيه مشككا وقيل هو غرودين كنهان حين بنى المصرح بيا بل بعد الى
السماء قال ابن عباس كان طول المصرح فى السماء خمسة آلاف ذراع وقال كعب كان طول
فرسخين فأهب الله تعالى الريح فالتقت رأسه فى البحر وخر عليهم الباقي وهم تحتهم قال البغوى
ولما سقط المصرح تبللت ألسن الناس يومئذ من الفزع فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا
فلذلك سميت بابل وكنان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية فذلك قوله تعالى فأتى الله
بنيانهم من القواعد أى أتى أمره غر بنيانهم من أصلها فخر عليهم وعلى قوم السقف أى على
البيوت من فوقهم فهلكوا * (تنبيه) * قال ابن الخازن فى قول البغوى وكان لسان الناس
قبيل ذلك بالسريانية نظرا لان صاحبها عليه السلام كان قبله -م وكان يتكلم بالعربية وكان أهل
البحر يسمونهم جرهم الذين نشأ سمعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكان بابل من العرب طائفة

قديمة قبل ابراهيم عليه السلام انتهى وقد يقال انه كان لسان أكثر الناس بالسريانية فلا
 ينافي ذلك (فان قيل) ما فائدة قوله تعالى نخر عليهم السقف من فوقهم والسقف من فوقهم
 (أجيب) بأنهم قد لا يكونون تحته فلما قال تعالى نخر عليهم السقف من فوقهم دل على انهم كانوا
 تحته وحيث ينفذ بقيد هذا الكلام بأن الآية قد تهتمت وهم ما واثقنا بهم ولما ذكر الله تعالى حال
 أصحاب المكرب في الدنيا ذكر حالهم في الآخرة بقوله عز وجل (يوم القيامة يخزيهم) أي يذلهم
 ويهينهم بعذاب النار (ويقول) لهم الله تعالى على لسان الملائكة تو بئساً (أين شركائي) أي
 في زعمكم واعتقادكم (الذين كنتم تشاقون) أي تحالفون المؤمنين (فيهم) أي في شأنهم وقرأ نافع
 بكسر النون والباقون بقصصها (قال) أي يقول (الذين أووا ألعلم) أي من الانبياء والمؤمنين
 وقال ابن عباس يريد الملائكة (ان الخزي) أي البلاء المذل (اليوم) أي يوم الفصل الذي يكون
 للفاش فيه العاقبة المأمونة (والسوء) أي كل ما يسوء (على الكافرين) أي الغريقين في الكفر
 الذين تكبروا في غير موضع التكبر وفائدة قولهم اظهروا الشجاعة وزيادة الاهانة وحكاية
 التكون لظلم لمن سمعه * (تنبيه) * في الآية دلالة على ان ماهية الخزي وماهية السوء
 في يوم القيامة مختصة بالكافرين وهذا ينفي حصول هذه الماهية في حق غيرهم وبؤ كدهذا
 قول موسى عليه السلام انا قد اوحى اليك ان العذاب على من كذب وتولى ثم انه تعالى وصف
 عذاب هؤلاء الكافرين من وجه آخر فقال سبحانه وتعالى (الذين تتوفاهم الملائكة) أي
 يقبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه عليهم السلام وقرأ حجة في هذه الآية وفي الآية الآتية
 بالياء في الموضعين على التذكير لان الملائكة ذكور والباقون بالنساء على التأنيث لان لفظ
 الجمع مؤنث (ظالمى أنفسهم) أي بأن عرضوا للعذاب المخلد بكفرهم (فألقوا السلم) أي
 استسلموا وانقادوا حين عاينوا الموت فأتين (ما كانوا يعمل من سوء) أي شرك وعدوان فتنه
 لهم الملائكة (يلي) أي بل كنتم تعملون أعظم السوء ثم على تكذيبهم بقوله تعالى (ان الله
 عليهم بما كنتم تعملون) أي فلا فائدة لكم في انكاركم فيجازيكم به * ولما كان هذا الفعل
 مع العلم سبباً لدخول جهنم قال تعالى (فادخلوا) أي أيها الكفرة (أبواب جهنم) أي
 أبواب طبقاتها ودرجاتها (خالدین) أي مقدرين الخلود فيها) أي جهنم لا يخرجون منها
 وانما قال تعالى ذلك لهم ليكون أعظم في الخزي والغم وفي ذلك دليل على أن الكفار بعضهم
 أشد عذاباً من بعض ثم قال تعالى (قلتمس مقوى) أي مأوى (المكبرين) عن قبول التوحيد
 وسائر ما أتت به الرسل * ولم ين تعالى أحوال المكذبين ذكر أحوال الصديقين بقوله تعالى
 (وقيل للذين اتقوا) أي خافوا عقاب الله (ماذا) أي أي شيء (أنزل ربكم قالوا خيراً) أي أنزل
 خيراً وذلك ان احباء العرب كانوا يعنون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم
 فاذا جاء سأل الذين قد وعدوا على الطرق عنه فيقولون ساحر شاعر كاهن كذاب مجنون
 ولولم تلقه خير لك فيقول السائل أنا شر وافداً رجعت الى قومي دون أن أدخل مكة وألقاه
 فبدخل مكة فيرى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيضربونه بصدقه وأنه نبي مبعوث

من الله تعالى فذلك قوله تعالى وقيل للذين اتفوا ماذا أنزل ربكم الآية (فان قيل) لم رفع الاقول
 وهو قولهم أساطير الاولين وانصب الثاني وهو قولهم خيرا (أجيب) بأنه ذكر ذلك للفصل بين
 جواب المقتز وجواب الجاحد وذلك أنهم لم يسألوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه
 وسلم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا أساطير الاولين وليس هو من الانزال في شيء لانهم
 لم يعتقدوا كونه منزلا ولم يسألوا المؤمنين عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلعموا
 وطابقوا الجواب عن السؤال بينما مكشوفاً مفعولاً لانزال فقالوا خيرا أى أنزل خيرا وتم
 الكلام عند قوله خيرا فهو وقف تام ثم ابتدأ بقوله تعالى (الذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة)
 أى حياة طيبة أو ان الذين أو بالاعمال الصالحات المحسنة لهم ثوابا حسنة مضاعفة من
 الواحدة الى العشرة الى السبع مائة الى أضعاف كثيرة وأنه تعالى بين أن اعترافهم بذلك
 الاحسان في هذه الدنيا حسنة أى جزاء لهم على احسانهم هل جزاء الاحسان الا الاحسان * ولما
 كانت هذه الدار سريعة الزوال أخبر عن حالهم في الآخرة فقال (ولدار الآخرة) أى الجنة
 (خير) أى ما أعد الله لهم في الجنة خير مما حصل لهم في الدنيا ثم مدحها ومدحهم بقوله تعالى
 (ولهم دار المقربين) أى دار الآخرة لخفف لتقدم ذكرها وقال الحسن هى الدنيا لأن أهل
 التقوى يتزودون فيها للآخرة وقوله تعالى (جنات) أى بساين (عدن) أى اقامة خير مبتدا
 محذوف ويصح أن يكون المخصوص بالمدح (يدخلونها) أى تلك الجنات حالة كونها (تجربى
 من تحتها) أى من تحت غر فيها (الانهار) ثم كانت أسئلة عافيا من الثمار وغيرها فأجيب
 بأن (لهم فيها ما يشاؤون) أى ما تشتهى الانفس وتلذذ الاعين مع زيادات غير ذلك فهذه الآية تدل
 على حصول كل الخيرات والسعادات فهى أبلغ من قوله تعالى وفيها ما تشتهى الانفس وتلذذ
 الاعين لان هذين القسمين داخلان في قوله تعالى لهم فيها ما يشاؤون مع أقسام أخرى وعلى أن
 الانسان لا يجد كل ما يريد في الدنيا لأن قوله لهم فيها ما يشاؤون يفيد الحصر (كذلك) أى مثل
 هذا الجزاء العظيم (يجزى الله) أى الذى له الكمال كله (المتقين) أى الراغبين فى صفة التقوى
 ثم حث تعالى على ملازمة التقوى بالتنبيه على أن العبرة بحال الموت فقال (الذين توفاهم
 الملائكة) أى قبض أرواحهم وقوله تعالى (طيبين) كلمة مختصرة جامعة لامعافى الكثرة
 وذلك لانه يدخل فيه اتساعهم بكل أمر وابه واجتنابهم عن كل منهو عنه ويدخل فيه
 كونهم موصوفين بالاخلاق الفاضلة مبرئين عن الاخلاق المذمومة ويدخل فيه كونهم مبرئين
 عن العلائق الجسمانية متوجهين الى حضرة القدس ويدخل فيه أنه طالب لهم قبض الارواح
 وانهم لم يقبض الامع للبشارة بالجنة حتى صاروا كأنهم مشاهدون لها ومن هذا حاله لا يتألم
 بالموت وأكثر المفسرين على أن هذا التوفى هو قبض الارواح كما مر وان كان الحسن يقول
 انه وفاة الحشر واستدل بقوله تعالى ادخلوا الجنة لانه لا يقال عند قبض الارواح في الدنيا
 ادخلوا الجنة وأجاب الاكثرون بما ساقى وأدغم أبو عمر والتاء في الطاء بخلاف عنه ثم بين
 تعالى ان الملائكة (يقولون) لهم عند الموت (سلام عليكم) فسلم عليهم وأبلغهم السلام

من الله تعالى كما روى ان العبد المؤمن اذا أشرف على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك
يا ولي الله الله بقرأ عليك السلام ويبشرك بالجنة ويقال لهم في الآخرة هذا جواب الاكثرين
(ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) وانهم لما بشروهم بالجنة صارت الجنة كأنهم ادا رهم وكانهم
فيها فيكون المراد بقولهم ادخلوا الجنة أى هي خاصة لكم كأنكم فيها ولما طعن الكفار
في القرآن بقولهم أساطير الاولين وذكر أنواع التهديد والوعيد ثم أتبعه بذكر الوعد ولن وصف
القرآن بكونه خيرا عاد الى بيان ان أولئك الكفار لا ينجحون عن كفرهم وأقوالهم الباطلة
الا اذا جاءتهم الملائكة أو أتاهم أمر ربك فقال تعالى (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة)
القبض ارواحهم وقرأ جزء والكسائي بالياء على التذكير والباقيون بالتاء على التأنيث
وقد قدم توجيه ذلك (أو يأتي أمر ربك) أي يوم القيامة وقبل العذاب وقبل انهم يطلبوا
من النبي صلى الله عليه وسلم ان ينزل الله تعالى ملكا من السماء يشهد على صدقة في ادعاء النبوة
فقال تعالى هل ينظرون في التصديق بنبوتك الا أن تأتيهم الملائكة شاهدين بذلك وعلى كلا
التقديرين فقد قال تعالى (كذلك) أي مثل ما (فعل) هو لا هذا الفعل البعيد الشنيع فعل
(الذين من قبلهم) من الامم السالفة كذبوا رسلهم فأهلكوا (وما ظلمهم الله باهلا كهم بغير
ذنب) (ولكن كانوا أنفسم يظلمون) بكفرهم وتكذيبهم للرسل فاستوجبوا ما نزل بهم
(فأصابهم) أي قسب عن ظلمهم لانفسهم ان أصابهم (سبات) أي عقوبات واجرام سيئات
(ما عملوا وحق) أي نزل بهم ما كانوا يستزنون تكبرا عن قبول الحق فحاق بهم جزاءه
والحق لا يستعمل الا في الشر وقرأ حق جزء لا ماله والباقيون بالفتح (وقال الذين أشركوا
لنبي صلى الله عليه وسلم استهزاء ومنه للبعثة والتكليف) (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء
نحن ولا آباؤنا) لانهم اعتقدوا أن كون الامر كذلك يمنع من جواز بعثة الرسل وهو اعتقاد
باطل فلذلك استحقوا عليه الذم والوعيد ثم قالوا لهم (ولا حزننا من دونه من شيء) أي من
السوابب والبخائر والحامي فهو راض به وبمسيرته وحينئذ فلا فائدة في مجيئك وفي ارسالك
وهذا عين ما حكاه الله تعالى عنهم في سورة الانعام في قوله تعالى سبق قول الذين أشركوا
لو شاء الله الآية قال الله تعالى (كذلك فعل الذين من قبلهم) أي من تقدمهم هؤلاء من
الكفار من الامم الماضية كانوا على هذه الطريقة وهذا الفعل الخبيث فانكار بعثة الرسل
كان قد عمى الامم الخالية في ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وكذا في قوله تعالى (فهل
على الرسل الا البلاغ) أي البلاغ (البيان) أي البين فليس عليهم هداية أحد انما عليهم
تبليغ ما أرسلوا به الى من أرسلوا اليه * ثم بين تعالى ان البعثة أمر حرج به السنة الالهية
في الامم كلها سبيل الهدى من اراد اهتداه وزيادة لضللال من اراد ضلاله كإغذاء المصالح فانه
يتبع المزاج السوي ويقويه ويضرب المزاج المنحرف ويفنيه بقوله تعالى (ولقد) أي والله لقد
(بعثنا) أي بما لنا من العظمة التي من اعترض عليها قصم (في كل أمة) من الامم الذين من
قبلكم (رسولا) أي كما بعثنا فيكم محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا (أن اعبدوا الله) أي الملك

الاعلى وحده وقرأ أبو عمرو وعاصم وحزرة بكسر النون في الوصل والباقون بالضم (واجتنبوا
 الطاغوت) أي الاوثان ان تعبدوها (فهم من هدى الله) أي وفقهم للايمان بأولاده ومنهم
 من حقت) أي وجبت (عليه الضلالة) أي في علم الله تعالى فلم ينفعهم ولم يرددهم
 * (تنبيه) * في هذه الآية آيتين دليلا على أن الهادي والمضل هو الله تعالى لانه المتصرف
 في عباده يهدي من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض عليه فيما حكم به لسابق علمه ثم التفت
 سبحانه وتعالى الى مخاطبتهم اشارة الى أنه لم يبق بعده هذا الدليل القطعي في نظر البصيرة
 الا الدليل المحسوس للصر فقال تعالى (فسيروا) أي فان كنتم أيها المخاطبون في شك
 من أخبار الرسل فسيروا (في الأرض) أي جندوها (فانظروا) أي اذا سرتهم ومررتهم
 بديار المكذبين وآثارهم ثم أشار تعالى بالاستدلال بالآثار التي لا يمكن ان يثبت على
 للاعتاط به فقال (كيف كان عقبة) أي آخر أمر (المكذبين) أي من عاد ومن بعدهم
 من الذين تلقيت أخبارهم عن قلدغهم في الكفر من أسلافكم لعلمكم بغيرهم * ولما كان
 من الحق انه ليس بعد الابصال في الاستدلال الى الامر المحسوس الا العناد أعرض عنهم
 ملتفتا الى الرؤف بهم الشفق عليهم محمد صلى الله عليه وسلم فقال مسليا له (ان تحرص على
 هداهم) فتطلبه بقاية جلدك واجتهادك وقد أضلهم الله تعالى لا تقدر على ذلك ثم قال تعالى
 (فان الله لا يهدي من يضل) أي من يرد ضلاله وهو معين لمن حقت عليه الضلالة وقرأ عاصم
 وحزرة والكسائي بفتح الميم وكسر الدال والباقون بضم الباء وفتح الدال على البناء للمفعول
 قال البيضاوي وهو أبلغ ثم قال تعالى (ومالهم) أي هؤلاء الذين أضلهم الله وجمع من بضله
 (من ناصرين) أي وليس لهم أحد ينصرهم في الدنيا والآخرة عند مجازاتهم على الضلالة
 لينقذوهم عما يلحقهم عليه من الوبال كما فعل بالمكذبين من قبلهم ثم حكى الله عن هؤلاء القوم
 انهم ينكرون الحشر والنشر بقوله (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أي غابة اجتهدهم فيها
 (لا يبعث الله من موت) وذلك أنهم قالوا ان الانسان ليس هو الا هذه البدنية المخصوصة فاذا
 مات وتفرقت أجزاؤه وبلى امتنع عوده بعينه لان الشيء اذا عدم فقد فنى ولم يبق له ذات ولا
 حقيقة بعد فناءه وعدمه فكذبهم الله تعالى في قولهم بقوله تعالى (بلى) أي يبعثهم بعد
 الموت فان لفظة بلى اثبات لما بعد النفي والجواب عن شبهتهم ان الله تعالى خلق الانسان
 وأوجده من العدم ولم يكن شيئا فالذي أوجده ولم يكن شيئا قادر على ايجاده بعد اعدامه لان
 النشأة الثانية أهون من الاولى وقوله تعالى (وعدا عليه حقا) مصدران مؤكدان منصوبان
 بفعلهما المقدرا أي وعد ذلك وعدا وحقه حقا (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك أي لا علم لهم
 بوصلهم لذلك لانه من عالم الغيب لا يمكن عقولهم الوصول اليه بغير ارشاد من الله تعالى ولا هم
 يقبلون أقوال الدعاة اليه الذين أيدهم الله بروح منه لتقديهم بما يوصل الى عقولهم انها
 قاصرة على عالم الشهادة لا يمكنها الترفي منه الى عالم الغيب بغير واسطة منه سبحانه وتعالى
 فلذلك ترى الانسان منهم يأبى ذلك استبعادا وهو خصم مبین وقوله تعالى (اليسين هم) الذي

يختلفون فيه) يتعلق بمادل عليه بلى اى يعثهم ليسين لهم-م والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين
والكافرين والذي اختلفوا فيه هو الحق (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) في قولهم
لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شئ وقولهم لا يعبد الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله
واقعد بعثنا في كل امة رسولا اى بعثناه ليسين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله
مفتقرين على الله الكذب ثم بين سبحانه وتعالى تيسر الاعادة بقوله تعالى (انما قولنا) اى بما لنا
من العظمة والقدرة (اشئ) ابداء واعادة (اذا اردناه) ان نقول له كن فيكون) اى يتسبب عن
ذلك القول انه يكون * (تنبيه) * قوله تعالى قولنا مبتدأ وان نقول خبره فيكون وكن من كان
التامة التى بمعنى الحدوث والوجود اى اذا اردنا حدوث شئ فليس الا ان نقول له احدث
فيحدث عقب ذلك من غير توقف (فان قيل) قوله تعالى كن ان كان خطابا مع المعدوم فهو محال
وان كان خطابا مع الموجود فكان امر ايتحصيل الحاصل وهو محال (أجيب) بأن هذا تمثيل
لنقى الكلام والغايات وخطاب مع الخلق بما يعقلون ليس هو خطاب المعدوم لان ما اردناه هو
كائن على كل حال وعلى ما ارداه من الاسراع ولو اردنا تعالى خلق الدنيا والآخرة بما فيها من
السموات والارض في قدر لمح البصر اقدر على ذلك ولكن خاطب تعالى العباد بما يعقلون وعن
أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى
يشتمنى ابن آدم وما ينبغي له ان يشتمنى ويكذبنى وما ينبغي له ان يكذبنى اى يقول ان لى ولدا وأما
تكذيبه فيقول ليس يعيدنى كما بدئى وفى رواية كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له
ذلك فأما تكذيبه اى فقول له ان يعيدنى وليس أول الخلق بأهون على من اعادته وأما شتمه
اى فقول له اتخذ الله ولدا وأنا الله الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وقرا
ابن عامر والكسافى بفتح النون من يكون عطفا على يقول أوجوا باللامر والساقون بالرفع
ولما حكى الله تعالى عن الكفار انهم أقسموا بالله جهد أيمانهم على انكار البعث والقيامة دل
ذلك على انهم عمادوا فى النقي والجهالة والجهل والضلال وفى مثل هذه الحالة لا يعدا قدماهم
على ابداء المسلمين وانزال العقوبة بهم-م وحينئذ يلزم على المؤمنين أن يهاجروا من تلك الديار
والمساكن فبين تعالى حكم تلك الهجرة وما لهؤلاء المهاجرين من الحسنات فى الدنيا والآخرة
بقوله تعالى (والذين هاجروا فى الله) اى فى حقه ولوجهه لا فامة دينه (من بعد ما ظلموا) وهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله تعالى عنهم ظلمهم أهل مكة ففروا بدينهم الى
الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع الله تعالى بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى
المدينة أو الى الحبش وسون المذبذبون ~~بمكة~~ بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال
وصهيب وخباب وعمار وعابس وأبو جندل وسهيل أخذهم المشركون بمكة بعد نبؤهم-م
ليرجعوا عن الاسلام الى الكفر فأما بلال فكان أصحابه يجرؤونه الى بطحاء مكة فى شدة الحر
ويشدة ونه ويجعلون على صدره الحجارة وهو يقول أحد أحد فاشترامهم-م أبو بكر رضى الله عنه
وأعتقه واشترى معه ستة نفر آخر وأما صهيب فقال أنا رجل كبير ان كنت معكم لم أنفعكم

وان كنت عليه لم أضركم فافقدى منهم بماله وهاجر فلما رآه أبو بكر قال له ربح البيع يا صهيب
وقال عمر له نعم الرجل صهيب لو لم يحف الله بعصمه وهو شئ عظيم يريد لو لم يخلق الله نار الاطاعه
(النوتمهم) أى لتزلزلهم (فى الدنيا) دارا (حسنة) وهى المدينة وقيل لخصن اليهم فى الدنيا بأن
نفتح لهم مكة ونعكسهم من أهلها الذين ظلموهم وأخرجوهم منها وقيل أراد بالحسنة فى الدنيا
التوفيق والهداية الى الدين (ولاجرا الآخرة) وهى الجنة والنظر الى وجهه الكريم (أكبر) أى
أعظم (لو كانوا يعلمون) أى الكفار والمخلفون عن الهجرة مالمهاجرين من الكرامة لو افقوهم
وقيل انه راجع الى المهاجرين أى لو كانوا يعلمون ذلك ل زادوا فى اجتهادهم وصبروا وروى أن
عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان اذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول له خذ
بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله به فى الدنيا وما ادخلك فى الآخرة أفضل ثم يقرأ هذه الآية
وقوله تعالى (الذين صبروا) أى على الشدائد وعلى مغارة الوطن الذى هو حرم الله وعلى
المجاهدة وبذل الاموال والانفس فى سبيل الله محله رفع على تقديرهم أو نصب على المدح ويجوز
أن يكون تابعا للموصول قبله نعتا وبدا أو يينا فاعمله محله (وعلى ربهم يتوكلون) أى منقطعين
اليه مفوضين الامر كله اليه * (تنبيه) * ذكر الله تعالى فى هذه الآية الصبر والتوكل وهما
مبدأ السلوك الى الله تعالى ومنتهاه اما الصبر فهو راسخ النفس وحسبها على اعمال البر وسائر
الطاعات واحتمال الاذى من الخلق وأما التوكل فهو الانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه
الى الحق كما مرّت الاشارة اليه فالاول هو مبدأ السلوك والثانى هو آخر الطريق ومنتهاه * ونزل
لما أنكر مشركو مكة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله أعظم وأجل ان يكون رسوله
بشرا فهـ لا بعث ملكا الينا (وما أرسلنا من قبلك) يا محمد الى الامم من طوائف البشر
(الاجالا) لا ملائكة بل آدميين هم فى غاية الاقتدار على الصبر والتوكل الذى هو محط
الرحال (نوحى اليهم) بواسطة الملائكة فعادة الله جارية مستمرة من أول مبتدئ الخلق الى الآن
لم يعث رسول الا من البشر (فاسألوا أهل الذكر) أى أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى
وانما أمرهم الله تعالى بسؤالهم لان كفار مكة كانوا يعتقدون ان أهل الكتاب أهل علم وقد
أرسل اليهم رسلا مثل موسى وعيسى عليهما السلام من البشر وكانوا يبشرونهم فاذاسألوهم
فلا بد أن يخبروهم أن الرسل الذين أرسلوا اليهم كانوا يبشرونهم بذلك فربما زالت هذه
الشبهة وقال ابن عباس يريد أهل التوراة والدليل عليه قوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد
الذكر يعنى التوراة والذكر هو التوراة وقال الزجاج معناه اسألوا كل من يذكر بعلم وتحقيق
* ولما كان عندهم أحسن من ذلك سماع أخبار الامم قبلهم أشار اليه بقوله تعالى (ان كنتم
أى جيله وطبعه (لاتعلمون) ذلك فانهم يعلمونه وانتم الى تصديق أقرب من تصديق المؤمنين
محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (بالبينات) متعلق بمحذوف أى أرسلناهم بالهجة الواضحة
وقيل التقدير ان كنتم لاتعلمون بالبينات (والزبر) أى الكتب فاسألوا أهل الذكر وقيل انه
متعلق بمحذوف جواب لسؤال مقدر كانه قيل لهم أرسلوا فقبلهم أرسلوا بالبينات والزبر وقوله

تعالى (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والذكر هو القرآن وانما سمى ذكرا
 لانه موعظة وتذكير (لتبين للناس) كافة أى أعطاك الله تعالى من الفهم الذى فقت فيه
 جميع الخلق واللسان الذى هو أعظم الالسنه وأفصحها وقد أوصلك الله تعالى فيه الى رتبة
 لم يصل اليها أحد (ما نزل) أى ما وقع تنزيله (اليهم) من هذا الشرع المؤدى الى سعادة الدارين
 بتبيين المجل وشرح ما أشكل من علم أصول الدين الذى رأسه التوحيد ومن البعث وغيره
 فان القرآن فيه محكم وفيه متشابه فالحكم يجب أن يكون ميّنا والمتشابه هو المجل فيطلب بيانه
 من السنه (ولعلهم يتفكرون) فيما أنزل اليهم اذ انظروا أساليبه الفاتقة ومعانيه العالیه الراقية
 فيعتبرون (فان قيل) ان هذه الآية تبدل على أن المبين لكل التكليف والاحكام هو النبي صلى
 الله عليه وسلم فالقياس ليس بحجة (أجيب) بأنه صلى الله عليه وسلم للمبين أن القياس بحجة فمن
 رجع في تبين الاحكام والتكليف الى القياس كان ذلك في الحقيقة رجوعا الى بيان النبي صلى
 الله عليه وسلم وقوله تعالى (أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ) فيه اضمحار تقديره المكرات
 السيئات وهم كفار قریش مكروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبالقرآن في أذيتهم
 والمكر عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الاخفاء ثم انه تعالى ذكر في تمديدهم أربعة أمور
 الاول قوله تعالى (أَن يَخْشِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ) كما خسف بقارون وأصحابه فاذا هم في
 بطنها لا يقدرّون على نوع تغلب بمطابقة ولا غيرها الثاني قوله تعالى (أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ) على
 غير تلك الحال (من حيث لا يشعرون) به فأتيتهم بغتة فهلكهم كما فعل بقوم لوط عليه السلام
 الثالث قوله تعالى (أَوْ يَأْخُذَهُمْ) أى الله بعذابه (في) حالة (تقلبهم) ومشاعرهم حاضرة وقواهم
 مستجيبة وفي تفسير هذا القلب وجوه أولها أنه تعالى يأخذهم بالعقوبة في أسفارهم فانه
 تعالى قادر على اهلاكم في السفر كما أنه قادر على اهلاكم في الحضر (فما هم بمحزونين)
 أى بضائين العذاب بسبب ضربهم في البلاد البعيدة بل يدركهم الله تعالى حيث كانوا فانيها
 أنه تعالى يأخذهم بالليل والنهار وفي حال اقبالهم وادبارهم وذهابهم وبجيتهم وثالثها أن الله
 تعالى يأخذهم في حال ما يقلبون في قضايا أفعارهم فيحول الله بينهم وبين انعام تلك الحيل
 وحل لفظ القلب على هذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى وقلوبك الامور فانهم اذا قلبوها فقد
 قلبوا فيها الامر الرابع قوله تعالى (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) وفي تفسير التخوف قولان الاول
 التخوف تفعل من الخوف يقال خفت الشيء وتخوفته والمعنى أنه تعالى لا يأخذهم بالعذاب
 أو لا يل يخيّفهم أو لا يبعذبهم بعده وتلك الاخافة هو أنه تعالى يهلك قرية تقصاف التي تليها
 فأتيتهم العذاب والثاني التخوف بمعنى التقص أى أنه تعالى يتقص شيئا بعد شي في أنفسهم
 وأموالهم حتى يهلكوا من تخوفه اذ انتقصه روى أن عمر رضي الله تعالى عنه قال على المنبر
 ماتوا في هذه الآية فسكتوا فقال شيخ من هذيل هذه لغتنا التخوف التقص فقال عمر هل
 تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم قال شاعرنا أبو كبير
 تخوف (أى تقص) الرجل (أى رجل ناقته) منها تامكلا (أى سيناها) فردا

(أى متراكماً أو مرتفعاً وهو يسكون الراء) كما تحقوف عود النبعة السفن
والنبعة بالضم واحدة النبع وهو شجر يتخذ منه السفن والسفن ينفخ السين والقام ما ينفخ به
الشيء وهو فاعل تحقوف ومفعوله عود فقال عمر عليه السلام يدبوا نكم قالوا وما يدبوا فقال شعر
الجاهلية فيه تفسير كما بكم ومعاني كلامكم ومعنى البيت أن رحلى ناقته ينقص سنامها
المتراكم أو المرتفع كما ينقص السفن عود النبعة (فإن ربكم) أى المحسن اليكم باهلاكم من يريد
وابقام من يريد وقوله تعالى (لرؤف) قرأه أبو عمرو وشعبة وجزء والكسائي بقصر الهـ جزء
والباقون بالفتح ومعناه بليغ الرحمة لمن يتوسل إليه بنوع وسيله وكذا من فاطعه أتم مقاطعة واليه
أشار بقوله تعالى (رحيم) أى حيث لم يعاجلهم بالعذاب * ولما خوف سبحانه وتعالى المشركين
بالانواع الاربعة المذكورة من العذاب أردفه بذكر ما يدل على كمال قدرته في تدبير أحوال
العالم العلوى والسفلى وتدبير أحوال الارواح والاجسام ليظهر لهم أنه مع كمال هذه القدرة
الباهرة والقوة الغير المتناهية لا يهجز عن ايصال العذاب اليهم على أحد تلك الاجسام الاربعة
بقوله تعالى (أولم يروا الى ما خلق الله من شيء) أى من الاجرام التى لها مثل كشجر وجبل
(تقيؤ) أى تقييل (ظلاله عن العين والسمائل) جمع شمال أى عن جانبي كل واحد منهما وشقيه
وقرأ جزء والكسائي بالتاء على الخطأ على نسق ما قبله والباقيون بالياء على التيبة الى ما خلق
استعاره من بين الانسان وشماله الجاني الشيء أى ترجع الظلال من جانب الى جانب متقادة لله
غير متعنة عليه فيما يهزهاه وقال قتادة والضلال أمتا العين فأول النهار وأما السمائل فآخره
لأن الشمس وقت طلوعها الى وقت اتمائها الى وسط الفلك تقع الظلال الى الجانب الغربى
فاذا انحدرت الشمس من وسط الفلك الى الجانب الغربى وقعت الظلال فى الجانب الشرقى
والظلال فى أول النهار تبدئ من بين الفلك على الربع الغربى من الارض ومن وقت انحدار
الشمس من وسط الفلك تبدئ من شمال الفلك واقعة على الربع الشرقى من الارض (فان قيل)
ما السبب فى ذكر العين بلفظ الواحد والسمائل بصيغة الجمع (أجيب) بأشياء الاول انه وحده
العين والمراد الجمع ولكنه اقتصر فى اللفظ على الواحد كقوله تعالى ويولون الدبر الشان قال
القرءا كأنه اذا وحده ذهب الى واحد من ذوات الظلال واذا جمع ذهب الى كلها وذلك لان قوله
الى ما خلق الله من شيء لفظه واحد ومعناه الجمع على ما مر فيحتمل كلا الامرين الثالث أن العرب
اذا ذكرت صيغة جمع عبرت عن أحدهما بلفظ الواحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور
وقوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم * (تنبيه) * الهمزة للاستفهام وهو استفهام
انكار أى قدراً وأمثال هذه الصنائع فما بالهم لم يفكروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته وقهره
فيخافوا منه وما موصولة مبهمه بمعنى الذى ومن شئ يان لها (فان قيل) كيف بين الموصول
وهو مبهم بشئ وهو مبهم بل أبهم مما قبله (أجيب) بأن شيئاً قد انضغ وظهر بوصفه بالجملة بعده
وهو تمييز لظلاله وقيل بالجملة يان لما وقوله تعالى (مجدد الله) حال من الظلال جمع ساجد
كشاهد وشهدوا كع وركع واختلف فى المراد من السجود على قولين أحدهما أن المراد منه

الاستسلام والانقياد يقال سجد البعير اذا طأ طأ رأسه ليركب وسجدت الفخلة اذا ماتت لسكرة
الحمل ويقال اسجد للقرى في زمانه أى اخضع له وقال الشاعر * ترى الاكم فيها سجد البعير
أى متواضعة والثانى أن هذه الظلال واقعة على الارض ملتصقة بهم على هيئة الساجد فلما
كانت الظلال يشبه شكلها شكل الساجدين أطلق الله تعالى عليها هذا اللفظ وكان الحسن
يقول أما ظلك فيسجد لربك وأما أنت فلا تسجد لربك بشما صنعت وعن مجاهد ظل الكافر
يصلى وهو لا يصلى وقيل ظل كل شئ يسجد لله سواء أكان ذلك الشئ ساجدا أم لا قال الرازى
والاقل أقرب الى الحقائق العقلية والثانى أقرب الى الشبهات الظاهرة وقوله تعالى (وهم
داخرون) أى صاغرون حال أيضا من الظلال فينتصب عنه حالان وقيل حال من الضمير المستتر
فى سجد انتهى حال متداخلة (فان قيل) الظلال ليست من العقلاء فكيف جازعها بالواو
والنون (أجيب) بأنه تعالى لما وصفها بالطاعة والدخور أشبهت العقلاء وأن فى جملة ذلك
من يعقل فقلب * ولما حكم على الظلال بما يعم أصحابها من جاد وحيدان وكان الحيوان أشرف
من الجاد رقى الحكم اليه بخصوصه فقال (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض) وقوله
تعالى (من دابة) يجوز أن يكون يا نا لما فى السموات وما فى الارض جميعا على أن فى السموات
خلق الله يدبون فيها كما تدب الاناس فى الارض وأن يكون يا نا لما فى الارض وحده ويراد
بما فى السموات الخلق الذى يقال له الروح وأن يكون يا نا لما فى الارض ويراد بما فى السموات
الملائكة وكثر ذكرهم بقوله تعالى (والملائكة) خصوصاً من بين الساجدين لانهم أطوع
الخلق وأعبدهم ويجوز أن يراد بما فى السموات ملائكتهم وبقوله تعالى والملائكة ملائكة
الارض من الحفظة وغيرهم (فان قيل) سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف
سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد (أجيب) بأن المراد بسجود المكلفين طاعتهم
وعبادتهم وسجود غيرهم انقياده لارادة الله تعالى وأنه غير متمنع عليه وكلا السجودين يجمعهما
معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد (فان قيل) هلاجى بمن دون
ما تغليب للعقلاء من الدواب على غيرهم (أجيب) بأنه لو جى بمن لم يكن فيه دليل على التغليب
فكان متناوِلاً للعقلاء خاصة فجى بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة للعموم (وهم) أى الملائكة
(لا يستكبرون) عن عبادته ثم علل تخصيصهم بقوله تعالى دلالة على أنهم سجدوا فى الوقوف بين
الخطوف والرجاء (يتخافون ربهم) أى الموجد لهم المدبر لا مورهم المحسن اليهم خوفاً مبتدأ
(من فوقهم) اشارة الى علو الخوف عليهم وغلبته لهم أو ان يرسل عليهم عذاباً من فوقهم
أو يخافونه وهو فوقهم بالتهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده وقوله تعالى وانافقهم
فاهرون والجملة حال من الضمير فى لا يستكبرون أو بيان له أو تقرير لان من خاف الله لا يستكبر
عن عبادته (ويعملون ما يؤمرون) أى من الطاعة والتدبير وفى ذلك دليل على أن الملائكة
مكلفون مدأرون على الامر والنهى والوعد والوعيد كسائر المكلفين وأنهم بين الخوف
والرجاء كما مرّت الاشارة اليه وأنهم معصومون من الذنوب لان قوله تعالى وهم لا يستكبرون يدل

على أنهم متقادون لتعاليمهم وأنهم ما خالفوا في أمر من الأمور كما حال تعالى لا يسبقونه بالقول
وهم بأمره يعملون * ولما بين تعالى أن كل ماسوى الله تعالى سواء كان من عالم الارواح أم
من عالم الاجساد فهو متقاد خاضع لجلال الله تعالى وكبريائه أتبعه بالنهي عن الشرك وبالأمر
بأن كل ماسواء فهو ملكه وأنه غنى عن الكل بقوله تعالى (وقال الله) فعبر لاجل تعظيم المقام
بالاسم الاعظم الخاص (لاتخذوا) أى لا تكلفوا فطر تكلم الاولى السلبية المجبولة على معرفة
أن الاله واحد أن تأخذ في اعتقادها (الهيئتين) (فان قيل) انما جعوا بين العدد والمعدود
فيما وراء الواحد والاثني فقالوا عندى رجال ثلاثة وأفراس أربعة لأن المعدود عار عن الدلالة
على العدد الخاص فأما رجل ورجلان وفرس وفرسان فعدودان فيهما دلالة على العدد فلا
حاجة الى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان فواجه قوله تعالى الهيئتين (أجيب) باجوبة
أولها قال الرازي وهو الاقرب عندى ان الشئ اذا كان مستنكرا مستقبعا فن أراد
المبالغة في التفسير عنه عبر عنه بعبارات كثيرة ليصير توالى تلك العبارات سببا لوقوف العقل
على ما فيه من القبح والقول بوجود الهيئتين مستقيم في العقول فان أحد من العقلاء لم يقل
بوجود الهيئتين متساويين في الوجود والقدم وصفات الكمال فالمتعود من تكرار اثنيتين كما
التفسير عنه وتوقيف العقل على ما فيه من القبح الثاني أن قوله تعالى الهيئتين لفظ واحد يدل
على أمرين ثبوت الاله وثبوت التعدد فاذا قيل لاتخذوا الهيئتين لم يعرف من هذا اللفظ ان
النهي وقع عن اثبات الالهين أو عن اثبات التعدد وعن مجموعهما فلما قال لاتخذوا الهيئتين
اثنيتين ظهر أن قوله لاتخذوا نهى عن اثبات التعدد فقط الثالث في الآية تقديم وتأخير
والتقدير لاتخذوا اثنيتين الهيئتين الرابع أن الاسم الحامل لبعض الافراد والتنبيه دال على
شئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا أريدت الدلالة على ان المعنى به منهما والذي يساق
اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به ألا ترى أنك لو قلت
انما هو الاله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك ثبتت الالهية لا الوحدانية ثم قال تعالى ذلك
النهي بما اقتضاه السياق من الوحدانية فقال جل ذكره (انما هو) أى الاله المفهوم من لفظ
الهيئتين الذي لا يستحق غيره أن يطلق عليه هذا الضمير المجاز لانه لا يطلق اطلاقا حقيقة الاعلى
من وجود من ذاته (الاله) أى مستحق هذا الوصف على الاطلاق (واحد) لا يمكن أن ينفى بوجه
ولأن يجوز ابقاؤه وبغير غاية لغناء المطلق عن كل شئ واحتياج كل شئ اليه * ولما ثبت بالدليل
الصحيح والبرهان الواضح أن الاله العالم لا شريك له في الالهية وجب أن يكون جميع المخلوقات
عبيده وفي ملكه ونصرته وتحت قهره وذلك قوله تعالى (وله) أى الله وأعاد الضمير في قوله تعالى له

على الله الاسم الاعظم العلم الجامع لجميع الاسماء الحسنى (ما في السموات والارض) أي
 ما تعبدونه وغيره فكيف يتصور أن يكون شيء من ذلك الها وهو ملكه مع كونه محتاجا الى
 الزمان والمكان وغيرهما (وله الدين) أي الطاعة وقوله تعالى (وأصبا) أي دائما حال من الدين
 والعامل فيه ما في الظرف من معنى الفعل قال ابن قتيبة ليس من أحد يدان له ويطلع الا
 انقطع ذلك لسبب في حال الحياة أو بالموت الا الحق سبحانه وتعالى فاطاعته واجبة أبدا ولانه
 المنعم على عباده المالك لهم فكانت طاعته واجبة دائما أبدا وقوله تعالى (أفغير الله) أي الذي له
 العظمة كلها (سقون) استفهام انكار والمعنى أنكم بعد ما عرفتم أن الله العالم واحد وعرفتم أن
 كل ما سواه محتاج اليه في وقت دوامه وبقائه فبعد العلم بذلك كيف يعقل أن يكون للانسان
 رغبة في غير الله تعالى أو رغبة من غير الله تعالى * ولما بين تعالى أن الواجب على العاقل أن لا يتق
 غير الله بين أنه يجب عليه أن لا يشكر أحدا الا الله تعالى بقوله تعالى (وما بكم من نعمة) أي من
 نعمة الاسلام وصحة الابدان وسعة في الارزاق وكل ما أعطاكم من مال أو ولد أو جاه (فإن الله هو
 المتفضل على عباده فيجب عليكم شكره على جميع انعامه لان الشكر انما يجب على النعمة فثبت
 بهذا أن العاقل يجب عليه أن لا يخاف وأن لا يشكر الا الله تعالى * (تنبيه) * احتج أصحابنا بهذه
 الآية على أن الايمان حصل بخلق الله فقالوا الايمان نعمة وكل نعمة فمن الله فينتج أن الايمان
 من الله وأيضاً النعمة عبارة عن كل ما يكون مستفعا به وأعظم الاشياء في النفع هو الايمان فثبت
 أن الايمان نعمة والمسلمون مطبقون على قولهم الحمد لله على نعمة الايمان والتم امانية وأما
 دينية أما النعم الدينية فهي اما معرفة الحق لذاته واما معرفة الخير لاجل العمل به والنعم الدنيوية
 اما نفسانية واما دنيوية واما خارجية وكل واحد من هذه الثلاثة جنس تحت أنواع خارجة عن
 المحصر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد مرّت الاشارة الى ذلك عند ذكر هذه
 الآية * ولما كان اخلاصهم له مع ادعائهم الوهية غيره أمر مستبعد اعبر بأداة التراخي والبعد
 في قوله تعالى (ثم اذامسكم) أي أصابكم أدنى مس (الضر) بزوال نعمة مما أنعم به عليكم
 وقال ابن عباس يريد الاسقام والامراض والحاجة (فألبه) أي لا الى غيره (تجأرون) أي
 ترفعون أصواتكم بالاستغاثة لما ذكر في فطر تكلم الاولية السليمة من أنه لا ملجأ ولا منجى منه
 الا اليه (ثم اذا كشف) سبحانه وتعالى (الضر) أي الذي مسكم (عنكم) ونبه على مسارعة
 الانسان في الكفران فقال (آذا فريق) أي جماعة هم أهل فرقة وضلال (منكم) أي أيها
 العباد (ربهم) الذي تقربوا لانعام عليهم (يشركون) أي يوقعون الاشرار بعبادة غيره (ليكفروا
 بما آتيناكم) أي من النعم * (تنبيه) * في هذه اللام وجهان الاول انها لام كي فيكون المعنى
 على هذا أنهم انما أشركوا بالله ليجحدوا نعمه عليهم في كشف الضر الثاني أنها لام العاقبة
 كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا والمعنى عاقبة أمرهم هو كفرهم
 بما آتيناكم من النعماء وكشفنا عنهم الضر والبلاء ثم انه تعالى وتعدى بعد ذلك بقوله تعالى
 (فقتلوا) أي باجتماعكم على عبادة الاصنام وهذا القوله أمر والمراد منه التهديد بقوله تعالى

قل آمنوا به أو لا تؤمنوا وقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (فسوق تعلقون) عاقبة
 أمركم وما ينزل بكم من العذاب * ولما بين تعالى بالدلائل القاهرة فساد قول أهل الشرك والتشبيه
 شرح تضاصيل أقوالهم وبين فسادها بأنواع الأول قوله تعالى (ويجعلون) أى المشركون
 (لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم) من الحث والانعام بقولهم هذا الله وهذا لشركائنا
 * (تنبيه) * الضمير في قوله تعالى لما لا يعلمون عائدا على الاصنام أى إن الاصنام لا تعلم شيئا البتة
 لأنها جاد والجاد لا علم له وقبل عائدا إلى المشركين ومعنى لا يعلمونها أنهم يسمونها آلهة فيعتقدون
 فيها جهالات مثل أنها تنفعهم وتشفع لهم وليس الأمر كذلك * ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه
 على نفسه أنه بسألهم يوم القيامة بقوله تعالى (تالله لتسألن) سؤال توبيع وفيه التفات من
 الغيبة إلى الحضور وهو من يدبغ الكلام ويلبغه (عما كنتم تفكرون) على الله من أنه أمركم
 بذلك * (تنبيه) * في وقت السؤال احتمالان الأول أنه يقع عند القرب من الموت الثانى أنه
 يقع في الآخرة قال الرازى وهذا أولى النوع الثانى قوله تعالى (ويجعلون لله البنات) ونظيره
 قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا كانت خرافة وكثافة يقولون الملائكة
 بنات الله قال الرازى أظن أن العرب انحأ أطلقوا لفظ البنات على الملائكة لاستئثارهم عن
 العيون فأشبهوا النساء في الاستئثار فأطلقوا عليهم البنات قال ابن عادل وهذا الذى ظنه ليس
 بشئ فإن الجن أيضا مستترون عن العيون ولم يطلقوا عليهم لفظ البنات * ولما حكى الله تعالى
 عنهم هذا القول قال تعالى (سبحانه) وفيه وجهان الأول أن يكون المراد تنزيه ذاته عن نسبة الولد
 إليه الثانى تحجيب الخلق من هذا الأمر والجمل العريض وهو وصف الملائكة بالأنوثة ثم نسبها
 بالولادة إلى الله تعالى قيل في التفسير معناه معاذ الله وذلك مقارب للوجه الأول * ولما ذكر
 الله تعالى ما جعلوا له مع الغنى المطلق بين ما نسبوا لانفسهم مع لزوم الحاجة والضعف بقوله تعالى
 (ولهم ما يشتهون) من البنين وقد يكونون أعداء أعدائهم * ثم انه تعالى ذكر أن الواحد من
 هؤلاء المشركين لا يرضى بالولد البنت لنفسه فكيف ينسب الله تعالى فقال (واذا بشر أحدكم
 بالأنثى) أى أخبر بولادتها (ظل وجهه) أى صار أودام النهار كله (مسودا) من الكآبة
 والحياء من الناس واسوداد الوجه كآبة عن الغنى والفتور كما أن يبيض الوجه واشراقه
 كآبة عن الفقر والسرور (وهو كظيم) أى مملوء غيظا على المرأة ولأذنب لها بوجهه والبشارة في
 أصل اللغة الخبر الذى يغير البشارة من حزن أو سرور ثم خص في عرف اللغة السرور ولا يكون إلا
 بالخبر الأول فالمراد بالبشارة هنا الاخبار كما مر وقول الرازى إن اطلاقه على الخبر والشردا خل
 في التصديق خلاف المشهور (يتواري) أى يستنى (من القوم) أى من الرجال الذين هو فيهم
 (من سوء ما يبشربه) خوفا من التغيير وذلك أن العرب كانوا في الجاهلية إذا قرب ولادة زوجة
 أحدكم توأرى عن القوم إلى أن يعلم ما ولد له فان ولده ذكر ابتهج وسر بذلك وظهر
 وإن كانت أنثى حزن ولم يظهر أياما متريدا ماذا يفعل بذلك الولد (أيمنكه) أى يتركه بغير قتل
 (على هون) هو أن يذل (أم يبدسه في التراب) وذكر الضمير في يسكه ويبدسه نظرا للفظ الولد أو

لكون الاثني ولدا كاعلم علمت قال ابن معلق قال المفسرون كانت المرأة اذا أدركها الخاض
 احتفرت حفرة وجلس على شفيرها فان وضعت ذكرا أظهرته وظهر السرور على أهلها وان
 وضعت انثى استأذنت مستولدها فان شاء أمسكها على هون وان شاء أمرها بالقاء في الحفرة
 وردت التراب عليها وهي حية لتموت انتهى وعن قيس بن عاصم أنه قال يا رسول الله انى واربت
 ثمان بنات فى الجاهلية فقال صلى الله عليه وسلم اعنق عن كل واحدة منهن رقبة فقال يا نبي الله
 انى ذوابل قال اهد عن كل واحدة منهن هدبا وروى أن رجلا قال يا رسول الله والذى بعثك
 بالحق ما أجد حلاوة الاسلام مذقأ سلت فقد كانت لى فى الجاهلية ابنة فأمرت امرأتى أن
 تزنيها فأخرجتها فلما انتهت الى واد فيه بئر بعيدة القعر ألقيتها فيها فقالت يا بئس قتلتنى فكلمنا
 ذكرت قولها لم ينفعنى شئ فقال صلى الله عليه وسلم ما كان فى الجاهلية فقد هدمه الاسلام
 وما فى الاسلام يهدمه الاستغفار وكانوا فى الجاهلية مختلفين فى قتل البنات فمنهم من يحفر
 الحفرة ويدفن فيها الى أن تموت ومنهم من يرصها من شاطئ جبل ومنهم من يفرقها ومنهم من
 يذبحها وكانوا يفعلون ذلك تارة للغيرة والحجة خوفا من أن يقطع فيهن غير الا كفء وتارة خوفا
 من الفقر وكثرة العيال ولزوم النفقة وكان الذى منهم يريد أن يحيى ابنته تركها حتى
 تكبر ثم يلبسها جبة من صوف أو شعر ويحملها ترى الابل والغنم فى البداية قال الله تعالى
 (الأنساء) أى بنس (ما يحكمون) حكمهم هذا وذلك لانهم بلغوا فى الاستنكاف من البنات
 الى أعظم الغايات فازلها أنه يسود وجهه وثانيها أنه يحتنى من القوم من شدة فقره عن البنات
 وثالثها ان الولد محبوب بحسب الطبيعة ثم انه بسبب فقره عنها يقدم على قتلها وذلك بدل على
 أن التفرقة عن البنات والاستنكاف عنها قد بلغ مبلغا لا يزد عليه فكيف يليق بالعاقل أن يثبت
 ذلك لاله عالم مقدس عال عن مشاهة جميع المخلوقات وتطير هذا الآية قوله تعالى ألستم
 الذكرو له الاثني تلك اذا قسمه ضيزى ثم قال تعالى (الذين لا يؤمنون بالآخرة) وهم الكفار
 (مثل السوء) أى الصفة السوء بمعنى القبيحة وهي قتلهم البنات مع احتياجهم اليهن للنكاح
 (ولله المثل الأعلى) أى الصفة العليا وهي انه لا اله الا هو وان له جميع صفات الجلال والكمال
 من العلم والقدرة والبقاء السرمدى وغير ذلك من الصفات التى وصف الله بها نفسه وقال ابن
 عباس مثل السوء النار والمثل الأعلى شهادة أن لا اله الا الله (فان قيل) كيف جاء الله المثل
 الأعلى مع قوله تعالى فلا تضربوا الله الامثال (أجيب) بأن المثل الذى يضربه الله تعالى حق
 وصدق والذى يذكروه غيره باطل (وهو العزيز) الذى لا يمتنع عليه شئ فلا تنظيره (الحكيم) الذى
 لا يوقع شئ الا فى محله وما حكى الله تعالى عن القوم عظيم كفرهم وقبح قولهم بين أنه تعالى يعمل
 هو لا الكفار ولا يعاجلهم بالعقوبة اظهار الفضل والرحمة والكرم بقوله تعالى (ولو يؤاخذ
 الله الناس بظلمهم) أى بسبب كفرهم ومعاصيهم (ما ترك عليها) أى على الارض وانما أضمر
 ذكرها من غير ذكر لالة الناس والدابة عليها (من دابة) أى ان الله تعالى لو أخذ الناس
 بظلمهم لاهلك جميع الدواب التى على وجه الارض (فان قيل) اسم الناس جنس يشمل الكل

فدخل في ذلك الانبياء فبدل ذلك على عدم عصمتهم (أجيب) بأن ذلك عام مخصوص بقوله
 تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
 بالخيرات باذن الله فالمدكور في هذه الآية اما كل العصاة المستحقين العقاب والذين تقدم
 ذكرهم من المشركين ومن الذين ائتموا بالله البنات وجميع الكفار بدليل قوله تعالى ان شر
 الدواب عند الله الذين كفروا وقال قتادة قد فعل الله تعالى ذلك في زمن نوح عليه السلام
 فأهلك جميع الدواب التي على وجه الارض الا من كان في السفينة مع نوح عليه السلام روى
 أن أباه ريرة رضى الله تعالى عنه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الانفس فقال بنسما قلت
 ان الحبارى تموت من الامن ظلم الظالم وقال ابن مسعود ان الجعل تعذب في حجر هابذ بن آدم
 والجعل بض الجيم وفتح العين دوية قاله الجوهرى وقيل في معنى الآية ولو يؤاخذ الله
 الآباء الظالمين بسبب ظلمهم لانقطع النسل ولم توجد الابناء وليبق في الارض أحد (ولكن
 يؤخرهم) أى يمهّلهم بفضله وكرمه وحمله (الى أجل مسمى) أى الى انتهاء آجالهم وانقضاء
 أعمارهم (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة) عنه (ولا يستقدمون) أى لا يؤخرون ساعة
 من الاجل الذى جعله الله تعالى لهم ولا ينتقصون منه * (تنبيه) * ههنا هم زمان مقتدرتان
 من كلمتين فقرأ لولون والبرى وأبو عمرو بإسقاط الحدى الهمزتين مع المد والقصر وقرأ ورش
 وقيل بتسهيل الثانية وابدالها حرف مد والباقيون بتحقيق الهمزتين النوع الثالث من
 الاقاول الفاسدة التى كان يذكرها الكفار وحكاها الله تعالى عنهم قوله (ويجعلون لله
 ما يكرهون) لانفسهم من البنات وأراذل الاحوال والشركاء فى الرئاسة ثم وصف الله تعالى
 جراتهم مع ذلك بقوله تعالى (ونصف) أى ويقولون (السفتم الكذب) أى مع ذلك مع أنه قول
 لا ينبغي أن يخيله عاقل ثم يئنه بقوله تعالى (أن لهم الحسنى) أى عنده أى الجنة كقوله تعالى
 ولئن رجعت الى ربي انى عنده للعسنى ولا جهل أعظم ولا أحكم سوا من أن تقطع بأن من
 يجعل له ما ذكره أن يجعل لك ما تحب فكانه قيل ما لهم عنده فضيل (لاجرم) أى لا ظن ولا تردد في
 (أن لهم النار) أى هى جزاء الظالمين وقيل لا جرم بمعنى حقا (وأنهم مفرطون) أى متركون
 فيها أومة قدّمون اليها وقرأ نافع بكسر الراء أى متجاوزون الحد والباقيون بالفتح (فان قيل) انهم
 لم يقرؤا بالبعث فكيف يقولون ان لنا الجنة وقيل انه كان فى العرب جميع يقرؤن بالبعث والقبلة وانهم
 كانوا يربطون البعير النفيس على قبر الميت ويتركونه الى أن يموت ويقولون ان ذلك الميت اذا
 حشر فانه يحشر معه مكرهه ثم بين تعالى أن مثل هذا الصنيع الذى يصدر من مشركى قريش
 قد صدر من سائر الامم السابقين فى حق الانبياء المة قدّمين بقوله تعالى (تالله) أى الملك الاعلى
 (لقد أرسلنا) أى بثمانين القدرة رسلا من الماضين (الى امة من قبلك) كما أرسلنا
 الى هؤلاء (فزين لهم الشيطان) أى المتهرق بالفض والطرد بالغة (أعمالهم) الخبيثة
 من الكفر والتكذيب كما زين لهؤلاء فضلا كما ضلوا فاهلكوا وهذا يجرى مجرى التسليّة

للنبي صلى الله عليه وسلم فيما كان يناله من الغم بسبب جهالات القوم والمزمن في الحقيقة هو الله تعالى هذا مذهب أهل السنة وانما جعل الشيطان آية باللقاء الوسوسة في قلوبهم وليس له قدرة على أن يضل أحداً أو يهدي أحداً وانما له الوسوسة فقط فمن أراد الله تعالى شقاؤه وسلطه الله عليه حتى يقبل وسوسته (فهو وليهم اليوم) أى في الدنيا وانما عبد اليوم عن زمانها أى فهو وليهم حين كان يزين لهم أو يوم القيامة على أنه حكاية حال ماضية أو آية أى لا ولي لهم غيره وهو عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصرهم وقيل الضمير لقريش أى زين الشيطان للكفرة المتقدمين أعمالهم وهو ولي هؤلاء القوم يغترهم ويغريهم وقيل يجوز أن يقدر مضاف أى فهو ولي أمثالهم والولي القرين والناصر فيكون نعمتا الناصر لهم على أبلغ الوجوه (ولهم عذاب أليم) أى مؤلم في الآخرة * ثم ذكر تعالى انه مع هذا الوعيد الشديد قد أقام الحجة وأزاح العلة بقوله تعالى (وما أنزلنا) أى بما لنا من العظمة من جهة العلو (عليك) يا أشرف المرسلين (الكتاب) أى القرآن (الآيتين لهم) أى للناس (الذى اختلفوا فيه) من أمر الدين مثل التوحيد والشرك وإثبات المعاد ونفيه فإنه كان فيهم من ينكر البعث ومنهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب ومثل تحريم الحلال كالبحيرة والسائبة وتحليلهم أشياء محرمة كالبيعة (فان قيل) اللام في آيتين لهم تدل على أن أفعال الله تعالى معللة بالأغراض كقوله تعالى كذب أنزلناه اليك لتخرج الناس وقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (أجيب) بأنه لما ثبت بالعقل امتناع التعليل وجب صرفه الى التأويل وقوله تعالى (وهدى ورحمة) أى واكراما مجيبة معطوفان على محل آيتين الا انهما اتصبا على أنهم مفعول لهما لانهم افعالا الذى أنزل الكتاب ودخلت اللام على آيتين لانه فعل مخاطب لافعل المتزل وانما يقصد مفعولا لهما كان فعل فاعل الفعل المعلل ولما كان ذلك ربما شملهم وهم على ضلالهم فناه بقوله تعالى (لقوم يؤمنون) وتطيره بقوله تعالى في أول البقرة هدى للمتقين وانما خص المؤمنين بالذكر من حيث انهم قبلوه واتفوعوا به كافي قوله تعالى انما أنت منذر من يخشاها لانه انما انتفع بانذاره هذا القوم فقط * ولما انقضى الدليل على أن قلوبهم منكورة استكبارا وما يتعلق به وختمه بأحبابه القلوب في الايمان والعلم بعدموتها بالكفر والجهل وكان المقصود الاعظم من القرآن تقرير اصول أربعة الالهيات والنبوات والمعاد وإثبات القضاء والقدر والفعل بالاختيار وكان أجل هذه المقاصد الالهيات شرع في ذكر الوحدة والقدرة والفعل بالاختيار المستلزم للقدرة على البعث على وجه غير المتقدم ليعلم أن أدلة ذلك أكثر من أوراق الاشجار وأجل من ضياء النهار فعطف على قوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون قوله جامعاً في الدليل بين العالم العلوى والعالم السفلى (والله) أى الذى له الامر كله (أنزل من السماء) في الوقت الذى يريد (ماء) بالمطر والثلج والبرد (فأحياه) أى بذلك الماء (الارض) بأنواع النبات (بعد موتها) أى يبسها (أن في ذلك) المذكور (آية) أى دلالة واضحة على كمال قدرته تعالى (لقوم يسمعون) أى سماع تدبر وانصاف وتطولات سماع القلوب هو النافع لاسماع الاذان فمن سمع آيات القرآن بقلبه وتدبرها ونفكر فيها

انتفع ومن لم يسمع بقلبه فكأنه أصم لم يسمع ولم ينتفع بالآيات ومن الدلائل المذكورة في هذه الآية الاستدلال بهجائب أحوال الحيوانات وهو قوله (وَأَنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً) أى اعتبارا إذا تفكرتم فيها وعرفتم كمال قدرته وقوله تعالى (نَسْجِبُكُمْ بِمَا فِي بَطُونِهِ) استئناف بيان اللعبة وإنما ذكر لفظ الضمير لانه لفظ الانعام مفرد وضع لفادة الجمع كالأرط والقوم ولان اللبس والدلالة على قوة المعنى لكونها سورة النعم وأنه في سورة المؤمنون للمعنى فإن الانعام اسم جمع ولذلك عده سبيوه في باب ما لا ينصرف في الاسماء المفردة الواردة على أفعال كقولهم ثوب أكاش ييا تخفيه وشين مجمعة ضرب من الثياب يغزل مرتين ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها وقرأ نافع وابن عامر وشعبة بفتح النون تقول سقيته حتى روى قال تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا والباقون بضمها من قولك اسقاه اذا جعل له شرابا كقوله تعالى وأسقيناهم ماء فرانا ولما كان في موضع العبرة تخليص اللبن من غيره قدم قوله تعالى (من بين فرث) وهو الفل الذي نزل الى الكرش فاذا خرج منه لم يسم فرثا (ودم لبنا خالصا) أى صافيا خلقه الله وسطا بين القرث والدم يكسفه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي عليه أحدهما بلون أو رائحة أو طعم روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اذا أكلت البهيمة العلف واستقرت في كرشها طبعته فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه ما والكبد متسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تنقسمها فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى القرث في الكرش فسمان الله ما أعظم قدرته وأطف حكمته لمن تفكر وتأمل وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم (سائغا للشاربين) أى سهل المروءة الخلق وقيل لم يغص أحد باللبن قط * (تنبيه) قال أهل التحقيق اعتبار حدوث اللبن كإيدل على وجود الصانع المختار فكذلك يدل على إمكان الحشر والنشر وذلك لأن هذا العشب الذي يأكله الحيوان انما يتولد من الماء والارض فخالق العالم دبّر تدبيرا آخر بقلب ذلك الدم لبنا ثم دبّر تدبيرا آخر فأحدث من ذلك اللبن السمن والجبن فهذا الاستتار يدل على انه تعالى قادر على أن يقلب هذه الاجسام من صفة الى صفة ومن حالة الى حالة فاذا كان كذلك لم يمنع أيضا أن يكون قادرا على أن يقلب أجزاء أبدان الاموات الى صفة الحياة والعقل كما كانت قبل ذلك فهذا الاعتبار يدل من هذا الوجه على أن البعث والقيامة أمر ممكن غير متعسر وفي حدوث اللبن في الثدي واتصافه بالصفات التي باعتبارها يكون موافقا لتغذية الطفل مشحله على حكمة عجيبه يشهد صريح العقل بأنها لا تحصل الابتدير الفاعل الحكيم المدبر وبيانه من وجوه الاقل انه تعالى خلق في أسفل المعدة منفذا يخرج منه نقل الغذاء فاذا تناول الانسان غذاء أو شرابا انطبق ذلك المنفذ انطباقا كاملا لا يخرج منه شيء من ذلك الماء كور والمشيروب الى أن يكمل انضمامه في المعدة ويجذب ما صني منه الى الكبد ويؤتي النقل هناك فينقله فينفذ ذلك المنفذ وينزل منه ذلك النقل وهذا من العجائب التي لا يمكن حصولها الا بتدبير الفاعل الحكيم لانه متى كانت الحاجة الى خروج ذلك الجسم من المعدة انفتح فمصول

الانطباق نارة والانتفاح نارة أخرى بحسب الحاجة وبقدرا المنفعة مما لا يتأقى الابتعاد بالفاعل
الحكيم الثاني عند تولد اللبن في الضرع يحدث الله تعالى في حلة الثدي نقبا صغيرة ومسما
ضيقة وجعلها بحيث اذا اتصل المص والحلب بلك الحلة انفصل اللبن عنها ولما كانت تلك
المسام ضيقة جدا كان لا يخرج منها الا ما كان في غاية الصفا واللطافة وأما الاجراء الكشيغة
فانه لا يمسكها الخروج من تلك المنافذ الضيقة فتبقى في الداخل فالحكمة في احداث تلك
الثقب الصغيرة والمنافذ الضيقة في رأس حلة الثدي انها تكون كالصفاء فكل ما كان لطيفا
خرج وكل ما كان كثيفا احتبس في الداخل ولم يخرج فبهذا الطريق يصير اللبن خالصا موافقا
لبدن الطفل سائعا للشاربين الثالث أنه تعالى ألهم ذلك الطفل الى المص فان الأم كلما ألقت
حلمة الثدي في فم الطفل فلذلك الطفل في الحال يأخذ في المص ولو لان الفاعل المختار
الرحيم ألهم ذلك الطفل الصغير ذلك العمل المخصوص والا لم يحصل الانتفاع بتطبيق ذلك
اللبن في الثدي وقوله تعالى (ومن ثمرات النخيل والاعناب) متعلق بمحذوف تقديره
ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب أي من عصيرهما وحذف دلالة نسقيكم عليه وقوله تعالى
(تخذون منه سكر) بيان وكشف عن كنه الاسقاء قال الواحدى الاعناب عطف على الثمرات
لا على النخيل لانه يصير التقدير ومن ثمرات الاعناب والعنب نفسه ثمرة وليس له ثمرة أخرى
(ورزقا حسنا) كالتمر والزبيب والدبس والخل * (تنبيه) * في تفسير السكر وجوه الاقول هو
التمر سميت بالمصدر من سكر سكر او سكر اخور شد شد ورسدا فان قيل التمر محترمة فكيف
ذكرها الله تعالى في معرض الانعام (أجيب) عن ذلك بوجهين أحدهما أن هذه السورة مكية
وتحريم التمر نزل في سورة المائدة فكان نزول هذه الآية كان في الوقت الذي كانت الخمر فيه غير
محترمة ومن قال بنسخها النخعي والشعبي الثاني أن الآية جامعة بين العناب والمثنة فالاعناب
بالنسبة الى السكر والمثنة بالنسبة الى رزقا حسنا الوجه الثاني أن السكر هو النبيذ وهو
عصير العنب والزبيب والتمر فاذا طبع حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد فهو حلال عند
أبي حنيفة رحمه الله تعالى الى حد السكر ويخرج هذه الآية وبقوله صلى الله عليه وسلم الخمر
حرام لعينها وهذا يقتضى أن يكون السكر شيئا غير الخمر وكل من أثبت هذه المغايرة قال انه
النبيذ المطبوخ الوجه الثالث أن السكر هو الطعام قاله أبو عبيدة واحتج عليه بقول الشاعر
* جعلت امرأ الكرام سكره أى تنقلب باعراضهم بان جعلتها نقلا وتناولها والنقل
ما ينقل به على الشراب قال البغوي وأولى الاطوار ان قوله تعالى تخذون منه سكر مفسوخ
انتهى ويدل له قول الحسن ذكر الله نعمته عليهم في التمر قبل أن يحرمها عليهم وروى عن ابن
عباس قال السكر ما حرم من تمره والرزق الحسن ما أحل من تمره وروى عنه أيضا السكر
الحرام منه والرزق زيبه وعنه ومنافعه * ثم قال تعالى (ان في ذلك) المذكور (آية) أى
دلالة على قدرته تعالى (لقوم يعقلون) أى يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل في الآيات
فيعلمون ان هذه الاحوال لا بد رعاها الله تعالى فيجوز بحصولها على وجود الاله القادر

الحكيم • ولما بين تعالى أن اخراج الالبان واخراج السكر والزرق الحسن من ثمرات التخليل
والاعتناء بدليل قاطع وبرهان ساطع على أن لهذا العالم لها قدر واحتيا وحكمة ما ذكر أن اخراج
العسل الذي جعله الله تعالى شفاه للناس من دابة ضعيفة وهي التخليل دليل قاطع وبرهان
ساطع على إثبات هذا المقصود بقوله تعالى (وأوحى ربك إلى النحل) وفي الهام قال الفصاح
الهمها ولم يرسل اليها رسولا والمراد من الالهام أنه تعالى قدر في أنفسهم هذه الاعمال العجيبة
التي يعجز عنها العقلاء من البشر وبإياديه من وجوه الأول ما ذكر الله تعالى (أن اتخذى) أى
بأن اتخذى ويجوز أن تكون مفسرة لأن في الإيجام معنى القول (من الجبال يونان) تأويل
الهاما وانما سمي ما بينه لتعسل فيه بيتا تشبهها بيت الانسان فتبنى البيوت المسدسة من اضلاع
متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمقدار طبعها والعقلاء من البشر لا يمكنهم مثل تلك البيوت
الآلات وانظار دقيقة الثابتة في الهندسة أن تلك البيوت لو كانت مشكلة بأشكال
سوى المسدسات كأن كانت مدورة أو مثلثة أو مربعة أو غير ذلك من الاشكال فانه تبقى
بالضرورة في عيابين تلك البيوت فرج خالية ضائعة فاهتداء هذا الحيوان الضعيف الى هذه
الحكمة الخفية والدقيقة الطيفة من الاعاجيب الثالث أن النحل يحصل بينا واحدا كالرئيس
للبقية وذلك الواحد يكون أعظم جنة من الباقي ويكون نافذ الحكم على تلك البقية وهم
يخضعون له ويحملونه عند تعبهم وذلك أيضا من الاعاجيب الرابع انها اذا انفردت عن وكرها
ذهبت مع الجمعية الى موضع آخر فاذا ارادوا عودها الى وكرها ضروا الطبول وآلات
الموسيقى فبواسطة تلك الاطمان يقدررون على ردها الى أوكارها وهذه أيضا حالة عجيبة فلما
امتاز هذا الحيوان بهذه الخواص العجيبة الدالة على مزيد الذكاء والكياسة كان ليس الاعلى
سبيل الالهام وهو حالة شبيهة بالوحى والوحى قد ورد في حق الانبياء كقوله تعالى وما كان لبشر
أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب وفي حق الاولياء قال تعالى واذا وحيت الى الخواص
وبمعنى الالهام في حق البشر قال تعالى وأوحينا الى أم موسى وفي حق سائر الحيوانات خاص
قال الزجاج يجوز أن يقال سمي هذا الحيوان نحلا لأن الله تعالى نحل الناس العسل الذي
يخرج من بطونها وقال غيره النحل يذ كرويت وهي مؤنثة في لغة اغجاز ولذلك أنها الله تعالى
وكذلك كل جمع ليس بينه وبين واحد الالهاء (و) اتخذى (من الشجر) أى الصالحة يونان
(و) اتخذى (مما يعرشون) أى الناس فينبون تلك الاماكن وذلك أن النحل منه وسعنى
وهو الذي يسكن الجبال والشجر والكهوف ومنه أهلى وهو الذى يأوى الى البيوت وترتبه
الناس عندهم وقد جرت العادة أن الناس يبنون للنحل الاماكن حتى يأوى اليها وذو ذلك
يصرف التبعية لانها لا تبنى في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من الكرم أو سقف ولا في كل
مكان منها وقرأ ابن عامر وشعبة بضم الراء والباقون بكسرها • (تنبيه) • ظهر قوله تعالى
اتخذى أمر وقد اختلفوا فيه فمن الناس من يقول لا بعد أن يكون لهذه الحيوانات عقول
ولا بدع أن يتوجه عليها من الله أمر ونهى وقال آخرون بل المراد منه أنه تعالى خلق قوما

غرائز وطبائع توجب هذه الاحوال وسيأتي الكلام على ذلك ان شاء الله في سورة النمل عند قوله تعالى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم * ولما كان اهم شي للحيوانات بعد الراحة من همهم القيل أكل شيء غني به فقال (ثم كل من كل الثمرات) أي من كل ثمرة يشتهيها ممرها وحلها وذكر ذلك بحرف التراخي اشارة الى عجيب الصنع في ذلك وتيسيره لها * (تنبيه) * لفظ من هذا للتبعض أولا ابتداء الغاية * ولما أذن لها في ذلك كله وكان من المعلوم عادة أن تعاطيه لا يكون الابستة عظيمة في معاناة السير اليه نبه على خرقة العادة في تيسيره لها بقوله تعالى (فاسلكي سبل ربك) أي الطرق التي ألهمك الله تعالى أن تسلكيها وتدخلي فيها لاجل طلب الثمار وقوله تعالى (ذللا) جمع ذلول حال من السبل أي مسخرة لك فلا تعسر عليك وان توعرت ولا تنجلي عن العود فيها وان بعدت وقيل من الضمير في اسلكي أي متفاداة لاربابها حتى انهم ينقلونها من مكان الى مكان آخر حيث شاؤوا وأرادوا الاتسعص علىهم وقوله تعالى (يخرج من بطونها) فيه عدول عن خطاب النمل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النمل والهامة لاجلهم (شراب) أي عسل (مختلف ألوانه) ما بين أبيض وأحمر وأصفر وغير ذلك من ألوان العسل وذلك على قدر ما تأكل من الثمار والازهار ويستحيل في بطونها عسلا بقدرة الله تعالى ثم يخرج من أفواهها يسيل كاللعاب وقال الرازي انه رأى في بعض كتب الطب ان العسل طل من السماء ينزل كالترنجبين فيقع على الازهار وأوراق الشجر فيجمعه النمل فتأكل بعضه وتدخر بعضه في بيوتها لانفسها لتتغذى به فاذا اجتمع في بيوتها من تلك الاجزاء الطيبة شيء كثير فذلك هو العسل وقال هذا القول أقرب الى العقل لان طبيعة الترنجبين تقرب من طبيعة العسل وأيضا اننا شاهدنا النمل يتغذى بالعسل وأجاب عن قوله تعالى يخرج من بطونها شرابا أن كل تجويف داخل البدن يسمى بطنا فتقوله يخرج من بطونها أي من أفواهها انتهى والاول كما قال ابن الخازن وغيره أظهر لانا نشاهد ان العسل يوجد فيه طعم تلك الازهار التي يأكلها النمل وكذا توجد لذتها وريحها وطعمها فيه أيضا وبعض هذا قول بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم له أكلت مغافير قال لا قالت ما هذه الريح التي أبجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرت نخلة العرط والعرط شجر الطلع له صمغ يقال له المغافير كرهه الرائحة فغرت جرت فحله العرط أكلت وورعت من العرط الذي له الرائحة الكريهة فنبت بهذا أنه يوجد في طعم العسل ولونه وريحه طم ما يأكله النمل ولونه وريحه لا ما قاله الاطباء من انه طل لانه لو كان طلا لكان على لون واحد وقوله كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا خلافا للظاهر لان لفظ البطن اذا أطلق لم يرده الا العضو المعروف بطن الانسان وغيره (فيه) أي الشراب الذي يخرج من بطون النمل (شفا للناس) من الالوجاع كما قال ابن عباس وابن مسعود اما لبعضها كما دل عليه تشكير شفا ما مال لكانها يصحيمته الى غيره اذ قل مجنون من المعاجين ليدكر الاطباء فيه العسل أو يوفيه بنيته وبهذا سقط ما قيل انه يضرب بأصحاب الصفر أو يهيج الحرارة ويضرب بالشباب

المحرورين ويعطش قال ابن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور
 وفي رواية عنه عليكم بالشفاء من القرآن والعسل وروى نافع أن ابن عمر ما كانت قرحة ولا شيء
 الا لطيخ الموضع بالعسل ويقرأ يخرج من بطونهم شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس وعن أبي
 سعيد الخدري رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أخي يشتكى
 بطنه فقال صلى الله عليه وسلم اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب
 فاسقه العسل فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ فكأنما نشط من عقاب
 فقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم علم بنور
 الوحي الالهي أن العسل الذي أمر به سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال
 قال صدق الله يعني فيما وعده من أن فيه شفاء للناس وكذب بطن أخيك يعني باستحسانكم
 للشفاء في أول مرة وقال مجاهد الضمير في فيه شفاء للناس راجع للقرآن لأن فيه شفاء من
 أمراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورجة للناس وعلى هذا تمت قصة تولد العسل
 من النحل عند قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه ثم ابتداء وقال فيه شفاء للناس
 أي في هذا القرآن قال الرازي وهذا قول ضعيف وبديل عليه وجهان الأول أن الضمير في قوله
 تعالى فيه شفاء للناس يجب عوده الى أقرب المذكورات وما ذاك الا قوله تعالى شراب مختلف
 ألوانه وأما الحكم بعوده هذا الضمير الى القرآن مع أنه غير مذكور فيما سبق فهو غير مناسب
 والثاني حديث أبي سعيد الخدري المتقدم * ثم انه تعالى ختم الآية بقوله تعالى (ان في ذلك) أي
 المذكور (آية لقوم يتفكرون) أي في اختصاص التحل تلك الطعوم الرقيقة والمطائف
 الخفية مثل بناء البيوت المسدسة وغير ذلك فيعتبرون ويستدلون بما ذكرنا على وحدانيتنا
 وقدرتنا وقد ذكر في هذه السورة اضافة الآيات الى مخاطبين نارة بالافراد ونارة بالجمع ونوعها
 نارة بالعقل ونارة بالفكر ونارة بالذكور ونارة بغيرها * ثم انه تعالى لما يقظهم من رقدتهم ونبههم
 على عظيم غفلتهم فني بعض ما في أنفسهم من الادلة على ذلك فقال (والله) أي المحيط بكل شيء
 قدرة وعلما (خلقكم) أي أوجدكم من العدم وأخرجكم الى الوجود ولم تكونوا شيئا (ثم يوفاكم)
 أي عند انقضاء اجلكم على اختلاف الانسان فلا يقدر الصغير ان يؤخر ولا الكبير على أن
 يقدم فتمنكم من يموت على حال قوته (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أي أخسه من الهرم
 والخرف قال بعض العلماء عمر الانسان له أربع مراتب سن الطفولية والنمو وهو من أول العمر
 الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الاشد ثم المرتبة الثانية سن الوقوف
 وهو من ثلاثة وثلاثين سنة الى أربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل والمرتبة الثالثة سن
 الكهولة وهو من الأربعين الى الستين وهذه المرتبة بشرع فيها الانسان في النقص لكنه يكون
 نقضا خفيا لا يظهر ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والاضطراب من الستين الى آخر العمر
 خمسة وستون سنة تبين النقص ويكون الهرم والخرف قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه
 أرذل العمر خمسة وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة وعن أنس رضي الله

تعالى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني أعوذ بك من العجز والهرم والبخل
وأعوذ بك من عذاب القبر وقسمة الحيا والممات وفي رواية عنه كان يقول اللهم اني أعوذ بك
من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وقسمة الحيا والممات (لعلكم لا تعلم بعد علم شيئا)
أى ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في نقصان القوة والعقل وسوء الفهم * (تنبه) هل
ذلك عام في المسلم والكافر أو مختص بالكافر فيه قولان أحدهما انه عام والقول الثاني انه مختص
اذا المسلم لا يزاد بطلول العمر الا كرامة على الله تعالى ولا يقال في حقها انه رذالى أرذل العمر قال
الرازى والدليل عليه قوله تعالى ثم ردناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فبين
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ما رذوا الى أسفل السافلين وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يصير
الى هذه الحالة وقال في قوله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الذين قرؤوا القرآن
وقال ابن عباس قوله ثم ردناه أسفل سافلين يريد الكافرين ثم استثنى المؤمنين فقال الا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وهذا يؤيد ما مر (ان الله عليم) بمقادير أعمارهم (قدير) بميت الشاب
النشط ويبقى الهرم القاني وفي ذلك تنبيه على ان تفاوت أجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم
ركب أبنيتهم وعدل أمر جهنم على قدر معلوم ولو كان مقتضى الطباع كما يقول الطبائع الموصية
لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ * ولما ذكر تعالى المساواة في الاعمار المنادية بإبطال الطبايع الموجبة
للمساواة الى الاعتبار لا ولى الابصار للخوف كل لحظة من مصيبة الموت أعجبها بالمساواة
في الارزاق فقال (والله) أى الذى له الامر كله (فضل بعضكم) أيها الناس (على بعض في
الرزق) فبعضكم غنى وبعضكم فقير وبعضكم مالك وبعضكم مملوك كل ذلك بتقدير العزيز الحكيم
فيجعل الضعيف العاجز الجاهل أغنى من القوى المحتال العالم فترى أكيس الناس وأكثرهم
عقلاء يقضى عمره في طلب القليل من الدنيا ولا يتيسر له ذلك ويزى أجلف الخلق وأقلهم عقلا
وفهما تفتح له أبواب الدنيا من كل شئ خطر ياله أو دار في خياله فانه يحصل له بسهولة ولو كان
السبب في ذلك هو جهل الانسان وعقله لوجب أن يكون العقل أفضل في هذه الاحوال
فلما رأينا ان العقل أقل نصيبا وان الاجهل الاكس أو فر نصيبا علمنا ان ذلك بسبب قسمة
القسم كما قال تعالى أهدم يقسمون رجة ربك فمن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا فافانقوا
الله وأجلوا في طلب الرزق وأقبلوا في جمع قلوبكم على ما ينفعكم من الاستبصار وأنشد
سفيان بن عيينة يقول

كم من قوى قوى في قلبه * مهذب الرأى عنه الرزق منصرف
ومن ضعيف ضعيف العقل محتلط * كأنه من خليج البحر يغترف
(وحكى) أن سليمان المهلبى أرسل الى الخليل بن أحمد رجالة ألف درهم فمروها بالخليل وكتب
اليه هذه الايات

أبلغ سليمان اني عنه في سعة * وفي غنى غير اني لست ذا مال
نحى بنفسى انى لأرى أحدا * يموت جوعا ولا يبقى على حال

فالعجز عن قدرها الهجز ينقصه * ولا يزيد فيه حول محتمل
والفقير في النفس لافي المال تعرفه * ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

وقال الشافعي رحمه الله تعالى

ومن الدليل على القضاء وكونه * بؤس اليبس وطيب عيش الاجع

* (تنبيه) * هذا التفاوت ليس محتصا بالمال بل هو حاصل في الذكاء والبلادة والحسن والقبح والعقل والحق والصحة والسقم والاسم الحسن والاسم القبيح وهذا بحر لا ساحل له قال الرازي وقد كنت مصاحبا لبعض المملوك في بعض الاسفار وكان ذلك الملك كثير المال والجاه فكانت الجنائب الكثيرة تقادبن يديه وما كان يمكنه ركوب واحد منها وربما أحضرت الاطعمة الشهية والقوا كذا الكثرة العطرة عنده وما كان يمكنه أن يتناول شيئا منها وكان من الفقراء من هو صحيح المزاج وقوى البنية كامل القوة وما كان يجدهم مله حطنه طعاما فذلك الملك وإن كان يفضل هذا الفقير في المال الآن هذا الفقير كان يفضل ذلك الملك في الصحة والقوة وهذا باب واسع إذا اعتبره الانسان عظم نجهه فيه ففسأل الله تعالى أن يغنينيامن فضله وأن يرضيني بما قسم لنا انه كريم جواد ثم ضرب الله تعالى مثلا للذين جعلوا الله شركاء بقوله تعالى (فالذين فضلوا) أي في الرزق وهم الموالى (برادى وزرقهم على ما ملكت ايمانهم) أي بجبا على ما رزقناهم من الاموال وغيرها بينهم وبين عماليكهم (فهم) أي المماليك والموالى (فيه سواء) أي شركاء يقول الله تعالى هم لا يرضون أن يكونوا هم وعماليكهم فيما رزقناهم سواء فكيف يجعلون بعض عبيدى شركائى فى ملكى وسلطانى وقيل معنى الآية أن الموالى والمماليك الله رازقهم جميعا فهم في رزقه سواء فلا تحسبن الموالى يردون أرزاقهم على عماليكهم من عند أنفسهم بل ذلك رزق الله اجراه على أيدي الموالى للمماليك والمقصود منه بيان أن الرازق هو الله تعالى لجميع خلقه وأن الموالى والمماليك في ذلك الرزق سواء وأن المالك لا يرزق المملوك وانما ذلك رزقى أجرته اليهم على أيديهم فالرازق للمالك والمملوك هو الله تعالى * ولما قزر سبحانه وتعالى هذه الدلائل وبينها وأظهرها بحيث يفهمها كل عاقل كان ذلك انعاما عظيما منه على الخلق فعند هذا قال (أفنبعمة الله) في تقرير هذه البيانات وايضا هذه البيانات (بجحدون) أي يكفرون وفي ذلك انكار على المشركين حيث جحدوا نعمته وعبدوا غيره وجعلوا لشركاء بضيفون اليهم بعض ما نعم به عليهم فيستون بينهم وبينه في ذلك وقرأ أشعبة بالتاء على الخطاب والباقيون بالياء على الغيبة ثم انه تعالى ذكر نوعا آخر من أحوال الناس ليستدل به على وجوه الاله الاختار والحكم وتنبيهها على انعام الله تعالى على عبده بمثل هذه النعم بقوله تعالى (والله) أي الذى له تمام القدرة وكال العلم (جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أي من جنسكم لتستأنسوا بها ولتكون أولادكم منكم تخلق حواء من ضلع آدم وسائر الناس من نطف الرجال والنساء فهو خطاب عام فخصه بمبدأ دم وحوله فقط خلاف الدليل والمعنى أنه تعالى خلق النساء لتزوج بهن الذكور ومعنى من أنفسكم كقوله تعالى فاقبلوا أنفسكم فسلوا على

أنفسكم أي بعضكم بعضاً وتظهر قوله تعالى ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا (وجعل
 لكم من أزواجكم بنين وحفدة) والحفدة جمع حافد وهو المسرع بالخدمة المسارع الى الطاعة
 ومنه قول القانت واليك نسعي ونحفظ أي نسرع الى طاعتك هذا أصل في اللغة واختلف فيه
 أقوال المفسرين فقال ابن مسعود والنخعي الحفدة أختان الرجل على بناءه وعن ابن مسعود
 انهم أصهاره فهو عني الاول وعلى هذا يكون معنى الآية وجعل لكم من أزواجكم بنين
 وبنات تزوجوهن فيحصل لكم بسببهن الاختان والأصهار وقال الحسن وعكرمة والفضال لهم
 الخدم وقال مجاهد هم الاعوان وكل من أعانك فهو حفيدك وقال عطاءهم ولد الرجل الذين
 يعينونه ويخدمونه وقال الكلبي ومقاتل البنون هم الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين
 يعينون الرجل الذين ليسوا منه أي أولاد المرأة من الزوج الاول قال الرازي والاولى
 دخول الكل فيه لأن اللفظ محمول للكل بحسب المعنى المشترك قال الرخشي ويحوز أن
 يراد بالحفدة البنون أنفسهم كأنه قيل جعل لكم منهم أولادهم بنون وهم حافدون أي جامعون
 بين الامرين انتهى ومع هذا فالشهور ان الحافد ولد الولد من الذكور والانات * (فائدة) *
 قال الاطباء وأهل الطبيعة المني اذا انصب الى الخصية البيني من الذكر ثم انصب منه الى
 الجانب الايمن من الرحم كان الولد ذكر تاما في الذكورة واذا انصب من الخصية اليسرى ثم
 انصب الى الجانب الايسر من الرحم كان الولد أنثى تاما في الانوثة واذا انصب الى الخصية البيني
 وانصب منها الى الجانب الايسر من الرحم كان ذكرافي طبيعة الاناث واذا انصب الى الخصية
 اليسرى ثم انصب منها الى الجانب الايمن من الرحم كان هذا الولد أنثى في طبيعة الذكور
 وحاصل كلامهم ان الذكور الغالب عليهم الحرارة واليبوسة والغالب على الاناث البرودة
 والرطوبة وهذه العلة ضعيفة فان في النساء من مزاجها في غاية السخونة وفي الرجال من
 مزاجه في غاية البرودة فخالق الذكور والانثى هو الاله القادر الحكيم * ولما ذكر تعالى انعامه على
 عبده بالملكوت وما يئنه فيه من المنافع والمصالح ذكر انعامه عليهم بالطعومات الطيبة فقال
 (ورزقكم من الطيبات) سواء كانت من النبات وهي الثمار والحبوب والاشربة أو كانت من
 الحيوان والمراد بالطيب المستلذذ والحلال ومن في من الطيبات للتبعض لأن كل الطيبات
 في الجنة وما طيبات الدنيا إلا نموذج منها واختلف في تفسير قوله تعالى (أفبالباطل يؤمنون)
 فقال ابن عباس يعني بالاصنام وقال مقاتل يعني بالشیطان وقال عطاء يصدقون ان لي شريكا
 وصاحبة وولدا (وسمعت الله هم يكفرون) أي بأن يضيقوها الى غير الله تعالى ويتركون
 اضافتها الى الله تعالى وقيل الباطل ماسؤل لهم الشيطان من تحريم البجيرة والسائبة
 وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم من هذه الطيبات وتحريم الخبائث * (فائدة) * رمت نعمت
 هنا بالياء وقف عليها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالياء والكسائي يقرأ
 بالامالة * ولما شرح الله تعالى الدلائل على صحة التوحيد واتبعها ذكر أقسام النعم العظيمة
 اتبعها بالرد على عبدة الاصنام فقال (ويعبدون من دون الله) أي غيره (ملا يملك لهم رزقا)

أى تاركين عبادته من يسهه جميع الارزاق وهو ذو العلو المطلق الذى رزقهم من الطيبات
ويعبدون غيره ثم بين تعالى جهة الرزق بقوله تعالى (من السموات والارض) اما الرزق
الذى ياتى من جانب السماء فالطير واما الذى من جانب الارض فالنبات والثمار التى تخرج
منها وقوله تعالى (شيئاً) فيه ثلاثة أوجه أحدها أنه منصوب على المصدر أى لا يملك لهم ملكاً
أى شيئاً من الملك والثانى أنه بدل من رزق أى لا يملك لهم شيئاً قال ابن عادل وهذا غير مفيد
اذن المعلوم أن الرزق شئ من الاشياء وبوئذ ذلك أن البدل لا يأتى الا لخدمة معينين البيان
أو التأكيد وهذا ليس فيه بيان لأنه أعم ولا تأكيد والثالث أنه منصوب برزقاً على أنه اسم
مصدر واسم المصدر يعمل عمل المصدر على خلاف في ذلك * ولما كان من لا يملك شيئاً قد يكون
موصوفاً باستطاعة أن يملك بطريق من الطرق فنى الله تعالى عنهم ذلك بقوله تعالى (ولا
يستطيعون) أى وليس لهم نوع استطاعة أصلاً (فان قيل) انه تعالى قال ويعبدون من
دون الله ما لا يملك فعبر عن الاصنام بصيغة ما وهى لغير العاقل ثم جمع بالواو والنون فقال ولا
يستطيعون وهو مختص بمن يعقل (أجيب) بأنه عبر عنها ثانياً باعتبار ما يعتقادهم انها آلهة وفى
تفسير قوله تعالى (فلا تضرهم ولا اله الا مآل) وجهان الاول قال أكثر المفسرين لا تشبهوا
الله بخلقه فانه واحد لا مثل له ولا شبهة ولا شريك من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفى مذكرة
فكيف يشبه الخالق بالخلق والارزاق بالرزق والقادر بالعاجز الثانى ان عبدة الاوثان
كانوا يقولون ان اله العالم لأجل وأعظم من ان يعبدوا واحداً بل نحن نعبد الكواكب
أو نعبد هؤلاء الاصنام ثم ان الكواكب والاصنام عبيد الاله الاكبر الاعظم كان أصاغر
الناس يخدعون أكبر حفدة الملك وأولئك الاكابر كانوا يخدعون الملك فكذا همنا (ان الله)
أى الذى له الامر كله ولا أمر لغيره (يعلم) أى خطأ ما أنتم عليه من ضرب الامثال (وأنتم
لا تعلمون) ذلك وقيل معناه وأنتم لا تعلمون ما عليكم من العقاب العظيم بسبب عبادة هذه
الاصنام ولو علمتموه لتركتم عبادتها * ولما ختم تعالى ابطال مذهب عبدة الاصنام بسبب
العلم الذى هو مناط السداد عنهم أكد ذلك بضرب مثل بقوله تعالى (ضرب الله) أى الذى له
كمال العلم وتمام القدرة (مثلاً) بالاحرار والعبيد ثم أبدل من مثلاً (عبداً) وقيد بقوله تعالى
(تعملوا) ليخرج الخللان العبد يطلق على الحر بالنسبة الى الله تعالى وقيد بقوله تعالى (لا يقدر
على شئ) ليخرج المكاتب ومن فيه شائبة حرة وهذا مثل شركائهم ثم عطف على عبداً قوله
(ومن) أى وحراً فهى نكرة موصوفة ليطابق عبداً (رزقناه من رزقاً حسناً) أى واسعاً طيباً
(فهو يتق منه) دائماً وهو معنى قوله تعالى (سراجها) أى يتصرف فيه كيف يشاء وهذا
مثل الاله وله المثل الاعلى ثم بكتهم انكاراً عليهم بقوله تعالى (هل يستون) أى هذان
الفرقان المفضل بهما لان المراد الجنس فاذا كان لا يسوغ فى عقل أن يسوى بين مخلوقين
أحدهما حر مقتدر والاخر مملوك عاجز فكيف يسوى بين هجر من صotan وغيره وبين الله
تعالى الذى له القدرة التامة على كل شئ وقيل ذلك تمثيل للكافر الخذل والمؤمن الموفق

* (تنبيه) * جواب هل يستون هولايستون وقوله تعالى (الجليلة) قال ابن عباس الجليلة
 على ما فعل باوليائه وأنعم عليهم بالتوحيد وقيل المعنى ان كل الجليلة وليس شئ من الحد
 للانعام لانه لا نعمة لها على أحد لانها جاد عاجز أى انما الجليلة لا لغيره فيجب على جميع العباد
 حمد الله لانه تعالى أهل المحامد والثناء الحسن فكانهم قالوا نحن نعلم ذلك فقيل (بل أكثرهم)
 أى الكفار (لا يعلمون) لكونهم يسوونه غيره ومن نفى عنه أصل العلم الذى هو أعلى صفات
 الكمال سكان فى عداد الانعام فهم لذلك يشبهون به ما ذكر وبضربون له الامثال الباطلة
 ويضيفون نعمه الى غيره ثم انه تعالى ضرب لعبد الاوثان مثلاً آخر بقوله تعالى (وضرب الله
 مثلاً) ثم أبدل منه (رجلين) ثم استأنف البيان لما أجل فقال (أحدهما أبكم) وهو الذى
 ولد أخرس فكل أبكم أخرس وليس كل أخرس أبكم وروى ثعلب عن ابن الاعرابى الابكم
 الذى لا يسمع ولا يصير وصف الله تعالى هذا الرجل بصفة ثانية بقوله تعالى (لا يقدر على شئ)
 لانه لا يفهم ولا يفهم وفى ذلك إشارة الى العجز التام والنقصان الكامل ثم وصفه الله تعالى
 بصفة ثالثة بقوله تعالى (وهو) أى ذلك الابكم العاجز (كل على مولا) أى ثقيل على من ولى
 أمره ويعوله قال أهل المعاني أصله من الغلط الذى هو نقبض الحذة يقال كل السكين اذا
 غلظت شفرته فلم تقطع وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على الكلام وكل فلان عن الامر اذا ثقل
 علمه فلم ينهض فيه ثم وصفه تعالى بصفة رابعة بقوله (أبما وجهه) أى يرسله ويصرفه ذلك المولى
 (آيات بخير) لانه عاجز لا يحسن ولا يفهم قيل هذا من مثل شركائهم الذين هم عيال ووبال على
 عبدتهم ويجهلهم الله تعالى بقوله (هل يستوى هو) أى هذا الموصوف بهذه الصفات الاربع
 (ومن) أى ورجل آخر على ضد صفته فهو ناطق قادر عالم فطن قوى خير مبارك مسمون (بأمر)
 أى ورجل آخر يأمر بحاله من العلم والقدرة (بالعدل) أى يبذل النصيحة لغيره (وهو) فى نفسه
 ظاهر واباطنا (على صراط) أى طريق واضح (مستقيم) أى عامل فيه بما يأمر به قبل هذا مثال
 المعبود بالحق الذى يكنى عابديه جميع المؤمنين وهو الدال على كمال علمه وتعالى قدرته وقيل المراد
 من هذا الابكم عبد لعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه كان ذلك العبد يكره الاسلام وما كان
 فيه خير ومولاه وهو عثمان يأمر بالعدل وكان على الدين القويم والصراط المستقيم وقيل
 المراد كل عبد موصوف بهذه الصفات المذمومة وكل حرموصوف بتلك الصفات الحميدة
 وهذا القول كما قال الرازى أولى من الاول لان وصفه تعالى اياهما بكونهما جليلين يمنع من
 حمل ذلك على الوثن وكذلك بالبكم وبالك وبالتوجه فى جهات المنافع وكذلك وصف الآخر
 بأنه على صراط مستقيم يمنع من حمله على الله تعالى وأيضاً المقصود تشبيه صورة بصورة فى أمر
 من الامور وذلك التشبيه لا يتم الا عند كون احدى صورتين مغايرة للآخرى وأما القول
 الثانى فضعيف أيضاً لان المقصود ابانة التفرقة بين رجلين موصوفين بالصفات المذكورة وذلك
 غير مختص بشخص معين بل اذا حصل التفاوت فى الصفات المذكورة فانه يحصل المقصود
 ثم وصف سبحانه وتعالى نفسه بكمال العلم بقوله تعالى (ولله) أى لا لغيره (غيب السموات)

والارض) وهو ما غاب فيه ما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل الغيب
هنا هو قيام الساعة فان علم غائب عن أهل السموات والارض ثم وصف سبحانه وتعالى كمال
قدرته بقوله تعالى (وما أمر الساعة) وهو الوقت الذي يكون فيه البعث (الا كلمح البصر)
أي الا كرجع الطرف من أعلى الحديقة الى أسفلها والمعنى وما أمر قيام الساعة في السرعة
والسهولة الا كطرف العين والمراد منه تقدير كمال القدرة ومعنى قوله تعالى (أو هو أقرب)
ان لمح البصر عبارة عن انتقال الجسم المسمى بالطرف من أعلى الحديقة الى أسفلها ولا شك
أن الحديقة مؤلفة من أجزاء فلح البصر عبارة عن المرور على جلة تلك الاجزاء التي منها تألف
الحديقة ولا شك أن تلك الاجزاء كثيرة والزمان الذي يحصل فيه لمح البصر مركب من
آثات متعاقبة والله تعالى قادر على اقامة القيامة في آن واحد من تلك الآثات فلذلك قال
أو هو أقرب الا أنه لما كان أسرع الاحوال والحوادث في عقولنا وأفكارنا هو لمح البصر لا جرم
ذكره ثم قال أو هو أقرب تنبيه على ما مر ولا شبهة في أنه ليس المراد طريقة الشك فالمراد اذا
بل هو أقرب وقال الزجاج المراد به الابهام على مخاطبين لانه تعالى يأتي بالساعة اما بقدر
لمح البصر أو بما هو أسرع وقبل معناه ان قيام الساعة وان تراخي فهو عند الله كالشيء
الذي تقولون فيه هو كلمح البصر أو هو أقرب مبالغة كقوله تعالى وان يوما عند ربك كاللف
سنة مما تعدون (ان الله) أي الملك الاعظم (على كل شيء قدير) فيقدر على ان يحيي الخلائق
دفعه واحدة كما قدر على احياهم فانه تعالى مهما اراده كان في أسرع ما يكون ثم انه تعالى عاد
الى الدلائل الدالة على وجود الصانع المختار فعمط على قوله تعالى والله جعل لكم من انفسكم
أزواجا قوله عز وجل (والله) أي الذي له العظمة كلها (أخرجكم) بقدرته (من بطون
أمتهم) حال كونكم عند الانحراج (لأنتم شيا) من الاشياء قل أو جل فالذي
أخرجكم منها قادر على اخراجكم من بطون الارض بلافريق بطريق الاولى وقرأ حمزة
والكسائي بكسر الهمزة والباقون بضمها وقرأ حمزة بكسر الميم والباقون بفتحها ثم عطف على
أخرجكم قوله تعالى (وجعل لكم السمع والابصار والافتدة) آلات لازالة الجهل الذي وقعت
الولادة عليه ووفق مواضعها وسواها وعدلها وأنتم في البطون حيث لا تصل اليه اليد ولا يتمكن
من شق شيء منه بالآلة فالذي قدر على ذلك في البطن ابداعا قادر على اعادته في بطن الارض بل
بطريق الاولى قال البقاعي وله تعالى جمعها أي الابصار والافتدة دون السمع لان التفاوت
فيهما أكثر من التفاوت فيه بما لا يعلمه الا الله والافتدة هي القلوب التي هيها الله تعالى لفهم
وامصلاح البدن بما أودعها من الحرارة والطيفة للمعاني الدقيقة (لعلكم تشكرون) لتصوروا
بمعارف القلوب التي وهبكموها اذا سمعتم المواضع وأبصرت الآيات في حال يرحى فيها شكركم
لما أفاض عليكم من لطائف صنعه بأن تعرفوا ما له من العلم والقدرة فانه انما أنتم عنكم بهذه
الحواس لتستعملوها في شكر من أنعم بها عليكم (فان قيل) عطف وجعل لكم السمع على
أخرجكم يقتضي أن يكون جعل السمع والبصر متأخرين عن اخراج من البطون مع أن

الامر ليس كذلك (أجيب) بأن حرف الواو لا يوجب الترتيب وأيضاً اذا جعلنا السمع على
 الاستماع والابصار على الرؤية زال السؤال ثم انه تعالى ذكر دليلاً آخر على كمال قدرته وحكمته
 بقوله تعالى (ألم يروا الى الطير مسخرات) أى مذلات للطيران (فى جوار السماء) أى فى الهواء
 بين الخفافين مما لا يقدرون عليه بوجه من الوجوه مع مشاركتكم لها فى السمع والبصر
 وزيادتكم عليها بالعقول فعلم قطعاً أنه تعالى خلق الطير مخلقة معها يمكنه الطيران فيها والا لما
 أمكن ذلك لأنه تعالى أعطى الطير جناحاً يسطه مرة ويكسره مرة أخرى مثل ما يعمل
 السابح فى الماء وخلق الجوف مخلقة لطيفة ورقية يسهل خرقه والنفاذ فيه ولولا ذلك لما كان
 الطيران ممكناً مع ذلك (ما يسكنون) فى الجوف عن الوقوع (أى الله) أى الملك الاعظم فان جسد
 الطير جسم ثقيل والجسم الثقيل يتعثر بقاؤه فى الجوف علقاً من غير دعامة تحته ولا علاقة فوقه
 فوجب أن يكون المسك له فى ذلك الجو هو الله تعالى وقرأ ابن عامر وحزرة بالياء على أنه
 خطاب العامة والباقون بالياء على الغيبة (آن فى ذلك) المذكور (لايات) أى دلالات
 (لقوم يؤمنون) وخصهم بذلك لانهم هم المستفيعون بها وان كانت هذه الايات آيات لكل
 العقلاء ثم ذكر تعالى نوعاً آخر من دلائل التوحيد بقوله تعالى (والله) أى الذى له الحكمة
 البالغة (جعل لكم من بيوتكم) وأصل البيت المأوى لبلال ثم اتسع فيه (سكناً) أى موضعاً
 لتسكنوا فيه * (تنبه) * البيوت التى يسكن الانسان فيها على قسمين أحدهما البيوت المتخذة
 من الخشب والطين والآلات التى بها يمكن تسقيف البيوت والىها الاشارة بقوله تعالى والله
 جعل لكم من بيوتكم سكناً وهذا القسم من البيوت لا يمكن نقلها بل الانسان ينقل اليها
 والقسم الثانى القباب والخيام والفساطيط والىها الاشارة بقوله تعالى (وجعل لكم من
 جلود الانعام بيوتا) المتخذة من الادم ويجوز أن يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر
 فانهم من حيث انها ثابتة على جلودها بصدق عليها انها من جلودها (تستغفونها) أى تغفونها
 خفيفة يخفف عليكم حملها ونقلها (يوم نطعنكم) أى وقت نزالكم وعبر باليوم لان الترحال
 فى النهار (ويوم أقامكم) أى وقت الحضر أو وقت النزول وهذا القسم من البيوت يمكن
 نقلها وتحملها من مكان الى مكان وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح العين والباقون
 بالسكون وأضاف قوله تعالى (ومن أوصافها وأبوارها وأشعارها) الى ضمير الانعام لانها
 من جلدها قال المفسرون وأهل اللغة الاصواف للضأن والابواب للابل والاشعار للمعز (أنا) أى
 أى ما يلبس ويفرش (ومتاعاً) أى ما يتعبر به وقبل الاثنا ما يكتب به المرء ويستعمله فى الغطاء
 والوطاء والمتاع ما يفرش فى المنازل ويتزين به واختلف فى معنى قوله تعالى (الى حين) فقبل الى
 حين تبلى وقبل الى حين الموت وقبل الى حين بعد حين وقبل الى يوم القيامة * (تنبه) * فى نصب
 أنا ووجهان أحدهما أنه منصوب عطفاً على يوتا أى وجعل لكم من أوصافها أنا والثانى
 أنه منصوب على الحال واعلم أن الانسان إما أن يكون مقبلاً ومسافراً والمسافر إما أن يكون
 غنياً يستحب معه الخيام أولاً فالقسم الاول أشار اليه بقوله تعالى جعل لكم من بيوتكم سكناً

وأشار إلى القسم الثاني بقوله تعالى وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا وأشار إلى القسم الثالث بقوله تعالى (والله) أي الذي له الجلال والاکرام (جعل لكم) أي من غير حاجة منه تعالى (بما خلق) من شجر وجبال وأبنية وغيرها وقوله تعالى (ظلالا) جمع ظل تتقون به شدة الحر وقوله تعالى (وجعل لكم) مع غناه المطلق (من الجبال أكنافا) جمع كن موضع تسكنون فيه من الكهوف والبيوت المحيطة فيها (وجعل لكم) أي امتنا فانه عليه السلام (سرايل) جمع سربال قال الزجاج كل ما لبسته فهو سربال من قصير أو درع أو جوشن أو غيره أي وسواء كان من صوف أو كطن أو غير ذلك (تفكيكم الحر) ولم يقل تعالى والبرد لتقدمه في قوله تعالى فيها دافء وقيل انه اكتفى بأحد المتقابلين وقيل كان المخاطبون بهذا الكلام العرب وبلادهم حارة فكان حاجتهم الى ما يدفع الحر فوق حاجتهم الى ما يدفع البرد كما قال تعالى ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أسنوف الأنساب أشرف لأنه تعالى ذكر ذلك النوع لأنه كان الفهم بها أشد واعتيادهم للبسها أكثر ولما كانت السرايل نوعا واحدا لم يـ رلفظ جعل فقال (وسرايل) أي دروعا من حديد وغيرها (تفكيكم بأسكم) أي حربكم أي في الطعن والضرب فيها * ولما عد الله تعالى أنواع نعمته قال (كذلك) أي كتمام هذه النعمة المتقدمة (بتم) نعمته عليكم في الدنيا والدين بالبيان والهداية لطريق النجاة والمنافع والتبسيه على دقائق ذلك (اعلمكم) يا أهل مكة (تأملون) أي تخلصون لله الربوبية وتعلمون أنه لا يقدر على هذه الانعامات أحد سواه وقيل تعلمون من الجراح بلبس الدروع (فإن تولوا) فلم يقبلوا منك وآثروا لذات الدنيا ومتابعة الآباء والمعاداة في الكفر (فانما عليك) يا أفضل الخلق (البلاغ المبين) هذا جواب الشرط وفي الحقيقة جواب الشرط محذوف أي فقد عهده عذرلك بعد ما أدت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب وذلك لأن تبليغه سبب في عذره فأقيم السبب مقام المسبب وهذا قبل الأمر بالقتال ثم أتى تعالى ذمهم بأنهم (يعرفون نعمة الله) أي الملك الأعظم التي تقدمت عد بعضها في هذه السورة وغيرها (ثم يذكرونها) بعبادتهم غير المتعم بها وقال السدي نعمة الله يعني محمد صلى الله عليه وسلم أنكروه وكذبوه وقيل نعمة الله هي الاسلام وهو من أعظم النعم التي أنعم الله تعالى بها على عباده ثم إن كفار مكة أنكروه وبحدوه واختلف في معنى قوله تعالى (وأكثرهم الكافرون) مع أنهم كلهم كانوا كافرين على وجوه الا قول انما قال تعالى وأكثرهم لأنه كان فيهم من لم تقم عليه الحجة فمن لم يبلغ حد التكليف أو كان ناقص العقل فأراد بالأكثري البالغين الاصحاء الثاني أن يكون المراد بالكافر الجاحد المعاند وكان فيهم من لم يكن معاندا بل كان جاهلا بصدق الرسول وما ظهله كونه نياحا من عند الله الثالث انه ذكر الاكثر والمراد الجميع لأن أكثر النسخ يقوم مقام الكل فذكر الاكثر كذا كذا الجميع وهذا كقوله تعالى الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون * ولما بين تعالى من حال القوم انهم عرفوا نعمة الله ثم أنكروها وذكر أيضا من حالهم أن أكثرهم كافرون اتبعهم بالوعيد فذكر حال يوم القيامة بقوله تعالى (ويوم) أي ونعزفهم

يوم أو واذ كرلهم يوم (بعث) بعد البعث (من كل أمة شهيداً) هونياً كما قال تعالى
فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وبجنتناك على هؤلاء شهيداً يشهد نبيها وأهلها يوم
القيامة ليحكم تعالى بقوله إجراء الأمر على ما تعارفون وإن كان تعالى غنياً عن شهيد وقوله
تعالى (ثم لا يؤذن للذين كفروا) فيه وجوه أحدها لا يؤذن لهم في الاعتذار كقوله تعالى ولا
يؤذن لهم فيعتذرون ثانیها لا يؤذن لهم في كثرة الكلام ثالثها لا يؤذن لهم في الرجوع إلى
دار الدنيا وإلى التكليف رابعها لا يؤذن لهم في حال شهادة الشهود بل يسكت أهل الجمع كلهم
ليشهد الشهود (فان قيل) ما معنى ثم ههنا (أجيب) بأن معناها أنهم يمتنعون أي يتلون بغير
شهادة الأنبياء عليهم السلام عما هو أطم منها وأخبرهم بغيرهم الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة
ولا ادلاء بمجعة (ولاهم يستغيثون) أي لا تزال عنياهم وهي ما يعتصمون عليها ويلازمون يقال
استغيت فلان يعني اعنته أي أزلت عنه (واذا رأى الذين ظلموا) أي ظلوا أنفسهم بالكفر
والمعاصي (العذاب) أي عذاب جهنم بعد الموقف وشهادة الشهداء (فلا يخفف عنهم)
ذلك العذاب (ولاهم ينظرون) أي لا يجهلون * ولما بين تعالى حاصل أمرهم في البعث وما بعده
وكان من أهم المهتم أمرهم في الموقف مع شركائهم الذين كانوا يرجونهم عطف على ذلك بقوله
تعالى (واذا رأى) أي بالعين يوم القيامة (الذين أشركوا شركاءهم) أي الآلهة التي كانوا
يدعونها شركاء من الشياطين وغيرها (قالوا ربنا) أي يا من أحسن الناوربانا (هؤلاء شركاؤنا)
أضافهم إلى أنفسهم لانه لاحقيقة لشركتهم سوى تسميتهم لها الموجهة لضررهم ثم ينو
المراد بقولهم (الذين كانوا) أي نعبدكم (من دونك) ليقرّبوا اليك فأكرمنا لاجلهم جريا
على مناجهم في الدنيا في الحول والعبادة تخاف شركاءهم من عواقب هذا القول والافتقار
عليه سطوات الغضب (فألقوا) أي الشركاء (الليهم) أي المشركين (القول) أي بادروا به حتى
كان اسراعهم إليه اسراع شئ ثقيل يلقي من علواً كدوا قولهم فقالوا (أنكم لكاذبون)
في جعلنا شركاء أو أنكم عبدتمونا حقيقة وانما عبدتم أهواءكم كقوله تعالى كلا سيكفرون
بعبادتهم ولا يبعد أن تنطق الاصنام بذلك يومئذ في انهم حلّوهم على الكفر وأزموهم إياه
كقوله وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي (وألقوا) أي الشركاء
(إلى الله) أي الملك الأعلى (يومئذ) أي يوم القيامة (السلام) أي الاستسلام بحكمه بعد
الاستكبار في الدنيا (ووصل) أي غاب (عنهم) أي الكفار (ما كانوا يفترون) أي من أن
آلهتهم تشفع لهم * ولما ذكر تعالى وعيد الذين كفروا أتبعه بوعيد من ضم إلى كفره صد الغير
عن سبيل الله بقوله تعالى (الذين كفروا وصعدوا عن سبيل الله) أي ضموهم مع كفرهم انهم
منعوا الناس عن الدخول في الإيمان بالله وبرسوله (زدناهم عذاباً) لصدتهم (فوق العذاب)
المستحق بكفرهم (بما كانوا يفسدون) أي بكونهم مفسدين بصدتهم وقيل زدناهم عذاباً بإبصيات
وعقاب كأمثال الخبث يستغيثون بالله ربهم من النار ومنهم من ذكر أن لكل عقرب سفاهة
تفرق في كل فترة لثباته من سم وقيل عتارب لها أنياب كالفضل الطوال ثم كرر سبحانه

وتعالى التحذير من ذلك اليوم على وجه يزيد على ما أفهمته الآية السابقة وهو أن الشهادة تقع على الامم لالهم وتكون بحضورهم فقال (ويوم) أى وخوفهم أو أودا كرلهم يوم (نبت) أى بالنامن القدرة (في كل أمة) من الامم والامة عبارة عن القرن والجماعة (شهادة عليهم) قال ابن عباس يريد الانبياء قال المفسرون كل نبي شاهد على أمة وهو عدل شاهد عليها (من أنفسهم) أى منهم لأن كل نبي انما بعث من قومه الذين بعث اليهم بشهد واعياهم بما فعلوا من كفر وايمان وطاعة وعصيان (وجئنا) بالنامن العظمة (بك) ياخير المرسلين (شهدا على هؤلاء) أى الذين بعثنا اليهم وهم أهل الارض وأكثرهم ليس من قومه صلى الله عليه وسلم ولذلك لم تقيد بعنته بشئ وقال ابو بكر الاصم المراد بذلك الشهيد هو أنه تعالى ينطق عشرة من أعضاء الإنسان حتى انها تشهد عليه وهو الاذان والعينان والرجلان واليدان والجلد واللسان قال والدليل عليه ما قاله في صفة الشهيد أنه من أنفسهم وهذه الاعضاء لا شك أنهم من أنفسهم ورد بأنه تعالى قال شهيد عليهم فيجب أن يكون غيرهم وأيضا قال من كل أمة فيجب أن يكون ذلك الشهيد من الأمة وأحد هذه الاعضاء لا يصح وصفها بأنهم من الامة ثم بين تعالى أنه أزاح عنهم فيما كانوا به فلا حاجة لهم ولا عذرة بقوله تعالى (وزننا) أى بعظمتنا بحسب التدريج والتنجيم (عليك) ياخير خلق الله (الكتاب) أى القرآن الجامع للهدى (تبياناً) أى بياناً بليغاً (لكل شئ) (فان قيل) كيف كان القرآن تبياناً لكل شئ (أجيب) بأن المعنى من كل شئ من أمور الدين حيث كان نصاً على بعضها وحالة على السنة حيث أمر فيه باتباع النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته وقد قال تعالى وما ينطق عن الهوى وحنا على الاجماع في قوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاقته اتباع أصحابه والاقداء بآثارهم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مسندة الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبياناً لكل شئ (وهدى) أى من الضلالة (ورجة) لمن آمن به وصدق (وبشرى) بالجنة (للمسلمين) أى الموحدين خاصة * ولما استقصى سبحانه وتعالى في شرح الوعد والوعيد والرغبة والترهيب أتبعه بقوله (آن الله) أى الملك المستجمع لصفات الكمال (بأمر بالعدل) قال ابن عباس في بعض الروايات العدل شهادة أن لا اله الا الله (والاحسان) أداء الفرائض وقال في رواية أخرى العدل خلع الانداد والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وأن تحب للناس ما تحب لنفسك فان كان مؤمناً أحببت له أن يزاد ايماناً وان كان كافراً أحببت له أن يكون أخاك في الاسلام وقال في رواية ثالثة العدل هو التوحيد والاحسان هو الاخلاص فيه وقال آخرون يعنى بالعدل في الافعال والاحسان في الأقوال فلا تفعل الا ما هو عدل ولا تفل الا ما هو احسان وأصل العدل المساواة في كل شئ من غير زيادة ولا نقصان فالعدل هو المساواة في المكافاة ان خيرنا خير وان شرنا شرنا والاحسان أن تقابل الخير بأكثر منه والشر بأن تعفو عنه وعن السعي قال عيسى بن مريم انما الاحسان أن تحسن

الى من أساء اليك ليس الاحسان أن تحسن الى من أحسن اليك وقيل العدل الانصاف
والانصاف أعدل من الاعتراف للمنعم بانعامه والاحسان ان تحسن الى من أساء اليك
وعن محمد بن كعب القرظي قال دعاني عمر بن عبد العزيز فقال صف لي العدل فقلت يجيئ سألني
عن أمر جسيم كن لصغير الناس أباً ولكبیرهم ابناً وللمثل منهم أماً وللنساء كذلك (وايتام)
أي ومن الاحسان ايتاء (ذی القربى) أي القرابة القربى والبعدى فيندب أن تصلهم من فضل
ما رزقك الله فان لم يكن لك فضل فدعاهم حسن وتودد وروى أبو سلمة عن أبيه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان أجعل الطاعة ثواباً لملة الرحمن ان أهل هذا البيت ليكونون تجاراً
فقتني أموالهم ويكثر عددهم اذا وصلوا رحامهم * ولما أمر تعالى بالكارم نهى عن المساوى
بقوله تعالى (وينهى عن الفحشاء) قال ابن عباس أي الزنا فانه اقبح احوال الانسان
وأشنعها وقال غيره الفحشاء ما قبح من القول والفعل فبدخل فيه الزنا وغيره من جميع
الاقوال والافعال المذمومة جميعها (والمسكر) قال ابن عباس يعني الشر والكفر وقال غيره
المسكر ما لا يعرف في شريعة أو سنة (والبغى) هو الاستيلاء على الناس والتعير عليهم قيل ان
أجمل المعاصي عقابا البغى ولو أن جبلين بغى أحدهما على الآخر لك الباغى ونص تعالى على
البغى مع دخوله في المنكر اهتماماً به كبداً بالفحشاء لذلك وقال ابن قتيبة في هذه الآية العدل
استواء السر والعلانية والاحسان أن تكون سريرة خيراً من علانيته والفحشاء والمنكر
والبغى أن تكون علانيته أحسن من سريرته وقال بعض العلماء ان الله تعالى ذكر من
المأمورات ثلاثة أشياء ومن المنهيات ثلاثة أشياء فذكر العدل وهو الانصاف والمساواة
في الاقوال والافعال وذكر في مقابلته الفحشاء وهو ما قبح من الاقوال والافعال وذكر
الاحسان وهو ان يعرف عن ظلمه ويحسن الى من أساء اليه وذكر في مقابلته المنكر
وهو أن ينكر احسان من أحسن اليه وذكر ايتاء ذی القربى والمراد به صلة القرابة
والتودد اليهم والشفقة عليهم وذكر في مقابلته البغى وهو أن يتكبر عليهم ويظلمهم
حقوقهم ولما كان هذا المذكور من أبلغ الموعظة عليه بقوله تعالى (به ظلمكم) أي بأمركم
بما يرقق قلوبكم من مصاحبة الثلاثة الاول وهى العدل والاحسان وايتاء ذی القربى ومجانبة
الثلاثة الاخيرة وهى الفحشاء والمنكر والبغى (لعلكم تذكرون) أي لكي تتعظوا فتعملوا بما
فيه رضا الله تعالى وقرأه من وجزة والكسائي بخفيف الذال والباقون بالتشديد وفيه ادغام
انتهاء في الاصل في الذال وروى البيهقي في شعب الایمان عن ابن مسعود انه قال أعظم آية
في كتاب الله تعالى الله لا اله الا هو المحي القيوم وأجمع آية في كتاب الله للغير والشر الآيات التي
في التحلل ان الله يأمر بالعدل والاحسان وأكثر آية في كتاب الله تفويضاً من يتق الله يجعل له
مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب وأشد آية في كتاب الله تعالى رجاء قل يا عبادي الذي أسرفوا
على أنفسهم الآية وقال أهل المعاني لما قال الله تعالى في الآية الاولى ونزلنا عليك الكتاب
تبييناً لكل شيء في هذه الآية المأمورية والمنهى عنه على سبيل الاجمال فاما شيء يحتاج

اليه الناس في أمر دينهم مما يجب أن يؤتى به أو يترك الا وقد اشتملت عليه هذه الآية وعن
 قتادة ليس من خلق حسن كان من أهل الجاهلية يعملون به ويعظمونه ويحشونه الا أمر الله
 تعالى به وليس من خلق سيئ كانوا يعارضونه بينهم الا نهي الله عنه وعن عكرمة ان النبي صلى الله
 عليه وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة ان الله يأمر بالعدل والاحسان الى آخر الآية فقال له يا ابن
 أخي أعد علي فأعادها عليه فقال الوليد والله ان له الخلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمخر وان
 أسفله لمقدق وما هو بقول البشر ولما تقررت هذه الجمل التي جمعت بجمعها المأمورات والمنهيات
 ما تنضيق عنه الدفاتر والصدور وشهد لها المعاندون من بلغاء العرب انها بلغت من البلاغة
 مبدأ ما يحصل به غاية السرور وذكر بعض تلك الاقسام وبدأ بما هو مع جمعه أهم وهو الوفاء بالعهد
 بقوله تعالى (وأوفوا) أي أوفوا الوفاء الذي لا وفاء في الحقيقة غيره (بعهد الله) أي الملك
 الاعلى الذي عاهدكم عليه بآلة العقل من التوحيد والبيع والايمان وغيرهما من أصول الدين
 وفروعه (إذا عاهدتم) بقبولكم له باذعانكم لامتثاله (ولا تنقضوا الايمان) واحتراز عن لغو اليمين
 بقوله تعالى (بعدنوكيها) أي تشديدها فتحنوا فيها وفي ذلك دليل على أن المراد بالعهد غير
 اليمين لانه أعم منه فقرأ أبو عمرو وبادغام الدال في التاء بخلاف عنه (والحال انكم) قد جعلتم
 الله أي الذي له العظمة كلها (عليكم كفيلًا) أي شاهدا ورقيبا وقرأ نافع وابن كثير وابن
 ذكوان وعاصم باظهار دال قد عند الجيم والباقون بالادغام وعن جابر رضى الله عنه قال نزلت
 هذه الآية في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم كان من أسلم بايع على الاسلام فقال تعالى وأوفوا
 بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعدنوكيها فلا تحم لمسلمكم قلة محمد وأصحابه وكثرة
 المشركين أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الاسلام (ان الله) أي الذي له الاحاطة الكاملة
 (يعلم ما تفعلون) من وفاء العهد ونقضه ثم ضرب الله تعالى لفض العهد مثالا فقال (ولا تكونوا)
 أي في نقض العهد (كأني نقضت غزها) أي ما غزته فهو مصدر بمعنى المنهول (من بعد قوة)
 أي ابرام واحكام وقوله تعالى (أنكأنا) جمع نكث وهو ما ينقض من الغزل والحبل قال مقاتل
 هذه امرأة من قريش يقال لها راطلة وقيل ربطة وتلقب بجعوا وكانت خرقا محقاة لها وسوسة
 اتخذت مغز لا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وناكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل من الصوف
 والشعر والوبرهي وجواربها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن مغزلن وكان هذا إذا بها
 وقال السدي كانت امرأة بمكة تسمى خرقا مكة تغزل فاذا برمت غزلها نقضته وقال مجاهد
 نقضت حبلا بعد ابرامها اياه وقال قتادة لو سمعتم امرأة نقضت غزلها من بعد ابرامه لقتلتم
 ما أحق هذه وهذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده وقال في قوله تعالى (تخذون ايما نكثكم دخلا
 يذكم) خيانة وغدر انتهى والدخل ما يدخل في الشيء على سبيل الفساد وقيل الدخل والدغل
 أن يظهر الرجل الوفاء بالعهد ويعلن نقضه وانما صكاوا فيه هلون ذلك (أن) أي بسبب
 أن (تكون) أو مخافة أن تكون وتكون يجوز أن تكون ناقصة فتكون (أمة) أي جماعة
 فاعلموا وان تكون ناقصة فتكون أمة اسمها و(هي) مبتدأ و(أبى) أي أكثر (من أمة)

خبره والجله في محل نصب على الحال على الوجه الاول وفي موضع الخبر على الثاني وأرى مأخوذ
من رب الشيء ربو اذا زاد وهذه الزيادة قد تكون في العدد وفي القوة وفي الشرف قال مجاهد
كانوا يحالفون الحلفاء ثم يجحدون من كان أعز منهم وأشرف فينقضون حلف الاولين
ويحالفون هؤلاء الذين هم أعز فهاهم الله تعالى عن ذلك (انما يلوكم الله) الذي له الملك كله أي
يختبركم (به) أي يعاملكم معاملة المختبر ليطهر للناس عنكم بالوفاء واغلا عكم عنه اعتمادا
على كثره أنصاركم وقلة أنصار من نقضتم عهده من المؤمنين أو غيرهم مع قدرته سبحانه وتعالى
على ما يريد فيوشك أن يعاقب بالخالفه فيضعف القوى ويقال الكثير ويكثر القليل (وليبين
لكم) أي اذا تجل لفصل القضاء (يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) أي اذا جازاكم على
أعمالكم بالثواب والعقاب فاحذروا يوم العرض على مالك السموات والارض وأن من
نقض الحساب يهلك (ولو شاء الله) أي الملك الاعلى الذي لا أثر لاحد معه أن يجعلكم أمة
واحدة لا خلاف بينكم في أصول الدين ولا فروعه (لجعلكم أمة واحدة) أي متفقة على أمر
واحد وهو دين الاسلام (ولكن) يشا ذلك بل شاء اختلافكم فهو تعالى (يضل من يشاء)
عدا لانه تعالى لانه تام الملك ولو كان الذي أضله على أحسن الحالات (ويهدى) بفضل (من
يشاء) ولو كان على أخسر الحالات والاحوال فبذلك تكونون مختلفين لا يستل عما يفعل
سبحانه وتعالى (ولتستلن عما كنتم تعملون) في الدنيا فيجازي المحسن باحسانه ويعاقب المسيء
بعده تعالى * ولما حذر سبحانه وتعالى عن نقض العهد والايان مطلقا قال تعالى (ولا تضدوا
أيمانكم دخلا) أي فسادا ومكرا وخديعة (بينكم) وليس المراد منه التهذير عن نقض مطلق
الايان والالزم التكرار الخالي عن الفائدة في موضع واحد بل المراد نهى أولئك الاقوام
المخاطبين بهذا الخطاب عن بعض أيمان مخصوصة أقدموا عليها فلهذا المعنى قال المفسرون
المراد نهى الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم عن نقض العهد لأن قوله تعالى (فتزل) أي
فيكون ذلك سبباً لان زل (قدم) هي في غاية العظيمة (بعد شيوها) أي عن مركزها التي كانت به
من دين أو دنيا فلا يصير لها قرار فتسقط عن مرتبتها لا يلبق بنقض عهد قبله وانما يلبق بنقض عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به وبشرائعه * (تنبيه) * فتزل منصوب باضمار أن على
جواب النهي وزل القدم مثل يذركل من وقع في بلاء بعد عافية أو سقط في ورطة بعد سلامة
أو محنة بعد نعمة (وتذوقوا السوء) أي العذاب في الدنيا (عما) أي بسبب ما (صددتم) أي أنفسكم
ومنعت غيركم بأيمانكم التي قد أردتم بها الافساد وخفاء الحق (عن سبيل الله) أي دينه وذلك
أن من نقض العهد سهل على غيره طرق نقض العهد فيستن به (ولكنكم) مع ذلك (عذاب عظيم)
أي ثابت غير منقذ اذا متم على ذلك ثم أكد سبحانه وتعالى هذا التهذير بقوله تعالى (ولا تشترؤا)
أي ولا تكلفوا أنفسكم لجأوا وتر كاللنظر أن تأخذوا وتستبدلوا (بعهد الله) الذي له الكمال
كله (ثمنا قليلا) أي من حطام الدنيا وان كنتم تزونه كثيرا ثم علل قلته بقوله تعالى (انما عند الله)

أى الذى له الجلال والاكرام من ثواب الدارين (هو خير لكم) ولا يعدل عن الخير الى غيره
 الا لوج ناقص العقل ثم شرط علم خبريته لكونهم من ذوى العلم بقوله تعالى (ان كنتم تعلمون)
 أى ان كنتم من أهل العلم والتمييز فتعلمون فضل ما بين العوضين ثم بين ذلك بقوله تعالى (ما عندكم)
 أى من متاع الدنيا ولذا تم (بتقد) أى يفتى فصاحبه منقوص العيش أشد ما يكون به اعتبارا
 بانقطاعه (وما عند الله) أى الذى له الامر كله من ثواب الآخرة ونعيم الجنة (باق) أى دائم روى
 عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب ديناه
 أضرب آخرته ومن أحب آخرته أضرب ديناه فأثروا ما بين على ما بين فى وقرأ ابن كثير باقى
 فى الوقف بالياء والباقيون بغيره وأما فى الوصل فالجميع بالنون (وليجزين الذين صبروا) على
 الوفاء بما رضى به من الاوامر والنواهي فى السراء والضراء (أجرهم) أى ثواب صبرهم
 (بأحسن ما كانوا يعملون) أى يجزأ أحسن من أعمالهم ويجزيهم على أحسن أعمالهم
 وذلك لان المؤمن قديما فى المباحات والمندوبات وبالواجبات ولا شك أن الواجبات والمندوبات
 مما يثاب على فعلها لا على فعل المباحات وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون قبل الجيم أى وليجزين
 نحن والباقيون بالياء أى وليجزين الله ثم انه تعالى رغب المؤمنين فى الايمان بكل ما كان من
 شرائع الاسلام بقوله تعالى (من عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن) اذ لا اعتد اذ بأعمال
 الكفار فى استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العذاب (فان قيل) من عمل صالحا فيقد
 العموم فما فائدة من ذكر أو أنثى (أجيب) بأنه ذكر دفعه للتخصيص بأحد الفريقين واختلف فى
 قوله تعالى (فلنجزيه حياة طيبة) فقال سعيد بن جبير وعطاءه هى الرزق الحلال وقال مقاتل هى
 العيش فى الطاعة وقال الحسن هى القناعة لان عيش المؤمن فى الدنيا وان كان فقيرا أطيب من
 عيش الكافر وان كان غنيا لان المؤمن لما علم أن رزقه من عند الله تعالى وذلك بقدره وتدبيره
 تعالى وعرف أن الله تعالى محسن كريم حكيم يضع الاشياء فى محلها فكان المؤمن راضيا
 بفضاء الله وبما قدره له ورزقه اياه وعرف أن مصلحته فى ذلك القدر الذى رزقه فاستراحت نفسه
 من الكدر والحرص فطاب عيشه بذلك وأما الكافر والجاهل بهذه الاصول فدائم الحرص
 على طلب الرزق فيكون أبدا فى حزن ونعب وعناء وحرص فى الدنيا ولا يناله من الرزق
 الا ما قدر له فظهر بهذا أن عيش المؤمن القنوع أطيب من غيره وقال السدى الحياة الطيبة
 انما تحصل فى القبر لان المؤمن يستريح بالموت من كد الدنيا ونعيبها وقال مجاهد وقتادة هى
 الجنة لانها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وبلا هلك وسعادة بلا شقاوة فأثبت بهذا
 أن الحياة الطيبة لا تكون الا فى الجنة ولا مانع من أن المؤمن الكامل يحصل جميع ذلك ثم
 ان الله تعالى ختم الآية بقوله تعالى (ولنجزيهم أجرهم) أى فى الدنيا والآخرة (بأحسن
 ما كانوا يعملون) أى من الطاعة وقد سبق تفسيره ولما قال تعالى ولنجزيهم أجرهم بأحسن
 ما كانوا يعملون أرشده الى العمل الذى به تخلص أعماله من الوسواس بقوله تعالى (فأذا قرأت
 القرآن) أى أردت قراءته (فاستعد) أى ان شئت جهر وان شئت سرا قال الشافعى رضى الله

تعالى عنه والاسرار وأولى في الصلاة وفي قول يجهر كما يفعل خارج الصلاة (بالله) أي سأل الذي له
الكمال كله أن يعينه (من الشيطان) أي المحترق بالعنة (الرحيم) أي المطرود عن الرحمة من
أن يصطلح بوساوسه عن اتباعه ويدخل في ذلك جميع المردة من الشياطين لأنهم قدرة على
القاء الوسوسة في قلوب بني آدم باقدار الله تعالى على ذلك وقيل المراد باللبس خاصة والاستعاذة
بالله تعالى هي الاعتصام به والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غير من أمته وظاهر
الآية وجوب الاستعاذة واليه ذهب عطاء سواء كانت القراءة في الصلاة أم في غيرها
وافترق سائر الفقهاء على أنها سنة في الصلاة وغيرها والصارف لهذا الأمر عن الوجوب
أحاديث كثيرة منها القراءة بدون ذكر تعوذ كحديث البخاري وغيره عن أبي سعيد بن العلاء
رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامنك أن تجيبني قال كنت أصلي قال
ألم يقل الله استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم ثم قال لا علمك سورة هي أعظم سورة في القرآن
الحمد لله رب العالمين وفي رواية الموطأ أنه صلى الله عليه وسلم نادى أيأواه قال له كيف تقرأ
إذا افتتحت الصلاة قال أبي فقرأت الحمد لله رب العالمين حتى أتيت إلى آخرها وظاهر الآية يفيد
على أن الاستعاذة بعد القراءة واليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو قول أبي هريرة
واليه ذهب مالك وداود الظاهري قالوا لأن قارئ القرآن يستحق ثواباً عظيماً وبما حصل
الوسواس في قلب القارئ هل حصل لذلك الثواب أو لا فإذا استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك
الوسواس وبقي الثواب مخلصاً والذي ذهب إليه الأكثر من الصحابة والتابعين ومن بعدهم
من الأئمة وفقهاء الأمصار أن الاستعاذة مقدمة على القراءة قالوا ومعنى الآية إذا أردت أن
تقرأ القرآن فاستعذ بالله وسعتهم على ذلك فلهذا قدرت ذلك في الآية الكريمة ومثل ذلك قوله
تعالى إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ومثله من الكلام إذا أكلت فسم أي إذا أردت
أن تأكل فقل بسم الله الرحمن الرحيم وإذا سافرت فتنأب أي إذا أردت السفر فتنأب وأيضا
الوسوسة إنما تحصل في أثناء القراءة فتقديم الاستعاذة على القراءة تذهب الوسوسة عنه
أولى من تأخيرها عن وقت الحاجة إليها * ولما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم
بالاستعاذة من الشيطان وكان ذلك بوجه أن للشيطان قدرة على التصرف في أتيان
الإنسان أزال الله تعالى ذلك الوهم وبين أنه لا قدرة له ألبتة الأعلى الوسوسة بقوله تعالى
(إنه ليس له سلطان) أي بحيث لا يقدر المسلم عليه على الانفكاك عنه (على الذين آمنوا) أي
بتوفيق ربهم لهم (وعلى ربهم) وحده (يتوكلون) أي على أوليائه المؤمنين به والمتوكلين
عليه فانهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته وعن سفیان الثوري
قال ليس له سلطان على أن يهجم عليهم على ذنب لا يغفر لهم ثم وصل تعالى بذلك ما أفهمه من أن
له سلطانا على غيرهم بقوله (إنما سلطانه) أي الذي يتمكن به غايته ~~التمكن~~ بامكان الله
تعالى له (على الذين يتولونه) أي يجيبونه ويطيعونه (والذين هم به) أي بالله تعالى (مشركون)
وقيل الضمير راجع إلى الشيطان والمعنى هم بسببه شركون بالله ولما كان المشركون إذا

نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية ناسخة لها يقولون ان محمدا يستمزي بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر
 وينهاهم عنه غدا ما هو الا مقرر يقوله من تلقاء نفسه نزل (واذا بدلنا) أى بقدرتنا بالسسخ
 (آية) سهلة كالعادة بأربعة شعور وعشر وقتال الواحد من المسلمين لاثنتين من الكفار وشاقة
 كتحريم الخمر وإيجاب الصلوات الخمس فجعلناها (مكان آية) شاقة كالعادة بجمل ومصاراة
 عشرة من الكفار وأسهلة كالآيات المتضمنة لراحة الخمر والتبديل رفع الشئ ووضع غيره
 مكانه (والله) أى الذى له الاحاطة الشاملة (أعلم بما ينزل) من المصالح بحسب الاوقات
 والاحوال بنسخ أو غيره (قالوا) أى الكفار (انما أنت) يا محمد (مفتى) أى متقول على الله
 تعالى تأمر بشئ ثم يدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله أعلم بما ينزل اعتراض والمعنى
 والله أعلم بما ينزل من النسخ والمسخ والتغليظ والتخفيف أى هو أعلم بجميع ذلك ومصالح
 العباد وهذا توحيج للكفار على قولهم انما أنت مفتى أى اذا كان هو أعلم بما ينزل فما لهم
 ينسبون محمدا الى الافتراء لاجل التبديل والسسخ (بل أكثرهم) وهم الذين يستمرون
 على الكفر (لا يقولون) حكمة فائدة النسخ والتبديل ولا يعجزون الخطأ من الصواب
 فان الله تعالى أعلم بمصالح العباد كما أن الطبيب يأمر المريض بشئ ثم بعد مدة ينهه عنها
 ويأمره بغيرها بضد ذلك الشربة ثم أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالرد عليهم بقوله
 تعالى (قل) لمن واجهك بذلك منهم (نزل) أى القرآن بحسب التدرج لاجل اتباع
 المصالح باحاطة علم المتكلم به (روح القدس) أى جبريل عليه السلام وازافة الروح الى
 القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجود وزياد
 الخير والمقدس الطهر من المآثم (من ربك بالحق) أى متلبسا بالحكمة (ليثبت الذين
 آمنوا) أى ليثبت بالقرآن قلوب الذين آمنوا فيزدادوا ايمانا وبقينا (وهدى) أى يانا واخضا
 (وبشرى للمسلمين) أى المتقادين لحكمك (فان قيل) ظاهرا لا بآية ان القرآن لا يفسخ
 بالسنة لقوله تعالى واذا بدلنا آية مكان آية اذ متقضاء أن الآية لا تفسخ الا بأخرى (أجيب) بأن
 هذه الآية دلت على أنه تعالى يبدل آية بآية ولا دلالة فيم اعلى أنه لا يبدل آية الابدية وأيضا
 فجبريل عليه السلام ينزل بالسنة كما ينزل بالآية ولما كان المشركون يقولون ان محمدا انما
 يتعلم هذه القصص وهذا الاخبار من انسان آخر وهو آدمى مثله وليس هو من عند الله كما يزعم
 نزل قوله تعالى (واقعدن علم) أى علم استمرا (أنهم يقولون انما يعلم بشر) واختلف في البشر الذى
 قال المشركون ان النبي صلى الله عليه وسلم يتعلم منه فقيل هو عبد بنى عامر بن لؤى يقال له
 يعيش كان يقرأ الكتب وقيل عداس غلام عتبة بن ربيعة وقيل عبد بنى الحضرمى صاحب
 كتب وكان اسمه خيرا فكانت قرىش تقول لعبد بنى الحضرمى يعلم خديجة وخديجة تعلم محمدا
 وقيل كان بمكة نصرانى أعجمى اللسان اسمه بلعام ويقال ابن ميسرة يتكلم بالرومية وقيل سلمان
 الفارسي وبالجملة فلا فائدة في تعداد هذه الاسماء والحاصل أن القوم اتهموه بأنه يتعلم هذه
 الكلمات من غيره ثم انه يظهر هامن نفسه ويزعم أنه انما عرفها بالوحى وهو كاذب فيه فأجاب

الله تعالى عنه تكذبا لهم فيما روى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب بقوله تعالى
 (لسان الذي يلدن) أي يملون اليه أو يشبهون (البه) أي أنه يعلمه (أعجمي) أي لا يعرف لغة
 العرب وهو مع ذلك الكن في التأدية غير مبين (وهذا) أي القرآن (لسان عربي مبين) أي ذويان
 وفصاحة فكيف يعلمه أعجمي وروى أن الرجل الذي كانوا يشيرون اليه أسلم وحسن اسلامه
 (أن الذين لا يؤمنون) أي لا يصدقون كل تصديق معترفين (بآيات الله) أي الذي له العظمة
 كلها (لا يهديهم الله) أي لا يرشدهم ولا يوفقهم للايمان (ولهم عذاب أليم) أي مؤلم في الآخرة
 ثم أخبر الله تعالى أن الكفار هم المفترون بقوله تعالى (أنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون
 بآيات الله) أي القرآن بقولهم هذا من قول البشر (وأولئك) أي البعداء البغضاء (هم
 الكاذبون) أي السكاملون في الكذب لأن تكذيب آيات الله أعظم من الكذب أولئك
 هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا يحجبهم عنه مروءة ولا دين * ولما ذكر تعالى
 الذين لا يؤمنون مطلقا أتبعهم منصفهم منهم هم أشد كفرا بقوله تعالى (من) أي أي مخلوق
 وقع له أنه (كفر بالله) أي الذي له صفات الكمال بأن قال أو عمل ما يدل على الكفر (من بعد
 ايمانه) بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم (الآمن أكره) أي على التلذذ بالكفر فلما نطق به (وقابه
 مطمئن بالايمن) فلا شيء عليه لأن محل الايمان هو القلب روى أن قريشا أكرهوا عمارا وأباه
 ياسر وأمه سمية على الارتداد فبطوا سمية بين بعيرين وقالوا انك أسلت من أجل الرجال فقتلت
 وقتل ياسر وهما أول قتيل في الاسلام وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا كرها وهو كاره بقلبه
 فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه كفر فقال صلى الله عليه وسلم كلاً ان عمار امتلا ايمانا من
 قرنه الى قمعه واختلط الايمان بلحمه ودمه فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يكي فجعل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه ويقول مالك ان عادوا لك فقل لهم مثل ما قلت
 * (تنبيه) في الآية دليل على اباحة التلفظ بالكفر وان كان الافضل أن يتجنب عنه اعزاز
 الدين كما فعله أبواه ولما روى ان مسيلة أخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد فقال
 رسول الله قال فما تقول في قال أنت أيضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد فقال رسول الله
 قال فما تقول في قال أنا صم فأعاد عليه ثلاثا فأعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال أما الاول فقد أخذ برخصة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيأه واختلف الأئمة
 في وقوع الطلاق بالاكراه فقال الشافعي وأحدرجهما الله تعالى لا يقع طلاق المكره وقال
 أبو حنيفة رحمه الله تعالى يقع واستدل الشافعي بقوله تعالى لا اكراه في الدين ولا يمكن أن يكون
 المراد في ذاته لأن ذاته موجودة فوجب حمله على نفي آثاره أي لا أثر له ولا عبرة به وقال عليه
 الصلاة والسلام رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وقال أيضا الاطلاق في
 اغلاق أي اكراه ونسك أبو حنيفة بقوله تعالى فان طلقها فلا تحل له وهذا قد طلقها وأوجب
 بأن الآية مخصوصة بغير ذلك جمعا بين الأدلة (ولكن من شرح بالكفر صدرا) أي فقصه ووسعه
 لقبول الكفر واختاره ورضى به (فعليه غضب) أي غضب لم ينع جهه عظمه لكونه (من الله)

أى الملك الاعظم (ولهم) أى بطواهرهم وبواطنتهم (عذاب عظيم) فى الآخرة لا ترداهم
 على أعقابهم (ذلك) أى الوعيد العظيم (بأنهم) أى بسبب أنهم (استحبوا) أى أحبوا أجباعظيما
 (الحياة الدنيا) الكاثبة الحاضرة الغانية فاستزوها (على الآخرة) الباقية الفارقة لانهم رأوا
 ما فيه المؤمنون من الضيق والكافرون من السعة (وأن الله) أى الذى له الغنى المطلق
 (لا يهذى القوم الكافرين) أى لا يرشدهم الى الايمان ولا يوفقهم للعمل (وأولئك) أى البعداء
 البغضاء (الذين طبع الله) أى الملك الذى لا أمر لاحد معه (على قلوبهم) أى ختم عليها واستوثق
 * ولما كان التفاوت فى السمع نادرا وحده بقوله تعالى (وسمعهم) أو بمعنى اسماعهم ايضا سب
 قوله تعالى (وأبصارهم) فصاروا بعد امتناعهم بهذه المشاعر كأنهم لا يفهمون ولا يسمعون
 ولا يبصرون (وأولئك) أى الابعاد من كل خير (هم الغافلون) عما يراى منهم من العذاب
 فى الآخرة (لاجرم) أى لاشك (أنهم فى الآخرة هم الخاسرون) أى أكمل الناس خسارة
 لأن الله تعالى وصفهم بست صفات الاولى أنهم استوجبوا غضب الله تعالى الثانية أنهم
 استوجبوا العذاب الاليم الثالثة أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة الرابعة أن الله تعالى
 حرهم من الهداية الخامسة أنه تعالى طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم السادسة أنه
 جعلهم من الغافلين عن العذاب الشديد يوم القيامة اذ كل واحدة من هذه الصفات من أعظم
 الاحوال المانعة من الفوز بالخيرات والسعادات ومعالموم أنه تعالى انما أدخل الانسان
 فى الدنيا ليكون كالنار الذى يشتري بباطعته سعادات الآخرة فاذا حصلت هذه الموانع
 العظيمة عظم خسارته فلهذا السبب حكم تعالى عليهم بالخسران * ولما ذكر تعالى حال من كفر
 بالله من بعد ايمانه وحال من أكره على الكفر ذكر بعده حال من هاجر من بعد ما فتنه بقوله تعالى
 (ثم أن ربك) أى المحسن اليك (لذين هاجروا) الى المدينة الشريفة بالولاية والنصر وقوله تعالى
 (من بعد ما فتنوا) قرأ ابن عامر بفتح الفاء والتاء على استناد الفعل الى الفاعل والباقون بضم
 الفاء وكسر التاء على فعل مالم يسم فاء له وجه القراءة الاولى انه عاد الضمير على المؤمنين فالمعنى
 فتنوا أنفسهم بما أعطوا المشركين من القول ظاهرا وأنهم لم يصبروا على عذاب المشركين
 فكأنهم فتنوا أنفسهم وان عاد على المشركين فهو ظاهر أى فتنوا المؤمنين لأن أولئك
 المقتونين هم المستضعفون الذين جعلهم أقوىاء المشركين على الردة والرجوع عن الايمان فبين
 تعالى أنهم هاجروا (ثم جاهدوا وصابروا) على الطاعة (ان ربك من بعدها) أى الفتنة
 (لغفور) أى بليغ الاكرام (رحيم) فهو يغفر لهم ويرحمهم * (تنبيه) * حذف خبران الاولى
 لدلالة خبر الثانية عليه أو مقتد بعامر (يوم) أى اذ كرم (تأتى كل نفس) أى وان عظم
 جرمها (تجادل) أى تحتاج (عن نفسها) أى لا يهملها غيرها وهو يوم القيامة (فان قيل) ما معنى
 النفس المضافة الى النفس (أجيب) بأنه يقال لعين النسي وذاته نفسه وفى تقيضه غيره والنفس
 الجلمة كهاى فالنفس الاولى هى الجلمة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم يأتى كل انسان
 يجادل عن ذاته لا يهمل شأن غيره كل يقول نفسى نفسى ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها

كقولهم هؤلاء الذين أضلونا وما كنا مشركين (وقوى كل نفس) صالحة أو غير صالحة (ما علمت) أي جزم من نفسه (وهم لا يظنون) أي شياً * ولما هذتعالى الكفار بالوعيد الشديد في الآخرة هذتهم أيضاً بالقات الدنيا وهي الوقوع في الجوع والخوف بقوله تعالى (وضرب الله) أي المحيط بكل شيء (مثلاً) ويدل منه (قرية) هي مكة والمراد أهلها (كانت آمنة) أي ذات أمن ويأمن بها أهلها في زمن الخوف قال تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرماً ما ننطفئ الناس من حولهم والامن في مكة كان كذلك لأن العرب كان يغرب بعضهم على بعض دون أهل مكة فانهم كانوا أهل حرم الله والعرب كانوا يحترمونه ويخصونهم بالتعظيم والتكريم (مطمئنة) أي قارة بأهلها لا يحتاجون فيها إلى نجعة وانتقال بسبب زيادة الأمن بكثرة العدد وقوة المدد وكف الله تعالى الناس عنها ووجود ما يحتاج اليه أهلها (فان قيل) الاطمئنان هو الامن فيلزم التكرار (أجيب) بأن قوله تعالى آمنة إشارة إلى الامن وقوله تعالى مطمئنة أي لا يحتاجون فيها إلى نجعة كما مر وقيل أشارتعالى بذلك إلى الصلة لأن هو ذلك البلد كان ملائماً لآمر جهنم فلذلك اطمأنوا اليه واستقروا قالت العقلاء ثلاثة ليس لها نهاية الامن والصلة والكفاية (بأنيتها) أي على سبيل التجدد والاستمرار (رؤفها رغداً) أي واسعا طيباً (من كل مكان) بر وبحر بتيسير الله تعالى * ولما كانت السعة تجر إلى الباطر غالباً تبته تعالى على ذلك بقوله تعالى (فكفرت بأنم الله) أي الذي له الكمال كله وأنهم جمع نعمة قال الزمخشري على ترك الاعتداد بالثاء كدروع وأدروع وقال قطرب هي جمع نعم والنعم النعمة يقال هذه أيام نعم وطعم فلا تصوموا وقيل جمع نعماء مثل بأساء وأبؤس (فان قيل) الانتم جمع قلة فكان تلك القرية كفرت بأنواع قليلة من نعم الله فعذبها الله تعالى فلم يقبل تعالى كفر وانهم عظيمة فاستوجبوا العذاب (أجيب) بأن المقصود التنبيه بالادنى على الاعلى فان كفران النعم القليلة لما أوجب العذاب فكفران النعم الكثيرة أولى وبأن الله تعالى أنعم عليهم بالنعمة العظيمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا به وبالغوا في ابدائه (فأذاقها الله) أي المحيط بكل شيء (لباس الجوع) بعد رغدا العيش سبع سنين وقطعت العرب عنهم الميرة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا وأككلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة وقيل ان القرية غير مكة لانها ضربت مثلاً للمكة ومثل مكة يكون غير مكة (والخوف) بسماء النبي صلى الله عليه وسلم * (تنبيه) * استعير الذوق لادراك أثر الضرر والنباس لما غشيهم واشغل عليهم من الجوع والخوف وأوقع الاذقة عليه بالنظر إلى المستعاره كقول كثير عزة

غمر الرءاء اذا تبسم ضاحكاً * غلقت لضحكته رقاب المال

فانه استعار الرءاء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرءاء لما يلقي عليه وأضاف اليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرءاء نظر إلى المستعار وهو لو نظر إلى المستعار لقال ضاع الرءاء أي ساقطه ومعنى البيت اذا ضحك المسؤول ضحكاً أي بين السائل بذلك التيسر استرقاق رقاب ماله وأنه يعطى بلا خلاف وقد ينظر إلى المستعاره كقوله

ينازعني وداني عبد عمرو • رويدك يا خاعرو بن بكر
 في الشطر الذي ملكت يعني • ودونك فاعصم منه بشطر
 استعار الرداء للسيف ثم قال فاعصم نظرا الى المستعار ولولقطرا الى المستعار منه لقال تعالى في
 الآية وكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضاني الرداء اذا تبسم ضاحكا وهذا نهاية
 ما يقال في الاستعارة وقال ابن عطية لما باشرهم ذلك صار كاللباس وهذا كقول الاعشى
 اذا ما الضبيح فني جيدها • تنثت عليه فكانت لباسا
 ومثله قوله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن ومثله قول الشاعر
 وقد لبست بعد الزبير مجاشع • لباس التي حاضت ولم تغسل الدما
 كان العاروا لما باشرهم ولصق بهم كأنهم نسوة وقوله تعالى فاذا قمنا ظهيرة قوله تعالى ذق انك انت
 العزيز الكريم ونظير قول الشاعر دون ما جنيت فاحس وذق • وقوله تعالى (بما كانوا
 يصنعون) يجوز ان تكون ما صدرية أي بسبب صنعهم أو بمعنى الذي والعائد محذوف أي
 بسبب الذي كانوا يصنعونه والواو في يصنعون عائد على أهل البلد وقيل قرينة نظيره قوله تعالى
 أو هم فالتون بعد قوله تعالى وكمن قرية أهل كاهها • ولما ذكر الله تعالى المثل ذكر الممثل له فقال
 تعالى (ولقد جاءهم) أي أهل هذه القرية (رسول منهم) من نسبهم يعرفونه بأصله ونسبه وهو محمد
 صلى الله عليه وسلم (فكذبوه فأخذهم العذاب) قال ابن عباس يعني الجوع الذي كان بمكة وقيل
 القتل الذي كان يوم بدر (وهم ظالمون) أي في حال تلبسهم بالظلم كقوله تعالى الذين تتوفاهم
 الملائكة ظالمي أنفسهم فعوذ بالله من مفاجأة النعمة والموت على الغفلة وقرأ نافع وابن كثير
 وابن ذكوان وعاصم باظهار دال قد عند الجيم والباقون بالادغام ثم قال تعالى (فكلوا)
 أي أيها المؤمنون (عمارزقكم الله) قال ابن عباس يريد من الغنائم وقال الكلبي ان رؤساء
 مكة كانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جهدوا وقالوا عادت الرجال فباب النساء
 والصبيان وكانت الميرة قد قطعت عنهم فأذن في الحل اليهم فحمل الطعام اليهم فقال الله تعالى
 كلوا أعمارزقكم الله قال الرازي والقول ما قال ابن عباس يدل عليه قوله تعالى بعد هذه الآية
 انما حرم عليكم الميتة يعني انكم لما آمنتم وتركتم الكفر فكلوا أعمارزقكم الله (حلالا لطيبا)
 وهو الغنمة واتركوا الخبائث وهي الميتة والدم • ولما أمرهم تعالى بأكل الحلال أمرهم
 بشكر النعمة بقوله تعالى (واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون) أي تطيعون • (تنبيه) •
 رسمت نعمت بالياء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبالياء والباقون بالياء والكسائي يقف باللاملة
 وتقدم تفسير قوله تعالى (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن
 اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) في سورة البقرة فلا اخافة في تفسير ذلك وقرأ
 أبو عمرو وعاصم وحجة فمن اضطر في الوصول بكسر النون والباقون بالفتح • (تنبيه) • حصر
 الحرمان في هذه الاشياء الاربعة مذكورا ايضا في سورة الانعام عند قوله تعالى قل
 لا أجد فيما أوحى الي محرما على طاعم يطعمه الآية وفي سورة المائدة في قوله تعالى أحلت

لكم بهيمة الانعام الاما يتسلى عليكم واجمعوا على أن المراد بقوله تعالى الاما يتسلى عليكم هو قوله تعالى في سورة البقرة حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله وقوله تعالى في المائدة والمنجفة والموقوذة والمتريفة والمنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيت فهذه الاشياء داخلة في الميتة ثم قال تعالى وما ذبح على النصب وهو أحد الاشياء الداخلة تحت قوله تعالى وما أهل به لغير الله فثبت أن هذه السور الاربعة دالة على حصر الحرمات في هذه الاربعة سورتان مكيتان وسورتان مذنبتان فان سورة البقرة مدينة وسورة المائدة من آخر ما أنزل الله بالمدينة فمن أنكر حصر التحريم في هذه الاربعة الاما خصه الاجماع والدلائل العقلية القاطعة كان في محمل أن يحشى عليه لان هذه السورة دلت على أن حصر الحرمات في هذه الاربعة كان مشروعا ثابتا في أول زمان مكة وآخره وأول زمان المدينة وأنه تعالى أعاد هذا البيان في هذه السور الاربعة قطعاً للاعداء وازالة للشبهة * ولما حصر تعالى الحرمات في هذه الاربعة بالغ في تأكيد ذلك الحصر وزيف طريقة الكفار في الزيادة على هذه الاربعة تارة وفي نقصان عنها أخرى بقوله تعالى (ولا تقولوا لما نصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) لما لم يحله الله ولم يحرمه فانهم كانوا يجزمون العبرة والسابقة والوصية والحام وكانوا يقولون ما في بطون هذه الانعام خاصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا فقد زادوا في الحرمات وزادوا أيضا في المحللات لانهم حلوا الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فبين تعالى أن الحرمات هي هذه الاربعة وبين أن الاشياء التي يقولون هذا حلال وهذا حرام ككذب واقتراف على الله تعالى * (تنبيه) * في اتصاف الكذب وجهان أحدهما قال الكسائي مامصدية والتقدير ولا تقولوا لاجل وصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام نظيره أن يقال لا تقولوا الكذا وكذا كذا وكذا (فان قيل) حمل الآية على هذا يؤدي الى التكرار لان قوله تعالى (لتفتروا على الله الكذب) عين ذلك (أجيب) بأن قوله تعالى لما نصف ألسنتكم الكذب ليس فيه بيان أنه كذب على الله فأعاده ليحصل فيه هذا البيان الزائد ونظيره في القرآن كثير وهو أنه تعالى يذكر كلاما ويعيد بعضه مع فائدة زائدة الثاني أن تكون ماموصولة والتقدير ولا تقولوا للذي تصف ألسنتكم الكذب فيه هذا حلال وهذا حرام وحذف لفظ فيه لكونه معلوما وقيل اللام في لتفتروا لام العاقبة كما في قوله تعالى ليكون لهم عداوة وحزنا (فان قيل) ما معنى وصف ألسنتهم الكذب (أجيب) بأن ذلك من فصيح الكلام وبلغه جعل قولهم ككأنه عين الكذب ومحضه واذا انطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بجائسته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجبال أي هي جميلة ومنها تصف الصحرا أي هي ساحرة فلما أوردوا المبالغة في وصف الوجه بالجبال ووصف العين بالصحرا عبروا بذلك ثم انه تعالى أوعدها المقترين بقوله تعالى (أن الذين يفترون على الله) أي الذين لا يفلحون) أي لا يفوزون بخبر لان المقترى يفترى لخصيل مطلوب فنفي الله تعالى عنه الفلاح لانه الفوز بالخير والبصاح ثم بين

تعالى ان ما هم فيه من نعم الدنيا يزول عنهم عن قريب بقوله تعالى (متاع قليل) أى منقعة قليلة
تنتطح عن قرب لقنائه وان امتد ألف عام (ولهم) بعده (عذاب أليم) أى مؤلم فى الآخرة * ولما
بين تعالى ما يحصل ويجرم لاهل الاسلام اتبعه إيمان ما يخص اليهود به من المحرمات بقوله
تعالى (وعلى الذين هادوا) أى اليهود (حرمنا) عليهم عقوبة لهم بعد اوتهم وكذبهم على
ربهم (ما قصصنا عليك) بأجل المرسلين (من قبل) أى فى سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى
الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية (وما ظلمناهم) أى بحرم ذلك عليهم (ولكن كانوا)
أى دأبوا طبعها لهم وخلقنا مستقرا (أنفسهم) خاصة (بظلمون) بالبغي والكفر فضيقنا عليهم
معاملة بالعدل وعاملناكم أنتم حيث ظلمتم بالفضل فاشكروا النعمة واحذروا غوائل
النقمة * ولما بين تعالى هذه النعمة الدنيوية عطف عليها نعمة هى أكبر منها جذا استحلابا
لسكل ظلام وبين عظمتهما بحرف التراخي فقال تعالى (ثم ان ربك) أى المحسن اليك (للذين
عملوا السوء) وهو يتناول كل ما لا ينبغى فعله فيشمل الكفر وسائر المعاصي (بجهالة) أى
بسيما وملتبسين بيم اليم الجهل بالله وبفضائه وعدم التدبر فى العواقب فكل من عمل سوءا
انما يفعل بالجهالة أما الكفر فلان أحد الارضى به مع العلم بكونه كفر لانه لو لم يعتقد كونه
حقا فانه لا يختاره ولا يرضيه وأما المعصية فلان العالم لم تصدر منه المعصية مالم تنصر الشهوة
غالبة للعقل فثبت أن كل من عمل السوء فانما يقدم عليه بسبب الجهالة (ثم تابوا من بعد ذلك)
أى الذنب ولو كان عظيما واقتصر واعلى ما أذن فيه حالقهم (وأصلحو) بالاستقرار على ذلك
(ان ربك) أى المحسن اليك بتسهيل دينك وتيسيره (من بعد ما) أى التوبة (للفور) أى بليغ
الستر لما عملوا من السوء (رحيم) أى بليغ الرحمة بحسن بالآكرام فضلائمه ونعمة * ولما
دعاهم الله تعالى الى مكارم الاخلاق ونهاهم عن مساوئها بقبولها لمن أقبل اليه وكان ابراهيم
عليه الصلاة والسلام رئيس الموحدين لاجرم ذكره الله تعالى فى آخر هذه السورة ووصفه
بتسع صفات الصفة الاولى قوله تعالى (ان ابراهيم كان أمة) أى لكاملة واستجماعه فضائل
لاتكاد توجد الامتزة فى أشخاص كثيرة كقول القائل

وايس لله (أى من الله) بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

أى أن يجمع صفاتهم فى شخص واحد وقال مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كانوا كفارا
فلهذا المعنى كان وحده أمة واحدة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فى زيد بن عمرو بن
نضيل يعنه الله أمة وحده وعن شهر بن حوشب لم تبق الارض الا فيها أربعة عشر يدفع الله
تعالى بهم عن أهل الارض الا زمن ابراهيم فانه كان وحده وقبل أمة فعله بمعنى مفعول كالدخلة
والخبة من أمة اذا قصد واقعدى به فان الناس كانوا يؤمنونه للاستفادة ويقدون بدينه كقوله
تعالى انى جاءك للناس اماما وقرأ هشام ان ابراهيم وملة ابراهيم بالالف بعد الهاء فيها وقرأ
الباقون بالياء فيها الصفة الثانية قوله تعالى (فأنا لله) أى مطيعا له فائتابا وامره الصفة
الثالثة قوله تعالى (حنيفا) أى ما تلاح عن الباطل قال ابن عباس انه أول من اختن وأقام

مناسك الحج ونحى وهذه السنة الحنيفة الصفة الرابعة قوله تعالى (ولم يكن من المشركين) أى
 انه عليه الصلاة والسلام كان من الموحدين في الصغر والكبر وقد أبطل عبادة الاصنام
 والكواكب بقوله لأحب الأولين ثم كسر تلك الاصنام حتى آل الامر الى أن القوم ألقوه
 في النار وذلك دليل اثبات الصانع مع ملك زمانه وهو قوله وبى الذي يحيى ويميت ثم طلب من
 الله تعالى أن يريه كيف يحيى الموتى ليحصل له زيادة الطمأنينة قال الرازى ومن وقف على علم
 القرآن علم أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان غريقا في بحر علم التوحيد الصفة الخامسة
 قوله تعالى (شاكرا لانعمه) فان قيل لفظ الانعم جمع فله ونعمة الله تعالى على ابراهيم عليه السلام
 كانت كثيرة فلم قال شاكر الانعمه (أجيب) بأنه ذكر القلة للتنبيه على أنه كان لا يحل بشكر
 القليلة فكيف بالكثيرة وروى أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يتغذى الا مع ضيف فلم يجد
 ذات يوم ضيفا فآخر غداءه فاذا هو يقوم من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فقبلوا
 له ان بهم جذاما فقال لهم الآن وجبت مؤاكلةكم شكر الله على انه عافاني وابسلاكم بهذا
 البلاء الصفة السادسة قوله تعالى (اجنباه) أى امطأه للنسوة واختاره لخلقه الصفة
 السابعة قوله تعالى (وهده الى صراط مستقيم) أى وهداه الى دين الاسلام لانه الصراط
 المستقيم والدين القويم ونظيره قوله تعالى وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعه الصفة الثامنة
 قوله تعالى (واتيناه في الدنيا حسنة) قال قتادة حبسه للناس حتى أن أرباب الملل يتولونه
 ويشنون عليه أما المسلمون واليهود والنصارى فظاهر وأما كفار قريش وسائر العرب فلا غفر
 لهم الا به وتحقيق القول ان الله تعالى أجاب دعاءه في قوله واجعل لي اسان صدق في الآخرين
 وقال آخرون هو قول المصلى منا كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وقيل أولاد ابراهيم
 على الكبر الصفة التاسعة قوله تعالى (وانه في الآخرة لمن الصالحين) في الجنة (فان قيل)
 لم يقل تعالى في أعلى مقامات الصالحين (أجيب) بأنه تعالى حكى عنه أنه قال رب هب لي حكما
 وألحقني بالصالحين فقال تعالى هنا وانه في الآخرة لمن الصالحين تنبيه على أنه تعالى أجاب
 دعاءه ثم ان كونه من الصالحين لا يتنى أن يكون في أعلى مقامات الصالحين فان الله تعالى بين
 ذلك في آية أخرى وهي قوله تعالى وتلك جنتنا آتيناه ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء
 ولما وصف الله تعالى ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات العالية الشريفة أمر نبيه محمدا
 صلى الله عليه وسلم في اتباعه مشيرا الى علو مرتبته بحرف التراخي بقوله تعالى (ثم أوحينا اليك)
 يا أشرف الرسل وقيل أتى بتم التراخي أى لتراخي أيامه عن أيام ابراهيم عليه ما أفضل الصلاة
 والسلام (أن اتبع ملة ابراهيم) في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وابراد الدلائل مرة بعد
 أخرى والمجادلة مع كل أحد على حسب فهمه ولا بعد في أن يفهم ذلك الهجرة أيضا وقيل
 كان النبي صلى الله عليه وسلم مأمورا بشريعة ابراهيم عليه ما الصلاة والسلام الامتناع
 منها وما لم ينسخ ما شرع الله وقوله تعالى (حنيفا) حال من النبي صلى الله عليه وسلم وبصر أن
 يكون حالا من ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى (وما كان من المشركين) كثره

رداعلى من زعم من اليهود والنصارى أنهم على دينه وقوله سبحانه وتعالى (أنا جعل السبت على
 الذين اختلفوا فيه) فيه قولان الاول روى الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما
 أنه قال أمرهم موسى عليه السلام بالجمعة وقال تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوماً واحداً وهو
 يوم الجمعة ولا تصموا فيه شيئاً من أعمالكم فأبوا أن يقبلوا ذلك وقالوا لا نريد الا اليوم الذى
 فرغ الله تعالى فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل عليهم السبت وشدد عليهم فيه ثم جاء عيسى
 عليه السلام أيضاً بالجمعة فقالت النصارى لا نريد أن يكون عيدهم أى اليهود بعد عيدنا فاختذوا
 الاحد وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى كتب يوم الجمعة على من كان
 قبلكم فاختلفوا فيه وهذا الله فهم لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غداً (فان قيل هل
 فى العقل وجه يدل على أن الجمعة أفضل من السبت والاحد فان أهل الملل اتفقوا على أنه
 تعالى خلق العالم فى ستة أيام وابدأ تعالى بالخلق والتسكوير فى يوم الاحد وقم فى يوم
 الجمعة فكان يوم السبت يوم الفراغ فقالت اليهود نحن نوافق ربنا فى ترك الاعمال فعيّنوا يوم
 السبت لهذا المعنى وقالت النصارى مبدأ الخلق والتكوين يوم الاحد فجعل هذا اليوم عيدنا
 فهذا ان الوجهان معقولان لنا فارجو جعل يوم الجمعة عيداً (أجيب) بأن يوم الجمعة هو يوم
 التمام والكمال وحصول التمام والكمال يوجب الفرح الكامل والسرور فجعل يوم الجمعة يوم
 العيد أولى من هذا الوجه القول الثانى اختلفوا فيه فى السبت هو أنهم أحلوا الصلوة فيه تارة
 وحرموه تارة وكان الواجب عليهم أن يتفقوا فى تحريمه على كلمة واحدة (وان ربك) أى المحسن
 اليك بطواعية أمهاتك لك (ليحكم بينهم) أى هؤلاء المختلفين (يوم القيامة) وهو يوم اجتماع
 جميع الخلائق (فبما كانوا فيه يختلفون) فيحكم للمعقنين بالنواب والمبطلين بالعقاب * ولما
 أمر الله تعالى محمد صلى الله عليه وسلم باتباع ابراهيم عليه الصلاة والسلام بين الشئ الذى أمره
 بتابعته فيه بقوله تعالى (ادع) أى كل من تمكن دعوته عن بعثت اليه (الى سبيل ربك) أى
 المحسن اليك بسبيل السبيل الذى تدعو اليه واتساعه وهو الاسلام الذى هو الملة الحنيفة
 (بالحكمة) أى المعاملة المحكمة وهو الدليل الواضح المنزل للشبهة (والموعظة الحسنة) أى
 بالدعاء الى الله تعالى بالترغيب والترهيب بالخطابات المنقصة والعبارات النافعة والاولى
 لدعوى خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوى عوامهم (وجادلهم) أى وجادل
 معاندهم (بالتى) أى بالمجادلة التى (هى أحسن) كالدعاء الى الله تعالى بآياته والدعاء الى هججه
 بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير غلظ ولا تعسف فان ذلك أنفع
 فى تشكيك لهم وتبيين شبههم وقيل المراد بالحكمة القرآن أى ادعهم بالقرآن والموعظة الحسنة
 الرفق واللين فى الدعوة وفى الامر بالمجادلة التى هى أحسن الاعراض عن أذاهم وعدم التقصير
 فى تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق وعلى هذا القول قال بعض علماء التفسير هذا منسوخ بآية
 المسيف وقيل ان الناس خلقوا وجبلوا على ثلاثة أقسام القسم الاول العلماء الكاملون وهم
 أصحاب العلوم العجيبة والبصائر الشافية الذين يطلبون معرفة الاشياء على حقائقها فهؤلاء

هم المشار اليهم بقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة أى ادعهم بالدلائل القطعية القينية
 حتى يعملوا الاشياء بحقائقها ويتفقهوا الناس وهم خواص العلماء من العصابة وغيرهم
 القسم الثاني أصحاب القطرة السليمة والخلقة الاصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا احد
 الكمال ولم ينزلوا الى حضيض النقصان فهم اوسط الاقسام وهم المشار اليهم بقوله تعالى
 والموعظة الحسنة أى ادع هؤلاء بالموعظة الحسنة القسم الثالث أصحاب جدال وخصام
 ومعاذنة وهؤلاء هم المشار اليهم بقوله تعالى وجادلهم بالتى هي أحسن أى حتى يتقادوا الى
 الحق ويرجعوا اليه (ان ربك) المحسن اليك بالتخفيف عنك (هو أعلم) أى من كل من يتوهم
 فيه علم (عن فضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أى فهو سبحانه وتعالى أعلم بالرفيقين فن كان
 فيه خير كداه الوعظ والتصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه بهزئت عنه الحيل وكانت تضرب
 في حديد بارد فاعلمك الا البلاغ والدعوة وأما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما
 فليس ذلك اليك وهذا قبل الامر باقتال وذكر في قوله تعالى (وان عاقبتهم فعاقبوا بعسل
 ما عوقبتهم به) أقوال أحدها وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عطاء وأبى بن كعب
 والشعبى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدد عوا أنفه وأذنه
 وقطعوا ماذن كبره وبقروا بطنه وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغت ما استرطبتها
 لتأكلها فلم تلبث فى بطنها حتى رمت به فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال أما انتا لو أكلته
 لم تدخل النار أبد اجزة أكرم على الله من أن يدخل شيا من جسده النار فلما نظر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم اليه نظر الى شئ لم ينظر الى شئ قط وأوجع اقلبه منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
 رحمة الله عليك فأنى ما علمتك الانفعال للغيرات وصولا للرحم ولولا حزن من بعدك عليك لسترنى
 أن أدعك حتى تحترق من أفواج شتى أما والله لئن ظفرتنى الله بهم لامتلئ بسبعين منهم مكانك
 فتركت فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أراد وكفر عن يمينه وقال المسلمون أيضا لما
 رأوا ما فعل المشركون بقتلهم يوم أحد من يقرر البطون والمنهلة السيئة حتى لم يبق أحد من
 قتلى المسلمين الا مثل به الا حنظلة بن الراهب فان أباه أبا عامر الراهب كان مع أبى سفيان فتركوا
 حنظلة لذلك فقال المسلمون حين رأوا ذلك انظر ظفرنا عليهم لتزيدن عليهم يعنى على صنيعهم ولتحمات
 بهم مثله لم يفعلها أحد من العرب بأحد القول الثانى أن هذا كان قبل الامر بالسيف
 والجهاد حتى كان المسلمون قد أمروا بالقتال مع من يقا تلهم ولا يتدوا بالقتال وهو قوله تعالى
 وفاتلوا فى سبيل الله الذين يقا تلونكم ولا تعتدوا وفى هذه الآية أمر الله تعالى أن يعاقبوا بمثل
 ما يصيبهم من العقوبة ولا يزيدوا القول الثالث أن المقصود من هذه الآية نهى المظلوم عن
 استيفاء الزيادة من الظالم وهذا قول مجاهد والنخعي وابن سيرين قال الرازى وحل هذه الآية
 على قصة لا تعلق لها بما قبلها يوجب حصول سوء الترتيب فى كلام الله وهو فى غاية المعدل
 الا صوب عندي أن يقال انه تعالى أمر محمدا صلى الله عليه وسلم بدعوة الخلق الى الدين الحق
 بأحدى الطرق الثلاثة وهى الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالطريق الاحسن ثم ان ذلك

الدعوة تنضمين أمرهم الرجوع عن دين آبائهم وأسلانهم والحكم عليهم بالكفر والضلالة وذلك مما يشوق قلوبهم ويوحش صدورهم ويحمل أكتفهم على قصد ذلك الداعي بالقتل تارة وبالضرب تارة وبالسم ثالثاً ثم إن ذلك الداعي المحق إذا سمع تلك السفاهات لابد وأن يجعله طبعه على تاديب أولئك السفهاء تارة بالقتل وتارة بالضرب فعند هذا أمر المحققين في هذا المقام برعاية العدل والانصاف وترك الزيادة فهذا هو الوجه الصحيح الذي يجب حمل الآية عليه (فان قيل) فهل تقدحون فيما روى أنه عليه الصلاة والسلام ترك العزم على ترك المثلة وكفر عن يمينه بسبب هذه الآية (أجيب) بأنه لا حاجة إلى القدح في تلك الرواية لأن تلك الواقعة داخله في عموم هذه الآية فيمكن التسليم في تلك الواقعة بعموم هذه الآية وذلك لا يوجب سوء الترتيب في كلام الله تعالى * (تنبيه) * أمر الله تعالى برعاية العدل والانصاف في هذه الآية ورتب ذلك على أربع مراتب المرتبة الأولى قوله تعالى وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به أي إن رغبتم في استيفاء القصاص فاقنعوا بالمثل ولا تزيدوا عليه فإن استيفاء الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه في عدل الله تعالى ورحمته وفي قوله تعالى وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به دليل على أن الأولى له أن لا يفعل كما أنك إذا قلت للمريض إن كنت تأكل الفاكهة فكل التفاح كان معناه أن الأولى لك أن لا تأكله فذكر تعالى بطريق الرمز والتعريض أن الأولى ترك المرتبة الثانية الانتقال من التعريض إلى التصريح وهو قوله تعالى (ولئن صبرتم له وخبر للصابرين) وهذا تصريح بأن الأولى ترك ذلك الانتقام لأن الرحمة أفضل من القسوة والانتفاع أفضل من الانتقام وقرأ أهل القولون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقون برفعها المرتبة الثالثة هو الأمر الجازم بالترك وهو قوله تعالى (واصبر) لأنه في المرتبة الثانية ذكر أن الترك خير وأولى وفي هذه المرتبة الثالثة صرح بالأمر بالصبر في هذا المقام * ولما كان الصبر في هذا المقام شديداً شاقاً ذكر بعده ما يفيده سهولته بقوله تعالى (وما صبرك إلا بالله) أي الملك الأعظم الذي شرع لك هذا الشرع الاقوم فذلك بتوفيقه وهوته وهذا هو السبب الكلي الأصلي ثم ذكر بعده ما هو السبب الجزئي القريب بقوله سبحانه وتعالى (ولا تحزن عليهم) أي في شدة كفرهم قبل الغ في الحرص الباطح للنفس (ولأنك في ضيق) ولوقل كالحق اليه بتوئين التخصير (مما يكرون) أي من استقرار مكرهم بك واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وكانك به وقد أي فاصبر فإن الله معزك ومظهر دينك وقرأ ابن كثير بكسر الصاد والباقون بنصبها * (تنبيه) * هذا من الكلام المقلوب لأن الضيق صفة والصفة تكون حاصلة في الموصوف ولا يكون الموصوف خاصاً في الصفة فكان المعنى ولا يكن الضيق فيك إلا أن الفائدة في قوله تعالى ولأنك في ضيق هو أن الضيق إذا عظم وقوى صار كالشيء المحيط بالإنسان من كل الجوانب وصار كالقصر المحيط به فكالت الفائدة في ذكر هذا اللفظ هذا المعنى المرتبة الرابعة قوله تعالى (إن الله) أي الجامع لصفات الكمال بلطفه وعونه (مع الذين اتقوا) أي يوجد منهم الخوف من الله تعالى واجتنبوا المعاصي (والذين هم محسنون) في أعمالهم والشفقة على خلقه وهذا يجري مجرى

التهديد لان في المرتبة الاولى رغبة في ترك الانتقام على سبيل الرمز وفي الثانية عدل عن الرمز الى التصريح وهو قوله تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وفي المرتبة الثالثة أمر بالصبر على سبيل الجزم وفي هذه المرتبة الرابعة كنه ذكر الوعيد على فعل الانتقام فقال ان الله مع الذين اتقوا أى عن استبعاد الزيادة والذين هم محسنون أى في ترك أصل الانتقام فكانه تعالى قال ان أردت أن أكون معك فكن من المتقين ومن المحسنين وهذه المحبة بالرحمة والفضل والترية وفي قوله تعالى اتقوا اشارة الى التعظيم لأمر الله وفي قوله والذين هم محسنون اشارة الى الشفقة على خلق الله تعالى قبل لهم بن حبان عند قرب وفاته أوص فقال ان الوصية في المال ولا مال الى ولكن أوصيكم بخواتيم سورة النحل * (تنبيه) * قال بعضهم ان قوله تعالى وان عاقبتهم الى لهو خير للصابرين منسوخ بآية السيف قال الرازي وهذا في غاية البعد لان المقصود من هذه الآية تعليم حسن الادب في كيفية الدعوى الى الله تعالى وترك التعدي وطلب الزيادة ولا تعلق لهذه الاشياء بآية السيف وما رواه البيضاوي نعا للزخشرى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما أنتم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاحا وأولمته كان له من الاجر كالذي مات وأحسن الوصية حديث موضوع قال الرازي في آخر هذه السورة يقول مصنف الكتاب الحق عزيز والطريق بعيد والمركب ضعيف والقرب بعدد الوصل هجر والحقائق مصونة والمعالى في غيب الغيب مكنونة والأسرار فباوراء أقفال العزة مخزونة وبيد الخلق القيل والقال والكمال ليس الا الله تعالى ذى الاكرام والجلال

﴿سورة الاسراء﴾ وسمى سبحانه وبني اسرائيل عليه

الاوان كادوا الآيات الثمان مائة وعشر آيات وأحدى عشرة وألف وخسمائة وثلاث وثلاثون كلمة وعدد حروفها ستة آلاف وأربعمائة وستون حرفا

(بسم الله) الملك المالك لجميع الامور (الرحمن) لكل ما أوجده بما ربه (الرحيم) لمن خصه بالتزام العمل بما يرضاه وقوله تعالى (سبحان) اسم بمعنى التسيب الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويجمع من الصرف للعلمية وزيادة الالف والنون قال الاعشى في مدحه عامر بن الطفيل

قد قلت لما جاء في نغره * سبحانه من علقمة الفاخر

أى العجب منه اذ يفخر والعرب تقول سبحانه من كذا اذا تعجبوا منه الشاهد في سبحانه حيث جعله علما على التنزيه فنهى الصرف وعلقمة المذكور صوابي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شيخ فأسلم وابع واستعمله عمر بن الخطاب رضى الله عنه على حوران فلت بها (الذى أسرى بعبدته) هو محمد صلى الله عليه وسلم الذى هو أشرف عباد الله على الإطلاق وأختمهم بالاضافة اليه وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي أسرى بالامالة مخضة وورش بين بين

والباقون بالفتح وقوله تعالى (لئلا) نصب على الظرف والاسراء سبب الليل وفائدة ذكره
 الإشارة بتكثيره الى تقبل مدته فكان هذا الامر الجليل في جرم يسير من الليل والى أنه عليه
 الصلاة والسلام لم يحتاج في الاسراء والعروج الى سدة المنتهى وبمعاج الكلام من العلى الاعلى
 الى راحة بصيام ولا غيره بل كان مهياً لذلك متأهلاً له فأقامه تعالى من القربى الى العرش
 (من المسجد الحرام) أى بعينه وهو الذى يدل عليه ظاهر لفظ القرآن وروى أنه صلى الله
 عليه وسلم قال بينما أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل
 بالبراق وقيل كان نائمًا في الحطيم وقيل في بيت أم هانئ بنت أبي طالب قال البقاعي وهو قول
 الجمهور والمراد بالمسجد حيث ذاب الحرم لانه فناء المسجد (الى المسجد الأقصى) أى بيت المقدس
 الذى هو بعيد المسافة حينئذ وأبعد المسجد من الاعظم من مطلقا من مكة المرفقة بينهما
 أربعون ليلة فسمى بالانبياء كلهم ابراهيم وموسى ومن سواهما على جميعهم أفضل الصلاة
 والسلام ورأى من آياتنا الكبرى ما قدرنا له كما سيأتى في حديث المعراج ورجع بين أظهرهم الى
 المسجد الاقرب منكم في ذلك الجزء اليسير من الليل وأنتم تضرعون أكاد ابل في هذه
 المسافة شهر اذها وبشهر البياض ثم وصفه تعالى بما يقتضى تعظيمه وأنه أهل القصد بقوله تعالى
 (الذى باركنا حوله) أى بما لنا من العظمة بالمياه والاشجار وقال مجاهد سماه مباركاً لانه مقر
 الانبياء ومهبط الملائكة والوحى ومنه يحشر الناس يوم القيامة وموطن العبادات ومعدن
 القواكد والارزاق والبركات وبارك تعالى حوله لاجله فاطنك به نفسه فهو أنفع من باركنا فيه
 ثم منه الى السموات العلى الى سدة المنتهى الى ما لم ينله شمر غيره صلى الله عليه وسلم قال البقاعي
 ولعل حذف ذكر المعراج من القرآن هنا لقصور افهامهم عن ادراك أدلته وأنكره بخلاف
 الاسراء فانه أعظم دليلاً عليهم بما شاهدوه من الامارات التى وصفها لهم وهم فاطمون بأنه صلى
 الله عليه وسلم لم يرها قبل ذلك فلما بان صدقه بما ذكر من الامارات أخبر بعد ذلك من أراد
 الله تعالى بالمعراج ثم ذكر سبحانه وتعالى الغرض من الاسراء بقوله تعالى (لتريه بعينه وقلبه
 من آياتنا) أى بما تبين قدرتنا السماوية والارضية كما أريشأباه الخليل عليه السلام
 ملكوت السموات والارض (انه) أى الله (هو السميع) لجميع الاقوال (البصير) أى
 العالم بأحوال عباده فيكرم ويقرّب من شاء منهم وقيل انه أى هذا العبد الذى اختصه سبحانه
 بالاسراء هو أى خاصة السميع أى أذننا وقلبا بالاجابة لنا والاذعان لادامرنا البصير بصرا
 وبصيرة بدليل ما أخبر به من الآيات وصدق من الدلالات حتى نعت ماسألو عنه من بيت
 المقدس ومن أمر عيبرهم وغيرهما بما هو مشهور في قصة الاسراء واختلف هل أسرى بروحه
 أو بجسده صلى الله عليه وسلم فمن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها كانت تقول ما فقدت جسده
 النبي صلى الله عليه وسلم ولكن أسرى بروحه ولا كثرون على أنه أسرى بجسده في المقطة
 ونوازرت الاخبار العجيبة على ذلك منها قوله صلى الله عليه وسلم أوتيت بالبراق وهو دابة أبيض
 فوق الحمار وودن البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فصار بي حتى أتيت بيت المقدس

قوله الذى هو الخ
 كلام غير مستقيم اه

فربطت الدابة بالحلقه التي تربط فيها الانبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني
جبريل بانام من غروا انه من لبن فاخترت اللبن قال جبريل عليه السلام اصبت الفطرة قال
صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي الى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل
فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال قد ارسل اليه ففتح لنا فاذا انا با آدم فرحب بي
ودعاني بخير ثم عرج بي الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت فقال جبريل فقيل
ومن معك قال محمد قيل قد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابي الخلاء يعجى وعيسى
فرحباني ودعوا الى بخير ثم عرج بي الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من انت قال
جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد ارسل اليه قال قد ارسل اليه ففتح لنا فاذا
انا يوسف واذا هو قد اعطى شطر الحسن فرحب بي ودعاني بخير ثم عرج بي الى السماء الرابعة
فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد ارسل اليه قال
قد ارسل اليه ففتح لنا فاذا انا بادر يس فرحب بي ودعاني بخير ثم عرج بي الى السماء الخامسة
فاستفتح جبريل فقيل من انت فقال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل قد ارسل اليه
قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بهرون فرحب بي ودعاني بخير ثم عرج بي الى السماء السادسة
فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال
قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بهوسي فرحب بي ودعاني بخير ثم عرج بي الى السماء السابعة فاستفتح
جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث
اليه ففتح لنا فاذا انا براهيم فاذا هو مستند الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم
سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى السدرة المنتهى فاذا وورقيها كادان الفيلة
واذا غمرها كالقلال فلما غشيها من امر الله ما غشيها تغيرت فاعاد من خلق الله يستطيع
ان يصفها من حسناتها قال صلى الله عليه وسلم فاعرج الى عبده ما اوحى وفرض علي في كل يوم
وليلة خمسين صلاة فترت حتى انتهيت الى موسى فقال ما فرض ربك علي اتمت قلت خمسين
صلاة في كل يوم وليلة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان اتمت لا تطيق ذلك واني قد بلوت
بنى اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربى فقلت له اى رب خفف عن امتى فخطب عني خمسا
فرجعت الى موسى فقال ما فعلت فقلت قد خطب عني خمسا قال ان اتمت لا تطيق ذلك فارجع الى
ربك فاسأله التخفيف لان اتمت لا تطيق ذلك قال فلم ازل ارجع بين ربى وبين موسى ويحط عني
خمسا خمسا حتى قال يا محمد هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشرين فقلت خمسون صلاة
ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرين ومن هم بسنة فلم يعملها
لم تكتب فان عملها كتبت سنة واحدة فترت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته فقال ارجع الى
ربك فاسأله التخفيف لانه اتمت لا تطيق فقلت قد رجعت الى ربى حتى استجبت رواء
الشيخان وروى انه قال بعد ذلك ولكن ارضى واسلم فلما جاوزت نادى مناد ا مضيت فريضتى
ونخفت عن عبادى ثم ادخل الجنة فاذا فيها جنازة اللؤلؤ واذا ترابها المسك وروى انه لما

وصل الى سدرة المنتهى فاذا اربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت ما هذان
 يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع الى البيت
 المعمور ثم أتيت بانام من خروا نام من لين ونام من غسل فاخترت اللين فقال هي القطرة التي
 أنت عليها وأنتك قال ثم فرضت على الصلاة بخسين صلاة يوم فرضت فمرت على موسى وساق
 الحديث ومنها ما رواه الحاكم في المستدرک عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم رأيت ربي عز وجل قال هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ليلة أسري به الى بيت المقدس قال والشجرة الملعونة في القرآن هي شجرة الزقوم ومنها
 ما رواه قتادة عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم
 عن ليلة الاسراء به قال بنا أنا في الحطيم ورجعا قال في الحجر مضطجع ومنهم من قال بين النائم
 واليقظان وذكر بين رجلين وأتيت بطشت من ذهب مملوءة حكمة وإيمانا فشق من النحر
 الى مراق البطن واستخرج قلبي فغسل ثم حشي ثم أعيد وقال سعيد وهشام ثم غسل البطن
 بماء زمزم ثم ملي إيمانا وحكمة ثم أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل
 يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته وساق بقية الحديث ومنها ما روى أنه صلى الله عليه
 وسلم كان نائما في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة على أم
 هانئ وقال مثل لي النبیون فصليت بهم ثم وقام ليخرج الى المسجد فتشبت أم هانئ بشوبه فقال
 مالك قالت أخشى أن يكذبك الناس وقومك أن أخبرتهم قال وان كذبوني فخرج اليهم
 وروى أنه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به فكان بنى طوى قال يا جبريل
 إن قومي لا يصدقوني قال يصدقك أبو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعائشة عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم لما كانت ليلة أسرى بي فأصبحت بمكة قطعت بأمرى وعرفت أن
 الناس يكذبوني فروى أنه عليه الصلاة والسلام قدم معترلا حزينا فخر به أبو جهل فجلس
 اليه فقال كالمستترى هل استفتدت من شيء قال نعم أسرى بي الليلة قال الى أين قال الى بيت
 المقدس قال ثم أصبحت بين ظهراينا قال نعم فقال أبو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي
 هلموا فانقضت اليه المجالس فجاءوا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتني قال نعم
 اني قد أسرى بي الليلة قالوا الى أين قال الى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم
 نحن بين مصفق ووضع يده على رأسه فجهما وانكرا وارتداس من كان آمن به وسعى رجال الى
 أبي بكر رضي الله عنه فقالوا له هل لك صاحبك يزعم أنه امرى به الليلة الى بيت المقدس قال
 أوقد قال قالوا نعم قال ان كان ذلك لقد صدق قالوا تصدقه على ذلك قال اني لأصدق على
 أبعين ذلك أصدقه على خبر السماء في غيرة أو وروحة فسمى الصديق قال وفي القوم من كان
 بأبي المجد الاقصي فقالوا فهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد الاقصي قال نعم قال فذهبت
 أنعت وأنعت فأنزلت أنعت حتى التبس على قال فحي بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع دون
 دار عقيل فنعت المسجد وأنا أنظر اليه فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب ثم قالوا يا محمد

أخبرنا عن غيرنا فهي أهم السماهل لقيت منها شيئا قال نعم مررت على عيسى بن فلان وهي بالروحاء
 وقد أضلوا بعير الهيم وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ماء فعضت فأخذته وشربته ثم
 وضعته كما كان فأسألوه هل وجدوا الماء فقال قدح حين رجعوا إليه قالوا هذه آية قال ومررت
 بعيسى بن فلان وفلان وفلان وكان قعود الهيمان ففر بعيرهما مني ففرى بفلان فأنكسرت
 يده فأسألوه ما عن ذلك قالوا وهذه آية قالوا فأخبرنا عن غيرنا حتى بقي قال مررت بهم بالنعيم
 قالوا فاعتدتها وما حملها وما أجالها ومن فيها فقال هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها
 جمل أو ورق عليه غرار نان مخبطان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه آية ثم خرجوا
 يشهدون فقوا الثنية وهم يقولون والله لقد قص محمد شيئا وبينه حتى أتوا كداء فجلسوا عليه
 فجعلوا ينظرون حتى تطلع الشمس فيكذبونه إذا قال قائل منهم هذه الشمس والله قد أشرقت فقال
 آخر والله وهذه العير قد أقبلت بقدمها جل أو ورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا إلا سحر
 مبین والأوراق من الأبل الذي في لونه بياض إلى سواد وهو أطيب الأبل لما قاله الجوهري ومنها
 ما روى عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج
 سقف بيتي وأباجكة فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله من ماء زمزم وجاء بطشت من ذهب
 مملئ حكمة وأبجانا فأفرغها في صدرى ثم أظف به عرجي إلى السماء فلما
 جئنا إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء افتح قال ومن هذا قال جبريل قال هل معك
 أحد قال نعم معي محمد قال فأسل إليه قال نعم ففتح قال فلما علونا السماء الدنيا فإذا رجل
 عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا
 بالابن الصالح والنبي الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الأسودة التي
 عن يمينه وعن شماله نسيم فيه فأهل البين منهم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار
 وإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى ثم عرج بي جبريل حتى أتى إلى السماء الثانية
 فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قاله خازن السماء الدنيا فقال أنس بن مالك فذكر أنه
 وجد في السموات آدم وأدريس وموسى وعيسى وإبراهيم ولم يبين كيف منازلتهم غير أنه ذكر
 أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة قال فلما ترجع جبريل ورسول الله صلى
 الله عليه وسلم يادريس فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح قال قلت من هذا قال أنه
 أدريس قال ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت من هذا قال
 هذا موسى فقال ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت من هذا
 قال عيسى ثم مررت بإبراهيم فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح قال قلت من هذا قال
 هذا إبراهيم قال ابن شهاب أخبرني ابن جزم إن ابن عباس كان يقول كان النبي صلى الله
 عليه وسلم يقول ثم عرج بي حتى ظهرت بمسوى أسمع فيه صراخا لا أقدر أن أسمع عن قتادة
 عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة أسري به صريحا لمحا فاستصحب عليه
 فقال جبريل لي يا محمد تفعل هذا فما ركبت أحدا كرم على الله من فضله فافرض مرقا قال ابن زيد

عن أبيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهيت الى بيت المقدس قال جبريل باصبعه
 تخرق به ساجرا وشذبه البراق وفي رواية أنه جاء جبريل بالبراق الى النبي صلى الله عليه وسلم
 وقال له يا محمد اركب فركبه صلى الله عليه وسلم ^{ومعه} جبريل وطار به البراق في الهواء فاخترق
 به الجوف فعبس صلى الله عليه وسلم واحتاج الى الشراب فأتاه جبريل بإناء من لبن وإناء من
 خمر وذلك قبل تحريم الخمر فعرضهما عليه فتناول اللبن فقال له جبريل عليه السلام أصبت
 الفطرة أصاب الله تعالى بك أمتك ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يتناول اللبن بالعلم فلما وصل
 الى السماء الدنيا استفتح الى أن قال ثم عرج بي الى سدرة المنتهى وأخبره جبريل أن أعمال
 بني آدم تنتهي الى تلك السدرة وأنها مقر الأرواح فهي نهاية لما ينزل مما فوقها ونهاية لما يعرج
 اليها عما هو دونها وبها مقام جبريل عليه السلام فنزل صلى الله عليه وسلم عن البراق ورجى اليه
 بالرفرف وهو نظير الخفة عندنا فاقعد عليه وسلمه جبريل الى الملك النازل بالرفرف فسأله الصبية
 لبأس به فقال له لا أقدر لو خطوت خطوة لاحترقت فها هنا الاله مقام معلوم وما أسرى الله بك
 يا محمد الا ليريك من آياته فلا تغفل فودعه وانصرف مع ذلك الملك والرفرف والملك ينشئ به الى
 أن ظهر لمستوى سمع فيه صرير الاقلام في الألواح وهي تكتب ما يجري به الله تعالى في خلقه
 وما تنسخه الملائكة من أعمال عباده قال تعالى انا كنا ننسخ ما كنتم تعملون ثم رجع بي في النور
 زججة فأقره الملك الذي كان معه وتأخر عنه فلم يره معه فعلم أن الرفرف ما تدلى الا لتكون البراق
 له مكان لا يتعداه كجبريل لما بلغ الى المكان الذي لا يتعداه وقف وكذلك الرفرف لما وصل الى
 مقام لا يتعداه رجع به في النور فغمره النور من جميع نواحيه وأعطى علما آخر لم يكن يعلمه
 قبل ذلك عن وحى من حيث لا يدري وجهته وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم لقد رأيتني وأنا في الجحور قريرش تسألني عن مسراي فسألني عن أشيائي من بيت المقدس
 لم أت بها فكربت كربة ما كربت مثلها قط فرفعه الله الى لا نظير اليه فأسألتني عن شئ الا أنبئتهم
 به وقدرأيتني في جماعة من الانبياء فاذا بموسى قائم يصلي فاذا رجع كانه من رجال شروا
 واذا عيسى بن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شبيها عروة بن مسعود الثقفي واذا ابراهيم قائم
 يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني به نفسه صلى الله عليه وسلم فحانت الصلاة فأمنهم فلما فرغت
 قال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار صلى الله عليه وسلم فالتفت اليه فبدأني بالسلام وعن جابر أنه سمع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبني قريرش قلت الى الجبر فجعل الله لي بيت المقدس
 وذكر الحديث وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت موسى
 ليلة أسرى بي عند الكتيب الاحمر وهو قائم يصلي في قبره (فان قيل) رأى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم موسى يصلي في قبره وكيف تصلي الانبياء بعد الموت وهم في دار الآخرة (أجيب) بأن
 صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبياء عليهم السلام بيت المقدس يحفل أن الله تعالى جمعهم له
 ليصلي بهم ويعرفوا فضلهم وتقديهم عليهم ثم ان الله تعالى أراه اياهم في السموات على مراتبهم
 ليعرف هو مراتبهم وفضلهم وأما موسى وهو قائم يصلي في قبره عند الكتيب الاحمر

فيحصل انه كان بعد رجوعه من المعراج وأما حكم صلاة الانبياء وهم في الدار الآخرة فهم في حكم الشهداء بل هم أفضل منهم وقد قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء فالانبياء بعد الموت أولى وأما حكم ضلاتهم فيحصل أنهم بالذكر والدعاء وذلك من أعمال الآخرة قال تعالى دعواهم فيها سبحانه اللهم وورد في الحديث أنهم سبهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس ويحصل أن الله تعالى خصهم بخصائص في الآخرة كما خصهم في الدنيا بخصائص لم يخص بها غيرهم منها أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أنه رآهم يلبون ويحجون فكذلك الصلاة والله أعلم بمحقق الأمور وروى عن شريك بن عبد الله قال سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاء ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو قائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو قال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم وساق حديث المعراج بقصته قال فاذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان قال ماهذان يا جبريل قال هذان النيل والفرات عنصرهما ثم مضى به في السماء فاذا هو بنهر آخر عليه نهر من لؤلؤ ويزر جرد فضرب يده فاذا هو مسك أذفر قال ماهذا يا جبريل قال هو الكوثر الذي خبأ لك ربك وذكر في آخر حديثه أنه صلى الله عليه وسلم قال في آخر الحديث ثم علا بي حتى جاء مدبرة المتهى ودنا الجبار رب العزة فقلني فكان منه كقاب قوسين وأدنى فإوحى إليه وذكر عائشة أن النبي ذاق قسدي جبريل عليه السلام وسيأتي الكلام على ذلك أن شاء الله تعالى في سورة النجم (فان قيل) قوله تعالى أتريه من آياتنا يدل على أنه تعالى ما رآه البعض الآيات لأن كلمة من تفيد التبعية وقال في حق إبراهيم عليه الصلاة والسلام وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض أي ملكهما فيلزم أن يكون معراج إبراهيم أفضل من معراج محمد عليهما السلام (أجيب) بأنه لما أضيفت تلك الآيات إلى الله تعالى دل على أنها أفضل مما رآه إبراهيم (تنبيه) قال النووي في شرح مسلم قد جاء في رواية شريك في حديثه أو هام أنكر عليه العلماء فيها أنها قوله وذلك قبل أن يوحى إليه وهو غلط لم يوافق عليه وإن الاسراء أقل ما قبل فيه أنه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا وقال الطبراني كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهري كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة سنين قال ابن اسحق أسرى به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة والقبائل وقيل كان الاسراء في رجب ويقال في رمضان قال النووي وأشبهه الاقوال قول الزهري وابن اسحق وعلميل على أنه أسرى بحجده صلى الله عليه وسلم قوله تعالى أسرى به بعد ولقظ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وقوله صلى الله عليه وسلم آتيت بالبراق وهو اسم للذابة وهي التي ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به واشتقاقه من البرق لسرعته أولشدة صفائه وبياضه ولعانه وتلا لؤلؤره والحلقة باسكان اللام ويجوز فتحها والمراد بربط البراق بالحلقة الأخذ بالاختياط في الأمور وتعالطي الأسباب وإن ذلك لا يقدح في التوكل إذا كان الاعتماد على الله تعالى وقوله جاءني جبريل بأنام من خروا نام من ابن فاخترت اللبن فيه اختصار

قوله عليه السلام
 من لؤلؤ ويزر جرد
 من لؤلؤ ويزر جرد

والتقدير قال الى اخترا فاخترت اللبن وقول جبريل اخترت الفطرة يعني فطرة الاسلام وجعل اللبن علامة الفطرة الصحيحة السليمة لكونه سهلا طيبا سافقا للشاربين وانه سليم العاقبة يخلاف الخمر فانهم أثم الخبائث وبالبينة لانواع الشر وقوله ثم عرج بي حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل فيه بيان الادب لمن استأذن أن يقول أنا فلان ولا يقول أنا فقط فانه مكروه وفيه أن السماء أبو ابوابنا بين عليها حرسا وقول بواب السماء وقد أرسل اليه وفي الرواية الاخرى وقد بعث اليه معناه للاستواء وصعود السماء وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة فان ذلك لا يخفى عليه الى هذه المدة وقوله فاذا أنا بآدم وذكر جماعة من الانبياء فيه استحباب لقاء أهل الفضل والصلاح بالبشر والترحب والكلام الحسن وانه كان الزائر أفضل من الزور وفيه جواز مدح الانسان في وجهه اذا أمن عليه من الاعجاب وغيره من أسباب الفتنة وقوله فاذا أنا بآدم مستند ظهره الى البيت المعمور فيه دليل على جواز الاستناد الى القبلة وتحويل ظهره اليها وقوله ذهب بي الى السدرة المنتهى هكذا وقع في هذه الرواية بالالف واللام وفي باقي الروايات الى سدرة المنتهى قال ابن عباس وغيره من المفسرين سميت بذلك لان علم الملائكة ينتهي اليها ولم يجاوزها أحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود سميت بذلك لكونه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله عز وجل وقوله واذا نمرها مثل القلال هو بكسر القاف جمع قله بعضهم اوهى الجوزة الكبيرة التي تسع قرتين أو أكثر وقوله فرجعت الى ربّي قال النووي معناه رجعت الى الموضوع الذي ناجيته منه أولا فناجيته فيه ثانيا وقوله فلم أزل أرجع بين موسى وبين ربّي معناه بين موضع مناجاة ربّي وقوله ففرض علي أمتي خمسين صلاة الى قوله فوضع عني خمسا وفي رواية شطرها وفي رواية عشر اليس بين هذه الروايات منافاة لان المراد بالشرط الجزم وهو الخمس وليس المراد منه النصف وأما رواية العشر فهو رواية شريك ورواية الخمس رواية قتادة وهو أثبت من شريك والمراد حط عني خمسا الى آخره ثم قال هي خمس وهن خمسون يعني خمسين في الاجر والثواب لان الحسنه بعشر أمثالها واحتج العلماء بهذا الحديث على جواز نسخ الشيء قبل فعله وفي الحديث انه شق صدره ليلة المعراج وقد شق صدره أيضا في صغره وهو عند حليمة التي كانت ترضعه فالمراد بالشق الثاني زيادة التطهير لما يراى به من الكرامة ليلة المعراج وقوله أثبت بطشت من ذهب قديهم انه يجوز استعمال الذهب لنا وليس الامر كذلك لان هذا الفعل من فعل الملائكة وهم مباح لهم استعمال الذهب أو لعل هذا كان قبل تحريره وقوله ممتلئ حكمة وإيماناً فافرقها في صدرى فديقال الحكمة والايمن من المعاني والافراغ صفة الاجسام فاصفى ذلك أجيب بأنه يمكن ان جعل في الطشت شيء يحصل به كمال الايمان والحكمة وزيادته مما نجي ايمانا وحكمة لكونه سبيلها وهذا من أحسن الجواز وقوله في صفة آدم فاذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة هو جمع ميواد وقد فسره في الحديث بأنه نسف فيه يعني أرواح نبيه (فان قيل) أرواح المؤمنين في السماء وأما أرواح الكفار فتمت

الارض السفلى فكيف تكون في السماء (أجيب) بأنه يحتمل أن أرواح الكفار تعرض على آدم عليه السلام وهو في السماء فوافق وقت عرضها على آدم مرور النبي صلى الله عليه وسلم فأخبر عماراًى وقوله اذا انظر عن يمينه ضحك واذا انظر عن شماله بكى فبقي شفقة الوالد على أولاده وسروره وفرحه بحسن حال المؤمن منهم وحزنه على حال الكافر منهم وقوله في ادريس مرجبا بالاخ الصالح والنبي الصالح قد اتفق المؤرخون انه هو اخنوخ جد نوح فيكون جد النبي صلى الله عليه وسلم كما أن ابراهيم جدته فكان ينبغي أن يقول بالنبي الصالح والابن الصالح كما قال آدم و ابراهيم (وأجيب) بأنه قيل ان ادريس المذكور هنا هو الباس وهو من ذرية ابراهيم فليس هو جد نوح فانه القاضي عياض وقال النووي ليس في هذا الحديث ما يمنع كون ادريس أبا النبي صلى الله عليه وسلم وان قوله الاخ الصالح يحتمل أن يكون فانه ناطقا وتأدبا وهو أخ وان كان ابنا لان الانبياء اخوة والمؤمنون اخوة انتهى وانما أطلت في بيان ذلك لان الكلام مع الاحبة يحلو ولولا خوف الملل ما اقتصرنا على ذلك فقد قال بعض المفسرين لأعلم في الكتاب العزيز سورة تضمنت من خصائصه التي فضل بها كافة الانبياء ما تضمنته هذه السورة ولكن في هذا القدر كفاية لاولى الالباب * ولما ثبت بهذه الخارقة ما أخبر به صلى الله عليه وسلم عن نفسه المقدسة من عظيم القدرة وما جاءه صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات في هذا الوقت اليسر أتبعه ما مضى في السير من مصر الى الارض المقدسة من الآيات في مدد طو وال موسى عليه الصلاة والسلام الذي كان أعظم الانبياء بركة على هذه الامة ليله الاسراء لما أرشد النبي صلى الله عليه وسلم اليه من مراجعة الله تعالى في تحقير الصلاة حتى رجعت من خمسين الى خمس مع أجر خمسين فقال (وأتينا) أي بعظمتنا (موسى الكتاب) أي التوراة (وجعلناه) أي الكتاب بما لنا من العظمة (هدى لبني اسرائيل) بالجل على العدل في التوحيد والاحكام وأسر شاعوسى عليه السلام وبقومه من مصر الى بلاد المسجد الأقصى فأقاموا سائرين اليها أربعين سنة ولم يصلوا ومات كل من خرج الا المتقين المؤمنين بالعهد فقد بان الفضل بين الاسراءين كما بان الفضل بين الكتابين فذكر الاسراء أول دليل على حذف مثله أول فالآية من الاحتباك ثم نبه على أن المراد من ذلك كلمة التوحيد اعم فاداء وعبادة بقوله تعالى (أن لا) أي لا (تأخذوا) على قراءة أبي عمرو وبالباء على الغيبة وقرأ غيره بالتاء على أن لا تأخذوا كقولك كتبت اليه أن افعل كذا (من دوني وكبلا) أي ربنا تكون اليه أموركم وذلك هو التوحيد فلا معراج أعلى ولا درجة أشرف ولا نعمة أعظم من أن يصير المرء غرقا في بحر التوحيد وأن لا يقول في أمر من الامور الا على الله تعالى فان نطق نطق بذكر الله وان تفكر تفكر في دلائل تنزيه الله وان طلب طلب من الله فيكون كله لله وبالله والى الله وقوله تعالى (ذرية) نصب على الاختصاص في قراءة أبي عمرو وعلى النداء عند الباقين أي يا ذرية (من حملنا) أي في السفينة بعظمتنا على ظهر ذلك الماء الذي طبق ما تحت أديم السماء وبه تعالى على شرفهم وقيام نعمتهم بقوله تعالى (مع نوح) ففي ذلك تذكري بانعام الله تعالى

عليهم وانجاء آباؤهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح لانه كان معه في السفينة ثلاث بنين سام وحام وياث فالناس كلهم من ذرية أولئك قال البقاعي لان الصحيح أن من كان معه من غير ذريته ما نوا ولم يعقبوا ولم يقل ذرية نوح لانه علم انهم عقب أولاده المؤمنين لتكون تلك منة أخرى * ثم انه تعالى أثنى على نوح خنا على الاقتداء به في التوحيد كما اقتدى به آباؤهم في ذلك بقوله تعالى (انه كان عبدا شكورا) أى مبالغا في الشكر الذى هو صرف العبد لجميع ما أنعم الله تعالى به عليه لما خلق له روى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا أكل كل قال الحمد لله الذى أطعنى ولوشاء أجاعنى وفي رواية انه يسمي اذا أكل ويحمد اذا فرغ واذا شرب قال الحمد لله الذى سقانى ولوشاء أظمأنى واذا اكتسى قال الحمد لله الذى كسأنى ولوشاء أعرأنى واذا احتدى قال الحمد لله الذى حدأنى ولوشاء أحفأنى واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذى أخرج عنى أذاه فى عافية ولوشاء أحبسني وفي رواية انه كان يقول الحمد لله الذى اذا قنى لذته وأبقى منفعتي فى جسدي وأخرج عنى أذاه وفي رواية انه كان اذا أراد الاطعام عرض طعامه على من مرتبه فان وجدته محتاجا أثره * ولما ذكر تعالى انعامه على بنى اسرائيل بازال التوراة عليهم وبأنه جعل التوراة هدى لهم بين انهم ما هتدوا بهداهيل وقعوا فى الفساد بقوله تعالى (وقضينا) أى وأوحينا (الى بنى اسرائيل) أى الى بنى عبدنا يعقوب عليه السلام الذى كان أطوع أهل زمانه وحيا مقطوعا مشبوتا (فى الكتاب) أى التوراة التى قد أوصلناها اليهم على لسان موسى عليه السلام وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ وقوله تعالى (لتفسدن) جواب قسم محذوف ويجوز أن يجرى القضاء المشبوت بجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كأنه قال وأقسمنا لتفسدن (فى الأرض) أى أرض الشام قاله السيوطى وقال الرازى أرض مصر ويوافق الأول قول البقاعى أى المقدسة التى كانت لها لشرفها هى الأرض (مرتين) أى افسادتين قال فى الكشف أولاها قتل زكريا عليه السلام وحبس أرميا حين أئذهم بسخط الله تعالى والاخرى قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم وقال البيضاوى الاولى مخالفة أحكام التوراة وقتل شعبا أو قتل أرميا وثانيه ما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام (ولتعلن) أى بما صرتم اليه من البطر لتسيان المنعم (علوا كبيرا) بالظلم والتمرد لانه يقال لكل متخير قد علا وتعظم (فاذا جاء وعد أولاهما) أى أولى مرتضى الفساد وهو الوقت الذى جددنا لهم الانتقام فيه (بعنا عليكم عبادنا) أى لايدان لكم بهم كما قال تعالى (أولى بأس شديد) أى أصحاب قوة فى الحرب واختلف فيهم فقال فى الكشف سحاريب وجنوده وقيل بختنصر وقال ابن عباس جالوت قتلوا اعلماهم وأحرقوا التوراة وخربوا المساجد وسبوا منهم سبعين ألفا وقال البيضاوى عبادنا بختنصر عامل لهم اسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الخزرى وهو بيهام فزأى مقتوحين فرائسهم الى الخزرى وهو ضيق العين وصغرها وهو الذى قتله داود وأوجيل من الناس وذكر الرازى فى ذلك قولين الاول ان الله تعالى سلط عليهم بختنصر فقتل منهم أربعين ألفا عمن يقرأ التوراة وذهب

بالبقية الى ارض نفسه فبقوا هنالك الى المثل الثاني أن الله تعالى ألقي الرب من بني اسرائيل
 في قلوب الجوس فلما كثرت المعاصي فيهم أزال الله ذلك الرب عن قلوب الجوس فقصدهم
 وبالفوق قتلهم وانفائهم واهلاكهم وأخرج ابن أبي حاتم عن عطية قال أفسدوا المرة الاولى
 فأرسل الله عليهم جم جالوت فقتلهم وأفسدوا المرة الثانية فقتلوا يحيى بن زكريا فبعث الله عليهم
 بختنصر وعن ابن مسعود قال كان أول الفساد من قتل زكريا فبعث الله عليهم ملك القبط
 وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال الاولى قتل زكريا والاخرى قتل يحيى قاله الرازي
 واعلم أنه لا يتعلق كتب غير عرض في معرفة أولئك الاقوام بأعيانهم بل المقصود هو أنهم
 لما كثروا من المعاصي سلط الله عليهم أقواما فقتلهم وافنواهم ثم قال الله تعالى (فأصأ) أي
 تردوا اليكم (خلال الديار) أي وسطها القتل والغارة قال البيضاوي فقتلوا كبارهم وسبوا
 صغارهم وحرقوا التوراة وحرقوا المسجد والمعصرة لما منعوا أسلمة الله الكافر على ذلك
 أولوا البعث بالتخليئة انتهى وفي ذلك تعريض بالزخشي فانه قال في كشافه (فان قلت) كيف
 جاز أن يبعث الله تعالى الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه (قلت) معناه خلطنا بينهم وبين مافعلوا ولم
 نمنعهم على ان الله عز وجل أسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله تعالى وكذلك نولي بعض
 الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون (وكان) أي ذلك البعث ووعد العقاب به (وعدا
 مفعولا) أي قضاء كائننا لازما لاشك في وقوعه ولا بد أن يفعل (ثم رددنا لكم الكثرة) أي
 الدولة والغلبة (عليهم) حتى تبت عن ذنوبكم ورجعتم عن الفساد في زمن داود بقتله جالوت
 وذلك بعد مائة سنة (وأمددناكم بأموال) تستعينون به على قتال عدوكم (وبين) يتقوون
 بهم (وجعلناكم أكثر) من عدوكم (نفيرا) أي عشيرة تنفر معكم عند ارادة القتال وغيره من
 المهمات والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفروهم المجتمعون للذهاب الى العدو
 * ولما حكى الله تعالى عنهم أنهم لما عصوا سلط الله عليهم أقواما قصدوهم بالقتل والنهب والسبي
 ولما تابوا أزال عنهم تلك الحنة وأعاد عليهم الدولة فعند ذلك ظهر أنهم ان أطاعوا الله فقد
 أحسنوا الى أنفسهم وإن أصروا على المعصية فقد أساءوا على أنفسهم وقد تنزرت في العقول
 أن الاحسان الى النفس حسن مطلوب وإن الاساءة اليها قبيحة فلهذا المعنى قال تعالى (إن
 أحسنتم) أي يفعل الطاعة على حسب الامر في الكتاب الداعي الى العدل والاحسان (أحسنتم
 لانفسكم) أي لان نوابها (وإن أسأتم) بارتكاب المحرمات والافساد فلها أي الاساءة
 لان نوابها عليها قال النعمانيون وانما قال وإن أسأتم فلها للتعاقيل والمعنى فاليها وفعلها كما مر
 مع أن حروف الاضافة يقوم بعضها مقام بعض كقوله تعالى يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك
 أوحى لها أي اليها * (تنبيه) * قال أهل الاشارات هذه الآية تدل على ان رجة الله غالبية
 على غضبه بدليل أنه تعالى لما حكى عنهم الاحسان ذكرهم مرتين فقال تعالى ان أحسنتم أحسنتم
 لانفسكم ولما حكى عنهم الاساءة اقتصر على ذكرها مرة واحدة فقال تعالى وإن أسأتم فلها
 ولولا ان جانب الرحمة غالب والا لما كان كذلك ثم قال (فاذا جاء وعد الآخرة) أي ثانية في

الانساد وهو الوقت الذي حددناه للانتقام فيه (ليسوا) أي بعثنا عليكم عبادنا اليسوا
 (وجوهكم) أي يجعل آثار الاساءة بائنة فيها وحذف متعلق اللام لدلالة الأول عليه وقرأ
 الكسافي بعد اللام بنون مفتوحة على التوحيد والضمير فيه لله والباقون بالياء مفتوحة وأما
 الهمزة التي بعد الواو التي بعد السين فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص بضم الهمزة ومدها
 والباقون بفتح الهمزة ولا مد وقوله تعالى (وليدخلوا المسجد) عطف على ليسوا والمراد
 بالمسجد الأقصى الذي سقناكم اليه من مصر في تلك المدد الطوال وأعطيناكم بلادهم بالتدريج
 وجعلناه محل عزكم وأمنكم ثم جعلناه محلا لأكرام أشرف خلقنا بالاسراء به اليه وجعل أرواح
 النبيين كلهم فيه وصلاته بهم وهذا تعريض بتهديد لقريش بأنهم ان لم يرجعوا بابل الله أنهم في
 الحرم خوفا وعزهم ذلا وأدخل عليهم جنود الا قبل لهم بها وقد فعل ذلك عام الفتح لكنه فعل
 اكرام لا اهانة ببركة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم (كما دخلوه) أي الاعداء (أول مرة)
 بالسيف ويقهروا جميع جنودكم دفعة واحدة (وليستروا) أي يهلكوا ويدهم وأمع التقطيع
 والتفريق (ما علوا) أي عليه من ذلك وقيل ما مصدرية أي مدة علومهم (تتيرا) أي اهلاكا
 قال الزجاج وكل شيء جعلته مكسرا مفتتا فقد تبرته ومنه قيل تبر الزجاج وقبر الذهب لمكسره
 ومنه قوله تعالى ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال الرازي وهذه المرة
 الاخيرة هي اقدامهم على قتل زكريا ويحيى عليهم ما السلام قال البيضاوي وذلك بأن سلط عليهم
 الفرس مرة أخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه حردون وقيل جردوس قبل
 دخل صاحب الجيش مذبح قراينهم جمع قربان فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان
 لم يقبل منا فقال ما صدقتموني فقتل عليه ألوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ماتركت
 منكم أحدا فقالوا انه دم يحيى فقال لمنزل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى أي خطا بالدمه
 قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أهلك فاهدأ باذن الله قبل أن لا يبقى أحد منهم فهدا
 أي سكن وقال الواحدى فبعث الله تعالى عليهم بختنصر البابلي اليهودي أبغض خلقه اليه
 فسيبى اسرائيل وخرب بيت المقدس قال الرازي أقوال التواريخ تشهد أن بختنصر كان
 قبل وقت عيسى ويحيى وزكريا بسنين متطاولة ومعلوم أن الملك الذي انتقم من اليهود ملك
 الروم يقال له قسطنطين الملك والله أعلم بأحوالهم ولا يتعلق غرض من اغراض تفسير القرآن
 بمعرفة أعيان هؤلاء الاقوام انتهى ولما انقضى ذلك كان ككأنه قيل هل بقي لهم نصرة
 على عدوهم فقال تعالى (عسى ربكم أن يرجحكم) يا بني اسرائيل بعد انتقامه منكم فترو الدولة
 اليكم ثم بعد أن أطعمهم فزعهم بقوله تعالى (وان عدتم) أي الى المعصية (عدنا) اي الى صب
 البلاء عليكم في الدنيا مرة أخرى قال الفقهاء انما جعلنا هذه الآية على عذاب الدين لقوله
 تعالى في سورة الاعراف خبرا عن بني اسرائيل واذ تأذن ربك ليعتصم عليهم الى يوم القيامة
 من يسوءهم سوء العذاب ثم قال وانهم قد عادوا الى فعل ما لا ينبغي وهو التكذيب بمحمد
 صلى الله عليه وسلم وكتان ما ورد في التوراة والانجيل فعاد الله تعالى عليهم بالتعذيب على أيدي

العرب فجري على بن النضير وقرينة بنى فينقاع وهو دخيبر ما جرى من القتل والجلاء
ثم الباقي منهم مفهرون بالجزية لملكهم ولا سلطان ثم قال تعالى (وجعلنا) أى بعد ذلك
بعظمنا (جهنم) أى التي تلي داخلها بالقهيم والكراهة (للكافرين) وذكر الوصف الظاهر
موضع الضمير لبيان تعلق الحكم به على سبيل الرسوخ سواء في ذلك هم وغيرهم وقوله تعالى
(حصيرا) يحتمل أن يكون فعلا بمعنى الفاعل أى جعلنا جهنم حاصرا لهم ويحتمل أن يكون
بمعنى مفعول أى جعلنا هاهنا موضعا محصورا لهم والمعنى أن عذاب الدنيا وإن كان شديدا
قويا إلا أنه قد ينقلب بعض الناس عنه والذي يقع في ذلك العذاب يتخلص منه أما بالموت وأما
بطريق آخر وأما عذاب الآخرة فإنه يكون حاصرا للإنسان محيطا به لا رجاء في الخلاص عنه
فهؤلاء الأقوام لهم من عذاب الدنيا ما وصفناه ويكون لهم بعد ذلك من عذاب الآخرة
ما يكون محيطا بهم من جميع الجهات ولا يتخلصون منه أبدا * ولما بين سبحانه وتعالى كتاب
موسى عليه السلام الذي أنزل عليه فيما بين مصر وبيت المقدس في تلك المدة المتطاولة وجعله
هدى لبنى اسرائيل صادق الوعد والوعيد بنى تعالى كتاب محمد صلى الله عليه وسلم الذي أنزل
عليه منه في سبب مسيره اليه في ذلك ووصفه بثلاثة أنواع من الصفات الأولى قوله تعالى
(إن هذا القرآن) أى الجامع لكل حق والفارق بين كل ملتبس (يهدى للتي) أى إلى الطريق
التي (هى أقوم) أى أصوب من كل طريق فقوله تعالى للتي هى أقوم نعت لموصوف محذوف
كما تقتضيه يصح أن يقدر الملة والشريعة أى يهدى إلى الملة والشريعة التي هى أقوم الملل
والشرائع ومثل هذه الكتابة كثيرة الاستعمال في القرآن كقوله تعالى ادفع بالتي هى أحسن
وقيل إلى الكلمة التي هى أعدل وهى شهادة أن لا إله إلا الله * (تنبيه) * لفظ افعل قد جاء بمعنى
الفاعل كقولنا الله أكبر أى الله الكبير وكقولنا الأشج والناقص أعدا لى من وإن فأقوم يحتمل
أن يكون كذلك وأن يبقى على ظاهره الصفة الثانية قوله تعالى (ويبشر المؤمنين) أى الراسخين
في هذا الوصف ولهذا قيدهم يا نالهم بقوله (الذين) أى يصدقون إيمانهم بأنهم (يعملون)
أى على سبيل التجديد والاستمرار والبناء على العلم (الصالحات) من التقوى والإحسان (أن لهم
أجرا كبيرا) هو الجنة والنظر إلى وجه الله تعالى وقر أحزرة والكسائي بفتح الباء وسكون الباء
الموحدة وضم الشين مخففة والباقون بضم الباء وفتح الباء الموحدة وكسر الشين مشددة (فإن
قيل) قال هنا أجرا كبيرا وفي الكهف أجرا حسنا (أجيب) بوقوع ذلك لموافقة القواصل قبل
وبعدى كل منهما الصفة الثالثة قوله تعالى (وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة لا يعتدنا) أى أحضرنا
وهيأنا (لهم عذابا أليما) وهو النار في الآخرة وهو عطف على أن لهم أجرا كبيرا والمعنى أنه
تعالى بشر المؤمنين بنوعين من البشارة بنوهم وبعقاب أعدائهم نظيره قولك بشرت زيد بأنة
سيعطى وبأن عدو سيمنع (فان قيل) كيف يليق لفظ البشارة بالعذاب (أجيب) بأن هذا
مذكور على سبيل التهكم أو أنه من باب إطلاق أحد الضدين على الآخر كقوله تعالى وجرأه
سبئة سيئة مثلها وعلى يبشر بأضمار يخبر (فان قيل) هذه الآية واردة في شرح أحوال اليهود

وهم ما كانوا يشكرون الايمان بالآخرة (أجيب) بأن أكثر اليهود ينكرون الثواب والعقاب
 الجسمانيين وبأن بعضهم قال لن نحمسنا النار الا بأمام معدودات فهم بذلك صاروا كالمنكرين
 للآخرة ولما بين سبحانه وتعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والانسان قد يقدم على مالا
 فائدة فيه بنبوه تعالى (ويدع الانسان بالنسرة) عند مجمره على نفسه وأهله وماله (دعاه) أي
 مثل دعائه (بالخير) ولو استجيب له في الشر كما يستجاب له في الخير لهلك روى أنه صلى الله عليه وسلم
 دفع إلى السودة بنت زمعة أسيراً فأقبلت في الليل فقالت له مالك فبكي وشكا فرجته فارخت ككافه
 فهرب فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعابه فاعلم بشفائه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اقطع
 يدها فرفعت سودة يديها تتوقع أن يقطع الله تعالى يدها فندم النبي صلى الله عليه وسلم وقال
 اللهم انما أنا بشر اغضب كما يغضب من فخر دعوت عليه فاجعل دعائي رجلة وقيل المراد النضر
 ابن الحرث حيث قال اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الى آخرة
 فأجاب الله تعالى دعاه وضربت رقبته يوم بدر صبراً وكان بعضهم يقول اثنتا عذاب الله
 وآخرون يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وانما فعلوا ذلك الجهل ولا اعتقاد أن محمداً
 كاذب فيما يقول وقيل المراد أن الانسان قد يبالغ في الدعاء طالبا للشيء قد يعتقد أن خيره فيه مع
 ان ذلك الشيء منبع لشره وضرره وهو يبالغ في طلبه لجهله بحال ذلك الشيء وانما يقدم على مثل
 هذا العمل لكونه عجولاً مغتراً بظواهر الامور غير متقصص عن حقائقها وأسرارها كما قال
 تعالى (وكان الانسان) أي الجنس (عجولاً) أي يسارع الى كل ما يخطر بباله ولا ينظر الى عاقبته
 وقيل المراد آدم عليه السلام لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط * (تنبيه) * حذف
 واو ويدع أي التي هي لام الفعل خطا في جميع المصاحف ولا موجب لحذفها لفظاً في العربية
 لكنها لما كانت لا تظهر في اللفظ حذفت في الخط ونظيره قوله تعالى سندع الزبانية وسوف
 يؤت الله المؤمنين ويوم يناد المنادي فاعتن النذر قال القراء ولو كان ذلك بالواو والياء
 لكان صواباً وقال الرازي أقول هذا يدل على انه سبحانه وتعالى قد عظم هذا القرآن الجهد
 عن التحريف والتغيير فان اثبات الواو والياء في أكثر ألفاظ القرآن وعدم اثباتها في هذه
 المواضع المعدودة يدل على ان هذا القرآن نقل كما سمع وان أحد الم يتصرف فيه بمقدار فهمه
 وقوة عقله ولما بين تعالى ما وصل من نعم الدين وهو القرآن اتبعه بما وصل اليهم من نعم الدنيا
 فقال (وجعلنا الليل والنهار آيتين) دالتين على تمام العلم وشمول القدرة آية الليل كالات
 المتشابهة وآية النهار كالحكمة فكان المقصود من التكليف لا يتم الا بذكر المحكم
 والمتشابه فكذلك الزمان لا يتيسر الانتفاع به الا بهاتين الآيتين (فحوتاً) أي بعظمنا بالهارة
 (آية الليل) أي طمسنا نورها بالظلام ليسكنوا فيه فجعلنا لها ليصير فيها المراتب كما لا يصير
 الكتاب اذا محي (وجعلنا) مما لنا من القدرة (آية النهار بمصره) أي مبصر فيها بالضوء
 فلا تزال هذه الدار الناقصة في تنقل من نور الى ظلمة ومن الظلمة الى النور كما كان الانسان بعقله
 التي يدعو اليها طبعه وقائمه الداعي اليه عقله من انتقال من نقصان الى كمال ومن كمال الى

نقصان كما ان القمر الذي هو أنقص من الشمس كذلك قال ابن عباس جعل الله نور الشمس
 سبعين جزءاً ونور القمر كذلك فحي من نور القمر تسعة وستين جزءاً فجعلها مع نور الشمس وحكى
 ان الله تعالى أمر جبريل فأمر بجناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي
 فيه النور وسأل ابن ذكوان علياً رضي الله عنه عن السواد الذي في القمر قال هو أثر ما هو
 * (تنبيه) * المراد من الآيتين بعض الليل والنهار فالإضافة للبيان أي انه تعالى جعلهما
 دليلين للخلق على مصالح الدين والدنيا أما الذين فلان كل واحد منهما مضاف للدلالة على مغايرته
 مع كونهما متعاقبين على الدوام وهو من أقوى الدلائل على انه ما غير موجودين بذاتهما
 بل لا بد لهما من فاعل يديرهما ويقدرهما بالقادير المخصوصة وأما في الدنيا فلان مصالح الدنيا
 لا تتم الا بالليل والنهار فلو لا الليل لم يحصل السكون والراحة ولو لا النهار لم يحصل الكسب
 والتصرف وقيل الليل والنهار نظر فان والتقدير وجعلنا آيتين في الليل والنهار والمراد بالآيتين
 على هذا أما الشمس والقمر وأما تكوير هذا على هذا وهذا على هذا ثم ذكر تعالى بعض المنافع
 المرتبة على ذلك بقوله تعالى (لتبغوا) أي تطلبوا طلباً شديداً (فضلاً من ربكم) أي المحسن
 اليكم فيهما نضياء هذا تارة ونور هذا أخرى (ولتعلموا) بفصل هذا عن هذا (عدد السنين
 والحساب) لان الحساب يبنى على أربع مراتب الساعات والايام والشهور والسنين والعدد
 للسنين والحساب لما دون السنين وهي الشهور والايام والساعات وبعد هذه المراتب الاربعة
 لا يحصل الا التكرار كأنهم رتبوا العدد على أربع مراتب الواحد والعشرات
 والمئات والالوف وليس بعدها الا التكرار * ولما ذكر تعالى أحوال آتئ الليل والنهار
 وهما من وجه دليلان فاطعان على التوحيد ومن وجه آخر نعمتان عظيمتان من الله تعالى
 على أهل الدنيا وقد ذكر تعالى في آيات كثيرة منافعهما كقوله تعالى وجعلنا الليل لباساً وجعلنا
 النهار معاشاً وكقوله تعالى جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبغوا من فضله وشرح
 تعالى حالهما وفصل ما فيهما من وجوه الدلالة على الخالق ومن وجوه النعم العظيمة على الخلق
 كان ذلك تفصيلاً نافعا وتبياناً كاملاً فلا جرم قال تعالى (وكل شيء) أي لكم اليه حاجة في مصالح
 دينكم ودنياكم (فصلناه تفصيلاً) أي بيناه تبيناً وهو كقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء
 وكقوله تعالى وزلنا عليك الكتاب تبيناً لكل شيء وقوله تدمر كل شيء بأمر ربها وانما ذكر
 تعالى تفصيلاً لاجل تأكيد الكلام وتقريره فكأنه قال فصلناه حقاً * ولما بين تعالى انه أوصل
 الى الخلق أصناف الأشياء النافعة لهم في الدنيا والدين مثل آتئ الليل والنهار وغيرهما كان منهما
 عليهم بوجود النعم وذلك يقتضي وجوب اشتغالهم بخدمة وطاعته فلا جرم كل من ورد عرصة
 الإقامة فانه يكون مسؤولاً عن أعماله وأقواله كما قال تعالى (وكل انسان أزمناه) أي بعظمته
 (ظانراً) أي عمله الذي قدرناه عليه من خير وشر لان العرب كانوا اذا أرادوا الاقدام
 على عمل من الاعمال وأرادوا أن يعرفوا ان ذلك العمل يسوقهم الى خير أو الى عمل شر اعتبروا
 أحوال الطير وهو انه يطير بنفسه أو يحتاج الى ازعاجه واذا اطار فهو يطير بغيره متيامناً ومقياسراً

أو مساعد إلى الجوى غير ذلك من الأحوال التي كانوا يعتبرونها ويستدلون بكل واحد
منها على أحوال الخير والشر والسعادة والخسارة فلما كثرت ذلك منهم سموا أنفسهم الخبر والشعر
بالطائر نسجته للشيء باسمه لازمه فقوله تعالى وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه أى وكل إنسان
ألزمناه عمله (في عنقه) الذى هو محل التزين بالقلادة ونحوها ومحل الشين بالغل ونحوه فان كان
عمله خيرا كان كالقلادة والحلي في العنق وهذا مما يزينه وان كان عمله شرا كان كالغل
في عنقه وهو مما يشينه وقال مجاهد ما من مولود يولد الا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شئ أو سعيد
قال الرازي والتعقيق في هذا الباب أنه تعالى خلق الخلق وخص كل واحد منهم بمقدار
مخصوص من العقل والفهم والعلم والعمر والرزق والسعادة والشقاوة والانسان لا يمكنه
أن يتجاوز ذلك المقدار وان كان يخترع عنه بل لا بد وأن يصل اليه ذلك القدر بحسب الكمية
والكيفية فتلك الاشياء المقدرة كانها تطير اليه وتصور اليه فلهذا المعنى لا يعد
أن يعبر عن تلك الأحوال المقدرة بلفظ الطائر فقوله تعالى ألزمناه طائره في عنقه كناية عن
كل ما قدره الله ومعنى في عنقه حصوله له فهو لازم له واصل اليه غير مخوف عنه واليه
الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة انتهى ملخصا ثم قال
تعالى (وتخرج له يوم القيامة كتابا) أى مكتوب وباقية عمله لا يفتاد رصيرة ولا كبيرة
الأحصاها قال الحسن بسط لك صحيفة و وكل بك ملكان فهم ما عينك وعن
شمالك فأما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذى عن شمالك فيحفظ لك سيئاتك حتى
إذا امت طويت صحيفةك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة وقوله تعالى (يلقاه
منشورا) صفتان للكتاب أقرأ ابن عامر بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف على البناء للمفعول
من لقيه كذا أى استقبلته به والباقون بفتح الياء وسكون اللام وتحفيف القاف وأمال
الالف بعد القاف جزء والكسائي محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح ثم انه اذا
لقى كتابه يوم القيامة يوم العرض قيل له (أقرأ كتابك) أى بنفسك (كنى بنفسك اليوم) الذى
تكشف فيه الستور وتظهر جميع الامور (عليك حسيبا) أى حاسب بالياء فانك تعطى
القدرة على قراءته أى ما كتبت أو قارئنا ولا ترى فيه زيادة ولا نقصانا ولا تقدر أن تنكر منه حرفا
وان أنككره لساتك شهدت عليك اركانك فيا لها من قدرة باهرة وقوة فاهرة ونصفه ظاهرة
قال الحسن عدل والله في حقك من جعلك حاسب نفسك وقال السدي يقول الكافر يومئذ
انك قضيت انك لست بظلام للعبيد فاجعلنى أحاسب نفسى فيقال له أقرأ كتابك كنى بنفسك
اليوم عليك حسيبا (فان قيل) قد قال تعالى وكفى بنا حاسبين فكيف الجمع في ذلك (أجيب)
بأن المراد بالحاسب هنا الشهيد أى كفى بنفسك اليوم شاهد عليك أو ان القيامة مواقف
مختلفة في موقف بكل الله تعالى حاسبهم الى أنفسهم وعلمه محيط بهم وفي آخر يحاسبهم
هو وقوله تعالى (من اهدى فاعنا يهدي لنفسه) لان ثواب اهدائه له لا ينبغي غيره (ومن ضل
فاعنا يضل عليها) أى ائمه عليها فلا يضرب في ضلاله سواء كما قال الكلبي دلالة على ان العبد يمكن

من الخبر والشر وانّه غير مجبور على عمل بعينه أصلاً لأنّ قوله تعالى من اهتدى الى آخره انما يليق بالقادر على الفعل المتكّن منه كيف شاء وأراد أنما المجبور على أحد الطرفين الممنوع عن الطرف الثاني فهذا لا يليق به هذا مذهب أهل السنة والجماعة فانه ترشد ثم انه تعالى أعاد تقرير أن كل أحد مختص بأثر عمل نفسه بقوله تعالى (ولا تزد) أى نفس (وآزره) أى آمة أى لا تتحمل (وزر) نفس (أخرى) بل انما تتحمل وزرها فقط (فان قيل) ورد أن المظلوم يأخذ من حسنات الظالم فاذا لم يوف يؤخذ من سيئات المظلوم وتطرح على الظالم (أجيب) بأن ذلك بسببه فهو كفعله (فان قيل) قد ورد أن الميت يعذب ببكاء أهله (أجيب) بأن ذلك محمول على ما إذا أوصى بذلك وكان ذلك الفعل كفول طرفه بن العبد

اذامت فانعني بما أنأهله * وشقّى على الجيب يابنة معبد

وعليه حمل الجمهور الاخبار الواردة بتعذيب الميت على ذلك (فان قيل) ذنب الميت فيما اذا أوصى أو أمر بذلك فلا يتكلف عذابه بامتنالههم وعدمه (أجيب) بأن الذنب على السبب بعظم بوجود المسبب وشاهده من سن سنة سنة الخ وقال الشيخ أبو حامد أن ما ذكر محمول على الكافر وغيره من أهل الذنوب ثم قال تعالى (وما كان) أى على ما لئامن القدرة (معذبين) أحداً حتى نبعث رسولا) بين له ما يجب عليه من بلغته دعوته فخاف أمره واستكبر عن اتباعه عذبه بما يستحقه وهذا أمر قد تحقق بإرسال آدم عليه السلام ومن بعده من الانبياء الكرام عليهم السلام في جميع الامم قال تعالى ولقد أرسلنا نافي كل أمة رسولا وقال تعالى وان من أمة الا خلا فيها نذير فان دعوتهم الى الله تعالى قد انتشرت وعت الاقطار واشتهرت (فان قيل) الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسول لأن معهم أدلة العقل التي بها يعرف الله تعالى وقد اغفلوا النظر وهم متكون منه واستحقاقهم العذاب لا غفالههم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا اغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الابعاد الايمان (أجيب) بأن بعثة الرسول من جملة التبيين على النظر والايضا من رقة الغفلة للثلاث يقولوا انا كنا عن هذا غافلين فهلا بعثت الينا رسولا ينهنا على النظر في أدلة العقل وفي الآيات يدل على أن لا وجوب قبل الشرع * (فائدة) في حكم أهل القبرتين بين نوح وادريس وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهم ثلاثة عشر قسماً ستة سعداء وأربعة أشقياء وثلاثة تحت المشيئة فأما السعداء فقسم واحد الله تعالى بنور وجهه في قلبه كقسم بن ساعدة فانه كان يقول اذا سئل هل لهذا العالم اله قال البعرة تدل على البعير وأثر الاقدام يدل على المسير وقسم واحد الله تعالى بما تجلّى لقلبه من النور الذي لا يتدر على دفعه وقسم أتى في نفسه وأطلع من كشفه على منزلة محمد صلى الله عليه وسلم فأمن به في عالم الغيب وقسم اتبع مله حق من تقدمه وقسم طالع في كتب الانبياء فعرف شرف محمد صلى الله عليه وسلم فأمن به وقسم آمن بنبيه الذي أرسل اليه وأدرك رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وأمن به فله أجران وأما الاشقياء فقسم غفل لاعن نظر بل عن تقليد وقسم غفل بعد ما ثبت لاعن استقصاء بنظر وقسم أشرك عن

تقليد محض وقسم علم الحق وعائده وأما الذي تحت المشيئة فقسم عطل فلم يقر بوجوده عن نظر
 قاصر لضعف في مزاجه وقسم أشركه عن نظر أخطأ فيه وقسم عطل بعدما ثبت لأعن نظر
 بلغ فيه أقصى القوة هكذا قسم محي الدين بن عربي في الباب العاشر من الفتوحات المكية ونقل
 ذلك عنه شيخ وقته الشيخ عبد الوهاب الشعراني ونقل عن السيوطي أن أبوى النبي
 صلى الله عليه وسلم لم تبلغهما الدعوة والله تعالى يقول وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
 وحكم من لم تبلغه الدعوة أنه يموت ناجيا ولا يعذب ويدخل الجنة قال وهذا مذهب
 لا خلاف فيه بين المحققين من أئمتنا الشافعية في الفقه والأشاعر في الأصول ونص على ذلك
 الإمام الشافعي رضي الله عنه وتبعه على ذلك الأصحاب قال السيوطي وقد ورد في الحديث
 أن الله تعالى أحيا أبوى به حتى أنسابه وعلى ذلك جماعة من الحفاظ منهم الخطيب البغدادي
 وأبو القاسم بن عساكر وأبو حفص بن شاهين والسهيلي والقرطبي والطبري وابن المنير وابن
 سيد الناس وابن ناصر الدين الدمشقي والصفدي وغيرهم والاولى لنا الامسالة عن ذلك فإن
 الله تعالى لم يكلفنا ذلك ونكل الامر في ذلك الى الله تعالى ونقول كما قال النووي لما سئل
 عن طائفة ابن عربي تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا
 يعملون * ولما أشار تعالى الى عذاب المخالفين قرأ أسبابه وعرف أنها بقدره وان قدره
 لا يمنع حقوق العذاب بقوله تعالى (وإذا أردنا) أن نحيا قرية الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة
 ألقينا في قلوب أهلها امتثالاً وأمرنا والتقصيد بالتباع رسلنا وإذا أردنا (أن نهلك قرية) في
 الزمن المستقبل (أمرنا) أي بالنامن القدرة التامة الشاملة (مترفها) أي منعهم الذين
 لهم الامر والنهي قال الاكثرون أمرهم الله تعالى بالطاعة والخير على لسان رسله (ففسقوا
 فيها) أي خرجوا عن طاعة الله ورسوله وقال صاحب الكشف ظاهر اللفظ يدل على أنه تعالى
 يأمرهم بالفسق فيفسقون الآن هذا مجاز ومعناه أنه يفتح عليهم أبواب الخيرات والراحات
 فعند ذلك تمردوا واطغوا وبغوا قال والدليل على أن ظاهر اللفظ يقتضي ما ذكرناه ان المأمور به
 انما حذف لان قوله ففسقوا يدل عليه يقال أمرته فقام وأمرته ففقر لا يفهم منه الا أن المأمور
 به قيام وقراءة فكذلك هنا لما قال أمرنا مترفها ففسقوا فيها اوجب أن يكون المعنى أمرناهم
 بالفسق ففسقوا لا يقال بشكل هذا بقوله لهم أمرته ففصاني وخالفني فإن هذا كلام لا يفهم
 منه أي أمرته بالمعصية والمخالفة لا نقول ان المعصية منافية للامر ومنافضة له فيكون كونها
 مأمورا بها مخالفا لهذه الضرورة تركا هذا الظاهر انتهى قال الرازي ولقائل أن يقول كما
 أن قوله أمرته ففصاني يدل على أن المأمور به شيء غير المعصية من حيث ان المعصية منافية
 للامر ومنافضة له فكذلك قوله أمرته ففسق يدل على أن المأمور به غير الفسق لان الفسق عبارة
 عن الايمان به فكونه فسقا ينافي كونه مأمورا به كما أن كونه معصية ينافي كونها مأمورا بها
 فوجب أن يدل هذا اللفظ على أن المأمور به ليس بفسق وهذا الكلام في غاية الظهور ولم أدر لم
 أمر صاحب الكشف على قوله مع ظهور فساد فثبت أن الحق ما ذكره السلك وهو أن المعنى

أمرناهم بالأعمال الصالحة وهي الإيمان والطاعة والقوم خالفوا ذلك الأمر عندا وأقدموا
على الفسق (حق عليها القول) أي الذي توعدناهم به على لسان رسولنا (قد مرناهم تدويرا)
أي أهلكنا بأهلها وأهلكنا بديارهم وخص المترفين بالذكر لأن غيرهم يقيمهم ولا نهم
أمرع إلى الحماقة وأقدر على القصور وقيل معناه كثرتنا وروى الطبراني وغيره حديثا خيرا المال
سكة مأبورة ومهرة مأبورة أي كثيرة التناج والسكة بكسر السين وتشديد الكاف الطريقة
المصطفة من النخل والمأبورة الملقحة قال ذلك الجوهري وروى أن رجلا من المشركين
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني أرى أمرًا هذا حقيرا فقال صلى الله عليه وسلم
انه سيأمر أي سيكثر وسيكبر وعن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنها أن النبي
صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شرٍ قد اقترب فزع اليوم
من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بين أصبعيه الإبهام والتي تليها قالت زينب قلت
يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا ~~كثرت~~ كثرت الخبث أي الشر وويل يقال لمن وقع
في سهلكة أو أشرف أن يقع فيها وقوله تعالى (وكم أهلكنا) أي عاينا من العظمة وبين مدلول كم
بقوله تعالى (من القرون) أي المكذبين (من بعد نوح) كعاد وحمود من الأمم الماضية يخوف
به الكفار أي كفار مكة قال عبد الله بن أبي أوفى القرن عشرون ومائة سنة وقبل مائة سنة
روى عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بشر المازني أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على
رأسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن القاسم ما زلنا نعد له حتى تمت له مائة سنة ثم مات
وقال الكلبي القرن ثمانون سنة وقبل أربعون ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وكفى
بربك) أي المحسن إليك بذنوب عباده خيرا بصيرا أي عالميا واطنها وظواهرها فكم من
إنسان كنتم ترونه من أكابر الصالحين ثم استقرت عاقبته على خلاف ذلك وكم من شخص ترونه
يحجته في العبادة فاذا خلا بارز به بالعظام وتقدم الخبر لتقديم متعلقه * ولما قرأ أنه سبحانه
وتعالى عالمي واطن عباده وظواهرهم قسمهم إلى قسمين الأول قوله تعالى (من كان يريد
العاجلة) أي الدنيا مقصورا عليها هم (جعلنا له فيها) أي العاجلة بأن نقض عليه من منافعها
(ما يشاء) أي من البسط والتقدير (لمن يريد) أي ان تفعل به ذلك فقيده تعالى الأمر بقيد
أحدهما تقييد المجلل بأرادته ومشئته والثاني تقييد المعجل بأرادته وهكذا الحال ترى كثيرا
من هؤلاء يمتنون بما يمتنون ولا يعطون إلا بعضا منه وكثير منهم يمتنون ذلك البعض وقد حرموه
فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة * (تنبيه) * لمن يريد بدل بعض من كل من الضمير في له
بإعادة العامل تقديره لمن يريد تحصيله ويقال إن الآية في المنافقين كانوا يراون المسلمين
ويقرون معهم ولم يكن غرضهم إلا مساومتهم في الغنائم وضوؤها وهذا هو المناسب لقوله تعالى
(ثم جعلنا وجههم نجسنا بصلاه) أي في الآخرة (مذموما) أي مذمورا به الذم (مدحورا) أي
مدفوعا طرودا مبعدها وان ذكره البضاوي بصيغة قتل * ثم ذكر تعالى القسم الثاني وشرط فيه
ثلاثة شروط الأول قوله تعالى (ومن أراد الآخرة) أي أراد بعمله ثواب الآخرة فإنه ان لم ينو

ذلك لم ينتفع بذلك العمل لقوله تعالى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وقوله صلى الله عليه وسلم إنما
الاعمال بالنيات الثاني قوله تعالى (وسعى لها سعيها) وذلك يقتضي أن يكون ذلك العمل من
باب القرب والطاعات وكثير من الضلال يتقربون بعبادة الاوثان ولهم فيها تأويلات أحدها
أنهم يقولون الله العالم أجل وأعظم من أن يقدر الواحد منا على اظهار عبوديته وخدمته
ولكن غاية قدرتنا أن نشغل بعبادة بعض المقر بين من عباد الله بأن نشغل بعبادة كوكب
أو ملك من الملائكة ثم إن الملك أو الكوكب يشغل بعبادة الله تعالى فهو لا يتقربون الى
الله تعالى بهذا الطريق وهذه طريقة فاسدة فلا جرم أنه لم ينتفع بها ثانيها أنهم قالوا اتخذنا هذه
التماثيل على صورة الانبياء والاولياء والمراد من عبادتها أن تصير تلك الانبياء والاولياء شفعا
لنا عند الله وهذا الطريق أيضا فاسد فلا جرم لم ينتفع بها ثالثها أنه نقل عن أهل الهند أنهم
يتقربون الى الله بقتل أنفسهم تارة وبأحراق أنفسهم أخرى وهذه الطريقة أيضا فاسدة فلا
جرم لم ينتفع بها وكذا القول في جميع الفرق المبطلين الذين يتقربون الى الله تعالى بذاهم
الباطلة الثالث قوله تعالى (وهو مؤمن) لأن الشرط في كون أعمال البر مقضية للثواب هو
الايان فان لم يوجد لم يحصل المشروط وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلاث لم ينتفع عمله
ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وقلا هذه الآية ثم انه تعالى أخبر عن وجود هذه
الشروط بقوله تعالى (فاولئك) أى العالو الرتبة لجمعهم الشروط الثلاثة (ان سعيهم
مشكوراً) أى مقبولا لما عليه بالتضعيف وبعضهم يفتقر له أبواب الدنيا مع ذلك كداود
وسليمان عليهما السلام ويستعمله فيما عايناه من مرضاة الله تعالى وبعضهم يزويها عنه كرامة
له لا هو انابه فربما كان الفقر خيرا له وأعون على مراده فالخاصل أنها ان وجدت عند الولي
لم تفسده وان عذمت عنه لم تحقره وانما التشريف وغيره عند الله تعالى بالأعمال (تنبيه)*
كل من أتى بفعل اما أن يقصده به تحصيل خيرات الدنيا واما أن يقصده به خيرات الآخرة واما أن
يقصده به مجموعهما واما أن لا يقصده واحدا منهما فان قصده به تحصيل الدنيا فقط وتحصيل
الآخرة فقط فالله ذكر حكم هذين القسمين في هذه الآية وأما القسم الثالث فيقسم الى ثلاثة
أقسام اما أن يكون طلب الآخرة واجهاً ومرجوحاً ويكون الطالبان متعادلين فان كان
طلب الآخرة واجهاً فهل يكون هذا العمل مقبولا عند الله تعالى فيه رأيان أحدهما أنه غير
مقبول لقوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله تعالى أنه قال أنا أغنى الأغنياء عن الشر لم ين عمل
علا أشرك فيه غيري تركته وشركه وأيضا طلب رضوان الله اما أن يكون سببا مستقلا لكونه
باعنا لهم على ذلك الفعل وداعيا اليه واما أن لا يكون فان كان الأول امتنع أن يكون لغيره
مدخل في ذلك البعث والدعاء لأن الحكم اذا أسند لسبب تام كامل امتنع أن يكون لغيره مدخل
فيه وان كان الثاني فيكون الداعي الى ذلك الفعل هو المجموع وذلك المجموع ليس هو طلب
رضوان الله لأن المجموع الحاصل من الشيء ومن غيره يجب أن يكون مغاير الطلب ورضوان
الله فوجب أن لا يكون مقبولا للرأى الثاني أنه مقبول لأن طلب الآخرة لما كان واجهاً على

طلب الدنيا تعارض المثل بالمثل فبقى القدر الزائد داعية خالصة لطلب الآخرة فوجب كونه مقبولا وأما إذا كان طلب الدنيا وطلب الآخرة متعادلين أو كان طلب الدنيا راجحا فقد انفقوا على أنه غير مقبول إلا أنه على كل حال خير مما إذا كان طلب الدنيا خاليا بالكلية عن طلب الآخرة وأما القسم الرابع وهو الأقدام على الفعل من غير داع فهذا مبنى على أن صدور الفعل من القادر هل يتوقف على حصول الداعي أم لا فالذين يقولون أنه يتوقف على حصول الداعي قالوا هذا القسم يمنع الحصول والذين قالوا لا يتوقف قالوا هذا الفعل لا أثر له في الباطن وهو محرم في الظاهر لأنه عبث * ثم إنه تعالى قال (كَلَّا) أى من الفريقين مرید الدنيا ومرید الآخرة (عَدَّ) أى بالعطاء ثم أبدل من كَلَّا قوله تعالى (هَوَلَاءَ) أى الذين طلبوا الدنيا ثم (وهوَلَاءَ) أى الذين طلبوا الآخرة ثم (من عطاء ربك) أى المحسن اليك أن ضيق على مؤمن فبالجملة من الدنيا الغاية التي اغتاض لعب ولهو وان وسع فبالاستعمال فيها على حسب ما يرضيه (وما كان عطاء ربك) أى الموجد للامداد المدبر لا مرئ (محظورا) أى ممنوعا في الدنيا عن مؤمن ولا كافر بل هو ملء السهل والجبل من الذهب والفضة والحديد والنحاس والجواهر والثمار وأقوات الناس والبهائم وغير ذلك مما لا يحصى إلا الله تعالى حتى لو اجتمع كل الناس على جمعه ليلا ونهارا ولم يكن لهم شغل سوى ذلك لأعباهم ولم يقدروا عليه فسيهان الجواد المعطى المانع ثم إنه تعالى أمر بالنظر في عطائه هذا على وجهه مرغبا في الآخرة مرهبا في الدنيا بقوله تعالى (انظر) أى أيها الإنسان أو يا محمد (كيف فضلنا بعضهم على بعض) فأوسعنا على مؤمن وقرنا على كافر وأوسعنا على كافر وقرنا على كافر آخرون بين سبحانه وتعالى وجه الحكمة في التفاوت في سورة الزخرف بقوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات الآية وقال تعالى في آخر سورة الانعام ورفع بعضكم فوق بعض درجات * (تنبيه) * كيف نصب آما على التشبيه بالنظر وآما على الحال وهي معلقة بالنظر بمعنى فكروا وأنصروا * ولما به تعالى على أن ما نراه من التفضيل انما هو بمحض قدرته أخبر أن ما بعد الموت كذلك بقوله تعالى (وللاخرة أكبر) أى أعظم (درجات وأكبر تفضيلا) من درجات الدنيا ومن تفضيلها فإن نسبة التفاضل في درجات الآخرة إلى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الآخرة إلى الدنيا فإن كان الإنسان تشد رغبته في طلب فضيلة الدنيا قبل أن تقوى رغبته في طلب الآخرة أخرى لانها دار المقامة روى أن قوما من الأشراف في دنوهم اجتمعوا باب عسرى رضى الله تعالى عنه فخرج الأذن لابلال وصهيب فشق على أبي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما أوتينا من قبلنا أنهم دعوا دعوينا يعني إلى الإسلام فأسرعوا وأبطأوا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة * ولما بين تعالى أن الناس فريقان منهم من يريد بعمله الدنيا فقط وهم أهل العذاب ومنهم من يريد طاعة الله وهم أهل الثواب ثم شرط في ذلك ثلاثة شروط فصل تلك المجالات وبدأ بالابشراح حقيقة الإيمان وأشرف أجزائه الإيمان هو التوحيد ونفى الشريك والاضداد بقوله تعالى (لا تجعل مع الله)

أى الذى له جميع صفات الكمال (الها آخر) قيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم
 والمراد غيره والاولى أنه للإنسان فيكون خطا باعما لكل من يصلح أن يخاطب به (فتعقد)
 أى فيستبب عن ذلك أن تعقد أى تصير فى الدنيا قبل الآخرة (مذموما مخذولا) لأن المشرك
 كاذب والكاذب يستوجب الذم والخذلان ولأنه قد ثبت بالدليل أنه لا اله ولا مدبر الا الله تعالى
 فحينئذ تكون جميع النعم حاصله من الله تعالى فمن أشرك بالله فقد أضاف بعض تلك النعم الى
 غير الله فاستحق الذم والخذلان * (تنبيه) * قال الواحدى قوله تعالى فتعقد انتصب لانه وقع
 بعد الفاء جوا بالتهنى واتصابه باضمان ان كقولك لا تنقطع عنا فنجفوك والتقدير لا يكن منك
 انقطاع فيحصل أن نجفوك فابعد الفاء متعلق بالجملة المتقدمة بحرف الفاء وانما ساءه النحويون
 جوا بالكونه مشابها للجزاء وأن الثانى مسبب عن الاول كما تقر * ولما ذكر تعالى ماهو الركن
 الاعظم فى الايمان أتبعه بذكر ماهو من شعائر الايمان وشرائعه وذلك أنواع الاول أن يشتغل
 الانسان بعبادة الله تعالى ويحترز عن عبادة غيره وهذا هو المراد من قوله تعالى (وقضى) أى
 أمر (ربك) أى المحسن اليك وقوله تعالى (أن لا تعبدوا) أى أنت وجميع أهل دعوتك وهم
 جميع الناس (الاياه) فيه وجوب عبادة الله تعالى والمنع من عبادة غيره لأن العبادة عبارة
 عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا تليق إلا برب الانعام والافضال على
 عباده ولا منعم الا الله تعالى فكان هو المستحق للعبادة لا غيره * (تنبيه) * روى سميون بن مهران
 عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية كان الاصل ووصى بك فالتصقت احدى الواوین
 بالصاد فقرأ وقضى ربك ثم قال ولو كان على القضاء ما عصى الله أحد قط لان خلاف قضاء
 الله متنع وهذا القول كما قاله الرازى بعيد جدا اذ لو فتح هذا الباب لارتفع الامان عن القرآن
 وذلك يخرج عن كونه حجة ولا شك أنه طعن عظيم فى الدين ويندفع ما قاله بما يفسر قضى به
 * ولما أمر تعالى بعبادة نفسه اتبعه بالامر ببر الوالدین بقوله تعالى (وباوا الدين) أى وأحسنوا
 أى وأقروا الاحسان بهما (احسانا) أى بأن تبرؤهما ليكون الله معكم فانه مع الذين
 اتقوا والذين هم محسنون * (تنبيهان) * أحدهما المناسبة بين الامر بعبادة الله تعالى والامر
 ببر الوالدین من وجوه الاول أن السبب الحقيقى لوجود الانسان هو تخليق الله تعالى وإيجاده
 والسبب الظاهر هو الابوان فأمر الله تعالى بتعظيم السبب الحقيقى ثم اتبعه بالامر بتعظيم
 السبب الظاهرى الثانى ان الموجود اما قديم واما محدث ويجب أن تكون معاملته الانسان
 مع الموجود القديم بالتعظيم والعبودية ومع المحدث باظهار الشفقة وهو المراد من قوله صلى
 الله عليه وسلم التعظيم لاهل الله والشفقة على خلق الله وأحق الخلق بالشفقة الابوان لكثرة
 انعامهم على الانسان فقوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبد والاياه اشارة الى التعظيم لاهل
 الله تعالى وقوله تعالى بالوالدين احسانا اشارة الى الشفقة على خلق الله الثالث ان الاشتغال
 بشكر المنعم واجب ثم المنعم الحقيقى هو الخالق سبحانه وتعالى وقد يكون بعض المخلوقين منعمًا
 عليك وشكره أيضا واجب لقوله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله وليس لاحد

من الخلاق نعمة على الانسان مثل الابوين لان الولد قطعة من الوالدين قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني وايضا شققة الوالدين على الولد عظيمة وايصال الخير الى الولد من امر طبيعي واحترازه ما عن ايصال الضرر اليه امر طبيعي ايضا فوجب أن تكون نعم الوالدين على الولد كثيرة بل هي أكبر من كل نعمة تصل من الانسان الى الانسان وايضا حال ما يكون الانسان في غاية الضعف ونهاية العجز يكون انعام الابوين في ذلك الوقت واصلا الى الولد واذا وقع الانعام على هذا الوجه كان موقعه عظيما وايضا فايصال الخير الى الغير قد يكون لداعية ايصال الخير اليه وايصال الخير الى الولد ليس لهذا الغرض فكان الانعام فيه أتم وأكمل فثبت بهذه الوجوه أنه ليس لاحد من المخلوقين نعمة على غيره مثل ما للوالدين على الولد فلهذا بدأ الله بشكر نعمة الخالق وهو قوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه ثم أردفه بشكر نعمة الوالدين وهو قوله تعالى وبالوالدين احسانا (فان قيل) الوالدان انما طلبا تحصيل اللذة لانفسهما فلزم منه دخول الولد في الوجود ودخوله في عالم الآفات والمخالفات فأى انعام للابوين على الولد حتى ان بعض المتسمين بالحكمة كان يضرب أباه ويقول هو الذي أدخلني في عالم الكون والفساد وعرضي للموت والفقر والمعنى والزمانة وقيل لابي العلاء المعري ماذا نكتب على قبرك فقال اكتبوا على قبري هذا اجنابة أبي على وما جئت على أحد وقال في ترك التزويج والولد

وتركت فيهم نعمة العدم التي * فيهم لقد سبقت نعيم العاجل

ولو أنهم ولدوا للعاوان شدة * ترمى بهم في موبقات الآجل

وقيل لاسكندر استاذك أعظم منة عليك أم والدك فقال أستاذي أعظم منة لانه تحمل أنواع الشدة اندغد تعلني فأوقني في نور العلم وأما الوالد فانه طاب تحصيل لذة الوقاع لنفسه فأخرجني الى آفات عالم الكون والفساد ومن الكلمات المأثورة المشهورة خير الآباء من علمك (أجيب) بأنه وان كان له في أول الامر طلب لذة الوقاع الآن الا ان اهتمامه بايصال الخيرات اليه ودفع الآفات عنه من أول دخوله في الوجود الى وقت بلوغه الكبر ليس أنه أعظم من جميع ما يصل اليه من جهات الخيرات والمبرات فسقطت تلك الشبهات (التنبية الثاني) ان لفظ الآية يدل على معان كثيرة كل واحد منها يوجب المبالغة في الاحسان الى الوالدين منها أنه تعالى قال في الآية المتقدمة ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ثم أردفه بهذه الآية المشتملة على الاعمال التي بواسطتها يحصل الفوز بسعادة الآخرة وجعل من جعلها البر بالوالدين وذلك يدل على أن هذه الطاعة من أصول الطاعات التي تقبيل سعادة الآخرة ومنها أنه تعالى بدأ بذكر الامر بالتوحيد وثى بطاعة الله تعالى وثلى ببر الوالدين وهذه درجة عالية ومبالغة عظيمة في تعظيم هذه الطاعة منها أنه تعالى لم يقل واحسانا بالوالدين بل قال وبالوالدين احسانا فقد ميز كره ما يدل على شدة الاهتمام بهما ومنها أنه تعالى قال احسانا بلفظ التكبير والتكبير يدل على التعظيم أى احسانا عظيما كمالا لان احسانا ما اليك

قد بلغ الغاية العظيمة فوجب أن يكون احسانك اليهما كذلك ثم على جميع التقديرات لا تحصل
 المكافاة لأن انعامهما عليك على سبيل الابتداء وفي الامثال المشهورة ان البادئ بالبر لا يكافأ
 • ولما كان سبحانه وتعالى عليهما بما في الطباع من ملال الولد لهما عند أخذهما في السن قال
 تعالى (أما) مؤكداً ما على ان الشرطية تزيد النقص بالمعنى اهتماماً بشأن الوالدين
 (يلطف عندك الكبير) أي كان يضطر اليك في حالة الضعف والعجز فلا يكون لهما كافل غيرك
 فصار عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في أوله (أحدهما أو كلاهما) وقرأ جزءاً والكسائي
 بألف بعد الغين وكسر النون فالالف ضمير الوالدين لتقدم ذكرهما وأحدهما بدل منه أو كلاهما
 عطف عليه فاعلاً أو بدلاً (فان قيل) هلا كان كلاهما تو كيداً بدلاً أجيب بأنه معطوف على
 ما لا يصح أن يكون تو كيداً الاثنين فوجب أن يكون مثله (فان قيل) لم يجوز أن يكون أحدهما
 بدلاً وكلاهما تو كيداً أو يكون ذلك عطفًا للتوكيد على البدل (أجيب) بأن العطف يقتضي
 المشاركة فجعل أحدهما بدلاً والآخر تو كيداً خلاف الاصل وقرأ الباقرين بغير ألف وفتح النون
 والاعراب على هذا ظاهر وجميع القراء يشددون النون ثم انه تعالى أمر الانسان في حق
 والديه بخمسة أشياء الأول منها قوله تعالى (فلا تقل لهما أف) أي لا تنصبر منهما قال
 الزجاج أف معناه المتن وهذا قول مجاهد لانه قال معنى قوله فلا تقل لهما أف أي لا تنقدزهما
 كما انهم ما كانوا لا يتقدزان منك حين كنت تخز أو تقول وفي رواية أخرى عن مجاهد اذا وجدت
 منهم ما را تحبة فوذلك فلا تقل لهما أف فليدب بالغ سبحانه وتعالى بالوصية بهما حيث شفع
 الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما معاً ثم ضبط في امراتهما ما
 حتى لم يرخص في أدنى كلمة تغفلت من التصغير مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع أحوال
 لا يكاد يدخل صبر الانسان معها في الاستطاعة وقد قال صلى الله عليه وسلم اياكم وعقوق
 الوالدين فان الجنة يوجدرحيمهما مع مسيرة ألف عام ولا يجدر يحيمها عاق ولا فاطع رحم ولا شيخ
 زان ولا جازار زاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين
 فقال لا يقوم الى خدمتهما عن كسل وقرأ نافع وحفص بالتوين في القاء مع الكسر وابن
 كثير وابن عامر بفتح القاء من غير تنوين والباقرين بكسر القاء من غير تنوين الثاني
 قوله تعالى (ولا تنهرهما) أي لا تزجرهما عما يطيبانه مما لا يعجبك يقال تنهره وانتهره اذا
 استقبله بكلام يزجره قال تعالى وأما السائل فلا تنهر (فان قيل) المنع من التأنيب يدل على
 المنع من الانتهاز بالاولى فما فائدة ذكره (أجيب) بأن المراد بالمنع من التأنيب المنع من
 اظهار الضجر بالقليل والكثير والمراد من منع الانتهاز بالمنع من اظهار المخالفة في القول
 على سبيل الرد عليهما والتكذيب لهما الثالث قوله تعالى (وقل لهما قولا كريماً) أي حسناً
 جميلاً طيباً لينا كما يقتضيه حسن الادب معهما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أن يقول
 يا أباها يا أمها وسئل سعيد بن المسيب رضي الله عنه عن القول الكريم فقال هو قول العبد
 المذنب للسيد اللفظ الغليظ وعن عطاء أنه قال هو أن يتكلم معهما بشرط أن لا يرفع اليهما بصره

ولا يشتد اليها نظره وذلك أن هذين الفعلين يتأنيان القول الكريم (فان قيل) ابراهيم الخليل عليه السلام قال لا يبه اني أراك وقومك في ضلال مبين مع أنه عليه السلام من أعظم الناس أدبا وحلمًا وكرما (أجيب) بأن حق الله تعالى مقدم على حق الابوين فأقدام ابراهيم عليه السلام على ذلك الايذاء انما كان تقديرها لحق الله تعالى والرابع قوله تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) أي لامن أجل الامتثال للأمر وخوف العار فقط بل من أجل الرحمة لهما بأن لا تزال تذكر نفسك بالآوامر والنواهي وبما تقدم لهما من الاحسان اليك والمقصود بالمباغاة في التواضع وهذه استعارة بليغة قال الفصيح وفي تقريره وجهان الأول ان الطائر اذا أراد ضم فرخه اليه لتربيته خفض له جناحه فلهاذا صار خفض الجناح كناية عن جنس التربيته فكأنه قال للولدا كمل والديك بأن تضمهما الى نفسك كما فعل ذلك بك حال صغرك والثاني أن الطائر اذا أراد الطيران نشر جناحيه ورفعهما ليرتفع واذا أراد ترك الطيران خفض جناحيه ولم يرفع فجعل خفض الجناح كناية عن التواضع واللين (فان قيل) كيف أضاف الجناح الى الذل والذل لا جناح له (أجيب) بوجهين الأول أنه أضيف الجناح الى الذل كما يقال حاتم الجود فكأن المراد هنا حاتم الجود فكذا هنا المراد اخفض لهما جناحك الدليل الثاني أن تدار الاستعارة على الخيلان فهنا تخيل للذل جناحا خفضا كما جعل ليد للشمال يدا وللقرعة زماما في قوله وغداة ربيع قد كشفت وقرة * اذا أصبحت بيد الشمال زمامها فأثبت للشمال يدا وللقرعة زماما ووضع زمامها في يد الشمال فكذا هنا ومن طريق ما حكى أن أبا تمام لما نظم قوله

لا تسمى ماء الملام فاني * صب قد استعذبت ماء بكاني

جاءه رجل بقصعة وقال له اعطني شيئا من ماء الملام فقال له حتى تأتيني بريشة من جناح الذل يريد أن هذا مجازا استعاره لذلك وقال بعضهم

راشوا جناحي ثم بلوهم بالندى * فلم أستطع من حبه أن أطيرا

الخامس قوله تعالى (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) أي لا تكلف برحمتك عليهما ما اتقى لابقاء لهما وادع الله أن يرحمهما برحمته الباقية واجعل ذلك جرا لرحمتهم ما عليك في صغرك وتربيتهم مالك هذا اذا كانا مسلمين فان كانا كافرين فان الدعاء لهما بالرحمة منسوخ بقوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى بل يدعوا الله تعالى لهما بالهداية والارشاد فاذا اهداهما فقد رجعهما وسئل بعضهم عن بر الوالدين فقال لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر اليهما شزرا ولا يريامك مخالفة في ظاهر ولا باطن وأن ترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة أودائهم من بعدهما لما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من أبر البر أن يصل الرجل أهل وديته * (تنبيه) قد ورد في بر الوالدين أحاديث كثيرة منها ما روى عن أبي هريرة أنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحسن الناس بعيتي فقال أمتك ثم أمتك ثم أبوك ثم أبوك ثم أذنالك فأذنالك

من قصد البرية ما غيره فلا يظهر أحدكم غير ما يظن فان ذلك لا ينفعه ولا ينجيه الآن يحمل
نفسه على ما يصحكون سبيلاً رجعاً (ان تكونوا صالحين) أى متقين محسنين فى نفس الامر
والصلاح استقامة الفعل على ما يدعو الدليل اليه * وأشار تعالى الى أنه لا يكون ذلك الا
بمخالفة النفس وترجيعها كرهة بعد كثرة بقوله تعالى (فانه كان للراغبين) أى الرجاين الى
الخير مرة اثر مرة بعد جراح أنفسهم عنه (غفروا) أى بالغ السعيرين وقمع منه تقصير فرجع عنه
فانه مغفور له * ولما حث تعالى على الاحسان للوالدين بالخصوص عظم بالامر بالاحسان لكل ذى
قرابة ورحم وغيره بقوله تعالى (وات ذا القرى) من جهة الاب والام وان بعد (حقه) والخطاب
لكل أحد أن يؤتى أقاربه حقوقهم من صلة الرحم والمودة والزينة وحسن المعاشرة والمعاودة
ونحو ذلك وقيل ان **ك** انوا محتاجين ومحتاجين وهو موسر لزمه الانفاق عليهم عند الامام
أبى حنيفة وقال الشافعى لا يلزم الانفقة الوالد على والده والولد على والده فقط وقيل المراد
بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم (و) آت (المسكين) حقه وان لم يكن قريشاً (و) آت
(ابن السبيل) وهو المسافر المنقطع عن ماله ليكون متقياً محسناً * ولما رغب تعالى فى البذل
وكانت النفس قليماً **ك** كون فعلها قواماً بين الافراط والتفريط اتبع ذلك بقوله تعالى
(ولا تبذر) بتفريق المال سرفاً وهو بذله فيما لا ينبغي وقد كانت الجاهلية تبذراً موالها
فى الفخر والسعة وتذكر ذلك فى أشعارها فأمر الله تعالى بالنفقة فى وجوهها بما يقرب منه
ويزلف اليه وفى قوله تعالى (تبذراً) تنبيه على أن الارتفاع نحو ساحة التبذير أولى من الهبوط
الى مضيق الشح والتقتير والتبذير يسطر السد فى المال على حسب الهوى وقد سئل ابن
مسعود عن التبذير فقال انفاق المال فى غير حقه وأما الجود فهو اتباع أمر الله تعالى فى حقوق
المال وعن مجاهد لو أنفق الانسان ماله كله فى الحق ما كان تبذيراً ولو أنفق مداً فى باطل كان
تبذيراً وقد أنفق بعضهم نفقة فى خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير فى السرف فقال لا سرف
فى الخير وعن عبد الله بن عمر قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا
السرف يا سعد قال أوفى الوضوء سرف قال نعم وان كنت على شربة ماء لم تمسك بها فمضى
بإضافته إياه الى أفعال الشياطين بقوله تعالى (ان المبذرين كانوا اخوان السباطين) أى
على طريقهم وأهمل اخوانهم وأصدقاؤهم لانهم بطبعهم فسادون فساداً من الأسراف وأهمل
قربانهم وهم فى النار على سبيل التوعد ثم انه تعالى بين صفة الشيطان بقوله تعالى (وكان
الشيطان) أى هذا الجنس البعيد من كل خير المحترق بكل شر (لرب) أى الذى أحسن اليه
بإيجاده وترينه (كفوراً) أى استورا بما يقدر على ستره من آياته الظاهرة ونعمته الباهرة
مع الحجة فلا ينبغي أن يطاع لانه لا يدعو الا الى مثل فعله قال بعض العلماء خرجت هذه الآية
على وفق عادة العرب وذلك لانهم **ك** انوا يجمعون الاموال بالنهب والغارة ثم كانوا ينفقونها
فى الجلاء والتفاخر وكان المشركون من قريش وغيرهم ينفقون أموالهم ليعتدوا الناس عن
الاسلام ويوهين أهل وعايته أعدائه فنزلت هذه الآية تنبيها على قبح أفعالهم فى هذا الباب

وقوله تعالى (وَأَمَّا تَعْرِضُ عَنْهُمْ إِنْ تَعْمَرُ حَتَّى يَرْجُوهُ رَبُّكَ تَرْجُوهُمْ) نزل في مهجع وبلال وصهيب
وسالم وخباب وكانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم في الاحايين ما يحتاجون اليه ولا يجد
فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك لا تنتظر رزق من الله يرجوه أن يأتيه فيعطيه (فقل لهم) أى في
حالة الاعراض (قولاً ميسوراً) أى ذابسر يشرح صدورهم ويسيطر بجاههم لأن ذلك أقرب
الى طريق المتقين المحسنين قال أبو حيان روى أنه عليه الصلاة والسلام كان بعد نزول هذه
الآية اذ لم يكن عنده ما يعطى وسئل يقول برزقنا الله تعالى واياكم من فضله انتهى وقد وقع
هذا الابتغاء موضع الفقد لأن فاقد الرزق ممتنع له فكان الفقد سبباً للابتغاء والابتغاء مسبباً عنه
فوضع السبب موضع السبب ثم أمر تعالى نبيه بما وصف له عباداه المؤمنين في الاتفاق في سورة
الفرقان بقوله تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً فقال تعالى
(وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ) أى بالجنح (مغلولاً) أى كأنك باليمن مشدودة بالغل (الى عنقك) أى
لا تستطيع مدتها أى لا تمسك عن الاتفاق بحيث تضيق على نفسك وأهلك في وجوه مصلحة
الرحم وسبيل الخيرات والمعنى لا تجعل يدك في انقباضها كالغلولة المنوعة من الانبساط
(وَلَا تَبْسُطْهَا) بالبدل (كل البسط) فتبذر بحيث لا يبقى في يدك شيء ذكر الحكماة في كتب
الاخلاق أن لكل خلق طرفي افراط وتفریط وهما مذمومان والخلق الفاضل هو العدل
والوسط فالجنح افراط في الامساك والتبذير افراط في الاتفاق وهما مذمومان والمعتدل هو
الوسط وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صبي فقال يا رسول الله انى أمى تستكسبك
درعا أى قيصا ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الاقصه فقال للصبى من ساعة الى ساعة
هذه اتمه اعلق بمحذوف أى آخر سؤالك من ساعة ليس لما فيها درع الى ساعة يظهر لنا فيها درع فعند
الينا فذهب الى أمه فقالت له قل له انى أمى تستكسبك الدرع الذى عليك فدخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونزع قصده فأعطاه وقعد عريانا أى في ازار ونحوه فأذن بلال بالصلاة
فانتظروا فلم يخرج فشد قلوب أصحابه فدخل عليه بعضهم فرأه عريانا فأنزل الله تعالى ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتعطي جميع ما عندك * (تنبيه) * ما ذكرته
عن جابر تعالى للكشاف والبضاوى والرازى وغيرهم قال الولي العراقى لم أقف عليه وكذا
قال الحافظ ابن حجر وقد يقال من حفظ حجة على من لم يحفظ (فتعقد) أى توجد كاللحم عند
(ملوما) أى يبلغ الروح فيها يلام بسببه عند الله لأن ذلك مما نهى الله عنه عند نفسك
وعند الناس لأنه يلوهم نفسه وأصحابه أيضاً يلوهمونه على تضييع المال بالكية (محسوراً)
أى منقطعاً بأك اذهب ما تقوى به قال القفال شبه حال من أنفق كل ماله بمن انقطع في سفره
بسبب انقطاع عطية لأن ذلك المقدار من المال كأنه عطية تحمّل الانسان الى آخر الشهر
والسنة كما أن ذلك البعير يحمّله ويلغّه الى آخر المنزل فاذا انقطع ذلك البعير يبق في وسط الطريق
عاجزاً مضطراً فكذلك الانسان اذا أنفق مقداره ما يحتاج اليه في مدة شهر في أقل منه بقى في وسط
ذلك الشهر عاجزاً مضطراً ومن فعل ذلك لحقه اللوم من أهله والمحتاجين الى اتفاقه عليهم بسبب

سوء تدبيره وتزله الحزم في مهمات معاشه ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (ان ربك) أي
الحسن الملك (يسط الرزق) أي يوسع (لمن يشاء) البسطون غيره (ويقدر) أي يضيقه سواء
قبض يده أم بسطها لأن الرب هو الذي يربي المربوب ويقوم باصلاح مهماته ورفع درجاته
على مقدار الصلاح في الصواب فيوسع الرزق على البعض ويضيقه على البعض لأن ذلك
هو الصلاح قال تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لافغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء
(انه كان لعباده خبيراً) أي بالغ الخبر (بصيراً) أي بالغ البصر بما يكون من كل من القبض
والبسط لهم مصلحة ومفسدة فالتفاوت في انه ربي العباد ليس لاجل بخل بل لاجل رعاية مصلحة
لا يعلم بها العبد فسبحان المتصرف في عباده كيف يشاء * ولما أتم سبحانه وتعالى الوصية بالاصول
وما يتبع ذلك أوصى بالفرع بقوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم) فذكرهم بلفظ الولد الذي هو
داعية الى الخنوع والعطف (خشية املاق) أي فقر متوقع لم يقع بعد ثم وصل بذلك استثناء
بقوله تعالى (نحن نرزقهم وإياكم) مقدم ما ضمير الاولاد لكون الاملاق مترقباً من الاتفاق عليهم
ثم علل تعالى ذلك بما هو أعم منه فقال تعالى (ان قتلهم) أي مطلقاً لهذا ولغيره (كان خطأ) أي
اغماً (كبيراً) أي عظيماً وقرأ ابن كثير بفتح الطاء ومد بعد هامداً متصلاً وقرأ ابن ذكوان بفتح
الخاء والطاء ولا مد بعد الطاء والباقيون بكسر الخاء وسكون الطاء قال الرماني الخطأ بكسر
ثم سكون لا يكون لا يعتمد الى خلاف الصواب والخطأ أي محرك كاذب يكون من غير تعمد وانما
وجب بالاولاد لا موراؤ حدها أنهم في غاية الضعف ولا كافل لهم غير الوالدين وانما وجب
بإزاء الوالدين مكافأة لما صدر منهم من أنواع البر الى الولد الثاني أن امتناع الآباء من البر بالاولاد
يقضي خراب العالم الثالث أن قرابة الولادة قرابة الجزئية والبعضية وهي من أعظم الموجبات
للمحبة فالولم تحصل المحبة دل ذلك على غلط شديد في الروح وقسوة القلب وذلك من أعظم
الاخلاق الذميمة فرغب الله تعالى في الاحسان الى الاولاد الهذه الخصلة الذميمة وبه تعالى
بالاولاد يشمل الاناث فان العرب كانوا يقتلون البنات لعجز البنات عن الكسب وقدرة البنين
عليه بسبب اقدامهم على النهب والغارة عليهم وأيضاً كانوا يخافون أنهن بعد كبرهن تفقد
أكفأهن فيحتاجون الى انكاحهن من غير أكفأ وفي ذلك عار شديد فنهاهم الله تعالى عن ذلك
فان المرجح للرجة والشفقة هو كونه ولذا وهذا المعنى وصف مشترك بين الذكور والاث
وأما يخاف من الفقر في البنات فقد يخاف مثله في الذكور في حال الصغر وقد يخاف أيضاً
في العاجزين من البنين وكما أنه سبحانه وتعالى يفتح أبواب الرزق على الذكور فكذلك على
الاناث * ولما كان قتل الاولاد حظ من البخل وفي فعل الزناداع من الاسراف أتبعه به فقال
تعالى (ولا تقربوا الزنا) أدنى قرب ولو بفعل شيء من مقدماته وانما أتى تعالى بالقربان تعظيماً
لما فيه من المفاسد الجازية الى الفتى بالقتل وتضييع النسب والتسبب في إيجاد نفس بالباطل
وغير ذلك ثم علل تعالى النهي عن ذلك بقوله تعالى مؤكداً ابلغاً في التفسير عنه لما للنفس من
شدة الداعية اليه (انه كان فاحشة) أي فعلة ظاهرة القبح زائدة وقد نهاكم الله تعالى عن

القصاص في قوله تعالى ان الله بأمر بالعدل والاحسان وابتداء ذى القربى وينهى عن القصاص
 الآية (وسا) أى وبس الزنا (سبيلا) أى طريقا طريقه ثم ينهى سبحانه وتعالى عن القتل مطلقا
 عن التقيد بالاولاد بغير حق بقوله تعالى (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله) أى بالاسلام والعهد
 (الاباحي) وهو المباح للقتل من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى
 ثلاث رجل كفر بالله بعد ايمانه أو زنى بعد احصائه أو قتل نفسا بغير حق ومثل انتقال المسلم
 من دين الاسلام الى دين الكفر انتقال كافر من دين الى دين آخر سواء كان ذلك الدين يقر عليه
 أم لا ومن ذلك قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وقوله تعالى انما جزاء
 الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا واختلف الفقهاء
 في أشباه غير ذلك منها أن نارك الصلاة كسلاهل يقتل فعند الشافعي يقتل بشروط معلومة
 وعند أبي حنيفة لا يقتل التارك كالزاني ومنها أن عمل اللواط هل يوجب القتل فعند الشافعي
 يوجب قتل الفاعل كالزاني وعند أبي حنيفة لا يوجب به ومنها أن السارق اذا قال قتل فلانا
 بسهرى عمد هل يوجب القتل فعند الشافعي يوجب به وعند أبي حنيفة لا يوجب به ومنها أن القتل
 بالمثل هل يوجب القصاص فعند الشافعي يوجب وعند أبي حنيفة لا يوجب ومنها الامتناع
 من أداء الزكاة هل يوجب القتل اختلفوا فيه في زمان أبي بكر رضى الله عنه ومنها أن اتيان
 البهيمة هل يوجب القتل فعند أكثر الفقهاء لا يوجب وعند قوم يوجبه ولكل من ذكر أدلة
 يستدل بها رضى الله تعالى عنهم أجمعين ثم قال تعالى (ومن قتل مظلوما) أى باى ظلم كان من
 غير أن يرتكب ما يبيح قتله (فقد جعلنا لولييه) أى سواء كان قريبا أم بعيدا (ساطانا) أى أمرا
 منسلطابه وقوله تعالى (فلا يسرف في القتل) قرأ جزء والكسافى بالتاء على الخطأ أى أيها
 الولي والباقون بالياء على الغيبة أى الولي وفسر الاسراف بوجوه الاول أن يقتل القاتل وغير
 القاتل وذلك أن أولياء المقتول كانوا اذا قتلوا واحدا من قبيلة شريفة قتلوا خلقا من القبيلة
 الدينية فمنهى الله تعالى عنه وحكم يقتل القاتل وحده الثاني أن الاسراف هو أن لا يرضى بقتل
 القاتل فإن الجاهلية كانوا يقصدون أشرف القبائل ثم يقتلون منهم قوما معينين ويتركون
 القاتل الثالث أن الاسراف هو أن لا يكتفى بقتل القاتل بل يقتله ثم يحتل به ويقطع أعضائه قال
 القفال ولا يعد حله على الكل لأن حله على هذه المعاني مشترك في كونهم اسرافا واختلف
 في رجوع الهاء الى ما ذاق في قوله تعالى (أنه كان منصورا) فقال مجاهد راجعة الى المقتول في قوله
 تعالى ومن قتل مظلوما أى أن المقتول منصور في الدنيا بايجاب القود على قاتله وفي الآخرة
 بتكفير خطاياه وإيجاب النار لقاتله وقال قتادة راجعة لولي المقتول أى انه منصور على القاتل
 باستيفاء القصاص أو الدية فليكتف بهذا القدر ولا يطمع في الزيادة وقيل راجعة الى القاتل
 الظالم أى ان القاتل يكتفى باستيفاء القصاص ولا يطلب منه زيادة لانه منصور من عند الله
 تعالى في تحريم طلب الزيادة منه وأنه اذا عوقب في الدنيا بأزيد مما فعل نصر في الآخرة وقيل
 راجعة الى الدم وقيل الى الحق * ولما ذكر تعالى انتهى عن اتلاف النفوس أتبعه بالنهي

عن اتلاف الاموال لان اعز الاشياء بعد النفوس الاموال وأحق الناس بالنهي عن اتلاف
أموالهم هو اليتيم لانه لصغره وضعفه وكال عجزه يعظم ضرره باتلاف ماله فلهذا السبب خصهم
الله تعالى بالنهي عن اتلاف أموالهم بقوله تعالى (ولا تقر بوامال اليتيم) عبر بالقربان الذي هو
قبل الاخذ تعظيماً للمقام فهو أبلغ من قوله تعالى ولانأكلوها اسرافاً وبداراً وفي تفسير قوله
تعالى (الابالقي هي أحسن) وجهان الأول الا بالتصرف الذي ينفقه ويكثره الثاني روى
مجاهد عن ابن عباس انه قال اذا احتاج أكل بالمعروف واذا أبسر قضاء فان لم يوسر فلا شيء
عليه والولى تبقى ولايته على اليتيم (حتى يبلغ أشده) وهو ايناس الرشد منه بعد بلوغه كما بين تعالى
ذلك في آية أخرى وهي قوله تعالى وابتلوا البنات حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشداً
فادفعوا اليهم أموالهم * ولما نهى سبحانه وتعالى عن ثلاثة أشياء وهي الزنا والقتل وأكل مال
اليتيم أتبعها بثلاثة أوامر الأول قوله تعالى (وأوفوا بالعهد) أى اذا عاهدتم الله تعالى على فعل
المأمورات وترك المنهيات والناس على فعل أو قول جائز وفي تفسير قوله تعالى (ان العهد كان
مسؤولاً) وجوه الأول أن يراد أن صاحب العهد كان مسؤولاً بخلاف المضاف وأقيم المضاف
اليه مقامه كقوله تعالى وأسأل القرية ثانياً ان العهد كان مسؤولاً أى مطلوباً بطلب من
العاهد أن لا يضعه ويبنى ثالثاً أن يكون هذا تخيلاً كان يقال للعهد لم تنكث وهذا وفي بك
تسكيماً للناكث كما يقال للموودة بأى ذنب قتلت وكقوله تعالى لعيسى عليه السلام أنت
قلت للناس اتخذوني وأمى الهين والمخاطبة لعيسى عليه السلام والانكار على غيره الامر
الثانى قوله تعالى (وأوفوا الكيل اذا كالم) أى لغيركم فان كالم لانفسكم فلاجتاح عليكم ان
نقصتم عن حقكم ولم تقوا الكيل الامر الثالث قوله تعالى (وزنوا) أى وزن ما تلبسوا (بالقسطاس)
أى ميزان العدل الذى هو أقوم الموازين وزاد فى تأكيد معناه فقال (المستقيم) دون شئ من
الحيف * (تنبيه) * القسطاس روى عرب ولا يقدح ذلك فى عربية القرآن لان الاعمى اذا
استعملته العرب وأجرنه مجرى كلامهم فى الاعراب والتعريف والتسكير وفحوا صار عربياً
وقرأ حفص والكسائى وحزرة بكسر القاف والماقون بضمها (ذلك) أى الامر العالى الرتبة
الذى أخبرناكم به من الابقاء بالتام والكمال (خير) لكم فى الدارين الدنيا والآخرة من
التعطيف بالكيل أو الوزن من حيث ان الانسان يتخلص بواسطته عن الذكر القبيح فى الدنيا
والعذاب الشديد فى الآخرة وان تراهى لكم ان التطفيف خير (وأحسن تأويلاً) أى عاقبة
فى الدارين اما فى الدنيا فلانه اذا اشتهر بالاحتراز عن التطفيف عول الناس عليه ومالت
القلوب اليه وحصل له الاستغناء فى الزمان القليل وكم رأينا من الفقراء من اشتهر واعند الناس
بالامانة والاحتراز عن الخيانة انقلب القلوب عليهم وحصلت الاموال الكثيرة لهم واما فى
الآخرة فالقوز بالنواب العظيم والخلاص من العقاب الاليم والتأويل وهو تفصيل من الاول
وهو الرجوع أو أفعال التفضيل هنالاستعمال النصفة بارحاء العنان أى على تقدير أن يكون
فى كل منهما خير فهذا المعنى الذى ذكرناه أن خير العاقل لا يرضى لنفسه بالدون * ولما شرح

الله تعالى الاوامر الثلاثة عاد الى ذكر النواهي فنهى عن ثلاثة اشياء اولها قوله تعالى (ولا تنفق) أى لا تنفق أيها الانسان (ماليس لك به علم) من قول أو فعل وحاصله يرجع الى النهى عن الحكم بما لا يكون معلوما وهو قضية كلية يتدرج تحتها أنواع كثيرة واختلف المقسرون فيها فقال ابن عباس لا تشهد الابعاد انه عينك وسمعه اذنك ووعاء قلبك وقال قتادة لا تنقل سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم وقيل المراد النهى عن القذف وقيل المراد النهى عن الكذب وقيل المراد نهى المشركين عن اعتقاداتهم وتقليد أسلافهم لأن الله تعالى نسبهم في تلك العقائد الى اتباع الهوى فقال تعالى ان هى الأسماء سمعوا هاتم وآبؤاكم ما أنزل الله بهامن سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس وقيل القصور والهت وأصله من القفا كأنه يقال خذنه وهو فى معنى الغيبة قال صلى الله عليه وسلم من قضامؤمننا بما ليس فيه حبه الله تعالى فى ردغة الجبال رواء الطبراني وغيره وردغة يسكون الدال وفصحها عبارة أهل النار وقال الكميت

ولا أرمى البرى بغير ذنب * ولا أقفوا الحواصن ان قضينا

بيننا قضينا للمفعول والحواصن النساء العفاف واللفظ عام يتناول الكل فلا معنى للتقييد * (تنبيه) * يقال قفوا ثم فلان أقفوا اذا اتعت أثره وسميت قافية الشعر قافية لأن البيت يقفوا البيت وسميت القبيلة المشهورة بالقافة لأنهم يتبعون آثار أقفاء الناس أو آثار أقدامهم ويستمدون بهم على أحوال الناس وقال تعالى ثم قضينا على آثارهم برسلنا ونسبح الفقا قفا لانه مؤخر بدن الانسان فان مشى يتبعه ويقفوه (فان قيل) ان هذه الآية تدل على منع القياس فانه لا يفيد الا الظن والظن مغاير للعلم (أجيب) بأن ذلك عام دخله التخصيص فان الحكم فى الدين بمجرد الظن جائز باجماع الامة وبأن المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعيا أم ظاهريا واستعماله بهذا المعنى شائع ذائع وقد استعمل فى مسائل كثيرة منها ان العمل بالفتوى على بالظن ومنها ان العمل بالشهادة على بالظن ومنها الاجتهاد فى طلب القبلة ولا يفيد الا الظن ومنها قيم المتلفات وارش الجنائيات لاسيما ليلهم ما لا بالظن ومنها القصد والحجامة وسائر المعالجات تنبى على الظن ومنها بعث الحكماء فى الشقاق قال تعالى وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها وحصول ذلك الشقاق مظنون لامعولوم ومنها الحكم على الشخص المعين بكونه مؤمنا مظنون وينبى على هذا الظن أحكام كثيرة مثل حصول التوارث ومثل الدفن فى مقابر المسلمين ومنها الاعتماد على صدق الاصدقاء وعداوة الاعداء كلها مظنونة وبناء الامر على تلك الظنون وقال صلى الله عليه وسلم نحن نحكمكم بالظاهر والله يتولى السرائر وذلك تصريح بأن الظن معتبر فبطل قول من يقول انه لا يجوز بناء الامر على الظن ثم قال تعالى النهى محوفا بقوله تعالى (ان السمع والبصر) وهما طريقا الادراك (والقواد) الذى هو آلة الادراك ثم عول تعالى الامر بقوله تعالى (كل اولئك) أى هذه الاشياء العظيمة العالية المنافع البديعة التكوين * (تنبيه) * أولا وجميع أسماء

الإشارة بشاربهم للعاقل وغيره كقول الشاعر

ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الأيام

يجوز في ذم فتح الميم وكسر هاء ضمها وقوله بعد منزلة اللوى أى بعد مفارقتها والاضافة في منزلة اللوى للبيان وهو محدود ولكن قصره هنا للضرورة والعيش عطف على المنازل والأيام صفة لأمم الإشارة أو عطف ببيان له (صكان عنه) أى بوعد لا خلف فيه (مسؤولاً) بسؤال يخصه * (تنبيه) * ظاهر الآية يدل على أن الجوارح مسؤولة وفيه وجوه الأول أن معناه أن صاحب السمع والبصر والفؤاد هو المسؤول لأن السؤال لا يصح إلا بمن كان عاقلاً وهذه الجوارح ليست كذلك بل العاقل القاهم هو الإنسان كقوله تعالى وأسأل القرية أى أهلها والمعنى أنه يقال للإنسان لم سمعت مالم يحل سماعه ولم نظرت مالم يحل نظره ولم عزمت على مالم يحل لك العزم عليه الثاني أن تقدير الآية أن أولئك الأقوام كلهم مسؤولون عن السمع والبصر والفؤاد فيقال لهم استعملتم السمع فيما إذا في الطاعة أم في المعصية وكذا القول في بقية الأعضاء وذلك لأن الحواس آلات النفس والنفس كالأمير لها والمستعمل لها في مصالحها فان استعملها في الخيرات استوجب الثواب وان استعملها في المعاصي استحق العقاب الثالث أن الله تعالى يخلق الحياة في الأعضاء ثم إنهم أنسأل لقوله تعالى يوم تشهد عليهم أئديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فكذلك لا يعد أن يخلق العقل والحياة والنطق في هذه الأعضاء ثم إنهم أنسأل وروى عن شكل بن جند قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله علفي تعويذاً أن تعود به فأخذ بيدي ثم قال قل أعوذ بك من شر سمعي وشر بصري وشر لساني وشر قلبي وشر مني قال فخطتها قال سعد المني ماؤه النبي السائل قوله تعالى (ولا تأتش في الأرض) أى جنسها (مرحاً) أى ذامرح وهو شدة الفرح والمراد من الآية النهي عن أن عشي الإنسان مشياد على الكبرياء والعظمة قال الزجاج ولا تش في الأرض تحت الانخورا ونظيره قوله تعالى في سورة الفرقان وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وقال تعالى في سورة لقمان واقصد في مشيك واغضض من صوتك وقال تعالى فيها ولا تأتش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور ثم علل تعالى النهي عن ذلك بقوله تعالى (أنك إن تحرق الأرض) أى تنفبها حتى تبلغ آخرها بأكبرك (ولن تبلغ الجبال طولا) أى سطا ولكم بالختال لأن الاختيال حكمة مجردة لا تفيد شيئاً ليس في التذلل وفي ذلك إشارة إلى أن العبد ضعيف لا يقدر على خرق أرض ولا وصول إلى جبال فهو محاط به من فوق ومن تحته بنوعين من الجمادات وهو أضعف منهما بكثير والضعيف المحصور لا يلبث به التكبر فكانه قيل له تواضع ولا تتكبر فانك خلق ضعيف من خلق الله محصور بين حجارة وتراب فلا تفعل فعل المقتدر القوي وقيل ذكر ذلك لأن من مشى خيلاً لا عشي مرة على عقبه ومرة على صدره وقد ميه فصيل له أنك إن تنقب الأرض إن مشيت على عقبك ولن تبلغ الجبال طولا إن مشيت على صدره وقد ميهك قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى تكفأ تكفأ كأنما ينحط من صب وروى

أبو هريرة رضي الله عنه قال ما رأيت أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس
تجري في وجهه وما رأيت أحدا أسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الأرض
تطوى له أنالجهداً أنفسنا وأنه غير مكثر وقوله تعالى (كل ذلك) إشارة إلى ما نهي عنه
مما تقدم فإن الذي تقدم منبهات وأمورات وجاله ذلك من قوله تعالى لا تجعل مع الله الهما
آخر إلى هنا خمسة وعشرون وهما أنا أسردها لك تسهيلاً عليك فأولها لا تجعل مع الله الهما
آخر وثانيها وثالثها وقضى ربك أن لا تعبدوا إلاياه لاشتهاله على تكليفين الأمر بعبادة الله
تعالى والنهي عن عبادة غيره رابعها وبالوالدين إحساناً خامسها فلا تفلت لهما أف سادسها
ولا تنهرهما سابعها وقل لهما قولاً كريماً ثامناً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة تاسعها وقل
رب ارحمهما إكاريباني صغيراً عاشرها وأت ذا القربى حقاً حادي عشرها والمسكين ثاني
عشرها وابن السبيل ثالث عشرها ولا تبذر تبريراً رابع عشرها فقل لهم قولاً يسيراً خامس
عشرها ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك سادس عشرها ولا تبسطها كل البسط سابع عشرها
ولا تقتلوا أولادكم ثامن عشرها ولا تقتلوا النفس تاسع عشرها ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا
لولييه سلطاناً عاشرها ولا يسرف في القتل حادي عشرها وأوفوا بالعقود ثاني عشرها وأوفوا
بالكفيل ثالث عشرها وأوفوا بالقسطاس المستقيم رابع عشرها ولا تقف ما ليس لك به علم
خامس عشرها ولا تمس في الأرض مراً فكل هذه تكليفات بعضها أمر وبعضها نواه فالنهي
عنه هو الذي قال تعالى فيه (كان سيئته عند ربك مكروهاً) أي يغضبه والعاقلة لا يفعله
ما يكرهه المحسن إليه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبفتح الهمزة وبالتاء منونة منصوبة وقرأ
الباقون بضم الهمزة والهاء مضمومة من غير تنوين والمعنى على هذا ظاهر أي إن سئ تلك
الاقسام يكون مكروهاً وأما على القراءة الأولى فسيئة خبر كان وأنت جلا على معنى شك ثم
قال مكروهاً جلا على لفظها وقال الزمخشري إن السيئة في حكم الاسماء بقرينة الذنب والاسم
زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيده ولا فرق بين سيئة وسيأ لآ ترى أنك تقول الزنا سيئة كما
تقول السرقة سيئة فلا فرق بين أسنادها إلى مذكر ومؤنث وفي نصب مكروهاً أوجه أحدها
أنه خبر ثان لكان الثاني أنه بدل من سيئة وضعف بأن البدل بالمشتق قليل الثالث أنه حال من
الضمير المستتر في عند ربك لوقوعه صفة لسيئة الرابع أنه نعت لسيئة وانما ذكر وصف سيئة لأن
تأنيده وتأنيث موصوفه مجازي ورد بأن ذلك انما يجوز حيث أسندنا إلى المؤنث المجازي أما
إذا أسندنا إلى ضميره فلا نحو الشمس طالعة وقوله تعالى (ذلك) إشارة إلى الأحكام
المقدمة في الأوامر والنواهي (عما أوحى إليك) بأشرف الخلق (ربك) أي المحسن إليك (من
الحكمة) التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وانما سميت هذه الأمور حكمة لوجوه
الاول أن حاصلها يرجع إلى الأمر بالتوحيد وأنواع الطاعات والخيرات والأعراض عن الدنيا
والإقبال على الآخرة قالوا في يمثل هذه الشريعة لا يكون داعياً إلى دين الشيطان بل القطرة
الاصيلة تشهد بأنه يكون داعياً إلى دين الرحمن الثاني أن هذه الأحكام المذكورة في هذه

الآيات شرائع واجبة الرعاة في جميع الاديان والملل ولا تقبل النسخ والابطال فكأن
 محكمة وحكمة من هذا الاعتبار الثالث ان المحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته وانحيز
 للعمل به كما مرّت الاشارة اليه فالامر بالتوحيد عبارة عن القسم الاول وسائر التكليف عبارة
 عن تعليم الخبرات حتى يواطى عليها ولا يتحرف عنها فثبت ان الاشياء المذكورة من هذه
 الآيات عين المحكمة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ان هذه الآيات كانت في ألواح
 موسى عليه السلام وجعل سبحانه وتعالى فاتحتها بقوله تعالى لا تجعل مع الله الها آخر وخالقتها
 قوله تعالى (ولا تجعل مع الله الها آخر) تنبيهها على ان التوحيد مبدأ الامور ومنتهى وان من
 قصد بفعل أو ترك غيره ضاع سعيه وانه رأس المحكمة وملاكها ورب علمه ما هو حادثة
 الشر في قوله تعالى أو لا لا تجعل مع الله أى في الدنيا واما ما هو يتبعه في العقبى فقال
 (قل) أى يفعل بك في الآخرة في الخسر (في جهنم) من الاسراع فيه وعدم القدرة على
 التدارك فعل من ألقى من عال حال كونك (ملوما) أى تلوم نفسك (مدحورا) أى مبعدا
 من رحمة الله * (تنبيه) * ذكره سبحانه وتعالى في الآية الاولى بقوله تعالى مذموماً مخذولاً
 وفي هذه الآية ملوماً مدحوراً والفرق بين الذم واللوم هو ان الذم كره له ان الفعل الذى أقدم
 عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموماً يقال له فعلت هذا الفعل القبيح وما الذى حلك
 عليه فهذا هو اللوم فأقول الامر بصير مذموماً وآخره بصير ملوماً والفرق بين المخذول
 والمدحور هو ان المخذول عبارة عن الضعيف يقال تخذلت أعضاؤه أى ضعفت والمدحور هو
 المطرود والطرء عبارة عن الاستخفاف والاهانة فكونه مخذولاً عبارة عن ترك اعائه وتقويضه
 الى نفسه وكونه مدحوراً عبارة عن اهانتة فصير أول الامر مخذولاً وآخره مدحوراً وقوله
 تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبنين) خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهـمة للانكار أى
 أغصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الاولاد وهم البنون ولم يجعل فيهم نصيباً
 لنفسه (واختزن الملائكة انانا) أى بنات لنفسه وهذا خلاف ما عليه معقولكم وعادتكم
 فان العبيد لا يستأثرون بأجود الاشياء واصفاها من الشوائب ويكون أردوها وأدونها
 للسادات (انكم تقولون قولاً عظيماً) باضافة الاولاد اليه لان اثبات الولد يقتضى كونه تعالى
 مربكاً من الاعاض والاخر اود ذلك يقدح في كونه قديماً واجب الوجود لذاته وأيضاً بقدر
 ثبوت الولد فقد جعلوا أشرف القسمين لانفسهم وأخس القسمين لله تعالى وهذا جهل عظيم
 وأيضاً جعلوا الملائكة الذين هم من أشرف خلق الله الذين منهم من يقدر على حمل الارض وقلب
 اسفلها على أعلاها نائفاً غاية الرخاوة * ولما كان في هذا من البيان ما لا يخفى على انسان
 ولم يرجعوا أشار الى أن لهم مثل هذا الاعراض عن أمثال هذا البيان فقال تعالى (ولقد
 صرّفنا) أى بينا بياناً عظيماً بأقوال طرق البيان من العبر والحكم والأمثال والاحكام والحجج
 والالام في قلوب الوعد والوعيد والامر والنهي والمحكم والمتشابه الى غير ذلك (في هذا
 القرآن) أى في مواضع منه من الامثال كما قال تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل

مثل قبل لفظة في زائدة كما في قوله تعالى وأصلح لي في ذريتي وورد بأن في لاتزاد وما ذكر متأول
 كما يأتي إن شاء الله تعالى في الاحقاف والتصرف لغة صرف الشيء من جهة إلى أخرى ثم صار
 كتابه عن التبيين قاله أبو حيان وقوله تعالى (لبدكروا) متعلق بصرفنا وقرأ أجزاء والكسائي
 بسكون الذال ورفع الكاف من غير تشديد من الذكر الذي هو بمعنى التذكر والباقون بفتح
 الذال والكاف مع تشديدهما (وما يزيدهم) أي التصريف (الانقورا) أي تباعدوا عن الحق
 وقلة طمأنينة اليه وعن سفيان كان إذا قرأها قال زادني ذلك لك خضوعا ما زاد أعداءك انقورا
 * ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل) أي لهؤلاء المشركين ولا تبأس من رجوع
 بعضهم (لو كان معكم آية كما تقولون) من هذه الأقوال التي لو قالها أعظمكم في حق أدناكم وهو
 يريد بها حقيقة الصارضة كالعباد (إذا ابتغوا) أي طلبوا طلبا عظيما (إلى ذي العرش) أي
 صاحب السرير الأعظم المحيط الذي من ناله كان منفردا بالتدبير (سبيلا) أي طريقا سلكا
 يتوصلون به إليه ليعهروه ويذلوا له كما ترون فعلى هؤلاء الذين أبغضهم مع بعض أوليئهم
 عنده يدأقربهم إليه وقرأ ابن كثير وحفص بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب
 وأدغم أبو عمرو والشين من العرش في السين بخلاف عنه ثم زعم سبحانه وتعالى نفسه فقال عز من
 قائل (سبحانه) أي تنزه التنزه الأعظم عن كل شائبة نقص (وتعالى) أي علا على العلو بصفات
 الكمال (بحمده يقولون) أي من هذه النقاص التي لا يرضاها لنفسه أحد من عقلاء خلقه (علوا)
 أي تعالوا (كبرا) أي متباعدة غاية البعد عما يقولون فانه تعالى في أعلى مراتب الوجود
 وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته * (تنبيه) * جعل العلو مصدرا لتعالى ومصدره
 تعاليا كما قدرته فهو المراد ونظيره قوله تعالى والله أنبتكم من الأرض نباتا (فان قيل) ما الفائدة
 في وصف ذلك العلو بالكبر (أجيب) بأن المنافاة بين ذاته وصفاته سبحانه وبين نبوت الصحابة
 والولد والشركاء والاضداد والانداد منافاة بلغت في القوة والكمال إلى حيث لا تعقل الزيادة
 عليها لأن المنافاة بين الواجب لذاته وبين الممكن لذاته وبين القديم والمحدث وبين الغنى والمحتاج
 منافاة لا تعقل الزيادة عليها فلها هذا السبب وصف الله تعالى ذلك العلو بالكبر وقرأ أجزاء
 والكسائي بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة ثم استأنف تعالى بيان عظمة هذا
 التنزيه مقررنا بالوصف بالكمال فقال (تسبح) أي توقع التنزيه الأعظم (له) أي الإله الأعظم الذي
 تقدم وصفه بالجلال والأكرام خاصة (السموات السبع والأرض) أي السبع (ومن فيهن)
 أي من ذوى العقول (وأن) أي وما وأغرق في النقي فقال (من شيء) أي ذى عقل أو غيره
 (الابسبح بحمده) أي يقول سبحانه الله العظيم بحمده ويقول سبحانه الله ويحمده وقال ابن
 عباس وأن من شيء حتى لا يسبح بحمده وقال قتادة يعني الحيوانات والناميات وقال عكرمة
 الشجرة تسبح والاسطوانة تسبح وعن المقداد بن عدى التراب يسبح ما لم يتسل فاذا تسل ترك
 التسبيح والورقة تسبح مادامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح والماء يسبح مادام
 جاريا فاذا ركد ترك التسبيح والنوب يسبح مادام جديدا فاذا وسخ ترك التسبيح وقال السبوطي

في جواب سؤال عن ذلك

قد خصصت آية الاسرى بمقتصف * وصف الحماية كطلب الزرع والشجر
 فيابس مات لا تسبيح منه كذا * مازال عن موضع كالقطع للحجر
 وقال ابراهيم الخفي وان من شئ جاد وحى الاسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السفن
 وقال مجاهد كل الاشياء تسبح لله تعالى حيوانا كانت أو جادا وتسبحها سبحان الله وبحمده يدل
 على ذلك ما روى عن ابن مسعود كأنه قال آيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا كما مع رسول الله صلى
 الله عليه وسلم في سفره فقل الماء فقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا فضله من ماء فجاءوا بأنا فيه ماء
 قليل فأدخل يده صلى الله عليه وسلم في الاناء ثم قال حي على الطهور والمبارك والبركة من الله
 فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو بأكل
 وعن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن بمكة حجرا كان يسلم على لبالي بعثت اني
 لأعرفه الآن وعن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم كان يخطف الى جذع فلما اتخذ له المنبر تحول
 اليه فخن الجذع فأنا فسمع يده عليه وفي رواية فتزل فاحتضنه وساره بشئ فنفى هذه الأحاديث
 دليل على أن الجاد يتكلم وأنه يسبح وقال بعض أهل المعاني تسبيح السموات والارض والجادات
 والحيوانات سوى العقلاء بلسان الحال حيث تدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته
 فكأنها تنطق بذلك وبصير لها منزلة التسبيح قال البغوي والاول أصح وهو المنقول عن السلف
 وقال ابن الخازن القول الاول أصح لما دللت عليه الأحاديث وأنه منقول عن السلف قال
 البغوي واعلم أن الله تعالى علما في الجادات لا يقف عليه غيره فينبغي أن يوكل علمه اليه (ولكن
 لافقهون) أي لانفهمون (تسبيحهم) أي لانه ليس بلغتهم (أنه كان حليما غفورا) ولما ذكر
 سبحانه وتعالى اثبات الالهية اتبعه بذكر تقرير النبوة بقوله تعالى (واذا قرأت القرآن) أي الذي
 لا يذنيه واعظ ولا يساويه مفهم وهو تبيان لكل شئ (جعلنا) أي بما لنا من العظمة (بينك وبين
 الذين لا يؤمنون بالآخرة جبابا مستورا) أي يحجب قلوبهم عن فهم ما تقرر عليهم والانتفاع به
 قال قتادة هو الالكه فالمستور بمعنى الساتر كقوله تعالى كان وعدة مأثمة فعول بمعنى فاعل
 وقبل مستورا عن أعين الناس فلا يرونه وفسره بعضهم بالحجاب عن الاعين الظاهرة كما روى
 عن سعيد بن جبير أنه لما نزلت تب تب يد أبي لهب جاءت امرأته أبي لهب ومعها حجر والنبي صلى
 الله عليه وسلم مع أبي بكر رضى الله عنه فلم تره فقالت لابي بكر أين صاحبك لقد بلغني أنه
 هجاني فقال والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لارض
 به وأسه فقال أبو بكر ما رأيتك يا رسول الله قال لالم ير ملك بيني وبينها يس ترفي (وجعلنا) أي
 بما لنا من العظمة (على قلوبهم أكنة) أي أغطيه كراهة (أن يفقهوه) أي يفهموه أي يفهموا
 القرآن حق فهمه (وفي آذانهم وقرا) أي شبها تقبلا يمنع سماعهم وعن أسماء كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم جالسا ومعها أبو بكر إذا قيلت امرأته أبي لهب ومعها فهر تزيد الرسول صلى
 الله عليه وسلم وهي تقول مذمما بينا ودينه قليلا وأمره عدينا فقال أبو بكر يا رسول الله معها

فهرأخشاها عليك قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فجاءت وما رأت رسول صلى الله عليه وسلم وقالت اني رأيت قريشا قد علمت أني ابنة سيدها وان صاحبك هجاني فقال أبو بكر لا ورب الكعبة ورب هذا البيت ما هجأه وروى ابن عباس أن أباسفيان والنضربن الحرث وأبا جهل وغيرهم كانوا يجالسون النبي صلى الله عليه وسلم ويسمعون حديثه فقال النضربوما ما أرى ما يقول محمد غير أني أرى شفيعه ينحتر كان بشي وقال أبوسفيان اني لأأرى بعض ما يقوله الاحقا وقال أبو جهل هو مجنون وقال أبو الهب هو كاهن وقال حويط بن عبد العزى هو شعاع فقتلت هذه الآية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد تلاوة القرآن قرأ قبله ثلاث آيات وهي في سورة الاسراء وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي اذانهم وقرأوا في سورة النحل أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وفي حم الجائفة أفرايت من اتخذ الله الهه هو اله الى آخر الآية فكان الله تعالى يحجبه ببركة هذه الآيات عن عيون المشركين (واذا ذكرت ربك في المحسن اليك واليهم في القرآن وحده) أي مع الاعراض عن آلههم كان قلت وأنت تتلو القرآن لا اله الا الله * (تنبيه) في نصب وحده وجهان أحدهما أنه منصوب على الحال وان كان معرفة لفظا لانه في قوة النكرة اذ هو في معنى منفردا والثاني أنه منصوب على الظرف (ولو اعلی أذبارهم نفورا) أي هربا من استماع التوحيد * (تنبيه) في نفورا وجهان أحدهما مصدر من غير اللفظ مذكولان التولى والنفور بمعنى والثاني أنه حال من فاعل ولوا وهو حينئذ جمع نافر كقاعد وقعود وشاهد وشهود والضمير في ولوا يعود الى الكفار وقيل يعود الى الشيطان وان لم يجز لهم ذكر قال المفسرون ان القوم كانوا عند استماع القرآن على أقسام منهم من كان يلهو عند استماعه روى أنه عليه الصلاة والسلام كان كلما قرأ القرآن قام عن يمينه ويساره اخوان من ولد قصي يصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالشعار ومنهم من كان اذا سمع من القرآن ما فيه ذكر الله تعالى بقوامهم وتين لافهم - مؤمن منه شيئا ومنهم من اذا سمع آيات فيها ذكر الله تعالى وذم المشركين ولوا نفورا وتركو ذلك المجلس * ولما كانوا ربما ادعوا السمع والفهم فشككوا بعض من لم يرسخ ايمانه أتبعه تعالى بقوله تعالى (نحن أعلم) أي من كل عالم (بما يستمعون) أي يبالغون في الاصغاء والميل لقصد السمع (به) من الاذان والقلوب أو بسببه ولا جله من الهزء بك وبالقرآن (اذ يستمعون) أي يصغون بجهدهم (اليك) أي الى قراءة تلك (واذ) أي حين (هم) ذو (نجوى) أي يتناجون بأن يرفع كل منهم بصرة الى صاحبه بعد اعراضهم عن الاستماع ثم ذكر تعالى ظرف النجوى بقوله تعالى (اذ) وهو يدل من اذ قبله (يقول الظالمون) وقولهم (ان) أي ما (تبعون الا رجلا مسحورا) أي محمد وعام مغلوبا على عقله روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليا أن يخذل طعاما ويدعو اليه أشراف قريش من المشركين ففعل ذلك ودخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى التوحيد وقال قولوا لا اله الا الله حتى تطيعكم العرب وتدين لكم الحيم فابوا عليه فلما كانوا عند استماعهم من النبي صلى الله عليه وسلم القرآن والدعوى الى الله تعالى يقولون ان تتبعون الا رجلا مسحورا

(فان قيل) انهم لم يتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يصح أن يقولوا ان يتبعون الا
 رجلا مسجورا (أجيب) بأن معناه ان اتبعوه فقد اتبعتم رجلا مسجورا وقرأ أبو عمر وابن
 ذكوان وعاصم وحزرة بكسر التنوين في الوصل والباقون بالضم ثم قال تعالى (انظر كيف
 ضربوا) أي هؤلاء الضلال (لك الامثال) التي هي أبعث شيء من صفتك من قولهم كاهن وساحر
 وشاعر وعلم ومجنون (فضلوا) عن الحق في جميع ذلك (فلا) أي فبسبب عن ذلك أنهم
 لا يستطيعون سبيلا) أي وصولا الى طريق الحق * ولما جرت عادة القرآن بإثبات التوحيد
 والنبوة والمعاد وقدم الدلالة على الاولين وختم بإثبات جهلهم في النبوة مع ظهورها أتبع ذلك
 أمرا جليبا ضلالهم عن السبيل في أمر المعاد وقزوه غاية التقرير وحزرة أتم تحرير قال تعالى
 محجباً منهم (وقالوا) أي المشركون المنكرون للتوحيد والنبوة والبعث مع اعترافهم بأن الله ما
 خلقهم ومشاهدتهم في كل وقت أناجي الارض بعد موتها وقولهم (أنذا) استقهام انكارى
 كانهم على ثقة من عدم ما يشكرونه والعامل في اذا فعل من لفظ مبعوثون لا هو فان ما بعد ان
 لا يعمل فيما قبلها فالمعنى أتبع اذا (كأ) أي بجملة أجسامنا كوننا لازما (عظما ورفاتا) أي
 حطاما مكسرا مفتتا وغبارا وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد وبؤيده أنه قد يذكر في
 القرآن ترابا وعظما ويقال للتين الرفات لأنه دقاق الزرع (أنابيعوثون) حال كوننا مخلوقين
 خلقا جديدا * (تنبيه) * تقرير شبهة هؤلاء الضلال هي أن الانسان جفت أعضاؤه وتناثرت
 وتفرقت في جوانب العالم واختلطت تلك الاجزاء بسائر أجزاء العالم فالاجزاء المائية
 مختلطة بعلماء العالم والاجزاء الترابية مختلطة بالتراب والاجزاء الهوائية مختلطة بالهواء فكيف
 يعقل اجتماعها بأعيانهم مرة أخرى وكيف يعقل عود الحياة اليها بأعيانهم مرة أخرى هذا تقرير
 شبهتهم (أجيب) عنها بأنها انتم الان بالقدح في كمال علم الله تعالى وفي كمال قدرته فانه تعالى قادر
 على كل الممكنات فهو قادر على إعادة التآليف والتركيب والحياة والعقل الى تلك الاجزاء
 بأعيانها فمن سلم كمال علم الله تعالى وكمال قدرته زالت عنه هذه الشبهة بالكلية * ولما كان كانه قيل
 فماذا يقال لهم في الجواب فقال (قل) لهم يا أشرف المخلوق لا تكونوا رفاتا بل (كونوا) أصلب من
 التراب (حجارة) أي هي في غاية اليبس (أو حديد) أي زائد على يبس الحجارة لشدّة اتصال
 الاجزاء * (تنبيه) * ليس المراد به أمر الزام بل المراد انكم لو كنتم كذلك لما أعجزتم الله تعالى عن
 الاعادة وذلك كقول القائل أأطعم في وأنا فلان فيقول كن من شئت كن ابن الخليفة فساد طلب
 منك حتى (أو خلقا) غير ذلك (بما يكبر) أي بعظم عظمة كبيرة (في صدوركم) أي مما يكبر عنكم عن
 قبول الحياة لكونه أبعد شيء منها فان الله تعالى قادر على إعادة الحياة اليها وقال ابن عباس
 ومجاهد وعكرمة وأكثر المفسرين انه الموت فانه ليس في نفس ابن آدم شيء أكبر من الموت أي
 لو كنتم الموت بعينه لا ممتنعكم ولا بعثتكم وقيل السموات والارض والجبال لانهم أعظم
 المخلوقات (فسيقولون) تماديا في الاستهزاء (من يعيدنا) اذا كنا كذلك (قل الذي فطركم)
 أي ابتدأ خلقكم (أو لمرة) ولم تكونوا شيئا بعيدكم بالقدرة التي ابتدأكم بها فكم تعجزون تلك

عن البداهة فهي لا تعجز عن الاعادة (فسيغضون) أي يحركون (اليك رؤسهم) تعجبوا واستهزأوا
كانهم في شدة جهلهم على غاية البصيرة من العلم بما يقولون والنقض والانقراض تحريك
بارتفاع وانخفاض (ويقولون) استهزأوا (مضى هو) أي البعث والقيامة قال الرازي واعلم
أن هذا السؤال فاسد لانهم حكموا بامتناع الحشر والنشر بناء على الشبهة التي تقدمت
ثم إن الله تعالى بين بالبرهان الباهر كونه ممكناً في نفسه فقولهم متى هو كلام لا يتعلق له بالبحث
فانه لما ثبت بالدليل العقلي كونه ممكن الوجود في نفسه وجب الاعتراف بامكانه فأما أنه متى
يوجد فذلك لا يمكن اثباته من طريق العقل بل انما يمكن اثباته بالدليل السمعي فان أخبر الله
تعالى عن ذلك الوقت المعين عرف والا فلا سبيل الى معرفته لانه تعالى بين في القرآن أنه
لا يطلع أحد من الخلق على وقته المعين فقال تعالى إن الله عنده علم الساعة وقال انما يعلمها
عند ربى وقال تعالى إن الساعة آتية أكاد أخفيها فلا جرم قال تعالى (قل عسى أن يكون
قريباً) قال المفسرون عسى من الله واجب ومعناه أنه قريب اذ كل آت قريب وأمال متى
وعسى جزء والكسائي أماله محضة وورش بالفخ وبين اللفظين والباقيون بالفخ وقوله تعالى
(يوم يدعوكم) بدل من قريب والمعنى عسى أن يكون البعث يوم يدعوكم أي بالنداء الذي
يسمعوكم وهو النفخة الأخيرة كما قال تعالى يوم ينادى المتنادى من مكان قريب روى أن اسرافيل
ينادى أيها الاجسام البالية والعظام النخرة والاعضاء المتفرقة عودي كما كنتم (فتستجيبون)
أي تجيبون والاستجابة موافقة الداعي فيما دعا اليه وهي الاجابة الا أن الاستجابة تقتضي
طلب الموافقة فهي أكرم من الاجابة واختلف في معنى قوله تعالى (بحمده) فقال ابن
عباس بأمره وقال سعيد بن جبير يخرجون من قبورهم وينقضون التراب عن رؤسهم
ويقولون سبحانك اللهم وبحمده فيحمدونه حين لا ينفعهم الحمد وقال قتادة بعرفته وطاعته
وقال أهل المعاني تستجيبن بحمده أي تستجيبن حامدين كما تقول جاء بغضبه أي جاء
غضبان وركب الأمير بسيفه أي وسيفه معه وقال الزمخشري بحمده حال منهم أي حامدين
وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فبأي وعيتع ستر كبه
وأنت حامد ساكر يعني أنك تحمل عليه وتفسر عليه قسرا حتى أنك تلين لمن المستحي الرأغب
فيه الحامد عليه (وتظنون ان) أي ما (لبنتم الا قليلاً) أي مع استجابتيكم وطول لبسكم
وشدة ما ترون من الهول فعندها تنصرون مدة لبسكم في الدنيا وتحسبون انما أوبعض يوم
وعن قتادة فخاقرت الدنيا في أنفسهم حين عاينوا الآخرة وقال الحسن معناه تقرب وقت
البعث فكأنك بالدنيا ولم تكن وبالاخرة ولم تزل فهذا يرجع الى استغلال مدة اللبث في الدنيا
وقيل المراد استغلال مدة لبسهم في برزخ القيامة لانه لما كان عاقبة أمرهم الدخول في النار
استقصروا لبسهم في برزخ القيامة وقرأ نافع وابن كثير وعاصم باظهار الناء المثلثة عند التاء
المثناة والباقيون بالادغام ولما ذكر تعالى الحجة البقينية في صحة المعاد وهو قوله تعالى قل الذي
فطركم أول مرة قال تعالى (وقل) يا محمد (لعبادي) أي المؤمنين لان لفظ العباد في أكثر

آيات القرآن مختصر بالمؤمنين قال تعالى فبشر عبادى الذين يستمعون القول وقال تعالى
 فادخلنى فى عبادى وقال تعالى عينا يشرب بها عباد الله (يقولوا) للكفار الذين كانوا يؤذونهم
 الكلمة (التي هي أحسن) ولا يكافؤهم على سفههم بل يقولون يهديكم الله وكان هذا قبل
 الاذن بالقتال وقيل نزلت في عمر بن الخطاب شتمه بعض الكفار فأمره الله تعالى بالعفو وقيل
 أمر المؤمنين بأن يقولوا ويفعلوا الخلة التي هي أحسن وقيل الاحسن قول لا اله الا الله ثم علل
 بقوله تعالى (ان الشيطان) أى البعيد عن الرحمة المحترق بالعنة (ينزع بينهم) أى يفسد
 ويفرى بعضهم على بعض ويوسوس لهم لتقع بينهم المشارة والمشاقة وأصل النزغ الطعن وهم غير
 معصومين فيوشك أن يأثروا بما لا يناسب الحال ثم علل تعالى هذه العلة بقوله تعالى (ان
 الشيطان كان) أى في قديم الزمان وأصل الطبع كونا هو مجبول عليه (للافساد عدواً)
 أى بليغ العداوة (مبيناً) أى بين العداوة ثم فسر تعالى التي هي أحسن مما علمهم
 وبهم من النصفة بقوله تعالى (ربكم أعلم بكم) فعلم أن قوله تعالى ان الشيطان الى آخره جملة
 اعتراضية بين المفسر والمفسر وسكن أبو عمر والميم واخفاها عند الباء بخلاف عنه وكذا أعلم
 بمن ثم استأنف تعالى (ان يشأ) أى رجسكم (رجسكم) أى يهديكم (أوان يشأ) تعذيبكم
 (يعذبكم) أى باضلائكم فلا تحقروا أيها المؤمنون المشركين فقطعوا بآبائهم
 من أهل النار فغيروهم بذلك فانه يجزى الى غيظ القلوب فلا فائدة لان الحاجة مجهولة ولا
 تجاوزوا فيهم ما أمركم الله به من قول وفعل * ثم رقى الله الخطاب الى أعلى الخلق ورأس أهل
 الشرع ليكون من دونه أولى بالمعنى منه فقال تعالى (وما أرسلناك) أى مع الناس من العظمة
 الغنية عن كل شيء (عليهم وكيلاً) أى حفيظاً وكفيلاً تقسره هم على ما رضى الله وانما أرسلناك
 على حسب ما أمر لك به بشيراً ونذيراً فداوهم ومرضهم وأصحبك بدارتهم وقدمز أن هذا قبل
 الاذن بالقتال * ولما أمرهم بأن ينسبوا الاعلمية بهم اليه تعالى أخبر بما هو أعم من ذلك فأمرا
 الخطاب على أعلم خلقه بقوله تعالى (وربك) أى المحسن اليك بأن جعلك أكمل الخلق (أعلم عن
 فى السموات والارض) فعلمه غير متصور عليكم بل متعلق بجميع الموجودات والمعدومات
 ومتعلق بجميع ذات الارض والسموات فيعلم تعالى حال كل أحد ويعلم ما يليق به من المفاسد
 والمصالح ويعلم اختلاف صورهم وأديانهم وأخلاقهم وأحوالهم وجميع ما هم عليه سبحانه
 وتعالى لا تخفى عليه خافية فيفضل بعض الناس على بعض على حسب احاطة علمه وشمول قدرته
 وبعض النبيين على بعض كما قال تعالى (ولقد فضلنا) بما لنا من العظمة (بعض النبيين) سواء
 كانوا رسلاً أم لا (على بعض) بعد أن جعلنا الكل فضلاً لتقوى كل منهم واحسانه فخصنا كلا
 منهم بفضيلة كوسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمد صلى الله عليه وسلم بالاسراء فلا ينكر أحد
 من العرب أو بنى اسرائيل أو غيرهم تفضيلنا لهذا النبي الكريم الذى صدرنا السورة بتفضيله
 على جميع الخلق فاذا فعلنا مثله بما لنا من القدرة التامة والعلم الشامل وقرأنا نافع بالهمزة
 والباقون بالياء وورث على أصله بعد على الهمزة ويوسط ويقصر (وآيتنا) موسى التوبة

و (داود زبوراً) وعيسى الانجيل فلم يعد أيضاً أن نؤتي محمد صلى الله عليه وسلم القرآن ولم
يعد أن نفضله على جميع الخلق (فان قيل) ما السبب في تخصيص داود عليه السلام بالذكر هنا
(أجيب) بأوجه الاول انه تعالى ذكره فضل بعض النبيين على بعض ثم قال وآتيناه داود
زبوراً يعني أن داود أوتي ملكاً عظيماً ثم انه تعالى لم يذكر ما آناه من الملك وذكر ما آناه من
الكتاب تنبيهاً على أن الفضل الذي ذكره قبل ذلك المراد منه التفضل بالعلم والدين لا بالمال
الثاني انه تعالى كتب في الزبور أن محمد اخاتم الانبياء وأن أمة محمد خير الامم قال تعالى ولقد
كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد صلى الله عليه وسلم
وأمتهم (فان قيل) هلا عرفه كقوله ولقد كتبنا في الزبور (أجيب) بأن التنكير هنا يدل على تعظيم
حاله لأن الزبور عبارة عن المزبور فكان معناه الكتاب وكان معنى التنكير أنه كامل في كونه
كتاباً ويجوز أن يكون زبوراً لما إذا دخلت عليه أل كقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور كانت
للحج الاصل كعباس والعباس وفضل والفضل الثالث ان كفار قريش ما كانوا أهل نظر
وجدل بل كانوا يرجعون الى اليهود في استخراج الشبهات واليهود كانوا يقولون انه لاني بعد
موسى ولا كتاب بعد التوراة فنقص الله عليهم كلامهم بانزال الزبور على داود وروى البخاري
في التفسير عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خفف على داود القرآن فكان يأمر
بدوايه لتسرح فكان يقرأ قبل أن يفرغ أي القرآن قال الباقى ومن أعظم المناسبات
لتخصيص داود عليه السلام وزبوره بالذكر هنا ذكر البعث الذي هدام مقامه فيه صريحاً
وكذا ذكر النار مع خلوة التوراة عن ذلك أما البعث فلا ذكر له فيها أصلاً وأما النار فليذكر
مما يدل عليها الانجيل في موضع واحد وأما الزبور فذكر فيه النار والهواة والجهنم في غير
موضع انتهى وقرأ آية بضم الزاي والباقيون بالفتح واختلف في سبب نزول قوله تعالى (قل)
ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة (من دونه) أي من سواه كالملائكة وعزير والمسبح وقرأنا نافع
وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائي بضم اللام من قل وكسر هاء عاصم وحزرة كل
هذا في حال الوصل وأما الابتداء فالجميع ابتدؤا بهمة مضمومة (فلا يعلمون كشف الضر)
أي البؤس الذي من شأنه أن يعرض الجسم كله (عنكم) حتى لا يدعوا شيئاً منه (ولا تحويلاً)
له أي غيركم فقال ابن عباس انه أنزلت في الذين عبدوا المسبح وعزيراً والملائكة والشمس
والقمر والنجوم وقيل ان قوماً عبدوا القمر من الجن فأسلم النفر من الجن وبقي أولئك القوم
متمسكين بعبادتهم فأنزلت فيهم هذه الآية وقيل ان المشركين أصحابهم فحط شديد حتى أكلوا
الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليدعولهم فأنزل قل للمشركين ادعوا الذين
زعمتم أنهم آلهة من دونه وليس المراد الاصنام لانه تعالى قال في وصفهم (أولئك الذين يدعون)
أي يدعونهم الكفار ويتألهونهم (يتبعون) أي يطلبون طلباً عظيماً (الى ربهم) أي المحسن
اليهم (الوسيلة) أي المنزلة والدرجة والقربة لعمالهم الصالحة وابتغاء الوسيلة الى الله
تعالى لا يليق بالاصنام البتة وقرأ أبو عمرو في الوصل بكسر الهاء والميم وحزرة والكسائي بضم

الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم * (تنبيه) * أولئك مبتدأ وخبره ينتفون ويكون
 الموصول نعتاً وبياناً أو بدلاً والمراد باسم الإشارة الأنبياء والملائكة الذين عبدوا من دون
 الله والمراد بالواو العباد لهم ويكون العائد على الذين يحذوفاً والمعنى أولئك الأنبياء الذين
 يدعونهم المشركون لكشف ضررهم ينتفون إلى ربهم الوسيلة (أيهم أقرب) أي يتسابقون
 بالأعمال مسابقة من يطلب كل منهم أن يكون إليه أقرب ولديه أفضل (ويرجون رحمته)
 رغبة فيما عنده (ويخافون عذابه) فهم كغيرهم موصوفون بالعجز والحاجة فكيف
 يدعونهم آلهة وقيل معناه أن الكفار ينظرون أيهم أقرب إلى الله تعالى فيستولون به ثم
 على خوفهم بأمر عام بقوله تعالى (أن عذاب ربك) أي المحسن اليك برفع انتقام الاستئصال
 منه عن أمتك (كان) أي كونا لازماً (تحدوا) جذراً بأن يحذروا لكل أحد من ملك مقرب ونبي
 مرسل فضلاً عن غيرهم لما شوه من أهلاكه للقرون الماضية * ولما قال تعالى أن عذاب
 ربك كان محدوراً بين بشوة تعالى (وان) أي وما (من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة
 أو معذبوها عذاباً شديداً) أن كل قرية أي أهلها لابد وان يرجع حالهم إلى أحد
 أمرين إما الأهلاك بالموت والاستئصال وإما العذاب بالقتل وأنواع البلاء وقال مقاتل
 أما الصالحة فبالموت وأما الطالحة فبالعذاب وقال عبد الله بن مسعود إذا ظهر الزنا والربا
 في قرية أذن الله تعالى في هلاكها (كان ذلك) أي الأمر العظيم (في الكتاب) أي اللوح
 المحفوظ (مسطوراً) أي مكتوباً قال عبادة بن الصامت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول أن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب فقال وما أكتب قال القدر ما كان وما هو كائن
 إلى أبد الأبد أخرجه الترمذي * ولما كان كفر قريش قد تكرر اقتراحهم للآيات وكان
 صلى الله عليه وسلم لشدة حرصه على إيمان كل أحد يحب أن الله تعالى يجيبهم إلى مقترحهم
 طمعا في إيمانهم فأجاب الله تعالى بقوله (وما منعنا) أي على ما لنا من العظمة التي لا يعجزها شيء
 ولا يمنعها مانع (أن نرسل بالآيات) أي التي اقترحوها كما حكى الله تعالى عنهم ذلك في قولهم
 فأتنا بآية كما أرسل الأولون وقال آخرون لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً الآيات
 وقال سعيد بن جبير أنهم قالوا انك تزعم أنه كان قبلك أنبياء منهم من سفرت له الرياح ومنهم من
 أحيا الموتى فأتنا بشي من هذه المعجزات فكان كانه لا آيات عندهم سوى ذلك (الآ) علمنا في عالم
 الشهادة بما وقع من (أن كذب بها) أي المقترحات (الآولون) وعلمنا في عالم القبر أن هؤلاء
 مثل الأولين أن الشقي منهم لا يؤمن بالمقترحات كما لم يؤمن بغيرها وأنه يقول فيها ما قال في غيرها
 من أنها سحر وضو ذلك والسعيد لا يحتاج في إيمانه اليه فكم أجبن أمة إلى مقترحها فما زاد
 ذلك أهل الضلالة منهم إلا كفراً فأخذناهم لأن ستمنا جرت ألائمهم بعد الإجابة إلى المقترحات
 من كذب بها قال ابن عباس سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهباً
 وإن ينفي الجبال عنهم ليزعوا تلك الأراضي فطلب صلى الله عليه وسلم ذلك من الله تعالى
 فأوحى الله تعالى إليه أن شئت فعلت ذلك لكن بشرط أن لم يؤمنوا أهلكتهم فقال صلى الله

عليه وسلم لأريد ذلك ففضل الله تعالى برحمته هذه الأئمة ونشر فيها على الأمم السابقة بعدد استصالتها ما يخرج من أصلاب كفرتها من خلص عباده فلهاذا السبب ما أجابهم الله تعالى إلى مطلوبهم فقال جل ذكره بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ثم ذكر تعالى من تلك الآيات التي اقترحها الأولون ثم كذبوا بها ما رسل إليهم فأهلكوا ما ذكره تعالى بقوله تعالى (وَأَتَيْنَاهُمُ الْبَاقَةَ) حالة كونها (مبصرة) أي مضنية بفتح جدي رقبان يستبصر بها من كل شاهدها فيستدل بها على صدق قول ذلك النبي (فظلموا أنفسهم) أي ظلموا أنفسهم بتكذيبها وقال ابن قتيبة مجدوا بأنهم آمنوا بالله تعالى فأهلكهم فكيف تنهاها هؤلاء على سبيل الاقتراح والتحكيم على الله تعالى وخص تعالى هذه الآية بالذكر لأن آثارها لا تكفي في بلاد العرب قريبة من حدودهم يصبرها صادرهم وواردهم ثم قال تعالى (وما نرسل بالآيات) أي المقترحات وغيرها (الأنحويقا) للمرسل إليهم بها فان خافوا انجوا والاهلكوا بعدد الاستئصال من كذب بالآيات المقترحات وبعدد الآخرة من كذب بغيرها كالهمزات وآيات القرآن فأمر من بعث إليهم مؤخر إلى يوم القيامة (فان قيل) المقصود الا عظم من اظهار الآيات أن يستدل بها على صدق المدعى فكيف حصل المقصود من اظهارها في الضويف (أجيب) بأنه لما كان هو الحامل والغالب على التصديق فكان هو المقصود والمطلوب القوم من النبي صلى الله عليه وسلم تلك الآيات المقترحات وأجاب الله تعالى بأن اظهارها ليس بعصيلة صار ذلك سببا لمجراة أولئك الكفار بالظعن فيه وأن يقولوا له لو كنت رسولا لحققت عند الله لايت بهذه المعجزات التي اقترحناها كما أتى بها موسى وغيره من الانبياء فعند هذا أقوى الله تعالى قلبه وبين له أنه نصره ويؤيده فقال تعالى (و) اذكر يا أشرف الخلق (اذ قلنا لك ان ربك) أي المتفضل بالاحسان اليك بالرفق لا تمتك (أحاط بالناس) علما وقدره ففهم في قبضته وقدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته فلا يقدرون على أمر من الامور الا بقضائه وقدره وهو حافظك ومانعك منهم فلا تتم باقتراحهم وامض فيما أمر الله به من تبليغ الرسالة فهو نصر لك ويقويك على ذلك كما وعدك بقوله تعالى والله يصعدكم من الناس وقيل ان المراد بالناس أهل مكة بمعنى أنه يغلبهم ويقهرهم روى أنه لما تراخى القريشان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش مع أبي بكر رضي الله عنه كان يدعو ويقول اللهم اني أسألك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحترض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان صلى الله عليه وسلم يقول حين ودبدا والله كافي أنظر إلى مصارع القوم وهو يومئذ إلى الارض ويقول هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت قريش عما أوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم عطف تعالى على وما نرسل بالآيات قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أرى) أي التي شاهدتها ليلة الاسراء (الاقننة) أي امتحانا واختبارا (لنناس) لانه صلى الله عليه وسلم لما ذكر لهم قصة الاسراء كذبوه وكفروه كثيرا عن كان قد آمن به وازداد المخلصون ايمانا فلهاذا السبب كانت امتحانا وروى البخاري في التفسير عن ابن عباس انه قال هي رؤيا يحيى ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به وحققت

أنه قول الاكثر منهم سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج
وما تاله بعضهم من ان الرؤيا تدل على أنها رؤيا منام ضعيف اذا لفرق بين الرؤية والرؤيا في اللغة
يقال رأيت بهيئة رؤية ورؤيا * (قائدة) * قال بعض العلماء كانت اسرا أنه صلى الله عليه وسلم
أربعاً وثلاثين مرة واحدة بحجده والباقي بروحه رؤيا رآها قال ومما يدل على أن الاسراء ليلة
فرض الصلاة كانت بالجسم ما ورد في بعض طرق الحديث انه صلى الله عليه وسلم استوحش
لما رجع به في النور ولم يرعه أحدا اذا الارواح لا توصف بالوحشة ولا بالاستحياء قال ومما
يدل على أن الاسراء كان بجسمه ما وقع له من العطش فان الارواح المجردة لا تعطش ولما كان
صلى الله عليه وسلم قد وصل الجحيم وأخبر صلى الله عليه وسلم ان شجرة الرقوم ثبتت في أصل
الجحيم وكان ذلك في غابة الغرابة ضمها الى الاسراء في ذلك بقوله تعالى (والشجرة الملعونة في
القرآن) لأن فيها اختنافاً يضابل قال بعض المفسرين هي على التقديم والتأخير والتقدير وما
جعلنا الرؤيا التي أرسلك والشجرة الملعونة في القرآن الاقنسة للناس واختلاف في هذه الشجرة
فالاكثر قالوا انها شجرة الرقوم المذكورة في قوله تعالى ان شجرة الرقوم طعمام الانيم
فكانت القنسة في ذكر هذه الشجرة من وجهين الاول أن أيا جهل قال زعم صاحبكم ان نار
جهنم تحرق الحجارة حيث قال وقودها الناس والحجارة ثم يقول في النار شجرة والنار تأكل
الشجر فكيف يولد فيها الشجر والثاني قال ابن الزبيرى ما نعلم الرقوم الا الترو والزبد فتروقا منه
فأنزل الله تعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجرانا جعلنا لها قنسة للظالمين الآيات وما قدروا
الله حق قدره من قال ذلك فان الله تعالى قادر على أن يجعل الشجرة من جنس لانا كاه
النار فهذا وبر السمندل وهو دوية يبلاد الترك يتخذ منه مناديل اذا اتخدت طرحت في النار
فيذهب الوسخ وبقيت سالمة لاتعمل فيها النار وترى النعامه تطلع الجرو وتطلع الحديد الحجر باجاء
النار فلا يضرها ثم أقرب من ذلك انه تعالى جعل في الشجر ناراً فتأخرقه قال تعالى الذي جعل لكم
من الشجر الاخضر نارا (فان قيل) ليس في القرآن لعن هذه الشجرة (أجيب) عن ذلك بوجوه
الاول المراد لعن الكفار الذين ياكلونها لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما
وصفت بلعن أصحابها على الجواز الثاني ان العرب تقول لكل طعام ضارانه ملعون الثالث ان
اللعن في اللغة الاعداد ولما كانت هذه الشجرة مبعدة عن صفات الخير سميت ملعونة وقيل ان
الشجرة الملعونة في القرآن هي اليهود لقوله تعالى لعن الذين كفروا الآية وقيل هي الشيطان
وقيل أبو جهل وعن ابن عباس هي الكشوث التي تتلوى بالشجر تجعل في الشراب * ولما ذكر
سبحانه وتعالى أنه يرسل بالآيات تخويفاً قال هنا أيضاً (وتخوفهم فما يردنهم) أى الكافرين
والتخويف بالقرآن (الاطغيا كبراً) أى تجاوز الحد وفي غاية العظم فتقدير أن يظهر الله
تعالى لهم المعجزات التي اقترحوا لها لم يزدادوا بها الا تماديا في الجهل والعناد فاقضت الحكمة أن
لا يظهر الله لهم ما اقترحوه من الآيات والمعجزات فانهم قد دخروا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم
يدخروا عذاب الآخرة وشجرة الرقوم فما أترفهم فكيف يحاف قوم هتفه سالمهم بارسالي

ما يقتضون من الآيات * ولما فازع القوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاندوه واقترحوا عليه الاقتراحات الباطلة لأميرين الكبر والحسد أما الكبر فلأن تكبرهم كان ينفعهم من الانقياد وأما الحسد فلأنهم كانوا يحسدونه على ما آتاه الله من النبوة فينبغي تعالى أن هذا الكبر والحسد هما اللذان جلا إبليس على الخروج عن الإيمان والدخول في الكفر بقوله تعالى (وَأَذِ أَى وَاذْ كَرَأْ) قلنا) بمالنا من العظمة التي لا ينقض مرادها (للملائكة) حين خلقنا أبا آدم وفضلناه (أسجدوا لآدم) أى امتثالاً لأمري (فَسَجَدُوا لِلْإِبْلِيسِ) أى أبى أن يسجد لكونه ممن حقت عليه الكرامة ولم ينفعه ما يعلمه من قدرة الله وعظمته وذلك معنى قوله تعالى (قَالَ) أى منكراً متكبراً (أَأَسْجُدُ) أى خضوعاً (لِمَنْ خَلَقْتَ) حال كون أصله (طيناً) فكفر بنسبته لنا إلى الجور تخيلاً أنه أفضل من آدم عليه السلام من حيث أن القروع ترجع إلى الأصول وأن النار التي هي أصله أكرم من الطين الذي هو أصل آدم وذهب عنه أن الطين أنفع من النار وعلى تقدير التزل فالجواهر كلها من جنس واحد والله تعالى هو الذي أوجدها من العدم بفضل بعضها على بعض بما يحدث فيها من الاعراض وقد ذكر الله تعالى هذه القصة في سبع سور وهي البقرة والاعراف والحجر وهذه السورة والكهف وطه وص والكلام المستقصى فيها قد تقدم في البقرة ولعل هذه القصة إنما كرت تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم فإنه كان في محنة عظيمة من قومه وأهل زمانه فكأنه تعالى يقول ألا ترى أن أول الأنبياء هو آدم عليه السلام ثم أنه كان في محنة شديدة من إبليس وأن الكبر والحسد كل منهما بلية عظيمة ومحنة عظيمة للخلق وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبصحيح الأولى وتسهيل الثانية وأدخل قالون وأبو عمرو بينهما ألفاً ولم يدخل ورش وابن كثير بينهما ألفاً ولورش أيضاً بدل الثانية ألفاً وإذا وقف جزة سهل الثانية كقراءة ابن كثير وقرأ أشعشعاً بالتحقيق في الثانية والتسهيل وأدخل ألف بينهما وقرأ الباقر بتحقيقهما بلا إدخال * ولما أخبر تعالى بتكبره كان كأنه قيل إن هذه الواقعة عظيمة واجترأ على الجنب الأعلى فهل كان منه غير ذلك قيل (قَالَ أَرَأَيْتَ) أى أخبرني وقرأ نافع بتسهيل الهمزة بعد الراء ولورش وجه ثان وهو أن يدلها ألفاً وأسقطها الكسائي والباقرن بالتحقيق (هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ) لم كرمته على مع ضعفه وقوتي فكأنه قيل لقد أتى بالغاية في إساءة الأدب فما كان بعد هذا فقيل قال مقسم لاجل استبعاد أن يجترأ أحد هذه الجرائم على الملك الأعلى (لَنْ أُخَرِّنَ) أى أيها الملك الأعلى تأخيراً ممتداً (إلى يوم القيامة) حياً متمكناً وجواب القسم الموطأ باللام (لَأَحْسُنَنَّ) أى بالغوام (ذريته) أى لاستولين عليهم استيلاء من جعل في حنك الدابة الأسفل جبلاً يقودها به فلا تأتي عليه وقرأ نافع وأبو عمرو وزيادة ياء بعد النون في آخرتي عند الوصل وحذفها في الوقف وأثبتها ابن كثير وصلوا وقفوا وحذفها الباقرن وقفوا وصلوا اتباعاً للرسم * ولما علم أنه لا يقدر على الجميع قال (الْأَقْبِلَا) وهم أوابوا لؤ الذين حفظتهم مني كما قال تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان (فان قيل) كيف ظن إبليس هذا الظن الصادق بذرية آدم (أجيب) بأوجه الأول أنه سمع الملائكة يقولون أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء

فعرف هذه الاحوال الثاني انه وسوس الى آدم ولم يجعل له عزما فقال الظاهر ان اولاده يكونون
 مثله في ضعف العزم الثالث انه عرف انه مركب من قوة بهيمة شهوية وقوة وهمية شبيهة بطانية
 وقوة عقلية ملكية وقوة سبعة غصية وعرف ان بعض تلك القوى تكون هي المسئولة في بعض
 اثل الخلقه ثم ان القوة العقلية انما تكمل في آخر الامر ومن كان كذلك كان ماذكرا بايس لازما
 له ثم كانه قيل لقد اطال عدو الله الاجترافا قال له رب بعد ذلك فقل (قال) بمذاله (اذهب) أى
 امض لما قصدته وهو طرد وتخليه بينه وبين ماسوات له نفسه وتقدم في الجحيم انه انما يؤخر الى يوم
 الوقت المعلوم وهو يوم ينفع في الصور لا أنه يؤخر الى يوم القيامة كما طلب وقرأ أبو عمرو وخلاص
 والكسائي بادغام الباء الموحدة في الفاء وأظهرها الباؤون * ولما حكم تعالى بشقاوته وشقاوة
 من أراد اطاعته له تسبب عنه قوله تعالى (فن تبعك منهم) أى اولاد آدم عليه السلام (فان
 جهنم) أى الطبقة النارية التي تجهم داخلها (جزاؤكم) أى جزاؤك وجزاء أتباعك تجزون
 ذلك (جزاء موفورا) أى مكمل وافيا بما تستحقون على أعمالكم الخبيثة * ولما طلب ابليس
 اللعين من الله تعالى الامهال الى يوم القيامة لاجل أن يحثك ذرية آدم ذكر الله تعالى له أشياء
 الاثر اذهب أى امض كما مر فاني امهلتك هذه المدة وليس من الذهاب الذي هو ضد المجيء
 الثاني قوله تعالى (واستقرز) أى استخف (من استطعت منهم) أن تستغفروهم الذين سلطانك
 عليهم (بصوتك) قال ابن عباس معناه دعائك الى معصية الله وكل داع الى معصية الله تعالى فهو
 من جنس ابليس وقيل أراد بصوتك الغناء واللهو واللعب الثالث قوله تعالى (وأجلب) أى
 صم (عليهم) من الجلبة وهي الصباح (بجلبك ورجلك) واختلفوا في الخليل والرجل على أقوال
 الاول روى أبو الفتح عن ابن عباس انه قال كل راكب أو راجل في معصية الله تعالى وعلى
 هذا تخيله ورجله كل من شارك في الدعاء الى المعصية الثاني يحتمل أن يكون لابليس جيش من
 الشياطين بعضهم راكب وبعضهم راجل الثالث ان المراد منه ضرب المثل كما يقال للرجل
 الجهد في الامر جتبا ليل والرجل قال الرازي وهذا أقرب وقال الزمخشري هو كلام ورد
 مورد التمثيل مثل في تسلطه على من يغويه بغوار وقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفهم
 من أما كنهم ويطلقهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجنده من خياله ورجاله حتى استأصلهم
 والليل تقع على الفرسان قال صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي وقد تقع على الافراس خاصة
 وقرأ أحفص عن عاصم بكسر الجيم وسكنها الباؤون جمع راجل كصاحب ومحب وراكب
 وركب ورجل بالكسر والضم لغتان مثل حدث وحدث وهو مفرد أريد به الجمع الرابع قوله
 تعالى (وشاركهم في الاموال والاولاد) أما المشاركة في الاموال فقال مجاهد هو كل ما أصيب
 من حرام أو أتفق في حرام وقال قتادة هو جعلهم الخيرة والسائبة والوصيلة والحام وقال
 الضحاك هو ما يدبحونه لأهلهم وقال عكرمة هو شريكهم آذان الانعام وقيل هو جعلهم من
 أموالهم شيئا لغير الله كقولهم هذا الله وهذا الشر كنا ولا منافاة بين جميع هذه الأقوال
 وأما المشاركة في الاولاد فقال عطاء عن ابن عباس هو تسمية الاولاد بعد شمس وعبد العزي

وعبد الحرث وعبد الدار وقعوها وقال الحسن هو أنهم هودوا أولادهم ونصروهم ومحسوم
وروى عن جعفر بن محمد أن الشيطان يعقد ذكره على ذكر الرجل فاذا لم يقل بسم الله أصاب معه
امرأته وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل ويقال في جميع هذه الأقوال أيضا ما تقدم وروى
أن رجلا قال لابن عباس ان امرأتي استيقظت وفي فرجها شعله نار قال ذلك من وطء الجن
وفي الاستمارة ان ابليس لما خرج الى الارض قال يارب أخرجنى من الجنة لاجل آدم فسلطني
عليه وعلى ذرية قال أنت مسلط قال لأستطيعه الا بك فردني قال استقر زمن استطعت منهم
بصوتك قال آدم يارب سلط ابليس علي وعلى ذريتي واني لأستطيعه الا بك قال لا يولد لك
ولد الا وكت به من يحفظونه قال زدني قال الحسن بعشر أمثالها والسبعة بمنزلها قال زدني قال
التوبة مفروضة مادام الروح في الجسد فقال زدني فقال يعبادي الذين أسرفوا الآية وفي
الخبر ان ابليس قال يارب بعثت أنبياء وأنزلت كتباً فقرأني قال الشعر قال فما كافي قال الوشم
قال ومن رسول قال الكهنة قال فاطعاني قال ما يذكرك عليه اسمي قال فاشرابي قال كل
مسكر قال وأين مسكني قال الحمامات قال وأين مجلسي قال الاسواق قال وما حبابي
قال النساء قال وما أذاني قال المزمار الخامس قوله تعالى (وعدهم) أي من المواعيد الباطلة
ما يستفهم ويفترهم من ذلك وعدهم بأن لاجنة ولا نار ومن ذلك شفاعاة الآلهة والكرامة على
الله تعالى بالانساب الشريفة وتسوية التوبة وابتار العاجل على الآجل ونحو ذلك وقوله
تعالى (وما بعدهم الشيطان) من باب الالتفات واقامة الظاهر مقام الضمير ولو جرى على سنن
الكلام الأول لقال وما تعدهم بالثامن فوق وقوله تعالى (الغوروا) فيه أوجه أحدها
أنه نعت مصدر محذوف وهو نفسه مصدر والاصل الاوعدا غوروا الثاني أنه مفعول من أجله
أي ما بعدهم من الاماني الكاذبة الا لاجل الغرور الثالث أنه مفعول به على الاتساع أي
ما بعدهم الا الغرور ونفسه والغرور تزين الباطل بما يظن أنه حق (فان قيل) كيف ذكر الله
تعالى هذه الاشياء لابليس وهو يقول ان الله لا يأمر بالفحشاء (أجيب) بأن هذا على طريق
التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وكقول القائل اعمل ما شئت فسوف ترى وكما يقال اجهد
جهدك فسوف ترى ما ينزل بك * ولما قال الله تعالى له افعل ما تقدر عليه قال تعالى (ان
عبادي) أي الذين أهلتم للاضافة الى مقاموا بحق عبودي باله تعالى والاحسان (ليس لك عليهم
سلطان) أي فلا تقدر ان تغوهم وتحملهم على ذنب لا يغفر فاني وفقهم للتوكل على تكفيهم
أمر لك (وكفى بربك) أي الموجد لك (وكيلا) أي حافظا لهم منك * ولما ذكر تعالى انه الوكيل
الذي لا كافي غيره أتبعه بعض أفعاله الدالة على ذلك بقوله تعالى (ربكم) أي المتصرف فيكم هو
(الذي يرزق) أي يجري (لكم الفلك) ومنها التي جعلكم فيها مع أيكم فوح عليه الصلاة والسلام
(في البحر لتنفوا) أي لتطلبوا (من فضله) الربح وأنواع الامتعة التي لا تكون عندهم ثم انه
تعالى علل ذلك بقوله عز وجل (انه) أي فعل سبحانه وتعالى ذلك لانه (كان) أي ألا وأبد (ربكم
وحيثما) حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يسر من أسبابه * (تنبيه) ان الطلب

في قوله ربكم وفي قوله تعالى انه كان بكم عام في حق الكل والمراد من الرجة منافع الدنيا ومصالحها
وأما قوله تعالى (وإذا مسكم الضربة أي الشدة في البحر) خطاب للكفار بدليل قوله تعالى
(ضل) أي غاب عن ذكركم وخواطركم (من تدعون) أي تعبدون من الآلهة (الآيات) وحده
فأخلصتم له الدعاء علمنا منكم أنه لا ينجيكم سواه (فلما نجاكم) من الغرق وأوصلكم بالتدريج
(إلى البراء عرضتم) عن الإخلاص له ورجعتم إلى الأشرار (وكان الإنسان) أي هذا
النوع (كفوراً) أي جود النعم بسبب أنه عند الشدة يتسك بفضله ورجته وعند الرخاء
والراحة يعرض عنه ويتسك بغيره وقوله تعالى (أفأمنتم) الهمزة فيه للإنكار والغاء للعطف
على محذوف تقديره أنجوت من البحر فأمنتم بعد خروجه منكم (أن تخسف بكم جانب البر)
فنجيكم في أي جانب كان منه لأن قدوتنا على التغييبين في الماء والتراب على السواء فعلى العاقل
أن يستوى خوفه من الله تعالى في جميع الجوانب (أو) أمنتم ان (نرسل عليكم) من جهة
الفوق شيئاً من أمرنا (حاصباً) أي غطر عليكم بحجارة من السماء كما أمطرنا على قوم لوط قال الله
تعالى أنا أرسلنا عليهم حاصباً وقيل الحاصب الريح (ثم لا تجدوا لكم) أيها الناس (وكيلاً)
ينجيكم من ذلك ولا من غيره كما تجدوا في البحر وكيلاً غيره (أم أمنتم) أي جاوزت بكم
الغياوة حدّها فلم تتجاوزوا ذلك (أن تعبدكم فيه) أي البحر الذي يضطركم إلى ذلك فقتسمكم عليه
وان كرهتم (نارة أخرى) بأسباب تضطركم إلى أن ترجعوا فتركبوه (نرسل عليكم قاصصاً من
الريح) أي ريحاً شديدة لا تترى بشيء إلا قصفته فتكسر فللكم (فتفرقكم) في البحر الذي
أعدنا لكم فيه بقدرتنا (بما كفرتم) أي بسبب أشراككم وكفرانكم نعمة الإنقاذ (ثم لا تجدوا
لكم عيسى بن مريم) أي مطالباً بالإنجاب فعلنابكم * (تنبيه) * نارة بمعنى مرة وكثرة فهي
مصدر وتجمع على تير وتارات قال الشاعر

وانسان عني يحسر الماء نارة * فيبدو وتارات يحمر فيفرق

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو أن تخسف أو نرسل أن نعيدكم فنرسل فنفرقكم جميع هذه الخمسة
بنون العظيمة والباقيون يساء الغيبة والقراءة الأولى على سبيل الالتفات من الغائب في قوله
تعالى ربكم إلى آخره والقراءة الثانية على سنن ما تقدم من الغيبة * ثم إن الله تعالى ذكر نعمة
أخرى رفيعة جليلة على الإنسان وذكر فيها أربعة أنواع النوع الأول قوله تعالى (ولقد
كرمنا) أي بفضله ما ذكر عابداً (بن آدم) وحذف متعلق التكرم فلذا اختلف المفسرون
فيه فقال ابن عباس كل شيء يأكل فيه الابن آدم فانه يأكل بيده وعن الرشيد أنه أحضر
طعاماً عنده فدعا بالملائق وعنده أبو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس ولقد كرمنا
بن آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملائق فردّها وأكل بأصابعه وروى عن ابن
عباس أنه قال بالعقل وقال الفضال بالنطق والتمييز وقيل على سائر الطين بالتميز وعلى النامي
بالحياة وعلى سائر الحيوان بالنطق وقال حطاب بتعديل القامة وامتدادها والدواب منكسة
على رجولها قال بعضهم وفيه أن يشترط مع هذا شرط وهو طول القامة مع استكمال المرأة

العقيلة والحسية والحركية والا فالاشجار أطول قامة من الانسان وقيل الرجال بالعبي والنساء
 بالذوات وقيل بأن صغرهم سائر الاشياء وقيل بأن منهم خير أمة أخرجت للناس وقيل بحسن
 الصورة قال تعالى وصورتكم فأحسن صورتكم ولما ذكر الله تعالى خلقه الانسان وهى ولقد خلقنا
 الانسان الآية قال قتادة الله أحسن الخالقين قال الرازى فان شئت فتأمل عضو واحدا
 من أعضاء الانسان وهى العين فخلق الحسنة سوداء ثم أحاط بذلك السواد بياض العين ثم
 أحاط بذلك البياض سواد الاشفار ثم أحاط بذلك السواد بياض الاجفان ثم خلق فوق بياض
 الجفن سواد الحاجبين ثم خلق فوق ذلك السواد بياض الجبهة ثم خلق فوق ذلك البياض سواد
 الشعر ولكن هذا المثال الواحد أعوذ جالك في هذا الباب انتهى واستدل أيضا الشرف
 الانسان بأن الموجود أمان أن يكون أزليا وأبديا وهو الله تعالى وأمان أن لا يكون لأزليا ولا أبديا
 وهو عالم الدنيا مع كل ما فيه من المعادن والنبات والحيوان وهذا أحسن الاقسام وأمان أن
 يكون أزليا ولا يكون أبديا وهذا ممنوع الوجود لأن ما ثبت قدمه امتنع عدمه وأمان أن لا يكون
 أزليا ولكنه يكون أبديا وهو الانسان والملك ولشأن أن هذا القسم أشرف من الثانى والثالث
 وذلك يقتضى كون الانسان أشرف من أكثر المخلوقات * النوع الثانى قوله تعالى (وجعلناهم
 فى البر) على الدواب وغيرها (و) فى (البحر) على السفن وغيرها من جلته جلاد اجعلته
 ما يركبه أو جعلناهم فيها حتى لم تخسف بهم الارض ولم تفرقهم فى الماء * النوع الثالث قوله تعالى
 (ووزقناهم من الطيبات) أى المستلذات من الثمرات والاقوات وذلك لان الاغذية اما
 حيوانية واما نباتية وكلا القسمين فان الانسان انما يتغذى بالطف انواعها وأشرف أقسامها
 بعد النسيئة الثامة والطبخ الكامل والنضج البالغ وذلك مما لا يحصل الا للانسان * النوع
 الرابع قوله تعالى (وفضلناهم) فى أنفسهم باحسان الشكل وفى صفاتهم بالعلم المنهج لسعادة
 الدارين (على كثير من خلقنا) أى بعظمنا التى خلقناهم بها * وأكده الفعل بالمصدر إشارة الى
 اعراقهم فى الفضيلة فقال تعالى (تفضيلا) * (تنبيه) * ظاهر الآية يدل على فضلهم على كثير
 من خلقه لا على الكل وقال قوم فضلو على جميع الخلق الاعلى الملائكة وهو قول ابن عباس
 واختيار الزجاج على ما رواه الواحدى فى بسطه وقال الكلبي فضلو على جميع الخلائق كلهم
 الاعلى طائفة من الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وأشباهم وقال قوم
 فضلو على جميع الخلق وعلى جميع الملائكة كلهم وقد بوضع الاكثر موضع الكل كقوله تعالى
 هل أنبئكم على من تنزل الشياطين الى قوله تعالى وأكثرهم كاذبون أى كلهم وروى جابر رفعه
 قال لما خلق الله تعالى آدم وذريته قالت الملائكة يا رب خلقتهم يا كواون وينمرون وينكفون
 فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال تعالى لا أجعل من خلقه يسدى ونفخت فيه من روحي
 كمن قلت له كن فكان والاولى كما قاله بعض المفسرين كالبغوى وابن عادل أن يقال عوام
 الملائكة أفضل من عوام المؤمنين وخواص المؤمنين أفضل من خواص الملائكة قال تعالى
 الذين آمنوا و عملوا الصالحات أولئك هم خير البرية وروى عن أبي هريرة رضى الله تعالى

عنه قال المؤمن أكرم على الله من الملائكة عنده رواء البغوى ورواء الواحدى فى بسطه
(فان قيل) قال تعالى فى أول الآية ولقد كرمنا بنى آدم وقال فى آخرها وفضلناهم فلا بد من
الفرق بين التكريم والتفضيل والالزم التكرار (أجيب) بأنه تعالى فضل الانسان على سائر
الحيوانات بأموه وخلقة طبيعية ذاتية كالعقل والنطق والخط والصورة المحسنة والقامة
المديدة ثم انه سبحانه وتعالى عرضه بواسطة العقل والفهم لاكتساب العقائد الحقة والاخلاق
الفاضلة * ولما ذكر تعالى أنواع كرامات الانسان فى الدنيا شرح أحوال درجاته فى الآخرة
بقوله تعالى (يوم) أى اذ كرىوم (ندعو) أى بتلك العظمة (كل أناس) أى منكم (بامامهم)
الامام فى اللغة كل من اتهم به قوم كانوا على هدى أو ضلالة فالنبي امام أمتة والخليفة امام
رعيتة والقرآن امام المسلمين وامام القوم هو الذى يقتدون به فى الصلاة وذكر وفى تفسير
الامام هنا قول الا أحدها امامهم بينهم روى ذلك مرفوعا عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم فينادى يوم القيامة يا أمة ابراهيم يا أمة موسى يا أمة عيسى يا أمة محمد صلى الله عليه
وسلم فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الانبياء فيأخذون كتبهم بأيمانهم ثم ينادى الاتباع يا تابع
غوديا تابع فرعون يا تابع فلان وفلان من رؤساء الضلال وأكابر الكفر الثانى أن امامهم
كتابهم الذى أنزل عليهم فينادى فى القيامة يا أهل القرآن يا أهل التوراة يا أهل الانجيل الثالث
امامهم كتاب أعمالهم قال تعالى وكل شئ أحصيناه فى امام مبين فسمى الله تعالى هذا الكتاب
اماما قال الرمنشبرى ومن بدع التفاسير ان الامام جمع أم وإن الناس يدعون يوم القيامة
بأئمتهم دون آبائهم وان الحكمة فيه رعاية حق عيسى واطهار شرف الحسن والحسين وأن لا
تفتضح أولاد الزنا قال وليت شعري أيهما أبداع البدع أحصة لفظه أم بهاء حكمته قال ابن عادل
وهو معذور لان أمما لا يجمع على امام هذا قول من لا يعرف الصناعة ولا لغة العرب (فمن أوفى)
أى من المدعوين (كاتبه) أى كتاب عمله (بيمينه) وهم السعداء ولو البصائر فى الدنيا (فأولئك
يقرون كتابهم) ابتهاجا وتجيما يبارون فيه من الحسنات (ولا يظلمون) بنقص حسنة مما من ظالم ما
(قبلا) أى شيا فى غاية القلة والحقارة بل يزدادون بحسب اخلاص النيات وطهارة الاخلاق
وزكاة الاعمال * (تنبه) * القليل القشرة التى فى شق النواة تسمى بذلك لانه اذا رام الانسان
اخراجها انتقل وهذا مثل يضرب للشئ الخفى التافه ومثله القطمير وهو الغلالة التى فى ظهر
النواة والنقير وهى النقرة التى فى ظهر النواة وروى مجاهد عن ابن عباس قال القليل هو
الوصح الذى يقتله الانسان بين سبائته وابهامه (فان قيل) لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم
مع أن أهل الشمال يقرؤنه (أجيب) بان أصحاب الشمال اذا اطاعوا كتابهم وجدوه مشغلا
على المهلكات العظيمة والقبائح الكاملة فتستولى الخوف على قلوبهم ويقتل لسانهم فيجهزون
عن القراءة الكاملة وأما أصحاب اليمين فأمرهم على عكس ذلك لا جرم أنهم يقرؤن كتابهم
على أحسن الوجوه ثم لا يقنعون بقراءتهم وحدهم بل يقول القارئ لاهل الحشر هاؤم اقروا
كتابنا جعلنا الله تعالى وجميع أحبائنا منهم * ثم قال الله تعالى (ومن كان منهم فى هذه)

أى الدار (أعمى) أى ضالا يعمل فى الافعال فعل الاعمى فى أخذ الاعيان لايهتدى الى أخذ ما ينفعه وترك ما يضره ولا يعزبن حسن وقبح (فهو فى الآخرة أعمى) أى أشد عمى مما كان عليه فى هذه الدار لا ينجح له قصد ولا يهتدى له صواب ولم يقل تعالى أشد عمى كما يقال فى الخلق الملازمة لحالة واحدة مثل العور والجرة والسواد ونحوها لان هذا امر ابدى على القلب الذى من شأنه التزايد والحدوث فى كل لحظة شيأ بعد شئ (وأضل سبيلا) لان هذه الدار دار الاكتساب والترقى فى الاسباب وأما تلك فليس فيها شئ من ذلك وقال عكرمة جاء نفر من أهل اليمن الى ابن عباس فسأله رجل عن هذه الآية فقال اقرأوا ما قبلها فقرؤا ربكم الذى يرحمكم الفلك الى قوله تفضيلا فقال ابن عباس من كان أعمى فى هذه النعم التى قدرأى وعين فهو فى الآخرة التى لم يعاين ولم ير أعمى وأضل سبيلا وعلى هذا فالإشارة فى قوله هذه الى النعم المذكورة فى الآيات المتقدمة وحمل بعضهم العمى الثانى على عمى العين والبصر كما قال تعالى ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فتسيتها وكذلك اليوم تنسى وقال تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم غيبا وبكياهما وهذا العمى زيادة فى عقوبتهم * ولما تعدتعالى فى الآيات المتقدمة أقسام نعمه على خلقه وأبعها بذ كر درجات الخلق فى الآخرة وشرح أحوال السعداء وأردفه بما يجرى مجرى تحذير السعداء عن الاغترار بوسواس أرباب الضلال والانخداع بكلماتهم المشتملة على المكر والتليس فقال تعالى (وأن كادوا) أى قاربوا فى هذه الحياة الدنيا العماهم فى أنفسهم عن عصمة الله تعالى لك ولما كانت ان هذه هى الخففة من الثقل الذى باللام الفارقة بينهما وبين النافية بقوله تعالى (ليقنونا) أى ليخاطبونا بمخالطة تليك الى جهة قصدهم لكثرة خداعهم واختلف فى سبب نزول هذه الآية فروى عطاء عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية فى وفد ثقف أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا بعلك على أن تعطينا ثلاث خصال قال وما هن قالوا أن لا نجحى فى الصلاة بفتح الجيم والباء الموحدة المشددة أى لا نتحنى فيها ولا نكسر أصنامنا الا بأيدينا وأن لا تمنعنا من اللات والعزى سنة من غير أن نعبدها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير فى دين لا ركوع فيه ولا سجود وأما أن تكسروا أصنامكم بأيديكم فذلك لكم وأما الطاعة بمعنى اللات والعزى فافى غير منعكم بها وفى رواية وحرم وادينا كما حرمتم مكة شجرها وطيرها ووحشها فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجيبهم فقالوا يا رسول الله انما نحجب أن نسمع العرب أنك أعطيتنا ما لم تعط غيرنا فان خشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله أمرنى بذلك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فطمع القوم فى سكوته أن يعطيهم ذلك فصاح عليهم عمر وقال أما ترؤن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسسك عن الكلام كراهة لما ذكره فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال سعيد بن جبير كان النبي صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الأسود فمعه قرين وقالوا لا ندعك حتى تلم تأبأ كتمانها فغضب النبي صلى الله عليه وسلم نفسه ما على أن أفعل ذلك والله يعلم انى لها لكاتب بعد أن يدعونى

حتى استلم الحجر فأنزل الله تعالى هذه الآية . وروى أن قريشا قالوا له اجعل آية رجة آية عذاب
 وآية عذاب آية رجة حتى تؤمن بك فنزلت وإن كادوا ليقتنوك (عن الذي أوحينا إليك)
 من أوامرنا ونواهيها وعدنا ووعدنا (لتقترى) أى لتقول (علينا غيره) أى ما لم نقله (وإذا) أى
 لوملت إلى ما دعوك إليه (لاتخذوك) أى بغاية الرغبة (خليلاً) أى لواليك وصافوك وأظهروا
 للناس أنك صوافق لهم على كفرهم وراض بشركهم ومن يكن خليل الكفار لم يكن خليل الله
 تعالى ولكنك أبصرت رشدك فلزمت أمر الله واستمروا على عما هم اتماثلوا فيه لئلا على كل
 مخلوق (ولولا أن نبين لك) أى على الحق بعصمتنا إليك (لقد كدت) أى قاربت (تركن) أى عمل
 (اليهم) أى إلى الاعداء (شيأ) أى ركوناً (قليلاً) لمحببتك في هدايتهم وحرصك على منفعتهم ولكنا
 عصمتك فنعناك أن تقرب من الركون فضلاً من أن تركن اليهم لأن كلمة ولا تنفida انتفاء
 الشيء ثبوت غيره تقول لولا زيد لهلك عمر ومعناه أن وجود زيد يمنع من حصول الهلاك لعمر
 فكذلك ههنا قوله تعالى ولولا أن نبين لك كدت تركن اليهم معناه لولا حصول تثبيت الله
 لمحمد صلى الله عليه وسلم فكان تثبيت الله مانعاً من حصول قرب الركون وهذا صريح في أنه
 عليه الصلاة والسلام ما هم بأجابتهم مع قوة الداعي إليها وليس على أن العصمة تتوفيق الله
 وحفظه (إذا) أى لو قاربت الركون الموصوف اليهم (لأذقناك ضعف) عذاب (الحياة وضعف)
 عذاب (المات) أى مشلى ما يعذب غيرك في الدنيا والآخرة وكان أصل الكلام عذاباً ضعفاً
 في الحياة وعذاباً ضعفاً في المات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ثم أضيفت كما
 يضاف موصوفها وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وضعف المات عذاب القبر
 والسبب في تضعيف هذا العذاب إن أقسام نعمة الله تعالى في حق الأنبياء عليهم الصلاة
 والسلام أكثر فكانت ذنوبهم أعظم فكانت العقوبة المستحقة عليهم أكثر ونظيره قوله تعالى
 يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وقيل الضعف من أسماء
 العذاب (ثم لتجد لك) أى وإن كنت أعظم الخلق وأعلام مرتبة وهمة (علينا نصيراً) أى
 مانعاً عنك من عذابنا واختلقوا في سبب نزول قوله تعالى (وإن) أى وإن هم (كادوا)
 أى الاعداء (لبستقزونك) أى ليزجحنك بمعاداتهم (من الأرض ليخرجوك منها) فقال
 ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة حسدته اليهود وكروا حواقره
 منهم فقالوا يا أبا القاسم إن الأنبياء إنما يعثروا بالشأم وهي بلاد مقدسة وكانت مسكن إبراهيم
 فلخرجت إلى الشأم أمنا بك واتبعناك وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج الأخوف الروم فإن
 كنت رسول الله فالتة يمنعك منهم فمسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أميال من
 المدينة وقيل بذى الحليفة حتى يجمع إليه أصحابه ويراه الناس عانفاً على الخروج إلى الشأم
 فدخلوا في دين الله فنزلت هذه الآية فراجع وهذا قول الكلبي وعلى هذا فالآية مدينية
 والمراد بالأرض أرض المدينة وقال قتادة وبجاهد الأرض أرض مكة والآية مكية هم
 المشركون أن يهزحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكفهم الله تعالى عنه حتى أمره

بالحجرة فخرج بنفسه قال ابن عادل به عا للرازي وهذا البقي بالآية لأن ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكينة وهذا المختار الزجج وكثير في التزويل ذكر الأرض والمراد منها مكان مخصوص كقوله تعالى أو يتقوا من الأرض أي من مواضعهم وقوله تعالى حكايته عن أخي يوسف فلن أبرح الأرض يعني الأرض التي كان قصدها الطلب الميرة (فان قيل) قال تعالى وكان من قريته أشد قوة من قريته التي أخرجتك يعني أهل مكة فالمراد أهلها فذكر تعالى أنهم أخرجوه وقال تعالى وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها فكيف الجمع بينهم على القول الثاني (أجيب) بأنهم هموا بأبناجره وهو صلى الله عليه وسلم ما خرج بسبب إخراجهم وانما خرج بأمر الله تعالى وحسن تدفلاتنا قض (وإذا) أي وإذا أخرجوك (لا يلبثون خلفك) أي بعد إخراجك لو أخرجوك (الآن) زمانا (قليل) وقد كان كذلك على القول الثاني فانهم أهل كوايدر بعدهم وروى علي القول الأول قتل منهم بن قريظة وأجل بن النضير بقليل وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وشعبة بفتح الناء وسكون اللام والباقيون بكسر الناء وفتح اللام وبعدها ألف قال الشاعر

عفت الديار (أي اندرست) خلافهم (أي خلفهم) فكأنما * بسط الشواطئ بينهن حصيرا الشواطئ النساء اللاتي يشقن الجريد ليعملن منه الحصر والشطب والشواطئ بسف الغفل الأخضر يصف دروس ديار الاحب بعدهم وانما غير مكنتوسة كأنما بسط فيها سف الغفل وما أخبر بذلك أعلم أنه سنة في جميع الرسل بقوله تعالى (سنة) أي كسنة أو سنباط سنة (من قد أرسلنا قبلك) أي في الأزمان الماضية كلها (من وسلفنا) أنانك كل أمة أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم والسنة لله وضافتها إلى الرسل لأنهم من أجلهم ويدل عليه قوله تعالى (ولا تجد لسنةنا تحويلا) أي تغييرا * ولما قرئ تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم الإلهيات والمعاد والنبوات رد فيها ذكر الأمر بالطاعة وأشرف الطاعة بعد الإيمان الصلاة فذلك قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (أقم الصلاة) بفعل جميع أركانها وأشرانها بحيث تصير كأنها قائمة بنفسها فانما الب العبادات لم تليها من المناجاة والأعراض عن كل غير وفناء عن كل سوى بما أشرق من أنوار الحضرة التي قد اضمحل اليها ككل فان وفي ذلك إشارة عظيمة إلى أن الصلاة أعظم ناصر على الأعداء الذين يريدون بكمهم استفزاز الأولياء ولذلك كان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ثم عين له الاوقات بقوله تعالى (لذلك الشمس) في هذه اللام قولان أحدهما انما يعني بعد أي بعد ولول الشمس ومثله قول متم

فلما قرئنا كأنني ومالك * لطول اجتماع لم يبت ليله معا

والثاني انما على بابها لانها لا تعجب بزوال الشمس والدلول مصدر دأبكت الشمس وفيه أقوال أسد هاته الزوال وهو قول ابن عباس وابن عمر وجابر وأكثرا تابعين ويدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم أني جبريل لذلك الشمس حين زالت فخصي في الظهر وقول أهل اللغة معنى لذلك في كلام العرب الزوال ولذلك قيل للشمس إذا زالت نصف النهار النكة والثاني انه

الغروب وهو قول ابن مسعود ونقله الواحدى فى البسيط عن على رضى الله عنه وبه قال
 ابراهيم التميمي والضاك والسدى وهو اختيار الفراء وحكمه يقال للشمس اذا زالت
 نصف النهار الكعة يقال لها ايضا اذا غربت الكعة لانها فى الحاصلين زائلة قال الازهرى
 والثالث انه من الزوال الى الغروب وقال فى القاموس دلكت الشمس غربت أو اصقرت
 أو ماتت أو زالت عن كبد السماء فحينئذ فى هذه اللقطة دلالة على الظهر والعصر والمغرب من
 استعمال المشترك فى معانيه أما فى الظهر والمغرب فواضح لما مر وأما العصر فلا أول وقتها
 اقول أخذ الشمس فى الاصفرار وأدل دليل على ذلك أنه تعالى غبا الاقامة لوقت العشاء بقوله
 تعالى (الى غسق الليل) أى ظلمته وهو وقت صلاة عشاء الآخرة والغاية أيضا هنا دخلة للمسايق
 وقد أجمعوا على أن المراد من قوله تعالى (وقرآن الفجر) أى صلاة الصبح وهو منصوب قبل على
 الاغراء أى وعليك بقرآن الفجر ورد بأن أسماء الافعال لا تعمل مضرة وقال الفراء انه منصوب
 بالعطف على الصلاة فى قوله تعالى أقم الصلاة والتقدير أقم الصلاة وأقم قرآن الفجر وحينئذ
 تدخل الصلوات الخمس فى هذه الآية قال ابن عادل كالراى وجعل كلام الله تعالى على ما يكون
 أكثر فائدة أولى انتهى وسبقت صلاة الصبح قرآنا لا شتمها عليه وان كانت بقية الصلوات
 أيضا مشتملة عليه لانه يطول فيها فى القراءة ما لا يطول فى غيرها فالقصد من قوله تعالى وقرآن
 الفجر الحث على طول القراءة فيها أكثر من غيرها لان التخصيص بالذكري يدل على كونه أكمل
 من غيره * ولما كان القيام عن المنام ينشئ على مرغبامظهره غير مضمر لان المقام مقام تعظيم
 فقال (ان قرآن الفجر ~~مستكان~~ مشهودا) أى تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار
 ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو فى آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار قال الرازى ثم إن
 ملائكة الليل اذا صعدت قالت يا رب انظر كذا عبدك يصلون لك وتقول ملائكة النهار وبنا
 اتنا أتينا عبدك وهم يصلون فيقول الله تعالى ملائكتي اشهدوا بأبني قد غفرت لهم وقال
 أبو هريرة رضى الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجمع صلاة
 أحدكم وحده بخمس وعشرين درجة وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الفجر
 ثم يقول أبو هريرة اقرأوا ان شئتم ان قرآن الفجر كان مشهودا وهذا يدل على ان التغليس أولى
 من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها من أول الوقت فى ذلك الوقت ظلمة باقية فـ ~~تكون~~
 ملائكة الليل حاضرة ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيب القراءة وتكثرها زالت الظلمة وظهر
 الضوء وحضرت ملائكة النهار وأما اذا ابتدأ بهذه الصلاة فى وقت التنوير فهناك لم يبق أحد
 من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور فقه قوله كان مشهودا يدل على ان التغليس أفضل
 وأيضا الانسان اذا شرع فى صلاة الصبح من أول هذا الوقت فكانت الظلمة القوية فى العالم
 فإذا امتدت القراءة فى أثناء هذا الوقت ينقلب العالم من الظلمة الى الضوء والظلمة مناسبة
 للموت والعدم والضوء مناسب للحياة والوجود فالانسان لما قام من منامه فكانه انتقل
 من الموت الى الحياة ومن العدم الى الوجود ومن السكون الى الحركة وهذه الحالة العجيبة

تشهد العقول بأنه لا يقدر على هذا التقلب الا الخلق المدبر بالحكمة البالغة فحينئذ يستنير
 العقل بنور هذه المعرفة ويخلص من مرض قلبه فان أكثر الخلق وقعوا في امراض القلوب
 وهي حب الدنيا والحرص والحسد والتفاخر والتسكاث وهذه الدنيا مثل دار المرضى اذا كانت
 مملوءة من المرضى والانبيا كالاطباء الحاذقين والمرضى ربما كان قديقوى مرضه فلا يعود الى
 الصحة الا بمعالجات قوية وربما كان المريض جاهلا فلا يتقادر للطبيب ويخالقه في أكثر الامران
 الطبيب اذا كان مشفقا حاذقا فانه يسعى في ازالة ذلك المرض بكل طريق يقدر عليه وان لم يقدر
 على ازالته فانه يسعى في تقبله وفي تخفيفه فلما كان مرض الدنيا مستويا على الخلق ولا علاج له
 الا بالدعوى الى معرفة الله سبحانه وتعالى وخدمته وطاعته وهذا علاج شاق على النفوس وقل
 من يقبله ويقادله لاجرم أن الانبيا اجتهدوا في تقليل هذا المرض فخلقوا الخلق على الشروع
 في الطاعة والعبودية من أول وقت القيام من النوم لانه مما يقع في ازالة هذا المرض ثم حدث
 سبحانه وتعالى على التهجدا لفضليته وارشدته بقوله عز من قائل (ومن الليل) أي وعليك أو
 وقم بعض الليل (فتهجد به) أي واترك الهجود للصلاة يقال هجدتهجدا هجدا هجدا هجدا هجدا
 سهر فهو من الاضداد ومنه قيل لصلاة الليل التهجد قاله في الصحاح والضعيف في لمطلق
 القرآن والمراد من الآية قيام الليل للصلاة النافلة فلا يحصل التهجد الا بصلاة فقل بعد نوم
 وكانت فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أمته في الابتداء بقوله تعالى يا أيها المزمل قم
 الليل الا قليلا ثم نسخ بما في آخرها ثم نسخ بما في الاصولات الخمس وبقي قيام الليل على الاستعباب
 بقوله تعالى فاقروا ما تيسر منه وبقي الوجوب في حقه صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى
 (نافلة لك) أي زيادة لك مختصة بك وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال ثلاث هن على فريضة وهن سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل والصحيح أنه نسخ
 في حقه أيضا ودليل النسخ رواه مسلم وقد وردت أحاديث كثيرة في قيام الليل منها ما روى عن
 المغيرة بن شعبه أنه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقبل له أتتكلف هذا
 وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ومنها ما روى عن
 زيد بن خالد الجهني أنه قال لا رمق صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة فتوسدت عنته
 أو فسطا طه فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين
 طويلتين ثم ركعتين دون التين قبلهما ثم أوتر فذلك ثلاثة عشر ركعة فلهذا قيل انه أكثر الوتر
 وهو أحد قولي الشافعي والمرجح عنده ان أكثره إحدى عشرة ركعة لما رواه أبو سلة أنه سأل
 عائشة رضى الله تعالى عنها عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما كان يزيد في رمضان
 ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة أي وتر يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي
 أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فقلت
 يا رسول الله أتنام قبل أن توتر فقال يا عائشة ان عيني تنام ولا ينام قلبي ومنها ما روى عن أنس
 ابن مالك قال ما كنا نشاء أن نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليل مصليا إلا بانه وما نشاء

أن نراه نائماً إلا رأيناه وفي رواية غيره قال وكان يصوم من الشهر حتى نقول لا يبطر منه شيئاً
 ويبطر حتى نقول لا يصوم منه شيئاً ثم قال تعالى (عسى أن يبعثك ربك) أي المحسن إليك (مقاماً
 محموداً) اتفق المفسرون على أن كلمة عسى من الله واجب قال أهل المعاني لأن لفظة عسى
 تفيد الاطماع ومن أطمع انساناً في شيء ثم حرمه كان عاراً والله أكرم من أن يطمع احداً في شيء
 ثم لا يعطيه ذلك وأما المقام المحمود فقال الواحدى أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة كما
 قال صلى الله عليه وسلم في هذه الآية هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي وقال حذيفة يجمع الناس
 في صعيد واحد فلا تتكلم نفس فأقول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبك وسعديك والشر
 ليس إليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لاملأ ولا منجي منك إلا اليبك
 تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فقال هذا هو المراد من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك
 مقاماً محموداً ويدل للأول أحاديث منها ما روى عن أبي هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي وهي نائلة منكم إن شاء الله
 تعالى من مات لا يشر له بالله شيئاً ومنها ما روى عن جابر أنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة
 والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة * ومنها ما روى عن
 أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهملوا بذلك فيقولون
 لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده
 وأسكنك الجنة وأجعد لك ملائكته وعلك أسماء كل شيء أشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من
 مكاننا هذا فيقول لست هنا كم وبذكر خطيئته التي أصابك كله من الشجرة وقد غشي عنها
 ولكن استأذنوا فأتوا نبي بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون نوحاً فيقول لست هنا كم وبذكر
 خطيئته التي أصاب بسؤال ربه بغير علم ولكن استأذنوا إبراهيم خليل الرحمن فيأتون إبراهيم
 فيقول لست هنا كم وبذكر ثلاث كذبات كذبتن ولكن استأذنوا موسى عدا آتاه الله التوراة
 وكلمه وقر به نجيهاً قال فيأتون موسى فيقول لست هنا كم وبذكر خطيئته التي أصاب قتلته النفس
 ولكن استأذنوا عيسى عبد الله وكلمته قال فيأتون عيسى فيقول لست هنا كم ولكن استأذنوا محمداً
 عبد الله لما تقدم من ذنبه وما تأخر قال فيأتون فيأسئذون على ربي فيؤذن لي فإذا رأيت به
 وقت ساجداً فبذعني ما شاء الله أن يدعني فيقول ارفع رأسك يا محمد وقل تسمع واشفع تشفع
 وسل تعطه قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمني به قال ثم أشفع فيجدي حداً
 فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجداً فبذعني ما شاء الله أن يدعني
 ثم يقول ارفع رأسك يا محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء
 وتحميد يعلمني به قال ثم أشفع فيجدي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة قال فلا أدري
 في الثالثة أو الرابعة فأقول يا رب ما بقي إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود وعن
 ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما قاما محموداً يحمد الله فيه الأولون والآخرون وتشرف

فيه على جميع الخلاق سل قطع على واشفع فتشفع ليس أحد الا تحت لوائك والاخبار في
 الشفاعة كثيرة وفي هذا القدر كفاية لاولي البصائر جعلنا الله تعالى وجميع احبابنا من
 أهلها الداخلين تحت شفاعته سيد الانبياء والمرسلين آمين واختلف أهل التفسير في قوله
 تعالى (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) فقال ابن عباس والحسن
 أدخلني مدخل صدق المدينة وأخرجني مخرج صدق مكة نزل حين أمر النبي صلى الله عليه
 وسلم بالهجرة وقال النخاع أخرجني مخرج صدق من مكة آمننا من المشركين وأدخلني
 مدخل صدق ظاهر عليها بالفتح وقال مجاهد أدخلني في أمر الله الذي أرسلتني به من النبوة
 مدخل صدق وأخرجني من الدنيا وقد تمت بما وجب علي من حقها مخرج صدق وقيل أدخله
 القاروا أخرجه منه سالما وقيل أدخلني مدخل صدق الجنة وأخرجني مخرج صدق من
 مكة وقيل أدخلني في القبر مدخل صدق أدخل امرضيا وأخرجني منه عند البعث مخرج صدق
 أخرجهما بل بالكرامة والجامع لهذه الأقوال ما جرى عليه البقاعي في تفسيره بقوله
 في كل مقام تريد ادخاله فيه حسني ومعنوي دينا وأخرى مدخل صدق يستحق الدخول فيه أن
 يقال له أنت صادق في قولك وفعلك فان ذا الوجهين لا يكون عند الله وجها وأخرجني من كل
 ما أخرجني منه مخرج صدق انتهى والمراد من المدخل والمخرج الادخال والاخراج ومعنى
 اضافة المدخل والمخرج الى الصدق مدحه ما كانه سأل الله تعالى ادخلا حسنا واخرجا
 حسنا لا يرى فيما مايكره ثم سأل الله تعالى أن يرزقه التقوية بالجنة وبالقهر والقدرة فقال
 (واجعل لي من لذك أي عندك سلطانا نصيرا) أي حجة ظاهرة تنصير بها على جميع من
 خافني وقد أجاب الله تعالى دعاءه وأعلمه أنه بعضهم من الناس بشو له تعالى والله بعضهم من
 الناس وقال تعالى ألا أن حرب الله هم الغالبون وقال تعالى ليظهره على الدين كله وقال تعالى
 ليستخلصهم في الارض ووعدته تعالى ليظهره على الدين ووعدته تعالى لنزع من ملك فارس والروم
 فيجعل له وعنه صلى الله عليه وسلم أنه استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال انطلق فقد
 اسلمه ملكك على أهل الله فكان شديدا على المرتاب المفاقين ليناعلي المؤمنين وقال والله
 لا أعلم متخلفا يخلف عن الصلاة الامانة فقال أهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على أهل
 الله عتاب بن أسيد اعرايا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم اني رأيت فيمباري النائم كأن عتاب
 ابن أسيد اني باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقه لها قلعا شديدا حتى فتح له فدخلها فأعز الله
 تعالى الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير ثم أمره الله تعالى أن
 يخبر بالاجابة بقوله تعالى (وقل) أي لايمانك وأعدائك (جاء الحق) وهو ما أمرني به ربي وأمره
 الى (ورحق) أي اصحبل وبطل وهلك (الباطل) وهو كل ما يخالف الحق ثم علل زخوفه بقوله
 تعالى (ان الباطل) أي وان ارتفعت له دولة وصوله (كان) في نفسه بجبلته وطبعه (زخوفا) أي
 لا يثق بل يزول على أسرع الوجوه وقت وأسرع رجوع قضاء قضاء الله تعالى من الازل روى
 البخاري في التفسير عن ابن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول

قوله على أسرع
 الوجوه وقت الفتح
 هكذا في جميع
 النسخ ولعله على
 أسرع الوجوه
 كل وقت ويرجع ٨١

الكعبة ثلثمائة وستون صنماً من كل قوم بحبالهم فجعل يطعن بها بعد في يده ويقول جاء الحق
 وزهق الباطل فجعل الصنم ينكب لوجهه وعن ابن عباس كانت لقبا للعراب أصنام يحجون
 اليها ويحجرون لها فشكى البيت الى الله تعالى فقال أي رب الى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك
 فأوحى الله تعالى الى البيت اني سأحدث لك نوبة جديدة فاملوك خذ دودا سجدا يدفون اليك
 دفيق النور ويحجون اليك حين الطير الى بيضها لهم يحجج حولك بالتلبية * ولما زلت هذه
 الآية يوم الفتح جاء جبريل عليه السلام وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخصر تلك ثم
 ألقها فجعل ياتي صنما صنما وهو ينكب بالمخصرة في عنقه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب
 الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعا وبقي صنم خراعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفرة فقال يا علي
 الزم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مهد وري به فكسره فجعل أهل مكة يتعجبون
 ويقولون مارأى نار جلا أسحر من محمد قال الزمخشرى وشكايه البيت والوحى اليه تخمير وتخميل
 * ولما بين سبحانه وتعالى الالهيات والنبوات والحشر والنشر والبعث والنبات القضاء والقدر
 ثم أتبعه بالامر بالصلاة ونبيه على ما فيها من الاسرار وكان القرآن هو الجامع لجميع ذلك أتبعه
 ببيان كونه شفاء ورحمة بقوله تعالى (وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) أي ما هو
 شفاء في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمريض * (ففيه) * في من هذه ثلاثة
 أوجه أحدها انه لبيان الجنس قاله الزمخشرى والبيضاوي وابن عطية وأبو البقاوم ورد عليهم
 أبو حيان بأن التي للبيان لابد أن تتقدمها ما تبينه لأن تتقدم عليه وهنا قد وجد تقديمها عليه
 الثاني أنها للتبعض وأنكره الحوفي لأنه يلزم أن لا يكون بعضه شفاء وأجاب أبو البقاء بأن منه
 ما يشفي من المرض وهذا قد وجد بدليل رقية بعض الصحابة سيد الخي الذي لدغ بالفاقة
 فشفي من المرض فيكون التبعض بالنسبة للامراض الجسمانية والافهوكه شفاء للابدان
 وللقلوب من الاعتقادات وغيرها الثالث أنها لا ابتداء الغاية وهو كما قال ابن عادل واضح (و) من
 العجيب ان هذا الشفاء (لا يزيد الظالمين) وهم الذين يضعون الشيء في غير موضعه باعراضهم
 عما يجب قبوله (الاخسار) أي نقصان لانه اذا جاءهم وقامت به الحجة عليهم أعرضوا عنه فكان
 أعراضهم ذلك زيادة في كفرهم كما ان قبول المؤمنين له واقبالهم على تدبره زيادة في إيمانهم
 وفي الدارمي عن قتادة قال ما جالس أحد القرآن فقام عنه الا بزيادة ونقصان ثم قرأ هذه الآية
 ثم انه تعالى ذكر السبب الاصل في وقوع هؤلاء الكافرين الجاهلين الضالين في أودية الضلال
 ومقامات الخزي والنتكال وهو حب الدنيا والرغبة في المال والجاه واعتقادهم أن ذلك انما يحصل
 بسبب جدهم واجتهادهم فقال تعالى (واذا أنعمنا) أي بما لنا من العظمة (على الانسان) أي
 هذا النوع هؤلاء وغيرهم وقال ابن عباس ان الانسان ههنا هو الوليد بن المغيرة قال الرازي
 وهذا بعيد بل المراد أي نوع الانسان اذا أنعمنا عليه (أعرض) أي عن ذكرنا وادعائنا
 اذ شأن نوع الانسان أنه اذا فاز بمقصوده ووصل الى مطلوبه اغتر و صار غافلا عن عبودية الله
 متفردا عن طاعة الله كما قال تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى (وبأى) عن ذكر الله

(بجانبه) أي لوى عطفه وبعد نفسه كأنه مستغنى بأمره ويجوز أن يكون كناية عن الاستكثار لانه من عادة المستكبرين ومعنى النأي في اللغة البعد والاعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه وقرأ ابن ذكوان بألف ممدودة بعد النون وتأخير الهمزة مثل جاء وفي هذه القراءة تقرر بجانب أحدهما من نأي ينوء أي نهض والثاني انه مقولوب من نأي فيكونان بمعنى قال ابن عادل ولكن متى أمكن عدم القلب فهو أولى وقرأ الباقر بالهمزة بعد النون وألف بعدهمزة وأمال الالف بعد الهمزة السوسى وشعبة وخلاصحة بخلاف عن السوسى وأمالها ورش بين بين وأمال الهمزة والنون محضة خلف والكسائي وفتح الباقر (وأداسه الشر) أي هذا النوع وان قل (كان يؤسا) أي شديد اليأس عما عهد من رحمة ربه والحاصل أنه ان فاز بالنعمة والدولة اعتربها ونسي ذكر الله وان بقي في الحرمان عن الدنيا استولى عليه الأسف والحزن ولم يفرغ لذكر الله فهذا المسكين محروم أبدا عن ذكر الله تعالى ونظيره قوله تعالى فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربني أكرم من وأما اذا ما ابتلاه فقد رعبه رزقه فيقول ربني أهان وكذلك ان الانسان خلق هلو عا اذا مسه الشر تجزوعا واذا مسه الخير منوعا الآمن حفظه الله وشرقه بالاضافة اليه فليس للشيطان عليه سلطان ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل كل من الشاكر والكافر يعمل على شاكته) أي طريقته التي تشاكل روحه وتشاكل ما طبعناه عليه من خيرا وشر (قربكم) أي فتسبب عن ذلك ان الذي خلقكم وصوكم (أعلم) من كل أحد (عن هو) منكم (أهدى سبيلا) أي أوضح طريقا واتباع الحق فيشكروا بصبر احتسابا فيعطيه الثواب ومن هو منكم أفضل سبيلا فيجعل له العقاب لانه يعلم ما طبعهم عليه في أصل الخلقة وغيره تعالى انما يعلم أمور الناس فيطرائقهم بالتجربة وقد روى الامام أحمد لكن بسند منقطع عن أبي الدرداء رضى الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم يحجل زال عن مكانه فصدقوا واذا سمعتم برجل تغبر عن طبعه فلا تصدقوا فانه يصير الى ما جبل عليه واختلف في سبب نزول قوله تعالى (ويستأذنك) أي تعنا وامتحا (عن الروح) فعن عبد الله بن مسعود قال بينما أنا أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوكل على عسيب معه فتر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض اسألوه عن الروح وقال بعضهم لا نسألوه لايحيى بشئ تذكره فقال بعضهم لنسألن فقال رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح فسكت فقلت انه يوحى اليه فقمت فلما انجلى عنه قال ويستهونك عن الروح (قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا) قال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا نسألوه وقال ابن عباس ان قريشا اجتمعوا فقالوا ان محمدا نشأ فينا بالصدق والامانة وما اتهمناه بكذب وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرا الى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فانهم أهل كتاب فبعثوا جماعة اليهم فقال اليهود سألوه عن ثلاثة أشياء فان أجاب عن كلها لم نجيب عن شيء منها فليس بنبي وان أجاب عن اثنين فهو نبي فسالوه عن ثنية فقد رواها الزمن لاقل ما كان بأمه ههنا كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ مشرق الارض

ومغربها وعن الروح فسألو النبي صلى الله عليه وسلم فقال أخبركم بما سألتهم عند أوله يقل ان شاء الله فلبثت الروحى قال مجاهد اثني عشر ليلة وقيل خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما وأهل مكة يقولون وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا لا يجترأ بشئ حتى حزن صلى الله عليه وسلم من مكث الوحى وشق عليه ما يقوله أهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيئ إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ونزل في القبية أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب ويستأثرونك عن ذى القرنين ونزل في الروح ويستأثرونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وقول الرازى ومن الناس من طعن في هذه الرواية من وجوه وذكر من جملة ذلك كيف يليق به أن يقول انى لأعرف هذه المسئلة مع أنها من المسائل المشهورة المذكورة مع جمهور الخلق غير لائق لأن ذلك علامة على نبوته قال الرخصى فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم انتهى واختلفو في الروح الذى وقع السؤال عنه فروى عن ابن عباس أنه جبريل عليه السلام وهو قول الحسن وقتادة وروى عن علي أنه قال ملك له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله تعالى بكلماتها وقال مجاهد خلق على صورة بنى آدم لهم أيد وأرجل ورؤس وليسوا بملائكة ولا ناس يأكلون الطعام وقال سعيد بن جبيل يخلق الله تعالى خلقا أعظم من الروح غير العرش لو شاء أن يتلغ السموات السبع والأرضين السبع ومن فيهن بقلعة واحدة لتفعل صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة وجه الادميين يقوم يوم القيامة على عین العرش وهو أقرب الخلق الى الله تعالى عند الحجب السبعين وأقرب الى الله تعالى وهو من يشفع لاهل التوحيد ولولا أن بينه وبين الملائكة ستر من نور لا حترق أهل السموات من نوره وقيل الروح هو القرآن وقيل المراد منه عيسى فانه روح الله تعالى وكتبه ومعناه أنه ليس كما تقوله اليهود ولا كما تقوله النصارى وقال بعضهم هو الروح المركب فى الخلق الذى يحييه الانسان قال البغوى وهو الاصح وتكلم فيه قوم فقال بعضهم هو الدم ألا ترى أن الحيوان اذا مات لا يفوت منه الا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل أنه يموت باحتباس النفس وقال قوم عرض وقال قوم هو جسم لطيف وقال بعضهم الروح معنى اجتماع فيه النور والطيب والعلم والعلم والبقاء ألا ترى أنه اذا كان موجودا يكون الانسان موصوفا بجميع هذه الصفات واذا خرج ذهب الشكل قال البغوى وأولى الاقاييل أن يوكل عمله الى الله عز وجل وهو قول أهل السنة قال عبد الله بن بريدة ان الله تعالى لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبياما سلا بدليل قوله تعالى قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا أى فى جنب علم الله تعالى * (تنبيه) * اختلف فى الخطاب بقوله تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل اليهود فانهم يقولون أوتينا التوراة وفيها العلم الكبير وقيل عام روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن محتصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فنه فقال نحن وأنتم لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا

كثيرا وساعة تقول هذا فترت ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر عذبة الآية قال
 الزخشمي وليس ما قالوا بالازم لان القلة والكثرة يدوران مع الاضافة فيوصف الشيء بالقلة
 مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التي اوتيها العبد خير كثير في نفسه الا
 أنها اذا أضيفت الى علم الله فهي قليلة وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم معنى الروح ولكن
 لم يخبر به لان تركه أخباره كان علما للنبوة قال البغوي والاول أصح أن الله استأثر بعلمه انتهى
 وعن أبي يزيد لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقال الرازي قوله تعالى قل
 الروح من أمر ربي من فعل ربي وهذا الجواب يدل على أنهم سألوه أن الروح قديمة أو حادثة
 فقال بل هي حادثة وانما حصلت بفعل الله وتكوينه وإيجاده ثم احتج على أحداث الروح بقوله
 وما أوتيت من العلم الا قليلا بمعنى أن الروح في مبدأ الفطرة تكون خالية عن العلوم والمعارف
 ثم تحصل المعارف والعلوم فهي لا تزال تكون في التغير من حال الى حال وفي التبديل من نقصان
 الى كمال والتغير والتبديل من امارات الحدوث فقوله قل الروح من أمر ربي يدل على أنهم سألوه
 أن الروح هل هي حادثة أو قديمة فأجاب بأنها حادثة واقعة بتخليق الله تعالى وتكوينه وهو المراد
 من قوله تعالى قل الروح من أمر ربي ثم استدل على حدوث الارواح بتغيرها من حال الى حال
 وهو المراد بقوله وما أوتيت من العلم الا قليلا فهذا ما نقوله في هذا الباب انتهى وهو نص لطيف
 ولما بين سبحانه وتعالى أنهم ما آتاهم من العلم الا قليلا بين أنه لو شاء أن يأخذهم ذلك القليل
 أيضا لقدر عليه بقوله تعالى (ولئن شئنا) أي ومشيئتنا لا يتعاضدها شيء واللام موطئة للقسم
 وأجاب عن القسم بما أغنى عن جواب الشرط فقال (لنذهبن) أي بما لنا من العظمة ذهبا
 محققا (بالتى أرحمنا البك) بأن نحمو حفظه من القلوب وكتابته من الكتب وهذا وان كان
 أمرا مخالفا للعادة الا أنه تعالى قادر عليه (ثم) أي بعد الذهاب به (لا تجدك به علينا وكلا)
 أي لا تجد من تتوكل عليه في رد شيء منه واعادته مسطورا محفوظا وقوله تعالى (الارحمة من
 ربك) استثناء متصل لانه مندرج في قوله وكلا والمعنى الا أن ربك ربك فبرده عليك
 أو منقطع فتقدر لكن عند البصريين أو بل رجعة من ربك عند الكوفيين والمعنى ولكن رجعة
 من ربك أو بل رجعة من ربك بتركه غيره ذهابه وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن
 قال الرازي وهذا تنبيه على أن الله تعالى على جميع العلماء نوعين من المنة أحدهما تنبيه
 ذلك العلم عليهم والثاني ابقاء حفظه عليهم فعلى كل ذي علم أن لا يقفل عن هاتين النعمتين
 وعن القيام بشكرهما وهما منه من الله تعالى عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره ومنه عليه في
 بقاء المحفوظ (فان قيل) كيف يذهب القرآن وهو كلام الله تعالى (أجيب) بأن المراد محو ما
 في المصاحف وازهاب ما في الصدور قال عبد الله بن مسعود اقرؤ القرآن قبل أن يرفع فانه
 لا تقوم الساعة حتى يرفع قبل هذه المصاحف ترفع فكيف ما في صدور الناس قال يسري عليه
 السلام يرفع ما في صدورهم فيصحبون لا يحفظون شيئا ولا يجدون في المصاحف شيئا ثم يفيضون
 في الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل

له دوى تحت العرش كدوى التحل فيقول الرب مالك فيقول يا رب أقملى ولا يعمل بي وفي رواية لابن مسعود أول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلاة وليصلين قوم ولادين لهم وإن هذا القرآن تصحون يوما ما فيكم منه شئ فقال رجل كيف ذلك وقد أشتناه في قلوبنا وأشتناه في مصاحفنا وتعلمه أبناءنا ويعلمه أبناءنا هم فقال يسرى عليه السلام لا فيصيح الناس منه فقرأ ترفع المصاحف وتخرج ما في القلوب وقوله تعالى (إن فضله كان) أى ولم يزل (عليك كبيرا) فيه قولان أحدهما المراد منه أن فضله كان عليك كبيرا بسبب ابقاء العلم والقرآن عليك ثانيهما أن المراد أن فضله كان عليك كبيرا بسبب أنه جعلك سيد ولد آدم وختمك النبيين وأعطاك المقام المحمود وقد أتم عليك أيضا ابقاء العلم والقرآن عليك وزل حين قال الكفار لنبي صلى الله عليه وسلم لو نشاء لقلنا مثل هذا القرآن (قل) أى لهؤلاء البعدهاء (لتراجعت الانس) الذين تعرفونهم وتعرفون ما وتوأم البلاغة والحكمة والذين لا تعرفونهم (والجن) الذين يأتون كهانهم ويعلمونهم بعض الغيبات عنهم وغيرهم وترك الملازمة لانهم لاعداء لهم بشئ من التصدي ولانهم كانوا سايط (على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) في البلاغة وحسن النظم وكال المعنى (لا يأتون بمثله) أى لا يقدرون على ذلك فالقرآن معجز في النظم والتأليف والاخبار عن الغيوب وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق ولو كان مخلوقا لآتوا بمثله * (تنبيه) * في قوله تعالى لا يأتون بمثله قولان أظهرهما أنه جواب للقسيم الموطأ له باللام والثاني أنه جواب للشرط واعتذروا عن رفعه بأن الشرط ماض فهو كقوله

* وان آتاه خليل (أى فقير) يوم مسغبة * يقول لا غائب مالى ولا حرم

لان الشرط وقع ماضيا وناقشه أبو حيان بأن هذا ليس مذهب سيبويه ولا الكوفيين والمبرد لان مذهب سيبويه في مثله أن النية به التقديم ومذهب الكوفيين والمبرد أنه على حذف الفاء وهذا مذهب ثالث قال به بعض الناس (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) أى معينا بنضم أقوى ما فيه الى أقوى ما في صاحبه * (تنبيه) * قد تقدم في سورة البقرة أن الله تعالى قال فأتوا بسورة من مثله وقد مننا الكلام على ذلك وفي وجه كون القرآن معجزا قولان أحدهما أنه معجز في نفسه والثاني أنه ليس في نفسه معجزا لأنه تعالى لما صرف دواعيهم عن الاتيان بمعارضته وكانت الدواعي متوفرة على الاتيان بهذه المعارضة مع التقديرات المذكورة يكون نقضا للعادة فيكون معجزا والقول الاول أظهر (ولقد صرفنا) أى يذابو جوه محتلفة زيادة في التقرير والبيان (لناس في هذا القرآن من كل مثل) أى من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه متوقعا في الانفس وقيل معناه من كل وجه من العبر والاحكام والوعيد والوعيد والتقصص وغيرها وقيل صفة لمحدوف أى مثلا من جنس كل مثل لية عظموا (فأبى أن يكون الناس) وهم من هم في صورة الناس ككفار قريش وقد سلبوا معانيهم (الا كفورا) أى بخودا (فان قيل) كيف جاز فإبى أكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضرب الازيدا (أجيب) بأن أبى مبتأول بالنبي كانه قبل فلم يرضوا الا كفورا * ولما تبين بالدليل اعجاز القرآن على وفق دعوى محمد

صلى الله عليه وسلم ولم يمتهم الجحمة وغلبوا أخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المجموع
 المتعثر في أذيال الخيرة وذكر وأن ذلك ستة أنواع من المعجزات أولها (وقالوا) أي كفار قريش
 ومن والاهم (لن نؤمن لك حتى تفجر) أي تفجيرا عظيما (لنا من الأرض ينبوعا) أي عينا
 غزيرة الماء من شأنها أن تتبع بالماء ولا ينضب ماؤها وقرأ عاصم وحزرة والكسائي بفتح التاء
 وسكون القاء وضم الجيم مخففة والباقون بضم التاء وفتح الياء وكسر الجيم المشددة ثانيها قولهم
 (أو تكون لك) أنت وحدك (جنة من نخيل وعنب) أي وأشجار عنب عبر عنه بالنبوة لأن
 الانتفاع منه بغيرها قليل (فتفجر الأنهار) الجارية (خلالها) أي وسطها (تفجيرا) أي
 تشقيا وتفجيرا شرق الطلام عن عمود الصبح والفجر وشرق جلاب الحياء بما يخرج إلى الفساد
 ثالثها قولهم (أو تسقط السماء) أي نفسها (كما زعمت) فيما توعد نابه (علينا كسفا) أي قطعها
 جمع كسفة وهي القطعة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بنصب السين مثل قطعة وقطع وسدرة
 وسدرو الباقر بسكونها مثل دمنه ودمن وسدرة وسدر وهو نصب على الحال في القراءة جميعا
 كانه قيل أو تسقط السماء علينا مقطعة رابعها قولهم (أو تأتي) معك (بالله) أي الملك الأعظم
 (واللائكة قبلا) أي عيانا ومقابلة تنظر إليه لا يخفى علينا شيء منه وقال الضحاك هو جمع
 قبيلة أي أصناف اللائكة قبيلة قبيلة قال ابن هاني كفيلا أي يكفلون بما تقول خامسها
 قولهم (أو يكون لك) أي خاصلك (بيت من زخرف) أي ذهب كامل الحين والزينة سادسها
 قولهم (أو ترق) أي تصعد (في السماء) درجة درجة ونحن ننظر إليك صاعدا (ولن نؤمن)
 أي نصدق مذعنين (لربك) أي أصلا (حتى تنزل) وحققوا معنى كونه من السماء بقولهم
 (علينا كتابا) ومعنى كونه في رق أو نحوه بقولهم (نقرؤه) يأمر نافية باتباعك روى عكرمة عن
 ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا الجحزي بن هشام وعبد الله بن أمية وأميه بن خلف
 والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام والعاصم بن وائل ونهبنا وناومنها أي الحاجاج اجتمعوا بعد
 غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعدوا إلى محمد فكمومه وخاصمه وحتى
 تعذروا فيه فبعثوا إليه أن أشرف قومك فذا اجتمعوا لك يكلمونك فجاءهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم سريرا وهو يظن أنهم بداهم في أمره بداه وكان عليهم حريصا يجب رشدهم حتى جلس
 إليهم فقالوا يا محمد انابعنا إليك لتعذر فيك وانا والله لانعلم أن رجلا من العرب أدخل على قومه
 ما أدخلت على قومك لقد شمت الآباء وعيت الدين وسفهت الأحلام وشمت الآلهة وفرقت
 الجماعة فمابق أمر فيج الإوقد جثته فيما بيننا وبينك فان كنت جئت بهذا الحديث فطلب به
 ما لا جعلا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تريد الشرف سودناك علينا وان
 كنت تريد ملكا ملكك علينا وان كان هذا الذي بك ريسا ترا قد غلب عليك لانه طبع
 ربه بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرك منه أو نذر فيك وكأنا يسمعون التابع من الجن
 الرئي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي مما تقولون ما جئكم بما جئكم به لطلب
 أموالكم وللاشرف عليكم وللاملك عليكم ولكن الله بعثنى إليكم رسولا وأنزل علي كتابا

وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فان قبلوا مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه الى أصبر لامر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد أضيق بلادا وأشد عيشة منا قسلا لسار بك الذي بعثت فليس سر عنا هذه الحبال التي قد ضيققت ويسط لنا بلادنا ونفجر فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضي من آياتنا ولكن منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فان صدق قولك صدقناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت فقد بلغكم ما أرسلت به وان تقبلوه فهو حظكم وان تردوه أصبر لامر الله قالوا فان لم تفعل فسل ربك أن يعث ملكا يصدقك فسله أن يجعل لك حنايا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة فيغنيك بها عما ترأى فان تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما تلتمسه فقال صلى الله عليه وسلم ما بعثت بهذا ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا قالوا فأسقط السماء كما زعمت ان ربك ان شاء ففعل فقال ذلك الى الله ان شاء ففعل ذلك بكم فقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تأتى بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن أمية وهو ابن عاتكة بفت عبيد المطلب وقال له عرض عليك قومك ما عرضوا فلم يقبله منهم ثم سأولوا أن يجعل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله لأؤمن بك أبدا حتى تتخذ الى السماء سلما ترقى به وأنا أنظر حتى تأتيتها وتأتى بشيخة ونشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وائم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا أصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله حزنا لما رأى من مبادئهم فأنزل الله هذه الآية وفيها اشارة الى أنه ليس من شرط كونه نبيا ما صدقا فواتر المعجزات الكثيرة وقوا اليها الذل ففتح هذا الباب لزم أن لا ينهى الامر فيه الى مقطع وكل أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعجز اقترحوا عليه بعجز آخر ولا ينهى الامر فيه الى حد يقطع عنه عناد المعادين وتعت الجاهلن مع أنه صلى الله عليه وسلم أعطى من الآيات والمعجزات ما أغنى عن هذا كله مثل القرآن واشفاق القصر وتعبير العيون من بين الاصابع وما أشبه ذلك ولما تم تعينهم وكان لسان الحال طالبا من الله تعالى الجواب عنه أمر الله تعالى بجوابهم بقوله تعالى (قل) أي لهؤلاء البعداء والاشقياء (سبحان ربي) أي نعيما من اقترحاتهم وتنزيها لله من أن يأتي أو يفهم عليه أو يشاركه أحد في القدرة وقرأ ابن كثير وابن عاصم بصيغة الماضي والماقون قل بصيغة الامر و (هل كنت الا بشر) لا يقدر على غير ما يقدر عليه البشر (رسولا) كما كان من قبلي من الرسل وكانوا لا يؤتون قومهم الا بما يظهره الله تعالى على أيديهم بما يلائم حال قومهم ولم يكن أمر الآيات اليهم ولا لهم أن يفكروا على الله حتى يتغيروها هذا هو الجواب المجمل وأما التفصيل فقد ذكر في آيات أخر كقوله تعالى ولوزنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم ولو فطنا عليهم بإيادهم فوالله لا يفترونه من الرسل في كونه بشرا أتبعه قوله عطا على فاني أو قالوا (وما مع الناس) أي قريشا ومن قال بقولهم لم يلهم من الاضطراب (أن يؤمنوا) أي لم ينق لهم من الايمان والجملة مفعول

منع (آذباهم الهدى) أى الدليل القاطع على الايمان وهو القرآن وغيره من الادلة وقرأ
 أبو عمر وهشام بادغام ذال اذ عند الجيم والباقون بالظهار وأمال الالف بعد الجيم حمزة وابن
 ذكوان محضة وإذا وقف حمزة على جاءهم سهل الهمزة مع المد والقصر (الأن قالوا) فاعل
 منع أن قالوا أى منكرين عليه غاية الانكار متعجبين منهم كمين (أبعث الله بشرا رسولا) لأن
 الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لأنك بشر ولو بعث الله تعالى رسولا الى الخلق لوجب أن
 يكون ذلك الرسول من الملائكة فأجابهم الله تعالى بقوله (قل) أى لهؤلاء المطرودين عن الرحمة
 (لو كان في الارض ملائكة يمشون) عليها كالأدميين (مطمئنين) أى مستوطنين فيها
 كالنفس (لترأوا علمهم) مرة بعد مرة كما فعلنا في تنزيل جبريل عليه السلام على الانبياء من البشر
 وحقق الامر بقوله تعالى (من السماء ملكا رسولا) يعلمهم الخير ويهديهم المارشد لتسكنهم
 من التلقي منه لما كنتم له بخلاف البشر كما هو مقتضى الحكمة لأن رسول كل جنس ينبغي
 أن يكون منهم اذ الشئ عن شكله أفهم وبه أنس واليه أحن وله آلف الامن فضله الله تعالى
 بتغلب روحه على نفسه وتغلب عقله على شهوته فأقدره بذلك على التلقي من الملك كالرسولين
 ثم أجابهم الله تعالى جوابا آخر بقوله عز وجل (قل كفى بالله) أى المحيط بكل شئ قدوة وعلمنا
 وأمال الالف حمزة والكسائي محضة وورش بالفتح وبين اللطين والباقون بالفتح (شهيد ابني
 وينسكم) على أنى رسوله اليكم ليظهر المعجزات على وفق دعواهم وانى بلغت ما أرسلت به اليكم
 وانكم عاندتم ومن يشهد الله على صدقه فهو صادق فعند ذلك قول القائل بأن الرسول يجب
 أن يكون ملكا لانسانا فتحكم فاسد لا يلتفت اليه * (تنبيه) * شهيد انصب على الحال
 أو التمييز ثم انه تعالى ذكر ما هو كالتهديد والوعيد بقوله تعالى (انه كان بعباده خبيرا بصيرا)
 يعلم ظواهرهم وبواطنهم ويعلم من قلوبهم أنهم لا يشكرون هذا الا لخص الحسد وحب الرياسة
 والاستكفاف من الانقياد للحق * ولما تقدم أنه تعالى أعلم بالمهتدى والصال عطف عليه قوله
 تعالى (ومن يهد الله) بأن يخلق الهداية في قلبه (فهو المهتدى) لا يمكن أحد غيره أن يضل
 * (تنبيه) * أثبت نافع وأبو عمر والياء بعد الدال مع الوصل دون الوقف وحذفها الباقون
 وقفا ووصلا (ومن يضل فلن يجدهم) أى الضالين (أولياء) يهدونهم (من دونه) ولا ينقونهم
 بشئ أراد الله تعالى غيره ولما كان يوم القيامة يظهر الله فيه لكل أحد ما كان يعمل به على
 ذلك بقوله تعالى (وتحشرهم) بنون العظمة أى نجتمعهم بكرة (يوم القيامة) الذى هو محط
 الحكمة (على وجوههم) مسحوبين عليها هانة لهم فيها كمال بذلها بالسجود لنا قال تعالى
 يوم يسحبون فى النار على وجوههم أى يشنون عليها روى أبو هريرة قبيل يارسول الله كيف
 يشنون على وجوههم قال ان الذى يشتم على أقدامهم قادر على أن يشتم على وجوههم قال
 حكاه الاسلام ان الكفار راحهم شديدة التعلق بالدينا ولذا اتها ولس لها تعلق بعالم الانوار
 وحضرة الاله سبحانه وتعالى فلما كانت وجوه قلوبهم وأرواحهم متوجهة الى الدينا لاجرم كان
 حشرهم على وجوههم وأما قوله تعالى (عيا وبكا ووصفا) فقد استشكله شخص على ابن عباس

فقال أليس قد قال الله تعالى ورأى المجرمون النار وقال تعالى سمعوا لها تغلظوا زفيرا وقال
تعالى دعوا ههنا لا تبورا وقال تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقال تعالى حكاية
عن الكفار والله ربنا ما كنا مشركين فثبت بهذه الآيات أنهم يرون ويسمعون ويتكلمون
فكيف قال تعالى ههنا عمو وبكا وصما أجاب ابن عباس وتلامذته عنه من وجوه الأول قال ابن
عباس عمو لا يرون شيئا يسرهم صم لا يسمعون شيئا يسرهم بك لا ينطقون بحجة الثاني قال في
رواية عطاء عمو عن النظر أي عما جعله الله تعالى لا وليائه وبكاعن مخاطبة الله تعالى ومخاطبة
الملائكة المقرئين صما عن شاء الله تعالى عليهم الثالث قال مقاتل انه حين يقال لهم اخذوا
فيها ولا تكلمون يصيرون عمو بكا صما أما قبل ذلك فهم يرون ويسمعون وينطقون الرابع
أنهم يكونون رائيين سامعين ناطقين في الموقف ولولا ذلك لما قدروا أن يبالغوا كتبهم ولأن
يسمعوا الألزام حجة الله تعالى عليهم لأنهم إذا أخذوا يذهبون من الموقف الى النار جعلهم
الله تعالى عمو بكا صما قال الرازي والجواب الأول أولى لأن الآيات السابقة تدل على أنهم
في النار يصرون ويسمعون ويصيرون ثم بين تعالى مكانهم بقوله عز وجل (مأواهم جهنم)
تسعر عليهم (كلمات) أي أخذ لهم في السكون عند أكلها الحومهم وجلودهم (زناهم
سعيها) وقد أباعد الجلود واللحوم ملتبة مسخرة كأنهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء
جراهم الله تعالى بأن لا يرادوا على الاعادة والافناء وقرأ نافع وابن كثير وعاصم وابن عامر
بأظهار التانيث عند الرازي وأدغمها الباقر ثم بين علة تعذيبهم لرجوع منهم من قضى
بسعاده بقوله تعالى (ذلك) أي العذاب العظيم (جزاؤهم بأنهم) أي أهل الضلالة (كفروا
بآياتنا) القرآنية وغيرها وكانوا كل يوم يزدادون كفرا وهم عازمون على الدوام على ذلك
ما بقوا (وقالوا) انكار القدرتنا (أنذا) كاعظاما ورفانا ممزقين في الارض ثم كرروا الانكار
كانهم على نفقة من أمرهم هذا الذي بطلانه أوضح من الشمس بقولهم (أنتالبعوثون
خلقا جديدا) فنحن نزيهم جزاء على هذا الانكار المكثرا والخلق الجديد في جلودهم ولحومهم
مكررا كل لحظة قال تعالى كلما نضجت جلودهم بذلناهم جلودا غير لها ليدوقوا العذاب ثم أتبعه
بقاطع في بيان جهلهم بقوله تعالى (أولم يروا) أي يعلموا يعيرون بصائرهم على ما هو كل زينة يعيرون
أبصارهم لما قام عليه من الدلائل بصفته من الشواهد الجلائل (أن الله الذي خلق السموات)
جمعها المادل على ذلك من الحسن ولما لم تكن الارض مثل ذلك أفرد هارميد الجنس الصالح
لجميع بقوله تعالى (والارض) على كبر أجرامها وعظم احكامها وقوله تعالى (فادر على أن
يخلق مثلهم) فبه قولان الأول المعنى قادر على أن يخلقهم ثانيا فعبّر عن خلقهم ثانيا بلفظة المثل
كما يقوله المتكلمون ان الاعادة مثل الابتداء الثاني أن المراد قادر على أن يخلق عبدا آخرين
بوحده وبغيره ويقرون بكل حكمته وقدرته وبتركون ذكر هذه الشبهات الفاسدة وعلى هذا
فهو كقوله تعالى ويأت بخلق جديد وقوله تعالى ويستبدل قوما غيركم قال الواحدى والقول
هو الاول لانه أشبه بمقابلة ولما بين الله تعالى بالدليل المذكور ان البعث والقسام أمر يمكن

الوجود في نفسه أردفه بيان أن وقوعه في الوجود وقام علوما عند الله وهو قوله تعالى
 (وجعل لهم أجلا لا ريب) أي لا شك (فيه) وهو الموت والقيامة (فأني الظالمون إلا كفورا)
 أي بعده هذه الدلائل الظاهرة أبوا إلا الكفر والجحود * ولما قال الكفار لنؤمن لك حتى
 تفجر لنا من الأرض ينبوعا فطلبوا إجراء الأنهار والعيون في بلدتهم لتكثر أموالهم ويتسع
 عيشهم بين تعالى أنهم لم يملكوا خزائن رجة الله ليقوا على بخلهم وشبههم بقوله تعالى (قل) أي
 لهؤلاء المتعنين (لو أنتم) أي دون غيركم (تملكون خزائن) عبر بصيغة منتهى الجموع لأن المقام
 جدير بالمبالغة (رحمة ربى) أي خزائن رزقه وسائر نعمه وذلك غير متناه (إذا لامسكم) أي
 لوقع منكم الامساك عن الانفاق في بعض الوجوه التي تحتاجونها (خشية) أي مخافة عاقبة
 (الانفاق) أي الموصل إلى الفقر فكان المعنى انكم لم تملكتم من الخير والنعم خزائن لانهاية لها
 البقيت على الشح والدناءة وهذا مبالغة عظيمة في وصفهم بهذا الشح وقول البضاوى تبعا
 للزحخشري أنتم مرفوع بفعل يقسمه ما بعده قال الزحخشري تقديره لو تملكون جرى فيه على
 مذهب الكوفيين من أن لو يلها الفعل مضرا كما يلها ظاهره والبصريون ينعنون بإلامها
 مضرا لا في شذوذ كقول حاتم لودات سوار لطمتنى وأصل هذا المثل أن امرأة عطلاء من الحلي
 والهيمية لطمت حاتم على نحر الناقة وقالت له بقسوة انما أردناك بفصدها والفصد عند عندهم
 أن يقطع عرق من عروق ثم يجمع دمها فيشربى وقبل أصله المرأة المذكرة لطمت رجلا
 فقال لودات سوار لطمتنى لاحتملتها فصار مثل يضرب للكرم يطمه الذي ثم استدل على صحة
 هذا المقروض بالشاهد من مضمون قولهم (وكان) أي جبلة وطبعا (الانسان) أي الذي من
 شأنه الانس بنفسه فهو لذلك لا يعقل الامور حق عقلها (قتورا) أي بجيلا * (تنبيه) * فمع الباء
 في ربي نافع وأبو عمر وسكنها الباقيون وهم على مراتبهم في المدة (فان قيل) قد يوجد جنس
 الانسان من هو جواد كريم (أجيب) من وجوه الأقل ان الاصل في الانسان البخل لانه خلق
 محتاجا والحاجة لا بد وأن يجلس ما به يدفع الحاجة وأن يحسكه لنفسه لأنه قد يجوده لاسباب
 من خارج فثبت أن الاصل في الانسان البخل الثاني أن الانسان انما يذل لطلب الشهاءة والحد
 ويخرج عن عهدة الواجب فهو في الحقيقة ما أنفق الا لا أخذ العوض فهو في الحقيقة بخيل
 الثالث أن المراد بهذا الانسان المهود السابق وهم الذين قالوا لنؤمن لك حتى تفجر لنا من
 الارض ينبوعا * ولما قدم سبحانه وتعالى أن أكثر الناس جحدوا والآيات لكونه تعالى حكم
 بضالاهم ومن حكم بضالاه لا يمكن هداة شرع يسلي نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بما اتفقوا على
 قلبهم الانبياء بقوله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) أي واختمت واختلف في هذه
 الآيات فقال ابن عباس والغضائلي العصا واليد البيضاء والعقدة التي كانت بلسانه فخلها
 وخلق البصر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقال مجاهد وعطاء بن السوفان
 والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد البيضاء ونقص من الثمرات وقال البقاعي
 وهي كافي التوراة العصا ثم الدم ثم الضفادع ثم القمل ثم موت البهائم ثم البرد السكار التي أنزلها

القرنين وعن حديث موسى عليه السلام والمؤمنين منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه (اذ) أى عن ذلك حين (جاءهم) أى جاء أباءهم فوقع لهم من التكذيب بعد أظهر المعجزات الباهرات ما وقع لك (فقال) أى فذهب إلى فرعون فأمره بإرسالهم معه فأبى فأظهر له الآيات واحدة بعد أخرى فتسبب عن ذلك صدق ما يقتضيه الحال وهو أن قال (لفرعون) عتوا واستكبارا (أنى لاظنك يا موسى مسهورا) أى مخدوعا مغلوبا على عقلك فكل ما ينشأ عنك فهو من آثار السحر وهذا كما قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم ان تتبعون الأرجل مسهورا وقال في موضع آخر ساحروا نهم ربما أطلقوا اسم المفعول مرين اسم الفاعل مبالغة لأنه كالتحير عن الفعل وفي الأمر بسؤال اليهود تنبيهه على ضلالهم ولما لم يؤمن فرعون على نوارثك الآيات وعظمها فكأنه قيل فما قال موسى عليه السلام فقبل (قال) لفرعون (أقد علمت) بفتح التاء قراءة غير الكسائي وقرأ الكسائي بضمها على أخباره عن نفسه (ما أنزل هؤلاء) أى الآيات (الأرب السموات والأرض) أى خالقهما ومدبرهما حال كون هذه الآيات (بصائر) أى بينات يصير بها صدق وأما السحر فإنه لا يخفى أنه خيال لاحقيقة له ولكل تكاند * (تنبيه) * قوله تعالى هؤلاء الكلام عليه من جهة الهمزتين كالكلام على هؤلاء ان كنتم في البقرة وقد تقدم الكلام على ذلك * ثم حكى الله تعالى ان موسى قال لفرعون (وانى) أى وان ظننتنى يا فرعون مسهورا (لاظنك يا فرعون مشهورا) أى ملعونا مطرودا ممنوعا من الخير فاسد العقل فعارضه موسى بذلك وشتان بين الظنين فان ظن فرعون كذب صرف لعناده لمرب العالمين لوضوح مكابرتة للبصائر التي كشف عنها ربها الغطاء فهي أوضح من الشمس وظن موسى عليه السلام قريب إلى الصفة واليقين من نظائر ما رآه لان هذه الآيات ظاهرة وهذه المعجزات فاهرة ولا يرتاب العاقل أنهم من عند الله وفي أنه تعالى أظهرها لأجل تصديقي وأنت منكرها فلا يحطنك على هذا الانتكار إلا الحسد والعناد والبغى والجهل وحسب الدنيا ومن كان كذلك كانت عاقبته الدمار والنبور (فأراد) أى فأتسبب عن هذا الذي هو موجب للإيمان في العادة إلا ان فرعون أراد (أن يستنقزهم) أى يستخف بموسى وبين آمن معه ويخرجهم فيكونوا كالماء اذا سال من قولهم فز الجرح اذا سال (من الأرض) بالنقي والقتل للتمكن منهم كما أراد هؤلاء أن يستنقزوا منها بما هم عليه من الكفر والعناد ثم أخذ تعالى يحذرهم سطوانه بما فعل بمن كان قبلهم وأكثر منهم وأشد بقوله تعالى (فأغرقناه) أى فتسبب عن ذلك ان ردنا كبده في غمره كما قال تعالى ولا يجني المكر السيئ إلا بأهله أراد فرعون أن يخرج موسى من أرض مصر لتخلص له تلك البلاد والله تعالى أهلك فرعون وجعل تلك الأرض خالصة لموسى ولقومه فأدخله البحر حين أدخل بني اسرائيل فأنجاهم وأغرق آل فرعون (ومن معه جميعا) كما جرت به سنة الله تعالى فيمن عاند بعد أن رأى الخوارق وكفر النعمة وأفرط في البغي بعد ظهور الحق فليصد هؤلاء مثل ذلك ولا سيما اذا خرج رسولنا من بين أظهرهم في هذه الآية وأمثالها بإشارة لصلى الله عليه وسلم في ان الله تعالى يسلك به في النصرة والتمكن سبيل اخوانه من الرسل عليهم الصلاة

والسلام (وقلنا من بعده) أي الاغراق (لبنى امراة) الذين كانوا تحت يده أذل من العبيد
لتقواهم واحسانهم (أسكنوا الارض) أي التي أراد أن يستغفركم منها (فأذا جاء) أي نجيا
محققا (وعدا الأثرة) أي القيامة بعد أن سكنتم الارض أحبا ودققتم فيها أمواتا (جئنا)
أي بالنا من العظمة والقدرة (بكم) منها (لقيفا) أي بعثناكم وإياهم مختطفين لاحكم لاحد
على آخر ولا دفع لاحد عن آخر على غير الحالة التي كانت في الدنيا ثم ميزنا بعضكم عن بعض
ثم عطف سبحانه وتعالى على قوله تعالى ولقد صرنا قوله عز وجل (وبالحق) أي من المعاني الثابتة
التي لا مريية فيها الا بغيره (أترئاه) نحن أي القرآن فهو ثابت لا يزول كما أن الباطل هو الذاهب
الزائل وهذا القرآن الكريم مشتمل على أشياء لا تزول وذلك لانه مشتمل على دلائل التوحيد
وصفات الجلال والاكرام وعلى تعظيم الملائكة وتقرير نبوة الانبياء واثبات الحشر والنشر
والقيامة وكل ذلك مما لا يقبل الزوال ويشتمل أيضا على شريعة باقية لا يتطرق اليها النقص
والتغيير والتحريف وأيضاً هذا القرآن تكفل الله تعالى بحفظه عن تحريف الزائعين وتبديل
الجاهلين كما قال تعالى ان نحن نزلنا الذكروا ناله لحافظون (وبالحق) لا بغيره (نزل) هو ووصل
اليهم على لسانك بعد انزاله عليك كما أنزلناه سوا غضا طريا محفوظا لم يطرأ عليه طارئ فليس فيه
من تحريف ولا تبديل كما وقع في كتاب اليهود الذين سألهم قومك ثم قال تعالى (وما أرسلناك)
يا أفضل الخلق بما لنا من العظمة (الأمبشرا) للمطيع (ونذيرا) للعاصي من العقاب فلا عليك الا
التفسير والاندرا لما يترحونه عليك من المعجزات فان قبلوا الدين الحق انتفعوا به والا فليس
عليك من كفرهم شيء ثم ان الله تعالى أخبر أن الحكمة في انزال القرآن مقر فابقوله عز وجل
(وقرآنا) أي فصلنا أو أنزلنا قرآنا (فرقناه) أي أنزلناه منجما في أوقات متطاولة قال سعيد
ابن جبيرة نزل القرآن كله ليلة القدر من السماء العليا الى السماء السفلى ثم فصل في السنين التي
نزل فيها قال قتادة كان بين أوله وآخره عشرون سنة وقيل ثلاث وعشرون سنة والمعنى قطعناه
آية آية وسورة سورة ولم ينزل جملة (لنقرأ على الناس) أي عامة (على مكث) أي مهل ونؤدده
اي فهموه (ونزلناه) من عندنا بما لنا من العظمة (تنزيلا) بعضه اثر بعض مفرقا بحسب الوقائع
لانه أتمن في فصلها وأعون على فهم أطول التامل لما نزل من نجومه في مدة ما بين التجميع
لفرارة ما فيه من المعاني ثم ان الله تعالى هددهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
(قل) اهؤلاء المضلين (آمنوا به) أي القرآن (أو لا تؤمنوا) فالإيمان به غير محتاج اليكم
ولا موقوف عليكم لانكم ان آمنتم به كان الحظ لكم واللام نضروا الأأنفسكم فاختاروا
ما تريدون فان إيمانكم بالقرآن لا يزيدكم كالا وامتناعكم منه لا يورثه نقصا ما وقوله تعالى (ان الذين
أوتوا العلم من قبله) أي من قبل انزاله عن آمن به من بنى امراة لعل له أي ان لم تؤمنوا به
وانتم أهل جاهلية وشركا فان خيرا منكم وأفضل وهم العلماء الذين قرأوا الكتب وعلموا ما الوحي
وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم أنه النبي العربي الموعود في كتبهم (أذا يتلى
عليهم) أي القرآن (يخرون للأذان) منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام

قال الزجاج الذقن جمع اللعين وكما يتسدى الانسان بالنظر والى السجود فأقرب الاشياء من وجهه الى الارض الذقن وقيل ان الاذقان كناية عن الهي والانسان اذا بالغ عند السجود في الخشوع والخضوع وربما سمح لحبته على التراب فان العجة يبلغ في تظيفها فاذا عقرها الانسان بالتراب في حوض المبالغة فقد أتى بقاية التعظيم وقيل ان الانسان اذا استولى عليه خوف الله تعالى فربما سقط على الارض في معرض السجود كالغشي عليه فيكون حينئذ خروجه على الذقن فقوله يحزنون للاذقان كناية عن غايته واهمه وخوفه وخشيته (فان قيل) لم قال يحزنون للاذقان سجدا ولم يقل يسجدون (أجيب) بأن المقصود من ذكر هذا اللفظ مسارعته الى ذلك حتى كانوا يسقطون (فان قيل) لم قال يحزنون للاذقان ولم يقل على الاذقان (أجيب) بأن العرب تقول اذا خزا الرجل فوقع لوجهه خزل للذقن ثم بين أن ذلك ليس سقوطا اضطرابا من كل جهة بقوله تعالى (سجدا) أي يفعلون ذلك لما يعلمون من خيفته بما وثقوا من العلم بالسالف وما في قلوبهم من الاذعان والخشية للرجن (ويقولون) أي على وجه التجدد المستمر (سجدا ربنا) تنزيها له عن خلف الوعد (أن) أي انه (كان) أي كونا لا يتفك (وعد ربنا) أي المحسن اليها بالايان وما به من وجوه العرفان (لمفعولا) أي دون خلف ولا بد أن يأتي جميع ما وعد به في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القران عليه ومن الثواب والعقاب وهو تعريض بقريش حيث كانوا يستهزئون بالوعد في قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ونحوه محامى معناه الطعن في قدرة الله تعالى القادر على كل شيء وقوله تعالى (ويحزنون للاذقان يكون) كثره لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشك عند انجازه والوعد الثاني لما أثر فيهم من مواظبة القرآن حال كونهم ياكين من حشية الله (ويريدهم) أي سماع القرآن (خشوعا) أي خضوعا وثقوا بضعافين قلب ووطوبه عين * ولما طالت الكلمات في المناظرة مع المشركين ومنكري النبوات والجواب عن شبهاتهم أنسبها بيان كيف يدعون الله ويطيعونه وكيف يذكرونه في وقت الاشتغال بأداء العبودية فقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل) لهم (ادعوا الله وأدعوا الرجن) واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات ليلة وهو ساجدا لله يارجن فسمعها أبو جهل وهم لا يعرفون الرجن فقال ان محمدا ينهانا أن نعبد الهين وهو يدعو الهات آخرم الله تعالى يقال له الرجن فانزل الله تعالى هذه الآية أي ان شئتم قولوا يا الله وان شئتم قولوا يارجن وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بالدعاء يقول يا الله يارجن فسمعهم أهل مكة فأقبلوا عليه فانزل الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرجن الآية وعن ابن عباس ان ذكر الرجن كان في القرآن قليلا في أول ما أنزل ولكن الذين قد أسلموا من اليهود يسوهم قلة ذلك لكثرة في التوراة كابن سلام وابن يامين وابن صوريا وغيرهم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فنزل قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرجن فقال قريش ما بال محمد كان يدعو الهات واحدا وهو الآن يدعو الهين ما تعرف الرجن

الاصحاب العظامه فنزل وهم بذكر الرحمن هم كاثرون ونزل أيضا قوله تعالى قالوا وما الرحمن
 وفرح المؤمنوا هل الكتاب وهو قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفون بما أنزل اليك
 ومن الاحزاب أي مشركي قريش من ينكر بعثه وعن ابن عباس سئل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عن قول الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن إلى آخر الآية فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم هو أمان من السرقة فإن رجلا من المهاجرين تلاحا حين أخذ من ماله فدخل عليه
 سارق فجمع ما في البيت وجله والرجل ليس بناء حتى انتهى إلى الباب فوجد الباب مردودا
 فوضع الكارة ففعل ذلك ثلاث مرات ففتح صاحب الدار فقال اني أحصن بيتي (فان قيل) اذا
 قال الرجل ادع زيدا أو عرافهم منه كون زيدا غير العرف وفيهم كون الله تعالى غير الرحمن
 وحديثه تقوى شبهة أبي جهل لعنه الله تعالى (أجيب) بأن الدعاء هنا يعني التسمية لا بمعنى النداء
 والتسمية تتعدى إلى المفعولين يقال دعونه زيدا ثم يترك أحدهما استغناء عنه فيقال دعوت
 زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى والتخفيف في الآية ادعوا باسم الله أو ادعوا
 باسم الرحمن أي اذكروه بهذا الاسم أو اذكروه بذلك الاسم فقوله ادعوا الله ينبه على ما لم ي
 كرمه بحكم الوعد من افاضة الرحمة والكرم وأيضا تخصيص هذين الاسمين بالذكر يدل على
 أنهم أشرف من سائر الاسماء وتقدم اسم الله على اسم الرحمن يدل على أن قولنا الله أعظم الاسماء
 وتقدم الكلام على ذلك في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم والتونين في قوله تعالى (أياما تدعوا)
 عوض عن المضاف اليه ومما صلة للإيهام المؤكد والمعنى أيان تدعوا فهو حسن فوضع موضعه
 قوله تعالى (قله الاسماء الحسنى) لانه اذا حسنت أسماءه كلها حسن هذان الاسمان لانهما
 منها ومعنى كونها أحسن الاسماء أنها مستقلة بمعنى التعبد والتعظيم والتعظيم وقد قدما
 ذكر الاسماء الحسنى في الاعراف عند قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وبعض
 الاحاديث الواردة في فضلها فليراجع ووقف جزء والصلاة على الالف بعد اليا ووقف
 الباقون على الالف بعد الميم واختلف في تفسير ونزل قوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا
 تخافت بها) فروى عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم كان يرفع صوته بالقراءة فاذا سمعه
 المشركون سبوه وسبوا من جاء به فأوحى الله تعالى اليه ولا تجهر بصلاتك فيسمعه المشركون
 فيسبوا الله تعالى عدوا بغير علم ولا تخافت بها فلا تسمع أحمياك (وابن عبيد بن ربيعة) وروى
 أنه صلى الله عليه وسلم طاف بالليل على دور الصحابة فكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يخفي
 صوته بالقراءة في صلاته وكان عمر يرفع صوته فلما جاء النبا وجاء أبو بكر وعمر فقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم لا يكره تخفي صوتك فقال أناجي ربي وقد علم حاجتي وقال لعمر لرفع صوتك
 فقال أزعج الشيطان وأوقظ الوسنان فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع صوته قليلا
 وهو أن يخفض صوته قليلا ويقل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغى بذلك
 سهلا بأن يجهر بصلوة الليل وتخافت بصلوة النهار وقيل ان المراد بالصلوة الدعاء وهذا قول
 عائشة رضي الله تعالى عنها وأبي هريرة ومجاهد قالت عائشة هي الدعاء ويدوي هذا من فوقه أن

النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية إنما ذلك في الدعاء والمسئلة قال عبد الله بن شداد كان
 أعراب من بني نعيم إذا سلم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم أوزقنا ما لا ولدا يجهرون فأترنل
 الله تعالى هذه والحاقفة خفض الصوت والسكون يقال صوت خفيت أى خفيض ويقال
 للرجل إذا مات قد خفت أى انقطع كلامه وخفت الزرع إذا ذبل والمستحب من ذلك التوسط
 وهو أن يسمع نفسه كما روى عن ابن مسعود أنه قال من لم يخافت لم يسمع أذنيه وقد مدح الله تعالى
 المؤمنين بقوله تعالى والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وأمر الله تعالى
 رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال عزم من قائل ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها
 كل البسط وبعضهم قال الآية منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال الرازي
 وهو بعيد * ولما أمر الله تعالى أنه لا يذكر ولا ينادى بالأسماء الحسنى علم كيفية التحميد
 بقوله تعالى (وقل الحمد لله) أى الملك الأعظم ثم ذكر سبحانه وتعالى من صفات التنزيه والجلال
 وهي السلوب ثلاثة أنواع الأول قوله تعالى (الذى لم يتخذ) أى لكونه محيطا بالصفات الحسنى
 (ولدا) والسبب فيه وجوه الأول أن الولد هو الشيء المتولد من جزء من أجزاء ذلك الشيء فكل
 من له ولد فهو مركب من الأجزاء والمركب محدث والمحدث محتاج والمحتاج لا يقدر على كمال
 الانعام فلا يستحق كمال الحمد الثاني أن كل من له ولد فانه يمسك جميع النعم لولده فإذا لم يكن له
 ولد أفاض تلك النعم على عبيده الثالث أن الولد هو الذى يقوم مقام الوالد بعد انقضائه وفاته
 فلو كان له ولد لكان منقضا ومن كان كذلك لم يقدر على كمال الانعام في كل الاوقات فوجب
 أن لا يستحق الحمد على الإطلاق النوع الثاني من الصفات السلبية قوله تعالى (ولم يكن له) بوجه
 من الوجوه (شريك في الملك) والسبب في اعتبار هذه الصفة أنه لو كان له شريك لم يعرف حينئذ
 أن هذه النعم والمنافع حصلت منه أو من شريكه فلا يعرف كونه مستحقا للحمد والشكر النوع
 الثالث قوله تعالى (ولم يكن له ولي من الدن) أى ولم يواله من أجل مذلة به يدفعها عما لا نه
 والسبب في اعتباره أنه لو جاز عليه ولي تولى أمره كان مستوجبا لا عظم أنواع الحمد ومستحقا
 لأقسام الشكر فتنى عنه أن يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا
 أو اضطرارا أو ما يعاونه ويقويه وترتب الحمد عليه للدلالة على أنه الذى يستحق جنس الحمد لانه
 كامل الذات المنفرد بالاجداد المنعم على الإطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة أو منعم عليه ولذلك
 عطف عليه قوله تعالى (وكبره تكبيرا) أى وعظمه تعظيما على نقي اتخاذ الولد والشريك والذل
 وكل ما لا يليق به وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على أنه المستحق لجميع المحامد لكل ذاته وتفرده
 في صفاته روى الامام أحمد في مسنده عن معاذ الجهني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 انه كان يقول آية العز الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك الى آخر السورة وعن
 ابن عباس أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين
 يحمدونني في السراء والضراء وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد
 رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم أن أفضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكرا لا اله الا الله وعن سيرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الكلام الى الله تعالى أربع لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضررك بأية من بدأت أخرجه مسلم وروى أن قول العبد الله أكبر خير له من الدنيا وما فيها وعن عمرو بن شعيب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أقصع الغلام من بني عبد المطلب علمه وقل الحمد لله الآية يقال أقصع الصبي في منطقة فهم ما يقول وعن عبد الله بن كعب قال افتتحت التوراة بفاتحة سورة الانعام وختمت بخاتمة هذه السورة وأما ما رواه البيضاوي تبعه الاربخشري وتبعهما ابن عادل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار ألف أوقية وما تناء أوقية خديث موضوع

(سورة الكهف مكية)

الا واصل نفسك الآية وهي مائة وعشر آيات وألف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة وعدد حروفها ستة آلاف وثلاثمائة وستون حرفا

(بسم الله) الذي لا كف له ولا شريك (الرحمن) الذي أقام عباده على أوضاع الطرق بازال هذا الكتاب (الرحيم) بتفضيل من اختصه بالصواب وهو قوله تعالى (الحمد لله) تقدم الكلام عليه مستقصي في أول الفاتحة (الذي أنزل على عبده الكتاب) أي القرآن رب تعالى استحقاق الحمد على أنزاله تنبيه على أنه أعظم انعامه وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر لأن أنزال القرآن نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم أما كونه نعمة فلأن الله تعالى أطلع به واسطة هذا الكتاب الكريم على أسرار علوم التوحيد والتزكية وصفات الجلال والاکرام وأسرار أحوال الملائكة والانبيا وأحوال القضاء والقدر وتعلق أحوال العالم السفلي بأحوال العالم العلوي وتعلق أحوال عالم الآخرة بعالم الدنيا وكيفية نزول القضاء من عالم الغيب وكيفية ارتباط عالم الجسمانيات بعالم الروحانيات ولا شك أن ذلك من أعظم النعم وأما كون هذا الكتاب نعمة علينا فلأنه مشتمل على التكليف والاحكام والوعود والوعيد والعقاب وبالجملة فهو كتاب كامل في أقصى الدرجات فكل أحد يتفجع به بقدر ارتقاؤه وفهمه فوجب عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته أن يحمده وعلى هذه النعم الجزيلة وقال تعالى على عبده لما في كل من الوصف بالعبودية والاضافة اليه سبحانه وتعالى من الاعلام بتشريفه وإشارة الى أنه الذي أسرى به الى حضرات مجده ليريه من آياته ثم انه تعالى وصف الكتاب بوصفين الأول قوله تعالى (ولم يجعل له) أي فيه (عوجا) أي اختلافا وتناقضا كما قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا والجملة حال من الكتاب الوصف الثاني قوله تعالى (قيما) قال ابن عباس يريد مستقيما أي معتدلا لا إفراط فيه ولا تفريط قال الرازي وهذا عندى مشكل لأنه لا معنى لتقي الاعوجاج الا حصول الاستقامة فتفسير القيم بالمستقيم

يوجب التكرار بل الحق أن المراد من كونه فيما كونه سببا له داية الخلق وأنه يجري مجرى
 من يكون فيما لا طفال فالأرواح الشريفة كالاطفال والقرآن كالقسيم المشفق القائم
 بحالهم وقال قبل ذلك إن الشيء يجب أن يكون كاملا في ذاته ثم يكون مكملًا لغيره ويجب
 أن يكون تاما في ذاته ثم يكون فوق التمام بأن يفيض عنه كمال الغير فقله تعالى ولم يجعل له عوجا
 إشارة الى كونه كاملا في ذاته وقوله فيما إشارة الى كونه مكملًا لغيره وتظهر قوله تعالى
 في سورة البقرة في صفة الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين فقله لا ريب فيه إشارة الى كونه
 في نفسه بالقافي العمة وعدم الاختلال الى حيث يجب على العاقل أن لا يرتاب فيه وقوله
 هدى للمتقين إشارة الى كونه سببا له داية الخلق ولكمال حالهم فقله تعالى ولم يجعل له عوجا
 قائم مقام قوله تعالى لا ريب فيه وقوله تعالى فيما قائم مقام قوله تعالى هدى للمتقين واختلف
 النحويون في نصب قوله تعالى فيما على أوجه الأول قال في الكشف لا يجوز جعله حالا من
 الكتاب لأن قوله تعالى ولم يجعل له عوجا معطوف على قوله تعالى أنزل فهو داخل في حيز الصلة
 وأنه لا يجوز قال ولما بطل هذا وجب أن ينصب بضمير والتقدير ولم يجعل له عوجا جعله فيما
 لأنه تعالى إذا نقي عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة قاله فان قلت فائدة الجمع بين نقي العوج
 وإثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر قلت فائدة التأكيذ ورب مستقيم مشهود له
 بالاستقامة ولا يلزم من أدنى عوج عند السبر والتصفح الوجه الثاني أنه حال ثانية والجملة
 المنفية قبله حال أيضا كما مر وتعدّد الحال الذي حال واحد جائز والتقدير أنزله غير جاهل له عوجا
 فيما الوجه الثالث أنه حال أيضا ولكنه بدل من الجملة قبله لأنه حال وابدال المفرد من الجملة
 إذا كثرت بتقدير مفرد جائز * ولما ذكر تعالى أنه أنزل على عبده هذا الكتاب الموصوف بما ذكر
 أردفه بيان ما لا جله أنزله بقوله عز وجل (لننذر) أي يخوف الكتاب الكافرين (بأسا) أي
 عذابا (شديدا من لدنه) أي صادرا من عنده وقرأ أشعبة بإسكان الدال وكسر النون والهاء وصلة
 الهاء ياء والباقون بضم الدال وسكون النون وضم الهاء وابن كثير على أصله بضم الهاء
 في الوصل واو (ويشتر المؤمنين) أي الراضين في هذا الوصف وقرأ حزة والكسائي
 بفتح الباء التحية وسكون الموحدة وضم الشين مخففة والباقون بضم التحية وفتح الموحدة
 وكسر الشين مشددة (الذين يعملون الصالحات) وهي ما أمر به خالصا وذلك الشان مفتاح
 الإيمان (أن لهم) أي بسبب أعمالهم (أجرا حسنا) هو الجنة حال كونهم (ما كن فيهم أبدا)
 بلا انقطاع أصلا فان الأبد زمان لا آخره وقوله تعالى (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا)
 معطوف على قوله تعالى لننذر بأشديد من لدنه والمعطوف يجب كونه مغايرا للمعطوف
 عليه فالأول عام في حق كل كافر والثاني خاص بمن أثبت لله ولدا وعادة القرآن جارية بأنه
 إذا ذكر قضية كلمة معطوف عليها بعض جزئياتها تنبها على كونه أعظم جزئيات ذلك الكل
 كقوله تعالى ولما كنتم ورسله وجبريل وميكال فكذا هنا هذا العطف يدل على أن أقبح
 أنواع الكفر إثبات الولد لله تعالى * (تنبيه) * الذين آمنوا بالله ولدا ثلاث طوائف الأولى

كفار العرب الذين قالوا الملائكة بنات الله الثانية النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله الثالثة
 اليهود الذين قالوا عزير ابن الله * ثم انه تعالى أنكر على القائلين ذلك من وجهين الاول قوله
 تعالى (مالهم به) أى القول (من علم) أى أصلاً لأنه مما لا يمكن أن يتعلق العلم به لأنه لا وجوده
 ولا يمكن وجوده ثم قرر تعالى هذا المعنى وأكده بقوله (ولاً بأثم) الذين يقتبطون بتقليدهم
 في الدين حتى في هذا الذي لا يخفيه عاقل ولو أخطوا في تصرف ذنوبهم لم يتبعوهم فيه (فان قيل)
 اتخذ الله ولداً محال في نفسه فكيف قيل مالهم به من علم (أجيب) بأن انتفاء العلم بالنسبة قد
 يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد لا يكون لأنه في نفسه محال لا يمكن تعلق العلم به وتطيره
 قوله تعالى ومن يدع مع الله الهاً آخر لا برهان له به الوجه الثاني (كبرت) أى مقالتهم (كلمة)
 أى ما أكبرها من كلمة وصور فظاظة اجترائهم على التعلق بها بقوله تعالى (تخرج من أفواههم)
 أى لم يكفهم خطور هاهنا أنفسهم وزددها في صدورهم حتى تفلظوا بها وكان صدورهم
 بها على وجه التكبر كما يشير اليه التعبير بالمضارع * (تنبه) سميت هذه كلمة كما يسمون
 القصيدة كلمة * ثم بين تعالى ما أنهم لا يعلمون ذلك لاعلم لهم بذلك لاعلم لاحد به أصلاً
 لأنه لا وجوده فقال تعالى (أن) أى ما يقولون الا كذباً أى قولاً لا حقيقة له بوجه من
 الوجوه * ولما كان صلى الله عليه وسلم شديداً للحرص على إيمان قومه شفقة عليهم وغيرة
 على المقام الإلهي الذي ملا قلبه تغليظاً خفف عليه سبحانه وتعالى بقوله تعالى (فلعلك باخع)
 أى قاتل (نفسك) من شدة الغم والوجد وأشار تعالى الى شدة غمهم وسرعة مفارقتهم وعظيم
 مساعدتهم بقوله عز من قائل (على آثارهم) أى حين تولوا عن التوحيد وعن اجابتك (إن لم
 يؤمنوا بهذا الحديث) أى القرآن المتجدد تنزيهه على حسب التدرج (أسفاً) منك على ذلك
 والاسف شدة الحزن والغضب (فان قيل) ذلك يدل على حدوث القرآن (أجيب) بأنه محمول
 على الالفاظ وهي حادثة * ثم بين سبحانه وتعالى علة ارشاده الى الاعراض عنهم بغير ما يقدر عليه
 من التبليغ للشارة والنذارة بأنهم لم يخرجوا عن مراده تعالى وأن الإيمان لا يقدر على
 ادخاله قلوبهم غيره بقوله عز وجل (انا) أى انا لنفعل ذلك لانا (جعلنا ما على الارض) من
 الحيوان والنبات والشجر والانهار والمعادن وغير ذلك وقال بعضهم بل المراد الناس فهم زينة
 الارض وبالجمله فليس في الارض الا المواليد الثلاثة وهي المعادن والنبات والشجر
 والحيوان وأشرف أنواع الحيوان الانسان (زينة لها) أى الارض قبل المراد أهلها
 أى زينة لاهلها قال الرازي ولا يمتنع أن يكون ما يحسن به الارض زينة لها كما جعل الله السموات
 مزينة بالكواكب * ولما أخذ بر تعالى بزينة اخبر تعالى بعلته بقوله تعالى (تسألهم) أى
 نعماتهم معاملة المحتر (أبهم أحسن محلاً) باخلاص الخدمة له فيصير ما كان فيه منهم
 ظاهراً فان الله تعالى يعلم السر وأخفى لتقام به عليهم الحجة على ما يتعارفونه بينهم بأن من أظهر
 موافقة الامر فيما تال من الزينة حاز المثوبة ومن اجترأ على مخالفة الامر بما آتاهم الله من
 الصلوة فكانه تعالى يقول يا محمد اني خلقت الارض وزينتها وأخرجت منها أنواع المتافع

والمالح والمقصود من خلقهما بما فيها من المنافع ابتلاء الخلق بهذه التكليف ثم انهم يكفرون
 ويتبردون ومع ذلك فلا قطع عنهم مواد هذه النعم فأتى أيضاً بحمد لا ينبغي أن ينتهي في الحزن
 بسبب كفرهم إلى أن تترك الاشتغال بدعوتهم إلى الدين الحق * ثم انه تعالى لما بين أنه انما زين
 الارض لاجل الامتحان والابتلاء لا لاجل أن يبقى الانسان فيها متنعماً أبداً زهد فيها
 بقوله تعالى (وانالجماعون ماعليها) من جميع تلك الزينة لا يصعب علينا شيء منه (صعباً)
 أي فتانا (برزاً) أي يابس لا يثبت ونظيره قوله تعالى كل من عليها فان وقوله تعالى فيذرها
 قاعاً صفاً لا ترى فيها عوجاً ولا امتاً وتخصيص الاهلاك على الارض يؤيدهم بقاء الارض
 الا أن سائر الآيات على أن الارض أيضاً لا تبقى كما قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض
 * ولما أن القوم تعجبوا في قصة أصحاب الكهف وسألوا النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل
 الامتحان قال تعالى (أم حسبك) أي ظننت على مالك من العقل الرزين والرأي الرصين (أن
 أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجبا) على ما روي من تهويل الساتلين من الكفرة
 من اليهود والعرب والواقع أنهم كانوا من المعائب ليسوا بالمعجب بالنسبة إلى كثرة آياتنا فان
 من كان قادراً على تخلق السموات والارض كيف يستبعد من قدرته وحفظه ورحمته حفظ
 طائفة مدة ثلثمائة سنة وأكثر في النوم والكهف الغار الواسع في الجبل واختلف في الرقم
 فقيل هو اسم كلهم قال أمية بن أبي الصلت

* وليس بها الا الرقم مجاورا *

وصيدهم (وهو بكسر الصاد مفعول مجاورا أي فناءهم) والقوم في الكهف هجد (أي نوم)
 وقيل هو لوح من رصاص رقت فيه أسماءهم وقصصهم جعل على باب الكهف قال البغوي
 وهذا أظهر الاقاريل وقيل ان الناس رقا واحد بينهم نقرأ في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه
 الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل أصحاب الرقم قوم آخرون غير أصحاب الكهف
 كانوا ثلاثة يطلبون الكلا أو نحو لاهلهم فأخذهم المطر فأووا إلى الكهف فأنحطت حفرة
 وسدت عليهم بابه فقال أحدهم اذكروا أيكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد
 استعملت أجراً ذات يوم فغار رجل منهم وسط النهار وعمل في بقمته مثل عملهم فأعطيته مثل
 أجرهم فغضب أحدهم وترك أجره فوضعه في جانب البيت فخر في بقر فاشتريت فصيلة والفصيلة
 ولد الناقة اذا انفصل عن أمه فبلغت ماشاء الله فرجع إلى بعد حين شيخاً ضعيفاً لا أعرفه وقال
 انقلني عندك لحقا وذكروا حق عرقته فدفعته اليه جميعاً اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج
 عنا فانصدع عنهم الجبل حتى رأوا الضوء والصدع الشق والصداع وجع الرأس وقال آخر
 كان في فضل وأصاب الناس شدة فجاءتني امرأة تطلب مني معروفاً فقلت والله ما هودون نفسك
 فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثاً ثم ذكرت ذلك لزوجها فقال أجيبني له وأعني عيالاً فأتمت وسلمت
 إلى نفسها فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت لها مالك فقالت أخاف الله تعالى فقلت لها
 خفيه في الشدة ولم أخفه في الرخا فتركتها وأعطيتها ملقمها اللهم ان كنت فعلته لوجهك

فافرج عنافانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث ~~كان~~ لي أبوان هرمان وكان لي غنم وكنت
 أطعمهما وأسقيهما ثم أرجع الى غنمي فخبسني ذات يوم غيب فلم أرجع حتى أُمسيت فأتيت أهلي
 وأخذت محلي فخلت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق على أن أوقظهما فوَقَفْتُ
 حاسباً محلي على يدي حتى أيقظتهما الصبح فسقيتهما الله ما اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك الكريم
 فافرج عذافرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك النعمان بن بشير وقد قد مناسبت نزول قصة
 أصحاب الكهف عند قوله تعالى ويستلوفك عن الروح وذكر محمد بن اسحق سبب نزول هذه
 القصة مشروفاً فقال كان النضر بن الحرث من شياطين قريش وكان يؤذي رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وينصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث رستم واسفنديار وكان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس مجلساً ذكر فيه الله تعالى وحذرقومه ما أصاب من كان قبلهم
 من الام وكان النضر يخلفه في مجلسه اذا قام وقال أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه
 فهلوا فأنأ أحدتكم بأحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ثم قال ان قريشاً بعثوه
 وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط الى أخباريه ودبالمدينة وقالوا لهم اسلاهم عن محمد وصفته فانهم
 أهل الكتاب الاول وعندهم من العلم ما ليس عندنا من علم الانبياء فخرجوا حتى قدما المدينة
 فسألوا أخباراً اليه ودعن أحوال محمد فقال لهم اليه ودسلوه عن ثلاثة عن قتيبة ذهبوا في الدهر
 الاول فان حديثهم عجيب وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها وسأله عن
 الروح وما هي فان أخبركم فهو نبي والا فهو منقول فلما قدم النضر وصاحبه مكة فالأقْد
 جئناكم بفصل ما بيننا وبين محمد وأخبرناهم عما قالته اليه ودجوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
 وسألو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبركم بما سألتهم عنه غداً ولم يستثن فأنصرفوا عنه
 فكنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عباد كرون خمس عشرة ليلة لم ينزل عليه وحى وشق عليه
 ذلك ثم جاءه جبريل عليه السلام من عند الله بسورة أهل الكهف وفيها معاشة الله تعالى إياه
 على جوارحه عليهم وفيها خبر أولئك الفتيمة وخبر الرجل الطواف ثم بدأ بالفتية فقال (اد)
 أي واذا كراذ (أوى الفتيمة) وهم أصحاب الكهف المسؤول عنهم جمع فتى وهو الشاب الكامل
 والشباب أقبل الى الحق وأهدى للسبيل من الشيوخ (الى الكهف) خافقين على إيمانهم
 من قومهم الكفار واختلفوا في سبب مصرهم الى الكهف فقال محمد بن اسحق بن يسار مريج
 أهل الانجيل وكثرت فيهم الخطايا وطفت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت
 وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكين بعبادة الله وتوحيدهم وكان من فعل ذلك من ملوكهم
 ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالقه وكان ينزل قري
 الروم فلا يترك في قرية تزلها أحد الاقتنه عن دينه حتى يعبد الاصنام أو يقتله ثم نزل مدينة
 أهل الكهف وهي افسوس فلما نزل بها كبر على أهل الايمان فاستغفوا منه وهرؤا في كل
 وجه واتخذ شرطا من الكفار وأمرهم أن يتبعوه في أماكنهم ويخرجوهم اليه فيضربوهم
 بين القتل وبين عبادة الاوثان والذبح للطواغيت ففهم من رغب في الحياة ومنهم من باي أن

يعد غير الله تعالى فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في الإيمان جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب
والقتل فيقتلون ويقطعون ثم جعل ما قطع من أجسامهم على سور المدينة من نواحيها وعلى كل
باب من أبوابها حتى عظمت القننة فلما رأى ذلك القننة حزوا حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا
بالصلاة والصيام والدعاء والتسبيح وكانوا من أشرف المدينة ومن أشرف الروم وكانوا
غثية تفر بكموا وتضرعوا إلى الله تعالى وجعلوا يقولون ربنا اكشف عن عبادك المؤمنين
هذه القننة وارفع عنهم هذا البلاء حتى يعلموا عبادك فيبصروهم على ذلك وقد دخلوا مصلى
لهم أدركهم الشرط فوجدوهم سجودا على وجوههم يكون وتضرعوا إلى الله تعالى فقالوا
لهم ما خلفكم عن أمر الملك انطلقوا إليه ثم خرجوا فرفعوا أمرهم إلى دقيانوس فقالوا لجمع
الناس للذبح لا لآلئكم وهؤلاء القننة من أهل بيتك يستزنون بك ويعصون أمرك فلما سمع ذلك
بعث إليهم فأتى بهم فبعض أعينهم من الدمع معفرة وجوههم في التراب فقال لهم ما منعكم
أن تشهدوا بالذبح لا لآلئكم التي تعبد في الأرض وتجعلوا أنفسكم بأسوة سراة أهل مدينتكم
اختاروا أمانا تذبجوا لا لآلئكم وأما أن أقتلكم فقال له كبيرهم واسمه مكسليمان أن لنا الهامل
السموات والأرض عظمت له ندعون دونه الها أبدا له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا
خالصا أبدا يا به نعد ويا به نسأل النجاة والخير وأما الطواغيت فلن نعبد ها أبدا اصنع ما بدا لك
وقال أصحابه مثل ما قال فلما قالوا ذلك أمر الملك بنزع لباسهم وحلته كانت عليهم من
الذهب والفضة وقال سأفرغ لكم وأفجز لكم ما وعدتكم من العقوبة وما عني أن أعجل لكم
ذلك إلا أني أراكم شببا بادية أسنانكم فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلا
تذكرون فيه وترجعون إلى عقولكم ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده وانطلقوا إلى مدينة أخرى
قرية منهم لبعض أموره فلما رأى القننة خروجه يادروا قدومه وخافوا إذا قدم مدبتهم أن
يدكرهم فاتمروا بينهم أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه فيصدقوا منها ويتزودوا
بما بقي ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة فيمكثوا فيه ويعبدوا الله تعالى حتى إذا جاء
دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما يشاء فلما قال ذلك بعضهم لبعض عدل فليمنعهم
إلى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقي معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى إذا أتوا
ذلك الكهف فلبثوا فيه وقال كعب الاحبار مرزوا بكب قبيحهم فطردوه فعاد قضاؤا ذلك
مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا جناني أنا أحب أحاب الله عز وجل فقاموا
حتى أحرسكم وقال ابن عباس هريرا ليلامن دقيانوس وكانوا سبعة فزوا براغ معه كلب
فتبعهم على دينهم وتبعه كلبه فخرجوا من البلد إلى الكهف وهو قريب من البلد قال ابن
اصحق فلبثوا فيه ليس لهم عمل غير الصلاة والصيام والتسبيح والتعجيبا بخلق وجه الله تعالى
وجعلوا نفقتهم التي بقي منهم يقال له غليظا فكان يتباع لهم أرزاقهم من المدينة سرا وكان من
أجلهم وأجلدهم وكان إذا دخل المدينة يضع شيئا كانت عليه حسنا ويأخذ بابا ككتاب
المساكين الذين يستطعمون فيها ثم يأخذ ورقه وينطلق إلى المدينة فيشتري لهم طعاما ومشرابا

ونجس لهم الخبز هل ذكر وأصحابه بشي ثم يرجع الى أصحابه فلبشوا في ذلك ما شاء الله أن
 يلشوا ثم قدم دقيانوس المدينة وأمر عظماء أهلها أن يذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك أهل
 الايمان وكان تلميذا يشترى لأصحابه طعامهم فرجع الى أصحابه وهو يبكي معه طعام قليل
 / أخبرهم أن الجبار قد دخل المدينة وأنهم قد ذكروا والقسماء عظماء المدينة ففزعوا
 ووقعوا سجودا بدعون وينضرعون ويتعوذون من الفتنة ثم أن تلميذا قال لهم يا اخوتاه
 ارفعوا رؤسكم واطعموا اولواكم اعلو ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع فطعموا
 ذلك مع غروب الشمس ثم جعلوا يصعدون ويدارسون ويذكر بعضهم بعضا فيبغضهم كذلك
 اذ ضرب الله على آذانهم في الكهف وكلهم باسط ذراعيه يباب الكهف فأصابهم ما أصابهم وهم
 مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤسهم فلما كان من الغد تفقدتهم دقيانوس قالت لهم فلم يجدهم
 فقال لبعض عظمائه وعظماء المدينة لقد ساء في شأن هؤلاء القتيبة الذين ذهبوا لقد كانوا ظنوا
 ان بي غضبا عليهم لجهلهم ما جهلوا من أمرى ما كنت لا تجهل عليهم انهم تابوا وعبدوا
 الهى فقال عظماء المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوما خروا مرده عصاة فقد كنت أجلبت لهم
 أجلا ولوشوا الرجوعا في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا ثم
 أرسل الى آبائهم فاتي بهم فسألهم عنهم وقال أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني فقالوا له
 أما نحن فلم نعصل فلم تقبلنا يقوم مرده قد ذهبوا بأموالنا وأهلكوا في أسواق المدينة ثم
 انطلقوا فارتقوا الى جبل يدعى بنجلوس فلما قالوا ذلك خلا سيولهم وجعل ما يدري ما يصنع
 بالقتيبة فألقى الله تعالى في قلبه أن يستد باب الكهف عليهم وأراد الله تعالى أن يكرمهم بذلك
 ويجعلهم آية لامة تستخلف من بعدهم وأن يبين لهم ان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث
 من في القبور فأمر دقيانوس بالكهف أن يستد عليهم وقال دعوهم كما هم في الكهف فيكون
 جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذي اختاروه قبر الههم وهو يظن أنهم أيضا يفعلون ما يصنع بهم
 وقد توفي الله أرواحهم وفاة النوم وكلهم باسط ذراعيه يباب الكهف قد غشيه ما غشيهم يتقلبون
 ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهم انتمرا أن
 يكتبا شأن القتيبة وخبرهم في لوحين من رصاص ويجعلاهما في تابوت من نحاس ويجعلاهما
 التابوت في البنيان وقال لعل الله يظهر على هؤلاء القتيبة قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من
 يفتح عليهم خبرهم حين يقرأ الكتاب ففعلوا ذلك وبنوا عليه وبني دقيانوس ما بنى ثم مات وقومه
 وقرن بعده كثيرة وقد حكى الله تعالى عنهم أنهم لما أروا الى الكهف (فقالوا) أى عقب
 استقر ارضهم فيه (ربنا آتانا من ذلك) أى من عندك (رحمة) فوجب لنا المغفرة والرزق والامن
 من عدوك (وهي لنا من أمرنا) أى من الامر الذى نحن عليه من مفارقة الكفار (رشد) الرشد
 والرشد والرشد انقيض الضلال وفي تفسير اللفظ وجهان الأول أن التقدير هي لنا أمر اذ رشد
 أى حتى نصير بسببه راشدين مهتدين الشافى اجعل أمرنا راشدا كله كقولك رأيت منك
 رشدا * ولما أجابهم سبحانه وتعالى عن ذلك بقوله تعالى (فضر بنا) أى عقب هذا القول

قوله بنجلوس هذه
 في النسخ: والذ
 في حجة الحبروا
 منجلوس هـ

وبسببه (على آذانهم) مما يابغض السماع أى اغتنامهم فومة لا تنبهم الاصوات الموقظة فخذف
المفعول الذى هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة ثم بين تعالى أنه انما
ضرب على آذانهم (فى الكهف) أى المهود وهو ظرف مكان وقوله تعالى (سنتين) ظرف
زمان وقوله تعالى (عددا) أى ذوات عدد يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم
عنده كقوله تعالى لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج اذا قل الشئ فهم مقدار عدده فلم
يخرج الى أن يعدد وإذا كثر احتاج الى أن يعدد (ثم بعثناهم) أى أيقظناهم من ذلك النوم
(النعلم) أى لم مشاهدة وقد سبق نظير هذه الآية فى القرآن كثيرا منها ما سبق فى سورة البقرة
الا نعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وفى آل عمران وما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
وقد نبهنا على ذلك فى محله (أى الحزب بن) أى الفريقين المختلفين فى مدة لبثهم (أحصى
لما لبثوا أمدا) واختلفوا فى الحزبين المختلفين فقال عطاء عن ابن عباس المراد بالحزب بين الملوك
الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك وأصحاب الكهف وقال مجاهد الحزبان من القبية أصحاب
الكهف لما يقطوا الاختلاف أى أنهم كم لبثوا وبديل لقوله تعالى قال قائل منهم كم لبثتم
قالوا لئن لم يؤمروا ببعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فالحزبان هما هذان وكان الذين قالوا
ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علوا أن لبثهم قد تجاوزوا وقال الفراء ان طائفتين من المسلمين فى زمان
أصحاب الكهف اختلفوا فى مدة لبثهم * (تنبيه) * أحصى فعل ماض أى أيهم ضبط
أمر أو فوات لبثهم وأما من جعله أفعلا تفضيلا فقال فى الكشف ليس بالوجه السديد
وذلك ان بناء من غير الثلاثى المجرد ليس بقياس ونحو أعدى من الحرب وأفلس من ابن المذلق
شاذ والقياس على الشاذ فى غير القرآن متنع فكيف به ثم قال الله تعالى (نحن) أى
بما لنا من العظمة والقدرة الباهرة (نقص ملك) أى أشرف الخلق (نبأهم) أى خبرهم العظيم
قصا لم تبسأ (بالحق) أى الصدق (أنهم قبية) أى شبان (آمنوا برهم) أى المحسن اليهم الذى
تفرد بخلقهم وورزقهم ثم وصفهم الله تعالى بقوله (ورزقناهم) بعد أن آمنوا (هدى) بما قد ناهى
قلوبهم من المعارف (وربطنا على قلوبهم) أى قوياتها فصار ما فيها من القوى مجمعة ما غير مبدد
فكانت حالهم فى الخلوة حالهم فى الخلوة (اذ قاموا) أى وقت قيامهم بين يدي الجبار دقيانوس
من غيره بالآفة حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام (فقالوا ربنا رب السموات والارض) وذلك
لأنه كان يدعو الناس الى عبادة الطواغيت فنبت الله تعالى هؤلاء النسية حتى عصوا ذلك الجبار
وأقروا بروية الله تعالى وصرحوا بالبراءة من الشر والانداد بقولهم (لن ندعومن دونه الها)
لأن ما سواه عاجز والله (لقد قلنا إذا) أى اذا دعوا لمن دونه غيره (شططا) أى قولنا اذا بعد عن
الحق جدا وقال مجاهد كانوا أبناء عظماء مدبنتهم فخرجوا فاجتمعوا وراى المدبنة من غير ميعاد
فقال رجل منهم هو أكبر القوم انى لا بد فى نفسى شيئا ما ظن أن أحد ايجده قالوا ما تجد قال
أجد فى نفسى أن ربي رب السموات والارض قالوا نحن كذلك فى أنفسنا فامواجعنا فقالوا
ربنا رب السموات والارض وقال عطاء قالوا ذلك عند قيامهم من النوم قال الرازى وهو بعيد

لان الله تعالى استأنف قسّمهم بقوله تعالى نحن نقص عليك وقال عبيد بن عريك كان أصحاب
 الكهف قسبا نامطوقين مسورين ذوى ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عبد لهم
 عظيم في زى وموكب وأخرجوا معهم ألهمتهم التي بعد ونها وقد قذف الله تعالى في قلوب
 القسية الايمان وكان أحدهم وزير الملك فآمنوا وأخفى كل واحد ايمانه فقالوا في أنفسهم فخرج
 من بين أظهر هؤلاء القوم لايصيبنا عقاب يجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة
 جلس فيه ثم خرج آخر فراه جالسا وحده فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر ذلك ثم
 خرج آخر فخرجوا كلهم جميعا فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم صاحبه
 مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل اثنين فيخلوا ثم يفشى كل واحد سره الى صاحبه ففعلوا
 فاذا هم جميعا على الايمان واذا بالكهف في الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض (هؤلاء قومنا)
 وان كانوا أسن منا وأقوى وأجل في الدنيا اتخذوا من دونه آلهة) أشركوهم معه تعالى
 اشبهة واهية (ولولا) أى هلا (يا نون عليهم سلطان) أى دليل (بين) أى ظاهر مثل مانا في نحن
 على تقرير معبودنا بالادلة الظاهرة فتسبب عن تجزهم عن دليل أنهم هم أظلم الظالمين فلذلك قالوا
 (نحن أظلم) أى لا أحد أظلم (من أقرى) أى نعمد (على الله) أى الملك الاعظم (كذبا) بنسبة
 الشريك اليه تعالى ثم قال بعض القسية لبعض (واد) أى وحين (اعتزل قورهم) أى قومهم
 (وما بعدون) أى واعتزلتم معبودهم وقولهم (الا الله) يجوز أن يكون استثناء منه متصلا على
 ما روى أنهم كانوا يقولون بالخالق ويشركون معه كما كان أهل مكة وأن يكون منقطعا وقيل
 هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن القسية بأنهم لم يعبدوا غير الله تعالى (قاوا الى
 الكهف) أى الغار الذى في الجبل (ينشر) أى يبسط (لكم) ويوسع عليكم (ربكم) أى المحسن
 اليكم (من رحمته) ما يكفيكم به المهم من أمركم في الدارين (ويهيى لكم من أمركم) أى الذى
 من شأنه أن يهكم (مرقا) أى ما تنفقون به وتنفقون وجزءهم بذلك خلوص فيهم وقوة
 وثوقهم بفضل الله وقرأنا نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء والباقون بكسر الميم وفتح الفاء
 قال الفراء وهما الغتان واشتقاقهما من الارتفاع وكان الكسائي لا يذكر في مرقى الانسان
 الذى في البدن إلا كسر الميم وفتح الفاء والفراء يجيزه في الامر وفي البدن قبل هما الغتان إلا أن الفصح
 أقيس والكسائي أكثر والخطاب في قوله تعالى (وترى الشمس) للنبى صلى الله عليه وسلم وأكمل
 أحد وليس المراد أن من خوطب بهذا يرى هذا المعنى ولكن العادة في مخاطبة تكون على هذا
 النحو ومعناه انك لو رأيت على هذه الصورة (اذا طلعت تراور) أى تبدل (عن كهفهم ذات
 آيين) أى ناحيته (واذا غربت تقرضهم) أى تعدل في سيرها عنهم (ذات الشمال) أى فلا يقع
 شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الله تعالى زواها عنهم وقيل ان باب ذلك الكهف كان مغنوما
 الى جانب الشمال فاذا طلعت الشمس كانت على عين الكهف واذا غربت كانت على شماله وقرأ
 السوسى بامالة ألف ترى المنقلبة بعد الراء الى الاصل بخلاف عنه والباقون بالفتح فى الوصل وهم
 على أصولهم فى الوقف وأبو عمرو وحجزة والكسائي بالامالة تحضة وورش بين اللفتين والباقون

بالفتح وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وزاوير بتشديد الزاي وتخفيف الراء مضمومة وابن عامر
بسكون الزاي ولا ألف بعدها وتشديد الواو على وزن تهمز والباقون وهم عاصم وحجة
والكسائي بخفيف الزاي والواو ولا خلاف في ضم الراء * ولما بين أنه تعالى حفظهم من حر
الشمس بين أنه أنعمهم بروح الهواء وألطفهم بسعة الموضع في فضاء الغار فقال تعالى (وهم
في جفوة منه) أي في وسط الكهف ومتسعة بنا لهم برد الريح ونسيمها ثم بين تعالى نتيجة هذا
الامر الغريب في النبأ المحجب بقوله تعالى (ذلك) أي المذكور العظيم (من آيات الله) أي
دلائل قدرته (من يهد الله) أي الذي له الملك كله يخلق هذه الهداية في قلبه كأصحاب الكهف
(فهو المهتد) في أي زمان كان فلن تجد له مضلا مغويا في ذلك إشارة إلى أن أهل الكهف
جاهدوا في الله وأسبلوا وجوههم فلطف بهم وأعانهم وأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة
السنية والاختصاص بالآية العظيمة وأن كل من سلك طريق المهتدين الراشدين فهو الذي
أصاب الفلاح واهتدى إلى السعادة وقرأ نافع وأبو عمرو بزيادة ياء بعد الدال في الوصل دون
الوقف والباقون بحذفها وقفوا ووصلا (ومن يضل) أي يضل الله تعالى ولم يرشده كدقيانوس
وأصحابه (فلن تجد له وليا) أي معنا (مرشدا) أي يرشده للعق ثم أنه تعالى عطف على
ما مضى بقية أمرهم بقوله تعالى (وتحسبهم) أي لو رأيتهم أي المخاطب (أبقاها) أي منتهين
لأن أعينهم مفتحة للهواء لانه يـكون أنبي لها جمع يقط بكسر القاف (وهم رقاد) أي
نام جمع راقدا قال الزجاج لكثرة تقلبهم يظن أنهم أبقاها والدليل عليه قوله تعالى (وتقلبهم) أي
في ذلك حال نومهم تقلبا كثيرا بحسب ما ينفعهم كما يكون النائم (ذات) أي في الجهة التي هي
صاحبة (اليمين) منهم (وذات الشمال) لئلا روح النسيم جميع أبدانهم ولا يأتريما إلى الأرض
منها بطول المكث * (تنبيه) * اختلف في مقدار مدة التقلب فعن أبي هريرة أن لهم في كل عام
تقليبتين وعن مجاهد يمشون رقادا على أيمانهم تسع سنين ثم يقلبون على شمالكهم فيمشون
رقودا تسع سنين وقيل لهم تقلبية واحدة في يوم عاشوراء قال الرازي وهذه التقديرات لا سبيل
للعقل اليها ولفظ القرآن لا يدل عليها وما جاء فيه خبر صحيح فكيف يعرف انتهى ولهذا قلت
بحسب ما ينفعهم وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم أفائدة تقلبهم ثلاثا لكل الأرض
لحومهم ولا ثيابهم اه قال الرازي وهذا أعجب من ذلك لانه تعالى لما قدر على أن يسلك
حياتهم ثلثمائة سنة وأكثر فلا يقدر على حفظ أجسادهم أيضا من غير تقلب اه وهذا
ليس بحجيب لأن القدرة سالحة لذلك وأكثر بحسب العادة وأما مسالك أرواحهم فهو خرق
للعادة فلا يقاس عليه (وكلمهم بأسط ذراعية) أي يديه أي ملقيهم ما على الأرض مبسوطتين
غير مقبوضتين ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اعتمدوا في السجود ولا يسط أحدكم ذراعيه
انبساط الكلب قال المفسرون كان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليه * (تنبيه) *
باسط اسم فاعل ماض وانما عمل على حكاية الحال والكسائي بعمله ويستشهد بالآية الكريمة
وأكثر المفسرين على أن الكلب من جنس الكلاب وروى عن ابن جريج أنه كان أسدا

ويسمى الاسد كلبا فان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي لهب فقال اللهم سلط عليه
 كلبا من كلابك فاقرسه الاسد وقال ابن عباس كل كلبا أغزو اسمه قطمير وعن علي اسمه ريان
 واختلف في قوله تعالى (بالوصيد) فقال ابن عباس هو باب الكهف وقيل العتبة قال السدي
 والكهف لا يكون له باب ولا عتبة وانما أراد موضع الباب والعتبة وقال الزجاج الوصيد فناء
 البيت وفناء الدار قال الشاعر

بأرض فضاء لا يستوصيدها * على ومعر وفيها غير منكر

وقال مجاهد والضحاك الوصيد الكهف (لواطلعت عليهم) بكسر الواو على أصل التقاء
 الساكنين أي وهم على تلك الحالة (لوليت منهم) حال وقوع بصرك عليهم (قرارا) لما ألبسهم
 الله تعالى من الهيبة وجعل لهم من الجلالة تدبيرا منه لما أراد منهم حتى لا يصل اليهم أحد
 حتى يبلغ الكتاب أجله (ولمئت منهم رعبا) أي فزعوا واختلف في ذلك الرعب كان لماذا فقال
 الكلبي لأن أعينهم مفتحة كالسنيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام وقيل من وحشة الكلام
 وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم وتقلبهم من غير حس كالسنيقظ وقيل إن الله تعالى
 منعهم بالرعب حتى لا يراهم أحد وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال غزو ناعم
 معاوية فحو الروم فمرنا بالكهف الذي فيه أحجاب الكهف فقال معاوية لو كشف
 لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال ابن عباس قدم منع ذلك من هو خير منك لو اطلعت عليهم لوليت
 منهم فرارا فبعث معاوية ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم
 ريحا فأخرجتهم وقرأ نافع وابن كثير بتشديد اللام بعد الميم والباقون بتخفيفها والسوسي
 بإبدال الهمزة ياء على أصله وقفا وصلوا وحزة في الوقف فقط وقرأ ابن عامر والكسائي
 رعبا ضم العين والباقون بسكونها (وكذلك) أي كما فعلنا بهم ما ذكرنا آية (بعثناهم) أي
 أيقظناهم آية (ليتساءلوا بينهم) أي ليسأل بعضهم بعضا عن أحوالهم في نومهم ويقظتهم
 فيتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله تعالى وليستبصروا
 بدأمر البعث ويشكروا ما أنعم الله به عليهم (قال قاتل منهم) مستفهما من اخوانه (كم لبثتم)
 نائمين في هذا الكهف من ليلة أول يوم وهذا يدل على أن هذا القاتل استنصر طول لبثهم بما
 رأى من هيئتهم أو بغير ذلك من الامارات (قالوا البتة أيوما أو بعض يوم) لانهم دخلوا
 الكهف طالوج الشمس وبعثوا آخر النهار فلما رأوا الشمس باقية قالوا أو بعض يوم فلما نظروا
 الى طول أظفارهم وشعورهم (قالوا ربكم أعلم بالنتم) فأحالوا العلم على الله تعالى قال ابن
 عباس القاتل ذلك هو رئيسهم فليضار دعلم ذلك الى الله تعالى وعلم أن مثل هذا التغيير لا يحصل
 الا في الايام الطويلة وقرأ نافع وابن كثير وعاصم باظهار الناء المثلثة عند المثناة والباقون
 بالادغام ثم لما علموا أن الامر ملتبس عليهم لا طريق لهم الى علمه أخذوا فاعياهم بهم وقالوا
 (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه) أي بفضلكم وقرأ أبو عمر وشعبة وحزرة بسكون الراء والباقون
 بكسر ها والورق اسم للفضة سواء كانت مضر وبه أم لا ويدل عليه ما روى أن غرقة اتخذ

أنفاسهم ورق ويقال لها الرقة وفي الحديث في الرقة ربع العشر (إلى المدينة) أى التى خرجتم منها وهى مدينة طرسوس وهذه الآية تدل على أن السعى فى أمساك الزاد أمر مهم مشروع وأنه لا يسلط التوكل على الله تعالى اذ حقيقة التوكل على الله تعالى تهيمته الأسباب واعتقاد أن لا مسبب للأسباب الا الله تعالى فعمل النفقة وما يصلح المسافر هو رأى المتوكلين على الله دون المتوكلين على الانفاقات على ما فى أوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة رضى الله تعالى عنها لما سألها عن محرم يشد عليه هميانه أو وثق عليك نفقتك وما حكى عن بعض معاليك العلماء أنه كان شديد الحب الى أن برز قحج بيت الله الحرام وعلم منه ذلك فكثرت مياسير أهل بلده كلما عزم قوم على حج أو أنه أن يحججوا به وألحوا عليه فيعتذرا اليهم ويحمد اليهم بذلك فإذا انقضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الاشياء شد اليهم يمان والتوكل على الرحمن (فلينظر أيها الركي طعاما) قال ابن عباس يريد ما حل من الذبائح لان عامة أهل بلادهم كانوا مجوسا وفيهم قوم يحقون ايمانهم وقال مجاهد كان ملكهم ظلما فقولهم أيها الركي طعاما أى أيها بعدد عن الغصب وكل سبب حرام وقيل أيها أطيب وألذ وقيل أيها أرخص قال الزجاج قولهم أيها رافع بالابتداء وأركي خبره وطعاما تميز ولا بدتهما من حذف أى أى أهلها أركي أى أحل وقيل لاحذف والضمير عائدة على الاطعمة المدلول عليها من السياق (فليأتكم) ذلك الاحد (برزق منه) لنا كل (وليأتف) أى ولكن فى ستروكتهم فى دخول المدينة وشراء الاطعمة حتى لا يعرف (ولا يشعروا) أى ولا يخبروا (بكم أحدا) من أهل المدينة (أنهم) أى أهل المدينة (ان يظهروا) أى يظهروا عاين (عليكم يرجوكم) أى يقتلوكم والرجم يعنى القتل كثير فى القرآن كقوله ولولا رهطك لرجمناك وقوله لا رجمك وقوله أن ترجون وقال الزجاج أى يقتلوكم بالرجم والرجم أخبث أنواع القتل (أو يعيدوكم فى ملتهم) ان لنتم لهم (ولن تغلوا اذا) أى ان رجعت الى ملتهم (أبدا) بل تكونوا خاسرين قال بعض العلماء ولا خوف على المؤمن الفاتر بدينه أعظم من هذين الأمرين أحدهما ما فيه هلاك النفس وهو الرجم الذى هو أخبث أنواع القتل والاخر هلاك الدين (فان قيل) أليس انهم لو أكرهوا على الكفر حتى أظهروا الكفر لم يكن عليهم مضرة فكيف قالوا ولن تغلوا اذا أبدا (أجيب) بأنهم خافوا أنهم لو بقوا على الكفر مظهريه لقتلهم ليعمل بهم ذلك الى الكفر الحقيقى فكان خوفهم بسبب هذا الاحتمال (فان قيل) ما النكبة فى العدول عن واحدكم الى أحدكم وكل ذلك دال على الوحدة (أجيب) بأن النكبة فيه أن العرب اذا قالوا أحد القوم أرادوا به فردا منهم وإذا قالوا واحد القوم أرادوا رئيسهم والمراد فى القصة أى واحد كان والقرآن الكريم أنزل بلغتهم فرأى ما راعوا (وكذلك) أى ومن مثل ما فعلنا بهم ذلك الأمر العظيم من الربط على قلوبهم والستر والحماية من الطالعين لهم والحفظ لأجسادهم على عجز الزمان وتعاقب الحدوث وغير ذلك (أعترنا) أى أطلعنا غيرهم (عليهم) يقال عثر على كذا علمته وأصله أن من كان غافلا عن شئ فغثر به فغثر له فغثره فكان العثر سببا لحصول العلم فأطلق السبب على السبب بقوله تعالى (ليعلموا) متعلق بأعترنا

والضحية قبل يعود على مقعول أعزنا المحذوف تقديره أعزنا الناس وقيل يعود الى أهل الكهف وهذا هو الظاهر (أن وعد الله) الذي له صفات الكمال بالبعث للروح والجنة معا (حق) لأن قيامهم بعد نومهم يقبلون نيفا والتمائة سنة مثل من مات ثم بعث قال بعض العارفين علامة القطة بعد النوم علامة البعث بعد الموت * ولما كان من الحق ما قد اذله شك قال تعالى (وأن) أي وليعلموا أن (الساعة) أي آتية (لأرب) أي لاشك (فيها) * (تنبيه) * اختلف في السبب الذي عرف الناس واقعة أصحاب الكهف فقال محمد بن اسحق أن ملك تلك البلاد رجل صالح يقال له تندوسيس فلما ملك بقي في ملكه ثمانية وستين سنة فتعجز الناس في ملكه فكانوا أحرابا منهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح فبكي واضرعى إلى الله تعالى وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ويقولون لاحياة الالدها وانما تبعث الارواح ولا تبعث الاجساد وجعل الملك يرسل الى من يظن فيهم خيرا وأنهم أئمة في الخلق فلم يقبلوا منه وجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا يخرجون الناس عن الحق وملة الخواريين فلما رأى ذلك الملك دخل بيته وأغلق بابه عليه وليس مسحا وجعل تحت رماده اجلس عليه ودأب ليله ونهاره زمانا يضرع الى الله تعالى ويكي أي رب قدر ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم ثم أن الله تعالى يكره هلكة عباده أراد أن يظهر على القبة أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ويستجيب لعبده تندوسيس ويتم نعمته عليه وأن يجمع من كان يتقدم المؤمنين وألقى الله في نفس رجل من تلك البلاد الذي فيه الكهف أن يهدم ذلك البنيان الذي على قم الكهف فيسبى به حظيرة الغنم فاستأجر غلامين فجعل لا ينزعان تلك الحجارة وينيان تلك الحظيرة حتى اذا نزع ما على قم الكهف وفتح باب الكهف أذن الله تعالى ذوالقدرة والسلطان يحيى الموق للقتية أن يجلسوا بين ظهري الكهف فجلسوا فخرج من مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يسيقظون لها اذا أصبحوا من ليلتهم ثم قاموا الى الصلاة فصلوا كالذي كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا في ألوانهم شيء يكرهونه كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون أن ملكهم دقيا نوس في طلبهم فلما قضاوا صلاتهم قالوا لتخليصا صاحب نفقتهم اتنا بما قال الناس في شأننا عسبة أمس عند الجبار وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد تخيل لهم أنهم قد ناموا أطول ما كانوا ينامون حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبستم نياما قالوا البنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بالبنم وكل ذلك في أنفسهم وسير فقال لهم تخليصا القسم بالمدينة وهو يريد أن يوثق بكم اليوم فتذبحون للطواغيت أو يقتلكم فشا الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكسبا يا اخوانه اعلوا أنكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذا دعاكم عدو الله ثم قالوا لتخليصا انطلق الى المدينة فسمع ما يقال لنا بما وما الذي يذكركم عن دق قيانوس وتلف ولا تشعربك أحدا واتباع لنا طعاما واثنابه وزيدنا على الطعام الذي جثثناه فقد أصبحنا

قوله يقال له تندوسيس الذي في حياة الحيوان يقال نادر دوسوس فليعزراه

جينا عافعل تلخيا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يشكر فيها وأخذورفا
 من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربيع فانطلق تلخيا
 خارجا فلما مر سباب الكهف رأى الجبارة منزوعة عن باب الكهف فحبب منها ثم ولي يالها
 حتى أتى باب المدينة مستخفيا بصد عن الطريق متخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه ولا يشعر
 أن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلاثمائة سنة فلما أتى تلخيا باب المدينة رفع بصره فرأى
 فوق ظهر الباب علامة تـكون لاهل الايمان اذا كان أمر الايمان ظاهرا فلما رأى عجب
 وجعل ينظر اليها مستخفيا وينظر عينا وشعلا ثم ترك الباب وتحول لباب آخر من أبوابها فرأى
 مثل ذلك فجعل يحيل اليه أن المدينة ليست بالتي كان يعرفها ورأى ناسا كثيرا محدثين لم يكن
 رآهم قبل ذلك فجعل عشي ويتعجب ويحيل اليه أنه حيران ثم رجع الى الباب الذي أتى منه
 فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول يا ليت شعري ما هذا أتعاشية أمس فكان المسلمون
 يحجبون هذه العلامة ويستخفون بها رأيا ما اليوم فانها ظاهرة لعلى عالم ثم يرى أنه ليس بشيء
 فأخذ بكسائه فجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل عشي بين ظهري سوقها فيسمع ناسا يحلفون
 باسم عيسى بن مريم فزاده فرقا ورأى أنه حيران فقام مسندا ظهره الى جدار من جدران
 المدينة ويقول في نفسه والله ما أدري ما هذا أتعاشية أمس فليس على وجه الارض انسان
 يذكر عيسى بن مريم الا قتل وأما اليوم فاسمع كل انسان يذكر عيسى ولا يخاف ثم قال في نفسه
 لعل هذه ليست المدينة التي أعرف والله ما أعلم مدينة يقرب مدنتها أقام الحيران ثم لم يفتي
 فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى فقال اسمها أفسوس فقال في نفسه لعل بي مسأ وأمرأ
 أذهب عقلي والله يحق لي أن أسرع الخروج منها قبل أن أخزي فيها أو بصديقي شر فاهلك ثم
 انه أفاق فقال والله لو علمت الخروج من هذه المدينة قبل أن يقطن بي لكان أكيس فذنا من
 الذين يبيعون الطعام فأخرج الورق التي كانت معه فأعطاهم رجلا منهم فقال بعني بهذا
 الورق طعاما فأخذها الرجل فنظر الى ضرب الورق ونقشها فحبب منها ثم طرحها الى رجل من
 أصحابه فنظر اليها ثم الى آخر ثم جعلوا يطارحونها بينهم من رجل الى رجل ويتعجبون منها ثم
 جعلوا يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض ان هذا أصاب كثيرا محبا في الارض منذ زمان
 ودهر طويل فلما رآهم تلخيا يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا وجعل يرتعدون ويطن أنهم
 فطنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون أن يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس وجعل أناس آخرون
 يأثونه فيسترّفونه فقال لهم وهو شديد الفرق أفضلوا علي قد أخذتم وري فأمسكوها وأما
 طعامكم فليس لي حاجة فقالوا من أنت يا فتى وما شأنك والله لقد وجدت كنزاً من كنوز
 الاولين وأنت تريد أن تخفيه اطلق معنا وأرنا وشاركنا فيه نخف عليك ما وجدت وانك ان لم
 تفعل نأت بك السلطان فنسلك اليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال ما وجدت شيئا وقال قد
 وقعت في كل شيء أحذر منه فالوا يا فتى انك والله لا تستطيع أن تكتم ما وجدت فجعل تلخيا
 لا يدري ما يقول لهم وخاف حتى انه لم يرد اليهم جوابا فلما رأوه لا يشكلم أخذوا كساء وطرحوه

في عتقه وجعلوا يقودونه في سكت المدينة حتى سمع من فيها فقبل أخذ رجل عنده كنز واجتمع عليه أهل المدينة صغبرهم وكبرهم فجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ما هذا الفتي من أهل هذه المدينة وما رأينا به قط وما نعرفه بفعل تخلقنا ما يدري ما يقول لهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة وكان متيقنا أن أباه واخوته في المدينة وأنه من عظماء أهلها وانهم سيأتونه إذا سمعوا به فبينما هو قائم كالطيران ينظر متى يأتيه بعض أهله فيخلصه من بين أيديهم إذا اختطفوه وانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومدبريه اللذين يديران أمرها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما اريوس واسم الآخر اسطيوس فلما انطلقوا به اليهما طن تخلقنا أنه ينطق به إلى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون من الجنون وجعل تخلقنا يكي ويرفع رأسه إلى السماء وقال اللهم إله السماء وإله الأرض أفرغ اليوم على صبرا وأولج معي روحا منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يقول في نفسه فترق ما بيني وبين اخوتي باليتهم يعلمون ما لقيت وباليتهم يأتوني فنقوم جميعا ما بين يدي هذا الجبار فانا كانوا أفضنا على الايمان بالله سبحانه وتعالى وأن لا نشر له به شيئا ولا نفترق في حياة ولا موت فلما انتهى به إلى الرجلين الصالحين ورأى أنه لم يذهب به إلى دقيانوس أفاق وسكن عنه البكاء فأخذ اريوس واسطيوس الورق فنظرا إليها وعجبا منها ثم قال أحدهما أين الكثر الذي وجدت يا فتى فقال تخلقنا ما وجدت كنزا ولكن هذا ورق ابائي ونقش المدينة وضربها ولكن والله ما أدري ما شأنى وما أقول لكم فقال أحدهما عن أنت فقال تخلقنا أما أنا فكنفت أرى أنى من أهل هذه المدينة قالوا نحن أبوك ومن يعرفك بها فأجابهم باسم أبيه فلم يجدوا أحدا يعرفه ولا أباه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تأتينا بالحق فلم يدرك تخلقنا ما يقول لهم غير أنه تكسر بصره إلى الأرض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحقق نفسه عدا حتى ينقلب منكم فقال له أحدهما ونظرا إليه نظرا شديدا أنطق أن نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أليك ونقش هذه الورق وضربها أكثر من الخمانة سنة وأنت غلام شاب وتظن أنك تأفكنا ونسخر بنا ونحن شيوخ وشعث كما ترى وحولك سراة هذه المدينة وولاية أمرها وخزائن هذه البلدة بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار وإنى لا تخفى ساءم ربك فتعذب عذابا شديدا ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكثر الذى وجدته فلما قال ذلك قال لهم تخلقنا نبشئنى عن شئ أسألكم عنه فان فعلتم صدقكم عما عندى فقالوا سل لانكتمك شيئا قال ما فعل الملك دقيانوس قالوا ليس نعرف اليوم على وجه الأرض ملكا يسمى دقيانوس ولم يكن الامم كاهلك منذ زمان ودهر طويل وهلكت بعده قرون كثيرة فقال تخلقنا فى إذا الحيران وما هو بعصتي أحدم من الناس بما أقول لقد كذفتني وإن الملك أكرهنا على عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فهر بنا منه عشيبة أمس فقمنا فلما اتبهننا خرجت لا شترى طعاما وأن تجسس الاخبار فاذا أنا كما ترون فانطلقوا معي إلى الكهف الذى فى جبل بفيلوس أريكم أخصاى فلما سمع اريوس ما يقول تخلقنا قال يا قوم لعل هذه آية من آيات الله تعالى جعلها الله تعالى لكم على يد هذا الغلام فانطلقوا بشامعه ليربنا أصحابه فانطلق معه اريوس واسطيوس

ومعهما جميع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم فحوا أصحاب الكهف لينظروا اليهم فلما رأى
القتية أصحاب الكهف تملخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان يأتي فيه
فظنوا أنه قد أخذ وذهب به إلى ملكهم دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتحققونه اذ هموا
الاصوات وجلبة الخيل مصعدة عندهم فظنوا أنهم رسل الجبار دقيانوس بعث اليهم لسانا بهم
فقاموا إلى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضا وقالوا انطلقوا بنا نأتأخا تملخا
فانه الآن بين يدي الجبار وهو ينتظرنا حتى نأتيه فينبأهم يقولون ذلك وهم جلوس على هذه
الحالة اذ اقام يريوس وأصحابه وقوف على باب الكهف فسمعهم تملخا ودخل وهو يبكي فلما
رأوه يبكي بكوا معه ثم سألوه عن خبره فقص عليهم الخبر كله فعرفوا أنهم كانوا نياما بأمر الله
تعالى ذلك الزمن الطويل وانما أوقفوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث ويعلم الناس أن
الساعة آتية لا ريب فيها ثم دخل على اثر تملخا يريوس فرأى تابوتا من نحاس محتويا جناحتين من
فضة فقام بباب الكهف ثم دعا رجلا من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت عندهم فوجد فيه
لوحين من رصاص مكتوب فيهما مكسلينا ومخسلينا وتملخا وطرونس وكشطونس وبرونس
ويطونس كانوا قتيه هرير من ملكهم دقيانوس الجبار يخافه أن يقتلهم عن دينهم فدخلوا
هذا الكهف فلما أخبر بكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانما كتبنا أسماءهم
وخبرهم ليعلم من بعدهم ان عزهم فلما قرؤهم عجبوا وحمدوا الله تعالى الذي أراهم آية البعث
فيهم ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله تعالى ونسبهم فدخلوا على القتيه الكهف فوجدوهم جلوسا
مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر يريوس وأصحابه سجدوا وحمدوا الله تعالى الذي أراهم
آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأنبأهم القتيه عن الذي لقوه من ملكهم دقيانوس ثم ان يريوس
وأصحابه بعثوا يريدوا إلى ملكهم الصالح تندوسيس أن يحل لعلاك تنظر إلى آية من آيات الله
جعلها الله تعالى على ملكك وجعلها آية للعالمين ليكون لهم نورا وضياء وتصديقا للبعث فأجمل
إلى قتيه بعثهم الله تعالى وكان قد قذفاه منذ أكثر من ثلثمائة سنة فلما أتى الملك الخبر قام ورجع
إليه عظه وذهب همه فقال أجد الله رب السموات والأرض وأعبدك وأسجد لك تطولت
على ورجعتي فلم تطفئ النور الذي جعلته لآبائي وللعبد الصالح قسطي طينوس الملك فلما نبأ به
أهل المدينة ركبوا إليه وساروا معه حتى أتوا مدينة افوس فتلقاهم أهل المدينة وساروا معه
فحوا الكهف فلما صعد الجبل ورأى القتيه تندوسيس فرحوا به وحزوا وسجدوا على وجوههم وقام
تندوسيس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله تعالى
ويحمدونه ثم قالوا هل ننتدو عك الله السلام عليك ورجة الله وبركاته وحفظك وحفظ ما بك
ونعبدك بالله من شرا الانس والجن فبينما الملك قائم اذ رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وتوفى الله
أنفسهم وقام الملك تندوسيس اليهم فجعل ثيابه عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من
ذهب فلما أسمى ونام أتوفى المنام وقالوا له انالم تخلق من ذهب ولا فضة ولكن خلقنا من تراب
وإلى التراب نصير فأتراك كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله تعالى منه فأمر الملك

حينئذ بناوت من ساج فجعلوا فيه وجههم الله تعالى حين خرجوا من عندهم بالعرب فلم يقدر أحد
على أن يدخل عليهم وقيل إن عليهما الماحل إلى الملك الصالح قال له الملك من أنت قال أنا رجل من
أهل هذه المدينة وذكر أنه خرج أمس أو منذ أيام وذكر منزله وأقواما لم يعرفهم أحد وكان الملك
قد سمع أن قتيبة فقدوا في الزمان الأول وإن أسماءهم مكتوبة على لوح في خزانته فدعا بالوحي
فنظر في أسمائهم فإذا اسمه مكتوب في ذكر أسماء الآخرين فقال عليهما اسمي فلما سمع الملك
ذلك ركب هو ومن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف قال عليهما دعوني حتى أدخل على أصحابي
وأبشروهم فانهم ان رأوكم معي أرعبتوهم فدخل فبشروهم فقبضت روحه وأرواحهم وأغنى
على الملك وأصحابه أثرهم فلم يهدوا عليهم * ثم وقع النزاع في أمرهم بين أهل المدينة كما قال
تعالى (اذينازعون) أي أهل المدينة (بينهم أمرهم) أي أمر الفتنة في البناء حولهم (فقالوا)
أي الكفار (أنا أعلمهم) أي حولهم (بنينا) يستريحهم فانهم كانوا على ديننا وقوله تعالى
(رهبهم أعلمهم) يجوز أن يكون من كلام الله تعالى وأن يكون من كلام المتنازعين فيهم (قال
الذين غلبوا على أمرهم) أي أمر الفتنة وهم المؤمنون (لننتخذن عليهم) أي حولهم (معبدا)
يصلي فيه وفعل ذلك على باب الكهف وقيل إن بعضهم قال الأولى أن تستدب الكهف عليهم
لئلا يدخل أحد عليهم ولا يقف على أحوالهم إنسان وقال الآخرون بل الأولى أن نبني على باب
الكهف معبدا وهذا القول يدل على أن أولئك الأقوام كانوا عارفين بالله ومعترفين بالعبادة
والصلاة وقيل تنازعوا في مقدار مكنتهم وقيل في عددهم وأسمائهم * (تنبيه) * بنينا يجوز
أن يكون مفعولا به جمع بنانة وأن يكون مصدرا * ولما ذكر أصحاب الكهف عند النبي صلى
الله عليه وسلم وقع الاختلاف في عددهم كما قال تعالى (سيقولون) أي الخائفون في قصتهم من
أهل الكتاب والمؤمنين فقال بعض أهل الكتاب (ثلاثة رابعهم كلهم) أي هم ثلاثة رجال
ورابعهم كلهم بانضمامهم إليهم (ويقولون) أي بعضهم (خمس سادسهم كلهم) فهذا القولان
لنصارى نجران وقيل الأول قول اليهود والثاني قول النصارى (فان قيل) لم جاءت سبعين
الاستقبال في الأول دون الآخرين (أجيب) بأن في ذلك وجهين أن تدخل الآخرين في حكم
السبعين كما تقول قد أكرم وأنعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وأن تريد فعل معنى الاستقبال
الذي هو صالح له * ولما كان قولهم ذلك بغير علم كان (رجبا بالغيب) أي ظنا في الغيبة عنهم
فهو راجع إلى القولين معا ونصب على المفعول له أي لظنهم ذلك (ويقولون) أي المؤمنون
(سبعة وثامنهم كلهم) قال أكثر المفسرين هذا الأخير هو الحق ويدل عليه وجوه الأول أنه
تعالى لما حكى قوله ويقولون سبعة وثامنهم كلهم قال بعده (قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الأقل)
وأتبع القولين الأولين بقوله تعالى رجبا بالغيب وتخصيص الشيء بالوصف يدل على أن الحال
في الباقي بخلافه فوجب أن يكون المخصوص بالظن الباطل هو القولان الأولان وأن يكون
القول الثالث محالاً لما في كونه رجبا بالغيب الوجه الثاني أن الواو في قوله تعالى وثامنهم هي
الواو التي تدخل على الجملة الواقعة مفعولا للشكركم كما تدخل على الواقعة حالا من المعرفة في نحو

قوله جاءني رجل ومعه آخرون كيد للصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر فكانت هذه الواو الاله على أن الذين كانوا في الكهف كانوا سبعة وثامنهم كلهم وقول محمد بن اسحق انهم كانوا ثمانية مردود فكأن الله تعالى حكى اختلافهم وتم الكلام عند قوله ويقولون سبعة ثم حقق هذا القول بقوله تعالى وثامنهم كلهم والثامن لا يكون الا بعد السبع وهذه الواو يسمونها واو الثمانية لأن العرب تعد فتقول واحداً اثنين ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية لأن العقد كان عندهم سبعة كما هو اليوم عندنا عشرة ونظير هذه الآية في ثلاث آيات وهو قوله تعالى والناهون عن المنكر وقوله تعالى حتى اذا جاءوها فكتفت أبوابها لأن أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة وقوله تعالى ثياباً وبأكراً قال القفال وقولهم واو الثمانية ليس بشئ بدليل قوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ولم يذكر الواو في النعت الثامن اه وقد يجاب بأن ذلك جرى على الغالب الوجه الثالث أنه تعالى قال ما يعلمهم الا قليل وهذا يقتضي أنه حصل العلم بعدتهم لذلك القليل وكان ابن عباس يقول أنا من أولئك العدد القليل وكان يقول انهم سبعة وثامنهم كلهم وكان علي رضي الله تعالى عنه يقول كانوا سبعة قال الرازي وأسماءهم تخليفاً مكشلياً مثلينا وهؤلاء الثلاثة كانوا أصحاب بين الملك وعن يساره مروش وديرنوش وشاذنوش وكان الملك يستشير هؤلاء الستة ليتصرفوا في مهماته والسابع كشف طموش وهو الراعي الذي وافقهم لها هربوا من ملكهم وروى عن ابن عباس أنه قال هم مكشلياً وتخليفاً ومروش وديرنوش ودونواقس وكشف طموش وهو الراعي واسم كلهم قطمير واسم مدينهم أفسوس (تنبيه) في الآية حذف والتقدير سيقولون هم ثلاثة كما تقدم تقديره حذف المبتدأ الدلالة الكلام عليه وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل منهم أي ولا علم بذلك الا لقليل منهم وأكثرهم على الظن ثم انه تعالى لما ذكر هذه القصة أجمعها بأن نهي رسوله صلى الله عليه وسلم عن شيئين عن المراء وعن الاستفتاء أما النهي عن المراء فبقوله تعالى (فلا تخار) أي تجادل (فيهم) أي في شأن القضية (الامراء) أي جسد الا (ظاهراً) أي غير متعمق فيه وهو أن تنقص عليهم ما في القرآن من غير أن تكذبهم في تعيين ذلك العدد ونظيره قوله تعالى ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن وأما النهي عن الاستفتاء فقوله تعالى (ولا تستفت فيهم) أي ولا تسأل (منهم) أي من أهل الكتاب اليهود (أحد) عن قصتهم سؤال مسترشد لانه لما ثبت أنه ليس عندهم علم في هذا الباب وجب المنع من استفتائهم وفيما أوحى اليك مندوحة عن غيره ولا سؤال متعنت يزيد تفضيح المسؤول عنه وتزييف ما عنده فانه يحل بمكارم الاخلاق ولما سأل أهل مكة عن خبر أهل الكهف فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخبركم به غداً لم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عنه خمسة عشر يوماً وفي رواية أخرى أربعين يوماً نزل (ولا تقولن لشيء) أي لاجل شيء تعزم عليه (اني فاعل ذلك) الشيء (غداً) أي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغدا خاصة (الا أن يشاء الله) أي الامتناع بعيبته بأن تقول ان شاء الله والسبب في ذلك أن الانسان اذا قال سأفعل القعل

الغلاني غدا لم يبعد ان يموت قبل مجي الغد ولم يبعد أيضا ان يني حيا أن يعيقه عن ذلك الفعل سائر
 العوائق فاذا لم يقل ان شاء الله صار كاذبا في ذلك الوعد والكذب منفر لا يليق بالانبياء عليهم
 الصلاة والسلام فلهذا السبب وجب عليه أن يقول ان شاء الله حتى اذا تعذر عليه الوفاء بذلك
 الوعد لم يصير كاذبا ولم يحصل التنفير * (تنبيه) * قال كثير من الفقهاء اذا قال الرجل لا امر أنه
 أنت طالق ان شاء الله لم يقع عليه الطلاق لانه لما علق وقوع الطلاق على مشيئة تعالى لم يقع
 عليه الطلاق الا اذا علمنا حصول المشيئة ومشئة الله تعالى غيب لا سبيل لنا الى العلم بحصولها
 الا اذا علمنا أن متعلق المشيئة وقع وهو الطلاق وعلى هذا لا يعرف حصول المشيئة الا اذا وقع
 الطلاق ولا يعرف وقوع الطلاق الا اذا عرفت المشيئة فيستوقف العلم بكل واحد منهما على العلم
 بالآخر وهو دور فلهذا لا يقع الطلاق وقبل المراد الا أن يشاء الله أي الآن يأذن لك الله تعالى
 في ذلك القول والمعنى أنه ليس لك أن تخبر عن نفسك بأنك تفعل الفعل الغلاني الآن يأذن لك
 الله تعالى في ذلك الاخبار وقد احتج القائلون بأن المعدوم شيء بهذه الآية لان الشيء الذي
 سبق فعله غدا معدوم في الحال فوجب تسمية المعدوم بأنه شيء (وأجيب) بأن هذا الاستدلال
 لا يقيد الا ان المعدوم يسمى بكونه شيئا وعندنا ان السبب فيما يصير شيئا يجوز تسميته بكونه
 شيئا في الحال كما قال تعالى أني أمر الله فلا تستبجلوه والمراد سيأتي أمر الله واختلف في معنى
 قوله تعالى (واذ كرك ربك اذا نسيت) فقال ابن عباس ومجاهد والحسن معناه اذا نسيت الاستثناء
 ثم ذكرت فاستثنى وعند هذا اختلفوا فقال ابن عباس لو لم يحصل التذكر الا بعد مدة طويلة
 ثم ذكر ان شاء الله كفي في رفع الحنث وعن سعيد بن جبيرة بعد سنة أو شهرا أو أسبوع أو يوم وعن
 طاوس لا يقدر على الاستثناء الا في مجلسه وعن عطاء يستثنى على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند
 عامة الفقهاء انه لا أثر له في الكلام ما لم يكن موصولا واحتج ابن عباس بأن قوله اذا نسيت غير
 مختص بوقت غير معين بل هو متناول لكل الاوقات وظاهره ان الاستثناء لا يجب أن يكون
 متصلا أما عامة الفقهاء فقالوا الوجه في ذلك للزم أن لا يستقر شيء من العقود والايان يحكي ان
 المنصور بلغه ان أنا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال
 له الامام أبو حنيفة هذا يرجع عليك لانك تأخذ البيعة بالايان أرضى أن يخرجوا من عندك
 فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن المنصور كلامه ورضى عنه واستدل بأن الآيات
 الكثيرة دلت على وجوب الوفاء بالعقد والعهد قال تعالى أوفوا بالعقود وقال تعالى وأوفوا
 بالعهد فاذا أتى بالعقد والعهد وجب عليه الوفاء بمقتضاه لاجل هذه الآيات خالفنا الدليل
 فما اذا كان الاستثناء متصلا لان الاستثناء مع المستثنى منه كالكلام الواحد دليل أن
 الاستثناء وحده لا يفيد شيئا فهو جار مجرى بعض الكلمة الواحدة فجملة الكلام كالكلمة
 الواحدة المفيدة فاذا لم يكن متصلا أفاد الالتزام التام فوجب الوفاء بذلك الملتزم وقيل ان
 قوله تعالى واذا كرك ربك اذا نسيت كلام مستأنف لا تعلق له بما قبله قال عكرمة واذا كرك ربك اذا
 غضبت وقال وهب مكتوب في الانجيل ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرني حين أغضب وقال

الغمالك والسدى هذا في الصلاة المنسية قال الرازي وتعلق هذا الكلام بما قبله يفيد اتحلم
 الكلام في هذه القصة وجعله مستأنفا يصير الكلام مبتدأ منقطعا وذلك لا يجوز وفي قوله تعالى
 (وقل عسى أن يهدين ربى لا تقرب من هذا رشدا) وجوه الاول أن يكون قوله تعالى الا ان يشاء
 الله ليس يحسن تركه وذكره أولى من تركه وهو قوله لا تقرب من هذا رشدا والمراد منه ذكر هذه
 الجملة الثانية أنه لما وعدهم بشئ وقال معه ان شاء الله فيقول وعسى أن يهدين ربى لشيئ
 أحسن وأكمل مما وعدتكم به الثالث أن قوله عسى أن يهدين ربى لا تقرب من هذا رشدا
 إشارة الى قصة أصحاب الكهف أى لعل الله يوفقى من البينات والدلائل على صحة بتوفى
 وصديقى ادعاء النبوة ما هو أعظم فى الدلالة وأقرب رشدا من قصة أصحاب الكهف وقد فعل
 الله تعالى ذلك حين آتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك * ثم شرع
 تعالى فى آية هى آخر الآيات المذكورة فى قصة أصحاب الكهف بقوله تعالى (ولبنوا فى كهفهم)
 أى نياما (ثلثمائة) أى مائة ثلثمائة (سنتين) قال بعضهم وهذه السنون الثلثمائة عند أهل
 الكتاب شمسة وتزيد القمرية عليها تسع سنين وقد ذكرت فى قوله (وازدادوا تسعا) أى تسع
 سنين لأن التفاوت بين الشمسية والقمرية فى كل مائة سنة ثلاث سنين لأن السنة الشمسية تزيد
 على السنة القمرية عشرة أيام واحد وعشرين ساعة وخمس ساعة فالثلثمائة سنة الشمسية
 ثلثمائة وتسع قرية قال الرازي وهذا مشكل لأنه لا يصح الحساب هذا القول ويعنى
 أن يقال لعلمهم لما استكملوا ثلثمائة سنة قرب أمرهم من الانتباه ثم انقضى ما أوجب بقاءهم
 فى النوم بعد ذلك تسع سنين وقرأ جزء والكسافى بغير تنوين فى الوصل واللبقون بالتنوين
 فسنتين عطف بيان لثلثمائة لأنه لما قال ولبنوا فى كهفهم ثلثمائة لم يعرف انهم أيام أو شهور
 أو سنون فلما قال سنين صار هذا بيانا لقوله ثلثمائة فكان ذلك عطف بيان له وقيل هو على التقديم
 والتأخير أى لبشوا سنين ثلثمائة وأما وجه القراءة الاولى فهو أن الواجب فى الاضافة أن يقال
 ثلثمائة سنة لأنه يجوز وضع الجمع موضع الواحد فى التمييز كقوله تعالى بالاخسرين أعلا
 وحذف غير تسع لدلالة ما تقدم عليه اذ لا يقال عندى ثلثمائة درهم وتسعة لا وأنت تسع تسعة
 دراهم ولو أردت شيئا أو نحوها لم يجز لأنه الغار ثم أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم اذا
 نازعوه فى مدة لبثهم فى الكهف بقوله تعالى (قل الله أعلم بالبنوا) أى فهو أعلم منكم وقد أخبر
 بمدة لبثهم وقيل ان أهل الكتاب قالوا ان المدة من حين دخلوا الكهف الى يومنا هذا وهو
 اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ثلثمائة سنين وازدادوا تسع سنين فرد الله تعالى عليهم ذلك
 وقال الله أعلم بالبنوا يعنى بعد قبض ارواحهم الى يومنا هذا لا يعلمه الا الله (له غيب السموات
 والارض) أى ما غاب فيها وخفى من أحوال أهلها ما لا يغيب عن ادراكك والله عز
 ذكره لا يغيب عن ادراك شئ فيكون عالم بهذه الواقعة لا محالة وقوله تعالى (أبصر به وأسمع)
 كلمة تذكر فى التعجب أى ما أبصر الله تعالى بكل موجود وما أسمع بكل مسموع (مالهم) أى
 أهل السموات والارض (من دونه) أى الله (من ولى) أى ناصر (ولا يشر لنى حكمه) أى فى

قضائه (أحدا) منهم ولا يجعل له فيه مدخلا لانه غنى بذاته عن كل أحد وقيل الحكم هنا علم
 الغيب أى لا يشرى في علم غيبه أحدا وقرأ ابن عامر بالثنية فوق قبل الشين ويسكون الكاف
 على نهى كل أحد عن الاشرار والباقون بالتحية وضم الكاف * (تنبيه) * احتج أصحابنا
 رحمه الله تعالى بهذه القصص على صحة القول بالكرامة الاولياء وقد قدمنا معرفة الولي
 في سورة يونس عند قوله تعالى ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فمما يدل على جواز
 كرامات الاولياء القرآن والاخبار والآثار والمعقول أما القرآن فالمعقد فيه عندنا آيات الحجّة
 الاولى قصة مريم عليها السلام وقد شرحنها في سورة آل عمران فلان عيدها الحجّة الثانية قصة
 أصحاب الكهف وبقاؤهم في النوم سالمين من الآفات مدة ثلثمائة سنة ونسع سنين وأن الله
 تعالى كان يصعبهم من حر الشمس ومن الناس من عكس أضافى هذه المسئلة بقوله تعالى قال
 الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك على أنه غير السيد سليمان
 والسيد جبريل وأما الاخبار فكثيرة منها ما أخرج في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى
 الله عليه وسلم أنه قال لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم وصفي في زمن جريج وصبي
 آخر أما عيسى فقد عرفه قومه وأما جريج فكان رجلا عبدا في بني اسرائيل وكانت له أُم فكان
 يوما يصلي اذا شافت إليه أُمته فقالت يا جريج فقال يا رب أُمّي وصلا في الصلاة خير أم رؤيتهم
 يصلي فدعته ثانيا فقال مثل ذلك حتى تم ثلاث مرّات وكان يصلي ويدعها فاشتد ذلك على أُمته
 فقالت اللهم لا تخنه حتى تزيه المومسات وكانت زانية في بني اسرائيل فقالت لهم أنا أفتن جريجا
 حتى يزني في فاتمه فلم تقدر على شئ وكان هنالك راع يأوى بالليل الى صومعته فلما أعباها جريج
 راودت الراعى على نفسه فافانها فولدت ثم قالت ولدى هذا من جريج فاتاه بنو اسرائيل وكسروا
 صومعته وشقوه ثم نحس الغلام قال أبو هريرة كائى أنظر الى النبي صلى الله عليه وسلم حين قال
 بيده باغلام من أبولف فقال الراعى فقدم القوم على ما كان منهم واعتذروا اليه وقالوا نبي لك
 صومعته منك من ذهب أو فضة فأبى عليهم وبناها كما كانت وأما الصبي الآخر فان امرأه كان
 معها صبي لها ترضعه اذ مر بها شاب جميل ذو شارة فقالت اللهم اجعل ابنى مثل هذا فقال
 الصبي اللهم لا تجعلنى مثله ثم تر بها امرأه ذكرها أنها سرقت وزنت وعوقبت فقالت اللهم
 لا تجعل ابنى مثل هذه فقال الصبي اللهم اجعلنى مثلها فقالت له أُمته في ذلك فقال ان الراكب
 جبار من الجبابرة فكروا أن يكون مثله وان هذه قبل لها زنت ولم ترن وقيل لها سرقت ولم
 تسرق وهى تقول حسبي الله فأحييت أن يكون مثلها ومنها خبر الغار وهو مشهور في الصحيح
 عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلق ثلاثة رهط من كان
 قبلكم فأواهم المبيت الى غار فدخلوه فانجدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم باب الغار
 وقد ذكرت ذلك عند قوله تعالى كانوا من آياتنا عجبا ومنها قوله صلى الله عليه وسلم رب اشعث
 أغبر ذى طمرين لا يؤبه به لؤا قسم على الله لا يره ولم يفرق من شئ وثنى فيما يقسم به على الله تعالى
 ومنها ما روى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ينبغي رجل

يسوق بقرة قد حمل عليها التففت البقرة وقالت اني لم اخلق لهذا وانما خلقت للحرث فقال
الناس سبحان الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنت بهذا وأبو بكر وعمر ومنها ما روى
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا رجل سمع رجلاً أو صوتاً في الصحاب ان
اسق حديقة فلان قال فقدوت الى تلك الحديقة فاذا رجل قائم فيها فقلت له ما اسمك قال فلان
ابن فلان قلت فما صنعت بحديقته هذه اذا صرمتها قال ولم تسأل عن ذلك قلت لاني سمعت صوتاً
في الصحاب ان اسق حديقة فلان قال اما اذ قلت فاني اجعلها أثلاً فاجعل لنفسى ولاهلي
ثلاً واجعل للمساكين وأبناء السبيل ثلاً وأنفق عليها ثلاً وأما الآخر فكثيرة أيضاً ولنبدأ
منها ببعض ما نقل انه ظهر على يد الخلفاء الراشدين من الكرامات ثم ببعض ما ظهر على يد بعض
الصحابه أما أبو بكر رضي الله تعالى عنه فمن كراماته أنه لما حلت جنازته الى باب قبر النبي صلى الله
عليه وسلم ونودي السلام عليك يا رسول الله هذا أبو بكر بالبالب فاذا بالبالب قد دفع واذا به اتف
يهتف من القبر ادخلوا الحبيب الى الحبيب وأما عمر رضي الله تعالى عنه فقد ظهرت أنواع
كثيرة من كراماته النوع الاول ما روى أنه لما بعث جيشاً وأمر عليهم رجلاً يدعى سارية بن
الحسين فيبغا يوم الجمعة بخطب جعل يصيح في خطبته وهو على المنبر يا سارية الجبل الجبل قال
علي بن أبي طالب رضي الله عنه كتبت تاريخ هذه الكلمة فلما قدم رسول ذلك الجيش فقال
بأمر المؤمنين غدونا يوم الجمعة في وقت الخطبة فهزمونا فاذا بانسان يصيح يا سارية الجبل
فأسندنا ظهرنا الى الجبل فهزم الله تعالى الكفار وظفرنا بالغنائم العظيمة ببركة ذلك الصوت
قال الرازي قلت سمعت بعض المذكرين قال كان ذلك معجزة لحمد صلى الله عليه وسلم لانه
قال لاني بكر وعمر أتما معنى بمنزلة السمع والبصر فلما كان عمر بمنزلة البصر لم يد صلى الله عليه
وسلم لاجرم قدر على أن يرى من ذلك البعد العظيم النوع الثاني ما روى أن نيسل مصر كان
في الجاهلية يقف في كل سنة مرة واحدة فكان لا يجري حتى تلقى فيه جارية حسنة فلما جاء
الاسلام كتب عمرو بن العاص الى عمر فكتب عمر على خرقه أيها النيل ان كنت تجري بأمر الله
فاجروا ان كنت انما تجري بأمرك لاجابة بنا اليك فالقيت تلك الخرقه في النيل فجري ولم يبق
بعد ذلك النوع الثالث لما وقعت الزلزلة في المدينة فضرب عمر بالدرة على الارض وقال
أسكني ياذن الله فسكنت وما حدثت الزلزلة بالمدينة بعد ذلك الوقت النوع الرابع وقعت النار
في بعض دور المدينة فكتب عمر على خرقه يا نار اسكني ياذن الله فأقوها في النار فانطفأت
في الحال النوع الخامس ما روى أن رسول ملك الروم جاء الى عمر وطلب داره فقلن أن داره
مثل قصور الملوك فقالوا ليس له ذلك وانما هو في الصحراء يضرب اللبن فلما ذهب الى الصحراء رأى
عمر وضع دبرته تحت رأسه ونام على التراب فتعجب الرسول من ذلك وقال أهل المشرق والمغرب
يضافون هذا الانسان وهو على هذه الصفة ثم قال في نفسه ان وجدته خالياً فآقله وأخلص
الناس منه فلما رفع السيف أخرج الله تعالى من الارض أسدين فقصداه نخاف وألقى السيف
من يده واقبه عمر ولم ير شيئاً سأل عنه الحال فذكر له الواقعة وأسلم قال الرازي وأقول هذه

الواقعة ورويت بالأحاديث كلها ما هو معلوم بالتواتر وهو أنه مع بعده عن زينة الدنيا واحترازه
عن التكاليف والنهي بآلات ساس الشرق والغرب وغلب الممالك والدول ولو ظنرت في كتب
التواريخ علمت أنه لم يتفق لاحد من أول عهد عمر إلى الآن ما تيسر له فانه مع غايته بعده عن
التكاليف كيف قدر على تلك السياسات ولا شك أن هذا من أعظم الكرامات وأما عثمان
رضي الله تعالى عنه فأشياء كثيرة منها ما روى عن أنس قال سرت في الطريق فوقعت عيني
على امرأة ثم دخلت على عثمان فقال مالي أراكم تدخلون على وأنا أراكم ناظرة عليكم فقلت
أجاء الوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن فإستأذني فإستأذني فإستأذني فإستأذني
بالسيف فأول قطر من دمه سقطت وقعت على المصحف على قوله تعالى فسبككم بهم الله وهو
السميع العليم ومنها أن جهباها الغفاري اتزع العصا من يد عثمان فكسرها على ركبته
فوقعت الأكلة في ركبته وأما علي رضي الله تعالى عنه فأشياء كثيرة أيضا منها ما روى أن واحدا
من محبيه سرق وكان عبدا أسود فأتى به إلى علي فقال أسرفت فقال بلي فقطع يده فأنصرف من
عند علي فلقبه سلمان الفارسي وابن الكواء فقال ابن الكواء من قطع يدك فقال له أمير المؤمنين
وبصوب المسلمين وختم الرسول وزوج البتول فقال له سلمان قطع يدك وغدحه فقال ولم
لا مدحه وقد قطع يدي بحق وخلصني من النار فسمع سلمان ذلك فأخبر به عليا فدعا الأسود
ووضع يده على ساعده وغطاه بمنديل ودعا بدعوات فسمعها صوتا من السماء أرفع الرداء عن اليد
فرفعها فاذا اليد قد برئت وأما ما روى عن بعض الصحابة فشي كثير ونذكر منها شيئا قليلا منها
ما روى محمد بن المنكدر عن سفيانة قال ركب البحر فأنكسرت سفينتي التي كنت فيها وركبت
لوحا من ألواحها فطرحني اللوح في خبسة فيها أسد فخرج الأسد إلى يدي فقلت
يا أبا الحرث أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقدم الأسد إلى ودلني على الطريق
ثم همهم فظننت أنه يودعني ورجع ومنها ما روى ثابت عن أنس أن أسيدا بن حضير ورجلا
آخر من الأنصار تخاصموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في سلم في حاجة لهما حتى ذهب من الليل
زمان ثم خرجا من عنده وكانت الليلة شديدة الظلمة وكان في يدهما كل واحد منهما عصا فاضامتا
عصاهما أحدهما لهما حتى مشيا في ضوئها فلما افترقت بينهما الطريق أضاعت الأخر عصاه فمشى
حتى بلغ منزله ومنها ما روى أنه قيل لخالد بن الوليد أن في عسكرك من يشرب الخمر فركب فرسه
لله قطاف بالعسكر فلقى رجلا على فرس ومعه خمر فقال ما هذا قال خل فقال خالد اللهم اجعله
خلفا فذهب الرجل إلى أصحابه فقال أيتكم بخمر ما شرب العرب مثله فلبثوا حتى أفاضوا فدخل
فقالوا والله ما جئتنا إلا بخل فقال والله هذا دعاء خالد ومنها الواقعة المشهورة وهي أن خالد بن
الوليد كل ككفان السم على اسم الله وما ضره ومنها ما روى أن ابن عمر كان في بعض
أسقاره فلقى جماعة وقفوا على الطريق من خوف السبع فطرد السبع من طريقهم ثم قال
اعياي سبط على ابن آدم ما يخافه ولأنه لم يخف غير الله لما سبط عليه شي ومنها ما روى أن النبي
صلى الله عليه وسلم بعث العلاء الحضرمي في غزاة فحال بينهم وبين المطول قطعة من الجمر فبعا

باسم الله الاعظم وشعاعى الماء وفي كتب الصوفية من هذا الباب روايات متجاوزة عن
الحذ والخبر فمن أرادها طالعها وأما الدلائل العقلية على جواز الكرامات فمن وجوه الأول
أنه صلى الله عليه وسلم قال ما يكمن رب العزة من آذى لى وليا فقد بارزته بالمحاربة فجعل إذا
الولى قائما مقام إذاه وتأس كدهذا بالخبر المشهور أنه تعالى يقول يوم القيامة يا ابن آدم
مرضت فلم تعدنى استسقى قبلى استطعمته فكأطعمتهنى فيقول يا رب كيف أفعل
هذا وأنت رب العالمين فيقول إن عبدى فلان مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدت
ذلك عندى وكذا فى السقى والإطعام فدلّت هذه الأخبار على أن أولياء الله يبلغون هذه
الدرجات العالية والمراتب الشريفة فإذا جاز اتصال العبد إلى هذه الدرجات فأى بعد أن
يعطيه الله تعالى كسرة خبز أو جرعة ماء أو يسخر له كلبا أو دودة الوجه الثانى أنه صلى الله
عليه وسلم قال عن رب العزة ما تقرب إلى عبدى بمثل أداما ما اقترض عليه ولا يزال يتقرب إلى
بالتواضع حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا وقلبا ولسانا ويذا ورجلا فبى يسمع
وبى يصر وبى ينطق وبى يعشى وهذا الخبر يدل على أنه لم يقف في سمعهم نصيب لغير الله تعالى لما
قال أنا سمعه وأنا بصره وهذا المقام أشرف من تضرع الحية والسبع وإعطاه عنقود من العنب
أو شربة من الماء فلبا وصل برحمته عبده إلى هذه الدرجات العالية فأى بعد أن يعطيه رغبنا
واحدا أو شربة من الماء فى مقاراة الوجه الثالث لو امتنع اظهار الكرامة لكان ذلك أمّا
لاجل أن الله تعالى ليس أهلا لأن يفعل مثل هذا الفعل ولا لاجل أن المؤمن ليس أهلا لأن
يعطيه الله هذه العطية والأول قدح فى قدرة الله تعالى وهو كفى والثانى باطل فان معرفة
الله تعالى ومحبيه وطاعته والمواظبة على ذكر تقديسه وتعبده وتهليله أشرف من إعطا
ورغبت واحد فى مقاراة وتضخيم حجة أو أسد فان إعطاء المحبة والذكر والشكر من غير قال
أولى من أن يعطيه شربة ماء فى مقاراة فأى بعد فيه واحتج المنكر للكرامات بوجوه الأول أن
ظهور الفعل الخارج للعادة جعله الله تعالى دليلا على النبوة فلو حصل لغير النبي لبطلت هذه
الدلالة الوجه الثانى أن الله تعالى قال وتحمل أنفالكى إلى بلدكم تكونوا بالغىة لا بشق
الانفس والقول بأن الولى ينتقل من بلد إلى بلد بعيد لا على هذا الوجه طعن فى هذه الآية
وأى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل من مكة إلى المدينة إلا فى أيام كثيرة مع التعب الشديد
فكيف يعقل أن يقال إن الولى ينتقل من بلد نفسه إلى الحج فى اليوم الواحد الوجه الثالث
أن هذا الولى الذى يظهر عليه الكرامات إذا ادعى على انسان درهما واحدا فهل يطلب
بالينة أم لا فان طالبها بها كان عبثا لان ظهور الكرامة عليه يدل على أنه لا يكذب ومع قيام
الدليل القاطع كيف يطلب الدليل الظنى وإن لم يطلب بها فقد تركا قوله صلى الله عليه وسلم
الينة على المدعى فهذا يدل على أن القول بالكرامة باطل وأجيب عن الأول بأن الناس
اختلفوا هل يجوز للولى دعوى الولاية فقال قوم من المحققين أنه لا يجوز فعلى هذا الفرق بين
المجبرة والكرامة أن المجبرة تكون مسبوقة بدعوى النبوة والكرامة لا تكون مسبوقة

بدعوى الولاية وعلى القول بالجواز الفرق بينهما أن النبي يدعى المجزة ويقطع بها والولى إذا
 ادعى الكرامة لا يقطع بها لأن المجزى يجب ظهوره والكرامة لا يجب ظهورها وأجيب عن
 الثانى بأن قوله تعالى ويحمل انقالكم الى آخره محمول على المعهود المتعارف وكرامات الاولياء
 أحوال نادرة تنصير للمستنيين من ذلك العموم المتعارف وأجيب عن الثالث بأن الفضل
 بالامور النادرة لا يقول عليه فى الشرع فلا ينافى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم النبى على
 المدعى ومع هذا فصاحب الكرامة يجب عليه أن يكون خاتما وجلا ولهذا قال المحققون أكثر
 ما حصل الانقطاع عن حضرة الله انما وقع فى مقام الكرامات فلا جرم رى المحققين يخافون
 من الكرامات كما يخافون من أشد أنواع البلاء والذي يدل على أن الاستئناس بالكرامة
 قاطع عن الطريق وجوده الاول أن الكرامات أسماء مغايرة للحق سبحانه وتعالى فالفرح
 بالكرامة فرح بغير الحق والفرح بغير الحق حجاب والمحبوب عن الحق كيف يليق به الفرح
 والسرور الوجه الثانى أن من اعتقد فى نفسه أنه صار مستحقا للكرامة بسبب عمله حصل
 لعمله وقع عظيم فى قلبه ومن كان لعمله وقع عظيم فى قلبه كان جاهلا اذ لو عرف ربه لعلم ان كل
 طاعات الخلق فى جنب جلاله تقصير وكل شكر فى جنب آلاله ونعماته قصور وكل معارفهم
 وعلومهم فهى فى مقابلة عزه حميرة وجهل وجدت فى بعض الكتب أنه قرئ فى مجلس الاستاذ
 أبى على الذفاق قوله تعالى اليه بعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فقال علامة أن
 الحق رفع علمك أن لا يبقى عندك مرتقى علمك فى نظرك فان بقى علمك فى نظرك فهو غير مرفوع
 وان لم يبق علمك فى نظرك فهو مرفوع مقبول الوجه الثالث أن صاحب الكرامة انما
 وجد الكرامة لاظهار الذل والتضرع فى حضرة الله تعالى فاذا ترفع وتكبر وتجبر بسبب
 الكرامات فقد تبطل مابه وصل الى الكرامات فهذا الطريق يؤدى ثبوته الى عدمه فكان
 مردودا ولهذا المعنى الماذكر صلى الله عليه وسلم مناقب نفسه وفضائلها كان يقول فى آخر كل
 واحد منها ولا تخفى لا تخفى هذه الكرامات وانما أخفى بالمكرم والمعطى الوجه الرابع أنه
 تعالى وصف عباده المخلصين بقوله تعالى ويدعوننا رغبا أى فى ثوابنا ورغبا أى من عذابنا وقبل
 رغبا فى صلاتنا ورغبا من عقابنا قال بعض المحققين والاحسن أن يقال رغبا فيساور رغبا وقبل
 هذا التقدير كفاية لا ولى الالباب جعلنا الله تعالى وأحبنا من أهل ولايته بحمد صلى الله
 عليه وسلم وآله وصحبه * ثم لادل اشتمال القرآن على قصة أصحاب الكهف من حيث انهم امن
 المغيبات بالاضافة الى النبي صلى الله عليه وسلم على أنه وحى مجزأ أمره أن يداوم درسه و يلزم
 أصحابه بقوله تعالى (واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك) أى القرآن واتبع ما فيه واعمل بما فيه
 (لا مبتدأ لكلماته) أى لا أحد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره وقال بعضهم مقتضى هذا أن
 لا يتطرق النسخ اليه وأجاب بأن النسخ فى الحقيقة ليس تبديلا لأن النسخ ثابت فى وقته الى
 وقت طريان النسخ فالنسخ كالمغاير فكيف يكون تبديلا وهذا الاحتجاج اليه مع التفسير
 المذكور (ولن يمد من دونه) أى الله (ملتجدا) أى ملها فى البيان والارشاد وقبل ان لم تتبع

القرآن « ونزل في عينه بن حسن القرظاري لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده
 جماعة من الفقراء منهم سلمان الفارسي وعليه ثوب قد عرق فيها ريده خوص يشقه ثم يشبهه
 فقال له أباؤ ذكريم هؤلاء ونحن سادات معضروا شرافها فان أسلمنا أسلم الناس وما يمننا من
 ابتاعك الا هؤلاء أي كما قال قوم نوح أنؤمن لك واتبعك الأوزلون ففهم حتى تبعك وأجعل لنا
 مجلسا واجعل لهم مجلسا (واصبر نفسك أي احبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم) وتظهر هذه
 الآية قد سبق في سورة الانعام وهو قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
 يريدون وجهه ففي تلك الآية نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طردهم وفي هذه الآية
 أمره بمجالستهم والمصاهرة معهم وفي قوله تعالى (بالغداة والعشي) وجوه الاول انه يحرم
 مواظبتهم على هذا العمل في كل الاوقات كقول القائل ليس لفلان عمل بالغداة والعشي
 الا شتم الناس الثاني المراد صلاة الفجر والعصر الثالث أن المراد الغداة وهو الوقت
 الذي ينتقل فيه الانسان من النوم الى اليقظة وهذا الانتقال شبهه بالانتقال من الموت الى
 الحياة والعشي هو الوقت الذي ينتقل الانسان فيه من الحياة الى الموت ومن اليقظة الى النوم
 والانسان العاقل يكون في هذين الوقتين كثير الذكركه تعالى عظيم الشكر لآله الله ونعمائه
 وقرأ ابن عامر بضم الغين المججمة وسكون الدال وبعدها واو مفتوحة والباقون بفتح الغين
 والدال وألقب بعدها والرسم في المحصف بالواو وهنا وفي سورة الانعام (يريدون) بعبادتهم
 (وجهه) تعالى أي رضاه وطاعته لاشيأ من اعراض الدنيا (ولا تعد) أي تنصرف
 (عينك عنهم) الى غيرهم وعبر بالعنين عن صاحبهما نهى صلى الله عليه وسلم أن يصرف بصره
 ونفسه عنهم لاجل رغبته في مجالسة الاغنياء لعلمهم يؤمنون وقوله تعالى (تريد زينة الحياة
 الدنيا) في موضع الحال أي انك ان فعلت ذلك لم يكن اقدامك عليه الا لرغبتك في زينة الحياة
 الدنيا ولما بالغ تعالى في أمره في مجالسة الفقراء من المسلمين بالغ في النهي عن الالتفات الى
 أقوال الاغنياء والمتكبرين بقوله تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أي جع لنا قلبه
 غافلا عن ذكرنا أي عينة بن حسن وقيل أمية بن خلف (اتبع هواه) أي في طلب الشهوات
 (وكان أمره فرطاً) أي اسرافاً وباطلاً وهذا يدل على أن أشرف أحوال الانسان أن يكون قلبه
 خالياً عن ذكر الحق ويكون ملوئاً من الهوى الداعي الى الاشتغال بالخلق لان ذكر الله تعالى
 نور وذكر غيره ظلمة لان الوجود طبيعة الثور والعدم منبع الظلمة والحق تعالى واجب الوجود
 لذاته فكان النور الحق هو الله تعالى وما سواه فهو محكم الوجود لذاته والامكان طبيعة عدمية
 فكان منبع الظلمة فالقلب اذا أشرق فيه ذكر الله تعالى فقد حصل فيه النور والضوء والاشراق
 واذا توجه القلب الى الخلق فقد حصل فيه الظلم والظلمة بل التللمات فلهذا السبب اذا عرض
 القلب عن الحق وأقبل على الخلق فهو الظلمة الخالصة التامة والاعراض عن الحق هو المراد
 بقوله تعالى أغفلنا قلبه عن ذكرنا والاقبال على الخلق هو المراد بقوله تعالى واتبع هواه روي
 أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال كنت جالساً في عصابة من متخفي المهاجرين وان بعضهم

ليستبريع بعض من القرى وقارى بقر آمن القرآن لحاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
 ما الذى كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله كان واحد بقر آمن القرآن ونحن نسمع فقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعل من أمتي من أمرت أن أصبر يقضى معهم ثم جلس
 وسطنا وقال أنبشروا يا معاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة قد خلون الجنة قبل الاغنيا
 بمقدار خمسمائة سنة ولما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن لا يلتفت الى أولئك
 الاغنيا الذين قالوا ان طردت القرءاء آمنابك قال تعالى بعده (وقل الحق) أى وقل لهؤلاء
 وغيرهم هذا الذى جئتكم به فى أمر أهل الكهف وغيرهم من هذا الوجه العربى المعرى عن
 العوج الظاهر الاعجاز الباهر الخج الحق كانوا (من ربكم) المحسن اليكم فى أمر أهل الكهف
 وغيرهم من صبر نفسى مع المؤمنين والاعراض عن سواهم وغير ذلك لما قلتموه فى أمرهم
 ويجوز أن يكون الحق مبتدأ وخبره الجار بعده (فمن شاء) أى منكم ومن غيركم (فليؤمن) بهذا
 الذى قصصناه فيهم وفى غيرهم فهو مفعول مرغوب فيه وان كان فقير ارث الهبة ولم يسمع
 الانفسه (ومن شاء) منكم ومن غيركم (فليكفر) فهو أهل لان يعرض عنه ولا يلتفت اليه وان
 كل أغنى الناس وأحسنهم هيئة وان تعاطفت هيئة وهذا لا يقتضى استقلال العبد بقله كما
 تقول المعتزلة فمن ابن عباس فى معنى الآية من شاء الله الايمان آمن ومن شاءه الكفر كفر
 ونقل عن على بن رضى الله عنه أنه قال هذه الصبيحة تهدد ووعيد أى فهى كقوله تعالى اعملوا
 ما شئتم فان الله تعالى لا ينفع بايمان المؤمنين ولا يستضر بكفر الكافرين بل نفع الايمان يعود
 على المؤمن وضرب الكفر يعود على الكافر كما قال تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانسكم وان
 أسأتم فلها ولما هدد السامعين بما حاصله ليختار كل امرئ لنفسه ما يجده غدا عند الله آسعه
 بذلك الوعيد والافعال الباطلة وبذكر الوعد على الايمان والاعمال الصالحة أما الوعيد فقوله
 تعالى (انا عندنا) أى هيا بنا بما لنا من العظمة والقدرة (الظالمين) أى لمن أنف عن قبول الحق
 لاجل ان الذين قبلوه فقراء ومساكين وكذا كل من لم يؤمن (نارا) وهى الجحيم ثم وصف الله
 تعالى تلك النار بصفتين الاولى قوله تعالى (أحاط بهم) كلهم (سرادقها) أى فسطاطها شبه به
 ما يحيط بهم من النار وقيل هو الحجر التى تكون حول الفسطاط وقيل حائط من نار والمراد أنه
 لا يخلص لهم منها ولا فرجة يتفرجون بالنظر الى ما وراءها من غير النار بل هى محبطة من كل
 الجوانب وقيل هو دخان يغشاهم قبل دخولهم النار يحيط بهم كالسرادق حول الفسطاط
 الصفة الثانية قوله تعالى (وان يستغيثوا) أى يطلبوا الغوث (يغاثوا بجما) ووصف هذا الماء
 بصفتين الاولى قوله تعالى (كالهل) وهو كما فى حديث مرفوع دردى الزيت وعن ابن مسعود
 أنه دخل بيت المال وأخرج تساعة كانت فيه وأوقد عليها النار حتى تلا لاث ثم قال هذا هو
 المهمل وقال أبو عبيدة والاحقش كل شئ أذنبته من لحاس أذهب أوقضه فهو المهمل وقيل أنه
 الصديد والقيح وقيل أنه ضرب من القطران ثم يحتمل أن تكون هذه الاستعانة لانهم طلبوا ماء
 للشرب فخطئون هذا المهمل قال تعالى صلى نارا حافية تسقى من هين آية ثم يحتمل أن يستغيثوا

من جر جهنم في طلبوا ما يصوبونه على أنفسهم للشرب فيعطون هذا الماء قال تعالى حكاه عنهم
 أنفخوا علينا من الماء وقال تعالى في آية أخرى سري لهم من قطران وتغشى وجوههم النار
 فإذا استغاثوا من جر جهنم صب عليهم القطران الذي يعم كل أبدانهم كالقميص والصفة
 الثانية للماء قوله تعالى (يشوى الوجوه) أى إذا قرب إلى الفم لشرب فكيف بالقوم والجوف ثم
 وصل تعالى بذلك ذمته فقال تعالى (يشى الشراب) أى ذلك الماء الذى هو كاللؤلؤ لأن المقصود
 من شرب الشراب تسكين الحرارة وهذا يبلغ في أحرار الإنسان بلقاء طغيانهم عطف عليه ذم
 النار المعذبة لهم بقوله تعالى (وساءت) أى الدار وقوله تعالى (مرتققا) يتميز بقول من القائل
 أى قبح مرتققا وهو مقابل لقوله تعالى الآتى في الجنة وحسن مرتققا والآتى ارتفاق
 في النار. ولما ذكر تعالى وعيد المبطلين أردفه بوعيد المحققين فقال تعالى (إن الذين آمنوا)
 ولما كان الإيمان هو الأذعان للأوامر عطف عليه ما يحقق ذلك بقوله تعالى (وعملوا الصالحات)
 ثم عظم جزاءهم بقوله تعالى (إننا لنضيق) أى بوجه من الوجوه (أجر من أحسن عملا) وهذه
 الجملة خبران الذين وفيها إقامة الظاهر مقام الضمير والمعنى أجرهم أى شيهم بما نضيقه (أو لئن
 لهم جنات عدن) أى إقامة فكأنه قيل قالهم فيها فقيل (تجبرون من تحتهم) أى من تحت
 منازلهم (الأنهار) وذلك لأن أفضل المساكن ما كان تجرى فيه الأنهار والماء فكأنه قيل
 ثم ماذا فقيل (يحملون فيها) وفى القفل للمجهول لأن المقصود وجود التعلية وهى لزمتها
 التمايؤق بها من الغيب فضلا من الله تعالى. ولما كانت نعم الله لا تحصى نوعا قال تعالى
 مبعضا (من أساور) جمع أسورة كاحرة جمع سوار كإبليس ذلك مالوك الدينان من جبابرة الكفرة
 في بعض الأقاليم كأهل فارس وقيل من زائدة وقيل للأبداء ومن فى قوله تعالى (من ذهب)
 للبيان صفة لأساور وتكبرها لتعظيم جنسها عن الإحاطة به وقيل للتبعض. ولما كان
 القباس جزاء العمل فكان موجودا عندهم أسند الفعل اليهم فقال (ويلبسون مياها خضرا)
 لأن الخضره أحسن الألوان وأكثرها طراوة ثم وصفها بقوله تعالى (من سندس) وهو مارق
 من الدياج (واسترق) وهو ما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على أن فيها ما تشتهى
 النفس وتلد الأعين وفى آية أخرى بطانتها من استبرق فيكون الغليظ بطانة للرفيق ثم استأنف
 الوصف عن حال جلوسهم فيها بأنه جلوس الملوك المتفكرين من النعم فقال تعالى (متكئين فيها)
 أى لأنهم فى غاية الراحة (على الأرائك) جمع أربكة وهى السرير فى الجملة وهى يتزين
 بالتياب والستور والعروس ثم مدح هذا بقوله تعالى (نعم الثواب) أى الجزاء الجنة لولم يكن لها
 وصف غير ما سمعت فكيف ولها من الأوصاف ما لا يعلمه حق علمه إلا الله تعالى وإلى ذلك أشار
 بقوله تعالى (وحسن) أى الجنة كلها وبين ذلك بقوله تعالى (مرتققا) أى مقررا ومرتققا
 ويجلسوا لما انفقر الكفار بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين بين الله تعالى أن ذلك مما
 لا يوجب الانتصار لاحتفال أن يصير الفقير غنيا والغنى فقيرا وأما الذى يجب الانتصار به
 فطاعة الله تعالى وعبادته وهى حاصلة لفقراء المؤمنين وبين ذلك بضرب هذا المثل المذكور

بقوله تعالى (واضرب لهم) أي لهؤلاء الأغنياء المتعبرين الذين يستكبرون على المؤمنين
ويطلبون طردهم لضعفهم وفقيرهم (مثلاً) لما آتاهم الله من زينة الحياة الدنيا واعتمدوا عليه
وركنوا إليه ولم يشكروا من آتاهم إياه عليه بل آذاهم إلى الافتقار والتكبر على من زوى ذلك
عنه أكراماً له ومباعدة عنه (رجلين) إلى آخر الآية واختلف في سبب نزولها فقيل نزلت في رجلين
من أهل مكة من بني مخزوم أحدهما مؤمن وهو أبو سلمة وكان زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم والآخر كافر وهو الأسود بن عبد المطلب وهما ابنا عبد الأسد بن عبد المطلب وقيل
مثال العيينة بن حصن وأصحابه مع سلمان وأصحابه شبههم ما برجلين من بني أسرايسل أخوين
أحدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس وقال مقاتل غلبوا والآخر كافر واسمه فطروس
وقال وهب قطرق وهما اللذان وصفهما الله تعالى في سورة الصافات وكانت قصتهما على ما حكى
عبد الله بن المبارك عن معمر بن عطاء الخراساني قال كانا رجلين شريكين لهما غنمية آلاف
دينار وقيل كانا أخوين ورواها عن أبيهما غنمية آلاف دينار فاقسماها فاشترى أحدهما أرضاً
بألف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلان قد اشترى أرضاً بألف دينار واني مشتري منك أرضاً في
الجنة بألف دينار فقصه في بهائم ان صاحبه بنى داراً بألف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلان
بنى داراً بألف دينار واني اشتريت منك داراً في الجنة بألف دينار فقصه في بهائم ثم تزوج
صاحبه امرأته فاتفق عليها ألف دينار فقال هذا اللهم اني أخطب اليك من نساء الجنة
بألف دينار فقصه في بهائم ان صاحبه اشترى خدماً ومطاعاً بألف دينار فقال هذا اللهم اني
اشترى خدماً ومطاعاً من الجنة بألف دينار فقصه في بهائم أصابته حاجة شديدة فقال
لو أتيت صاحبني لعل ينالني منه معروف فجلس على مرقعه حتى مر به في حشمة فقام إليه
ف نظر إليه الآخر فرفعه فقال فلان قال نعم قال ماشاً نك قال أصابني حاجة بعدك فأنت
لتعيني بخبر قال فافعل مالك وقد اقسما ما لا وأخذت شرطه فقص عليه قصته فقال وانك
لمن المصدقين بهذا اذهب فلا أعطيك شيء فطرده وروى انه لما أتاه أخذه يده فجعل يطوف
به ويريه أموال نفسه فقتل فيهما واضرب لهم مثلاً رجلين أي اذكر لهم خبر رجلين (جعلنا
لأحدهما جنتين) أي يستاتين بسر ما فيهما من الاشجار من يدخلهما (من أعقاب) لانهم من
أشجار البساتين الباردة وتصبر على الحر وهي فاكهة وقوت بالعنب والزبيب والخل وغيرها
ثم انه تعالى وصف الجنتين بصفات الصفة الاولى قوله تعالى (وجعلناهما) أي أطقناهما
من جواريهما (يخجل) لانهما من أشجار البساتين الباردة وتصبر على الحر وربما منعتهما عن الاعقاب
بعض أسباب الصاعقات وغيرها فاكهة بالبسر والرطب وقوت بالتمر والخل فكان الثقل
كلاً كليل من رواء العنب (تنبه) الحفاف الجانب وجهه أحفة يقال أحف به القوم أي
أطافوا بجواريه الصفة الثانية قوله تعالى (وجعلنا بينهما) أي أرضي الجنتين (وربما) بعد
شعول الآفة لكل لأن زمان الزرع ومكانه غير زمان غمار الثبر ومكانه وذلك هو الصفة في
القوت فكانت الجنتان أرضاً جامعة تخير القاه كاهة وأفضل الاقوات وعمرتهما متواصلة

متشابهة لم توسطها ما يقطعهما ويفصل بينهما مع سعة الأطراف وساعد الأكاف وحسن
 الهيئات والوصاف الصفة الثالثة قوله تعالى (كلما) أي كل واحدة من (الجنيتين) المذكورتين
 (آتت أكلها) أي ما يطلب منها ويؤكل من غروب كمالا غير منسوب شيء منها إلى نقص
 ولا رداءة وهو بمعنى (ولم تظلم) أي ولم تنقص (منه شيئا) يعهد في سائر البساتين فإن الثمار
 تتم في عام وتنقص في عام غالبا والظلم النقصان تقول الرجل ظلمي حتى أي نقصني * (تنبيه) *
 كلا اسم مفرد معرفة يؤكده مذكران معرفتان وكلتا اسم مفرد معرفة يؤكده مؤنسان
 معرفتان وانما إذا أضيف إلى المظهر كأنما بالآلات في الأحوال الثلاثة كقولك جاءني كلاً أخويك
 ورأيت كلاً أخويك ومررت بكلاً أخويك وجاءني كلاً أخيك ورأيت كلاً أخيك ومررت
 بكلاً أخيك وإذا أضيف إلى المظهر كأنما بالرفع بالالف وفي الجر والنصب بالياء وبعضهم يقول
 مع المظهر بالالف في الأحوال الثلاثة أيضا فقله تعالى آتت أكلها حمل على اللفظ لأن كلاً
 لفظ مفرد ولو قبل آتت على المعنى لجاز الصفة الرابعة قوله تعالى (وجرنا خلاهما نورا) أي
 وسطهما ما بينهما ومنه قوله تعالى ولا وضعوا خلا لکم ومنه يقال خللت القوم أي دخلت
 القوم وذلك ليدوم شربهما ويستغنيا عن المطر عند القحط ويرزقهما الصفة الخامسة
 قوله تعالى (وكان له) أي صاحب الجنيتين (عمر) أي أنواع من المال سوى الجنيتين قال ابن
 عباس من ذهب وفضة وغير ذلك من أغرماله إذا كثروا عن مجاهد الذهب والفضة خاصة أي كان
 مع الجنيتين أشياء من الأموال ليكون متمكنا من العمار بالاعوان والآلات وجميع ما يريد
 وقرأ أبو عمرو وعمرنا وعمره الآتي يسكن الميم فيه ما بعد ضم الشاء المثناة وقرأ عاصم بفتح
 المثناة والميم فيهما والباقيون بضم المثناة والميم فيهما ذكر أهل اللغة أن الضم أنواع المال
 من الذهب والفضة وغيرهما وبالفتح جل الشجر قال قطرب وكان أبو عمرو بن العلاء يقول الثمر
 المال والولد وأنشد للعرث بن حزمة

ولقد رأيت معاشرًا • قد أغروا مالاً وولدا

وقال النابغة مهلا فداء لك الأقوام كلهم • وما أغرم من مال ومن ولد

(فقال) أي هذا الكافر (لصاحبه) أي المسلم المجعول مثلاً للفقراء المؤمنين (وهو) أي صاحب
 الجنيتين (يحاووه) أي راجعه الكلام من جار يحو إذا رجع اقتضار عليه وتقيص حاله بالنسبة
 إليه والمسلم يحاووه بالوعظ وتقيص الركون إلى الدنيا (أنا أكرمك مالا) لما تزي من جناتي
 ونجاري وقرأنا فبعد ألف بعد النون والباقيون بالقصر هذا في الوصل وأما في الوقف فبالالف
 للجميع وسكن فالون وأبو عمرو والسكاسي هاهو هو وضمها الباقيون وورق ورش واه يحاووه
 (وأعز نورا) أي فاساقمهم ومن معي في المهمات وينفعون عند الضرورات لأن ذلك لازم لكثرة
 المال غالباً وتزى أكثر الأغنياء من المسلمين وإن لم يطلقوا غنل هذا أسنهم فإن السنة
 أحوالهم ناطقة به منادية عليه (ودخل جنته) بصاحبه بطوف به فيها بقرمها وأفرد
 الجنة لإرادة الجنس ودلالة ما أفاده الكلام من أنهم ما لا اتصالهما كالجنة الواحدة واشتراك

الى أنه لاجنة له غيرها لانه لاحظ له في الآخرة (وهو) أي والحال أنه (طالم لنفسه) لاعتقاده على ماله والاعراض عن ربه ثم استأنف بيان ظلمه بقوله تعالى (قال ما أظن أن تعبدوا) أي (هذه) أي الجنة (أبداً) أطول أمه وتقادى غفاته واعتباره بجهله ثم زاد في الطغيان والبطر بقصر النظر على الحاضر فأنكر البعث بقوله (وما أظن الساعة قائمة) أي كأنه استلذذ بما هو فيه واخلاص اليه واعتماد عليه وقوله (ولئن رددت إلى ربي) المحسن إلى في هذه الدار في الساعة أقسام منه على أنه ان رداً إلى ربه على سبيل القرض والتقدير وعلى ما يرضهم صاحبه أن الساعة قائمة (لاحدث خبراً منها) أي من هذه الجنة (منقلباً) أي مرجعاً لانه لم يعطى الجنة في الدنيا الالهية في الآخرة أفضل منها قال ذلك طمعاً وتنبأ على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما أولاه الحسنيين الاستحقاق واستثناه وأن معه هذا الاستحقاق أن يمتاوجه كقوله ان إلى عنده الحسن لا وتبين ما لا ولدا (قال له صاحبه) أي المؤمن (وهو) أي والحال أن ذلك صاحب (يتحاوره) أي راجعه منكر عليه (أكفرت بالذي خلقك من تراب) أي خلق أصلك آدم من تراب لأن خلق أصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقاً له (ثم من نطفة) متولدة من أغذية أصلها تراب هي مادّة القرية (ثم سوّك) أي عدك بعد أن أولدك وطورك في أطوار النساء (رجلاً) أي كلك انساناً ذكر ابناً لفاصل الرجال جعل كفرة بالبعث كفرة بالله تعالى لأن منشأه الشك في كمال قدرة الله تعالى ولذلك ترتب الانتكار على خلقه إياه من التراب فإن من قدر على بد خلقه مرة قدر على أن يبعده منه ولما أنكر على صاحبه أخبر عن اعتقاده بما يصاد اعتقاد صاحبه فقال مؤكداً لاجل انكار صاحبه مستدركاً لاجل كفرانه (لكأ) أصله لكن أنا قلت حركة الهمزة إلى النون وحذفت الهمزة ثم أدغمت النون في مثلها كما قال القائل

وترميني بالطرف أي أنت مذهب * وتقليني لكن اياك لا أقل

أي لكن انا لا أقلك * ولما كان سبحانه وتعالى لا شيء أظهر منه ولا شيء أبطن منه أشار إلى ذلك جميعاً بأخباره قبل الذكر فقال (هو) أي الظاهر أنه ظهور فلا يخفى أصلاً ويجوز أن يكون الضمير الذي خلقك (الله) أي المحيط بصفات الكمال (ربّي) وحده لم يحسن إلى خلقاً ورزقاً أحده غيره وهذا اعتقادي في الماضي والحال وقرأ ابن عامر بأشياء الالف بعد النون وقفاً ووصلًا لاتباع المرسوم والباقيون بأشياء الالف بعد النون وقفاً وحذفوا وصلًا (فان قيل) قوله لكأ استدراك لماذا (أجيب) بأنه لقوله أكفرت فكأنه قال لاخيه أكفرت بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرو حاضر وذكر القفال في قول المؤمن (ولا أشرك بربي) أي المحسن إلى في عبادتي (أحدًا) وجوهاً أحدها أنني لا أرى الفقر والغنى الآمنه فأجده إذا أعطى وأصبر إذا ابتلى ولا أكفر عند ما ينعم علي ولا أرى كثرة الأموال والأهوان من نفسي وذلك لأن الكفر لما اعتد بكثرة المال والجاه فكأنه قد أثبت لله شريكاً في إعلاء الهرم والغنى وثابت للعل ذلك الكافر مع كونه منكر البعث كان عابدهم فبين هذا

المؤمن فساد قوله بالثبات الشركاء وثالثها ان هذا الكافر لما عجز الله تعالى عن البعث والحشر
فقد جعله مسلوا للخلق في هذا العجز واذا أثبت المساواة فقد أثبت الشريك ثم قال المؤمن
للكافر (ولولا اذى) أى وهلا حين (دخلت جننتك قلت) عند انهما بل فيها ما يدل على تقوى من
الامر فيها وفي غيرها الى الله تعالى وهو (ما شاء الله) أى الامر ما شاء الله أو ما شاء الله كان على
ان ما موصولة أى واى شئ شاء الله كان على أنهم اسرطبة والجواب محذوف أى اقرارا بانها
وما فيها بعينة الله تعالى ان شاء أياها وان شاء أهلها وقرأ ابن ذكوان وصرة بالاحالة
والباقون بالفتح واذا وقف جزء وهشام على شاء أبدل الهزمة القامع المد والتوسط والقصر
وأظهر اذ عند الدال نافع وابن كثير وعاصم والباقون بالادغام وهلا قلت (لا قوة الا بالله)
اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وأن ما تبسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبعمونة الله تعالى
واقداره أو لا يقوى أحد في بدنه ولا في غير ذلك الا بالله وفي الحديث من أعطى خيرا من أهل
أعمال فيقول عند ذلك ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يرفعه مكرها ثم ان المؤمن لما أعلم الكافر
بالإيمان أجابه عن اختياره بالمال والنفس فقال (ان ترى أنا أقل منك مالا وولدا) أى
من جهة المال والولد ويحتمل أن يكون أنا فصلا وأن يكون تأ كيدا للمفعول الاول
وقرأ قالون وأبو عمرو وبائبات الياء وصلوا وحذفها وقفوا وابن كثير باثباتها وصلوا وقفوا
والباقون بالحذف وقفوا وصلوا وقوله تعالى (فعمى ربى) أى المحسن الى (أن يوتى) من
خزائن رزقه (خيرا من جنك) اتمنى الدنيا وما فى الآخرة لا يمانى جواب الشرط (ويزل)
عليها) أى جنك (حسبنا) جمع حسبانة أى صواعق (من السماء خصب) بعد كونهم اقترعوا لعين
بما تهر به من الانجرار والزروع (صعيدا زلقا) أى أرضا مسلا مستصفا باستتصال بينا منها وأنجرارها
فلا يثبت فيها نبات ولا يثبت عليها قدم وقوله (أو يصبح ماؤها غورا) أى غائرا فى الارض لاستتاله
الايدي والدلا مصدر وصف به كالزلق (فلن نستطيع) أنت (له) أى الماء الغائر (طلبنا) يصير
بحيث لا تقدر على رده الى موضعه ثم انه أخبر الله تعالى أنه حقق ما قدره هذا المؤمن فقال
(وأحبط) أى وقعت الاحاطة بالهالكين للمفعول لان النكد حاصل باحاطة الهالكين من غير
تطرائل فاعل مخصوص والدلالة على سهولته (بقره) أى الرجل المشرك كله واستوصل هالكنا
طاف السهل منه وما فى الجبل وما يصبر منه على البرد والحر وما لا يصبر قال بعض المفسرين ان
الله تعالى أرسل عليها نارا فاهالكتها وغار ماؤها (فأصبح يقلب كفيه) ندما وضرب احداهما
على الاخرى فحسرا فقلب الكفين كناية عن الندم والتعسر لان النادم يقلب كفيه فظهر
لبطن كناية عن ذلك بعض الكف والسقوط فى البدلانه فى معنى التدم فعلى تعديته كآية
قبل فأصبح ندما (على ما أنفق فيها) أى فى عمارتها ولوعائها (وهى خاوية) أى ساقطة (على
عرونها) أى دعائمها التى كانت تحتملها سقطت على الارض وسقطت هى فوقها وقوله تعالى
(ويعزل) عطف على سلب أحوال من ضميره (يا) للتنبيه (ليلقى) تخيلا رما قاته لم يزل يرميها
عقله ودهشته وعدم اعتداله على الله تعالى من غير الشك بالاعتقاد على الغنى (يا) شركا ربى

لخدمته كما حال له حاجبه فقدم حيث لا يشقه السدم على ما قرأ في المائتي لاجل ما قاله على
 الدنيا لحرصا على الإيمان لحصول الفوز في العقبى لقصور عقله ووقوفه مع المحسوسات
 المشاهدة (فان قيل) ان هذا الكلام يوهم ان جنته انما هلك بشوم شركه وليس مراد الان
 أنواع البلاء أكرها انما يقع للمؤمنين قال تعالى ولو لا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا
 لمن يكفر بالرحن ليموتهم سقاما من فضة ومعارج عليها يظهرون وقال صلى الله عليه وسلم خص
 البلاء بالآلئية ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل وأيضا قال باليتي لم أشرك بربى أحد افقدت
 على الشرك ورغب في التوحيد فوجب أن يصير مؤسقا لم قال تعالى بعده (ولم تكن له فئة)
 أي جماعة ممن نفره الذين اغتربهم ولا من غيرهم (ينصرونه) بما وقع فيه (من دون الله) عند
 هلاكها (وما كان) هو (منصرا) بنفسه بل ليس الامر في ذلك الا الله وحده (أجيب)
 عن الاول بأنه لما عظمت حسراته لاجل أنه أنفق عمره في تحصيل الدنيا وكان معرضا في عمره
 كله عن طلب الدين فلما ضاعت الدنيا بالكيفية بقي محروما من الدنيا والدين وعن الثاني بأنه انما
 ندع على الشرك لاعتقاده أنه لو كان موحدا غير مشرك لبقيت عليه جنته فهو وانما رغب
 في ذلك لاجل طلب الدنيا فلذلك لم يقبل الله توحيدهم وقرأ حمزة والكسائي يكن بالتحفة على
 التد كبير والباقون بالقومية على التأنيث ولما أنتج هذا المثل قطعا أنه لا أمر لغير الله تعالى
 المرجع لتصرأ وليا بعد ذلكهم ولا غنائم بعد فقرهم ولا ذلال أعدائهم بعد عزهم وكبرهم
 وانقارهم بعد اغنائمهم وحده وان غيره انما هو كالتبطل لاحقية له صرح بذلك في قوله تعالى
 (هنالك) أي في مثل هذه الشدائد العظيمة (الولاية لله) أي الذي له الكمال كله وقرأ حمزة
 والكسائي بكسر الواو أي الملك والباقون بقصمها أي النصرة وقوله تعالى (الحق) قرأه أبو عمرو
 والكسائي برفع القاف على الاستئناف واتقطع تعليلا تنبيها على ان فزعهم في مثل هذه الأزمان
 إليه تعالى دون غيره برهان قاطع على أنه الحق وما سواه باطل وان القصر بالعرض الزائل من
 أجهل الجهل وان المؤمنين لا يصيبهم فقر ولا يسوغ طردهم لاجله وأنه يوشك أن يعود فقرهم
 غنى وضعفهم قوة وقرأه الباقر بخفضها على الوصف أي الثابت الذي لا يتحول يوما ولا يزول
 ولا يقل ساعة ولا ينال ولا ولاية لتغييره بوجه (هو خير نوابا) من نواب غيره لو كان يتيب (وخير
 عقبا) أي عاقبة للمؤمنين وقرأه عاصم وحزرة بسكون القاف والباقون بضمها وانصب على التمييز
 * ولما تم المثل لدنياهم الخاصة بهم التي أنظرتهم فكانت سببا لكفاوتهم وهم يحسبون أنها
 عين اسعادهم ضرب لها الدار الدنيا العامة لجميع الناس في قلة نوابها وسرعة فنائها وان تكبر
 كان أخس منها فقال (واضر) أي صبر (لهم) أي لهؤلاء الكفار المغترين بالعرض القاني
 المقصرين بكمرة ذكر الاموال والاولاد وعزة النفر وقوله تعالى (مثل الحياة الدنيا) مفعول
 أول ثم ذكر المثل بقوله تعالى (كاه) وهو المفعول الثاني (أزنتاه) بعظمنا وقد رتبا
 وقال تعالى (من السماء) فنيها على بليغ القدرة في امساك في العلو وانزاله في وقت الحاجة
 (فاختلط) أي فتمسب وتسبب عن انزاله أنه اختلط (به نبات الارض) أي التمسب بسببه حتى

خالط بعضه بعضاً من كثرته وتكاثفه كما قال تعالى فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ولعل
 اختلط ذلك الماء بالنبات حتى روى واهتز وغما وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط
 نبات الأرض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفاً بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته
 ثم إذا انقطع ذلك بالمطر مدة جف ذلك النبات (فأصبح هشياً) أي يابساً متفرقة أجزأوه
 (تذروه) أي تشره وتفرقه (الرياح) فتذهب به والمعنى أنه تعالى شبه الدنيا بنبات حسن فيس
 فتكسر فترقه الرياح حتى يصير عاقيل كأنه بقدره الله تعالى لم يكن وقراً حزة والكسائي
 بالتوحيد والباقون بالجمع (وكان الله) أي المختص بصفات الكمال (على كل شيء) من
 دون ذلك وغيره إنشاء واقناء وعادة (مقتدراً) أزلاً وأبداً بتكوينه أولاً ونشئه وسطاً وبطلاله
 آخراً فاحوال الدنيا أيضاً كذلك تظهر أولاً في غاية الحسن والنضارة ثم تتزايد قليلاً قليلاً
 ثم تأخذ في الانحطاط إلى أن ينتهي إلى الهلاك والقناء ومثل هذا الشيء ليس للعاقل أن يتهيج به
 * (تنبيه) * قوله تعالى فأصبح يجوز أن يكون على بابه فإن أكرم ما يطرق من الآفات صباحاً
 كقوله تعالى فأصبح قلبك ضيقاً ويجوز أن يكون بمعنى صار من غير تقييد بصباح كقول القائل
 أصبحت لأجل السلاح ولا * أملك رأس البعير أنفراً

* ولما بين سبحانه وتعالى أن الدنيا سريرة الانقراض والاتضاء مشفرة على الزوال والبور
 والقضاء بين بقوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) ادخال هذا الجزئ تحت هذا الكلي
 فينعقد به قياس بين الاتج وهو أن المال والبنون زينة الحياة الدنيا ولما كانت زينة
 الحياة الدنيا سريرة الانقضاء والانقراض أنتج اتساجد بهما أن المال والبنون سريع
 الانقضاء والانقراض وما كان كذلك فانه ينتج بالعقل أن لا يقتر به أو يفرح بسببه أو يقيم له
 في نظره وزناً وهذا برهان ظاهر باهر على فساد قول أولئك المشركين الذين افتخروا على فقراء
 المؤمنين بكثرة الاموال * ثم ذكر تعالى ما يدل على رجحان أولئك الفقراء على أولئك الكفار
 من الاغنياء فقال (والباقيات الصالحات خير) أي من الزينة الفانية لأن خيرات الدنيا
 منقرضة منقضية وخيرات الآخرة دائمة باقية والدائم الباقي خير من المنقرض المنقضى وهذا
 معلوم بالضرورة لا سيما وقد ثبت أن خيرات الدنيا حقيرة خسيسة وأن خيرات الآخرة رفيعة
 شريفة والمفسرون ذكروا في الباقيات الصالحات أقوالاً أحدها أنها سبحانه الله والحمد لله
 ولا اله الا الله والله أكبر وزاد بعضهم ولا حول ولا قوة الا بالله والفرزاني في تفسيره غير الزيادة
 وجه لطيف فقال روى أن من قال سبحان الله حصل له من الثواب عشر حسنات فإذا قال
 الحمد لله صارت عشرين فإذا قال ولا اله الا الله صارت ثلاثين فإذا قال والله أكبر صارت
 أربعين وتحقيق القول فيه أن مراتب الثواب أعظمها هو الاستغراق في معرفة الله تعالى
 وفي محبته فإذا قال سبحان الله فقد عرف كونه تعالى منزهاً عن كل ما يليق به وكل ما لا ينبغي
 لحصول هذا العرفان فإذ عظمته وبهجة كاملة فإذا قال مع ذلك الحمد لله فقد أقر بأن الحق
 سبحانه وتعالى مع كونه منزهاً عن كل ما يليق به فهو المستدعى لكل ما ينبغي ولا فائضة كل خير وكال

فقد نضاعت درجات المعرفة فلا جرم قلنا بضاعة الثواب فإذا قال مع ذلك لا اله الا الله فقد أكثر
بأن الذي تنزه عن كل ما لا ينبغي وهو المبتدئ لكل ما ينبغي ليس في الوجود موجوده ~~كذا~~
الا هو الواحد فقد صارت مراتب المعرفة ثلاثة فلا جرم صارت درجات الثواب ثلاثة فإذا قال
العبد والله أكبر فعنى أنه أكبر أنه أعظم من أن يصل العقل الى كنه كبريائه وجلاله فقد صارت
مراتب المعرفة أربعة فلا جرم صارت درجات الثواب أربعة وعن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الى مما طلعت
عليه الشمس وعن أبي سعيد الخدري أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استكروا من
الباقيات الصالحات قيل وما هن يا رسول الله قال التكبير والتلهيل والتسبيح والحمد لله ولا حول
ولا قوة الا بالله ثانياً أنها الصلاة الخمس ثالثاً أنها الطيب من القول رابعاً وهو أعمالها
وأولاهما أعمال الخيرات التي تبقى غراتها أبداً لا يابى فيندرج في ذلك الصلاة وأعمال الحج
وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله والكلام
الطيب وغير ذلك من كل عمل وقول دعاء لمحبة الله تعالى ومعرفته وخدمته وأما ما دعاه من قول
أو عمل الى الاشتغال بأحوال الخلق فهو خارج عن ذلك لأن كل ماسوى الحق فهو فان لذاته
فكان الاشتغال به والاتفاق عليه باطلا وسعيًا ضائعاً وأما الحق لذاته فهو الباقي الذي لا يقبل
الزوال لا جرم كان الاشتغال بعيبته ومعرفته وطاعته وخدمته هو الذي يبقى بقاء لا يزول ولما
كان أهم ما الى من حصل البقاء ليس لكفايته بل لمن يحفظها له لوقت حاجته قال تعالى (عند ربك)
أى الجليل المواهب العالم بالعواقب وخبر من المال والبنين فى العاجل والآجل (نوابا وخبر) من
ذلك كله (أملاً) أى من جهة ما يرجوه فيها من الثواب ويرجوه فيها من الأمل لأن نوابج الى بقاء
أملها كل ساعة في تحقق وعلو وارتقاء وأمل المال والبنين يخاف أحوال ما يكون اليها وعن
قتادة كل ما أورده وجه الله تعالى خير نوابا أى ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الأمل
لأن صاحبها يأمل فى الدنيا ثواب الله ونصيبه فى الآخرة ولما بين سبحانه وتعالى خسارة الدنيا
وشرف الآخرة أوردته بأحوال يوم القيامة وذكر منها أنواعا النوع الاول قوله تعالى (ويوم)
أى واذا كرلهم يوم (نسي) بآيسر أمر (الجبال) عن وجه الارض بعواصف القدرة كالتسريبات
الارض بعد أن صار هسجا بالرياح كما قال تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى غمر من
الصحاب (تنبيه) ليس في لفظ الآية ما يدل الى أن تسيرها الرأى ويحتمل أن يقال ان الله
يسيرها الى الموضع الذى يريده ولم يبين ذلك لخلقه والحق ان المراد ان الله تعالى يسيرها الى العدم
بقوله تعالى ويستولونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا
ولا أمتا وقوله ويست الجبال بسافكات هيا متبنا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بضم
التاء القوية وفتح الباء التحتية بعد السين على فعل مالم يسم فاعله ورفع الجبال بإسناد تسير اليها
كما في قوله تعالى واذا الجبال سيرت والباقيون بالنون المضمومة وكسر الباء التحتية بعد السين
بإسناد فعل التسير اليه تعالى نفسه ونصب الجبال لكونه مفعول تسير والمعنى نحن نفعل بها ذلك

اعتبار بقوله تعالى وحشرناهم والمعنى واحدة لانها اذا سرت فغيرها ليس الا الله تعالى * النوع
 الثاني قوله تعالى (وترى الارض) بكاملها (بارزة) لانها فيها ولا صدع ولا جبل ولا بقع ولا شجر
 ولا اطل فبقيت بارزة ظاهرة ليس عليها ما يستترها وهو المراد من قوله تعالى لا ترى فيها سوا
 ولا استأويل انها ابرزت ما في بطنها وقذفت الحوق المقبورين فيها فاذا هي بارزة الجوف والبطن
 مخفض ذكر الجوف كما قال تعالى وألفت ما فيها وتحت وقال تعالى وأخرجت الارض أنثقالها
 النوع الثالث قوله تعالى (وحشرناهم) أي الخلائق قهر الى الوقت الذي تنكشف فيه الحقائق
 وتظهر القبايح والمغيبات ويقع الحساب فيه على النقيض والقطر والناقض فيه بصير (فلم تقادر)
 أي قهرنا (منهم) أي الأولين والآخرين (أحدا) لانه لا ذلول ولا عجز وتطيره قوله تعالى قل ان
 الأولين والآخرين لمجموعون الى صيقات يوم معلوم (فان قيل) ليجي بحشرناهم ما مضى بعد نصير
 وترى (أجيب) بأن ذلك يقال للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك
 الالهوال العظام كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك * ولما ذكر تعالى حشرهم وكان من المعاليم
 أنه للعرض ذكر كيفية ذلك العرض فقال بانيا الفعل للمفعول على طريقة كلام القادوسين ولأن
 الخوف العرض لا لكونه من معين (وعرضوا على ربك) المحسن اليك برفع أولئك وخفض
 أعدائك وقوله تعالى (صفا) حال أي مصطفين واختلاف في نفسه على وجوه الأول أن تعرض
 الخلق كلهم صفا واحدا الاتساع الارض ظاهرة لا يجب بعضهم بعضا ثانيا لا يبعد أن يكونوا
 صفا خف بعضهم ورا بعض مثل الصوف المحيط بالكعبة التي تكون بعضها خاف بعض
 ومعنى هذا المراد بقوله تعالى صفا صفوفا كقوله تعالى يخرجكم طفلا أي أطفالا ثالثا المراد
 بالصفا القيام كافي قوله تعالى فاذكروا اسم الله عليهم صوفا أي قياما وقيل كل أمة صفا
 ويقال لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) أي فرادى حفاة عراة غرلا وليس المراد حصول
 المساواة من كل وجه لانهم خلقوا صغارا ولا عقل لهم ولا تكليف عليهم بل المراد ما مر ويقال
 لشكري البعث (بل زعمتم أن) أي أنا (لن نجعل لكم موعدا) أي مكانا ووقتا نجتمعكم فيه هذا
 الجمع فنخبركم ما وعدناكم به على السنة رسلنا فكنتم مع التعزز على المؤمنين بالاموال
 والانصار منكرين البعث والقيامة قالان قد تركزتم الاموال والانصار في الدنيا وشهدتم أن
 القیامة والبعث حق وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قام بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نبيه
 وعدا علينا انا كفافا هذين الاوان أول خلق يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام الآوانه
 صبيحان رجال من امتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقول انك لا تدري
 ما أعدت لآدم فقالوا لا فقال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الى قوله العزيز
 الحكيم قال فقال الى انهم لم يزلوا مدبرين على أعقابهم منذ فارقتهم وفي رواية فأقول حقا
 صفا وقوله عز لا إله الا الله الغرة المظلمة التي تنقطع من جلد الذكر وهو موضع الشيطان وقوله صفا
 أي بعد الحاق بعض العلل الخزايب ولا الهذين ارتدوا من الغر ببعثه وعن عائشة رضي الله تعالى

عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا فقلت
 للرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض فقال الامر أشد من ان يهملهم ذلك زاد التسلي
 في رواية لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس على ثلاث طوائف راغبين وراهبين واثان على بعير
 وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقبل معهم حيث قالوا
 وتبيت معهم حيث باتوا ونصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا (ووضع) بعد
 العرض المستعقب للجمع بأدنى إشارة (الكتاب) المصنوط فيه دقائق الاعمال وجلالها على
 وجهه بين لا يفتنى على حارث ولا غيره شيء منه فيوضع كتاب كل انسان في يده آماني العيون واما
 في الشعال والمراد الخفس وهو مصحف الاعمال (قترى المجرمين مشفقين) أي مشاققين خوف
 العقاب من الحق وخوف القضيعة من الخلق (بمخافته) من قبانح أعمالهم وسي أفعالهم
 وأقوالهم (ويقولون) عندما ينهم ما فيه من السمات وقولهم (يا للثنين) (وبلينا) أي
 هلكتنا وهو مصدر لا فصل لمن لفظه كناية عن انه لا نديم لهم اذ ذاك الالهلاك (مال هذا
 الكتاب) أي أي شيء له حال كونه على غير حال الكتب في الدنيا (لا يغادر) أي لا يترك (صغيرة
 ولا كبيرة) من ذنوبنا وقال ابن عباس الصغيرة التيسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن
 جبير الصغيرة الهم والميسس والقبلة والكبيرة الزنا (الأحصاها) أي عدها وابتها في هذا
 الكتاب ونظيره قوله تعالى وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقوله تعالى انا كنا
 نستنسخ ما كنتم تعملون (تبيينه) ادخال التاء في الصغيرة والكبيرة على تقدير أن المراد اللفظة
 الصغيرة والكبيرة قال بعض العلماء احتجوا من الصغار قبل الكبار لأن الصغار هم التي
 جرتهم الى الكبار واحتراز من الصغار حذرا من أن تقعوا في الكبار وعن سهل بن سعد
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب مثل
 قوم نزلوا بطن واحد فجاء هذا يعود وجاء هذا يعود فطعنوا خبرهم وإن محقرات الذنوب بطونيات
 (ووجدوا ما هموا باحزرا) أي مشتبا في كتابهم (ولا ينظرون) أي الذي ركبوا بخلق القرآن
 (أحدا) منهم ولا من غيرهم في كتاب ولا عقاب ولا ثواب بل يجازي الاعداء بما يستحقونه
 فعذبا بالهم ويجازي أوليائه الذين عادوهم بما يستحقون تنعيلهم روى الامام أحمد
 في المسند عن جابر بن عبد الله أنه سافر الى عبد الله بن أبي مسرة شهريستان فاستاذن عليه
 قال فخرج بطاوبه فاعتقني واعتقته قلت حديث بلغني عنك أنك سمعت من رسول الله صلى
 الله عليه وسلم في القصص نخشيت أن غوت قبل أن أسمعه فقال سمعت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يقول يحشر الله عز وجل الناس أو قال العباد حفاة عراة بهم ما قبلت وما يهملها قال ليس
 منهم شيء ثم سادى بصوت يسمع من بعد كما يسمع من قرب أنا الملك أنا الدين لا ينبغي لأحد
 من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن
 يدخل الجنة ولا يحق من أهل النار عليه حق حتى أقتل من مقتي اللطمة قال فقلنا كيف وانا

تأتي حفاة عراة جفاة بالحسنات والسيئات وروى الرازي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أنه قال يحاسب الله النائم في القيامة على مله يوسف وأيوب وسليمان فيدعو المملوك فيقال
 ما شغلك عني فيقول جعلتني عبد الأدي فلم يفرغني فيدعو يوسف فيقول كان هذا عبدا
 مثلك فلم يمنعه ذلك أن عبدي فيؤمر به إلى النار ثم يدعو المبتلى فإذا قال شغلني بالبلاء دعا
 أيوب فيقول قد ابتليت هذا بأشدم من بلاتك فلم يمنعه ذلك من عبادتي ثم يوفي بالملك في الدنيا
 مع ما آناه الله تعالى من الغنى والسعة فيقول ما عملت فيما آتيتك فيقول شغلني الملك عن ذلك
 فيدعى سليمان فيقول هذا عبدي آتيتني أكثر مما آتيتك فلم يشغله ذلك عن عبادتي اذهب
 فلا عدرك ويؤمر به إلى النار وعن معاذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لن يزول
 قدم العبد يوم القيامة حتى يستل عن أربع عن جسده فيم أبلاه وعن عمره فيم أفناه وعن ماله
 من أين اكتسبه وفيم أفنقه وعن علمه كيف عمل به * ولما كان المقصود من ذكر الآيات
 المتقدمة الرد على القوم الذين افتخروا بأموالهم وأعوانهم على فقراء المسلمين وهذه الآية
 المذكورة في قوله تعالى (وَإِذْ كَرَّادُ قَلْبًا لِلْمَلَائِكَةِ) الذين هم أطوع شيء لا وأمرنا
 المقصود من ذكرها عين هذا المعنى وذلك لأن إبليس إنما تكبر على آدم لأنه افتخر بأصله ونسبه
 وقال خلقتني من نار وخلقته من طين وأنا أشرف منه في الأصل والنسب فكيف أسجد له
 وكيف أتواضع له وهو لا المشركون عاموا فقرءوا المسلمين بمعنى هذه المعاملة فقالوا كيف
 نجبالس هؤلاء الفقراء مع أننا أناس من أنساب شريفة وهم من أنساب باذلة ونحن أغنياء وهم
 فقراء ذكر الله تعالى هذه القصة تنبيه على أن هذه الطريقة هي نفسها طريقة إبليس حين أمره
 الله تعالى في جله الملائكة بقوله تعالى (اسجدوا لآدم) سجود الخفاء بلى وضع جبهة تحية له
 (نجدوا والابليس كان من الجن) قبل هم نوع من الملائكة فالاستثناء متصل وقيل
 هو منقطع والابليس أبو الجن فلا ذرية ذكرت معه بعد والملائكة لا ذرية لهم وكررت
 هذه القصة لهذا المقصود المذكور قال البيضاوي وهكذا ذهب كل تكرير في القرآن
 أي أعمايكز لمناسبة ذلك المحل الذي يذكر فيه (ففسق) أي خرج بتركه السجود (عن أمر
 ربه) أي سيده ومالكه المحسن إليه والقاء للسببية وفيه دليل على أن الملك لا يعصى البتة وإنما
 عصى إبليس لأنه كان خبيثا في أصله والكلام المستقصى فيه تقدم في سورة البقرة ثم أنه تعالى
 جذر عن اتباعه بقوله تعالى (أَفْتَحْذُونَهُ) الخطاب لآدم وذريته وإياهما وفيما سيأتي
 لابليس والهزة لا إنكار والتعجب أي يفسق باستحقاقكم فطرده لاجلكم فيكون ذلك سببا لأن
 تفخذه (وذرّيته) شركا لي (أولياء) لكم (من دوني) نطيعونهم بدل طاعتي وقوله تعالى
 (وهم لكم عدو) أي أعداء حال ولما كان هذا الفعل أجدر بشي بالذم وصل به قوله تعالى
 (يَسْأَلُ الظَّالِمِينَ بَدَلًا) من الله إبليس وذريته وكان الأصل لكم ولكنه أبرز الضمير لعل الفعل
 بالوصف لا فائدة التعصيم روى مجاهد عن الشعبي قال أتى لقاعد يوما إذا قبل جمال فقال
 أخبروني هل لابليس زوجة قلت إن ذلك لم ير من مشاهدته ثم ذكرت قوله تعالى أَفْتَحْذُونَهُ

وذريته أوليا من دوني فقلت أن لا تكون ذرية الامن زوجة فقلت نعم وقال قتادة يتوالدون
 كما يتوالد البوادى وقيل انه يدخل ذنبه في دبره فيبيض البيضة فتسقط عن جماعة من الشياطين
 قال مجاهد من ذرية ابليس لا قيس وللهان وهما صاحب الطهارة والصلاة والتهافت ومرة وبه
 يكتفى وزلتور وهو صاحب الاسواق يزين اللغو والايان الكاذبة ومدح السلع ونزوهو
 صاحب المصائب يزين خشم الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والاعور وهو صاحب الزنا ينخس
 في احليل الرجل ويعجز المرأة ومطوس وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها في أفواه الناس
 لا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذي اذا دخل الرجل بيته ولم يسم الله ولم يذكر الله دخل معه
 واذا أكل ولم يسم الله أكل معه قال الاعشى ربحا دخلت البيت ولم أذكر الله ولم أسلم فرايت
 مطهرة فقلت ارفعوا خاصهم ثم اذكر فأقول داسم داسم وعن عثمان بن أبي العاص قال قلت
 يا رسول الله ان الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ذلك شيطان يقال له خرب فإذا أحسسته فتعوذ بالله واتقل عن يسارك ثلاثا
 قال ففعلت ذلك فأذهب الله عني وعن أبي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للوضوء
 شيطان يقال له الوهان فاقفوا وساوس الماء وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ان ابليس يضع فرشته على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم قتله يحيى أحدهم
 فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا قال ثم يحيى أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت
 بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت قال الاعشى أراه قال فيلتزمه واخلفوا
 في عود الضمير في قوله تعالى (ما أشهدتهم) على وجوه أحدها وهو الذي ذهب اليه الاكثرون
 ان المعنى ما شهدت الذين اتخذوهم أولياء (خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم)
 أي ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى اقتلوا أنفسكم في احضار ابليس وذريته
 خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتقاد بهم في ذلك
 كما صرح به بقوله تعالى (وما كنت متخذ المضالين) أي الذين يضلون الناس ووضع الظاهر
 موضع المضمر اظهار الاضلالهم وذلالمهم (عضدا) أي اعوانا وثانيها قال الرازي وهو
 الاقوى عندي ان الضمير عائذ الى الكفار الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان لم تطرد
 عن مجلسك هؤلاء الفقراء من عندك فلانؤمن بك فكانت تعالى قال ان هؤلاء الذين اتوا
 بهذا الاقتراح القاسد والتفت الباطل ما كانوا شركاء في تدبير العالم بدليل اني
 ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم ولا اعتضدت بهم في تدبير الدنيا
 والآخرة بل هم قوم كسائر الخلق فلم أقدموا على الاقتراح القاسد قال والذي يؤكد
 هذا ان الضمير يجب عوده الى أقرب المذكورات فالأقرب في هذه الآية هو أولئك
 الكفار وهو قوله تعالى يس للظالمين بدلا والمراد بالظالمين أولئك الكفار وثالثها ان يكون المراد
 من قوله ما أشهدتهم الى آخره دون هؤلاء الكفار جاهلين بما جرى به القلم في الازل من أحوال
 السعادة والشقاوة فكانه قبل لهم السعيد من حكم الله بسعادته والشقي من حكم الله بشقاوته

في الازل وانتم غافلون عن احوال الازل فانه تعالى قال ما شهدتهم الى آخره واذا جهلتم هذه
 الحالة فكيف يمكنكم ان تحكموا بالرفعة والعلو والكمال وان غيركم بالذل والدناءة بل
 ربما صار الامر في الدنيا والاخرة على العكس مما حكمتم به * ولما قررنا على ان القول الذي قالوه
 في الافتخار على الفقراء اقتدوا فيه بابليس عا بعده الى التهويل بأحوال القيامة فقال (ويوم)
 التقدير واذ كرلهم يا محمد يوم عطفاء على قوله واذ قلنا للملائكة (يقول) أي الله يوم القيامة
 لهؤلاء الكفار تكبيرهم وقرأ جزء بالنون والباقيون بالياء (نادوا شركائي) أي ما عبد من دوني
 وقيل ابليس وذريته ثم بين تعالى ان الاضافة ليست على حقيقة بل تويج لهم فقال تعالى (الذين
 زعمتم) انهم شركائي اوشفعواكم لنعوكم من عذابي (فدعوهم) غدا يا في الجهل والضلال
 (فلم يستجيبوا لهم) أي فلم يغشواهم استهانة بهم واشتغالاً بأنفسهم فضلا عن أن يعينواهم
 (وجعلنا بينهم) أي المشركين والشركاء (موبقا) أي واديا من أوديه جهنم يهلكون فيه جميعا
 وهو من سبق بالفتح هلك نقل ابن كثير عن عبد الله بن عمر انه قال هو واد عتيق فرق به يوم القيامة
 بين أهل الهدى وأهل الضلال وقال الحسن البصري عداوة أي يؤل بهم الى الهلاك والتلف
 تقول عمر رضي الله تعالى لا يكون حبك كافا ولا بغضك تلفا أي لا يكن حبك يجر الى الكاف
 ولا بغضك يجر الى التلف وقيل الموبق البرزخ البعيد أي وجعلنا بين هؤلاء الصغار وبين
 الملائكة وميسى برزخا بعيدا يهلك فيه السارى لقرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان
 * ولما قرر سبحانه وتعالى ما لهم مع شركائهم ذكر حالهم في استمرار جهلهم فقال تعالى (ورأى
 الجرمون) أي العربيقون في الاجرام (النار) من مكان بعيد (فظنوا) ظنا (انهم واقعوها)
 أي محاطوها في تلك الساعة من غير تأخير ومهلة لشدة ما يسمعون من تغيطها وزفرها كما قال
 تعالى اذا رآتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفرا فان محاطة الذي لغيره اذا كانت قوية
 تامة يقال لها واقعة (ولم) أي والحال انهم لم (يجدوا عناءهم صرفا) أي مكانا ينصرفون اليه
 لأن الملائكة تسوقهم اليها والموضع موضع التحقق ولكن ظنهم جريا على عادتهم في الجهل
 كما قالوا اتخذ الله ولدا بغير علم وما اظن أن تبده هذه أبدا وما اظن الساعة قائمة ان تظن الاظنا
 وما نحن بمستيقنين مع قيام الادلة التي لاشك فيها وقيل الظن هنا بمعنى العلم واليقين * ولما افتخر
 هؤلاء الكفار على فقراء المسلمين بكثرة أموالهم وأتباعهم وبين الله تعالى الوجوه السكتية
 ان قولهم فاسد وشبههم باطلا ذكر فيه المثلين المتقدمين ثم قال بعده (ولقد صرنا) وأظهر
 نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم الدال وأدغمها الباقيون (في هذا القرآن) أي القيم الذي
 لا عوج فيه مع جمعه للمعاني (للناس) أي المزلزلين والثابتين وقوله (من كل مثل) صفة لمحدوف
 أي مثلا من جنس كل مثل لينعظوا واناحولنا الكلام وصرنا في كل وجه من وجوه المعاني
 وأبسننا من العبارات الرقيقة والاساليب المتناسقة ما صار بها في غرابته كالمثل يقبله كل
 من سمعه وتضرب به آباط الابل في سائر البلاد بين العباد فتسرب قلوبهم وتلهج به ألسنتهم
 فلم يقبلوه ولم يتركوا المجادلة الباطلة كما حال تعالى (وكان الانسان أكره شيئا) يتأق منه الجدال

وميزالا كثرة بقوله تعالى (جدلا) أى خصومة قال بعض المحققين والآية دالة على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جادلوه في الدين لأن المجادلة لا تحصل الا من الطرفين ولهذا قيل أراد بالانسان الكافر وقيل الآية على العموم قال ابن الخازن وهو الاصح وكذا قال البغوى فعن على رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله تعالى عنها ليلة فقال الاصليان فقلت يا رسول الله أنف سنا يد الله فإذا شاء أن يعيننا بعننا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع الى شيأ ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول وكان الانسان أكثر نبي جدلا وقال ابن عباس أراد النضر بن الحرث وجد اله في القرآن وقال الكلبي أراد به خلفا للبحمى * ولما بين سبحانه وتعالى اعراضهم بين موجهه عندهم فقال تعالى (وما منع الناس) أى الذين جادلوا بالباطل الايمان هكذا كان الاصل ولكنه عبر عن هذا المفعول الثانى بقوله (أن يؤمنوا) ليفيد التجديد وذتهم على الترتل (اذ) أى حين (جاءهم الهدى) أى القرآن على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وعطف على المفعول الثانى معبرا بمثل ماضى لما مضى قوله تعالى (ويستغفروا ربهم) أى لامانع لهم من الايمان ولا من الاستغفار والتوبة * ولما كان الاستثناء مفرغا فى بالفعل فقال (الآن) أى طلب أن تأتيهم سنة الآتين) أى سننا فيهم وهى الاهلاك المقدر عليهم (أو) طلب أن (يأتيهم العذاب قبلا) أى مقابلة وعيانا وهو القتل يوم يدور قبل عذاب الآخرة وقرأ الكوفيون برفع القاف والباء الموحدة والباقون بكسر القاف وفتح الباء الموحدة * ولما كان ذلك ليس الى الرسول وانما هو الى الله تعالى نبه بقوله تعالى (وما ترسل المرسلين الا مبشرين) بالثواب على أفعال الطاعة (ومنذرين) بالعقاب على أفعال المعصية فطلب منهم الظالمون من أنهم ليس اليهم (ويجادل الذين كفروا) أى يجتدون الجدال كلما تأهم أمر من قبلنا (بالباطل) من قولهم ما أنتم الا بنسر مثله ولو كنتم صادقين لا تثبت بما يطلب منكم مع أن ذلك ليس كذلك اذ ليس لاحد غير الله من الامر شي (لبدخضوا به) أى ليطولوا بجدهم (الحق) أى القرآن والمعجزات المثبتة لصدقهم (واتخذوا آياتى) أى القرآن (وما أئذروا) أى وانذارهم أو الذى أئذروا به من العقاب (هزوا) أى استهزأوا وقرأ خض بالواو وقفوا وصلا وحزوا بالواو وقفوا لا وصلا وسكن الزاى جزء ورفعها الباقيون ولحزوا فى الوقف أيضا النقل * ولما حكى الله تعالى عن الكفار أحوالهم الخبيثة وصفهم بما يوجب الخزي بقوله تعالى (ومن أظلم) أى لاحد أظلم وهو استفهام على سبيل التقرير (ومن ذكر آيات ربه) أى المحسن اليه بها وهى القرآن (فأعرض عنها) تاركها ليعرف من تلك العلامات الخبيثة وما يوجب ذلك الاحسان من الشاكر (ونسى ما قدمت يده) من الكفر والمعاصى فلم يتفكر فى عاقبتها ثم علل تعالى ذلك الاعراض بقوله تعالى (اناجعلنا على قلوبهم) فجمع رجوعا الى أسلوب واتخذوا آياتى لانه أنص على ذم كل واحد (أكنة) أى أعطية مستعجلة عليها استعلا بدل سياق العظمة على أنه لا يدع شيأ من التلخيص ليعلم اليها ففى لا تفى شيأ من آياتنا وذل سبب كبر الضمير وانراة على أن المراد بالآيات

القرآن فقال (أن) أى كراهة أن (يفقهوه) أى يفهموه (وفى آذانهم وقرا) أى ثقلا فهم
 لا يسمعون حق السمع ولا يعون حق الوعى (وان تدعهم) أى تترك دعاءهم كل وقت (الى
 الهدى) لتجهيمهم عما عندك من الحرص والجد على ذلك (فلن يهتدوا) أى بسبب دعائك (إذا)
 أى إذا دعوتهم (أبداً) لأن الله تعالى حكم عليهم بالضلال فلا يقع منهم إيمان ثم قال تعالى (وبك)
 مشيراً بهذا الاسم الى ما اقتضاه حال الموصوف من الاحسان (الغفور) أى البليغ المغفرة
 الذى يستر الذنوب انما يحبوها وانما بالحلم عنها الى وقت آخر (ذو الرحمة) أى الموصوف بالرحمة
 الذى يعامل وهو قادر مع موجبات الغضب معاملة الراحم بالاكرام ثم استشهد تعالى على ذلك
 بقوله تعالى (لو يؤاخذهم) أى هؤلاء الذين عادوك وهو عالم أنهم لا يؤمنون أو يعاملهم
 معاملة المؤاخدة (بما كسبوا) من الذنوب (لجعل لهم العذاب) أى فى الدنيا (بل لهم
 موعد) وهو اتمام يوم القيامة واما فى الدنيا وهو يوم بدروسا أيام الفتح (لن يجذوا من دونه)
 أى الموعد (موثلاً) أى ملأاً بنعيمهم منه فاذا جاء موعدهم أهلكتهم فيه بأول ظلمهم وآخره
 وقوله تعالى (وتلك) مبتدأ وقوله تعالى (القرى) أى الماضية من عاد وثمود ومدين
 وقوم لوط وأشكالهم صفته لأن أسماء الاشارة توصف بأسماء الاجناس والخبر (أهلكتهم)
 والمعنى وتلك أصحباب القرى أهلكتهم (لما ظلموا وجعلنا المهلكهم موعداً) أى وقتاً معلوماً
 لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون وقرأ شعبة بفتح الميم واللام أى لاهلأهم وقرأ حفص
 بفتح الميم وكسر اللام والساقيون بضم الميم وفتح اللام أى لاهلأهم ثم عطف سبحانه وتعالى
 على قوله تعالى واذا قلنا للملائكة (واذا) أى واذا ذكر لهم حين (قال موسى لفتاه) يوشع
 ابن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم الصلاة والسلام وانما قال فتاه لانه كان يخذه ويبيعه وقيل
 كان يأخذ منه العلم وقيل فتاه عبده وفى الحديث ليقول أحدكم فتأى وقتائى ولا يقل عبدي
 وأمتى * (تنبيه) * أكثر العلماء على أن موسى المذكور فى هذه الآية هو موسى بن عمران صاحب
 المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعن كعب الاحبار أنه موسى بن ميثا بن يوسف بن
 يعقوب وهو قد كان نيا قبل موسى بن عمران قال البغوى والاول أصح واحتج له لقول الله
 تعالى لم يذكركم موسى إلا راد به صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف
 اليه ولو كان المراد شخصاً آخر يسمى موسى غيره لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز وازالة
 الشبهة كما انما كان المشهور فى العرف عن أبي حنيفة هذا الرجل المعين فلوز كرها هذا
 الاسم وأردناه به رجلاً سواه ليقيدنا به مثل أن نقول قال أبو حنيفة الدينورى وعن سعيد بن
 جبيرة قال قلت لابن عباس ان نوحاً البكة الى يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بن
 اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدوا لله ونوف البكالى هو نوف بن فضالة الحسرى الشامى
 البكالى ويقال انه دمشق وكانت أمته زوجة كعب الاحبار نقله ابن كثير وجملة الذين
 قالوا موسى هذا غير صاحب التوراة أنه يقال بعد أن أنزل عليه التوراة وكله بلا واسطة وخصه
 بالمعجزات الباهرة العظيمة التى لم يتفق مثلها لا كبراً كابر الانبياء يعبد أن يعنه بعد ذلك الى التعلم

والاستفادة (وأجيب) بأنه لا يعد أن يكون العالم الكامل في كثرة العلوم بمجهل بعض العلوم
فيحتاج في تعلمها إلى من هو دونه وهو أمر متعارف روى البخاري حديث أن موسى قام خطيباً
في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم قال أنا فقرب الله تعالى عليه اذ لم يرد العلم إليه فأوحى
الله تعالى إليه أن لي عبدًا بجميع البحرين هو أعلم منك قال يا رب فكيف لي به قال تأخذ حوتنا
فتجعلها في مكمل فخشا فافقدت الحوت فهو تم فأخذ حوتنا فجعله في مكمل ثم قال (لأبرح) أي
لأزال أسير في طلب العبد الذي أعلمني ربي بفضل (حتى أبلغ جميع البحرين) أي ملتي بحر الروم
وبحر فارس مما يلي الشرق قاله قتادة أي المكان الجامع لذلك فألقاه هناك (أو أمضي حطباً)
أي دهر أطول بلا في بلوغه أن لم أظفر به بجميع البحرين الذي جعله ربي موعداً لي في لقاءه
والحطب قال في القاموس ثمانون سنة أو أكثر والدهر والسنة والسنون انتهى فساروا وتزودوا
حوتاً ومشوا في مكمل كما أمر به فكانا ياء كلان منه إلى أن بلغا المجمع كما قال تعالى (فلما بلغا مجمع
بينهما) أي بين البحرين قال لفتهاه اذ افقدت الحوت فأخبرني وإنما واضطرب الحوت في المكمل
وخرج وسقط في البحر فلما استيقظا (نسباً حوتهما) أي نسي يوشع جملة عند الرحيل ونسي
موسى عليه السلام تذكيره وقيل الناسي يوشع فقط وهو على حذف مضاف أي نسي أحدهما
كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (فألتخذ) الحوت (سبيلاً في البحر) أي جعله يجعل الله
(سرباً) أي مثل السرب وهو الشق الطويل لانفاذه وذلك أن الله تعالى أمسك عن الحوت
جرى الماء فأنجاب عنه فبقى كالكرة لم يلتصق به وما فتحته وقد ورد في حديثه في الصحيح أن الله
تعالى أحياء وأمسك عن موضع جريه في الماء فصارت طافاً ليلتم وكان المجمع كان ممتداً فظن عليه
السلام أن المطلوب أمامه وأظن المراد بجمع البحرين آخر أفساراً (فلما لبوا) ذلك المكان
بالسريفة يومهما وليتهما واستقرا إلى وقت الغداء من ثاني يوم (قال) موسى عليه السلام
(لفتهاه أتنا) أي أحضر لنا (عداءنا) وهو ما يؤكل أول النهار لقوى به على ما حصل لنا من
الاعباء ولذلك وصل به قوله (لقد لقينا من سفرنا هذا نصيباً) أي تعباً ولم يجد موسى النصيب حتى
جاوزا المكان الذي أمره الله تعالى به فقوله هذا الإشارة إلى السفر الذي وقع بعد رجائهم ما
الموعود وجميع البحرين ونصباً مقسولاً بقينا (قال) له فتاه (آرايت) أي مادها
وقرأنا فبعث سهل الهمة التي هي عين الكلمة ولورش وجه آخر وهو أيد الها خرف مده وأسقطها
المكسائي والباقون بالتحقيق (أذاً وبيناً إلى الصخرة) التي يجمع البحرين (فأني نسيت
الحوت) أي نسيت أن أذكر لك أمره ثم علل عدم ذكره بقوله (وما أنسانيه إلا الشيطان)
بوسواسه وقرأ حفص بضم الهاء وأمال الألف المكسائي تحضة وورش بين بين وبالفخ
والباقون بالفخ وقوله (أن أذكره) لك في محل نصب على البدل من هاء أنسانيه بدل اشتغال أي
أنساني ذكره (واخذ سبيلاً) أي طريقه الذي ذهب فيه (في البحر عجباً) وهو كونه كالسرب
مجهزاً لموسى أو الخضر وذكره إلا أن مانع من أن يكون للشيطان عليه سلطان على أن هذا
النسيان ليس مفقوداً طاعة بل فيه ترقية لهما في معراج المقامات العالية لوجدان التعب بعد

المكان الذي فيه البغية وحفظ الماء منجبا على طول الزمان وغير ذلك من الآيات الظاهرة
 وقوله تعالى انما سلطانه على الذين يتولونه مبين ان السلطان الجمل على المعاصي وقوله وما
 أنسانيه الا الشيطان أن أذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقد كان في هذه القصة
 خوارق منها حياة الحوت ومنها ايجاد ما كان أكل منه ومنها امسال الماء عن مدخله
 وقد اتفق لنبينا صلى الله عليه وسلم نفسه وأتباعه بركته مثل ذلك أما إعادة ماء كل من الحوت
 المشوى وهو جنبه فقد روى البيهقي في أوخر دلائل التوبة عن اسامة بن زيد رضي الله تعالى
 عنه انه صلى الله عليه وسلم أفي بشاة مشوية فقال لبعض أصحابه ناولني ذراعها وكلن أحب
 الشاة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمها ثم قال ناولني ذراعها فاقنوله ثم قال ناولني ذراعها
 فقال يا رسول الله انما ذراعا ان وقد ناولتك فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو سكت
 ما زلت تناولي ذراعا ما قلت لك ناولني ذراعا فقد أخبر صلى الله عليه وسلم انه لو سكت أوجد الله
 تعالى ذراعا ثم ذراعا وهكذا وأما حياة الحوت المشوى ففي قصة الشاة المشوية المسمومة ان
 ذراعها أخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه مسموم فهذا أعظم من عود الحياة من غير نطق وكذا
 حنين الجذع ونسليم الحجر وتسبيح الحصى ونحو ذلك أعظم من عود الحياة الى ما كان حيا وروى
 البيهقي في الدلائل عن عمرو بن سواد قال قال الشافعي ما أعطى الله تعالى نبيا ما أعطى محمدا
 صلى الله عليه وسلم قلت أعطى عيسى عليه السلام احياء الموتى فقال أعطى محمد صلى الله عليه
 وسلم احياء الجذع الذي كان يحط إلى جنبه حين هي له المنبر وحن الجذع حتى سمع صوته فهذا
 أكبر من ذلك انتهى وقد وردت أشياء كثيرة من احياء الموتى صلى الله عليه وسلم وبعض آتته
 وروى عن أنس رضي الله تعالى عنه انه قال كثافي الصفه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فأتته امرأة ومعها ابن لها فاضاف المرأة الى النساء واضاف ابنها اليها فلما لم يلبث ان أصابه
 وباء المدينة فرض أياما ثم قبض ففغمضه النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بجهازه فلما أوردنا ان نفسه
 قال انت آتته فأعلمها فجاءت حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما ثم قالت اللهم اني أسئلتك
 تطرقا وخلعت الاثران زهدا وهاجرت اليك رغبة اللهم لا تشمت بي عبدة الاثران ولا تحملي
 من هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحملها قال فوالله ما انقضى كلام المرأة حتى حرك قدميه وألقى
 الثوب عن وجهه وعاش حتى قضى الله رسوله صلى الله عليه وسلم وحتى هلك آتته
 وأما آية الماء فرجعها الى صلاحته ولا فرق بين وجوده بعدم الانتقام بعد الانخراق وبين وجوده
 وصلاحته بالامتناع من الانخراق وقد جهز عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه جيشا واستعمل
 عليه العلاء بن الحضرمي فحصل لهم حر شديد وجهدهم العطش قال بعض الجيش فلما مات
 الشمس لغروها صلى بنار كعتين ثم مقبده وما نرى في السماء شيئا فوالله ما حط يده حتى بعث الله
 تعالى ريحا وأنشأ بها فأنفرت حتى ملأت القصور والشعاب فشرنا وسقينا واستحقينا
 ثم اتينا عذونا وقد جاوزنا خليجا في البحر الى جزيرة فوقف على الخليج وقال يا علي يا عظيم يا حلیم
 يا كريم ثم قال أجبروا بسهم الله فاجزنا ما يمل الماء حوافر دوابنا فأصبنا العدو عليه فقتلنا وأسرننا

وسمينا ثم اتينا الخليج فقال مثل مقالته فاجزنا وما بل الماء حوافر دواينا والاخبار في ذلك كثيرة * ولما قال فتاه ذلك كانه قيل فما قال موسى عليه السلام حينئذ (قال) له (ذلك) أي الامر العظيم من فقد الحوت (ما كنا نبعث) أي نريد من هذا الامر الغيب عنا فان الله تعالى جعله وعدا في لقاء الخضر وقرأ نافع وأبو عمرو والكسائي بإثبات الياء وصلالا وقتا وابن كثير يثبتها وصلالا وقتا والباقون بالحذف (فارتدأ على آثارهما) أي فرجعنا في الطريق الذي جآ فيه يتصانها (قصا) أي يتبعان أثرهما اتباعا ومقتضين حتى يأتيا الصخرة قال البقاعي يدل على ان الارض كانت رملا لاعلم فيها فالظاهر والله أعلم انه جمع النبل والملح عند دمياط أو رشيد من بلاد مصر ويؤيده نقر العصفور في البحر الذي ركب في سفينة للتعبية كافي الحديث فان الطير لا يشرب من الملح ومن المشهور في بلاد رشيد ان الامر كان عندهم وان عندهم سمكا اذهب الشق يقولون انه من نسل تلك السمكة والله أعلم انتهى وتقدم عن قتادة انه ملتي بجر فارس والروم وقال محمد بن كعب طنجة وقال أبي بن كعب افرقية وقيل البحران موسى والخضر لانهم ما كانا يجري علم قال ابن عادل وليس في اللفظ ما يدل على تعيين هذين البحرين فان صرح في الخبر الصحيح بشئ فهذا هو الاول السكوت عنه انتهى ثم استمر ايقصان حتى اتيا الى موضع فقد الحوت (فوجدنا عبدا من عبادنا) مضافا الى حضرة عظيمنا قيل كان ملكا من الملائكة والصحيح الذي جاء في التواريخ وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه الخضر واسمه بليابن ملكان وكنيته أبو العباس قيل كان من بني اسرائيل وقيل من أبناء الملوك الذين تنزهوا وتركوا الدنيا والخضر لقب سمي بذلك لانه جلس على فروة يضاء فاذا هي تم ترتجعه خضراء والفروة قطعة نبات مجمعة يابسة وقيل سمي خضر لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله روى ان موسى عليه السلام رأى الخضر مسجيا **موسى** فسلم عليه فقال الخضر وأني بأرضك السلام قال اناموسى أنتك تعلمي مما علمت رشد او في رواية لقيه مسجيا ثوب مستلقيا على قضاء بعض الثوب تحت رأسه وبعضه تحت رجله وفي رواية لقيه وهو يصلي ويروي لقيه وهو على طنفسة خضراء على كبد البحر وروى أن موسى عليه السلام لما وصل اليه قال السلام عليك فقال عليك السلام يا بني اسرائيل فقال موسى ما عرفك هذا فقال الذي بعثك الى وكان الخضر في أيام افرديون وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبني الى أيام موسى وقيل ان موسى سأل ربه أي عبادة أحب اليك قال الذي يذكركني ولا ينساني قال فأى عبادة أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى فقال فأى عبادة أعلم قال الذي يتتبع علم الناس الى عمله عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال ان كان في عبادة أفضل مني فادعني عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على ساحل الصخرة قال كيف لي به قال تأخذ حوتاني مكلت لحيت فقدته فهو هناك (آتيناه) بعظمنا (رحمة من عندنا) أي وحيا ونبوة وكونه نبيا هو قول الجمهور وقيل انه ليس بنبي قال البغوي عند كثر أهل العلم أي فعندهم انه ولي (وعلمنا من لدنا) أي مما لم يعرف على قوانين العادات على أنه ليس مستغرب عند أهل

الاصطفاء (علما) قد فناه في قلبه بغير واسطة وأهل التصوف سمو العلم بطريق المكاشفة العلم
 اللدني فاداسي العبد في الرياضات بزين الظاهر بالعبادات وتحتل النفس عن العلائق وعن
 الاخلاق الرذيلة بتجليتها بالاخلاق الجميلة صارت القوى الحسية والخيالية ضعيفة فاذا ضعفت
 قويت القوى العقلية واشرفت الانوار الالهية في جوهره العقل وحصلت المعارف وكملت
 العلوم من غير واسطة سعي وطلب في التفكير والتأمل وهذا هو المسي بالعلوم اللدنية ثم اورد سبحانه
 وتعالى القصة على طريق الاستئناف على تقدير سؤال سائل عن كل كلام يرشد اليه ما قبله وذلك
 انه من العلوم ان الطالب للشخص اذا قي به كلمة لكن لا يعرف عين ذلك الكلام فقال لمن كانه سأل
 عن ذلك (قال له موسى) طابا منه على سيدل التأدب والتلطف باظهار ذلك في قالب الاستدذان
 (هل أتبعك) أي اتباعا بغير غايت توجت والاتباع الاتيان بمثل فعل الغير بحجز كونه
 آتيا به وبين أنه لا يطلب منه غير العلم بقوله (على أن تعلمني) أثبت الباء نافع وأبو عمرو وصل لا وقفا
 وابن كثير وصل لا ووقفا والباقون بالحذف وزاد في التعطف بالاشارة الى أنه لا يطلب جميع
 ما عنده ليطول عليه الزمان بل جوامع منه يسترشد به الى باقيه فقال (مما علمت) وبناء للمفعول
 العلم المتخاطبين لكونهم من المخلصين بأن الفاعل هو الله تعالى ولاشارة الى سهولة كل امر الى
 الله تعالى (رشد) أي علما يرشدني الى الصواب فيما أقصده وقرأ أبو عمرو وفتح الراء والشين
 والباقون بضم الراء وسكون الشين * ولما أتى موسى عليه السلام العبارة عن السؤال (قال) له
 الخضر عليه السلام (انك) يا موسى (ان تستطيع معي صبرا) نقي عنه استطاعة الصبر معه
 على وجوه من التأكد كما أنها الانصاع ولا تستقيم وفتح الياء من معي صبرا في المواضع الثلاثة
 هنا حفص وسكنها الباقر ثم علل عدم الصبر معه واعتذر عنه بقوله (وكيف نصبر) يا موسى
 (على ما لم تحط به خبرا) أي وكيف نصبر على أمور وأنت نبي تظاهر هاما كبيرا والرجل الصالح
 لا يتألم أن يصبر اذا رأى ذلك بل يادروا يأخذ في الانكار وخبر امر صدم لم يمتحط به
 أي لم يخبر بحقيقته (قال) له موسى عليه السلام آتيا بنهاية التواضع لمن هو أعلم منه ارشاد لما
 ينبغي في طلب العلم رجاء تسهيل الله تعالى له النفع به (سجدني) فأكد الوعد بالسين ثم أخبر تعالى
 انه قوي تأكيده بالتبرك بذكر الله تعالى لعله بصعوبة الامر على الوجه الذي تقدم الحث عليه
 في هذه السورة في قوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ليعلم أنه منهاج
 الانبياء فقال (ان شاء الله) أي الذي له صفات الكمال (صابرا) على ما يجوز الصبر عليه ثم زاد
 التأكد بقوله عطف بالواو على صابرا البيان التمكن في كل من الموضعين (ولأعصني) أي
 وغير عاص (لك أمرا) تأمرني به غير مخالف لظاهر أمر الله تعالى * (تنبيه) * ذات هذه الآية
 الكريمة على ان موسى عليه السلام راعى أنواعا كثيرة من الادب واللطف عند ما أراد أن يعلم
 من الخضر منها انه جعل نفسه تبعه بقوله هل أتبعك ومنها انه استأذن في اثبات هذه التبعة
 كما أنه قال هل تأذن لي أن أجعل نفسي تبعك وهذه مبالغة عظيمة في التواضع ومنها قوله
 صلى الله عليه وسلم على أن تعلمني وهذا اقرار منه على نفسه بالجهل وعلى أسأذه بالعلم ومنها قوله

مما علمت ومسيغة من التبعية وطلب منه تعليم بعض ما علم وهذا أيضا اقرار بالتواضع كانه
يقول لا اطلب منك أن تجعلني مساويا لك في العلم بل اطلب منك أن تعطيني جزأ من أجزاء
ما علمت ومنها أن قوله مما علمت اعتراف منه بأن الله تعالى علمه ذلك العلم ومنها قوله رشدا
طلب منه الارشاد والهداية ومنها قوله ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا
ومنها أنه ثبت بالأخبار أن الخضر عرف أولا أن موسى صاحب التوراة وهو الرجل الذي
كلمه الله من غير واسطة وخصه بالمعجزات القاهرة الباهرة ثم أنه عليه السلام مع هذه المناصب
الرفيعة والدرجات العالية الشريفة أتى بهذه الأنواع الكثيرة من التواضع وذلك يدل على
كونه عليه السلام آتيا في طلب العلم بأعظم أبواب المبالغة في التواضع وذلك يدل على أن هذا
هو اللائق به لأن كل من كانت احاطته بالعلوم التي علم ما فيها من البهجة والسعادة أكثر كان
طلبه لها أشد فكان تعظيحه لارباب العلم كدل وأرشد وكل ذلك يدل على أن الواجب على
المعلم انظما والتواضع بكل الغايات وإنما المعلم فان رأى أن في التغليظ على المتعلم ما يفيد نفعا
وارشادا إلى الخير فالواجب عليه ذكره فإن السكوت عنه يوقع المتعلم في الغرور وذلك يمينه من
التعلم وروى أن موسى عليه السلام لما قال هل أتبعك على أن تعلى مما علمت رشدا قال له الخضر
كني بالتوراة علما ويبنى اسرائيل شغلا فقال له موسى الله أمرني بهذا (قال) له الخضر (فإن
أتبعني) أي صحتني ولم يقل أتبعني ولكن جعل الاختيار إليه لأنه شرط عليه شرطا فقال
(فلا تسألني عن شيء) أقوله أو أفعله (حق أحدث لك) خاصة (منه ذكر) أي حتى أبدأ بوجه
صوابه فاني لأقدم على شيء الا وهو صواب جائز في نفس الامر وان كان ظاهره غير ذلك فقبل
موسى شرطه رعاية لادب المتعلم من العالم ولما اشار طوارضيا على الشرط تسبب عن ذلك
قوله تعالى (فانطلقا) أي موسى والخضر عليهما السلام على الساحل فأتتهما إلى موضع احتجا
فيه إلى ركوب السفينة فإزا إلى بلبلان سفينة ركبان فيها واستمرا (حتى إذا ركبا في السفينة)
التي مرت بهما وأجاب الشرط بقوله (خرقها) أي أخذ الخضر فأسانفرق السفينة بأن قلع
لوحا ولو حين من ألواحها من جهة البحر لما بلغت البجة ولم يقترن خرق بالقاء لأنه لم يكن مسببا
عن الركوب ثم استأنف قوله (قال) أي موسى عليه السلام منكرا لذلك لما في ظاهره من
الفساد بآلاف المال المقتضى إلى فساد أكبر منه باهلاك النفوس ناسبا لما عقد على نفسه على
أنه لو لم يفسد لم يتركه الانتكار كما فعل سدد قل الغلام لأن مثل ذلك غير داخل في الوعد لأن المستثنى
شرعا كالمستثنى وضعا (أخرقتها) وبين عذره في الانتكار لما في غاية الخرق من القطاعة فقال
(لتفرق أهلها) فان خرقتها سبب لدخول الماء فيها المقتضى إلى غرق أهلها وقر أجزة والكسائي
بالياء التبعة مفتوحة وفتح الراء ورفع اللام من أهلها والباقون باتاء القوقية مضومة وكسر
الراء ونصب لام أهلها ثم قال لموسى والله (لقد جئت شيئا مرمورا) أي عظيميا منكرا (قال)
الخضر (ألم أقل لك) يا موسى (أن تستطيع معي صبرا) فذكره بما قال له عند الشرط (قال)
موسى (لا تأخذا) يا خضر (بما نسيت) أي غفلت عن التسليم لك وتركه الانتكار عليك قال ابن

عباس انه لم نفس ولكنه من معارضة الكلام أي وهي التورية بالشيء عن الشيء وفي المثل أن
 في المعارض لمندوحة عن الكذب أي سعة فكانه نسي شيئا آخر وقبل معناه بما تركت من
 عهدك والنسيان الترك وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كانت الأولى من موسى
 نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عمدا (ولا ترهقني من أمرى عسرا) أي لا تكلفني مشقة يقال
 أرهقه عسرا وأرهقه عسرا أي كلفته ذلك يقول لا تضيق على أمرى ولا تعسر متابعك على
 ويسر هاعلى بالأعضاء وترك المناقشة وعاملني باليسر ولا تعاملني بالعسر وعسرا مفعول ثان
 لترهقني من أرهقه كذا إذا جعله أباه وغشاه به وما في بما نسبت مصدريه أو بمعنى الذي والعائد
 محمد وروى أن الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وروى أن موسى لما رأى ذلك أخذ
 ثوبه فغشاه الخرق وروى أن الخضر أخذ قدحا من زجاج ووقع به خرق السفينة (فان قيل)
 قول موسى عليه السلام آخره فمات الغرق أهلها ان كان صادقا في هذا دل ذلك على صدور ذنب
 عظيم من الخضر ان كان نبيا وان كان كاذبا دل ذلك على صدور الذنب من موسى وأيضا فقد التزم
 موسى أن لا يعترض عليه وجرت العهود المذكورة بذلك ثم انه خالف تلك العهود وذلك ذنب
 (أجيب) بأن كلاله ما صادق فيما قاله وف بحسب ما عنده أمام موسى عليه السلام فانه
 ما خطر له قط أن يعاهد على أن لا ينهيه بما يعقده منكرا وأما الخضر فانه عقد على ما في نفس
 الامر أنه لا يقدم على منكر (فانطلقا) بعد نزولهما من السفينة وسلامتهما من الغرق
 والعطب (حتى إذا القياع غلاما) قال ابن عباس لم يبلغ الحنث (فقتله) حين لقيه كما دلت عليه
 الفاء العاطفة على الشرط قال البغوي في القصة انه ما خرجا من البحر عشرين فرسا بعلقان يلبسون
 فأخذ غلاما ظريفا ووضي الوجه فأصبحه ثم ذبحه بالسكين قال السدي كان أحسنهم وجهها
 كان وجهه يتوقد حسنا قال البغوي وروى أنه أخذ رأسه فاقطعه بيده وروى عبد الرزاق
 هذا الخبر وأشار بيده بأصابعه الثلاثة الإبهام والسبابة والوسطى وقطع رأسه وروى أنه
 رضع رأسه بالحجارة وقيل ضرب رأسه بالحداد فقتله وكونه لم يبلغ الحنث هو قول الأكثرين
 وقال الحسن كان رجلا قال شعيب الحياثي وكان اسمه جيسور وقال الكلبي كان فقي يقطع
 الطريق ويأخذ المتاع ويلتجئ إلى أبويه وقال الضحاك كان غلاما يعمل بالفساد ويتأذى منه
 أبواه وعن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الغلام الذي قتله الخضر طبع
 كافر ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا وكفرا قال الرازي وليس في القرآن كيف لقيامه هل كان
 يلب مع جمع من العلمان أو كان منفردا وهل كان مسلما أو كافرا وهل كان بالغاً وصغيراً وكان
 اسم الغلام بالصغير ألقب وان احتل الكبير لأن قوله بغير نفس ألقب بالبالغ منه بالصبي لأن
 الصبي لا يقتل وان قتل قال البقاعي الآن يكون شرعهم لا يشترط البلوغ وقال ابن عباس
 ولم يكن نبي الله يقول أقتلت نفسا زكية بغير نفس الا وهو صبي قال الرازي أيضا وكيف قتله
 هل قتله بان حراسه أو بأن ضرب رأسه بالحداد أو بطريق آخر فليس في القرآن ما يدل على شيء
 من هذه الاقسام انتهى ثم أجاب الشرط بقوله مشعرا بأن شرعه في الانتكاف في هذه أسرع

(قال) موسى (أقلت) يا خضر (فما سارا كية بغير نفس) فقلت ما يكون قتلها لها قودا وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبى بعد الزاى وتحصيف اليااء التحية والباقون بغير ألف بعد الزاى وتشديد التحية قال الكسائي الزاكية والركبة لغتان ومعنى هذه الطهارة وقال أبو عمرو والركبة التي لم تذب والركبة التي اذنت ثم تاب ثم استأنف قوله (لقد) أظهر الدال نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم وأدغمها الباؤون (جئت) في قتلها (شيأ) وصرح بالانكار في قوله (نكرأ) لأن مباشرة الخرق سبب ولهذا قال بعضهم النكر أعظم من الامر في القبح لأن قتل الغلام أعظم من خرق السفينة يؤدى الى اتلاف نفوس كثيرة وهذا القتل ليس الاتلاف شخص واحد وقرأ نافع وابن ذكوان وشعبة برفع الكاف والباقون بسكونها ولما كانت هذه ثانية (قال) له الخضر (ألم أقل لك انك) يا موسى (ان تستطيع معى صبرا) وهذا عين ما ذكره في المسئلة الاولى لأنه زاد اللفظة لك (فان قيل) لم زادها هنا (أجيب) بأنه زادها مكافئة بالعقاب على رفض الوصية ومواجهته الصبر والثبات لما تكرر منه الاشتزاز والاستكثار ولم يرعوا بالتذكير أول مرة قال ابن الاثير المكافئة المدافعة والمضاربة والاشتزاز من اشماز الرجل أى القبض قلبه قال البغوى وفي القصة ان يوشع كان يقول لموسى يابى الله اذكر العهد الذى أنت عليه (قال) موسى حيا منه لما فاق بشد كبره ما حصل من فرط الوجد لامر الله تعالى فذكر أنه ما تبعه الا بأمر الله تعالى (ان سألتك عن شئ بعد هذا) أى بعد هذه المرة واعلم بشدة ندمه على الانكار بقوله (فلا تصاحبنى) أى لا تتركنى أعبك بل فارقنى ثم علل ذلك بقوله (قد بلغت) وأشار الى أن ما وقع منه من الاخلال بالشروط من أعظم الخوارق التي اضطر اليها فقال (من لدنى) أى من قبلى (عذرا) باعتراضى مرتين واحتمالك لى فيها وقد أخبر الله بحسن حاله في غزارة علمك فدحه به هذه الطريقة من حيث انه أحق له مرتين أولا وثانيا مع قرب المدة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رحم الله أخى موسى استجبنا فقال ذلك ولولبت مع صاحبه لا بصر أعجب الاعاجيب وعن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعة الله علينا وعلى موسى وكان اذا ذكر أحد من الانبياء بدأ بنفسه لولا أن يحل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة أى حياء واشفاق فقال ان سألتك الى آخره وقرأ نافع بضم الدال وتحصيف النون وقرأ شعبة كذلك لأنه يشم الدال فتصير ساكنة قريبة من الضم والباقون بضم الدال وتشديد النون (فانطلقا) أى موسى والخضر عيشان لينظرا الخضر أمرا ينفذه فبه ما عنده من علمه وورش يغلط اللام فى لفظ انطلقا على أصله بعد قتل الغلام (حتى اذا أتيا أهل قرية) قال ابن عباس هي انطاكية وقال ابن سيرين هي الالية وهي أبعد ارض الله من السماء وعبر عنها بالقرية دون المدينة لأنه أدل على الذم وقيل برقة وعن أبى هريرة بلدة بالاندلس (استقما أهلها) أى طلبا من أهل القرية أن يطعموهما وفى الحديث انهما كانا يشبان على

مجالس أولئك القوم يستطعمانهم (فأبو أن يضيفوهما) أي أن يزلوهما ويطعموهما يقال
 ضافه إذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض وضيفوه وأضافه أنزله
 وجعله ضيفا (فان قيل) الاستطعام ليس من عادة الكرام وكيف قدم عليه موسى والخضر وقد
 حكى الله تعالى عن موسى أنه قال عند ورود ما مدين رب أنى لما أنزلت الى من خير فقير
 (أجيب) بأن اقدام الخائف على الاستطعام أمر مباح في كل الشرائع بل ربما وجب ذلك عند
 الخوف من الضرر الشديد (فان قيل) لم قال حق إذا أتيا أهل قرية استطعموا أهلها ولم يقل
 استطعماهم (أجيب) بأن التكرير قد يكون للتأكيد كقول الشاعر

لبت الغراب غداة يبعث دائما * كان الغراب مقطوع الأوداج

وعن قتادة شرا القرى التي لا تصيف الضيف (فائدة) قال الرازى وفي كتب الحكايات أن أهل
 تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الآية استحيوا وجاهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل
 من الذهب وقالوا يا رسول الله جئنا لنبذل الذهب لتجعل الباء تاح حتى تصير القراءة هكذا فأبوا
 أن يضيفوهما أى أتيناهم لاجل الضيافة حتى يدفع عنا هذا اللوم فامتنع رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وقال تغيير هذه النقطة يوجب دخول الكذب في كلام الله تعالى وذلك يوجب القدح
 في الالهية فعلمنا أن تغيير النقطة الواحدة من القرآن يوجب بطلان الربوبية والعبودية * ولما
 أبوا أن يضيفوهما انصرفا (فوجدافها) أى القرية ولم يقل فهم ايذا نابا بأن المراد وصف القرية
 بسوء الطبع (جدارا) أى حائطا مائلا مشرفا على السقوط ولذا قال مستعير المالم يعلق صفة
 من يعلق (يريد أن ينتفض) أى يسقط وهذا من مجاز كلام العرب لأن الجدار لا ارادة له وإنما
 معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول العرب دارى تنظر الى دار فلان اذا كانت تقابلها فاستعير
 الارادة للمشاركة كما استعير لها الهم والعزم في قوله

يريد الرمح صدرا بى برا * ويعدل عن دماغى عقيل

وقول الآخر ان دهر ايلف صدرى بجمل * زمان بهم بالاحسان

ففى البيت الاول دليل على استعارة الارادة للمشاركة وفى الثانى دليل على استعارة الهم لها
 وجعل اسم محبوبته يقول ان دهر ايجمع بينى وبينها زمان قصده الاحسان لا الاساءة ونظير ذلك
 من القرآن قوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب وقوله تعالى أن يقول له كن فيكون وقوله
 تعالى قالتا أتبنا طائعين قال الرخصرى ولقد بلغنى أن بعض المحرفين لكلام الله تعالى عن لا يعلم
 كان يجعل الضمير للخضر وقيل ان الله تعالى خلق للجدار حياة و ارادة كالحيوان (فأقامه) أى
 سواه وفى حديث أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال الخضر بيده فأقامه فقال ابن
 عباس هدمه وقعد ينييه وقال سعيد بن جبير سمع الجدار يريده فاستقام بذلك من مجازاته
 وقال السدى بل طينا وجعل بيني الحائط فشق ذلك على موسى عليه السلام (فان قيل)
 الضيافة من المنسوبات فتركها تركا مندوبا وذلك غير منكرف فكيف يجوز من موسى عليه
 السلام مع علو منصبه أنه غضب عليهم الغضب الشديد الذى لا يحمله ترك العهد الذى التقوه فى

قوله ان سالتك عن شي بعد هافلا تصاحبي وأيضاً مثل الغضب لاجل ترك الاكل في ليلة واحدة
لا يليق بأدون الناس فضلاً عن كليم الله تعالى (أجيب) بأن تلك الحالة كانت حالة افتقار
واضطراب الى الطعام فلاجل تلك الضرورة نسي موسى عليه السلام ما قاله فلاجرم (قال)
موسى (لو شئت لانتحفت عليه أجراً) أي لطلبت على عملي أجره تصرفها في تحصيل المطعم
وتحصيل سائر المهمات وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وتخفيف التاء بعد اللام وكسر الخاء وأظهر ابن
كثير المذال عند التام على أصلها وأدغمها أبو عمرو والباقون بنسبته التام ففتح الخاء وأظهر
حفص المذال على أصله وأدغمها الباقرين ولما كان كلام موسى هذا متضمناً للسؤال (قال) له
الحضر (هذا) أي هذا الاستكثار على ترك الاجر (فراق بيني وبينك) وقيل ان موسى عليه السلام
لما شرط أنه ان سأل به بعد ذلك هو الآخر حصل به الفراق حيث قال ان سالتك عن شي بعد هافلا
تصاحبي فلما ذكر هذا السؤال فارقة وهذا فراق بيني وبينك أي هذا الفراق المعهود الموعود
(فان قيل) كيف ساع اضافة بين الى غير متعد (أجيب) بأن مسوغ ذلك تكريره بالعطف
بالواو الأتري أن لو اقتصر على قولك المال بيني لم يكن كلاماً حتى نقول بيننا وبين
فلان ثم قال له الحضر (سأبتك) أي سأخبرك يا موسى قبل فراقك (سأويل) أي بتفسير (حالم
تستطع عليه صبراً) لان هذه المسائل الثلاثة مشتركة في شي واحد وهو أن أحكام الانبياء عليهم
الصلاة والسلام مبنية على الظواهر كما قال صلى الله عليه وسلم نحن نحكمكم بالظواهر والله يتولى
السرائر والخصر ما كانت أموره وأحكامه مبنية على ظواهر الامور بل كانت مبنية على الاسباب
الخفية الواقعة في نفس الامر وذلك لان الظاهر في أموال الناس وفي ارواحهم أنه يحرم
التصرف فيها والخصر تصرف في أموال الناس وفي ارواحهم في المسئلة الاولى وفي الثانية من
غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف لان الاقدام على خرق السفينة وقتل الانسان من غير سبب
ظاهر يبيح ذلك التصرف محرم والاقدام على اقامة ذلك الجدار المائل في المسئلة الثالثة فجعل
للتعب والمنفعة من غير سبب ظاهر ثم أخذ الحضر في تأويل ذلك مبتدئاً بالمسئلة الاولى بقوله
(أما السفينة) أي التي أحسن البناء أهلها فخرقتها فكانت لسالكين) عشرة اخوة خمسة زمني
وخمسة (يعملون في البحر) أي يواجرون ويكتسبون واحتج الشافعي رضي الله عنه بمذهبه الآية
على أن حال الفقير أشد في الحاجة والضرر من حال المسكين لان الله تعالى ما همم ما كين مع
أنهم كانوا يملكون تلك السفينة (فأردت أن أعينها) أي ان أجعلها ذات عيب بأن تفوت
منفعتنا بذلك ساعة من خوار وتكف أهلها الوسا أو لو عين بسدونها بذلك أخف عليهم من أن
تفوتهم منفعتها بالكلية كما يعلم من قوله (وكان وراءهم) أي أمامهم كقوله تعالى ومن وراءهم
برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم في ربوعهم عليه (ملك) كان كفراً واسمه الجندی وقال محمد
ابن الحسن اسمه سولة بن خليل (٣) (الازدي وقيل اسمه هدد بن بدر) (ياخذ كل سفينة) أي صاحبة
وعند الفقهاء المبنية على الظاهر (خصباً) من أصحابها ولم يكن عند أصحابها علم به فاذا مرت به تركها
لغيرها فاذا اجتوزته صلوها فالتفتوا بها قبل سدوها بقاورة وقيل بالشاهد (فان قيل) قوله

(٣) قوله سولة بن خليل الخ هكذا في النسخ والذي في البضارى منوار بن جندى الازدي فليعزراه

فأردت أن أعينها سبب عن خوف الغصب علم افكان حقه أن يتأخر عن السبب فلم قدم عليه
(أجيب) بأن النية به التأخير وإنما قدم للعناية ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده
ولكن مع كونه للمسكين فلما كان كل من الغصب والمسكن سبب الغصب جعل قدمها على الغصب
إشارة إلى أن أقوى السببين الحاملين على فعله الرأفة بالمسكين * ثم شرع في تأويل المسئلة الثانية
بقوله (وأما الغلام) الذي قتله (فكان أبوا مؤمنين) التثنية للتغليب يريد أباه وأمه فغلب
المذكر وهو شائع ومنه العمران قبل أن ذلك الغلام كان بالغاً وكان يقطع الطريق ويقدم
على الأفعال المنكرة وكان أبوا يحتاجان إلى دفع شر الناس عنه والتعصب له وتكذيب من
يرميه بنسب من المنكرات وكان يصير سبباً لوقوعهما في الفسق وربما قاد ذلك الفسق إلى الكفر
وقبل أنه كان صبيلاً إلا أنه علم منه أنه لو صار بالغاً لصلحت فيه هذه المفاصد وفي الحديث أنه طبع
كافراً ولو عاش لأرثقهما ذلك كما قال (نخسنا) أي خضنا والخشية خوف بشو به تعظيم (أن
يرثقهما) أي يغشيهما ويلحقهما (طغيا ناكثا) أي نجبتهم له تبعاعه في ذلك (فان قل) هل
يجوز الأقدام على قتل الإنسان بمثل ذلك (أجيب) بأنه إذا تأكد ذلك بوحى من الله تعالى جاز
وعن ابن عباس أن فجدة الحروري كتب إليه كيف قتله أي كيف قتل الخضر الغلام وقد
نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب إليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم
موسى فلك أن تقتل رواه جماعة مسلم * وما ذكرنا يلزم على تقدير بقائه من الفساد بسبب عنه قوله
(فأردنا) أي بقتله وأراحتهما من شره (أن يبدلهما ربهما) أي المحسن إليهما ما يعطاه وأخذه
قال مطرف فرح به أبوا حين ولدوا وخرنا عليه حين قتل ولوليت كان فيه هلاكهما فليرض كل
امرء بقضاء الله تعالى فإن قضاء الله تعالى للمؤمن فيما يكره خيراً لمن قضاه فيما يحب ولهذا
أبدلهما الله تعالى (خبراً منه زكاة) أي طهارة وبركة من الذنوب والأخلاق الرديئة وصلاً
وتقوى (وأقرب رجاء) أي رحمة وعطفا عليهما وقيل هو من الرحم والقرابة قال قتادة أي
أوصل للرحم وأبزلوا الدين قال الكلبي أبدلهما الله تعالى جارية فتزوجها نبي من الأنبياء
فولدت له نبياً فهدى الله تعالى على يديه أمته من الأمم وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال أبدلهما الله
تعالى جارية ولدت سبعين نبياً وقال ابن جرير أبيع أبدلهما بغلام مسلم وقرأ نافع وأبو عمر وأن يبدلهما
بفتح الباء الموحدة وتشديد الدال والباقون بسكون الموحدة وتخفيف الدال وقرأ ابن عامر
رجاء برفع الحاء والباقون بالسكون * ثم شرع في تأويل المسئلة الثالثة بقوله (وأما الجسد ار)
أي الذي أشرت بأخذ الأجر عليه (فكان لغلامين) ودل على كونهما دون البلوغ بقوله
(يتيمين) وكان اسم أحدهما أصرم والاخر صريما * ولما كانت القرية لا تسمى بالمدينة
بالمدينة وكان التعبير بالقرية أولاً ليق عبر بها لأنها مشقة من معنى الجمع فكان أليق بالذم في
ترك الضيافة ولما كانت المدينة بمعنى محل الإقامة عبر بها فقال (في المدينة) فكان التعبير بها
أليق للإشارة به إلى أن الناس يعملون فيها فينهدم الجدار وهم مقيمون فآخذون الكثر كما قال
(وكان قصته كقولهما) فلذلك أقتنه احتساباً واختلاف في ذلك الكثر فعن أبي الدرداء أن

النبي صلى الله عليه وسلم قال كان ذهابا وفضة رواء البخاري في تاريخه والترمذي والحاكم
 وصححه والزم على كثرهما في قوله تعالى والذين يكثرزون الذهب والفضة قلن لا يؤتى زكاهما
 وما يتعلق بهما من الحقوق وعن سعيد بن جبيرة قال كان الكثر جمعها علم رواء الحاكم وصححه
 وعن ابن عباس قال كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبالم أن يقن بالمولت كيف يفرح عجا
 لمن أيقن بالقدر كيف يغضب عجبالم أن يقن بالرزق كيف يتعب عجبالم أن يؤمن بالحساب كيف
 يغفل عجبالم أن يقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمن إليها لاله الا الله محمد رسول الله
 وفي الجانب الآخر مكتوب أنا الله لا اله الا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى
 لمن خلقته للخير وأجرته على يديه والويل لكل الويل لمن خلقته للشر وأجرته على يديه
 قال البغوي وهذا قول أكثر أهل التفسير وروى أيضا ذلك مرفوعا قال الزجاج الكثر اذا
 أطلق ينصرف الى كثر المال ويجوز عند التقيد أن يقال عنه كثر علم وهذا اللوح كان جاءه
 لهما وقوله (وكان أبوهما صالحا) فيه تنبيه على أن سعيه في ذلك كان لصلاحه فإعراى وتراعى
 ذريته وكان سياحا واسمه كاسم قال ابن عباس حفظ الصلاح أيهما وقيل كان بينهما وبين
 الأب الصالح سبعة أبناء قال محمد بن المنكدر أن الله تعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده
 وعشرته وأهل دويرات حوله فإبرأون في حفظ الله مادام فيهم قال سعيد بن المسيب انى أصلى
 فأذكر ولدى فأزيد في صلاتي وعن الحسن أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ
 الله الغلامين فان بصلاح أيهما قال فأي وجدى خير منه قال قد أبا أنا الله أنكم قوم خصمون
 وذكروا أيضا أن ذلك الأب الصالح كان من الذين تضع الناس الودائع عنده فبردها اليهم (فأراد
 ربك أن يبلغا) أى الغلامان (أشد هما) أى الحلم وكال الراى (ويستخرجا كثرهما) ليتقعا به
 ويتفعا الصالحين * (تنبيه) أسند الاداة في قوله فأردت أن أعيها الى نفسه لانه المباشر
 للتعيب وثانياف في قوله فأردنا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وإيجاد الله تعالى
 بدله وثالثاف في قوله فأرد ربك الى الله وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين أو لان الأول في
 نفسه شر والثالث خير والثاني عتوج أو لانه لما ذكر العيب أضافه الى ارادة نفسه ولما ذكر
 القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيها على أنه من العظما في علوم الحكمة فلم يقدم على هذا
 القتل الا بالحكمة عالية ولما ذكر رعاية مصالح اليقين لاجل صلاح أيهما أضافه الى الله تعالى
 لان التكفل بصلاح الابناء رعاية حق الآباء ليس الله تعالى أو لاختلاف حال العارفين في
 الالتفات الى الوسائط (فان قيل) اليتمان هل أحدهما عرف حصول ذلك الكثر تحت ذلك
 الجدار أم لا فان كان الأول امتنع أن يتركوا سقوط ذلك الجدار وان كان الثاني فكيف يمكنهم
 بعد البلوغ استخراج ذلك الكثر ومعرفة الانتفاع به (وأجيب) لعلمهما كانا جاهلين به الآن
 وصيما كان عالميه ثم أن ذلك الوصى غاب وأشرف ذلك الجدار في غيبته على السقوط ولما
 قرأ الخضر هذه الجوابات قال (رحمة من ربك) أى انما فعلت هذه الافعال لغرض أن تظهر رحمة
 الله لانهم باسرها ترجع الى حرف واحد وهو تحمل الضرر والادنى لدفع الضرر الاعلى كما تقرر

(وما فعلته) أي شيأ من ذلك (عن أمرى) أي عن اجتهادى ورأى بل بأمر من له الامر وهو الله تعالى * (تنبيه) * اختج من ادعى نبوة الخضر بأمر واحد ما قوله تعالى آتينا رجلاً من عندنا والرجلة هي النبوة قال تعالى وما كتب ترجوا أن يلقى اليك الكتاب الا رجلة من ربك والمراد من هذه الرجلة النبوة قال الرازى ولقائل أن يقول مسلم أن النبوة رجلة ولكن لا يلزم أن تكون كل رجلة نبوة الثاني قوله تعالى وعلمناه من لدنا علماً وهذا يقتضى أن الله تعالى علمه بلا واسطة تعليم معلم ولا ارشاد مرشد وكل من علمه الله تعالى بلا واسطة البشر ويجب أن يكون نبياً يعلم الامور بالوحى من الله تعالى قال الرازى وهذا الاستدلال ضعيف لأن العلوم الضرورية تحصل ابتداء من الله وذلك لا يدل على النبوة الثالث أن موسى عليه السلام قال هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت وابنى لا يتبع غيرى فى التعلم قال الرازى وهذا أيضاً ضعيف لأن النبى لا يتبع غيرى فى العلوم التى باعتبارها مازنياً ما غير تلك العلوم فلا الرابع أنه أظهر على موسى الترفع حيث قال وصكف نصبر على ما لم تحط به خبراً وأما موسى فإنه أظهر له التواضع حيث قال ولأعصى لك أمراً وهذا يدل على أنه كان فوق موسى ومن لا يكون نبياً لا يكون فوق نبى قال الرازى وهذا أيضاً ضعيف لأنه يجوز أن يكون غير النبى فوق النبى فى علوم لا تتوقف نبوته عليها الخامس قوله وما فعلته عن أمرى وفى المعنى أنى فعلته بوحى من الله وهذا يدل على النبوة قال الرازى وهذا أيضاً ضعيف ظاهر الحجة السادس ما روى أن موسى عليه السلام لما وصل اليه قال السلام عليك قال وعليك السلام يابى بنى اسرائيل فقال موسى من عرفك هذا قال الذى بعثك الى وهذا يدل على أنه اعترف بذلك بالوحى والوحى لا يكون الا مع النبوة قال الرازى ولقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون ذلك من باب الكرامات والالهامات انتهى وبالله فالجهود على أنه نبى كما مر واختلص اهل هوى أو ميت فقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم قال البغوى وكان سبب حياته فيما يحيى أنه شرب من عين الحياة وذلك أن ذا القرنين دخل القلعة ليطلب عين الحياة وكان الخضر على مائدة فوق ع الخضر على العين فنزل فاغتسل وشرب وشكر الله تعالى وأخطأ ذا القرنين الطريق وذهب آخرون الى أنه ميت لقوله تعالى وما جعلنا البشر من قبلك الخلد وقال النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العشاء ليلة أرايتكم ليلتكم هذه فان رأس مائة سنة لا يبق من هو اليوم على ظهر الارض أحد ولو كان الخضر حيالكان لا يعيش بعده * ولما بين لموسى سر تلك القضايا قال له (ذلك) أى هذا التأويل العظيم (تأويل ما لم تسطع) يا موسى (عليه صبراً) وحذف ناء الاستطاعة هنا تخفيفاً فان استطاع واستطاع بمعنى واحد * (تنبيه) * من فوائد هذه القصة أن لا يجب المروءة بعمله ولا يادى الى انكار ما لا يستحسنه فقل فى سره الا يعرفه وأن يداوم على التعلم ويتذلل للعلماء ويراعى الاحب فى المقال وأن ينبه المجرم على جرمه ويعف عنه حين يتحقق اصراره ثم يهاجره روى أن موسى لما أراد أن يشارك الخضر قال له أرصنى قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه للعمل به * ولما فرغ من هذه القصة التى حاصلها أنها طواف فى الارض لطلب العلم

عقبها بقصة من طاف الارض لطلب الجهاد وقدم الاول اشارة الى علو درجة العلم لانه أساس كل سعادة وقوام كل امرئ فقال عاطفا على ويجادل الذين كفروا بالباطل (ويستأنونك) أى اليهود وقبل مشركو مكة يا أشرف الخلق (عن ذى القرنين) وذكر وافي سبب تسميته بذلك وجوها الاول قال أبو الطيفل سئل على رضى الله عنه عن ذى القرنين أكان نبيا أم ملكا قال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا صالحا أمر قومه بتقوى الله تعالى فضر به على قرنه الايمن فبات ثم بعته الله تعالى فأمرهم بتقوى الله تعالى فضر به على قرنه الايسر فبات ثم بعته الله تعالى فسمى ذا القرنين فيكم مثله يعنى نفسه الثانى أنه انقرض فى وقته قرنان من الناس الثالث أنه كان صفحتارأسه من نحاس الرابع كان على رأسه ما يشبه القرنين الخامس كان لتاجه قرنان السادس أنه طاف قرنى الدنيا شرقها وغربها السابع كان له قرنان أى ضفيران الثامن ان الله تعالى سخر له النور والظلمة فاذا سرى بهدى النور من أمامه وتمتد الظلمة من ورائه التاسع أنه لقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشالاه ينطج أقرانه العاشر أنه رأى فى المنام كأنه صعد الفلك وتعلق بطرفى الشمس وقرنها أى جانبيه فسمى بذلك لهذا السبب الحادى عشر أنه كان له قرنان تواريهما العمامة الثانى عشر أنه دخل النور والظلمة وذكر وافي اسمه أيضا وجوها الاول اسمه مرزبان اليونانى من ولد يونان بن يافت ابن نوح الثانى اسمه اسكندر بن فيلقوس الروى اشتهر فى كتب التواريخ أنه بلغ ملكه أقصى المشرق والمغرب وأمعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر وبني الاسكندرية وسماها باسم نفسه الثالث عشر بن عمر بن افرقيس الحيدري وهو الذى بلغ ملكه مشارق الارض ومغاربها واقتضربه أحد الشعراء من جبر حيث قال

قد كان ذو القرنين قبلى مسلما * ملكا على الارض غير مفقد

بلغ المشاق والمغارب ييقنى * أسباب ملك من كريم سمد

واختلفوا فى نبوته مع الاتفاق على ايمانه فقال بعضهم كان نبيا واحتجوا على ذلك بوجوه الاول قوله تعالى انما كاله فى الارض وحمل على التمكين فى الدنيا والتمكين الكامل فى الدين هو النبوة الثانى قوله تعالى واتيناه من كل شئ نبيا وهذا يدل على أنه تعالى آتاه من النبوة سببا الثالث قوله تعالى يا ذا القرنين اما أن تعذب الخ والذى تكلم الله معه لابد أن يكون نبيا ومنهم من قال انه كان عبدا صالحا ملكه الله تعالى الارض وأعطاه الله سبحانه وتعالى الملك والحكمة وألبسه الهبة وقد قالوا ملك الارض مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران غمرد وذبحتنصر ومنهم من قال انه كان ملكا من الملائكة عن عمر رضى الله تعالى عنه انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا أما رضيت أن تسموا بأسماء الانبياء حتى تسميت بأسماء الملائكة والا كره على القول الثانى ويدل له قول على رضى الله تعالى عنه المتقدم (تنبيه) * قد قدمنا ان اليهود ادمر والمشر كين أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة أصحاب المكهف وعن قصة ذى القرنين وعن الروح والمراد من قوله تعالى ويسألونك عن ذى القرنين

هو ذلك السؤال ثم قال الله تعالى (قل) أي لهؤلاء المتعنتين (سأقول) أي أقص قصاصتنا بعافي
مستقبل الزمان أعلمني الله تعالى به (عليكم) أي أيها البعداء والضمير في قوله تعالى (منه) لذي
القرنين وقبل لله تعالى (ذكر) أي خبراً كافياً لكم في تعرف أمره جامعاً لمجامع ذكره (أنا مكاله
في الأرض) أي مكاله أمره من التصرف فيها ممكنة يصل بها إلى جميع مسالككمها ويظهر بها على
سائر ملوكها (وأنه) بعظمتنا (من كل شيء) يحتاج إليه في ذلك (سبباً) أي وصلة توصله إليه
من العلم والقدرة والآلة (فأتبع سبباً) أي سلك طريقاً نحو المغرب قال البقاعي ولعله بدأ به لأن
باب التوبة فيه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو أتبع في المواضع الثلاثة بتشديد التاء الفوقية
ووصل الهمزة قبل الفوقية والباقيون قطع الهمزة وسكون التاء الفوقية واستمر متبعا له
(حتى إذا بلغ) في ذلك السير (مغرب الشمس) أي موضع غروبها (وجدنا تقرب في عين جنة)
أي ذات حماة وهي الطين الاسود أي بلغ موضعاً في الغرب لم يبق بعده شيء من العمران وجد
الشمس كأنها تقرب في هذه مظلة وغروبها في رأى العين كما أن ركب البحر يرى الشمس
كما أنها تقرب في البحر إذا لم ير الشط وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر والأفهي أكبر من
الأرض مرات كثيرة فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الأرض قال البيضاوي ولعله
بلغ ساحل المحيط فرأى ذلك أذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدنا تقرب
ولم يقل كانت تقرب وقرأ شعبة وحزرة والكسائي وابن عامر بألف بعد الحاء وياء مفتوحة بعد
الميم عن أبي ذر قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبل فرأى الشمس حين
غابت فقال أتدري يا أبا ذر أين تقرب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال فأنها تقرب في عين جنة
وقرأ الباقيون بغير ألف بعد الحاء وبعد الميم همزة مفتوحة واتفق ابن عباس كان عندهما وية
فقرأ معاوية حامياً فقال ابن عباس جنة فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرأ قال كما يقرأ
أمير المؤمنين ثم وجه إلى كعب الأحبار وسأله كيف تجد الشمس تقرب قال في ماء وطن كذلك
تجد في التوراة (ووجد عندها) أي عند تلك العين على الساحل المتصل بها (قوما) أي أمة قال
ابن جرير مدينة لها اثنا عشر ألف باب لولا ضجيج أهلها سمعت وجبة الشمس حين تجب أي
تقرب قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما يلقظه البحر كانوا كفاراً يخبره الله تعالى بين
أن يعذبهم أو يمدحهم إلى الإيمان كما حكى ذلك بقوله تعالى (قلنا يا ذا القرنين) أم بواسطة الملك
ان كان نبياً أو بواسطة نبي زمانه ان لم يكن أو باجتهاد في شريعته (أمأ أن تعذب) بالقتل على
كفرهم (وأمأ أن تتخذ) أي بغاية جهلك (فيهم حسناً) بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خبره
بين القتل والاسر وسماه حسناً في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله (قال أمان ظلم) باستمراره
على الكفر فأنار فربه حتى ينأس منه ثم نقتله وإلى ذلك أشار بقوله (فسوف نعذبه) بوعده
لا تخلف فيه بعد طول الدعاء والترقب وقال قتادة كان يطبخ من كفر في القدر وهو العذاب
المنكر (ثم رداً إلى ربه) في الآخرة (فيعذبه عذاباً نكراً) أي شديد اجتهاد في النار وتقدم
في نكر اسكون الكاف وضما (وأمان آمن وعمل صالحاً) تصديقاً لما أخبر به من تصديقه

(قله) في الدارين (جزاء الحسنی) أى الجنة وقرأ حفص وحزرة والكسائي بفتح الهمزة بعد
الزاي منونة وتكسر في الوصل لاتقاء الساكنين قال القراء نصبه على التفسير أى لجهة
النسبة وقيل منصوب على الحال أى قله المثوبة الحسنی مجزياً بها والباقيون بضم الهمزة من غير
تنوين فالإضافة لليسان قال المفسرون والمعنى على قراءة النصب فله الحسنی جزاء كما تقول له
هذا الثوب هبة وعلى قراءة الرفع وجهان الأول فله جزاء الفعل الحسنی والفعل الحسنی هى
الایمان والعمل الصالح والثاني فله جزاء المثوبة الحسنی وإضافة الموصوف الى الصفة مشهورة
كقوله ولدا دار الآخرة وأمال ألف الحسنی جزاء الكسائي محضه وأبو عمرو وبينين وورش
بالفتح والامالة بينين (وسنة قول) بوعده لا خلف فيه بعد اختياره بالأعمال الصالحة (له) أى
لأجله (من أمرنا) أى ما أمر به (يسراً) أى قولاً غير شاق من الصلاة والزكاة والخراج
والجهاد وغيرها وهو ما يطيقه ولا يشق عليه مشقة كثيرة (ثم أتبع) لارادة طلوع مشرق
الشمس (سبياً) من جهة الجنوب يوصله الى المشرق واستمرقه لاييل ولا قلبه أمة مرت عليها
(حتى اذا بلغ) في مسيره ذلك (مطلع الشمس) أى الموضع الذى تطلع عليه أولاً من المعمور من
الارض (وجدها تطلع على قوم) قال الجلال المحلى هم الزنج وقوله تعالى (لم نجعل لهم من دونها)
أى الشمس (ستراً) فيه قولان الأول انه لاشئ لهم من سقف ولا جبل يمنع من وقوع شعاع
الشمس عليهم لأن أرضهم لا تحمل ثياباً قال الرازى ولهم سروب يغيبون فيها عند طلوع الشمس
ويظهرون عند غروبها فيكونون عند طلوع الشمس يتعذر عليهم التصرف في المعاش وعند
غروبها يشغلون بتحصيل مهمات المعاش وأحوالهم بالضد من أحوال سائر الخلق وقال قتادة
يكونون في أسراب لهم حتى اذا زالت الشمس عنهم خرجوا فرعوا كلبهائم والثاني ان معناه
لا ثياب لهم ويكونون كسائر الحيوانات عراة أبداً وفى كتب الهيئة ان أكثر حال الزنج كذلك
وحال كل من سكن البلاد القريبة من خط الاستواء كذلك قال الكلبي هم عراة يفرش
أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالآخرى وقال الزمخشري وعن بعضهم قال خرجت حتى جاؤزت
الصين فسألت عن هؤلاء القوم فقبل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم وإذا أحدهم يفرش
أحدى أذنيه ويلبس الآخرى فلما قرب طلوع الشمس سمعت صوتاً كهية الصلصلة فغشي على
ثم أفقت فلما طلعت الشمس فإذا هى فوق الماء كهية الزيت فأدخلوني سرباً لهم فلما ارتفع
النهار جعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وعن مجاهد من لا يلبس
الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الارض وقوله تعالى (كذلك)
فيه وجوه الأول ان معناه كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها الثاني ان أمره كما
وصفناه من رفعة المكان وبسطة الملك قال البغوى والصحيح ان معناه كما حكم في القوم الذين هم
عند غروب الشمس كذلك في القوم الذين هم عند مطلعها (وقد أحطنا بما لديه) أى عند ذى
القرنين من الآلات والجنود وغيرهما (خبراً) أى علماتعلق بطواهره وخفائيه والمعنى ان كثرة
ذلك بلغت مبلغاً لا يحيط به العلم اللطيف الخبير (ثم) ان ذا القرنين لما بلغ المغرب والمشرق

(أصبح سبياً) آخر من جهة الشمال في ازاة ناحية السد فخرج بأجوج وما أجوج واستقر
أخذافيه (حتى إذا بلغ) في مسيره ذلك (بين السدين) أي بين الجبلين وهما جبال أرمينية
وأذربيجان وقيل جبلان في أواخر الشمال وقيل هذا المكان في منقطع بلاد الترك من ورائهما
بأجوج وما أجوج قال الرازي والظاهر أن موضع السد في ناحية الشمال سد الاسكندر
ما بينهما كما سيأتي وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص بفتح السين والباقون بضمها وهما الغتان
معناهما واحد وقال عكرمة ما كان من صنع بني آدم فهو السد بالفتح وما كان من صنع الله فهو
بالضم وقاله أبو عمرو وقيل بالعكس (وجد من دونهما) أي بقرهم من الجانب الذي هو أدنى
منهما إلى الجهة التي أتى منها والقرنين (قوماً) أي أمة من الناس لغتهم في غاية البعد من
لغات بقية الناس لبعدها عنهم عن بقية البلاد فهم كذلك (لا يكادون) أي لا يقربون
(يفقهون) أي يفهمون (قولا) ممن مع ذى القرنين فهما جيد كما يفهم غيرهم لغابة لغتهم
وقلة فطنهم وقرأ حمزة والكسائي بضم الياء وكسر القاف والباقون بفتحهما وقال ابن عباس
لا يفقهون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم واستشكل بقولهم (قالوا يا ذا القرنين)
وأجيب بأنه تكلم عنهم مترجماً عن هوجا وروهم ويذهبهم كلامهم (إن بأجوج وما أجوج) وهما
اسمان أعجميان لقبيلتين فلم ينصرفا وقرأ عاصم بهمزة ساكنة بعد الياء والميم والباقون
بالالف فيه وما وهما الغتان أصلهما من أجج النار وهو ضوءها وشررها شبهوا به لكثرة
وسدتهم وهم من أولاد يافث بن نوح عليه السلام قال الضحاك هم جيل من الترك قال
السدى الترك سريّة من بأجوج وما أجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة
فجميع الترك منهم وعن قتادة انهم اثنتان وعشرون قبيلة بنى ذو القرنين السد على
احدى وعشرين قبيلة وبقيت قبيلة واحدة فهم الترك سموا الترك لانهم تركوا خارجين
قال أهل التواريخ وأولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبوالعرب
والعجم والروم وحام أبوالحبشة والزيج والنوبة ويافث أبوالترك والخزر والصفالسة
وبأجوج وما أجوج وقال ابن عباس في رواية عطاءهم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم
جزء وروى عن حذيفة مرفوعاً إن بأجوج أمة وما أجوج أمة وكل أمة أربع مائة ألف
أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم
من ولد آدم يسكنون في خراب الارض وقال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الارز
شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم طوله وعرضه سواء عشرون
ومائة وهؤلاء لا تقوم لهم الجبال ولا الحديد وصنف منهم يفرش احدى أذنيه ويلتحف
بالاخرى لا يبرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا كلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام
وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية ومنهم ان ثبت لهم مخالف في
أطفالهم وأضرارهم كما ضراس السباع وعن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال منهم من طوله
شبر ومنهم من هو مفرط في الطول وقال كعب هم نادية في ولد آدم وذلك أن آدم احتمل ذات

يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء بأجوج ومأجوج فهم يتصلون بناس
جهة الابد دون الاتم وذكر وهب بن منبه أن ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ
كان عبدا صالحا قال الله تعالى اني باعثك الى أمم مختلفة أسنتهم منهم أمتان بينهما طول
الارض احدهما عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والآخرى عند مطلعها يقال لها منسك
وأمتان بينهما عرض الارض احدهما في القطر الايمن يقال لها هاول والآخرى في قطر
الارض الايسر يقال لها ناويل وأم في وسط الارض منهم الجن والانس وبأجوج ومأجوج
فقال ذا القرنين بأى قوّة؟ كثرتهم وبأى لسان أناطقهم قال الله تعالى اني سأطوقك وأبسط
لك لسانك وأشد عضدك فلا يهولك شيء وألسك الهيبة فلا يروعك شيء وأسخر لك النور والظلمة
وأجعلهما من جنودك يديك النور من أمامك وتحفظك الظلمة من ورائك فانطلق حتى أتى
مغرب الشمس فوجد جعرا وعددا لا يحصىه الا الله تعالى فكانت بهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان
واحد فدعاهم الى الله تعالى والى عبادته فمنهم من آمن ومنهم من كفر ومنهم من صد عنه فعمد
الى الذين تولوا عنه وأدخل عليهم الظلمة فدخلت أجوافهم ويوتهم فدخلوا في دعوته فخذ من
أهل المغرب جندا عظيما فانطلق يقودهم الظلمة تسوقهم حتى أتى هاويل فعمل فيهم كعمله
في ناسك ثم مضى حتى انتهى الى منسك عند مطلع الشمس فعمل فيها وجندا منها جنودا كعمله
في الايمن ثم أخذ بناحية الارض اليسرى فأتى ناويل فعمل فيها كعمله فيما قبلها ثم عمد الى
الامم التي وسط الارض فلما كان مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من
الانس يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا أشباه البهائم أى وهم بأجوج ومأجوج
(مفسدون في الارض) يقتربون الدواب والوحوش والسباع ويأكلون الحيات والعقارب
وكل ذي روح خلقه الله في الارض وليس يزداد خلق كزيادتهم فلا يشك أنهم سيملكون
الارض ويظهرون عليها ويفسدون فيها وقال الكلبى فسادهم انهم كانوا يخرجون أيام الربيع
الى أوطهم فلا يدعون فيها شيئا أخضر الاأكلوه ولا يابس الاأختلوه وأدخلوه أرضهم وقد
بالغوا ولقوا منهم أذى شديدا وقتلوا وقيل فسادهم انهم كانوا يأكلون الناس وقيل معناه انهم
سيفسدون في الارض بعد خروجهم (فهل يجعل لك خراجا) أى جعل لمن المال وقرأ حجة
والنكساق يفتح الرأ وألف بعدها والباقون يسكون الرأ ولا ألف بعدها فقيل هما بمعنى وقيل
الخروج ما تبرعت به والخراج مال زمك (على أن تجعل) في جميع ما (ينسأ وينهم) من الارض
التي يمكن توصلهم اليها منها بما تال الله من المكنة (سدا) أى حاجز بين هذين الجبلين فلا
يتصلون اليها وقرأ نافع وابن عامر وشعبة برفع السين والباقون بالنصب (قال) لهم ذا القرنين
(مما مكني فيه ربى) أى المحسن الى عمارتونه من الاموال والرجال والتوصل الى جميع الممكن
للمخلوق (خير) من خراجكم الذي تريدون بذله كما قال سليمان عليه السلام فما أتاني الله خيرا
مما آتاكم وقرأ ابن كثير بنون مفتوحة بعد الكاف وبعدها نون مكسورة والباقون بنون
واحدة مكسورة مشددة (فأعينوني بقوة) أى اني لأريد المال بل أعينوني بأيديكم وقوتكم

وبالآلات التي أتقوا بها في فعل ذلك فإن مامعينا هو للقتال وما يكون من أسبابه لا مثل هذا
 (أجعل ينسكم) أي بين ما يختصون به (وبينهم ردما) أي جاحزا حصينا وثقا بعضه فوق بعض
 من التلاصق والتلاحم وهو أعظم من السد من قولهم ثوب ردم إذا كان رقاعا فوق رقاع قالوا
 وماتلك القوة قال فعله وصناع يحسنون البناء قالوا وماتلك الآلات قال (آتوني) أي أعطوني
 (زبر الحديد) أي قطعه وهو جمع زبرة كغرفة وغرف قال الخليل الزبرة من الحديد القطعة
 الضخمة فأقوبه وبالخطب حفرة الأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس
 المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الخطب والفجعم (حتى إذا ساوى) أي بذلك البناء
 (بن الصديقين) أي بين جابى الجبلين أي سوى بين طرفي الجبلين سميا بذلك لانهما يتصادقان أي
 يتقابلان من قولهم صادفت الرجل لاقيته وقابلته وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر برفع
 الصاد والدال وشعبة برفع الصاد وسكون الدال والباقون ينصب الصاد والدال ثم وضع المنافع
 وأطلق النار في الخطب والفجعم و(قال) أي للعملة (أنفخوا) فنفخوا (حتى إذا جعله) أي
 الحديد (نارا) أي كالنار (قال آتوني) أي أعطوني (أفرغ عليه قطرا) أي أصب النحاس
 المذاب على الحديد المحمي فصبه عليه فدخل في خلال الحديد مكان الخطب لأن النار كانت
 الخطب حتى لزم الحديد النحاس فاختلف والتصق ببعضه ببعض وصار جبلا صلبا قال
 الزحشمرى قيل ما بين السدين مائة فرسخ وروى أن عرضه كان خمسين ذراعا وارتفاعه مائتي
 ذراع وعن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا في رواية عن رجل من أهل المدينة قال يا رسول الله قد
 رأيت سديا جوج ومأجوج قال انعمت لي قال كلبرد المحرطريقة سوداء وطريقة ججرا وهذه
 معجزة عظيمة أن كان نيبا أو كرامة أن لم يكن لأن هذه الزبرة الكبيرة إذا نفخ عليها حتى صارت
 كالنار لم يقدر الحيوان أن يقرب منها والنفخ عليها لا يكون إلا بالقرب منها فكانت تعالى صرف
 تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك الناس فحين عليها حتى تمكنوا من العمل فيها * (تنبيه) *
 قطر هو المتنازع فيه وهذه الآية أشهر أمثله النخاعة في باب التنازع وبها تمسك البصريون
 على أن أعمال الثاني من العاملين المتوجهين فهو معمول واحد وأولى أدلوه كان قطر مفعول
 آتوني لا ضمير مفعول أفرغ حذرا من الالباس ثم قال تعالى (فما) أي فتسبب عن ذلك
 أنه لما كمل عمل الردم وأحكمه ما (اسطاعوا) أي بأجوج ومأجوج وغيرهم (أن يظهره)
 أي يعاينوا ظهوره لعلوه وملاسته وقرأ جزء بتشديد الطاء والباقون بالتخفيف (وما استطاعوا له
 نقبا) أي خرقا لصلابته وسماكته وزيادة التاء هنا تدل على أن العلوق عليه أصعب من نقبه
 لارتفاعه وصلابته والتمام ببعضه ببعض حتى صار سيكة واحدة من حديد وفخاس في علوق
 الجبل فانهم ولو احتملوا بينا دارج من جانبهم أو وضع تراب حتى ظهر واعلم لم يقعهم ذلك
 لانهم لاحيلة لهم على النزول من الجانب الآخر ويؤيده أنهم انما يخرجون في آخر الزمان بنقبه
 لا يظهرهم عليه ولا ينافي في الاستطاعة لنقبه ما رواه الامام أحمد والترمذي في التفسير وابن
 ماجه في الفتن عن أبي رافع عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان يأجوج

ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا
 فستحفرونه غدا فيعودون اليه كما شئتما كان حتى اذا بلغت مدتهم واراد الله تعالى أن يعذبهم
 على الناس حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه
 غدا ان شاء الله تعالى فبستثنى فيعودون اليه وهو كهينته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون
 على الناس الحديث وفي حديث الصحيحين عن زيد بن جحش عن النبي صلى الله عليه وسلم فتح
 اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه عن
 أبي هريرة وفيه مثل هذا وعقد تسعين لأن هذا في آخر الزمان ثم انه قيل في قال حين فراغه قيل
 (قال هذا) أي السديعي الاقدار عليه (رحمة) أي نعمة (من رب) أي المحسن إلى باقداوي
 عليه ومنع العادية (فاذا جاء وعد رب) بقرب قيام الساعة أو بوقت خروجهم (جعل دكا)
 أي مدكوكا مبسوطا روى أنهم يخرجون على الناس فيتبعون المياه ويتحصن الناس
 في حصونهم منهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من في
 الارض وعولنا من في السماء قسوة وعولوا فيبعث الله تعالى عليهم نغفا في رهاهم وفي رواية
 في آذانهم فيملكون قال صلى الله عليه وسلم فوالذي نفسي بيده ان دواب الارض لتسمن
 وتشكر من لحومهم شكرا أخرجته الترمذي قوله قسوة وعولوا أي غلظة وفظاظة وتكبيرا
 والنغف دود يخرج في أنوف الابل والغنم وقوله وتشكر من لحومهم شكرا يقال شكرت
 الشاة شكر حين امتلأ ضرعها لبنا والمعنى أنها امتلأت أجسادها لحونا تسمن وعن النواصير بن
 سمرعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة تخفض فيه ورفع حتى ظنناه
 في طائفة من النخل فلما رحلنا اليه عرف ذلك فمنا فقال ما شأنكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال
 غداة تخفضت فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفني عليكم ان يخرج
 وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيجه نفسه والله خليفتي على كل
 مسلم وانه شاب قطط أي شديد الجعودة وقيل حسن الجعودة عينه طافية أي بارزة وقيل محسوفة
 كما في أشبهه بعد العزى بن قطن فبن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج
 من حله نين الشام والعراق فعاش أي أفسد عينا وعاش شيا لا يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله
 وما مكثه في الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كسنة ويوم كسنة وسائر أيامه كما يأمكم
 قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أي كفيينا فيه صلاة يوم قال لا اقدر واه قدره أي واليوم
 الثاني والثالث كذلك وسكت عن ذلك للعلم به من الاول قلنا يا رسول الله وما اسراعه في الارض
 قال كالغيث استدرته الريح فباتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبن له فيأمر
 السماء فتمطر والارض فتنبث وتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت درأ واسعة ضرعوها
 وأملأها خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصحبون محلين
 ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمتد بالخربة فيقول لها اخرجي كنزك فيتبعه كنوزها كيما يسب
 النخل ثم يدع رجلا مملتا شابا فيضربه بالسيف فيقطعه جرتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل

ويتهمل وجهه يضحك فينبها هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء
في دمشق بين مهرودتين أي حنتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأ طأ رأسه قطر واذا
رفعه فحدرد منه مثل جنان كاللولؤ فلا يحل لكافر يجدر يحن نفسه الامات ونفسه ينتهي حيث
ينتهي طرفه حتى يدركه ياب الدقرة بالشأم قرينة من الرملة فيقتله ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد
عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويخبرهم بدرجاتهم في الجنة فينبها هو كذلك اذ أوحى الله
تعالى الى عيسى عليه السلام اني قد أخرجت عبادي الى لايدان لاحد بقنا لهم فجوز عبادي
الى الطور وبيعت بأجوج ومأجوج وهم من كل حدب فساون فيترأوا ثلهم على بحيرة
طبرية فيشربون ما فيها ويترأخهم فيقول لقد كان به ذم مرة ماء ويحصرني الله وأصحابه حتى
يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحد كم اليوم فيرغبني الله عيسى
وأصحابه الى الله تعالى فيرسل الله تعالى عليهم النصف في راقهم وهو بالتحريك ودويكون في
أنوف الابل والغنم كما مر واحدته بانفقه فيصبحون فرسا أي قلى الواحد فريس ثم يهبط
نبي الله عيسى وأصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبرا الا ملاه ورحمهم وتنتهم
فيرغبني الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله تعالى عليهم طيرا كأعناق البخت فتحملهم
حيث شاء الله تعالى ثم يرسل الله تعالى مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض
حتى يتركها كالزلفة وهي بالتحريك جمعها زلف مصانع الماء ويجمع على المزالف أيضا أي قصير
الارض كأنهم مصنعة من مصانع الماء وقيل كالمرآة وقيل الزافة الروضة وقيل بالقاف
أيضا ثم يقال للارض انبئي ثم ردى بركنك فيومثذنا كل العصاة من الرماة ويستطلون
بقحفها ويبارك في الرسل وهو بتحريك الراء والسين من الابل والغنم من عشرة الى خمسة
وعشرين حتى ان اللقعة من الابل لتكني القمام من الناس وهو مهجور الجماعة الكثيرة
واللقعة من البقر لتكني القبيلة من الناس واللقعة من الغنم لتكني الفخذ من الناس
فينبها هو كذلك اذ بعث الله تعالى عليهم ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فيقبض روح كل
مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحر فعليهم تقوم الساعة (وكان
وعد ربي) الذي وعده في خروج بأجوج ومأجوج وارقهم الارض وافسادهم لها قرب
قيام الساعة (حقا) كأننا بالاحالة فلذلك أعان تعالى على هدمه هذا آخر حكاية ذى القرنين
وفي القصة ان ذا القرنين دخل الظلة فلما رجع توفي بشير زور وذكر بعضهم أن عمره كان نيفا
وثلاثين سنة سبحان من يدوم عزه وبقاؤه ثم انه تعالى قال عاطفا على ما تقدمه فقد بان أمر ذى
القرنين أي بيان وصدق في قوله فاذا جاء وعد ربي فإنه اذا جاء وعدنا جعلناه بقدر رسالتنا التي
نؤتيها لأجوج ومأجوج دكا فأنخرجناهم على الناس بعد خروج الدجال (وتركا بعضهم) أي
بأجوج ومأجوج (يومئذ) أي حين يخرجون (بأجوج) أي يضطرب (في بعض) كوج البحر
أو مجوج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويقتلطون انهم وجنهم حباري ويؤيده (وتفتح في
البحر) أي القرن النخبة الثانية فيقول له تعالى (جمعناهم) أي الخلائق في مكان واحد يوم

القيامة قال البقاعي ويجوز أن تكون هذه الفاء الفاء الفصيحة فيكون المراد النسخة الاولى أى
وتنقيح فئات الخلائق كلهم فبليت أجسامهم وتفتت عظامهم كما كان من تقدمهم ثم تنفخ الثانية
لجميعناهم من التراب بعد تغزقهم فيه وتفرقهم في أقطار الارض بالسبيل والرياح وغير ذلك
(جمعاً) فأمناهم دفعة واحدة كلج البصر وحشرناهم الى الموقف الحساب ثم الثواب والعقاب
(وعرضنا) أى أظهرنا (جهنم يومئذ) أى اذ جمعناهم لذلك (للكافرين عرضاً) ظاهرة لهم بكل
ما فيها من الاهوال وهم لا يجدون لهم عندها مصرفاً * ثم وصفهم بما أوجب لهم ذلك بقوله تعالى
(الذين كانت) كوناً كأنه جبله لهم (أعينهم) وهو يدل من الكافرين (في غطاء عن ذكرى)
أى عن القرآن فهم لا يهتدون به وعما جعلنا على الارض من زينة دليل على الساعاة بافتان
ثم احيائنا وعادته بعد ابادته (وصكناوا) بما جعلناهم عليه (لا يستطيون سماعاً) أى
لا يقدرُونَ أن يسمعو من النبي صلى الله عليه وسلم ما يلو عليهم بغضاله فلا يؤمنون به * ولما
بين تعالى أمر الكافرين أنهم أعرضوا عن الذكر وعن ايقاع ما جاء به النبي صلى الله عليه
وسلم أتبعه بقوله تعالى (ألحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى) من الاحياء كاللائكة
وعزير والمسح والاموات كالاصنام (من دوى) وقوله تعالى (أولياء) أى أبوابا مفعول ثان
ليتخذوا والمفعول الثانى لحسب محذوف والمعنى أطنوا أن الاتخذوا المذكور يتفعهم
ولا يغضبني ولا أعاقبهم عليه كلا وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح الياء والباقون بسكونها وهم على
مراتبهم في الملق * ولما كان معنى الاستفهام الانتكاري ليس الامر كذلك حسن جداً قوله
تعالى مؤكداً لاجل انكارهم (انا اعتمدنا جهنم) التي تقدم أن أعرضناها لهم (للكافرين) أى
هؤلاء وغيرهم (نزلنا) أى هي معدة لهم كالنزل المعد للضعيف وهذا على سبيل التحكم ونظيره
قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم * ثم ذكر تعالى ما فيه تنبيه على جهل القوم فقال تعالى
لنبيهم صلى الله عليه وسلم (قل) لهم (هل تنتظرون) أى تخبركم وأدغم الكسافي لام
هل في النون والباقون بالاطهار (بالاخرين أعمالاً) أى الذين اتبعوا أنفسهم في عمل
يرجون به فضلاً ونوالاً فقالوا هلا كابوارا واختلقوا فيهم فقال ابن عباس وسعد بن أبي
وقاص هم اليهود والنصارى وهو قول مجاهد قال سعد بن أبي وقاص أما اليهود فكذبوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم وأما النصارى فكفروا بالجنة فقالوا لا طعام فيها ولا شراب انتهى
قال البقاعي وكذلك قال اليهود لان الفريقين أنكروا الحشر الجسماني وخصوه بالروحاني
وقيل هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع * (تنبيه) * أعمالاً تتميز للاخرين جمع
عمل وان كان مصدراً لتتوع أعمالهم ثم وصفهم تعالى بضمة ما يدعونه لانفسهم من فجاج السعي
واحسان الصنع فقال تعالى (الذين ضل) أى ضاع وبطل (سعيهم في الحساة الدنيا) لكفرهم
* (تنبيه) * محل الوصول الجرفقاً أو بدلاً أو بياناً والنصب على النзм والرفع على الخبر
المحذوف فانه جواب السؤال ومعنى خبر انهم أنه مثلهم عن يشتري سلعة يرجو فيها ربها
نفسه وخاب سعيه كذلك أعمال هؤلاء الذين اتبعوا أنفسهم مع ضلالهم فبطل جدهم

واجتهادهم في الحياة الدنيا (وهم يحسبون) أي يظنون وقرأ ابن عامر وعاصم وحزق بن
السين والباقر بالكسر (أنهم يحسنون صنعا) أي علموا يجازون عليه لاعتقادهم أنهم على
الحق * ثم بين تعالى السبب في بطلان سعيهم بقوله تعالى (أولئك) أي البعداء البغضاء الذين
كفروا بأنهم) أي بدلائل توحيده من القرآن وغيره (ولقائه) أي رؤيته لانه يقال لقيت
فلانا أي رأيته (فان قيل) اللقاء عبارة عن الوصول قال تعالى فالتقى الماء على أمر قد قدر وذلك
في حق الله تعالى محال فوجب حمله على لقاء ثواب الله تعالى كما قال بعض المفسرين (أجيب)
بأن لفظ اللقاء وان كان عبارة عن الوصول الآن استعمله في الرؤية مجازا ظاهر مشهور
والذي يقول ان المراد لقاء ثواب الله قال لا يتم الا بالاضمار وحمل اللفظ على المجاز المتعارف
المشهور وأولى من حمله على ما يحتاج الى الاضمار ثم قال تعالى (لخبطت) أي فبسبب مجدهم
الدلائل بطلت (أعمالهم) فصارت هباء منثورا فلا يثابون عليها وفي قوله تعالى (فلا تقيم لهم يوم
القيامة وزنا) قولان أحدهما ان لا يدرى بهم وليس لهم عندنا وزن وقد ارتفع قول العرب
ما لقان عندى وزن أي قدر غلسته وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
لباقى الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤا ان شئتم فلا
تقيم لهم يوم القيامة وزنا الثاني لانهم ميزانا لان الميزان انما يوضع لاهل الحسابات
والسمات من الموحدين ليميز مقدار الطاعات ومقدار السيئات وقال أبو سعيد الخدري تأتي
ناس بأعمالهم يوم القيامة عندهم في التعظيم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فذلك قوله
تعالى فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا * ولما كان هذا السياق في الدلالة على ان لهم جهنم أوضح
من الشمس قال تعالى (ذلك) أي الامر العظيم الذي يبناه من وعيدهم (جزاؤهم) ثم بين ذلك
الجزاء بقوله تعالى (جهنم) وصرح بالسياسة بقوله تعالى (بما كفروا) أي بما وقعوا التغطية
للدلائل (واخذوا آياتي) الدالة على وحدانيتنا (ورسلي) المؤيدتين بالمعجزات الظاهرات
(هزوا) أي مهزوا بهم ما فلم يكن ثواب الكفر الذي هو طعن في الالهية حتى ضمو اليه الهزو
الذي هو أعظم احتقارا * ولما بين سبحانه وتعالى ما لاحد قسمي أهل الجمع تفرغ عنهم بين
ما للاخرين على تقدير الجواب لسؤال يقتضيه الحال ترغيبا في اتباعهم والافتداء بهم بقوله
(ان الذين آمنوا) أي باشروا الايمان (وعملوا) تصديقا لايمانهم (الصالحات) من الخصال
(كانت لهم) أي في علم الله قبل أن يخلقوا البناء أعمالهم على الاساس (جنات) أي بساتين
(الفردوس) أي أعلى الجنة وأوسطها والاضافة اليه للبيان روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا سألت الله تعالى فاسأله الفردوس فانه أوسط
الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة وقال كعب ليس في الجنان جنة
أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والنهي عن المنكر وقال قتادة الفردوس
ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها وقال كعب الفردوس هو بستان الجنة الذي فيه
الاعناب وقال مجاهد هو البستان بالرومية وقال الزجاج هو بالرومية منقول الى لفظ العربية

وقال عكرمة هي الجنة بلسان الحبش وقال الضعالي هي الجنة الملتفة الانهار (نزل) أي منزلا
 كما كان السعير والاعلال لا وثلك نزل وقوله تعالى (خالدين فيها) حال مقدرة (لا يغنون) أي
 لا يريدون أدنى ارادة (عنها حولا) أي تحويلا الى غيرها قال ابن عباس لا يريدون أن يتحولوا عنها
 كما ينقل الرجل من دار اذالم توافقها الى دار أخرى * ولما ذكر تعالى في هذه السورة أنواع الدلائل
 والبيانات وشرح فيها أقاصيص الاولين والآخرين نبه على حال كمال القرآن بقوله لتنبه صلى الله
 عليه وسلم (قل) يا أشرف الخلق للخلق (لو كان البحر) أي ماؤه على عظمته عندكم (مدادا)
 وهو اسما يمتد به الشيء كالحرير للدواة والسليط للسراج (لكلمات) أي لكذب كلمات (ربى)
 أي المحسن الى (لنفد) أي فنى مع الضعف فناء لا تدرك له (البحر) لانه جسم متناه (قبل أن
 تنفد) أي تنفد وتفرغ (كلمات ربى) لأن معلوماته تعالى غير متناهية والمتناهي لا ينفى البتة
 بغير المتناهي وقرأ حزة والكسائي بالياء التحية على التذكير والباقون بالفوقية على التأنيث
 * ولما لم يكن أحد غيره بقدر على امداد البحر قال تعالى (ولو جئنا بعثله) أي بعث البحر الموجود
 (مددا) أي زيادة ومعونة ونظيره قوله تعالى ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر عذبة
 من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال البغوي وابن
 عباس قالت اليهود تزعم يا محمد ان اقدأوتينا الحكمة وفي كتابك ومن بؤت الحكمة فقد أوفى
 خيرا كثيرا ثم تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا فانزل الله تعالى هذه الآية وقال البيضاوى
 وسبب نزولها أن اليهود قالوا في كتابكم ومن بؤت الحكمة فقد أوفى خيرا كثيرا وتقرؤن
 وما أوتيتم من العلم الا قليلا انتهى وقال في الكشف يعنى ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من
 بحر كلمات الله وقيل لما نزل وما أوتيتم من العلم الا قليلا قالت اليهود أوتينا التوراة وفيها علم كل
 شيء فانزل الله تعالى هذه الآية * ولما كانوا ربما قالوا مال لا نتخذ من هذه الكلمات بكل
 ما سألنا عنه قال الله تعالى (قل) يا خير الخلق لهم (أنما أنا بشر) في استبداد القدرة على ايجاد
 العدم والاعمال بالغيب (مثلكم) أي لا أمرى ولا قدرة الا ما يقدرنى ربى عليه ولكن (يوحي
 الى) أي من الله تعالى الذى خصنى بالرسالة كالوحي الى الرسل قبلى (أنما الحكم) الذى يجب
 أن يعبد (اله واحد) لا ينقسم بمجانسة ولا غيرها قادر على ما يريد لا منازع له يوفق جواب
 ما سألتونى عنه من عجز ولا من جهل هذا الذى يعنى كل أحد علمه وأما ما سألتم عنه فى أمر
 الروح والقصتين فغشائى فأمر لوجه لمتوه ماضى كم جهله (فن) أي فتشبه عن وحدته
 المستلزمة لقدرة أنه من (كان يرجو لقاءه) أي يخاف المصير اليه وقيل يأمل رؤيته ربه
 والرجاء يكون بمعنى الخوف والامل جميعا قال الشاعر

فلا كل مازج من الخير كائن * ولا كل مازج من الشر واقع

لجميع بين المعنيين (فليعمل عملا) ولو قليلا (صالحا) يرضيه الله (ولا يشرك) أي وليكن ذلك
 العمل مبني على الاساس وهو أن لا يشرك ولو بالربا (بعادة به أحد) فاذا عمل ذلك حاز غفار
 عتوبه الذى لا ينزع روى أن جند بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأعمل

العمل لله فاذا اطلع عليه سرتي فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه فتركت تصديقا وروى أنه قال له
لك أجران أجر السر وأجر العلانية وذلك اذا قصد أن يقتدي به وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال
اتقوا الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر قال الرياء وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا
أشرك فيه غيري فأنا منه بريء هو الذي عمله وعن سعيد بن فضالة قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا جع الله تبارك وتعالى الناس ايام لا ريب فيه نادى مناد من كان يشركني في
عمل عمله فلنطلب ثوابه منه فات الله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك والآية جامعة للخلاص في
العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة * (خاتمة) * وروى في فضائل سورة الكهف
أحاديث كثيرة منها ما رواه الترمذي وغيره من قرأها عند مضجعه كان له نور يتلأ
في مضجعه الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة
كان له نور يتلأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى
يستيقظ وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من حفظ عشر آيات من أول
سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وقال البيضاوي وعنه عليه السلام من قرأ سورة الكهف
من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ولكن الذي رواه الامام أحمد من قرأ أول سورة
الكهف كانت له نورا من فرقه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء
وروى البغوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له
نورا من قدمه الى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء ففسأل الله تعالى أن
ينور قلبنا وأبصارنا وان يغفر لنا ولا يؤاخذنا بسوء أفعالنا وان يفعل ذلك بوالدينا وولادنا
وأحبابنا وأحبابنا ومنا وجميع اخواننا المسلمين وأحبابنا آمين ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين

(سورة مريم عليها السلام مكية)

وهي ثمان وتسعون آية وسبع مائة واثنان وستون كلمة
وثلاثة آلاف وخمسة مائة حرف وحرمان

(بسم الله) المزة عن كل شائبة نقض القادر على كل ما يريد (الرحمن) الذي عم نواله سائر
مخلوقاته (الرحيم) بسائر خلقه واختلف في تفسير قوله تعالى (كهيعص) قال ابن عباس
هو اسم من أسماء الله تعالى وقال قتادة هو اسم من أسماء القرآن وقيل هو اسم الله الاعظم
وقيل هو اسم السورة وقيل قسم أقسم الله به وعن الكلبي هو شأه أي الله به على نفسه وعنه
معناه كاف خلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم بيريته صادق في وعده وعن ابن عباس قال
الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عليم وعظيم والصاد من صادق
وقيل انه من التشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه وقد تقدم الكلام على ذلك في أول سورة البقرة

امرأتى عاقراً) لاتلد أصلاً عادل عليه فعل الكون (فهب لى) أى فتسبب عن شيخوختى
 وضعنى وتعودى لى بالاجابة وخوفى من سوء مخالفة أقاربى ورأسى عن الولادة بعمامتهم امرأتى
 وبلوغى من الكبر حد الآخر الذى معه أنى أقول لك يا قادر على كل شئ هب لى (من لذلک) أى من
 الامور المستبطنة المستغربة التى عندك لم تجرها على مناهج العادات والاسباب المطردات (وليا)
 أى ابنا من صلبى (يرثى) فى جميع ما أنا فيه من العلم والنبوة والعمل (ويرث) زيادة على ذلك
 (من آل يعقوب) جزأ مما خصهم به من المنح وفضلهم به من النعم ومحاسن الاخلاق ومعالي
 الشيم فان الانبياء لا يورثون المال وقيل يرثى الحبورة أى العلم بتجديد الكلام وتحسينه فانه كان
 حبراً هو بالفخ والكسر وهو أفصح يقال للعالم بتجديد الكلام وتحسينه وهو يعقوب
 ابن اسحق عليهم السلام وقيل يرثى العلم فيرث من آل يعقوب النبوة وافظ الارث يستعمل
 فى المال وفى العلم والنبوة أتمانى المال فقلوله تعالى وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم
 وأتمانى النبوة فقلوله تعالى وأورثانى اسرائيل الكتاب الآية وقال صلى الله عليه وسلم العلماء
 ورثة الانبياء ولان الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وانما يورثون العلم وخص اسم يعقوب اقتداء
 به نفسه اذ قال ليوسف عليه السلام ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب ولان اسرائيل قد صار
 علماً على الاسباط كلهم وكانت قد غلبت عليهم الاحداث وقرأ أبو عمرو والكسائى يجزم الثاء
 المثلثة فيم على أنهم ما جواب الامر اذ قد رهم ان تهب يرث والباقون بالضم فيم على أنهم ما
 صفة (واعترض) بأن زكريا دعا الله تعالى أن يهب له ولداً يرثه مع أن يحيى قتل قبله فلم يجبه الى ارثه
 منه (وأجيب) بأن اجابة دعا الانبياء غالبه للازمة فقد يتخلف لقضاء الله تعالى بخلافه كما فى
 دعا ابراهيم عليه السلام فى حق آية وكما فى دعا نبيها محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله وسألته
 أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فذهنبها ولما كان من قضاء الله تعالى وقدره أن يوجد يحيى نبياً
 صالحاً بمقتل استحيب دعا زكريا فى ايجاده دون ارثه * ولما ختم دعاءه بقوله (واجعله رب)
 أى اياه الحسن الى (رضياً) أى مرضياً عندك أجابه الله تعالى بقوله تعالى (يا زكريا اننا نبشرك
 بغلام) يرث كما سألت (اسمه يحيى) وقرأ جزء بفتح النون وسكون الباء الموحدة وضم الشين
 مخففة والباقون بضم النون وفتح الموحدة وكسر الشين مشددة وكذلك فى آخر السورة
 * (تنبيه) * يحيى اسم أعجمى ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وقيل منقول من الفعل
 المضارع كما سمر أيعمر واما نولى تعالى تسميته نشر يشاله قال تعالى (لم يجعل لهن قبل سمياً)
 أى سمى يحيى قال قتادة والكلبى لم يسم أحد قبله يحيى * (تنبيه) * سمياً مأخوذة من السموى
 وفيه دلالة لقول البصريين ان الاسم من السموى ولو كان من الوسم لقلل وسمياً وقال سعيد
 ابن جبير وعطاء لم يجعل له شهاً ومثلاً كما قال تعالى هل تعلم له سمياً أى مثلاً والمعنى انه لم يكن له مثل
 لانه لم يبعث ولم يبعث قط ورز هذا لان هذا يقتضى تفضيله على الانبياء قبله كابراهيم وموسى
 وليس كذلك وقيل لم يكن له ميل الى امر النساء لانه كان سيداً وحسبوا وعن ابن عباس لم تلد
 العواقر مثله ولذا ثم كانت قبل فما قال فى جواب هذه البشارة العظيمة فقيل (قال) عالماً

قوله يرث كما سألت
 هذا يناقض ما قدمه
 من أنه لم يجب الى
 ارثه لتخلفه بكونه
 قتل قبل والده
 وعادة الجمل قوله
 يرث كما سألت
 قد يستشكل بأنه
 سأل ولداً يرث منه
 ولم يفعل ذلك لقتل
 يحيى فى حياة زكريا
 والجواب ان المراد
 ورثة العلم والنبوة
 ولو فى حياة زكريا
 لئلى
 اه

بصدها طاب البتة كيدها ولتلتذذ برديدها وهل ذلك من أمر أنه أو من غيرها وهل إذا كان منها
يكونان على حالتهم من الكبر أو غيرها غير طائش ولا عجل (رب) أيها المحسن إلى تاجابه الدعاء دائماً
(أنت) أي من أين وكيف وعلى أي حال (يكون لي غلام) يولد لي في غاية القوة والنشاط والكمال
في الذكورة (وكانت) أي والحال أنه كانت (امرأتي) إذ كانت شابة (عاقراً) غير قابلة للوليد
وأنا وهي شابان فلم يأتنا ولد لا خلال أحد السبيلين فكيف بها وقد أبيت قال الخلال المحلى
بلغت ثماناً وتسعين سنة (وقد بلغت) أنا (من الكبر عتياً) من عتاي يس أي نهاية السن قال الخلال
المحلى مائة وعشرين سنة وبعانقر رسط ما قبل لم نعجب زكريا عليه السلام بقوله أي يكون لي غلام
مع أنه هو الذي طلب الغلام وقرأ حفص وحزرة والكسائي عتياً وصلباً وجنباً بكسر عين
الأول وصاد الثاني وجيم الثالث وضمّ الباقيون وأما بكاف فكسر الباء الموحدة حمزة والكسائي
وضمها الباقيون وأصل عتي عتو وكسرت التاء تخفية واقلت الواو الأولى بامناسبة الكسرة
والثانية بامناسبة الغم فيها وإنما استجيب للولد من شيخ فإن وعجز عاقر أفا بأن المؤخر فيه كامل
القدرة وأن الوسائط عند المحققين ملغاة ولذلك (قال) أي الله تعالى كما قال الاكثرون لأن زكريا
إنما كان يخاطب الله ويسأله بقوله رب اني وهن العظم مني أو الملك المبلغ للشارة تصديقه
لقوله تعالى فتدأته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب إن الله يشرك بعبي وأيضاً فإنه لما قال وقد
بلغت من الكبر عتياً قال (كذلك) أي الأمر كذلك فهو خبر مبتدأ محذوف ثم عليه بقوله (قال
ربك) أي الذي عودك بالاحسان فدل ذلك على أنه كلام الملك قال ابن عادل ويمكن أن يجاب
بأنه يحتمل أن يحصل النداء أن نداء الله تعالى ونداء الملك ثم ذكر مقول القول فقال (هو) أي
خلق يحيي منكم على هذه الحالة (علي) أي خاصة (هين) أي بأن أرد عليك قوة الجماع وافتنى
رحم امرأتك للعلوق (وقد خلقتك) أي قدرتك وصورتك وأوجدتك (من قبل ولم) أي والحال
أنك لم (تكن شيئاً) بل كنت معدوما صرفاً وفيه دليل على أن المعدوم ليس بشئ ولا يظهر الله تعالى
هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بما يدل عليها وقرأ حمزة والكسائي بعد القاف بنون
بعدها ألف والباقيون بعد القاف تاء مضمومة ولما تأقت نفسه إلى سرعة المبر به (قال رب
اجعل لي) على ذلك (آية) أي علامة تدلني على وقوعه (قال آيتك) على وقوع ذلك (أن لا تكلم
الناس) أي لا تقدر على كلامهم بخلاف ذكر الله تعالى (ثلاث ليال) أي بأيامها كافي آل
عمران ثلاثة أيام حال كونك (سوا) من غير خرس ولا مرض وجعلت الآية الدالة عليه سكوت
ثلاثة أيام وإسالمين من غير ذكر الله دلالة على إخلاصه وانقطاعه بكنيته إلى الله تعالى
دون غيره (تخرج) عتب اعلام الله تعالى له بهذا (على قومه من المحراب) أي من المسجد
وهم ينتظرونه أن يفتح لهم الباب متغير اللونه فأنكروه وهو منطلق اللسان بذكر الله تعالى
منحسبه عن كلام الناس فقالوا مالك يا بني الله (فأوحى إليهم) أي أشار بشفيه من غير نطق
وقال مجاهد كتب لهم في الأرض (أن سجوا) أي أوجدوا التزيه والتعديس لله تعالى بالصلاة
وغیرها (بكرة وعشياً) أي أوائل النهار وأواخره على العادة فعلم بمنعه من كلامهم حل أمر أنه

يحيى قال الجلال المحلى وبعد ولادته بسنين قال الله تعالى له (يا يحيى خذ الكتاب) أى التوراة
 (بقوة) أى جدم أن الله تعالى وصفه بصفات الأولى قوله تعالى (وآتيناه الحكم) قال ابن
 عباس النبوة (صبا) قال الجلال المحلى تبع البغوى ابن ثلاث سنين أى أحكم الله عقله
 في صباه واستنبأه وقبل المراد بالحكم الحكمة وفهم التوراة فقرأ التوراة وهو صغير قال
 البغوى وعن بعض السلف من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو عن أوفى الحكم صبا * الصفة الثانية
 قوله تعالى (وحنانا) أى وآتيناه رجة وهيبة ووقارا ورقة قلب ورزقا وبركة (من لدنا) أى من
 عندنا بلا واسطة تعليم ولا تجربة * الصفة الثالثة قوله تعالى (وزكاة) أى وآتيناه طهارة في دينه
 قال ابن عباس يعنى بالزكاة الطاعة والاخلاص وقال قتادة هى العمل الصالح وقال الكلبي
 يعنى صدقة تصدق الله بها على أوبىه * الصفة الرابعة قوله تعالى (وكان) أى ببله وطبعاً (تقياً)
 أى مخلصاً مطيعاً روى أنه لم يعمل خطيئة ولم يهت بها * الصفة الخامسة قوله تعالى (وبرأوالديه)
 أى بارأ الطيفاهم ما أحسننا إليهم لأنه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى أعظم من برأ الوالدين يدل عليه
 قوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه وبالوالدين احسانا * الصفة السادسة قوله تعالى
 (ولم يكن جباراً) أى متكبراً والمراد وصفه بالتواضع ولين الجانب وذلك من صفات المؤمنين قال
 تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك للمؤمنين وقال تعالى ولو كنت فظاً غليظ القلب
 لانفضوا من حولك ولأن رأس العبادة معرفة الانسان نفسه بالذل ومعرفة ربه بالعظمة والكمال
 ومن عرف نفسه بالذل وعرف ربه بالكمال كيف يليق به التجبر والترفع ولذلك لما تجبر ابليس
 وتمرد صار مبعداً عن رحمة الله تعالى وعن المؤمنين وقيل الجبار هو الذى لا يرى لاحد على نفسه
 حقاً وهو من التعظيم والذهاب بنفسه من أنه لا يلزمه قضاء حق لاحد وقيل هو كل من عاقب على
 غضب نفسه * الصفة السابعة قوله تعالى (عصياً) أى عاقفاً وعاصياً ربه وهو أبغ من العاصي
 كما أن العليم أبغ من العالم * الصفة الثامنة قوله تعالى (وسلام عليه) منا (يوم ولد ويوم يموت
 ويوم يبعث حياً) * فان قيل لم خص هذه الاوقات الثلاثة (أجيب) بوجوه الأول قال محمد بن
 جرير الطبرى وسلام عليه يوم ولد أى أمان من الله تعالى عليه يوم ولد من أن ياله الشيطان
 كما ينال سائر بني آدم ويوم يموت أى أمان من الله من عذاب القبر ويوم يبعث أى ومن عذاب
 الله يوم القيامة الثانى قال ابن عينة أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن يوم ولد فيرى نفسه
 خارجاً مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوماً ما شاهدهم قط ويوم يبعث فيرى في محشر عظيم
 فأكرم الله تعالى يحيى عليه السلام فخصه بالسلام في هذه المواطن الثالث قال عبد الله بن
 نسطور في سلام عليه يوم ولد أى أول ما يرى في الدنيا ويوم يموت أى أول يوم يرى فيه أمر الآخرة
 ويوم يبعث حياً أى أول يوم يرى فيه الجنة والنار وهو يوم القيامة وانما قال حياً تنبيهاً على كونه
 من الشهداء لأنه قتل وقد قال تعالى أحياه عند ربهم يرزقون * (فروع) * الأول هذا السلام
 يمكن أن يكون من الله وأن يكون من الملائكة وعلى التقديرين ففيه دلالة على تشريفه لأن
 الملائكة لا يسلطون الا عن أمر الله تعالى * الثانى يحيى منزلة في هذا السلام على ماله اثر الانبياء

لقوله تعالى سلام على نوح سلام على ابراهيم لانه تعالى قال يوم ولد وليس كذلك سائر الانبياء
الثالث روى ان عيسى عليه السلام قال يحيى عليه السلام انت افضل منى لان الله تعالى قال
سلام عليه واناسلت على نفسى قال الرازى وهذا ليس بقوى لان سلام عيسى على نفسه مجرى
مجرى سلام الله تعالى على يحيى لان عيسى معصوم لا يفعل الا ما امر الله تعالى انتهى ولكن
بين السلامين مزية * (تنبيه) * هذه القصة قد ذكرت في آل عمران بقوله تعالى كلما دخل
عليها زكريا بالمحراب وجد عندها رزقا الى ان قال هنالك دعا زكريا ربه قال رب هبلى
من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم لان زكريا عليه السلام لما رأى
خرق العادة في حق مريم طمع في حق نفسه فدعا وقد وقعت المخالفة في ذكر ما هنا وهناك في
الالفاظ من وجوه الاول منها ان الله تعالى صرح في آل عمران بان المنادى هو الملائكة بقوله
تعالى فنادته الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب وفي هذه السورة الاكثر على ان المنادى بقوله
يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى هو الله تعالى (واجيب) بان الله تعالى هو المبرس سواء كان
بواسطة أم لا الثاني انه قال تعالى في آل عمران انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر و امرأتى
عاقرة فذكر أولا كبر سنه ثم عقر امرأته وفي هذه السورة قال انى يكون لى غلام وكانت امرأتى
عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا واجيب بأن الواو لا تقتضى الترتيب الثالث قال في آل
عمران وقد بلغنى الكبر وقال هنا وقد بلغت من الكبر عتيا واجيب بأن ما بلغك فقد بلغت
الرابع قال في آل عمران انك ان لا تكلم الناس ثلاثة أيام بلياليهن كما مر * القصة الثانية قصة مريم
وابنها عيسى عليهم ما السلام ولما كانت قصة عيسى عليه السلام أغرب من قصة يحيى لان خلق
الولد من شخصين فاقرب الى مناهج العادات من خلق الولد لامرأة البتة وأحسن
طرق التعليم والفهم الاخذ من الاقرب فالاقرب مرتقبيا الى الاصعب فالاصعب أشار الى
ذلك بتغيير السياق فقال عاطفا على ما تقديره اذ كر هذا لهم (واذكر) بلفظ الامر (في الكتاب)
أى القرآن (مريم) أى قصتها وهى ابنة عمران خالة يحيى كما فى الصحيح من حديث أنس بن
مالك بن صعصعة الانصارى فى حديث الاسراء فلما خلصت فاذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة
ثم أبدا من مريم يدل اشتغال فقال (اذ) أى اذ كر ما اتفق لها حين (اتخذت) أى كلفت نفسها
أن اعتزلت وانفردت (من أهلها) حالة (مكانا شرقيا) أى شرقى بيت المقدس وقال الرازى
شرق دارها وعن ابن عباس انى لا علم خلق الله تعالى لى شئ اتخذت النصارى الشرق قبلة
لقوله تعالى مكانا شرقيا فاتخذت ميلا دعيسى قبلة واقصر الحلال المحلى على الشرق من
الدار وزد البياض بينهما فقال شرقى بيت المقدس أو شرقى دارها انتهى ويحتمل أن
يكون شرقى بيت المقدس هو شرقى دارها فلا مخالفة (فاتخذت) أى اخذت بمسودتكف
ودل على قرب المكان بالانبات بالجاء فقال (من دونهم) أى أدنى مكان من مكانهم (حجابا) أى
أرسلت سترانسترته لقرض صحيح وليس بمذكور واختلف المفسرون فيه على وجوه أحدها

أنها طلبت الخلوة كيلا تشغل عن العبادة فاليها انها عطلت فخرجت الى القفزة تستقي ثالها
 أنها كانت في منزل زوج اخنها ذكر يوفيه محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اخلق
 عليها الباب فتمت أن تجده خلوة في الجبل لتقلى رأسها وتؤبها فاقبعت لها الشمس فخرجت
 جلست في المشرفة وراء الجبل فاناها الملك كما قال تعالى (فأرسلنا) لامر يبدل على عظمتنا (اليها
 روحنا) أي جبريل عليه السلام ليعلمها بما يريد من الكرامة بولادة عيسى عليه السلام من
 غير أب لئلا يشبه عليها الامر فقتل نفسها غما (فقتل لها) أي تشيع بشين مبهمة ثم بامو حدة
 ثم طاء مهملته وهو روحاني بصورة الجسماني (بشر اسويا) في خلقه حسن الشكل رابعها
 أنها وقعت في مشرفة للاغتسال من الحبيض متحجبة بشي يسترها وكانت تقول من المسجد الى
 بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت فيبناها في مقسلاها اناها جبريل بعد لبسها ثيابها
 متمتلا بصورة شاب أمر دسوى الخلق تستأنس بكلامه اذ لو اناها في الصورة الملكية لنفرت
 منه ولم تقدر على استماع كلامه قال البضاوي ولعله لتجشع شهواتها فتحد رنظتها الى رجحها أي
 مع أمنها القنسة لعفتها قال الرازي وكل هذه الوجوه محتملة وليس في اللفظ ما يدل على ترجيح
 واحد منها * ولما رأت مريم جبريل فحوها (قالت اني أعوذ) أي أعتم (بالرحمن) ربى
 الذي رجته عامة لجميع خلقه (منك) أي أن تقر في وقفي يا اني نافع وابن كثير وأوعرو وسكنها
 الباقون وهم على مراتبهم في الدنوا تفرست فيه بما أنار الله تعالى من بصيرتها وأصنى من
 سريرتها التقوى قالت (ان كنت تقيا) أي مؤمنا مطيعا وجواب الشرط محذوف دل عليه
 ما قبله أي فاني عانت منك أو نحو ذلك دل تعوذها من تلك الصورة الحسنة على عفتها وورعها
 (فان قيل) انما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت ان كنت تقيا (أجيب) بأن هذا كقول
 القتال ان كنت مؤمنا فلا تقلى أي ينبغي أن يكون ايمانك مانعا لك من الظلم كذلك هنا ينبغي
 أن تكون تقوا مانعة لك من الفجور وهذا في نهاية الحسن لانها علمت أنها لا تؤخر الاستعاذة
 الا في التقى وهو كقوله تعالى وذروا ما بينكم من الريا ان كنتم مؤمنين أي ان شرط الايمان
 بوجبه هذا الآن الله تعالى يخشى في حال دون حال وقيل كان في ذلك الزمان انسان فاجر
 يبيع النساء اسمه نقي فظنت مريم ان ذلك الشخص المشاهد هو ذلك فاستعادت منه قال الرازي
 والاول هو الوجه * ولما علم جبريل عليه السلام خوفها (قال) عجيبا لها علم معناه اني لست بمن
 تخشى ان يكون متم ما موكد الاجل استعادت (انما أنا رسول ربك) أي الذي عذت به فانا
 لست متم ما بل متصف بمآكرت وزيادة الرسالة وهب باسم الرب المقضى للاحسان لطفها ولأن
 هذه السورة صدرت بالرحمة ومن أعظم مقاصدها تعداد النعم على خالص عباده وقوله (ليهب لك)
 قرأ وروى وأوعرو وقالون بخلاف عنه بالياء أي ليهب الله تعالى لك وقرأ الباقون بالهمز أي
 لاهب أمالك وفي مجازة وجهان الاول أن المهمة لما جرت على يده بأن كان هو الذي ينفع في جميعها
 بأمر الله تعالى جعل نفسه كانه هو الذي وهب لها واضافة الفعل الى من هو سبب مستعمل
 ظاهرا لله تعالى في الإحسان رب انهن أضللن كثيرا من الناس الثاني أن جبريل عليه السلام

بشرها بذلك كانت البشارة الصادقة جارية بحجى الهبة ثم بين الموهوب بقوله (غلاماً) أى ولداً
ذكر فى غاية القوة والرجولية ثم وصفه بقوله (زكياً) أى نبيا طاهرا من كل ما يندس البشر
ناميا على الخير والبركة (قالت) مريم (أتى) أى من أين وكيف (يكون لى غلام) آله (ولم
يمسسنى بشر) بنكاح (ولم ألقيها) أى زانية فنجبت مما بشرها به جبريل عليه السلام لأنها
قد عرفت بالعادة أن الولادة لا تكون الا من رجل والعادة عند أهل المعرفة معتبرة فى الامور
وان جوزوا خلاف ذلك فى القدرة فليس فى قولها هذا دلالة على أنها لم تعلم أنه تعالى قادر على
خلق الولد ابتداء وكيف وقد عرفت أنه تعالى خلق أباب البشر على هذا الحد ولا نها كانت منقردة
للعادة ومن يكون كذلك لا بد أن يعرف قدرة الله تعالى على ذلك وبما تقر سقط ما قيل قولها
ولم يمسنى بشر يدخل تحته قولها ولم ألقيها ولهذا اقتصر عليه فى سورة آل عمران بقولها قالت
رب أنى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر فلم تذكر البغى ويجوز أن يقال انها أفردت ذكر البغى مع
دخوله فى الكلام الاول لانه أعظم ما فى بابه فهو نظير قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة
الوسطى وقوله تعالى وملائكته ورسوله وجبريل وميكال (قال) لها جبريل عليه السلام
الامر (كذلك) من خلق غلام منك بغير أب وما كان لسان الحال قائلا كيف يكون بغير سبب
أجاب جبريل بقوله (قال وليك هو) أى المذکور وهو إجماد الولد على هذه الهبة (على)
وحدى لا يقدر عليه غيرى (هين) أى بأن يتفخ بأمرى جبريل فيك فصحلى به ولكون
ما ذكر فى معنى العلة عطف عليه (ولجعل) بما لنا من العظمة (آية للناس) أى علامة على كمال
قدرتنا على البعث أدل من الآية فى يحيى عليه السلام وبه تمام القصة الرباهية فى خلق البشر
فانه أوجده من أنثى بلا ذكر وحوام من ذكر بلا أنثى وآدم عليه السلام لا من ذكر ولا أنثى وبقيّة
أولاده من ذكر وأنثى معا (ورحمة منا) على العباد يتهدون به (وكان) ذلك كله (أمرأ
مقتضيا) به فى على وقوله تعالى (فحملته) فيه حذف تقديره فنحننا فيها فحملته مدلى على ذلك
قوله تعالى فى سورة التحريم ومريم ابنت عمران التى أحصت فرجها فنحننا فم من روحنا
واختلف فى النافع فقال بعضهم كان النفع من الله تعالى لهذه الآية ولانه تعالى قال ان مثل
عيسى عند الله ككل ادم ومقتضى التشبيه حصول المشابهة الا فيما أخرجه الدليل وفى حق آدم
النافع هو الله تعالى قال تعالى فنحننا فيه من روحى فكذلك اهلنا وقال بعضهم النافع جبريل
لان الظاهر من قول جبريل عليه السلام لا اله الا الله على أحد القراءتين أنه النافع واختلف
فى كيفية نفعه فقيل ان جبريل عليه السلام وضع درعها فنفع فى جيبها فحملت حين لبسته وقيل
مد الى جيب درعها أصابعه ونفع فى الجيب وقيل نفع فى كم قميصها وقيل فى ذيلها ونفع
جبريل فحما من بعيد فوصل النفع اليها فحملت بعيسى فى الحال وقيل نفع فى ذيلها فدخلت
النخعة فى صدرها فحملت فحما أختها امرأه ذكر ياتر وهما لما التزمتهما عرفت أنها حبلى
وذكرت مريم حالها فقالت امرأه ذكر ياتى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله
تعالى مصداقاً لكلمة من الله وقيل حلت وهى بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشرين وقد

كانت حاضنة حبشيتين قبل أن تحصل قال الرازي وليس في القرآن ما يدل على شيء من هذه
 الأقوال المذكورة ثم عقب بالجل قوله (فانتدبت به) أي فاعتزلت به وهو في بطنها حالة (مكناً
 قصياً) أي بعيداً من أهلها ومن المصنوعين الشرقي وأشار إلى قرب الولادة من الحمل بقوله
 التعقيب في قوله (فأجابه) أي فأقبحها وأجأها (الخاص) وهو تحريك الولد في بطنها للولادة
 (إلى جذع النخلة) وهو ما رزمنها من الأرض ولم يبلغ الأغصان وكانت تعرب فيها لأنه لم يكن في
 تلك البلاد الباردة غيرها فكانت كالعلم لما فيها من العجب لأن النخل من أقل الأشجار صبراً على
 البرد ولعلها ألجئت إليها دون غيرها من الأشجار على كثرتها المناسبة حال النخلة لها لأنها لا تحصل
 إلا بالقاح من ذكر النخل فحملها بمجردها أنسب شيء ياتينا به الولد من غير والد فكيف إذا كان
 ذلك في غير وقته وكانت يأسه مع المأفاه من المنافع بالاستناد إليها والاعتماد عليها أو يكون
 رطبها خرساً للنساء وغاية في نفعها وغير ذلك والخرسه بنجاء مضمومة طعام النساء وهو
 صمد الجوهرى بقوله طعام الولادة قال ابن عباس الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل
 ثلاث ساعات جلته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وقيل
 كانت مدته تسعة أشهر كحمل سائر النساء وقيل كانت مدة حملها ثمانية أشهر وذلك آية أخرى له لأنه
 لا يعيش من ولد ثمانية أشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولد تسعة أشهر ولما كان
 ذلك أمر أصعب عليها جداً كان كأنه قيل ياليت شعري ما كان حالها فقيل (قالت) لما حصل
 عندها من خوف العار (ياليتني مت) وأشارت إلى استغراق الزمان بالموت بمعنى عدم الوجود
 فقالت من غير جاز (قبل هذا) أي الأمر العظيم وقرأ نافع وحفص وحزرة والكاساني مت بكسر
 الميم والباقون بالضم (وكنتم نسياً) أي شيئاً من شأنه أن يطرح وينسى (منسياً) أي متروكاً
 بالفعل لا يخطر على بال (فان قيل) لم قالت ذلك مع أنها كانت تعلم أن الله تعالى بعث جبريل
 عليه السلام إليها ووعدها بأن يجعلها وولدها آية للعالمين (أجيب) عن ذلك بأجوبة الأول
 أنها غفلت ذلك استخفافاً من الناس فأبساها الاستخفاف بشارة الملائكة بعيسى الثاني أن عادة
 الصالحين إذا وقعوا في بلاء أن يقولوا ذلك كما روى عن أبي بكر رضي الله عنه أنه نظر إلى
 طائر على شجرة فقال طوبى لك يا طائر تقع على الشجر وتناكل من الثمر وتدبت أنى غرة يترها
 الطائر وعن عمر رضي الله عنه أنه أخذ ثبته من الأرض فقال ياليتني هذه الثبته ولم أكن شيئاً
 وعن علي رضي الله عنه يوم الجمل ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وعن بلال ليت
 بلالاً ملأه ثبته أن هذا الكلام يذكره الصالحون عند اشتداد الأمر عليهم الثالث
 لعلها قالت ذلك لتلايق في المعصية من تكلم فيها أو لافس راضية بما بشرت به وقرأ حفص
 وحزرة نسياً بفتح النون والباقون بالكسر وقوله تعالى (فناداهما من تحتها) قرأه نافع
 وحفص وحزرة بكسر من وجر التاء من تحتها والباقون بفتح من ونصب تحتها وأمال ألف ناداهما
 جزء والكاساني أمالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللطيفين والباقون بالفتح وفي النسخ أوجه
 أحدها أنه عيسى عليه السلام وهو قول الحسن ومعاوية بن جبير ثانياً أنه جبريل عليه

السلام وأنه كلقابله للولد ثالثها أن المنادى على القراءة فتح هو عيسى وعلى القراءة بالكسر هو جبريل وهو من روى عن ابن عيينة وعاصم قال الرازي والاول أقرب ومصدره البضاوى واقتصر الجلال المحلى على الثانى والمعنى على الاول أن الله تعالى أنطقه لها حين ولادته تطمينا لقلوبها وزالة للوحشة عنها حتى تشاهد في أول الامر ما يبشرها به جبريل من علو شأن ذلك الولد وعلى الثانى أن الله تعالى أرسله اليها ليناديها بهذه الكلمات كما أرسل اليها في أول الامر نذيرا للنشارات المتقدمة والضمير في تحتها للسيدة مريم وعلى تقدير أن يكون المنادى هو عيسى فهو ظاهر وإن كان جبريل فقول انه كان تحتها يقبل الولد كلقابله وقيل تحتها أسفل من مكانها وقيل الضمير فيه للتخلة أى ناداها من تحتها (أن لا تخفى) يجوز في أن تكون مفسرة لاعتدماها ومعنى القول ولا على هذا ناهية وحذف النون للجزم وأن تكون الناصبة ولا حينئذ نافية وحذف النون للنصب ومحل أن امانصب أوجز لانها على حذف حرف الجر أى فتادها بكذا (قد جعل ربك) أى المحسن اليك (تحتك) فى هذه الارض التى لاما جاز فيها (سريا) أى جديدا ومن الماء تطيب به نفسك قال الرازي اتفق المفسرون الا الحسن وعبد الرحمن بن زيد أن السرى هو النهر والجدول سمي بذلك لأن الماء يسرى فيه وأما الحسن وابن زيد فأنهما جعلوا السرى هو عيسى والسرى هو النبل الجليل يقال فلان من سروات قومه أى أشرفهم واحتج من قال هو النهر بأن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن السرى فقال هو الجدول وبقوله تعالى فكلى واشربى فدل على أنه النهر حتى يضاف الماء الى الرطب فتا كل وتشرب واحتج من قال انه عيسى بأن النهر لا يكون تحتها بل الى جنبها ولا يجوز أن يجاب عنه بأن المراد انه جعل النهر تحت أمرها يجرى بأمرها ويقف بأمرها كقول فرعون وهذه الانهار تجري من تحتي لأن هذا اجل للفظ على مجازة ولو جلتها على عيسى لم يتجج الى هذا المجاز وأيضافانه موافق لقوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية (وأجب) بأن المكان المستوى اذا كان فيه مبدء معين فكل من كان أقرب منه كان فوق وكل من كان أبعد منه كان تحت * (تنبيه) اذا قيل بأن السرى هو النهر ففيه وجهان الاول قال ابن عباس ان جبريل ضرب برجله الارض وقيل عيسى فظهر عين ماء عذب وجرى وقيل كان هناك ماء جاز قال ابن عادل والاول أقرب لأن قوله قد جعل ربك تحتك مريد على الحدوث فى ذلك الوقت ولأن الله تعالى ذكره تعظيما لشأنها وقيل كان هناك نهر يابس أجرى الله فيه الماء وحيث النخلة الباسية وأورقت وأثمرت وأوطيت قال أبو عبيدة والقراء السرى هو النهر مطلقا وقال الاخفش هو النهر الصغير (وهزى اليك) أى أوقى الهز وهو جذب بعريك (يجذع النخلة) أى التى أنت تحتها مع يسها وكون الوقت ليس وقت حملها (تساقط عليك) من أعلاها (رطبا حنيا) طريا آية أخرى عظيمة روى أنها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا غر وكان الوقت شتاء فنهزتها فجعل الله تعالى لها رأسا وخصا ورطبا وقرأ حزة بفتح التاء والسين مخففة وفتح القاف وضم التاء وفتح السين مخففة وكسر القاف والباقون بفتح التاء

وتشديد السين مفتوحة وفتح القاف * (تنبيه) * الباء في يجذع زائدة والمعنى هزى البدن
 جذع النخلة كما في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم قال القرأ تقول العرب هزه وهزبه وخذ
 الخطام وخذبا الخطام وزوجك فلانة وبفلانة وقال الاخفش يجوز أن يكون على معنى هزى
 البدن رطباً يجذع النخلة أي على جذعها ورطباً يميز وجنيا صفتها والرطب اسم جنس لرطوبة
 بخلاف قضم فانه جمع للخممة والفرق أنهم التزموا تذكيره فقالوا هو الرطب وتأنيت ذلك فقالوا
 هي التخم فذكروا الرطب باعتبار الجنس وأنشأوا التخم باعتبار الجمعية قال ابن عادل وهو فرقى
 لطيف والرطب ما قطع قبل يسه وجفافه وخص الرطب بالذك كره قال الريح بن خيثم ما للنفساء
 عندي خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وهذه الأفعال الحارقة للعادة ككرامات
 لمريم وارهاس لعيسى وفي ذلك تنبيه على أن من قدر أن يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قد ورأى أن
 يجبلها من غير غل وتطبيب لنفسه أفذل ذلك قال (فكلى) أي من الرطب (واشرب) من السرى
 أو كلي من الرطب واشرب من عصيره (وقزى عينا) أي وطبى نفسك وارفضى عنها ما حزنها
 وقدم الأكل على الشرب لأن حاجة النفساء إلى الرطب أشد من احتياجها إلى شرب الماء
 كثرة ما سال منها من الدم (فان قيل) أن مضرة الخوف أشد من مضرة الجوع والعطش لأن
 الخوف ألم الروح والجوع ألم البدن وألم الروح أقوى من ألم البدن روى أنه أجيبت شاة فقضم
 إليها علف وعند هاذب فبقيت الشاة مدة مديدة لا تتناول العلف مع جوعها خوفاً من الذئب
 ثم كسر رجلها وقدم إليها العلف فتناولت العلف مع ألم البدن فدل ذلك على أن ألم الخوف أشد
 من ألم البدن وإذا كان كذلك فلم يقدم ضرر الجوع والعطش على دفع ضرر الخوف (أجيب)
 بأن هذا الخوف كان قليلاً لا يشاوة جبريل عليه السلام كانت قد تقدمت فما كانت تحتاج
 إلا إلى التدبير كبرمة أخرى وقيل قزى عينا بولد لعيسى وقيل بالنوم فإن المهموم لا ينام
 وقوله (فأما) فيه ادغام نون ان الشرطية في ما الزائدة (تزين) حذف منه لام الفعل وعينه
 وألقبت حركتها على الراء وكسرت ياء الضمير لا لتقاء الساكنين (من البشر أحد) يشكر عليك
 (فقوى) يامرهم بذلك المنكر جواً بالجمع التأكيد تنبيهاً على البراءة لأن البريء يكون سأكلاً
 لا طمئناناً والمرتاب يكثر كلامه وحلقه (ان يذرت للرحمن) أي الذي عت رجته (صوما) أي
 أي أصسا كاعن الكلام في شأنه وغيره مع الاناسي بدليل (فلن أكلم اليوم انسيا) فإن كلاً
 يقبل الرد والمجادلة ولكن يتكلم عن المولود الذي كلامه لا يقبل الدفع وأما أنا فلأزفه نفسي
 عن مجادلة السفهاء قالوا ومن أذل الناس سفيه لم يصح مسافها فلا أكل الملائكة وأخلق
 بالتسبيح والتقدير وسائر أنواع الذكر وقيل صباباً لأنهم كانوا لا يتكلمون في مباحهم فعلى
 هذا كان ذكر الصوم دالاً على الصمت وهذا النوع من النذر كان جائزاً في شرعهم وهل يجوز
 مثل هذا النذر في شرعنا قال الفقهاء لعله يجوز لأن الاحتراز عن كلام الأديمين وتجريد
 الفكر يذكر الله تعالى قرينة وعلله لا يجوز لما فيه من التضيق وتعذيب النفس كتشديد القيام
 في الشمس وروى أنه دخل أبو بكر رضي الله عنه على امرأته فذرت أنها لا تتكلم فضلت

أبو بكر أن الإسلام قد هدم هذا فسلمي * (تنبيه) * اختلقوا في أنها هل قالت لهم اني نذرت
 للرحن صوما فقال قوم انها ما نكلمت معهم بذلك لانها كانت مأمورة بأنها تأتي بهذا النذر
 فلونكلمت معهم بعد ذلك لوقعت في المناقضة ولكنها سكت وأشارت برأسها وقال آخرون
 انها ما نذرت في الحال بل صبرت حتى أنهاها القوم فذكرت لهم أنها نذرت للرحن صوما فلن
 أكلم اليوم انسيا بعد هذا الكلام (فأنت) أي فلما سمعت هذا الكلام اشتد قلبها وزال
 حزنها فأنت (به) أي عيسى (قومها) وان كان فيهم قوة والمحاولة لكل ما يريدون اتيانه البريء
 الموقن بأن الله معه حالة كونها (تحملة) غير مبالية بأحد ولا مستحسنة واختلقوا في أنها
 كيف أنت به فقيل ولده ثم جلته في الحال الى قومها وقيل احتل يوسف التجار مريم وابنها الى
 غار ومكثت فيه أربعين يوما حتى ظهرت من نقاسها ثم جلته الى قومها فكلهمها في الطريق فقال
 يا أمه أبشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي تكوا وحزنوا وكانوا أهل
 بيت صالحين قال الرازي وليس في القرآن ما يدل على التعيين ثم كانه قيل فلما أنت به قومها
 ماذا قالوا لها فقيل (قالوا يا مريم) ما هذا الولد لان حالها في اتيانها به أمر عيب (لقد جئت
 شيئا فريا) أي عظيم المنكر افيكون ذلك منهم على وجه الذم فهو من أقرى الجلود يقال أقرت
 الاديم اذا قطعته على جهة الافساد لان فريته يقال فريته قطعته على جهة الاصلاح وبديل
 على أن مرادهم الاول قولهم بعده (يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء) أي زانيا (وما
 كانت أمك بغيا) أي زانية فمن أين لك هذا الولد لان هذا القول ظاهره التوبيخ وفي هرون هذا
 أربعة أقوال أحدها أنه رجل صالح من بني اسرائيل ينسب اليه كل من عرف بالصلاح
 والمراد أنك كتبت في الزهد كهرون فكيف صرت هكذا وروى أن هرون هذا الملمات تبع
 جنازته أربعون ألفا كلهم سمي هرون من بني اسرائيل تبركا بامه سوى سائر الناس شبهوا به
 على معنى انا ظننا أنك مثله في الصلاح وليس المراد منه الاخوة في النسب كقوله تعالى ان
 المبذرين كانوا اخوان الشياطين وروى المغيرة بن شعبه قال لما قدمت بخران سأولوني فقالوا
 انكم تقرؤن يا أخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم سأله عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم قال ابن كثير
 وأخطأ محمد بن كعب القرظي في زعمه أنها أخت موسى وهرون نسبافان بينهما من الدهور
 الطويلة ما لا يحصى على من عنده أدنى علم وكانه غرّه في أول التوراة ان مريم أخت موسى وهرون
 ضربت بالدف يوم فجي الله تعالى موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه وجذوده فاعتقد أن
 هذه هي تلك وهذا في غاية البطلان والمخالفة للعدب الصحيح المتقدم الثاني أنه هرون أخو
 موسى لانها كانت من نسله كما يقال للتسمي بأخائهم وللهمد اني يا أخاهم ان أي باوا احدا
 منهم الثالث انه كان فاسقا في اسرائيل فنسب اليه أي شبهوا به الرابع انه كان لها أخ
 من أبيها سمي هرون من صلها بني اسرائيل فسميت به قال الرازي وهذا هو الاقرب لوجهين
 الاول ان الاصل في الكلام الحقيقة فيحصل الكلام على أخيها المسمى بهرون الثاني انها

أضفت اليه ووصف أبواها بالصلاح فحينئذ يصير التوبيخ أشد لان من كان حال أبويه وأخيه
 بهذا الحال يكون صدور الذنب منه أخفش (فأشارت اليه) أي لما بالغوا في توبيخها سكتت
 وأشارت الى عيسى عليه السلام انه هو الذي يجيبكم قال ابن مسعود لما يكن لها حجة
 أشارت اليه ليكون كلامه حجة لها وعن السدي لما أشارت اليه غضبوا وقالوا مضربنا بنا
 أشد من زناها ثم (قالوا كيف تكلم من كان في المهد صبياً) لم يبلغ سن هذا الكلام الذي لا يقوله
 الا الاكابر العقلاء بل الانبياء والتعبير بمكان يدل على أنه عند الاشارة اليه لم يحوجهم الا أن
 يكلموه بل حين سمع المحاوره ورأى الاشارة بدامنه قول خارق لعادة الرضعا بل الصبيان
 روى انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاعة وأقبل عليهم بوجهه وانكأ على يساره وأشار
 بسبابه يمينه وقيل كلهم ثم لم يكلم حتى بلغ مبلغاً يتكلم فيه الصبيان * (تنبيه) في كان هذه
 أقوال أحدها انها زائدة وهو قول أبي عبيد أي كيف تكلم من في المهد وصيماً على هذا نصب
 على الحال من الضمير المستتر في الجار والمجرور والواقع صله ثانياً أنها تامة بمعنى حدث
 ووجدوا التقدير كيف تكلم من وجد صيماً وصيماً حال من الضمير في كان قال الرازي وهذا هو
 الاقرب الثالث انها بمعنى صار أي كيف تكلم من صار في المهد صيماً وصيماً على هذا خبرها
 (فان قيل) كيف عرفت مرهم من حال عيسى انه يتكلم (أجيب) بأن جبريل أو عيسى عليه
 السلام لما ناداهما من تحتها أن لا تحزني وأمرها عند رؤية الناس بالسكوت صار ذلك كالتنبيه
 لها على أن الجيب هو عيسى عليه السلام وألعلها عرفت ذلك بالوحي الزكريا واليهما على سبيل
 الكرامة واختلفوا في المهد فقيل هو حجرها لما روى أنها أخذته عليه السلام في خرقة فأتت
 به قومها فلما رأوها قالوا لها ما قالوا فأشارت اليه وهو في حجرها ولم يكن لها منزل بعد حتى
 يعدها المهد وقيل هو المهد بعينه والمعنى كيف تكلم صبياسيله أن ينم في المهد وقال وهب أن
 زكريا مرهم عند مناظرته اليهود فقال لعيسى انطق بجحمتك ان كنت أمرت بها فوصف نفسه
 بثمان صفات * الصفة الاولى (قال اني عبد الله) أي الملك الاعظم الذي له صفات الكمال لا أعبد
 لغيره وفي ذلك اشارة الى أن عبد الله لا يتخذ الهام من دونه ولا يستعبده شيطان ولا هوى * الصفة
 الثانية قوله تعالى (أتاني الكتاب) واختلف في ذلك الكتاب فقال بعضهم هو التوراة لان الالف
 واللام في الكتاب تتصرف للمعهود والكتاب المعهود لهم هو التوراة وقال أبو مسلم هو الانجيل
 لان الالف واللام ههنا للجنس وقال قوم التوراة والانجيل لان الالف واللام تفيد الاستغراق
 (٣) واقتصر البضاوي على الاول والبقاعى على الثالث وزاد عليه والزبور وغيرهما من الصحف
 الصفة الثالثة قوله (وجعلني نبياً) واختلف في معنى ذلك فقيل معناه سيؤتيني الكتاب ويجعلني نبياً
 وأنى بلفظ الماضي يجعل المحقق وقوعه كالواقع كما في قوله تعالى أنى أمر الله فلا تستعجلوه وقيل هو
 اخبار عما كتب في النوح المحفوظ كما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم متى كنت نبياً قال كنت وآدم
 بين الروح والجسد وقال الاكثرون أوفى الانجيل وهو صغير طفل ولكن يعقل عقل الرجال وقال
 الحسن اللهم التوراة وهو في بطن أمه * الصفة الرابعة قوله (وجعلني مباركا) بأنواع البر ككلمت

(٣) قوله واقتصر البضاوي على الاول الذي في البضاوي تفسير الكتاب بالانجيل وهو الثاني هنا فعمل مراد الاول جعل آل الجنس

(أيضا) أي في أي مكان (كنت) وذكرنا في تفسير المبارك وجوها أحدها أن البركة في اللقمة هي النبات وأصله من يركز المعبر ومعناه وجعلني ثابتا على دين الله تعالى مستتر عليه ثابتهما إنما كان مباركا لأنه كان يعلم الناس دينهم ويدعوهم إلى طريق الحق فان ضلوا فحق قبل أنفسهم لا من قبله روى الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سلمت أم عيسى عيسى إلى الكتاب فقال للمعلم أرفع اليك على أن لا تضربه فقال له المعلم اكتب فقال أي شيء أكتب فقال اكتب أحميد فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال هل تدري ما أحميد فعلاه بالدرة لمضربه فقال يا مؤذنب لا تضربني إن كنت لا تدري فأسألك فأنى علك الالف من آلاء الله والباء من بهائه والجمع من جماله والال من أداء الحق إلى الله تعالى ثلثها البركة الزيادة والعلو فكانه قال جعلني في جميع الاحوال منجما فالحالاني مادمت أنفي الله في الدنيا أكون مستعليما على الغير بالحقه فاذا جاء الوقت المعلوم أكرمني الله تعالى بالرفع إلى السماء رابعها مباركا هي الناس من حيث يحصل دعائه احياء الموتى وبراء الأكمه والابرص وعن قتادة أن امرأة رآته وهو يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والابرص فقالت طوبى لبعطن حلتك وثدى أَرْضَعَتْ به فقال عيسى يجيها طوبى لمن تلا كتاب الله واتسع مافيه ولم يكن جبارا شقيا * (تنبيه) * قوله أي بما كنت يدل على أن حاله لم يتغير كما قيل انه عاد إلى حال الصغور و زال التكليف الصفة الخامسة قوله (وأوصاني بالصلاة) له طهارة للنفس (والزكاة) طهارة للمال فغلا في نفسه وأمر الغيري (مادمت حيا) ليكون ذلك حجة على من ادعى أنه اله لانه لا شبهة في أن من يصلى إلى اله ليس باله (فان قيل) كيف يؤمر بالصلاة والزكاة مع أنه كان طفلا والقلم مرفوع عن الصغير لقوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث الحديث (أجيب) بوجهين الاول أن ذلك لا يدل على أنه تعالى أوصاه بأدائهم ما في الحال بل بعد البلوغ فيكون المعنى أوصاني بأدائهم ما في وقت وجوبهم ما على وهو وقت البلوغ الثاني أن عيسى لما انفصل صبره الله بالغاء فلا تام الخلقة وبدل عليه قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم فكما أنه تعالى خلق آدم تاما كاملا دفعة فكذلك القول في عيسى عليه السلام قال الرازي وهذا أقرب إلى ظاهر اللفظ لقوله مادمت حيا فهذا يفيد أن هذا التكليف متوجه عليه في جميع زمان حياته (فان قيل) لو كان الامر كذلك لكان القوم حين رؤوه أو اشخصوا كامل الاعضاء تام الخلقة وصدور الكلام عن مثل هذا الشخص لا يكون عجايبا فكان ينبغي أن لا يتعجبوا (أجيب) بأنه تعالى جعله مع صغر جسده قوى التركيب كامل العقل بحيث كان يمكنه أداء الصلاة والزكاة والآية دلالة على أن تكليفه لم يتغير حين كان في الارض وحين رفع إلى السماء وحين ينزل * الصفة السادسة قوله (وبرأ) أي وجعلني بارأ * ولما كان السياق لبراءة والدنه قال (برأ الذي) أي النبي أكرمها الله تعالى باحسان الفرج والجليل من غير ذكر وفي ذلك إشارة إلى تنزيه أمته عن الزنا إذ لو كانت زانية لما كان الرسول المعصوم مأورا بتعاطيها الصفة السابعة قوله (ولم يجعلني جبارا) متعاطيا (شقيا) أي عاصيا بأن أفعل فعل الجبارين بغير استحقاق إنما أفعل ذلك بمن يستحق وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال قلبي لين واني ضعيف في نفسي وعن بعض العلماء

لأجد العاق الا جبارا شقيوا ولا اجد سيء الملكة الا محتالا غورا وتلا وما ملكك أيمانكم ان الله
 لا يحب من كان محتالا غورا المصفة الثامنة قوله (والسلام) من الله (على) فلا يقدر أحد على
 ضري (يوم ولد) فلا يضربني شيطان (ويوم أموت) فلا يضربني أياض من يولد ويموت فليس باله
 (ويوم أبعت حيا) يوم القيامة كما تقدم في يعي عليه السلام وفي ذلك إشارة الى أنه في البشرية
 مثله سواء لم يفارقه أصلا الا في كونه من غير ذكر واذا كان جنس السلام عليه كان اتباعه كذلك
 ولم يبق لأعدائه الا اللعن وتطيره قول موسى عليه السلام والسلام على من اتبع الهدى يعني
 ان العذاب على من كذب ويؤلى (ذلك) أي الذي تقدم نفعه بقوله اني عبد الله الى آخره هو
 (عيسى بن مريم) لما يصفه النصارى بقوله هم انه الله أو ابنه أو اله ثالث فهو تكذيب لهم
 فيما يصفونه على الوجه الابغ والطريق البرهاني حيث جعل الموصوف باضداد ما يصفونه
 وفي ذلك تنبيه على أنه ابن هذه المرأة وقوله تعالى (قول الحق) قرأ عاصم وابن عامر نصب
 اللام على أنه مصدر مؤكد والباقون بالرفع على أنه خبر محذوف أي هو قول الحق الذي لا ريب
 فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق أو تمام القصة ثم عجب تعالى من ضلالهم فيه
 بقوله تعالى (الذي فيه يمترون) أي يشكون شكيا كلفونه ويجادلون فيه فتقول اليهود ساحر
 وتقول النصارى ابن الله مع ان أمه امرأ في غاية الوضوح ليس موضع للشك أصلا ثم دل على
 كونه حقا في كونه ابنا لأمه مريم لا غيرها بقوله رداعلى من ضل (ما كان) أي ماصح
 ولا يتأتى ولا يتصور في العقول ولا يابص ولا يأتى لانه من المحال لكونه يلزم منه الحاجة (لله)
 الغنى عن كل شيء (ان يتخذ من ولد) وأكده بمن لان المقام يقتضى النفي العام ولما كان
 اتخاذ الولد من النقائص أشار الى ذلك بالتنزيه العام بقوله تعالى (سبحانه) أي تنزه عن كل نقص
 أي من احتياج الى ولد وغيره ثم علل ذلك بقوله عز وجل (اذا قضى أمرا) أي أي أمر كان
 أي أراد ان يحدثه (فأما يقول له كن) أي يريد ويعلق قدرته به وقوله تعالى (فيكون) قرأه
 ابن عامر بنصب النون تقدير أن اوعلى الجواب والباقون بالرفع بتقدير هو وقوله (وان الله
 ربي وربكم) اخبار عن عيسى عليه السلام انه قال ذلك وقرأ ابن عامر والكوفيون بكسر
 الهمزة على الاستئناف والباقون بفتحها بتقدير حذف حرف الجر متعلق بما بعده والتقدير ولان
 الله ربي وربكم (فأعبدوه) وحده لتقرده بالاحسان كما أعبدوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا
 تدعوا مع الله أحدا والمعنى لو حدايته أطيعوه وقبل انه عطف على الصلاة والتقدير وأوصاني
 بالصلاة وبأن الله واليه ذهب القراء (هذا) أي الذي أمر تكلم به (صراط) أي طريق (مستقيم)
 أي يقود الى الجنة وقرأ قبل بالسين وخلف باشمام الصاد والباقون بالصاد الخالصة واختلف
 في قوله تعالى (فاختلف الأحزاب من بينهم) فقبل هم النصارى واختلفا في عيسى أهو ابن الله
 أو اله معه أو ثالث ثلاثة وسماوا أحزابا لانهم تحزبوا ثلاث فرق في أمر عيسى التسطورية
 والملكانية والبعقوية وقبل هم اليهود والنصارى فجعل بعضهم ولدا وبه ضمهم كذا وباقيل هم
 الكفار الشامل لليهود والنصارى وغيرهم من الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال

ابن عادل وهذا هو الظاهر لانه لا تخصيص فيه ويؤيده قوله تعالى (فويل للذين كفروا) أى
 شدة عذاب لهم (من مشهد يوم عظيم) أى حضور يوم القيامة وأهواله وقوله تعالى (أجمع
 بهم وأبصر) أى بهم صيغتنا تعجب بمعنى ما أجمعهم وما أبصرهم (يوم يأوتونا) فى الآخرة لأن
 حالهم فى شدة السمع والبصر جدية بأن يتعجب منها فيندمون حيث لا يتوقعهم الندم ويتنون
 المحال من الرجوع الى الدنيا ليندركوا فلا يجابون الى ذلك بل يسلك بهم فى كل ما يؤذهم
 ويهلكهم ويرد بهم وقوله تعالى (لكن الظالمون) من أهامة الظاهر مقام المضمر اشعاروا
 بأنهم ظلوا أنفسهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر والاصل ولكنهم (اليوم) أى فى الدنيا
 (فى ضلال مبين) أى بين ذلك الضلال صواعن سماع الحق وعواعن ابصاره أى اعجب منهم
 بما يخاطب فى سمعهم وابصارهم فى الآخرة بعد ان كانوا فى الدنيا صما وعميا وقيل معناه التهديد
 بما سيصعونه وسيبصرون ما يبصرونهم ويصدع قلوبهم ثم ان الله تعالى أمر نبيه محمد صلى الله
 عليه وسلم أن ينذر قومه بقوله (وأنذرهم) أى خوفهم (يوم الحسرة) هو يوم القيامة يتحسر فيه
 المسيح على تركه الاحسان والمحسن على عدم الازدياد من الاحسان لقول رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ما من أحد يموت الا ندم قالوا واندمه يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم أن لا يكون
 ازداوان كان مسينا ندم أن لا يكون نزع وفى قوله تعالى (اذقضى الامر) وجوه أحدها اذ
 قضى الامر ببيان الدلائل وشرح أمر الثواب والعقاب ثانيا اذ قضى الامر يوم الحسرة بقضاء
 الدنيا وزوال التكليف ثالثا اذ قضى الامر فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل
 النار النار وفتح الموت كما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى اذقضى الامر
 فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش أملح فيذبح والفريقان يتظران فيزداد أهل الجنة فرحا الى
 فرح وأهل النار غما الى غم وقوله تعالى (وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون) جملتان حاليتان وفيهما
 قولان أحدهما انهما حالان من الضمير المستتر فى قوله فى ضلال مبين أى استقروا فى ضلال مبين
 على هاتين الحالتين السبئتين والثاني انهما حالان من مفعول أنذرهم أى أنذرهم على هذه الحالة
 وما بعدها وعلى الاول يكون قوله وأنذرهم اعتراضا والمعنى وهم فى غفلة عما يفعل بهم
 فى الآخرة وهم لا يصدقون بذلك اليوم ولما كان الارث هو حوز الشيء بعد موت أهله وكان
 سبحانه وتعالى قد قضى موت الخلائق أجمعين وانه تعالى يبقى وحده عبر عن ذلك بالارث مقر رابه
 مضمون الكلام السابق فقال مؤكدا تكذيبا لقولهم ان الدهر لا يزال هكذا احياة لناس وموت
 لا خرين (انما نحن) يعظمنا التى اقتضت ذلك (ترث الارض) فلا ندعهم اشيا من عاقل ولا غيره
 ولما كان العاقل أقوى من غيره صرح به بعد خوله فقال (ومن عليها) أى من العقلاء بأن
 نسلهم جميع ما فى أيديهم (والينا) لا الى غيرنا (يرجعون) فنجاز بهم بأعمالهم * القصة الثالثة
 قصة ابراهيم عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (واذ كفى الكاف ابراهيم) أى خبره وقرأ
 هشام ابراهيم بالث بعد الهاء والباقيون بالياء وانما أمر الله تعالى نبيه بالذ كذا لانه صلى
 الله عليه وسلم ما كان هو ولا قومه ولا أهل بلده مشغولين بالتعليم ومطالعة الكتب فاذا أخبر

عن هذه القصة كما كانت من غير زيادة ولا نقصان كان ذلك اخبارا عن الغيب ومهجرا
 باهراد الاعلى بنوته وانما ذكر الاعتبار بقصة ابراهيم عليه السلام لوجوه الاول ان
 منكرى التوحيد والذين ائتموا توحيدا ومعبودا سوى الله تعالى فريقان منهم من أثبت
 معبودا غير الله تعالى جباة قلاوهم النصارى ومنهم من أثبت معبودا غير الله تعالى جهادا
 ليس بجي ولا عاقل وهم عبدة الاوثان والفریقان وان اشتركا فى الضلال الا ان ضلال
 عبدة الاوثان اعظم فلما بين الله تعالى ضلال الفريق الاول تكلم فى ضلال الفريق الثانى
 وهم عبدة الاوثان الثانى ان ابراهيم عليه السلام كان ابا العرب وكانوا مقرين بهلوى
 شأنه وطهارة دينه على ما قال تعالى ابيكم ابراهيم وقال تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم
 الا من سفه نفسه فكانه تعالى قال للعرب ان كنتم مقلدين لا يكم على قولكم انا وجدنا آباءنا
 على امة فاشرف آباءكم واعلاهم قدرا هو ابراهيم عليه السلام فقلدوه فى ترك عبادة الاصنام
 والاوثان وان كنتم مستدلين فانظروا فى هذه الدلائل التى ذكرها ابراهيم عليه السلام لتعرفوا
 فساد عبادة الاوثان وبالجمله فاتبعوا ابراهيم ائمة تقليدا واما استدلال الثالث ان كثيرا من
 الكفار فى زمان النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون نترك دين آباءنا ووجدنا ناذرا لله
 تعالى قصة ابراهيم عليه السلام وهو انه ترك دين آبيه وأبطل قوله بالدليل ورجع متابعة الدليل
 على متابعة آبيه ثم قال تعالى فى صفة ابراهيم (انه كان) جبلة وطبعه (صديقا) أى يبلغ
 الصدق فى نفسه فى أقواله وأفعاله أى كان من أول وجوده الى انتهائه موصوفا بالصدق
 والصيانة وسماى الكلام على قوله بل فعله كبيرهم هذا وانى سقيم فى محله ولما كانت مرتبة
 النبوة ورفع من مرتبة الصديقية قال تعالى (نبيا) أى استبأه الله تعالى اذ لا رفعة أعلى
 من رفعة من جعله الله واسطة بينه وبين عباده وقوله تعالى (اذ قال) بدل من ابراهيم وما بينهما
 اعتراض أو متعلق بكان أو بصديقا نبيا أى كان جامعاً لخصائص الصديقين والانبياء حين
 قال (لايه) أزهره اذ لا اله من تبه الضلال بعبادة الاصنام مستعطفاه فى كل جملة بقوله (ياأبى)
 والثناء عوض عن ياء الاضافة ولا يجمع بينهما وقرأ ابن عامر بفتح التاء فى الوصل والباقون
 بكسرها وأما الوقف فوقه ابن كثير وابن عامر بالهاء والباقون بالتاء ثم ان الله تعالى حكى عنه
 أيضا أنه تكلم مع آيه بأربعة أنواع من الكلام النوع الاول قوله (لم تعبد) مریدا بالاستفهام
 المجهلة واللفظ والرفق واللين والادب الجليل فى فصحه كاشفا الامر غاية الكشف بقوله
 (ما لا يسمع ولا يبصر) أى ليس عنده قابلية لشي من هذين الوصفين ليرى ما أنت فيه من
 خدمته أو يجيبك اذا نادىته سالاً وما لا (ولا يغنى عنك شيأ) فى جلب نفع ودفع ضرر فوصف
 الاوثان بصفات ثلاث كل واحدة منها قاذرة فى الالهية وبيان ذلك من وجوه أحدها
 أن العبادة غاية التعظيم فلا تستحق الا لمن له غاية الانعام وهو الاله الذى منه أصول النعم
 وفروعها على ما تقررى تفسير قوله وان الله وبى وربكم وكانه لا يجوز الاشتغال بشكره لم تكن
 منعمة بحيث أن لا يجوز الاشتغال بعبادتها وثباتها أنما اذ المسمع ولا تبصر ولا تخبر من يطعمها
 من يصنعها على ما تقررى عبادة الله تعالى لا اله الا الله يجب أن يكون عالما بكل المخلوقات

وثالثها أن الدعاء مع العبادة فإذ لم يسمع الوثن دعاء الداعي فأى منفعة في عبادته وإذا لم يصبر
 فقترب من تقرب اليه فأى منفعة في ذلك التقرب ورابعها أن السامع المبصر الضار النافع
 أفضل من كان عارياً عن كل ذلك والإنسان موصوف به هذه الصفات فيكون أفضل وأكمل من
 الوثن فكيف يليق بالافضل عبودية الاخر وخامسها ان كانت لا تنفع ولا تضر فلا يربح بها
 منفعة ولا يخاف من ضررها فأى فائدة في عبادتها وسادسها اذا كانت لا تحفظ نفسها عن
 الكسر والافساد حين جعلها ابراهيم عليه السلام جذاً اذا فإى رجا فيها للغير فكانه عليه السلام
 قال ليست الالهة الا الرب يسمع ويصبر ويجب دعوة الداعي اذا دعاه النوع الثاني قوله
 (يا أبت انى قد جاني) من المعبود الحق (من العلم ما لم يأتك) منه (فأتبعني) اى فتسبب من
 ذلك انى أقول لك وجوباً على اللهسى عن المنكر ونصيحة لما لك على من الحق اجتهادى فتبى
 (أهدك صراطاً) أى طريقاً (سواي) أى مستقيماً كما انى لو كنت معك فى طريق محسوس
 وأخبرت ان أماناً مهلاً كالانجوس منه أحد وأمرتك أن تسلك مكاناً غير ذلك لا طعننى ولو
 عصيتنى فمه عدك كل أحد عاوى النوع الثالث قوله (يا أبت لا تعبد الشيطان) فإن الاصنام ليس
 لها دعوة أصلاً والله تعالى قد حرمت عبادة غيره مطلقاً على لسان كل ولّى فتعين أن يكون الأمر
 بذلك الشيطان فكانه هو المعبود بعبادتها فى الحقيقة ثم على هذا النهى بقوله (إن الشيطان)
 البعيد من كل خير المحترق بالعنة (كان للرجن عصياً) بالقوة من حين خلق وبالفعل من حين أمره
 بالسجود لآدم عليه السلام فأبى فهو عدو لله وله والطبع للعاصى لئى عاص ذلك الشئ
 لأن صديق العدو وعدو (فان قيل) هذا القول يتوقف على اثبات أمور أحدها اثبات الصانع
 وثانيها اثبات الشيطان وثالثها أن الشيطان عاص ورابعها أنه لما كان عاصياً لم تجز طاعته
 وخامسها أن الاعتقاد الذى كان عليه آزر مستفاد من طاعة الشيطان ومن شأن الدلالة التى
 تورد على الشخص أن تكون مركبة من مقدمات معلومة ليس لها الخصم ولعل ابراهيم كان
 متنازعا فى هذه المقدمات وكيف والمحكى عنه انه ما كان يثبت الها سوى غرود فكيف يسلم وجود
 الرجى وإذا لم يسلم وجوده فكيف يسلم أن الشيطان عاص للرجى ويتقديرتسليم ذلك فكيف
 يسلم الخصم بمجرد هذا الكلام أن مذهبه مقتبس من الشيطان بل لعله يغلب ذلك على خصمه
 (وأجيب) بأن الحجة المعول عليها فى ابطال مذهب آزر هو قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
 ولا يعنى عنك شياً وهذا الكلام جرى مجرى التخويف والتحذير الذى يحمله على النظر فى تلك
 الدلالة فيسقط السؤال النوع الرابع قوله (يا أبت انى أخاف) لمحبتى لك وعزى عليك (أن
 يسلك عذاب) أى كان (من الرجى) الذى هو مولى كل من ولّاه لعصيانك اياه (فتكون) أى
 فتسبب عن ذلك أن تكون (للشيطان ولياً) أى ناصر اوراقى فى النار ولما دعا ابراهيم
 عليه السلام اياه الى التوحيد وذكر الدلائل على فساد عبادة الاوثان وأردف تلك الدلائل
 بالوعظ البليغ وأورد كل ذلك مقروناً بالرفق والالطف قابله أبوه بجواب يضاد ذلك فقابل بحبه
 بالثقل فانه لم يذكر فى مقابله محبة الا أن (قال أراغب أنت عن الهى) باضافتها الى نفسه

فقط اشارة الى مبالغته في تعظيمها والرغبة عن الشيء تركه هذا فأصر على ادعاء الهيته جاهلا
وتقليدا وقابل قوله بالرفق بأبى بالعنف حيث لم يقل يا بنى بل قال (يا ابراهيم) وقابل وعظه
بالسفاهة حيث هدده بالضرب والشتم بقوله مقسما (لئن لم تنته) عما أنت عليه (لا رجعتك)
أى لا تقتلنك أولا رجعتك بالجحرة حتى عوت أو تبعد عني أو بالكلام القبيح فاحذرنى (واهجرنى)
أى ابعدين عني بالمفارقة من الدار والبلد وهى كهجرة النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أى
تباعدين عني (ملياً) أى دهر اطوي ولا لكى لأراك وقيل اهجرنى بالقول ولا تخاطبني دهر اطوي لا
لأجل ما صدر منك من هذا الكلام وفى ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتأسية فيما كان
يلقى من الأذى ويقضى من قومه من العناد ومن عه أى لهب من الشدايد بأعظم آياته
وأقربهم به شهابا لمسمع ابراهيم عليه السلام كلام آية أجب بأمرين أحدهما أن (قال) له مقابلا
لما كان منه من طيش الجهل بما يحق لئله من رزاة العقل والعلم (سلام عليك) وتوديع
ومشاركة أى سلت منى لأصيبك بمكره مالم أؤمر فيك بشئ فإنه لم يؤمر بمقاتله على كفره
كقوله لنأعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا يفتي الجاهلين وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما وهذا يدل على جواز مشاركة المنصوح إذا ظهر منه اللجاج وعلى انه يحسن مقابلة الاساءة
بالاحسان ويجوز أن يكون دعاءه بالسلامة استمالة ألا ترى أنه وعده بالاستغفار فيكون سلام
بر واطف وهو جواب الحلم للسمية كقوله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ثم اصأنف
قوله (سأستغفر لك ربى) أى المحسن الى أبان أطلب لك منه غفران ذنوبك بأن يوفقك للاسلام
(أنه كان بنى حقيقاً) أى مبالغى الكراى مرة بعد مرة وكرة فى اثر كرة وقد وفى بوعده بقوله
المذكور فى الشعراء وأغفر لى وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكره فى براءة وثانيهما
أنه قال لما انقاد الامر آية (وأعترلكم) أى جميعاً ترك بلادكم وأشار الى ان من شرط المعبود
أن يكون أهلاً للمناداة فى الشدايد بقوله (وما تدعون) أى تعبدون (من دون الله) الذى له
الكمال كله فمن أقبل عليه وحده أصاب ومن أقبل على غيره ولو طرفة عين فقد خاب وخسر
(وادعوا) أى اعبد (ربى) وحده لاستحقاقه ذلك منى ولم يقيد الاعتزال بزمن بل أشار الى أنهم
ماداموا على هذا الذين فهو معتزل لهم ثم دعائهم بما ينهم به على خسة مسعاهم فقال غير
جازم باجابة دعوته وقبول عبادته اجلالاً له وهضم لنفسه (عسى أن لا أكون بدعاء ربى)
المنفرد بالاحسان الى (شقيقاً) أى كما شقيت بعبادة الاصنام فانها لا تجيب دعاءكم ولا تنفعكم
ولا تنصركم ولما رأى من آية وهما شرته مارأى عزم على غربة مشقة النوى مختاراً للغربة
فى البلاد على غربة الاضداد فكان كما قال الامام أبو سليمان الخطاى

وما غربة الانسان فى شقة النوى * ولكنها والله فى عدم الشكل

وفى غريب بين يست وأهلها * وان كان فيها أسرف وبها أهلى

وحقق ما عزم عليه فبين سبحانه وتعالى تحقيق رجائه واجابة دعائه فقال (فلما اعترلهم) أى
بالمهجرة الى الارض المقدسة (وما يعبدون من دون الله) لم يضرة ذلك ديناً ولا ديناً بل نفعه

وعرضه الله أولاداً كما قال تعالى (وهبناله) كما هو الشأن في كل من ترك شياؤه (أحق) ولداً
 له صلته من زوجته العاقر العقيم بعد تجاوزها سن اليأس وأخذ هو في السن إلى حد لا يولد
 لمثله (ويعقوب) ولد لاسحق وخصه بما بالذكر لزمهما محل إقامته وقيامهما بعد موته بخلافته
 فيه وأما اسمعيل عليه السلام فكان الله سبحانه وتعالى هو المتولي لثريته بعد نقله رضيعاً
 إلى المسجد الحرام وأحيائه تلك المشاعر العظام فأقرده بالذكر جاعلاً له أصلاً برأسه بقوله بعد
 وأذكر في الكتاب اسمعيل فتركه ذكره مع اسحق الذي هو أخوه لذلك ثم صرح بما ذهب لاولاده
 جراً على هجرته بقوله تعالى (وكلّا) أي منهما (جعلنا نبيا) على المقدار ويجوز بالآخبار العظيمة
 كما جعلنا إبراهيم عليه السلام نبياً (وهبنالهم) كلهم (من رجلاً) أي شيئاً منها أعظم من النسل
 الطاهر والذرية الطيبة واجابة الدعاء واللطف في القضاء والبركة في المال والاولاد وغير ذلك
 من خيرى الدنيا والآخرة (وجعلنا لهم لسان صدق علياً) وهو النشاء الحسن وعبر باللسان
 عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهو العظيمة واستجاب الله تعالى دعوته
 في قوله تعالى واجعل لى لسان صدق فى الآخرى فصبيره قدوة حتى ادعاه أهل الأديان
 كلهم فقال تعالى مله أيكم إبراهيم وقد اجتمعت فيه خصال لم تجتمع في غيره أو لها انه
 اعتزل عن الخلق على ما قال وأعتزلكم ومات دعون من دون الله فلا جرم بارك الله في أولاده
 فقال (وهبناله اسحق ويعقوب وكلّا جعلنا نبيا) ثانيها انه تبرأ من أيسه كما قال عز وجل فلما
 بين له انه عدو لله تبرأ منه لا جرم سمى الله أبا المسلمين فقال مله أيكم إبراهيم ثالثها انه ولد
 للجبين ليسدجحه في الله على ما قال تعالى وتله للجبين لا جرم فداه الله تعالى على ما قال وقد نجاه
 بذبح عظيم وابعها أسلم نفسه فقال أسلمت لرب العالمين فجعل الله تعالى النار برداً وسلاماً
 عليه فقال يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم خامسها أشفق على هذه الأمة فقال ربنا
 وأبعث فيهم رسولا منهم لا جرم أشركه الله تعالى في الصلوات في قوله تعالى كما صليت على
 إبراهيم وعلى آل إبراهيم سادسها وفي حق سارة في قوله تعالى وإبراهيم الذي وفى لا جرم جعل
 موطن قدميه مباركا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى سابعها عادي كل الخلق في الله فقال
 فانهم عدو لى الأرب العالمين فاتخذ الله خليلاً كما قال واتخذ الله إبراهيم خليلاً ليعلم صحة قولنا
 ما خبر على الله أحداً القصة الرابعة قصة موسى عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (وأذكر
 فى الكتاب) أي الذى لا كتاب مثله في الكمال (موسى) أي الذى أنفذ الله به بنى إسرائيل
 من العبودية ثم إن الله تعالى وصفه بأمر أحدها قوله تعالى (أنه كان مخفصاً) قرأه حاصم
 وحزق والكسائي بفتح اللام أي مختار اختاره الله تعالى واصطفاه وقيل أخلصه الله تعالى من
 الدنس والباطون بالكسر أي أخلص التوحيد لله والعبادة ومتى ورد القرآن بقراعتين فكل
 منهما ثابت مقطوع به فجعل الله تعالى من صفة موسى عليه السلام كلا الأمرين ثانيها قوله
 تعالى (وكان رسولا) إلى بنى إسرائيل والقبط (نبيا) نبته الله بمباريد بن وحيملي بن المرسل
 اليهم فيرفع بذلك قدره فلذلك صرح به بعد دخولها في الرسالة ضمناً إذ كل رسول نبى وليس

كل نبي رسول خلا فآله معتزلة فانهم زعموا كونهم امتلا زمين فكل رسول نبي وكل نبي رسول
وسياق الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى في سورة الحج عند قوله وما أرسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي. ثالثها قوله تعالى (وناديناه) أي بما لنا من العظمة (من جانب الطور) هو
اسم جبل (الايمن) أي الذي يلي عين موسى حين أقبل من مدين فأبناؤه هناك حين كان
متوجها الى مصر بأنه رسولنا ثم واعدناه اليه بعد اغراق آل فرعون فكان لبني اسرائيل
به من العجايب في رحمتهم بانزال الكتاب والالذاب بالخطاب من جوف السحاب وفي اماتتهم
لما طلبوا الرؤية ثم احياهم وغير ذلك ما يجبل عن الوصف رابعها قوله تعالى (وقرنا به) بما لنا من
العظمة ف قريب تنسرف حاله كونه (نجيا) تخبره من أمر نابلا واسطة من النجوى وهي السمر
والكلام بين اثنين كالسمر وقيل قرب مكان أي مكانا عاليا عن أي العالبة أنه قرب حتى جمع صرير
القلم حيث يكتب التوراة في الاواح وقيل أنجيئناه من أعدائه خامسها قوله تعالى (ووهبنا له)
أي هبة نلبق بعظمنا (من رحمتنا) أي من أجل رحمتنا وبعض رحمتنا (أخاه) أي معاضدة
أخيه وموازنته لا تنقصه واخوته وذلك اجابة لدعونه واجعل لي وزيرا من أهلي هرون فانه
كان أسن من موسى * (تنبيه) * أخاه مفعول أو بدل على تقدير أن تكون من اللبعض وقوله
(هرون) عطف بيان وقوله (نبا) حال منه هي المقصودة بالهبة * القصة الخامسة قصة اسمعيل
عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (وآذ كر في الكتاب اسمعيل) بن ابراهيم عليهما السلام
الذين هدم مغتفرون بنبوته ومفتخرون برسائله وأبوته فلزم من ذلك فساد تعظيمهم انكار نبوتك
بأنك من البشر ثم ان الله تعالى وصف اسمعيل بأمر أولها قوله تعالى (انه كان) أي جبلة وطبعها
(صادق الوعد) في حق الله وفي حق غيره لمعونة الله على ذلك بسبب أنه لا يعدو وعد الامم ونا
بالاستثناء كما قال لا يسه حين أخبره بأمر ذبحه سبحانه ان شاء الله من الصابر بن وخضه بالمدح به
وان كان الانبياء كلهم كذلك لقصة الذبح فلا يلزم منه تفضيله مطلقا وروى عن ابن عباس أنه
وعده صاحبه أن ينتظره في مكان فانتظره سنة وروى أن عيسى عليه السلام قال له رجل
انتظرني حتى آتيك فقال عليه السلام نعم وانطلق الرجل ونسي الميعاد فجاء الى حاجته الى ذلك
المكان وعيسى عليه السلام هناك للميعاد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه واعد رجلا
ونسي ذلك الرجل فانتظره من النخى الى غروب الشمس وسئل الشعبي عن الرجل يعد ميعادا
الى أي وقت ينتظره قال فان واعدته نهرا فكل النهار وان واعدته ليلا فكل الليل وسئل
ابراهيم بن زيد عن ذلك فقال اذا واعدته في وقت الصلاة فانتظره الى وقت صلاة أخرى ثانيا
قوله تعالى (وكان رسولا نبيا) قدم ترقيته وتثنيته وثالثها قوله تعالى (وكان بأمر أهله بالصلاة)
أي التي هي طهرة البدن وقرة العين وخير المعون على جميع المآرب (والزكاة) أي التي
هي طهرة المال كما أوصى الله تعالى بذلك جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام والمراد بالاهل
قومه وقبل أهله جميع أمتيه سكان رسول لا التي جرهم قاله الامصهاني والى أهل تلك البراري
يدين أيه ابراهيم والمراد بالصلاة قال ابن عباس يريد التي افترضها الله تعالى عليهم قال

اليعقوبى وهى الحنفية التى اقترضت علينا قسلا كان يبدأ بأهله فى الامر بالعبادة ليجعلهم قدوة
للمن سواهم كما قال تعالى وأذرعشيرتك الأقربين وأومر أهلك بالصلاة قوا أنفسكم وأهليكم
نارا وبإذن كلة قال ابن عباس انها طاعة الله والاخلاص فكانت تأوله على مايزكوبه الفاعل
عنده ربه تعالى والظاهر كما قال ابن عادل ان الركاة اذا قرئت بالصلاة أن يراد بها الصدقات
الواجبة رابعها قوله تعالى (وكان عند ربه) بعبادته على حسب ما أمر به (مريضيا)
وهذا فى نهاية المدح لأن المرضي عند الله هو الفائز فى كل طاعة بأعلى الدرجات فاقترنت
به فانه من أجل آياتك لتجمع بين طهارة القول والبدن والمال فتنال رتبة الرضا * القصة
السادسة قصة ادريس عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (واذكر فى الكتاب) أى
الجامع لكل ما يحتاج اليه حق ما يحتاج اليه من قصص المتقدمين والمتأخرين (ادريس)
وهو جد نوح عليه السلام قبل سمي ادريس لكثرة دراسته الكتب واسمه اخنوخ
بهملة زنون وآخره ماء مجة وصفه الله تعالى بأمر أحدها وثانيها قوله تعالى (أنه كان
صديقا نبيا) أى صادقاً فى أفعاله وأقواله ومصدقاً بما آتاه الله من آياته وعلى السنة الملائكة
ثالثها قوله تعالى (ورفعناه مكانا عليا) وفيه قولان أحدهما أنه رفع المنزلة كقوله تعالى
للنبي صلى الله عليه وسلم ورفعنا لك ذكركا فإن الله تعالى شرفه بالنبوة وأنزل عليه ثلاثين
صحيفة وهو أول من خط بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب وأول من خاط الشياطين واليهما
وكانوا من قبله يلبسون الجلود وأول من اتخذ السلاح وقال الكفار وثانيها أنه من
رفعة المكان ثم اختلقوا فقال بعضهم رفعه الله تعالى الى السماء الرابعة وهى التى رآه النبي
صلى الله عليه وسلم بها ليلة الاسراء وقيل الى الجنة وهو حى لا يموت وقالوا أربعة من الانبياء
احياء اثنان فى الارض الخضر والياس واثنان فى السماء عيسى وادريس وقال وهب كان
يرفع لادريس كل يوم من العبادة ما يرفع لجميع أهل الارض فى زمانه فحجبت منه الملائكة
واشتاق له ملك الموت فاستأذن ربه فى زيارته فأذن له فأتاه فى صورة بنى آدم وكان ادريس يصوم
الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فأبى أن يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره
ادريس وقال له الليلة الثالثة انى أريد أن أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استأذنت ربي أن
أحجبك فقال لى اليك حاجة قال ما هى قال تقبض روحى فأوحى الله تعالى اليه أن اقبض
روحه فقبض روحه وردها اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما الفائدة فى سؤالك قبض الروح
قال لا ذوق كرب الموت وغمة فأكون أشد استعدادا له ثم قال له ادريس ان لى اليك حاجة
أخرى قال وما هى قال ترفعنى الى السماء لا تنظر اليها والى الجنة والنار فأذن الله تعالى له فى ذلك
فرفعه فلما قرب من النار قال لى اليك حاجة قال وما تريد قال تسأل ما لك أن يفتح أبوابها فأردها
ففعل ثم قال كما يرى بنى النار فأراني الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتح ففتح أبوابها فادخله الجنة
ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود الى مكانك فغلق بشجرة وقال بما أخرج منها فبعث الله تعالى
ملكاً يحكى بينهما فقال له الملك مالك لا تخرج قال ان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد

ذقته وقال وان منكم الاواردها وقد وردتم اوقال وما هم منها بغير حين فلست اخرج فاقوى
الله تعالى الى ملك الموت باذنى دخل الجنة وباذنى لا يخرج فهو حتى هناك وقال آخرون بل رفع
الى السماء وقبض روحه وقال كعب الاخبار ان ادريس سار ذات يوم فى حاجة فاصابه وهج
الشمس فقال يارب انى مشيت يوما فكيف عشتى من يحملها مسيرة خمسة ايام فى يوم واحد
اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرفه فقال
يا رب خفف عني حر الشمس فالذى قضيت فيه فقال تعالى ان عبدى ادريس سألنى ان اخفف
عني حرها وحرها فاجبته قال يارب اجعل بيني وبينه خلة فاذن له حتى أتى ادريس فكان
ادريس يسأله فكان مما سأله ان قال له انى اخبرت انك اكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت
فاشفع لى ليؤخر اجلي فازداد شكر اوعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها وانا مكلمه
فرفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم أتى ملك الموت فقال لى حاجة اليك لى صديق من
بنى آدم تشفع بى اليك لتؤخر اجلي فقال ليس ذلك لى ولكن ان احببت اعلنه اجلي فقدم لنفسه
قال ثم فنتظر فى ديوانه فقال انك كلمتني فى انسان ما اراه يموت أبدا قال وكيف ذلك قال لا أجده
يموت الا عند مطلع الشمس قال انى أتيتك وتركتك هناك قال فانطلق فلأراك تجده الا وقد مات
فوالله ما بقى من أجل ادريس شئ فخرج الملك فوجده ميتا ولما انقضى كشف هذه الاخبار
العالمة المقدار الجليله الاسرار شرع سبحانه وتعالى ينسب اهلها بأشرف نسبهم وبذكر المن
بينهم فقال عز من قائل (أولئك) أى العالو الرتبة الشرفاء التسب المذكورون فى هذه
السورة من لدن ذكرى الى ادريس وهو مبتدا وقوله (الذين أنعم الله عليهم) بما خصهم به من
مزيد القرب اليه وعظيم المزاولة لديه صفته وقوله تعالى (من النبيين) أى المصطفين بالنبوّة
الذين أنبأهم الله تعالى بدقائق الحكيم ورفع محالهم بين الامم بيان لهم وهو فى معنى الصفة
وما بعده الى جلة الشرف صفة للنبيين بقوله (من ذرية آدم) أى ادريس لقربه منه لانه جد
أبى نوح (ومن حملنا مع نوح) فى السفينة أى ابراهيم ابن ابيه سام (ومن ذرية ابراهيم) أى
اسماعيل واسحق ويعقوب (و) من ذرية (اسرائيل) وهو يعقوب أى موسى وهرون وزكريا
ويحيى وكذا عيسى لان مريم من ذريته (ومن هدينا) الى اقوام الطرق (واجتبتنا) للنبوّة
والكرامة أى من جاتهم * وخبر أولئك (اذا تتلى عليهم) من أى نال كان (آيات الرحمن) خروا
سجدا) للمنع عليهم تقربا الى الله لما لهم من البصائر النيرة فى ذكر نعمه عليهم واحسانه
اليهم (وبكيا) خوفا منه وشوقا اليه فكروا مثلهم * (تنبيه) * سجدا حال مقدرة قال الزجاج
لانهم وقت الخرو ليسوا سجدا وهو جمع ساجد وبكيا جمع بك وبكيا بى قياس بل قياس جمعه
على فعله كقاص وقضاء ولم يسمع فيه هذا الاصل وأصل بكيا بكوي بالقلب الواو ياء والضممة
كسرة واختلف فى هذا السجود فقال بعضهم انه الصلاة وقال بعضهم سجود التلاوة على
حسب ما تعبدوا به قال الرازى ثم يحتمل أن يكون المراد سجود القرآن ويحتمل أنهم عند
الحلو كانوا قد تعبدوا بسجود فية لكون ذلك لاجل ذكر السجود فى الآية انتهى وروى ابن

ماجه وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فاقبوا كوا
وعن صالح المزني قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه
القراءة فاين البكاء وعن ابن عباس اذا قرأت سجدة سبحان فلا تنجسوا بالسجود حتى تبكوا
فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ما غرغت عين بماء الا حرم
الله تعالى على النار جسدها وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان القرآن نزل محزنا فاذا قرأتموه
فحازنوا وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يبلغ النار من بكى من خشية الله وقال
العلماء يدعون في سجدة التلاوة بما يليق بآتيها فان قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من
الساجدين لوجهك المسبحين بحمديك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك واذا قرأ
سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك لا أسفنين لك وان قرأ هذه قال اللهم
اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتمدين بالباكين عند تلاوة آيات كتابك وقرأ أجزأة والكسافي
بيك بكسر الباء والباقون بضمها * ولما وصف سبحانه وتعالى هؤلاء الأنبياء بصفة المدح ترغيبا لنا
في التأسى بهم ذكر بعضهم من هو بالصدقة منهم فقال (خلف من بعدهم) أى في بعض الزمان
الذي بعده هؤلاء الاصفياء مسرىعا (خلف) في غاية الرداة من أولادهم يقال خلفه اذا عقبه
خلف سوءا يسكن اللام والخلف بفتح اللام الصالح كما قالوا وعد في ضمان الخير وعبد في ضمان
الشرو في الحديث في الله خلف من كل هالك وفي الشعر

ذهب الذين يعاش في أكافهم * وبقيت في خلف بجلد الاجرب

وقال السدي أوادهم اليهود ومن لحق بهم وقال قتادة في (أضاعوا الصلاة) تركوا الصلاة
المفروضة وقال ابن مسعود وابراهيم أخروها عن وقتها وقال سعيد بن المسيب هو أن لا يصلي
الظهر حتى يأتي العصر ولا يصلي العصر حتى تقرب الشمس (واتبعوا الشهوات) أى المعاصي
قال ابن عباس هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا سكاح الاخت من
الاب وقال مجاهد هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزوب بعضهم على بعض في الاسواق
والازقة (فسوف يلقون غيا) وهو كما قال وهب وابن عباس واد في جهنم بعيد فقره تستعيد منه
أوديتها كما رواه الحاكم وصححه وقيل هو الخسران وقيل هو الشر كقول القائل

فمن يلقى خيرا يحمده الناس أمره * ومن يقول لا يعدم على التي تلتما

على التي تتعلق بلائها وقيل يلقون جزاء التي كقولهم يلقى أنما أى مجازاة الآثام * (تنبيه) قوله
تعالى يلقون ليس معناه يرون فقط بل معناه الاجتماع والملازمة مع الرؤية * ولما أخبر تعالى
عن هؤلاء بالخيبة فتح لهم باب التوبة وحداهم الى غسل هذه الحوبة بقوله (الامن تاب) أى
مما هو عليه من الضلال وبأدب الأعمال وحافظ على الصلوات وكف نفسه عن الشهوات (وآمن)
بما أخذ عليه به العهد (وعمل) بعد ايمانه تصديقه (صالحا) من الصلوات والزكوات وغيرها
(فأولئك) الصالحون الذين هم الطاهرون والشهيدين (يدخلون الجنة) التي وعد المتقون (ولا يظنون)
من ظالمين (شيأ من أفعالهم) (فان قيل) الاستثناء مدل على أنه لا بد من التوبة والايمن والعمل

الصالح وليس الامر كذلك لان من تاب عن كفره ولم يدخل وقت الصلاة أو كانت المرأة حائضا فانه لا يجب عليهم الصلاة والزكاة أيضا غير واجبة وكذلك الصوم فهذا الوصايا في ذلك الوقت كان من أهل النجاة مع أنه لم يصدر منه عمل فلم يجوز توقف الاجر على العمل الصالح (أجيب) بأن هذه الصورة نادرة والاحكام انما تباطى بالاعمال الغلب (تنبيه) في هذا الاستثناء وجهان قال ابن عادل أظهرهما انه متصل وقال الزجاج هو منقطع وهذا بناء منه على أن المصيب للصلاة من الكفاؤ ووافي الزجاج الجلال المحلى * ولما ذكر تعالى في التائب انه يدخل الجنة وصفها بأمر أو أحدها قوله تعالى (جنات عدن) أى اقامة لا يظعن عنها وجهه من الوجوه وصفها بالدوام على خلاف وصف الجنان في الدنيا التي لا تدوم ثم بين تعالى انها (التي وعد الرحمن عباده) الذين هو أرحمهم وقوله (بالغيب) فيه وجهان أحدهما أن الباطنية وفي صاحب الحال احتمال أن أحدهما خبر الجنة وهو عائد الموصول أى وعد ها وهي غائبة عنهم لا يشاهدونها والثاني عباده أى وهم غائبون عنها لا يرونها انما آمنوا بها بمجرد الاخبار منه والوجه الثاني أن الباطنية أى بسبب تصديق الغيب وسبب الايمان به * ولما كان من شأن الوعود القابضة على ما يتعارفه الناس بينهم احتمال عدم الوقوع بين أن وعده ليس كذلك بقوله تعالى (أنه كان) أى كونه مؤسفة ماضية (وعده ماضيا) أى مقصود بالفعل فلا بد من وقوعه فهو كقوله ان كان وعد ربنا لمفعولا ثانيا قوله تعالى (لا يسمعون فيها لغوا) وهو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله تعالى عنه الدار الآخرة التي لا تكليف فيها وقد مدح الله تعالى أقواما بقوله وإذا مروا بالغومزوا كراما وإذا سمعوا اللغوا عرضوا عنه وقالوا لنسمع لئلا نكلم سلام عليكم لا ينبغي الجاهل من لغو والجهل والخرص فيما لا يعنيننا وقوله تعالى (الاسلام) استثناء منقطع أى ولكن يسمعون قول لا يسلون فيه من العيب والتقصة أو سلاما من الله أو من الملائكة أو من بعضهم على بعض ويجوز أن يراد باللغو مطلق الكلام قال في القاموس لغوا تكلم فيكون الاستثناء متصلا أى لا يسمعون فيها كلاما لا كلاما يدل على السلامة أو سلاما من الله أو من الملائكة أو من بعضهم على بعض ثالثه قوله تعالى (ولهم رزقهم فيها) أى على ما يمتنعون ويشتهرونه على وجه لا بد من اتيانه ولا كلفة عليهم فيه ولا منة عليهم به (بكرة وعشا) أى على قدرهما في الدنيا وليس في الجنة ثم نزلوا ليل بل ضوء وفور ابد وقبل انهم يعرفون النهار رفع الحجب والليل بارخائهم (فان قيل) المقصود من هذه الآيات وصف الجنة بأحوال مستعظمة وموصول الرزق اليهم بكرة وعشا ليس من الامور المستعظمة (أجيب) بوجهين الاول قال الحسن أراد الله تعالى أن يرغب ~~بكل~~ قوم عما أحبه في الدنيا فذلك ذكر أساور الذهب والفضة وليس الحرير التي كانت عادة العجم والارثاق التي هي الحال المضروبة على الاسرة وكانت عادة أشرف اليمن ولا شيء كان أحب الى العرب من الفساد والعشاء فوعدهم بذلك الثاني أن المراد دوام الرزق تقول أنا عند فلان صياح لومسه وبكرة وعشائه يزيد الدوام ولا قصد الوقتين المعنيين وقيل المراد راحة العينين وسعة الرزق أى لهم رزقهم

متى شأوا * ولما بانيت بهذه الاوصاف دار الباطل أشار الى علو مرتبتهم او ما هو سببها بقوله تعالى
 (تلك الجنة) باداء البعد لعلو قدرها وعظم أمرها (التي نورث من عبادنا) أي نعطي عطاء الارث
 الذي لا كذفيه ولا استرجاع وتبقى له الجنة كما يبقى للوارث مال الموروث وقيل تنقل تلك المنازل
 عن لو أطاق لك كانت له الى عبادنا الذين اتقوا ربهم فجعل النقل ارثا قاله الحسن (من كان
 تقيا) أي المتقين عن عباده (فان قيل) الفاسق المرتكب للكبائر لم يوصف بذلك الوصف
 فلا يدخلها (أجيب) بأن الآية تدل على أن الجنة يدخلها المتقي وليس فيها دلالة على أن غير المتقي
 لا يدخلها وأيضاً صاحب الكبيرة متق عن الكفر ومن صدق عليه أنه متق عن الكفر فقد
 صدق عليه أنه متق وإذا كان صاحب الكبيرة يصدق عليه أنه متق وجب أن يدخل الجنة
 فدلالة الآية على أن صاحب الكبيرة يدخلها أولى من أن تدل على أنه لا يدخلها * واختلف في
 سبب نزول قول جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم (وما تنزل الآيات من ربك) فقال ابن عباس قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم باجبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت الآية وقال
 مجاهد أبطأ الملك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليله فقال لعلي أبطأت قال قد فعلت قال
 ولم لا أفعل وأنتم لا تتسوّكون ولا تقصون أظفاركم ولا تقنون براجكم وقال وما تنزل
 الآيات من ربك فنزلت وقال قتادة والكلي احتبس جبريل عليه السلام عن النبي صلى الله عليه
 وسلم حين سأله قومه عن قصة أصحاب الكهف وذى القرنين والروح وسبب سؤالهم عن
 ذلك ما روي أن قريشاً بعثت خمسة رهط الى يهود المدينة يسألونهم عن صفه النبي صلى الله
 عليه وسلم وهل يجدونه في كتابهم وسألوا النصارى فزعموا أنهم لا يعرفونه وقالت اليهود نجده
 في كتابنا وهذا زمانه وقد سألنا رجن اليمامة عن ثلاث فلم يعرف فسلوه عنهن فان أخبركم عن
 خصلتين فاتبعوه فسلوا عن قصة أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فلم يدركف
 يجيبه فوعدهم أن يجيبهم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عنه أربعين يوماً وقيل خمسة
 عشر يوماً فشق ذلك عليه مشقة عظيمة وقال المشركون ودعوه ربه وقلاه فلما نزل جبريل عليه
 السلام قال له النبي صلى الله عليه وسلم أبطأت حتى ساء ظني واشتقت اليك قال اني اليك أشوق
 ولكنني عبد هامور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فنزلت هذه الآية وأنزل قوله تعالى
 ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله وسورة الغهي (فان قيل) قوله تلك الجنة
 التي نورث من عبادنا من كان تقيا كلام الله وقوله وما تنزل الآيات من ربك كلام غير الله فكيف جاز
 عطف هذا على ما قبله من غير فصل (أجيب) بأنه اذا كانت القرينة ظاهرة لم يقبح كقوله تعالى
 اذا قضى أمرنا فاعلم ان يقول له كن فيكون وهذا كلام الله تعالى ثم عطف عليه قوله وان الله ربي
 وربكم فاعبدوه ثم علل جبريل قوله ذلك بقوله (له ما بين أيدينا) أي امامنا من أمور الآخرة
 (وما خلفنا) أي من أمور الدنيا (وما بين ذلك) أي ما يكون من هذا الوقت الى قيام الساعة
 أي له علم ذلك جميعه وقيل ما بين ذلك ما بين النخعتين وبينهما أربعون سنة وقيل ما بين أيدينا
 ما بين الدنيا وما خلفنا ما مضى منها وما بين ذلك مدة حياتنا وقيل ما بين أيدينا بعد أن نموت

وما خلقنا قبل أن نخلق وما بين ذلك مدة الحياة وقبل ما بين أيدينا الأرض إذا أردنا النزول إليها وما خلقنا السماء وما ينزل منها وما بين ذلك الهواء يريد أن ذلك كله لله فلا نقدر على شيء إلا بأمره (وما كان ربك) المحسن اليك (نسباً) بمعنى ناسباً أي تاركاً لك تأخيراً الوحي عندك لقوله تعالى وما ودعك ربك وما قلى أي وما كان امتناع النزول إلا لامتناع الأمر به وما كان ذلك عن ترك الله تعالى لك وتوديعه إليك ثم استدلل على ذلك بقوله (رب السموات والأرض وما بينهما) فلا يجوز عليه التسبب أن لا بد أن يحسبهم ما حالاً بعد حال والباطل الأمر فيهما وفيمن يتصرف والآن يد الله على أن الله تعالى رب لكل شيء حصل بينهما ففعل العبد مخلوق له تعالى لأن فعل العبد حاصل بين السماء والأرض * (نسبه) * يجوز في رب أن يكون بدلاً من ربك وأن يكون خبر مبتدأ مضمراً أي هو رب وقوله تعالى (فأعده واصطبر لعبادته) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم من رب على ما تقدم أي لما عرفت أن ربك لا ينسأ فاعده بالمرأية الدائمة على ما ينسأ من مثلك واصطبر عليها ولا تشوش بباطء الوحي وهزه الكفار بك (فان قيل) لم يقل واصطبر على عبادته لأن صلته فكان حقه تعدي به على (أجيب) بأنه ضمن معنى الثبات لأن العبادات ذات تكاليف قل من ثبت لها فكانه قيل أثبت لها واصطبراً كقولك للعباد اصبراً فنك ثم علل ذلك بقوله (هل تعلم له سمياً) قال ابن عباس هل تعلم له مثلاً أي نظيراً فيما يقتضي العبادات والذي يقتضيها كون منه ما بأصول الثم وفروعها وهي خلق الأجسام والحياة والعقل وغيرها فإنه لا يقدر على ذلك أحد سواه سبحانه وتعالى وإذا كان قد أنعم عليك بغاية الانعام وجب أن تعظمه بغاية التعظيم وهي العبادات وقال الكلبي هل تعلم أحد انسمى الله غيره فانهم وإن كانوا يطلقون لفظ الإله على الوثن فما أطلقوا لفظ الله تعالى على شيء * ولما أمر تعالى بالعبادة والمصاهرة عليها فكان سائلاً وقال هذه العبادات لا منفعة فيها في الدنيا وأما في الآخرة فقد أنكرها بعضهم فلا بد من ذكر الدلالة على القول بالحشر حتى يظهر أن الاشتغال بالعبادة يفيد فلماذا حكى الله سبحانه وتعالى قول منكري الحشر فقال تعالى (ويقول الإنسان أن أمانت لسوف أخرج حياً) قال الكلبي نزلت في أبي بن خلف حين أخذ عظاماً بالية فنتها بيديه ويقول زعم لكم محمد أنما بعث بعد ما نوت وقبل نزلت في أبي جهل وقبل المراد جنس الكفار القائلين بعدم البعث ثم إن الله تعالى أقام الدليل على صحة البعث بقوله (أولاً يذكر الإنسان) أي المجترئ بهذا الإنكار على ربه (أما خلقنا من قبل) أي من قبل جده (ولم يكن شيئاً) أصلاً وأما يقتضي ذلك فادورون على أعادته فلا يشكر ذلك قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق على إيراد حجة في البعث على هذا الاختصار ما قدروا عليه إذ لا شك أن الاعادة ثانياً أهون من الإيجاد أولاً ونظيره قوله تعالى قل بحسبها الذي أنشأها أول مرة وقوله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم يسكون الذال وضم الكاف مخففة والباقيون بفتح الذال مشددة وكذا الكاف (فان قيل) كيف أمر الله الإنسان بالتذكير مع أن التذكير هو العلم بما علمه من قبل ثم تحللها سهو (أجيب) بأن المراد ألا يتفكر فيعلم خصوصاً

اذا قرئ أولاً يذ كرمشداً أما اذا قرئ مخففا فالمراد ألا يعلم ذلك من حال نفسه لأن كل أحد
 يعلم أنه لم يكن حياً في الدنيا ثم صار حياً ثم انه تعالى لما قرأ المطلوب بالدليل أردفه بالتهديد من
 وجوه أولها قوله تعالى (فوربك) أي المحسن اليك بالانقياد منهم (لتحضرهم) بعد البعث
 (والشياطين) الذين يضلونهم بأن تحسر كل كافر مع شيطان في سلسلة وقائمة القسم أمران
 أحدهما ان العادة جارية بتأكدهم بالخبر باليمين والثاني في اقسام الله باسمه مضاف الى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم تفخيم لشأنه ورفع منته كما رفع من شأن السماء والارض في قوله تعالى
 فورب السماء والارض انه لحق والواو في والشياطين يجوز أن تكون للعطف ويعنى مع
 وهو أولى ثانيها قوله تعالى (ثم لتحضرهم) بعد طول الوقوف (حول جهنم) من خارجها
 ليشاهد السعداء الاحوال التي نجحهم الله تعالى منها وخلصهم فتردادوا لذلك غبطة الى غبطتهم
 وسرور الى سرورهم ويشتموا بأعداء الله وأعدائهم فترداد مسائهم وحسرتهم وما يغبطهم
 من سعادة أولياء الله وشما تهم بهم وقوله تعالى (جنبا) حال مقدرة من مفعول لتحضرهم وهو
 جمع جات جمع على فقول فحوقاء وقعود وجالس وجلوس وأصله جنو وبواوين أو جنوى من
 جئنا يحشون ويحشئ لغتان (فان قيل) هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى وترى كل أمة جاثية
 ولأن العادة جارية بأن الناس في مواقف مطالبات الملوك يتجاثون على ركبهم لما في ذلك من
 القلق وأولادهم هم من شدة الامر التي لا يطبقون معها القسام على أرجلهم وإذا كان هذا
 حاصله للكل فكيف يدل على مزيد ذل الكفار (أجيب) بأنهم يكونون من رقت الحسرى الى
 وقت الحضور على هذه الحالة وذلك يوجب مزيد ذلهم وقرا أحفص وحزرة والكسافي جنبا
 وعتيا وصلبا بكسر أولها والباقون بضمه ثالثها قوله تعالى (ثم لتنزعن) أي لتأخذن أخذاً شدة
 وعنف (من كل شعبة) أي فرقة مرتبطة بذهب واحد (أيهم أشد على الرحمن) الذين همهم
 بالاحسان (عتيا) أي تكبرا مجاوزا للحد والمعنى ان الله تعالى يحضرهم أولاً حول جهنم ثم يميز
 البعض من البعض فمن كان أشدهم تزداد في كفره خص بعذاب عظيم لأن عذاب الضال المضل
 يجب أن يكون فوق عذاب من يضل بغير غيره وليس عذاب من يتزود بتجبر كعذاب المقلد
 فقائدة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص باصل العذاب ولذلك قال تعالى
 في جميعهم (ثم لئن أعلم) من كل عالم (بالذين هم) بطواهرهم وبواطنهم (أولى بها) أي يجهنم
 (صلبا) أي دخولا واحترا فاقبدهم ولا يقال أولى الامع اشتراكهم وأصله صلوى من صلى
 بكسر اللام وفتحها (تنبيه) في اعراب أيهم أشد أقوال كثيرة أظهرها عند جمهور العرب وهو
 مذهب سيبويه أن أيهم موصولة بمعنى الذى وان حركتها حركة بناء بنيت عند سيبويه نحر وجهها
 عن النظائر وأشد خبر مبتدأ مضمرة والجمله صلة لا يهم وأيهم وصلتها في محل نصب مفعول
 به أولى أحوال أربعة ذكرتها في شرح القطر ولما كانوا بهذا الاعلام المؤكدة بالاقسام
 من ذى الجلال والاکرام جديرين باصفاء الافهام الى ما توجه اليها من الكلام التفت الى
 مقام الخطاب انها ما له موم فقال تعالى (وان) أي وما (منكم) أيها الناس أحد (الا وادها

من النار وفي رواية الجحى من فيج جهنم فأبردوها بالماء وقوله من فيج جهنم أى وجهها وحترها
وقال ابن مسعود وان منكم الاواردها يعنى القيامة والكثابة راجعة اليها قال البغوى
والاقل اصح وعليه أهل السنة وروى أنه يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن
شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن برقة من خير ويخرج من النار
من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير وفي رواية من ايمان وعن ابن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لا علم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة
دخولا الجنة رجل يخرج من النار حيا وفيه قول الله اذهب فادخل الجنة قال فأتياها فيفضل
اليه أتماملا فيرجع فيقول وجدتها ملائى فيقول الله اذهب فادخل الجنة فان لك مثل
الدنيا وعشر أمثالها فيقول له أنسخر بي وأنت الملك فلقدرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة وقوله حتى بدت نواجذه أى أتيابه
وأضراره وقبل هى أعلى الاسنان وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذب
ناس من أهل التوحيد فى النار حتى يكونوا جمما ثم تدر كهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون
على باب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبسون كما ينبت الغناء فى جالة السيل الحم النعم
والغناء كل ما جاء به السيل وقرأ الكسانى نبي بسكون النون الثانية وتخفيف الجيم والباقون
بفتح النون الثانية وتشديد الجيم * وما أقام تعالى الجنة على مشركى قريش المنكرين للبعث
قال تعالى عطفاء على قوله ويقول الانسان (واذ اتلى عليهم) أى الناس من المؤمنين والكفار
من أى تال كان (آياتنا) أى القرآن حال كونهما (بينات) أى واضحات وقيل مرتبات
الالفاظ ملخصات المعاني وقيل ظاهرات الاعجاز (قال الذين كفروا) بايات ربهم بينة
جهلا منهم ونظر الى ظاهر الحياة الدنيا الذى هو مبلغهم من العلم (الذين آمنوا) أى لاجلهم
أو مواجهة لهم اعراضا عن الاستدلال بالآيات بالاقبال على هذه الشبهة الواهية وهى المفارقة
بالمكاثرة فى الدين آمن قولهم (أى الفريقين) نحن بما لنا من الاتساع أم أنتم بما لكم من خشونة
العيش ورتانة الحال ولو كنتم أنتم على الحق وكأعلى الباطل لكان حالكم فى الدنيا أحسن
من حالنا لأن الحكيم لا يلقى به أن يوقع أوليائه المخلصين فى الذل وأعداءه المعرضين عن خدمته
فى العز والراحة وإنما كان الأمر بالعكس فان الكفار كانوا فى النعمة والراحة والاستعلاء
والمؤمنين كانوا فى ذلك الوقت فى الخوف والقله هذا حاصل شبهتهم والقائل ذلك هو النضر بن
الحجر وذو يوفى من قريش للذين آمنوا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيهم قسافة
وفى عيشهم خشونة وفى ثيابهم رتانة وكان المشركون يجلون شعورهم ويلبسون خير ثيابهم
فقالوا للمؤمنين أى الفريقين (خير مقاما) أى موضع قيام أو إقامة على قراءة ابن كثير يضم الميم
والباقون بفتحها فى كلتا القراءتين يحتمل أن يكون اسم ممددا واسم مكان امامن قام ثلاثيا
أوهن أقام (تنبيه) قالوا نريد خيرا من عمر وشر من بكر ولم يقولوا أخيرا منه ولا أشرا منه
لأن هاتين اللفظتين كراستهما هما فحذف همزاهما ولم يثبتا الا فى فعل التجب فقالوا

أخبر زيد وأشر بعمر ووما أخبر زيد أو ما أشر عز والاله في إثباتهما في فعل التمجيد أن استعمال
 هذين اللفظين إسماء أكثر من استعمالهما فعلا فحذفت الهمزة في موضع التكرار وبقيت
 على أصلها في موضع القلة (وأحسن ندبا) أي مجعوا ومتحدنا والندى المجلس يقال ندى ونادى
 والجمع الندية ومنه وتأتون في نادىكم المتكرر وقال تعالى فليدع ناديه ويقال ندوت القوم أندوهم
 إذا جمعهم في مجلس ومنه دار الندوة وكانت تجمع القوم فجعلوا ذلك الامتحان بالانعام
 والاحسان دليلا على رضا الرحمن مع التكذيب والكفران وغضوا عن أن في ذلك مع
 التكذيب بالبعث تكذيبا عما يشاهدون منا من القدرة على العقاب بإحلال النقم وسلب النعم
 ولو شئنا لأهلكناهم وسلبنا جميع ما يفتخرون به (وكم أهلكنا قبلهم) ثم بين إجماعكم بقوله (من
 قرن) شاهد وإدبارهم وروا وأنا هم (هم) أي أهل تلك القرون (أحسن) من هؤلاء (أما أنا)
 أي أمتي (ورثنا) أي ومنظرنا فلو دل حصول نعم الدنيا للإنسان على كونه حبيب الله لوجب
 أن لا يصل إلى هؤلاء نعم في الدنيا وقرأ قالون وابن ذكوان بإبدال الهمزة ياء وإدغامها في الياء
 وقفا وصلوا وإذا وقف حذفت ياء الهمزة ياء ولا فيها الإدغام والظهار * (تنبيه) * كم مفعول
 أهلكنا مقدم واجب التقديم لأن له صدرا للكلام لأنها أما الاستفهامية وأخبر به وهي محمولة
 على الاستفهامية أي كثير من القرون أهلكنا ومن قرن تميز لكم بين لها وإنما سمي أهل كل
 عصر قرنا لأنهم يتقدمون من بعدهم وقول البيضاوي وهم أحسن صفة لكم تبع فيه
 الزمخشري وغيره ورد بأن كم الاستفهامية والخبرية لا توصف ولا توصف بها منهم أحسن في
 محل جر صفة لقرن وجمعه نظر المسمى لأن القرن مشتمل على أفراد كثيرة * ثم قال تعالى لنبيه
 صلى الله عليه وسلم (قل) لهؤلاء المبعدين رداعليم وقطع المعاذيرهم وهتكالستهم هذا الذي
 افتخرتم به لا يدل على حسن الحال في الآخرة بل على عكس ذلك فقد جرت عادته تعالى أنه (من
 كان في الضلالة) متلكم كونوا راضيا ببطء له في الدنيا وطيب عيشه في ظاهر الحال فيها ونعم
 بأنواع الملاذ وقوله (فليدعه الرحمن مدا) أمر بمعنى الخبر معنا: فندعه في طغيانه ونجهله في كفره
 بالبطء في الآثام والسعة في الديار والطول في الأعمار وانفاقها فيما يستلذه من الأوزار
 ولا يزال يذله استدراجا (حتى إذا رآوا) أي كل من كفر بأعينهم (ما يوعدون) من قبل الله (أما
 العذاب) في الدنيا بأبدى المؤمنين وغيرهم وفي البرزخ (وأما الساعة) أي القيامة التي هم بها
 مكذوبون وعن الاستعداد لهما معرضون ولا شيء يشبه أهوالها وخزبها ونكالاتها (فسيعلون)
 إذا رآوا ذلك (من هوشر مكانا) أي من جهة المكان الذي يقول به المقام في قولهم خير مقام
 (وأضعف جندا) أي أقل ناصرا أهم أم المؤمنون أي أضعف من جهة الجند أي الذي أشير
 به إلى الندى في قولهم وأحسن ندبا لأنهم في النار والمؤمنون في الجنة فهذا رد تعليمهم في قولهم
 أي الفريقين خير مقاما وأحسن ندبا (وزيد الله الذين آمنوا) إلى الإيمان (هدى) بما ينزل
 عليهم من الآيات عوض ما زوى عنهم من الدنيا لكرامتهم عند عبادة للضلال له وأنهم
 عليه * وأشار إلى أن مثل ما خذل أولئك بالنوال وفق هؤلاء لحسن الأعمال بأقلال الأموال

فقال عز من قائل (والباقيات الصالحات) أي الطاعات والمعارف التي شرحت لها الصدور
وأثارت بها القلوب وأوصلت إلى علام الغيوب (خير صدرك) مما منع به الكفرة والخيرية هنا
في مقابلة قولهم أي الفريقين خير مقاماً وقيل الباقيات الصالحات هي الصلوات وقيل التسبيح
روى أبو الدرداء قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وأخذ عوداً يابساً وأزال
الورق عنه ثم قال إن قول لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله تحط الخطايا كما يحط ورق هذه
الشجرة الربيع خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يحال ينك ويهتن الباقيات الصالحات وهي من
كنوز الجنة فكان أبو الدرداء يقول لا علمن ذلك ولا كثرن عمله حتى إذا رأى الجهال حسبوا
أنهم يحسون قال الرازي والقول الا قول أولى لأنه تعالى انما وصفها بالباقيات الصالحات من
حيث يدوم ثوابها فلا تختص ببعض العبادات فهي باسرها باقية صالحة نظر إلى أثرها الذي هو
الهداية ثم بين تعالى خيرتها بقوله تعالى (نواباً) أي من جهة الثواب (وخير مرداً) أي من جهة
العاقبة يوم الحسرة (فان قيل) لا يجوز أن يقال هذا خيراً الا والمراد انه خير من غيره والذي عليه
الكفار لا خير فيه أصلاً (أجيب) بأن المراد خير مما ظنه الكفار بقولهم خير مقاماً وأحسن ندياً
وقيل هو كقولهم الصيف أحترم من الشتاء بمعنى أنه في حره أبلغ منه في برده فالكفرة يردون إلى
قنأ وخسارة والمؤمنون إلى ربيع وبقاء * ولما ذكر تعالى الدلائل أولاً على صحة البعث ثم أورد
شبهة المنكرين وأجاب عنها أورد عليهم الآن ما ذكره على سبيل الاستهزاء طعننا في القول
بالحشر فقال تعالى (أفأريت الذي) أي الذي يعرض عن هذا اليوم ويريد على ذلك بأن
(كفر بآياتنا) الدالات على عظمتنا بالدالات للنبات (وقال) جرأ منه وجهلاً (لا وتبين)
أي والله لا وتبين في الساعة على تقدير قيامها (مالا وولدا) أي عظيمين فلم يكفه في جهله تمييز القادر
حق ضم إليه أقدار العاجز وقرأ جزء الكسائي وولدا وكذا ولدا في جميع ما في هذه السورة
بضم الواو وسكون اللام والباقون بفتح الواو واللام في الجميع يقال ولد وولد كما يقال عرب
وعرب وعدم وأما القراءة بفصتين فواضحة وهو اسم مفرد قائم مقام الجمع وأما قراءة الضم
والاسكان فصيل هي كالتى قبلها في المعنى وقيل بل هي جمع لولد نحو أسد وأسد وأنشدوا على
ذلك ولقد رأيت معاشرا * قد أغر واما لولدا

وأنشدوا شاهد على أن الولد والولد مترادفان قول الآخر

فليت فلانا كان في بطن أمه * وليت فلانا كان ولد جاره

* ولما كان ما ادعاه لعله الأبأ حد أمرين لا علم له واحد منهما أن ذكر قوله ذلك بقوله تعالى
(أطلع الغيب) الذي هو غائب عن كل مخلوق فهو في بعد عن الخلق كالعالى الذي لا يمكن أحد
منهم الاطلاع اليه وتفرده الواحد القهار (أم اتخذ) أي بغاية جهده (عند الرحمن عهداً)
عاهده عليه بأن يؤتيه ما ذكر بطاعة فعلها على وجهها ليقت سبحانه فيه عند قوله وقيل
في العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبي
هل عهد الله اليه أن يؤتيه ذلك وعن الحسن رحمه الله تعالى نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور

أنهم في العاص بن وائل قال حباب بن الارت كان لي عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر
 بمحمد فقلت لا والله لا أكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاني اذا مت بعثت قلت نعم
 قال اذا بعثت جئني وسيكون لي ثم مال وولد فأعطيتك وقبل صلح له حباب حليما فاقضاه
 الاجر فقال انكم تزعمون انكم تهمنون وان في الجنة ذهاب وفضة وحرير انا افضيك ثم طاني اوفى
 مالا وولدا فأعطيتك حينئذ ثم انه سبحانه وتعالى بين من حاله ضما ادغاه فقال تعالى (كلا) وهي
 كلمة ردع وتنبه على الخطأ أي هو مخطئ فيما يقول ويبتناه (سكتب) أي تحفظ عليه (ما يقول)
 فيجاز به في الآخرة وقيل نأمر الملائكة حتى يكتبوا عليه ما يقول (ونغله من العذاب
 مدا) أي نزيده بذلك عذابا فوق عذاب كفره وقبل نزيل مدة عذابه (وزنه) بوزنه (ما يقول)
 أي ما عنده من المال والولد (وبأثنا) يوم القيامة (فردا) لا يعصمه مال ولا ولد كان له في
 الدنيا فضلا ان يوتي ثم زائد اقال تعالى واقد جثتموا فاردى وقبل فردا رافضاه لهذا القول
 منفرد عنه * ولما تكلم سبحانه وتعالى في مسئلة الحشر والنشر تكلم الاثن في الرد على عباد
 الاصنام فقال (واتخذوا) أي كفار قريش (من دون الله) أي الاوثان (الالهة) يعبدونها
 (ليكونوا لهم عزا) أي منفعة بحيث يكونون لهم شفعا وأنصارا ينقذونهم من الهلاك * ثم
 أجاب تعالى بقوله تعالى (كلا) ردع وانكارا لتعززهم بها (سيكفرون بعبادتهم) أي تستجد
 الالهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا كقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وفي آية
 أخرى ما كانوا يا ابا عبدون وقبل اذ ابدلك الملائكة لانهم كانوا يكفرون بعبادتهم ويشيرون منهم
 ويخصمونهم وهو المراد من قوله تعالى أهولاء اياكم كانوا يعبدون وقبل ان الله تعالى يحیی
 الاصنام يوم القيامة حتى يوجوا عبادهم ويتبرأ منهم فيكون ذلك أعظم لحسرتهم ويجوز ان
 يراد بالملائكة والاصنام (ويكونون عليهم ضدا) أي أعوانا وأعداء (فان قيل) لم وحده وهو خير
 عن جمع (أجيب) بأنه امام مصدر في الاصل والمصدر موحدة مذكرة وامالانه مفرد في معنى الجمع
 قال الزمخشري والضم العون وحد نوحيه قوله عليه الصلاة والسلام وهم يدعي من سواهم
 لاهاقي كلمتهم وأنهم كشي واحد لفرط تضلتهم وتوافقتهم انتهى والحديث رواه أبو داود وغيره
 والشاهد فيه قوله لم يقل أيده ولما ذكر تعالى ماله ولأه الكفار مع آلهتهم في الآخرة ذكر
 بعده ما لهم مع الشياطين في الدنيا وأنهم يتولونهم وينقادون اليهم فقال تعالى مخاطبا لنبیه صلی
 الله عليه وسلم (ألتر) أي تنظر (أنا أرسلنا) أي سلطانا (الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا)
 الازوالهز والاستقزاز اخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج أي تقر بهم على العاصي
 وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات (فلا تجعل عليهم) أي تطلب عقوبتهم بأن يهلكوا
 ويبيدوا حتى تستريح أنت والمسلمون من شرورهم (انما تعدلهم عذرا) أي ليس بينك وبين
 ما تطلب من هلاكهم الايام محصورة وأنك ماعدودة وتقبله قوله تعالى ولا تستجمل لهم
 كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ وعن ابن عباس كان اذا قرأها
 بكى وقال آخر العدد خروج فضلك آخر العدد دخول قبرك آخر العدد فراق أهلك وعن

ابن السكيت أنه كان عند المأسون فقرأها فقال إذا كانت الانقاس بالعدد ولم يكن لها مدد لما
 أسرع ما تنفذ وقبل نعت أنقاسهم وأعمالهم فجاز بهم على قليلها وكثيرها وقبل نعت
 الاوقات الى وقت الاجل المعين لكل أحد الذي لا يتطرق اليه الزيادة والنقصان ثم بين تعالى
 ما سيظهر في ذلك اليوم من الفصل بين المتقين والمجرمين في كيفية الحشر فقال (يوم) أي
 واذكروم (نحشر المتقين) بآياتهم (الى الرحمن) أي الى محل كرامته وقوله تعالى (وقدا) حال
 أي وافدين عليه كما يفد الوفاة على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم والوفاء الجماعة
 الوافدون يقال وفدي وفدا وفودا ووفادة أي قدم على سبيل التكرمة فهو في الاصل
 مصدر ثم أطلق على الأشخاص كالصف وقال أبو البقاء وفد جمع وافد مثل ركب وراكب
 وصحب وصاحب وهذا الذي قاله ليس بذهب سيبويه لأن فاعلا لا يجمع على فعل عند سيبويه
 واجازة الاختص وجرى عليه الجلال المحلى فقال وفد جمع وافد يعني ركب انتهى وقال ابن
 عباس وفد اركبنا وقال أبو هريرة على الابل وقال على رضى الله تعالى عنه والله ما يحشرون
 على أوجلهم ولكن فوق نوق رحالها الذهب ونجائب سروجها ووقت ان هموا بها سارت
 وان هموا بها طارت (ونسوق المجرمين) بكفرهم (الى جهنم) وقوله تعالى (وردا) حال أي مشاة
 باهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء وقبل عطاش قد تقطعت أعناقهم من شدة
 العطش لأن من يرد الماء لا يرد الابعطش وحقيقة الورد السير الى الماء وقوله تعالى (لا يملكون
 الشفاعة) الضمير فيه للعباد المدلول عليهم بذكر المتقين والمجرمين وقبل للمتقين وقيل للمجرمين
 وقوله تعالى (الامن اتخذ عند الرحمن عهدا) استثناء متصل على القولين الاولين منقطع على
 الثالث والمعنى أن الشافعين لا يشفعون الا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا كقوله تعالى ولا
 يشفعون الا لمن ارتضى ويدخل في ذلك أهل الكبار من المسلمين اذ كل من اتخذ عند الرحمن
 عهدا وجب دخوله فيه وصاحب الكبيرة اتخذ عند الرحمن عهدا وهو التوحيد فوجب
 دخوله تحتها وبؤيده ما روى عن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال لا صحابة ذات يوم
 أبهر أحدهم أن يتخذ عند كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل
 صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى أعهد اليك بانى أشهد
 ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك فلا تنكلى الى نفسى فانك ان
 تنكلى الى نفسى تقرى من الشر وتباعدنى من الخير وانى لأنتق الأبرجتك فأجعل لى عندك
 عهدا فوفينه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع الله عليه بطابع ووضع تحت
 العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عهد عند الرحمن عهد فدخلوا الجنة
 فظهر أن المراد من العهد كلمة الشهادة وظهر وجه الدلالة على ثبوت الشفاعة لاهل الكبار
 ولما رتب سبحانه وتعالى على عبدة الاوثان عادي الرد على من أثبت له ولدا بقوله تعالى (وقالوا)
 اتخذ الرحمن ولدا) أي قالت اليهود وعزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب
 الملائكة بنات الله (لنحشبن شيئا اذا) قال ابن عباس أي متكبرا وقال قتادة أي عظيما وقال

ابن خالويه الاذوالاذهب بوقيل العظيم المنكر والاداة الشدة وأدق الامر وأدنى أثقل وعظم
على وقراً (تكاد السموات) نافع والكسائي بالياء على التذكير والباقيون بالتاء على التأنيث
وقراً (يتفطرون منه) أبو عمرو وابن عامر وشعبة وحزرة بعد الياء بنون ساكنة وكسر الطاء مخففاً
والباقيون بعد الياء تنبيه وفتح الطاء مشددة يقال انفطر الشيء ونفطر أي تشقق وقراءة التشديد
أبلغ لأن الفعل مطاوع فعمل والانفعال مطاوع فعل ولأن أصل الفعل التكلف (وتنشق
الأرض) أي تنصف بهم (وتحتر الجبال هذا) أي تسقط وتنطبق عليهم (أن) أي من أجل
ان (دعوا للرجن ولدا) قال ابن عباس وكعب فزعت السموات والأرض والجبال وجميع
المخلوقات الا لتقليد وكدادت أن تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا اتخذ
الله ولداً (فان قيل) كيف يؤثر القول في انفطار السموات وانشقاق الأرض وخروار الجبال
(أجيب) بوجوه الاقول ان الله تعالى يقول كدت أفعل هذا بالسموات والأرض والجبال
عند وجود هذه الكلمة غضباً مني على من تقوّمها لولا حلي وإنى لأجمل بالعقوبة الثاني
أن يكون استعظاماً للكلمة وتهويلاً وتصويراً لآثارها في الدين وهدمها لقواعده وأركانها
الثالث ان السموات والأرض والجبال تكاد أن تفعل كذلك لو كانت تفعل هذا القول
ثم نفي الله تعالى عن نفسه الولد بقوله تعالى (وما ينبغي للرجن أن يتخذ ولداً) أي ما يليق به اتخاذ
الولد لأن ذلك محال أما الولادة المعروفة فلا مقالة في امتناعها وأما التبني فان الولد لا بد وأن
يكون شبيهاً بالوالد ولا شبهة لله تعالى لأن اتخاذ الولد انما يكون لاغراض أما من سرور
أو استعانة أو ذكر جليل وكل ذلك لا يصح في حق الله تعالى (ان) أي ما (كل من في السموات
والأرض) أي ان كل معبود من الملائكة في السموات والأرض من الناس منهم العزير
وعيسى (الآتي للرجن) أي ملجئ إلى ربوبيته (عبداً) منقاداً مطيعاً ذليلاً خاضعاً كما يفعل
العبيد ومن المفسرين كالحلال الحلي من جملة على يوم القيامة خاصة والاول أولى لانه
لا تخصيص في الآية (لقد أحصاهم) أي حصرهم وأحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزته وعلمه
وقبضته وقدرته وكلهم تحت تدبيره وقهره (وعندهم عدا) أي عداً شخاصهم وأيامهم وأنفسهم
وأفعالهم فان كل شيء عنده بمقدار لا يخفى عليه شيء من أمورهم (وكلهم آتية) أي كل واحد
منهم بآتيه (يوم القيامة فرداً) أي وحيداً ليس معه من الدنيا شيء من مال أو نصيب يمنعهم ولما
رد سبحانه وتعالى على أصناف الكفرة وبالحق في شرح أحوالهم في الدنيا والآخرة ختم السورة
بذكر أحوال المؤمنين فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) أي
سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها من قرابة أو صداقة أو مملات
معروف وغير ذلك روى الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبداً يقول لم ير
أحببت فلاناً فأحبه فيجبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء قد أحب الله فلاناً فاحبوه فيجبه
أهل السماء ثم توضع له الحبة في الأرض واذا أبغض الله عبداً قال مالك لا أحبه الا قال في
البغض مثل ذلك والمسير في سبيل امالان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ محموتين بين

المكفرة فوعدهم الله تعالى ذلك اذا قوى الاسلام والمعنى سيحدث لهم في القلوب مودة واما
 أن يكون ذلك يوم القيامة يحميمهم الله الى خلقه بما يظهر من حسناتهم وروى عن كعب قال
 مكتوب في التوراة لائحة لاحدى في الارض حتى يكون ابتدأوا من السماء من الله عز وجل
 ينزلها على أهل السماء ثم على أهل الارض ومصدق ذلك في القرآن قوله سيجعل لهم الرحمن وذا
 وقال أبو مسلم معناه يهب لهم ما يحبون والود والمحبة سواء * ولما ذكر سبحانه وتعالى في هذه
 السورة التوحيد والنبوة والخشوع والرد على فرق المبطلين بين تعالى أنه يسر ذلك بلسان نبيه
 صلى الله عليه وسلم بقوله (فانما يسمونه) أى القرآن (بلسانك) أى العربى أى لولا أنه تعالى
 نقل قصصهم الى اللغة العربية لما تيسر ذلك (لتبشيره المتقين) أى المؤمنين (وتنذر) أى
 تخوف (به قومك) جمع ألد أى جدل بالباطل وهم كفار مكة ثم أنه تعالى ختم السورة بعوذة
 عظيمة بليغة فقال تعالى (وكم) أى كثيرا (أهلكنا قبلهم من قرن) أى أمة من الامم الماضية
 بتكذيب الرسل لانهم اذا تأملوا وعلموا أنه لا بد من زوال الدنيا وأنه لا بد فيها من الموت وخافوا
 سوء العاقبة فى الآخرة كانوا الى الحذر من المعاصى أقرب * ثم أكد ذلك بقوله تعالى (هل
 ينحس) أى ترى وقيل يتحد منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) أى صوتا خفيا لا قال الحسن بادوا
 جميعا فلم يبق منهم عين ولا أثر أى فكما أهلكنا أولئك هلكت هؤلاء * (تنبيه) * الركز الصوت الخفى
 دون نطق بحروف ولا فم ومنه ركز الرمح أى غيبه فى الارض وأخفاه ومنه الركز وهو المال
 المدفون خلفائه واستتاره والحديث الذى ذكره البضاوى تبعا للزمخشري وهو من قرأ سورة
 مريم أعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر
 الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله فى الدنيا ومن لم يدع الله تعالى حديث موضوع

﴿سورة طه عليه الصلاة والسلام مكية﴾

وهى مائة وخمس وثلاثون آية وعدد كلماتها ألف وثلثمائة واحدة وأربعون كلمة وعدد حروفها
 خمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون حرفا وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال أعطيت السورة التى ذكرت فيها البقرة من الذكر الاول وأعطيت طه وبس
 والطواستن من ألواح موسى وأعطيت ذوات القرآن وخواتيم السورة التى ذكرت فيها البقرة
 من تحت العرش وأعطيت المفضل نافلة

(بسم الله) الملك الحق المبين (الرحمن) الذى عم نعمه على خلقه أجمعين (الرحيم) الذى خص
 بحبسه عباده المؤمنين وقرأ (طه) شعبة وحزرة والكسائي بامالة الطاء والهاء ووافقه ورش
 وأبو عمرو على امالة الهاء محضة ولم يعل ورش محضة الالهة الهاء وقد تقدم الكلام فى الحروف
 المقطعة فى أول سورة البقرة وفى هذه ههنا قولان الصحيح أنها من تلك وقبل انها كلمة مفيدة
 اتاحلى القول الاول فقد تقدم الكلام فيه فى أول سورة البقرة والذى زادوه هنا أمور
 أحدها قال الثعالبي الطاء مشجرة طوبى والهاء الهاوية فكلمته أقسم بالجنة والنار ثانيا يمحكي

عن جعفر الصادق الطاهر ما رآه أهل البيت والها هدايتهم قال سعيد بن جبيرة هذا
افتتاح اسمه الطيب الطاهر الهادي رابعها مطمع الشفاعة للامة وهادى الخلق الى المسلة
خامسها الطاهر من الطهارة والها من الهداية فكانه قيل باطاهر من الذنوب باهاديا الى
علام الغيوب سادسها الطاهر طول القراءة والها هيتهم في قلوب الصنفاء قال تعالى
سنبلي في قلوب الذين كفروا والرعب سابعها الطاهر تسعة في الحساب والها بخمسة تكون
اربعة عشر ومعناها يا ايها البدو وأما على القول الثاني فقيل معنى طه بارجل وهو يروى
عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبيرة وقتادة وعكرمة والكلبي ثم قال سعيد بن
جبيرة بالتبعية وقال قتادة بالسريانية وقال عكرمة بالجيشية وقال الكلبي بلغة عك وهو
بشد الكاف ابن عدنان أخو معد وحكي الكلبي انك لو قلت في عك بارجل لم تحب حق
تقول طه وقال السدي معناه يافلان وقبل انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تمجده على
احدى رجله فأمر أن يطأ الارض بقدميه معا وقال الكلبي لما نزل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم الوحي بمكة اجتهد في العبادة حتى كان براوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان
يصلي الليل كله فأزل الله عليه هذه الآية وأمره أن يخفف على نفسه فقال تعالى (ما أنزلنا عليك
القرآن لتشقى) أى لتعب بما فعلت بعد نزولهم من طول قيامك بصلاة الليل أى خفف عن نفسك
فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم صلى الليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل عليه السلام ابق
على نفسك فان لها عليك حقا ما أنزلناه لئلا تنفك بالصلاة وتذيقها المشقة وما بعثت الا
بالخفيفة السمحة وروى أنه كان اذا قام من الليل ربط صدره بجمل حتى لا ينام وقيل لما رأى
المشركون اجتهاده في العبادة قالوا انك لتشقى حيث تركت دين آباءك أى لتعنى وتعب وما
أنزل عليك القرآن يا محمد الا للشقاء انك تفزلت وأصل الشقاء في اللغة العناء وقيل المعنى انك
لا تلام على كفر قومك كقوله تعالى است عليهم عيسى طر وقوله تعالى وما أنت عليهم بوكيل أى
انك لا تؤاخذ بنبيهم وقيل ان هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم في ذلك الوقت مقهورا تحت ذل الاعداء فكانه تعالى قال لا تظن أنك تبقى أبدا على هذه
الحالة بل يعلموا أمرك ويظهروا قدرك فانما أنزلنا عليك القرآن لتبقي شقيا فيما ينهمس بل لتصير
مغلما مكرما وقرأ جزء الكسائي بالامالة أبو عمرو بين وبين وورش بين اللظين والفتح فنده
ضعيف جدا وكذلك جميع رؤس أى هذه السورة من ذوات الياه وقوله تعالى (الاذكرة)
استثناء مفعول أى لكن أنزلناه تذكرة قال الزمخشري فان قلت هل يجوز أن يكون تذكرة بدلا
من محل لتشقى قلت لا لاختلاف الجنس ولكن انصب على الاستثناء المنقطع الذى افيه بمعنى
لكن (لمن يخشى) أى لمن في قلبه خشية ورقة يتأثر بالانذار أولن علم الله تعالى منه أن يخشى
بالوصف منه فانه المستمع به وقوله تعالى (تنزيلا) بدل من اللفظ بفعله الناصب له (من خلق
الارض) أى من الله الذى خلق الارض (والسموات العلى) أى العالية الرفيعة التى لا يقدر
على خلقها في علمه ما غير الله تعالى والعلى جمع عليا كقولهم كبرى وكبرى وصغرى وصغرى وقدم

الارض على السموات لانها اقرب الى الجنس وأظهر عندهم من السموات ثم أشار الى وجبه
 احداث الكائنات وتدبير أمرها بان قصد العرش وأجرى منه الاحكام والتقدير وأمر من
 الأسباب على ترتيب ومقادير حسبما اقتضته حكمته وتعلق به مشيئته فقال تعالى (الرحمن
 على العرش) وهو سرير الملك (استوى) أى استواء يليق به فانه سبحانه وتعالى كان ولا عرش
 ولا مكان واذا خلق الله الخلق لا يحتاج الى مكان فهو بالصفة التى كان لم يزل عليها وتقدم
 الكلام على ذلك فى سورة الاعراف مستوفى فراجع **ثم استدلل سبحانه وتعالى على كمال قدرته**
 بقوله تعالى (له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى) فهو مالك لما فى
 السموات من ملك ونعيم وغيرهما وما لك لما فى الارض من المعادن والقلوات وما لك لما بينهما
 من الهوا وما لك لما تحت الثرى وهو التراب التدى والمراد الارضون السبع لانها تحت وقال
 ابن عباس ان الارضين على ظهر النون والنون على بحر ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش
 والبحر على حفرة خضراء خضرة السماء منها وهى الحفرة التى ذكر الله تعالى فى قصة لقمان فتكن
 فى حفرة والحفرة على قرن نور والثور على الثرى وما تحت الثرى لا يعلمه الا الله عز وجل وذلك
 الثور فاتح فاه فاذا جعل الله تعالى البحار بحرا واحدا ساتت فى جوف ذلك الثور فاذا وقعت فى
 جوفه يسبت وقرأ أبو عمرو وحزرة والكسائى بالامالة وورش بين اللظنين وكذا جميع رؤس
 أى السورة من ذوات الرء **ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهى لا تنفك عن العلم عقب ذلك**
 ناجاة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على حد سواء فقال تعالى (وان تجهر بالقول) أى
 تعلن بالقول فى ذكر أو دعاء فآله تعالى غنى عن الجهر به (فانه يعلم السر وأخفى) قال الحسن
 فى السر ما أسر الرجل الى غيره وأخفى من ذلك ما أسر فى نفسه وعن ابن عباس السر ما أسر
 فى نفسك وأخفى من السر ما يلقه الله تعالى فى قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك
 لانك تعلم ما أسر اليوم ولا تعلم ما أسر غدا والله يعلم ما أسررت اليوم وما أسر غدا وقال على بن
 أبى طلحة عن ابن عباس السر ما أسر ابن آدم فى نفسه وأخفى ما أخفى عليه مما هو فاعله قبل أن
 يعلمه وقال بجاهد السر العمل الذى يسر من الناس وأخفى الوسوسة وقيل السر هو العزعة
 وأخفى ما يخطر على القلب ولم يعزم عليه وقال زيد بن أسلم يعلم أسرار العباد وأخفى سره من
 عباده فلا يعلمه أحد **ولما ذكر صفاته وحده نفسه فقال تعالى (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى)**
 التسعة والتسعون الواردة فى الحديث والحسنى تأنيب الاحسن وفضل أسماء الله تعالى على
 سائر الاسماء فى الحسن له لانه تعالى معان هى أشرف المعانى وأفضلها روى ان الله تعالى أربعة
 آلاف اسم ألف لا يعلمها الا هو وألف لا يعلمها الا الله والملائكة وألف لا يعلمها الا الله والملائكة
 والانبيا وأما الالف الرابعة فالمؤمنون يعلمونها فلثماتة فى التوراة ولثماتة فى الانجيل ولثماتة
 فى الزبور وماتة فى القرآن تسعون وتسعون منها ظاهرة وواحد مكنون من أحصاها دخل الجنة
 وذكر فى لا اله الا الله فضائل كثيرة أذكر بعضها وأسأل الله تعالى أن يجعلنا ومحبينا من أهلها
 يهوى أنه صلى الله عليه وسلم قال أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل البعاء استغفر الله ثم تلا رسول

الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وروى أنه
 صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق ملكا من الملائكة قبل أن يخلق السموات والارض
 وهو يقول أشهد أن لا اله الا الله ما دأبها صوته لا يقطعها ولا يتنفس فيها ولا يتهافاذا أتمها أمر
 اسرافيل بالنفخ في الصور وقامت القيامة تعظيما لله وعن أنس قال صلى الله عليه وسلم ما زلت
 أشفع الى ربى ويشفعنى واشفع اليه ويشفعنى حتى قلت يا رب شفعى فيمن قال لا اله الا الله فقال
 يا محمد ليست لك ولا لحدود عزى وجلالى لا أدع أحدا فى النار قال لا اله الا الله وقال سفيان
 الثورى سألت جعفر بن محمد عن حم عسق فقال الهاء حله والميم ملكه والعين عظمته والسين
 سناؤه والقاف قدرته يقول الله عز وجل يحلى وملكى وعظمى وسنائى وقدرى لأعذب بالنار
 من قال لا اله الا الله محمد رسول الله وروى عن موسى عليه السلام أنه قال يا رب علمنى شيئا
 أذكرك به قال قل لا اله الا الله قال انما أردت شيئا تخصنى به قال يا موسى لو أن السموات السبع
 ومن فوقهن فى كفة ولا اله الا الله فى كفة لما تبهن لا اله الا الله وقال بعض المفسرين فى قوله
 تعالى ألم تكيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة انها لا اله الا الله اليه يصعد الكلم
 الطيب لا اله الا الله ويواصل بالحق لا اله الا الله قل انما أعظمكم بواحدة لا اله الا الله وقضوهم
 انهم مسئولون عن قول لا اله الا الله بل جاء بالحق وصدق المرسلين هو لا اله الا الله ثبت الله الذين
 آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة هو لا اله الا الله وبضل الله الظالمين عن قول
 لا اله الا الله وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى السوق لا اله الا الله
 وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شئ قدير كتب الله له ألف
 ألف حسنة ومحامنه ألف ألف سيئة وبني له بيتا فى الجنة قال الرازى فى النكت ينفى لاهل
 لا اله الا الله أن يخلصوا فى أربعة أشياء حتى يكونوا من أهل لا اله الا الله التصديق والتعظيم
 والجلالة والحرمة فمن ليس له التصديق فهو منافق ومن ليس له التعظيم فهو مبتدع ومن ليس له
 الجلالة فهو مرء ومن ليس له الحرمة فهو فاجر وكذاب وحكى أن بشرا الخافى رأى كاعدا
 فيه بسم الله الرحمن الرحيم فرفعه وطيبه بالمسك فرأى فى النوم كأنه نودى يا بشر طيب اسمنا
 فحن نطيب اسمك فى الدنيا والآخرة وذكر أن صيدا كان يصيد السمك وكانت ابنته تطرحها
 فى الماء وتقول انما وقعت فى الشبكة لغلظها الهنا تلك الصيعة كانت ترحم غلظتها وكانت تلقاها
 مرة أخرى فى البحر ونحن قد اصطادتنا وسوسة الشيطان وأخرجنا من بحر رحمتك فارجمنا
 بفضلك وخلصنا منه والقنا فى بحر رحمتك مرة أخرى وعن محمد بن كعب القرظى قال قال
 موسى الهى أى خلقك أكرم عليك قال الذى لا يزال لسانه رطبا من ذكرى قال فأى خلقك
 أعظم قال الذى يلتمس الى علمه علم غيره قال فأى خلقك أعذل قال الذى يقضى على نفسه كما
 يقضى على الناس قال وأى خلقك أعظم جرما قال الذى يهمنى وهو الذى يسألنى ثم لا يرضى بما
 قممت له الهنا انالانتمك فانا نعلم ان كل ما أحسنت به فهو فضل وكل ما لا نفعه فهو عدل فلا
 تؤاخذنا بسوء أفعالنا وأعمالنا وعن الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد يعلم الجمع من

أولى بالكرم أين الذين كانت تنجاني جنوبهم - من المضاجع فيقومون فيمخطون رقاب الناس
 ثم يقال أين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ثم نادى مناد أين الحامدون الله
 كثيرا على كل حال ثم يكون الحساب على من بقى الهانحن حمدناك وأثنينا عليك بمجد رطاقنا
 ومنتهى قدرتنا فاعف عنا بفضل رحمتك يا رحيم الرحمن * ولما عظم الله تعالى حال القرآن
 وحال رسوله صلى الله عليه وسلم بما كلفه أتبع ذلك بما يقوى قلب رسوله صلى الله عليه وسلم من ذكر
 أحوال الأنبياء تقوية لقلبه في الإبلان كقوله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت
 به فؤادك وبدأ خبره من أمر موسى فقال وهل أتاك أمي لم يأتك إلى لأن قنينة له وهذا قول
 الكلبي ومحتمل أن يكون قد أتاه ذلك في الزمان المتقدم فكانه قال أليس قد أتاك وهذا قول
 مقاتل والضحاك عن ابن عباس وهذا وإن كان على لفظ الاستفهام الذي لا يجوز على الله تعالى
 لكن المقصود منه تقرير الخبر في نفسه وهذه الصورة أبلغ في ذلك كقولك لصاحبك بلغك
 عن كذا فيطلع السامع إلى معرفة ما يؤمى إليه ولو كان المقصود هو الاستفهام لكان الجواب
 يصدر من قبل موسى لأمس قبل الله تعالى وقيل إن هل بمعنى قد وجرى على ذلك الجلال المحلى
 تبعاً بما يغوى وقوله تعالى (أذكر أرى) يجوز أن يكون منصوباً بالحديث وهو الظاهر ويجوز أن
 ينصب بأذكر مقدر أرى وأذكر أرى (نارا) وذلك أن موسى عليه السلام استأذن شعباً عليه
 السلام في الرجوع من مدين إلى مصر لزيارة والدته وأخيه فأذن له فخرج بأهله وماله وكانت
 أيام شتاء وأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وأمر أنه حامل في شهره لا يندري ليلاً تضع
 أوتها إفسار في البرية غير عارف بطريقها فالتجأ المسير إلى جانب الطور الغربي الأيمن في ليلة
 مظلمة مثعبة شديدة البرد قيل كانت ليلة جمعة وأخذت أمر أنه في الطلوع وتفرقت ماشيته ولأما
 عنده وجعل يقدح زنده فلا يورى فأبصر ناراً من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور
 (فقال لا إله إلا الله أمكنوا) أي أقبلوا في مكانكم والخطاب لأمر أنه وولدها والخادم ويجوز أن يكون
 للمرأة وحدها خرج على ظاهر لفظ الأهل فإن الأهل يقع على الجمع وأيضاً قد يخاطب الواحد
 بلفظ الجمع تضييماً وقرأ جزء بضم الهاء في الوصل والباقي بالكسر (أني أنست) أي أبصرت
 (نارا) والابتناس الإبصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه انسان العين لأنه يتبين به الشيء والانس
 لظهورهم كما قيل الجن لا يستأروهم وقيل ابصار ما يؤنس به ولما وجد منه الأيتاس وكان
 متيقناً حقيقته لهم بكلمة أني لموطن أنفسهم * ولما كان الأيتاس بالقبس ووجود الهدى
 مترقبين متوقعين في الأمر فيهما على الرجاء والطمع فقال (لعلني أتيكم منها بقبس) أي
 شعله في رأس قبيلة أو عوداً ونحو ذلك وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وفتح الياء في أني ولعلني
 الآتية والباقيون بالسكون الابن عامر ففتح لعل مع من ذكر وهم على مراتبهم في المدة
 (أو أجد على النار هدى) أي هادي يائدي على الطريق ومعنى الاستعلاء في النار أن أهل

النار يستعملون المكان القريب منها كما قال سيدي في مررت بزيدانه لصوق بكمان يقرب من
زيداً ولأن المصطلين بها إذا حاطوا بها كانوا مشرفين عليها وقال بعضهم هم النار أربعة أقسام
نار تأكل ولا تشرب وهي نار الدنيا ونار تشرب ولا تأكل وهي التي في الشجر الأخضر كما قال
تعالى الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً وإن تأكل وتشرب وهي نار المعدة ونار
لا تأكل ولا تشرب وهي نار موسى عليه السلام وقيل أيضاً النار أربعة أحدها نار الهانور
بلا حرقه وهي نار موسى عليه السلام ثانياً الها حرقه بلانور وهي نار جهنم أعادنا الله تعالى
منها ثانياً الها الحرقه والنور وهي نار الدنيا رابعها الحرقه ولا نور وهي نار الانجبار (تنبيه) *
ان وصلت هدى بقلم فليس فيها الا تنوين للجميع وان وقف عليها فهم على أصولهم في الفتح
والامالة وبين اللقطين (فلما أتاهما) أي النار قال ابن عباس رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى
أعلىها أطافت بها نار بيضاء تنقد كاضوا ما يكون فوق متجهاً من شدة ضوء تلك النار وشدة
خضرة تلك الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوء النار قال ابن مسعود
كانت الشجرة مثمرة خضراء وقال مقاتل وقتادة والكبي كانت من العوسج وقال وهب كانت
من العليق وقيل من العناب قال أكثر المفسرين ان الذي رآه موسى لم يكن ناراً بل كان من نور
الرب تعالى وهو قول ابن عباس وعكرمة وغيرهما ذكر بافظ النار لان موسى عليه السلام
حسبه ناراً فلما دنا منها سمع تسبيح الملائكة ورأى نوراً عظيماً قال وهب ظن موسى أنها نار
أو قدت فأخذ من دفاق الحطب وهو الحشيش اليابس ليقتبس من إلهها فالت اليه كأنها تريد
فتأخر عنها وهاها ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها ثم لم يكن بأسرع من خوردها كأنها لم تكن ثم رى
موسى يصير إلى فروعها فإذا خضرتها ساطعة في السماء وإذا نور بين السماء والارض له شعاع
تكمل عنه الابصار فلما رأى موسى عليه السلام ذلك وضع يديه على عينيه وألقت عليه السكينة
فروى ياموسى انى أنار بك قال وهب نودى من الشجرة فقبل ياموسى فأجاب سريراً ولم يدر
من دعاه فقال انى أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأبى أنت فقال أنا فوقك ومعك وأمامك وخفك
وأقرب اليك منك فعمل أن ذلك لا ينبغي الا لله تعالى فأيقن به وقيل انه سمع بكل أجزائه حتى ان
كل جارية منه كانت أدنا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وفتح الهمزة من انى على تقدير الباء أى بالى
لان النداء يوصل بها تقول ناديت بكذا وأنشد الفارسي قول الشاعر

ناديت باسم ربيعة بن مكرم * ان المنوء باسمه المرفوق

وجوز أن عطية أن تكون بمعنى لاجل وليس بظاهر والباقون بالكسر اما على اضماع القول
كما هو رأى البصريين أى فقيل واما لان النداء في معنى القول عند الكوفيين وقوله تعالى أنا
يجوز أن يكون مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبران ويجوز أن يكون نوكيد للضمير المنصوب
ويجوز أن يكون فضلاً وروى ابن مسعود مرفوعاً في قوله تعالى (فاخلق عليلين) انه ما كانا
من جلد سماء ميت وروى غير مدبوغ فأخر بخلعهما صيانة للوإدى المقدس وقال عكرمة
ونجاشد انما أمر بذلك لئلا يشر بقدميه تراه الارض المقدسة فيناله بر كها ويدل لذلك انه قال

تعالى عقبه (أنت بالوادي المقدس) أي المظهر أو المبدأ الذي نخلقهما وألقاهما من وراء الوادي
هنا ما قاله أهل التفسير وذكروا أهل الإشارة في ذلك وجوهاً أحدها أن النعل في النوم يعبر
بالزوجة وقوله فاخلع نعليك إشارة إلى أنه لا يلتفت بخاطره إلى الزوجة والولد وأن لا يلقى
مشغول القلب بأمرهما ثانيها المراد بخلع النعلين ترك الالتفات إلى الدنيا والآخرة كأنه
أمره أن يصير مستغرق القلب بالكلية في معرفة الله تعالى فلا يلتفت إلى المخلوقات ثالثها أن
الإنسان حال الاستدلال على وجود الصانع لا يمكنه أن يتوصل إليه بالقدمتين مثل أن يقول
العالم الخبوس محدث وكل ما كان كذلك فله مؤثر ومبدئ وصانع فها تان المقدمتان شيبتان
بالنعلين لأنهما يتوصل العقل إلى المقصود وينتقل من النظر في الخلق إلى معرفة الخالق
ثم بعد الوصول إلى معرفة الخالق وجب أن لا يلقى ملتصقا إلى تلك المقدمتين فكانه قيل لا تكن
مشتغل الخاطر بتلك المقدمتين فأتى وصلت إلى الوادي المقدس الذي هو بحر معرفة الله تعالى
وقوله تعالى (طوى) بدل أو عطف بيان وقرأه هنا وفي النازعات نافع وابن كثير وأبو عمر وغير
ثنتين فهو ممنوع من الصرف باعتبار البقعة مع العلية وقيل لأنه معدول عن طواف وهو مثل عمر
للعديل عن عامر وقيل أنه اسم أجمع في العلية والحجة والباقون بالتسوين فهو مصروف باعتبار
المكان ففيه العلية فقط وعندها ليس بأعجمي وقوله تعالى (وأنا اخترنا) أي اصطفتك
للمرسلة من قومك قرأه جزء بتشديد الذون من أنا وقرأه آخرنا بالتسوين بعدها ألف بلفظ الجمع
والباقون بناءً مضمومة وقوله تعالى (فاستمع لما وحي) أي اليك مني فيه نهاية الهيبة والجلالة كأنه
تعالى قال لقد جاءك أمر عظيم فتأهب له واجعل كل عقلك وخاطر لك مصروفاً إليه وفي قوله تعالى
وأنا اخترنا نهاية اللطف والرحمة فيحصل له من الأول نهاية الرجاء ومن الثاني نهاية الخوف
* (تنبيه) يجوز في لامها أن تتعلق فاستمع وهو أولى وأن تكون خبرية في المفعول على حد
قوله تعالى ردكم وجوز الزمخشري أن يكون ذلك من باب التنازع ونازعه أبو حيان بأنه
لو كان كذلك لأعاد الضمير مع الثاني فكان يقول فاستمع له لما وحي وأجيب عنه بأن مراده
التعلق المعنوي من حيث الصلاحية وأما تقدير الصناعة فلم بعنه وقوله تعالى (أتى أنا الله
لا اله الا أنا فاعبدني) بدل بما وحي دال على أنه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى
العلم والامر بالعبادة التي هي كمال العمل وفي هذه الآية دلالة على أن علم أصول الدين مقدم
على علم الفروع وأيضاً فالقاء في قوله تعالى فاعبدني يدل على أن عبادته انما لم تمت لاهيته
لأن التوحيد من علم الأصول والعبادة من علم الفروع وخص الصلاة بالذكر وأوردناها في قوله
تعالى (وأقم الصلاة لذكري) العلة التي أضافها إياها هو تذكرك بالمعبود وشغل القلب
واللسان بذكره وقيل لذكري لأنني ذكرت في الكتب وأمرت بها وقيل لأن وقتاً ذكرتني وهي
مواقيت الصلاة ولذا كرماني لما روى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال من نام عن صلاة
أو نسيها فليقمها إذا ذكرها أن الله يقول وأقم الصلاة لذكري وقيل لأن أذكركم بالثناء والمدح
وأجبت لك عليها لسان هدي علينا وقيل لذكري خاصة لا تشوبه بغيري ولما خاطبنا

تعالى موسى عليه السلام بقوله تعالى فاعبدني وأقم الصلاة لذكري أتسمعه بقوله تعالى (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَيْ كَاتِمَةٌ) (أَكَادُ أَخْفِيهَا) قَالَ كَثَرُ الْمُفْسِرِينَ مِنْ مَعْنَاهُ أَكَادُ أَخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي فَكَيْفَ يَعْلَمُهَا غَيْرِي مِنَ الْخَلْقِ وَكَيْفَ أَظْهَرَهَا لَكُمْ ذَكَرَ تَعَالَى عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ إِذَا بِالْغَوَا فِي كَيْفَانِ الشَّيْءِ يَقُولُ الرَّجُلُ كَتَمْتُ سَرِي مِنْ نَفْسِي أَيْ أَخْفَيْتُهُ غَايَةَ الْإِخْفَاءِ وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ وَالْمَعْنَى فِي إِخْفَائِهَا التَّوْبِيلَ وَالتَّخْوِيفَ لِأَنَّهُمْ إِذَا لَمْ يَعْلَمُوا مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ كَانُوا عَلَى حَذَرٍ مِنْهَا كُلِّ وَقْتٍ وَكَذَلِكَ الْمَعْنَى فِي إِخْفَاءِ وَقْتِ الْمَوْتِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَعَدَ قَبُولَ التَّوْبَةِ فَإِذَا هَرَفَ وَقْتُ مَوْتِهِ وَانْقِضَاءُ أَجَلِهِ اسْتَشْغَلَ بِالْمَعَاصِي إِلَى أَنْ يَقْرُبَ ذَلِكَ الْوَقْتُ فَيَتُوبُ وَيَصْلِحَ الْعَمَلَ فَيُخْلَصَ مِنْ عِقَابِ الْمَعَاصِي تَعْرِيفَ وَقْتِ مَوْتِهِ فَتَعْرِيفَ وَقْتِ الْمَوْتِ كَالْأَعْرَافِ بِفَعْلِ الْمَعْصِيَةِ فَإِذَا لَمْ يَعْلَمْ وَقْتُ مَوْتِهِ لَا يَزَالُ عَلَى قَدَمِ الْخَوْفِ وَالْوَجَلِ فَيَتْرِكُ الْمَعَاصِيَ أَوْ يَتُوبُ مِنْهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ خَوْفَ مُعَاجَلَةِ الْأَجَلِ وَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ أَكَادُ بَعْنِي أُرِيدُ وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى كَذَلِكَ ~~كَذَلِكَ~~ كَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَكُونُ أَمْثَلُكُمْ الْمَتَدَاوِلَةَ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ وَلَا أَكَادِي لَا أُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَهُ وَقَالَ الْحَسَنُ أَنْ أَكَادَ مِنْ اللَّهِ وَاجِبٌ فَعَنَى قَوْلُهُ تَعَالَى أَكَادُ أَخْفِيهَا أَيْ أَنَا أَخْفِيهَا عَنِ الْخَلْقِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا أَيْ هُوَ قَرِيبٌ وَقِيلَ أَكَادُ صِلَةٌ فِي الْكَلَامِ وَالْمَعْنَى أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَخْفِيهَا قَالَ زَيْدُ الْخَلِيلِ سَرِيعَ إِلَى الْهَيْجَاءِ شَالَ سِلَاحُهُ * فَإِنْ يَكَادُ قَرْنَهُ يَتَنَفَسُ

أَيْ فَإِنْ يَتَنَفَسُ قَرْنَهُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى {لَنَجْزِيَنَّ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَعَمَّى} أَيْ تَعَمَّلَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ مِمَّا تَعَلَّقَ بِآتِيَةٍ وَاخْتَلَفَ فِي الْخَطَابِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى {فَلَا يَصْدُقُكَ} أَيْ يَصْرِفُكَ {بَيْنَهُمَا لَيَوْمٍ مِنْهَا} فَقِيلَ وَهُوَ الْأَقْرَبُ كَمَا قَالَ الرَّازِيُّ أَنَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَنَّ الْكَلَامَ أَجْمَعَ خُطَابُ لَهُ وَقِيلَ هُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاخْتَلَفَ أَيْضًا فِي عَوْدِ هَذَيْنِ الضَّمِيرَيْنِ عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ لَا يَصْدُقُكَ عَنْهَا أَيْ عَنِ الصَّلَاةِ الَّتِي أَمَرْتُكَ بِهَا مِنْ لَيَوْمٍ مِنْهَا أَيْ بِالسَّاعَةِ فَالضَّمِيرُ الْأَوَّلُ عَائِدٌ إِلَى الصَّلَاةِ وَالثَّانِي إِلَى السَّاعَةِ وَمِثْلُ هَذَا جَائِزٌ فِي اللُّغَةِ فَالْعَرَبُ تَلْفُ الْخَبْرَ بَيْنَ ثُمَّ تَرْمِي بِجَوَابِهِ مَا جَلَّ لِهُوَ السَّامِعُ إِلَى كُلِّ خَبَرٍ حَقِّهِ ثَانِيَهُمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَلَا يَصْدُقُكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيْ عَنِ الْإِيمَانِ بِهَا مِنْ لَيَوْمٍ مِنْهَا فَالضَّمِيرَانِ عَائِدَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهَذَا أَوَّلَى لِأَنَّ الضَّمِيرَ يَعُودُ إِلَى أَقْرَبِ الْمَذْكُورَاتِ وَهَهُنَا الْأَقْرَبُ هُوَ السَّاعَةُ وَمَا قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ إِنَّمَا يَصَارُ إِلَيْهِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ وَلَا ضَرُورَةَ هَهُنَا * (تَنْبِيهِ) * الْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ نَهْيُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ التَّكْذِيبِ بِالْبَعْثِ وَلَكِنْ ظَاهِرُ اللَّفْظِ يَقْتَضِي نَهْيَ مَنْ لَيَوْمٍ عَنْ صَدِّهِ وَمُسَى وَفِيهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا أَنْ صَدَّ الْكَافِرَ عَنِ التَّصْدِيقِ بِمَا سَبَبَ لِلتَّكْذِيبِ فَذَكَرَ السَّبَبَ لِيُدِلَّ عَلَى حُجْمِهِ عَلَى الْمَسَبِّبِ الثَّانِي أَنْ صَدَّ الْكَافِرَ مَسَبِّبٌ عَنْ رِخَاوَةِ الرَّجُلِ فِي الدِّينِ فَذَكَرَ الْمَسَبِّبَ لِيُدِلَّ عَلَى السَّبَبِ كَقَوْلِهِمْ لَا أَرِيَنَّكَ هَهُنَا الْمُرَادُ نَهْيُ الْخَاطِبِ عَنْ حُضُورِهِ لِأَنَّهُ يَرَاهُ وَفَالرُّؤْيَا مَسْبِيبَةٌ عَنِ الْحُضُورِ وَكَأَنَّ صَدَّ الْكَافِرَ مَسَبِّبٌ عَنْ الرِّخَاوَةِ وَالضَّعْفِ فِي الدِّينِ فَقِيلَ لَا تَكُنْ رِخَاوِيلَ كُنْ شَدِيدًا صَالِحًا حَتَّى لَا يُلَوِّحَ مِنْكَ لِمَنْ يَكْفُرُ بِالْبَعْثِ أَنَّهُ يَطْمَعُ فِي صَدِّكَ عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) أَيْ مِيلَ نَفْسِهِ إِلَى اللَّذَاتِ الْحَيَوِيَّةِ الْخَلْقِيَّةِ لَمْ تَصْرَ تَنْظَرُهُ عَنْ غَيْرِهَا وَخَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ (فَتَرَدَّى) أَيْ فَتَهَلَّكَ أَنْ انْصَدَدَتْ عَنْهَا وَمَا فِي قَوْلِهِ

تعالى (وما تلك بيمينك) مبتدأ استهلامية وتلك خبره ويمينك حال من معنى الإشارة وقوله
 تعالى (يا موسى) تكرر لانه ذكره قبل في قوله تعالى نودى يا موسى وبعد في مواضع كالقها يا موسى
 لزيادة الاستئناس والتنبية (فان قيل) السؤال انما يكون لطلب العلم وهو على الله تعالى محال
 فما الفائدة في ذلك (أجيب) بأن في ذلك فوائد الاولى توقيفه على انما احسب اذ قلها حجية علم
 انما معجزة عظيمة وهذا على عادة العرب يقول الرجل لغيره هل تعرف هذا وهو لا يشك انه يعرفه
 ويريد أن يضم اقراره بلسانه الى معرفته بقلبه الثانية ان يقرر عنده انما خشية حتى اذ قلها
 نعبا لا يخافها الثالثة انه تعالى لما أراه تلك الانوار المتصاعدة من الشجرة الى السماء وأسمعه
 كلام نفسه ثم أورد عليه التكليف الشاق وذكر له المعاد وختم ذلك بالتهديد العظيم قصير موسى
 عليه السلام ودهش فقيل له وما تلك بيمينك يا موسى وتكلم معه بكلام البشر ازالة تلك الدهشة
 والخيرة (فان قيل) هذا خطاب من الله تعالى لموسى بلا واسطة ولم يحصل ذلك لمحمد صلى
 الله عليه وسلم (أجيب) بالمنع فقد خاطبه في قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى الآن الذى
 ذكره مع موسى عليه السلام أفشاه الى الخلق والذى ذكره مع محمد صلى الله عليه وسلم كان
 سرا لم يؤول له أحد من الخلق وأيضا ان كان موسى تكلم معه فامة محمد يخاطبون الله
 تعالى في كل يوم امر اعالى ما قاله صلى الله عليه وسلم المصلى يتاجى ربه والرب يتكلم مع
 أحاد أمة محمد يوم القيامة بالتسليم والتكريم لقوله تعالى سلام قولاً من رب رحيم * (تنبيه) *
 قوله تعالى وما تلك اشارة الى العصا وقوله تعالى بيمينك اشارة الى اليد وفي هذا انك ذكرها
 الراى رجه الله تعالى الاولى لما أشار اليها جعل كل واحدة منهما معجزة
 فاهرة وبرهاناً ساطعاً ونقله من حد الجاهلية الى مقام الكرامة فاذا صار الجهاد بالنظر الواحد
 حيوانا صار الجسم الكثيف نورانيا لطيفا ثم انه تعالى ينظر كل يوم ثلثمائة وستين مرة الى
 قلب العبد فأى عجب لو انقلب قلبه من موت العصيان الى السعادة بالطاعة ونور المعرفة
 ثانياً ان بالنظر الاول الواحد صار الجهاد نعباً فابلع سحر الصحرة فأى عجب لو صار القلب
 نعباً فابلع سحر النفس الامارة بالسوء ثالثاً ان العصا كانت في عين موسى عليه السلام
 فبسبب بركتها انقلبت نعباً واورها نواقل المؤمنين بين اصبعين من اصابع الرحمن فاذا حصلت
 ليد موسى عليه السلام هذه المنزلة فأى عجب لو انقلب قلب المؤمن بسبب اصبعي الرحمن من
 ظلمة العصية الى نور العبودية * ولما سأل تعالى موسى عليه السلام عن ذلك أجاب بأربعة
 أشياء ثلاثة على التفصيل وواحد على الاجمال أولها (قال هي عصاى) وقد تم الجواب بذلك
 الا أنه عليه السلام ذكر الوجوه الاخر لانه كان يحب المكاملة مع ربه فجعل ذلك كالوسيلة الى
 تحصيل هذا الغرض ثانياً هو قوله (أو كآى أعتمد عليها) اذا مشيت واذا عبيت واذا وقفت
 على رأس القطيع وعند الطفرة ثالثاً هو قوله (وأهش) أى أخطو ورك الشجر (بها) ليسقط (على
 غنى) لتأكله فبدا عليه السلام ولا يصالح نفسه في قوله أو كآى عليها ثم يصالح رعيته في قوله
 أهش بها على غنى وكذلك في القيامة يقول نفسى نفسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يشتغل في

الدنيا الا باصلاح امر الامة وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اللهم اهد قومي فانهم لا يعاونون فلا
 جرم يوم القيامة سيد ايضا بآتمه فيقول آتمى آتمى رابعها قوله (ولى فيها ما رب) جمع ما ربه
 بثلاث الراء حواتج ومنافع (أخرى) تكمل الزاد والسينى وطرد الهوام وانما أجل في الما رب
 رجاء أن يسأل ربه عن تلك الما رب فيسمع كلام الله تعالى مرة أخرى ويطول أمر المكلمة بسبب
 ذلك وقيل انقطع لسانه بالهيبه فاجل وقيل اسم العصا بعه وقيل في الما رب كانت ذاب شعبتين
 ومحبين فاذا طال الفصن حناء بالمحبين واذا طلب كسر لواء بالشعبتين واذا سارا لقاها على عاتقه
 فعلق بها اداوته من القوس والكثانة والحلاب وغيرها واذا كان في العربة ركزها وعرض
 الزندين على شعبتها وألقى عليها الكساء واستظل بالزندين بفتح الزاى ثنية زبد وزنده والزند
 العود الاعلى الذى تقدر حبه النار والزنده السفلى فيها ثقب فاذا اجتمعا قبل زندان ولم تقبل
 زندان واذا قصر رساؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات
 أنه كان يستقي بها فاقطول بطول البئر وتصير شعبتها دلو او يكونان شعبتين بالليل واذا ظهر عدو
 حارب عنه واذا اشتبهت غرة ركزها فاورقت وأثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقام فجعلت تماشيه
 ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نصب وكانت ثقبه الهوام وروى عن ابن عباس أنها كانت
 تماشيه وتحدثه ولما ذكر موسى هذه الجوابات لربه (قال) له (ألقها) أى انبذها (يا موسى فألقها
 فاذا هى حية) أى ثعبان عظيم (تسمى) أى تسمى على بطنها سريعا وهما نكت خفية احداها
 أنه عليه السلام لما قال ولى فيها ما رب أخرى أراد الله تعالى أن يعرفه ان فيها ما رب لا يظن
 لها ولا يعرفها وانما أعظم من سائرها وأرى ثانياها كان في رجله شئ وهو النعل وفي يده شئ
 وهو العصا فالرجل آله الهرب والبدا آله الطلب فقال أولا فاخلع نعليك اشارة الى ترك الهرب
 ثم قال القها وهو اشارة الى ترك الطلب كنه تعالى قال انك مادمت في مقام الهرب والطلب
 كنت مشتغلا بنفسك طالبا لخطك فلا تكن خالصا لعرفتي فكأن تارك الهرب والطلب تكن
 خالصا الى ثالثها أن موسى عليه السلام مع علو درجته وكمال صفته لما وصل الى الحضرة ولم
 يكن معه الا النعلان والعصا أمره بالقائنها حتى أمكنه الوصول الى الحضرة فانت في ألف وقرمن
 المعاصي فكيف يمكنك الوصول الى جنبه (فان قبل) كيف قال هنا حية وفي موضع آخر جان
 وهى الحية الخفيفة الصغيرة وقال في موضع آخر ثعبان وهو أكبر ما يكون من الحيات
 (أجيب) بأن الحية اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير وأما الثعبان والجنان
 فيبينها تناف لان الثعبان العظيم من الحيات كما مر والجنان الدقيق وفي ذلك وجهان أحدهما
 انها كانت وقت انقلابها حية صغيرة دقيقة ثم تورت وتزايد جلد ها حتى صارت ثعبانا فأريد
 بالجان أول حالها وبالثعبان ما آلتها الثانی أنها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان
 لقوله تعالى فلما رآها تمزق كنفها جان قال وهب لما ألقى العصا على وجه الارض نظرها فلما فاذا هى
 حية تسمى صغرا من أعظم ما يكون من الحيات تسمى بسرعتها تعرف كعرف القمر وتكون
 بين يديها أربعون ذراعا صارت شعبتها شبيهة بغيرها والمحبين عنقا وعرفها بغير وعينها يتقدان

كالنار وتر بالعضرة العظيمة مثل الخلفة من الابل قتلته منها وتقص الشجرة العظيمة بأنيابها
ويسمع لا ينيابها صريفا عظيما فلما عين ذلك موسى ولي مدبرا وهرب ثم نودي باموسى ارجع حيث
كنت فرجع وهو شديد الخوف (قال) تعالى له (خذها) أى بينك (ولا تحف) وكان على موسى
مدروعة من صوف قد دخلها بعدان فلما قال تعالى له خذها فطرف المدروعة على يده فأمره الله
أن يكشف يده وذكر بعضهم أنه لما لمالك المدروعة على يده قاله الملك أ رأيت أن أذن الله بما تحاذر
أ كانت المدروعة تغنى عنك شياً قال لا ولكننى ضعيف ومن ضعف خلقت وكشف عن يده
ثم وضعها في فم الحية فاذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتها في الموضع الذي كان يضعها اذا نوكا
عليها كما قال تعالى (سنعيد هاسيرتها الاولى) وقد أظهر الله تعالى في هذه العصا معجزات لموسى
عليه السلام منها انقلاب العصا حية ومنها وضع يده في فمها من غير ضرر ومنها انقلاصها
خشبة مع الامارات التي تقدمت * (تنبيه) * في نصب سيرتها أوجه أحدها أن تكون منصوبة
على الظرف أى في سيرتها أى طريقتهما ثانياً على البدل من هاء سنعيد هابل اشتغال لان السيرة
المصفة أى سنعيد هافضتها وشكلها ثالثاً على اسقاط الخافض أى الى سيرتها وقيل غير ذلك
(فان قيل) لما نودي باموسى وخص تلك الكرامات العظيمة وعلم أنه مبعوث من عند الله تعالى
الى الخلق فلما ذاق (أجيب) عن ذلك بأوجه أحدها أن ذلك الخوف كان من نفرة الطبع
لانه عليه السلام ما شاهد مثل ذلك قط وهذا معلوم بدلائل العقول ثانياً انما خافها لانه عليه
السلام عرف ما لى آدم عليه السلام منها ثالثاً أن مجرد قوله ولا تحف لا يدل على حصول
الخوف كقوله تعالى ولا تطع الكافرين لا يدل على وجود تلك الطاعة لكن قوله فلما رأها تهتر كانها
جان ولي مدبرا يدل عليه ولكن ذلك الخوف انما يظهر ليظهر الفرق بينه وبين أفضل الخلق محمد
صلى الله عليه وسلم فأظهر الرغبة في الجنة ولا النفرة عن النار وقوله تعالى (واضم يدك) أى
البينى (الى جناحك) أى جنبك اليسر تحت العضد فى الابط (تخرج بيضاء) أى نيرة مشرقة
تضيء كشمس الشمس تعشى البصر لا بد فيه من حذف والتقدير واضم يدك تنضم وأخرجها
تخرج تحذف من الاول والثاني وأبقى مقابليهما ليدل على ذلك ايجازاً واختصاراً وانما احتج
الى هذا لانه لا يترتب على مجرد الضم الخروج وبيضاء حال من فاعل تخرج وقوله تعالى (من
غير سوء) متعلق بتخرج وروى عن ابن عباس الى جناحك الى صدرك والاول أولى كما قال
الرازي لانه يقال لكل ناحيتين جناح كجناح العسكر لطرفيه وجناح الانسان جانباه
والاصل المستعار منه جناح الطائر سمياً بذلك لانه يجنحهما أى يحللهما عند الطيران وجناح
الانسان عضدها فعندها يشبهان جناح الطائر ولانه قال تخرج بيضاء ولو كان المراد بالجناح
الصدر لم يكن لقوله تخرج معنى والسوء الرذالة والقبح فى كل شئ فكفى به عن البرص كما كفى
عن العورة بالسوء أو البرص أبغض شئ الى العرب وله اسم عنه نفرة عظيمة واسمها هم لاسمه
محتاجه فكان جديراً بأن يكفى عنه ولا ترى أحسن ولا أطرف ولا أخف للمفاضل من كليات
القرآن وأدابه يروى أن موسى عليه السلام كان شديد الادمة فكان اذا أدخل يده اليقى

في حبيبه فأدخلها في ابطنه الأسير وأخرجها فكانت تبرق مثل البرق وقيل مثل الشمس من
 غير مرض ثم أدارتها عادت الى لونها الأول من غير نور وقوله تعالى (آية أخرى) أي معجزة
 ثالثة حال من ضمير تخرج كبضاء وقوله تعالى (لتريك) متعلق بما دل عليه آية الأولى دلالتها
 لترك وقوله تعالى (من آياتنا الكبرى) أي العظمى على رسالتك متعلق بمحذوف على أنه حال
 من الكبرى والكبرى مفعول ثان لترك والتقدير لترك الكبرى حال كونها من آياتنا أي
 بعض آياتنا واختلف أي الآيتين أعظم في الاعجاز فقال الحسن البدر أنه تعالى قال لترك من
 آياتنا الكبرى والذي عليه الأكثر أن العصا أعظم أذ ليس في البدر الا تغير اللون وأما العصا
 ففيها تغير اللون وخلق الزيادة في الجسم وخلق الحياة والقدرة والاعضاء المختلفة وابتلاع
 الحجر والشجر ثم أعادتها عاصبا بعد ذلك فقد وقع التغير في كل هذه الأمور فكانت العصا أعظم
 وأما قوله تعالى لترك من آياتنا الكبرى فقد ثبت أنه عائد الى الكلام وأنه غير مختص باليد (فان
 قيل) لم يقل تعالى من آياتنا الكبرى (أجيب) بأن ذلك ذكر لرؤس الآي وقيل فيه اضمحار
 معناه لترك من آياتنا الآية الكبرى وهذا التقدير بقوى قول القائل بأن اليد أعظم أنه * ولا
 أظهر سبحانه وتعالى لموسى هذه الآيات عقبها بأمره بالذهاب الى فرعون بقوله تعالى (أذهب)
 أي رسولاً (الى فرعون) وبين تعالى العلة في ذلك بقوله تعالى (أنه طغى) أي جاوز الحد في كفره
 الى أن ادعى الالهية ولهذا خصه الله تعالى بالذكر مع أنه عليه السلام مبعوث الى الكل قال
 وهب قال الله تعالى لموسى عليه السلام اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالي فانك بعيني
 ومعنى وان معك يدي ونصري وانى ألبسك جبة من سلطاني تستكمل بها القوة في أمرك أبعثك
 الى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وأمن مكرى وغرته الدنيا حتى يحدقني وأنكر ربوبيتي
 أقسم بعزتي لولا الحجة التي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت بدبطشة جبار ولكن هان علي وسقط
 من عيني فبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي وحذره نعمتي وقله قولنا لا يفتخر بلباس الدنيا فان
 ناصيته بيدي لا يطرف ولا يتنفس الا بعلي في كلام طويل قال فسكت موسى عليه السلام سبعة
 أيام لا يتكلم ثم جاءه ملك فقال أجب ربك فيما أمرك فعند ذلك (قال رب اشرح لي صدري)
 أي وسعه لتعمل الرسالة قال ابن عباس يريد حتى لا أخاف غيرك والسبب في هذا السؤال ما حكى
 الله تعالى عنه في موضع آخر بقوله قال رب انى أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا يتطلق
 لساني وذلك أن موسى عليه السلام كان يخاف فرعون العين خوفاً شديداً شدة شوكة وكثرة
 جنوده وكان يضيق صدره بما كاف من مقاومة فرعون وحده فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه
 حتى يعلم أن أحداً لا يقدر على مضرتة الا بإذن الله تعالى وإذا علم ذلك لم يخف فرعون وشدة
 شوكة وكثرة جنوده وقيل اشرح لي صدري بالفهم عنك ما أنزلت على من الوحي (ويسر)
 أي سهل (لى أمرى) أي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون وذلك لأن كل ما يصدر من
 العبد من الافعال والاقوال والحركات والسكنات فآلة تعالى هو الميسرة (فان قيل) قوله لى
 فى اشرح لي صدري ويسر لى أمرى ما جردناه والامر مستتم مستتب بدونه (أجيب) بأنه

قد أبهم الكلام أولاً فقال اشرح لي ويسر لي فعمل ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الاجسام
 بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح لصدره والتيسير لامره من أن يقول اشرح صدرى ويسر
 امرى على الايضاح الساذج لانه تكرر المعنى الواحد من طريق الاجال والتفصيل (واحلل
 عقدة من لسانى) قال ابن عباس كان في لسانه عليه السلام رنة وذلك أن موسى عليه السلام
 كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون لطمه وأخذ بلحيمه فقال فرعون لا سمه
 امرأته ان هذا عدوى وأراد أن يقتله فقال له آسية انه صبي لا يعقل ولا يميز وفي رواية ان أم
 موسى لما فطمته ودته الى فرعون فقتلها موسى في حجر فرعون وامرأته بريانه واتخذاه ولدا فبينما
 هو ذات يوم يلعب بين يدي فرعون ويده قضيب يلعب به اذ رفع القضيب فضرب به رأس
 فرعون فغضب فرعون وتطير بضربه وهم يقتله فقال آسية أيها الملك انه صغير لا يعقل جربه ان
 شئت نجاءت بطشتين في أحدهما جرو في الآخر جوهرا فاراد أن يأخذ الجوهرا فأخذ جهر بل يد
 موسى عليه السلام فوضعهما على النار فأخذ جرة فوضعها في فيه فاحترق لسانه وصارت عليه
 عقدة وقيل قربا اليه ثمرة وجرة فأخذ الجرة فجعلها في فيه فاحترق لسانه وروى أن يده احترقت
 وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تنبرأ ولما دعاه قال الى أى رب تدعونى قال الى الذى أبرأ يدي
 وقد عجزت عنها وعن بعضهم انهم تبرأ يده لثلايد خلها مع فرعون في قصعة واحدة فتعقد بينهما
 حرمة الموأكة وقيل كان ذلك التعقد خلقة فسأل الله تعالى ازالته واختلفوا في أنه لم يطل حل
 تلك العقدة فقبيل لثلايق خلل في أداء الوحى وقيل لثلايق استخف بكلامه فينفروا عنه ولا
 يلتفتوا اليه وقيل لاطهار المعجزة كما أن حبس لسان ذكرى عليه السلام عن الكلام كان معجزا
 في حقه فكذا اطلاق لسان موسى معجز في حقه واختلفوا في زوال العقدة بكلامها فقبيل
 بعضها لقوله وأخى هرون هو أفصح منى لسانا وقول فرعون ولا يكاديين وكان في لسان الحسين
 ابن على رضى الله تعالى عنهم رنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم زهرا من عمه موسى وقال
 الحسن زالت بالكلية لقوله تعالى قد أوتيت سؤل كما موسى وضع هذا الرازي بأنه عليه
 السلام لم يقل واحلل العقد من لسانى بل قال واحلل عقدة من لسانى فاذا حل عقدة واحدة
 فقد آتاه الله سؤلته قال والحق أنه انحل أكثر العقد وبقي منها شئ وقال الزخشرى وفي تسكير
 العقدة ولم يقل واحلل عقدة لسانى انه طلب حل بعضها ارادة أن يفهم عنه فمما جيدا أى ولذا
 قال (يفقهوا) أى يفهموا (قولى) عند تبليغ الرسالة ولم يطلب القصاحة الكاملة ومن لسانى
 صفة للعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لسانى * (تنبيه) * استدلل على أن في النطق فضيلة عظيمة
 بوجوه أولها قوله تعالى خلق الانسان علمه البيان فغاية الانسان هي الحيوان الناطق فانها
 اتفاق العقلاء على تعظيم أمر اللسان قال زهير

لسان الفتي نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدماغ

وقالوا ما الانسان لولا اللسان الالهية مرسله أى لو ذهب النطق للسانى لم يبق من الانسان
 الا القدر الحاصل في البهائم وقالوا المرء بأصغره قلبه ولسانه وقالوا المرء بمضمرة نصت لسانه

ثالثها ان في مناظرة آدم عليه السلام مع الملائكة ما ظهرت الفضيلة الا بالنطق حيث قال يا آدم
 انبهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض * ولما
 رأى موسى عليه السلام أن التعاون على الدين والتظاهر عليه مع محالصة الود ووزوال التهمة
 قربة عظيمة في الدعاء الى الله تعالى طلب المعاونة على ذلك بقوله (واجعل لي وزيراً) أي معينا
 على الرسالة ولذلك قال عيسى بن مريم عليه السلام من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن
 أنصار الله وقال محمد صلى الله عليه وسلم ان لي في السماء وزيرين وفي الارض وزيرين فاللذان
 في السماء جبريل وميكائيل واللذان في الارض أبو بكر وعمر وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد
 الله تعالى بملك خيراً اقبض له وزيراً صالحاً انسى ذكره وان نوى خيراً اعانه وان أراد شراً كفه
 وقال أنوشروان لا يستغني أجود السيوف عن الصقل ولا أكرم الدواب عن السوط ولا أعلم
 الملوك عن الوزراء * ولما كان التعاون على الدين منقبة عظيمة أراد أن لا تحصل هذه الدرجة الا
 لاهله فقال (من أهلي) أي أقاربي وقوله (هرون) قال الجلال المحلي مفعول ثان وقوله (أخي)
 عطف بيان وذكر غيره أعارب غير ذلك لاحاجة لنا بذلك (تنبيه) الوزير مشتق من الوزر
 لانه ينصل عن الملك أو زارعه ومؤنه أو من الوزر لان الملك يعتصم برأيه ويلجئ اليه أموره
 أو من الموازنة وهي المعاونة قال الرازي وكان هرون مخصوصاً بأموار منها النصاحه لقول
 موسى هو أفصح مني لساناً ومنها الرفق لقول هرون يا ابن أم لا تأخذ بطبعي ولا برأسي ومنها
 أنه كان أكبر سنًا منه وقال ابن عادل كان أكبر سنًا من موسى بأربع سنين وكان أفصح لساناً
 منه وأجل وأوسم ابيض اللون وكان موسى آدم اللون أفتى جعداً * ولما طلب موسى عليه
 السلام من الله تعالى أن يجعل هرون وزيراً له طلب منه أن يشد أزره بقوله (اشدده أزري)
 أي أقوى به ظهري (وأشركه في أمري) أي في النبوة والرسالة وقرأ ابن عامر بسكون الياء
 من أخي وهمزة مفتوحة من أشدد وهو على مرتبة في المدوهمزة مضمومة من أشركه وابن
 كثير وأبو عمرو وفتح الياء من أخي وهمزة وصل من أشدد وأشركه بهمزة مفتوحة والباقيون
 بسكون الياء من أخي وهمزة وصل من أشدد وفتح الهمزة من أشركه ثم انه تعالى حكى عنه
 ما لا جله دعا بهذا الدعاء فقال (كي تسجلك) نسيحاً (كثيراً) قال الكلبي نصلي لك كثيراً
 فحمدك وتبني عليك والتسبيح تنزيه الله تعالى في ذاته وصفاته عما يليق به (وذكرك) ذكرنا
 (كثيراً) أي نصفك بصفات الكمال والجلال والكبرياء وجوز أبو البقاء أن يكون كثيراً انفساً
 زماناً مخدوف أي زماناً كثيراً (انك كنت نبأ بصيراً) أي عالماً بأننا لا نريد به هذه الطاعات
 الا وجهك ورضاك أو بصيراً بأن الاستعانة بهذه الاشياء لاجل حاجتي في النبوة اليها أو بصيراً
 بوجوده مصالحنا فأعطانا ما هو الاصلح لنا * ولما سأل موسى عليه السلام ربه تلك الامور المتقدمة
 وكان من المعالوم أن قيامه بما كتب به لا يتم الا باجابه اليها لاجرم (قال) الله تعالى (قد أوتيت
 سؤلَكَ يا موسى) أي أعطيت جميع ما سألته من عليك لما فيه من وجوه المصالح (ولقد مننا عليك
 مرة أخرى) أي أنعمنا عليك في وقت آخر وفي ذلك تنبيه على أموراً أحدها كانه تعالى قال اني

واعبت مصلحتك قبل سؤالك فكيف لأعطيك مرادك بعد السؤال فانيها اني كنت
ريبتك فلو منعك الان كان ذلك ردا بعد القبول واساءة بعد الاحسان فكيف يليق بكرمي
فانيها انا أعطينا في الازمنة السالفة كل ما اختبئ اليه وورقناك الدرجة العالية وهي منصب
النسوة فكيف يليق بمثل هذه الترية المنع عن المطلوب (فان قيل) لم ذكر تلك النعم بلفظ المنة
مع أن هذه اللفظة مؤذية والمقام مقام تلمظ (أجيب) بأنه انما ذكر ذلك ليعرف موسى
عليه السلام أن هذه النعم التي وصل اليها ما كان مستحقا لشيء منها بل انما خصه الله تعالى بها
لخص فضله واحسانه (فان قيل) لم قال مرة أخرى مع أنه تعالى ذكر معنا كثيرة (أجيب) بأنه
لم يعن بمرة أخرى واحدة من المن لان ذلك قد يقال في القليل والكثير ثم بين تلك المن وهي غناية
أو لها قوله تعالى (أذا وحينا إلى أمك) وحيا لا على وجه النسوة اذ المرأة لا تصلح للقضاء ولا للإمامة
ولا تلي عندا كثر العلماء تزويج نفسها فكيف تصلح للنسوة ويدل على ذلك قوله تعالى وما
أرسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم والوحى جاء لا بمعنى النبوة في القرآن كسيرة اقال تعالى وأوحى
ربك إلى النحل وإذا وحيث إلى الخواريين ثم اختلفوا في المراد بهذا الوحى على وجهه أحدها
أنه رؤيا رأيتهم أم موسى وكان تأويلها وضع موسى في التابوت وقذفه في البحر وأن الله تعالى يرده
عليها فانيها انه عزيمه جائزة وقعت في قلبها دفعة واحدة فانيها المراد خطور البال وغلبته على
القلب (فان قيل) هذه الوجوه الثلاثة يعترض عليها بأن الالتقاء في البحر قريب من الاهلال وهو
مسا والخوف الحاصل من القتل المعتمد من فرعون فكيف يجوز الاقدام على أحدهما لاجل
الصيانة عن الثاني (أجيب) بأنهم العلهاء عرفت بالاستقرار صدق رؤياها فكان الالتقاء في البحر
إلى السلامة أغلب على ظنهم من وقوع الولد في يد فرعون رابعها العلهاء وحى إلى بعض الانبياء
في ذلك الزمان كشعب عليه السلام وأغبره ثم ان ذلك النبي عرفها اتماما مشافهة وأمر اسئلة
واعترض على هذا بأن الأمر لو كان كذلك لما لحقها الخوف (أجيب) بأن ذلك الخوف كان
من لوازم البشرية كما ان موسى عليه السلام كان يخاف فرعون مع أن الله تعالى كان أمره
بالغلب اليه مرارا خاصها العلهاء بعض الانبياء المتقدمين كإبراهيم واسحق ويعقوب عليهم
السلام أخبروا بذلك الخبر وانتهى ذلك الخبر إلى أمه سادسها العلهاء الله تعالى بعث اليها ملكا
لاعلى وجه النبوة كما بعث إلى مريم في قوله فتنبئ لها بشرا سويا وأما قوله تعالى (ما يوحى) فمعناه
ما لا يعلم الا بالوحى أو ما ينفسي أن يوحى ولا يحصل به لعظم شأنه وفطر الاهتمام ويبدل منه
(ان اقدفيه) أى لقبه (في التابوت) أى ألهمناها أن اجعلها في التابوت (فاقدفيه) أى
موسى بالتابوت (في اليم) أى نهر النيل (فليلقه اليم بالساحل) أى شاطئه والامر بمعنى الخبر
والضمائر كلها لموسى فلقذف في البحر والملق إلى الساحل هو موسى في جوف التابوت
حتى لا تفرق الضمائر فتتناظر النظم الذي هو أم اجها القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدى
ومر اعانه أهم ما يجب على المفسر (تنبيه) اليم البحر والمراد به هناءيل مصر في قول الجميع
واليم اسم يقع على النهر والبحر العظيم قال الكسائي والساحل فاعل بمعنى مفعول سمى بذلك

لأن الماء بسحله أي يصبره إذا علاه وقوله تعالى (بأخذه عند قولي وعد قولي) أي فرعون جواب
 فليقله وتكرير عدو للمبالغة أولان الأول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع أي سيصبر
 عدو له بعد ذلك فإنه لم يكن في ذلك الوقت بحيث يعادي وروى أنها اتخذت تابوتا قال مقاتل
 إن الذي صنع التابوت حزقيل مؤمن آل فرعون وجعلت في التابوت قطنا محجوبا فوضعت فيه
 وجصصته وقبرته ثم ألقته في اليم وكان يشرع منه إلى بستان فرعون ثم كبر فيمنها هو جالس
 على رأس بركة مع أسية بنت مزاحم إذا شابوت يجري به الماء فأمر فرعون القيان والجواري
 بأخراجه فأخرجوه وقهوا رأسه فاذا صبح أصبح الناس وجهها فأحبه عدو الله حباً شديداً
 لا يتماثل أن يصبر عنه كما قال تعالى (وألقيت عليك محبة مني) وهذه هي المنة الثانية قال
 الزمخشري مني لا يتخلوا ما أن يتعلق بألقيت فيكون المعنى على أني أحببتك ومن أحبه الله أحبه
 القلوب واما أن يتعلق بمحذوف وهو صفة لمحبة أي محبة خالصة أو واقعة مني قدر كثرها
 أنا في القلوب وزرعها فيها فلذلك أحبك فرعون وأسية حتى قالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه روى
 أنه كان على وجهه مسحة جمال وفي عينه ملاحه لا يكاد يصبر عنه من راء وهو كقوله تعالى
 سيجعل لهم الرحمن وذا المنة الثالثة قوله تعالى (ولتصنع علي عبي) أي تربي على رعايتي
 وحفظي لك فأمر أعيك ومر أفيك كما يراعى الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به ويقول للصانع
 اصنع هذا على عيني أنظر إليك لا لخالصك به عن مرادى وبغيتي * (تنبيه) * لتصنع معطوف
 على علة مضمرة مثل لينتظف بك وتصنع أو على الجملة السابقة بأضمار فعل معل مثل فعلت ذلك
 وقرأ بفتح الباء نافع وابن كثير وأبو عمرو وسكنها الباقون المنة الرابعة قوله تعالى (اذتشي
 أختك) والعامل في إذ ألقىت أو تصنع ويجوز أن يكون بدلا من إذ أحيينا واستشكل بأن
 الوقتين مختلفان متباعدان (وأجيب) بأنه يصح مع اتساع الوقت كما يصح أن يقول لك الرجل
 لقيت فلانا سنة كذا فتقول وأنا لقيته اذ ذاك وبعالقيه هو في أولها وأنت في آخرها (فتقول
 هل أدلكم على من يكفله) يروى أن أخته واسمها حريم جاءت متعرفة خبره فصادقتهم بطلبون له
 مرسعة يقبل نديها وذلك أنه كان لا يقبل ندى امرأه فقالت لهم ذك فقالوا نعم فجاءت بالأم
 فقبل نديها فذلك قوله تعالى (فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها) بلقائك ورؤيتك (ولا تحزن)
 أي هي بفراقك وأنت بفراقها وفقد اشفاقها ويروى أن أسية استوهبت من فرعون وتبته
 وهي التي أشفت عليه وطلبت له المراضع المنة الخامسة قوله تعالى (وقلت نفسا) قال ابن
 عباس هو الرجل القبطي الذي قتله خطأ بأبي بكر ثم حين استغاثه الأسرا إلى اله قال
 الكسائي كان عمره اذ ذاك اثنتي عشرة سنة (فحييناك من المم) أي من غم قتله خوفاً من
 اقتصاص فرعون كما قال تعالى في آية فأصبح في المدينة خائفاً يترقب بالمهاجرة إلى مدين المنة
 السادسة قوله تعالى (وقتنا لتقونا) قال ابن عباس اختبرناك اختباراً وقيل ابتليناك ابتلاء
 قال ابن عباس التقون وقوعه في محنة بعد محنة وخلصه الله تعالى منها أولها أن أمته جلته
 في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال ثم القاؤه في البحر في التابوت ثم منعه الرضاع

الامن ندى أمه ثم أخذه بلحية فرعون حتى هتم بقتله ثم تناوله الجرة بدل الجوهرة ثم قتله القبطي
 وخرجوه الى مدين خاتفا (فان قيل) انه تعالى عدد أنواع منته على موسى في هذا المقام
 فكيف يليق بهذا الموضوع وقتنا الفتونا (أجيب) بجوابين الاول قتلنا أى خلاصنا من القتل
 من قولهم قتلنا الذهب اذا أردت تخليصه من الفضة ونحوها الثاني ان الفضة تشبه الحديد المحنة
 يقال قتل فلان عن دينه اذا اشتدت عليه المحنة حتى رجع عن دينه قال تعالى فاذا أودى
 في الله جعل قسمة الناس كعذاب الله وقال تعالى ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا
 وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ولما كان
 التشديد في المحنة يوجب كثرة الثواب عده الله تعالى من جملة النعم وتقدم تفسير ابن عباس
 وهو قريب من ذلك (فان قيل) هل يصح اطلاق الفتان على الله تعالى استمعا فامن قوله تعالى
 وقتنا فتونا (أجيب) بأنه لا يصح لانه صفة ذم في العرف وأسماؤه الله تعالى بوقضية لاسيما فيما
 يؤهم ما لا ينبغي المنه السابعة قوله تعالى (فلبث سنين في أهل مدين) والتقدير وقتنا فتونا فخرجت
 خاتفا الى أهل مدين فلبث سنين فيهم عند شعيب عليه السلام وترفعت بآبته وهي اما عشر
 أو ثمان لقوله على أن تأجرني ثمانى حجج فان أتممت عشرا فمنى عندك وقال وهب لبث موسى
 عند شعيب عليه السلام ثمانا وعشرين سنة منها عشر سنين مهرا أمر أنه فانه قضى
 أوفى الاجلين والآية على انه لبث عشر سنين وليس فيها ما ينفي الزيادة على العشر كما قاله
 الرازي وان قال ابن عادل يردده قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل أى الاجل المشروط عليه
 في تزويجه وسار بأهله ومدين بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر (ثم جئت على قدر) أى
 على القدر الذى قدرت أنك تجي فيه لان أكلك وأسنتبك غير مستقدم وقته المعين
 ولا مستأخر وقال عبد الرحمن بن كيسان على رأس أربعين سنة وهو القدر الذى يوحى فيه
 للأنبياء وهذا قول أكثر المفسرين أى على الموعد الذى وعده الله وقدر أنه يوحى اليه بالرسالة
 وهو أربعون سنة وكثر تعالى قوله (ياموسى) عقب ما هو غاية الحكاية للتنبية على ذلك المنه
 الثامنة قوله تعالى (واصطنعتك) أى اخترتك لنفسى لاصر فلك فى وأمرى لثلاث شغل
 الامعاء أمرتك به وهو اقامة حجتي وتبليغ رسالتى وأن تكون فى حركاتك وسكناتك لى لانفسك
 ولا لغيرك ثم بين تعالى ماله اصطنته وهو الابلاغ والاداء بقوله تعالى (أذهب أنت وأهلك)
 بآياتى أى بمجراتى وقال ابن عباس الآيات التسع التى بعث بهاموسى وقيل انها العصا
 واليد لانهما اللذان جرى ذكرهما فى هذا الموضوع ولم يذكر انه عليه السلام أوفى قبل مجيئه الى
 فرعون ولا بعد مجيئه حتى لى فرعون فالتمس منه آية غير هاتين الآيتين قال تعالى حكاية عن
 فرعون ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فأتنى عصاه فاذا هى ثعبان مبين
 ونزع يده فاذا هى عصا خاطرين وقال تعالى فذاتك برهانك من ربك الى فرعون ومثله (فان
 قيل) كيف أطلق لفظ الجمع على الاثنين (أجيب) بأن العصا كانت آيات انقلابها حيوانا
 ثم انما فى قول الامر كانت صغيرة لقوله تعالى تهتز كأنها جان ثم كانت تعظم وهذه آية أخرى ثم

كانت تصبر نعبا وهذه آية أخرى ثم انه عليه السلام كان يدخل يده في فيها فكانت تضربه
 فهذه آية أخرى ثم كانت تنقلب خشبة فهذه آية أخرى وكذلك المدقان يساها آية وشعاعها
 آية أخرى ثم زوالها بعد ذلك آية أخرى فدل ذلك على انها كانت آيات كثيرة وقيل الآيات
 العصا واليد وحل عقدة لسانه وقيل معناه أمدة كبايآتي وأظهر على أيديكم من الآيات
 ما تنزاح به العلال من فرعون وقومه (ولانتيا) أي لا تقروا ولا تقصروا (في ذكرى) أي بتسبيح
 وغيره فان من ذكر جلال الله استخف غيره فلا يخاف أحدا وتقوى روحه بذلك الذكر فلا
 تضعف في مقصوده ومن ذكر الله لا بد وأن يكون ذا كراحسانه وذا كراحسانه لا يقصر في أداء
 أوامره وقيل لانتيا في ذكرى عند فرعون بأن تذكر الصرعون وقومه أن الله لا يرضى منهم
 الكفر وذكرا لهم أمر الثواب والعقاب والترغيب والترهيب وقيل المراد بالذكر تبليغ الرسالة
 (اذهبوا إلى فرعون انه طغي) أي بأداء الربوبية * (تنبيه) * ذكر الله تعالى المذهب اليه هنا وهو
 فرعون وحذفه في قوله اذهب أنت وأخوك بايآتي اختصارا في الكلام وقال القفال فيه
 وجهان أحدهما أن قوله اذهب أنت وأخوك بايآتي يحتمل أن يكون كل واحد منهما مأمورا
 بالذهاب على الانفراد فقيل مرة أخرى اذهب بالعرفان المراد منه أن يشغلا بذلك جميعا لأن
 ينقربه أحدهما دون الآخر والثاني أن قوله اذهب أنت وأخوك بايآتي أمر بالذهاب إلى كل
 الناس من بني اسرائيل وقوم فرعون ثم ان قوله تعالى اذهبوا إلى فرعون أمر بالذهاب إلى فرعون
 وحده واستبعد هذا بل الذهابان متوجهان لشئ واحد وقد حذف من كل من الذهابين ما أثبتته
 في الآخر وقبل انه حذف المذهب اليه من الأول وأثبتته في الثاني وحذف المذهب به وهو
 بايآتي من الثاني وأثبتته في الأول (فقولا له قولنا) أي مثل هل لك إلى أن تزكي وأهديك إلى
 ربك فتخفى فانه دعوة في صورة عرض ومشورة (فان قيل) لم أمر الله تعالى باللين مع الكافر
 الجاحد (أجيب) بأن عادة الجبار اذا أغلظ عليه في الوعظ يزاد عتوا وتكبيرا فأمر باللين
 حذوا من أن تحمله الحاقة على أن يسطو عليها واحتراما لله من حق التريسة وقيل كنيها
 وكان له ثلاث كنى أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة وقيل عداه شبابا لا هرم بعده وملكا
 لا يزول الأبا موت وأن تبقى له لذة الطعام والمشرب والمنسكح إلى حين موته وأدامت دخل الجنة
 فأعجبه ذلك وكان لا يقطع أمر ادون هاما من وكان غائبا فلما قدم أخبره بالذي دعاه اليه موسى
 وقال أردت أن أقبل منه فقال له هاما من كنت أرى أن لك عقلا ورأيا أنت رب تريد أن تكون
 مربوبا وانت تعبد تريد أن تعبد فقلبه على رأيه وقوله تعالى (لعله يتذكر أو يخشى) متعلق بأذهبا
 أو قولاً أي باشرا الأمر على رجائك وطعك كما مباشرة من يرجو ويطلع أن يفر عمله ولا يخيب
 سعيه فهو يجتهد بطوقه ويسعى بأقصى وسعه قال الزمخشري ولا يستقيم أن يراد ذلك في حق
 الله تعالى اذهو عالم بعواقب الأمور وعن سببويه كل ما ورد في القرآن من لعمل وعسى فهو
 من الله واجب بمعنى انه يستحيل بقاء معناه في حق الله تعالى وتحال القرآن ان لعل بمعنى كي فتعبد
 العلية كما تقول اعل هلك تأخذ أجرة لك * (فائدة) * قرأ رجل عندي يحيى بن معاذ فقولا

ليسا فيك يحيى وقال الهى هذا برئى بن يقول أنا الاله فكيف برئى بن يقول أنت الاله (فان قيل)
 ما الفائدة في ارسالهما والمبالغة عليهم ما في الاجتماع مع علمه تعالى بأنه لا يؤمن (أجيب) بأن ذلك
 لازم الحجة وقطع العذرة واطهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات والتدكر للتحقق
 والخشبة للمتهم ولذلك قدم الاول أى ان لم يتحقق صدقكم ولم يتذكر فلا أقل من أن يتوهمه
 فيخشى ويرى عن كعب انه قال والذي يحلف به كعب انه لمكتوب في التوراة فقوله
 قولنا وسأقضى قلبه فلا يؤمن ولقد نذ كزفرعون وخشى حين لم تنفعه الذكرى والخشبة
 وذلك حين ألجمه الفرق قال آمنت أنه لاله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين
 ثم أن موسى وهرون (قالا ربنا اتناخاف أن يقرط) أى يجعل (علينا) بالعقوبة (أو أن يطغى)
 أى يتجاوز الحد في الاساءة علينا (فان قيل) لما تكررا الامر من الله تعالى بالذهاب فعدم
 الذهاب والتعلل بالخوف هل يدل على معصية (أجيب) بأن الامر ليس على الفور فسقط
 السؤال وهذا من أقوى الدلائل على أن الامر لا يقتضى الفور (فان قيل) قوله تعالى قال
 ربنا يدل على أن المتكلم موسى وهرون ولم يكن هرون هناك حاضرا (أجيب) بأن الكلام كان
 مع موسى لأنه كان متبوع هرون فجعل الخطاب معه خطا بامع هرون وكلام هرون على سبيل
 التقدير في تلك الحالة وان كان موسى وحده لأنه تعالى أضافه اليهما كما في قوله تعالى
 واذ قلتم نفسا فاذا رآتم فيها وقوله لن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روى أن
 القائل عبد الله بن أبى وحده (فان قيل) أن موسى عليه السلام قال رب اشرح لي صدرى
 فأجابه الله تعالى بقوله قد أوتيت سؤل كما موسى وهذا يدل على أنه تعالى قد شرح صدره وبسرله
 ذلك الامر فكيف قال بعده اتناخاف فان حصول الخوف يمنع من حصول شرح الصدر
 (أجيب) بأن شرح الصدر عبارة عن تقويته على ضبط تلك الاوامر والنواهي وحفظ تلك
 الشرائع على وجه لا يتطرق اليها البسوهو والتخريف وذلك شئ آخر غير الخوف (قال) الله
 تعالى لهما (لاتخافا انى معكما) حافظكما وناصركما (اسمع وأرى) أى ما يجري بينكما وبينه
 من قول وفعل فأفعل ما يوجب حفظى ونصرى وقال ابن عباس اسمع دعاءكما فأجيبه وأرى
 ما يراد بكما فامنع فلمست بغافل عنكما فلا تهتما وقال القفال قوله تعالى اسمع وأرى يحتمل أن
 يكونه مقابلا لقوله تعالى يقرط علينا وأن يطغى يقرط علينا بأن لا يسمع منا أو أن يطغى بأن
 يقتلنا قال تعالى انى معكما كلامكما فأسخره للاستماع منكما وأرى أفعاله فلا تركه حتى يفعل
 بكما ما تكرهانه ثم انه سبحانه وتعالى أعاد ذلك التكليف فقال (فأتياه) لانه سبحانه وتعالى قال
 في المرة الاولى اذهب الى فرعون وفي الثانية قال اذهب أنت وأخوك وفي الثالثة قال اذهب
 الى فرعون وفي الرابعة قال ههنا فأتياه (فان قيل) انه تعالى أمرهما في الثانية بأن يقولالا
 قولنا وههنا أمرهما بقوله تعالى (فقولانا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل) أى الى
 الشام (ولاتعذبهم) أى خل عنهم من استعمالك اياهم في اشغال الشاقة كالخفر والبناء وجعل
 الثقل وقطع الخضور وكان فرعون يستعملهم في ذلك مع قتل الاولاد وفي هذا تغليب من رجوه

الأول قوله انارسلوك ولربك وهذا يقتضي اقباده لهما والتزامه لطاغتهما وذلك يعظم على الملك
 المتبوع الثاني قولهما فأرسل معنا بنى اسرائيل فيه ادخال النقص على ملكه لانه كان محتاجا
 اليهم فيما يريد من الاعمال أيضا الثالث قولهما ولا تعذبهم الرابع قولهما (قد جئناك بآية من
 ربك) فما الفائدة في التلين أولا والتغليظ ثانيا (أجيب) بأن الانسان اذا ظهر بلحاظه فلا بد له
 من التغليظ حيث لم ينفع التلين (فان قيل) أليس الاولى أن يقول انارسلوك قد جئناك
 بآية فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم لان ذكر المعجز مقرر وبنا لدعاء الرسالة الاولى من تأخير
 عنه (أجيب) بأن هذا أولى لانهما ذكر مجموع الدعاوى ثم استدلا على ذلك المجموع بالمعجز
 وقولهما قد جئناك بآية من ربك قال الزمخشري هذه الجملة جارية من الجملة الاولى وهي انا
 رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا بينتهما التي هي مجرى الآية
 (فان قيل) ان الله تعالى قد أعطاها آيتين هما العصا واليد ثم قال تعالى اذهب أنت وأخوك
 بآياتي وذلك يدل على ثلاث آيات وقالاهنا قد جئناك بآية من ربك وذلك يدل على أنها كانت
 واحدة فكيف الجمع (أجاب) القفال بأن معنى الآية الاشارة الى جنس الآيات كأنهما قالوا
 قد جئناك ببينات من عند الله ثم يجوز أن يكون ذلك جملة واحدة وحججا كثيرة وتقدم الجواب
 عن التثنية والجمع وأن في العصا واليد آيات وقوله تعالى (والسلام على من اتبع الهدى) يحتمل
 أن يكون من كلام الله تعالى كأنه تعالى قال فقولا انارسلوك وقولاه والسلام على من اتبع
 الهدى ويحتمل أن يكون كلام الله قد تم عند قوله قد جئناك بآية من ربك وقوله تعالى بعد
 ذلك والسلام على من اتبع الهدى وعدم من قبله ما لم آمن وصدق بالسلامة له من عقوبات
 الله في الدنيا والآخرة أو أن سلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين وقال بعضهم ان على معنى
 اللام أى والسلام لمن اتبع الهدى كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وقال
 تعالى في موضع آخر ان أحسنتم أحسنتم لا تفسدكم وان أسأتم فلهما (انا قد أوحى اليك انان
 العذاب على من كذب) ما جئنا به (ولولى) أعرض عنه قال البضاوى ولعل تغيير النظم
 والتصرح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد في أول الامر أهم وأنجح وبالواقع أليق وما
 أتياه وقال انارسلوك وبلغاه ما أهرابه (قال) لهما (فبن ربك يا موسى) انما نادى موسى
 وحده بعد مخاطبتهما معا لان موسى هو الاصل في الرسالة وهرون تبع ورده ووزير واما
 لان فرعون كان تلغيه بعلم الرثة التي كانت في لسان موسى عليه الصلاة والسلام ويعلم فصاحة
 أخيه بدليل قوله هو أفصح مني لسانا فاراد أن يفهمه ويدل عليه قول فرعون ولا يكاديين وأما
 لانه حذف المعطوف للعلم به أى يا موسى وهرون قاله أبو البقاء ثم ان فرعون لم يشغل مع
 موسى بالبطش والايذاء لمادعاه الى الله تعالى مع أنه كان شديد القوة عظيم القلب كثير العسكر
 بل خرج معه في المناظرة لانه لو أذاه لتسب الى الجهل والسفاهة فاستسكف من ذلك وشرع
 في المناظرة وذلك يدل على ان السفاهة من غير جملة لم يرضه فرعون مع كمال جهله وكفره فكيف
 يلقى ذلك بن يدعى الاسلام والعلم (تنبيه) قال ههنا بن ربك يا موسى وقال في سورة الشعراء

ومارب العالمين وهو سؤال عن الماهية فهما سؤالان مختلفان والواقعة واحدة قال ابن عادل
والاقرب أن يقال سؤال من كان مقدما على سؤال مالانه كان يقول اني أنا الله والرب فقال غن
ربكما فلما قام موسى الدلالة على الوجود وعرف أنه لا يمكنه أن يقاومه في هذا المقام لظهوره
وجلاله عدل الى طلب الماهية لان العلم بماهية الله تعالى غير حاصل للبشر (فان قيل) لم قال غن
ربكما ولم يقل غن الهكما (أجيب) بأنه أثبت نفسه ربا في قوله ألم نربك فينا وليندا فذكر ذلك على
سبيل التعجب كأنه قال أنا ربك فلم تدع ربا آخر وهذا يشبه كلام غرود حين قال له ابراهيم ربي
الذي يصي ويميت قال له غرود أنا حي وأميت فلم تكن الامانة التي ذكرها ابراهيم هي الامانة
مع الاحياء التي عارضه غرود بها الا في اللفظ فكذا ههنا لما ادعى موسى ربوبية الله تعالى ذكر
فرعون هذا الكلام أي أنا الرب الذي ربيتك ومعلوم ان الربوبية التي ادعاها موسى عليه
السلام غير الربوبية في المعنى وأنه لا مشاركة بينهما ثم كأنه قيل فما أجاب به موسى فقيل
(قال) مستدلا على اثبات الصانع بأحوال المخلوقات (ربنا الذي أعطى كل شيء) أي من الانواع
(خلقه) أي صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق
الابصار والاذن الشكل الذي يوافق الاسماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل
واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير بناء عنه أو أعطى كل حيوان نظيره
في الخلق والصورة حيث جعل في الحصان والحجرة زوجين والبحير والناقة كذلك والرجل والمرأة
كذلك فلم يزاوج منهم ما شأ غير جنسه وما هو على خلاف خلقه (ثم هدى) أي ثم عرف الله تعالى
الحيوان الكائن من المخلوق كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل اليه قال الزخشي وقته در
هذا الجواب ما أحضره وما أجمعه وما أيه لمن ألقي الدهن ونظيره بين الانصاف وكان طالبا
للعق * ولما خاف فرعون أن يزيد موسى في اظهار تلك الحجة فيظهر للناس صدقه (قال) لموسى
(قبايل) أي حال (القرون) أي الامم (الاولى) كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم
الاوثان فانما كانت تعبد الاوثان وتشكر البعث غن شق منهم ومن سعدا أراد أن يصرفه عن
ذلك الكلام ويشغله بهذه الحكايات فلم يلتفت اليه فلذلك (قال عليها عند ربي) استأثر به لايعله
الا هو وما أنا الا عبد مثلكم لا أعلم منه الا ما أخبرني به علام الغيوب وعلم أحوال هذه القرون
منبت عند ربي (في كتاب) هو اللوح المحفوظ ويجوز أن يكون ذلك تخمينا لتكتمه في علمه تعالى
بما استخفظه العالم وبقده بالكتابة ويؤيده قوله (لا يضل ربي ولا ينسى) والضل أن يخطئ
الشيء في مكانه فلم يمتد اليه والنسيان أن يذهب عنه بحيث لا يحظر بياله وهما محالان على علام
الغيوب بخلاف العبد الذليل والبشر الضليل أي لا يضل تعالى ولا ينسى كما تفضل أنت
وتنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوفاحة ثم عاد الى تميم كلامه الاول وبراذا الدلائل الظاهرة على
الوحدانية فقال (الذي جعلكم) في جملة الخلق (الارض مهلدا) أي فراشا
(تنبيه) * هذا الموصول في محلي رفع صفة لربي وخبره محذوف تقديره هو أو منصوب
على المدح وقرأ عاصم وحسرة هنا وفي سورة الزخرف مهلدا بفتح الميم وسكون الهاء أي

مهدا مهدا أو تهدهونها فهي لهم كالمهاد وهو ما يهد للصبي - وقرأ الباقون بكسر الميم ورفع
 الهاء وألف بعدها وهو اسم ما يهد كالفرش أو جمع مهد (وسلك) أي سهل - (لكم فيها
 سبلا) أي طرقا بين الجبال والودية والبراري تسلكونها من أرض إلى أرض لتبلغوا
 منافعها (وأُنزل من السماء ماء) أي مطرا وعدل بقوله (فأخرجنا به) عن لفظ الغيبة إلى صيغة
 التكلم على الحكاية للكلام الله تعالى تنبيهها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال قدرته
 والحكمة وايدأنا بأنه مطاع تقاد الأشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظيره كقوله تعالى
 ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نباتا مختلفا ألوانها أم من خلق السموات والأرض
 وأنزل لكم من السماء ماء فأنشأ به حدائق (أزواجا) أي أصنافا سميت بذلك لأنهم من زوجة
 مقترنة بعضهم ببعض وقوله تعالى (من نبات) بيان وصفة لازواجا وكذلك (شئ) وهو جمع
 شئبت من شت الأمر تفرق نحو مرضى جمع مريض وجرحى جمع جريح فألفه للتأنيث أي
 أزواجا متفرقة ويجوز أن يكون صفة للنبات فإنه من حيث أنه مصدر في الأصل يستوي فيه
 الواحد والجمع أي أنها مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس
 وبعضها للبهائم فلذلك قال تعالى (كأوا وأرعوا أنعامكم) والانعام جمع نعم رعى الأبل والبقر
 والغنم يقال رعى الانعام ورعىها والامر للإباحة وتذكر النعمة والجله حال من ضمير أخرجنا
 أي مبيحين لكم الأكل ورعى الانعام أي وقية الحيوانات (أن في ذلك) أي فماد كرت من هذه
 النعم (آيات) أي لعبا (لأولي النهى) أي أصحاب العقول جمع نهي كقرفة وغرف سمى به
 العقل لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح * ولما ذكر سبحانه وتعالى منافع الأرض والسماء
 بين أنهما غير مطلوبة لذاتها بل هي مطلوبة لكونهما وسائل إلى منافع الآخرة فقال (منها) أي
 الأرض (خلقناكم) * فان قيل انما خلقنا من النطفة على ما بين في سائر الآيات (أجيب)
 بأوجه أحدها أنه لما خلق أصلنا آدم علمه السلام من تراب كما قال تعالى كمثل آدم خلقه من
 تراب حسن اطلاق ذلك علينا ثانياً أن ولد الإنسان انما هو من النطفة ودم الطمث وهما
 متولدان من الأغذية والغذاء اما حيواني أو نباتي والحيواني ينتهي إلى النباتي والنبات انما
 يحدث من امتزاج الماء والتراب فصح أنه تعالى خلقنا منها وذلك لا ينافي كوننا مخلوقين من
 النطفة ثالثا روى ابن مسعود أن ملك الارحام يأتي إلى الرحم حين يكتب أجل المولود ويرزقه
 والأرض التي يدفن فيها فإنه يأخذ من تراب تلك البقعة ويثره على النطفة ثم يدخلها في الرحم
 وأخرج ابن المنذر عن عطاء الخراساني قال إن الملك ينطلق فيأخذ من تراب المكان الذي يدفن
 فيه فيذره على النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة (وفيما نعيدكم) أي مقبورين بعد الموت
 (ومننا نخرجكم) أي عند البعث (تارة) أي مرة (أخرى) أي بتألف أجزائكم المقتتنة
 المختلطة بالتراب وزدتهم كما كانوا أحياء ونخرجهم إلى المحشر يوم يخرجون من الأجداث
 سراعا ولما كان المقام لتعظيم القدرة عطف عليه قوله تعالى (ولقد أريناه) أي أبصرناه
 (آياتنا كلها) أي التسع المختصة بموسى عليه السلام وهي العصا واليد وقلق البحر والحجر

قوله وهي العصا الخ
 فيه أن الخبر وقع
 الجبل كما بعد غرق
 فرعون وبعبارة
 الجبل وتقدم أن غايته
 منها في الأعراف
 الأولى والثانية قوله
 فألقي عصاه فاذا هي
 ثعبان مبين وزرع به
 الخ والثالثة قوله
 ولقد أخذنا آل
 فرعون بالسنين
 ونقص من الثمرات
 وخمسة في قوله
 فأرسلنا عليهم
 الطوفان والجراد
 والقمل والضفادع
 والدم وواحدة
 في سورة يونس قوله
 ربنا اطمس على
 أموالمهم واشدد على
 قلوبهم اه

والخزاد والقمل والضفادع والدم وتلق الجبل (فكذب) بها وزعم أنها مصر (وأبي)
أن يسلم (فإن قيل) قوله تعالى كما يفيد العموم والله تعالى ما أراه جميع الآيات فإن من جملة
الآيات ما أظهرها على أيدي الأنبياء قبل موسى عليه السلام وبعده (أجيب) بأن لفظ الكل
وإن كان للعموم قد يستعمل في الخصوص مع القرينة كما يقال دخلت السوق فاشتريت كل
شيء أو يقال إن موسى عليه السلام أراه آياته وعدد عليه آيات غيره من الأنبياء فكذب فرعون
بالكل أو يقال تكذيب بعض المعجزات يقتضي تكذيب الكل فحكي سبحانه وتعالى ذلك على
الوجه الذي يلزم ثم كآته قيل كيف صنع في تكذيبه وإثباته فقيل (قال) حين علم حقيقة ما جاء به
موسى وظهوره وخاف أن يتبعه الناس ويتركوه ووهن في نفسه وهنا عظيما (أجبتنا لخرجننا
من أرضنا) أي الأرض التي نحن مالكوها ويكون لك الملك فيها فصارته فرأى أنه تزعده خوفا
مما جاء به موسى وإيقانه أنه على الحق وأن الحق لو أراد قود الجبال لانقادت له وإن مثله
لا يتخذ ولا يذل ناصره وأنه غالبه على ملائكته لا محالة ثم خيل لانساعه أن ذلك مصر بقوله
(بصحرنا يا موسى) فكان ذلك مع ما ألفوه من عادتهم في الضلال صار فالهم عن اتباع ما رأوه
من البيان ثم أظهر لهم أنه يعارضه بمثل ما أتى به بقوله (فلنأتينك بسحرمثله) أي مثل سحرنا
يعارضه (فاجعل بيننا وبينك موعدا) أي من الزمان والمكان (لا تخلفه) أي لا تجعل خلفنا
(فحن ولا أنت) أي لا نتجاوز وما كان كل من الزمان والمكان لا يتفك عن الآخر قال
(مكانا) وأورد ذلك المكان لأجل وصفه بقوله (سوى) أي عدلا وقال ابن عباس نصفا
تستوى مسافة الفريقين إليه فانظر إلى هذا الكلام الذي زوقه ونفقه وصنعه بما وقف به قومه
عن السعادة واستمر يتقودهم بعناده حتى أوردتهم البحر فأغرقهم ثم في غمرات النار أحرقتهم
وقيل معنى سوى أي سوى هذا المكان وقر أشعة وابن عامر وجزء والكسائي بضم السين
والباقون بكسرها وأمال شعبة وجزء والكسائي في الوقف محضة والباقيون بالفتح وقيل
المراد بالموعد الوعد لأن الاختلاف لا يلائم الزمان والمكان أي بل الوعد هو الذي يصح وصفه
بالخلف وعدمه وإلى هذا انما جماعة مختارين له ورد عليهم بقوله (قال موعدكم يوم الزينة)
فإنه لا يطابقه * (تنبيه) * يحتمل أن قوله قال موعدكم يوم الزينة أن يكون من قول فرعون
فحين الوقت وأن يكون من قول موسى عليه السلام وهذا أظهر كما قال الرازي لوجه القول
أنه جواب لقول فرعون فاجعل بيننا وبينك موعدا الثاني وهو أن تعيين يوم الزينة يقتضي
إطلاع الكل على ما سيقع فتعيينه انما يليق بالحق الذي يعرف أن البطل الذي يعرف
أنه ليس معه الا التليس ثالثا أن قوله موعدكم خطاب للجمع فلو جعلناه من فوعون لموسى
وهرون لزم أمانا أن نحمله على العظيم أو أن أقل الجمع اثنان فالقول لا يليق بحال فرعون معهما
والثاني غير جائز فاذا جعلناه من موسى عليه السلام استقام الكلام وأختلف في يوم الزينة
فقال مجاهد وقتادة النبروز وقال ابن عباس وسعيد بن جبيرة يوم عاشوراء وقيل كان
يوم عيد لهم يتزينون فيه ويحتجمون في كل سنة وقيل يوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون

ذلك اليوم وبني قوله (وأن يحشر) لانه قول لان القصد الجمع لا كونه من معين (الناس) أي يجمعوا (خشي) أي وقت الضعوة فيكون أظهر لما يعمل وأجلى فلا يأتى الليل الا وقد قضى الامر وعرف الحق من الميطل ويكثر التعديت بذلك في كل بدو وحضر وبشيع في جميع أهل الوبر والمدر (قتولى) أي أعرض (فرعون) عن موسى الى تهينة ما يريد من الكيد بعد توبله عن الانقياد لامر الله تعالى (آجمع كبده) أي مكره وحيلته وخداعه الذى دبره على موسى عليه السلام بجمع من يجعل بهم الكيد وهم السحرة حشرهم من كل فج وكان أهل مصر أهل السحر والارض وأكثرهم ساحرا وكانوا في ذلك الزمان أشد اعتناء بالسحر وأمهرا ما كانوا أكثر (ثم أنى) لا لميعاد الذى وقع القرار عليه بن حشره من السحرة والجنود ومن تبعهم من الناس مع توفر الدواعى على الاتيان للعبد والنظر الى تلك المغالسة التى لم يكن مثلها * ولما تشوق السامع الى ما كان من موسى عليه السلام عند ذلك استأنق تعالى الخبر عنه بقوله تعالى (قال لهم) أي لاهل الكيد والعناد وهم السحرة وغيرهم (موسى) حين رأى اجتماعهم ناصحهم (ويلكم) يا أيها الناس الذين خلقكم الله تعالى لعبادته (لا تفتروا) أي لا تتعمدوا (على الله كذبا) باشر الشاهد معه (فيسحتكم) قال مقاتل يهلككم وقال قتادة يستأصلكم (بعذاب) من عنده وقرأ حفص وحزة والكسائى بضم الياء وكسر الحاء من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والباقون بفتحهم ما والسحت لغة الحجاز (وقد خاب من اقترى) كما خاب فرعون فانه اقترى واحتمل لبني الملك له فلم ينقعه (فتنازعوا) أي تجاذب السحرة (أمرهم بينهم) لما سمعوا هذا الكلام علم انهم أنه لا يقدر أن يواجه فرعون بمثله في جمع جنوده واتباعه ثم يعلم منه الامن الله تعالى معه (وأسرروا الخوى) قال الكلبي قالوا سرا ان غلبنا موسى اتبعناه وقال محمد بن اسحق لما قال لهم موسى لا تقفروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ما هذا يقول ساحر وبالغوا في اخفاء ذلك فان الخوى الاسرار لا يظهروا فرعون وأتباعه على ذلك فكانه قبل ما قالوا حين انتهى تنازعهم فقبل (قالوا) أي السحرة (ان هذان لساحران) أي موسى وهرون وقرأ ابن كثير وحفص بسكون النون من ان وشددها الباقر وقرأ أبو عمر وبالياء بعد المذال والباقرن بالالف على لغة من يجعل ألف المتنى لازما في كل حال قال أبو حيان وهى لغة لطواثق من العرب بنى الحارث بن كعب وبعض كثانة وخشم وزيد وبني الضمر وبني الجهم ومراد وعدة وقال شاعرهم * تزودمى بين أذناه ضربة * يريد أذنيه وقال آخر

ان أباه وأبأ أباه * قد بلغا في المجد غاياتها
وقبل تقدير الآية انه هذان خذف الهاء وذهب بجاعة الى أن حرف ان ههنا بمعنى نعم أي نعم هذان روى أن أعرابيا سأل ابن الزبير شيئا خرمه فقال لعن الله ناقة جلتنى البك فقال ابن الزبير ان وصاحبها أي نعم وشدذان كثيرا النون فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهم وتبليها للناس عن اتباع موسى وهرون (يريدان) أي بما يقولان من دعوى الرسالة وغيرها (أن يخرواكم) أي يهلكواكم (من أرضكم) هذه التى القوها وهى وطنكم خلفا

عن سلف (بهرهما) الذي أظهر اه لكم وغيره * ولما كان كل حزب بما لديهم فرحين قالوا
 (ويذهب بطريقكم المثل) مؤث الامثل وهو الافضل أي بذهبكم الذي هو أفضل المذاهب
 باظهار مذهبه واعلامه ليقوله تعالى اني أخاف أن يبدل دينكم وقيل أراد أهل طريقكم
 وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا أبواب علم فيما بينهم لقول موسى أرسل معناني اسرائيل وقيل
 الطريقه اسم لوجوه القوم وأشرفهم من حيث انهم قدوة لغيرهم (فأجمعوا كيدكم)
 أي من السحر وغيره فلا تدعوا منه شيئا الاجتمه به وقرأ أبو عمرو وبهمزة الوصل بين الفاء والجيم
 وفتح الميم والباقون بهمزة مقطوعة وكسر الميم (ثم اتوا) أي اللقاء موسى وهرون (صفا) أي
 مصطفين لانه أهيأ في صدور الرائي * (تنبيه) * اختلفوا في عدد السحرة فقال الكلبي كانوا
 اثنين وسبعين ساحرا اثنين من القبط وسبعون من بني اسرائيل وقال عكرمة كانوا تسعمائة
 ثلثمائة من القرس وثلثمائة من الروم وثلثمائة من الاسكندرانية وقال وهب خمسة عشرة ألفا
 وقال السدي بضعة وثلاثون ألفا وقال القاسم بن سلام كانوا سبعين ألفا وقيل اثني عشر ألفا
 مع كل منهم على كل قول جبل وعصا وأقبلوا عليه اقبالة واحدة وظاهر القرآن لا يدل على شيء
 من هذه الاقوال * ولما كان التقدير في أني كذلك فقد استعلى عطف عليه قوله (وقد أفلح
 اليوم) في هذا الجمع الذي ما اجتمع مثله قط (من استعلى) أي فاز بالمطلوب من غلب فلما أني
 السحرة موسى (قالوا) لهم متأذين لأن الذين القول مع الخصم ان لم ينفع لم يضرب بل نفعهم قال
 بعضهم ولذلك رزقهم الله تعالى الايمان ببركته (يا موسى أمان تلقى) أي مامعك مما تناظرنا به
 أولا (واما أن تكون) نحن (أول من ألقى) مامعه (قال) لهم موسى عليه السلام مقابلا
 لأدبهم بأحسن منه ولانه فهم أن مرادهم الاندء وليكون هو الآخر فتكون له العاقبة
 بتسلط معجزته على سحرهم فلا يكون بعدها شك فلا ألقى أنا أولا (بل ألقوا) أنتم أولا فانتم زوا
 الفرصة لأن ذلك كان مرادهم بما أفهموه من تغيير السياق والتصريح بالاول فآلقوا
 مامعهم من الحبال والعصى (فاذا احبالهم وعصيم) أي التي ألقوها قد فاجأت أنه (يحبل اليه)
 تخيلا مبتدأ (من سحرهم) أي الذي قد فاقوا به أهل الارض (أنها) لشدة اضطرابها
 (تسمى) (فان قيل) كيف يجوز أن يقول موسى عليه السلام بل ألقوا فيما هم بما هو سحر
 (أجيب) بأن ذلك الامر كان مشروطا والتقدير ألقوا ما أنتم ملقون ان كنتم محقين
 كما في قوله تعالى فأنا وبسورة من مثله أي ان كنتم صادقين وفي القصة انهم لما ألقوا الحبال
 والعصى أخذوا أعين الناس قرأى موسى والقوم كأن الارض امتلأت حبات وكانت
 قد أخذت ميلا من كل جانب ودا وأنها تسعى وقيل اطلعوها بالزئيق فلما وقعت عليها
 الشمس اضطربت فحبل اليهم انها تحرك وقرأ ابن ذكوان تخيل بالباء القوقية على
 التانيث والباقون بالياء على اسناده الى ضمير الحبال (فأوجس) أي أحس (في نفسه
 خيفة موسى) عليه الصلاة والسلام (فان قيل) كيف استنعر الخوف وقد عرض
 عليه المعجزات الباهرات كالعصا واليد ثم ان الله تعالى قال له بعد ذلك اني معكم أسع وأرى

فكيف وقع الخوف في قلبه (أجيب) بأوجه أحدها أنه خاف من جهة أن سحرهم من جنس مجزئ أن يلتبس أمره على الناس فلا يؤمنوا به الثاني أنه خوف طبع البشرية مثل ما خاف من عصاه أول مارأها كذلك الثالث لعله كان مامورا أن لا يفعل شيئا إلا بالوحي فلما تأخر نزول الوحي عليه في ذلك الوقت خاف أن لا ينزل عليه الوحي في ذلك الجمع فيبقى الخجل ثم أنه أزال ذلك الخوف بقوله تعالى (قلنا لا تخف) من شيء من أمرهم ولا غيره ثم علل ذلك بقوله تعالى وأكده أنواعا من التأكيد لاقتضاء الحال انكار أن يغلب أحدا ما أظهر وأمن سحرهم لعظمه (انك أنت) خاصة (الاعلى) أى الغالب غلبة ظاهرة لاشبهة فيها (وأتق ما في يمينك) أبهمه ولم يقل عصاك تحقير لها أى لا تنال بكثرة جبالهم وعصيم وأتق العويد الذى في يدك أو تعظميها أى لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمتها فإن في يمينك ما هو أعظم منها أى العصا وهي التى قلنا لك أول ما نثر فتناك بالمناجاة وما تلك يمينك يا موسى ثم أريناك منها ما أريناك (تلقف) أى يتبلغ بقوة واجتهاد مع سرعة لا تسكاد تدريك (ما صنعوا) أى فعلوه بعد تدرب كثير وممارسة طويلة فلما ألقاها صارت أعظم حجة من حياتهم ثم أخذت تزداد عظمتها حتى ملأت الوادى ثم صعدت حتى علفت ذنبها بطرف النخلة ثم هبطت وأكلت كل ما عملوه في الملبين والناس ينظرون اليها لا يحسبون إلا أنه سحر ثم أقبلت تخوفون لتبتلعه فاتحة فاه نحو غنائين ذراعا فصاح موسى فأخذها فاذا هي عصا كما كانت ونظرت السحرة فاذا هي لم تدع من جبالهم وعصيم شيئا إلا أكلته وعرفوا أنه ليس بسحر وأصل تلفظ تلفظ حذف إحدى التامين وناء المضارعة فتحمل التأنيث على اسناد الفعل إلى العصا والخطاب على اسناد الفعل إلى السبب وقرأ ابن ذكوان برفع القاء على الحال أو الاستئناف والباقون بسكونها وحض بسكون اللام وتحذف القاف على أنه من لقفته بمعنى تلفقته (انما) أى الذى (صنعوا) أى زوروا واقهوا وهالك أمره (كيد ساحر) أى كيد سحري لا حقيقة له ولا ثبات وقرأ حمزة والكسائي بكسر السين وسكون الحاء بمعنى ذى سحر أو بتسمية الساحر سحرا على المبالغة أو بإضافة الكيد إلى السحر للبيان كقولهم علم فقه والباقون بفتح السين وكسر الحاء وألف بينهما (فان قيل) لم وحد الساحر ولم يجمع (أجيب) بأن المقصد من هذا الكلام معنى الجنسية لا معنى العدد فلو جمع خيل ان المقصود هو العدد ألا ترى إلى قوله تعالى (ولا يفلح الساحر) أى هذا الجنس (حيث أتى) أى كيف ما سار وقال ابن عباس لا يسعد حيث كان وقيل معناه حيث احتال فانه انما يفعل ما لا حقيقة له (فان قيل) لم نكر أولاً ثم عرف ثانياً (أجيب) بأنه قال هذا الذى أتوا به قسم واحد من أقسام السحر لا فائدة فيه ولا شك ان الكلام على هذا الوجه أبلغ ثم انه امثل ما أمر به ربه من القاء العصا فكان ما وعد به سبحانه من تلفقها ما صنعوا من غير أن يظهروا عليها زيادة في فخ ولا في غيره مع أن جبالهم وعصيم كانت شيئا كثيرا فاعلم كل من رأى ذلك حقيقة وبطلان ما نعل السحرة فبادر السحرة منهم إلى الخضوع لأمرك الله تعالى ساجدين مبادرة من كانه ألقاه ملق على وجهه ولذلك قال تعالى بعد ان ذكر مكرهم واجتهادهم في معارضة موسى عليه السلام وحذف ذكر اللقاء وما يبيحه من التلفظ

لان مقصود السورة القدرة على تليين القلوب القاسية (فألقى السحرة) أي ألقاهم ماراً وامن
 أمر الله تعالى بغاية السرعة وبأسرع أمر (سجداً) على وجوههم لله تعالى توبة عما صنعوا
 وأغبا بالفرعون بسجودهم وقطعاً لما رأوا وذلك لانهم كانوا في الطبقة العليا من علم السحر فلما
 رأوا فعل موسى عليه السلام خارجاً عن صناعتهم عرفوا انه ليس من السحرة البتة ويقال قال
 ربهم كان غلب الناس بالسحر وكانت الآلات تبقى علينا فلو كان هذا سحراً فأين الذي ألقيناه
 فاستدلوا بتغيير أحوال الاجسام على الصانع القادر ونظهوره اعلی يد موسى عليه السلام
 على كونه رسولاً صادقا من عند الله لاجرم تابوا وأمنوا وأنوا بما هو النهاية في الخضوع
 وهو السجود قال الاصباحي سبحانه الله ما أعظم شأنهم ألقوا بحالهم وعصيتهم للكفر والجحود
 ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فأعظم الفرق بين الاقنابين فكانا ثلثا قال هذا
 فقلهم فماذا قالوا فاقبيل (قالوا آمنارب هرون وموسى) ولم يقولوا آمنارب العالمين لان
 فرعون ادعى الربوبية في قوله انار بكم الاعلى والالهية في قوله ما علمت لكم من اله غيري
 قالوا أنهم قالوا ذلك لكان فرعون يقول انهم آمنوا بي لا بغيري فلقطع هذه التهمة اختاروا
 هذه العبارة والدليل على ذلك أنهم لم يقتصروا على موسى بل قدموا هرون لان فرعون ربي
 موسى في صغره فلما اقتصر على موسى أوقدوا ذكوره فرموا نوره ان المراد فرعون وذكر
 هرون على الاستتباع وقيل قدموه لكبر سنه أو لروى الآية فسبحان الله ما أعظم أمرهم
 كانوا أقول النهار سحرة يقرن فرعون بالربوبية وآخره شهداء برزوا في أنهم لم يرفعوا رؤسهم
 حتى رأوا الجنة والنار ورأوا أبواب أهلها وعن عكرمة لما خروا وسجدوا أراهم الله تعالى في
 سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة فكانه قيل ما قال لهم فرعون حينئذ فقل (قال)
 لهم (آمنتم) أي بالله (له) أي مصدقين أو متبعين لموسى (قبل أن أذن لكم) في ذلك قال
 ذلك ايها ما بان له سيادته فيه ليوقف الناس عن المبادرة الى اتباعه بين خوف العقوبة ورجاء
 الاذن ثم استأنف قوله معلماً محبلاً لاتباعه صدق الله عن الاقتداء بالسحرة (انه) أي موسى
 (لكبيركم) أي معلمكم (الذي علمكم السحر) أي فلم تتبعوه لظهور الحق بل لارادتكم شيا من
 المكر وافقتوه عليه قبل حضوركم في هذا الموطن وهذا على عادته في تحييل أتباعه بما يوقعهم
 عن اتباع الحق ولما خيلهم شرع يزيدهم حيرة تهديد السحرة فقال مقسماً (فلا قطعن) أي
 بسبب ما فعلتم (أيديكم) على سبيل التوزيع (وأرجلكم) أي من كل رجل يدا ورجلا وقوله (من
 خلاف) حال يعنى مختلفة أي الايدي اليمنى والارجل اليسرى (ولأصابعكم) وعبر عن
 الاستعلاء بالمطرف اشارة الى تمكينهم في المصاوب عليه تمكين المطرف في نظره فقال (في جذوع
 النخل) تشبيهاً لقتلكم وردعاً لأمثالكم (ولتعلن أياناً) يريد نفسه امنه الله وموسى عليه السلام
 بدليل قوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن بالمؤمنين
 وفيه تعجب باقتداره وقهره وما ألفه وضرى به من تعذيب الناس بأنواع العذاب وتوضيح لموسى
 عليه السلام واستضعاف لمع الهز به لان موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء وقيل يريد رب

موسى الذي امنوا به (أشد عذاباً وأبني) أي أدوم على مخالفته (فان قيل) ان فرعون مع قرب
 عهده بمشاهدة انقلاب العصا فيه وقصده هاله وآل الامر ان استغاث بموسى من شرها وعجزه عن
 دفعها كيف يعقل أن يهدد السحرة ويبالغ في وعيدهم الى هذا الحد ويستهنى بموسى في قوله أينا
 أشد عذاباً وأبني (أجيب) بأنه كان في أشد الخوف في قلبه إلا أنه يظهر الجلادة والوفاحة تمشية
 لنا موسى وترويحاً لأمره قال الرازي ومن استقرى أحوال العالم علم ان الفاجر قد يفعل أمثال
 هذه الاشياء ومعابد على معانده قوله انه لكبيركم الذي عليكم السحر لانه كان يعلم ان موسى
 ما خالطهم البتة وما القيم وكان يعلم من سحره استاذ كل واحد من هو وكيف حصل ذلك العلم ثم
 انه كان يقول مع ذلك هذه الاشياء ثم كانه قبل فما قالوا له فقل (قالوا) له (ان نؤثرلك أي نختارلك
 على ما جئنا) على لسان موسى (من البينات) التي عايناها وعلمنا أنه لا يقدر أحد على مضادتها
 * ولما بدوا بما يدل على الخلق من الفعل ترقوا الى ذكره بعد معرفته بفعله اشارة الى علو قدره
 فقالوا (والذي) أي ولا نؤثرلك بالاتباع على الذي (فطرونا) أي ابتدأ خلقنا اشارة الى شمول
 ربوبية الله تعالى لهم وله ولجميع الناس وتبسيها على عجز فرعون عنده من استخفه وفي جميع
 أقوالهم هذه من تعظيم الله تعالى عبارة واشارة وتحقير فرعون أمر عظيم * (تنبيه) * قد علم مما
 تقرر ان والذي معطوف على ما وانما آخر واذكر الباري تعالى لانه من باب الترقى من الأدنى الى
 الأعلى وقيل الواو قسم والموصول مقسم به وجواب القسم محذوف أي وحق الذي فطرونا
 لا نؤثرلك على الحق * ولما تسبب عن ذلك انهم لا يبالون به وعلموا أن ما يفعله بهم هو باذن الله تعالى
 قالوا له (فاقص) أي فاصنع في حكمك الذي غضبه (ما أنت فاض) أي فاقض الذي أنت فاضيه
 ثم عللوا ذلك بقولهم (انما تقضي) أي تصنع بنا ما تريد ان قدر لك الله عليه (هذه الحبة الدنيا)
 انصب على الاتساع أي انما حكمك فيها على الجسد خاصة فهي ساعة تعقبها راحة ونحوه لا تخاف
 الا من يحكمك على الروح وان في الجسد فذل هو العذاب الشديد الدائم ثم عللوا تعظيم الله تعالى
 واستهانتهم بفرعون بقولهم (انا منا ربنا) أي المحسن البناطول أعمارنا مع اساءتنا بالكفر
 وغيره (ليغفر لنا) من غير نفع يلحقه بالفعل أو ضرر يدركه بالترك (خطايانا) التي قابلنا بها احسانه
 ثم خصوا به العموم فقالوا (وما أكرهنا عليه) وينو ذلك بقولهم (من السحر) لمعارض
 المعجزة فانه كان الاكمل لنا عصيانك فيه لان الله تعالى أحق بأن يتق (فان قيل) كيف قالوا
 ذلك وقد جأوا بمختارين يحلفون بعزة فرعون ان لهم الغلبة (أجيب) بأنه قد روى ان رؤساء
 السحرة كانوا اثنين وسبعين اثنان من القبط والباقون من بني اسرائيل أكرههم فرعون على تعلم
 السحر وروى أنهم رأوا موسى عليه السلام قائماً وعصاه تحرس فقالوا الفرعون ان الساحر اذا
 نام بطل سحره فهذا لا تقدر على معارضته فأبى عليهم وأكرههم على المعارضة وقيل ان الملوك في
 ذلك الزمان كانوا يأخذون البعض من رعيتهم ويكلفونه تعلم السحر فاذا شاخ بعثوا اليه احداً
 ليعلمهم ليكون في كل وقت من يحسنه * ولما كان التقدير فر بنات أهل التقوى وأهل المغفرة
 عطفوا عليه مستخضرين لكاله (والله) أي الجامع لمغات الكمال (خير) جزاء منك فيما وعدتنا

به (وأبني) ثوابا وعقابا قال أبو حيان والظاهر أن الله تعالى سلمهم من فرعون ويؤيده قوله تعالى
 ومن استعكف الغالبون وقال الرازي ليس في القرآن أن فرعون فعل بأولئك القوم المؤمنين
 ما أوعدهم ولم يثبت في الاخبار وقال البقاعي سيأتي في آخر الحديد ما هو صريح في نجاتهم ثم
 عللوا هذا الحكم بقولهم (أنه) أي الامر والشأن (من يأتي ربه) أي الذي ربه وأحسن
 إليه بأن أوجده وجعل له جميع ما يصلحه (محرمًا) بأن يموت على كفره (فإن له جهنم) دار الأهانة
 (لا يموت فيها) فيستريح من عذابها بخلاف عذابك فإن آخره الموت وإن طال (ولا يحيى) فيها
 حياة مهتأة وجهها يشدفع ما قيل أن الجسم الحي لا بد أن يبقى أما حيا أو ميتا فخلقه عن الوصفين
 محال وقال بعضهم إن لنا حالة ثالثة وهي كحالة المذبح قبل أن يهدأ فلا هو حي لأنه قد ذبح
 ذبحا لا تبقى الحياة معه ولا هو ميت لأن الروح لم تفارقه بعد فهي حالة ثالثة (ومن يأتي ربه) أي ربه
 الذي قد أوجده ورباه (مؤمنًا) أي مصدقاه (قد) ضم إلى تصديق الإيمان أنه (عمل) أي في
 الدنيا (الصالحات) أي التي أمر بها فكان صادق الإيمان مستلزما للصالح الأعمال (فأولئك) أي
 العالو الرتبة (لهم الدرجات العلى) جمع علماء مؤث على التي لانسبة لدرجاتك التي أوعدها
 اليها ثم بينوها بقولهم (جنات عدن) أي أعدت للأقامة وهيئت فيها أسبابها (تجري من تحتها
 الأنهار) أي من تحت غرفها وأمرتها وأرضها فلا يراد موضع منها لأن يجري فيه نهر الأجرى
 وقولهم (خالدين فيها) حال والعامل فيها معنى الإشارة والاستقرار (وذلك جزاء) كل
 (من ترك) أي تظهر من أدناس الكفر * (تنبيه) * هذه الآيات الثلاث وهي من قوله أنه من
 يأتي ربه محرمًا إلى هنا يحتمل أن تكون من كلام السحرة كما تقرر وأن تكون ابتداء كلام من
 الله تعالى وقوله تعالى (ولقد آتينا موسى آياتنا وحيينا إلى موسى أن أسر بعبادي) عطف على قوله ولقد آتينا
 آياتنا وفيه دليل على أن موسى عليه السلام كثر مستجيبيه فأراد الله تعالى تمييزهم من طبقة
 فرعون وخلصهم فأوحى إليه أن يسرى بهم ليلا والسرى اسم لسير الليل والأسراء مثله
 والحكمة في السرى بهم ثلاثا يشاهدهم العدو فيمنعهم عن مرادهم أو ليكون ذلك عاقبا
 لفرعون عن طلبه وتبعه أو ليكون إذا تقارب العسكران لا يرى عسكر موسى عليه الصلاة
 والسلام عسكر فرعون لعنه الله فلا يهاونهم وقرأ نافع وابن كثير بكسر النون وهمزة وصل
 بعدها من سرى والباقون بسكون النون وهمزة قطع بعدها من أسرى لقنان أي أسرى بني
 إسرائيل من أرض مصر التي لبنت قلب فرعون لهم حتى أذن لهم في مسيرهم بعد أن كان قد
 أبي أن يطلقهم أو يكف عنهم العذاب فأقصد بهم ناحية بحر القلزم (فأضرب) أي اجعل (لهم)
 بالضرب بعصاك (طريقا في البحر) والمراد بالطريق الخدس فإنه كان لكل سبط طريق وقوله
 (يبسا) صفة لطريقا وصف به لما يؤول إليه لأنه لم يكن يبسا إلا بعد أن مرت عليه الصبا فحقت كما
 روى وقيل في الأصل مصدر وصف به مبالغته وقيل جمع يابس كخادم وخدم وصف به الواحد
 مبالغته فلما امتثل ما أمر به وأيس الله تعالى له الأرض وأراد المرور بها قال الله تعالى له
 (لا تخاف دركا) أي أن يدركك فرعون (ولا تخشى) غرقا وقرأ جزء بجزم الفاء ولا ألف بينها وبين

الخلاء على أن يكون نهما مستأنفا والباقيون برفع الفاء وألف بينهما وبين الخلاء على أنه مستأنف
 فلا محمل لمن الاعراب أو أنه في محمل نصب على الحال من فاعل اضرب أى اضرب غير خائف
 (فأتبعهم فرعون بجنوده) أى وهو معهم على كثرتهم وعلوهم وقوتهم وعزتهم فكانوا كالسابع
 الذى لا معنى له بدون متبوعه والمتبوع بنو اسرائيل وذلك ان موسى خرج بهم أول الليل فأخبر
 فرعون بذلك فقص أثرهم والمعنى فأتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثانى
 وقبل ان الباء زائدة (فغشهم) أى فرعون وقومه (من اليم) أى البحر (ماغشهم) أى أمر
 لا تحتمل العقول وصفه فأهلكهم وقطع دابرهم ولم يبق منهم أحد وما شاك أحد من عبادنا
 المستضعفين شوكه (وأضل فرعون قومه) أى بدعائهم الى عبادته (وما هدى) أى ما أُرشدهم
 وهذا تكذيب لفرعون وتكبر به في قوله وما أهدىكم الا سبيل الرشاد (تنبيه) * لا بأس بذكر شئ
 من هذه القصة فنقول قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم لما أمر الله تعالى موسى أن يقطع
 بقومه البحر وكان بنو اسرائيل استعاروا من قوم فرعون الخيل والدواب ليعبد بخرجون اليه
 فخرج بهم ليلا وكان يوسف عليه الصلاة والسلام عهد اليهم عند موته أن يخرجوا بعظامه
 معهم من مصر فلم يعرفوا مكانها حتى دلتهم بموضع العظم فأخذوه وقال موسى عليه
 السلام للمجوز احتكمى أى انظرى لك الشأ اطلبه فقالت أكون معك في الجنة فلما خرجوا
 تبعهم فرعون وعلى مقدمته ألف ألف وخمسمائة ألف سوى الجنين والقلب فلما انتهى موسى
 الى البحر قال هنا أمرت فأوحى الله تعالى اليه أن اضرب بعصا البحر فصر به فانفلق فقال لهم
 موسى ادخلوا فيه فقالوا كيف وهى رطبة قد حاربه فهبت عليها الصبا لجفت فقالوا اخفاف الفرق
 في بعضنا فجعل بينهم كوى يرى بعضهم بعضا ثم دخلوا حتى جاوزوا البحر وأقبل فرعون الى تلك
 الطرق فقال له قومه ان موسى قد هجر البحر كما ترى وكان على فرس حصان فأقبل جبريل عليه
 السلام على فرس أبيض فى ثلاثة وثلاثين من الملائكة فصار جبريل بين يدي فرعون فأبصر الحصان
 الفرس فاقبحم بفرعون على اثرها فصاحت الملائكة فى الناس الحقوا حتى اذا لحق آخرهم وكاد
 أولهم أن يخرج البحر عليهم فغرقوا فرجع بنو اسرائيل حتى ينظروا اليهم وقالوا يا موسى
 ادع الله يخرجهم لنا حتى ننظر اليهم فلفظهم البحر الى الساحل وأصابوا من سلاحهم وذكار ابن
 عباس أن جبريل قال يا محمد لو رأيتنى وانا أأدس فى فرعون الماء والطين مخافة أن يتوب فهذا
 معنى قوله تعالى فغشهم من اليم ما غشهم * ولما أنعم الله تعالى على قوم موسى عليه السلام
 بأنواع النعم ذكر أولادهم تلك النعم فسادها بقوله تعالى (يا بني اسرائيل) والمشايد من وجد من
 اليهود فى زمن النبی صلی الله عليه وسلم وخو طوبوا بما أنعم به على أجدادهم زمن موسى عليه
 السلام ولا شك أن ازالة الضرر يجب تقديها على ايصال المنفعة و ايصال المنفعة الدينية أعظم
 من ايصال المنفعة الدنيوية فلهذا بدأ تعالى بازالة الضرر بقوله (قد أنقيناكم من عدوكم) فان
 فرعون كان ينزل بهم من أنواع القلم كثيرا من القتل والاذلال والخراج والاعمال الشاقة ثم فنى
 بذكر المنفعة الدينية بقوله تعالى (وواعدناكم جانب الطور الايمن) أى الذى على أيمنكم فى

توجهكم هذا الذي وجوهكم فيه الى بيت ابيكم ابراهيم عليه السلام وهو جابه الذي يلي البحر
وناحية مكة واليمن ووجه المنفعة فيه أنه أنزل في ذلك القرب عليهم كتابا فيه بيان دينهم وشرح
شريعهم ثم ثلث بذكر المنفعة الدنيوية بقوله (وأنزلنا عليكم) بعد انزال هذا الكتاب في هذه
المواصلة لانعاش أرواحكم (المن) أي الترغيبين (والسلوى) أي الطير السحابة بتخفيف الميم
والقصر وقوله تعالى (كلوا من طيبات ما رزقناكم) أمر ابا حنيفة ان يفسر الطيب بالذي لا يذللان المني
والسلوى من لذائذ الاطعمة وان يفسر بالحلال لان الله تعالى أنزله اليهم ولم يغسه يد آدميين
فهو أمر ايجاب وقرأ حنيفة والكسائي قد أنجيناكم ووعدناكم ما رزقناكم بانه مضمومة بعد
التحسية من أنجيناكم وبعد الدال من وعدناكم وبعد القاف من رزقناكم ألف في الثلاثة والباقون
بالنون وألف بعده في الثلاثة وأسقط أبو عمر والالف قبل العين من وعدناكم وأثبتها الباقون * ثم
زجرهم عن العصيان بقوله تعالى (ولا تطغوا فيه) أي فيما رزقناكم بالاخلاق بشكركم والتعدي بما
حد الله لكم فيه من السرف والبطر والمنع عن المستحقين وقرأ الكسائي (فيصل) بضم الحاء أي
ينزل والباقون بكسرها أي يجيب (عليكم غضبي) أي عقوبتي (ومن يحمل عليه غضبي فقد هوى)
أي هلك وقيل شقي وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي بضم اللام الاولى وكسرها الباقيون
* ولما كان الانسان محل الزلل وان اجتهد وجاء واستعطفه بقوله سبحانه (واني لغفار) أي
ستار باسبال ذيل العفو (لمن تاب) أي رجع عن ذنوبه من الشرك وما يقابره (وآمن) بكل ما يجب
الايمان به (وعمل صالحا) تصديقا لايامانه (ثم اهتدى) باستمراره على ذلك الى موته * (فائدة) * اعلم
أنه تعالى وصف نفسه بكونه غافرا وغفورا وغفارا وغفارا وبأن له غفرا ما ومغفرة وعبر عنه بلفظ الماضي
والمستقبل والامر أما وصف كونه غافرا فقوله تعالى غافر الذنب وأما كونه غفورا فقوله
تعالى وربك الغفور وأما كونه غفارا فقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وأما الغفران فقوله
تعالى غفرانك ربنا وأما المغفرة فقوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس وأما صيغة الماضي
فقوله تعالى في حق داود عليه السلام فغفرنا له وأما صيغة المستقبل فقوله تعالى ويغفر
مادون ذلك لمن يشاء وقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وقوله تعالى في حق نينا صلى الله عليه
وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وأما لفظ الاستغفار فقوله تعالى استغفروا ربكم
ويستغفرون لمن في الارض ويستغفرون للذين آمنوا (وههنا نكتة لطيفة) وهي ان العبد له
أسماء ثلاثة الظالم والظالم والظلام اذا كثرت منه الظلم ولله تعالى في مقابلة كل واحد من هذه
الاسماء اسم فكانه تعالى ان كان ظالما فانا غافرا وان كنت ظلوما فانا غفورا وان كنت ظلاما
فانا غفار فيجب على كل من ارتكب معصية كبيرة أو صغيرة أن يتوب منها لهذه الآية وتودلت على
أن العمل الصالح غير داخل في الايمان لانه تعالى عطف العمل الصالح على الايمان والمعطوف
يشير الى المعطوف عليه * ولما أمر تعالى موسى عليه السلام بحضور الميقات مع قوم مخصوصين
قال المفسرون هم السبعون الذين اختارهم الله تعالى من جملة بني اسرائيل ليذهبوا معه
الى القور ليأخذوا النور وانصارهم موسى ثم جعل موسى عليه السلام من بينهم شوقا الى ربه

وخلف السبعين وأمرهم أن يتبعوه الى الجبل فقال تعالى له (وما أجلك عن قومك) أي لمجي
 معاد أخذ التوراة (يا موسى قال) بحسب ربه تعالى (هم أولاء) أي بالقرب مني ياتون (على أترى)
 أي ما شئت على آثار مشي قبل أن ينطمس وما تقدمتم الا بخطايسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني
 وبينهم الامسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم على بعض (وعجلت اليك رب لترضى) أي لترداد
 عني رضا فان المسارعة الى امتثال أمرك والوفاء بعهدك يوجب مرضاتك * (تنبيه) * في
 الآية سوالات الاول قوله تعالى وما أجلك استفهام وهو على الله تعالى محال وأجيب عنه بأنه
 كان في صورة الاستفهام ولا مانع منه الثاني أن موسى عليه السلام لا يخلو اما أن يكون ممنوعا
 من ذلك التقدم أو لم يكن فان كان الاول كان التقدم معصية وان لم يكن فلا انكار وأجيب
 عنه بأنه عليه السلام لعلمه ما وجد نصافي ذلك فاجتهدوا خطأ في اجتهاده فاستوجب العقاب
 الثالث قوله وعجلت والعجلة مذمومة أجيب عنه بأنها مدوحة في الدين قال تعالى وسارعوا الى
 مغفرة من ربكم الرابع قوله لترضى يدل على أنه انما فعل ذلك ليحصل الرضا واذ لم يكن راضيا عنه
 وجب أن يكون ساخطا عليه وذلك لا يليق بحال الانبياء عليهم السلام أجيب عنه بأن المراد
 تحصيل دوام الرضا وزيادته كما مر الخامس قوله اليك يقتضى كون الله تعالى في جهة لان الى
 لانه الغاية وأجيب عنه بأننا افقنا على أن الله تعالى لم يكن في الجبل فالمراد مكان وعيدك
 السادس قوله تعالى ما أجلك عن قومك سؤال عن سبب العجلة فكان جوابه اللاتق به أن
 يقول طلب زيادة رضاك والتشوق الى كلامك وأما قوله هم أولاء على أترى فغير منطبق عليه
 كما ترى أجيب عنه بأن سؤال الله تعالى يتضمن شيئين أحدهما انكار نفس العجلة والثاني
 السؤال عن سبب التقدم فأجاب عن السؤال عن العجلة لانها أهم فقال وعجلت اليك رب
 لترضى (قال تعالى فانا) أي تسبب عن عجلتك عنهم أنا (قد قمنا) أي ابتلينا (قومك من بعدك)
 أي بعد فراقت لهم بعبادة العجل وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف وما نتج من
 عبادة العجل منهم الاثنا عشر ألفا (وأضلهم السامري) بالتخاذل العجل والدعاء الى عبادته
 فأطاعه بعضهم وامتنع بعضهم والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لهم
 السامرة وقيل كان علبا من أهل كرمان وقع الى مصر وقيل كان من قوم يعسدون البقر
 جيران لبني اسرائيل ولم يكن منهم واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا (فرجع موسى) لما أخبره ربه
 بذلك (الى قومه) بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ليل من ذى الحجة وأخذ التوراة
 (غضبان عليهم أسفا) أي حزينا بما فعلوا (قال) أي لقومه لما رجع اليهم مستغظا لهم (يا قوم)
 وأنكر عليهم بقوله (أريدكم ربكم) أي الذي أحسن اليكم (وعدا حسنا) أي بأنه ينزل
 عليكم كبا حافظا ويكفر عنكم خطاياكم وينصركم على أعدائكم الى غير ذلك من اكرامه * ولما
 جرت العادة بأن طول الزمان ناقض للعزائم مغير للعهود كما قال أبو العلاء أحد بن سليمان المعري
 لأنسنيك ان طال الزمان بنا * وكما حبيب تجادى عهد فنتسى
 قال لهم (أطفال عليكم العهد) أي زمن لطف الله تعالى بكم فتغيرتم ها ما فرقتكم عليه كما تغير أهل

الردائل والاختلال في العزائم لضعف العقول وقلة التدبر (أم أردتم) أي بالقض مع قرب
العهد وذكر الميثاق (أن يحل) أي يجب (عليكم) بسبب عبادة العجل (غضب من ربكم) الحسن
اليكم أي وكلال الامر ين لم يكن أما الأول فواضح وأما الثاني فلا يظن بأحد ارادته والحاصل
انه يقول فلعلم ما لا يفعله عاقل (فأخلفتم) أي فنسبب عن فعلكم ذلك ان أخلفتم (موعدي) أي
وعدم أي اي بالنسبة على الايمان بالله والقيام على ما أمركم به ولما تشوف السامع الى جوابهم
استأنف ذكره فقال (قالوا ما أخلفنا موعداً بملكنا) أي بأن ملكاً أمرنا اذ لو خلدنا وأمرنا ولم
يسؤل لنا السامري لما أخلفناه واختلف في هذا الجيب على وجهين الاول هم الذين لم يعبدوا
العجل فكانهم قالوا ما أخلفنا موعداً بملكنا أي بأمر كتمانكم وقد يضيف الرجل فعل قرينه الى
نفسه كقوله تعالى واذا قرنا بكم البحر واذا قلتم نفساوان كان الفاعل لذلك آباءهم لاهم
فكانهم قالوا الشبهة قوية على عبدة العجل فلم تقدر على منعهم عنه ولم تقدر أيضاً على مفارقتهم
لاناخذنا أن بصير ذلك سبباً لوقوع النفرة وزيادة الفتنة الثاني ان هذا قول عبدة العجل والمراد
أن غيبناً وقع الشبهة في قلوبنا وفاعل السبب فاعل المسبب فخلق الوعد هو الذي أوقع الشبهة
فانه كان كالمالك لنا (فان قيل) كيف كان رجوع قريب من ستمائة ألف انسان من العقلاء
المكلفين عن الدين الحق دفعة واحدة الى عبادة عجل يعرف فسادها بالضرورة (أجيب) بأن
هذا غير ممنوع في حق البله من الناس وقرأعاصم ونافع بفتح الميم وحزرة والكسائي بضمها
والباقون بكسرهما وثلاثهما في الاصل لغات في مصدر ملكت الشيء ثم ان القوم فسر والضرر
الحاصل لهم على ذلك الفعل فقالوا (ولكنا جلدنا) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحض بضم
الحاء وكسر الميم مشددة وأبو عمرو وشعبة والكسائي بفتح الحاء والميم مخففة (أوزاراً)
أي أثقالاً (من زينة القوم) أي حلى قوم فرعون استعارها منهم بنو اسرائيل بسبب عرس
وقيل استعارها العبدان لهم ثم لم يردوها عند الخروج مخافة أن يعلموا به وقيل هي ما ألقاهم البحر
على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه قال البيضاوي ولعلمهم سموها أوزار لانها أثام فان الغنائم
لم تكن تحمل بعد ولا منهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن أن يأخذ من مال الحربي (فقدفناها)
أي في النار (فكذلك أتى السامري) أي ما كان معه ائمان المال أو من أثر الرسول روى
أن موسى عليه السلام لما وعد به أن يكلمه استخلف على قومه أخاه هرون وأجلهم ثلاثين
يوماً وذهب فضاهاهم بليلها ونهارها ثم كره أن يكلم ربه ويرى فيه متغير فضع شيئاً من نبات الارض
فقال له ربه أو ما علمت ان ربح الصائم أطيب من ربح المسك ارجع قسم عشرين وقيل انهم
أثموا بعد مفارقتهم عشرين ليلة وحسبوا أربعين بأيامها وقالوا قد كملت العدة فلما رأى
قوم موسى أنه لم يرجع اليهم ساءهم ذلك وكان هرون قد خطبهم وقال انكم خرجتم من مصر
ولقوم فرعون عندكم عوارفاً حراً واحرة والقوها في هائم وقدوا عليها ناراً فلا يكون لنا
ولا لهم وكان السامري قد رأى أثر قبض منه قبضة فزهرهون فقال لياسامري ألا تلتقي ماني
يدك فقال هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر ولا ألقيا على شيء إلا أن تدعوا الله

اذا اُلقيتم ان يكون ما أريد فأتاها ودعا له هرون فقال أريد أن يكون عجلا فاجتمع ما في الحفرة
 وصار عجلا فهذا معنى قوله تعالى (فأخرج لهم عجلا جسدا) من ذلك الحلي المذاب له جوف
 ليس فيه روح (له خوار) أي صوت يسمع قال ابن عباس لا والله ما كان له صوت قط وإنما
 كان الریح يدخل في دبره فيخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلك وقيل انه صاعه ووضع
 التراب بعد صوغه في فمه (فقالوا) أي السامري ومن اقتن به أقر ماراً ومشريرين إلى
 العجل (هذا الهكم واله موسى ففسى) أي ففسى موسى وذهب يطلبه عند الطوراً وفسى
 السامري أي ترك ما كان عليه من الايمان (أفلا يرون) أي قالوا ذلك فتنسب عن قولهم عليهم
 عن روية (أن) أي انه (لا يرجع اليهم قولا) والاله لا يكون ابكم (ولايك لهم ضرا) فيخافوه كما
 كانوا يخافون فرعون فيقولون ذلك خوفا من ضرره (ولانفعاً) فيقولون ذلك رباه (ولقد قال
 لهم هرون من قبل) أي قبل رجوع موسى مستعظا لهم (يا قوم انما فتنتم) أي وقع اختباركم
 فاختبرتم في صحة ايمانكم وصدقكم فيه وثباتكم عليه (به) أي بهذا العجل في اخراجه لكم
 على هذه الهيئة الخارقة للعادة وأكدا لاجل انكارهم فقال (وان ربكم) أي الذي أخرجكم من
 العدم ورباكم بالاحسان (الرحمن) وحده الذي فضله عام ونعمه شاملة فليس على بر ولا فاجر نعمة
 الا وهي منه تعالى قبل أن يوجد العجل وهو كذلك بعده ومن رحمته قبول التوبة تغافوا عن نعمته
 بمعصيته وارجوا اسبابها بطاعته (فاتبعوني) بغاية جهدكم في الرجوع اليه (وأطيعوا أمرى)
 أي في الثبات على الدين (قالوا لن نرجع عليه) أي العجل (عاقبين) أي مقبين (حتى يرجع
 الينا موسى) ندافعهم فهو اياه وكان معظمهم قد ضل فلم يكن معه من يقوى بهم تغاف أن يجاهد
 بهم الكفار فلا يقصد ذلك شيأ مع أن موسى لم يأمره بجهاذ من ضل وإنما قال له وأصلح ولا تتبع
 سبيل المفسدين فرأى من الإصلاح اعتزالهم إلى أن يأتي * (تنبيه) * انما قال هرون ذلك شفقة
 على نفسه وعلى الخلق أما شفقه على نفسه فلا أنه كان مأمورا من عند الله بالامر بالمعروف
 والنهي عن المنكر وكان مأمورا من عند أخيه بقوله اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل
 المفسدين فلم يشتغل بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لكان مخالفا لالامر الله تعالى ولا امر
 موسى وذلك لا يجوز وأمر الله تعالى إلى يوشع بن نون اني مهلك من قومك أربعين ألفا من
 خيارهم وماتت ألف من شرارهم فقال يارب هؤلاء الاشرار فما بال الاخبار قال انهم لم يغيضوا
 لغضبي وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح وهمه غير الله فليس من الله في شيء
 ومن أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم وعن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يهتم
 المؤمنين في نواذهم وتراجهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد
 ومن عبد الله بن أبي أوفى قال خرجت أريد النبي صلى الله عليه وسلم فاذا أبو بكر وعمر عنده
 فجاء صغير يبكي فقال لعمر ضم الصبي اليك فانه ضال فاخذ عمر واذا أم الصبي تولول كاشقة
 عن رأسها جزعا على انها انفصل النبي صلى الله عليه وسلم أدبها المرأة فناداها غامات وأخذت
 ولدها وجعلت تبكي والصبي في حجرها قالت ففتت فرأت النبي صلى الله عليه وسلم فاستحييت فقال

النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك أتروا هذه رحمة بولدها قالوا يا رسول الله كفى بهذا وجهه فقال
 والذي نفسي بيده أن الله أرحم بالأمم من هذه بولدها ولقد سلك هرون في موطنه أحسن
 الوجوه لأنه زجرهم عن الباطل أولاً بقوله أنا فتنم به ثم دعاهم إلى معرفة الله ثانياً بقوله وأن ربكم
 الرحمن ثم دعاهم ثالثاً إلى التوبة بقوله فاتبعوني ثم دعاهم رابعاً بقوله وأطيعوا أمرى وهذا هو
 الترتيب الجيد لأنه لا بد قبل كل شيء من إمامة الأذى عن الطريق وهو إزالة الشبهات ثم معرفة
 الله تعالى فأنتم أهى الأصل ثم النبوة ثم الشريعة فنبت أن هذا الترتيب أحسن الوجوه لأنه
 زجرهم عن الباطل أولاً * ولما ذكر تعالى ما قال هرون تشوقت النفس إلى علم ما قال موسى
 ففصل (قال باهرون) أنت نبي الله وأخي ووزيري وخليفة فأتت أولى الناس بأن أولمه
 وأخفهم بأن أعاتبه (مامعك أذ) أي حين (وأيتهم ضلوا) عن طريق الهدى واتبعوا سبيل
 الردى (أن لا تتبعني) في سبقي من الأخذ على يد الظالم طوعاً أو كرهاً (تنبه) * لا مزبذلة للتأكد
 لأن الثاني إذا زيد في كلام كان ناقلاً مضموناً فنفيد إثباتاً للمضمون ونضامضده فيكون ذلك
 في غاية التأكد وأثبت الياء بعد التون ابن كثير وقفار وصلوا وأثبتنا نافع وأبو عمرو وصلوا وقفا
 وحذفها الباقون وصلوا وقفار (أنعصت) أي فتكبرت عن اتباعي فتسبب عن ذلك أنك عصيت
 (أمرى) وأخذ بلحيته برأسه يجره إليه غضبا لله تعالى فكانه قيل ما قال له فقيل (قال) بحجابه
 مستعظاً بذكر أول وطن ضمهما بعد تفتح الروح مع ما له من الرقة والشفقة (يا ابن أم) فذكره بها
 خاصة وإن كان شقيقه لأنها يسوءها ما يسوءه وهي أرق من الأب وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو
 وحفص بفتح الميم وكسرهما ابن عامر وشعبة وحزرة والكسائي (لا تأخذ بلحيتي ولا رأسي) أي
 بشعرهما * ثم عطف ذلك بقوله (إني خشيت أن تقول) إذا شددت عليهم حتى يصل الأمر إلى
 القتال (فرقت بيني وبين إسرائيل) بهلاك هذا الذي لم يجد شياً لقله من كان معك وضعفك
 عن ردكم (ولم ترقب قولي) أخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولم تقل واردهم
 ولو أدنى الأمر إلى السيف * ولما فرغ من نصيحة أقرب الناس إليه وأحقهم بنصيحته
 وحفظه على الهدى إذا كان رأس الهداة تشوق السامع إلى ما كان من غيره فاستأنف تعالى
 ذكره بقوله (قال) أي موسى عليه السلام لرأس أهل الضلال معرضاً عن أخيه بعد قبول عذره
 بإعلام ما نسب إليه سبيل السؤا له عن الحامل له عليه (فما خطبك) أي أمر لك هذا العجب العظيم
 الذي جئت على ما صنعت وأخبرني ربي أنك أضللتهم به (يا سامري قال) السامري يحجبه الله
 (بصرن) من البصر والبصيرة (عالم يصروا به) أي رأيت ما لم يربوا إسرائيل وعرفت ما لم يعرفوا
 وقال ابن عباس علمت ما لم يعلموا ومنه قولهم رجل بصير أي عالم قاله أبو عبيدة وأراد أنه رأى
 جبريل عليه السلام فأخذ من موضع حافر دابته قبضة من تراب كما قال (فقبضت) أي فكان
 ذلك سبباً لأن قبضت (قبضة) أي مرة من القبض أطلقها على القبضوش تشبهها لا يفعل بالمصدر
 (من أثر) فمن ذلك (الرسول) أي المهود (فنبذتها) أي في الحسلى الملقى في النار وفي المجهل
 (وكذلك) أي وكما سألني نفسي أخذت من (سؤلت) أي حسنت وزيت (إني نفسي) نذها في

الحلى فثبتتم او كان منها ما كان ولم يدعى الى ذلك داع ولا حلى عليه حامل غير التوسيل
 * (تنبيه) كون المراد بالرسول جبريل عليه السلام هو ما عليه عامة المفسرين وادبائه
 التراب الذي اخذته من موضع حافر دابته لما رآه يوم فلق البحر وعن علي رضي الله تعالى عنه
 ان جبريل عليه السلام لما نزل ليذهب بعوسي الى الطور ابصره السامري من بين الناس
 واختلفوا في أنه كيف اختص السامري برؤية جبريل عليه السلام ومعرفة من بين
 الناس فقال ابن عباس في رواية الكشي انما عرفه لانه رياه في صغره وحفظه من القتل حين امر
 فرعون بذبح اولاد بني اسرائيل فكانت المرأة اذا ولدت طرحت ولدها حيث لا يشهر به آل
 فرعون فتأخذ الملائكة الولدان ويربونهم حتى يتعرعوا ويحتلطوا بالناس فكان السامري
 ممن اخذته جبريل عليه السلام وجعل كف نفسه في فيه وارضع منه العسل واللبن فلم يزل
 يحتف اليه حتى عرفه فلما رآه عرفه قال ابن جريج فعلى هذا قوله بصرت بما لم يصروا به يعني
 رأيت ما لم يروه ومن فسر الابصار بالعلم فهو صحيح ويكون المعنى علمت أن تراب فرس جبريل
 عليه السلام له خاصية الاحياء قال أبو مسلم ليس في القرآن نص صريح بهذا الذي ذكره المفسرون
 فهمنا وجه آخر وهو أن يكون المراد بالرسول موسى عليه السلام وبأثره رسمة الذي أمر
 به فقد يقول الرجل ان فلانا يفتقوا أثر فلان ويقتص أثره اذا كان يمثل رسمة والتقدير أن موسى
 عليه السلام لما أقبل على السامري باللوم والمسئلة عن الامر الذي دعاه الى اضلال القوم في
 العمل قال بصرت بما لم يصروا به أي عرفت أن الذي أنتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضت قبضة
 من أثرك أي الرسول أي شيأ من دينك فقد فته أي طرحته فعند ذلك أعلمه موسى عليه السلام
 بما لمن العذاب في الدنيا والآخرة وانما ورد لفظ الاخبار عن غائب كما يقول الرجل لرئيسه
 وهو مواجه ما يقول الامير في كذا أو عبادا يا امر الامير وأما ادعائه ان موسى رسول
 معجده وكفروه فعلى مذهب من حكى الله فيه قوله يا أيها الذي نزل عليه الذكراكم لجنون وان
 لم يؤمنوا بالانزال قال الرازي وهذا القول الذي ذكره أبو مسلم ليس فيه الا أنه مخالف للمفسرين
 ولكنه أقرب الى التحقيق لوجوه أحدها أن جبريل عليه السلام ليس معهودا باسم الرسول
 ولم يجز له فيما تقدم ذكر حتى يجعل لام التعريف اشارة اليه فاطلاق لفظ الرسول لا رادة لجبريل
 كتأنيده تكلف بعلم الغيب وثانيها أنه لا بد فيه من الاضمار وهو قبضة من أثر حافر دابة
 الرسول والاضمار خلاف الاصل وثالثها أنه لا يتم التعسف في بيان أن السامري كيف
 اخنص من بين جميع الناس برؤية جبريل ومعرفة وكيف عرف أن تراب حافر فرسه له هذا
 الاثر والذي ذكره من أن جبريل هو الذي رياه فبعد لان السامري ان عرف أنه جبريل حال
 كمال عقه له عرف قطعاً ان موسى نبى صادق فكيف يحاول الاضلال وان كان ما عرفه حال
 البسوخ فاني نفعه كون جبريل مريباً له حال الطفولية في حصول تلك المعرفة * ثم ان موسى
 عليه السلام لم يسمع من السامري ما ذكر (قال) له (فأذهب) أي فتسبب عن فعلك ان أقول
 لك اذهب من بيتنا وحيث ذهبت (فان لك في الحياة) أي ملامت حيا (أن تقول) لكل من

رأيته (الاماسم) أى لا تمسنى ولا أمسك فلا تقدر أن تنفك عن ذلك فكان بهم في البرية مع
 الوحوش والبهائم. وإذا أمس أحد أو مسه أحد جابجا معا عنه الله تعالى بذلك وكان
 إذا لى أحد يقول لامساس أى لا تقربنى ولا تمسنى وقال ابن عباس لامساس لك ولوليك حتى
 أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك وإذا أمس أحد من غيرهم أحد منهم جابجا في ذلك الوقت
 (وأن لك) بعد المات (موعدا) للثواب إن تبت والعقاب إن آيت (لن تخلفه) قرأ ابن كثير وأبو
 عمرو بكسر اللام أى لن تغيب عنه والباقون يفهمها أى بل تبعث اليه فلا تنفك لك عنه كما أنك
 في الحياة لا تقدر أن تنفك عن النقرة من الناس فاختر نفسك ما يحلو * ولما ذكر ما لاله الحق
 من القدرة التامة في الدارين أتبعه عجز الجمل فقال (وانظر الى الهك) أى برعك (الذى ظلت)
 أى دمت في مدة يسيرة جدا بما أشار اليه تخفيف التضعف فان أصله ظلت بلامين أولاها
 مكسورة حذف تخفيفا (عليه عاكفا) أى مقبعا تبعده (لن تحرقه) أى بالنار وبالبرد قال الباقى
 كما سلف عن نص التوراة وكان معنى ذلك أنه أجاء حتى لان فهان على المبادر انتهى
 (ثم لتنسقنه) أى لتذريه إذا صار بحالة (فى اليم) أى فى البحر الذى أغرق الله تعالى فيه آل
 فرعون ثم يجمع الله تعالى سبحانه التى هى من حلهم فيحيمها فى نار جهنم ويكويهم بها ويجعلها
 من أشد العذاب عليهم وأكدا فعل اطهار العظمة الله تعالى الذى أمره بذلك وتحقيقا للصدق
 فى الوعد فقال (نسفا) قال الجلال المحلى وفعل موسى عليه السلام بعد ذبحه ما ذكره انتهى وعلى
 هذا لا يصح أن يبرد بالبرد قال الرازى ويمكن أن يقال صار لحما ودماء ذبح ثم بردت عظامه بالبرد
 حتى صارت بحيث يمكن نسفها * ولما أراهم بطلان ما هم عليه بالعين أخبرهم بالحق على
 وجه المحصر فقال (انما الهكم الله) أى الجامع لصفات الكمال ثم كشف المراد من ذلك
 وحقيقه بقوله (الذى لا اله الا هو) أى لا يصلح لهذا المنصب أحد غيره لانه (موضع كل شئ) وقوله
 (علما) تمييز محمول عن الفاعل أى أحاط علمه بكل شئ فنكل شئ اليه بمقتدر وهو غنى عن كل شئ وأما
 الجمل الذى عبدوا فلا يصلح للالهية بوجه ولا فى عبادته شئ من حق * ولما شرح الله تعالى قصة
 موسى عليه السلام مع فرعون أولاً ثم مع السامرى ثانيا على هذا الاسلوب الاعظم والسبيل
 الاقوم كان كانه قيل هل يعاد شئ من القصص على هذا الاسلوب البديع والمثال الرفيع
 فقيل نعم (كذلك) أى مثل هذا القصص العالى فى هذا النظم العزيز العالى قصة موسى ومن
 ذكره معه (نقص عليك من أنباء) أى أخبار (ما قد سبق) من الامم زيادة فى علمك واجلالا
 لمقدرك وتسلية لقلبك وازها بالخرنك بما اتفق للرسول من قبلك وتكثير الينباتك وزيادة فى
 مهجرتك ولتعتبر السامع ويرداد المستبصر فى دينه بصيرة وتنا كدا لجة على من عاند وكابر (وقد
 أنبأك) أى أعطينا لتشرىفا لك وتعظيما لقدرك (من لدنا) أى من عندنا (ذكرنا) أى كنا هو
 القرآن وفى تسمية القرآن بالذكر وجوه أحدها أنه كتاب فيه ذكر ما يحتاج اليه الناس من أمر
 دينهم ودنياهم وثانيها أنه يذكر فيه أنواع آلاء الله ونعماته وفيه التذكير والموعظة والثالث انه فيه
 المذكر والشرف لك ولقومك كما قال تعالى وانه لك ولقومك وسعى الله تعالى كل كتاب

أَنْزَلَهُ ذِكْرَ أَفْقَالٍ فَاسْتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ وَالتَّكْوِينِ فِيهِ التَّحْفِيمُ فَانْجَلَّ عَلَى أَسْرَارِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى
 الْمَنْزِلَةِ (مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ) فَلَمْ يَوْمِنْ بِهِ (فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا) أَيْ حِمْلًا ثَقِيلًا مِنَ الْأَثَمِ (حَالِدِينَ
 فِيهِ) أَيْ فِي عَذَابِ الْوُزْرِ (وَسَاءَ) أَيْ وَبِئْسَ (لَهُمْ) أَيْ ذَلِكَ الْحِمْلُ (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وَقَوْلُهُ (حَالِدِينَ) مُبَيِّنٌ
 مُفسِّرٌ لِلضَّحِيرِ فِي سَاءِ وَالْخُصُوصِ بِالذَّمِّ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ وَزَرَهُمْ وَاللَّامُ لِلْبَيَانِ مَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ كَانَ
 مَذْكُورًا بِكُلِّ مَا يَرِيدُ مِنَ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ وَيُبدَلُ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ (يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ) أَيْ الْقُرْنِ
 النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ وَقُرْأُوهُمُ وَبُنُوفُنِ الْأَوَّلَى مَفْتُوحَةٌ وَضُمُّ الْفَاءِ عَلَى اسْمَادِ الْفِعْلِ إِلَى الْأَمْرِ بِهِ
 تَغْطِيهِ أَوْ إِلَى النَّافِعِ وَالْبَاقُونَ بِسَاءٍ مضمومة وفتح الفاء (وَيَحْمِلُونَ الْجَزْمَ مِنْ) أَيْ الْكَافِرِينَ
 (يَوْمَئِذٍ زُرُوا) أَيْ عِيُونُهُمْ مَعَ سَوَادِ وُجُوهِهِمْ لِأَنَّ زُرُقَةَ الْعِيُونِ أَبْغَضُ شَيْءٍ مِنَ الْأَوَانِ
 الْعِيُونُ إِلَى الْعَرَبِ لِأَنَّ الرُّومَ أَعْدَاؤُهُمْ وَهُمْ زُرُقُ الْعِيُونِ وَلِذَلِكَ قَالُوا فِي صِفَةِ الْعَدُوِّ وَأَسْوَدَ
 الْكَبْدِ أَصْهَبَ السَّبَالِ أَزْرَقَ الْعَيْنِ وَقِيلَ الْمُرَادُ الْعَمَى لِأَنَّ حَذَقَهُ مِنْ يَذْهَبُ نَوْبُهُمْ زُرُقُ
 وَقِيلَ عَطَانًا حَالِ كَوْنِهِمْ (يَتَخَفَتُونَ) أَيْ يَحْفُضُونَ أَصْوَاتَهُمْ (بَيْنَهُمْ) لِمَا يَلْبِغُ لَمَحَاضِدَهُمْ مِنَ الرَّعْبِ
 وَالْهَوْلِ وَالْخَفِيفُ خَفَضَ الصَّوْتَ وَخَفَاؤُهُ (أَنْ) أَيْ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَا (لَيْتُمْ) أَيْ يَكْتُمُونَ
 (الْأَعْرَافَ) أَيْ مِنَ اللَّيَالِي بِأَيَّامِهَا فِي الدُّنْيَا وَقِيلَ فِي الْقُبُورِ وَقِيلَ بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ وَهُوَ مُقَدَّرٌ أَوْ بَعْضُهُ
 سَنَةٌ قَالُوا ذَلِكَ أَمَّا اسْتِقْصَارُ الْمُدَّةِ الرَّاحَةِ فِي جَنْبِ مَا بَدَأَ لَهُمْ مِنَ الْخَوَافِ لِأَنَّ أَيَّامَ السَّرُورِ وَقَصَارِ
 وَأَمَّا لَهَا ذَهَبَ عَنْهُمْ وَانْقَضَتْ وَالذَّاهِبُ وَإِنْ طَالَتْ مُدَّتُهُ قَصِيرَةً بِالْإِتْمَاعِ وَمِنْهُ تَوَقُّعُ عَبْدِ اللَّهِ
 ابْنِ الْمُعْتَزِّ طَالَ اللَّهُ تَعَالَى بِقَامِلِهِ كُنِيَ بِالْإِتْمَاعِ قَصُرَ أَوْ أَمَّا لَاسْتَطَاعَتُهُمْ الْآخِرَةَ فَإِنَّهُ يَسْتَقْصِرُ بِهَا
 عَمْرَ الدُّنْيَا وَيُقَالُ لَبِثَ أَهْلُهَا فِيهَا بِالْقِيَاسِ إِلَى لَبِثِهِمْ فِي الْآخِرَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ
 عُدُدَ سَنِينَ قَالُوا الْبُشَايَا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ فَاسْتَلِ الْهَادِينَ وَامَّا غَلْطُهُ وَهَسْبُهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (فَنَحْنُ
 أَعْلَمُ) أَيْ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ (بِمَا يَقُولُونَ) فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَيْ لَيْسَ كَمَا قَالُوا (أَذْبَقُولُ أَمْ لَهُمْ) أَيْ أَعْدَلُهُمْ
 (طَرِيقَةً) أَيْ رَأْيًا وَعَمَلًا فِي الدُّنْيَا فَيُجَابِسُونَ (أَنْ) أَيْ مَا (لَيْتُمْ الْإِيْمَا) أَيْ مَبْدَأُ الْإِسْحَادِ
 لَا مَبْدَأَ الْعُقُودِ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي آيَةِ أُخْرَى يَقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا بَشُؤُهُمْ بِسَاعَةِ كَذَلِكَ كَلِمَاتُ
 يُؤَفِّكُونَ فَلَا يَزَالُونَ فِي أَفْكَ وَصَرَفَ عَنِ الْحَقِّ فِي الدَّارَيْنِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَمُوتُ عَلَى مَا عَاشَ عَلَيْهِ
 وَيَبْعَثُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ * وَلِمَا وَصَفَ سَجَانَهُ وَتَعَالَى أَمْرُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حِكْمِي سَوَالٍ مِنْ لَا يَوْمِنْ
 بِالْخَيْرِ فَقَالَ تَعَالَى (وَيَسْأَلُونَكَ) يَا أَشْرَفَ الْخَلْقِ (عَنِ الْجِبَالِ) كَيْفَ تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 قَالَ الضَّحَّاكُ نَزَلَتْ فِي مَشْرِكِ مَكَّةَ قَالُوا يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ تَكُونُ الْجِبَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَانَ
 سَوَالُهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِزْهَادِ وَلَمَّا كَانَ مَقْصُودُهُمْ مِنْ هَذَا السَّوَالِ الطَّعْنُ فِي الْخَيْرِ وَالنَّشْرُ
 فَلَا جَرَمَ أَمْرُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْجَوَابِ مَقْرُونًا بِمَجْرِفِ التَّعْقِيبِ بِقَوْلِهِ (فَقُلْ) لَهُمْ (يَسْأَلُونَكَ عَنْهَا) (فَلْيَسْأَلُوا رَبِّي إِنَّهَا)
 لِأَنَّ تَأْخِيرَ الْبَيَانِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَسْئَلَةِ الْأَصُولِيَّةِ غَيْرُ جَائِزٍ وَأَمَّا الْمَسَائِلُ الْفُرُوعِيَّةُ فَجَائِزٌ فَلِذَلِكَ
 ذَكَرْ هُنَا فِي مَقْصُودِهِ تَعَالَى بِسْأَلُونَكَ مَاذَا يَنْفَعُونَ قُلِ الْعَفْوَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ
 النَّارِ قُلِ اصْلَاحُ لَهُمْ خَيْرٌ مِنْ غَيْرِهَا وَالتَّعْقِيبُ وَالتَّسْفِيفُ وَالتَّغْيِيرُ وَقِيلَ الْقَلْعُ الَّذِي يَقْلَعُهَا
 مِنْ أَصْلِهَا وَيَجْعَلُهَا هَاءً مَنُورًا قَالِ الْخَلِيلُ يَسْأَلُهَا بِذَهَبِهَا وَبَطِيرِهَا وَفِي ضَمِيرٍ (فَيَذَرُهَا) قَوْلَانِ

أحدهما أنه صغير الأرض أصغر من الدلالة عليها كقوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة والثاني
صغير الجبال وذلك على حذف مضاف أي فيذكر ما كرها ومقارها ويذكر ما يكون بمعنى
يخلقها فيكون (قاعاً) حالاً وأن يكون بمعنى يترك التصيرية فيعتدى لاثنتين قاعاً ثلثيهما والقاع
هو المكان المستوي وقيل الأرض التي لا بناء فيها ولا نبات وفي قوله تعالى (صغيفاً) قولان
أحدهما الأرض المساء والثاني المستوية والقاع والصغيف قريان من الترادف وجمع
القاع أقوع وأقوعا وفيه ان (لا ترى فيها) أي الأرض أو مواضع الجبال (عوجاً) أي انخفاضا
(ولاً مناً) أي ارتفاعاً وجهه من الوجوه وعبر هنا في العوج بالكسر وهو المعاني ولم يعبر بالفتح
الذي يوصف به الاعيان فإن الأرض أو مواضع الجبال أعيان لا معان فيبالل العوج على
أبلغ وجهه بمعنى أنك لو جئت أهل الخبرة بتسوية الأرض لاتفقوا على الحكم باستوائها ثم
لو جئت أهل الهندسة فحكموا بما ييسهم العلية فيها الحكموا بمثل ذلك (يومئذ) أي يوم
اذنست الجبال (يتبعون) أي الناس بعد القيام من القبور بغاية جهدهم (الداعي) أي إلى
المحشر وهو امر أفيصل يضع الصور على فيه ويقف على حفرة بيت المقدس ويقول آيتها العظام
البالية والجلود المتزفة واللحوم المتفرقة هلم إلى عرض الرحمن (لا عوج له) أي الداعي في شيء
من قصدهم إليه لانه ليس في الأرض ما يجوجهم إلى التعويج ولا يمنع الصوت من النفوذ على
السواء وقيل لا عوج لدعائه وهو من المقلوب أي لا عوج له عن دعاء الداعي لا يزفون عنه عينا
ولا ينالوا لا يقدر أن عليه بل يتبعونه سراعا (وخشعت الاصوات) أي سكنت وذات وقطامت
لخشوع أهلها (للرحمن) الذي عت نعمه فيرجى كرمه وتخشى نقمه (فلا) أي قسب عن
خشوعها أنك لا (تسمع الا همسا) أخفى ما يكون من الاصوات وقيل أخفى شيء من أصوات
الاقدام في قتلها إلى المحشر كصوت أخفاف الابل في مشيها (يومئذ) أي اذ كان ما تقدم (لانتفع
الشفاعه) أحدا (الامن أذن له الرحمن) أن يشفع له (ورضى له قولا) ولو الايمان المجرد قال ابن
عباس يعني قال لا اله الا الله فهذا يدل على أنه لا يشفع لغير المؤمن * ولما نفي أن تنفع شفاعته بغير
أذنه على ذلك كما سلف في آية الكرسي بقوله (يعلم ما بين أيديهم) أي الخلاق من أمور الآخرة
(وما خلفهم) من أمور الدنيا وقيل ما بين أيديهم ما قدموا وما خلفهم ما خلفوا من الاعمال
ولا يحيطون به علما أي لا يحيط علمهم بعلومه وقيل الضمير إلى ما أي يعلم ما بين أيديهم وما
خلفهم وهم لا يعلمونه وقيل راجع إلى الله تعالى أي ولا يحيطون بالله علما * ولما ذكر خشوع
الاصوات أتبعه خضوع ذورها فقال (وعنت الوجوه) أي ذلت وخضعت في ذلك اليوم ويصير
المسلم القهر لله تعالى دون غيره وخص الوجوه بالذكور مع أن المراد الانثى لشراف الوجوه
ولأنها أول ما يظهرفيها الذل (للعلى) الذي هو مطلع على الدقائق والجلالات (القيوم) الذي
لا يغفل عن التدبير ومجازاة كل نفس بما كسبت روي ابن أسامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال اطلبوا اسم الله الاعظم في هذه السور الثلاث البقرة وآل عمران وطه قال الرازي
فوجدته المنسوبة في السور الثلاث آله لا اله الا هو إلى القيوم (وقد خاب) أي خسر خسارة

ظاهرة (من جل ظلم) قال ابن عباس خس من أشرك بالله والظلم الشرك * ولما شرع الله تعالى
أحوال القيامة ختم الكلام فيها بشرح أحوال المؤمنين فقال (ومن يعمل من الصالحات)
أى التى أمره الله تعالى بها بحسب طاقته لانه لن يقد الله أحد حق قدره ولن يشاد الدين أحد
الغلبة (وهو مؤمن) ليكون بناؤها على الاساس كما فى قوله تعالى ومن يأنه مؤمناً قد عمل
الصالحات (فلا يخاف ظملاً) أى بزيادة فى سيئاته (ولا هضمًا) أى بنقص من حسناته قاله ابن
عباس وقيل لا يؤاخذ بذنوب لم يعمل ولا تبطل حسنة عملها وعبر تعالى بالقاء اشارة الى قبول
الاعمال وجعلها سبباً لذلك الحال وأما غير المؤمن فلو عمل أمثال الجبال لم يكن لها وزن وقوله
تعالى (وكذلك) معطوف على قوله تعالى وكذلك نقص أى ومثل انزال ما ذكر (أنزلناه)
أى القرآن (قرآناً) جامعاً لجميع المعاني المقصودة ثم وصفه تعالى بأمرين أحدهما قوله
تعالى (عريباً) أى بلسان العرب ليعفهوه ويفقوا على عجازه وحسن نظمته وخروجه عن كلام
البشر الثانى قوله تعالى (وصرفنا فيه من الوعيد) أى كثرناه وفصلناه ويدخل تحت الوعيد
بيان الفرائض والمحارم لأن الوعيد ما يتعلق بشكره وتصريفه بقضى بيان الاحكام
فلذلك قال تعالى (لعلهم يمتقون) أى يجتنبون الشرك والمحارم وترك الواجبات فتصير
التقوى لهم ملكة (أو يحدث لهم ذكراً) أى عظة واعتباراً حين يسمعونها فيبطلهم عنها ولهذا
النسكة أسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن (فعالى الله) فى ذاته وصفاته عن مماثلة
المخلوقين لا بماثل كلامهم ككلامهم ككلامهم ككلامهم ككلامهم ككلامهم ككلامهم ككلامهم
لا يهجزه شئ فلا ملك فى الحقيقة غيره (الحق) أى الثابت الملك فلا زوال لكونه ملكاً فى زمن ما
ولعظمة ملكه وحقيقته ذاته وصفاته صرف خلقه على ما هم عليه من الامور المتباعدة * ولما
شرح الله تعالى كيفية نفع القرآن للمكلفين وبين أنه سبحانه وتعالى متعال عن كل ما لا ينبغى
موصوف بالاحسان والرحمة ومن كان كذلك صان رسوله عن السهو والنسيان فى امر الوحي
فلذلك قال تعالى (ولا تجعل بالقرآن) أى بقراءته (من قبل أن يقضى اليك وحيه) من الملك
النازل به اليك من حضرتنا كما اننا لم نجعل بانزاله عليك جملة بل رتلناه لك ترتيلاً ورتلناه اليك
ترتيلاً مفصلاً تفصيلاً وموصلاً توصيلاً فاستمع لمطلقاً جميع تأملك اليه ولا تساققه بالقراءة
فاذا فرغ فافراة فانما يجمعها فى قلبك ولا تكلفك المساوقة بتلاوته (وقل رب) أيها المحسن الى
بافاضة العلوم على (زدنى علماً) أى سل الله زيادة العلم بدل الاستجمال فان ما أوحى اليك تالاه
لاجماله روى الترمذى عن أنى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انفعني
بما علمتني وعلى ما ينفعني وزدنى علماً والحمد لله على كل حال وأعوذ بالله من حال أهل النار وكان
ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال اللهم زدنى علماً وبقيناه * ولما قال تعالى كذلك نقص عليك من
أنباء ما قد سبق ذكره هذه القصة انجاز الوعد فقال تعالى (ولقد عهدنا) بمثلنا من العظمى الى
(آدم) أبى البشر أى وصينا أن لا يأكل من الشجرة وانما عطفها على قوله تعالى وصرفنا قسماً من
الوعد للدلالة على أن آساف بن آدم على العصيان وعرقهم راسخ بالنسيان (من قبل) أى فى

زمن من الأزمان الماضية قبل هولاء الذين تقدم في هذه السورة ذكر نسبائهم واعراضهم
 (فسي) عهدنا وأكل منها (ولم نجعله عزما) أي نصميم رأي وثبات على الامر اذ لو كان ذاعزعة
 وتصلب لم ير له الشيطان ولم يستطع تغيره قال البيضاوي ولعل ذلك كان فيه أمره قبل أن
 يجرب الأمور ويذوق أديها وشربها انتهى والارنى العسل والشرى المختل قال البغوي قال
 أبو أمامة الباهلي لو وزن حلم آدم بحلم ولده لرج حله وقد قال الله تعالى ولم نجعله عزما وقال
 البيضاوي وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزن آدم بحلم آدم لرج حله وقد قال تعالى
 ولم نجعله عزما قال ابن الاثير والحلم بالكسرة الاناة والتثبت في الامور (فان قيل) ما المراد
 بالتسيان (أجيب) بأنه يجوز أن يراد بالتسيان الذي هو تقيض الذكر وأنه لم يكن بالوصية العناية
 الصادقة ولم يستوثق منها بعد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك التسيان ولم يكن
 النسيان في ذلك الوقت من فروع عن الانسان بل كان يؤاخذ به وانما رافع عنا وكان الحسن يقول
 ما عصى أحد قط الابنسان وان يراد الترك وأنه ترك ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة فكل
 ثمرتها وقيل نسي عقوبة الله تعالى وظن أنه نهى تنزيهه * (تنبه) * هذا هو المرة الخامسة من قصة
 آدم في القرآن أولها في البقرة ثم في الاعراف ثم في الحجر ثم في الكهف ثم ههنا وقوله تعالى (واذ قلنا
 للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس) تقدم الكلام على ذلك مفصلا في سورة البقرة
 وقوله تعالى (أي) جله مستأنفة لأنها جواب سؤال مقدرا أي ما منعه من السجود فاجيب بأنه
 أي ومفعول الاء يجوز أن يكون مرادا وقد صرح به في الآية الاخرى في قوله تعالى أي أن
 يكون من الساجدين وحسن حذفه هنا كون العامل رأس فاصله ويجوز أن لا يراد أصلا وان
 المعنى أنه من أهل الاء والعصيان من غير نظر الى متعلق الاء ما هو (فقلنا) بسبب امتناعه بعد
 أن حلتا عليه ولم نعالجه بالعقوبة (يا آدم ان هذا) الشيطان الذي تكبر عليك (عدوك ولزوجك)
 حواء باللة لانها منك وسبب تلك العداوة من وجوه الاول ان ابليس كان حسودا فلما رأى آثارهم
 الله في حق آدم حسده فصارعوا له الثاني ان آدم عليه السلام كان شابا عالما لقوله تعالى وعلم آدم
 الاسماء كلها وابليس كان شيخا جاهلا لانه أثبت فضيلته بفضله أصله وذلك جهل والشيخ الجاهل
 أبدا يكون عدوا للشاب العالم الثالث ان ابليس مخلوق من النار وادم مخلوق من الماء والتراب
 فبين أصلهم عداوة فثبتت تلك العداوة (فان قيل) لم قال تعالى (فلا يحز جنكم من الجنة) مع
 أن المخرج لهم منها هو الله تعالى (أجيب) بأنه لما كان هو الذي فعل بوسوسته ما ترتب عليه
 الخروج صريح ذلك (فان قيل) لم قال تعالى (فتشتى) أي فتعقب وتنصب في الدنيا لم يقل فتشقا
 (أجيب) بوجهين أحدهما أن في ضمن شقاء الرجل وهو قومه أهله وأسيرهم شقاءهم كما أن
 في ضمن سعادته سعادتهم فاختصر الكلام بإسناده اليه دونها مع المحافظة على كونه رأس فاصله
 وعن سفيان بن عيينة قال لم يقل فتشقا لانهم اذا دخله معه فوقع المعنى عليهم ما جعلا وعلى
 أولادها جميعا كقوله تعالى يا أيها النبي اذا طلقتم النساء ويا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك
 قد فرض الله عليكم تحيله أجمعانكم فدخلوا في المعنى معه وانما كلم النبي وحده الثاني أريد

بالشقاء التعب في طلب الموت وذلك على الرجل دون المرأة لأن الرجل هو المساعي في زوجته
 روى أنه اهبط الى آدم نوراً جرف كان يحترق عليه ويسمع العرق عن جبينه ويحتاج بهذا الحرث
 الى الحصد والطحن والخبز وغير ذلك مما يحتاج اليه وعن الحسن قال عني به شقاء الدنيا فلا تلق
 ابن آدم الا شقياً ناصباً أي ولو أراد شقاؤه الاخرة ما دخل الجنة بعد ذلك ولما كان الشبع
 والري والكسوة والكنة هي الامور التي يدور عليها كثاف الناس ذكر تعالى حصول هذه
 الاشياء في الجنة من غير حاجة الى الكسب والطلب وذكرها بلفظ النفي لاضدادها بقوله تعالى
 (انك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانت لا تظمأ أي تعطش فيها ولا تنضي أي لا يحصل لك
 حر تشم الضحى لا تنفاه الشمس في الجنة بل اهلها في ظل عمد وهذه الاشياء كانت تفسيراً لثقل
 المذكور في قوله تعالى فتشقى (فوسوس) أي فتهب تحذيراً هذا من غير بعد في زمان أن وسوس
 (اليه الشيطان) اخترق المطر وهو ابليس أي أنهى اليه الوسوسة واما وسوس له فنعناه لاجله
 فلذلك عدى نارة باللام في قوله تعالى فوسوس له ما وتارة بالي ثم بين تعالى تلك الوسوسة ما هي
 بقوله تعالى (قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد) أي على الشجرة التي ان اكل منها بقيت
 مخلداً (وملك لايلي) أي لا يبد ولا يفي قال الرازي واقعة آدم محببة وذلك لان الله تعالى ورغبه
 في دوام الراحة وانتظام المعيشة بقوله تعالى فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى انك ان لا تجوع
 فيها ولا تعرى وانت لا تظمأ فيها ولا تنضي ورغبه ابليس أيضاً في دوام الراحة بقوله تعالى هل
 ادلك على شجرة الخلد وفي انتظام المعيشة بقوله وملك لايلي فكان الشيء الذي رغب الله تعالى فيه
 آدم هو الذي رغبه ابليس فيه الا أن الله تعالى وقف ذلك الامر على الاحتباس عن تلك الشجرة
 وابليس وقفه على الاقدام عليها ثم ان آدم عليه السلام مع كمال عقله وعلمه بأن الله مولاه وناصره
 ومربيه وعلمه بأن ابليس عدوه حيث امتنع من السجود له وعرض نفسه للعنة بسبب عداوته
 كيف قبل في الواقعة الواحدة والمقصود الواحد قول ابليس مع علمه بعداونه له وأعرض عن
 قول الله تعالى مع علمه بأنه الناصر له والمربي ومن تأمل هذا الباب طال نجه وعرف آخر الامر
 ان هذه القصة كالتمويه على انه لا دافع لقضاء الله ولا مانع له منه وان الدليل وان كان في غاية
 الظهور ونهاية القوة فانه لا يحصل النفع به الا اذا قضى الله ذلك وقد رواه انتهى وبذلك على ذلك
 ما ثبت في الحديث الصحيح روى البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال احج آدم وموسى
 عندهم ما حج آدم موسى قال موسى أنت آدم الذي خلقك الله سيده وفتح فيك من روحه
 وأوجدك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبط الناس بخطيتك الى الارض فقال آدم أنت
 موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الاواح فيها بيان كل شيء وقربك من جبابك
 ووجدت الله كتب التوراة قبل أن يخلقني قال موسى بأربعين عاماً قال آدم فهل وجدت فيها
 وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال فتلوطني على ان عملت عملاً كتب الله علي ان عمله قبل أن
 يخلقني بأربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حج آدم موسى وروى مسلم عن عبد الله
 ابن عمر بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الله مقادير الخلائق قبل أن

يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء وقال كل شئ بقدر حتى العنبر
والكيس ثم كان إبليس قال لا دم بلسان الحمال أو المصالح مشير الى الشجرة التي نهى عنها
ما ينكح وبين الملك الدائم الآن تأكل منها (فأكل) أى فتسبب عن قوله وتعب ان أكل
(منها) هو وزوجته متبعين لقوله ناسين ما عهد اليهما لامر قدرة الله في الازل (فبدت لهما
سواتهما) قال ابن عباس عريامن التور الذي كان الله ألبسهما حتى بدت فروجهما وانما جمع
سواتهما كما قال صفت قلوبكما أى فظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودره وسعى كل منهما سواة
لان انكشافه بسوء صاحبه (وظفقا يحصقان) أى أخذوا يلزقان (عليهما من ورق الجنة) ليسترا
به قال ابن عادل وهو ورق التين (وعصى آدم) بالاكل من الشجرة وان كان انما فعل النهى
نسيما لان عظم مقامه وعلو مرتبته يقتضيان له مزيد الاعناء ودوام المراقبة (ربه) المحسن اليه
عالم بنه أحسن من بنه من تصويره ليدله واستجاد ملائكتهم له ومعاداة من عاداه (فقوى) أى
فعل ما لم يكن له فعله وقيل أخطأ طريق الحق وقيل حيث طلب الخلد بأكل ما نهى عنه تخاب
ولم يتل مراده وصار من العزالي الذل ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز أن يقال عصى
آدم ولا يجوز أن يقال آدم عاص لانه انما يقال عاص لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخطئ به
فيقال خاطئ به ولا يقال هو خاطئ حتى يعاوده ويعتاده * (تنبيه) * تسلك بعضهم بقوله تعالى
وعصى آدم ربه فغوى في صدور الكبيرة عنه من وجهين الأول ان العاصي اسم للذم فلا يطلق
الاعلى صاحب الكبيرة لقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدا فيها ولا معنى
لصاحب الكبيرة الامن فعل فعلا يعاقب عليه الثاني أن القواية والضلالة اسمان مترادفان
والغى ضد الرشاد ومثل هذا لا يتناول الا الناسق المنهمك في فسقه وأوجب بأن المعصية مخالفة
الامر والامر قد يكون بالواجب وقد يكون بالمندوب فالتكليف لا يوجب له نقصان وأمرته
بشرب الدواء فعصاى واذا كان كذلك لم يتبع إطلاق اسم العصيان على آدم بكونه للمنذوب
وان كان وصف تارك المنذوب بأنه عاص مجاز وأجاب أبو مسلم الأصمهاى بأنه عصى في مصالح
الدنيا لا فيما يتصل بالتكاليف وكذا القول في غوى قال الرازى والاولى عندي في هذا الباب أن
يقال هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد تقدم شرح ذلك في البقرة وقيل بل أكل من الشجرة
متأولا وهو لا يعلم أن الشجرة التي نهى الله عنها شجرة مخصوصة لاعلى الجنس ولهذا قيل انما
كانت التوبة من ترك التحفظ لامن المخالفة فهو كما قيل حسنات الابرايسات المقربين أى
برئهم بالاضافة الى علو أحوالهم كالسيئات (ثم اجتبه ربه) أى اختاره واصطفاه (فمناب
عليه) أى قبل توبته وأعاد عليه بالعضو المغفرة (وهدى) أى هداه لمرشده حتى رجع الى الندم
والاستغفار * ولما كانت دار الملوكة لا تحتل مثل ذلك وان كان قد هياها بالاجتباء لها قال على
طريق الاستئناف (قال) الرب سبحانه وتعالى الذى انتهكت حرمة داره (أهبطا) أى آدم
وحواء بما اشتقما عليه من ذنبكما (منها) أى الجنة (جميعا) وقيل الخطاب لا دم ومعه ذريته
ولا إبليس فقوله تعالى (بعضكم لبعض عدو) يكون على التفسير الاول بعض الذرية لبعض عدو

من ظلم بعضهم لبعض وبطل الشافي آدم وذريته وإبليس وذريته وقوله تعالى (فأما) فيه
 ادغام نون ان الشرطية في ما لمزيدة (يأتينكم مني هدى) أي كتاب ورسول (فمن اتبع هداي)
 الذي أسهفته به من أوامر الكتاب والرسول (فلا يضل) أي بعد ذلك عن طريق السداد في
 الدنيا (ولا يشتق) في الآخرة قال ابن عباس من قرأ القرآن واتبع ما فيه هدا الله تعالى من
 الصلاة ووفاء الله تعالى يوم القيامة سواء الحساب وذلك ان الله تعالى يقول فمن اتبع هداي
 فلا يضل ولا يشقى • ولما وعد تعالى من اتبع الهدى اتبعه بوعيد من أعرض فقال تعالى (ومن
 أعرض عن ذكري) أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه (فإن له معيشة ضنكاً) والحنك أصله
 الضيق والشدة وهو مصدر فكانه قال له معيشة ذات ضنك واختلف في ذلك فقال أبو هريرة
 وأبو سعيد الخدري وابن مسعود المراد بالمعيشة الضنك عذاب القبر وروى أبو هريرة أن
 عذاب القبر للكافر قال قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليسلط عليه في قبره تسعة
 وتسعون تينا هل تدرون ما التسعين تسعة وتسعون حبة لكل حبة تسعة رؤس يحدشونه
 ويلسعونه وينفخون في جسمه الى يوم يبعثون وقال الحسن وقتادة والكلبي هو الضيق في
 الآخرة في جهنم فإن طعمهم الضريع والزقوم وشراهم الحميم والغسلين فلا يعوتون فيها ولا
 يحيمون وقال ابن عباس المعيشة الضنك هي أن يضيق عليه أبواب الخير فلا يهتدى لشيء
 منها وعن عطاء المعيشة الضنك هي معيشة الكافر لانه غير موفق بالشواب والعقاب وروى
 عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عقوبة المعصية ثلاثة ضيق
 المعيشة والعسر في الشدة وان لا يتوصل الى قوته إلا بمعصية الله وذلك ان مع الدين التسليم
 والقناعة والتوصل كل على الله تعالى وعلى قنعة فهو يتق مارزقه الله تعالى بإسماح
 وسهولة فيعيش عيشاً رقيقاً كما قال تعالى فليحينه حيلة طيبة والمعرض عن الدين يستول
 عليه الحرص الذي لا يزال يطعم به الى الازدياد من الغنى اسلط عليه الشح الذي يقبض يده
 عن الاتفاق فيعيشه ضنك وحالة مظلة قال صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم وادمن ذهب
 لا تبقى اليه ثانيا ولو كان له وادبان لا تبقى لهما ثالثا ولا يعلل جوف ابن آدم الا القرب ويتوب
 الله على من تاب متفق عليه قال بعض الصوفية لا يعرض أحد عن ذكر ربه الا أعظم عليه
 وقته وتشوش عليه رزقه وقال تعالى استغفر واربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم
 مدرارا الآية وقال تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ثم ذكر حال
 المعرض في الآخرة بقوله تعالى (ومحشره يوم القيامة أعمى) قال ابن عباس اذا خرج من القبر
 خرج بصيرا فاذا سبق الى المحشر عى ولعله جمع بذلك بين هذا وبين قوله تعالى أعمى بهم
 وأبصر يوم يأتوننا وقال عكرمة عى عليه كل شيء الا جهنم وفي لفظ قال لا يبصر الا النار وعن
 مجاهد المراد بالعمى عدم الحجة وبؤيد الا قول قوله تعالى (قال رب لم محشر تنى أعمى) في هذا
 اليوم (وقد كنت بصيرا) أي في الدنيا وفي أول هذا اليوم فكيف قيل بها جيب فقيل (قال)
 له ربه (كذلك) أي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال (أتك يا ابن آدم) واضحة نعمت (فأنسيتها) فعميت

عننا وترى ~~صكها~~ غير منظور إليها (وكذلك) أي ومثل تركك إياها (اليوم ثلثي) أي تترك في
العمى والعذاب (وكذلك) أي ومثل هذا الجزاء الشديد (فجزى من أسرف) في متابعة هواه
فتكبر عن متابعة أوامرنا (ولم يؤمن) بل كذب (بآيات ربه) وخالفها (ولعذاب الآخرة
أشد) مما لعذبهم به في الدنيا والقبر لعظمه (وآبى) فإنه غير منقطع * ولما بين الله تعالى أن من
أعرض عن ذكره كيف يحشر يوم القيامة اتبعه بما يعثر به المكلف من الأفعال الواقعة
في الدنيا من كذب الرسل فقال (أفلم يهتد) أي يبين بآياتها هدى إلى المقصود (لهم) أي هؤلاء
الذين أرسلت إليهم أعظم رسلي وفاعل يهدهم مضمون قوله (كم أهلكنا) وقال أبو البقاء الفاعل
مادل عليه أهلكنا أي أهلا كنا والجملة مفسرة له وقال الزمخشري فاعل لم يهد الجمل بعد
يريد لم يهد لهم هذا بعذابه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على
نوح في العالمين أي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول انتهى
وكم خبرية مفعول أهلكنا (قبلهم من القرون) أي يتكذيبهم لرسلائنا حال كونهم (عاشون)
أي هؤلاء العرب من أهل مكة وغيرهم (في حساكتهم) أي في سفرهم إلى الشام وبشاهدون
آثارها لهم (أن في ذلك) أي الأهلاك العظيم الشأن المتوالي في كل أمة (آيات عظيمة
بينات (لاولى النهى) أي لذوى العقول الناهية عن التغافل والتعامى * ولما هددهم بأهلا
الماضي ذكربسبب التأخير عنهم بقوله تعالى (ولولا كلمة) أي عظمية قاضية نافذة (سبقت) أي
في أزل الأزل (من ربك) الذي عودنا لإحسان تأخير العذاب عنهم إلى الآخرة فإنه يعادل
بالعلم والإفادة (لكان) أي العذاب (لزاما) أي لازما أعظم لزوم لهم في الدنيا مثل ما نزل بعاد وثمود
ولكن غفلهم لئلا يرد من شئنا منهم ونخرج من أصلاب بعضهم من يؤمن وانما فعلنا ذلك أكراما
لك ورحمة لئلا يفتكرا لتساعك فيعملوا الخيرات فيكون ذلك زيادة في شرفك وإلى ذلك الإشارة
بقوله صلى الله عليه وسلم وانما كان الذي أوتيته وجبا وأوحاه الله إلى فأجوب أن أكون
أكرمهم تابعا وفي رفع قوله تعالى (وأجل مسمى) وجهان أظهرهما عطفه على كلمة أي ولولا أجل
مسمى لكان العذاب لازما لهم وهذا ما صدر به البيضاءى والثاني أنه معطوف على الضمير المستتر
في كان وقام الفصل بخبرها مقام التأكيد واقتصر الجلال المحلى على هذا وجوز الزمخشري
والبيضاوى وفي هذا أجل المسمى قولان أحدهما ولولا أجل مسمى في الدنيا لذلك العذاب
وهو يوم بدر والثاني ولولا أجل مسمى في الآخرة لذلك العذاب وهذا كما قال الرازي أقرب
قال أهل السنة له تعالى بحكم المالكية أن يخص من شاء بفضله ومن شاء بعذابه من غير علم
أذ لو كان فعلة له لتلك تلك العلة اما قديمة فيلزم قدم الفعل واما حادثة فيلزم اقتضارها
إلى علة أخرى ويلزم التسلسل ثم أنه تعالى لما أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه لا يهلك أحدا
قبل استيفاء أجله أمره بالصبر فقال (فاصبر على ما يقولون) لك من الاستعزاء وغيره وهذا
كان في أول الأمر ثم نسخ بآية القتال (وسبح) أي صل وقوله تعالى (بجسد ربك) حال أي
وأنت حامد لربك على أنه وفكنا ذلك وأعانك عليه (قبل طلوع الشمس) صلاة الصبح (وقبل

غروبها) صلاة العصر (ومن آناه الليل) أي ساعاته (فسبح) أي صل المغرب والعشاء وقوله تعالى (وأطراف النهار) معطوف على محل من آناه المنصوب أي صل الظهر لأن وقتها يدخل بزوال الشمس فهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني قال ابن عباس دخلت الصلوات الخمس في ذلك وقيل المراد الصلوات الخمس والنوافل لأن الزمان أمان يكون قبل طلوع الشمس أو قبل غروبها فالليل والنهار داخلان في هاتين العبارتين وأوقات الصلوات الواجبة دخلت فيهما فبقوله ومن آناه الليل فسبح وأطراف النهار للنوافل وقال أبو مسلم لا يعد محل التسبيح على التزنية والجلال والمعنى اشتغل بتزنيه الله تعالى في هذه الأوقات (فان قيل) النهار له طرفان فكيف قال وأطراف النهار ولم يقل طرفي النهار (أجيب) بوجهين أحدهما أنه جامع لأنه يلزم في كل نهار ويعود والثاني أن أقل الجمع اثنان وقرأ قوله تعالى (لعلك ترضى) أبو بكر والكسائي بضم التاء أي ترضى بما تنال من الثواب كقوله تعالى وكان عند ربه مرضيا وقرأ الباقون بفتحها أي ترضى بما تنال من الشفاعة قال تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال تعالى عسى أن يعينك ربك مقام محمودا والمعنى على القراءتين لا يختلف لأن الله تعالى إذا أرضاه فقد رضى به وإذا رضى به فقد أرضاه ولما كانت النفس ميالة إلى الدنيا مراهونة بالحاضر من فاني العطايا وكان تحليها عن ذلك هو الموصل إلى حريتها المؤذن بعلوهمتها قال تعالى مؤكدا ايذا نابصوبة ذلك (ولا تمدن) مؤكدا به بالنون الثقيلة (عينك) أي لا تطول نظركم ما بعد النظر الأولى المعفوعة عنها (إلى ما تمنعنا به) في هذه الحياة الفانية (أزواج) أي أصناف (منهم) أي الكفرة استحصاها له وتمنيا أن يكون كذلك والامتناع إلا إذا عابد ربك من المناظر الحسنة ويسمع من الاصوات الطيبة وينسم من الروائح الطيبة وغير ذلك من الملابس والمناكح وقوله تعالى (زهرة الحياة الدنيا) أي زيتها ووجهتها منصوب بمحذوف دل عليه متعنا وبه على تضمينه معنى أعطينا فازواجنا معقول أول وزهرة هو الثاني وذكر ابن عادل غير هذين الوجهين سبعة أوجه لا حاجة لنا بذلك كرهائم على تعالى تمتعهم بقوله تعالى (لنقتنهم فيه) أي لنفعل بهم فعل المختبر فيكون سبب عذابهم في الدنيا بالعيش الضيق للمعصية وفي الآخرة بالعذاب الاليم فصورته تغز من لم يتأمل معناه حق التأمل فما أنت فيه خير مما هم فيه (ورزق ربك) في الجنة (خسبر) مما أو توفى الدنيا (وأبقي) أي أودم أو مازقته من نعمة الاسلام والنبوة أولان أموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال خير وأبقى قال الزمخشري لأن الله تعالى لا يفسد إلى نفسه إلا ما حل وطاب دون ما حرم وخبت والحرام لا يسمى زرقا انتهى وهذا جار على مذهبه المخالف لاهل السنة من أن الحرام لا يسمى زرقا وقال أبو مسلم الذي نهى عنه بقوله ولا تمدن عينيك ليس هو النظر بل هو الاسف أي لا تأسف على ما فاتك مما نال من حظ الدنيا وقال أبو رافع نزلت هذه الآية في ضيق نزل بالنبي صلى الله عليه وسلم فبعثني إلى يهودي يبيع أو يستلف إلى مدة فقال والله لا أقبل إلا برهن فأخبرته بقوله فقال صلى الله عليه وسلم إني لأمين في السماء وإني لأمين في الأرض أحسن إليه درعى الحديد

فنزل قوله ولا تمدن عينيك وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم
 ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم وقال أبو الدرداء الدينار من لادار له ومال من لامل له
 ولها يجمع من لا عقل له وعن الحسن لولا جنى الناس لحربت الدنيا وعن عيسى ابن مريم عليه
 السلام لا تتخذوا الدنيا دارا فتخذكم لها عبدا * ولما أمر الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه
 وسلم بتزكية النفس أمره بأن يأمر أهله بالصلاة بقوله عز وجل (وأمر أهلك بالصلاة) أى أمر
 أهل بيتك والتابعين لك من أمتك بالصلاة كما كان أبوك صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى كل
 خير اذا الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا
 يهتوا بأمر المعيشة ولا يفتتوا الفت أرباب الثروة وكان صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية
 يذهب الى فاطمة وعلى رضى الله عنهما كل صباح ويقول الصلاة (واصطبر) أى اداوم (عليها
 لأنسألك) أى نكفلك (رزقا) لنفسك ولا تغربك (نحن نرزقك) وغربك كما قال تعالى وما خلقت
 الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق
 ذو القوة المتين تفرغ بالك لأمور الاخرة وفى معنى قول الناس من كان فى عمل الله كان الله
 فى عمله وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أصاب أهله ضرأمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية
 وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلطان قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادى الصلاة
 الصلاة رجكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا
 فصولوا بهذا أمر الله رسوله ثم تلا هذه الآية (والعاقبة) أى الجيلة المحمودة (للتقوى)
 أى لاهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوا واتبعوا وبؤيده قوله تعالى
 فى موضع آخر والعاقبة للمتقين ولا معونة على الرزق وغيره بشئ يوازي الصلاة فقد كان صلى
 الله عليه وسلم اذا حزبه أمر أى بالبلاء الموحدة أى اذا أخرته فزع الى الصلاة قال ثابت وكان
 الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا نزل بهم أمر فزعوا الى الصلاة وعن أبي هريرة رضى الله عنه
 قال قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى تفرغ لعبادى املأ صدرك غنى وأسدفقرك وان لم
 تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسدفقرك وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال سمعت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول من جعل الهوم هما واحدا هم المعاد كفاه الله هم دنياه ومن
 تشعبت به هموم أحوال الدنيا لم يبال الله فى أى أوديتها هلك وعن زيد بن ثابت قال سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كانت الدنيا همه فرفق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه
 ولم يأت به من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت الاخرة همه جمع الله له أمره وجعل غناه فى قلبه
 وأتته الدنيا وهى راحة * ثم انه تعالى بعد هذه الوصية حكى عنهم شبرا بقوله تعالى (وقالوا
 لولا يا نبينا آية من ربك) فكانه من لوازم قوله تعالى فاصبر على ما يقولون وهو قولهم لولا أى
 هلا يا نبينا آية وقال فى موضع آخر لوما تأتينا بآية كما أرسل الاولون * ثم أجاب الله تعالى عن
 رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله (أولم تأتهم بينة) أى بيان (ما فى الصحف الاولى) من التوراة
 والانجيل وسائر الكتب السماوية المشتمل على القرآن من انباء الامم الماضية واهلاكهم

بـ كذـيب الرسل فـايـؤمنـهم أن يكون حالهم في سؤال الآيات كحال أولئك وقرأناهم
وأوعروهم فص بالفوقية على التأنيث والباقون بالخصية على التذكير (ولو أناهلكناهم)
معاملهم في عصيانهم (بعذاب من قبله) أي هذا القرآن المذكور في الآية الماضية وما قاربها
وفي قوله تعالى ولا تجعل بالقرآن وفي منى السورة في ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى أو من قبل
محمد صلى الله عليه وسلم (القالوا) أي يوم القيامة (ربنا) بـا من هو متصف بالاحسان البنا (لولا)
أي هلا ولم لا (أرسلت البنا رسولا) بـا من نابطاعتك (فتنبع) أي فيتنسب عنه أن تنبع (آياتك)
التي تنعيناها (من قبل أن نذل) بالعداب هذا الذل (وتخزي) بالمعاصي التي علمناها على جهل
فلاجل ذلك أرسلناك اليهم وأقنابك الحجة عليهم * ولما علم هذا أن ايمانهم كل متنع وبعد الهسم
لا يتقطع بل ان جاءهم الهدى طعنوا فيه وان عذبوا قبله تطلوا كان كانه قبل فـالذي أفعل
معهم فقيل (قل) لهم (كل) أي كل مني ومنكم (متربص) أي منظر ما يؤول اليه أمرى وأمركم
(فتربصوا) فأنتم كالبهايم ليس لكم تأمل (فستعلمون) أي عما قريب بوعدا خلف فيه وهو
يوم القيامة (من أصحاب الصراط) أي الطريق (السوى) أي المستقيم (ومن اهتدى) أي
من الضلال فصل على جميع ما يتفقه واجتنب جميع ما يضره أنتم أم أنتم قال ابن عادل
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل قرأ طه وبس قبل أن يخلق
آدم بالنبي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالوا طوبي لامة ينزل عليها هذا وطوبي لاسن تتكلم
بهذا وطوبي لاجواف تحمل هذا وعن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقرأ أهل
الجنة من القرآن الا بس وطه انتهى ولم يذكر ذلك سندا وأما ما رواه البضاوى تبعا للزنجشري
من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ طه أعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار
فحديث موضوع

﴿سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام مكية﴾

قال الرازي باجاء وهي مائة واحدى أو ثمان عشرة آية وألف
ومائة وستون كلمة وأربعة آلاف وثمان وتسعون حرفا

(بسم الله) الحكيم العدل الذي تمت قدرته وصم أمره (الرحمن) الذي ساوى بين خلقه في درجة
ايجاده (الرحيم) الذي نحي من شاء من عبادته في معاده قال أبو جعفر الزبير في برهانه لما تقدم
قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى قوله فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى قال
تعالى (اقرب) أي قرب (لناس حسابه) أي في يوم القيامة أي فلا تمدن عينيك الى ذلك فاني
جعلته قسنة وأشار بصيغة الافتعال الى مزيد القرب لانه لا مة بعد هذه بنظر أمرها وآخر
الفاعل تهويل لذهب النفس في تعيينه كل مذهبي (فان قيل) وكيف وصف ذلك اليوم
بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول أكثر من تسعمائة عام (أجيب) بأنه مقرب عند الله
والليل عليه قوله تعالى ويستجوبونك بالعداب هاتين يوماء عذرك كالف سنة عما تعدون ولا ت
صكل آت وان طالت أوقات استقباله وقرينه قريب وانما البعيد هو الذي وجد وانقرض

فلا زال ماتهمواه أقرب من غد * ولا زال ماتخشاه أبعد من أمس
ولأن ملقي من الدنيا أقصر وأقل عمل سلف منه بديل تبعات خاتم النبيين صلوات الله وسلامه
عليه الموعود يعنى في آخر الزمان وقال بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بإصبعه وقال
صلى الله عليه وسلم ختم النبوة بى كل ذلك لأجل أن الباقي من مدة التكليف أقل من الماضي
وعن ابن عباس أن المراد بالناس المشركون وهو من إطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم
وهو ما يتلوه من صفات المشركين وهو قوله تعالى (وهم) أى والحال أنهم (فى غفلة) أى عن
الحساب (معرضون) عن التأهب لهذا اليوم لا يتفكرون فى عاقبتهم ولا تنظنون لما يرجع اليه
خاتمة أمرهم مع انتضاء قلوبهم أنه لابد من جراء الحسن والمسيء وأيضاً أن هذه الآية نزات
فى كفار مكة ولما أخبر تعالى عن غفلتهم وأعرضهم دل على ذلك بقوله (ما يأتهم) وأغرق
فى النسي بقوله (من ذكر) أى وحى فيهمهم عن سنة الغفلة والجهالة وقوله تعالى (من ربهم)
صفة ذكر أوصاله ليأتهم (محدث) أنزاله أى ما يحدث الله تعالى من تنزيل شئ من القرآن
يدكرهم ويعظهم به وبهذا سقط احتجاج المعتزلة بأن القرآن حادث لهذه الآية وقيل معناه أن
الله تعالى يحدث الأمر بعد الأمر فينزل الآية بعد الآية والسورة بعد السورة فى وقت الحاجة
ليبان الأحكام وغيرها من الأمور والوقائع وقيل الذكر المحدث ما قاله النبي صلى الله عليه
وسلم وبينه من السنن والمواظب سوى ما فى القرآن وأضافه إليه لأن الله تعالى قال وما ينطق
عن اللورى أن هو الاو حى بوحى (الاستمعه) أى قصداوا اسماعه وهو أجد الجهد وأحق
الحق (وهم) أى والحال أنهم (يلعبون) أى يفعلون فعل اللاعبين بالاستهزاء والسخرية
لتناهى غفلتهم وفرط أعرضهم عن النظر فى الأمور والتفكر فى العواقب (لا هية) أى غفلة
معرضة (قلوبهم) عن ذكر الله * (تنبيه) * قوله تعالى وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان
مترادفتان أو متداخلتان * ولما ذكر تعالى ما يظهر منه فى حالة الاستماع من اللهو واللعب
ذكر ما يخفونه بقوله تعالى عطف على استمعه (وأسرؤا) أى الناس المحدث عنهم (النجوى)
أى بالغوا فى أسرار كلامهم وقوله تعالى (الذين ظلموا) بدل من واو وأسروا للايماء بأنهم
ظالمون فيما أسروا به أو مبتدأ والجملة المتقدمة خبره والمعنى وهو لاه أسروا النجوى فوضع
المظهر موضع المضمحل على فعلهم بأنه ظلم وقيل جاء على لغة من قال أكلوى البراغيث
وقيل منصوب المحل على الذم ثم بين تعالى ما تناجوا به بقوله تعالى (هل) أى فقالوا فى تناجيهم
هذا أم يحجب من ادعائه النبوة مع مماثلته لهم فى البشرية هل (هذا) الذى اتاكم بهذا الذكر
(الابشر مثلكم) أى فى خلقه وأخلاقه من الأكل والشرب والحياة والممات فكيف
يختص عنكم بالرسالة ما هذا الذى جاءكم به مما لا تقدرون على مثله الأسهر لاصحفة فحينئذ
نسب عن هذا الأسكار قولهم (أفتأتون السحروا أنتم) أى والحال أنكم (تبصرون)
بأعينكم أنه بشر مثلكم فكأنهم استدلوا بكونه بغير راعى كذبه فى ادعائه النبوة والرسالة

لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الاملكاواستلزامه ان ما جاء به من الخوارق كالقرآن محزون
فانكروا حضوره (فان قيل) لم أسروا هذا الحديث وبالفوا في اخفائه (أجيب) بأن ذلك كان
يشبه التشاور فيما بينهم والتحاوري في طلب الطريق الى هدم أمره وعادة المتشاورين في خطب
أن لا يشركوا أعداءهم في مشورتهم ويجهتدوا وافي طي سرهم عنهم ما أمكن واستطيع
ومنه قول الناس استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان قال البقاعي فيالله العجب من قوم
وأواما أعجزهم فلم يجوزوا أن يكون ذلك عن الرحمن الداعي الى القوز بالحنان ومنوا أنه من
الشیطان الداعي الى الهوان باصطلاء النيران والعجب أيضا أنهم أنكروا الاختصاص بالرسالة
مع مشاهدتهم بما يخص الله تعالى به بعض الناس عن بعض من الذكاء والفطنة وحسن
التلائق والاخلاق والقوة والصحة وطول العمر وسعة الرزق ونحو ذلك انتهى ولا عجب فانها
عقول أضلها باريها ثم كانه قيل فاذا يقال لهؤلاء فقال (قل) لهم (ربي) الحسن الى (يعلم القول)
سواء كان سر أم جهرا كما بنا (في السماء والارض) على حد سواء لانه لا مسافة بينه وبين شيء
من ذلك (وهو السميع العليم) فلا يخفى عليه ما يسمرون ولا ما يضمرون (فان قيل) هلا قيل يعلم
السر لقوله تعالى وأسروا النجوى (أجيب) بأن القول عام يشمل السر والجهر فكان في العلم
به العلم بالسر وزيادة فكانا كدفي بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول يعلم السر كما أن
قوله يعلم السر أكد من أن يقول يعلم سرهم (فان قيل) لم ترك هذا الا كدفي سورة الفرقان في
قوله تعالى قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض ولم يقل يعلم القول كما هنا (أجيب)
بأنه ليس بواجب أن يأتي بالاس كدفي كل موضع ولكن يجي بالوكيد تارة وبالا كد أخرى
كما يجي بالحسن في موضع وبالا حسن في غيره ليفتن الكلام اقتنا وبجمع الغاية ومادونها
على أن أسلوب تلك الآية خلاف أسلوب هذه من قبل أنه قد تم ههنا ثم أسروا النجوى
فكانه أراد أن يقول ان ربي يعلم ما أسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة ثم قصد وصف
ذاته بأنه أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض فهو كقوله تعالى علام الغيوب عالم الغيب
لا يعزب عنه مثقال ذرة وقرأ حفص وحزرة والكسائي قال بصيغة الماضي بالاخبار عن
الرسول والباقون قل بصيغة الامر ثم انه تعالى بين أن المشركين اقتسموا القول في النبي صلى
الله عليه وسلم فيما يقوله بقوله تعالى (بل قالوا) أي قال بعضهم هذا الذي قال لكم (أضغاث
أحلام) أي اخلاط أحلام رآها في النوم وقال بعضهم (بل افتراء) أي اختلقه من عند نفسه
ونسبه الى الله تعالى وقال بعضهم (بل هو) أي النبي صلى الله عليه وسلم (شاعر) فاجابكم به
شعر والشاعر يخيل ما لا حقيقة له لغيره أو أنهم كلهم أضربوا عن قولهم هو صحر الى أنه تخالط
أحلام ثم الى أنه كلام مقترى من عنده ثم الى أنه قول شاعر وهكذا المبطل متحير جاع غير ثابت
على قول واحد قال الزمخشري ويجوز أن يكون تنزيلا من الله تعالى لا قولهم في درج
الفساد وأن قولهم الثاني أقدم من الاول والثالث أقدم من الثاني وكذا الرابع أقدم من
الثالث ثم أنهم لما قد حووا في أعظم المعجزات طلبوا آية غيره ففعلوا (قل يا نبي) دليلا على

رسالته (بآية كما) أي مثل ما (أرسل الآقون) بالآيات كتسبيح الجبال وتسخير البحر
وتغيير الماء وأحياء الموتى وإزالة الأكمة والابصر وصحة التشنج من حيث أن الإرسال يقتضي
الآيات بالآية قال الله تعالى مجيبا لهم (ما آمنت قبلهم) أي قبل مشركي مكة (من قرية) أي
من أهل قرية آتهم الآيات (أهلكها) باقتراح الآيات لما جاءتهم (أفهم يؤمنون)
أي لو جنتهم بها وهم أغنى منهم وفيه دليل على أن عدم الآيات بالمقترح للإبقاء عليهم اذ لو أتى به
لم يؤمنوا واستوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم * ولما بين تعالى بطلان ما اقترحوه
في رسوله صلى الله عليه وسلم بكونه بشرا قال تعالى عاطفا على آمنت مجيبا عن قولهم هل
هذا إلا بشر مثلكم (وما أرسلنا قبلك) أي في جميع الزمان الذي تقدم زمانك في جميع
طوائف البشر (الأرجالا) أي لم نرسل الملائكة إلى الأولين إنما أرسلنا رجالا (نوحى إليهم)
مثلك ثم أنه تعالى أمر المشركين أن يسألوا أهل الكتاب بقوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر)
وإنما أحالهم على هؤلاء لأنهم كانوا لا ينكرون أن الرسل كانوا بشرا وإن أنكروا نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم وقبل المراد بالذكر القرآن أي فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن وقرأ
ابن كثير والكافي بفتح السين ولا همزة بعدها وكذا يفعل حمزة في الوقف والباقون
يسكون السين وهمزة مفتوحة بعدها * ثم نبه تعالى على أنهم غير محتاجين فيه إلى السؤال
بما قد كان بلغهم على الأجل من أحوال موسى وعيسى وإبراهيم واسماعيل وغيرهم عليهم السلام
بقوله تعالى معبرا بأداة التشكيح كالحكم على المعالي (إن كنتم) أي يجبلاتكم (لا تعلمون) أي
لا أهلية لكم في اقتناص علم بل كنتم أهل تقليد محض وتبع صرف * ولما بين تعالى أنه صلى
الله عليه وسلم على سنة من مضى من الرسل في كونه رجلا بين أنه على سنتهم في جميع الأوصاف
التي حكم بها على البشر في العيش والموت فنبه على الأول بقوله تعالى (وما جعلناهم) أي الذين
اخترنا بعثتهم إلى الناس لبأمرهم وبأوامرنا (جسدا) أي ذوى جسد ولحم ودم متصفين
بأنهم (لأيا كاون الطعام) بل جعلناهم أجسادا بآكون وينشرون وليس ذلك بمنع من
أوصالهم * (فائدة) قال ابن فارس في المجمل وفي كتاب الخليل أن الجسد لا يقال لفصيل الإنسان
وتوجب الجسد لأداة الجنس كانه قيل ذوى ضرب من الأجساد أو على حذف المضاف
أي ذوى جسد كما مر وأما ويل الضمير لكل واحد وهو جسم ذولون قال البسيماوى ولذلك أي
ولكون الجسد جسما ذا اللون لا يطلق على الماء والهوا وهو في الماء مبنى على أنه لا لون له وإنما
يلون بلون طرفه ومقاله لانه جسم شفاف لكن قال الامام الرازى بل له لون ويرى ومع ذلك
لا يجيب عن رؤية ما وراءه * ثم نبه على الثاني بقوله تعالى (وما كانوا الذين) أي بأجسادهم
بل كانوا كجسام الناس قبلهم وبعدهم وإنما امتازوا عن الناس بما يتهم عن الله تعالى
ورسلهم صلى الله عليه وسلم ليس بخالد فترصوا كما أشار إليه ختم طه فانه مترص بكم
وأنتم عاصون الملك الذى اقترح حسابته بخلقه وهو مطيع له (ثم صدقناهم الوعد) أي الذى
وعدناهم بأهلاكم وهذا مثل قوله تعالى واختار موسى قومه في حذف الجار والاصل

في الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكره والاصل في هذا المثل أن أعربا
 عرض بعيرا للبيع فقال له المشتري ما سنه قال بكر فاتفق أنه لن يقاتل صاحبه هددع وهذه
 اللفظة مما يسكن به أصحابنا الأبل لا السكار فقال المشتري صدقني سن بكره وأعرض فصار مثلاً
 * (تنبيه) * أشارت على باداة التراخي إلى أنهم طال بلاؤهم بهم ومصرهم عليهم ثم أحل بهم
 سطوته وأراهم عظمتهم (فأنجيئناهم) أي الرسل (ومن نشاء) وهم المؤمنون أو من في ابتائهم
 حكمة كمن سيؤمن هو أو واحد من ذريته ولذلك جيت به العرب من عذاب الاستئصال
 (وأهلكا السرفين) أي المذمركين لأن المشرک مسرف على نفسه (لقد أنزلنا اليكم) بامعشر
 قريش (كتاباً) أي القرآن (فيه ذكركم) أي شرفكم ووصيتكم كما قال تعالى وإنه لذكر لك
 واقومك وفيه مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر بحسن الجوار والوفاء
 بالعهد وصدق الحديث وأداء الامانة والسقاء وما أشبه ذلك وقيل فيه ذكر ما تحتاجون اليه
 من أمر دينكم أولانه نزل بلفظكم وقيل فيه تذكرة لكم لتذكروا فيكون الذكر بمعنى الوعد
 والوعيد (أفلا تعقلون) فتؤمنوا به وفي ذلك حث على التدبر لأن الخوف من لوازم العقل
 (وكم قصصنا) أي أهلكتنا (من قرية) أي أهلها بغضب شديد لأن القصص أقطع الكسر وهو
 الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف القصص وقوله تعالى (كانت ظلمة) أي كفرة صفة
 لأهلها وصفت بها لما أقيمت مقامها بين الغنى عنها بقوله تعالى (وأنشأنا بعدها) أي بعد
 اهلاكتها (قوماً آخرين) مكانهم * ثم بين حالها عند احوال البأس بها بقوله تعالى (فلما
 أحسوا) أي أدرك أهلها بجوارهم (بأسنا) أي عذابنا (إذا هم منها) أي القرية (يركضون)
 هاربين منها أسرعين وكفين دوابهم لما أدركتهم مقدمة العذاب والركض ضرب الدابة
 بالرجل وضعه الركض برجل أو مشبهين بهم من فرط اسراعهم بعد تذبذبهم على الرسل وقولهم
 لهم انخرجنكم من أوطاننا ولتعودن في ملتنا فنأداهم لسان الحال تقرعاً وتشبيهاً لحالهم
 (لا تركضوا) أو المقاتل والقائل ملك أو من ثم من المؤمنين (وارجعوا) إلى قريبتكم (إلى ما تأمرتم)
 أي تمتعتم (فيه) من التمتع والتلذذ والارتاف ابطار النعمة والترف * ولما كان أعظم
 ما يؤسف عليه بعد العيش الناعم المسكن قال (ومساكنكم) أي التي كنتم تفخرون بها على
 الضعفاء بما أوسعتم من فنائها وعليت من بنائها وحسنتم من مشاهدتها (لعلكم تسئلون) وفي
 هذا تهكم بهم وتوبيخ أي ارجعوا إلى فعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون غداً عما يجري
 عليكم وينزل بأموالكم ومساكنكم فتجيئوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا
 كما كنتم في مجالسكم وترتوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره
 وينفذ به أمركم ونهيكم فيقولوا لكم هم تأمرون وماذا أمرسون أو شباً من ديناً كم على العادة
 أو تسئلون في الايمان كما كنتم تسئلون فتأبوا بما عندكم من الانفة والحمية والعظمة أو في
 المهمات كما تكون الرؤساء في مقام عدهم العلنية ومراتبهم السنية فيجيئون سائلهم عما شأوا
 * ولما كان كما قيل لهم أجابوا هذا القائل قبل (قالوا) حين لا نفع لقلوبهم عند نزول البأس

(يا وليدا) إشارة الى أنه حل بهم لانه ينادى بنا القريب ترقيقه كما يقول الشخص لمن يضربه
باسيدي كأنه يستقيث به ليكف عنه وذلك غباوة منهم وعي عن الذي أحلهم لانهم
كالبهايم لا يتفكرون الا السبب الاقرب ثم عللوا حلهم بأن كيدا لترقيقهم بقولهم (أنا كنا)
جبله وطبعنا (ظالمين) حيث كذبنا الرسل وعصينا أمر ربنا فاعترفوا حيث لا يتوقعهم الاعتراف
لفوات محله. وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن هذه القرية حضور بفتح الحاء وبالضاد
المجزة وهي وصول قريتان قريتان من اليمن تنسب اليهما الثياب وفي الحديث كفى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في نو بيني وصولين وروى حضورين بعث الله لهم نبيا فقتلوه فسلط الله
تعالى عليهم يختصر كما سلطه الله على أهل بيت المقدس فاستأصلهم وروى انه لما أخذتهم
السيوف نادى مناد من السماء يا نارات الانبياء وهي بفتح اللام وبثلاثة وهمزة ساكنة أى
يا لاهل ناراتهم أى الطالبين بهم فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فندموا وقالوا
ذلك (فا) أى فتسبب عن احلالناهم بذلك البأس أنه ما (زالت تلك) الدعوى البعيدة عن
الخير والسلامة وهي قولهم يا ولينا (دعواهم) يردونهم الادعوى لهم غير هالان الويل ملازم
لهم غير منفك عنهم وترقيقهم له غير نافعهم (حق جعلناهم حصيدا) كالزروع المحصود بالمناجل
بأن قتلوا بالسيوف * (تنبه) * حصيده على وزن فعل بمعنى مفعول ولذلك لم يجمع لانه يستوى
فيه الجمع وغيره (خامدين) أى ميتين كعمود النار اذا طفت وصارت رمادا (فان قيل) كيف
ينصب جعل جعل ثلاثة مفاعيل (أجيب) بأن حكم الاثنين الاخيرين حكم الواحد لان معنى
قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لما ناله
الحصد والحدود أو حامدين صفة لخصيدا أو حال من ضميره ثم نبههم سبحانه وتعالى على النظر
فى خلق السموات والارض وما بينهما ليحسبوا فقال تعالى (وما خلقنا السماء) على علوها
واحكامها (والارض) على عظمتها واتساعها (وما بينهما) مما درناه لتقام المنافع من أصناف
البدائع وغرائب الصنائع (لأعين) أى عاينين كما تنسوى الجبارة سقوفهم وفرشهم وسائر
زخارفهم لله واللعب وانما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكير الدوى
بالاعتبار ونسيبها لياتنظم به أمر العباد فى المعاش والمعاد * ولما نفي عنه اللعب أتبعه دليله
فقال عز وجل (لو أردنا) أى بما لنا من العظمة (أن نتخذلها) أى ما يتلوه به ويلعب وقيل
هو الولد بلغة اليمن وقيل الزينة والمراد الرد على النصارى (لأنخذلناهم من لدنا) أى من عندنا
بما يليق أن ينسب لخصم ثمان الحور العين والملائكة بما لنا تمام القدرة وكمال العظمة (أن كنا)
فاعلمين) ذلك لكلام نفعله لانه لا يليق بجناينا فلم نرده وقوله تعالى (بل نقذف) أى نرمي (بالحق)
أى الايمان (على الباطل) أى الكفر اضرب عن اتخاذ الله وتزني لانه عن اللعب بل شائنا
أن نرمي بالحق الذى من جملة الخلق على الباطل الذى من عداد الله (فبدمغه) أى يذهبه
واستعمار الدحض الباطل بالحق القذف والدمغ تصوير الابطال به وهداه ومحقه فجعله كأنه
جرم صلب كالخضرة ووجه استعارة القذف والدمغ لما ذكرنا أن أصل استعمالهما فى

الاجسام ثم استعير القذف له حوض الباطل بالحق والدمع لاذهاب الباطل فالمستعار منه حسي
والمستعار له عقلي (فأذا هو) في الحال (زاهق) أي ذاهب والزهوق ذهاب الروح وذكره
لترشيح المجاز من اطلاق القذف على حوض الباطل ثم عطف على ما أفادته إذا قوله تعالى
(ولكم) أي وإذا لكم أيها المبطلون (الويل) أي العذاب الشديد (فما تفنون) الله تعالى به عما
تهوى أنفسكم كل زوجة والولد (تنبيه) * ما تاما صورية أو موصولة أو موصوفة * ولما حكى
الله تعالى كلام الطاعنين في النبوات وأجاب عنها بأن أغراضهم من تلك المطاعن القرد وعدم
الانقياد بين بقوله تعالى (وله من في السموات) أي الاجرام العالية وهي ما تحت العرش وجمع
السما هنا لاقتضاء تفضيل الملك ذلك ولما كانت عقولهم لا تدرك تعدد الارض وحدها فقال
(والارض) أي له ذلك خلقا وملكا أنه منزعه عن طاعتهم لانه هو الملك لجميع المحدثات والمخلوقات
وعبر عن تغليب العقلاء وقوله تعالى (ومن عنده) أي وهم الملائكة باجاء الامة ولان الله تعالى
وصفهم بأنهم يسجدون الليل والنهار لا يفترون وهذا لا يليق بالبشر مبتدأ خبر (لا يستكبرون
عن عبادته) بنوع كبر طلبا ولا ايجادا وخصهم بالذكر لذكر امتهم عليه تزيلا لهم منزلة المقربين
عند الملك (تنبيه) * هذه العندية للشرف والرتبة لا عندية المكان والجهة فكانه تعالى قال
الملائكة مع كمال شرفهم وعلو مراتبهم ونهاية جلالته لا يستكبرون عن عبادته فكيف يليق
بالبشر الضعيف القرد عن طاعته (و) مع ذلك أيضا (لا يستعصرون) أي لا يعيرون وانما يحى
بالاستحسان الذي هو ابلغ من الحسور تنبيهها على أن عبادتهم من ثقلها ووداها حقيقة بأن
يستعصر منها ولا يستعصرون ولا يطلبون أن يقطعوا عنها فأنج ذلك قوله تعالى (يسجدون) أي
ينزهون المستحق للتزنية بأنواع التزنية من الاقوال والافعال (الليل والنهار) أي جميع آثامها
دائما (لا يفترون) أي عن ذلك وقسم الاوقات فهو منهم كالفنس مثلا لا يشغلنا عنه شاغل * ولما
كانوا عنده هذا البيان جديرين بأن يادروا الى التوحيد فلم يفعلوا كانوا حقيقين بعد الاعراض
عنهم بالتوبيخ والتحكم والتعنيف فقال تعالى (أم اتخذوا) أي بل اتخذوا فأم بمعنى بل لا يقال
والهمزة لتأكيد اتخاذهم (آلهة من الارض) ومعنى نسبتها الى الارض الايدان بأنها
الاصنام التي تعبد في الارض لان الآلهة على ضربين أرضية وسماوية ومن ذلك حديث
الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ربك فأشارت الى السماء فقال انها مؤمنة
لانه فهم منها أن مرادها هي الآلهة الارضية التي هي الاصنام لا نبات أن السماء مكان الله
تعالى ويجوز أن يراد آلهة من جنس الارض لاننا إنما نخت من بعض الجواهر أو فعل من
بعض جواهر الارض (هم ينشرون) أي يحبون الموفق لا يقدر على ذلك وهم وان لم يصروا
بذلك لزم من ادعائهم لها آلهة أنهم يقدر على ذلك فان من لوازمها الاقتدار على جميع
الممكنات فالمراد به تجهيلهم والتحكم بهم والمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص
الاتشار بهم ثم انه سبحانه وتعالى أقام البرهان القطعي على نفي الخبر ببرهان التامع وهو أشد
برهان لاهل الكلام فقال (لو كان فيهما) أي السموات والارض أي في تدبيرهما (آلهة الاثني)

أي غير الله تعالى (نفسه) أي نظريتنا عن نظامهما المشاهد لوجود المنافع بينهما على وفق العادة
 عند تقدير الحاكم وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق **سكان** والله
 أعز على من دم ناظري ولكن لا يجمع خلاف في شول وهذا ظاهر وأما طريقة المنافع فقال
 المتكلمون القول بوجود الهين منفض إلى المحال لأن فرضنا وجود الهين فلا بد أن يكون
 كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على
 تحريك زيد ونسكبه ولو فرضنا أن أحدهما أراد تحريكه والاخر أراد نسكبه فاما أن يقع
 المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين أو لا يقع واحد منهما وهو محال لأن المنافع من
 وجوده مراد كل واحد منهما مراد الآخر فلا يتبع مراد هذا الا عند وجود مراد ذلك
 وبالعكس أو يقع مراد أحدهما دون الآخر وذلك أيضا محال لأن الذي وقع مراده يكون
 قادرا والذي لم يقع مراده يكون عاجز والعجز نقص وهو على الاله محال فثبت أن الفساد لازم
 على كل التقديرات وإذا وقعت على حقيقة هذه الدلالة عرفت أن جميع مافي العالم العلوي
 والسفلي من المخلوقات دليل على أن وحدانية الله تعالى والدلائل السبعة على الوحدةانية
 كثيرة في القرآن • ولما أفاد هذا الدليل أنه لا يجوز أن يكون المدبر للسموات والارض
 الا واحدا وأن ذلك الواحد لا يكون الا الله تعالى قال (فسبحان الله) أي فتسبب عن ذلك
 تارة المتصف بصفات الكمال (رب) أي خالق (العرش) أي الكرسي المحيط بجميع الاجسام
 الذي هو محل التدبير ومنشأ التقادير (عبادصفون) أي الكفار الله به من الشريك له وغيره
 ثم بين تعالى ذلك بقوله عز وجل (لا يسئل) أي من سائل ما (عبادفعل) لعظمته وقوة سلطانه
 وإذا كانت عادة الملوك والجبارة أن لا يسألهم من في مملكتهم عن أفعالهم وعبادهم
 ويصدرون من تدبير مملكتهم تهيبا واجلالا مع جوار الخطا والزلل وأنواع الفساد عليهم كان
 ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم أولى بأن لا يسئل عن أفعاله مع ما علم واستقر
 في العقول من أن ما يفعله كله مفعول بدوأي الحكمة ولا يجوز عليه الخطا (وهي سألون)
 لانهم ملوك مستعدون خطاؤون فخالقهم بأن يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه ولما قام
 الدليل ووضع السبيل واضمحلت كل قال وقيل وانقضت الاطلس **سكن** رتعالى
 (أم اتخذوا من دونه آلهة) كثره استغفالا عنهم واستغفالا لغيرهم واطهارا لجهلهم
 • ولما كان جوابهم اتخذوا ولا يرجع أمر الله تعالى بنيه بجوابهم فقال (قل هاؤا برهانكم) على
 ما اذعقوه من عقل أو نقل كما أثبت أنا ببرهان النقل المؤيد بالعقل • ولما كان تعالى لا يؤخذ
 بمخالفة العقل لما يخضم إليه دليل النقل اتبعه قوله مشيرا إلى ما بعث الله تعالى به الرسل من
 الكتب (هنا ذكر) أي موعظة وشرف (من معي) عن آمن بي وهو القرآن الذي عجزتم عن
 معارضته (وذكر) أي وهذا ذكر (من قبلي) من الامم الماضية وهو التوراة والانجيل
 وغيرهما من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالوحيد والتهى عن الاشرار
 • ولما كانوا لا يجدون شبهة لهم فضلا عن حجة ذمتهم الله تعالى على جهلهم بمواضع الحق

قوله أي الكرسي
 تبع فيه الجلال
 المحلى وكسب عليه
 الجمل قوله الكرسي
 لاجابة لهذا بل
 الاولى بقاء العرش
 على ظاهره لان
 التحقيق انه جسم
 مغاير للكرسي اه

فقال تعالى (بل أكرههم) أي هؤلاء المدعون (لا يعلمون الحق) فلا يعجزون عنه وبين الباطل بل أكرههم جهلة والجهل أصل الشر والفساد (فهم) أي فتسبب عن جهلهم ما افتخروا به السورة من أنهم (معرضون) عن التوحيد واتباع الرسل * ولما كان الأرسال بالفعل غير مستغرق للزمان المتقدم كما أن الرسالة لا يقوم بها كل واحد فكذلك الأرسال لا يصلح له كل زمن أثبت الجار في قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك) وأغرق في النفي فقال (من رسول) في شيع الأولين (الابوحي اليه) من عندنا (أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وهذا مقترن بالنسبة من أي التوحيد وقال تعالى (الأنامل يقل نحن اثنا يجعلوا ذلك وسيلة إلى ما ادعوه من تعبد الآلهة ولذلك قال فاعبدون بالافراد وقرأ حفص وحزرة والكسائي بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء * ولما بين سبحانه وتعالى بالدلائل الباهرة كونه منزها عن الشريك والفتنة والنداء رد ذلك ببراهنه عن اتخاذ الولد بقوله (وقالوا اتخذ) أي تكلف كما يتكلف من لا يكون له ولد (الرحمن) أي الذي كل موجود من قبض نعمه (ولدا) نزل في خرافة حيث قالوا الملائكة بنات الله وقيل نزل ذلك في اليه وحيث قالوا أنه تعالى صاهر الجن فكأن منهم الملائكة كما حكي الله تعالى عنهم قولهم وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ثم أنه سبحانه وتعالى نزه نفسه عن ذلك بقوله تعالى (سبحانه) أي تنزه عن أن يكون له ولد فإن ذلك يقتضي الجحاسة بينه وبين الولد ولا تصح مجحاسة النعمة للنعمة الحقيقي (بل) أي الذين جعلوا له ولداً وهم الملائكة (عباد) من عباده أنعم عليهم بالعباد كما أنعم على غيره لا أولاد فإن العبودية تنافي الولدية (مكرمون) بالعبادة من الرزق ولذلك فسر الأكرام بقوله تعالى (لا يسبقونه) أي لا يسبقون أذنه (بالقول) أي لا يقولون شيئاً حتى يقول كما هو شأن العبيد المؤذنين (وهم بأمره) إذا أمرهم (يعملون) لا بغيره لأنهم في غاية المراقبة له تعالى فجمعوا في الطاعة بين القول والفعل وذلك غاية الطاعة ثم علل أخباره بذلك بعله بما هو ذا الخبر به من درج فسيه بقوله تعالى (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما علموا وما هم عاملون لا تخفى عليه تعالى خافية مما قدّموا وأخروا ثم صرح تعالى بلازم الجلالة الأولى فقال (ولا يشفعون) أي لا في الدنيا ولا في الآخرة (الأمين ارتضى) فلا تطمعوا في شفاعتهم لكم بغير رضاه تعالى قال ابن عباس والضحاك (الأمين ارتضى) أي لمن قال لا إله إلا الله فسقط بذلك قول المعتزلة أن الشفاعة في الآخرة لا تكون لأهل الكبر ثم صرح بلازم الجلالة الثانية فقال (وهم من خشيته) أي لا من غيرها (مشفقون) أي خائفون وأصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خصهم العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدى عن فعلى الخوف فيه أظهر وان عدى بعلى فبالعكس * ولما نفي تعالى الشريك مطلقاً ثم مقيداً بالولدية أتبعه الهديد على أدعائه تعذيب المتبوع الموجب لتعذيب التابع بقوله تعالى (ومن يقل منهم) أي من الخلائق حتى العباد المكرمين الذين وصف كرامتهم وعرب منزلتهم عنده وأثنى عليهم (إني ألهمهم دونه) أي الله أي غيره والذي قال ذلك كما قال الجلال المحلى هو إبليس دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعتها (فذلك) أي الذين

الذي لا يصلح لتقريب أصلا (فجز به جهنم) اظلمه (كذلك) أي مثل هذا الجزء الفطيم جدا
(فجزى الظالمين) أي المشركين ثم انه سبحانه وتعالى شرع الآتي في الدلائل الدالة على وجود
الصانع فذكر منها ستة أنواع النوع الأول قوله تعالى (أولم ير) أي يعلم (الذين كفروا) علماهو
كالمشاهدة (أن السموات والأرض كانتا) ولم يقل كن لأن المراد جماعة السموات وجماعة
الأرض (رتقا) قال ابن عباس والضحك كالتأشيب واحد ملتزقين زبدة واحدة (ففققناهما)
أي فصلنا بينهما بالهواء والرتق في اللغة السد والفتق الشق قال كعب خلق الله السموات
والأرض بعضها على بعض ثم خلق ريحا توسطتهما ففتقهما بها وقال مجاهد والسدى كانت
السموات رتقا طبقة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الأرض كانت رتقا طبقة ففتقها
فجعلها سبع أرضين وقال عكرمة وعطية كانت السموات رتقا لا تمطر والأرض رتقا لا تنبت
ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الارتفاع
أو السموات بأسرها على أن لها مدخلا في الأقطار وإنما قال تعالى رتقا على التوحيد وهو
نعت للسموات والأرض لأنه مصدر والكفرة وإن لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم بالنظر
أو باستفسار من العلماء أو مطالعة الكتب وقرأ ابن كثير لم يغيروا وبين الهزمة ولم والباقون
بالواو وبين الهزمة واللام النوع الثاني من الدلائل قوله تعالى (وجعلنا) أي خلقنا بما اقتضت
عظمته (من الماء) الماء هو الدافق وغيره (كل شيء حتى) مجازا في النبات وحقيقة في الحيوان
(فإن قبل) قد خلق الله تعالى بعض ما هو حتى من غير الماء كآدم وعيسى والملائكة (أجيب)
بأن هذا خرج مخرج الأغلب والأكثر أي أن أكثر ما خلق الله خلق من الماء وبقاؤه بالماء
وقيل المراد بالماء ما نزل من السماء أو سبع من الأرض (أفلا يؤمنون) مع ظهور هذه الآيات
الواضحات لتوحيدى النوع الثالث من الدلائل قوله تعالى (وجعلنا في الأرض رواسي)
أي جبالا لتوابع كراعى (أن عمدا) أي تتحرك (بهم) قيل إن الأرض بسطت على الماء فكانت
تتحرك كما تتحرك السفينة في الماء وأرسلها الله وأثبتها بالجبال النوع الرابع من الدلائل قوله
تعالى (وجعلنا فيها) أي في الرواسي (خجاجا) أي مسالك واسعة سهله ثم أبدل منها (سلا) أي
مذلة للسالك ولولا ذلك لتعسر أو تعذر الوصول إلى بعض البلاد (لعلهم يهتدون) إلى
منافعهم من ديارهم وغيرها وإلى ما فيها من دلائل الهداية النوع الخامس من الدلائل قوله
تعالى (وجعلنا السماء) وأفردها مع إرادة الجنس لأن أكثر الناس لا يشاهدون منها
الاسماء الدنيا ولأن الحفظ للشيء الواحد أنقن (سقفا) أي للأرض كالسقف للبيت
(محفوظا) أي عن السقوط بالقسرة وعن الفساد والانحلال إلى الوقت المعلوم بالمشيئة وعن
الشياطين بالنهب (وهم) أي أكثر الناس (عن آياتها) أي من الكواكب والسموات والصغار
والرياح والأمطار وغير ذلك من الدلائل التي تفوت الانحصار الدالة على قدرتنا على كل
ما نريد من البعث وغيره وعلى عظمتنا بالتفرد بالالهية وغير ذلك من أوصاف الكمال من الجلال
والجلال (معرضون) لا يتفكرون فيما فيها من السبر والتدبير وغير ذلك فيعلمون أن خالقها

لاشريك له النوع السادس من الدلائل قوله تعالى (وهو) أى لاغيره (الذى خلق الليل والنهار) ثم أتبعهما أعظم آيتهما بقوله تعالى (والشمس) التى هى أعظم آية النهار (والقمر) الذى هو أعظم آية الليل (كل) أى من الشمس والقمر وتابعه وهو النجوم (فى فلك) أى مستدير كالطاحونة فى السماء (يسبحون) أى يسبحون بسرعة السابح فى الماء وللشمس به أى بضمير جمع من يعقل والمراد بالفلك الجذس كقولك كساهم الاميرحلة وقلد هم سيفا أى كل واحد منهم أو كساهم وقلد هم هذين الجنس فاكفى بما يدل على الجنس اختصارا ولأن الغرض الدلالة على الجنس * ونزل لما قال الكفار ان محمدا سموت (وما جعلنا البشر من قبلك الخلد) أى البقاء فى الدنيا (أفان) أى أيتنون موتك فان (مت فهم الخالدون) فيها لاوله ليسوا بالخالدين فالجمله الاخيرة هى محل الاستفهام الانكارى وفى معنى ذلك قول فروتن مسبك الصعابي وقل للشاكرين بنا أيقنوا * سلقى الشامتون كالمقينا

وقرأ نافع وحفص وحزرة والكسائي بكسر الميم والباقون بضمها ثم بين تعالى أن أحد الايقن فى هذه الدنيا بقوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) أى ذائقة مرارة الموت أى مرارة مقارنة روحها جسد ها فلا يفرح أحد ولا يحزن لموت أحد بل يشغل بما بهمه واليه الاشارة بقوله (وتبلوكم) أى نعاملكم معاملة المبلى المختبر ليظهر فى عالم الشهادة الشاكر والصابر والمؤمن والكافر كما هو عندنا فى عالم الغيب بأن نخالطكم (بالشر) وهو المضار النسيوية من الفقر والام وسائر الشدائد النازلة بالمكافين (والخير) وهونم الدنيا من الصحة واللذة والسرور والتكسب من المراتب وقوله تعالى (فتنة) مفعول له أى لنتظر أن تصبرون وتشكرون أم لا كما يقف الزهبد اذا أريدت صفة بالنار عما يخاطبه من الغش فبين تعالى أن العبد مع التكليف يتردد بين هاتين الحالتين لى يشكر على المنح ويصبر على المحن فيعظم ثوابه اذا قام بما يلزم (والينا) بعد الموت لالى غيرنا (ترجعون) فنجاز بكم بما علمتم ثم عطف تعالى على قوله وأسروا النجوى قوله تعالى (واذرا لى) أى وأنت أشرف الخلق (الذين كفروا ان) أى ما (يتخذونك) أى حال الرؤية (الاهزوا) أى مهزوا به يقولون انكارا واستصغارا (أهذا الذى يذكر آلهتكم) أى بسوء الدكر يكون بالخبر والشر فاذا دلت القرينة على أحدهما أطلق عليه وذكر العدو ولا يكون الابسوء (وهم) أى والحال أنهم (يذكر الرحمن) أى اذا ذكر لهم الرحمن (هم كفرون) وذلك أنهم كانوا يقولون لانعرف الرحمن الامسيلة وهم الثانية للتاكيد * ونزل فى استحجالهم العذاب (خلق الانسان من عجل) كأنه خلق منه لقرط استحجاله وقلة شباهه والعرب تقول لاذى يكتر منه الشئ خلقت منه كقولك خلق زيد من الكرم فجعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مما لفته فى رومعه ولذلك قيل انه على القلب أى خلق العجل من الانسان ومن بعثته مبادرته الى الكفر واستحجال الوعد وقال سعيد بن جبسر والسدي لما دخل الروح فى رأس آدم وعينيه نظرت الى غماو الجنة فلما دخل الروح فى جوفه اشتفى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح الى رجله فجعل الى غماو الجنة فوقع فقيل خلق الانسان

من عجل والمراد بالانسان آدم وأورث أولاده العجلة وقال قوم معناه خلق الانسان يعني آدم عليه السلام من تعجل في خلق الله تعالى آياه لأن خلقه كان بعد خلق كل شيء في آخر النهار يوم الجمعة فأسرع في خلقه قبل مغيب الشمس قال مجاهد فلما أحيا الروح رأسه قال يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس وقبل بسرعة وتعجل على غير ترتيب خلق سائر الادميين من النطفة ثم العلقه ثم المضغه وغيرها وقال قوم من عجل أى من طين قال الشاعر والنسج في الحضرة الصمامنبته * والتخل ينبت بين الماء والعجل

ثم قال تعالى مهتد للمكذبين (سأريكم آياتى) أى مواعيدى بالعذاب (فلانستعجلون) أى تطلبون أن أوجد العجلة بالعذاب وأغيره فاني منزعه عن العجلة التى هى من جملة نقائصكم لانها ارادة الشيء قبل أوانه (فان قيل) لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله تعالى وكان الانسان عجولا أليس هذا من تكليف ما لا يطاق (أجيب) بأن هذا كإركب فيه الشهوة وأمره أن يغلها لانه أعطاه القدرة التى يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقد أراهم بعض آياته وهو القتل بيدر (ويقولون) فى استهزائهم (متى هذا الوعد) أى باتيان الآيات من الساعة ومدة مايتها وغيرها (ان كنتم) فيما وعدون به (صادقين) أى عربيقين فى هذا الوصف يعنون محمد اصى الله عليه وسلم وأصحابه وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزاء ثم بين تعالى أنهم يقولون ذلك لجهلهم بقوله تعالى (لويلم الذين كفروا) وذكر المفعول به بقوله تعالى (حين) أى وقت (لا يكفون) أى لا يدفعون (عن وجوههم) التى هى أشرف أعضائهم (النار) استسلاما وعجزا (ولاعن ظهورهم) التى هى اشتد أجسامهم السباط (ولاهم ينصرون) أى لا ينعون من العذاب فى القيامة وجواب لو محذوف والمعنى لو علو المآقاموا على كفرهم ولما استعجلوا العذاب ولا فالوامتى هذا الوعد ان كنتم صادقين (بل تأتيتهم) أى القيامة (بفتنة) أى فجأة (فتبتهم) أى تحيرهم يقال فلان مبهوت أى تحير (فلا يستطيعون ردها) أى لا يطلبون طوع ذلك لهم فى ذلك الوقت لياسهم منه (ولاهم ينظرون) أى يجهلون لتوبة أو معةزة * ولما كان التقدير حاق بهم هذا باستهزائهم بك أتبعه ما يدل على أن الرسل فى ذلك شرع واحد تسليمة له صلى الله عليه وسلم فقال عاطفا على وإذا رآك ولقد استهزئ برسل من قبلك) أى كثيرين فلهم أسوة وقرأ أبو عمرو وعاصم وحزرة فى الوصل بكسر الدال والباقون بالضم وإذا وقف حزة أبدل الله مزنة باسماء كنه (لخاق) أى نزل (بالذين حضروا منهم ما كانوا به يستهزئون) وهو العذاب فكذا يبحى عن استهزأ بك * ولما أعلم الله تعالى أن الكفار فى الآخرة لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم بسائر ما وصفهم به أتبعه بأنهم فى الدنيا أيضا لولا أن الله تعالى يحرسهم ويحفظهم لما بقوا فى السلامة فقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم

(قل) يا أشرف المرسلين للمستهزئين (من يكلوكم) أى يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) أى من عذابه ان نزل بكم أى لأحد بفعل ذلك (بل هم من ذكر ربهم) أى القرآن (معرضون) لا يفكرون فيه ولا يحيطرونه يسألهم فضلا أن يحافوا بأسه (آم) فيها معنى الهزيمة للانكسر

أَيْ (إِلَهُمَّ آلِهَةً) موصوفة بأنها (غنيهم) مما يسودهم (من دوتنا) ليس لهم ذلك ثم وصف آلهم
 بالضعف فقال تعالى (لا يستطيعون) أَيْ (الآلهة) (نصر أنفسهم) فكيف ينصرون عابديهم
 (ولاهم) أَيْ (الكفار) (مننا) أَيْ من عذابنا (يحبون) أَيْ يجارون يقال يحبك الله أَيْ حفظك
 وأجارك (بل معناه هؤلاء) أَيْ الكفار على حقارتهم (وآباءهم) من قبلهم بالنعم استندوا
 (حتى طال عليهم العمر) أَيْ امتدت بهم أيام الدنيا بالروح والطماينة فحسبوا أن لا يزالوا على
 ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم نوب أمنتهم واستماعتهم فاغتروا بذلك وذلك طمع فارغ وأمل كاذب
 وغلط ورش اللام بخلاف عنه (أفلا يرون) أَيْ يعلمون علما هو في وضوحه مثل الرؤية بالبصر
 (أننا نأت الأرض) أَيْ أرض الكفرة (ننقصها من أطرافها) بتسلط المسلمين عليهم وإظهارهم
 على أهلها بقتل بعض ورد بعض عن دينه إلى الإسلام فهم في نقص وأوليان في زيادة (أفهم
 الغالبون) أَيْ مع مشاهدتهم لذلك أم أوليانا * ولما كثر سبحانه وتعالى في القرآن الأدلة وبالغ
 في التنبيه عليهم على ما تقدم أتبعه بقوله تعالى (قل) يا أشرف الخلق هؤلاء المشركين (أنما
 أنذركم) أَيْ أخوفكم (بالوحي) أَيْ بالقرآن الذي هو كلام ربكم فلا تنظنوا أنه من قبل نفسي
 (ولا يسمع الصم الدعاء) أَيْ عن يدهم (إذا ما يندرون) أَيْ يخوفون فهم تركوا العمل بما معوه
 كالصم (فان قيل) الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المندر فكيف قيل إذا
 ما يندرون (أجيب) بأنه وضع الظاهر موضع المظهر للدلالة على تصاقهم وسددهم أسماعهم إذا
 أنذروا أَيْ هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة وعلى التصائم عن آيات الانذار وقرأ ابن
 عامر ولا تسمع بالباء الفوقية مضمومة وكسر الميم ونصب ميم الصم على الخطاب النبوي
 والباقون بالياء التحتية وفتح الميم ورفع ميم الصم وفي الدعاء وإذا همزتان مختلفتان من كلمتين
 الأولى مفتوحة والثانية مكسورة قرأ نافع وابن كثير وأبو عمر وبحقيق الأولى وتسهيل الثانية بين
 الهمزة والياء والباقون بتحقيق الهمزتين وهذا في حال الوصل فان وقف على الهمزة الأولى
 فالجميع يتبدون الثانية بالتحقيق ويقف جزء وهشام يبدل الهمزة ألفا مع المد والتوسط
 والقصر (ولئن سمعهم) أَيْ أصابتهم (نفعة) أَيْ دفعة خفيفة وفي ذلك ما لغات ذكر المس وما في
 النفعة من معنى القلة فان أصل النفع هبوب رائحة الشيء والتناء الدالة على المزة (من عذاب
 ربك) المحسن اليك بنصرك عليهم من الذي يندرون به (ليقولن) وقد أذهلهم أمرها (يا ويلنا)
 الذي لا نرى بحضرتنا الآن غيره (أنا كاذبا لمن) دعوا على أنفسهم بالويل بعدما أقرت وبالظلم
 ثم ذكر تعالى بعض ما يفعل في حساب الساعين العدل فقال عا طفا على قوله تعالى بل تأنيبهم
 بغنة (ووضع الموازين القسط) أَيْ ذوات العدل (ليوم القيامة) أَيْ فيه وانما جمع الموازين
 لكثرة من توزن أعمالهم ويجوز أن يرجع إلى الوزنات وقيل وضع الموازين تقديلا لارصاد
 الحساب السوي والجزاء على حسب الأعمال بالعدل والجمع الذي عليه أئمة السلف أن الله
 تعالى يضع ميزانا حقيقة توزن به أعمال العباد وعن الحسن هو الميزان له كفتان وسان ويروى
 أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فأراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب ففشى عليه

ثم أفاق فقال الهي من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات قال ياداداني اذا رصبت عن عبدى ملائمتها بقرة (فان قيل) كيف توزن الاعمال مع أنها أعراض (أجيب) بأن فيه طريقين أحدهما أن توزن صحائف الاعمال فتوضع صحائف الحسنات في كفة وصحائف السيئات في كفة والثاني أن توضع في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة (فان قيل) هذه الآية يناقضها قوله تعالى في الكفار فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا (أجيب) بأن المراد منه ان لا تكرمهم ولا تعظمهم (فلا تظم نفس شيئا) أى من نقص حسنة أو زيادة سيئة (وان كان) أى العمل (منقال) أى وزن (حبة من خردل) أو أصغر منه وانما مثل به لانه غاية عندنا في القلة وقرأنا فرفع اللام على أن كان نامة والساقون بالنصب وكذا في اقصمان (أبتنا بها) أى بوزنها ولما كان حساب الخلائق كلهم في كل ما صدر منهم أمرا باهر للعقل حقره عند عظمتهم فقال (وكفى بنا) أى بما لنا من العظمة (حاسبين) أى محصين في كل شيء فلا يكون في الحساب أحد مثلنا ففيه نوع من جهة أن معناه أن لا يروج عليه شيء من خداع ولا يقبل غلط ولا يضل ولا ينسى الى غير ذلك من كل ما يلزم منه نوع لبس وشوب منقص ووعده من جهة أنه مطلع على حسن قصد وان دق وخفي * ولما تكلم سبحانه وتعالى في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد شرع في قصص الانبياء عليهم السلام نسبية لرسوله صلى الله عليه وسلم فيما يناله من قومه وتقوية لقلبه على أداء الرسالة والصبر على كل عارض وذكر منها محسرا * القصة الاولى قصة موسى عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (ولقد آتينا موسى وهرون) أى أخاه الذى سأل ربه أن يشد أزربه (الفرقان) أى التوراة الفارقة بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام (وضياء) بهاء لا ظلام معه أى ليس تضاء بها في ظلمات الخسيرة والجهل وقرأ قبل بعد الضاد بهمزة مفتوحة ممدودة والباقيون بياء بعدها ألف (وذكرآ) أى عظة (للمتقين) أوردكم ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر ويراد بالضياء على هذين التوراة ثم بين المتقين بوصفهم بقوله تعالى (الذين يخشون) أى يخافون خوفا عظيما (ربهم) أى المحسن اليهم بعد الايجاد بالتربية وأنواع الاحسان (بالغيب) عن الناس أى في الخلا عنهم أو بالغيب قبل أن يكشف لهم الحجاب في الجنة (وهم من الساعة) التى توضع فيها الموازين وقد أعرض عنها الجاهلون مع كونها أعظم حامل على كل خير ومباعد عن كل ضير (مشفقون) أى خائفون لانهم لقيامها بتحقيقون والنصب الموازين فيها عالمون * ولما ذكر تعالى فرقان موسى عليه السلام وكان العرب يشاهدون تمسك اليهود به منهم على كتابهم الذى هو أشرف منه بقوله تعالى (وهذا) أى القرآن وأشار اليه بأداة القرب اجماعا الى سهولة تناوله عليهم (ذكرآ) أى موعظة (مباركة) أى كثيرة خيرة (أنزلناه) على أشرف الرسل محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (أفأنتم له منكرون) أى جاحدون استفهام نوبيخ * القصة الثانية قصة ابراهيم عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (ولقد آتينا) بما لنا من العظمة (ابراهيم) ربه) أى صلاحه وهداه (من قبل) أى من قبل موسى وهرون ومحمد صلى الله عليه وسلم عليهم وقيل

من قبل استنبأه أو بلوغه حيث قال انى وجهت وجهى (وكتابه) ظاهره اوابطناء (عالمين) بأنه
 أهل لما آتينا لانه جبلة خير جامع لخاص الاوصاف ومكارم الاخلاق والخصال يدوم على الرشد
 ويرقى فيه الى أعلى درجاته لماطبعا عليه وفي ذلك اشارة الى أنه فعله تعالى باختيار وحكمة
 وانه عالم بالجزئيات وتعليق (اذ قال) أى ابراهيم (لايه وقومه) بعالمين اشارة الى أن قوله
 لما كان باذن منا ورضائنا نصرناه وهو وحده على قومه كلهم ولولم يكن رضينا المنعاه منه بنصر
 قومه عليه وتكبير النار منه ثم ذكره قول القول فى قوله منكر عليهم محقر الاصنامهم (ما هذه
 التماثيل) أى الصور التى صنعوها مماثلين بها ما فيه روح الله جاعلين لها ما لا يكون الا لمن
 لا مثل له وهى الاصنام (التي أنتم لها) أى لاجلها وخدامكم كثرة ما يشبهها وما هو أفضل منها
 (عاكفون) أى مقبضون على عبادتها (فان قيل) هلا قال عليها عاكفون كقوله تعالى يعكفون
 على أصنام لهم (أجيب) بأن اللام للاختصاص لا للتعديده ولو قصد التعديده لعداه بصلته التى
 هى على ثم انه تعالى ذكر جوابهم له عازم الاستفهام عن السؤال بأنهم (قالوا وجدنا آباءنا لها
 عابدين) فاقصد بنابهم لاجلنا غير ذلك فاطر ما اقع التقليد وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين
 حتى استدرجهم الى أن قلدوا آباءهم فى عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معقدون أنهم
 على شئ وجادون فى نصرته مذهبهم ومجادلون أهل الحق عن باطلهم وكفى أهل التقليد مسبة أن
 عبدة الاصنام منهم والتقليدان جازفا غما يجوز لن علم فى الجملة أنه على حق ولذا (قال) ابراهيم
 عليه السلام (لقد كنتم) وأكده بقوله (أنتم) لاجل صحة العطف لأن الضمير المرفوع المتصل
 حكمه حكم جزء الفعل والعطف على ضمير هو فى حكم بعض الفعل بمنع وتنفوه اسكن أنت
 وزوجك الجنة (وأبأوكم) أى من قبلكم (فى ضلال مبين) فبين ان المقلدين والمقلدين جميعا
 مضطربون فى سلك ضلال لا ينجي على من به أدنى مسكة لاستناد الفريقين الى غير دليل بل الى
 هوى متبع وشيطان مطاع لاستبعادهم أن يكون ما هم عليه ضلالا بقوام متعجبين من تفضيله
 اياهم قلدا (قالوا) ظنا منهم أنه لم يقل لهم ذلك على ظاهره (أجئتنا) فى هذا الكلام (بالحق)
 الذى يطابقه الواقع (أم أنتم من اللاعنين) أى تقوله على وجه المزاح والملاعبة لاعلى وجه
 الجد (قال) عليه السلام بانياس على ما تقديره ليس كلامى لعبابيل هو جد وهذه التماثيل ليست
 أربابا (بل ربكم) أى الذى يستحق منكم اختصاصه بالعبادة (رب السموات والارض) أى
 مدبرهن القائم بمصالحهن (الذى فطرهن) أى خلقهن على غير مثال سبق وأنتم وتماثيلكم
 بما فيه من مصنوعاته أنتم تشهدون بذلك اذ رجعت الى عقولكم مجردة عن الهوى وقيل
 الضمير فى فطرهن للتماثيل قال الزمخشري وكونه للتماثيل أدخل فى تفضيلهم وأثبت للاختصاص
 عليهم (وأنا على ذلكم) أى الامر اليين من انه ربكم وحده فلا تجوز عبادة غيره (من
 الشاهدين) أى الذين يقدرون على إقامة الدليل على ما يشهدون به لم يشهدوا الاعلى ما هو
 بحمدهم مثل الشمس لا كما نعلم أنتم حين اضطررتم السؤال اتى الضلال * ولما أقام البرهان على
 اشتباه الله الحق أتبعه البرهان على ابطال الباطل بقوله (وتالله) وهو قسم والاصل فى القسم

البهاء الموحدة والواو بدل منها والتاء بدل من الواو وفيها مع كونها بدلا لزيادة على التاء كبد
 التهجيب (لا كيدن أصنامكم) أي لاجتهدن في كسرها والتاء كيد وما في التاء من التهجيب
 من تسهيل الكيد على يده وتأتيه لانت ذلك كان امرأته منوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري
 ان مثله صعب متعذرفي كل زمان خصوصا في زمن غر ودمع عتوه واستكباره وقوة سلطانه
 وبها لك على نصرته فيه ولكن * اذا الله سنى عقد شئ يسرا * ولما كان عزمه على ايقاع
 الكيد في جميع الزمان الذي يقع فيه توليهم في أي جزء يسره منه اسقط الجار فقال (بعد أن
 تولوا مدبرين) أي بعد أن تدبروا واملقن الى عيدكم قال مجاهد وقتاده إنما قال ابراهيم
 هذا من قومه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد فأشياء عليه وقال اناس معنا فتى يذكرهم يقال له
 ابراهيم وقال السدي كان لهم في كل سنة مجمع عيد فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على
 الاصنام فحجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو ابراهيم له يا ابراهيم
 لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه
 وقال اني سقيم أشد كفى برجلي فلما مضوا نادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس قالته
 لا كيدن أصنامكم فسمعوا منه ثم رجع ابراهيم الى بيت الالهة وهي فيهم وعظيم مستقبل
 باب البهو صنم عظيم الى جنبه أصغر منه والاصنام بعضها الى جنب بعض كل صنم يليه أصغر
 منه الى باب البهو واداهم قد جعلوا طعاما فوضعه بين يدي الالهة وقالوا اذا رجعنا وقد
 بركت الاصنام الالهة عليه أكلنا منه فلما نظر ابراهيم اليهم والى ما بين أيديهم من الطعام
 قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فلما لم يجيبوه قال لهم ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم
 ضربا باليمين وجعل يكسره ثم بقأس في يده حتى لم يبق الا الصنم الاكبر علق القأس في عنقه
 ثم خرج فذلك قوله عز وجل (جعلهم جذا) أي فتنا وقرأ الكسافي بكسر الجيم والباقون
 بضمها (الا كبير الهم) فانه لم يكسره ووضع القأس في عنقه وقيل ربطه بيده وكانت اثنين
 وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد ورمصاص وخشب وحجر
 وكان الصنم الكبير من الذهب مكللا بالجواهر في عينيه ياقوتان تتقدان (لعلهم) أي هؤلاء
 الضلال (اليه) أي ابراهيم (يرجعون) عند الزامه بالسؤال فتقوم عليهم الحجة فلما عادوا الى
 أصنامهم فوجدوها على تلك الحال (قالوا من فعل هذا) الفعل الفاعش (يا كهنتان لمن
 الظالمين) حيث وضع الالهة في غير موضعها فان الالهة حقها الاكرام لا الالهة والانتقام
 (قالوا) أي الذين سمعوا قول ابراهيم وتالله لا كيدن أصنامكم (سمعتا فتى) أي شابا من الشباب
 (يذكرهم) أي بعيهم وبسبهم (يقال له ابراهيم) أي هو الذي تظن أنه صنع هذا فلما بلغ ذلك
 عمرو الجبار وأشراف قومه (قالوا فتوبوا) الى بيت الاصنام (على أعين الناس) أي
 جهره والناس ينظرون اليه نظرا الاخفاء معه حتى كأنه ماش على أبصارهم متفكنا منها تمكن
 الرأكب على المركوب (لعلهم يشهدون) عليه بأنه الذي فعل بالالهة هذا الفعل كرهوا
 أن يأخذوا بغير بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون عذابه وما يصنع به فلما أتوا به (قالوا) منكبين

عليه (أأنت فعلت هذا) الفعل الفاحش (يا لهنا يا ابراهيم) * (تنبيه) * هنا هم جزئان
مفتوحان من كلمة فالتراء الجميع على تحقيق الاولى وأما الثانية فيسبها نافع وابن كثير وأبو
عمرو وهشام بخلاف عنه وأدخل بينهما الفاقولن وأبو عمرو والباقون بتحقيقه ما وعد
الادخال بينهما ثم (قال) ابراهيم متكلم بهم ولم يزل بالحجة (بل فعله كبيرهم) غيرة أن يعبد معه من
هودونه وتقصيده بقوله (هَذَا) إشارة الى الذي تركه من غير كسر * ولما أخبرهم ولم يكن
احد رآه حتى يشهد على فعله وكافوا قد احلوه بعد ادتهم ووضع الطعام لهم لم يحمل من يعقل
تسبب عنه أمرهم بسؤالهم فقال (فاسألوههم) أى عن الفاعل ليخبروكم به وقوله (أن كانوا
ينطقون) أى على زعمكم انهم آلهة يضرون وينفعون فيه تقديم جواب الشرط أى فان قدروا
على النطق أمكنت عنهم القدرة والافلا فأراهم يحجزهم عن النطق وفي ضمنه أنافعلت ذلك
روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات
ثنتين منهن في ذات الله قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه أختي وقال
في حديث الشفاعة ويذكر كذباته أى انه لم يتكلم بكلمات صورتها صورة الكذب وان كان
حقا في الباطن الا هذه الكلمات وقيل في قوله انى سقيم أى ساقم وقيل سقيم القلب أى مغتم
بضلاتكم وقوله لسارة هذه أختي أى في الدين وقوله بل فعله كبيرهم هذا روى عن
الكسائي أنه كان يقف عند قوله بل فعله ويقول معناه بل فعله من فعله وقوله كبيرهم هذا مبتدأ
وخبر قال البغوي وهذه التأويلات لنفي الكذب والاولى هو الاول الحديث فيه ويجوز
أن يكون الله تعالى قد أذن له في ذلك لقصد اصلاح وتوبتهم والاحتجاج عليهم كأذن ليعوسف
عليه السلام حتى نادى مناديه فقال أيتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سارقوا وقال الرازى
الحديث محمول على المعارض فان فيها مندوحة عن الكذب أى تسمية المعارض كذبا لما
اشبهت صورتها صورته وقرأ ابن كثير والكسائي بفتح السين ووزل الهزة وكذا يفعل
جزء في الوقف والباقون بسكون السين وبعدها همزة مفتوحة وقيل الوقف على بل فعله
ثم يتبدى بقوله كبيرهم هذا * ولما اضطرتهم الدليل أن يحققوا أنهم على محض الباطل
(فارجعوا الى أنفسهم) بالتفكر (فقالوا) أى بعضهم لبعض (انكم أنتم الظالمون) لكونكم
وضعتم العبادة في غير موضعها لابراهيم فانه أصاب باهانتها (ثم تكسوا على رؤسهم) أى
انقلبوا غير مستحيين عما يلزمهم من الاقرار بالسفاهة الى المجادلة به بعدما استقاموا بالمرابعة من
قولهم تكس المريض اذا عاد الى حاله الاول شبه عودهم الى الباطل بصورة جعل أسفل النبي
مستعلياً على اعلاه ثم انهم قالوا في مجادلته عن شركائهم والله (لقد علمت) يا ابراهيم (ما هو لاد)
لا يحصهم ولا جبريهم (ينطقون) أى فكيف تأمرنا بسؤالهم * ولما تسبب عن قولهم هذا
اقرارهم بأنهم لا فائدة فيهم اتجه لابراهيم عليه السلام الحجة عليهم (قال) منكرا عليهم
موجها لهم (أفتعبدون من دون الله) أى بدله (ما لا يتعبدكم شيئا) من رزق وغيره لترجوه
(ولا يضركم) شيئا اذ لم تعبدوه لتخافوه (أف) أى تبا وقبحا (لكم) ولما تعبدون من دون الله

أى غيره وقرأ نافع وحفص بتنوين القاء مكسورة وابن كثير وابن عامر بفتح القاء من غير تنوين
 والباقون بكسر القاء من غير تنوين * ولما سبب عن فعلهم هذا ووضح أنه لا يقربه عاقل
 أنكر عليهم ووبخهم بقوله (أفلا تعقلون) فبح صنيعكم وأنتم شيوخ قد مرت بكم الدهور
 وحكمتكم التجارب * ولما دحضت حججهم وبان عجزهم وظاهر الحق واندفع الباطل (قالوا) عادلين
 إلى العناد واستعمال القوة الحسية (حرقوه) بالنار لتكونوا قد فعلتم فيه فعلاً أعظم مما فعل
 بآلهتكم (وانصروا آلهمتكم) التي جعلها جذاً (ان كنتم فاعلين) نصرتم قال ابن عمر أن
 الذى قال هذا رجل من الأكراد قيل اسمه هيتون فحسف الله تعالى به الأرض فهو يتجلجل فيها
 إلى يوم القيامة وقيل قاله عمرو بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام وروى أن عمرو بن وقومه
 حين هموا بأحراقه حبسوه في بيت ثم نبوا عليه بيتاً كل خطيرة بشرية يقال لها كوفى ثم جمعوا له
 أصلاب الخشب من أصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت
 لأجمعن حطب الأبراهيم وكانت المرأة تغزل وتشتري بغزلها الخشب احتساباً في دينها وكان
 الرجل يوصي بشراء الخشب والقائه فيه فلما جمعوا ما أرادوا وأشعلوا في كل ناحية من الخشب
 نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى كان الطير يمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرقها وقدوا
 عليه سبعة أيام فلما أرادوا أن يلقوا إبراهيم لم يعلموا كيف يلقوه فجاهم إبليس عليه اللعنة
 فعمل المنجنيق فعملوا ثم عمدوا إلى إبراهيم فقيده ورفعه على رأس البنيان ووضعوه
 في المنجنيق مقبداً مغلولاً فصاحت السماء والأرض ومن فيهما من الملائكة وبجميع الخلق
 إلا الثقلين صيحة واحدة ربنا خلّيك بلقي في النار وليس في أرضك من يعبدك غيره فأذن لنا
 في نصرته فقال عز وجل أنه خليلي وليس لي خليل غيره وأنا اله ليس له اله غيره فان استغاث
 بأحد منهم أو دعاه فلينصره فقد أدت له في ذلك وإن لم يدع أحداً غيره فأنا أعلم به وأنا وليه
 فخلوا بيني وبينه فلما أرادوا القاءه في النار أتاه خازن المياه فقال إن أردت أن أخذت النار وأتاه
 خازن الرياح فقال إن شئت طيرت النار في الهواء فقال إبراهيم عليه السلام لا حاجة لي إليكم
 حسبني الله ونعم الوكيل وروى عن كعب الأحبار أن إبراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه في النار
 لا اله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم روابه في المنجنيق إلى النار
 فاستقبله جبريل فقال يا إبراهيم ألك حاجة قال أما إليك فلا فقال جبريل فأسأل ربك فقال إبراهيم
 عليه السلام حسبني من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى وقالوا
 حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وقالها أصحاب محمد صلى الله
 عليه وسلم حين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم قال كعب الأحبار جعل
 كل شيء يطفى النار عنه إلا وزغ فانه كان ينفع في النار وعن أم شريك أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أمر بقتل الأوزاغ وقال كان ينفع على إبراهيم * ولما أراد الله تعالى الذي له القوة
 جميعاً سلامته منها قال تعالى (قلنا يا ناركوني) بإرادتنا التي لا يتلف عنها امرئ (بردا) قال ابن
 عباس لو لم يزل (وإسلاماً) لما أت إبراهيم من بردها وفي الآخرة لم يبق يومئذ نار في الأرض

الاطقت فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم ولولم يقل تعالى (علي ابراهيم) لبقيت ذات برد أبدا
والمعنى كوني ذات برد وسلام على ابراهيم فبولغ في ذلك حتى كان ذاتها برد وسلام والمراد
ابردي فيسلم منك ابراهيم أو ابردي بردا غير ضار قال السدي فأخذت الملائكة بضبعي ابراهيم
فأقعدوه على الارض فاذا بعين ماء عذب وورد أحر وزجرهم قال كعب ما أحرقت النار من
ابراهيم الا وثاقه قالوا وفكان ابراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام قال المنهال بن عمرو قال
ابراهيم ما كنت أيا ماقط أنعم مني في الايام التي كنت في النار وقال ابن يسار وبعث الله تعالى
ملك الظل في صورة ابراهيم فقعدها الى جنب ابراهيم يؤنس قال وبعث الله تعالى جبريل عليه
السلام بقعبيص من حري الجنة وطفنسة فألبسه القميص وأجلسه على الطنفسة وقعد معه
يحذنه وقال جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر أحبابي ثم نظر غرود
وأشرف على النار من صرح له فراه جالس في روضة والملك قاعد الى جنبه ومأخو له نار تحرق
الحطب فتاداه يا ابراهيم بالهك الذي بلغت قدرته ان حال بينك وبين ما أرى هل تستطيع أن
تخرج منها قال نعم قال هل تخشى ان قت فيها أن تضرك قال لا قال قم فاخرج منها فقام ابراهيم
يمشي فيها حتى خرج منها فلما خرج اليه قال له من الرجل الذي رأيته معك في مثل صورتك قاعدا
الى جنبك قال ذلك ملك الظل أرسله الى ربّي ليؤنسني فيها فقال غرود اني مقرب الى الهك
قربا لما رأيته من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت الاعدادته وتوحيدته اني ذابح له أربعة
آلاف بقرة قال اذا لا يقبل الله منك ما كنت على دينك حتى تفارقه الى ديني فقال لا أستطيع
ترك ملكي ولكن أذبحها له فذبحها له غرود ثم كف عن ابراهيم ومنعه الله تعالى منه وكان
ابراهيم اذا ذاك ابن ست عشرة سنة واختار والمعاوية بالنار لانها أهول ما يعاقب به واقطعه
ولذلك جاء في الحديث لا يعذب بالنار الا خالقها وقيل ان الله تعالى نزع عنها طبعها الذي طبعها
عليه من الحرو والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شيء
قدير فدفع عن ابراهيم حرها كما يدفع ذلك عن خزنة جهنم (وأرادوا به كيدا) أي مكرافي اضراره
بالنار وبعد خروجه منها (فجعلناه) أي جعلناه من الجلال (الاخسرين) أي أخسر من كل
خاسر عاصيهم برهاننا قاطعا على انهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجب الزيادة درجته
واستحقاقهم أشد العذاب وقد أرسل الله تعالى على غرود وعلى قومه البعوض فأكلت لحومهم
وشربت دماهم ودخلت في دماغه بعوضة فأهلكته (فائدة) وقع مثل هذه القصة لبعض
اتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو أبو مسلم الخولاني طلبه الاسود العنسي لما ادعى النبوة
فقال له اسهده أني رسول الله قال ما أسمع قال اتشهد أن محمد ارسول الله قال نعم فأمر بنا وقال اني
فيها ثم وجده قائما يصلي فيها وقد صارت عليه بردا وسلاما وقدم المدينة بعد موت النبي صلى الله
عليه وسلم فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر رضي الله عنهم وقال عمر الحمد لله الذي لم يمتني حتى
أرا في من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الله (وفي حديثه ولو ظنا)
من غرود وقومه من أرض العراق (الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) وهي الشام بارك

الله فيهما بالخصب وكثرة الاشجار والثمار والانهار ومنها بعث أكثر الانبياء قال أبي بن كعب بارك
 الله فيها وسماها مباركة لان ما من ماء عذب الا ينبع أصله من تحت العصرة التي بيت المقدس أي
 يهبط من السماء الى العصرة ثم تنفر في الارض قاله أبو العباس وعن قتادة ان عمر رضي الله
 تعالى عنه قال لكعب الاحبار ألا تحول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره
 فقال كعب اني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين ان الشام كثر الله في أرضه وبها كثره
 من عباده وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 ستكون هجرة بعد هجرة فخير الناس الى مهاجر ابراهيم قال محمد بن اسحق استجاب لابراهيم
 رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله عز وجل به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من
 نروذ ومثلهم وآمن به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارح وهاران هو أخو ابراهيم
 وكان له سمان أخ ثالث يقال له ناحور بن تارح وآمنت به أيضا سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت
 هاران الاكبر عم ابراهيم فخرج من كوثي بضم الكاف ومثلثة قال ابن الاثير هي كوثي
 العراق وهي سرّة السود وبها ولد ابراهيم الخليل عليه السلام وخرج مهاجرا الى ربه ومعه لوط
 وسارة كما قال تعالى فأمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي فخرج بليقاس القرار بدينه والامان
 على عبادة ربه حتى نزل حران فكثبها ما شاء الله ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج
 من مصر الى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين وهي بركة الشام ونزل لوط بالموتفكة وهي
 على مسيرة يوم وليس له من السبع فبعثه الله تعالى نبيا الى أهلها وما قرب منها فذلك قوله تعالى
 ونجيناهم ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين أي كما أنجيناهم أنت يا أشرف الخلق وبأفضل
 أولاده وصديقه أبابكر رضي الله تعالى عنه الى طيبة التي شرفنا هاهنا وبثنا من أنوارها في
 أرجاء الارض وأعطاهم الميثاق مثل قط وباركنا فيها للعالمين بالخلفاء الراشدين وغيرهم من العلماء
 والصالحين الذين أنبتت خيراتهم العملية والعلمية والمالية في جميع الاقطار * ولما ولد لابراهيم
 عليه السلام في حال شيخوخته وعجز امرأته مع كونها عقيما وكان ذلك دالا على الاقتدار على
 البعث الذي السياق كله له قال تعالى (وهبنا له) دالا على ذلك بنون العظمة (اسحق) أي من
 شبه العدم وزل شرح حاله لنقدمة أي فكان ذلك دليلا على اقتدارنا على ما نريد لاسيما من إعادة
 الخلق في يوم الحساب ثم انه قد بطن أنه لتولده بين شيخ فان وعجزه فقيم كان على حاله من الضعف
 لا يولد له معانتي ذلك بقوله تعالى (ويعقوب نافلة) أي ولد الاسحق زيادة على مادعابه
 ابراهيم عليهم السلام ثم غني سبحانه وتعالى أولاد يعقوب وهو اسرائيل وذرياتهم الى أن ساموا
 النجوم عقدة وباروا الجبال شدة (وكلا) من هؤلاء الاربعة وهم ابراهيم ولوط واسحق ويعقوب
 وعظم رتبته بقوله تعالى (جعلنا الصالحين) أي مهينين لطاعتهم لله تعالى لكل ما يروونه أو يراون
 له أو يراون منهم * ثم لما ذكر انه تعالى أعطاهم رتبة الصلاح في أنفسهم هم ذكر انه تعالى أعطاهم
 رتبة الاصلاح لغيرهم فقال تعالى معظما لاماتهم (وجعلناهم أئمة) أي اعلاما ومقاصدا
 يقتدى بهم في الدين لما آتيناهم من العلم والنبوة وقرأناهم وابن كثير وأبو عمرو وبسهيلى

الهمة الثانية المكسورة بين الهمزة والياء ويجوز ابدالها عندهم ياء خالصة ولا يدخلون
 بينهم شيئا وقرأ هشام بتحقيق الهمزتين وادخل ألف بينهما بخلاف غيره في الادخال
وعدمه والباقيون بتحقيق الهمزتين من غير ادخال بلا خلاف (يهدون) أي يدعون اليها
من وقضاء للهداية (بأمرنا) أي بأذننا (وأوحينا اليهم) أيضا (فعل) أي أن يفعلوا (الخيرات)
ليحسبهم عليها فيتم كما لهم بانضمام العلم الى العمل قال الباقى ولعله تعالى عبر بالفعل
 دلالة على انهم امتثلوا كل ما وحي اليهم وقال الزمخشري أصله أن تفعل الخيرات ثم فعلا
 الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك أقام الصلاة وابتاء الزكاة انتهى وقوله تعالى (وأقام الصلاة
 وابتاء الزكاة) من عطف الخاص على العام تعظيما لشأنهما لأن الصلاة تقرب العبد الى
 الحق تعالى والزكاة احسان الى الخلق قال الزجاج الاضافة في الصلاة عوض عن ناء التأنيث
 يعنى فيكون من الغالب لان القليل (وكانوا لنا) دائما جلبة وطبيعة (عابدين) أي موحدين
 مخلصين في العبادة ولذلك قدم الصلاة * القصة الثالثة قصة لوط عليه السلام المذكورة
 في قوله تعالى (ولوط) أي وآيما لوطا أو واذكر لوطا ثم استأنف قوله تعالى (آتيناهم) أي
 نبوة وعلا محكما بالعلم وقيل فصلايين الخصوم (وعلمنا) من بنا بالعمل بما ينبغي عمله للانبيا
 (ونجيناهم من القرية) أي قرية سدوم (التي كانت) قبل انجذابها اليها (فعل) أي أهلها الاعمال
 (النجاسات) من اللواط والرمي بالنقد واللعب بالطيور والتضارط في أدينتهم وغير ذلك وانما
 وصف القرية بصفة أهلها وأسندها اليها على حذف المضاف وأقامته مقامه ويدل عليه (انهم
 كانوا) أي بما جلاو عليه (قوم سوء) أي ذوى قدرة على الشر بتأنيها بهم في الاعمال السيئة
 (فأسقين) أي خارجين من كل خير (وأدخلناه) دونهم (في رحمتنا) أي في الاحوال السنية
 والاوقال العلية والافعال الزكية التي هي سبب للدرجة العظمى ومسببة عنها ثم علل ذلك بقوله
 تعالى (انهم من الصالحين) أي الذين سمقت لهم منا الحسنى أي لما جلاوا عليه من الخير * القصة
 الرابعة قصة نوح عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (ونوحا) أي واذكر نوحا (اذ) أي حين
 (نادى) أي دعا الله تعالى على قومه بالهلاك بقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
 ونحوه من الدعاء (من قبل) أي من قبل لوط ومن تقدمه (فاستجبنا) أي أوردنا الاجابة
 وأوجدنا هابطة متنا (له) في ذلك النداء ثم تسبب عن ذلك قوله تعالى (فتجيناه وأهله) أي الذين
 دام ثباتهم على الايمان وهم من كان معه في السفينة (من الكرب العظيم) أي من أذى قومه
 ومن الفرق والكرب الغم الشديد قاله السدي وقال أبو حيان الكرب أقصى الغم والاخذ
 بالنفس وهو هنا الفرق عبر عنه بأول أحوال مأخذ الفريق (ونصرناه) أي منغناه (من القوم)
 أي المتصفين بالقوة (الذين كذبوا بآياتنا) من أن يصاوا اليه بسوء وقيل من يعنى على (انهم
 كانوا قوم سوء) أي لا عمل لهم الا ما يسوء فآغرقناهم أجمعين لاجتماع الامرين تكذيب الحق
 والانتماء الى الشر لم يتبرح في قوم الا وأهلكهم الله تعالى * القصة الخامسة قصة داود وسليمان
 عليهما السلام المذكورة في قوله تعالى (وداود وسليمان) ابنه أي اذكرهما واذكر

شأنهما (أذ) أى حين (يحبك في الحرث) الذى أنبت الزرع وهو من اطلاق اسم السبب
 على السبب كالسعاء على المطر والنبت قال ابن عباس وأكثر المفسرين كان ذلك كرما
 قد نبت عن عقيدته وقال قتادة كان زرعاً قال ابن الخازن وهو أشبه للعرف (أذ نقتت)
 أى انتشرت ليلابغير راع (فيه غنم القوم) فرعته قال قتادة النفس في الليل والعمل في
 النهار (وكل الحكمهم) أى الحكمين والمحاكين اليهما (شاهدين) أى كان ذلك بعلمنا
 ومرأى منا لا يخفى علينا عمله وقال الفراء جمع الاثنين فقال الحكمهم ويريد داود وسليمان
 لأن الاثنين جمع وهو مثل قوله تعالى فان كان له اخوة فلائمه السدس وهو يريد اخوين
 قال ابن عباس وقاتلة وذلك ان رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث
 والاخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان هذا اتفقت غنمه ليلاب فوقعت في حرثي
 فأفسدته فلترتب منه شيأ فأعطاه داود درقاب الغنم بالحرث فخرجا فقرأ على سليمان عليه السلام
 فقال كيف قضى بينكما فاجابا فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة لو وليت أمرهما
 لقضيت بغير هذا وروى أنه قال غير هذا أرفق بالقرينين فأخبر بذلك داود فدعا فقال كيف
 تقضى ويروى انه قال بحق النبوة والابوة الا ما أخبرتنى بالذى هو أرفق بالقرينين قال ادفع
 الغنم الى صاحب الحرث فينتفع بدراها ونسلها وصوفها ويؤد صاحب الغنم لصاحب الحرث
 مثل حرثه فاذا صار الحرث كهينته دفع الى أهله وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء
 ما قضيت كما قال تعالى (فقهمنها) أى الحكومة (سليمان) أى علمناه القضية وألهمنا هاله
 * (تنبيه) * يجوز أن تكون حكومتهم ما بوحى الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمان
 ويجوز أن تكون باجتهاد الآن اجتهاد سليمان أشبه بالصواب (فان قيل) ما وجه كل واحدة
 من الحكومتين (أجيب) بأن وجه حكومة داود ان الضرر وقع بالغنم فسلطت بينمايتها الى
 الجنى عليه كما قال أبو حنيفة في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك أو يفديه وعند
 الشافعى يبيعه في ذلك أو يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه
 حكومة سليمان انه جعل الانتفاع بالغنم بازا ما فات من الانتفاع بالحرث من غير أن يزول ملك
 المالك عن الغنم وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان
 مثاله ما قال أصحاب الشافعى فيمن غصب عبدا وأبق من يده انه يضمن بالقيمة فينتفع بها
 المفضول بمنه بازا ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترأذا (فان قيل) لو وقعت
 هذه الواقعة في شريعنا ما حكمها (أجيب) بأن أبا حنيفة وأصحابه لا يرون فيها ضمانا
 بالليل أو بالنهار الا ان يكون مع البهيمة سائق أو قائد لقوله صلى الله عليه وسلم حرج البعائم
 جبار أى هدر رواد الشيطان وغيرهما والشافعى وأصحابه يوجبون الضمان بالليل اذا المعتاد
 ضابط الدواب ليلاً وذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطاً وأفسدته
 فقال هللى أهل الاموال حفظها بالنهار وعلى أهل المشية حفظها بالليل ولما كان ذلك
 رجماً وهم شياً في أمر داود ونفاه بقوله تعالى (وكلأ) أى منهما (أيتنا حكماً) أى نبوة وعلا

مؤسسا على حكمة العلم (وعلماء) مؤيدا بصالح العمل وعن الحسن لولا هذه الآية لرأت القضاة
 قد هلكوا ولكنه تعالى أثنى على سليمان عليه السلام لصوابه وعلى داود باجتهاده انتهى
 وهذا على الرأي الثاني وعليه أكثر المفسرين وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد
 فأخطأ فله أجر وهل كل مجتهد مصيب أو المصيب واحد لا بعينه رأيان أظهرهما الثاني وإن
 كان مخالفا لفهوم الآية أذلو كان كل مجتهد مصيبا لم يكن للتقسيم في الحديث معنى وقوله
 صلى الله عليه وسلم وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر لم يرد به أنه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على
 اجتهاده في طلب الحق لأن اجتهاده عبادة والاثم في الخطأ عنه موضوع * (قائدة) * من أحكام
 داود وسليمان عليهما السلام ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يقول كانت امرأة ثمان معهما البناهما فجاء الذئب فذهب بابن أحدهما فقالت لصاحبتها
 انما ذهب بابنك وقالت الأخرى انما ذهب بابنك فقما كذا إلى داود فقضى به للكبرى فخر جتا على
 سليمان فأخبرناه فقال اتوني بالسكين أشقه بينكما ففتالت الصغرى لا تفعل برجل الله هو ابنها
 فقضى به للصغرى أخرجاه في الصحيحين ثم انه تعالى ذكر داود وسليمان بعض معجزات في بعض
 معجزات الاول ما ذكره بقوله تعالى (وسخرنا مع داود الجبال) مع صلابتها وعظمتها (يسبحن)
 معه أي يقتدن الله تعالى ولوثنا لجلعنا الحرث والغنم تكلمه بصواب الحكم وقال ابن عباس
 كان يفهم تسبيح الحجر والشجر وقوله تعالى (والطير) عطف على الجبال أو مدعول معه وقال
 وهب كانت الجبال تنجاو به بالتسبيح وكذا الطير وقال قتادة يسبحن أي يصلين معه إذا صلى وقبل
 كان داود إذا قرأ تسبيحه سمعه الله تعالى تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق إليه وقبل
 يسبحن بلسان الحال وقبل يسبح من رآها تسبى معه بتسبيح الله تعالى فلما جبلت على التسبيح
 وصفت به (وكذا فاعلين) أي من شأنا الفعل لا مثال هذه الأفاعيل ولكل شيء يزيد فلا تستكثروا
 علينا أمران كان عندكم حجا وقد اتفق نحو هذا الغير واحد من هذه الأمة كان مطرف
 ابن عبد الله بن الشخير إذا دخل بيته سجدت معه أبنيته وأما النبي صلى الله عليه وسلم فكان
 الطعام يسبح بحضرته والخصى وغيره (ولمناه مصنعة لبوس) أي صنعة الدروع التي تلبس
 في الحرب قال قتادة أول من صنع هذه الدروع وسردها واتخذها حلقا داود وكانت من قبل
 صفائح وقد ألان الله تعالى لداود الحديد فكان يعمل منه بغير نار كما أنه طين قال البغوي وهو
 أي اللبوس في اللغة اسم لكل ما يلبس ويستعمل في الأسلحة كلها وهو بمعنى اللبوس كالخلوب
 والركوب وقوله تعالى (لكم) متعلق بعلم أو صنعة اللبوس وقوله تعالى (لتصنعكم من بأسكم)
 بدل منه بدل اشتمال بأعادة الجار ومرجع الضمير يختلف باختلاف القرآت فقرأت أشعبة بالنون
 فالضمير لله تعالى وقرأ ابن عامر وحفص بالناء على التانيث فالضمير للصنعة أو اللبوس على تأويل
 الدرع وقرأ الباقر بن البلاء التعتية فالضمير لداود أو اللبوس وقوله تعالى (فهل أنتم شاكرون)
 أي لنا على ذلك أمر أخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة أو التقرير ومن بعض معجزات

الثاني ما ذكره بقوله (ولسليمان) أي وسخرنا سليمان (الريح) قال البغوي وهو هو لا وهو
 جسم لطيف يتبع بطقفه من القبض عليه ويظهر للعس بحركته والريح تذكروثوث (عاصفة)
 أي شديدة الهبوب (فان قيل) قد قال تعالى في موضع آخر تجري بأمره الرياح واللين
 (أجيب) بأنها كانت تحت أمره ان أراد أن تشد اشتدت وان أراد أن تلين لانت وقيل كانت
 في نفسها رخصة طيبة كالنسيم فإذا مرت بكرسيه أبعثت به في مدة يسيرة على ما قال تعالى
 غدوها شهر ورواحها شهر وقوله تعالى (تجري بأمره) أي بعينه حال ثابته أو بدل من الأول
 أو حال من ضميرها (إلى الأرض التي باركنا فيها) أي الشام وذلك أنها كانت تجري بسليمان
 وأحماه به إلى حيث شاء سليمان ثم يعود إلى منزله بالشام قال وهب بن منبه كان سليمان عليه
 السلام إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطير وقام إليه الجن والإنس حتى يجلس على سريره
 وكان أمر أغراء قلبا بقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الأرض علك إلا أنه حتى يذله فكان
 إذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له خشب ثم نصب له على الخشب ثم جل عليه الناس والدواب
 وآلة الحرب فإذا جل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتلته
 حتى إذا استقلت به أمر الرياح فزت به شهر في روحته وشهر في غدوته إلى حيث أراد وكانت تمر
 بعسكره الريح الرياح بالزراعة فما تحترقها ولا تثير ترابا ولا تؤذي طائرا وقال مقاتل نهبت
 الشياطين سليمان بساطا فرسخا في فرسخ ذهبيا في ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط
 البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وقضة تقعد الانبياء عليهم السلام على
 كرسي الذهب والعلماء على كرسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتقله
 الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى
 الرواح ومن الرواح إلى الغروب وقال سعيد بن جبيرة كان يوضع لسليمان ستمائة ألف كرسي
 تجلس الانس مما يليه ثم تلهم الجن ثم تظلمهم الطير ثم تحملهم الريح وقال الحسن بن المنفلت
 انجيل نبى الله سليمان حتى فاتته صلاة العصر غضب الله فعقر انجيل فأبدله الله مكانها خيرا منها
 وأسرع وهي الريح تجري بأمره كيف يشاء فكان يغدو من ايلياء فيقبل بالصخر ثم يروح منها
 فيكون رواحا يابل وقال ابن زيد كان له مركب من خشب وكان فيه ألف ركن في كل ركن
 ألف بيت تركب معه فيه الجن والإنس تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك الركن فإذا
 وارتفعت أمت الريح الرخاء فسارت به وهم يقيل عند قوم ينيه وينهم شهر ولا يدري القوم
 الا وقد أظلمهم معه الجيوش (وكذا) أي ألا وأبدا باحاطة العظمة (بكل شيء) أي من هذا
 وغيره من أمره وغيره (عالمين) ومن علمنا ان ذلك لا يزيدهم الا تواضعا وكما حضرن الريح له سحرها
 للنبي صلى الله عليه وسلم إياي الا حزاب قال حذيفة رضي الله عنه حتى كانت تقذفهم بالحجارة
 ما يتجاوز عسكرهم فهزموهم الله تعالى بها وردها وبغضهم لم ينالوا خيرا وأعطى صلى الله عليه
 وسلم أعمم أعطى جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقد أعطى صلى الله عليه وسلم التصرف
 في العالم العلوي الذي جعل الله تعالى منه الفيض على العالم السفلي بالاحتراف لطباقة

بالاسراء ناره وبامسال المطر لما دعا سبع كسيع يوسف عليه السلام وبارسالة أخرى كافي أحاديث كثيرة وأتى مع ذلك بمناجيات خرائن الأرض كلها فردتها صلى الله عليه وسلم (ومن) أى وسخرنا سليمان من (الشياطين) الذين هم أكثر شئ تمترزوا وعقروا (من يفوضون له) أى يدخلون فى البحر فيخرجون منه الجواهر وغيرهما من المنافع وذلك بأن أكتفنا أجسامهم مع لطافتها لتقبل القوس فى الماء معجزة فى معجزة وقد خلق نينا صلى الله عليه وسلم العفريت الذى جاءه بشهاب من نار وأسر جماعة من أصحابه رضى الله تعالى عنهم عقاريت أنوار إلى غير الصدقة وأمكنهم الله تعالى منهم (وبعولون عملا دون ذلك) أى سوى الغوص كبناء المدن والقصور واخترع الصنائع الغريبة كقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وقنايل الآية (وكلاهم حافظين) أى حتى لا يخرجوا عن أمره وقال الزجاج معناه حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا وكان من عادة الشياطين إذا عملوا علما بالثهار وفرغوا منه قبل الليل أفسدوه وخربوه وفى القصة أن سليمان كان إذا بع شيطانا مع انسان ليعمل له علاقة قال له إذا فرغ من عمله قبل الليل فاشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمل ويجزبه * القصة السادسة قصة أيوب عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (وأيوب) أى واذكر أيوب ويبدل منه (اذنادى ربه) قال وهب بن منبه كان أيوب عليه السلام رجلا من الروم وهو أيوب بن أموص بن رزاح بن روم بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه ونبأه وبسط عليه الدنيا وكانت له اثنتان من أرض البلقا من أعمال حوران من أرض الشام كلها سهلها وجبلها وكان فيها من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخليل والحجر ما لا يكون لرجل أفضل منه فى العدة والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسة عبد لكل عبد امرأة وعبد وولد ومال ويحمل آلة كل فدان أنان لكل أنان من الولدان اثنان أو ثلاث أو أربع أو خمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان برًا تقيا رحيما بالمساكين يطعمهم ويكفل اليتام والارامل ويكرم الضيف ويلبغ ابن السبيل وكان شاكر الانعم الله مؤذيا لخلق الله تعالى قد امتنع من عدو الله ابليس أن يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من الغزاة والغفلة والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من اليمن يقال له المغن ورجلان من بلده يقال لاحدهما بلدد والآخر صبر وكانوا كهولا وكان ابليس لا يجيب عن شئ من السموات وكان يقف فيمن حيثما أراد حتى رفع الله تعالى عيسى عليه السلام لحجب من أربع فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن السموات كلها الا من استرق السمع فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب عليه السلام وذلك حين ذكره الله تعالى وأثنى عليه فأدركه البنى والحسد فصدسرى بها حتى وقف من السماء موقعا كان يقفه فقال الهى نظرت فى أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بزمع ما أعطيتك محال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ونخرج من طاعتك قال الله تعالى اطلق فقد سلطتك على ما له فانقض عدو الله ابليس حتى وقع على الأرض ثم جمع عقاريت

الجحش ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فأتى قد سلطت على مال أيوب وهي المصيبة
 القادحة والفنسة التي لا تصبر عليها الرجال فقال عفرات من الشياطين أعطيت من القوة ماذا
 شئت تحوّلت أعصارا من نار واحرقت كل شيء أتى عليه قال له ابليس فأت الابل ورعاتها فأتى
 الابل وقد وضعت رؤوسها ورعت في مراعيها فلم يشعر الناس حتى ثامن تحت الارض اعصار
 من نار لا يدنو منها أحد الا احترق فأحرق الابل ورعاتها حتى أتى على آخرها ثم جاء عدو الله
 ابليس في صورة قبيحة على قعود الى أيوب فوجده قائما يصلي فقال يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت
 اهلك فأحرقتها ومن فيها عيرى فقال أيوب الحمد لله الذي أعطانيها وهو أخذها وانها مال الله
 أعاريها وهو أولى بها اذا شاء تركها واذا شاء نزعها وقد بما كنت وطلت نفسي ومالى على القضاء
 قال ابليس فان الله ربك أرسل عليا نارا من السماء فاحترقت فتركت الناس مهوتين يعجبون
 منها منهم من يقول ما كان أيوب بعد شيئا وما كان أيوب الا في غرور ومنهم من يقول لو كان
 اله أيوب بقدر على أن يصنع شيئا لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ليشتبه به عدوه
 وينفع صديقه فقال أيوب الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن أمي
 وعريانا أعود في التراب وعريانا أحشر الى الله عز وجل ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعطاك
 الله وتبجز حين قبض الله على عاريته الله أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله تعالى فيك أيها العبد
 خبير النقل روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فأخرجك فرجع
 ابليس الى أصحابه خاسئا ذليلا فقال لهم ماذا عندكم من القوة فأتى لم أكلم قلبه قال عفرات
 عندي من القوة ما اذا شئت صحت صبيحة لا يسمعها ذو روح الا خرجت روحه قال ابليس فأت
 الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها ثم صاح صبيحة فنجحت أمواتا من عند آخرها وماتت رعاتها
 ثم جاء ابليس ممثلا بقهرمان الرعاة الى أيوب وهو يصلي فقال له مثل القول الاول فرد عليه
 أيوب مثل الرد الاول ثم رجع ابليس الى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فأتى لم أكلم قلب
 أيوب فقال عفرات عندي من القوة ما اذا شئت تحوّلت ريحا عاصفا تنسف كل شيء أتى عليه
 قال فأت القسادون والحراث فانطلق حين شرع القسادون في الحراث والزراع فلم يشعروا حتى
 هبت ريح عاصف فنسفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم جاء ابليس ممثلا بقهرمان
 الحراث الى أيوب وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله الاول فرد عليه أيوب مثل رده الاول وجعل
 ابليس يهلك أمواله المالا لا حتى مر على آخره كلما انتهى اليه هلاك ما من أمواله الحمد لله
 تعالى وأحسن الثناء عليه ورضى عنه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى لم يبق له مال
 فلما رأى ابليس انه قد أفنى ماله ولم يتنج منه بشيء صعد سر يعاخي وقف في الموقف الذي يقف
 فيه وقال الهى ان أيوب يرى انك ما صنعت له بولده فأنت تعطيه المال فهل أنت مسلط على
 ولده فانها المصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال قال الله تعالى اطلق فقد سلطت على ولده
 فانقض عدو الله ابليس حتى جاء بنى أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزل بهم حتى تداعى من
 قراعه وجعل يجدره بضرب بعضها بعضا ويرميهم بالخشب والحجارة حتى مثل بهم كل مثله

البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكر وب حزين **واسكنه** يرجه ويبيكي معه
 ويستغفر له ويحزن له لحزنه ويدله على أرشده أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا قاله
 الله أيها الكهول فقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم
 ألم تعلموا أن الله عباداً أسكنتم خشيتهم من غير عي ولا بكم وأنهم لهم النصحاء البلقاء البلاء
 الألباء العالمون بالله ولكنهم إذا ذكر واعظومة الله انقطعت ألسنتهم وانشدت جلودهم
 وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظما الله واجلاله فإذا استفاقوا من ذلك استبقوا
 إلى الله بالأعمال **الراكبة** يعذون أنفسهم مع الظالمين والظالمين وأنهم لا أبراراً ومع
 المقصيرين المفرطين وأنهم لا يكاس أقوياء فقال أيوب أن الله سبحانه وتعالى يزرع الحكمة
 بالرحمة في قلب الصغير والكبير فيثبت في القلب يظهرها الله تعالى على اللسان وليست
 تكون الحكمة من قبل السن والشبهة ولا طول التجربة وإذا جعل الله العبد حكيماً
 في العباد لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون علمه من الله تعالى نور الكرامة ثم أعرض عنهم
 أيوب عليه السلام يعني الثلاثة وقال أتيتوني غضاباً رهبت قبل أن تسترهبوا وبكيتكم قبل
 أن تضربوا فكيف بي لو قلت تصدقوا على بأموركم لعل الله أن يخلصني أو قربوا قلوباً لعل
 الله أن يقبله ويرضى عني وأنكم قد أعجبتكم أنفسكم وظننتم أنكم عوضتم بإحسانكم
 ولو نظرت فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوباً قدسرها الله تعالى بالعافية التي
 ألسكم وقد كنتم فيها خلافاً لقروني وأناسموع كلامي معروف حتى منصف من خصمي
 فأصبحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام وأنتم كنتم أشد علي من مصيبي ثم أعرض عنهم أيوب
 وأقبل على ربه مستعينا به مستغفراً منصرفاً إليه فقال يا رب لا شيء خلقتني ليعني إذا كرهتني
 لم تخلقني يا ليتني عرفت الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني
 لو كنت أمتني فألحقني بأبائي فالموت كان أجمل بي ألم أكن للغريب داراً وللمسكين قراراً
 ولليتيم ولداً ولا لأمه قوماً إلهي أنا عبدك أن أحسنك إلى فالن لك وإن أسأت فيبدلك عقوبتي
 جعلتني البلاء غرضاً والفتنة نصيباً وقد وقع بي بلاء لوسلطته علي جبل ضعف عن حمله فكيف
 يحمله ضعفي فإن قضاء الله هو الذي أذلني وإن سلطانك هو الذي أسقمي وأنحل جسمي ولو أن
 دبي نزع الهيبة التي في صدرى وأطلق لسانى حتى أتكم بل عني فأدلى بعذرى وأتكم ببرائى
 وأخاصم عن نفسي لرجوت أن يعافيني عند ذلك مماي **واسكنه** ألقاني وتعالى عني فهو يراني
 ولا أراه وبمعنى ولا سمعه فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه
 عذاب ثم نودي يا أيوب أن الله تعالى يقول ها أنا قد دونت منك ولم أزل منك قريباً فآدل بعذر
 وتكلم بجنتك وخاصم عن نفسك وأشد أدأزل وقم مقام جباري بخاصم جباراً إن استطعت
 فإنه لا ينبغي أن يخاصمني إلا جبار مثلي لعله منك نفسك يا أيوب أمر ما بلغ مثله قوتك أين
 أنت متى يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها هل كنت معي عند بآطرافها هل أنت على بآ
 مقدار قدرتها أم على أي شيء وضعت أكافها إبطاعتك حمل الماء الأرض أم بحكمته كانت

الارض للماء غطاء أين كنت متى يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا
 يقلها دعم من تحتها هل تبلغ من حكمته ان تجري نورها وتسير نجومها ويختلف بأمر ليلها
 ونهارها أين أنت متى يوم انبعث الانهار وسكرت البحار أسطفا لك حبست أمواج البحار على
 حدودها أم قدرتك فتحت الارحام حتى بلغت مدتها أين أنت متى يوم صببت الماء على التراب
 ونصبت شواخ الجبال هل تدري على أي شيء أرسيتها أم بأي مثقال وزنتها أم هل لك من ذراع
 تطبق جملها أم هل تدري أين خزانة الثلج أم أين جبال البرد أم أين خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار
 بالليل وأين خزانة الريح وبأي لغة تتكلم الاشجار من جعل العقول في أجواف الرجال ومن شق
 الاسماع والابصار ومن دانت الملائكة للملكة وقهر الجبارين بحجرونه وقسم الارزاق بحكمته في
 كلام كثير يدل على كمال قدرته ذكرها لا يوب فقال أيوب عليه الصلاة والسلام كل شأني وكل
 لساني وكل عقلي ورأيي وضعفت قوتي عن هذا الامر الذي تعرض لي يا الهى قد علمت ان كل
 الذي ذكرت صنع يدك وتدبير حكمتك وأعظم من ذلك وأعجب لو شئت علمت لا يتجز عنك شيء ولا
 تخفى عليك خافية أدلني البلاء الهى فتكلمت فكان البلاء هو الذي أنطقني فليت الارض
 انشقت بي فذهبت فيها ولم أنكلم بشيء يسخط ربي وليتني مت بغيم في أشد بلائي قبل ذلك انما
 تكلمت حين تكلمت لتعذرني وسكت حين سكت لترحمي كلمة زلت مني فلم أعد قد وضعت يدي
 على فمي وعضضت على لساني وألصقت بالتراب خدي أعوذ بك اليوم منك واستجير بك من
 جهد البلاء فأجرتني واستغفرت بك من عقابك فأغثنى وأستعين بك على أمرى فأعنى وأوكل
 عليك فأكفني واعتصم بك فأعصمني واستغفرك فأغفر لي فلن أعود لنسي تكبره متى قال الله
 تعالى يا أيوب نفذ فيك على وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك فقال أيوب (إني قد مسنى
 الضر) بسلطان الشيطان على في بدني وأهلي ومالي وقد طمع الآن في ديني وذلك انه زين
 لامرأة أيوب ان تأمره ان يذبح لصنم فانه يبرأ ثم يتوب ففطن لذلك وحلف ليعرض بها ان
 برأ ما نه جلدته وقال وهب لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين وروى عن أنس يرفعه أن أيوب
 لبث ثلاث سنين وعشرة سنة وقال كعب سبع سنين وقال الحسن مكث أيوب مطروحا على
 كاسه لبني اسرائيل سبع سنين وشهرا يختلفون في الدواء ولا يقر به أحد غير امرأته رجة
 صبرت معه تحمد الله معه اذا جدد وأيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلائه
 فلما غلب أيوب ابليس ولم يستطع منه شيئا اعترض امرأته في هيئة ليست كهنية بن آدم في
 العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وكمال فقال
 لها انت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتي قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا فقال لها انا اله
 الارض وأنا الذي صنعت بصاحبك لانه أطاع اله السماء وتركني فأغضبتني ولو سجد لي
 سجدة واحدة ودبت عليه وعليك كل ما كان من مال وولد وأراها يا ههم يعطن الوادى الذي
 لقيناه فيه قال وهب وقد سمعت أنه انما قال لها لو أن صاحبك أكل طعما ما لم يسم عليه لعوفي مما
 به من البلاء وفي بعض الكتب أن ابليس قال لها اسجد لي سجدة حتى أرد عليك المال

والاولاد وأعاني زوجك فرجعت الى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراها قال لقد أنالك عدو واقه
ليفتنك عن دينك ثم أقسم ان الله عاقبهم بضر بنهما مائة جلدة وعند ذلك قال مسنى الضر من
طمع ابليس في سجد حرمتي ودعائه ايها واياي الى الكفر (وأنت) أي والحال أنت (أرحم
الراحين) فاقبل بي ما يفعل الرحمن بالضر وروى هذا التعريض بسؤال الرحمة حيث ذكر نفسه بما
يوجب الرحمة وذكر به بغاية الرحمة ولم يصرح فكان ذلك اللطف في السؤال فهو أجدر بالنوال
ويحكى أن هجو زاتعزفت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا أمير المؤمنين مشت جردان يتي على
العصا فقال لها اللطف في السؤال لاجرم لاردتها تب وثب القهود وملا بينها حبا ثم ان الله
تعالى رحم روحه امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عليها وأراد أن يبرئين أيوب فأمره
أن يأخذ ضغنا يشمل على مائة عود صغير فيضرب به ضربة واحدة كما قال تعالى في آية أخرى
وخذ يدك ضغنا فاضرب به ولا تحنث وروى أن ابليس اتخذ نابونا وجعل فيه أدوية وجلس
على طريق امرأه أيوب يدوى الناس فزمت به امرأة أيوب فقالت انى امرى أقتد اديه قال
نم ولا أريد شيئا الآن يقول اذا شفيته أنت شفيته فذكرت ذلك لايوب فقال هو ابليس قد
خدعك وحلف ان شفاه الله تعالى ليضربنهما مائة جلدة وقال وهب وغيره كانت امرأة أيوب
تعمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليه البلاء سمها الناس فلا يستعملها أحد فالتفت له يوما
من الايام ما تطعمه فلو وجدت شيئا أجزت قرنا من رأسها فباعته برغيف فأتته به فقال لها أين
قرنك فأخبرته فحينئذ قال مسنى الضر وقال قوم انما قال ذلك حين قصد الدود الى قلبه ولسانه
نخسنى أن يمنع عن الذكر والفكر وقال حبيب بن أبي ثابت لم يدع الله تعالى بالكشف حتى
ظهرت له ثلاثة أشياء أحدها قدم عليه صد يقان حين بلغهما خبره فخا اليه ولم يبق الاعيناه
ورأى أيا من اعطيا فقال لو كان عند الله لك منزلة ما أصابك هذا والثاني ان امرأته طلبت طعاما
فلم تجد ما تطعمه فباعت ذوايتها ورجلت اليه طعاما والثالث قول ابليس انى أدويه على أن
يقول أنت شفيته وقيل ان ابليس وسوس اليه ان امرأته زنت فقطعت ذوايتها فحينئذ عمل
صبره وحلف ليضربنهما مائة جلدة وقيل معناه مسنى الضر من شدة الاعداء وقيل قال ذلك
حين وقعت دودة من نخذه فردتها الى موضعها وقال كلى جعلنى الله تعالى طعامك فغضته
غصة زادا لها على جميع ما قامى من عض الديدان (فان قيل) ان الله تعالى سمها صابرا وقد
أظهر الشكوى والجزع بقوله انى مسنى الضر ومسنى الشيطان بنصب (أجيب) بأن هذا
ليس بشكاية انما هو دعاء بدليل قوله تعالى (فاستجبنا له) والجزع انما هو الشكوى الى الخلق
وأما الشكوى الى الله تعالى فلا يكون جزعاً ولا ترك صبراً كما قال يعقوب عليه السلام انما أشكو
بني وحرني الى الله وقال سفيان بن عيينة من أظهر الشكوى الى الناس وهو راض بقضاء الله
تعالى لا يكون ذلك جزعاً كما روى أن جبريل عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه
وسلم فقال كيف تجدك قال أجدى مغمو ما أجدى مكر وباء قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي
الله تعالى عنها حين قالت وأرا ساء بل أنا وأرا ساء وروى ان امرأة أيوب قالت له يوم لدعوت

الله فقال لها كم كانت مدة الرخا فقال ثمانين سنة فقال استسقي من الله ان ادعوه وما بلغت
مدة بلائي مدة رخاى ثم تسبب عن الاجابة قوله تعالى (فبكشفنا) أى بما لنا من العظمة (مابه
من ضر) بأن أمرناه أن ركض برجله فنتسج له عين من ماء كما قال تعالى اركض برجلك هذا
مقتسل بارد وشراب فركض برجله فانفجرت له عين ماء فدخل فيها فاغتسل فأذهب الله تعالى كل
ما كان به من البلاء بظاها ثم مشى أربعين خطوة فأمره أن يضرب برجله الارض مرة أخرى
ففعول فتسج عين ماء بارد فأمره فشرب منها فذهب كل داء كان يسلطه فصار كاصح ما يكون من
الرجال وأجلهم فأقبلت امرأته تلتصقه في مضجعه فلم تجده فقامت كالوالهة ثم جاءت اليه وهي
لا تعرفه فقالت يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبلى الذى كن ههنا قال نعم ومالى لأعرفه فتسبب
وقال أنا هو فعرفته بخصكه فاعتنقته قال ابن عباس فوالذى نفس عبد الله بيده ما فارقت من
عناقه حتى رذلها ما كل ما كان لهما كما قال تعالى (وأتيناها أهله) أى أولاده الذكور والانات بأن
أحبوا له ولكل من الصنفين ثلاث أوسيع (ومثلهم معهم) أى من زوجته رجة وزيد في شبابها هذا
مادل عليه أكثر المفسرين وقيل اتاه الله تعالى المثل من نسل ماله وولده الذى رده اليه أى فولد
له من ولده نوافل وقال وهب كان له سبع بنات وثلاثة بنين وروى الضحاك عن ابن عباس رده
الى امرأته شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا وقال قوم آتى الله تعالى أيوب فى الدنيا مثل
أهله الذين هلكوا فأما الذين هلكوا فانهم لم يردوا عليه فى الدنيا وقال عكرمة قتل لا يوب أن
أهلك لك فى الآخرة وان شئت بعلمناهم لك فى الدنيا وان شئت كانوا لك فى الآخرة وأنتناك
مثلهم فى الدنيا فقال يكونون لى فى الآخرة وأوفى مثلهم فى الدنيا فعلى هذا يكون معنى الآية
وأتيناها أهله فى الآخرة ومثلهم معهم فى الدنيا وروى عن أنس رفعه كان لا يوب أندران
أندرا للقمح وأندرا للشعير فبعث الله تعالى مصابين فأفرغت احدهما على أندرا للقمح المذهب
وأفرغت الاخرى على أندرا للشعير الورق حتى فاض وروى ان الله تعالى بعث اليه ملكا
فقال ان بك يقرئك السلام بصرك فأخرج الى أندرك فخرج اليه فأرسل عليه جرادا من ذهب
قبل ان يلم اغتسل وخرج الدود منه جعل الله تعالى له أجنحة فطارت فجعلها الله تعالى جرادا
من ذهب وأمطرت عليه فطارت واحدة فاتبها وردها الى أندره فقال له الملك اما يكفيك جافى
أندرك فقال هذا بركة من بركات ربى ولا أشبع من ركنه وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أيوب يقتسل عريانا آخر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحسنى
فى ثوبه فتاداه به يا أيوب ألم أكن أغنييتك عما ترى قال بلى يارب ولكن لا غنى لى عن بركتك وقوله
تعالى (رجة) مفعول له أى نعمة عظيمة ونفخها بقوله تعالى (من عندنا) بحيث لا يشك من ينظر
ذلك انما فعلناه الارجة مناله وان غيرنا لا يقدر على ذلك (وذكرى) أى عظة عظيمة (للعابدين)
اى كلهم ليتأسوا به فيصبروا اذا ابتلوا ولا يظنوا أن ذلك انما نزل بهم لهوانهم ويشكروا فإشباوا
كما أتيب وقيل لرحمتنا العابدين فانادى كرههم بالاحسان ولا تناسهم القصص السابعة قصة
اسماعيل وادريس وذى الكفل المذكورة فى قوله تعالى (واسماعيل) أى واذا ذكر اسمعيل بن

ابراهيم عليهم السلام الذي سخر ناله من الماء بواسطة الروح الامين ما عاش به صغيرا بعد
 ما كان حاله كالمحالة ثم جعلناه طعام طم وشفا سقم دائما وصناه وهو كبير من الذبح حين رأى
 أبوه في المنام أنه يذبحه وروى الانبياء وحى وفديناه بذيبح عظيم (و) اذكر (أدريس) أى ابن شد
 ابن آدم عليهم السلام الذى أحييناه بعد موته ورفعناه مكانا عليا وهو أول نبي بعث من نبي آدم
 عليه السلام وتقدمت قصته في سورة مريم (و) اذكر (ذا الكفل) سمي بذلك قال عطاء لان
 نبيا من أنبياء بنى اسرائيل أوحى الله تعالى اليه انى أريد أن أقبض روحك فاعرض ملكك
 على بنى اسرائيل فن تكفل لك أن يصلى بالليل لا يفتر ويصوم بالنهار لا يفطر ويقضى بين الناس
 ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال انا أتتكفل لك به سدا فتكفل ووفى به
 فشكر الله له ونبأه فسمى ذا الكفل وقال مجاهد لما كبر البيع قال لو أنى استخلفت رجلا من
 الناس يعمل عليهم في حباتى حتى أتظرك كيف يعمل قال فجمع الناس فقال من يقبل منى ثلثا
 أستخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام رجل فقال أنا فاستخلفه فأناه إبليس في
 صورة شيخ ضعيف حين أخذ منجبه للقائلة وكان لا ينام بالليل والنهار لا تلك التومة فذق الباب
 فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم ففتح الباب فقال ان بنى وبين قومي خصومة وانهم
 ظلموني وفعلوا ما فعلوا وجعل يطول حتى ذهبت القائلة فقال اذا رحت فأبنى فاني أخذ حقت
 فانطلق وراح فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يتبعه فلم يجده فلما كان الغد جعل
 يقضى بين الناس وينظره فلم يره فلما رجع الى القائلة وأخذ منجبه فأناه فذق الباب فقال من
 أنت فقال الشيخ المظلوم ففتح له وقال ألم أقل لك اذا قعدت فأبنى فقال انه سـ أخذ قوم اذا
 عرفوا انك قاعد فالوا نحن نعطيك حقت واذا قمت جددوني قال فانطلق فاذا جلست فأبنى وقائه
 القائلة فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه التعاس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض
 اهله لا تدعوا هذا الرجل يقرب من هذا الباب حتى أنام فانه قد شق على التعاس فلما كانت تلك
 الساعة جاء فلم يأذن له الرجل فلما اعياء نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت
 يدق عليه الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان ألم أمر لك قال أمان من قبلى فلم توت فانظر من
 أين أتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا بالرجل معه في البيت فقال ألتام وانضم
 يبابك فقال أعد قائله قال نعم أعينيتي ففعلت ما ترى لا غضبك فعصم الله تعالى فسمى ذا الكفل
 لانه تكفل بأمر فوفى به وقيل ان إبليس جاء وقال انى غريما يظلمنى فأجب أن تقوم معى
 وتستوفى حتى منه فانطلق معه حتى اذا كان في السوق خلاه وذهب وروى أنه اعتذر اليه
 وقال صاحبي هرب وقيل ان ذا الكفل رجل كفل أن يصلى كل ليلة مائة ركعة الى أن يقبضه
 الله تعالى فوفى به واختلفوا في أنه هل كان نبيا فقال الحسن كان نبيا وعن ابن عباس أنه الياس
 وقيل هوز كزاي قيل هو يوشع بن نون وقال أبو موسى لم يكن نبيا ولكن كان عبدا صالحا ولما
 قرن الله تعالى بين هؤلاء الثلاثة استأنف مدحهم بقوله تعالى (كل) أى كل واحد منهم (من
 الصابرين) على ما تلييناه به فآتيناهم ثواب الصابرين (وأدخلناهم في رحمنا) أى فعلنا بهم سـ

من الاجسان ما يفعله الراحم بن رجه على وجههم من جميع جهاتهم فكان ظر فالهم ثم
 علل ذلك بقوله تعالى (انهم من الصالحين) أى لكل ما يرضاه تعالى منهم يعنى أنهم جبالوا جملة
 خير فعملوا على مقتضى ذلك فكانوا من الكاملين فى الصلاح وهم الانبياء لان صلاحهم
 معصوم عن كدر الفساد القصه الثامنة قصه يونس عليه الصلاة والسلام المذكورة فى قوله
 تعالى (وذا النون) أى واذا كرم صاحب الحوت وهو يونس بن متى ويبدل منه (اذذهب مغاضبا)
 واختلقوا فى معنى ذلك فقال الضحاك مغاضبا لقومه وهو رواية العوفى وغيره عن ابن عباس
 قال كان قوم يونس يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسي منهم تسعة أسباط ونصفا وبنى سبطان
 ونصفا وحى الله تعالى الى شعيب النبي عليه السلام أن سرالى حرقيل الملك وقتل له يوجه نيبا
 قويا الى هؤلاء فأتى فى قلوبهم الرعب حتى يرسلوا معه بنى اسراييل فقال له الملك فى ترى
 وكان فى مملكة خمسة أنبياء فقال يونس فانه قوى أمين فدعا الملك يونس وأمره أن يخرج
 فقال يونس هل أمرك الله بأمر راجى قال لا قال فهل سميت لك قال لا قال فهنا أنبياء غيرى أقربا
 فألحوا عليه فخرج من بينهم مغاضبا للنبي والملك ولقومه فأتى بحر الروم فركبه وقال عروة بن
 الزبير وسعيد بن جبيرة وجاعة ذهب عن قومه مغاضبا اليه اذ كشف عن قومه العذاب بعد
 ما وعدهم به وكره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما وعدهم واستحيام منهم ولم يعلم
 السبب الذى رفع به العذاب عنهم وكان غضبه أنفة من ظهور وخلف وعده وان يسمى كذابا
 لا كراهية الحكم لله تعالى وفى بعض الاخبار انه كل من عادة قومه أن يقتلوا من جرب عليه
 الكذب فقتلوا أن يقتلوا لم يأثم العذاب للمعاد فغضب والمغاضبة ههنا من المفاعلة التى
 تكون من واحد كالنافرة والمعاقبة فعنى قوله مغاضبا أى غضبانا وقال الحسن انما غضب
 ربه من أجل انه أمره بالمسير الى قوم لينذرهم بأسه ويدعوهم اليه فسأل ربه أن ينظره لينذهب
 فقبل له ان الامر أسرع من ذلك حتى سأله أن ينظره الى أن يأخذ فعلا يلبسها فلم ينظره وكان فى
 خلقه ضيق فذهب مغاضبا وعن ابن عباس قال أتى جبريل يونس فقال انطلق الى أهل نينوى
 فأنذرهم قال التمس دابة قال الامر أجعل من ذلك فغضب فانطلق الى السفينة وقال وهب أن
 يونس كان عبدا صالحا لو كان فى خلقه ضيق فلما حمل عليه أثقال النبوة نفسخ تحتها نفسخ الربع
 تحت الحمل الثقيل فقتلها بين يديه وخرج هاربا فلذلك أخرجه الله تعالى من أولى العزم فقال
 تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبرا ولو العزم من الرسل وقال ولا تكن كصاحب الحوت
 اذ نادى وهو مكظوم (فظن أن لن نقدر عليه) أى لن نقضى عليه بالعقوبة قاله مجاهد وقتادة
 والضحاك وقال عطاء وكثير من العلماء معناه فظن أن لن نقضى عليه الحبس من قوله تعالى الله
 يسطر الرق لمن يشاء من عباده ويقدر وعن ابن عباس أنه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني
 أمواج القرآن البارحة فغرفت فيها فلم أجده لنفسي خلاصا الا بك قال وما هى يا معاوية فقرر أهذه
 الآية فقال أو يظن نبي الله أن لن يقدر عليه قال هذا من القدر الذى معناه النفسق لامن
 القدرة وقال ابن زيد هو استغفاهم معناه أفظن أنه يعجز ربه فلا يقدر عليه (فنادى) أى فاقصفت

حكمتنا ان عاتبنا حتى يستسلم فأتى نفسه في البحر فالتقمة الحوت فكشفه أربعين من بين يوم
وليلة وقال عطاء سبعة أيام وقيل ان الحوت ذهب به مسيرة ستة آلاف سنة وقيل بلغ به تخوم
الأرض السابعة ومنعاه أن يكون له طعاما فنادى (في الظلمات) ظلة الليل وظلة البحر وظلة
بطن الحوت وقيل في الظلة الشديدة المسكائفة في بطن الحوت كقوله تعالى ذهب الله بنورهم
وتركهم في ظلمات وقوله يخرجهم من النور الى الظلمات وقيل ابتلع حوته حوت أكبر منه فجعل
في ظمطي بطن الحوتين وظلة البحر (أن لا اله الا أنت) ولم ينزهه عن الشريك عم فقال تعالى
(سبحانك) أي تنزهت عن كل نقص فلا يقدر على الانجاء مما أنا فيه الا أنت ثم أفصح بطلب
الخلاص بقوله ناسم الى نفسه من النقص ما نزه الله عن مثله (اني كنت من الظالمين) أي
في خروجي من بين قومي قبل الاذن فاعف عني كما هي سيرة القادرين روى عن أبي هريرة
مر فوعا أوحى الله تعالى الى الحوت ان خذه ولا تخدش له لجأ ولا تكسر له عظما فأخذه ثم هوى
به الى مسكنه في البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فوحى
الله تعالى اليه ان هذا نسيج دواب البحر قال فسبح هو في بطن الحوت فسمع الملائكة نسيجه
فقالوا يا ربنا سمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة وفي رواية صوتا معروفا من مكان مجهول فقال
ذلك عبدي يونس عصاني فخبسته في بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه
في كل يوم وليله عمل صالح قال نعم نشفعوا فيه عند ذلك فأمر الحوت فقتله في الساحل كما
قال تعالى فنبذناه بالبحر وهو سقيم فذلك قوله تعالى (فاستجبنا له) أي أجبناه (ونجيناه من الغم)
أي من تلك الظلمات تلك الكلمات (وكذلك) أي وكما نجيناه (نبي المؤمنين) من كربهم اذا
استغاثوا بنا داعين قال الرازي في اللوامع وشرط كل من يلجئ الى الله أن يبدأ بالتوحيد ثم بعده
بالسجود والتسليم ثم بالاعتراف والاستغفار والاعتذار وهذا شرط كل داع اه وعن النبي صلى
الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الاستجيب له وعن الحسن ما نجاه والله
الاقراره على نفسه بالظلم وقرأ ابن عامر وأبو بكر بنون واحدة مضموعة وتشديد الجيم على
أن أصله نبي فحذف النون الثانية كما حذف التاء الثانية في تظاهرون وهي وان كانت فاء
فحذفها أوقع من حذف حرف المضارعة الذي لمعنى وقيل هو ما مضى مجهول أسند الى ضمير
المصدر وهو النجاء وقرأ الباقر بنونين الثانية مخففة عند الجيم * (تنبيه) * اختلافوا في متى
كانت رسالة يونس عليه الصلاة والسلام فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس كانت بعد أن
أخرجه الله تعالى من بطن الحوت بدليل قوله تعالى في سورة والافات فنبذناه بالبحر ثم ذكر
بعده وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وقال آخرون انها كانت من قبل بدليل قوله تعالى
وان يونس لمن المرسلين اذ أتى الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحسين فالتقمة الحوت
وهو ملجم فلولا أنه كان من المسجين للبت في بطنه الى يوم يعثون * القصة التاسعة قصة زكريا
عليه الصلاة والسلام المذكورة في قوله تعالى (وزكريا) أي واذا ذكر زكريا ويبدل منه (اذ نادى
ربه) نداء الحبيب القريب فقال (رب) بإسقاط أداة البعد (لا تدركني فردا) أي وحيد من غير

وليد كريت ما آتيتني من الحكمة (وأنت) أي والحال أنك (خير الوارثين) أي الباقي بعد
فناء مخلوق وكثيرا ما تمنح ارب بعض عبيدك عبيدا آخرين فأنت الحقيق بأن تفعل في ارب
من العلم والحكمة ما أحب فتمني ولذا تم على به (فاستجيبنا له) بعظمتنا وان كان في حدم
السن لآخر الذب معه وزوجه في حال من العقم لا يرضى معه حبلا فكيف وقد جاوزت
سن اليأس ولذلك عبر بمبادل على العظمة فقال تعالى (ووهبنا له يحيى) ولذا وارثا نبيا حكيما
عظيما (وأصلحناله) خاصة من بين أهل ذلك الزمان (زوجته) أي جعلناها صاحبة لكل
خير خالصة له فأصلحناه للولادة بعد عقمها وأصلحناه لذكرها بعد ان كانت سريرة الغضب سيرة
الخلق فأصلحناه له ورزقناها حسن الخلق (أنهم) أي الانبياء الذين سماهم في هذه السورة
وقيل زكريا وزوجه ويحيى (كانوا) أي جبله وطبعها (يسارعون في الخيرات) أي الطاعات
يبالغون في الاسراع بها ما بلغه من يسابق آخر ودل على عظيم أفعالههم بقوله تعالى (ويدعوننا)
مستحضرين بل لئلا نأو عظمتنا وكأنا (رغبنا) أي طمعنا في رحمتنا (ورهبنا) أي خوفا من عذابنا
(وكانوا) أي جبله وطبعها (لنا) خاصة (خاشعين) أي خائفين خوفا عظيما يحملهم على الخضوع
والانكسار قال مجاهد الخشوع هو الخوف اللازم للقلب وقيل متواضعين وسئل
الاعمش عن هذه الآية فقال أما اني سألت ابراهيم فقال ألا تدري قلت أفدنى قال بينه وبين الله
إذا أرخى ستره عليه وأغلق بابا فليز الله منه خير العاك ترى أنه يا كل خشنا ويلبس خشنا
ويطأ طي رأسه * القصة العاشرة قصة مريم وابنها عليهما السلام المذكورة في قوله تعالى
(والتي) أي واذا مريم مريم التي (أحصنت فرجها) أي حفظته من الحلال والحرام حفظا يحق له
أن يذكر ويحدث به كما قال تعالى حكاية عنها ولم يمسسني بشر ولم أكن بغيا لأن ذلك غاية في العفة
والصيانة والتخلي عن الملاذ التي الانقطاع الى الله تعالى بالعبادة مع ما جعت مع ذلك من الامانة
والاجتماد في متانة الديانة والعصم أنها ليست نبية (فتفخنا فيها من روحنا) أي أمرنا جبريل
حتى نفخ في جيب درعها فأحدثنا بذلك النفخ المسيح في بطنها وأضاف الروح اليه تعالى
نشرنا العيسى عليه السلام كبيت الله وناقة الله * ثم بين تعالى ما خص مريم وعيسى من
الآيات فقال تعالى (وجعلناها وابنها) أي قصتهما وأصلحهما ولذلك وحده قوله (آية للعالمين)
من الجن والإنس والملائكة وأن من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الله تعالى (فان قيل) هلا
قال تعالى آيتين كما قال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين (أجيب) بما تقدم وبأن الآية كانت
فيهما واحدة وهي أنها آتت به من غير خلل وههنا آخر القصص * وللدل ما مضى من قصص
هؤلاء الانبياء عليهم السلام أنهم كلهم متفقون على التوحيد الذي هو أصل الدين قال تعالى
(إن هذه) أي مله الاسلام (أمسكم) أي دينكم أيها المخاطبون أي يجب أن تكونوا عليها حال
كونها (أمة) قال البغوي وأصل الأمة الجماعة التي هي على مقصد واحد اه فجعل الشريعة
أمة لاجتماع أهلها على مقصد واحد ثم أكد سبحانه وتعالى هذا المعنى بقوله تعالى (واحدة)
فأبطل ما سوى الاسلام من الاديان (واناريدكم) أي الحسن اليكم لا غيري في كل زمان فاني

لا تغير على طول الدهر ولا يشغلني شأن عن شأن (فاعبدون) دون غري فانه لا كف لي * ثم ان
 بعضهم خالف الامر بالاجتماع كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله تعالى (وتقطعوا) أي بعض
 المخاطبين (أمرهم بينهم) أي فترقوا أمر دينهم متخالفين فيه وهم طوائف اليهود والنصارى قال
 الكلبي فترقوا دينهم بينهم يلحق بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض * (تنبيه) * الاصل وقطعتم
 الا أن الكلام صرف الى القسبة على طريقة الالتفات كانه ينهى عليهم ما أفسدوه الى آخرين
 ويقبح عليهم فعلهم عندهم ويقول لهم ألا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله تعالى
 والمعنى جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً كما يتوزع الجماعة الشيء ويقسمونه بينهم فيصير لهذا
 نصيب ولذا النصيب تمثيلاً لاختلافهم فيه وصيروتهم فراقاً أو حراً باقياً ثم توعدهم بقوله تعالى
 (كل) أي من هذه الفرق وان بالغ في التفرق (البناء) يوم القيامة (راجعون) فحكمهم بينهم
 فينسب عن ذلك أنا نجايزهم إقامة للعدل فنعطى كلاماً من الحق التابع لاصفياً شاملاً للبطل
 المائل الى الشياطين أعداءنا ما يستحقه وذلك هو معنى قوله تعالى فارقابين الحسن والمسيء
 تخفيفاً للعدل وتشويقاً الى الفضل (فن يعمل) أي منهم الآن (من الصالحات وهو) أي والحال
 أنه (مؤمن) أي يأتي بعمله على الاساس الصحيح (فلا كفران) أي لا جحود (لسمعیه) بل يشكر
 ويشاب عليه * (تنبيه) * قوله تعالى فلا كفران نفي الجنس ليكون أبلغ من أن يقول فلا تكفر
 سعيه (واناله) أي لسمعیه (كاتبون) أي مثبتون في صحيفة عمله وما أشتبهه فهو غير ضائع فلا يفقد
 منه شيئاً قل أو جل ومن العلوم أن قسمه وهو من يعمل من السيئات وهو كافر فلا تقيم له وزناً
 ومن يعمل منها وهو مؤمن فهو تحت مشيئتنا قال البقاعي ولعله حذف هذين القسمين ترغيباً
 في الايمان * ولما كان هذا غير مصرح في أن هذا الرجوع بعد الموت بينه بقوله تعالى (وحرام)
 أي ممنوع (على قرية) أي أهلها (أهلكاها) أي بالموت (أنهم لا يرجعون) أي البنابان يذهبوا
 تحت القرباباطلامن غير احباس بل البنابو تهم رجعون نجسناهم في البرزخ منعين أو
 معذبين نعيماً أو عذاباً دون النعيم والعذاب الاكبر * (تنبيه) * ما قدرناه في الآية هو ما جرى
 عليه البقاعي والذي قدره الزمخشري أن معنى أهلكاها عزمنا على اهلاكها أو قدرنا
 اهلاكها ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة فتكون لامر بدة والذي قدره
 الجلال المحلى أن لازادة أي يمنع رجوعهم الى الدنيا فيكون الاهلاك بالموت وهذا قريب
 مما قاله ابن عباس فانه قال وحرام على قرية أهلكاها أن يرجعوا بعد الهلاك فجعل لازادة قال
 البقاعي وقال آخرون الحرام بمعنى الواجب فعلي هذا ليكون لا ثابته ومعناه واجب على أهل
 قرية أهلكاها أي حكمنا بجهلهم أن لا تقبل أعمالهم لانهم لا يرجعون أي لا يتوبون والدليل
 على هذا المعنى انه تعالى قال في الآية التي قبلها ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا
 كفران لسمعیه أي يقبل عمله ثم ذكر هذه الآية عقبه وبين ان الكافر لا يقبل عمله انتهى والذي
 قدره البيضاوي قريب مما قدره الزمخشري وكل هذه التقادير صحيحة لكن الاول أظهر وقرأ
 شعبة وحزرة والنكسائي بكسر الحاء وسكون الراء والباقون بفتح الحاء والراء وألف بعد الراء

قال البغوي وهما الفتنان مثل حل وحلال وقوله تعالى (حتى اذا انقضت يا جوج وما جوج) متعلق بما قال الرحمنى جبرام وحتى غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام أى فهي الابتدائية لا الحارثة ولا العاطفة والمحكى هو الجمل الشرطية وقرأ ابن عاصم بتشديد التاء بعد الفاء والباقرن بالتخفيف وبأجوج وما جوج اسمان أعجميان اسم لقبيلتين من جنس الأذس ويقدر قبله مضاف أى سدهما وذلك قريب الساعة يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها يا جوج وما جوج وقرأهما عاصم بهمزة ساكنة والباقرن بالالف ثم عبر عن كثرتهم التي لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى بقوله تعالى (وهم) أى والحال أنهم (من كل حذب) أى نشرزعال من الأرض (ينسلون) أى يسرعون من التسلان وهو تقارب الخطامع السرعة كشى الذئب فى العبارة ايماء الى أن الأرض كرة وقبل الضمير راجع الى الناس المسوقين الى المحشر روى عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن ننذاك الساعة فقال صلى الله عليه وسلم ما تنذاكرون قلنا ننذاك الساعة قال انهم ان تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدجال والدخان والذابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وبأجوج وما جوج وثلاثة خسوف خسف بالشرق وخسف بالغرب وخسف بجزيرة العرب واخر ذلك نار يخرج من بين يدي الناس الى محشرهم (واقرب الوعد الحق) أى يوم القيامة قال حذيفة لو أن رجلا اتقى فلو بعد خروج يا جوج وما جوج لم يركبه حتى تقوم الساعة (فاذا هى شاخصة ابصار الذين كفروا) قال الكلبي شخضت ابصار الكفار فلا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم (تنبيه) فاذا هى اذا لمفاجأة وهي تقع فى الهزاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يعمطون فاذا جاءت الفاء معها اتعاقبوا على وصل الجزاء بالشرط فبتأكد ولو قبل اذا هى شاخصة أفوهى شاخصة كان سديدا قال سيبويه والضمير للقصة بمعنى فاذا القصة شاخصة يعنى القصة أن ابصار الذين كفروا تنخص عند ذلك وقال الرحمنى هي ضمير بهم توضحه الابصار وتفسره كإفسار الذين ظلموا وأسر والنجوى وقولهم (يا ويلنا) أى هلا كما متعلق بمعدوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون فى موضع الحال من الذين كفروا وبالتنبيه (قد كذا) أى فى الدنيا (فى غفلة من هذا) أى اليوم حيث كذبنا وقتلناه غير كائن ثم أضر بواعن الغفلة فقالوا (يا ويلنا) أى انفسنا بعد اعتقادهم واضحى الشئ فى غير موضعه حيث أعرضنا عن تأمل دلائله والنظر فى محاذيه وكذبنا الرسل وعبدنا الاوثان وقوله تعالى (اتسكنم) خطاب لاهل مكة وأكده لانكارهم مضمون الخبر (وما تعبدون من دون الله) أى غيره من الاوثان (حصب جهنم) أى وقودها وهو ما ربه اليها وتمجج به من حصبه يحصبه اذا راماه بالحصب والحصب فى لغة أهل اليمن الحطب وقيل عكرمة هو الحطب الجشبة قال الفضل بن يعقوب بن ميمون سمى النار كاي يرمى بالحصب وقوله تعالى (أنتم لها واردون) أى داخلون استئناف أو بدل من حصب جهنم واللام محذوفة من على الاختصاص والدلالة على أن ورودهم لا يعلمها (لو كان هؤلاء) أى الاوثان

(آلهة) أي كاذبة عن (ما وردوها) أي ما دخل الاوثان وعابدها النار وقرأ نافع وابن كثير وأبو
 هرير وبدا لالهزة الثانية خاصة في الوصل بعد تحقيق الأولى والباقيون بتحقيقهما (وكل)
 أي من العابدین والمعبودین (فيها) أي في جهنم (خالدون) لانفسك الله لهم عنها بل يحمي بكل
 منهم فيها على الآخر (فان قيل) لم قروا بالآلهتهم (أجيب) بأنهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة
 غم وحسرة حيث أصابهم ما أصابهم بسببهم والنظر إلى وجه العذوباب من العذاب لانهم
 قدروا أنهم يستشفعون بهم في الآخرة وينتفعون بشفاعتهم فإذا صادفوا الامر على عكس
 ما قدروا لم يكن شيء أبيض اليهم منهم (فان قيل) اذا عنيبت بما تعبدون الاوثان فلامعني قوله تعالى
 (لهم فيها زفير) أي تنفس عظيم على غاية من الشدة والمدة كما تخرج معه النفس (أجيب)
 بأنهم اذا كانوا هم وأولادهم في قرن واحد جاز أن يقال لهم زفير وان لم يكن الزفير من الالهة
 دون الاوثان للتغليب ولعدم الالباس (وهم فيها لا يسمعون) شيئا لشدة غلبتها وقال ابن
 مسعود في هذه الآية اذ انبى في النار من يخلد فيها جحشوا في نوايت من نار ثم جعلت تلك
 النوايت في نوايت أخرى عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى أحد منهم ان أحدًا
 يعذب في النار غيره وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش
 في الخطيم وحول الكعبة للمخاضة وستون صفا جلس اليهم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخمه ثم تلا عليهم أنكم وما تعبدون من دون الله الالهة فاقبل
 عبد الله بن الزعري السلمي فرأهم يتها مسون فقال فيم خوضكم فأخبره الوليد بن المغيرة بقول
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله أما والله لو وجدته لخصمته فعدوا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال له ابن الزعري أنت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمك ورب الكعبة أليس
 اليهود عبدوا عزير والنصارى عبدوا المسيح وشوملج عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم
 بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك فأنزل الله تعالى (ان الذين سبق لهم منا الحسنی)
 أي الحكم بالموعدة بالالفقة في الحسن في الازل ومنهم من ذكر سواء أضل بأحد منهم الكفار
 فاطره أم لا (أو لئنك) أي العالو الرتبة (عنها) أي جهنم (مبعدون) برجة الله تعالى لانهم
 أحسنوا في العبادة واتقوا وهل جزاء الاحسان الا الاحسان وفي رواية عن ابن عباس ان ابن
 الزعري لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم ذلك سكنت ولم يجب ففعلك القوم فنزل قوله تعالى ولما
 ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربه لك الا جلال
 هم قوم خصمون ونزل في عيسى والملائكة ان الذين سبق لهم منا الحسنی الآية وقد أسلم ابن
 الزعري بعد ذلك رضي الله تعالى عنه ومدح النبي صلى الله عليه وسلم وادعى جماعة أن المراد
 من الآية الاصنام لان الله تعالى قال وما تعبدون من دون الله ولو اراد الملائكة والناس
 لقال ومن تعبدون بروي ان عليا رضي الله تعالى عنه قرأ هذه الآية ثم قال ان الله يسمي وأبو بكر
 وجر وعثمان والحمة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم أقبلت الصلاة
 فقام حمزة بن أمية وهو يقول (لا يسمعون حسيها) أي حركتها بالالفقة وهو منها الشديد فكيف

بجاءونه لأن الحسن مطلق الصوت أو الصوت الخفي كما قاله البغوي فإذا زادت حروفه زاد معناه
فقد كرك ذلك بدلا من مبعدون أو حال من ضميره للمبالغة في ابتعادهم عنها (وهم) أي الذين
سبق لهم منا الحسن (في ما شئت أنه سهم) في الجنة كما قال تعالى وفيها ما تشتهي
الانفس وتلد الاعين والشهوة طلب النفس اللذة (خالدون) أي دائماً أبدياً في غاية التمتع وتقديم
الطرف للاختصاص والاهتمام به (فائدة) في هنام مقطوعة من ما ولما كان معنى ذلك أن
سرورهم ليس له زوال أكد بقوله تعالى (لا يحزنهم الفزع الأكبر) قال الحسن هو حين
يؤمر بالبعد إلى النار وقال ابن عباس هو النفخة الأخيرة لقوله تعالى ويوم ينفخ في الصور
ففرع من في السعوات ومن في الأرض وقال ابن جريج هو حين يذبح الموت وينادي بأهل
النار خلود بلا موت وقال سعيد بن جبيرة هو أن تطبق جهنم وذلك بعد أن يخرج الله تعالى منها
من يريد أن يخرجها (وتلقاهم) أي تستقبلهم (الملائكة) قال البغوي على أبواب الجنة يهنئهم
وقال الجلال المحلى عند خروجهم من القبور ولا مانع أنها تستقبلهم في الحالين ويقولون لهم
(هذا يومكم الذي كنتم توعدون) أي هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم به في الدنيا فأبشروا
فيه بجميع ما يسركم * ولما كانت هذه الأفعال على غاية من الأحوال تشوق بها النفس إلى
معرفة اليوم الذي تكون فيه قال تعالى (يوم) أي تكون هذه الأشياء يوم (تطوى السماء)
طيا فتكون كأنهم لم تكن ثم صور طيها بما يعرفونه فقال مشبها المصدر الذي دل عليه الفعل
(كطى السجل) واختلف في السجل فقال بعضهم هو الكتاب الذي له العلو والقدرة على
مكتوبه (الكتاب) أي القراطس الذي يكتبه ويرسله إلى أحد وقال السدي هو ملك يكتب أعمال
العباد وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذه الأقوال اسم للصيغة
المكتوب فيها وقال ابن عباس ومجاهد والأكثرون السجل الصيغة والمعنى كطى الصيغة
على مكتوبها والطي هو الدرج وهو ضد النشر وإنما وقع هذا الاختلاف لأن السجل يطلق
على الكتاب وعلى الكاتب فله في القاموس وقرأ حفص وحزرة والكسائي بضم الكاف والتاء
على الجمع والباقيون كسر الكاف وفتح التاء وبين الكاف والتاء ألف على الأفراد فقراءة
الأفراد للمقابلة لفظ السماء والجمع للدلالة على أن المراد الجنس لجميع السموات تطوى روى عن
ابن عباس أنه قال يطوى الله تعالى السموات السبع بما فيها من الخليقة والأرضين السبع بما فيها
من الخليقة بطوى ذلك كله بيمينه أي بقدرته حتى يكون ذلك بمنزلة خردة وروى عن ابن عباس
أنه قال قام فبثا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم محشورون إلى
الله خفاة عرا غلا أي غير محتونين (كأيد أنا أول خلق نعيده) أي كأيد أنا هم في بطون أمهاتهم
عرا غلا غير محتونين نعيدهم يوم القيامة نظيره قوله تعالى ولقد جئتمونا فردى كما خلقناكم
أول مرة (وعدا) وأكيد بك قوله تعالى (علينا) وزاده بقوله تعالى (أنا كنا) أي أزلوا وأبدأوا
حالة لا تحول (فاعلين) أي شائنا أن نفعل ما نريد لا كلفة علينا في شيء من ذلك ثم انه تعالى حتى
ذلك بقوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) قال سعيد بن جبيرة ومجاهد الزبور جميع

كتب الله تعالى الميزة والذكر أتم الكتاب الذي عنده ومعناه من بعد ما كتب ذكره في اللوح
المحفوظ وقال ابن عباس والفصل الزبور والتوراة والذكر الكتاب الميزة من بعد التوراة
وقال الشعبي الزبور كتاب داود والذكر التوراة وقيل الزبور كتاب داود عليه السلام والذكر
القرآن وبه بمعنى قبل كقوله تعالى وكان وراءهم ملك أي أمامهم وقوله تعالى والارض بعد
ذلك دحاها أي قبله وقرأ جزء بضم الزاي والباقون بقضها (أن الأرض) أي أرض الجنة
(برهما عبادي) وحقق ذلك ما أفادته اضافتهم اليه بقوله تعالى (الصالحون) أي المتصفون
بإخلاق أهل الذكر المقبولون على ربهم الموحدون له المشفقون من الساعة الراهبون
من سطوته الراغبون في رحمته الخاشعون له فهذا عام في كل صالح وقال مجاهد يعني أمة محمد
صلى الله عليه وسلم دليله قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض تنبؤاً من
الجنة حيث نشاء وقال ابن عباس أراد أن أراضى الكفار بقضها المسلمون وهذا حكم من الله
تعالى باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل أراد بالارض الارض المقدسة وقيل أراد حفس
الارض الشامل لبقياع أرض الدنيا كلها ولا أرض المحشر والجنة وغير ذلك مما يبله الله تعالى
وجرى على هذا البقاع في تفسيره وقرأ جزء بسكون الباء والباقون بقضها (أن في هذا) أي
القرآن كما قاله البغوي (لبلاغاً) أي وصولاً الى البغية فإن من اتبع القرآن وعمل به وصل الى
ما يرجو من الثواب وقيل بلاغاً أي كفاية يقال في هذا الشيء بلاغ وبلغه أي كفاية
والقرآن زاد الجنة كبلاغ المسافر وقال الرازي هذا اشارة الى المذكور في هذه السورة من
الاخبار والوعود والوعيد والمواعظ البالغة (لقوم عابدين) أي عاملين به وقال ابن عباس عاملين
قال الرازي والاولى أنهم الجاهلون بين أمرين لأن العلم كالشجرة والعدل كالثمر والشجريدون
التمر غير مفيد والتمر يدون الشجر غير كائن وقال كعب الاحبار هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم
أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان * ولما كان هذا مشيراً الى ارشادهم فكان التقدير
فما أرسلناك الا للاسعادهم عطف عليه قوله تعالى (وما أرسلناك) أي على حالة من الاحوال
(الا) على حال كونك (رحمة للعالمين) كلهم أهل السموات وأهل الارض من الجن والانس
وغيرهم طاعتهم بالثواب وعاصيهم بتأخير العقاب الذي كانت تأمل الامم به فخص غيبتهم وتفرقت
بهم اظهار الشرفك واعلاء قدرك ثم ردت كثير منهم الى دينك وبخيلهم من أكبر أنصارك
وأعظم أعوانك بعد طول ارتكابهم الضلال وارتباكهم في اشرار الحال ومن أعظم
ما يظهر فيه هذا الشرف في عوم الرحمة وقت الشفاعة العظمى يوم يجمع الله تعالى الاولين
والآخرين وتقوم الملائكة صفوفاً والنفوس وسطهم ويخرج بعضهم في بعض من شدة ما هم
فيه يطلبون من يشفع لهم فيصدقون أكبر الانبياء نبيا نبيا عليهم الصلاة والسلام فيصلي بعضهم
على بعض وكل منهم يقول لست لها حتى يأتيه صلى الله عليه وسلم فيقول أنا الهاء ويقوم معه لواء
الجدد ففقه الله تعالى وهو المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والآخرون فهو صلى الله عليه
وسلم أفضل الخلق أجمعين ولما أورد تعالى على الكفار الجحيم في أن لا اله الا هو وبأنه أرسل

رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (قال انما يوحى الى انما الهكم
 اله واحد) أى ما يوحى الى فى أمر الاله الا وحده انيته وما الهكم الاله واحد لم يوح الى غيره
 تدعون من الشركه تغير ذلك فالاول من قصر الصفة على الموصوف والثانى من قصر الموصوف
 على الصفة والمخاطب بهم مامن يعتقد الشركه فهو قصر قلب وقال الرخشى انما قصر الحكم
 على شئ أو قصر الشئ على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان فى هذه
 الآية لان انما يوحى الى مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قائم
 وفائدة اجتماعهما للدلالة على ان الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استثناء
 الله تعالى بالوحدانية انتهى * ولما كان الوحي الوارد على هذه السنن موجباً ان يخلصوا التوحيد
 لله تعالى قال صلى الله عليه وسلم (فهل أنتم مسلمون) أى منقادون لما يوحى الى من وحدانية الاله
 والاستغناء بمعنى الأمر أى أسلموا (فان تولوا) أى لم يقبلوا ما دعوتهم اليه (فقل) أى لهم
 (آذنتكم) أى أعلمتكم بالحرب كرجل بينه وبين أعدائه هدنة فأحسن منهم بعدد نية فبذلهم العهد
 وأشهر النبذ وأشاعه وأذنهم جميعاً بذلك وقوله (على سواء) حال من الفاعل والمفعول أى
 مستويين فى الاعلام بل لم أطوه عن أحد منكم ولا أستبد به دونكم لتأهوا (وان) أى وما
 (أدرى أقرب) جدّاً بحيث يكون قربه على ما يتعارفونه (أم بعد ما نؤعدون) من غلب
 المسلمين عليكم أو عذاب الله أو القيامة المشتملة عليه وان ذلك كائن لا محالة ولا بد أن يطعكم
 بذلك الذلة والصغار وان كنت لأدرى متى يكون ذلك لان الله تعالى لم يعلى علمه ولم يطلعنى عليه
 وانما يعلمه الله تعالى (انه) تعالى (يعلم الجهر من القول) أى مما يجهرون به من العظام وغير ذلك
 وبه تعالى على ذلك فان من أحوال الجهر أن ترتفع الاصوات جدّاً بحيث تختلط ولا يميز بينها
 ولا يعرف كثير من حاضرهما ما قاله أكثر القائلين فاعلم سبحانه وتعالى أنه لا يشغله صوت عن أمر
 ولا يفوته شئ من ذلك ولو كثرت (ويعلم ما تكفون) مما تضرعون فى صدركم من الاحقاد للمسلمين
 وتظهر ذلك قوله تعالى فى أول السورة قل ربى يعلم القول فى السماء والارض ومن لازم ذلك
 المجازاة عليه بما يحق لكم من تعجيل وتأجيل فستعلمون كيف تخيب ظنونكم ويحقق
 ما أقول فتظنون حيث ذبى صادق ولست بساحر ولا شاعر ولا كاهن فهو من أبلغ التهديد
 فانه لا يبلغ من التهديد بالعلم * ولما كان الامهال قد يكون نعمة وقد يكون نقمة قال (وان)
 أى وما (أدرى) أن يكون تأخير عذابكم نعمة لكم كما تظنون أم لا (لهل) أى تأخير العذاب
 (نقمة) أى اختبار (لكم) ليظهر ما يعلمه منكم من السر لفسره لان حالكم حال من يتوقع منه
 ذلك (ومتاع) لكم تتمعون به (الى حين) أى بلوغ مدة آجالكم التى ضربها لكم فى الازل
 ثم يأخذكم بقتة وأنتم لا تتشعرون ولما كان الله أن يفعل ما يشاء من عدل وفضل وكان من العدل
 جواز تعذيب الله تعالى الطائغ وتعيم المؤمنين العاصي وكان صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية
 فى البيان لهم وهم قد بلغوا النهاية فى أدبته وتمكيد به أمر الله تعالى أن يفرض الأمر اليه
 تسليطه بقوله تعالى (قل رب) أيها الحسن الى (أحكم) أى أنجز انصحتكم بين وبين قوسى (بالحق)

أى بالامر الذى يحق لكل من ان نصر وخذلان وقرأ حفص بفتح القاف واقتبع بعدها وفتح
 اللام بصيغة الماضي على حكاية رسول الله صلى الله عليه وسلم والباقون بضم القاف وسكون
 اللام بصيغة الامر (فان قيل) كيف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم بالحق والله تعالى
 لا يحكم الا بالحق (أجيب) بأن الحق ههنا يعنى العذاب فكأنه استجمل العذاب لقومه فعدوا
 يوم بدر تطيره قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقال أهل المعاني معناه رب احكم بحكمك
 الحق فحذف الحكم وأقيم الحق مقامه والله تعالى يحكم بالحق طلب أم لم يطلب ومعنى الطلب
 ظهور الرغبة من الطالب فى حكمه الحق (وربنا) أى المحسن لنا أجمعين (الرجن) أى العام
 الرحمة لنا ولكم بادوارها علينا ولولا عموم رحمته لاهلكنا أجمعين وان كنا نحن أطعناه لانا
 لا تقدره حتى قدره ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة (المستعان) أى
 المطلوب منه العون (على ما تفهون) من كذبكم على الله تعالى فى قولكم اتخذ الله ولدا وعلى
 فى قولكم ساحر وعلى القرآن فى قولكم شعرا قال الرازى روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول
 ذلك فى حروبه ولم يذكر له سندا وأما ما رواه البيضاوى تعالى عن أنس بن مالك روى أنه صلى الله عليه وسلم
 قال من قرأ اقرب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن
 فجدبته موضوع والله تعالى أعلم بالصواب

(سورة الحج مكية)

الامن الناس من يعبد الله على حرف الآيتين والاهدان خصمان الست آيات
 فدينا وهى ثمان وقيل خمس أو ست أو سبع وسبعون آية

(بسم الله) أى الذى اقتضت عظمتة خضوع كل شئ (الرجن) الذى هم برحمته كل موجود
 (الرحيم) الذى خص بفضل من شاء من عباده * ولما ختمت السورة التى قبل هذه بالترهيب
 من القزع الاكبر وطى السماء وابتان ما يؤعدون وكان أعظم ذلك يوم الدين اقتضت هذه
 السورة بالامر بالتقوى النجاسة من هول ذلك اليوم بقوله تعالى (يا أيها الناس) أى الذين تقدم
 أول تلك أنه اقرب لهم حسابهم ان أريد أن ذلك عام والافهم وغيرهم (اتقوا) أى احذروا
 عقاب (ركبكم) أى المحسن اليكم بأنواع الاحسان بأن يجعلوا بينكم وبين عقابه وقاية الطاعات
 * ولما أمرهم بالتقوى علل ذلك مر بها لهم بقوله تعالى (ان زلزلة الساعة) أى حركتها الشديدة
 للاشياء على الاستناد المجازى فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله ويصح أن يكون الى
 المفعول فيه على طريق الانساع فى الطرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل
 والنهار وهى الزلزلة المذكورة فى قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف فى وقتها
 فمن الحسن أنها تكون يوم القيامة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها
 الذى هو اقرب للساعة (شئ عظيم) أى أمر كبير وخطر جليل وحادث هائل لا تحتمل العقول
 وصفه وهذا الزلزلة نفسها كيف بجميع ما يحدث فى ذلك اليوم الذى لا بد لكم من الحشر فيه

الى الله تعالى ليجازيكم على ما كان منكم لا ينسى منه تغير ولا قماح (يوم تزونها) أى الزلزلة
أو الساعة أو كل مرضعة أضمرها قبل الذكر تهويل للامر وتزويعا للنفس (تذهل) بسبب ذلك
(كل مرضعة) أى بالفعل أى تنسى وتغفل حائرة مدهوشة والعامل فى يوم تذهل (فان قيل)
لم قال تعالى مرضعة ولم يقل مرضع (أجيب) بأن المرضعة هى التى فى حال الارضاع ملقمة نديها
للطفل والمرضع التى شأنها أن ترضع وان لم تبشر الارضاع فى حال وضعها فقال مرضعة ليدل
على أن ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد ألقت نديها تنزعها من فيه لما يلحقها من الدهشة
(عما أرضعت) عن أرضاعها أو عن الذى أرضعته وهو الطفل فما أتاه سدرة أو موصولة
(وقض كل ذات حل حملها) أى تسقطه قبل التمام رعبا وفزعاً * (تنبيه) * هذا ظاهر على القول
الثانى وهو قول علقمة والشعبي على أن ذلك يكون عند طلوع الشمس من مغربها وأما على
القول الاول وهو قول الحسن على أن ذلك يوم القيامة كيف يكون ذلك فقيل هو تصوير ليهولها
قاله البضاوى وقال الباقى فى المرضعة هى من ماتت مع ابنها رضيعا وفى ذات الحمل من ماتت
حاملًا فان كل أحد يقوم على ما مات عليه وهذا أولى فأنى فى حال كائنى فى هذا الحمل حضر عندى
سيدى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فنعنا الله تعالى ببركته فذكرت له هذين القولين فأنشرح
صدره لترجيح هذا الثانى وذلك يوم تأسوا من شهر الله المحرم سنة ست وخمسين وتسعمائة
وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها بغير طعام وتضع الحامل ما فى بطنها بغير غم ويؤيد أن
هذه الزلزلة تكون بعد البعث ماروى عن أبى سعيد الخدرى أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زادنى رواية والخير فيديك
فينادى بصوت ان الله يأمر لآن تخرج من ذريتك بعنا الى النار قال يارب وما بعث النار قال
من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فينثذ تضع الحوامل حملها ويشيب الوليد وساق بقية
الآية وهو (وترى الناس سكارى) أى لما هم فيه من الدهشة والحيرة ثم بين الله تعالى أن ذلك
ليس بسكر حقيقة بقوله تعالى (وما هم بسكارى) أى من الشراب ولما نرى أن يكونوا سكارى من
الشراب أثبت ما أوجب لهم تلك الحالة بقوله (ولكن عذاب الله) ذى العزة والجبروت (شديد)
فهو الذى أوجب أن يظن بهم السكر لأن هولاً ذهب عقولهم واطيرعيزهم ثم الحديث عند آخر
الآية فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم زادنى رواية قالوا يا رسول الله أين ذلك
الواحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من باجوج وما جوج تسعمائة وتسعة وتسعون
ومنكم واحد ثم أنتم فى الناس كالشجرة السوداء فى الثور الأبيض أو كالشجرة البيضاء فى الثور
الأسود وفى رواية كالرقعة فى ذراع الجمار وانى أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال
ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا وفى رواية انى لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل
الجنة روى عمران بن حصين رضى الله عنه أن هاتين الآيتين نزلتا فى غزوة بنى المصطلق ليلا
فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم لغنوا المظي حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقرأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فلم يقرأ كتابا يكمن تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا

السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبقوا قدرا وكافوا ما بين حزين وبالك
ومضكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم
يقول الله لا دم قم فابعثت النار وذلك نحو حديث أنى سعيده و زاد فيه ثم قال يدخل من أمقى
سبعون ألفا الجنة بغير حساب قال عمر سبعون ألفا قال نعم ومع كل واحد سبعون ألفا و ثمر أحزمة
والكسافى بفتح السين وسكون الكاف فيهما والباقون بضم السين وفتح الكاف وبعد الكاف
ألف وأمال الألف بعد الراء أبو عمرو وحزمة والكسافى محضة وورش بين بين والباقون بالفتح
* ونزل في النضر بن الحرث وكان كثيرا للجلد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول الملائكة
بنات الله والقرآن أساطير الأولين وكان ينكر البعث وأحياء من صارت ربا (ومن الناس) أى
المذنبين (من) لا يسعي في إعلاء نفسه وتهذيبها فيكذب فيؤتى بسوء عمله لانه (يجادل في الله) أى
في قدرته على ذلك اليوم وفي غير ذلك بعد أن جاء العلم بها اجترأ على سلطانه العظيم (بغير علم) بل
بالباطل الذى هو جهل صرف فيقول اتباع الهداة (ويتبع) بغاية جهده في جداله (كل
شيطان) محترق بالسوء مبعث باللعن (مريد) أى متجبر للفساد ولا شغل له غيره قال البيضاوى
وأصله العرى أى عن السائر (كتب) أى قدر وقضى على سبيل الحتم الذى لا بد منه تعبيراً
باللازم عن المزوم (عليه) أى على ذلك الشيطان (أنه) أى الشأن (من يولاه) أى فعل معه فعل
الولى مع وليه باتباعه والاقبال على ما يزينه (فانه يضل) بما يغض اليه من الطاعات فيضل سبيل
الخير (ويهديه) أى بما يزين له من الشهوات الحاملة على الزلات (الى عذاب السعير) أى النار
* ثم أزم العجبة منكبرى البعث بقوله تعالى (يا أيها الناس) أى كافة ويجوز أن يزايدة المنكر فقط
(ان كنتم في ريب) أى شك وتهمة وحاجة الى البيان (من البعث) وهو قيام الاجسام بأرواحها
كما كانت قبل عما تم اقتفركم وافي خلقكم الاولى لتعلموا أن القادر على خلقكم أوقلا قادر على
خلقكم ثانيا ثم انه سبحانه وتعالى ذكر مراتب الخلقة الاولى أموراً سبعة المرتبة الاولى قوله
تعالى (فانا خلقناكم) بقدرتنا التى لا يتعاطها شئ (من تراب) لم يسبق له انصاف بالحياة وفى الخلق
من تراب وجهان أحدهما أنا خلقنا أصلكم وهو آدم عليه الصلاة والسلام من تراب كما قال
تعالى كخ ل آدم خلقه من تراب الثانى من الاغذية والاغذية اما حيوانية واما نباتية وغذاء
الحيوان ينتهى الى النبات قطعاً للتسلسل والنبات انما يتولد من الارض والماء فصم قوله تعالى
انا خلقناكم من تراب المرتبة الثانية قوله تعالى (ثم من نطفة) وحالها أبعد شئ عن حال التراب
فانما يضاء سائل لزجة صافية كما قال تعالى من ماء دافق وأصلها الماء القليل قاله البغوى
وأصل النطف الصب قاله البيضاوى المرتبة الثالثة قوله تعالى (ثم من علقه) أى قطعة دم جراء
جاءة ليس فيها أهلية للسيلان ولا شك أن بين الماء وبين الدم الجاءة مديانة شديدة المرتبة
الرابعة قوله تعالى (ثم من مضغة) أى قطعة لحم صغيرة وهى فى الاصل قدر ما يمتخ (مخلقة) أى
مستواة لانقص فيها ولا عيب يقال خلق السوال والعوسواء ومسله من قولهم صخره خلقه
اذا كانت ملساء (وغير مخلقة) أى وغير مستواة فكان الله تعالى يخلق المصغ منقارة منها

ما هو كامل الخلقة وأملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت
تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتعلمهم وقصانهم هذا قول قتادة
والفضال وقال مجاهد الخلقة الولد الذي يخرج حيا وغير الخلقة السقط وقال قوم الخلقة
المصورة وغير الخلقة غير المصورة وهو الذي يبقى لجان غير متحيط وتشكيل واحتواجا
روى علقمة عن عبد الله بن مسعود موقوفا عليه قال ان النطفة اذا استقرت في الرحم اخذها
ملك بكفه وقال أي رب مخلقة أو غير مخلقة فان قال غير مخلقة قد فيها في الرحم دما ولم تكن نسمة
وان قال مخلقة قال الملك أي رب ذكر أم أنثى وشقي أم سعيد ما الاجل ما العمل ما الرزق بأي
أرض غوت فيقال له اذهب الى أم الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها في أم الكتاب
فينسحقها فلا يزال معه حتى يأتي على آخر صفتها والذي أخرجاه في الصحيحين عنه قال حدثنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة
ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي
أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فولد لا اله غيره ان أحدكم لم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه
وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم لم يعمل بعمل
أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها
فكانه تعالى يقول انما قلنا لكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة (ليسكن لكم) بهذا
التدريج قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من التراب والماء وأولاهم من نطفة
نأيسا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على أن يجعل النطفة علقة وبينها ما بين ظاهر ثم يجعل
العلقه مضغة والمضغة عظاما قدر على إعادة ما بدأ به هو أدخل في القدرة من تلك وأهون
في القياس وورد الفعل غير معدى الى المبين اءلام بأن أفعاله هذه تبين بهامن قدرته وعلمه
ما لا يحيط به الوصف ولا يكتسبه الذكر (ونفرت في الارحام) أي من ذلك الذي خلقناه (ما نشاء)
انعامه (الى أجل مسمى) هو وقت الوضع وأدناه بعد ستة أشهر وأقصاه آخر أربع سنين بحسب
قوة الارحام وضعفها وقوة المخلقات وضعفها وكثرة تغذيته من الدماء وقلته الى غير ذلك من
أحوال وشئون لا يعلمها الا باريها جلت قدرته وتعال عظمته ولم نشأ اقراره بحجته الارحام
وأسقطته دون التمام أو تحرقه فيضمحل المرتبة الخامسة قوله تعالى (ثم نخرجكم طفلا) وهو
معطوف على نبين ومعناه خلقناكم مذكرين هذا التدريج لغرضين أحدهما أن نبين
قدرتنا والثاني أن نفرت في الارحام من نفرت حتى تولدوا في حال الطفولية من صغرها لينة وضعف
البدن والسمع والبصر وجميع الحواس لئلا تهلكوا أمهاتكم بكم أبرامكم وعظام أجسامكم
المرتبة السادسة قوله تعالى (ثم أي غدا جلكم لتبلقوا) بهذا الانتقال في أسخان الاجسام
من الرضاغ الى المراهقة الى البلوغ الى الكهولة (أشدكم) أي الكمال والقوة وهو ما بين
الثلاثين الى الأربعين جمع شدة كالانم جمع نعمة كانه شدة في الامور المرتبة السابعة قوله
تعالى (ومنكم من يتوفى) أي عند بلوغ الاشد أو قبله (ومنكم من يرد) بالشيوخوخة وبنائه
للجهول اشارة الى سهولته عليه لاستبعاد ما لا تكرار المشاهدة عند الناظر لتلك القوة والنشاط

وحسن التواصل بين أعضائه والارتباط (التي أودل) أي أخسر (العمر) وهو سن الهرم
 فنقص جميع قواه (لكيلا يعلم من بعد علم) كان أوتيه (شيئاً) أي لم يود كهيمته الأولى
 في أو أن الطفولية من سعادة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه ويترك من عرفه حتى يسأل عنه
 من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة إلا سأل عنه (فان قيل) هذه
 الحالة لا تحصل للمؤمنين لقوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا
 الصالحات (أجيب) بأن معنى قوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين هو دلاله على الذم فالمراد به
 ما يجري مجرى العقوبة ولذلك قال تعالى إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لكن قال
 عكرمة من قرأ القرآن لم يصر إلى هذه الحالة وقد علم بعود الإنسان في ذهاب العلم وصغر الجسم
 إلى نحو ما كان عليه في ابتداء الخلق قطعاً أن الذي أعاده إلى ذلك قادر على إعادته بعد الصالحات
 * ولما تم هذا الدليل على الساعة بحكم المقدمات وأصح النتائج وكان أول الإيجاد فيه
 غير مشاهد ذكر الله تعالى دليلاً آخر على البعث مشاهداً بقوله (وترى الأرض هامدة) أي
 باسدة ساءت سكوت الميت (فإذا أنزلنا) أي بما لنا من القدرة (عليها الماء اهتزت) أي
 تحركت ونأهلت لإخراج النبات (وربت) أي ارتفعت وذلك أول ما يظهر منها العين وزادت
 وغت بما يخرج منها من النبات الناشئ عن التراب والماء وقوله تعالى (وأثبت) مجاز لأن
 الله تعالى هو المنبت وأضيف إلى الأرض توسعاً أي أثبت بتقديرنا لأنهم المنبتة (من كل
 زوج) أي صنف (مخرج) أي حسن نصير من أشنات النبات في اختلاف ألوانها وطعومها
 وروائحها وأشكالها ونافعها ومقاديرها قال الحلال المحلى من زائدة ولم أر من ذكر ذلك
 من المفسرين * (تنبيه) * في الآية إشارة إلى أن النبات كما توجه من نقص إلى كمال
 فكذلك الإنسان المؤمن يترقى من نقص إلى كمال ففي المعاد يصل إلى كماله الذي أعدّه
 من البقاء والغنى والعلم والصفاء والخلود في دار السلام مبرّأ عن عوارض هذا العالم
 * ولما أقر سبحانه هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب والنتيجة وذكر أمورا خمسة
 أحدها قوله تعالى (ذلك) أي المذكور من بدء الخلق إلى إخراجها إلى الأرض (بأن) أي
 بسبب أن تعلموا أن (الله) أي الجامع لا وصف الكمال (هو) أي وحده (الحق) أي
 الثابت الدائم ومساواة فان ثلثها قوله تعالى (وأنه يحيى الموتى) أي قادر على ذلك والالها
 أحسن النطق والارض الميتة ثالثها قوله تعالى (وأنه هل كل شيء) من الخلق وغيره (قدير)
 انما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول كن فيكون رابعها قوله تعالى (وأن الساعة) التي تقدم
 ذكرها وتقدم التعذير منها وهي شر الخلق كلهم (آتية لا ريب) أي لا شك (فيها) أي
 بوجه من الوجوه مما دل عليها بما لا سبيل إلى إنكاره بقول من لا مر داقوله وهو حكيم لا يخلط
 مبعاده ولا يسوغ بوجه أن يترك عباده بغير حساب خامسها قوله تعالى (وأن الله يبعث)
 بالاحياء (من في القبور) بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن
 يفي بما وعده ونزل في أبي جهل بن هشام كما قاله ابن عباس (ومن الناس من يجادل) أي بغاية

جهده (في الله) أي في قدرته وما يجمعه هذا الاسم الشريف من صفاته بعد هذا البان الذي
 لا مثل له ولا خفاء فيه (بغير علم) أنه عن الله تعالى على لسان أحد من أوصيائه أعظم من أن يكون
 كتاباً وغيره (ولا هدى) أرشده إليه أعظم من كونه بضرورة أو استدلال (ولا كتاب منير) له نور
 منه صمدية أنه من الله تعالى ومن العلوم أنه باتقاء هذه الثلاثة لا يكون جداله بالباطل وقيل
 قوله تعالى ومن الناس كتر كما كرت سائر الأفاضل وقيل الأول في المقلدين وهذا في المقلدين
 وقوله تعالى (ثاني عطفه) حال أي لا يرى عنقه تكبراً عن الإيمان كما قال تعالى وإذا أتتني عليه
 آياتي لأولى مستكبراً والعطف في الأصل الجانب عن يمين أو شمال وقوله تعالى (ايضاً عن سبيل
 الله) علمه للجدال وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الباء والباقون بضمها (فان قيل) على قراءة
 الضم ما كان غرضه في جداله الضلال لغيره عن سبيل الله فكيف علم به وما كان على قراءة
 الفتح مهتدياً حتى إذا جدل خرج بالجدال عن الهدى إلى الضلال (أجيب) عن الأول
 بأن جداله لما أتى إلى الضلال جعل كآته غرضه وعن الثاني بأن الهدى لما كان معترضاً لفكره
 وأعرض عنه وأقبل على الجدال الباطل جعل كآته خارج من الهدى إلى الضلال * ولما ذكر
 فعله وغيره ذكر ما أعد له عليه في الدنيا بقوله تعالى (له في الدنيا خزي) أي أهانة وذلل وإن طال زمن
 استدراجه بتنعيجه حتى على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا الا وضعه وما أعد له عليه في الآخرة بقوله
 تعالى (ونذيقه يوم القيامة) الذي يجمع فيه الخلل بالاحياء بعد الموت (عذاب الحرىق) أي
 الاحراق بالنار وعن الحسن قال بلغني أن أحدهم يحرق في اليوم سبعين ألف مرة ويقال له
 حقيقة أو مجازاً (ذلك) أي العذاب العظيم (بما قدمت يدك) أي بعملك ولكن جرت عادة
 العرب أن تضيف الاعمال إلى اليد لأنها أكثر العمل واضافة ما يؤتى اليهما أنكى
 (وأن) أي وبسبب أن (الله ليس بظلام) أي بذى ظلم ما (للعبيد) وانما هو مجاز لهم على
 أعمالهم أو ان المبالغة لكثرة العبيد * ونزل في قوم من الاعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين
 من ياديتهم فكان أحدهم إذا قدم المدينة فصحبها جسمه وتجنبها فرسه مهرأ وولدت امرأته
 غلاماً وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد أصبت به خيراً واطمأن به وان كان الامر بخلافه قال
 ما أصبت الا شرأ فقلب عن دينه (ومن الناس من يعبد الله) أي يعمل على سبيل الاستمراء
 والتجديداً أمر الله به من طاعته (على حرف) فهو من زلزل كزلزلة من يكون على حرف شفر أو
 جبل أو غيره لا استقراره وكأذى على طرف من العسكر فان رأى غنية استتر وان توهم خوفاً
 طار وقر وذلك معنى قوله تعالى (فان أصابه خير) أي من الدنيا (اطمأن به) أي بسببه وثبت على
 ما هو عليه (وان أصابه فتنة) أي محنة وسقم في نفسه وماله (انقلب على وجهه) أي رجع
 إلى الكفر وعن أبي سعيد الخدري أن رجلاً من اليهود أسلم فأصابته مصائب فتشام
 بالاسلام فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ألقني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت * ولما كان
 انقلابه هذا مفسد له نام ولا خزنه قال تعالى (خسر الدنيا) بفوات ما آتاه منها ويكون ذلك
 سبب التفتير عليه قال تعالى ولو أنتم -م آتاهم التوراة والإنجيل وما أنزل اليهم من ميم لا كانوا

من فوقهم ومن تحت أرجلهم وروى أن الرجل ليجرم الرزق بالذنب يصيبه (والآخرة)
 بالكفر ثم عظم مصيبته بقوله تعالى (ذلك) أي الأمر العظيم (هو) أي لا غيره (المسران الميّن)
 أي الميّن إذ لا خسران مثله ثم بين هذا المسرّان الذي رزقه إلى ما كان فيه قبل الإيمان
 الحرفي بقوله تعالى (يدعوا) أي يعبد حقيقة أو مجازاً (من دون الله) أي غيره من الصنم
 (ملا بضرته) أن لم يعبد (وما لا ينفعه) أن عبده (ذلك) أي الدعاء (هو الضلال البعيد) عن
 الحق والرشاد استعير الضلال البعيد من ضلال من أبعده في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة
 ضلاله * ولما كان الاحسان جالبا للانسان لأن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها بين
 أن ما قيل في جلب النفع انما هو على سبيل القرض فقال تعالى (يدعولن) أي من (ضرته)
 بكونه معبودا لانه يوجب القتل والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة (أقرب من نفعه) الذي
 يتوقع منه عبادته وهو الشفاعة والتوسل بها إلى الله تعالى * (تنبه) * علم بما تقرآن اللام
 قبل من مزيدة كما قال الجلال المحلى (فان قيل) الضرر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها في
 الآيتين وهذا مستاقض (أجيب) بأن المعنى إذا حصل ذهب هذا الوهم وذلك أن الله تعالى سغه
 الكافر بأنه يعبد جادا لا يملك ضررا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يتفجع به حين
 يستشفع به ثم يوم القيامة يقوم هذا الكافر بدعاء وصرخ حين يرى استنصاره بالاصنام ودخوله
 النار بعبادتها ولا يرى أثر الشفاعة التي ادّعاها لها وقيل الآية الاولى في الاصنام والثانية في
 الرؤساء وهم الذين كانوا يفزعون اليهم بدليل قوله تعالى (لبئس المولى) أي الناصر هو (ولبئس
 العشير) أي صاحب هو قال الرازي وهذا الوصف بالرؤساء أليق لأن ذلك لا يكاد يستعمل
 في الاولئان فبين تعالى أنهم يعدلون عن عبادة الله إلى عبادة الاصنام وإلى طاعة الرؤساء
 * ولما بين سبحانه وتعالى حال الكفار عقبه بجهال المؤمنين بقوله تعالى (إن الله) أي الجامع لجميع
 صفات الكمال المنزه عن جميع شوائب النقص (يدخل الذين آمنوا) بالله ورسوله (وعملوا)
 تصديقا لإيمانهم (الصالحات) من القروض والتوافل الخاصة الشاهدة بنبأهم في الإيمان
 (جنات تجري من تحتها) أي في أي مكان من أرضها (الأنهار) * ولما بين سبحانه وتعالى
 حال الفريقين قال تعالى (إن الله) أي المحيط بكل شيء قدرة وعلما (يفعل ما يريد) من أكرام من
 بطيعه واهانة من يعصيه لادافعه ولامانع وقوله تعالى (من كان يظن أن لن ينصره الله
 في الدنيا والآخرة) فيه اختصار والمعنى أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن
 خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه فالضمير راجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم (فان قيل) لم يجره
 ذكر في هذه الآية (أجيب) بأن فيها ما يدل عليه وهو ذكر الإيمان في قوله تعالى إن الله
 يدخل الذين آمنوا والإيمان لا يثبت إلا بالله ورسوله وقيل الضمير راجع إلى من في أول الآية لانه
 المذكور ومن حق الكتاب أن ترجع إلى المذهب كوراذا أمكن ذلك وعلى هذا الماراد بالنصر
 الرزق قال أبو عبيدة وقف علينا سائل من بني بكر فقال من ينصر في نصره الله أي من يعطى
 أمهاته الله فكانت قال من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة (فلهذا بسبب) أي

بجبل (الى السماء) أى سقف بيته يشد بينه وبين عنقه (ثم لقطع) أى ليقطعه بأن يقطع نفسه
 من الارض كما فى الصباح وقبل علمه دجلا الى مها الدنيا ثم ليعده عليه فيجهد فى دفع نصر
 النبي صلى الله عليه وسلم على الاول ويحصل رزقه على الثانى وقرأ ورش وأبو عمرو وابن عامر
 بكسر اللام والباقون بسكونها (فليتظر) يصبره وبصريته (هل يذهب) وإن اجتهد (كيداً)
 فى عدم نصرته النبي صلى الله عليه وسلم أوفى حصل رزقه (ما يغبط) من ذلك والمعنى فليحتسب
 غبطاً فلا بد من نصرته صلى الله عليه وسلم واعلاء كلمته وأن ذلك لا يغلب القسمة فإن الارزاق
 بيد الله لا تنال الا بعيشة الله سبحانه وتعالى وهذا كما يقال لمن أذبر عنه أمر فخرج انشرب
 برأسك الحداد إن لم ترض هذه مات غبطاً ونحو ذلك والحاصل انه لم يصبر طوعاً صبراً
 واختلف فى سبب نزول هذه الآية على القول الاول فذكر وافها وجوهاً أحدها كان قوم من
 المسلمين لشدة غيظهم على الكفار يستبطلون ما وعد الله رسوله من النصر فزات ثنائها قال
 مقاتل نزات فى نفر من أسد وغطفان قالوا نخاف أن الله لا ينصر محمد أفية قطع الذى بيننا وبين
 حلفائنا من اليهود فلا يبرئنا ثالثها ان حساده وأعداء كثيرة وكانوا يتوقعون أن لا ينصره
 وأن لا يعينه على أعدائه ففى شاهد وأن الله نصره غاظم ذلك (وكذلك) أى ومثل ما أنزلنا
 هذه الآيات لبيان حكمها واظهار أسرارها (أنزلناه) أى القرآن الباقى وقوله تعالى (آيات
 يثبت) أى معجزات علمها كما كان معجزاً حكمها حال وقوله تعالى (وأن الله) أى الموصوف
 بالآكرام كما هو موصوف بالانتقام (يهدى) أى بآياته (مريد) أى هدايته أى يشته على
 الهدى معطوف على محمل أنزلناه * ولما قال تعالى وأن الله يهدى من يريد أن تبعه بيان من
 يهديه ومن لا يهديه وبدأ بالقسم الاول بقوله (ان الذين آمنوا) بالله ورسوله وعبر بالفعل لشغل
 الاقرار باللسان الذى هو أدنى وجوه الايمان ثم شرع فى القسم الثانى بقوله تعالى (والذين
 هادوا) أى اتبعوا دين اليهودية (والصابئين) وهم فرقة من النصارى سميت بذلك قبل تسديدها الى
 صابى عم نوح عليه السلام وقبل لخروجهم عن دين الى دين آخر واطلاق الصابئة على هذا هو
 المشهور وتارة يوافقونهم فى أصول دينهم ففعل منا كتحتم وتارة يخالفونهم فلا تحل منا كتحتم
 وتطلق أيضاً على قوم أقدم من النصارى يعبدون الكواكب السبعة ويضيفون الآثار
 اليها وينتفون الصانع المختار فيقولون لا لا تعجل منا كتحتم وقد ألقى الاصططرى والهاملى يقتلهم
 لما استفتى القاهر الفقهافهم فبذلوا له أموالاً كثيرة فتركهم والبلاء مقدم وقرأ نافع بالبلاء
 الخمسة بعد الباء والباقون بهم زمكسورة بعد الباء المخوذة (والنصارى) أى الذين اتبعوا
 دين النصرانية (والجوس) قال قتادة هم عبدة الشمس والقمر والنيران قال (والذين أشركوا)
 هم عبدة الاوثان قال مقاتل الاثان كلها ستة واحد للرحن وهو الاسلام وخمسة للشيطان
 وقبل خمسة أربعة للشيطان واحد للرحن يجعل الصابئين مع النصارى لانهم فرع منهم كما مر
 على المشهور وقد تقدم الكلام على هذه الآية فى سورة البقرة (أن الله) الذى هو أحكم
 الحاكمين (يفصل بينهم يوم القيامة) بإدخال المؤمنين الجنة وغيرهم النار وأدخلت ان

على كل واحد من جزأى الجملة لزيادة التأكيد ونحوه قول جرير

ان الخليفة ان الله سر به * سر بال ملك به تريحى الخواتيم

ثم علل ذلك بقوله تعالى (ان الله) أى الجسامع لجميع صفات الكمال (على كل شئ) من الاشياء كلها (شهيد) أى عالم به علم مشاهدة (ألم تر) أى تعلم (أن الله سبحانه) أى يخضع منقادا لامره سبحانه مسخرا لما يريد منه تسخير من هو فى غاية الاجتهاد فى العبادات والاخلاص فيها (من فى السموات ومن فى الارض) ان خصصت بذلك العاقل أفهم خضوع غيره من باب أولى وان ادخلت غير العاقل فى التغليب ثم أتبعه بأشرف ما ذكره لا يعقل لان كلامها عبد من دون الله أو عبد شئ منه فقال تعالى (والشمس والقمر والنجوم) من الاجرام العلوية بقيد الشمس جبر والقمر كناية والذبران تيمم والشعرى غم والثرابطى وعطار دأسد فله أبو حيان روى عن عرو بن دينار قال سمعت رجلا يطوف بالبيت ويكبي فاذا هو طواس فقال أعجبت من بكائى قلت نعم قال ورب الكعبة ان هذا القوم ليس من خشية الله ولا ذنب له * ثم أتبع ذلك أعلى الذوات السفلية فقال (والجبال) أى التى قد خست منها الاصنام (والشجر) أى التى عبد بعضها (والدواب) أى التى عبد منها البقر كل هذه الاشياء تنقاد لامر الله ولا تأبى عن تديبره (وكثير من الناس) وهم المؤمنون بزيادة الخضوع سجودا هو منه عبادة مشروعة حتى له الثواب (وكثير) أى من الناس (حق عليه العذاب) وهم الكافرون لانهم أبوا السجود المتوقف على الايمان (ومن بين الله) أى يشقه (فأله من مكرم) أى مسعد لانه لا قدرة لتفسيره أصلا (ان الله) أى الملك الاعظم (يفعل ما يشاء) من الاكرام والاهانة لا مانع له من ذلك فقل عن على رضى الله تعالى عنه أنه قيل له ان رجلا يتكلم فى المشيئة فقال له على يا عبد الله خلقك الله لما يشاء ولما شئت قال بل لما يشاء قال فيمرضك اذا شاء وأذا شئت قال بل اذا شاء قال فيسقيك اذا شاء وأذا شئت قال بل اذا شاء قال فيمدخلك حيث شئت وأحييت يشاء قال بل حيث يشاء قال والله لو قلت غير ذلك لضربت الذى فيه عيناك بالسيف * ولما بين تعالى أن الناس قسمان منهم من يسجد لله ومنهم من حق عليه العذاب ذكر كيفية اختصاصهم بقوله تعالى (هذان خصمان) أى المؤمنون خصم والكفار الخمسة خصم وهو يطلق على الواحد والجماعة وقرأ ابن كثير بتشديد النون والباقيون بالتخفيف (اختصموا) أى أوقعو الخصومة بغاية الجهد (فى ربهم) أى دينه وروى عن قيس بن عباد قال سمعت أبا ذر يقسم قسمان هذه الآية هذان خصمان اختصموا فى ربهم نزلت فى الذين برزوا يوم بدر حزمة وعلى وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة أخرجاه فى العجيين وعن ابن عباس قال لما بارز على حزمة وعبيدة عتبة وشيبة والوليد قالوا لهم تكلموا نعرفكم قال ابن على وهذا حزمة وهذا عبيدة فقالوا أ كفاء كرام فقال على أدعوكم الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال عتبة هم للمبارزة فبارز على شيبة فلم يلبث أن قتله وبارز حزمة عتبة فقتله وبارز عبيدة الوليد فصعق عليه فأتى على فقتله فنزلت وعن قتادة نزلت الآية فى المسلمين وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب

نينا قبل نبيكم وكاننا قبل كما بكم ونحن أولى بالله منكم قال المسلمون كأننا يقضى على الكب
 كلها ونينا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء فحقن أولى بالله منكم وعن ابن عباس أنها نزلت
 كذلك لكن قال أهل الكتاب نحن أولى بالله وأقدم بين يديكم كأننا نينا قبل نبيكم
 وقال المسلمون نحن أحق بالله منكم آمننا بنينا محمد صلى الله عليه وسلم وآمننا بنبيكم وبعما نزل الله
 من كتاب وانكم تعرفون نينا وكاننا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهداهم خصومتهم في ربهم وقيل
 المؤمنون والكافرون من أي ملة كانوا فالمؤمنون خصم والكفار خصم وقيل الخصمان
 الجنة والنار لما روى عن أبي هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحاجت الجنة
 والنار فقالت النار أوثرت بالتكبرين والتعبرين وقالت الجنة غالى لا يدخلني الاضعفاء الناس
 وسقطهم فقال الله عز وجل للجنة أنت رحى أرحم بكن من أشاء من عبادى وقال للنار انما أنت
 هذا بي أعذب بكن من أشاء من عبادى ولكل واحدة منكم ما طوها وعن عكرمة فقالت النار
 خلقني الله لعقوبته وقالت الجنة خلقني الله لرحمته وهذا القول بعيد عن السياق لان الله تعالى
 ذكر جزاء الخسعين بقوله تعالى (فالذين كفروا) وهو الفصل بينهم المعنى بقوله تعالى ان الله
 يفصل بينهم يوم القيامة (قطعت) أي قدرت (لهم) على تقادير جثثهم (ثياب من نار) أي نيران
 تحيط بهم احاطة الثياب سابعة عليهم كما كانوا يسلبون الثياب في الدنيا فاخرا وتكبرا
 وعن ابراهيم التيمي أنه قال سمعان من قطع من النار شيئا وعن سعيد بن جبير قال قطعت من
 نحاس وليس من الا يتقشأ اذا حى أشد حرارة منه وقال في قوله (يصب) أي اذا دخلوها
 (من فوق رؤوسهم الحميم) قال ابن النحاس يذاب على رؤوسهم ولكن المشهور أنه الماء الحار وعن
 ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها والجملة حال من الضمير في لهم أو خبر ثان
 وقرأ أبو عمرو في الوصل بكسر الهاء والميم وقرأ جزة والكسائي بضم الهاء والميم والباقون بكسر
 الهاء وضم الميم هذا في الوصل فان وقف على رؤوسهم فالجمع بكسر الهاء وسكون الميم وجزة
 على أصله في الوقف على رؤوسهم بتسهيل الهمزة (يصهر) أي يذاب (به) من شدة حرارته
 (ما في بطونهم) من شحم وغيره (والجلود) فيكون أثره في الباطن والظاهر سواء وقال ابن عباس
 يسقون ماء اذا دخل بطونهم اذا بها والجلود مع البطون (ولهم مقلع) جمع مقمعة بكسر
 ثم فتح وهو عمود حديد وقيل سوط يضرب به الوجه والرأس لرد المضروب عن مراده وذا
 عنفا ثم نفي الجواز بقوله تعالى (من حديد) أي يجمعون بها روى أبو سعيد الخدري عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن مقمعا من حديد وضع في الأرض فاجتمع الثقلان ما أفلوه
 من الأرض ولو ضرب الجبل بجمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان (كلا أرادوا أن يخرجوا
 منها) أي من تلك الثياب أو من النار (من غم) أي كلاً ما ولوا الخروج من النار إلى المقام
 من الغم والكرب الذي يأخذ بأنفسهم (أعبدوا فيها) أي رذوا إليها بالمقامع وعن الحسن أنهم
 يضربون بلطب السارق ففهم حتى اذا سكنا في أعلا حاضر بوا المقامع فهو وانها سبعين
 خريفا وعن الفضيل بن عياض قال والله ما طعموا في الخروج لان الارجل مقيدة والأيدي

مؤثقة ولكن يرتفعهم لها وتردهم مقامها وعن الحسن قال كان عمر يقول أكرهوا ذكر النار
 فان حترها شديد وقعرها بعيد وان مقامها من حديد (و) قبل لهم (دوقوا عذاب الحريق)
 أى البالغ نوبة الاحراق * ولما ذكر تعالى مالا أحد الخسعين وهم الكافرون أنسعه مالا شر
 وهم المؤمنون وغيره الاسلوب فيه حيث لم يقل والذين آمنوا عطف على الذين كفروا وأسنده
 الادخال فيه الى الله تعالى وأكده بان اتحاد الحال المؤمنين وتعليق الشأنهم فقال (ان الله) أى
 التثنية الامر كله (يدخل الذين آمنوا) بالله ورسوله (وعملوا) تصديقا لايانهم (الصالحات)
 من القروض والتوافل الخالصة الشاهدة بنبأهم في الايمان (جنات تجري) أى دأما (من)
 تحتها الانهار) أى المياه الواسعة أينما أردت من أرضها تجري للشرى في مقابلة ما يجري من فوق
 رؤس أهل النار عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بجر الماء وبجر
 العسل وبجر اللبن وبجر الخمر تشق الانهار بعد أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح (يصلون
 فيها) من حليت المرأة اذا البست الحلى في مقابلة ما يزال من بواطن الكفرة وظواهرهم وقوله
 تعالى (من أساور) صفة مفعول محذوف أى حلما من أساور ومن زائدة أو تعضدة وأساور جمع
 أسورة وهي جمع سوار * ولما كان المقصود الخت على التقوى المعلقة الى الانعام بالفضل
 شوق اليه بأعلى ما يعرف من الحلية فقال (من ذهب) وقوله تعالى (واؤلثو) معطوف على أساور
 لاعلى ذهب لانه لم يبعد السوار منه الا أن راد المرصعة وعن أبي موسى الاشعري أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آيتهما وما فيهما
 وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وعن أبي
 سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليهم التجان أدنى لؤلؤة منها التضيء ما بين
 المشرق والمغرب أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقرأ نافع وعاصم نصب الهمزة الثانية
 مع التنوين عطف على محل أساور واضمارا للناسب مثل ويوتون والباقون بالتخفيف مع
 التنوين وابدل الهمزة الاولى الساكنة حرف مد السوسى وأبو بكر هذا الواصل وأما
 الوقف فهمزة يبدل الاولى واو وكذا الثانية تبدل واو وله أيضا فيها الزوم وقوله تعالى (ولباسهم)
 فيها حرير) وهو الابريسم المحرم لبسه على الرجال المكلفين في الدنيا في مقابلة ثياب الكفار
 كما كان لباس الكفار في الدنيا حريرا ولباس المؤمنين دون ذلك وقد ورد في الصحيحين عن عبد الله
 ابن الزبير عن عمر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تلبسوا الحرير فان لم يلبس الحرير فان لم يلبس
 في الدنيا لم يلبس في الآخرة قال ابن كثير قال عبد الله بن الزبير ومن لم يلبس الحرير في الآخرة
 لم يدخل الجنة قال الله تعالى ولباسهم فيها حرير انتهى وفي الصحيحين أيضا عن عمر رضى الله
 عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة قال البخارى
 فيوشن المشبه بالكفار في لباسهم أن ملطعة الله بهم فلا يموت مسلما ١١ والاوى أن يحصل
 ذلك على أنه لا يلبس مع السابقين فان مات على الاسلام لا يقم دخول الجنة وأعلى من
 استكمل من الرجال المكلفين (وهو مدوا) أى في الدنيا (الى الطيبين من القول) قال ابن عباس

هو شهادة أن لا إله إلا الله وقيل هو لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله وقال السدي
هو القرآن وقال عطاء هو قول أهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده (وهذا إلى صراط
الحمد) أي طريق الله المحمود وبه فكان فعلهم حسناً كما كان قولهم حسناً فدخلوا الجنة
التي هي أشرف دار عند خير جبار وحلو فيها أشرف الحلى كما تحلوا في الدنيا بأشرف الطرائق
عكس المكفار فانهم أثروا القاني لحضوره وأعرضوا عن الباقي مع شرف لغيبه فدخلوا ناراً
كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعبدوا فيها ثم ذكر تعالى بعد ما فصل بين الفريقين حرمة البيت
وعظم جرم من صد عنه فقال تعالى (ان الذين كفروا) أي أوقعوا هذا الفعل الخبيث وضع
عطف (ويصدون) وان كان مضارعاً على الماضي لأن المضارع قد لا يلاحظ منه زمان معين
من حال أو استقبال بل يكون المقصود منه الدلالة على مجرد الاستمرار كما يقال فلان يحسن إلى
الفقراء لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه فالصدود منهم مستقر
دائم للناس (عن سيد الله) أي عن طاعته باقتسامهم طرق مكة يقول بعضهم لمن يريته خرج فينا
ساحروا آخر يقول شاعروا آخر يقول كاهن فلا تسمعوامنه فانه يريد أن يردكم عن دينكم حتى
قال من أسلم لم يزلوا بي حتى جعلت في أذني الكرسف مخافة أن أسمع شيئاً من كلامهم وكانوا
يؤذون من أسلم إلى غير ذلك من أعمالهم (و) يصدون عن (المسجد الحرام) أن تقام شعائره
من الطواف بالبيت والصلاة والحج والاعتقاد من هو أهل ذلك من أوليائنا ثم وصفه بما بين
شديد ظلمهم في الصد عنه بقوله تعالى (الذي جعلناه) بمالنا من العظمة (للناس) أي كلهم
ثم بين جعله لهم بقوله تعالى (سواء العاكف) أي المقيم (فيه والباد) أي الطائر من البادية
وهو الجاني إليه من غربة وقال بعضهم يدخل في العاكف الغريب اذا جاءه للتعبد وان لم يكن
من أهله قال الزمخشري وقد استشهد به أصحاب أبي حنيفة فالتين ان المراد بالمسجد
الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها انتهى وأيضاً هو مذهب ابن عمر وعمر
ابن عبد العزيز واهن الخطي المعروف بابن راهوية قال البيضاوي وهو مع ضعفه معارض
بقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم الآية وشري عمر دار البسجن فيها من غير تكبير انتهى
وجه الرازي الضعف بقوله لان العاكف قد يراد به الملازم للمسجد المعتكف فيه على
الدوام وفي الأكثر فلا يلزم ما ذكر ويحتمل أن يراد بالعاكف المجاور للمسجد المتكئ في كل وقت
من الاوقات من التعب فيه فلا وجه لصرف الكلام عن ظاهره مع هذه الاحتمالات انتهى
واستدل أيضاً بالجواز بقوله صلى الله عليه وسلم لما قال له أسامة بن زيد يا رسول الله أنزل عدا
بدار لمكة فقال وهل نزل لنا عقيل من ربيع أو دور وكان عقيل ورث أباطال دون على
وجعفر لانهما كانا مسلمين ولا يورث الا ما كان الميت مالكاً له قال الروائي ويكره بيعها
واجابته الخروج من الخلاف ونازعه النووي في مجموعه وقال انه خلاف الأولى لانه لم يرد فيه
نهى مقصود والاقول كما قال الزركشي هو المنصوص بل اعترض على النووي فانه هـرج
بكرهه بيع المصحف والشرط في لم يرد في ذلك نهى مقصوده (تنبيه) محل الخلاف بين العلماء

في يسع نفس الارض أما البناء فهو محمول مجوز بوجه بلا خلاف أي اذ لم يكن من أجزاء أرضها
 قبل أن اسحق الخنطى ناظر الشافعي رضى الله تعالى عنه بمكة في يسع دور مكة فاستدل
 الشافعي بما مر واستدل هو على المنع بقوله حدثني بعض التابعين بأنها لا تباع فقال له الشافعي
 لو قام غيرك بمثل ما لا مررت بفرك أذنيه أقول لك قال الله ورسوله تقول حدثني بعض التابعين
 وقال الرازي فقال اسحق فلما علمت أن الحجة لم تني تركت قولي وقرأ حص سواء بالنصب على
 أنه نافي مفعولي جعلناه أي جعلناه مستويا للعالك فيه والبلاد والباقيون بالرفع على أن
 الجملة مفعول ثان لجعلناه ويكون للناس حالا من الهاء ويصح أن يكون حالا من المستكن
 في الناس يصح له مفعولا ثانيا لجعلناه وقرأ ورش وأبو عمر والبادي بإثبات الياء بعد الدال ومثلا
 لا وقفا وأثبتها ابن كثير وقفا ومثلا وحذفها الباقيون وقفا ومثلا (ومن يرد فيه) أي المسجد
 الحرام (بالحاد بظلم) أي يميل إلى الظلم والاحداث العدول عن القصد وأصله الحاد الحافر وقيل
 الاحداث فيه هو الشرك وعبادة غير الله وقيل هو كل شيء منهي عنه من قول أو فعل حتى شتم
 الخادم وقيل هو دخول الحرم بغير إجازة أو ارتكاب شيء من محظورات الاحرام من قتل صيد
 أو قطع شجر وقال ابن عباس هو أن تقتل فيه من لا يقتلك أو تظلم فيه من لا يظلمك وقال مجاهد
 هو تضاعف السنيات بمكة كما تضاعف الحسنات وقال سعيد بن جبير احتكار الطعام بمكة بدليل
 ما روى يعلى بن أمية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن احتكار الطعام في الحرم الحاد
 وعن عطاء قول الرجل في المباينة لا والله بلى والله وعن عبد الله بن عمر أنه كان له فسطاطان
 أحدهما في الحل والآخر في الحرم فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل فقبل له فقال
 كأن تحدث أن من الاحداث فيه أن يقول الرجل لا والله وبلى والله (تنبيه) قوله بالحاد بظلم
 حالان مترادفان ومفعول ردمتوك ليتناول كل متناول كأنه قال ومن يرد فيه مراد ما عادلا
 عن القصد ظالما (نذقه من عذاب أليم) أي مؤلم أي بعضه وشعبان محذوف لدلالة جواب الشرط
 عليه تقديره أن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم
 فكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك فينبغي لمن كان فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق السداد
 والعدل في جميع ما هم به ويقصده ولما ذكر تعالى القرابين وجزاء كل وختمه بذكر البيت أتبعه
 التذكية فقال تعالى (وإذ) أي واذكر إذ (بأننا لأبراهيم مكان البيت) أي جعلناه مكان البيت
 صوة أي مرجعا يرجع إليه للعبادة والعبادة فإن البيت رفع إلى السماء أيام الطوفان وكان من
 ياقونة جزاء فأعلم الله إبراهيم عليه السلام مكانه بريح أرسلها يقال لها الخروج كسفت ماحولة
 فنهاه على اسمه القديم وقيل بعث الله تعالى له بجارية بقدر البيت فقامت بجبال البيت وفيها رأس
 يكلم يا إبراهيم ابن علي دورى فبنى عليه وعن عطاء بن أبي رباح قال لما أهبط الله آدم عليه السلام
 كان رجلا في الأرض ورأسه في السماء يسمع تسبيح أهل السماء ودعائهم وأنس اليهم فهابت
 الملائكة منه حتى شكت إلى الله تعالى في دعائها وقيل في صلاتها فاخضه الله تعالى إلى
 الأرض فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش وقيل أول من بنى البيت إبراهيم لما روى

في العيصين عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أي مذهب هو مع أولاد المسجد الحرام قلت
 أي قال ميتة المقدس قلت كيهنهما قال أويعون سنة تفسر التوبة بقوله تعالى (أن لا تشرك به
 شيئا) فابتدأ بأص العباد ورأسها وعطف على النهي قوله تعالى (وطهر يتي) أي عن كل مالا
 يلبس به من الإوثان والاعتذار وطواف عريان به كما كانت العرب تفعل (للطائفتين) أي الذين
 يطوفون بالبيت (فان قيل) كيف يكون النهي عن التشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتوبة
 (أجيب) بأن التوبة لما كانت مقصودة من أجل العباد فكذا نه قيل تعبدنا بأبراهيم قلنا
 لا تشرك به شيئا وطهر يتي للطائفتين وقال ابن عباس للطائفتين بالبيت من غير أهله (والثانيتين)
 أي المقيمين (والركع السجود) أي المصلين من الكل وقال غيره الثانيتين هم المصلون لأن
 المصل لابد أن يكون في صلاته جامعا بين التسليم والركوع والسجود قال البضاوي ولعله عبر
 عن الصلاة بأركانها للدلالة على أن كل واحد منها مستعمل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت
 (وأذن في الناس) أي أعلمهم ونادفهم (بالحج) وهو قصد البيت على سبيل التكرار للعبادة
 المخصوصة بالشاعر المنصوصة وفي المأمور بذلك قولان أحدهما وعليه أكثر المفسرين أنه
 إبراهيم عليه السلام قالوا المأمور من بناء البيت قال الله تعالى له أذن في الناس بالحج قال يارب
 وما يبلغ صوفي قال عليك الأذان وعلى البلاغ فصعد إبراهيم الصفا وفي رواية أخرى أبا قبيس
 وفي أخرى على المقام قال إبراهيم كيف أقول قال جبريل قل لبيك اللهم لبيك فهو أقول من لي
 وفي رواية أخرى صعد على الصفا فقال يا أيها الناس إن الله كتب عليكم حج هذا البيت العتيق
 فسمعه ما بين السماء والأرض فابقي شئ سمع صوته الأقبل يلي يقول لبيك اللهم لبيك وفي رواية
 أخرى إن الله يدعوك إلى حج بيته الحرام لينيبكم به الجنة ويجبركم من النار فاجابه يومئذ من كان
 في أصلاب الرجال وأرحام النساء وكل من وصل إليه صوته من حجر وشجر أو نية وتراب قال
 مجاهد فاج انسان ولا يحج أحد حتى تقوم الساعة الا وقد أجمع ذلك النذاري أجاب مرة حج
 مرة ومن أجاب مرتين أو أكثر فنجح مرتين أو أكثر بذلك المقدار وفي رواية فنادى على جبل
 أبي قبيس يا أيها الناس إن ربكم ينيبكم ينيبوا وجب الحج عليكم اليه فأجيبوا ربكم والتفت
 بوجهه يميناً وشمالاً وشرقا وغربا فأجابه كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجال وأرحام
 الإثمات لبيك اللهم لبيك وعن ابن عباس قال لما أمر الله إبراهيم بالأذان تواضعت له الجبال
 وخضعت وارتفعت له القري القول الثاني أن المأمور بذلك هو النبي محمد صلى الله عليه
 وسلم وهو قول الحسن واختاره أكثر المعتزلة واحتجوا عليه بأن ما جاء في القرآن وأمكن حله
 على أن يحمد صلى الله عليه وسلم هو الخطاب به فهو أولى لأن قوله تعالى واذبحوا ناقص بـ
 واذا ذكر يا محمد اذبحوا تأنيده في حكم المذكو فاذ قال تعالى وأذن فاليه يرجع الخطاب أي أن
 يفعل ذلك في حجة الوداع روى عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا وجواب الاسم (يا أولئك) أي يا هؤلاء
 النبي ينته عن ذلك محبين لصرفه بأشياء من طائفتين محبتين فاشعير من أفعال الارض كما

يجيبون موت الداعي من قبله اذا ادعاهم بعد الموت بمثل ذلك (رجالا) أى مشاة على أرجلهم
 جمع راجل كقائم وقائم (و) ربكنا (على كل ضامر) أى يعبر مهنزول وهو يطلق على الذكور والأنثى
 * (نفسه) * على كل ضامر حال معطوف على حال كأنه قال رجالا وربكنا وقوله تعالى (يأتين)
 صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع (من كل فج) أى طريق واسع بين جبلين (عميق) أى بعيد
 روى سعيد بن جبير بإسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الحاج إذا ركب له بكل خطوة
 تخطوها راحلة سبعون حسنة والمائة من سبعه أتم من حسنات الحرم قبل يارسول الله وهما
 حسنات الحرم قال كل حسنة عبادته ألف حسنة وفي هذا دلالة على أن المنى أفضل من الركوب
 وفي ذلك خلاف بين الأئمة محلله كتب البغية * ولما كان الإنسان ميلا إلى الفوائد مشغولاً في
 جبل العوائد علل الايمان بما يرغبه مبيحاً من فضله ما يقصده من امر المعاش بقوله تعالى
 (ليشهدوا) أى ليحضر واحضروا تاماً (منافع لهم) واختلف في تلك المنافع فبعضهم جعلها على
 منافع الدنيا وهي أن تجزوا في أيام الحج وبعضهم جعلها على منافع الآخرة وهي العفو والمغفرة
 وبعضهم جعلها على الأمرين جميعاً وهو كما قال الرازي أولى فبأن تلك المنافع يتناولون من مشعر
 من مشاعر الحج إلى مشعر ومن مشعر إلى مشعر مجموعين بالدعوة خاشعين بالهبة خائفين
 من الطغاة راجين للمغفرة ثم يفتقدون إلى منازلهم ومواطنهم ويتوجهون إلى مساكنهم
 كالسائر إلى مواقد الحشر يوم البعث والنشر المتفرقين إلى داري النعيم والحجيم فيأبىها
 المصدقون بأن خليلنا إبراهيم عليه السلام نادى بالحج فاجابهم بقدرتنا كرامة له من أراد
 الله تعالى حجه على بعد أقطارهم وتناق دارهم ممن كان موجوداً في ذلك الزمان وممن كان
 في ظهور الأبناء والاقربات الاقرين والابعدين صدقوا أن الداعي من قبلنا بالنفع في الصور
 يجيبه كل من كان على ظهرها ممن حفظناه جسده أو سلطاناً عليه الأرض فزقناه حتى صار
 تراباً وما بين ذلك لأن الكل علمنا بسير قال الزمخشري وعن أبي حنيفة رحمه الله أنه كان
 يفاضل بين العبادات كلها قبل أن يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها المشاهدة من تلك
 الخصال * ولما كانت المنافع لا تطيب ولا تنم إلا بالقوى وكان الحامل على التقوى ذكر الله
 تعالى قال تعالى (ويذكر اسم الله) أى الجامع لجميع الكمالات بالتكبير وغيره عند الذبح
 وغيره وقيل ~~صكى~~ بالذبح لأن ذبح المسلمين لا يفتك عنه تنبيهاً إلى المقصود وما
 يتقرب به إلى الله تعالى أن يذكر اسم الله * واختلف في الأيام المعلومات في قوله تعالى (في أيام
 معلومات) فالذي عليه أكثر المفسرين وهو اختيار الشافعي وأبي حنيفة أنه عشر ذى الحجة
 واحتجوا بأنها معلومة عند الناس بحرصهم على عملها من أجل أن وقت الحج في آخرها من المنافع
 أوقات من العشر معروفة كيوم عرفة والمشعر الحرام وتلك الذبائح وقت منها وهو يوم النحر
 وعن ابن عباس أنها أيام التشريق وقيل يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق وقيل يوم النحر إلى آخر
 أيام التشريق واستدل لهذا بقوله تعالى (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) وهي الإبل والبقر
 والغنم من الهدايا والغنما أى يذكر واسم الله تعالى عند نحرها ونحر الغنما والهدايا يكون
 في هذه الأيام وتقدم الكلام على الأيام المعلومات في سورة البقرة عند قوله تعالى (اذكروا الله

في أيام معدودات وقوله تعالى (فكلاوا منها) أي من لحومها أمر اباحة وذلك أن الجاهلية
كافوا لا يأتون من لحوم هداياهم شيئا فأمر الله تعالى بمخالفتهم وانفق العلماء على أن الهدى
إذا كان نطوقا يجوز للمهدي أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع لما روى عن جابر بن عبد الله
في قصة حجة الوداع فأتى على يدين من اليمن وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة
فخصر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين بدنة وفخر على ما غبر أي ما بقي وأشركه في بدنه
ثم أمر من كل بدنة يضيعة أي بقطعة فجعلت في قدر فطبخت فأكل من لحما وشرب من مرقها
أخرجه مسلم واختلفوا في الهدى الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقران والدم الواجب
بافساد الحج وقوته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدي أن يأكل شيئا منه قال الشافعي رضي
الله عنه لا يأكل منه شيئا وكذلك ما أوجب على نفسه بالنذر وقال ابن عمر رضي الله عنهما
لا يأكل من جزاء الصيد والنذرية كل مما سوى ذلك وبه قال أحمد وإسحق وقال مالك يأكل
من هدى التمتع ومن كل هدى وجب عليه الأمن فدية الأذى وجزاء الصيد والنذر وعن
أصحاب أبي حنيفة أنه يأكل من كل من كل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما وقوله
تعالى (وأطعموا البائس) أي الذي أصابه بؤس أي شدة الفقر أي المحتاج أمر بإيجاب وقد
قيل به في الأول (ثم ليقتضوا تفهم) أي يزيلوا وساخهم وشعثهم كقص الشارب والاطفار
وتقف الأبط والاستعداد عند الاحلال (وليفوا نذورهم) من الهدايا والغنما (وليطوفوا)
طواف الأفاضة الذي به تمام التحلل (باليث العتيق) أي القديم لأنه أول بيت وضع للناس
وقال ابن عباس سمى عتيقا لأن الله تعالى أعنته من تسلط الجبابرة فكسب من جبار سار إليه
ليهدمه فغنه الله تعالى منه (فان قيل) قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع (أجيب) بأنه ما قصد التسلط
على البيت وانما قصد من ابن الزبير فاحتال لإخراجه ثم نبأه ولما قصد التسلط عليه ابرهه فعلى به
حافل وقيل لأن الله تعالى أعنته من الفرق فانه رفع في أيام الطوفان وقال مجاهد لأنه لم يملك قط
وقيل بيت كريم أي العتيق بمعنى الكرم من قولهم عناق الخيل والطير والطواف ينقسم إلى
ثلاثة هذا ويدخل وقته بعد الوقوف وهذا لا يجبر تركه بدم لأنه ركن الثاني طواف الوداع ووقته
عند إرادة السفر من مكة وهو واجب يجبر تركه بدم الثالث طواف القدوم وهو مستحب للحاج
والحلال إذا قدم مكة روت عائشة رضي الله تعالى عنها أن أول شيء بدأ به حين قدم النبي صلى
الله عليه وسلم أنه توضأ ثم طاف ثم لم تكن عمرة ثم حج أبو بكر وعمر مثله وقرأ ابن ذكوان وليوفوا
وليطوفوا بكسر اللام فهما والباقيون باسكانها وفتح أبو بكر والواو من وليوفوا وشذ الفاء وقوله
تعالى (ذلك) خبر مبتدأ مقدر أي الأمر أو الشأن ذلك المذكور بكتاب بجمع من كتابه
في بعض المعاني ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال هذا فقد كان كذا (ومن يعظم) أي بغاية
جهدهم (حرمات الله) ذي الحلال والأكرام كلها وهي ما لا يحل انتهاكها من مناسك الحج وغيرها
وقبل الحرمات هنا مناسك الحج وتغنيها أقامتها وانماها وعن زيد بن أسلم الحرمات خمس
الضحية الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والحرم حتى يصل (فهو) أي

التعظيم الجامل له على امتثال الامر فيها على وجهه واجتناب المنهى عنه كالذي يجذر ذكر اسم غير
 الله والطواف عريانا (خير) كائن (له عند ربه) أي الذي أسدى اليه كل ما هو فيه من النعم في
 الآخرة ومن انتهكها فهو شر عليه عند ربه ثم انه تعالى بين أحكام الحج بقوله تعالى (وأحلت
 لكم الأنعام) أي أكلها بعد الذبح وهي الأبل والبقر والغنم (الأماتلي) أي على سبيل التحذير
 مستترا (عليكم) تحريمه في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الآية فالاستثناء منقطع ويجوز أن
 يكون متصلا والتعريم لما عرض من الموت وضوءه فحافظوا على حدوده وأما كمن تحرموا
 مما أحل شيئا كتحريم عبدة الاوثان البعيرة والسائبة وغير ذلك وأن تحلوا ما حرم الله شيئا
 كاحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغير ذلك * ولما فهم من ذلك حل السوائب وما معها وتحريم
 المذبح للأنصاب وكان سبب ذلك كله الاوثان تسبب عنه قوله تعالى (فاجتنبوا) أي بقاية الجهد
 اقتداءه بآبائكم ابراهيم عليه السلام الذي تقدم الأيصال له بعثل ذلك عند جعل البيت له مباحة
 (الرجس) أي الله - هذا الذي من حقه ان يجتنب من غير أمر ثم يبينه وميزه بقوله تعالى (من
 الاوثان) أي الذي هو الاوثان كما تجتنب الانجاس فهو بيان للرجس وتمييزه كقولك عندي
 عشرون من الدراهم وسمي الاوثان رجسا وكذا الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه
 يعني أنكم كما تحرمون بطباعكم من الرجس وتجتنبونه فعليكم ان تنفروا عن هذه الاشياء مثل
 تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله تعالى رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة
 في اجتنابه أنه رجس والرجس محتب وقوله تعالى (واجتنبوا قول الزور) تعمم بعد تخصيص
 فان عبادة الاوثان رأس الزور لأن المشرك زاعم أن الوثن تحقق له العبادة كانه قال فاجتنبوا
 عبادة الاوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كنه لا تقر بواحدة من شيئا للعدا
 في القبح والسماحة وما ظنك بشئ من قبيلة عبادة الاوثان والزور من الزور والازور وهو
 الانحراف كما ان الأفك من أفكك اذا صرته فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع وقيل
 قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما أشبه ذلك من اقترائهم وقيل هو قول المشركين
 في تليتهم لبيلك لاشريكك الا شريك هولاك تملكه ومملك وقيل هو شهادة الزور لما روى
 أبو داود والترمذي أنه صلى الله عليه وسلم صلى الصبح فلما سلم قام قائما مستقبلا الناس بوجهه
 الكريم وقال عدت شهادة الزور الاشرار بالله قالها ثلاثا وتلا هذه الآية وقوله تعالى
 (خفوا لله) أي مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه (غير مشركين به) تأكيده لما قبله
 وهما حالان من الواو (ومن يشرك) أي يوقع شيئا من الشرك (بالله) الذي له العظمة كلها بشئ
 من الاشياء في وقت من الاوقات (فكاشمخر) أي سقط (مر السماء) لعلوما كان فيه من
 أوج التوحيد وسفل ما انحط اليه من خضيض الاشرار (قد نطفة الطير) أي تاخذ به بسرعة
 وهو نازل في الهواء قبل أن يصل الى الارض (أو تهوى به الريح) أي حيث لم يجد في الهواء
 ما يهلكه (في مكان) من الارض (صحيح) بعيد فهو لا يرجي خلاصه * (تنبه) قال الزمخشرى
 يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها مر كفاك أنه قال من

أشرك بالله تعالى فقد أهلك نفسه هلاكاً ليس بعده هلاك بأن صور حاله بصورة حال من خرم من
السماوات فاختطفته الطير فترقز في حواصلها أو عصفت به الرياح حتى هوت به في بعض
المطامير البعيدة وإن كان مقرراً فقد شبه الإيمان في علو ما بالسماوات الذي ترك الإيمان وأشرك بالله
بالساقط من السماوات والأهواء التي تنوزع أفكاره بالطير المختطفة والشیطان الذي يطوح به
في وادي الضلالة بالريح التي تهوى بما عصفت به في بعض الماهوى المتلفة أه قوله يطوح به
الباء مزيدة للتأكيد قال الجوهري طوحه أي توحه وذهب به ههنا وههنا وقرأ نافع بفتح
الخاء وقد تبدل الطاء والباءون بإسكان الخاء وتحذف الطاء ثم عظم ما تقدم من التوحيد وما
هو مسبب عنه بالاشارة بأداة البعد فقال تعالى (ذلك) أي الأمر العظيم **الذي** يعني راغاه
فاز ومن حاد عنه حاب ثم عطف عليه ما هو أعز من هذا القدر فقال تعالى (ومن يعظم شعائر
الله) جمع شعيرة وهي البدن التي تهدي الحرم لأنها من معالم الحج بأن يختار عظام الأحرار
حساناً ما غالية الأثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا يقولون في ثلاث ويكرهون
المكاس فيهن الهدى والأضحية والرقبة وروى ابن عمر عن أبيه رضي الله عنهم ما أنه أهدى
نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشتري بفتحها بدناً
فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنه بدنه فيها جل لا يجهل
في أنفه برقة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن بحلة بالقباطي فيصدق بطومها وجلالها
وبعته أن طاعة الله في التقرب بها واهدائها إلى بيته المعظم أمر عظيم لا بد أن يقام به ويسارع
فيه (فأنها) أي تعظيمها ناشئ (من تقوى القلوب) فمن الابتداء فإن جعلت تبعيضية فلا بد من
حذف تقديره فإن تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب فحذف هذه المضافات ولا يستقيم
المعنى الابتدائية لانه لا بد من راجع من الجزاء إلى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لأنها
مر اكرا التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الاعضاء وسبقت تلك البدن
شعائر لا شعائر بما يعرف به أنها هدى كطعن حديدية بسنامها قال الباقى ولعلها مأخوذة من
الشعر لانها اذا جرح قطع شيء من شعرها أو أزيل عن محل الجرح فيكون من الإزالة (لكم
فيها) أي البدن (منافع) تركوبها والجل عليه بما لا يضرها وعن إبراهيم من احتاج إلى ظهرها
ركب ومن احتاج إلى لبها شرب وقال أصحاب الرأي لا يركبها الا اذا اضطر إليها (إلى أجل
مسمى) وهو وقت شعرها (ثم تحملها) أي مكان حل شعرها (إلى البيت العتيق) أي عنده والمراد
الحرم جميعه وقيل المراد بالشعائر المناسك ومشاهد الحج وبللنا نافع الاجر والثواب في قضاء
المناسك إلى انقضاء آجالها وعملها محل الناس من أحرارهم إلى البيت يطوفون به طواف الزيارة
(ولكل أمة) أي جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جعلنا منسكاً) أي متعبداً أو قربانياً يتقربون
به إلى الله تعالى وقرأ حمزة والكسائي منسكاً هنا وفي آخر السورة بكسر السين في الموضعين
فيكون بمعنى الموضع والباقيون بقضه منسكاً بمعنى النسك (ليذكروا اسم الله) أي
المالك الأعلى وحده على ذنابهم وقرأ ينسب لانه أرازلهم وحده فيقولون عند الضرورة

أَكْبَرُ إِلَهِ إِلَّا اللَّهُ وَاتَّقُوا كِبْرَ الْإِلهِ مُنْكَ وَالْيَكْثُ ثُمَّ عَلَّ الذِّكْرَ بِالنَّعْمَةِ تَنْبِيْهَا عَلَى التَّفَكُّرِ فِيهَا
فَقَالَ تَعَالَى (عَلَى مَا رَزَقْتَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) فَوَجِبَ شُكْرُهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَفِيهِ تَنْبِيْهُ عَلَى أَنَّ
الْقُرْبَانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْأَنْعَامِ (قَالَ لَهُمْ) أَيْ الَّذِي شَرَعَ هَذِهِ الْمَنَاسِكَ كُلَّهَا (وَالْوَاحِدُ)
وَأَنَّ اخْتَلَفَتْ فُرُوعُ شَرَائِعِهِ وَنَسَخَ بَعْضُهَا بَعْضًا وَإِذَا كَانَ وَاحِدًا وَجِبَ اخْتِصَاصُهَا بِالْعِبَادَةِ
فَلِذَا قَالَ تَعَالَى (فَلَهُ) وَحْدَهُ (أَسْلُوْا) أَيْ انْقَادُوا بِجَمِيعِ ظَوَاهِرِكُمْ وَبِوُطْئِكُمْ فِي كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ
أَوْ نَهَى عَنْهُ (وَبَشِّرِ الْخَائِفِينَ) أَيْ الْمُطِيعِينَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنَ الْخَلْقِ وَهُوَ الْمُطِيعُ مِنَ الْأَرْضِ
وَقَبْلُ هُمْ الَّذِينَ لَا يَظْلُمُونَ وَإِذَا ظَلَمُوا لَمْ يَنْتَصِرُوا * ثَمَّ بَيَّنَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (الَّذِينَ إِذَا ذَكَرُوا اللَّهَ)
أَيْ الَّذِي لَهُ الْجَلَالُ وَالْجَمَالُ (وَجَلَّتْ) أَيْ خَافَتْ خَوْفًا مَرْمِيًّا (قُلُوبُهُمْ) فَيُظْهِرُ عَلَيْهِمُ الْخُشُوعَ
وَالْتَوَاضِعَ لِلَّهِ تَعَالَى (وَالصَّابِرِينَ) الَّذِينَ صَارُوا صَابِرِينَ عَادَتِهِمْ (عَلَى مَا أَصَابَهُمْ) مِنَ الصَّكَاةِ
وَالْمَصَائِبِ وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ قَدْ شَغَلَ عَنِ الصَّلَاةِ قَالَ تَعَالَى (وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ) فِي أَوْقَاتِهَا
وَالْمَحَافِظَةِ عَلَيْهَا وَإِنْ حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْمَشَاقِّ بِأَعْيَالٍ غَيْرِهِ مَاعِصِي أَنْ يَحْصَلَ وَلِذَلِكَ عُبِّرَ
بِالْوَصْفِ دُونَ الْفِعْلِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ لَا يَقْبِهُمَا عَلَى الْوُجْهِ الْمَشْرُوعِ مَعَ ذَلِكَ الْمَشَاقِّ وَالشَّوَاغِلِ
الْأَرَاخِصِ فِي حُبِّهَا فَهَمَّ لِمَا تَكُنَّ حُبِّهَا فِي قُلُوبِهِمْ وَالْخَوْفِ مِنَ الْغَفْلَةِ عَنْهَا كَأَنَّهُمْ دَائِمًا فِي صَلَاةٍ
(وَمَحَارِقُنَا هُمْ يَتَّقُونَ) فِي وَجْهِ الْخَيْرِ مِنَ الْهَدَايَا الَّتِي يُعَالُونَ فِي أَغْنَانِهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ أَحْسَانًا إِلَى
خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى * وَلَمَّا قَدَّمَ تَعَالَى الْحَثَّ عَلَى التَّقَرُّبِ بِالْأَنْعَامِ كُلِّهَا وَكَانَتْ الْأَبِلُ أَكْثَرُهَا خَلْقًا
وَأَجْلَهَا فِي أَنْفُسِهِمْ أَمْرًا اخْتِصَاصًا بِالذِّكْرِ فَقَالَ تَعَالَى (وَالْبَدَنَ) أَيْ الْأَبِلَ الْمَعْرُوفَةَ جَمْعُ بَدَنَةٍ كُتِبَ
وَحُشِبَ وَاتَّصَبَ بِفِعْلِ يَحْشُرُ (جَعَلْنَا هَالِكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) أَيْ مِنْ أَعْلَامِ دِينِهِ الَّتِي شَرَعَهَا
اللَّهُ تَعَالَى وَقَبْلَ ذَلِكَ لَمْ يَنْشُرْ وَهِيَ أَنْ تَطْعَنَ بِجَدِيدَةٍ فِي سَنَائِمِهَا لِيَعْلَمَ بِذَلِكَ أَنَّهَا هَدَى (لَكُمْ فِيهَا)
خَيْرٌ) أَيْ نَفْعٌ فِي الدُّنْيَا وَفَوَائِدُ الْعَقْبَى كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ دُنْيَا وَآخِرَى وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ
وَحُسْنُهُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ يَوْمَ
النَّحْرِ عَمَلًا أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَرَاةِ الدَّمِ وَانْهَ لِيُؤْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَرْنِهَا وَأُطْلِفَهَا وَأَشْعَارُهَا وَأَنَّ
الدَّمَ لِيَقْعَ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقْعَ إِلَى الْأَرْضِ فَطِيبُوا بِهَا أَنْفُسًا وَرَوَى الدَّارِقُطِيُّ فِي السَّنَنِ عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا نَفَقْتُ الْوَرَقَ فِي شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ نَجْمَةٍ فِي يَوْمٍ
عِيدٍ وَعَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تِسْعَةُ دَنَانِيرٍ فَاشْتَرَى بِهَا بَدَنَةً تَقِيلُ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ سَمِعْتُ
رَبِّي يَقُولُ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ (فَإِذَا كَرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا) أَيْ عَلَى ذُبْحِهَا بِالْكَتِيرِ حَالُ كَرْنِهَا (صَوَافِ)
أَيْ فَاقَعَتْ عَلَى ثَلَاثٍ مَعْقُولَةٍ الْبَيْدَ الْيَسْرَى لِأَنَّ الْبَدَنَةَ تَعْقِلُ أَحَدِي يَدَيْهَا فَتَقُومُ عَلَى ثَلَاثٍ (فَإِذَا)
وَجِبَتْ جُنُوبُهَا) أَيْ سَقَطَتْ سَقُوطًا رَدَّتْ بِهِ زَوَالُ أَرْوَاحِهَا فَلَا حَرَكَةَ لَهَا أَصْلًا مِنْ وَجِبِ
الْحَائِطِ وَجِبَةٌ سَقَطَتْ وَوَجِبَتْ الشَّمْسُ وَجِبَةٌ غَرِبَتْ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ
وَلَا تَهْلِكُوا النُّفُوسَ أَنْ تَزْهَقَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (فَكُلُوا مِنْهَا) أَيْ إِذَا كَانَتْ تَطَوُّعًا أَمْرًا بِإِحَادَةٍ فَهَلُمَّا
قَدْ بَيَّنَّ أَنَّهُ يَحْرَمُ الْأَكْلُ مِنْهَا لِلْأَمْرِ بِتَقْرِيبِهَا لِلَّهِ تَعَالَى (وَاطْعَمُوا الْقَانِعِ) أَيْ الْمُتَعَرِّضِ لِلسُّؤَالِ
بِشُغُورِهِ وَاتَّكِنَا نَارَ (وَالْمَجْتَرِ) أَيْ النَّائِلِ وَقَبْلَ الْعَكْسِ وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ رُوحَهُ اللَّهُ تَعَالَى

قال في كتاب اختلاف الحديث القانع هو السائل والمعتز هو الزائر وقيل القانع هو الجالس
 في بيته المتعفف الذي يضع يده على ولا يسأل ولا يتعرض والمعتز المتعرض وقيل القانع هو
 المسكين والمعتز الذي ليس بمسكين ولا يكون له ذبيحة فيجيء إلى القوم فيتعرض لهم لأجل لهم
 (كذلك) أي مثل هذا التسخير العظيم الذي وصفناه من نحرها قياما (مضراها) بعظمتنا التي
 لولاها ما كان ذلك (لكم) وذلكنا هالكا ونهارا مع عظمتها وقوتها تأخذونها منقادا فتعقلونها
 وتحسبونها ولو شئنا لجعلناها وحشية لم نطق ولم تكن بأعجز من بعض الوحش التي هي أصغر منها
 جرما وأقل قوة (علكم تشكروا) انعامنا عليكم لتعرفوا أن ما دللها لكم الا الله تعالى فيكون
 حالكم حال من يرجو شكره فتوقفوا الشكر بأن لا تحترموا منها الاما حرم عليكم ولا تخلوا منها الا
 ما أحل وتمتدوا منها ما حث على اهتدائه وتتصرفوا بحسب ما أمركم * ولما حث تعالى على
 التقرب بهم امدكورا اسمه عليها قال تعالى (لن نزال الله) الذي له صفات الكمال (لحومها)
 المأكولة (ولادماؤها) المهرقة أي لا يرفعان اليه (ولكن ناله التقوى منكم) أي يرفع اليه منكم
 العمل الصالح الخالص له مع الايمان كما قال تعالى والعمل الصالح يرفعه أي يقبله وقيل كان
 أهل الجاهلية اذا نحرروا البدن نفخوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا
 مثل ذلك فترأت * ثم كثر سبحانه وتعالى التنبيه على عظيم تسخيرها منبها على ما أوجب عليهم به
 بقوله تعالى (كذلك) أي التسخير العظيم (مضراها لكم) بعظمته وغناه عنكم (تشكروا الله على
 ما هداكم) أي أرشدكم لعالم دينه ومناسل حجه كأن تقولوا الله أكبر على ما هدانا والمجد لله
 على ما أولانا فاختصر الكلام بأن ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته * ثم وعد من امتثل
 الامر بقوله تعالى (وبشر المحسنين) أي المخلصين فيما يفعلونه ويذكرونه كما قال تعالى من قبل
 وبشر المحبتين والمحسن هو الذي يفعل الحسن من الاعمال ويحسب به فيصير محبته إلى نفسه
 بتوفير الثواب عليه وقال ابن عباس الموحدين وقوله تعالى (ان الله) أي الذي لا كف له
 يدفع عن الذين آمنوا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وفتح الباء وسكون الدال وفتح الفاء والباقون
 بضم الباء وفتح الدال وبعدها ألف وكسر الفاء أي يبالغ في الدفع بمبالغة من يغالب فيه ولم يذكر الله
 تعالى ما يدفع عنهم حتى يكون أعظم وأنخم وأعم وان كان في الحقيقة أنه يدفع بأس المشركين
 فلذلك قال تعالى بعده (ان الله) أي الذي له صفات الكمال (لا يحب) أي لا يكرم كما يفعل المحب
 (كل حـوان) في أماته (كفور) لنعمته وهم المشركون قال ابن عباس خافوا الله ففعلوا
 معه شريكا وكفروا بنعمته فبه ذلك على أنه يدفع عن المؤمنين كبدن من هذه صفته وقال مقاتل
 يدفع عن الذين آمنوا بمكة حين أمر المؤمنين بالكف عن كفار مكة قبل الهجرة حين أذوهم
 فاستأذوا النبي صلى الله عليه وسلم في قتلهم سرانتهاهم عن ذلك ثم أذن الله تعالى لهم في قتلهم
 بقوله تعالى (أذن للذين يقاتلون) أي المشركين والمأذون لهم فيه وهو في القتال محذوف لدلالة
 يقاتلون عليه (بأنهم) أي بسبب أنهم (تظلموا) فكانوا يأوونه صلى الله عليه وسلم بين مضروب
 ومنضروب يتظلمون اليه فيقول لهم اسبروا فاني لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزلت وهي أول

آية نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية وقيل نزلت في قوم بأعيانهم مهاجرين
من مكة الى المدينة فاعتزضهم مشركو مكة فأذن الله لهم في قتال الكفار الذين منعوهم من
الهجرة بأنهم ظلموا واعتدوا عليهم بالأيذاء وقرأ نافع وأبو عمرو وعاصم بضم الهمزة والباقون
بفتحةها * ولما كان التقدير فإن الله أراد اظهار دينه بهم عطف عليه قوله تعالى (وإن الله) أي
الذي هو الملك الاعلى (على نصرهم لقدير) وفي ذلك وعد من الله بنصر المؤمنين ثم وصفهم
بقوله تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم) الى الشعب والحبشة والمدينة (بغير حق) أو بغير ذلك
ما أخرجوا (الآن يقولوا) أي بقولهم (ربنا الله) وهذا القول حق والخراج به اخراج بغير
حق ونفسير ذلك قوله تعالى هل تتقون منا الآن أمنا بالله * (تبيينه) * الذين أخرجوا مجرور
نعت للذين يقاتلون أو بدل منه أو منصوب على المدح أو مرفوع خبر مبتدأ محذوف (ولو لا دفع
الله) أي المحيط بكل شيء علما (الناس بعضهم ببعض) أي بتسليط المسلمين منهم على الكافرين
بالمجاهدة لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمانهم وعلى معتبداتهم كما قال تعالى
(لهدمت) أي خربت (صوامع) وهي معابد صغار للرهبان مرتفعة (وبيع) ككنايس
للنصارى (وصلوات) أي كنائس اليهود وسببت بها الانها يصلى فيها وقبل هي كلمة معربة أصلها
بالعبرانية صلواتا (ومساجد) للمسلمين (يدكر فيها) أي هذه المواضع المذكورة (اسم الله) العلى
العظيم (كثيرا) وتقطع العبادات بخرابها وقيل الضمير يرجع للمساجد فقط تنشر بها لها بان
ذكر الله يحصل فيها كثيرا (فان قيل) لم قدم الصوامع والبيع في الذكر على المساجد (أجيب)
بأنها أقدم في الوجود وقيل آخرها في الذكر كما في قوله تعالى ومنهم سابق بالخيرات ولان الذكر
آخر العمل فلما كان ينشأ صلى الله عليه وسلم خبر الرسل وأتمنا خبر الامم لاجرم كانوا آخرهم
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون والسابقون وقيل آخرها لتكون بعدة عن الهدم
قرينة من الذكر وقرأ نافع دفاع بكسر الدال وفتح الفاء وألف بعدها والباقون بفتح الدال وسكون
الفاء وقرأ نافع وابن كثير لهدمت بضمف الدال والباقون بتشديد ها وأظهر التاء عند الصاد
نافع وابن كثير وعاصم وأدغمها الباقر (ولينصرون الله) أي الملك الاعظم (من ينصره) أي
ينصر دينه وأولياؤه كائنا من كان منهم أو من غيرهم وقد أنجز الله تعالى وعده بأن سلط المهاجرين
والانصار على مناديد العرب وأكسرة العجم وقياسرتهم وأورنهم أرضهم وديارهم (إن الله)
أي الذي لا كف له (لقوى) أي على ما يريد (عزير) أي منيع في سلطانه وقدرته وقوله تعالى
(الذين إن مكناهم) أي بمالكنا من القدرة (في الارض) بآلائهم على ضدهم (أقاموا الصلاة)
أي التي هي عماد الدين الدالة على المراقبة والاعراض عن تحصيل الفاني (وآتوا الزكاة)
أي المؤونة بالزهد في الحاصل منه المؤذن بعمل النفس للرحيل (وأمر بالمعروف) أي الذي
أمر الله تعالى ورسوله به (ونهى عن المنكر) أي الذي نهى الله ورسوله عنه وصف للذين
هاجروا وهو اخبار من الله تعالى بظهور الغيب عمل ستكون عليه سيرة المهاجرين والانصار رضي
الله تعالى عنهم وعن عثمان رضي الله تعالى عنه هذا والله شاء قبل بلاءه يريد ان الله تعالى أثنى

عليهم قبل أن يجدوا من أظلم ما أحدثوا * (تنبيه) في ذلك دليل على صحة خلافة الأنبياء الأربعة
 الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين واذا ثبت ذلك وجب أن يكونوا على
 الحق ولا يجوز رجل الا يعل على أمير المؤمنين على وحده لان الآية دالة على الجمع وعن الحسن هم
 أئمة محمد صلى الله عليه وسلم وقبل الذين منصوب بدل من قوله تعالى من نصره (ولله) أي الملك
 الاعلى (عاقبة الامور) أي آخر امورا الخلق ومصيرها اليه في الآخرة فلا يكون لاحد فيها أمر
 حتى انه لا ينطق أحد الا بآذن منه * ولما بين سبحانه وتعالى فيما تقدم اخراج الكفار للمؤمنين
 من ديارهم بغير حق وأذن في مقاتلتهم وضمن لرسوله صلى الله عليه وسلم النصر وبين ان الله
 عاقبة الامور أودقه بما يجري مجرى التسليفة للنبي صلى الله عليه وسلم في النصر على ما هم عليه من
 أذيتهم وأذية المؤمنين بالتكذيب وغيره فقال تعالى (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم) أي قبل
 قومك (قوم نوح) وتأييت قوم باعتبار المعنى وتحقير المكذبين في قدرته وان كانوا من أشية
 الناس (ومعاد) أي ذوو الابدان الشداد قوم هود (وعود) أو لولا الآية الطوال في السهول
 والجبال قوم صالح (وقوم ابراهيم) المتعبرون المتكبرون (وقوم لوط) الانفجاس بما لم يسبقهم
 اليه أحد من الناس (وأصحاب مدين) أبواب الاموال المجموعة من خزانة الضلال فأتت
 يا أشرف الخلق لست بأوحدى في التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومك * ولما كان
 موسى عليه السلام قد أتى من الآيات المرمية ثم المسجوعة بما لم يأت بمثله أحد ممن تقدمه فكان
 تكذيبه في غاية البعد غير سبحانه وتعالى الاسلوب تنبيهها على ذلك وعلى ان الذين أطبقوا على
 تكذيبه القبط وأما قومه فما كذبهم الا أناس يسير فقال تعالى (وكذب موسى)
 وفي ذلك أيضا تعظيم للتأسية وتفهيم للتصليفة (فأمليت للكافرين) أي أمرتهم بتأخير العقاب
 عنهم الى الوقت الذي ضبر به لهم وعبر عن طول الاملاء بأداة التراخي زيادة التأسية فقال
 تعالى (ثم أخذتهم) أخذ عزير مرقطه ثم به سبحانه وتعالى بالاستفهام في قوله تعالى (فكيف
 كان تكبير) أي انبكارى لافعالهم على أنه كان في أخذهم عبر وعجائب وأحوال وغرائب
 حبتا بدلهم بالنعمة مجنة وبالجملة هلاكا وبالعمارة خرابا والابتنها للتقريب رأى وهو واقع
 موقعه فليحذر هؤلاء الذين أنتهم بأعظم ما أتى به رسول قومه مثل ذلك فان لم يؤمنوا بك فقلت
 بهم كما فعلت هؤلاء وان كانوا أمكن الناس فلا يحزنك أمرهم * (تنبيه) * أثبت ورض الباء
 بعد الراء من تكبر في الوصل وحذفها الباقون وقفا وصلوا (وكان) أي وكمن (من قرية)
 وقيل معنى كاتين رب وقوله تعالى (أهلكتها) قرأ أبو عمر وبعد الكاف بباء فوقية معيومة
 والباقيون بعد الكاف بنون وبعدها ألف والمراد أهلها بدليل قوله تعالى (وهي) أي ولطال أنها
 (طامة) أي أهلها بقتلهم ويحتمل أن يكون المراد اهلاكا نفس القرية فبدخل تحت هلاكها
 هلاك من فيها لان العذاب السازل اذا بلغ أن يهلك القرية فتصير منهمة بجهل الكالين فيها
 وان كان الاقل أقرب (فهني) أي فتسبب عن اهلاكا أهلها (خاوية) أي منهمة ساقطة
 أي حديدانها (على جرونها) أي سقوطها اذ كل من تقع أطال من سقف بيت أو خيمة أو ظلة

أو كرم فهو عرش والناوى الساقط من خوى النجم اذا سقط أو الخالى من خوى المنزل اذا خلا
من أهله وخوى بطن الحمل * (تنبيه) * قوله على عروشها لا يتناول أن يتعلق بخاوية فيكون
المعنى انها سقطت على عروشها أى سقطت أى نقصت الاخشاب أو لان كثرة الامطار وغير
ذلك من الاضرار فسقطت ثم سقط عليها الجدران فسقطت فوق القوف أو خالية مع بقا
عروشها وسلامتها واما أن يكون خبرا بعد خبر كأنه قيل هي خاوية وهي على عروشها أى
خالية مائلة على عروشها على معنى أن السقف سقط الى الارض فصارت في قرار الحيطان
مائلة فهي مشرفة على السقف الساقط وقوله فهي خاوية جلة معطوفة على أهلكتها
لا على وهي ظلمة فانها حال كما قد رتته والاهلاك ليس حال خرابها فلا يحمل لها ان نصبت كائين
بمقدري يفسره أهلكتها لانها معطوفة على جلة أهلكتها كما مر وهي مفسرة لا يحمل لها وان
رفعت كائين بالابتداء فعملها رفع خبرا ثانيا للكائين واخبر الاول أهلكتها (و) كمن (بتر مبطلة)
أى مخرجة بموت أهلها (وقصر مشيد) أى وبيع خال بموت أهله * (تنبيه) * علم بما قد رتته ان
بتر معطوف على قرية وهو بقوى على ان عروشها بمعنى مع وجهه وروى ان هذه بترت على
صالح عليه السلام مع أربعة آلاف نفر من آمن به وبجأهم الله تعالى من العذاب وهي
بمحض موت وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضر هامات وتم بلدة عند البتر اسمها جابوراه
بناها قوم صالح وأمروا عليهم جهلس بن جلاس وأقاموا بها زمانا ثم كفروا به وعبدوا أصناما
فأرسل الله تعالى اليهم حنظلة بن صفوان عليه السلام نبيا فقتلوه فأهلكهم الله تعالى وعطل
بترهم وخرب قصورهم وقوله تعالى (أفلم يسيروا) أى كفار مكة (في الارض) يحمل انهم
لم يسافروا فحرفوا على السفر ليرى واصارح من أهلكهم الله تعالى بكفرهم وشاهدوا آثارهم
فيعتبروا وان يكونوا قد سافروا وادراك ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كأنهم يسافروا ولم يروا
(فتذكرون) أى فتسبب عن سماعهم أن تكون (لهم قلوب) واعية (يعتقدون بها) جادأوه بأبصارهم
بما نزل به لكذبين قبلهم (أو) أى أو يكون لهم ان كانوا عمى الابصار كما دل عليه جعل هذا
قسما (أذان يسمعون بها) أخبارهم بالاهلاك وخراب الديار فيعتبروا (فانها) أى القصة
(لانعمى الابصار) ويجوز أن يكون الضمير بهم ما يفسره الابصار وفي نعمى راجع اليه
والمعنى ان ابصارهم محيضة سالمة لا عمى فيها وانما العمى لقولهم كما قال تعالى (ولكن يعنى
القلوب التي في الصدور) ولا يعتد بمعنى الابصار فانه ليس بمعنى بالإضافة الى عمى القلوب
(فان قيل) خالي فائدة في ذكر الصدور (أجيب) بأن الذي قيد معروف واعتقد ان العمى
على الحقيقة للصدر وهو ان تصاب الحسنة بما يطعم من نورها واستعماله في القلب استعارة
وتبديل فلما رأيد اثباتها هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة وبقية عن
الابصار احتياج هذا التصور الى زيادة تبين وفضل تعرفه بلبتت ان مكان العمى هو
القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاعف ولكنه السالك الذي بين فكلمة فقول الذي بين
فكلمة فقول الذي بين فقول الذي بين فقول الذي بين فقول الذي بين فقول الذي بين

السيف وأبنته السنان فقلت ولا شهوا مني ولكن تعمدت به أيام بعينه تعمد اقبل لما نزل قوله تعالى ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى قال ابن أم مكتوم يا رسول الله أنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى فقلت (ويستعملونك بالعذاب) الذي نوءدتهم به تكذيبا واستنزاه (و) الحال انه (لن يخلف الله) أي الذي لا كف له (وعده) لا تمناع الخلف فيه وفي خبره سبحانه وتعالى فيصيبهم ما وعدهم به ولو من بعد حين لكنه تعالى حلیم لا يجهل بالعقوبة وقد أنجزه يوم بدر (وان يوما عند ربك) أي المحسن اليك بتأخير العذاب عنهم اكرام لك من أيام الآخرة بالعذاب) كما تف سنة مما تعدون في الدنيا وطول أيامه حقيقة او من حيث ان أيام الشدا ثم مطالعة وقرأ ابن كثير وحزرة والكسائي بالياء على القيبة والباقون بالياء على الخطاب (وكا من من قرية أملت لها) أي أمهلتها كما أمهلتكم (وهي ظالمة) تظلمكم بالاستعجال وغيره (ثم أخذتها) أي بالعذاب والمراد أهلها (والى المصير) أي المرحع فينقطع كل حكم دون حكمي فيه وعبد وتهديد (فان قيل) لم قال فكنا من من قرية أهلكتم بالفاء وقال هنا بالواو (أعجب) بأن الاولى وقت بدلا عن قوله تعالى فكيف كان تكبر وأما هذه فحكمها حكم ما تقدم من الجلتين المعطوفتين بالواو أعني قوله تعالى ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كما تف سنة مما تعدون * ولما كان الاستعجال لا يطلب من الرسول وانما يطلب من المرسل أمره الله تعالى بأن يديم لهم التوقيف والانداز بقوله تعالى (قل) أي لهم ولا يصدك عن دعائهم ما أخبرناك به من عملهم (يا أيها الناس) أي جميعا من قومك وغيرهم (انما أنا لكم نذير مبين) أي بين الانذار والاقصا على الانذار مع عموم الخطاب وذكر القر يبين لان صدر الكلام وسياقه للمشركين وانما ذكر المؤمنين وتواهم بقوله (فالذين آمنوا) أي أقروا بالايان (وعملوا) أي تصديقا لدعواهم تلك (الصالحات لهم مغفرة) أي لما فرط منهم (ورزق) أي في الدنيا بالفتانم وغيره وفي الآخرة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (كريم) أي لاختصه فيه ولا ذماما بقطع ولا غيره زيادة في غيظهم * ولما كان في سياق الانذار قال معبرا بالماضى زيادة في التوقيف (والذين سعوا) أي أوقعوا السعي ولو مرة واحدة (في آياتنا) أي القرآن بإبطالها (مجهزين) من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم أي ينسبونهم الى العجز وينبطونهم عن الايمان أو مقدرين عجزنا عنهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتشديد الجيم بعد العين على انها حال مقدرة والباقون بألف بعد العين وتخفيف الجيم أي سابقين لساعين فيها بالتشيط (أو تلك) البعداء البغضاء (أصحاب الجحيم) أي النار استحقاقا بما سعوا فيه فكهم فيها لعلوا انهم هم العاجزون * ولما لاح من ذلك ان الشيطان ألنى شهايقا خرون فيها يجدا لهم في دين الله الذي أمر رسوله محمد أصلى الله عليه وسلم بإظهاره وتقريره وأشهاره عطف عليه تسليته له صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (وما أرسلنا) أي بعظمنا (من قبلك) ثم كذا الاستقراق بقوله تعالى (من رسول) وهو نبي أمر بالتبليغ (ولا نبي) وهو من لم يؤمر بالتبليغ وهذا هو المشهور رفعتنا أرسلنا وجينا فالنبي أعظم من الرسول ويدل عليه ما رواه الامام أحمد من أنه صلى الله عليه وسلم

سئل عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قبل فكتم الرسل فقال ثلثمائة وثلاثة
عشر جاغفرا وقبل كما هو ظاهر الآية الرسول من جمع الى المجزأة كما بمنزلة عليه والتي غير
الرسول من لا كتاب له وقيل يمكن جعل الآية عليه أيضا والرسول من يأتيه الكتاب والتي يقال
له ولئن يوحى اليه في المنام (الاذاعني) أي تلا على الناس ما أمره الله تعالى به أوحدهم به
واشبهى في نفسه أن يقبلوه حرامنه على إيمانهم شفقة عليهم (ألقى الشيطان) من التسمية
والفحشيات (في أمينة) أي فيما تلاه أوحدهم به واشبهى أن يقبل ما تلقفه منه أولياؤه
فيجادون به أهل الطاعة لفضولهم وأن الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوك وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا وشياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا كما يفعل
هؤلاء فيما يفترون به في وجه الشريعة أصولا وفروعا من قولهم في القرآن شعر وسحر وكهانة
وقولهم لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا وقولهم ان ما قبله الله تعالى بالموت حنف أنه أولى بالاكل
محاذيرهم نحن أهل الله وسكان حرمه ولا نخرج من الحرم فنقف في الحجب بالمشعر الحرام
وتقف الناس بعرفة ونحن نطوف في ثيابنا وكذا من ولدناه وأما غيرنا فلا يطوف الا عاريا ذكر
كان أو أنى الآن يعطيه أحدنا ما يلبسه ونحو ذلك مما يريدون أن يطفوا به فور الله تعالى
وكذا تأويلات الباطنية والاتحادية وانظارهم الى الحسد وفيها يضل الله تعالى بها من يشاء ثم
يجوهم أن أراهم من عباده وما أراهم من أمره (فينسخ) أي فينسب عن القائل أنه ينسخ (الله)
أي المحبط بكل شيء علما وقدرة (ما يلقي الشيطان) فيبطله بإيضاح أمره (ثم يحكم الله آياته) أي ثم
يجعلها جليلة فيما يرى يدينها وأدل دليل على أن هذا هو المراد من الافتتاح بالمآخرة في الآيات
الختام بقوله عطا على ما تشديره قاله على ما يشاء قدير (والله عليم) بأحوال خلقه (حكيم)
فيما فعله بهم وقيل انه صلى الله عليه وسلم حدث نفسه بزوال المسكنة فنزل وقال ابن عباس
ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما من المفسرين لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعراض
قومه عنه وشق عليه ما رأى من مبعادتهم لما جاءهم به غنى في نفسه أن يأتيهم من الله ما يقارب
بينه وبين قومه وذلك لحرصه على إيمانهم فجلس ذات يوم في ناد من أندية قريش كسيرا أهله
وأحب يومئذ أن يأتيه من الله تعالى شيء لم ينظروا عنه وفي ذلك فأنزل الله تعالى سورة والنجم اذا
هوى فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ أفرأيت اللات والعزى ومناة الثالثة
الآخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى أن قال تلك الغرائق العلى وإن
شفاعتهم لترتجى ففرح به المشركون ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءة السورة
كلها وسجد في آخرها وسجد المسلمون لسجوده وسجد جميع من في المسجد من المذركين فلم يبق
في المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد سوى الوليد بن المغيرة وأبو أحيحة سعيد بن العاص فانهم ما
أخذوا حفنة من البطء ورفعاها على جبهتهما وسجدوا عليها لانهم ما كانوا شيعين كبيرين فلم
يسب طبعها السجود وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن
الذكر وقالوا قد عرفنا أن الله تعالى يحيي ويميت ويرزق ولكن هذه آلهتنا نشفع لنا عنده فاذا

جعل لهم محمدًا تصيبافن معهما فلما أُنسَى رسول الله صلى الله عليه وسلم أماء جبريل فقال
 يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم آت بك به عن الله عز وجل فخرن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم حزنًا شديدًا وخاف من الله تعالى خوفًا شديدًا فأنزل الله تعالى هذه الآية تعزية له
 وكان به رحيمًا وسعيرًا بذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبلغهم
 سهود قريش وقيل قد أسلمت أهل مكة فرجع أكثرهم إلى عشائرهم وقالوا هم أحب إلينا
 حتى إذا نادوا من مكة ببلغهم أن الذي كانوا يتحدثون به من إسلام أهل مكة كان باطلا فلم يدخل
 أحد منهم إلا بجوار مستخفيًا فلما زلت هذه الآية قالت قريش ندم محمد على ماذا كرم من منزلة
 آل بيتنا عنده الله تعالى فغير ذلك قال الرازي هذه رواية عامة المفسرين الظاهرة أما أهل
 التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا على البطلان بالقرآن والسنة والمعقول
 أما القرآن فهو جوه أحداه قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الأقاويل لاخذنا منه بالبين ثم
 لقطعنا منه الوتين ثانياً قوله تعالى قل ما يكون لي أن أبذله من لقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى
 إليّ نالها قوله تعالى وما ينطق عن الهوى وأما السنة فمما روى عن محمد بن خزيمة أنه
 سئل عن هذه القصة فقال هذا من وضع الزنادقة وصنف فيه كتابا وقال البيهقي هذه القصة
 غير ثابتة من جهة النقل فقد روى البخاري في صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة التجم
 وسجد فيها ووجد المسلمون والكفار والانس والجن وليس فيه حديث القرانق وأما المعقول
 فمن وجوه أحدها أن من جوز على النبي صلى الله عليه وسلم تعظيم الاوثان فقد كفر لأن من
 المعلوم بالضرورة أن النبي كان معظمه سبعة في نبي الاوثان ثانياً قوله تعالى فينسخ الله ما يلقى
 الشيطان ثم ينكم الله آياته وإزالة ما يلقى الشيطان عن الرسول صلى الله عليه وسلم أقوى من
 نسخ هذه الآيات التي تبقى الشبهة معها فإذا أراد الله تعالى الأحكام والآيات لتلايقبس
 ما ليس بقرآن فأبطل ما يمنع الشيطان من ذلك أصلاً ولى ثالثاً وهو أقوى الوجوه لجوزنا
 ذلك ارتفع الايقان عن شرعه وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك
 فيبطل قوله تعالى بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فإنا بلغنا رسالته والله يعصمك من
 الناس فإنه لا فرق في العقل بين نقصان من الوحي وبين الزيادة فيه وزاد الرازي أدلة أخرى
 على ذلك ثم قال وقد عرفنا أن هذه القصة موضوعة أكثر ما في الباب أن جماعة المفسرين
 ذكروها وخبر الواحد لا يعارض الدلائل العقلية والنقلية المتواترة انتهى وهذا هو الذي
 يطمئن إليه القلب وإن أظن أبى جبر العسقلاني في صحتها ثم قال وحسن دقته بين تأويل ما وقع
 فيها مما يشكر وهو قوله ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرائق الخ انتهى وعلى القول بما قد
 سلك العلماء في ذلك مسائل أحسنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرتل القرآن فارتدته
 الشيطان في سكتة من السكات ونطق بذلك الكلمات مما يكافئ منه بحيث سمعه من دال إليه
 فظنهم من قوله وأشاعها وقال البيضاوي بعد أن ذكر بعض هذه القصة وهو مردود عند
 المحققين وإن صح ما بينه فلا يتميز به الثابت على الايمان عن المنزل فيه انتهى قال ابن الأثير
 والغرائق هنا الأصل لظهور في الأصل للذكور من طير الماء واحد حاضر فوق وضرب في سجن به

لبأسه قال وكفوا برعون أن الاصنام تقر بهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التي تعلق
إلى السماء وترتفع وقبل تمنى أى قرأ كقول حسان في حق عثمان بن عفان

تمنى كتاب الله أول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

أى على ثأن وتمهل * ولما ذكر سبحانه وتعالى ما حكم به من تمكين الشيطان من هذا الالتقاء
ذكر العلة في ذلك بقوله تعالى (ليجعل ما يلقي الشيطان) أى في المتأول والمحدث به من تلك الشبهة
في قلوب أوليائه على التفسير الأول وعلى الثاني وغيره يقول بما يناسبه (قننة) أى اختبارا
وامتحانا (لذين في قلوبهم مرض) أى شك ونفاق (والقاسية) أى الجافية (قلوبهم) عن قول
الحق وهم المشركون (وان الظالمين) أى الواضعين لاقوالهم وأفعالهم في غير مواضعها
كفعل من هو في الظلام (لنى شقاق) أى خلاف لكونهم في شق غير شق حزب الله بمعاجزتهم في
الآيات بتلك الشبهة التي تلقوها من الشيطان وجادلوا بها أولياء الرحمن (بعيد) عن الصواب
لتصفي اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ويرضوه وليقتروا ما هم مقتربون وعلى ثبوت
ذكر القصة وجرى عليه الجلال المحلى قال انهم في خلاف طويل مع النبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم ثم أبطل ذلك (وليعلم الذين أوتوا العلم)
باتقان محجة واحكام براهينه وضعف شبه المعاجزين (أنه) أى الشيء الذي تلاوته وتحدثت به
(الحق) أى الثابت الذي لا يمكن زواله (من ربك) أى المحسن اليك بتعليم آياته (فيؤمنوا به)
لمساظرهم من محمته بما ظهر من ضعف تلك الشبهة (فتثبت) أى طمئن وتخصع (له قلوبهم)
وتسكن به نفوسهم (وان الله) بجلاله وعظمته (لهادى الذين آمنوا) في جميع ما يليقه أولياء
الشيطان (الى صراط مستقيم) أى قويم وهو الاسلام يصلون به الى معرفة بطلانه حتى لا تطغى
حيرة ولا تغتر بهم شبهة فيوصلهم ذلك الى سعادة الدارين (ولا يزال الذين كفروا) أى وجد
منهم الكفر وطبعوا عليه (في صريرة) أى شك (منه) قال ابن جرير أى من القرآن وقيل بما
ألقى الشيطان على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون فابالذكر ما يجزئ ارتد عنها وقيل من
الدين وهو الصراط المستقيم (حتى تأتيتهم الساعة) أى القيامة وقيل أشراطها وقيل الموت
(بغتة) أى فجأة (أوتيتهم عذاب يوم عقيم) قال عكرمة والضحاك لا ليل بعده وهو يوم القيامة
والاصكثرون على أنه يوم بدروسي عقيم لأنه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير كالريح العقيم
التي لا تأتي بجحر وقيل لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه ويقوى التفسير الأول
قوله تعالى (الملك يومئذ) أى يوم القيامة (الله) أى المحيط بجميع صفات الكمال وحده * ولما
كان كانه قيل ما منى اختصاصه بكل الايام قبل (يحكم بينهم) أى المؤمنين والكافرين
بالامر الفصل الذي لاحكم فيه ظاهرا ولا باطنا لغيره كما ترونه الآن بل عسى فيه الامر على أم
شي من العدل (فالذين آمنوا وعملوا) أى وصدقوا دعواهم بالايمان بأن علوا (الصالحات) وهي
بأمرهم الله (في جنات النعيم) فضلائمه ورجة لهم بما رحمهم الله تعالى من توفيقهم للاعمال
الصالحات (والذين كفروا) أى ستروا ما أعطيناهم من المعرفة بالدلة على وحدانيتنا (وكذبوا

يَا آيَاتُنَا) أَي سَاعِينَ بِمَا أُعْطَيْنَاهُمْ مِنَ الْقَهْمِ فِي تَجْنِيزِهَا بِالْمَجَادِلَةِ بِمَا يَوْحَى إِلَيْهِمْ أُولَئِكَ هُمُ مِنَ
 الشَّيَاطِينِ مِنَ الشَّبَهَةِ (فَأُولَئِكَ) أَي الْبُعْدَاءُ عَنْ أَسْبَابِ الْكُرَمِ (لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) أَي شَدِيدٌ
 بِسَبَبِ مَا سَعَوْا فِي أَهَانَةِ آيَاتِنَا بِرَبِّدِينَ اعْزَازًا نَفْسَهُمْ بِمَغَالِيقِ التَّكْبِيرِ عَنْ آيَاتِنَا (فَإِنْ قِيلَ)
 لَمْ أَدْخُلِ الْقَاءَ فِي خَبَرِ الثَّانِي دُونَ الْأَوَّلِ (أَجِيبْ) بِأَنَّ فِي ذَلِكَ تَنْبِيْهًا عَلَى أَنَّ ثَابِتَةَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَنَانِ
 قَدْ فَضَلَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّ عِقَابَ الْكَافِرِينَ مُسَبَّبٌ عَنْ أَعْمَالِهِمْ وَلِذَلِكَ قَالَ لَهُمْ عَذَابٌ وَلَمْ يَقُلْ
 هُمْ فِي عَذَابٍ • وَلَمَّا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ فِي حَصْرٍ مَعَ الْعُكَّةِ فَارَّ رَغْبَهُمُ اللَّهُ فِي الْهَجْرَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى
 (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أَي فَارَقُوا أَوْطَانَهُمْ وَعَشَائِرَهُمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَطَلَبِ مَرْضَاتِهِ مِنْ
 مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ (ثُمَّ قَاتَلُوا) فِي الْجِهَادِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ وَقَرَأَ ابْنُ غَامِرٍ بِشَدِيدِ التَّأَوُّلِ وَالْبَاقُونَ
 بِالْتَّخْفِيفِ وَالْحَقُّ بِهِ مُطْلَقُ الْمَوْتِ فَضْلًا مِنْهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (أَوْ مَاتُوا) أَي مِنْ غَيْرِ قَتْلِ (لِيَرْزُقَهُمُ اللَّهُ)
 أَي الْجَمَاعَ لِصِنَاتِ الْكَمَالِ (رَزَقَاحْسَنًا) هُوَ رِزْقُ الْجَنَّةِ مِنْ حِينَ تَفَارَقَ أَرْوَاحُهُمْ أَشْهُابًا مِنْ
 لَانِهِمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ (وَأَنَّ اللَّهَ) أَي الْمَلِكُ الْأَعْلَى الْقَادِرُ عَلَى الْإِحْيَاءِ كَمَا قَدْ رُفِيَ عَلَى الْإِمَامَةِ (لَهُوَ)
 خَيْرُ الرَّازِقِينَ) فَانَّهُ يَرْزُقُ بِغَيْرِ حِسَابٍ رِزْقَ الْخَلْقِ عَامَةً الْبَارِئِينَ وَالْفَاجِرِ (فَإِنْ قِيلَ) الرَّازِقُ
 فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى لَا رَازِقَ لِلْخَلْقِ غَيْرُهُ فَكَيْفَ قَالَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (أَجِيبْ) بِأَنَّ غَيْرَ اللَّهِ
 يَسْمَى رَازِقًا عَلَى الْمَجَازِ كَقَوْلِهِمْ رِزْقُ السُّلْطَانِ الْجَيْشِ أَيْ أَعْطَاهُمْ أَرْزَاقَهُمْ وَأَنَّ كَانَ الرَّازِقُ
 فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى • وَلَمَّا كَانَ الرِّزْقُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِحَسَنِ الدَّارِ وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَفْضَلِ الرِّزْقِ قَالَ
 تَعَالَى دَالِ الْأَعْلَى خَتَمَ الَّذِي قَبْلَ (لِيَدْخُلْتُمْ مَدْخَلَ رِضْوَنِهِ) هُوَ الْجَنَّةُ يَكْرُمُونَ فِيهِ بِعَالَمَيْنِ وَأَتَتْ
 وَلَا أَذْنَ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بِسِرٍّ وَلَا يَنَالُهُمْ فِيهَا مَكْرُهُمْ وَقِيلَ هُوَ خِيَمَةٌ فِي الْجَنَّةِ مِنْ دَرَجَةِ
 بِيضَاءٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَصْرَاعٍ وَقَرَأَ نَافِعٌ بِفَتْحِ الْمِيمِ أَيْ دَخَلُوا أَوْ مَكَانَ دَخُولِ الْبَاقُونَ بِالضَّمِّ
 أَيِ ادْخَالًا أَوْ مَكَانَ ادْخَالِ (وَأَنَّ اللَّهَ) أَي الَّذِي عَمَّتْ رِجَّتُهُ وَتَمَّتْ عَظَمَتُهُ (لَعَلِمَ) أَي بِقَاصِدِهِمْ
 وَمَا عَمِلُوا بِمَارِضِيهِ وَغَيْرِهِ (حَلِيمٌ) عَمَّا قَصَرَ وَافَقَهُ مِنْ طَاعَتِهِ وَمَا فَرَطُوا فِي جَنْبِهِ تَعَالَى فَلَا
 يَجَاجِلُ أَحَدًا بِالْعُقُوبَةِ رَوَى أَنَّ طَوَاقِفَ مِنْ أَجْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا يَا نَبِيَّ
 اللَّهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَتَلُوا قَدْ عَلِمْنَا مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْخَيْرِ وَنَحْنُ نَجَاهِدُكَ عَنْكَ كَمَا جَاهِدُوا عَنْكَ
 أَنْ تَسْتَأْمَرَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ (ذَلِكَ) أَي الْأَمْرُ الْمُقَرَّرُ مِنْ مَصْفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى
 الَّتِي قَصَصْنَاهُ عَلَيْكَ (وَمَنْ عَاقَبَ) أَي جَازَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (بِعَمَلٍ مَا عَاقَبَ بِهِ) ظَلَمَ أَمِنْ
 الْمُشْرِكِينَ أَيِ خَالَفَهُمْ كَمَا قَاتَلُوهُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ (ثُمَّ يَفِي عَلَيْهِ) أَيِ ظَلَمَ بِإِخْرَاجِهِ مِنْ مَنْزِلِهِ قَالَ
 مُقَاتِلٌ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَوْ أَقْوَامٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ اللَّيْلَتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ حَرَمٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ
 لِبَعْضٍ إِنَّ أَجْحَابَ مُحَمَّدٍ يَكْرَهُونَ الْقِتَالَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَأَجْلَوْا عَلَيْهِمْ فَنَاشَدَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَكَرَهُوا
 قِتَالَهُمْ وَمَا أَوْهَمُ أَنْ يَكْفُوا عَنْ الْقِتَالِ لِأَجْلِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ قَاتَلُوهُمْ فَذَلِكَ
 بَغْيُهُمْ عَلَيْهِمْ وَنَبَتْ الْمُسْلِمُونَ لَهُمْ فَفَضَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (لِيَنْصُرَنِي اللَّهُ) أَيِ
 الَّذِي لَا كُفْلَ لَهُ (أَنَّ اللَّهَ) أَيِ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَعِلْمًا (لَعَقُوقَ) عَنِ الْمُؤْمِنِينَ (غُفُورًا) لَهُمْ
 (فَإِنْ قِيلَ) لِمَ سَمِيَ ابْتِدَاءَ فَعَلِهِمْ عُقُوبَةً مَعَ أَنَّ الْعِقَابَ مِنَ الْعَقِبِ وَهُوَ مُتَّفِقٌ فِي الْإِبْتِدَاءِ

(أجيب) بأنه أطلق عليه ذلك للعلق الذي بينه وبين الثاني كقوله تعالى وجزا سبعة سبعة مثلها
يخادعون الله وهو خادعهم وكما في قوله كما تدن يدان (فان قيل) كيف طابق ذكر العفو الغفور
في هذا الموضع مع أن ذلك الفعل جائز للمؤمنين لانهم مظلومون (أجيب) بأن المنصرف لما تبع
هواه في الانتقام وأعرض عما ندب الله تعالى له بقوله تعالى ولن صبر وغفران ذلك لمن عزم
الامور وبقوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وبقوله تعالى وإن تعفوا أقرب للتقوى فكان
في اعراضه عما ندب اليه نوع اساءة أذنب فكانت تعالى قال عفوت عن هذه الاساءة وغفرت له فإني
أنا الذي أذنت له فيها وفي ذكر العفو تنبسه على أنه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو
الا القادر على ضده (ذلك) أي النصر (بأن الله) أي المتصف بجميع صفات الكمال (ويج) أي
يدخل لاجل مصالح العباد المسمى والمحسن (الليل في النهار) فيجمعون ظلامه بضائه ولو شاء الله
تعالى مؤاخذه الناس لجهلهم سرمد افطعت مصالح النهار (ويج النهار في الليل) فينسخ
ضياءه بظلامه ولو لا ذلك لتعطلت مصالح الليل أو بأن يدخل كلا منهما في الآخر فيزيد به وذلك
من أثر قدرته التي هي النصر (وأن الله) بجلاله وعظمته (سميع) الكل ما يقال (بصير) لكل
ما يقبل دأماً الاتصاف بذلك فهو غير محتاج الى سكون الليل لسمع ولا لضياء النهار ليبصر لانه
سبحانه وتعالى منزّه عن الاغراض * ولما وصف تعالى نفسه بما ليس بغيره عليه بقوله تعالى (ذلك)
أي الاتصاف بتمام القدرة وشمول العلم (بأن الله) أي القادر على كل ما أراد (هو) وحده
(الحق) أي الثابت الواجب الوجود (وأن ما يدعون) أي يعبدون المشركون (من دونه) وهو
الاصنام (هو الباطل) الزائل وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة بالناء على الخطاب للمشركين
والباقون بالياء على الغيبة وأن هذه مقطوعة من مافي الرسم (وأن الله) لكونه هو الحق
الذي لا كف له (هو) وحده (العلي) أي العال على كل شيء بقدرته (الكبير) وكل ما سواه
سافل حقير تحت قهره وأمره * ثم انه سبحانه وتعالى استدل على كمال قدرته بأمر ستة الاقل
قوله تعالى (ألم تر) أي أياها مخاطب (أن الله) أي المحيط بقدرة وعلما (أنزل من السماء ماء) أي
مطرا بأن يرسل رياحا فتثير سحابا فيه يطر على الارض الماء (فتصيح الارض) أي بعد أن كانت
مسوطة يابسة ميتة جامدة (مخضرة) حية يانعة مهتزة نامية بما فيه رزق العباد وعمارة البلاد
(فان قيل) لم قال تعالى فتصيح ولم يقل فأصبحت أجيب بأن ذلك لتكنه وهي افادة بقاء المطر زمانا
بعد زمان كما تقول أتم على فلان عام كذا فأرواح وأعدو ساكراله ولو قلت فرحت وغدوت
ساكراله لم يقع ذلك الموضع (فان قيل) لم رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام (أجيب) بأنه لو نصب
لا عطي ~~عكس~~ ما هو الغرض لأن معناه أثبتت الاخضر فينقلب بالنصب الى نفي الاخضر
ووجه ذلك بأن النصب بتقدير أن وهو علم للاستقبال فيجعل الفعل مترقا والرفع جزم بانائه
مبناه أن تقول لصاحبك أتم أني أنعمت عليك فتشكر فان نصبته فأنتم ناف لشكره مشاك
في تفریطه فيه وان رفعته فأنتم مثبت لشكره وهذا وأمثاله مما يجب أن يتنبه له من اتسم
بالعلم في علم الاعراب وتوقير أهل (أن الله) أي الذي له تمام النعم وكال المعلم (لطيف) بعباده في

اخراج النبات بالماء (خبير) أي بمصالح الخلق ومنافعهم فانه مطلع على السرائر وان دقت فلا
 يستبعد عليه احياؤه من اراد بعد موته وقال ابن عباس لطيف بأرزاق عباده خبير بما في
 قلوبهم من القنوط الامر الثاني قوله تعالى (له ما في السموات) أي التي أنزل منها الماء (وما في
 الارض) أي التي استقر فيها ملكا وخالقا (وان الله) أي الذي له الاحاطة التامة (لهو) أي
 وحده (الغني) في ذاته عن كل شيء (الجسد) أي المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله الامر
 الثالث قوله تعالى (ألم تر) أي أيها المخاطب (أن الله) ذا الجلال والاكرام (يخسر لكم) فضلامه
 (ما في الارض) كله من مسالكها وبخاجها وما فيها من حيوان وجماد وزرع وغار فلول لا تحصى
 تعالى الابل والبقيرع قوته ما حقي ذللهما للضعيف من الناس لما انتفع بهما أحد منهم الامر
 الرابع قوله تعالى (والفلك) أي ويخسر لكم الفلك أي السفن ثم بين تسخيرها بقوله (تجري في
 البحر) الجحاج المتلاطم بالامواج يريح طيبة للركوب والجل (بأمره) أي بأذنه الامر الخامس
 قوله تعالى (وبعد السماء) أي كراهة (أن تقع على الارض) التي تحتها مع علوها وعظمتها وكونها
 بغير عدة فتلكوا (الابانته) أي عيشته فيقع ذلك يوم القيامة حين يريد طي هذا العالم وابتعاد
 عالم البقاء (ان الله) أي الذي له الخلق والامر (بالناس) أي على ظلمهم (لرؤف) أي بما يحفظ من
 سرائرهم (رحيم) أي حيث هيأ لهم أسباب الاستدلال وفتح لهم أبواب المنافع ودفع عنهم أبواب
 المضار (وهو) أي وحده (الذي أحياكم) أي عن الجمادية بعد أن أوجدكم من العدم (تربصكم)
 أي عند انقضاء آجالكم ليكون الموت واعظا لاولي البصائر منكم (تربصكم) أي يوم البعث
 للثواب والعقاب واطهار العدل في الجزاء (ان الانسان) أي المشرک (للكفور) أي
 المبغ الكفر حيث لم يشكر على هذه النعم المحيطة به فيوحده الله تعالى وقال ابن عباس هو
 الاسود بن عبد الاسد وأبو جهل والعاص بن وائل وأبي بن خلف قال الرازي والاولى تعجبه
 في كل المنكرين (لكل أمة) أي في كل زمان (جعلنا منسكا) قال ابن عباس شريعة يعبدون
 بها (هم ناسكوه) أي عاملون بها وروى عنه أنه قال عبدا وقال مجاهد وقادة موضع
 قربان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة وقرأ أجزءة والكسائي منسكا بكسر السين والباقون
 بفتحها (فلا ينزعك في الامر) أي أمر الدنيا نزلت في بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويريد بن
 خنيس قالوا لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم تأكلون مما تقتلون ولأن تأكلون مما قتله الله
 تعالى يعنون الميتة وقال الزجاج هونى له صلى الله عليه وسلم عن منازعتهم كما تقول لا يضاربك
 فلان أي فلا تضاربه وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون الا بين اثنين معناه لا تنازعهم
 أئمت (وادع) أي أوقع الدعوة لجميع الخلق (الربك) الحسن الملك أي الى دينه ثم عمل ذلك
 بقوله (أنك) مؤكدا له بحسب ما عندهم من الانكار (لهي هدى) أي دين واضح (مستقيم)
 هو دين الاسلام (وان جادلوك) أي في أمر الدين بعد ان ظهر الحق ولزمت الحجة (فصل الله)
 أي الملك المحبط بالعز والعلم (أعلم عاصمات من الجحالة الباطلة وغيرها فاجازكم عليه
 وهذا وعيد فيه رفق وكان ذلك قبل الامر بالقتال ولما أمر الله تعالى بالاعراض عنهم وكان

ذلك شديداً على النفس تشوقها إلى النصر فراجى ذلك بقوله تعالى مستأثراً تحذير لهم (الله)
 أي الذي لا كف له (يحكم بينكم) أي ينيك مع اتباعك وبينهم (يوم القيامة) الذي هو يوم
 التغاير (فما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين ومن نصر ذلك اليوم لم يبال بما حل به فهو كقوله
 وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قال البغوي والاختلاف ذهاب كل واحد من الخصمين
 إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر (ألم تعلم أن الله) بجلال عزه وعظيم سلطانه (يعلم ما في السماء
 والأرض) فلا يخفى عليه شيء (أن ذلك) أي ما ذكر (في كتاب) كتب فيه كل شيء حكم بوقوعه
 قبل وقوعه وكتب جزاءه وهو اللوح المحفوظ (أن ذلك) أي علم ما ذكر (على الله) وحده
 (بسر) أي سهل لأن علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على السواء (ويعبدون) أي
 المشركون على سبيل التجدد والاستمرار (من دون الله) أي من أدنى رتبة من رتبة الذي
 قامت جميع الدلائل على احتوائه على جميع صفات الكمال وتزويه عن شوائب النقص
 (ما لم ينزل به سلطاناً) أي حجة واحدة من الحجج وهو الاصنام (وما ليس لهم به علم) حصل لهم من
 ضرورة العقل واستدلاله بالحجة (وما الظالمين) أي الذين وضعوا التعبد في غير موضعه
 لارتكابهم لهذا الأمر العظيم الخطر وأكدار النقي واستغرق المنى بأبواب الجار فقال تعالى
 (من نصير) أي ينصرهم من الله لا عما أشركوه به ولا من غيره فيدفع عنهم عذابه أو يقرضهم
 (وإذا تسلى) أي على سبيل التحذير والمبالغة من أي تال كان (عليهم آياتنا) أي من القرآن حال
 كونهما (بينات) لا خفاء فيها عند من له بصيرة في شيء مما دعت إليه من الأصول والقواعد
 (تعرف في وجوه الذين كفروا) أي تلبسوا بالكفر (المنكر) أي الإنكار الذي هو منكر في
 نفسه فيظهر أثره في وجوههم من الكراهة والعبوس لما حصل لهم من الغيظ ثم بين ما لاح
 في وجوههم بقوله تعالى (يكادون يسطون) أي يوقعون السطوة بالبطش والعنف (بالبين يتلون
 عليهم آياتنا) أي الدالة على أممنا الحسنى وصفاتنا العليا القاضية بوحدة اقتناع كونها
 بينات في غاية الوضوح في أنها كلامنا لما فيها من الحكم والبلاغة التي عجزوا عنها ثم أمر الله
 تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقابلهم بالوعيد بقوله تعالى (قل أفأنبئكم) أي أفأخبركم خبراً
 عظيماً (بشئ من ذلكم) بأكره اليكم من القرآن المتلو عليكم وقوله تعالى (النار) كانه جواب
 سائل قال ما هو فقيل النار أي هو النار ويجوز أن تكون مبتدأ خبره (وعدها الله الذين كفروا)
 جزاء لهم فبئس الموعدة (وبئس المصير) أي النار وما بين تعالى أنه لا حجة لعابده غيره اتجه
 بأن الحجة قائمة على أن ذلك الغير في غاية الحقارة فقال تعالى منادياً أهل العقل منها تنبها عاماً
 (يا أيها الناس ضرب مثل) حاصلة أن من عبدتوه من الاصنام أحقر منكم (فاستمعوا)
 أي انصتوا (له) وتذبروه ثم فسر بقوله تعالى (أن الذين تدعون) أي تعبدون وتدعونهم
 في حوائجكم وتجعلونهم آلهة (من دون الله) أي الملك الأعلى من هذه الاصنام التي أنتم بها
 مفترون (لن يخلقوا ذباباً) أي لا قدرة لهم على ذلك في زمن من الأزمان على حال من الأحوال
 مع صغرهم فكيف بما هو أكبر منه (ولوا جمعوا) أي الذين زعموهم شركاء (له) أي الخلق فهم

في هذا أمثالكم * (تنبيه) * محل ولوا اجتماعه له النصيب على الحال كانه قال تعالى يستحيل
 أن يخلقوا الذباب مشروطين عليهم اجتماعهم لخلقهم وتعاقبهم عليه وهذا من أبلغ ما أنزل الله
 تعالى في تجهيل قريش واسترك كل حقولهم والشهادة على أن الشيطان قد خدعهم بخداعه
 حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن
 آخرها صوراً وتماثيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه الله تعالى وأذله وأصغره وأحقره
 ولوا اجتماع ذلك وتساندوا وأدل من ذلك على عجزهم واتقاء قدرتهم - م أن هذا الخلق الأقل
 الأذل لو اختلف منهم شيئاً فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا كما قال تعالى (وان يسلمهم
 الذباب) أي الذي تقدم أنهم لا قدرة لهم على خلقه وهو غاية في الحقارة (شيئاً) أي من الأشياء جل
 أو قل (لا يستنقذونه منه) لعجزهم فكيف يجعلونهم شركاء الله هذا أمر مستغرب عبر عنه بضرب
 مثل * (تنبيه) * الذباب مفرد وجعه القليل أذبه والكثير ذبان مثل غراب وأغربة وغربان
 وعن ابن عباس أنهم كانوا يطلون الأصنام بالزعفران ورؤسها بالعسل ويفلقون عليها الأبواب
 فيدخل الذباب من الكوى فيأكله وعن ابن زيد كانوا يحلون الأصنام بالواقيت واللاقي
 وأنواع الجواهر ويطيبونها بأوان الطيب فرمى بسقط شيء منها فأخذها طائراً وذبابة فلا
 تقدر الآلهة على استرداده منه (ضعف الطالب) قال الضحاك هو العابد (والمطلوب) المعبود
 وقال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما سلب من الطيب الذي على الصنم والمطلوب هو
 الصنم وقيل على العكس الطالب الصنم والمطلوب الذباب أي لو طلب الصنم أن يخلق الذباب
 لعجز عنه * ولما أنتج هذا جهلهم بالله عز وجل عبر عنه بقوله تعالى (ما قدروا الله) أي الذي له
 الكمال كله (حق قدره) أي ما عظموه وحق تعظيمه وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته
 حيث أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا يقص منه (إن الله) أي الجامع لصفات الكمال
 (القوى) على خلق الممكآت بأسرها (عزيز) أي لا يغلبه شيء وآلهتهم التي يعبدونها عاجزة
 عن أقلها مقهورة من أذلها قال الكلبي في هذه الآية وفي تفسيرها في سورة الأنعام أنها نزلت في
 جماعة من اليهود مالك بن الصنف وكعب بن الأشرف وكعب بن أسد وغيرهم حيث قالوا إن الله
 تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض وأجناس خلقها استلقى واستراح ووضع إحدى
 رجليه على الأخرى فنزلت هذه الآية تكذيباً لهم ونزل قوله تعالى وما مسنا من لغوب قال
 الرازي واعلم أن منشأ هذه التشبيهة هو القول بالتشبيه فيجب تنزيه ذات الله تعالى عن مشابهة
 سائر الذات خلاف ما يقوله المشبهة وتنزيه صفاته عن مشابهة سائر الصفات خلاف ما يقوله
 الكرامية وتنزيه أفعاله عن مشابهة سائر الأفعال أعني عن الغرض والدواعي واستحقاق المدح
 والذم خلاف ما يقوله المعتزلة قال أبو القاسم الأنصاري رحمه الله تعالى فهو سبحانه وتعالى خبير
 النعت عزير الوصف فالوهم لا تصور والافكار لا تقدره والعقول لا تمتلئها والازمنة لا تدركه
 والجنان لا تعقوبه ولا يتخذه صمدى الذات سرمدى الصفات * ولما ذكر سبحانه وتعالى ما يتعلق
 بالالهيات ذكر ما يتعلق بالنبوات بقوله تعالى (الله) أي الملك الأعلى (يسمطى) أي يختار ويختص

(من الملائكة رسلاً) جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم الصلاة والسلام (ومن الناس) كبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم نزلت حين قالت المشركون أنزل عليه الذر من بيننا فأخبر تعالى أن الاختيار إليه يختار من يشاء من خلقه (إن الله) أى الذى له الجلال والجلال (سميع) لفعالته (بصير) بمن يتخذه رسولا (يعلم ما بين أيديهم) أى الرسل (وما خلفهم) أى علمه محيط بما هم مطلعون عليه وما غاب عنهم فلا يفعلون شيئا إلا بأذنه (والى الله) أى وحده تعالى (ترجع) بقاية السهولة (الأمور) يوم يعجل الفصل القضاء فيكون أمره ظاهرا لا خفاء فيه ولا يصد رشي من الأشياء الأعلى وجه العدل الظاهر لكل أحد ولا يكون لاحد المقات الى غير: وقرأ ابن عاصم وحزرة والكسائي بفتح التاء وكسر الجيم والباقون بضم التاء وفتح الجيم ولما أثبت سبحانه وتعالى أن الملك والامر له وحده خاطب القبلين على دينه وهم الخلف من الناس بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أى تلبسوا بالايمان (اركعوا) قصد بقا لايامانكم (واسجدوا) أى صلوا الصلاة التى شرعها لكم فانها رأس العبادة ليكون دليلا على صدقكم فى الاقرار بالايمان * (تنبيه) * انما خص هذين الركنين فى التعبير عن الصلاة لانهما الخافتهما الهيأت المعقدة هما الدالان على الخضوع فحسن التعبير بهما وذكر عن ابن عباس ان الناس كانوا فى أول الاسلام ركعون ولا يسجدون وقيل كان الناس أول ما أسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود حتى نزلت هذه الآية ولما خص أفضل العبادة عم بقوله تعالى (واعبدوا) أى بأنواع العبادة (ربكم) أى المحسن اليكم بكل نعمة دينية ودنيوية * ولما ذكر عوم العبادة اتبعها ما قد يكون أعم منها مما صورته صورتها أو قد يكون بلانية فقتل (وافعلوا الخير) أى كاه من القرب كصلة الارحام وصيادة المريض ونحو ذلك من معالى الاخلاق بنية وبغيرية حتى يكون لكم ذلك عادة فيخفف عليكم عمله لله تعالى قال أبو حيان بدأ تعالى بخالص وهو الصلاة ثم بعام وهو واعبدوا ربكم ثم بأعم وهو وافعلوا الخير (لعلكم تفلحون) أى افعلوا هذا كاه وأنتم راجون الفلاح وهو الفوز بالبقاء فى الجنة طامعون فيه غير مستيقنين ولا تشكوا على أعمالكم وقال الامام أبو القاسم الانصارى لعل كلمة ترج تشعر بان الانسان قلبا يخلو فى أداء فريضة من نصير وليس هو على يقين من أن الذى أتى به مقبول عند الله والعواقب مستورة وكل ميسر لما خلقه * (تنبيه) * اختلف فى سجود التلاوة عند قراءة هذه الآية فذهب قوم الى أنه يسجد عندها وهو قول عمرو على وابن عمرو وابن مسعود وابن عباس وبه قال ابن المبارك والشافعى وأجدوا حتى لظاهر ما فيها من الامر بالسجود وقول البيضاوى ولقوله صلى الله عليه وسلم فضلت سورة الحج يسجدتين من لم يسجد ما فلا يقرأهما حدث ضعيف رواه الترمذى وضعفه وذهب قوم الى أنه لا يسجد وهو قول سفيان الثوري وقول أبي حنيفة وأصحابه لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فى ذلك فدل ذلك على انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة * ولما كان الجهاد أساس العبادة وهو مع كونه حقيقة فى جهاد الكفار صالح لان يوم كل أمر معروف ونهى عن منكربالمال والنفس بالقول والفعل بالسيف وغيره وكل جهاد

في تهذيب النفس وإخلاص العمل ختم به فقال تعالى (وجاهدوا في الله) أي الله فمن أجله
أعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وقول البيضاوي وعنه عليه
الصلاة والسلام أنه رجع من غزوة تبوك فقال وجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر
حديث رواه البيهقي وضعف استناده وقال غيره لأصل له قبل أراد بالأصغر جهاد الكفار
وبالأكبر جهاد النفس (حق جهاده) أي باستقراغ الطاقة في كل ما أمر به من جهاد العدو
والنفس على الوجه الذي أمر به من الجبر والفز ووجعنا (فان قيل) ما وجه هذه الإضافة
وكان القياس حق الجهاد في الله وحق جهادكم في الله كما قال تعالى (وجاهدوا في الله) (أجيب)
بأن الإضافة تكون بأدنى ملائمة واختصاص فلما كان الجهاد محتصا بالله من حيث أنه مفعول
لأجله صحت إضافته إليه وعن مجاهد عن الكلبى أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى فاتقوا الله
ما استطعتم ولما أمر الله تعالى بهذه الأوامر أتبعها ببعض ما يجب به شكره وهو كالتعليل
لما قبله فقال تعالى (هو اجتنبوا) أي اختاركم له دينه ولنصرته وجعل الرسالة قبضكم
والرسول منكم وجه له أشرف الرسل ودينه أشرف الديان وكأبه أعظم الكتب وجعلكم
لكونكم أنساعه خير الامم (وما جعل عليكم في الدين) أي الذي اختاره لكم (من حرج) أي
من ضيق وشدة وهو أن المؤمن لا يتلى بشئ من الذنوب إلا جعل الله تعالى له منه محررا بعضها
بالتوبة وبعضها برزق الظالم والقصاص وبعضها بأنواع الكفارات من الأضرار والمصائب
وغير ذلك فليس في دين الإسلام ما لا يجده العبد سبيلا إلى الخلاص من الذنوب ومن العقاب لمن
وقفه الله تعالى وسهله عند الضرورات كالقصر واتهم وأكل الميتة والقطر للرخص والمسافر وغير
ذلك قال صلى الله عليه وسلم إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم رواه البخاري وعن ابن عباس
أنه قال الحرج ما كان على نبي أمرا بل من الأصار التي كانت عليهم وضعها الله تعالى عن هذه
الامة وقوله تعالى (ملة أيكم) نصب بنزع الخافض وهو الكاف وأعلى المصدر بفعل دل عليه
مضمون ما قبله بحذف المضاعف أي وسع دينكم توسعة ملة أيكم وأعلى الاعتراف أي اتبعوا ملة
أيكم وأعلى الاختصاص أي أعني بالدين ملة أيكم كقولك الحمد لله الحميد وقوله تعالى
(إبراهيم) عطف بيان (فان قيل) لم كان إبراهيم باللائمة كلها (أجيب) بأنه أبو رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكان باللائمة لأن أمة الرسول في حكم أولاده واختلف في عود ضمير (هو)
على قولين أحدهما أنه يعود على إبراهيم عليه الصلاة والسلام وإن لكل نبي دعوة مستجابة
ودعوة إبراهيم عليه السلام وبنوا جعلنا مسلمين لك ومن ذرئنا أمة مسلمة لك فاستجيب الله
تعالى له فخطبنا محمد صلى الله عليه وسلم وأتته والشئ أنه يعود على الله تعالى في قوله تعالى
هو اجتنبواكم وروى عطامن ابن عباس أنه قال إن الله تعالى (مماكم المسلمين من قبل) أي في
كل الكتب الثلاثة التي نزلت قبل أنزال هذا القرآن (وفي هذا) أي ومماكم في هذا القرآن الذي
أنزل عليكم من بعد أنزال تلك الكتب وهذا القول كما قال الرازي أقرب لأنه تعالى قال (ليكون
الرسول شهيدا عليكم) أي يوم القيامة أنه بليكم (وتكونوا شهداء على الناس) أي أن يسلمهم

قوله فليس في دين
الإسلام كذا في
التسخ وهي عبارة
غير مستقيمة وأنها
سقط والصواب
في محاذاتها أن
يقال فليس في دين
الإسلام ما لا يجده
العبد سبيلا إلى
الخلاص من
الذنوب والآصار
بل المحرج من
الذنوب بما سبق
من التوبة ومما معها
لمن وقفه الله ومن
الأصار بالتسهيل
عند الضرورات
كالقصر الخ اه

بلغتهم فينبئ الله تعالى في سماهم بذلك لهذا الغرض وهذا لا يليق إلا بالله تعالى وإنما كانوا شهداء على
الناس لئلا ياتوا بالنبأ لانهم لم يفرقوا بين أحد منهم وعلوا أن أخبارهم من كتابهم على لسان نبيهم
محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك صحت شهادتهم وقبلها الحكم العدل وعن كعب أعطيت هذا
الأمة ثلاثاً لم يعطهن إلا الانبياء جعلهم شهداء على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج
وقال تعالى ادعوني استجب لكم وعن أبي حاتم عن ابن زيد أنه قال لم يذكر الله بالآيمان والاسلام
غير هذه الآية ذكرها به ما وكرهه ما جبهه ما لم يسع بآية ذكرت بالاسلام والآيمان غيرها وعن
مكحول أن النبي صلى الله عليه وسلم قال نسعى الله عز وجل باسمين سمى بهما أتقى هو السلام وسمى
أتقى المسلمين وهو المؤمن وسمى أتقى المؤمنين * (تنبه) * في الآية دليل على أن شهادة غير المسلم
ليست مقبولة * ولما ندبهم تعالى ليكونوا خيراً لامر نسب عن ذلك قوله تعالى (فأقيموا الصلاة)
التي هي أركان قلوبكم وصلاته ما بينكم وبين ربكم أي داوموا عليها (وأنوا الزكاة) التي هي
طهارة أبادانكم وصلته بينكم وبين اخوانكم (واعتصموا بالله) أي الحيط بجميع صفات الكمال
في جميع ما أمركم به من المنايا التي تقذمت وغيرها ثم علل تعالى أهليته بقوله تعالى (هو) أي
وخطه (مولاكم) أي المتولي لجميع أموركم فهو ينصركم على كل من يعاديكم بحيث أن تتمكنوا
من اظهار هذا الدين من مناسك الحج وغيرها * ثم علل الامر بالاعتصام وتوحيده بالولاية بقوله
تعالى (فتم المولى) أي هو (ونعم النصير) أي الناصر لكم لانه تعالى اذ انولى أحدكم كفاه كل
ما أهمله واذا نصر أحدكم أعلاه عن كل من خصمه ولا يزال العبدية تقرب الى بالذوا فل حتى أحبه
فاذا أحببت الحديث انه لا يدل من واليت ولا يعز من عاديته وهذا نتيجة التقوى وما قبله
من أفعال الطاعة دليلها فقد انطبق آخر السورة على أولها ورد مقطعها على مطلعها وقول
البيضاوي بعد الزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج أعطى من الاجر
كحجة جها وعمرة اعتمرها بعد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي حديث موضوع

﴿سورة المؤمنين مكية﴾

وهي مائة وثمان أوتسع عشرة آية وألف وثمانمائة وأربعون
كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة حرف

(بسم الله) الذي له الامر كله (الرحمن) الذي عم انعامه (الرحيم) الذي خص من أراد بالآيمان
عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه
الوحى يسمع عنده وجهه دوى كدوى النحل فانزل عليه يوماً فكت ساعة حتى سرتى عنه فاستقبل
القبلة ورفع يديه فقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وأثرنا ولا تؤثر
علينا اللهم أرضنا وارض عنا ثم قال لقد أنزل على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ
(قد أفلح المؤمنون) حتى ختم العشرة آيات قال ابن عباس قد سعد المصديقون بالتوحيد وبقوا
في الجنة وقيل الفلاح البقاء والنجاة روى هذا الحديث الترمذى وغيره وأكبره النسائي

وغيره (تسبه) قال الرضائي قد تحضنه لما هي ثبت المتوقع ولما تنفيبه ولا شك أن المؤمنين
 كانوا متوقعين مثل هذه البشارة وهي الاخبار بنبات الفلاح لهم فخطبوا بما دل على نبات
 ما توقعوه (فان قيل) ما المؤمن (أجيب) بأنه في اللغة هو المصدق وأما في الشريعة فقد اختلف
 فيه على قولين أحدهما أن كل من نطق بالشهادتين وموطن قلبه لسانه فهو مؤمن والاخر أنه
 صفة مدح لا يستحقها الا البر التقي دون الفاسق * ثم انه تعالى حكم بحصول الفلاح لمن كان
 مستجمعا لصفات سبعة الصفة الاولى كونهم مؤمنين الصفة الثانية المذكورة في قوله
 تعالى (الذين هم) أي بضمايرهم وظواهرهم (في صلاتهم خاشعون) قال ابن عباس مخبتون
 أذلاء وقمل خائفون وقيل متواضعون وعن قتادة الخشوع الزام موضع السجود روى
 الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي رافعا بصره الى السماء
 فلما نزلت هذه الآية رعى بصره الى نحو مسجده أي موضع سجوده وكان الرجل اذا قام الى
 الصلاة هاب الرحمن أن يشد بصره الى شيء ويحدث بشئ من شأن الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها
 والاعراض عما سواها ومن الخشوع أن يستعمل الادب فيتوقى ككف الثوب والعبث
 بجسده ونيابه والتشيمك والاتفات والتطلى والتناوب والتغميض وتغطية القم والسدل
 والفرقة والاختصار وتقلب الحصى روى الترمذي لكن بسند ضعيف أنه صلى الله عليه وسلم
 أبصر رجلا يعيث بلحيتة في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ونظر الحسن الى
 رجل يعيث بالحصى وهو يقول اللهم زدني الخور العين فقال بشئ الخاطب أنت تخطب
 وأنت تعيث وعنه أنه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة أسرع وعن معاذ
 ابن جبل من عرف من على عينه وشماله وهو في الصلاة فلا صلاة له وروى أنه صلى الله عليه وسلم
 قال انما يكتب العبد من صلاته ما عقل منها وقال صلى الله عليه وسلم كم من قائم حظه من قيامه
 التعب والنصب وقال من لم تنه الصلاة عن القمشاء والمنكسر لم يزد من الله الا بعدا فينبغي
 للشخص أن يحشاط في صلاته ليوقعها على التمام فان بعض العلماء اختار عدم الامامة ففيل
 له في ذلك فقال أخاف ان تركت القامحة أن يعاتبني الشافعي وان قرأتهم أن يعاتبني أبو حنيفة
 فاخترت عدم الامامة طلبا للخلاص من هذا الخلاف (فان قيل) لم أضيف الصلاة اليهم
 (أجيب) بأن الصلاة وصله بين الله وبين عباده والمصلي هو المنقطع بها وحده وهي عتده وذخيرة
 فهمي صلاته وأما الله تعالى فهو غني متعال عن الحاجة اليها والاتقاع بها الصفة الثالثة
 المذكورة في قوله تعالى (والذين هم) أي بضمايرهم التي تتبعها ظواهرهم (عن اللغو) قال ابن
 عباس عن الشريك (معروضون) أي تاركون وقال الحسن عن المعاصي وقال الزجاج هو كل باطل
 وهو وما لا يحمد من القول والفعل وقيل هو كل ما لا يعنى الشخص من قول أو فعل وهو
 ما يستحق أن يسقط ويلغى فمدحهم الله تعالى بأنهم معروضون عن هذا اللغو والاعراض عنه
 هو بأن لا يفعله ولا يرضى به ولا يخاطب من يأتيه كما قال تعالى وإذا أمرتوا باللغو فامروا كما أمرتوا
 وهو الكلام القبيح أكرموا أنفسهم عن المخول فيه الصفة الرابعة المذكورة في قوله تعالى

(والذين هم للزكاة فاعلون) أى مؤدبون (تنبيه) الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين هو
 المقدر الذى يحجره المولى من النصاب الى المستحق والمعنى فعل المولى الذى هو التزكية وهو
 المراد هنا لأنه ما من مصدر الا ويعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحذوف فاعل نقول للضارب فاعل
 الضرب والمقاتل فاعل القتل وللمزكى فاعل التزكية ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر
 مضاف محذوف وهو الاداء وقيل الزكاة هنا هى العمل الصالح لأن هذه السورة مكتبة وانما
 فرضت الزكاة بالمدينة سنة اثنتين من الهجرة قال البقاعى والظاهر أن التى فرضت بالمدينة
 هى ذات النصب وأن أصل الزكاة كان واجبا بمكة كما قال تعالى فى سورة الانعام وأن واقع
 يوم حصاده انتهى الصفة الخامسة المذكورة فى قوله تعالى (والذين هم لقروجهم) فى
 الجماع ومقدماته (حافظون) أى دائماً لا يتبعونها شهواتها والفرج اسم لدواة الرجل والمرأة
 وحفظه التمسك عن الحرام ثم استثنى من ذلك قوله تعالى (الاعلى أنواجهم) الا فى استمعوا
 أيضا عن بعد النكاح ولعلوا الذكركه يعلى ونظيره كان زياد على البصرة أى والبا عليها ومنه
 قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المرأة فراسا وقبل على بعدى من وجرى على ذلك البغوى
 (أو ما ملكك ايمانهم) رقا به من الاماء (فان قيل) هلا قال تعالى أو من ملكك (أجيب) بأنه
 انما عبر بالقرب الاماء عما لا يعقل لنقصهن عن الحرار الناقصات عن الذكر ولانه اجتمع فيها
 وصفان أحدهما الاثوثة وهى مظنة نقصان العقل والاخرى كونها بحيث تباع وتشترى كسائر
 السلع قال البغوى والآية فى الرجال خاصة لأن المرأة لا يجوز لها أن تستمتع بفرج مملوكها
 (فأنهم غير مملومين) على ذلك اذا كان على وجهه أذن فيه الشرع دون الإتيان فى غير المأنى
 وفى حال الحيض أو النفاس أو نحو ذلك كوطء الامة قبل الاستبراء فانه حرام ومن فعله فانه
 مملوم (فمن استنى) أى طلب متديا (وراء ذلك) العظيم المنفعة الذى وقع استنائه بزنا ولو اوطأ
 أو استغناء ببد أو بهيمة أو غيرها (فأولئك) المبعدون من الفلاح (هم العادون) أى المبالغون
 فى تعدي الحدود عن سعيدين جدير قال عذب الله تعالى أمة كانوا يعشون بهذا كبرهم أى فى
 أيديهم وقيل يحشرون وأيديهم حبالى الصفة السادسة المذكورة فى قوله تعالى (والذين هم
 لاماناتهم) أى فى القروج وغيرها سواء كانت بينهم وبين الله كالصلاة والصيام أو بينهم وبين
 الخلق كالودائع والبضائع أو فى المعانى الباطنة كالإخلاص والصدق (وعهدهم راعون) أى
 حافظون بالقيام والرعاية والإصلاح والعهد ما عقده الشخص على نفسه فيما يقربه الى ربه
 ويقع أيضا على ما أمر الله تعالى به كقوله تعالى الذين قالوا ان الله عهد اليها (تنبيه) سمى
 الشئ المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يأمر منكم أن توردوا
 الامانات الى أهلها وقال تعالى وتصوروا اماناتكم وانما تؤذى العيون لا المعانى ويحان المؤتمن
 عليه لا الامانة فى نفسها وقرا ابن كثير لاماتهم بغير ألف بين النون والياء على الأفراد لمن
 الالباس أو لانها فى الأصل مصدر والباقون بالالف على الجمع الصفة السابعة المذكورة فى
 قوله تعالى (والذين هم على صلواتهم) التى وصفوا بالخشوع فيها (يحافظون) أى يراهم

عليها ولا يترك شيئا من مفروضاتها ولا مسنوناتها يجتهدون في كمالها جهدهم ويؤدونها في أوقاتها (فان قيل) كيف كثر الصلاة أولا وآخرا (أجيب) بأنهم ما ذكران مختلفان فليس بمكرر وصفوا أولا بالخشوع في صلاتهم وآخرا بالحافظة عليها وذلك أن لا يسهوا عنها ويؤدوها في أوقاتها ويقبضوا أركانها ويوطنوا أنفسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي أن تتم به أوصافها وأيضا فقد وجدت أولا بالقداد الخشوع في جنس الصلاة أي صلاة كانت وبجعت آخرا على غير قراءة حمزة والكسائي فإن غيرهما قرأ بالجمع وأما ما فقر آبا لافراد لتفاد المحافظة على أعدادها وهي الصلوات الخمس والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة وصلاة الجنازة والعديد والكسوفين والاستسقاء والوتر والضحى وصلاة التيسير وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل • ولما ذكر تعالى مجموع هذه الصفات العظيمة نغم جوامعهم فقال تعالى (أولئك) أي الباقون من الاحسان أعلى مكان (هم الوارثون) أي المستحقون لهذا الوصف فيرون منازل أهل الجنة في الجنة روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله وقال مجاهد لكل واحد منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فاما المؤمن فيبنى منزله الذي له في الجنة ويهدم منزله الذي له في النار وأما الكافر فيهدم منزله الذي في الجنة ويبني منزله الذي له في النار وقال بعض المفسرين معنى الورثة هو أن يؤل أمرهم الى الجنة وينالوها كما يؤل أمر الميراث الى الوارث (الذين يرثون الفردوس) وهو أعلى الجنة عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس أعلاها درجة منها تفجر أنهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون عرش الرحمن فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس اللهم بجاه محمد صلى الله عليه وسلم أن تجعلنا ووالدينا وأحبابنا من أهل (هم فيها خالدون) أي لا يجزجون منها ولا يموتون وأنت الفردوس بقوله تعالى فيها على تأيت الجنة وهو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر روى أن الله تعالى بنى جنة الفردوس ابنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسلك الأذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذوى وغرس فيها من جسد الفاكهة وجسد الريحان وروى أن الله تعالى خلق ثلاثة أشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال وعزى لا يدخلها مد من خير ولا ديوت والمراد أن الله تعالى لم بكل ذلك الى غيره من ملك من الملائكة والجنة مخلوقة الآن قال تعالى أعدت للمتقين • ولما أمر سبحانه وتعالى بالعبادات في هذه الآيات والاشتغال بعبادة الله لا يصبغ الا بعد معرفة الله تعالى عقبها بذكر ما يدل على وجوده واتصافه بصفات الجلال والوحدانية فذكر من الدلائل أنواعا الا قول الاستدلال بتقليب الانسان في أدوار الخلق وأدوار القطرة وهي تسع مراتب الاولى قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان) أي آدم (من سلاله) هي من سلالتي من الشئ أي استخرجته منه وهو خلاصته وقال ابن عباس السلالة صفرة الماء وقوله تعالى (من طين) متعلق بسلالة وقيل المراد

بالإنسان هذا النوع والسلافة قال مجاهد من بنى آدم وقال عكرمة هو الماء يسيل من الظهور
 والعرب تسمى النطفة سلافة والولد سليلاً وسلافة لأنهم ماسلون منه المرتبة الثانية قوله
 تعالى (ثم جعلناه) أي نسله فحذف المضاف (نطفة) أي منبأ من الصلب والترائب بأن خلقناه
 منها (في قرار مكين) أي مستقر حصين هو الرحم * (تنبيه) * مكين في الأصل صفة للمستقر في
 الرحم وصف به المحل للمبالغة كما عبر عنه بالقرار المرتبة الثالثة قوله تعالى (ثم) أي بعد تراخ
 في الزمان وعلو في المرتبة والعظمة (خلقنا) أي بالثامن العظمة (النطفة) أي البيضاء جداً
 (علقة) حمراء دماغلياً شديد الحمرة جامداً غليظاً المرتبة الرابعة قوله تعالى (خلقنا) أي بما لنا
 من القوة والقدرة العظيمة (العلقة مضغة) أي قطعة لحم قد رمينا مضغها لاشكل فيها ولا تخطيط
 المرتبة الخامسة قوله تعالى (خلقنا المضغة) أي بتقليدها بما شئنا لها من الحرارة والامور اللطيفة
 الغامضة (عظاماً) من رأس ورجلين وما بينهما المرتبة السادسة قوله تعالى (فكسونا) بما
 لنا من قوة الاختراع تلك (العظام لحماً) بما ولدنا منها أترجيعها لحماً لها قبل كونها عظماً فاستترنا
 تلك العظام وقويت بها وشدناها بالرباط والأعصاب وقرأ ابن عامر وأبو بكر عظاماً والعظام
 بفتح العين واسكان الطاء من غير ألف على التوحيد كما كفاء باسم الجنس عن الجمع والباقون
 بكسر العين وفتح الطاء وألف بعدها على الجمع قال الجلال المحلى وخلفنا في المواضع الثلاثة بمعنى
 صيرنا المرتبة السابعة قوله تعالى (ثم أنشأناه) أي هذا المحدث عنه بعظمته (خلقنا آخر)
 أي خلقنا ما بيننا خلق الأول مباينة ما بعده حيث جعله حيواناً وكان جساداً وناطقاً وكان
 أبكم وسمعاً وكان أصم وبصاراً وكان أكم وأودع ظاهره وباطنه بل كل عضو من أعضائه
 وكل جزء من أجزائه عجائب فطره وغرائب حكمه لا تدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح
 الشارح وثم لما بين الخلقين من التفاوت قال الزمخشري وقد احتج به أبو حنيفة رحمه الله فيمن
 غضب بيضة فأفرخت عنده فقال بضم البيضة ولا يرد الفرخ لأنه خلق آخر سوى البيضة ٨١
 ولما كان هذا التفصيل لتطویر الانسان سبباً لتعظيم الخالق قال تعالى (فتبارك الله) أي تنزه
 عن كل شائبة نقص وحاز جميع صفات الكمال وأشار إلى جمال الانسان بقوله تعالى (أحسن
 الخلقين) أي المقدرين ومميزاً أحسن محذوف أي خلقاً روى عن عمر رضي الله تعالى عنه
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ قوله خلقنا آخر قال فتبارك الله أحسن الخالقين وروى
 أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فمطّق بذلك قبل
 أملاؤه فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا فترتل فقال عبد الله ان كان محمد
 نبياً يوحى إليه فإني يوحى إلى فمطّق بمكة كافر أتم أسلم يوم الفتح وروى سعيد بن جبير عن
 ابن عباس أنه قال لما نزلت هذه الآية قال عمر بن الخطاب فتبارك الله أحسن الخالقين فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت يا عمر وكان عمر يقول وافقني ربّي في أربع الصلوة
 خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولن لهنّ أو ليبدلن الله خيراً منكن فنزل قوله تعالى
 عسى ربه ان طلقكن الآية والزابع قلت فتبارك الله أحسن الخالقين فقال هكذا أنزل

قال العارفون هذه الواقعة كانت سبب السعادة لعمر والشقاوة لعبس الله بن سعد بن أبي
 سرح فانه قيل انه مات كافرا قال الله تعالى يضل به كثيرا المربة الثامنة قوله
 تعالى (ثم انكم بعد ذلك) أى الامر العظيم من الوصف بالحياة والمدة في العمر في آجال متفاوتة
 ما بين طفل ورضيع ومحمل شديد وشاب نشيط وكهل عظيم وشيخ هرم الى ما بين ذلك من شئون
 لا يحيط بها الا اللطيف الخبير (الميتون) أى لصارون الى الموت لا بحالة ولذلك ذكر النعت
 الذى للثبوت وهو ميت دون اسم الضاعل وهو مات فانه للحدوث للثبوت المرتبة التاسعة
 قوله تعالى (ثم انكم يوم القيامة) أى الذى يجمع فيه جميع الخلائق (تبعثون) للحساب
 والجزاء النوع الثانى من الدلائل الاستدلال بخلق السموات وهو قوله تعالى (واقد خلقنا
 فوقكم) فى جميع جهة الفوق فى ارتفاع لا تدركونه حق الادراك (سبع طرائق) أى سموات
 جمع طريقة لانها طرق الملائكة ومنعلاقاتهم وقيل الافلاك لانها طرائق الكواكب فيها
 مسيرها وقيل لانها طرق بعضها فوق بعض كطريقة النعل وكل شئ فوقه مثله فهو طريقة
 (وما كان) أى بما لان من العظمة (عن الخلق) أى الذى خلقناه فتحملها (عافلين) أى ان تسقط عليهم
 فتملكهم بل ينسكبها كآية وعصا السماء أن تقع على الارض الاباذنه ولا مهملين أمرها بل
 نحفظها عن الزوال والاختلاف وتديبر أمرها حتى تلغ منتهى أمرها وما قدر لها من الكمال
 حسب ما اقتضته الحكمة وتعلق به المشيئة * النوع الثالث من الدلائل الاستدلال بنزول
 الامطار وكيفية تأثيرها فى النبات وهو قوله تعالى (وأترلنا من السماء) أى من جرمها وهو ظاهر
 اللفظ وعليه أكثر المفسرين وأمن السحاب وسما سماء له لوه (ما بقدر) أى بقدر ما تكفيهم
 لما شئهم فى الزرع والفرس والشرب وأنواع المنفعة يسلمون معه من المضرة اذ لو كان فوق
 ذلك لا غرقت البحار الاقطار ولو كان دون ذلك لادى الى جفاف النبات والاشجار (فاسكاه)
 أى فجعلناه نباتا مستقرا (فى الارض) كقوله تعالى فسلكه ينابيع فى الارض وعن ابن
 عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أنزل من الجنة خمسة أنهار سيجون نهر الهند
 وجيخون نهر بلخ ودجلة والفرات نهر العراق والنيل نهر مصر أنزلها الله تعالى من عين واحدة
 من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناح جبريل فاستودعها الجبال
 وأجرها فى الارض وجعل فيها منافع للناس من أصناف معايشهم فاذا كان عند خروج
 يأجوج ومأجوج أرسل الله تعالى جبريل فرفع من الارض القرآن والهلم كله والحجر الاسود
 من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بمافيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى
 السماء وذلك قوله تعالى (واناعلى ذهابه لقادرون) قدرة هي فى نهاية العظمة فانما كما قدرنا
 على ايجادها واختراعها فنقدر على رفعها وازالته وزواله فاذا رفعت هذه الاشياء كلها من الارض
 فقد أهلا خيرا الدين والدنيا قال البغوى وروى هذا الحديث الامام الحسن بن سفيان عن عثمان
 ابن سعيد عن سابق الاسكندرى عن سلة بن على عن مقاتل بن حبان (تبيينه) فى تشكيد ذهاب
 ابناء الى تشكيد طرقه وفيه ايدان باقتدار المذهب وأنه لا يتعابا عليه شئ اذا اراده وهو ابلغ

في الأبعاد من قوله تعالى قل أرأيتم أن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتي بماء معين فعلى العباد
 أن يستعظموا النعمة في الماء ويقيدها بالشكر الدائم ويحافظوا نقادها إذا لم تشكروا ثم أنه
 تعالى سبحانه لما به على عظم نعمته بخلق الماء ذكر بعده هذه النعمة الخاصة له من الماء بقوله
 تعالى (فأنشأنا) أي فأخرجنا وأحيينا (لكم) خاصة لنا (به) أي بذلك الماء الذي جعلنا منه كل
 شيء حي (جنات) أي بساتين (من نخيل وأعناب) صرح بهذين الصنفين لشرفهما ولا نهما
 أكثر ما عند العرب من الثمار وسمى الأول باسم شجرته لكثرة ما فيه من المنافع المقصودة بخلاف
 الثاني فإنه المقصود من شجرته وأشار إلى غيره بما بقوله تعالى (لكم) أي خاصة (فيها) أي
 الجنات (فواكه كثيرة) تنفكهون بها (ومنها) أي ومن الجنات من غمارها وزروعها (تأكلون)
 رطباً وإيساً وتراً وزيبياً وقوله تعالى (وشجرة) عطف على جنات أي وأنشأنا لكم شجرة أي
 زيتونة (تخرج من طور سيناء) وهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران عليه
 السلام بين مصر وابل وقيل بفلسطين وفي رواية أخرى طور سينين ولا يتخلو ما أن يضاف فيه
 الطور إلى بقعة اسمها سيناء وأما أن يكون اسمها الجبل من بكمن مضاف ومضاف إليه
 كما مر في القيس وبعلبك فين أضاف من كسر سين سيناء وهو نافع وابن كثير وأبو عمرو وقد منع
 الصرف للتعريف والجمعة والتأنيث لأنهم ابقعة وفعلاء لا تكون أنثى كعلباء وحسب ما ومن
 قرأ بفتح السين وهم السابقون لم يصرفه لأن الألف للتأنيث كصراة قال مجاهد معناه البركة أي
 من جبل مبارك وقال قتادة معناه الحسن أي الجبل الحسن وقال الفخالة هو القبطية ومعناه
 الحسن وقال عكرمة بالحشبية وقال مقاتل كل جبل فيه أشجار مثمرة فهو سيناء وسنين بلغة
 القبط وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (تنت) بضم التاء الفوقية وكسر الباء الموحدة من الرابعي
 والباقيون بفتح الفوقية وضم الموحدة من الثلاثي فتقوله تعالى (بالدهن) تكون الباء على الأول
 زائدة وعلى الثاني معدية قال المفسرون وإنما أضافها الله تعالى إلى هذا الجبل لأن منه
 نشبت في البلاد وانتشرت ولأن معظمها هناك قال بعض المفسرين وإنما عرف الدهن لأنه
 أجل الأدهان وأكملها وهو في الأصل مانع لزج خفيف يقطع ولا يمتلئ بالماء الذي هو أصله
 فيسرج ويدهن به وقوله تعالى (وصبغ للأكابن) عطف على الدهن أي أدام يصبغ اللقمة
 بغمسها فيه وهو الزيت فيل أنها أول شجرة نتبت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في
 قوله تعالى (تؤخذ من شجرة مباركة) النوع الرابع من الدلائل الاستدلال بأحوال الحيوانات
 وهو قوله تعالى (وان أنعم لكم في الأنعام) وهي الأبل والبقر والغنم (لعبرة) عظيمة تعتبر بها
 وتستدلون بها على البعث وغيره (نسقيكم مما في بطونها) أي اللبن فجعله لكم شرباً نافعاً للبدن
 موافقاً للشهوة قللة ذون به من بين القرث والدم (ولكم فيها) أي جماعة الأنعام وقدم الجار
 نفعها للمنافعها حتى كان غيرها عدم (منافع كثيرة) باستسلامها لبارئها عما لا يتيسر من
 أصغر منها وبأولادها وأصوافها وأوبارها وأشعارها وغير ذلك من أنوارها (ومنها تأكلون)
 أي وكما تنفعون بها وهي حية تنفعون بها بعد الذبح أيضاً بسببها ومن غيرا منافع ثامن شيء من

ذلك ولو شاء لمنعها وسلطها عليكم ولو شاء لجعل لها لا ينضج أو يجعله قدرا لا يؤكل ولكم
 بقدرته وعلمه ماها لما ذكره ذلك لها (وعليها) أي الانعام الصالحة للعمل وهي الابل والبقر وقبل
 المراد الابل خاصة لانها هي المحمول عليهم في العادة وقرنها بالثقل التي هي السفن في قوله تعالى
 (وعلى الفلك تحملون) لانها سفائن البر فكما يحمل على الفلك في البحر فيحمل على هذه في البر قال
 ذو الرمة في المعنى * سفينة بتر تحت خدي زمامها * قال الزمخشري يريد صيده أي ناقته لان
 اسمها كان صبيح قال

وأب الناس يتجمعون غنما * فقلت لصبيح اتبعني بلا

يريد بلال بن أبي بردة الاشعري والى الكوفة * ولما بين سبحانه وتعالى دلائل التوحيد أردفها
 بذكر القصص كما هو العادة في سائر السور مبتدئا بقصة نوح عليه السلام فقال تعالى (ولقد
 أرسلنا) أي بمالنا من العظمة (نوحا) وهو الاب الثاني بعد آدم عليهما الصلاة والسلام وكان اسمه
 يشكرو ويحي نوحا لوجوه أحدها الكثرة ما نوح على نفسه حين دعا على قومه بالهلاك فأهلكهم الله
 تعالى بالطوفان فقدم على ذلك ثباته المراجعة ربه في شأن ابنه ثالثا أنه ترك بكم مجذوم فقال له
 اخسأ يا قبيح فعوتب على ذلك (الى قومه) وهم جميع أهل الارض لتواصل ما بينهم لكونهم على
 لغة واحدة محصورين لأنه أرسل الى الخلق كافة لأن ذلك من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه
 وسلم وعلى جميع الانبياء (فقال) أي فتسبب عن ذلك ان قال (يا قوم) ترفقا بهم (اعبدوا الله)
 وحده لانه الهكم وحده لاستحقاقه لجميع خلال الكمال واستأنف على سبيل التعليل قوله (مالكم
 من اله) أي معبود يهتق (غيره) فلا تعبدوا سواه (أفلا تتقون) أي أفلا تتخافون عقوبته ان
 عبدتم غيره وقرأ الكسائي بكسر الراء والهاء والباءون بضمهم ما (فقال) أي فتسبب عن ذلك
 ان كذبوه بأن قال (الملائكة) أي الاشراف الذي غلا رؤيتهم الصدور وعظمة (الذين كفروا من
 قومه) لعوامهم (ما هذا) أي نوح عليه السلام (الابشر مثلكم) أي فلا يعلم ما لا تعلمون فأنكروا
 أن يكون بعض البشر نبيا ولم يشكروا أن يكون بعض الطين انسانا وبعض الماء علقمة وبعض
 العلقمة مضغة الى آخره فكانه قيل ما جعله على ذلك فقالوا (يريد أن يتفضل) يتكاف الفضل
 بادعائهم لهذا (عليكم) لتكونوا أتباعا له ولا خصوصية له دونكم (ولو شاء الله) أي الملك
 الاعلى الارسال اليكم وعدم عبادة غيره (لا تزل) كذلك (ملائكة) رسلا بلاغ الوحي البينا قال
 الزمخشري وما أعجب شأن الضلال لم يرضوا للنسوة بشتر وقد رضوا للالوهية بمجمر (ما معناه هذا)
 أي الذي دعا اليه نوح من التوحيد (في آياتنا الاولى) أي الامم الماضية (ان) أي ما (هو)
 الا رجل بهجنة) أي جنون ولا جله يقول ما يدعيه (فتر بصوابه) أي فتسبب عن الحكم بجنونه
 انانا مكرم بالكف عنه لانه لا حرج على جنونه (حتى) أي الى (حين) لعله يفيق أو يموت فكانه
 قيل فما قال فقيل (قال) عندما أيسر من فلا حرجهم (رب انصرني) أي أعني عليم - ثم (عما كذبون)
 أي بسبب تكذيبهم في فان تكذيب الرسول استحقاف بالمرسل (فأرحمنا) أي فتسبب عن جهالة
 أن أو حينا (اليه أن اصنع الفلك) أي السفينة (بأعيننا) أي انه لا يفتيق عناشي من أمرنا

ولامن أمرهم وأن تعرف قدرتنا على كل شيء فننق بحفظنا ولا نتخف شأمن أمرهم روى أنه لما
أوحى إليه أن يصنعها على مثال جوجو الطائر قال الجوهرى جوجو الطائر والسفينة صدرهما
والجمع الجاسقي • ولما كان لا يعلم الصنعة قال تعالى (ووجينا) أي وأمرنا وتعلمينا كيف تصنع
فان جبريل علمه عمل السفينة ووصف كيفية اتخاذها له وقد تقدم الكلام عليها مستوفى في سورة
هود (فأذا جاء أمرنا) أي بالهلاك عقب فراغك منها أو بالكوب (وفار السور) قال ابن عباس
وجه الأرض وفي القاموس السور الكانون يخبر فيه وجه الأرض وعن قتادة أنه أشرف موضع
في الأرض أي أعلاه وعن علي طلع الفجر وعن الحسن أنه الموضع المنخفض من السفينة
الذي يسيل الماء إليه وقيل هو مثل كقولهم حي الوطيس والأقرب كما قال الرازي وعليه
أكثر المفسرين هو السور المعروف بتدور الخباز فيكون له فيه آية روى أنه قيل لنوح إذا
وأيت الماء يغور في السور فاركب أنت ومن معك في السفينة فلما تبع الماء من السور أخبرته
أمر أنه فركب وقيل كان تنور آدم وكان من حجارة فصارت إلى نوح واختلف في مكانه فعن الشعبي
في مسجد الكوفة عن عيين الداخل مما يلي باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل
بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وقرأ قالون والبري وأبو عمرو وباسقاط الهمزة الأولى
من الهمزتين المفتوحتين من كلمتين وحقق الأولى وسهل الثانية ورش وقيل (فأسلك) أي أدخل
(فيها) أي السفينة (من كل زوجين) من الحيوان (اثنين) ذكر أو أنثى وقرأ حفص بتنوين
اللام من كل أي من كل نوع زوجين فزوجين مفعول واثنين تأكيد وباقون بغير تنوين
فاثنين مفعول ومن متعلق بأسلك وفي القصة ان الله تعالى حشر لنوح السباع والطير وغيرها
لفعل بضرب يده في كل جمع فتقع يده اليمنى على الذكور واليسرى على الانثى فيحملهما
في السفينة وروى أنه لم يحمل الا ما يلذ ويبض (وأهلك) أي وأهل بيتك من زوجك وأولادك
(الامن سبق عليه) لاله (القول منهم) بالهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام
وياقت فحملهم وزوجاتهم الثلاثة وفي سورة هود ومن آمن وما آمن معه الا قليل قيل كانوا ستة
رجال ونساءهم وقيل جميع من كان في السفينة غامية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء
(ولا تخاطبني) أي بالسؤال في الحاجة (في الذين ظلموا) أي كفروا ثم علل ذلك بقوله تعالى (انهم
مفرقون) أي قد حتم القضاء عليهم لظلمهم بالاشراك والمعاصي ومن هذا شأنه لا يشفع له فانه تعالى
بعد ان أملى اثم الدهر المتناول فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمهم الحجة البالغة لم يبق الا أن يجعلوا عبرة
للمعتبرين ونحن نكرمك عن سؤال لا يقبل ولقد بالغ سبحانه وتعالى حيث اتبع النهى عنه
الامر بالجد على هلاكهم والنجاة منهم بقوله تعالى (فإذا استويت) أي اعتدلت (أنت ومن
معك) أي من البشر وغيرهم (على الفلك) فقرغت من امتثال الامر بالجل (فقل الحمد لله) أي
الذي لا كف له لانه مختص بصفات الحمد (الذي يجانا) بحملنا فيه (من القوم) أي الاعداء
الاعنفاء (الظالمين) أي الكافرين لقوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله وب
العالمين • (تنبيه) • انما قال تعالى قل ولم يقل قولوا لان نوح عليه السلام كان لهم نبياء واماما

فكان قوله قولاً لهم مع ما فيه من الأشعار بفضل النبوة وإظهار كبرياء الربوبية وإن رتبته تلك
المخاطبة لا يترقى إليها إلا ملكاً أو نبياً ولما أشار له بهذا القول إلى السلامة بالجلل أسمعته بالإشارة إلى
الوعد بساكن الأرض بقوله تعالى (وقل رب أنزلني) في الظل ثم في الأرض وفي كل منزل تنزلي
به وتورثني إياه (منزل مباركاً) أي يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين وقرأ أبو بكر بفتح
الميم وكسر الزاي أي مكان النزول والباقون بضم الميم وفتح الزاي مصدر أو اسم مكان ثم إن
الله تعالى أمره أن ينفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسلته وهو قوله تعالى (وأنت خير المنزّلين)
مأذرك لأنك تكفي نزيلك كل ملم وتعطيه كل أمر * ولما كانت هذه القصة من أغرب القصص
حث على تدبرها بقوله تعالى (إن في ذلك) أي الأمر العظيم من أمر نوح والسفينة واهلاك
الكفار (آيات) أي دلالات على قدرة الله تعالى وصدق الأنبياء إن المؤمنين هم المفلحون
وأنهم الوارثون للأرض بعد الفالسين وإن عظمت شوكتهم واشتدت صولتهم (وإن كنا)
بما لنا من العظمة والوصف الثابت الدال على تمام القدرة (لمبتلين) أي فاعلين فعل الخبير
المختبر لبعادنا بآصال الرسل ليظهر في عالم الشهادة الصالح منهم من غيره ثم بتلي الصالحين منهم
بما يزيد حسناتهم وينقص سيئاتهم ويعلي درجاتهم ثم نجعل لهم العاقبة كما قال تعالى والعاقبة
للمتقين * (تنبيه) * أن هي الخففة من الثقله واسمها ضمير الشأن واللام هي الفارقة * القصة
الثانية قصة هود وقيل صالح عليهم السلام المذكورة في قوله تعالى (ثم أنشأنا) أي أحدثنا
وأحيينا (من بعدهم) أي من بعدهم (قرنا) أي قوماً (آخرين) هم عاد قوم هود
وقيل هود قوم صالح (فأرسلنا) أي فبعثنا أنشأنا لهم وتسبب عنه أنا أرسلنا (فيهم رسولاً
منهم) هو هود وقيل صالح قال البغوي والأول هو الأظهر وهو المروي عن ابن عباس وشهد له
حكاية الله قول هود وأذكروا أذ جعلكم خلائف من بعدهم قوم يوحى بحججهم قصة هود على أثر قصة
نوح في سورة الاعراف وسورة هود والشعراء ثم بين تعالى ما أرسل به بقوله تعالى (أن اعبدوا
الله) أي وحدوه لأنه لا مكان له ثم دل على الاستغراق بقوله تعالى (مالك من الغيبة أفلا
تتقون) أي هذه الحالة التي أنتم عليها مخافة عقابه فتؤمنون وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر
والكسائي بضم النون في الوصل والباقون بكسرها والقراءة في غير ذلك قريباً (وقال الملا)
أي الأشراف التي تلاءم رؤيتهم الصدور (من قومه الذين كفروا) أي غطوا ما يعرفون من أدلة
التوحيد والانتقام من المشركين (وكذبوا بقاء الآخرة) أي بالمصير إليها (وأترقتهم)
أي والحال أنما لنا من العظمة نعمناهم (في الحياة الدنيا) بالأموال والأولاد وكثرة السرور
يخاطبون أنبأهم (ما هذآ) أشاروا إليه بتعقير اله عند المخاطبين (الابشر منكم)
في الخلق والحال ثم وصفوهم بما يوجب المساواة لهم في كل وصف فقالوا (يا كل عماتاً كلون منه)
أي من طعام الدنيا (ويشرب مما تشربون) أي من شربها فكيف يكون رسولاً دونكم وقولهم
(ولئن) اللام لا م قسم أي والله لئن (أطعمتم بشر مثلكم) أي فيما يأمركم به (انكم إذا) أي
إن أطعموه (لنأسرون) أي يخبونون لكونكم فضلتم مثلكم عليكم بما يدعيه غيرهم ثم بينوا

انكارهم بهولهم (أي بعدكم أنكم اذ انتم) ففارقتم أرواحكم أجسادكم (وكنتم) أي وكنتم
 أجسادكم (تراباً) باستيلاء التراب على مادون عظامكم (وعظماً) مجردة عن اللحم والعصاب
 (أنكم مخرجون) أي من تلك الحالة التي صرتم اليها فخرجون إلى ما كنتم عليه من الحياة
 على ما كان لكم من الأجسام * (تنبيه) * قوله تعالى مخرجون خبر أنكم الأولى وأنكم الثانية
 تأكيداً لها بالمطال الفصل ثم استأنفوا التصريح بمبادل عليه الكلام من استبعاد ذلك فقالوا
 (هيئات هيئات) اسم فعل ماضٍ بمعنى مصدر أي بعد بعد جداً وقال ابن عباس هي كلمة بعد أي
 بعيد ثم كأنه قيل لا شيء هذا الاستبعاد فقيل (لما توعدون) من الإخراج من القبور
 (فان قيل) لما توعدون هو المستبعد ومن حقه أن يرفع هيئات كما ارتفع به في قوله
 * فهيات هيئات العقيق وأهله * فهاهذه اللام (أجيب) بأن الزجاج قال في تفسيره البعد
 لما توعدون فنزل منزلة المصدر ويصح أن تكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة
 الاستبعاد كما جاءت اللام في هيئت تلك لبيان المهية به أو أن اللام زائدة للبيان * (قائدة) * وقف
 البرزى والكسافي على هيئات الأولى والثانية بالهاء والباقيون بالتاء على المرسوم وقولهم (إن هي)
 ضمير لا يعلم ما يعني به إلا بما يتلوه من بيانه وأصله أن الحياة (الاحياء الدنيا) ثم وضع هي موضع
 الحياة لأن الخبر يدل عليها ويظهر منه هي النفس تتحمل ما حلت والمعنى لا حياة إلا هذه الحياة
 لأن النافذة دخلت على هي التي بمعنى الحياة الدالة على الجنس فنشتمها فوازنت لاتي
 نقت ما بعدهم في الجنس (غوت ونحيي) أي يموت منامن هو موجود وينشأ آخرون بعدهم
 وقيل يموت قوم ويحيا قوم وقيل غوت الآباء ونحيا الأبناء وقيل في الآية تقديم وتأخير أي نحيا
 وغوت لأنهم كانوا يشكرون البعث بعد الموت كما قالوا (وما نحن بمبعوثين) بعد الموت فكانه
 قيل فهاهذه الكلام الذي يقوله فقيل كذب ثم حصر وأمره في الكذب فقالوا (إن) أي ما
 (هو إلا رجل افترى) أي نعهده (على الله) أي الملك الأعلى (كذاباً) فلا يلتفت إليه (وما نحن)
 له بمؤمنين) أي بصدقين فيما يخبرنا به من البعث والرسالة فكانه قيل فما قال فقيل (قال رب)
 أي أيها المحسن إلى بالرسالة وبارسالي اليهم وبغيرهم من أنواع النعم (انصرتي) أي أوقع لي النصر
 (بما كذبون) فاجابه به بان (قال فما قبل) من الزمان وما زائدة وأكدت القلة بزيادتها (ايصحن)
 أي لبصيرت (نادمين) أي على كفرهم وتكذيبهم إذا عاينوا العذاب (فأخذتهم الصيحة) أي
 صيحة العذاب والهلاك كأنه (بالحق) أي الأمر الثابت من العذاب الذي لا يمكن مدافعته
 لهم ولاغيرهم غير الله تعالى فأنوا وقيل صيحة جبريل عليه السلام ويكون القوم غود على
 الخلاف السابق (فجعلناهم) بسبب الصيحة (غثاء) أي مطروحين ميتين كما طرح الغثاء شيهوا
 في دمارهم بالغثاء وهو جيل السبل مما يلي واسود من الورق والعيذان ومنه قوله فجعله غثاء
 أجوى أي أسود بابا * ولما كان هلاكهم على هذا الوجه سبباً لهوانهم عبر عنه بقوله تعالى
 (فبعدها) أي هلاكاً وطرداع الرحمة (للقوم الظالمين) الذين وضعوا أوتهمم التي كان يجب
 عليهم بذلها في نصر الرسل في خذلانهم * (تنبيه) * يحتمل هذا الدعاء عليهم والاعخبار عنهم ووضع

الظاهر موضع ضميرهم للتعليل وبعد اوصافها ونقرا وتحتويها ونحوها مصادر موضوعه مواضع
أفعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت بأفعال لا يستعمل أفعالها * القصة
الثالثة المذكورة في قوله تعالى (ثم أنشأنا) أي بعظمتنا التي لا يضرها تقدم ولا تأخير (من
بعدهم) أي من بعد من قدمنا ذكره من نوح والقرن الذي بعده (قرونا) أي أقواما (آخرين)
فهو سبحانه وتعالى نارة يقص علينا في القرآن مفصلا كما تقدم وتارة يقص مجلا كما هنا وقيل
المراد قصة لوط وشعيب وأيوب ويوسف عليهم السلام وعن ابن عباس بنى اسرائيل ثم انه تعالى
أخبر بأنه لم يجعل على أحد منهم قبل الاجل الذي أجل لهم بقوله تعالى (ما تسبق من أمة أجلها)
أي الذي قدر لها بأن قوت قبله (وما يسأخرون) عنه * (تنبيه) * ذكر الضمير بعد تأنيده رعاية
للمعنى ومن زائدة (ثم أرسلنا رسلنا تترأ) أي متتابعين بين كل اثنين زمان طويل وقرأ أبو عمرو
رسلنا بسكون السين والباقيون برفعها وقرأ تترأ ابن كثير وأبو عمرو في الوصل بتثوين الراء على
أنه مصدر بمعنى التواتر وقع حالا والباقيون بغير تثوين ولما كان كأنه قيل فكان ماذا قيل (كلما
جاء أمة رسولها) أي بما أمرناه من التوحيد (كذبوه) أي كافعل هؤلاء لما أمرتهم بذلك
* (تنبيه) * أضاف الرسول مع الارسل الى الرسل ومع الجي الى المرسل اليهم لان الارسل
الذي هو مبدأ الامر منه والجي الذي هو انتهاء اليهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتصديق
الاولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والواو والباقيون بتحققة قهما وهم على مراتبهم في المذ
(فأتبعنا) القرون بسبب تكذيبهم (بعضهم بعضا) في الاهلاك فليسبق عند الناس منهم الا
أخبارهم كما قال تعالى (وجعلناهم أحاديث) أي أخبارا يسمعونها ويتعجب منها ليكونوا غظة
للمستبصرين ففعلوا أنه لا يفلح الكافرون ولا يخيب المؤمنون وما أحسن قول القائل
ولاشي يدوم فكيف حديثنا * جميل الذكر فالذي حديث

والاحاديث تكون جمعا للحديث ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكون جمعا
للاحادوث التي هي مثل الالهوية والالوعية وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعبها وهو المراد هنا
ولما سبب عن تكذيبهم هلا كههم المقتضى لبعدهم قال تعالى (فبعثنا القوم) أي أقواما على
ما يطلب منهم (لا يؤمنون) أي لا يوجد منهم ايمان وان جرت عليهم الفصول الاربعة لانه
لا مزاج لهم معتدل * القصة الرابعة قصة موسى وهرون عليهما السلام المذكورة في قوله
تعالى (ثم أرسلنا) أي بعنا لنامن العظيمة (موسى وأخاه هرون بآياتنا) قال ابن عباس الآيات
التسع وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والبحر والسنين ونقص الثمرات
(وسلطان مبين) أي حجة بينة وهي العصا وأفردها بالذكر لانها قد تعلق بها معجزات شتى من
انقلابها حية ونفثها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من البحر بضر بها
وكونها حاربا وشجعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاه فجعلت مكانها البست بعضا
لما استبدت به من الفضائل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته
ورسله وجبريل وميكال ويحورزان يراد بالآيات نفس تلك المعجزات وبالسلطان المبين كيفية

دلالتها على الصدق وذلك لانها وان شاركت آيات سائر الانبياء في كونها آيات فقد فارقتها
 في قوة دلالتها على قول موسى عليه السلام وان يراد بالسلطان المين المعجزات والآيات الحجج
 وان يراد بها المعجزات فانها آيات النبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبي قال الرازي واعلم ان
 الآية تدل على أن معجزات موسى كانت معجزات هرون أيضا وان النبوة كما كانت مشتركة
 بينهما فكذلك المعجزات (الى فرعون وملأه) أي وقومه ولكن لما كان الاطراف
 لا يخالفون الاشراف عداهم عدما ومن الواضح ان التقدير أن اعبدوا الله ما لكم من غيره
 وأشار بقوله تعالى (فاستكبروا) الى انهم أوجدوا الكبر عن الاتباع فبيادعهم الى عقب
 الابلاغ من غير تأمل ولا ثبت وطلبوا أن لا يكونوا تحت أمر من دعاهم وأشار بالكون الى
 فساد جبلتهم بقوله تعالى (وكانوا اقواما) أي اقوياء (عالمين) أي متكبرين فاهرين غيرهم بالظلم
 ولما تسبب عن استكبارهم وعلوهم انكارهم للاتباع قال تعالى (فقالوا أنؤمن) أي بالله تعالى
 مصدقين (لبشرين مثلنا) أي في البشرية والمآكل والمشرب وغيرهما مما يعتري البشر كما قال
 من تقدمهم (وقومهم) أي والحال ان قومهم أي بني اسرائيل (لنا عابدون) خضوعا
 وتذللًا أي في غاية الذل والافتقار كالعبيد فنحن أعلى منهما بهذا لأنه كان يدعي الالهية فادعى
 للناس العبادته وأن طاعتهم له عبادة على الحقيقة (فكذبوهما) أي فرعون وملأوه موسى
 وهرون (فكانوا) أي فرعون وملأوه بسبب تكذيبهم (من المهلكين) أي بالغرق بصير القارزم
 ولم تكن عنهم قوتهم في أنفسهم ولا قوتهم على خصوص بني اسرائيل واستعبادهم ولا ضربي
 اسرائيل ضعفهم عن دفاعهم ولا ذلهم لهم وصغارهم في أيديهم ولما كان ضلال بني اسرائيل
 بعد اقتادهم من عبودية فرعون وقومه أعجب قال تعالى نسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم (ولقد
 آتينا) أي بعضنا (موسى الكتاب) أي التوراة (لعلهم) أي قوم موسى وهرون عليهم
 السلام (يهتدون) من الضلالة الى المعارف والاحكام ولا يصح عود الضمير الى فرعون وملأه
 لان التوراة انما اوتيت لبني اسرائيل بعد اغراق فرعون وملأه بدليل قوله تعالى واقد آتينا
 موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى * القصة الخامسة قصة عيسى عليه السلام
 المذكورة في قوله تعالى (وجعلنا) أي بعضنا وقدرتنا (ابن مريم) نسبه اليها حقيقة الكونه
 لأب له وكونه بشرا محمولا في البطن مولودا لا يصح لربته الالهية وزاد في تحقيق ذلك بقوله
 (وأمه) وقال تعالى (آية) ولم يقل آيتين لان الآية فيهما واحدة ولادته من غير خلل ويحتمل
 ان الآية الاولى حذف لدلالة الثانية عليها والتقدير وجعلنا ابن مريم آية واثمة آية لان الله
 تعالى جعل مريم آية لانها حملته من غير ذكر وقال الحسن قد تكلمت في صغرها كما تكلم عيسى
 وهو قولها هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ولم تلتم ثديا قط * (تنبيه) قال
 بعض المفسرين ولعل في ذلك إشارة الى انه تكلمت به آية للقدرة على ايجاد الانسان بكل
 اعتبار من غير ذكر ولا أنثى وهو آدم عليه السلام ومن ذكر بلا أنثى وهي حواء عليها السلام ومن
 أنثى بلا ذكر وهو عيسى عليه السلام ومن الزوجين وهو بقية الناس (وآوانهما) أي

بعضمتنا (الى ربوة) أى مكان عال من الارض * (تنبيه) * قد اختلف في هذه الربوة فقال عطاه
عن ابن عباس هي بيت المقدس وهو قول قتادة وكعب قال كعب هي أقرب الارض الى السماء
بثمانية عشر ميلا وقال عبد الله بن سلام هي دمشق وقال أبو هريرة هي الرملة وقال السدي
هي أرض فلسطين وقال ابن زيد هي مصر وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء والباقون بضم الراء
(ذات قرار) أى منبسطة مستوية واسعة يستقر عليها ساكنوها (ومعين) أى ماء جار ظاهر
تراه العيون * (تنبيه) * قد اختلف في زيادة معين واصالته اقبحه من جعلها مضعولا أنه
مدرك العين لظهوره من عانه اذا أدركه بعينه نحو ركبته اذا ضرب به ركبته ووجهه من جعله فعلا
أنه نفاع لظهوره وبحريه من الماعون وهو المنفعة قيل سبب الاواء أنها مرت بانها الى الربوة
وبقيت بها اثني عشرة سنة ثم رجعت الى أهلها بمداينات ملكهم وههنا آخر القصص وقد
اختلف في الخطاب بقوله تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) على وجوه أحدها أنه محمد صلى
الله عليه وسلم وحده على مذهب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجماعة ثانياً أنه عيسى عليه
السلام لانه روى أن عيسى عليه السلام كان يأكل من غزل أمته ثالثاً أنه كل رسول خوطب
بذلك ووصى به لانه تعالى في الازل منكم أمرناه ولا يشترط في الامر وجود الماء ويزن بل الخطاب
ازل على تقدير وجود المخاطبين فنقول البضاوى لا على أنهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارساوا
في أرضة مختلفة بل على معنى ان كلامهم خوطب به في زمانه تبع فيه الكشاف فان المعتزلة
أفكروا قدم الكلام فعملوا الآية على خلاف ظاهرها وأنت خبير بأن عدم اشتراط ما ذكر
انما هو في التعلق المعنوي لا التعيزي الذي الكلام فيه فانه مشروط فيه بذلك وانما مخاطب جميع
الرسل بذلك ليعتقد السامع ان أمر اخوطب به جميع الرسل ووصاؤه حقيق أن يؤخذ به
ويعمل عليه وهذا كما قال الرازي أقرب لانه روى عن ام عبد الله أنها شتت اذبن أوس
أنها بعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم به قدح من لبن في شدة الحر عند فطره وهو صائم فرد
صلى الله عليه وسلم الرسول اليها وقال من أين لك هذا فقالت من شاة في ثم رده صلى الله عليه وسلم
وقال من أين هذه الشاة فقالت اشتريتها من مالي فأخذه ثم انها جاءته فقالت يا رسول الله
لم رددته فقال صلى الله عليه وسلم بذلك أمرت الرسل أن لاتأكل الا طيبا ولا تعمل الا صالحا
والمراد بالطيب الحلال وقيل طيبات الرزق الحلال الصافي القوام فالحلال هو الذي لا يعصى
الله تعالى فيه والصافي هو الذي لا ينسى الله فيه والقوام هو الذي يحسك النفس ويصفى العقل
وقيل المراد بالطيب المستلذ أى ما تستلذه النفس من المأكول والمشرب والقواكه ويشهده
بجيشه على عقب قوله تعالى وآتيناهما الى ربوة ذات قرار ومعين واعلم أنه سبحانه وتعالى كما قال
للمسلمين يا أيها الرسل كلوا من الطيبات قال لا تؤمنين يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم ودل سبحانه وتعالى على ان الحلال هو على الطاعة بقوله تعالى (واعلموا صالحا)
فرضا وطلاعا ووجهاً غير خافين من أحد غير الله تعالى ثم حثهم على دوام المراقبة بقوله تعالى
(الى جاء) أى بكل شئ (تصلون عليهم) أى بالغ العلم فاجاز بك عليه وقرأ (وان هذه) بكسر

الهمة الكوفيون على الاستئناف والباقون بغضها على تقدير واعلموا أن هذا مأمور
 الاسلام وخفف النون ساكنة ابن عامر وشدها مفتوحة الباقر (أمتكم) أى دينكم
 أيها المخاطبون أى يجب أن تكونوا عليها حال كونها (أمة واحدة) لاشتات فيها أصلا
 فدامت موحدة فهي مرضية (وأنا ربكم) أى المحسن إليكم بالخلق والرزق وحدى فمن
 وعدنى نجاة من أشرك معى غيرى هلك (فاتقون) أى فاحذرون (تقطعوا) أى الام
 وانما أضمرهم لوضوح ارادتهم لان الآية التى قبلها قد صرحت بأن الانبياء ومن نجابهم هم
 أمة واحدة لا خلاف بينهم افعل قطعا أن الضمير الام ومن نشأ بعدهم وذلك كان النظر الى
 الامر الذى كان واحدا أهم فقدم وقوله (أمرهم) أى دينهم بعد ان كان بمجمعة متصلا
 (بينهم) وقوله تعالى (زبرا) حال من فاعل تقطعوا أى أحرابا متضالعين فصاروا فرقا
 كما هو ودوالنصارى والمجوس وغيرهم من الاديان المختلفة جمع زبور بمعنى الفرقة وقبل
 معنى زبرا كتبوا أى غسك كل قوم بكتاب فآمنوا به وكفروا بما سواه من الكتب (كل
 حزب) أى فرقة من المتخزين (بمالهم) أى عندهم من ضلال وهدى وقرأ حزة بضم
 الهاء والباقر بكسرهما (فرحون) أى مسرورون فضلا عن أنهم راضون وقوله تعالى
 (قد رهم) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أى اترك كفار مكة (في غمرهم) أى ضلالهم
 شبهها بالماء الذى يغمر القامة لانهم مغمورون فيها (حتى حين) أى الى أن يقتلوا أو يؤبوا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيرهم ولما
 كان الموجب لغرورهم ظنهم ان حالهم فى بسط الارزاق من الاموال والاولاد حالة رضا
 عنهم أنكر ذلك عليهم تنبيها لمن سبقت له السعادة وكتبت له الحسنى وزيادة فقال تعالى
 (أيحسبون) أى لنصف عقولهم وقرأ ابن عامر وعاصم وحزب بفتح السين والباقر بكسرهما
 (أعماهم) أى عظمهم ونجعله مددا لهم (به من مال) يسره لهم (وبين) تمتعهم بهم ثم أخبر عن
 أن بقوله تعالى (تسارع) أى فجعل (لهم) أى به (في الخيرات) لا تفعل ذلك (بل لا يشعرون)
 أنهم فى غاية البعد عن الخيرات فسندرجهم من حيث لا يعلمون وقال تعالى فى موضع آخر
 فلا تعجلكم أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وزهق أنفسهم
 وهم كافرون وروى عن زيد بن مسرة أنه قال أوحى الله تعالى الى نبي من الانبياء أن يفرح
 عبدي أن أبسط اليه الدنيا وهو أبعد له منى ويحزن أن أقبض عنه الدنيا وهو أقرب له منى
 وعن الحسن انه لما أتى عمر رضى الله عنه بسوارى كسرى فأخذهما ووضعهما فى يد سراقه
 ابن مالك قبل ان يكتبه فقال عمر اللهم انى قد علمت ان نبيك عليه الصلاة والسلام كان يحب أن
 يصيب ما لا ينفعه فى سبيك فزوت ذلك عنه ثم ان أبابكر كان يحب ذلك اللهم لا يكون ذلك
 مكرامتك ثم فلا يحسبون الآية ولذا ذكر أهل الاتفاق ذكر أهل الوفاق ووصفهم بأربع
 صفات الاولى قوله تعالى (ان الذين هم) أى يواطئهم (من خشية ربهم) أى الخوف العظيم من
 المحسن اليهم المزمع عليهم (مشفقون) أى دافعون على الحذر الصفة الثانية قوله تعالى (والذين

هم بآيات ربهم) أى القرآن (يؤمنون) أى يصدقون الصفة الثالثة قوله تعالى (والذين هم
 بربهم) أى الذى لا يحسن اليهم غيره (لأبشركون) أى شيأمن شركى وقت من الاوقات
 كالم يشركى الاحسان اليهم أحد * ولما أثبت لهم الايمان الخاص نفى عنهم المحب بقوله
 تعالى (والذين يؤمنون) أى يعطون (مآثراً) أى ما اعطوا من الصدقة والاعمال الصالحة وهذه
 الصفة الرابعة (وقلوبهم وجله) أى شديدة الخوف أن لا يقبل منهم ولا ينصيبهم من عذاب الله
 ثم علل ذلك بقوله تعالى (أنهم الى ربهم) أى الذى طال احسانه اليهم (راجعون) بالبعث
 فيجازيهم على التقدير والقطمير ويجزيهم بكل قليل وكثير وهو الناقد البصير ولا تنفع هناك
 الندامة وليس هناك الا الحكم العدل والحكم القاطع من جهة مالك الملك قال الحسن
 البصرى المؤمن جمع ايمان وخشية والمنافق جمع اساءة وامنا * ثم أثبت لهم ما فهم ان ضده
 لاخذادهم بقوله تعالى (أولئك يسارعون فى الخسرات وهم لها سابقون) أى يبادرون الى
 الاعمال الصالحة قبل الموت * ولما ذكر تعالى كيفية أعمال المؤمنين المخلصين ذكر أنه تعالى
 لا يكلف أحد فوق طاقته بقوله تعالى (ولا تكلف نفسا الا وسعها) أى طاقتها فمن لم يستطع أن
 يصلى الفرض فأنما يقلص قاعدا ومن لم يستطع أن يصلى قاعدا فقلص مضطجعا ومن لم يستطع
 أن يصوم رمضان فليطهرا لانبى الخلق على العجز (ولدينا) أى وعندنا (كتاب ينطق بالحق)
 بما علمته كل نفس وهو اللوح المحفوظ تسطر فيه الاعمال وقيل كتب الحفظة وتطيره قوله
 تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وقوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فنبه تعالى
 الكتاب عن يصدر عنه البيان فان الكتاب لا ينطق لكنه يعرف بما فيه كما يعرف بنطق الناطق
 اذا كان محققا (فان قيل) ما فائدة ذلك الكتاب مع ان الله تعالى يعلم ذلك اذ لا تخفى عليه خافية
 (اجيب) بأن الله تعالى يفعل ما يشاء وقد يكون فى ذلك حكمة لا يطلع عليها الا هو تعالى (وهم)
 أى الخلق كلهم (لا يظلمون) أى لا ينقص من حسناتهم ولا يزداد فى سيئاتهم * ثم ذكر حال الكفار
 فقال تعالى (بل قلوبهم) أى الكفرة من الخلق (فى غمرة) أى جهالة قد أغرقتها (من هذا) أى
 القرآن الذى وصف به حال هؤلاء * ومن كآب الحفظة (ولهم أعمال من دون ذلك) المذكور
 للمؤمنين (هم) أى الكفار (لها) أى لتلك الاعمال الخبيثة (عاملون) أى لا بد أن يعملوها
 فيعذبون عليها لما سبق لهم من الشقاوة (حتى اذا أخذنا متفرقيهم) أى رؤساءهم وأغنياءهم
 (بالعذاب) قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع دعا عليهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وقال اللهم اشد وطأك على مضروا جعلها عليهم سنين كسنى يوسف فابتلاههم الله
 تعالى بالقطع حتى أكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والقذروا الاولاد (اذا هم يجأرون)
 أى يصيحون ويستغيثون ويجزعون وأصل الجأ رفع الصوت بالتضرع قاله البغوى فكانت
 قيل فهل يقبل اعتذارهم أو يرحم انكسارهم فقيل لا بل يقال لهم بلسان الحال أو المقال
 (لا تجأروا اليوم) فان الجأ غير نافع لكم * ثم علل ذلك بقوله تعالى (انكم مثالا تنصرون) أى
 بوجه من الوجوه ومن عدم نصرتهم بالجملة ناصر اخلافه فائدة تلحق الا انظر الى الجزع ثم علل ذلك

فصر لهم بقوله تعالى (قد كانت آياتي) أي من القرآن (تلى عليكم) أي من أوليائهم وهم الهداة
 النصحاء (فكنتم) كوناهاو كالجليلة (على أعقابكم) عند تلاوتها (تنكسون) أي تعرضون
 مدبرين عن سماعها والعمل بها والنكوص الرجوع القهقري (متكبرين) عن الإيمان
 واختلف في عود الضمير في (به) فقال ابن عباس بالبيت الحرام وشبهة استنكارهم واقتضاهم
 أنهم قوامه أغنت عن سبق ذكره وذلك أنهم يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر
 علينا أحد ولا يخاف أحدا فإيمانهم فيه وسائر الناس في الخوف وقيل بالقرآن فلم يؤمنوا به
 وقوله تعالى (سامرا) نصب على الحال أي جماعة تصعدون بالسل حول البيت وقوله تعالى
 (تهجرون) قرأه نافع بضم التاء وكسر الجيم من الالهجار وهو الاخفاش أي تفحشون وتقولون
 الخناذكر أنهم كانوا يسبون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والباقون بفتح التاء وضم الجيم
 أي تعرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الإيمان وعن القرآن وترفضونها وتسمون
 القرآن سحرا وشعرا ثم انه تعالى لما وصف حالهم رد عليهم بأن أن اقدامهم على هذه الامور
 لا بد أن يكون لاحد أمور أربعة أحدها أن لا يتأملوا في دليل نبوته وهو المراد من قوله تعالى
 (أفلم يدبروا القول) أي القرآن الدال على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأصل يدبروا يتدبروا
 أدغمت التاء في الدال ثانيها أن يعتقدوا ان ما جاء به الرسول أمر على خلاف العادة وهو
 المراد من قوله تعالى (أم جاءهم) في هذا القول (مالم يأت آباءهم الاولين) الذين بعد اسمعيل
 وقيله ثالثها أن لا يكونوا عالمين بأمانته وحسن حاله قبل ادعائه النبوة وهو المراد من قوله تعالى
 (أم لم يعرفوا رسوله) أي الذي أتاهم بهذا القول الذي لا قول مثله وهم يعرفون نسبه
 وصدقه وأمانته وما جاءهم به من معالي الاخلاق حتى أنهم لا يجدون فيه اذا تحققت الحقائق
 فقصصة يذكرونها ولا وصحة يستحلونها كما دلت عليه الاحاديث الصحاح منها حديث أبي سفيان
 ابن حرب الذي في قول الضاري في سؤال هرقل ملك الروم له عن شأنه صلى الله عليه وسلم وقد
 اتفقت كلتهم عليه بتسميته الامين (فهم) أي فتسبب عن جهلهم به أنهم (له) أي نفسه أو القول
 الذي أتى به (متكبرون) فيكونوا ممن جهل الحق لجهل حال الآتي به وفي هذا غاية التوبيخ لهم
 بجهلهم وبغباوتهم بأنهم يعرفون أنه أصدق الخلق وأعلامهم في كل معنى جميل ثم كذبوه رابعها
 أن يعتقدوا فيه الجنون فيقولوا انما جعله على ادعائه الرسالة جنونه وهو المراد من قوله تعالى
 (أم يقولون) أي بعد تدبر ما أتى به وعدم عثورهم فيه على وجه من وجوه الطعن (به) أي
 رسوله (جنه) أي جنون فلا يوثق به * ولما كانت هذه الاقسام منفية عنه فأنهم أعرف
 الناس بهذا النبي الكريم وانه أكملهم خلقا وأشرفهم خلقا وأظهرهم شيئا وأعظمهم
 همما وأرجحهم عقلا وأمتهم رأيا وأرضاءهم قولا وأصوبهم فعلا اضرب عنها وقال تعالى (بل)
 أي لم ينكسوا عند سماع الآيات ويسمروا ويهجروا لاعتقاد شئ مما مضى وانما فعلوا
 ذلك لأن هذا الرسول الكريم (جاءهم بالحق) أي القرآن المشتغل على التوحيد وشرائع
 الاسلام وقال الجلال المحلى الاستفهام فيه للتقرير بالحق من صدق النبي وبجيء الرسول للام

الماضية ومعرفه رسولهم بالصدق والامانة وان لاجنون به وبلى للانتقال (وأكثرهم) أي
 والحال ان أكثرهم (اللعن كارهون) متابعه لالهواء الرديه والشهوات البهيمة عناد وانما قيد
 تعالى الحكم بالاكثر لان بعضهم يترك جهلا وتقليدا وخوفا من أن يقال صبا وبهضم يتبعه
 توفيقا من الله تعالى وتأيد انهم بين تعالى ان اتباع الهوى يؤدي الى الفساد العظيم بقوله تعالى
 (ولو اتبع الحق أي القرآن أهواهم) بأن جاء بما به ووه من الشرك والولد لله تعالى الله عن
 ذلك علوا كبيرا (لفسدت السموات) على علوها واحكامها (والارض) على كثافتها وانتظامها
 (ومن فيهن) على كثرتهم وانتشارهم وقوتهم أي خرجت عن نظامها المشاهد بسبب ادعائهم
 تعدد الالهة لوجود المتماثل في الشيء عادة عند تعدد الحاكم كما سبق تقريره في قوله تعالى
 لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا (بل أنذاهم) بعضهم (بذكرهم) أي بالقرآن الذي فيه ذكرهم
 وشرهم وقيل بالذكر الذي غنوه بقولهم لو أن عندنا ذكرا من الأولين (نهم عن ذكرهم) أي
 الذي هو شرفهم (معروضون) لا يلتفتون اليه ثم بين تعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يطمع
 فيهم حتى يكون ذلك سببا لغرهم بقوله تعالى (أم تسألهم) أي على ما جنتهم به (خرجا) أي أجرا
 وقرأ حجة والكسافي بفتح الراء وبعدها ألف والباقون يسكون الراء * ولما كان الانكار عنه
 النفي حسن موقع فاء السببية في قوله تعالى (أخرج ربك) أي رزقه في الدنيا وثوابه في العقبى
 (خبر) لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطاءهم وقرأ ابن عامر يسكون الراء والباقون
 بقضها وألف بعدها قال أبو عمرو بن العلاء اخرج مائبرعت به واخرج مالزمتك أداؤه قال
 الزنجشري والوجه ان اخرج أخص من اخرج كقولك اخرج القرية وخرج الكردة أي
 الرقة زيادة اللفظ زيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرأ أخرجا فخرج ربك يعني أم تسألهم
 على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خبر وقوله تعالى (وهو خير
 الرازقين) تقرير لخبره خراجه * ولما يفي سبحانه وتعالى طريق القوم اتبعه بصحة ما جاء به
 الرسول عليه السلام بقوله تعالى (وانك تدعوهم الى صراط مستقيم) تشهد عقولهم السليمة
 على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له كما تشهد له به العقول الصحيحة فمن سلكه أو صله الى
 الغرض فجاز كل شرف * (تنبيه) * قد أزمهم الله تعالى الحجية في هذه الآيات وقطع معاذيرهم
 وعلمهم فان الذي أرسل اليهم رجل معروف أمره وحاله مخبور سره وعلمه خليف بأن يجتبي مثله
 للرسالة من بين ظهريهم وأنه لم يعرض له حتى يدعى مثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل له
 سلما الى التل من دنياهم واستعطاء أموالهم ولم يدعهم الى دين الاسلام الذي هو الصراط
 المستقيم الامع ابرازا لم يكون من أدوائهم وهو اخلاصهم بالتدبر والتأمل من غير رهان (وان
 الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي بالبعث والنواب والعقاب (عن الصراط) أي الذي لا صراط
 غير لانه لا موصل الى القصد غيره (لنا كبون) أي عادلون منصرفون في سائر أحوالهم سائرون
 على غير منهج أصلا بل خبط عشواء (ولو رجناهم) أي عاملناهم معاملته المرحوم في ازالة ضرره
 وهو معنى قوله تعالى (وكشفنا ما بهم من ضر) أي جوع أصابهم عكة سبع سنين (لجوا)

أى عادوا واتخذوا (فى طغيانهم) الذى كانوا عليه قبل هذا (بعمهون) أى يترددون ولقد أخذناهم بالذاب (وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا على قريش أن يجعل عليهم سنين كسنى يوسف فأصابهم القحط فجاء يوسفان الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألسنتى زعم أنك بعثت رجة للعالمين فقال بلى فقال قد قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع وقد أكلوا القثر والعظام والعلهز وشككنا به الضرع فادع الله تعالى يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فأنزل الله تعالى هذه الآية * (تنبيه) * العلهز ويرى بخاط بدماه اللحم فيؤكل فى الجذب والعلهز أيضا القراد الضخم وشكك بعض الاعراب الى النبى صلى الله عليه وسلم السنة فقال

ولا شئ مما يماي كل الناس عندها * سوى الخنظل العامى والعلهز القبل

وليس لنا الا اليك فرارنا * وأين فرار الناس الا الى الرسل

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واستسقى لرفع هذه المحن فقال الله تعالى عنهم (فما استكفونا) أى خضعوا خضوعا هو كالجلبه لهم وأصله طلب السكون (لربهم) أى المحسن اليهم عقب المحنة (وما ينضرون) أى يجددون الدعاء بالخضوع والذل والخشوع فى كل وقت بحيث يكون لهم عادة بل هم على ما جبلوا عليه من الاستكبار والعنق (حتى اذا قضت عليهم بابادا) أى صاحب (عذاب شديد) قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر وهو قول مجاهد وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة (اذا هم فيه) أى ذلك الباب مطروحون لا يقدرون منه على نفع خلاص (مبلسون) متحيرون آيسون من كل خير ثم انه سبحانه القت الى خطايهم وبين عظيم نعمته من وجوه أحدها ما ذكره بقوله تعالى (وهو الذى أنشأ) أى خلق (لكم) يامن يكذب بالآخرة (السمع) بمعنى الاسماع (والابصار) على غير مثال سبق لتحسنوا بها ما نصب من الآيات (والانفدة) أى التى هى مراكره العقول فتفكروا فى الآيات وتستدلوا بها على الوحدة فكنتم بها على من بقية الحيوان جمع فؤاد وهو القلب وانما خص هذه الثلاثة بالذكر لانه يهلق بهامن المسافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها فمن لم يمسها فمما خلقت له فهو بمنزلة عمادها كما قال عز وجل فما أغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من شئ إذ كانوا يجحدون بآيات الله * ولما صور لهم هذه النعم وهى بحيث لا يشك عاقل فى أنه لو تصور أن يعطى آدمى شيئا منها لم يقدر على مكافئته حسن تبيكينهم فى كفر النعم فقال تعالى (قليلًا ما تشكرون) لمن أولاكم هذه النعم التى لا يقدر غيره على شئ منها مع ادعائكم انكم اذكركم الناس لمن أسدى اليكم أقل ما يكون من النعم التى يقدر على مثلها كل أحد فكيف يذلل مثل الحيوانات الهجم مما يكابها قال أبو مسلم ليس المراد ان لهم شكرا وان قل لكنه كما يقال للكفور الجاحد النعمة ما أقل شكر فلان ثنائها ما ذكره فى قوله تعالى (وهو) أى وحده (الذى ذرأكم) أى خلقكم وشكم (فى الارض) للتنازل (والله) وحده (تخسرون) يوم التشور نالها ما ذكره بقوله تعالى (وهو) أى وحده (الذى) من شأنه أنه يحيى

ومجتبى فلا مانع له من البعث ولا غيره بما يريد به رابعهما ما ذكره بقوله تعالى (وله اختلاف
 الليل والنهار) أى التصرف فيه ما بالسواد والبياض والزيادة والنقصان (أفلا تعقلون) أى
 بالنظر والتأمل أن الكل منا وإن قدرنا تم المكاثات كلها وإن البعث من جملتها فتعتبرون
 * ولما كان معنى الاستفهام الإنكارى الذى حسن بعده قوله تعالى (بل قالوا) أى هؤلاء
 العرب (مثل ما قال الأولون) من قوم نوح ومن بعدهم فقالوا ذلك تقليد للآخرين ثم حكى الشبهة
 عنهم من وجهين أحدهما ما ذكره بقوله تعالى (قالوا) أى منكرين للبعث متعجبين من أمره
 (أندامنا وكنا) أى بالبلاء بعد الموت (ترابا وعظاما) فخره ثم أكدوا الإنكار بقوله لهم
 (ألمنبعوثون) أى نحشورون بعد ذلك قالوا ذلك استبعادا ولم يأتوا بها إلا أنهم قبل ذلك أيضا
 كانوا ترابا خلقوا ثانيا بما ذكره بقوله تعالى أنهم قالوا (لقد وعدنا نحن وآبائنا هذا) أى البعث
 بعد الموت (من قبل) كأنهم قالوا إن هذا الوعد كما وقع منه صلى الله عليه وسلم فقد وقع قديما
 من سائر الأنبياء ولم يوجد مع طول العهد وظنوا أن الأعادة تكون فى دار الدنيا ثم قالوا (إن)
 أى ما (هذه الأساطير) أى أكاذيب (الآولين) كالأضاحيك والأعاجيب جمع أسطورة
 بالضم وقيل جمع أسطار جمع سطر قال رؤبة * أنى واسطار سطر سطر * وهو ما كتبه الأولون
 مما لا حقيقة له * ولما أنكروا البعث هذا الإنكار المؤكد ونفوه هذا النفي المحتمل أمره الله تعالى
 أن يقرهم بثلاثة أشياء هم بها مقرون ولها ما عرفون يلزمهم من نسلها الإقرار بالبعث قطعا
 أحدها قوله تعالى (قل) أى يجيبا لإنكارهم البعث لما لم يسم (لمن الأرض) أى على سعتها
 وكثرة مجازيها (ومن فيها) على كثرتهم واختلافهم (أن كنتم) أى مما هو كالجلبلة لكم (تعلمون)
 أى أهلا للعلم وفيه تنبيه على أنهم أنكروا شيئا لا ينكره عاقل * ولما كانوا مقرين بذلك أخبر
 تعالى عن جوابهم قبل جوابهم ليكون من دلائل النبوة وعلام الرسالة بقوله تعالى استنفاذا
 (سيقولون) أى قطعا ذلك كله (لله) أى المختص بصفات الكمال ثم أنه تعالى أمره بقوله (قل)
 أى لهم إذا قالوا لك ذلك منكرا عليهم (أفلا تذكرون) أى فى ذلك المركز وفى طباعكم المقطوع
 به عندكم ما غفلتم عنه من تمام قدرته وباهر عظمته فتصدقوا ما أخبر به من البعث الذى
 هو دون ذلك وتعلموا أنه لا يصلح شئ منها وهو ملكه أن يكون شريكا له تعالى ولأولاد وتعلموا
 أن القادر على الخلق ابتداء قادر على الأحياء بعد الموت وأنه لا يصح فى الحكمة أصلا أن يترك
 البعث لأن أقلكم لا يرضى بترك حساب عبيده والعبد بينهم وقرا حفص وحزرة والكسافى
 بتخفيف الذال والباقون بالتشديد بادغام التاء الثانية فى الذال ثانيا قوله تعالى (قل) أى لهم
 (من رب) أى خالق ومدبر (السموات السبع) كما شاهدون من حركاتها وسيرها فلا (كها
 ورب العرش) أى المسمى (العظيم) كما قال تعالى وسع كرسيه السموات والأرض
 (سيقولون لله) أى الذى له كل شئ هو رب ذلك لأجواب لهم غير ذلك ولما تأكد الأمر وزاد
 الوضوح حسن التهديد على التحدى فقال تعالى (قل) أى منكرا عليهم (أفلا تتقون)
 أى تحذرون عبادة غيره فالثالث قوله (قل) أمره الله تعالى بعد ما قرأهم بالعالمين العلوى والسفلى

أن يقررهم بما هو أعم وأعظم وهو قوله تعالى (من بيده) أي من تحت قدرته ومشيئته (ملكوت
 كل شئ) من أنس وجن وغيرهما والملكوت الملك البليغ قال ابن الأثير كانت العرب إذا كان
 السيد فيهم أجار أحدا لا يحضر جواره وليس لمن دونه أن يجبر عليه فلا يعاب عليه ولو أجار
 ما أفاد ولهذا قال تعالى (وهو يجبر) أي يمنع ويغيث من شاء فيكون في حرز لا يقدر أحد على
 الدخول من ساحته (ولا يجار عليه) أي ولا يمكن أحد أبدا أن يجبر جوارا يكون مستعليا عليه
 بأن يكون على غير مراده بل يأخذ من أراد وإن نصره جميع الخلق ويعلى من أراد وإن
 تحاملت عليه كل المصائب فبين كالشمس أنه لا شريك بجانبه ولا ولد يضارعه وأنه السيد
 العظيم الذي لا أعظم منه الذي له الخلق والامر ولا معقب لحكمه وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن
 ثم ألهمهم إلى المبادأة إلى الاعتراف به وهيبهم بقوله تعالى (ان كنتم تعلمون) أي في عداد من
 يعلم ولذلك استأنف قوله تعالى (سيقولون لله) أي الذي بيده ذلك خاص به * (تنبيه) *
 سيقولون لله الأول لا خلاف فيها وأما الثانية والثالثة فقرأ أبو عمرو سيقولون الله بزيادة
 همزة الوصل مع التثنية فيه ما ورفع الماء والباقيون بغير همزة الوصل مع التثنية وكسر الماء
 والتقدير ذلك كله لله * ولما كان جوابهم بذلك يقتضي انكار ما يقضيه في الأقارب بالبعث استأنف
 قوله تعالى (قل) أي لهم منكر عليهم (فأنى تسحرون) أي فكيف بعد أقراكم بهذا كله
 تتحدعون وتصرفون عن الحق وكيف تخيل لكم أنه باطل * ولما كان الانكار بمعنى النفي حسن
 قوله تعالى (بل) أي ليس الامر كما يقولون بل (أنتنهم بالحق) أي بالصدق من التوحيد والوعد
 بالشور (فأنهم لكاذبون) في كل ما ادعوه من الولد والشريك وغيرهما مما بين القرآن
 فساده ومن أعظم كذبهم قولهم اتخذ الرحمن ولدا قال تعالى رد عليهم (ما اتخذ الله) أي
 الذي لا كف له (من ولد) أي لا من الملائكة ولا من غيرهم لما قام من الأدلة على غناه وأنه
 لا يحتاج له * ولما كان الولد أخص من مطلق الشريك قال تعالى (وما كان معه) أي بوجه
 من الوجوه (من اله) يشابه في الألوهية (إذا) لو كان معه اله آخر (لذهب كل اله بما خلق)
 بالتصرف فيه وحده ليميزه بمال غيره (فان قيل) إذا تدخل الأعلى كلام هو جزاء وجواب
 فكيف وقع قوله تعالى لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل (أجيب) بأن
 الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة وانما حذف لدلالة قوله تعالى وما كان معه من اله
 عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين (ولعل بعضهم) أي بعض الآلهة (على
 بعض) إذا تخالفت أوامرهم فلم يرض أحد منهم أن يضاف ما خلقه إلى غيره ولأن بعض في
 أمر على غير مراده كما هو مقتضى العادة فلا يكون المفلوب اله العجز ولا يكون مجبرا غير
 مجار عليه بيده وحده ملكوت كل شئ * ولما طابق الدليل الازماني الشريك نزه نفسه
 الشريفة بما هو نتيجة ذلك من قوله تعالى (سبحان الله) أي المتصف بجميع صفات الكمال
 المنزه عن شائبة هكل نقص (عما يصفون) من كل ما لا يليق بجناحه المقدس من الانداد
 والاولاد لما سبق من الدليل على فساده ثم أقام دليلا آخر على كماله بوصفه بقوله تعالى (عالم)

الغيب والشهادة) أى ما غاب وما شوهد وقرأ نافع وحفص وحزرة والكسافى برفع الميم على أنه
 خبر مبتدأ محذوف تقديره هو والباقيون بالخفض على أنه صفة لله ثم رتب على هذا الدليل
 قوله تعالى (فَتَعَالَى) أى تعظم (عَمَّا يُشْرِكُونَ) معه من الآلهة ثم إن الله تعالى أمر
 فيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (قُلْ رَبِّ) أى أيها المحسن الى (أَمَّا) فيه ادغام نون
 ان الشرطية في ما الزائدة أى ان كان لا بد أن (تَرْجَى) لأن ما والنون للتاكيد (ما وعدون)
 من العذاب في الدنيا والآخرة (رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي) باحسانك الى (في القوم الظالمين) أى قربنا لهم
 في العذاب (فَإِنْ قُلْتَ) كيف يجوز أن يجعل الله تعالى بيده صلى الله عليه وسلم المعصوم مع
 الظالمين حتى يطلب أن لا يجعله معهم (أَجِيبْ) بأنه يجوز أن يسأل العبد ربه ما علم أنه يفعله
 وأن يستعذبه بما علم أنه لا يفعله اظهار للعبودية وتواضعه له واخباته واستغفاره صلى الله
 عليه وسلم اذا قام من مجلسه سبعين مرة أو مائة مرة لذلك وما أحسن قول الحسن في قول أبي بكر
 الصديق رضي الله تعالى عنه ولست بغيركم كان يعلم انه خيرهم ولكن المؤمن بهضم
 نفسه وانما ذكر به مرتين مرة قبل الشرط ومرة قبل الجزاء مبالغة في التضرع (وَأَنَا) أى بما لنا
 من العظمة (عَلَى أَنْ تَرِيكَ) أى قبل موتك (مَا نَعِدُهُمْ) من العذاب (لَقَادَرُونَ) كَمَا نَفَخُوا
 علم بأن بعضهم أو بعض أعقابهم يؤمنون وهو صادق بالقتل يوم يدأ وفتح مكة ثم كانه قال
 فماذا أفعل فيما تعلم من أمرهم فقال تعالى (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) أى من الأقوال والأفعال
 بالصفح والمداداة (السَّيِّئَةِ) اذهب اياك وهذا قبل الامر بالقتال فهى مفسوخة وقبل محكمة
 لأن المداداة محثون عليها لم تؤذ الى نقصان دين أو مروءة (لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ) في حقك
 وحققنا فلو شئنا منعناهم منه أو عاجلناهم بالعذاب وليس أحد باغبر منا فاصبر كما صبر أولو العزم
 من الرسل * ولما أدب سبحانه وتعالى ربه صلى الله عليه وسلم بأن يدفع بالتي هي أحسن عليه
 ما به يقوى على ذلك بقوله تعالى (وَقُلْ رَبِّ) أى أيها المحسن الى (أَعُوذُ بِكَ) أى التجئ اليك
 (من همزات الشباطين) أى أن يصلوا الى توساوسهم وأصل الله عز النضر ومنه همزات
 الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب على المشي وانما جمع همزات
 لتنوع الوسواس أو لاعتداد المضاف اليه (وَأَعُوذُ بِكَ) أى أيها المربي (أَنْ يَحْضَرُونَ)
 في حال من الاحوال خصوص حال الصلاة وقرائة القرآن وحلول الاجل لانها أخرى الاحوال
 وهم انما يحضرون بالسوء ولولم تصل الى وسوسهم فإن بعدهم بركة وعن جبير بن مطعم
 قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة قال عمر ولا أدري أى صلاة هي فقال
 الله أكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيل ثلاثا أعوذ بالله من
 الشيطان الرجيم من نفضه ونفضه وهمزه قال نفثه الشعر ونفضه العكبر وهمزه الموتة
 أخرجه أبو داود لأن الشعر يخرج من القلب فيه فظ به اللسان وينفضه كما ينفض الريق والمتكبر
 ينفض ويتعاطم ويجمع نفسه ويحتاج الى أن ينفض الموتة الجنون والجنون يصير في الدنيا
 كالمنية ثم إن الله تعالى أخبر أن هؤلاء الكفار الذين يشكرون البعث يسألون الرجعة الى الدنيا

قوله في
فاعله فيه
تطراؤه

عند معاينة الموت بقوله تعالى (حتى) وهي هنا كما قال الجلال المحلى استدائية أو متعلقة
بصقون أو بكاذبون كما قال الزنجشيري وقدم المفعول ليذهب الوهم في فاعله كل مذهب فقال
(إذا جاء أحدكم الموت) فكشف له الغطاء وظهر له الحق ولاحت له بوارق العذاب ولم يبق
في شيء من ذلك ارتباب (قال) مختصرا على ما تطفئ به من الايمان والطاعة مخاطبا للملائكة
العذاب على عذبه له ووقوفه مع المحسوس من ذاب البهائم (رب ارجعون) أي رددوني
الى الدنيا دار العمل ويجوز أن يكون الجمع له تعالى والله لا تكة أو لثة عظيم على عادة مخاطبات
الأكبر سببا للملوك كقوله «ألفارحوني يا الله محمد» وقوله «فان شئت حرمت النساءواكم» أو
القصد تكرير العمل للتأكد لانه في معنى ارجعني كما قيل في قفا واطرافهم - ما معنى قف
واطراف طرق • ولما كان في تلك الحالة مع وصوله الى الغرغرة ليس على القطع من اليأس
قال (علي أعمل) أي لان كون على رجاء من أن اعمل (صالحا فيما تركت) أي ضيعت من
الايمان بالله ونوابه فدخل في الاعمال الاعمال البديهة والمالية وعنه صلى الله عليه وسلم
اذا عين المؤمن الملائكة قالوا ارجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهوم والاحزان بلى قدوما
على الله وأما الكافر فيقول رب ارجعون اعلى أعمل صالحا فيما تركت قال قتادة ما تنى أن يرجع
الى أهله ولا عشرينه ولا يجمع الدنيا ويقتضى الشهوات ولكن تنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله
فرحم الله امرأه أعمل فيما تنهانا الكافر اذا رأى العذاب وقال ابن كثير كان العلامة زباد
يقول لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضر الموت واستقال ربه فأقاله فيعمل بطاعة الله تعالى
• ولما كان القضاء قد قطع بأنه لا يرجع ولورجع لم يعمل بطاعة الله عز وجل ولوردوا لمدادوا
لما نهم واعنه وانهم لكاذبون قال الله تعالى له رد عاودة الكلام (كلا) أي لا يكون شيء من
ذلك وكأنه قيل فما حكمه ما قال فقبل (انها كلمة) والمراد بالكلمة في اللغة الطائفة من الكلام
المتكلم بعضها مع بعض رب ارجعون الى آخره (هو فائلهما) وقد عرف منه الخداع والكذب
فهو كما عهد منه لاحقة لها فلا يجاب البها ولا تسمع منه وهو لا محالة لا يجلبها ولا يسكت عنها
لاستبلاء الحسرة عليه وتسلسل الندم (ومن ورائهم) أي امامهم والصغير للجماعة (برزخ)
أي حاجر حائل بينهم وبين الرجعة واختلف في معناه فقال مجاهد حجاب بينهم وبين الرجوع
الى الدنيا وقال قتادة بقية الدنيا وقال الضحالك البرزخ ما بين الموت الى البعث وقيل هو الموت
وقيل هو القبر فيه (الي يوم يبعثون) وهو يوم القيامة وفي هذا انطاط كل من الرجوع الى
الدنيا لما علم أنه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حياة تكون في الآخرة
(فأذا نفخ في الصور) أي القرن روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنها النفخة الاولى ونفخ
في الصور ونفخ من في السموات ومن في الارض (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) ثم نفخ
فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتسألون وعن ابن مسعود أنها
النفخة الثانية قال يؤخذ بيد العبد والامة يوم القيامة فينصب على رؤس الاولين والآخرين
ثم ينادى من اذهب هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق فليأت الى حقه فيفرج المرء أن يكون له

حق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيما أخذه منهم ثم قرأ ابن مسعود فلا أنساب بينهم
 يومئذ ولا يتساءلون وفي رواية عطاه عن ابن عباس أنها النسخة الثانية فلا أنساب بينهم أي
 لا يتفخرون بالأنساب يومئذ كما كانوا يتفخرون به في الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل
 كما كانوا يتساءلون في الدنيا من أنت ومن أي قبيل أنت ولم يرد أن الإنسان ينقطع نسبه
 (فان قيل) قد قال تعالى هنا ولا يتساءلون وقال تعالى في موضع آخر وأقبل بعضهم على بعض
 يتساءلون (أجيب) بأن ابن عباس قال إن للقيامة أحوالا ومواطن ففي موطن يشتد عليهم
 الخوف فيشتغلهم عظم الأمر عن التساؤل فلا يتساءلون وفي موطن يضيئون أفاقا فيتساءلون
 وقيل التساؤل بعد دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (فمن رقت موازينه) أي
 بالأعمال المقبولة قال الباقي ولعل الجمع لأن لكل عمل ميزانا يعرف أنه لا يصلح له غيره وذلك
 أدل لدليل على القدرة (فأولئك) أي خاصة قال أيضا ولعل الجمع للبشارة بكثرة الناجي
 بعد أن أفرد للدلالة على كثرة الأعمال أو على عموم الوزن لكل فرد (هم المفلحون) أي
 الفائزون بالجنة والدرجات العلى (ومن خفت موازينه) لأعراضه عن تلك الأعمال المؤسفة
 على الإيمان (فأولئك) خاصة (الذين خسروا أنفسهم) لاهلاكهم إياها بتابعها شهواتها
 في دار الأعمال وشغلها بأهوائها عن مراتب السكال وقوله تعالى (في جهنم خالدون) يدل
 من الصلة أو خبر ثان لا وثلك وهي دار لا ينفلأ سبورها ولا ينطفئ سعيها ثم استأنف قوله تعالى
 (تلفح) أي تغشى بشدة حرها ومومها ووجعها (وجوههم أنسار) فحرها فاطنك
 بغيرها واللفح كالنفع لأنه أشد تأثيرا (وهم فيها كالحون) أي عابسون قد شمرت شفاههم
 العليا والسفلى عن أسنانهم وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
 تشويه النار تقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخ شفته السفلى حتى تضرب سرتنه
 وقوله تعالى (ألم تكن آياتي) أي من القرآن على أضيهار القول أي يقال لهم ألم تكن آياتي
 (تلى عليكم) أي تابع لكم قراءتها في الدنيا شيئا فشيئا (فكنتم بها تكذبون) ثم استأنف
 جوابه بقوله تعالى (قالوا ربنا) أي المسيح علينا نعمة (غلب علينا قوتنا) أي ملكتنا بحيث
 صارت أحوالنا مؤدية إلى سوء العاقبة (وكما) أي بما جبلنا عليه (قوماضين) في ذلك عن
 الحق أقوياء في موجبات الشقة فكان سبيلا للضلال عن طريق السعادة (ربنا) أي من عودنا
 بالاحسان (أخرجنا منها) أي من النار فضلا منك على عادة فضلك وردنا إلى دار الدنيا لتعمل
 ما يرضيك (فان عدنا) إلى مثل ذلك الضلال (فانا ظالمون) لأنفسنا ثم استأنف جوابهم
 بأن (قال) لهم بلسان ملك بعد قدر الدنيا مرتين (كما يقال للكلب (اخسأ) أي انزعروا
 زجر الكلاب وانظروا هن مخاطبتي سا كتن سكوت هوان (فيها) أي النار (ولا تكلمون)
 أصلا فانهم استمروا بآل لمخاطبتي لا تكلمون تراووا متصفين بالظلم فيسأل القوم بعد ذلك
 ولا يتكلموا بكلمة إلا الرجز والشهيق والعواء كهواء الكلاب وقال القرطبي إذا قيل لهم ذلك
 انقطع رجائهم وأقبل بعضهم ينبغي في وجه بعض فأنطقت عليهم وعن ابن عباس أن لهم ست

دعوات اذا دخلوا النار قالوا ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فيجابون حتى القول متى فينادون
 ألقار بنا أمنا اثنين فيجابون ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم فينادون ألقا مالك ليقض
 علينا ربك فيجابون انكم ما كنتم فينادون ألقار بنا أخرجنامن فيجابون أولم تكونوا أقسمتم
 فينادون ألقا أخرجنامن فعل صالحا فيجابون أولم نعمركم فينادون ألقارب ارجعون فيجابون
 اخسأ فيهابوا لا تكلمون ثم لا يكون لهم الا الزفة والشهيق والعواء ثم علل ذلك بقوله تعالى (انه
 كان) أى كوننا بنا (فريق) أى ناس قد استضعفوههم (من عبادى) وهم المؤمنون (يقولون)
 مع الاستمرار (ربنا) أى أيها المحسن الينا بالخلق والرزق (أمتنا) أى أوقعنا الايمان بجميع
 ما جاءتنا به الرسل (فاغفر لنا) أى استر لنا ذلنا (وارحنا) أى افعل بنا فعل الراحم (وأنت خير
 الراحمين) لانك تخلص برحمتك من كل شقاء وهو ان (فاتخذذغوهم) أى فتسبب عن ايمانهم
 ان اتخذذغوهم (حضرنا) أى تنهرون منهم وتستهزؤن بهم وقرأ نافع وحزرة والكسافى بضم
 السين والباقون بالكسر وهو مصدر سخر كالسخر الا أن فياء السب زيادة قوة في الفعل كما
 قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسافى والقراء ان المكسور من الهز والمضموم
 من الضمير والعود به أى تنهرونهم وتعبدهونهم قال الزنجشبرى والاول مذهب الخليل
 وسيبويه انتهى وأظهر المذال عند التاء ابن كثير وحفص والباقون بالادغام (حتى أنسوكم
 ذكرى) أى بأن تذكرونى فتخافونى وأضاف ذلك اليهم لانهم كانوا السبب فيه لفرط اشتغالهم
 بالاستهزاء بهم (وكنتم منهم تضحكون) استهزاء بهم نزات في كفار قريش كانوا يستهزؤن بالفقراء
 من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب ولما شوقت
 النفس بعد العلم بما فعل بأعدائهم الى جزائهم قال الله تعالى (انى جزيتهم اليوم) أى بالنعيم المقيم
 (بما صبروا) أى على عبادى ولم يشغلهم عنها تألمهم بأذاكم كما يشغلكم عنها التذاكم بها فانهم
 ففازوا دونكم وهو معنى قوله تعالى (انهم هم الفائزون) أى عطاوهم الناجون من عذاب النار
 وقرأ حمزة والكسافى بكسر الهمزة على الاستئناف والباقون بفتحها على أنه مفعول ثان
 لجزيتهم ثم ان الله تعالى (قال) لهم على لسان الملك المأمور بسؤالهم تبكيستوا وبوايضا لانهم
 كانوا يظنون أن بعد الموت يدوم الفناء ولا إعادة فلما حصلوا فى النار أيقنوا أنها دائمة وانهم
 فيها يخلدون سألهم (كم لبستم فى الارض) على تلك الحال فى الدنيا التى كنتم تعدونها فورا (عدد
 سنين) أنتم فيها ظافرون ولا عدائكم فاهرون وقرأ ابن كثير وحزرة والكسافى قل كم بضم القاف
 وسكون اللام على الامر للملك أو لبعض رؤساء أهل النار والباقون بفتح القاف واللام وألف
 بينهما خبرا وتقدم فوجبه وأظهر التاء المثلثة عند التاء المشاة فوق نافع وابن كثير وعاصم وأدغمها
 فيها المناقون (قالوا البنا يوما أو بعض يوم) يشكون فى ذلك (فان قبل) كيف يصع فى جوابهم أن
 يقولوا ذلك ولا يقع من أهل النار الكذب (أحب) بأنهم نسوا ذلك لكثرة ما هم فيه من
 الأهوال وقد عترفوا بهذا التماس حيث قالوا (فأسأل العاذين) أى الملائكة المحصنين أعمال
 الخلق وأعمارهم قال ابن عباس أنساعهم ما كانوا فيه من العذاب بين التفتين وقيل قالوا ذلك

تصغير اللبثهم وتحقير اله بالاضافة الى ما وقعوا فيه من دوام العذاب قال بعضهم
 ألا ان أيام الشقاء طويلة * كما أن أيام السرور وقصار

وقرأ ابن كثير والكسائي بفتح السين وترلوا همز بعدهم وكذا يفعل حمزة في الوقف والباقيون
 يسكون السين وهمزة مفتوحة بعدها هم (قال) الله تعالى لهم على لسان الملك (ان) أي ما (الجنم)
 أي في الدنيا (الأقبلا) لأن الواحد وان طال مكثه في الدنيا فانه يكون قليلا في جنب ما يلبث في
 الآخرة (لو أنكم كنتم تعلمون) أي في عدد امن يعلم في ذلك الوقت لما آثرتم الفاني على الباقي
 ولا قبلتم على ما ينفعكم ولتركنتم أفعالكم التي لا يرضاها عاقل ولكنكم كنتم في عدد ادالبهاثم
 وقرأ حمزة والكسائي قل أمرا والباقيون قال خبرا ولبنتم تقدم مثله ونوحيه قال وقل ثم وبجهم
 الله تعالى على تغافلهم بقوله تعالى (أخسبتم انما خلقناكم) على ما لنا من العظمة وقوله تعالى
 (عبثا) حال أي عابثين كقوله لا عين أو مفعول له أي ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا الى خلقكم
 الاحكامه اقتضت ذلك وهي أن تعبدكم وتكلفكم المشاق من الطاعات وترلوا المعاصي (و) حسبتم
 (أنكم ينالون ترجعون) في الآخرة الجزاء وروى البيهقي بسنده عن أنس أن رجلا مصابا مر به
 على ابن مسعود فرفاه في أذنه أخسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم ينالون ترجعون حتى ختم
 السورة فبرئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقفا فرأها على
 جبل لزال وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء الفوقية وكسر الجيم والباقيون بضم الفوقية وفتح
 الجيم ثم نزه سبحانه وتعالى نفسه عما يقوله ويصفه به المشركون بقوله تعالى (فتعالى الله) أي
 الذي له الجلال والجمال علوا كبيرا عن العبث وغيره مما لا يليق به (الملك) أي المحيط بأهل
 مملكته علما وقدره وسباسة وحفظا ورعاية (الحق) أي الذي لا يتطرق الباطل اليه في شيء في ذاته
 ولا في صفاته فلا زوال له ولا للملك (لا اله الا هو) فلا يوجد له نظير أصلا في ذاته ولا في صفاته
 ولا في أفعاله فهو متعال عن سمات النقص والعبث ثم زاد في التعيين والتأكيد والتفرد بوصفه
 بصفة لا يدعيها غيره بقوله تعالى (رب العرش) أي السرير المحيط بجميع الكائنات الذي تنزل
 منه محكمات الاقضية والاحكام ولذا وصفه بالكرم فقال (الكريم) أولسبته الى أكرم الاكرمين
 * ولما بين سبحانه وتعالى أنه الملك الحق لا اله الا هو أتبعه بأن من ادعى الها آخر فقد ادعى باطلا
 بقوله تعالى (ومن يدع مع الله) أي الملك الذي لا كف له (الها آخر) يعبد (البرهان له) أي
 بسبب دعائه بذلك اذ اجتهد في إقامة برهان على ذلك لم يجد ثم ذكر أن من قال ذلك خزاؤه
 العقاب العظيم بقوله تعالى (فانما حسابه) أي جزاؤه الذي لا يمكن زيادته ولا نقصه (عند ربه)
 أي الذي ربه ولم يربه أحد سواه الذي هو أعلم بسيرته وعلايته فلا يخفى عليه شيء من أمره
 * ولما افتتح السورة بقوله قد افلح المؤمنون ختمها بقوله (انه لا يفلح الكافرون) أي لا يسعدون
 فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة * ولما شرح الله تعالى أحوال الكفار في جهلهم في الدنيا
 وعذابهم في الآخرة أمر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بالانقطاع اليه والالتجاء الى
 غفرانه ورجعته بقوله تعالى (وقل رب) أي أيها المحسن الى (اغفر وارحم) أي أنكم من هذين

الوصفين (وأنت خير الراحمين) فمن رحمته أفلح بما توقعه لمن امتثال ما أشرت إليه أوّل السورة فكان من المؤمنين وكان من الوارثين الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فقد انطبق على الأول هذا الآخر بفوز كل مؤمن وخيبة كل كافر فسأل الله تعالى أن يكون لنا ولوالدينا ولاحبائنا أرحم وأخير غافرا لله المتولى للسرائر والمرجوا لصلاح الضمائر ومارواه البيضاء بنبال الزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة المؤمنون بشربة الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت حدث موضوع وقوله أبطانها للزمخشري روى أن أوّل سورة قد أفلح وآخرها من كنوز العرش من عمل ثلاث آيات من أوّلها وانعظ بأربع آيات من آخرها فقد نجح وأفلح قال شيخ شيخنا ابن حجر حافظ عصره لم أجده

(سورة النور مدنية)

(وهي ثنتان أو أربع وستون آية)

(بسم الله) الذي تمت كلمته فبهرت قدرته (الرحمن) الذي ظهرت الحقائق كلها بشمول رحمته (الرحيم) الذي شرف من اختاره بخدمته قوله تعالى (سورة) خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذه سورة أى عظيمة أو سورة أنزلناها مبتدأ موصوف والخبر محذوف أى فيما أوجبنا اليك سورة أنزلناها وقال الاخفش لا يبعد الابتداء بالنكرة فسورة مبتدأ وأنزلناها خبره ثم رغب في امتثال ما فيها مبيّنا أن تنويعها للتعظيم بقوله تعالى (أنزلناها) أى بما لنا من العظمة ونعام العلم والقدرة (وفرضناها) أى قدرنا ما فيها من الحدود وقيل أوجبناها عليكم وعلى من بعدكم الى قيام الساعة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتشديد الراء لكثرة الفروض والباقون بالتخفيف (وأنزلنا فيها آيات) من الحدود والاحكام والمواعظ والامثال وغيرها (بينات) أى واضححات الدلالة (لعلكم تذكرون) أى تعظون وقرأ أخفش وحزرة والكسائي بتخفيف الذال والباقون بالتشديد ثم انه تعالى ذكر في السورة أحكاما كثيرة * الحكم الأول قوله تعالى (الزانية والزاني) أى غير المحصنين لرحمهما بالسنة وأل فيما ذكر موصولة وهو مبتدأ ولشبهه بالشروط دخلت القاء في خبره وهو (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) أى ضربة يقال جلده اذا ضرب جلده ويراد على ذلك بالسنة تغريب عام والرقق على النصف مما ذكر ولا رجم عليه لانه لا يتنصف واعلم أن الزانم البكار ويبدل عليه أمورا أحدها أن الله تعالى قرنه بالشرك وقتل النفس في قوله تعالى ولا يرثون ومن يفعل ذلك يلقأنا ما ثابته ا قوله تعالى ولا تقر بوا الزاناه كان فاحشة وساء سبيلا ثابته ان الله تعالى أوجب المائة فيه بكلها بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه الرجم وروى حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بامعة عشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة أما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء وبورث الفقر ورتقص العمر وأما اللاتي في الآخرة فسخط الله سبحانه وتعالى وسوء الحساب وعذاب النار وعن عبد الله قال قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم عند الله قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك

قلت ثم أي قال أن تقتل ولدت خشية أن يأكل معك قلت ثم أي قال أن ترثي بجلده جارية فأرسل
الله تعالى تصديقاً لذلك والذين لا يدهون مع الله الهما آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله
الباطن ولا بزون والزنا يلاجم حشمة أو قد رها من مقطوعها من الذكر المتصل الاصل من
الآدمي الواضح ولو أشل وغير منتشر وكان ملفوفاً في خرقة يقبل محرم في نفس الامر لعينه حال
عن الشبهة المسقطه للعدم مشتهى طبعاً بأن كان فرج آدمي حتى ولا يشترط ازالة البكارة حتى
لو كانت غوراً ما أدخل الحشمة فيها ولم يزل بكارتها ترتب عليه حد الزنا بخلاف التحليل لا بد فيه
من ازالة البكارة لقوله صلى الله عليه وسلم حتى تدون عسلته ويدوق عسلتك واختلف في القواطع
هل يطلق عليه اسم الزنا ولا فقال بعضهم يطلق عليه لقوله صلى الله عليه وسلم إذا أتى الرجل
الرجل فهما زانيان والذي عليه أكثر أصحابنا أنه غير داخل تحت اسم الزنا لأنه لو حلف لا يرثي
فلاط لم يحنث والحديث محمول على الاثم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم إذا أتت المرأة المرأة فها
زانيتان وللشافعي في حده قولان أحدهما أن الفاعل ان كان محصناً فإنه يرحم ولا فيجلد مائة
ويغرب عاماً وأما المفعول فلا يتصور فيه احصان فيجلد ويغرب والقول الثاني يقتل الفاعل
والمفعول به سواء كان محصناً أم لا لما روى عن ابن عباس أنه قال من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا
الفاعل والمفعول به وأما بيان البهائم فغرام باجماع الأئمة واختلف في عقوبته على أقوال
أحدها حد الزنا فيرحم الفاعل المحصن ويجلد غيره ويغرب والثاني أنه يقتل محصناً كان أو غير
محصن لما روى عن ابن عباس أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى جمعة فاقبلوه
واقتلوهم معه والثالث وهو الأصح أنه يعزول لأن الحد شرع للزجر عما قبل النفس اليه
وضعهوا حديث ابن عباس اضعف اسناده وهو ان ثبت فهو معارض بما روى انه صلى الله عليه
وسلم نهى عن ذبح الحيوان إلا لأكله وأما السحاق من النساء واثبات المرأة المسبية والاستثناء
بالبدل فلا يشرع فيه شيء من ذلك إلا التعزير والمقيم للحد هو الامام أو نائبه والسيدان يقيم الحد
على رقبته ولا يتجاوز الشفاعة في اسقاط الحد ولا تركه ولا تخفيفه كما قال تعالى (ولا تأخذكم) أي
على أي حال من الاحوال (بهم أراقة) أي رجة ورقة فتعطلوا الحدود ولا تقبىوها وقرأ ابن كثير
بفتح الهمزة والباقون يسكنونها والسومى على أصله من البدل وقبل معنى الرأفة أن يخففوا
الضرب (في دين الله) أي الذي شرعه لكم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لو سرت فاطمة بنت
محمد لدقعت عنقه روى أن عمر رضى الله عنه جلد جارية له زنت فقال للعباد اضرب ظهرها
ورجلها فقال له ابنه ولا تأخذكم بهم أراقة في دين الله فقال يا بني إن الله تعالى لم يأمرنا بقتلها
وقد ضربت فأوجعت ثم انه سبحانه وتعالى زاد في الحضر على ذلك بقوله تعالى (ان كنتم
تؤمنون بالله) أي الذي هو أرحم الراحمين فانه ما شرع ذلك الا رجة للناس عموماً وللاثنين
خصوصاً فلا تريدوا في الحد ولا تقصوا منه شيئاً في الحديث يؤتى بال نقص من الحدود
سوطاً فيقول رجة لعباد الله فقال له أنت أرحم معنى فيؤمر به الى النار ويؤتى من زاد سوطاً
فيقول لينهموا عن معاصيك فيؤمر به الى النار وعن أبي هريرة أقامة حد براض خبير من مطر

أربعين ليلة ثم اتبع ذلك بما ربه بقوله تعالى (واليوم الآخر) الذي يحاسب فيه على التقير
 والقطمير والخفي والجلي (وليشهد) أي ولحضر (عذابهما) أي حذبهما إذا أقيم عليهما
 (طائفة من المؤمنين) والطائفة الفرقة التي يمكن أن تكون حلقة وأقلها ثلاثة وأربعة وهي
 صفة غالبية كأنها الجماعة الحاففة حول الشيء وعن ابن عباس في تفسيرها أربعة إلى أربعين
 رجلا من المصدقين بالله تعالى وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعدا وعن عكرمة
 رجلا من فصاعدا وعن مجاهد أقلها رجل فصاعدا وقيل رجلا من فضل قول ابن عباس لأن
 الأربعة هي الجماعة التي ثبت بها الزنا ولا يجب على الإمام حضور رجم ولا على الشهود لانه
 صلى الله عليه وسلم أمر برجم ماعز والغامدية ولم يحضر رجهما وانما خص المؤمنين بالحضور
 لأن ذلك أفصح والفسق بين صلحاء قومه أنجل وبشهادة قول ابن عباس إلى أربعين رجلا من
 المصدقين بالله * (تنبيه) * الضرب يكون بسوط لا حديد يجرح ولا خلق لا يؤلم ويفترق بين
 السياط على أعضائه ولا يجمعه في موضع واحد وانفقوا على أنه يتقى المالك كالوجه والبطن
 والفرج ويضرب على الرأس لقول أبي بكر رضي الله عنه اضرب على الرأس فان الشيطان
 فيه ولا يشديده وينزع الثياب التي تمنع ألم الضرب كالقرو ولو فرق سياط الحدة تقر بقالا يحصل
 به التشكيل مثل أن يضرب كل يوم سوطا أو سوطين فان فرق وضرب والالم موجود كفي وان
 وجب الحدة على حامل لا يقام عليها حتى تضع وترضعه حتى يتقطع ويندب أن يحفر للمرأة إلى
 صدرها ان ثبت زناها بالينة لا باقرارها ولا يندب للرجل مطلقا وان وجب الحدة على المريض
 نظران كان يرضى زواله كصداع انتظر ألا يرضى كإزالة فلابؤخر ولا يضرب بالسياط بل
 بعشكال عليه مائة شمر أخ فيقوم ذلك مقام جلده وأما في حال الحز والبرد الشديدين فان كان
 الحذر جالما يؤخر لأن النفس مستوفاة وان كان جلدا أخر إلى اعتدال الهواء ويقبل رجوع
 الزاني عن اقراره ولو في أثناء الحد واذامات في الحد بغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن في مقابر
 المسلمين * الحكم الثاني قوله تعالى (الزاني لا ينكح) أي لا يتزوج (الزانية أو مشرك) أي
 المعلوم انصافه بالزنا مقصور نكاحه على زانية أو مشرك (والزانية لا ينكحها) أي لا يتزوجها
 (الازنان أو مشرك) أي والمعلوم انصافها بالزنا مقصور نكاحها على زان أو مشرك اذ الغالب
 أن المائل إلى الزنا لا يرغب في نكاح الصالح والمساخة لا يرغب فيها الصالحا فان المساخة
 على الالفة والانضمام والمخالفة سبب النفرة والافتراق وقال بعضهم الجنسية على الضم
 والمساخة سبب المواصلات والمخالفة توجب المباحة وتحرم الموالفة وعن أبي هريرة رضي
 الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وعن
 علي رضي الله تعالى عنه أنه خطب أهل الكوفة بعد ثلاثة أيام من مقدمه عليهم فقال يا أهل
 الكوفة قد علمنا شراركم من خباركم فقالوا كيف ومالك الثلاثة أيام فقال كان معنا شرار
 وخبار فأنضم خيارنا إلى خياركم وشرارنا إلى شراركم وعن الشعبي أنه قال ان الله ملككم موكلا
 بجمع الاشكال بعضها إلى بعض وقال القائل

عن المرء لا تسأل وصل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى
فان قيل لم قدمت الزانية على الزاني أولاً ثم قدم عليها نانياً (أجيب) بأن تلك الآية سبقت
لعقوبتهما على ما جنىوا والمرأة هي المادة التي منها نشأت الجنابة لانها لو لم تقطع الرجل ولم تمكنه
لم يقطع ولم يتمكن فلما كانت أصلاً وأولاً في ذلك بدى بذكرها وأما الثانية فسقولة ذكر النكاح
والرجل أصل فيه لانه الراغب فيه والخطاب ومنه يد والطلب (وحرم ذلك) أي نكاح الزاني
والزانية فحرم بالمشوبة فيه (على المؤمنين) واختلف العلماء في معنى الآية وحكمها فقال
قوم منهم بمجاهد وعطاء وقتادة والزهرى والشعبي ورواية عن ابن عباس قدم المهاجرون المدينة
وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشاء وبالمدينة نساء بغايا هن يومئذ أخصب أهل المدينة فرغب ناس
من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك
فقرئت هذه الآية وحرم ذلك على المؤمنين أن يتزوجوا تلك البغايا لانهن كن مشركات وقال
عكرمة نزلت في نساء كن بمكة وبالمدينة لهن رايات يعرفن بهن منهن أم مهزول جارية السائب
ابن أبي السائب المخزومي وكان الرجل يتكح الزانية في الجاهلية بخذها ما كاة فأراد ناس من
المسلمين نكاحهن على تلك الصفة فاستأذن رجل منهم النبي صلى الله عليه وسلم في نكاح أم مهزول
فاشترطت أن تنفق عليه فقرئت هذه الآية وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل
يقال له مرثد بن أبي مرثد الغنوي وكان يحمل الاسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة وكانت
بمكة بغي يقال لها عناق وكانت صديقة له في الجاهلية فلما في مكة دفعته عناق الى نفسها فقال
مرثد ان الله حرم الزنا فقلت فانكعني فقال حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أنكع عناقاً فأمسك رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم ير دعي شيئاً فزل الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك
قد عانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها على وقال لا تنكحها أخرجه الترمذي والنسائي
وأبو داود بألفاظ متقاربة المعنى فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصاً في حق أولئك دون سائر
الناس وقال قوم منهم سعيد بن جبيرة والضحالك ورواية عن ابن عباس المراد من النكاح هو
الجماع ومعنى الآية الزاني لا يزني الا بزانية أو مشركة والزانية لا تزني الا بزنان أو مشركة وقال
يزيد بن هرون ان جامعها وهو مستحل فهو مشرك وان جامعها وهو محرم فهو زان وعن عائشة
رضي الله عنها ان الرجل اذا زنى بامرأة ليس له أن يتزوجها لهذه الآية واذا باشرها كان زانياً
وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول اذا تزوج الزاني الزانية فهو ما زيان أبداً وقال
الحسن الزاني المجلود لا ينكح الا زانية مجلودة والزانية المجلودة لا ينكحها الا زان مجلود وقال سعيد
ابن المسيب وجماعة منهم الشافعي رحمه الله تعالى ان حكم الآية منسوخ وكان نكاح الزانية
حرام لهذه الآية فتسجنها الله تعالى بقوله تعالى وأنكسوا الايامي منكم وهو جمع أي وهي من لا
زوج لها فدخلت الزانية في ايامي المسلمين واحتج من جوز نكاح الزانية بما روى عن جابر أن رجلاً
أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امرأتى لاتعبد لاس قال طلقها قال فأتى

أحبها وهي جيلة قال استمتع بها وفي رواية غيره أمسكها إذا وقد أجاز ابن عباس وشبهه بن
سرق غر شجرة ثم اشتراه وعنه صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح
وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه ضرب رجلا وامرأة زينا ورض أن يجمع بينهما في الغلام
* ولم تفر سبحانه وتعالى عن نكاح من اتصف بالزنا من رجل أو امرأة أنه مني عن الرمي به فقال
تعالى (والذين يرمون) أي بالزنا (المحصنات) جمع محصنة وهي هنا المسلة الحرة المكففة العفيفة
وهذا هو الحكم الثالث والذي يدل على أن المراد الرمي بالزنا أمور أحدها تقدم ذكر الزنا
ثانيها أنه تعالى ذكر المحصنات وهن العفاف فدل ذلك على أن المراد بالرمي رميهن باضت ذلك
ثالثها انعقاد الإجماع على أنه لا يجب الجلد بالرمي بغير الزنا فوجب أن يكون المراد هو الرمي بالزنا
رابعها قوله تعالى (ثم لم يأوا) أي إلى الحكم (بأربعة شهداء) أي ذكر ورواه عن أن هذا
العدم من الشهود غير شرط إلا في الزنا وشرط القاذف الذي يجب بسبب القذف التكليف
والاختيار والتزام الأحكام والعلم بالتحريم وعدم اذن المقذوف وأن يكون غير أصل وألفاظ
القذف تنقسم إلى صريح وكناية وتعريض فمن الصريح قوله رجل أو امرأة زنت أو زنت أو
يا زاني أو يا زانية ولو كسر التاء في خطاب الرجل وفتحها في خطاب المرأة أو زنت في الجبل ومن
الكناية زنات وزنات في الجبل بالهمز فانوى بذلك القذف كان قذفا ولا فلا ومن التعريض
يا ابن الحلال وأما أنا فلست بزنا فهذا ليس بقذف وإن نواه (فان قيل) إذا كان ذلك القذف
يشمل الذكر والآن في فلم كانت الآية الكريمة في الإناث فقط (أجيب) بأن الكلام في حقهن
أشنع وتنبيه على عظيم حق أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها وحدث القاذف الحر
غانون كما قال تعالى (فاجلدوهم) أي أيها المؤمنون من الأئمة ونوابهم (ثمانين جلدة) لكل واحد
منهم لكل محصنة وحدث القاذف الرقيق ولو بهعضا أو مكاتبا أربعون جلدة على النصف من
الحر لآية النساء فعلمين نصف ما على المحصنات من العذاب فهذه الآية مخصوصة بتلك
إذا لفرق بين الذكر والأنثى ولا بين حد الزنا وحدث القذف ويدل على أن المراد بالآية الاحرار
قوله تعالى (ولا تقبلوا لهم) أي بعد قذفهم (شهادة) أي شهادة كانت (أبدا) للحكم بإقترانهم
لأن العبد لا تقبل شهادته وإن لم يقذف * ولما كان التقدير أنهم قد اقترعوا عطف عليه
تحذرا من الأقدام عليه من غير تثبت (وأولئك) أي الذين تقدم ذمهم بالقذف فنزل رتبهم
جسدا (هم الفاسقون) أي المحكومون بفسقهم الثابت لهم هذا الوصف وإن كان القاذف
منهم محققا نفس الامر وفي ذلك دليل على أن القذف من البكار لأن اسم الفسق لا يقع الأعلى
صاحب كبيرة واختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وحكم هذا الاستثناء
المذكور في قوله (الذين تابوا) أي رجعوا عما وقعوا فيه من القذف وغيره وندموا عليه
وعزموا على أن لا يعودوا (من بعد ذلك) أي الأمر الذي أوجب إبعادهم فذهب قوم إلى أن
القاذف ترد شهادته بنفس القذف فإذا تاب وصلاح حاله كما قال تعالى (وأصلحوا) أي بعد التوبة
بعض مدته يظن بها حسن الحال وهي سنة يعتبر بها حال التائب بالقصول الأربعة التي تكشف

الطابع (فإن الله) أي الذي له صفات الكمال (غفور) أي ستور لهم ما أقدموا عليه رجوعهم
 عنه (رحيم) أي يفعل بهم من الأكرام فعل الراحم بالمرحوم في قبول الشهادة وقبلت شهادته
 سواء قبل الحد أو بعده وزال عنه اسم الفسق وقالوا هذا الاستثناء يرجع إلى رد الشهادة وإلى
 الفسق ويروي ذلك عن ابن عمرو بن عباس وجمع من الصحابة وبه قال مالك والشافعي وذهب
 قوم إلى أن شهادة المحمد وفي القذف لا تقبل أبدا وإن تاب وقالوا الاستثناء يرجع إلى قوله
 وأولئك هم الفاسقون ويروي ذلك عن النخعي وشرح وبه قال أصحاب الرأي قالوا بنفس القذف
 لا رد شهادته ما لم يحسد قال الشافعي هو قبل أن يحسد ثم منه حين يحسد لأن الحدود كفارات
 فكيف يرتد بها في أحسن حاله وذهب الشعبي إلى أن حد القذف يسقط بالتوبة (فإن قبل)
 إذا قلتم بالاول فامعنى قوله تعالى أبدا (أجيب) بأن معنى أبدا مادام مصر على القذف لأن
 أد كل انسان مدته على ما يليق بحاله كما يقال لا تقبل شهادة الكافر أبدا يراد بذلك مادام على
 كفره فإذا أسلم قبلت شهادته * (تنبيهان) * الاقرار بالزنا هل يثبت بشهادة رجلين أو أربع كالزنا
 فيه قولان أصحهما أنه يثبت برجلين بخلاف فعل الزنا لأن الفعل بغمض الاطلاع عليه وإذا
 شهد على فعل الزنا يجب أن يذكر الزاني ومن زنى بها لانه قد يراد على جارية لا يه فيظنه زنا
 ويجب الحد وأن يقول في شهادته رأيت ذكره يدخل في فريجه أو لم يقل دخول الميسل في
 الحكيلة لكن قوله ذلك أولى فلو شهدوا مطلقا أنه زنى لم يقبلوا لانهم ربما روى المفاضة زنا
 ويشترط أيضا أن يفسر في اقراره كالشهود ويصح رجوعه عن الاقرار ولو في أثناء الحد كما مر
 ولا فرق في قبول الشهادة بين أن يجي بالشهود متفرقين أو مجتمعين كما قاله الشافعي وقال
 أبو حنيفة اذا شهدوا متفرقين لا يثبت وعليهم حد القذف ولو شهد على الزنا أقل من أربعة
 أو أربعة وفيهم الزوج لم يثبت الزنا وعليهم الحد لأن شهادة الزوج لا تقبل في حق زوجته قال
 ابن الرقة في الكفاية لا يمين أحدهم أن الزنا تعرض لمحل حق الزوج فإن الزاني يستمتع
 بالمنافع المستحقة له فشهاده في حقها تنضم اثبات جنابة الغير على ما هو مستحق له فلم تنضم كما
 اذا شهد أنه جنى على عبده والثاني أن من شهد بزنا زوجته فنفس شهادته دال على اظهار العداوة
 لان زناها هو غرضه بتلطيخ فراشه وادخال الغير عليه وعلى ولده وهو أبلغ من مؤلم الضرب
 وفاحش السب ولو قذف رجل وجاء بأربعة فساق شهدوا على المقذوف بالزنا لم يحسد والآن
 شرائط الشهادة الزنا قد وجدت عند القاضي الا أنه لم تقبل شهادتهم لاجل التهمة فكما اعتبرنا
 التهمة في نفي الحد عن المشهود عليه فكذلك اوجبنا اعتبارها في نفي الحد عنهم * ولما كان لفظ
 المحصنات عاما للزوجات وكان لهن حكم غير ما تقدم وهو الحكم الرابع أفردهن بقوله (والذين
 يرون) أي بالزنا (أزواجهن) أي من المؤمنات والكافرات الحررات والاماء (ولم يكن لهم
 شهادة) يشهدون على محبة ما قالوه (الأنفسهم) أي غير أنفسهم وهذا ربما يفهم أنه اذا كان
 الزوج أحد الابنية كني وهذا القهوم معطل لكونه حكاية حال واقعة لا شهود فيها وقوله تعالى
 في الآية قبلها لم يأتوا بأربعة شهداء معناه يقتضي كون الشهود اربعة من الرجال والزنا ولعله استثناء

من الشهداء لان لعانه يكون بلفظ الشهادة ومذهب الشافعي أنه لا يقبل في ذلك كما تقدمناه
 (فشهداؤه أحدهم) أي فالواجب شهادة أحدهم على من رماها وأفعليهم شهادة أحدهم (أربع
 شهادات) من خمس في مقابلة أربعة شهداء (بالله) أي مقررون بهذا الاسم الكريم الأعظم
 الموجب لاستحضار جميع صفات الجلال والجمال (أنه لمن الصادقين) أي فيما قد فيها به وقرأ أحص
 وحجة والكسائي برفع العين على أنه خبر شهادة والباقون بنصبها على المصدر (والخامسة أن
 لعنت الله) أي الملك الأعظم (عليه) أي القاذف نفسه (أن كان من الكاذبين) فيارماها به وقرأ
 نافع بتخفيف ان ساكنة ورفع لعنة والباقون بتشديد النون منصوبة ونصب لعنة ورسعت
 لعنة تاء مجرورة ووقف عليه اباء الهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ووقف الباقر بالتاء وإذا
 وقف الكسائي أمال الهاء هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عليه وحصول الفرقة
 بنفسه فرقة فصح عندنا لقوله صلى الله عليه وسلم المتلاعنان لا يجتمعان أبدا وبقريق الحاكم
 فرقة طلاق عند أبي حنيفة ونفي الوالدان تعرض له فيه وثبت حد الزنا على المرأة بقوله تعالى
 (ويذرا) أي يدفع (عنها) أي المذنوبة (العذاب) أي المعهود وهو الحد الذي أوجبه عليها كما
 تقدم (أن تشهد أربع شهادات) من خمس (بالله) الذي له جميع الاسماء الحسنى والصفات العليا
 كما تقدم في الروح (أنه لمن الكاذبين) فيما قاله عليها (والخامسة) من الشهادات (أن غضب الله)
 الذي له الامر كله (عليها) أن كان من الصادقين) أي فيارماها به روى البخاري في تفسيره وغيره
 عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن صهما
 فقال له النبي صلى الله عليه وسلم البينة أو حد في ظهرك فقال يا رسول الله أذاري أي أحدنا على
 امرأته رجلا ينطلق بلبس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة أو حد في ظهرك
 فقال هلال بن أمية والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله ما يري ظهري من الحد فنزل
 جبريل عليه السلام وأنزل عليه والذين يرمون أزواجهم حتى بلغ ان كان من الصادقين
 فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه ما جأ فأقام هلال بن أمية فشهدوا النبي صلى
 الله عليه وسلم يقول والله يعلم ان أحدكم كاذب فهل منك كاذب ثم قامت فشهدت فلما كانت
 عند الخامسة أوقفوها وقالوا انهم اموحجة قال ابن عباس فتلكتا ونكصت حتى ظننا أنها
 ترجع ثم قالت لأفضح قومي ساثر اليوم فضت وقال النبي صلى الله عليه وسلم أبصروها فان
 جاءت به اكحل العينين سابع الالبين خدخ الساقين فهو لشريك بن صهما فجاءت به كذلك
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن وقد روى البخاري
 أيضا عن سهل بن سعد أن سبب نزولها قصة مثل هذه لعوي رضي الله عنه وقد تقدم أنه لا يمنع
 أن يكون للآية الواحدة عدة أسباب معا أو منفردة * (تنبيه) * خصت المرأة بالغضب لانه
 أبلغ من اللعن الذي هو الطرد لانه قد يكون بسبب غير الغضب وسبب التغليب عليه الخ على
 اعتبارها بالحق لما يصدق الزوج من التريسة من أنه لا يتجشم فضيحة أهله المستلزم لغضبه
 الا وهو صادق ولا نمادة الفساد وخالطة الانساب وبشروط في اللعان أمر القاضي وتلقينه

كلفاته في الجلبين فيقول قل أشهد بالله الخ لأن اللعان عين والعين لا يعتد بها قبل استخلاف
 القاضي وإن غلب فيه معنى الشهادة فهي لا تؤذى عندما لا ياذنه وإن تأخر لعانها عن لعانه
 لأن لعانها لا سقط الحدة الذي وجب عليها بلعان الزوج كما علمت وبلاعن آخرس بشاردة
 مفهومة أو كتابة ويكرر كلمة الشهادة أربعاً أو يكتنهن مرة ويشير اليه أربعاً ويصيح اللعان بالجمعة
 وإن عرف العربية ويشترط الولا بين الكلمات الخمس فيؤثر الفصل الطويل ولا يشترط الولا
 بين لعاني الزوجين ولو أبدل لفظ شهادة بخلف ونحوه أو لنظ غضب بلعن أو عكسه أو ذكره
 قبل عام الشهادة لم يصح ذلك ويصح أن يتلاعنا قائمين وإن بخلط اللعان بزمان وهو بعد عصر
 الجمعة فيؤخر إليه أن لم يكن طلب الكيد والافبعد عصر أي يوم كان ويمكن عند أشرف بلد
 اللعان فيبكت بين الحجر الأسود والمقام وهو المسمى بالحطيم والمدينة على المنبر وبيت المقدس عند
 الصخرة وغيرهما على منبر الجامع وتلاعن حائض ياب المسجد وذمي في بيعة للنصارى وكتيبة
 لليهود وبيت نار لجوس لانهم يعظمونها لايتأثم نام ونى لانه لا حرمه وقرأ أحفص والخامسة
 الأخيرة بالنصب والباقون بالرفع وقرأ نافع بتخفيف النون ساكنة وكسر الصاد ورفع الهاء
 من الاسم الجليل والباقون بتشديد النون منصوبة ونصب الصاد وخفض الهاء ولما حرم
 سبحانه وتعالى هذه الجمل الاعراض والانساب فسان بذلك الدين والاموال علم أن التقدير فلولا
 أنه سبحانه خبير الغافرين وخير الراجين لما فعل بكم ذلك ولا فضع المذنبين وأظهر سرائر
 المستخفين ففسد النظام فغطف على هذا الذي علم أنه قد رده قوله تعالى (ولو لا فضل الله) أي بعاله
 من الكرم والاتصاف بصفات الكمال (عليكم ورحمته) أي بكم بالستر في ذلك (وان الله) أي الذي
 أحاط بكل شيء بقدرته وعلماً (تواب) بقبوله التوبة في ذلك وغير ذلك (حكيم) يحكم الامور فيمنعها
 من الفساد بما يعلم من عواقب الامور لفضح كل عاص ولم يوجب أربعة شهداء ستر لكم الحكم
 الخامس قصة الافك المذكورة في قوله تعالى (ان الذين جاؤا بالا فكن) أي أسوأ الكذب سمي
 افكالكونه مصروفان الحق من قولهم أفك الشئ اذا صرفه عن جهته وذلك أن عائشة
 رضي الله تعالى عنها وعن أبيها كانت تسحق الثناء لما كانت عليه من الحصانة والشرف
 والعفة والكرم فمن رماها بسوء فقد قلب الامر عن أحسن وجوهه الى أقبح افضائه (فان قيل)
 لم ترك تسميتها (أجيب) بأنه ترك تزييم الهاء عن هذا القول وابعاد الصون جانبها العلى عن هذا
 المراد وقوله تعالى (عصبة) خبر ان أي جماعة أقلمهم عشرة وأكثروهم أربعون وكذا العصابة
 وقوله تعالى (منكم) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوا عن بعد عندكم
 في عدد المسلمين يريد عبد الله بن أبي وزيد بن رفاعه وحسان بن ثابت ومسطح بن أنانة وحنة
 بنت جحش ومن ساعدتهم وقوله تعالى (لا تحسبوه شر الكرم) مستأنفاً أي لا تشأ عنه فتنة
 ولا يصدقه أحد (بل هو خير لكم) لا كسابكم به الثواب العظيم لانه كان بلاميناً ومحنة
 ظاهرة وظهوركم امتكم على الله تعالى بانزال الثمان عشرة آية في براكم وتفضيل شأنكم فهو بل
 الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيراً كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن

رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسبته له وتبرئة لام المؤمنين رضوان الله تعالى عليهم وانظروا لاهل
البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم يجمعه أذناه وعدة الطاف للسامعين والتأني إلى يوم
القيامة وفوا تدبيرة وأحكام وآداب لا تحصى على متأملها ولما كان لاشفاء لغظ الانسان أعظم
من اتصا الملك الديان له علل ذلك بقوله تعالى (لكل امرئ منهم) أي الآفسيين (ما اكتسب)
أي بخوضه فيه (من الآثم) الموجب لشقائه (والذي تولى كبره) أي معظمه (منهم) أي من
الخاصين وهو ابن أبي قحافة بدأ به وأداعه عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهو وحسان
ومسطح فانهما تابعا به بالتصريح به والذي يعنى الذين على هذا (له عذاب عظيم) في الآخرة
أوفى الدنيا بأن جلدوا وصار ابن أبي مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان أعشى أشل البسدين
ومسطح مكفوف البصر * (تنبيه) * قصة الافك معروفة في الصحيح والسنن وغيرهما مشهورة جدا
ولكن ندكره هنا طر فانه كذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وبذكر السيدة عائشة وأبوها رضى الله
تعالى عنهم فنقول عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا أراد سفرأ أقرع بين أزواجه فأيتن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه
قالت عائشة فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعدما أنزل الحجاب فكنت أحمل في هودج وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله
عليه وسلم من غزوته ثلاث وقفل ودنونا من المدينة فافلين فاذن لي ليلة بالرحيل فقامت حين أذنوا
بالرحيل فشببت حتى جاورت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدرى وإذا عقدلى
من جزع أظفار قد انقطع فريحت فالتست عقدى فحبسنى ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين
يرحلون بي فاحتلوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب عليه وهم يحسمون أنى فيه
وكان النساء اذ ذاك خفا فلم يبلبن ولم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقمة من الطعام فلم يستنكر
القوم خفة الهودج حين رفعوه وجعلوه وسكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا
ووجدت عقدى بعد ما سار الجيش فحنت منا زلهم وليس بها منهم داع ولا حبيب فبعثت منزلى
الذى كنت فيه وظننت انهم سيفقدونى فيرجعون الى قبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتني عيني فبنت
وكان صفوان بن معطل السهمي ثم الذكوانى رضى الله تعالى عنه قد عرس من وراء الجيش فأدلى
فأصبح عند منزلى فرأى سواد انسان فأنتم فعرفنى حين رأتى وكان رأتى قبل الحجاب فاستنقظت
بأستر جاعه حتى عرفنى فخرمت وجهى ببجلابى ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير
استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقامت اليها فركبت ما فاذن لى يقودنى الراحلة
حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في فجر الظهيرة وهم نزول فهلك من هلك وكان الذى تولى
كبرا الافك منهم عبد الله بن أبي ابن سلول فقد منة المدينة فاستكبت بها شهر والناس يقضون
فى قول أصحاب الافك ولا أشعر بشئ من ذلك وهو يربى فى وجهى انى لا أعرف من رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى انى ليدخل فيسلم ثم يقول كيف
تتخضم ثم ينصرف فذلك الذى يربى فيه ولا أشعر بالشر حتى تقهت فخرجت أنا وأمت مسطرح

قبل المناصع وكان متبرزا وكالا يخرج الاسلام وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريبا من يوتنا
 وأمرنا أمر العرب الأولى في البرية وكنا نأذى بالكنف أن نتخذها عند يوتنا فاقبلت أنا وأمر
 مسطح حين فرغنا من شأنا ثم أتى أم مسطح في مرطها فقالت نعم مسطح فقلت لها بش
 ما قلت أن سميت رجلا شهيدا برافقتك يا هنتاه ولم تسمي ما قال قالت وما قال فأخبرني بقول
 أهل الافك فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ثم قال كيف تيكم فقلت له أتأذن لي أن أتى أبوي قالت وأنا أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما
 قالت فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أبوي فقلت لأمي يا أماء ماذا يحدث للناس
 قالت يا بنية هو في عليك فوالله ما كانت امرأة قط وضئته عند رجل يحبها لها ضراثر إلا أكثر
 عليها قالت فقلت سبحان الله ولقد تحدثت الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت
 لا يرقي دمع ولا أكمل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن
 أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبت الوحى يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله قالت فأما
 أسامة فأشار علي النبي صلى الله عليه وسلم بما يعلم من براءة أهله وبأذى يعلم لهم في نفسه من الود
 فقال أسامة هم أهلك يا رسول الله ولا نعلم والله الأخير وأما علي فقال يا رسول الله لم يضيق الله
 عليك والناس مساواها كثير ورسول الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة
 فقال أي بريرة هل رأيت من شيء يريك قالت والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها امرأة أغمصه
 أكثر من أنما جارية تحديته السن تنام عن عجين أهلها فتأني الداجن فتأكله قالت فقام
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذرن عبد الله بن أبي ابن سلول فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يا معشر المسلمين من بعد رضى من رجل قد بلغني أذى في أهلي
 والله ما علمت على أهلي الأخير وقد ذكر وأرجل ما علمت عليه الأخير ولم يدخل على أهلي إلا معي
 قالت فقام سعد أخو بني عبد الأشهل فقال أبايا رسول الله أعذر لك فإن كان من الأوس ضربت
 عنقه وإن كان من أخواتنا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرنا فقام سعد بن عباد وهو سيد
 الخزرج قالت وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن حمله الحمية فقال لسعد كذبت لعمر الله
 لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن تقتله فقام أسيد بن حضير ابن عم سعد
 فقال لسعد بن عباد كذبت لعمر الله لا تقتله **كأنك منافق** تجادل عن المنافقين قالت فشار
 الحبان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر
 فلم يرزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحفظهم حتى سكتوا وسكت قالت فبكيت يومئذ ذلك كله
 لا يرقي دمع ولا أكمل بنوم قالت وأصبح أبوي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما لا أكمل
 بنوم ولا يرقي دمع حتى أتاني لظن أن البكاء فأتى كبدى فبينما أبوي جالسان عندي وأنا أبكي
 فاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي قالت فبينما نحن على ذلك إذ
 دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قبل ما قبل
 قبلها وقد لبث شهر إلا وحى إليه في شأني شيء قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

جلس ثم قال أما بعد يا عائشة انه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فمسيرتك الله وان كنت
ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما
قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمي حتى لا أحس منه بقطرة فقلت لابي أجب
رسول الله فيما قال فقال انى والله ما أدرى ما أقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لابي
أجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال فقالت أوى والله ما أدرى ما أقول رسول الله فقلت
وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا والله لقد علمت ما سمعتم هذا الحديث حتى
استغفرتى أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم انى بريئة لانصدقونى ولئن اعترفت لكم بأمر والله
يعلم انى منه بريئة لصدقونى فوالله لا أجدى ولا لكم مثلاً الا ما قال العبد الصالح أبو يوسف
ولم اذكر اسمه حين قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحوأت واضطجعت على
فراشى والله يعلم حينئذ انى بريئة والله مبرئى براءتى ولكن والله ما كنت أظن أن الله ينزل فى
شأى وحيائى لى لى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله تعالى فى بأمر ولكن كنت أرجو
أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها فوالله ما رام رسول الله صلى
الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله تعالى على نبيه فأخذه ما كان
يأخذه عند الوحى من البراء حتى انه لينحدر منه العرق مثل الجمان فى اليوم الشاق من ثقل
الذى أنزل عليه فسبحي شوب فوالله ما سرتى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت ان
نفس أبوى ستخرجان فرقا من أن يأتى الله بتحقيق ما قال الناس فلما سرتى عنه وهو يضطج
فكان أول كلمة تكلم بها أن قال أبشري يا عائشة قد برأك الله فكنت أشد ما كنت غضبا فقال لى
أبوى قولى اليه فقلت والله لا أقوم اليه ولا أجده ولا أجده كما ولا أجد الا الله الذى أنزل براءتى
اقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه وأنزل الله تعالى ان الذين جاؤا العشر آيات كلها فقال
أبو بكر والله لا أنفق على مسطح بعد الذى قال لعائشة ما قال فأنزل الله ولا يأتى أولو الفضل
منكم الى قوله غفور رحيم فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه بلى والله انى لاحب أن يغفر الله لى
فرجع النفقة الى مسطح التى كان ينفقها عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمرى فقال لى زينب ما علمت وأورأت
فقلت يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى والله ما علمت الا خبرا قالت عائشة وهى التى تساميت
من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع قالت عائشة والله ان الرجل الذى قيل
له ما قبل ليقول سبحان الله فوالذى نفسى بيده ما كشفت كنف أى قط قالت ثم قتل بعد ذلك
فى سبيل الله تعالى قالت ولما نزل عذرى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك وتلا
القرآن وضرب عبد الله بن أبى مسطحاً وحسان وحنه الحد قال عروة وكانت عائشة تكره
أن يسب عندنا حسان ونقول انه الذى قال

فان أبى ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم وقاه

وقال الحافظ ابن عمر بن عبد البر فى الاستيعاب وأنكر قوم أن يكون حسان خاض فى الافك

وجلد قبيه وروى عن عائشة أنها برأت من ذلك انتهى وقال غيره واقعة لا تظن به ذلك أصلاً
وان جاءت تسميته في الصحيح فقد يحطى الثقة لاسباب لا تخص كما يعرف ذلك من ماوس نقل
الاخبار وكيف يظن به ذلك ولا شغل له الامدح النبي صلى الله عليه وسلم والمدافعة عنه والذم
لاعدائه وقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل معه وهو القائل يدح عائشة ويكذب
من نقل عنه ذلك

حصان رزان مازن بريسة * وتصبح غرنى من لحوم الغوافل
حليلة خير الناس دينا ومنصبا * نبي الهدى والمكرمات الفواضل
عقيلة حتى من اوى بن غالب * كرام المساعي مجدها غير زائل
مهذبة قد طيب الله خبيها * وطهرها من كل شين وباطل
وان كان ما بلغت عنى قلبه * فلا رفعت سوطى الى اناى
فكيف وودى ما حيت ونصرى * لآل رسول الله زين المحافل
له ربة عال على الناس فضلها * تقاصر عنها سورة المطاول

وفى هذا القدر كفاية لاولى الالباب فان في هذه القصة عبرة لمن اعتبر فان أهل الافلاك استمروا في
هذا أكثر من شهر والله تعالى عالم بما يقولون وان قولهم يكاد يقطع الاكباد في أحب خلقه اليه
وهو قادر على تكذيبهم عند أول ما خاضوا فيه ولعله سبحانه أراد لتاس رفع الدرجات
ولا تخرب الهالكات ولا بأص بيان غريب هذه الالفاظ التي وقعت في هذه القصة من كلام
عائشة وغيره اقولها اذن أى أعلم بالرحيل وقولها فقدت عقدالى من جزع أظنار هو نوع من
الخرز وهو الحجر اليماني المعروف وقولها لم يهبلن أى لم يكترلهن من السمن فيشتلن وقولها انما
بأكلن العلقه من الطعام وهو بضم العين أى البلغة من الطعام وهى قدر ما يسبك الرق
وقولها ليس بها منهم دأع ولا يجيب أى ليس بها أحد لا من يدعو ولا من يرد جوابا وقولها
فيمت أى قصدت وقولها قد عرس من وراء الجيش فأدلى التعريس نزول المسافر بالليل للراحة
والادلاج بالثدي سير آخر الليل وبالتخفيف سير الليل كله وقولها باسترجاعه هو قول القتائل
ان الله وانما اليه راجعون قولها خربت أى غلبت وجهى بهلبلى أى انزوى وقولها موغرين
في غمر الظهيرة الوغر شدة الحر وكذلك غمر الظهيرة أى أظلمها وقولها والناس يضيضون أى
يخوضون ويعدثون وقولها وهو يربى يقال رابى الشيء يربى أى تشككت فيه وقولها ولا
أرى من النبي اللطف أى الرنق بها والطف في الاطفال الرنق وفى الاقوال بين الكلام وقولها
حين نقهت أى أفقت من المرض والمناصع المواضع الخالية تنفض فيها الحاجة من غائط وبول
وأصله المكان الواسع الخالي والمرط كما من صوف أو خر قولها فقلت تعس مسلح أى خسر
وقولها يا هتاه أى يا بلهاء كأنها نسبتهما الى البله وقله المعرفة وقولها لا يرقأ أى لا يقطع وقول
بريرة ان رأيت بعسى التقي أى طارأت منها امرأة أعصمه طبع بالصاد المهمله أى أعصيه
والداجن الشاة التي تألف البيت وتقيم به وقوله صلى الله عليه وسلم من يعدنى أى أنا كما فعله

على سوء صنيعه ان عاتبت أو عاقبت فلا تلوموني على ذلك وقولها ولكن حلتها الجنة أي حله
الغضب والافقة والتعصب على الجهل للقرابة وقولها فتناور الحبان أي ثاروا فنهضوا للقتال
والخصامة وقولها فلم يزل يحققهم أي يهون عليهم ويسكت وقوله صلى الله عليه وسلم ان كنت
ألمت قيل هو من اللهم وهو صفار الذنوب قيل معناه مقارفة الذنب من غير فعل وقولها اقص
دمي أي انقطع جريانه قوله ما رام أي ما برح من مكانه والبراء الشدة والجلالة الدرة وجمعه
بحان وقولها فسرى عنه أي كشف عنه وقول ذنب أحيى سمعي وبصري أي أنه مهما عن أن
أخبر بعلم أجمع ولم أبصر وقولها وهي التي كانت تساميني من السموة وهو العلو والغلبة فجمعها
الله تعالى أي منعها الله من الوقوع في الشر بالورع وقول الرجل ما كشفت كنف أمي أي
سرت أمي وقول حسن في عائشة حصان بفتح الحاء امرأة حصان أي متعفة رزان أي ثابتة
ما ترن أي ترمي ولا تهتم بريبة أي أمر يرب الناس وتصبح غربي أي خاتمة الموت والغرث الجوع
من لحوم الغوافل جمع غافلة والمعنى انها لا تغتاب أحدا ممن هو غافل وقرأ لا تحسبوه وتحسبونه
ابن عامر وعاصم وحزرة بفتح السين والباقون بكسرهما * ولما أخبر سبحانه وتعالى بعقاب أهل
الافك وكان في المؤمنين من سمعه وسكت وفيهم من سمعه فتحدث به متجبجا من قائله أو متشبها
في أمره وفيهم من أكذبه اتبعه سبحانه وتعالى بعنايتهم في أساليب خطاياهم مثليا على من كذبه
فقال سبحانه وتعالى مستأنفا محمدا (لولا) أي هلا ولم لا (أذن) أي حين (سمعتهموه) أي
المدعون للإيمان (ظن المؤمنون) أي منكم (والمؤمنات) وكان الاصل ظننهم أي أيها العصبية
ولكنه التفت الى الغيبة تنبيه على التوبيخ وصرح بالنسابة عليه على الوصف المقضي لحسن
الظن نحو بضال الذي ظن السوء من سوء الظانعة (بأنفسهم) حقيقة (خيرا) وهم دون من
كذب عليها فقطعوا أربابها لأن الانسان لا يظن في الناس الا ما هو متصف به أو باخوانهم لأن
المؤمنين كالجسد الواحد وذلك فهو ما يروى ان أبا أيوب الانصاري قال لأم أيوب الأترين
ما يقال فقلت لو كنت بدل صفوان كنت تظن بجرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء قال لا
قالت لو كنت أبا بديل عائشة ما خفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير مني وصفوان
خير منك (وقالوا هذا افك بين) أي كذب بين (فان قيل) هلا قيل لولا ان سمعتموه ظننتم
بأنفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر (أجيب) بأن ذلك
مبالغة في التوبيخ على طريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دالا على أن الاشتراك فيه
يقضي أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عاتب ولا طاعن وفيه تنبيه على
أن حق المؤمن اذا سمع قالة في أخيه أن يبنى الامر فيها على الظن لا على الشك أو أن يقول بل
فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير هذا افك مبين هكذا اللفظ المصريح ببراءة صاحبته لا يقول كما
يقول المستيقن المطاع على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذي قل القائل به والحافظ له
ولذلك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما يسمعه باخوانه ثم عطف سبحانه وتعالى كذب الا يمكن
أن تعالى موثقان اختصهما وأدعهما ملتزمين به الى ظن الخير (لولا) أي هلا ولم لا (جاءوا عليه)

بأربعة شهداء) **ك**ما تقدم أن القذف لا يباح إلا بها (فأد) أي حين (لم يأتوا بالشهادة) أي
الموصوفين (فأولئك) أي البعداء من الصواب (عند الله هم الكاذبون) قد جعل الله التفضل
بين الرمي الصادق والرمي الكاذب بثبوت شهادة الشهود الأربعة واتقانها والذين رموا عائشة
لم تكن لهم ينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله أي في حكمه وشريعته كاذبين
وهذا توخي وتغيب للذين هموا الأفلك فلم يجدهوا في دفعه وإنكاره واحتجاج عليهم بما هو
ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب ترك كذب القاذف بغير ينة في التكيل به إذا قذف
امرأة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بأثم المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم حبيبة حبيب رب العالمين * ولما بين الله سبحانه وتعالى الدليل
على كذب الخائنين في هذا الكلام وأنهم استخفوا الملام قال عاطفا على لولا الماضية التي
للتخصيص (ولولا) التي هي لامتناع الشيء لوجود غيره (فضل الله) أي المحط بصفات الكمال
(عليكم ورحمته) أي معاملته لكم بمنزلة الانعام والاکرام اللازم للرحمة (في الدنيا) بقبول
التوبة والمعاملة بالحلم (والآخرة) بالعفو عن يرد أن يعفو عنه منكم (تسكم) أي أجلكم
(في ما أفضتم) أي أيها العصبية أي خضتم (فيه) من حديث الأفلك (عذاب عظيم) أي يحترق معه
اللوم والجلد * (فائدة) في مقطوعة في الرسم من ما كاترى ثم بين تعالى وقت حلول العذاب
وزمان نعيمه بقوله تعالى (أد) أي مسكم حين (تلقونه) أي تحتدون في تلقى أي قبول هذا
الكلام الفاحش وإقامته (بالسنة) أي بربوبية بعضكم عن بعض وذلك أن الرجل منهم كان يلقي
الرجل فيقول بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقيا يلقيه بعضهم إلى بعض وحذف من الفعل إحدى
الساكنين (وتقولون بأفواهكم) أي كلاما مختصا بالأفواه وهو كلام لا حقيقة له فلا يمكن
ارتسامه في القلب بنوع دليل وأكدهذا المعنى بقوله تعالى (ماليس لكم به علم) أي بوجه من
الوجوه وتنكيره للتحقير (فان قيل) القول لا يكون إلا باللفظ فامعنى قوله تعالى بأفواهكم
(أجيب) بأن معناه أن الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الأفلك ليس
بالقول لا يجري على ألسنتكم ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علمه في القلب كقوله تعالى
يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم (وتحسبونه) بدليل سكوتكم عن إنكاره (هنا) أي لا اثم
فيه (وهو) أي والحال أنه (عند الله) أي الذي لا يبلغ أحد مقداره عظامته (عظيم) في الوزر
واستخرا العذاب فهذه ثلاثة آثام مرتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقى الأفلك بالسنة
والتحدث به من غير تحقيق واستخراهم لذلك وهو عند الله تعالى عظيم (ولولا) أي وهلا ولم لا (أد)
أي حين (سعتهم وقلتم) من غير توقف ولا تعلم (ما يكون) أي ما ينبغي وما يصح (لنا) أن تسكم
بهذا أي القول المخصوص ويجوز أن تكون الإشارة إلى نوعه فان قذف أحاد الناس محرم
فكيف بمن اختارها العليم الحكيم لعصبة أكل الخلق (فان قيل) كيف جاز الفصل بين لولا
وقلم (أجيب) بأن الظروف تنزل عن الشيء منزلة نفسه لوقوعه فيها وأنه لا انفكاك لها عنه
فلذلك يسع فيها ما لا يسع في غيرها (فان قيل) أي فائدة في تقديم الظرف حتى أوقع فاعلا

(أجيب) بأن الفائدة فيه بيان أنه كان الواجب عليهم أن يذنبوا أقول ماسعوا بالافلح عن
التسليم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم (فان قيل) ما معنى يكون والكلام بدونه
ملتزم لو قيل ما لنا أن تسلك بهذا (أجيب) بأن معناه ينبغي ويصح أي ما ينبغي لنا أن تسلك بهذا
وما يصح لنا كما تقدم تقريره ونحوه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق وقوله تعالى (سبحانك) ^{التي}
تعجب من أن يخطئ ذلك بالبال في حال من الأحوال (فان قيل) ما معنى التعجب في كلمة التسبيح
(أجيب) بأن الأصل في ذلك أن يسبح الله تعالى عند رؤيته التعجب من صنائعه ثم كثر حتى
استعمل في كل متعجب منه وقيل تغره فهو منزوع عن أن يرضى بظلم هؤلاء القذفة وعن أن لا يهاقهم
ومن أن تكون حرمته عليه صلى الله عليه وسلم فاجرة قال البيضاوي فان غرورها شفر عنه ويحل
بمقصود الزواج بخلاف كفرها فانه لا يفتقر إلى ولهذا كانت امرأة فوح ولو طاف كافرين وهذا
يقضي حل نكاح النكاح مع أنها لا تحل له صلى الله عليه وسلم لأنها تكفر بصحته ولأنه أنكر
من أن يضع ماله في رحم كافرة بنكاح ولقوله تعالى وأزواجه أمهاتهم ولا يجوز أن تكون
الكافرة أم المؤمنين ونحوه سألت ربي أن لا أزوج الا من كانت معي في الجنة فأعطاني رواء
الحاكم وصححه اسناده اما التسري بالكافرة فلا يحرم لأنه صلى الله عليه وسلم تسرى برعاية
وكانت يهودية بمن بنى قرينة ولا يشكل تعليلهم السابق من أنه أشرف أن يضع ماله في رحم
كافرة لأن القصد بالنكاح أصالة التوالد فاحتط له وبأنه يلزم منه أن تكون الزوجة المشركة
أم المؤمنين بخلاف الملك فيهما (هذا جهتان) أي كذب يهت من بواجه به ويحيره لشدة ما يفعل
في القوى الباطنة لانه في غاية الغفلة عنه لكونه أبعد الناس منه ثم هو بقوله (عظيم)
لعظمة المهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمتها باعتبار متعلقاتها ولما كان هذا كله
وعظا لهم واستصلا حاترجه بقوله (يعظكم الله) أي رفق قلوبكم الذي له الكمال كله فيعمل بجله
ولا يهمل بحكمته (أن) أي كراهة أن (تعودوا المثلة أبدا) أي مادمت أحياء مكلفين ثم عظم هذا
الوعظ بطوله تعالى (ان كنتم مؤمنين) أي متصفين بالايمان راضعين فيه فانكم لا تعودون
فان الايمان يمنع عنه وهذا تهيج وتقريع لأنه لا يخرج عن الايمان كما تقول المعتزلة (فان قيل)
هل يجوز أن يسمى الله واعظا كقوله تعالى يعظكم الله (أجيب) بأنه لا يجوز كما قاله الرازي قال
كما لا يجوز أن يسمى الله معلما كقوله تعالى الرحمن علم القرآن لأن أسماء الله تعالى توقيفية (وبين
الله أي بما له من صفات الكمال والاکرام (لكم الآيات) أي الدالة على الشرائع ومحاسن
الآداب كي تتقوا وتأتذوا (والله) أي المحيط بجميع الكمال (عليم) أي بما يأمر به وينهى عنه
(حكيم) لا يضع نيبا الا في أحكم مواضعه وان دق عليكم فهم ذلك فلا تتوقفوا في أمر من أوامره
ولو كان من أعظم الوعظ بيان ما يستحق على الذنوب من العقاب بينه بقوله تعالى (ان الذين
يعجبون) أي يريدون وعبر بالحب إشارة الى أنه لا يرتكب هذا مع شناعته الا محب له ولا يحبه
الا بعد عن الاستقامة (ان تنسج) أي تنسج بالقول أو بالفعل (الفاحشة) الفعل الكبيرة
التي (في الدين آمنوا) أي بسببها اليهم وهم العصبه وقيل المنافقون (لهم مذاب أليم في الدنيا)

أى بالخذلقة القدف (والأشجرة) أى بالنار لحق الله تعالى أن لم يتب (والله) أى المستجمع لصفات
 الجلال والجمال (يعلم) أى له العلم التام فهو يعلم مقادير الأشياء ما ظهر منها وما بطن وما الحكمة
 في أظهاره أو ستره أو غير ذلك من جميع الأمور (وأنتم لا تعلمون) أى ليس لكم علم من أنفسكم
 فاعملوا بما علمكم فلا تتجاوزوه ولا تقلوا وقيل معناه يعلم ما فى قلب من يجب أن تشيع القاحشة
 فيجارية عليها وأنتم لا تعلمون ذلك وقيل والله يعلم انتفاء القاحشة عنهم وأنتم أيها العصاة
 لا تعلمون وجودها فيهم وقوله تعالى (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته) أى بكم تكرر بالمنة
 بترك المعالجة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف عليه (وأن الله) أى الذى له القدوة
 التامة فسبقت رحمة غضبه (رؤف رحيم) على حصول فضله ورحمته وجواب لو لا محذوف
 كأنه قال لعذبكم واستأصلكم ~~لكنه~~ رؤف رحيم ~~لأن~~ ابن عباس الخطاب الحسن ومسطح
 وحنه قال الرازى ويجوز أن يكون الخطاب عاما وقيل الجواب فى قوله تعالى ما زكى منكم من
 أحد وقرأ رؤف نافع وابن كثير وابن عامر وحفص عبد الهمة والباقر بن قصرها (يا أيها الذين
 آمنوا لا تتبعوا خطوات) أى طارف (الشيطان) بترينه أى لا تسلكوا مسالكه فى إشاعة
 القاحشة ولا فى غيرها (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه) أى المتبع (يأمر بالفحشاء)
 أى بالقبائح من الأفعال (والمنكر) أى ما أنكره الشرع وهو كل ما يكرهه الله تعالى وقرأ
 قيل وابن عامر وحفص والكسائى بضم الطاء والباقر بن السكون (ولو لا فضل الله) أى
 الذى لا اله غيره (عليكم ورحمته) أى بكم تنفوق التوبة الماحية للذنوب وتشرع الحدود
 المكفرة لها (ما زكى) أى ما طهر من ذنبها (منكم من أحد أبدا) آخر الدهر والآية عند
 بعض المفسرين على العموم قالوا أخبر الله أنه لو لا فضل الله ورحمته ما صلح منكم من أحد
 وقال ابن عباس الخطاب للذين خاضوا فى الأفك ومعناه ما طهر من هذا الذنب ولا صلح أمره
 بعد الذى فعل بالتوبة منه (ولكن الله) أى العليم بأحوال خلقه (يركى) أى يظهر (من
 يشاء) من الذنوب بقبول التوبة منها (والله سميع) أى لا قوا له سم (عليم) أى بما فى قلوبهم
 (ولا ياتى) أى يحلف اقتبال من الآية وهو القسم (أرلوا الفضل) أى أصحاب الفنى (منكم
 والسعة أن) أى لا (بوئوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليصغروا
 وليصغروا) عنهم فى ذلك (ألا تعجبون أن يغفر الله لكم) أى على عفوكم وصغركم وإحسانكم
 إلى من أساء إليكم قال المفسرون نزلت هذه الآية فى أبي بكر رضى الله عنه حيث حلف أن
 لا يتق على مسطح وهو ابن خالة أبي بكر رضى الله تعالى عنه وكان يتبع فى جهرة وكان يتق عليه
 فلما فرط منه ما فرط قال لهم أبو بكر قوموا الستم منى ولست منكم وكفى بذلك داعيا فى المنع
 فإن الإنسان إذا أحسن إلى قريسه وكافأ بالاسامة كان أشد عليه عما إذا صدرت الاسامة من
 أجنبي قال الشاعر

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة * على المرمي وضع الحسام المهند

نقال له مسطح نشد ذلك الله والاسلام والقراية لا تحوجنا إلى أحد فإنا كان لنا أول الامر من

ذنب فقال ألم تتكلم فقال قد كان بعض ذلك عجباً من قول حسن فلم يقبل عذره وقال انطلقوا
أيها القوم فإن الله لم يجعل لكم عذراً ولا فرجاً يخرجوا لا يدرون أين يذهبون وأين يتوجهون
من الأرض وناس من العصابة أقسموا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشئ من الألف فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وقرأ عليه الآية فلما وصل إلى قوله ألا تحبون أن يغفر
الله لكم (والله غفور رحيم) أي مع كمال قدرته فتخطوا باخلاقه قال بلى يا رب إني أحب أن
تغفر لي فذهب أبو بكر إلى بيته وأرسل إلى مسطح وأصحابه وقال قبلت ما أنزل الله تعالى على
الرأس والعين وانما فعلت بكم ما فعلت اذ مضى الله عليكم أما اذ عفا عنكم فرحباً بكم وجعل
له مثل ما كان له وقال والله لا أنزعها أبداً وذلك من أعظم أنواع المجاهدات ولا شك أن هذا
أعظم من مقاتلة الكفار لأن هذا المجاهدة مع النفس وذلك المجاهدة مع الكفار ومجاهدة
النفس أشد من مجاهدة الكفار ولهذا روى أنه صلى الله عليه وسلم قال رجعتنا من الجهاد
الاصفر إلى الجهاد الاكبر (أن الذين يرون الحصان) أي العقاب (القافلات) أي عن
القواحيث وهن السليمان الصدور والنقيات الصلوب بأن لا يقع في قلوبهن فقلها الثلاث ليس
فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يقطن لما تقطن له المجربات
العراقات قال في ذلك القائل متغزلاً

ولقد لهنوت بطفلة ميمالة * بلها تطلقني على أسرارها

وكذلك البلهمن الرجال في قوله صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله و قيل البلههم الراضون
بنعيم الجنة والقطنا لم يرضوا الا بالنظر إلى وجهه الكريم (المؤمنات) بالله ورسوله (لغواني)
الدينا والآخرة) أي عذبوا في الدنيا بالحد وفي الآخرة بالنار (ولهم عذاب عظيم) لعظم ذنوبهم
قال مقاتل هذا خاص في عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق وروى أنه قيل لسعيد بن جبيرة من
قذف مؤمنة بلعنة الله في الدنيا والآخرة فقال ذلك لعائشة رضي الله تعالى عنها خاصة قال
الزنجشري ولو قلبت القرآن كله وفتشت عما أوعده العاصاة لم تر أن الله عز وجل قد علق في شئ
تفليظ له في آية لعائشة رضوان الله عليها ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد
الشديد والعقاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ماركب من ذلك واستقطاع ما أقدم عليه
ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مقننة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم تنزل الا هذه
الثلاث آيات لكانت بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعاً وتوعدهم بالعذاب العظيم
في الآخرة وبأن أسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم كما قال تعالى (يوم تشهد عليهم)
أسنتهم وأيديهم وأرجلهم عما كانوا يعملون) أي من قول وفعل وهو يوم القيامة بما أفكروا
وبهم توافقته تعالى فوفهم جزاءهم الحق كما قال تعالى (يومئذ يوفى الله دينهم الحق) أي جزاءهم
الواجب الذين هم أهل (ويعلمون) عند ذلك (أن الله هو الحق المبين) حيث حقق لهم جزاء الذي
كانوا يشكون فيه فأوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجل وأكد وكثر رجاء بما لم يقع في وعيد
المشركين وعبد الاوثان الاما هودى به في الضلالة وما ذاك الا لامر عظيم وعن ابن عباس

أنه كان بالبصرة يوم عرفه وكان يسئل عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات فقال من
أذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته الأمن خاص في أمر عائشة وهذا منه صالحة وتعظيم لأمير
الافك ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة برأ يوسف عليه السلام بلسان الشاهد فقال
تعالى وشهد شاهد من أهلها الآية وبرأ موسى عليه الصلاة والسلام حين نادى من تحتها أني
بالحر الذي ذهب بنوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها عليه الصلاة والسلام حين نادى من تحتها أني
عبد الله الآية وبرأ عائشة رضي الله تعالى عنها بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتكامل
على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانتظر كيف بينهما وبين تبرئة أولئك وما ذاك الا
لاظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبعية على انافة محمد سيد واد آدم وخيرة
الاولين والآخرين وبجدة الله على العالمين ومن أراد أن يتحقق عظمت شأنه وتقدم قدمه
واحرار قلبه السبق دون كل سابق فليتل ذلك من آيات الافك وليتأمل كيف غضب الله
تعالى له في حرمته وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابيه وقال قوم ليس لمن قذف عائشة وبقصة
أنفواج النبي صلى الله عليه وسلم توبة لان الله تعالى لم يذكر في قذفهن توبة وما ذكر من أن قول
السورة فذلك في قذف غيرهن (فان قيل) ان كانت عائشة هي المرادة فكيف قبل المحصنات
(أجيب) بأنهم الماككات أم المؤمنين جمعت ارادة لها ولبائتاهن نساء الامة الموصوفات
بالاحسان والفضلة والايمان ولذا قيل ان هذا حكم كل قاذف مالم يتب (فان قيل) ما معنى قوله
تعالى هو الحق المبين (أجيب) بأن معناه ذو الحق المبين أي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم
في حكمه والحق الذي لا وصف يباطل ومن هذه صفته كان له أن يجازي الحسن على احسانه
والمسي على اسائه فحق مثله أن يتق ويحتج بمحامره وقرأ أشهد حجة والكسائي بالياء التحية
والباقون بالقومية ويوم ناصبه الاستقرار الذي تعلق به لهم وقرأ أبو عمر ويوفهم الله بكسر الهاء
والميم وحجزة والكسائي بضم الهاء والميم والباقون بكسر الهاء بضم الميم هذا كله في الوصل
وأما الوقت فالجميع بكسر الهاء وسكون الميم (الطبيات) أي من النساء والكلمات (الغيبات)
من الناس (والغيبون) أي من الناس (الغيبات) أي مما ذكر (والطبيات) أي مما ذكر
(الطبيين) أي من الناس (والطبيون) أي منهم (الطبيات) أي مما ذكر فاللائق بالخطيب مثله
والطبيب مثله (أو لئان) أي الطيبون والطبيات من النساء ومنهم مغفون وعائشة (مغفون)
مما يقولون أي الغيبون والغيبات من النساء وقيل عائشة وصفون ذكرهم ما يلفظ الجمع
كقوله تعالى فان كان له اخوة أي اخوان (الهم) أي الطيبين والطبيات من النساء على الاول
ولصفون وعائشة على الثاني (مغفرة) أي مغفون الذنوب (وروي كريمة) هو الجنة ويروي أن
عائشة رضي الله تعالى عنها كانت تقهر بأشياء أعطيتها لم تقطعها امرأه غيرها منها أن جبريل
عليه السلام أتى بصورتها في رقيقة من حرير وقال للنبي صلى الله عليه وسلم هذه زوجتك ويروي
أنه أتى بصورتها في راحته ومنها أنه صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بغير غيرها ومنها أنه قبض
صلى الله عليه وسلم ورأسه الشريف في حجرها ومنها أنه دفن في بيتها ومنها أنه كان ينزل

عليه السلام وهو معهما في لحاف ومنها ان براءتها زالت من السماء ومنها انها ابسة خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصديقه وخلقت طيبة ووعدت بغفرة ورزق كريم وكان
مسروق رجه الله تعالى اذ اوردى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قال حدثتني الصديقة
بنت الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الميرة أم من السماء * الحكم السادس
ما ذكره بقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) أى التي تسكنونها
فان المؤجر والمعير لا يدخلان الا باذن وقرأ ورش وأبو عمرو وحفص بضم الباء الموحدة
والباقون بكسر ها وفي قوله تعالى (حتى تستأنسوا) وجهان أحدهما أنه من الاستئناس الظاهر
الذى هو خلاف الاستيحاء لان الذى يترك باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا فهو كالمتوحيش
من خفاء الحال عليه فاذا أذن له فقد استأنس والمعنى حتى يؤذن لكم كقوله تعالى لا تدخلوا
بيوت النبي الا أن يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والاراد ان هذا النوع من الاستئناس
يرد في الاذن فوضع موضع الاذن والثاني أن يكون من الاستئناس بمعنى الاستعلام
والاستكشاف استفعال من أنس الشئ اذا أبصره ظاهره مكشوفاً والمعنى فاستعلموا
وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا ومنه قولهم استأنس هل ترى أحدا واستأنت
فلم أر أحدا أى تعرفت واستعلمت وقال الخليل بن أحد الاستئناس الاستصار من قوله لم
آنت نارا أى أبصرت وقيل هو أن ينكلم بالتسبيحة والتكبير والتحميدة ويتنصحن يؤذن
أهل البيت وعن أبي أيوب الانصارى قال يارسول الله ما الاستئناس قال أن ينكلم الرجل
(وتسألوا على أهلها) كان يقول الواحد السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان أذن له دخل
والاربع قال قتادة المزة الاولى للسمع والثانية ليهما والثالثة ان شاء أذن وان شاوره
وهذا من محاسن الادب فان أول مرة رجاء منهم بعض الاشتغال من الاذن وفي الثانية
رجاء كان هناك مانع يقتضى المنع فان لم يجب في الثالثة يستدل بعدم الاذن على مانع ولهذا
كان الاولى في الاستئذان ثلاثا أن لا تكون متصلة بل يكون بين كل واحدة والاخرى
وقت ما ولا بد من اذن صريح اذا كان الداخل أجنبيا أو فريسا غير محرم سواء كان الباب
مغلقا أم لا وان كان محرما فان كان مع صاحبه فيه لم يلزمه الاستئذان ولكن عليه
أن يشعره بدخوله بتنصيح أو شدة وطء أو نحو ذلك ليستتر العريان فان لم يكن ساكنا فان كان
الباب مغلقا لم يدخل الا باذن وان كان مفتوحا فوجهان والوجه الاستئذان وعن أبي موسى
الاشعري أنه أتى باب عمر فقال السلام عليكم أأدخل قال ثلاثا ثم رجع وقال جعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان ثلاثا واستأذن رجل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال أجب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حرة أيقال لها ورضة قومي الى هذا
فعليه فاته لا يجسن أن يستأذن قولي له يقول السلام عليكم أأدخل فسمع الرجل فقال أأدخل
وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حبيبة صبا باوحيدة متناه ثم
يدخل فريعا صاب صاحب البيت مع امرأته في لحاف واحد فصد الله عز وجل عن ذلك وعلم

ما هو الاحسن الاجل وكم من باب من ابواب الدين هو عند الناس كالشرعة المنسوخة قد
 تركوا العمل به وباب الاستئذان من ذلك قال الزحدرى يُنْأَمْتُ فِي بَيْتِكَ اِذْ رَفَعَ عَلَيْكَ
الباب بواحد من غير استئذان ولا تحية من تحايا اسلام ولا جاهلية وهو ممن يسمع ما أنزل الله فيه
 وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أين الاذن الواعية (ذلكم خير لكم) أى من
 تحية الجاهلية ومن أن تدخلوا من غير استئذان روى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم
 أستاذنى على أى قال نعم قال انه ليس لها خادم غيرى أستاذنى عليها كلما دخلت قال أنتحب
 أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن وقوله تعالى (لكنكم تدركون) متعلق بمعدوف أى
 أنزل عليكم وقيل بين لكم هذا اداة أن تذكروا وتعلموا وتملأوا بما أمرتم به في باب الاستئذان
 وقرأ حفص وحزرة والكسائي بخفيف الدال والباقون بالتشديد (فإن لم تجدوا فيها) أى
 البيوت (أحدا) يأذن لكم في دخولها (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) أى حتى يأتي من يأذن
 لكم فإن المنافع من الدخول فيها ليس الاطلاع على العورات فقط وانما شرع لتلاؤم على
 الاحوال التي تطرأ للناس في العادة عن غيرهم ويحفظون من اطلاع أحد عليها ولانه تصرف
 في ملك غيره فلا بد أن يكون برضاء والا شبه الغصب والتغلب (وان قيل لكم ارجعوا) أى
 بعد الاستئذان (فارجعوا) أى اذا كان في البيت أحد وقال لكم ارجعوا فارجعوا (هو)
 أى الرجوع (أزكى) أى أظهر وأصلح (لكم) من الوقوف على الابواب منتظرين لان هذا
 مما يجلب الكراهة ويقدر في قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوي مروءة من ناضل لا داب
 الحسنة واذا نهى عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الاتساع عن كل ما يؤدى اليها من قرع
 الباب يعنف والتصيح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من أكثر
 الناس وعن أبي عبيد رجه الله تعالى ما قرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة بنى أسد ذارحة
 وما نزل فيها من قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون وعن قتادة
 رجه الله تعالى اذا لم يؤذن له لا يقعد وراء الباب فان للناس حاجات وان حضر ولم يستأذن وقعد
 على الباب منتظرا جازو كان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يأتى باب الانصارى لطلب الحديث
 فيقعد على الباب حتى يخرج فيؤذن فيخرج الرجل فيقول يا ابن عم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لو أخبرني فيقول هكذا أمرنا أن نطلب العلم فاذا وقف فلا ينظر من شق الباب
 اذا كان الباب مردودا لما روى عن أى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
 اطلع في بيت قوم فقد حل لهم أن يصفوا عينه وفي رواية للتسائي قال لو أن امرأ اطلع عليك
 فغير اذن فخذ نفسه ففقات عنه ما كان عليك جناح ولو عرض امرؤ في دار من حريق أو هدم
 أو هجوم سارق أو ظهر منسكر يجيب انكاره بآواز الدخول بغير اذن (والله) أى الذى لا يخفى
 عليه شئ (بما تاملون) من الدخول باذن وبغير اذن (عليهم) فبما نزلت آية
 الاستئذان قالوا يا رسول الله كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهور الطريق ليس
 فيها انسان فانزل الله تعالى (ليس عليكم جناح) أى انتم (أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) أى

بغير استئذان منكم وذلك كي يوت الخائبات والربط المسبلة (فيها متاع) أي منفعة (لكم)
والمنفعة فيها بالنزول وأنواع المتاع والانتقام من الحر والبرد ونحو ذلك وقال ابن زيد هي يوت
التجار وحواليتهم التي بالاسواق يدخلها للبيع والشراء وهو المنفعة وقال إبراهيم الضحى ليس
على حواليت الاسواق اذن وكان ابن سيرين رحمه الله تعالى اذا جاء الى حاوت السوق يقول
السلام عليكم ادخل ثم يلب وقال عطاء هي البيوت الخرية والمتاع هو قضاء الحاجة فيها من البول
والقائط وذلك استثناء من الحكم السابق لشغولة البيوت المسكونة وغيرها (والله يعلم
ما تدون) أي تظهرون (وما تكفون) أي تحقون في دخول غير يوتكم من قصد صلاح أو غيره
وفي ذلك وعبد من الله تعالى لم يدخل لفساد أو تطلع على عورات وسياق انهم اذا دخلوا
بيوتهم سلوا على أنفسهم والحكم السابع حكم النظر المذكور في قوله تعالى (قل للمؤمنين
يفضوا من ابصارهم) أي عما لا يحل لهم نظره (ويحفظوا فروجهم) أي عما لا يحل لهم فعله
جها * (تبيينه) من للتبعض والمراد غض البصر عما لا يحل كالمز والاقصاء به على ما يحل
وجوز الاخض أن تكون مزيدة وأباه سميويه (فان قيل) لم دخلت من في غض البصر دون
حفظ الفرج (أجيب) بأن في ذلك دلالة على أن المراد أن أمر النظر أوسع بدليل جواز النظر
للحصار فيما عدا ما بين السرة والركبة وأما نظر الفروج فالأمر فيه ضيق وكفالكفر أن أبيع
النظر الا ما استثنى منه وحظر الجماع الا ما استثنى منه ويجوز أن يراد مع حفظها عن الافشاء
الى ما لا يحل حفظها عن الابداء وعن ابن زيد كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا
هذا فانه أراد به الاستتار (فان قيل) لم قدم غض البصر على حفظ الفرج (أجيب) بأن البلوى
فيه أشد وروى عن جرير بن عبد الله البجلي رضى الله تعالى عنه قال سألت النبي صلى الله عليه
وسلم عن نظر الفجاء فقال اصرف بصرك وعن يزيد رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعلى يا على لاتبص النظر النظر فان لك الاولى وليست لك الثانية أخرجه
أبو داود والترمذى وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا يطر الرجل الى عورة الرجل ولا المرأة الى عورة المرأة ولا يفضى الرجل الى الرجل
في نوب واحد ولا تفضى المرأة الى المرأة في نوب واحد (ذلك) أي غض البصر وحفظ الفرج
(أزكى) أي خير (لهم) لما فيه من البعد عن الرية سئل الشيخ الشبلى رحمه الله تعالى عن
قوله تعالى يفضوا من ابصارهم فقال ابصار الرؤس عن المحرمات وأبصار القلوب عن المحرمات
* ثم أخبر سبحانه وتعالى بأنه خير بأحوالهم وأفعالهم بقوله تعالى (آن الله) أي الملك الذى
لا يخفى عليه شئ (خير بما يصنعون) بسائر حواسهم وجوارحهم فليعلم اذا عرفوا ذلك
أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون (وقل للمؤمنات يفضن من ابصارهن)
عما لا يحل لهن نظره (ويحفظن فروجهن) عما لا يحل لهن فعله بها روى عن أم سلمة رضى
الله تعالى عنها أنها قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة بنت الحارث
اذ أحبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالاجابة فقال صلى الله عليه وسلم احتسبا

منه فقلت يا رسول الله أليس هو أعمى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعميا وإن أتتها السقا
تصمرانه وقوله تعالى (ولا يدين) أي يظهرن (زينتهن) أي لغير محرم والزينة خفية وظاهرة
فانظرة مثل الخفض والخصاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط في الأذن والقلاد
في العنق فلا يجوز للمرأة إظهارها ولا يجوز للرجل الخفض والنظر إليها والمراد من الزينة ما وضعها
من البسمل وذكر الزينة للمبالغة في الأمر بالصون والستر لأن هذه الزينة واقعة على مواضع
من الجسد لا يحل النظر إليها (الأمّا ظهر منها) أي من الزينة الظاهرة واختلف أهل العلم
في هذه الزينة التي استفتاها الله تعالى فقال سعيد بن جبيرة جماعة هي الوجه والكفان وقال
ابن مسعود رضي الله تعالى عنه هي الثياب وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي الكحل
والخاتم والخصاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل النظر إليها أن لم يحق
قنعة في أحد وجهين وعليه لا كثر وانما رخص في هذا القدر للمرأة أن تبدي من بدنها
لأنه ليس بعورة في الصلاة وسائر بدنها عورة فيها ولأن سترها فيه حرج فإن المرأة لا تجذب ذمها من
هراولة الأشياء يديها ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة
والنكاح وتضطروا إلى المشي في الطرقات وخاصة الفقيرات والوجه الثاني يحرم لأنه محل الفسنة
ودرج حسنها للباب (ولا يضربن بجمهرهن على جبهتهن) أي يسترن الرؤس والأعناق والصدور
بالمقانع فإن جبهتهن كانت واسعة تبدومنهن وجوههن وصدورهن وما حولها وكمن يسدلن
الخمر من وراءهن فتبقى مكشوفة فأمرن بأن يسدلنهن من قدامهن حتى تقطعها ويجوز أن يراد
بالجبوب الصدور وتسمية لها باسم ما يليها أو يلبسها ومنه قولهم ناصح الجيب بالنون والصاد
أي سليم الصدر وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت يدي على الحائط إذا
وضعتها عليه قالت عائشة رضي الله تعالى عنها يرحم الله تعالى نساء المهاجرات لما أنزل الله
ولضربن بجمهرهن على جبهتهن شققن مروطهن فاخترن بها والمرط كساء من صوف أو خز
أو كنان وقيل هو الأزاروقيل هو الدرع وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام وعاصم بنم الجيم والباقون
بكسرها وكرر قوله تعالى (ولا يدين زينتهن) لبيان من يحل له الإبداء ومن لا يحل له أي الزينة
الخفية التي لم يبعهن كشفها في الصلاة ولا لأجانب وهي ماعد الوجه والكفين (الالبعواتهن)
أي فأنهم المقصودون بالزينة ولهم أن ينظروا إلى جميع بدنهن حتى الفرج ولو بالدبر ولكنه
يكره وقال ابن عباس لا يضمن الجلباب والخمار نهن إلا لأزواجهن (أو بأبنائهن أو بأهلهن)
يعولن أو بأبنائهن أو بأبنائهن أو بأبنائهن أو بأبنائهن أو بأبنائهن أو بأبنائهن أو بأبنائهن أو بأبنائهن
لهؤلاء أن ينظروا إلى الزينة الخفية ولا ينظروا إلى ما بين السرّة والركبة وانما سوي في الزينة
الخفية لأولئك المذكورين في الآية للعابجة المضطرة إلى مداخلهم ومخاطبتهم وقلة الفسنة
من جهتهم ولما في الطباع من الفطرة من محاسن القرائب ونحوها المرأة إلى محبتهم في الأسفار
للتزويج والمركوب وغير ذلك (أو بأبنائهن) أي المؤمنات فإن الكافرات لا يضر منهن ومنه
للرجال فلا يجوز للمسلمة أن تبيع من مسلمة عند النساء الكافرات لأنهن أجنبيات عن الدين

فكن كل رجال الابواب لكن يجوز أن ترى الكافرة منها ما يد وعقد المهنة وقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل الكتاب أن يدخلن الحمامات مع المسلمات وقيل النساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف * (تنبيه) * العورة على أربعة أقسام عورة الرجل مع الرجل وعورة المرأة مع المرأة وعورة المرأة مع الرجل وعورة الرجل مع المرأة فبجوز له أن ينظر إلى جميعه منه ما عدا ما بين السرة والركبة وكذلك المرأة مع الرجل وأما المرأة مع الرجل أو الرجل مع المرأة فلا ينظر أحدهما من الآخر شيئا وقيل يجوز للأجنبي أن ينظر إلى وجهها وكفها إذا أمن الفتنة ولم تكن شهوة وقيل يجوز لها أن تنظر منه ما عدا ما بين السرة والركبة ويجوز لمن أراد أن يخطب حرة أن ينظر وجهها وكفها وهي تظهر منه إذا أرادت أن تفرج به ما عدا ما بين السرة والركبة وإن أراد أن يفرج بأمة جاز أن ينظر منها ما عدا ما بين السرة والركبة ويحرم أن ينظر بشهوة ويحرم النظر بشهوة لكل منظور إليه إلا أن أراد أن يفرج بها أو لأحليته ويناح النظر من الأجنبي لها صله وشهادة حتى يجوز النظر إلى الفرج للشهادة على الزنا والولادة وإلى الثدي للشهادة على الرضا عن تعليم ومداواة بقدر الحاجة وكل ما حرم نظره متصلا حرم نظره منفصلا كشعره عانة من رجل أو قلامة نظره من أجنبية ويحرم اضطلاع رجلين أو امرأتين في ثوب واحد إذا كانا عاريين وإن كان كل منهما في جانب من القراش للخير المتقدم ويجب التفريق بين ابن هنر سني وأخوته وأخواته في المصنع إذا كانا عاريين وتسن مصافحة الرجلين والمرأتين بغير مامن مسبلين بلبثان ويتصافحان الاغفر لهما قبل أن يتفرقا وتكره مصاحفة من به عاهة كجذام أو برص والمعاينة والتقبيل في الرأس للنهي عن ذلك الاقدام من سفر أو تباعد عهد وتسن تقبيل الطفل ولولغرا بويه شفقة ولا بأس بتقبيل وجه الميت الصالح وتسن تقبيل يد الحي لصلاح أو علم أو زهد أو نحو ذلك ويكره لفتى أو بجاهة أو نحو ذلك وقوله تعالى

(أوما ملكت أيمانهم) يوم الاماء والعبيد فصل نظر العبد الضيف غير البعض والمشترك والمكاتب إلى سيده العقيقة لما روى ابو داود انه صلى الله عليه وسلم أتى فاطمة رضي الله تعالى عنها بعد ووجه لها وعليها ثوب اذا قف به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فلما رآها النبي صلى الله عليه وسلم وما تلى قال صلى الله عليه وسلم انه ليس عليك بأس انما هو أولك وغلامك وعن عائشة أنها قالت لعبد هذا كوان انك اذا وضعت في القبر وخرجت فأنت حرة وأما القاص والمبعض والمشترك والمكاتب فكل الأجنبي بل قيل ان المراد بالآية الاماء وعبد المرأة كالأجنبي وبه قال ابن المسيب آخر وقال لا تفترسكم آية التورق ان المراد بها الاماء (أو التابعين) أي الذين يتبعون القوم لصيوا من فضل طعامهم (غير أولى الآية) أي أصحاب الحاجة إلى النساء (من الرجال) أي ليس لهم همة إلى ذلك ولا حاجة لهم في النساء لانهم لا يعرفون شيلين أمرهم وقيل هم شيوخ صلحاء اذا كانوا معهن نضوا أبصارهم وقيل هم المسيحيون سواء كان أم لا وهو ذاب الذكرو الإنسين أما ذاب الذكرو

قوله الآن أراد أن
يترج بها عومه
يشعل الأمة وقد
قال فيها ويحرم أن
ينظر بشهوة فليحذر
هـ

فقط أو الاثنين فقط فكاقتل وعن أبي حنيفة لا يحل امساك الخصيان واستخذامهم
 وبيعهم وشراؤهم قال الرخشي فان قلت روى أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 خصي نقبله قلت لا يقبل فيما تم به البلوى الاحديث مكشوف وان صح فله قبله لبعثه
 أو لسبب من الاسباب انتهى وعندنا يجوز جميع ذلك اذا لمانع منه وقيل المراد بأولى
 الآية هو الخنث وقرأ ابن عامر وشعبة بنصب الراعي على الاستثناء والحال والناقون بكسرهما
 على الوصفية وقوله تعالى (أو الطفل) بمعنى الاطفال وضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد
 الجنس وبينه ما بعده وهو قوله تعالى (الذين لم يظهرُوا) أي لم يطلعوا (على عورات النساء)
 للجماع فيعوز لهن أن يبين لهن ما عدا ما بين السرة والركبة قال امام الحرمين رحمه الله تعالى
 اذا لم يبلغ الطفل حدا يحكى ما يراه فكاكعدم أو بلغه من غير شهوة فكاكحرم أو بشهوة فكاكبالغ
 ولا يضرب بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وذلك ان المرأة كانت تضرب برجلها الارض
 ليعقق خطاها فيعلم أنها ذات خنثا وقيل كانت تضرب باحدى رجليها على الاخرى ليعلم أنها
 ذات خنثا لينفهم عن ذلك لان ذلك يورث ميلاً في الرجال واذا وقع النهي عن اظهار صوت
 الحلي فواضع الحلي أبلغ في النهي وأوامر الله ونواهيها في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على
 مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك قال تعالى (وتوبوا الى الله)
 أي الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات (جميعاً) أي المؤمنون أي مما وقع لكم من
 النظر المنوع منه ومن غيره وشروط التوبة أن يقطع الشخص عن الذنب ويندم على ما مضى
 منه ويعزم على أن لا يعود اليه ويرد الحقوق لأهلها وقرأ ابن عامر في الوصل أنه المؤمنون بضم
 الهاء لانها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين اتعت
 حركتها حركة ما قبلها والناقون بقصها وأما الوقف فوق أبو عمرو والكسائي بالالف بعد الهاء
 ووقف الناقون على الهاء ساكنة (أعلمكم تفهون) أي تنجون من ذلك بقبول التوبة منه وفي
 الآية تغليب الذكور على الاناث وعن ابن عباس توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية أعلمكم
 تعدون في الدنيا والآخرة (فان قيل) على هذا قد صحت التوبة بالاسلام لانه يجب ما قبله فما
 معنى هذه التوبة (أجيب) بأن بعض العلماء قال ان من أذنب ذنباً ثم تاب منه لم يزد عليه كذا ذكره أن
 يجتد التوبة لانه يلزمه أن يسقر على ندمه وعزمه على عدم العود الى أن يلقى الله تعالى والذي
 عليه الاكثر أنه لا يلزمه تجديد بها وعن أبي بردة أنه سمع الاخير يتحدث ابن عمر أنه سمع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس توبوا الى ربكم فاني أوتيت كل يوم مائة مرة وعن
 ابن عمر قال ما كنا نعتذر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس يقول رب اغفر لي وتب علي "انك
 أنت التواب الغفور مائة مرة وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب
 قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لا أفرح بتوبة عبده من أحدكم يسقط على بصره وقد أضل في أرض فلاة ولا ينهي
 عباسي فني الى الشفاح الخلل بالنسب المقتضى للالفة وحسن التوبة ومزيد الشفقة المؤدية

الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه عقبه بالحكم الثامن وهو الامر بالنكاح المذكور
في قوله تعالى (وأتكفوا الايام منكم) جمع أيام والايم والياتي أصلهما أيام ويتايم
فقلبا والايام هي من ليس لها زوج بكرة كانت أو ثيبا ومن ليس له امرأة فيشمل ذلك الذكر
والانثى قال الشاعر

فان تنكحني انكح وان تتأبى * وان كنت أفتى منكم أتأبى

أى أقرب الى الشباب منك وأتأبى بالرفع على فله جواب ان تتأبى وما بينهما مبالغة معترضة
والمعنى أو أفضل في حالتي التزويج والتأبى وان كنت أقرب الى الشباب منك وعنه صلى الله عليه
وسلم اللهم انا نعوذ بك من العيبة والغيبة والايعة والقزم والقرم العيبة شهوة اللبن والغيبة العطش
والايعة شهوة النكاح مع الخلو من الزوجية والقزم البخل والقرم شهوة اللحم وهذا في الاحرار
والحرار وأما غيرهم فهو قوله تعالى (والصالحين) أى المؤمنين (من عبادكم) وهو من جوع
عبد (وأما نكحكم) والخطاب للدولياء والسادة وهذا الامر أمر نذير فيستحب لمن تأقت نفسه
للكناح ووجد أهبة أن يتزوج ومن لم يجد أهبة استحبه أن يكسر شهوته بالصوم لما ورد
أنه صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر
وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء أى قاطع لشهوته لأن الواجب يكسر
الواو نوع من الخصاص وهو أن ترض عروق الانثيين وتترك الخصيتان كما هما فشب الصوم في قطعه
شهوة النكاح بالوجاء الذى يقطع النسل والباءة بالدمون النكاح وهى المهر وكسوة فصل
التكبير ونفقة يومه فان لم تكسر شهوته بالصوم فلا يكسر هاب الكافور ونحوه بل يتزوج ويكره
لغير التأتى ان فقد الابهة أو وجدها وكان به علة كهرم فان وجدها ولا علة به وهو غير تاتى
فالتأخى للعبادة أفضل من النكاح ان كان متعبدا فان لم يتعبد فالنكاح أفضل من تركه لقوله
صلى الله عليه وسلم من أحب فطر فى فليس تن بسقى وهى النكاح وعنه صلى الله عليه وسلم من
كان له مال يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وعنه صلى الله عليه وسلم اذا تزوج أحدكم عجب شيطانه
يا ويله عصم ابن آدم متى تلى دينه والا حادى فى ذلك كثيرة وربما كان واجب الترك اذا أدى
الى معصية أو فسد وعنه صلى الله عليه وسلم اذا أتى على ائمة مائة وعشرون سنة فقد حلت لهم
العزوبة والعزلة والترحب على رؤس الجبال وفى رواية يأتى على الناس زمان لا تنال المحبشة
فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة ويندب النكاح للمرأة الساتقة وفى معناها
الاحتياج الى النفقة والخاصة من اقصاص الفجيرة ويستحب أن تكون المذكورة بكرة الا للذر
لقوله صلى الله عليه وسلم هلا بكرة اتلاعبها وتلاعبك ولودا لقوله صلى الله عليه وسلم تزوجوا
الولود والودود فاني مكثرتكم الامم يوم القيامة وفى رواية باعياض لا تتزوج بهوزا ولا عاقرا
فاني مكثرت دينكم لارى عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهم أنه صلى الله عليه وسلم قال الدنيا
متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقيل المراد بالصالحين الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه
وقوله تعالى (ان يكونوا) أى الاحرار (فقرأ يفهمهم الله) أى بالتزويج (من فضله) رتل اعلاه

أن يمنع من النكاح والمحق لا يمنع فقر الخاطب والمخطوبة من المناكحة فان في فضل الله غنية
عن المال فانه غادر انعم أو وعد من الله تعالى بالغنى لقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الغنى
في هذه الآية لكن ينبغي أن تكون شريطة الله تعالى غير منسبة في هذا الوعد وانما هو في
مشيئته ولا يشاء الحكيم الا ما اقتضته الحكمة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريعة منه وصية في قوله تعالى وان خضعت عملي فسوف يغنيكم
الله من فضله ان شاء الله عليهم حكيم ومن لم ينس هذه الشريعة لم ينصب معترضها بغير أن كان
غنيا فافقره النكاح وبما سبق تاب واقى الله وصكان له شيء نفقي وأصبح مسكينا وورد التسوا
الرزق بالنكاح وشكى الى النبي صلى الله عليه وسلم رجل الحاجة فقال عليك بالباءة أي النكاح
وعن عمر رضي الله عنه عجبت لمن يتنهي عن النكاح والله تعالى يقول ان يكونوا فقرا
يغنيهم الله من فضله وحكي عنه أنه قال عجبت لمن لم يطلب الغنى بالباءة وقال طلحة بن عطرف
تزوجوا فانه أوسع لكم في رزقكم وأوسع في أخلاقكم ويزيد الله في ثروتكم قال الزهري
ولقد كان عندنا رجل راح الحال ثم رأيت بعد سنين وقد اتعنت حاله وحسنت فسالته فقال
كنت في أول أمرى على ما عالت وذلك قبل أن أرزق ولدا فلما رزقت بكر ولدى تراخيت عن
الفقر فلما ولدى الثاني ازددت خيرا فلما تاملت ما أثلثة صب الله علي الخير صافا أصبحت الى ما ترى
اتسعي (والله) أي الذي له الملك كله (واسع) أي ذو سعة ملحقه لا تنفد نعمه اذ لا تنفد قدرته
(عليه) بهم يسطر الرزق لمن يشاء ويقدره ولما ذكر تعالى تزويج الحرث والاماء ذكر حال من
يجوز عن ذلك بقوله (وليس تخفف الذين لا يجدون نكاحا) أي وليعهد في طلب العفة عن الزنا
والحرمان الذين لا يجدون ما ينكحون به من مهر ونفقة يوم التمكن وكسوة فصله وقيل لا يجدون
ما ينكحون (حق يغنيهم الله) أي يوسع عليهم (من فضله) فينكحون ولما ذكر تعالى نكاح
الصالحين من العبيد والاماء صحت على كتابتهم بالحكم التاسع وهو الامر بالكتابة المذكور
في قوله تعالى (والذين يشترون الكتاب) أي يطلعون الكتابة (معملكت أيمانكم) أي من
العبيد والاماء (فكتابوهم ان علمت فيهم خيرا) أي أمانته وقدرته على الكسب لاداء مال الكتابة
• وسبب نزول هذه الآية ما روى أن غلاما لحو بطب بن عبد العزيز يقال له الصبيح سأل مولاه
أن يكتبه فأبى فأنزله الله هذه الآية فكانت له هو بطب على مائة دينار وذهب له منها عشرين
فأذاها وقتل يوم حنين في الحرب وأركانها أربعة رقيق وصيغة وعوض وسيد وشرط في السيد
كونه مختارا أهل تبرع وولاء وكتابة المريض مرض الموت محسوبة من الثلث فان خلف مثلي
قيمة صحت الكتابة في كله أو مثل قيمته صحت في ثلثيه أو لم يخلف غيره صحت في ثلثه وشرط
في الرقيق اختيار وعدم صبا وجنون وأن لا يتعلق به حق آدمي لأم وشرط في الصيغة لفظ يشعر
بالكتابة كأن يقول السيد لمولاه كاتبتك على ألفين في شهرين كل شهر ألف فاذا آديتهم فافأت حر
فيقول السيد قبلت ذلك فلا يصح عقد هالام وجلا متعينا بنصين فاكر كما جرى عليه العصابة فن
بعدمه فلا يقمن بيان قدر العوض وصفته وعدد النجوم وقسط كل فهم فلا يجوز عند الشافعي

رضي الله تعالى عنه بضم واحدا ولا بحال لأن العبد لا يملك شيئا فقد هاجل يمنع من حصول
الغرض لأنه لا يقدر على أداء البدل عاجلا وحسب أي خيفة رضي الله تعالى عنه تجوز حالا
ومؤجلا ومبهما وغير مبهم لأن الله تعالى لم يذكر التحريم وقياسا على سائر العقود وهي سنة
لا واجبة وإن طلبها الرقيق لثلاثة مطلقا أو الملك وتصحك الممالك على الملأ بالطلب رقيق
أمين قوي على الكسب وبها فاسر الشافعي الأخير في الآية واشترت الامانة لثلاثة بضع ما يحصل
فلا يعتق والطالب والقدرة على الكسب يلحقان بضميل النجوم روى أنه صلى الله عليه وسلم قال
ثلاث حق على الله عونهم المكاتب الذي يريد الأداء والنكاح يريد العفاف والجهاد في سبيل
الله فان فقدت هذه الشروط أو بعضها فهي صالحة إذا بقوى رجاها العتق بها ولا تتركه بحال
لأنها عند فقد ما ذكر قد تفضي الى العتق نعم ان كان الرقيق فاسقا بصرقة أو فحواها وعلم سيده
أنه لو كاتبه مع العجز عن الكسب الكسب بطريق الفسق لم يعد تحريرا عما عتقها
التمكين من الفساد ونصح على عوض قليل وكثير ويجب أن يحط عنه قبل عتقه شيئا مقولا
من النجوم ويدفعه اليه من جنسها أو من غيرها كما قال تعالى (وَأَوْفُوا بعهودكم) أمر للسادة (من
مال الله الذي آتاكم) ما يستعينون به في أداء ما التزموا لكم أي السادة وفي معنى الإتياء
خط شئ مقول مما التزموه بل الخط أولى من الدفع لأن القصد بالخط الاعانة على العتق وهي
محققة فيه موهومة في الدفع إذ قد يصرف المدفوع في جهة أخرى وكون ذلك في النجم الأخير
أولى منه فمقابلته لأنه أقرب الى العتق يروى ان عمر رضي الله تعالى عنه كاتب عبد الله يكنى
أبأمة وهو أول عبد كوثب في الاسلام فأنه بأثر النجم فدفعه اليه عمر وقال استغن به على
كاتبك فقال لو أخرته الى آخر نجم فقال أخاف أن لا أدرك ذلك وتكون ربعا من النجوم أولى
فان لم تنصح به نفسه فكونه سبعا أو روى حط الربع الثاني وغيره وحط المبيع مائة من ابن
عمر رضي الله تعالى عنه وعند أبي حنيفة أمر للمسلمين على جهة الوجوب باعتاقهم للمكاتبين
واعطاهم منهم مهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال كقوله وفي الرقاب ولما بين تعالى ما يبيع
من تزويج العبيد والاماء أتبع ذلك بالهكم العاشر وهو الاكراه على الزنا المذكور في قوله
تعالى (ولا تكرر واقبياتكم) أي اماءكم (على البغاء) أي الزنا كان لعبد الله بن أبي راس
المخالفين من جوار معاذة ومسيكة وأمية وعجرة وأردى وقيلة بكرهين على البغاء
وضرب طهين ضربا فثكت فثان مهنين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففترت وكذلك
كانوا يفعلون في الجاهلية فواجبون اماءهم فلما جاء الاسلام قالت مسيكة لمعاذة ان هذا
الامر الذي نحن فيه لا يصلح من وجهين فان يك خيرا فقد استكرنا منه وان يك شرا فقد آن
لنا ان نذهب فأنزل الله هذه الآية وروى أنه جاء من إحدى الحارثيين يوما يريد وجبات الاخرى
بدينار فقال له عمار ارجع فاننا نقتل الا والله لا نقتل قديجا الاسلام وخرم الزنا فبارسول الله
صلى الله عليه وسلم وشكا اليه ففترت وبكتي بالحق والقضاء عن العبد والامة وفي الحديث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أحدكم قساي وقاتي ولا يقل عبدي وأمتي (ان أردت

قصته أي تعففا عنه وهذه الارادة محل الاكراه فلا مفهوم للشرط لان الاكراه لا يتصور
 الا عند ارادة التعصن فأما اذا لم ترد المرأة التعصن فانها بفي الطبع طوعا وكلمة ان وابشارها
 على اذا اذيان بأن البناغيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وأن ما وجد من معاذة
 ومسيكة من حيز الشاذ التلادر ولان الكلام ورد على سبب وهو الذي ذكر في سبب نزول
 الآية فخرج النهي على صورة صفة السبب وان لم تكن شرطا فيه وقال الحسين بن الفضل
 في الآية تقديم وتأخير تقديرها وانكسروا الايامي منكم ان أردن تحصنا ولا تكرهوا
 قضايتكم على البغاء (لتنفقوا عرض الحياة الدنيا) أي تطلبوا من أموال الدنيا بكسبهن
 وأولادهن (ومن يكرههن فإن الله من بعدا ~~كرههن~~ غفور) أي لهن (رحيم) بهن
 وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية قال لهن والله لهن أي لا للمكروه الا اذا تاب (فان قيل) ان
 المكروه غير آثم فلا حاجة الى المغفرة (أجيب) بأن الزنا لا يباح بالاكراه فهي آثمه لكن لا حذر
 عليها للاكراه * ولما ذكر تعالى في هذه السورة هذه الاحكام وصف القرآن بصفات ثلاث أحدها
 قوله تعالى (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) أي الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت فيها
 الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر وحفص وحزرة والكسائي بكسر الباء الصنية والباقون
 بفتحها لانها واضحت تصدقها الكتب المتقدمة والعقول السليمة من بين معنى تبيين أولانها
 بينت الاحكام والحدود ثانيها قوله تعالى (ومثلنا الذين خلوا من قبلكم) أي من جنس
 أمثالهم أي وقصة عجيبه مثل قصصهم وهي قصة عائشة رضي الله تعالى عنها فانها كقصه
 يوسف ومريم عليهم السلام ثالثها قوله تعالى (وموعظة للمتقين) أي ما وعظه في قوله تعالى
 ولا تأخذكم بهم مارأفة في دين الله وقوله تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون الخ وفي قوله تعالى
 لولا اذ سمعتموه قلتم الخ وفي قوله تعالى يعظكم الله أن تعودوا الخ وتخصيصها بالمتقين
 لانهم المنتفعون بها * واختلف في معنى قوله تعالى (الله نور السموات والارض) فقال ابن
 عباس الله هادي أهل السموات والارض فهم بنوره الى الحق بهتدون وبه دايته من حيرة
 الضلال ينصون وقال الفضل من نور السموات والارض فقال نور السماء بالمالئكة ونور
 الارض بالانبياء وقال مجاهد مدبر الامور في السموات والارض وقال أبي بن كعب والحسن
 وأبو العالية من زين السموات والارض زين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض
 بالانبياء والعلماء والمؤمنين ويقال بالنبات والاشجار وقبل معناه الانوار كلها منه كما يقال فلان
 رجلة أي منه الرحمة وقد يذكر مثل هذا اللفظ على طريق المدح كما قال القائل
 اذا سار عبد الله من مرو وليله * فقد سار منها نورها وجمالها
 وبسبب هذا الاختلاف ان النور في الاصل ككيفية تدركها الباصرة أو لا وبواسطتها سائر
 المبصرات كالكيفية الفاضة من النيران على الأجرام الكسيفة المحاذية لها وهو بهذا
 المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا على ضرب من التجوز كالمثله المتقدمة أو على تقدير
 مضاف كقولك زيد كرم وجود ثم تقول بعض الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات

والارض ونور السموات والارض الحق شبه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله تعالى الله ولي
الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور اى من الباطل الى الحق وأضاف النور الى
السموات والارض لاحد معين اما للدلالة على سعة اشراقه وفشواضته حتى تضيء له
السموات والارض واما أن يراد أهل السموات والارض وانهم يستضيئون به واختلف
أيضا في معنى قوله تعالى (مثل نوره) فقال ابن عباس مثل نوره الذى أعطى المؤمن أى مثل
نور الله في قلب المؤمن وهو النور الذى يهتدى به كما قال تعالى فهو على نور من ربه وقال
الحسن وزيد بن أسلم أراد بالنور القرآن وقال سعيد بن جبيرة والفصاح هو محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل أراد بالنور الطاعة سمى طاعة الله نورا وأضاف هذه الانوار الى نفسه تفضلا
أى صفته نوره المحيية الشأن فى الاضاءة (كمشكاة) أى كصفحة مشكاة وهى الكوة
فى الجدار غير النافذة (فيها مصباح) أى سراج ضخم ثاقب (المصباح فى الزجاج) أى قد بديل
من زجاج شامى أزهر وانما ذكر الزجاج لان النور وضوء النهار فيها أبين من كل شئ وضوءه يزيد
فى الزجاج ثم وصف الزجاج بقوله تعالى (الزجاج كأنها) أى النور فيها (كوكب درى)
أى مضى شبهها فى الضوء باحدى الدوائر من الكواكب الخمسة العظام وهى المشاهير
المسترى والزهرة والمريخ وزحل وعطارد (فان قيل) لم شبه بالكواكب ولم يشبه بالشمس
والقمر (أجيب) بأنهم ما يلحقهما الخسوف والكسوف والكواكب لا يلحقها ذلك وقرأ
أبو عمرو والكسافى بكسر الدال من الدر بمعنى الدفع لدفعه الظلام والباقون بضمها منسوب
الى الدر أى اللؤلؤ فى صفائه وحسنه وان كان الكوكب أكثر وضوا من الدر لكن يفضل
الكواكب بصفائه كما يفضل الدر السائر الحلب وهمز مع المد أبو عمرو وشعبة وحزرة والكسافى
والباقون بغير همز وكل من أهل الهمز على مرتبته فى المدة (وقد من شجرة مباركة زيتونة)
أى ابتدأه وقدمه من شجرة الزيتون المسكاثر نفعه بأن رويت قبيلة المصباح بزيت الشجرة
وهى شجرة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لأن الزيت يسرج به ويدهن به وهو ادم وهو أصنى
الادهان وأضواها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح التاء والواو وتشديد القاف على وزن
تفعل على الماضى أى المذبح وقرأ أبو بكر وحزرة والكسافى بضم التاء القوقمة وتحصيف
القاف أى المصباح (لأشربة ولاغربية) أى ليست بشرقية وحدها لاتصيحها الشمس اذا
غربت ولاغربية وحدها فلا تصيحها الشمس اذا طلعت بل هى مصاحبة للشمس طول النهار تصيحها
الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية وغربية تأخذ ظلها من الامرين فيكون
زيتها أضوا وهذا كما يقال فلان ليس أسود ولا أبيض أى ليس أسود خالصا ولا أبيض خالصا بل
اجتمع فيه كل واحد منهما وهذا الزمان ليس بمحلول ولا حامض أى اجتمع فيه الحلاوة والحوضة
هذا قول ابن عباس والاكثرين وقال السدى وجاعة معناه أنها ليست فى مقناة لاتصيحها
الشمس ولا فى مضخة لاتصيحها الظل فهى لاتضرها شمس ولا ظل والمقناة بقاء فنون فمحزرة
وهى بفتح النون وضما المكان الذى لا تطلع عليه الشمس وقول البضاوى تبع للزخرفى

وفي الحديث لا خير في شجرة مقناة ولا في نبات في مقناة ولا خير في سبحة في مضى قال ابن حجر
العسقلاني لم أجده وقيل معناه أنهم لم يعتدوا ليست في شرق يصيبها الحر ولا في غرب يضربها البرد
وقيل معناه هي شامية لأن الشام وسط الأرض لا شرقي ولا غربي وقيل ليست هذه الشجرة من
أشجار الدنيا لأنهم لو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية وإنما هو مثل ضربه الله تعالى لنوره
(يكاد ينفثها) أي من صفاته (يضيء ولولم تمسه نار) أي يكاد يتسلا لا يضيء بنفسه من
غير نار (نور على نور) أي نور الصباح على نور الزجاجة (تنبيه) اختالف أهل العلم في معنى هذا
التمثيل فقال بعضهم وقع التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لكعب الأحبار
أخبرني عن قوله تعالى مثل نوره كشكاة قال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم
فالمشكاة صدر والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة تتوقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة
يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم وأمره يتبين للناس ولولم يتكلم الله به كما يكاد ذلك الزيت يضيء
ولولم تمسه نار وروى سالم عن عوفي هذه الآية قال المشكاة خوف النبي صلى الله عليه وسلم
والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله تعالى فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودى ولا نصراني
توقد من شجرة مباركة إبراهيم نور على نور نور قلب إبراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال
محمد بن كعب القرظي المشكاة إبراهيم والزجاجة اسمعيل عليهما السلام والمصباح محمد صلى الله
عليه وسلم سماه الله تعالى مصباحا كما سماه سرا فقال تعالى وسراجا منيرا توقد من شجرة مباركة
وهي إبراهيم عليه السلام سماه مباركا لأن أكثر الأنبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية يعنى
إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا مكي كان حنيفا مسلما لأن اليهود تقس على قبل المغرب
والنصارى قبل المشرق يكاد ينفث يضيء ولولم تمسه نار تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم
تظهر للناس قبل أن يوحى إليه نور على نور من نسل نبي نور محمد على نور إبراهيم عليهما السلام
وقال بعضهم وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن روى أبو العالية عن أبي بن كعب قال هذا مثل
المؤمن فالمشكاة نفسه والزجاجة صدره والمصباح ما جعل الله من الإيمان والقرآن في قلبه توقد
من شجرة مباركة وهي الإخلاص لله وحده فله كمثل شجرة التفاح الشجر فهي خضراء فاعية
لا تصيبها الشمس لا إذا طلعت ولا إذا غربت فكذلك المؤمن قد احترس من أن يصبه شيء من
الفتن فهو بين أربع خلال أن أعطى شكر وان ابتلى صبر وان حكم عدل وان قال صدق
يكاد ينفث يضيء أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يبين له لموافقته إياه نور على نور قال
أبي أي فهو يتقلب في خمسة أنوار قوله نور وعمله نور وبمدخله نور ونحوه نور ومجربه نور
إلى النور يوم القيامة قال ابن عباس هذا مثل نور الله وهذا في قلب المؤمن كما يكاد الزيت
الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فإذا مسته النار ازداد ضوؤه على ضوءه كذلك يكاد قلب المؤمن
يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فإذا جاء العلم ازداد هدى على هدى ونور على نور وقال
الكلبي قوله تعالى نور على نور يعنى إيمان المؤمن وعمله وقال المسدي نور الإيمان ونور القرآن
وقال الحسن وابن زيد هذا مثل للقرآن والمصباح هو القرآن فكذلك يستضاء بالمصباح بهتدي

بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فقه وإسانيه والشجرة المباركة شجرة الوحي يكاد ينبتها
 بضئ يعنى تكاد حجة القرآن تضئ وان لم يقرأ نور على نور يعنى القرآن نور من الله خلقت مع
 ما قام له من الدلائل والاعلام قبل نزول القرآن فاذا دوا بذلك نورا على نور (يهدي الله
 لنوره) قال ابن عباس دين الاسلام وقيل القرآن (من يشاء) فان الاسباب بدون مشيئته
 لا غنى وقيل يوفق الله لاصابة الحق من تطر وتدبر يعنى عقله والانصاف من نفسه ولم يذهب
 عن الجادة الموصلة اليه عينا وشيئا ومن لم يتدبر فهو كالاعمى سواء عليه جنح الليل الدامس
 وضجور النهار الشامس (ويضرب) أى بين (الله الامثال للناس) تقريرا للافهام ونسهيلا
 للاكدار (والله بكل شئ عليم) معقولا كان أو محسوسا ظاهرا كان أو خفيا وفيه وعيد لمن
 تدبرها ولم يكثر بها وقوله تعالى (في بيوت) يتعلق بما قبله أى كشكاة فى بيوت الله وهى
 المساجد كأنه قيل مثل نوره كما ترى فى المسجد نورا المشكاة التى من صفحتها كبت وكبت أو بما بعده
 وهو يسبح أى يسبح رجال فى بيوت وفى قوله فيها تكرر لقوله فى بيوت كقوله زيد فى الدار رجال
 فيها أو يحذف كقوله تعالى فى تسع آيات أى سجدوا فى بيوت والبيوت هى المساجد قال
 سعيد بن جبسر عن ابن عباس قال المساجد بيوت الله فى الارض وهى تقضى لاهل السماء
 كاتضى النجوم لاهل الارض وقيل المراد بالبيوت المساجد الثلاثة وقيل المراد اربعة
 مساجد لم ينهها الانبياء الكعبة بناها ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فجعلها قبلة وبيت
 المقدس بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قباء بناهما النبي صلى
 الله عليه وسلم وأتى فيها بجمع الكثرة دون جمع القلة للتعظيم (أذن الله أن ترفع) قال مجاهد
 تبنى نظيره قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وقال الحسن تعظم أى فلا يدرك فيها
 الفحش من القول وتظهر من الانحسار والاقدار وقوله تعالى (ويذكر فيها اسمهم) عام فيما
 يتضمن ذكره حق المذاكرة فى أفعاله والمباحشة فى أحكامه وقال ابن عباس تلى فيها كتابه
 (يسبح) أى يصلى (له فيها بالغداة والآنصال) أى بالغداة والعنى قال أهل التفسير أراد به
 الصلوات المقرضة فالتى تؤدى بالغداة صلاة الفجر التى تؤدى بالآنصال صلاة الظهر
 والعصر والعشاء من لان اسم الاصيل يقع على هذا الوقت وقيل أراد به الصبح والعصر قال صلى
 الله عليه وسلم من صلى البردين دخل الجنة أراد صلاة الصبح وصلاة العصر وقال ابن عباس
 التسبيح بالغداة صلاة الضحى وروى من منى الى صلاة مكتوبة وهو متطهر فأجره كأجر الحاج
 المحرم ومن منى الى تسبيح الضحى لا ينصب الاياه فأجره كأجر المعقر وصلاة على الرضلة لا لغو
 بينهما كتاب فى عليين وقرأ ابن عامر وشعبة بفتح الباء الموحدة والباقون بكسر ها (رجال لانهم هم
 تجارة) أى معاملة راجحة وقيل المراد بالتجارة الشراء لقوله تعالى (ولا يبيع عن ذكر الله) اطلاقا
 لاسم الخس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة صالحة اذا اتجه له بيع صالح أو شراء وعلى
 الاثر ذكر مبالغة للتعظيم والتعميم بعد التخصيص وقيل التجارة لاهل الجلب تقول تجر فلان
 فى كذا أى جلب (قضية) قوله تعالى رجال فاعلى يسبح بكسر الباء وعلى قصتها نائب الفاعل

له ورجال فاعل فعل مقدّر جواب سؤال مقدّر كأنه قيل من يسبحه وحذف من قوله تعالى
 (واقام الصلاة) الهاء تخفيفاً أي واقامة الصلاة وأراد أداءها في وقتها لأن من آخر الصلاة عن
 وقتها لا يكون من مقبلي الصلاة وانما ذكر اقام الصلاة مع ان المراد من ذكر الله الصلوات الخمس
 لانه تعالى أراد باقامة الصلاة حفظ المواقيت روى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت
 الصلاة فقام الناس وغلقوا حوانيتهم فدخلوا المسجد قال ابن عمر فهم نزلت هذه الآية (وايتاء
 الزكاة) قال ابن عباس اذا حضر وقت أداء الزكاة لم يحسوها أي فيخرجون ما يجب اخراجه
 من المال للمستحقين وقيل هي الاعمال الصالحة ومع ما هم عليه (يتخافون يوماً) هو يوم القيامة
 (تتقوا) أي تضطرب (فيه القلوب) بين النجاة والهلاك (والابصار) بين ناحيتي البين والشمال
 وقيل تقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشك الى اليقين وتنفتح الابصار من الاغشية
 وقوله تعالى (ليجزئهم الله) متعلق بيسمج أو بلائلهم أو بخافون (أحسن ما عملوا) في الطاعات
 فرضها ونقلها أي ثوابه الموعود لهم من الجنة وأحسن بمعنى حسن (ويزيدهم من فضله) مالم
 يستحقوه بأعمالهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت وقوله تعالى (والله يرزق من يشاء بغير حساب)
 تقرير للزيادة وتنبية على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الاحسان وكمال جوده فكانه سبحانه
 وتعالى لما وصفهم بالجنة والاجتهاد في الطاعة ومع ذلك يكونون في نهاية الخوف قاله سبحانه
 وتعالى يعطيهم الثواب العظيم على طاعتهم ويزيدهم الفضل الذي لا حذله في مقابلة خوفهم
 وقوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب) أي خالهم على ضد ذلك فإن أعمالهم التي
 يحسبونهم اصالحة نافعة عند الله تعالى يحدونها بالاغية مخيبة في العاقبة كسراب وهو ما يرى في
 القفلة وقت الضحى الا كبرسيم بالماء الجاري وهو ليس بماء ولكن الذي ينظر اليه من بعيد
 يظنه ماء جاريًا وقيل هو الشعاع الذي يرى نصف النهار في شدة الحر في البراري الذي يخيل الناظر
 انه الماء السارب أي الجاري فاذا قرب منه انعش فلم ير شيئاً وأما الاكل فانهما يكون أول النهار
 كانه ماء بين السماء والارض وقال البغوي والاكل ما ارتفع عن الارض وهو شعاع يجري
 بين السماء والارض بالغدوات شبه المرأة ترفع فيها الشخص ويرى فيها الصغير كبير أو القصير
 طويلاً والرقراق يكون بالعشاء وهو ما ترقق من السراب أي جاء وذهب وقوله تعالى (بضعة)
 جمع قاع وهي أرض سهلة مطمئنة قد انقربت عن الجبال والالكام قاله في القاموس وقيل
 البضعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية المنبسطة وفيها يكون السراب وقال الفراء جمع قاع
 كجارية وقال الفارسي جمعه بضعة وقيعان (بحسبه) أي يظنه (الظمان) أي العطشان
 الشديد العطش من ضعف العقل (ماء) فيقصده ولا يزال سائراً (حتى اذا جاءه) أي ما قدر أنه ماء
 وقيل جاء الى موضع السراب (لم يجد شيئاً) مما حسبه ووجه التشبيه أن الذي جاء به الكافران
 كان من أفعال البر فهو لا يستحق عليه ثواباً مع أنه يعتقد ان له ثواباً عليه وان كان من أفعال الاثم
 فهو يستحق عليه العقاب مع أنه يعتقد ان له ثواباً فكيف كان فهو يعتقد أن له ثواباً عند الله تعالى
 فاذا وافى عرصة القيامة ولم يجد الثواب بل وجد العقاب العظيم عظمت حسرته وتناهى غمه

فيشبهه حاله حال الظلمات الذي اشتدت حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب في البر تعلق به قلبه
 فاذا اجابه لم يجده شيئاً فكذلك حال الكافر يحسب أن عمله نافعه فاذا احتاج الى عمله لم يجده شيئاً
 ولا ينفعه وقال مجاهد السراب عمل الكافر واتباعه اياه موته ومفارقة الدنيا (فان قيل) قوله
 تعالى حتى اذا جاءه يدل على كونه شيئاً وقوله تعالى لم يجده شيئاً مناقض له (أجيب) بأن معناه لم
 يجده شيئاً نافعاً كما يقال فلان ما عمل شيئاً وان كان قد اجتهد أو أنه اذا جاء موضع السراب لم يجد
 السراب يرى من بعيد بسبب الكثافة كأنه ضباب وهباء فاذا قرب منه رقى وانتشر وصار
 كالهواء (ووجد الله عنده) أي ووجد عقاب الله الذي وعده الكفار وأوجد زبانية الله
 أو ووجد محاسباً اياه أو قدم على الله (قوفاه حسابه) أي جزاء عمله قيل زلت في عتبة بن ربيعة
 فإنه قد تبعه وليس المسوح والتس الذين في الجاهلية ثم كفر بالاسلام قال ابن الخازن والاصح
 أن الآية عامة في حق جميع الكفار (والله سريع الحساب) لأنه تعالى عالم بجميع المعلومات
 فلا يشغلها محاسبة واحد عن واحد وفي هذا رد على المشبهة قبحهم الله تعالى لأنه تعالى لو كان
 متكلماً بالآلة كما يقولون لما صحت ذلك وقوله تعالى (أو كظلمات) عطف على كسراب على حذف
 مضاف واحد تقديره أو كذا ظلمات ودل على هذا المضاف قوله تعالى اذا أخرج يده لم يكد
 يراها فالكتابة تعود الى المضاف المحذوف وهو قول أبي علي وقال غيره على حذف مضافين
 تقديره أو كما عمل ذى ظلمات فتدري ليصبح عود الضمير اليه في قوله تعالى اذا أخرج يده وقدر
 أعمال ليصبح تشبه أعمال الكفار بأعمال صاحب الظلمة اذ لا معنى لتشبه العمل بصاحب
 الظلمة أو للتخدير فان أعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب وليكونها خالية عن نور
 الحق كالظلمات المتركة من ليج البحر والامواج والسهاب وللتنويع فان أعمالهم ان كانت
 حسنة فكالسراب وان كانت فبيحة فكالظلمات أو للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات في
 الدنيا وكالسراب في الآخرة وقوله تعالى (في بحر لحي) صفة للظلمات فيستلحق بمحذوف والبحر
 منسوب الى اللج وهو معظم البحر وقيل منسوب الى اللجة بالنساء وهي أيضاً معظمه فاللجي هو
 العميق الكثير الماء وقوله تعالى (يفشاه) أي يغطي هذا البحر ويعاوه (موج) كائن (من فوقه
 موج) أي أمواج مترادفة متراكمة (من فوقه) أي الموج الثاني المركوم وقوله تعالى (سحاب)
 أي غيم غطى النجوم ويجب أنوارها صفة أخرى لبحر وقوله تعالى (ظلمات) أي من البحر
 والموجين والسهاب خبر مبتدأ مضمرة تقديره هذه ظلمات أو تلك ظلمات ويجوز أن يكون ظلمات
 مبتدأ والجملة من قوله تعالى (بعضها فوق بعض) خبره فانه الخوف (فان قيل) لا مسوغ
 للإبتداء بهذه التكررة (أجيب) بأنهم امو صوفة تقدير أي ظلمات كثيرة متكاثفة وقرأ البري
 سحاب بالالتوين وجر ظلمات وقبيل يتون سحاب ويميز ظلمات والبري جعل الموج المتراكم
 بمنزلة السحاب وأما قبيل فانه جعل ظلمات بدلا من ظلمات الاولى والباقيون يتون سحاب
 وظلمات بالرفع فيما (اذا أخرج) أي الكافر في هذا البحر بدلالة المعنى وان لم يجره لذكر (بده)
 وهي أقرب ما يرى اليه في هذه الظلمات (لم يكد) أي الكائن فيه (يراه) أي لم يقرب من

فوقها فضلا عن أن يراها كقول ذي الرمة

إذا غيبت النأي (أي البعد وفي نسخة المهجر) الحجين لم يكد*

رئيس الهوى (أي ثابته بمعنى الهوى الثابت) من حبه ممة يرح

أي يزول والمعنى لم يقرب من البراح فضلا عن أن يرح* (تنبيه)* في كيفية هذا التشبيه وجوه
أحدها قال الحسن إن الله تعالى ذكر ثلاثة أنواع من الظلة ظلة البحر وظلة الأمواج وظلة
السحاب كذا الكافر له ظلمات ثلاثة ظلة الاعتقاد وظلة القول وظلة العمل ثانيا قال ابن
عباس شبه قلبه وسمعه وبصره بهذه الظلمات الثلاث ثالثا أن الكافر لا يدري ولا يدري أنه
لا يدري ويعتقد أنه يدري فهذا المراتب الثلاثة تشبه تلك الظلمات الثلاث رابعا قلب مظلم
في صدر مظلم في جسد مظلم خامسا إن هذه الظلمات متراكمة فكذا الكافر لشدة أصراره على
كفره قد تراكت عليه الضلالات حتى لو ذكر عنده أظهر الدلائل لم يفهمه (ومن لم يجعل الله)
أي الملك الأعظم (له نورًا خالقه من نور) قال ابن عباس من لم يجعل الله دينًا وإيمانًا فلا دين له
وقيل من لم يمهده الله فلا هادي له لأنه تعالى قادر على ما يريد* ولما وصف تعالى أنوار قلوب
المؤمنين وظلمات قلوب الجاهلين أتبع ذلك بدلائل التوحيد بقوله تعالى (ألم تر) أي تعلم علما
يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي والاستدلال (أن الله) أي الحائز لصفات الكمال
(يسبح له) أي يترجمه عن كل شائبة نقص (من في السموات والأرض) لأن التسبيح لا يرى بالبصر
بل يعلم بالقلب وهذا استقهام والمراد به التقرير والبيان وهذا التسبيح إما أن يكون المراد منه
دلالته بخلق هذه الأشياء على كونه تعالى منزها عن النقائص موصوفا بعبود الخلال أو يكون
المراد منه في حق البعض الدلالة على التنزيه وفي حق الباقي النطق باللسان قال الرازي والاول
أقرب لأن القسم الثاني متعد ولأن في الأرض من لا يكون مكلفا لا يسبح بهذا المعنى والمكلفون
منهم من لا يسبح أيضا بهذا المعنى كالكفار وأما القسم الثالث وهو أن يقال إن من في السموات
وهم الملائكة يسبحون باللسان وأما الذين في الأرض فبهم من يسبح باللسان ومنهم من يسبح
على لسان الدلالة فهذا يقتضي استعمال اللفظ الواحد في الحقيقة والجاز معا وهو غير جائز
عند أكثر العلماء فلم يبق إلا القسم الأول وهو أن هذه الأشياء مشتركة في أن أجسامها
وصفاتهما على تنزيه الله تعالى وقدرته وهيبته وتوحيده وعدمه فسمى ذلك تنزيها توسعا
(فان قيل) فالسبح بهذا المعنى حاصل لجميع المخلوقات فواجه تخصيصه ههنا بالعقلاء (أجيب)
بأن خلقية العقلاء أشد دلالة على وجود المانع سبحانه وتعالى لأن العجائب والغرائب في
خلقهم أكثر وهي العقل والنطق والقهم* ولما كان أمر الطير دلالة أعجب ولأنها قد تكون
بين السماء والأرض فتكون خارجة عن حكمهم فيها مخها بالذكري من جملة الحيوان بقوله تعالى
(والطير صافات) أي باسطات أجنحتها في جوار السماء لاشبهة في أنه لا يسكنها إلا الله تعالى
ومساكها في الجوارع أنها أجزام ثقيلة واقدا ره لها فيه على القبض والبسط حجة قاطعة على
كمال قدرته تعالى واختلاف في عود الضمائر في قوله تعالى (كل) أي من المخلوقات (قد علم

صلاته وتسيجه) على قولين أحدهما أنها كلها عائلة على كل أى كلفه علم هو صلاة نفسه
وتسيجها قال ابن عادل وهذا أولى لتوافق الضمائر ثانيهما أن الضمير في علم عادى إلى الله تعالى
وفي صلاته وتسيجه عائد على كل ويدل عليه قوله تعالى (والله) أى المحيط علما وقدره (عليهم بما
يقولون) وقيل ان ضرب أجنحة الطير صلاته وتسيجه وهذا يؤيد أن المراد من التسيج دلالة هذه
الامور على التنزيه لا النطق باللسان روى أن أبا ثابت قال كنت جالسا عند أبي جعفر الباقر
فقال لى أتدرى ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها قال لا قال فانهم يقدسون
الله بهن ويسألونه قوت يومهن قال بعض العلماء اننا شاهد من الطيور وسائر الحيوانات أعمالا
اطيفة يعجز عنها كثير من العقلاء فاذا كان كذلك فلم لا يجوز أن يلهمها معرفة ودعاه وتسيجه
وبيان أنه تعالى ألهمها الاعمال الطيبة بوجوه أحدها أن الدب يرمي بالحجارة ويأخذ العصا
ورمى الانسان حتى يتوهم أنه مات فيتركه وربما عاد يشمه ويتجسس نفسه ويسعد الشجرة
أخف صعود ويهشم الجوز بين كفيه تقر به بالواحدة ومصدمة بالآخرى ثم يفتح فاه فيذر
قشره ويتغذى به ويحكى عن القار في سرقته أمور عجبية ثانيها أمر النحل وماله من الرياسة
والنبوت المسدسة التي لا يتكلم من بنائها أفاضل المهندسين ثالثها انتقال الكركى من
طرف من اطراف العالم الى الطرف الاخر طابا لما يوافق من الاهوية ويقال من خواص
الخيل ان كل واحد يعرف صوت الفرس الذي قتله وقتاما والتماسيح تفتح أفواهها الطائر يقع
عليها يقال لها القطقاط وينظف ما بين أسنانها وعلى رأس ذلك الطائر كالشوكه فاذا هم التماسيح
بالتقام ذلك الطائر تأذى من تلك الشوكه فيفتح فاه فيخرج ذلك الطائر والسلمفة تتناول بعدد
أكل الحية سعترا جبليا ثم تعود وقد عوفيت من ذلك وحكى عن بعض الثقات الجبريين
للصيد أنه شاهد الحبارى تقاقل الافعى وتنهمز عنها الى بقله تتناول منها ثم تعود ولا تزال كذلك
وكان ذلك الشخص قاعدا فى كن وكانت البقلة قريبة من مسكنه فلما اشتغل الحبارى بالافعى
قلع البقلة فعاد الحبارى الى منبته فلم يجدها فأخذ يندد وروحول منبته ادورا نامتبا عا حتى خر ميتا
فعلم الشخص أنه يعالج بأكلها من اللسعة وقلق البقلة هى الجرجير البرى وابن عرس يستظهر
في مقاتله الحية بأكل السذاب فان النكهة السذابة تنقر منها الافعى والكلاب اذا مرضت
بطونها أكلت سنبل القمح واذا جرحت داوت الجراحة بالسعتر الجسلى رابعها القنافة تحس
بالشمال والجنوب قبل الهبوب فقير المدخل الى حجرها وكان رجل بالقسطنطينية قد اترى
بسبب أنه يندد بالرياح قبل هبوبها وينفع الناس بانذاره وكان السبب فيه قنفذ فى داره يفعل
الصنيع المذكور فيستدل به والخطاف صناع فى اتخاذ العش من الطين وقطع الخشب فان
أعوزه الطين ابتل وعرغ فى التراب ليحمل جناحه قدرا من الطين واذا فرغ بالغ فى تعهد الفراخ
وتأخذ زرقها بفتارها وترمها من العش والغرائق تصعد فى الجو عند الطيران فان حجب بعضها
عن بعض صحاب أو ضباب أحدثت عن أجنحتها خفا فاسمعوها ينبع به بعضها بعضا واذا باتت
على جبل فانهم انضع رأسها تحت أجنحتها الا القائد فانه ينام مكشوف الرأس فيسرع اتباعه

واذا سمع جرس اصباح وحال الخيل في الذهاب الى مواضعها على خط مستقيم يحفظ بعضها بعضا
 أمر عجيب واذا كشف عن بيوتها السائر الذي كان يستترها وكان تحتها بيض لها فان كل غلة
 تأخذ بيضة في فيها وتذهب في أمر ع وقت والاستقصاء في هذا الباب مذكور في كتاب طبائع
 الحيوان والمقصود من ذلك أن الفضلاء من العقلاء يعجزون عن أمثال تلك الحيل واذا كان
 كذلك فلم لا يجوز أن يقال انها تسبح الله تعالى وتثنى عليه وان كانت غير عارفة بسائر الامور
 التي نعرفها الناس ويؤيد هذا قوله تعالى ولكن لا تفقهون نسيهم وقوله صلى الله عليه وسلم
 ان نوحا عليه السلام أوصى فيه عند موته بلا اله الا الله فان السموات السبع والارضين السبع
 لو كن في حلقة مبهمة قسمتهن وسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شئ وبها يرزق كل شئ وقال
 الغزالي في الاحياء روى أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بولت عني الدنيا وقلت
 ذات يدي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها
 يرزقون قال فقلت وما هي يا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر
 الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى أن تسمى الصبح تأتلك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله عز
 وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله الى يوم القيامة لك ثوابه ثم نبه سبحانه وتعالى بقوله
 (ولله ملك السموات والارض) على أن الكل منه لان كل ما سواه ممكن ومحدث والممكن
 والمحدث لا يوجد الا عند الانتهاء الى القديم الواجب الوجود ويدخل في هذا جميع الاجرام
 والاعراض وأفعال العباد وأحوالهم وخواطرهم وفي قوله تعالى (والى الله) أى الذى له
 الاحاطة بكل شئ (المصير) دليل على المعاد وأنه لا بد من مصير الكل اليه بعد الفناء والرؤية
 في قوله تعالى (لم تر) نظرية (أن الله) أى ذال الجلال والجمال (يزجي سبحانه) أى يسوقه برفق
 بعد أن أنشأه من العدم تارة من السفلى وتارة من العلو ضعيفاً رقيقاً متقرفاً قال أبو
 حبان وهو اسم جنس واحده صحابة والمعنى يسوق صحابة الى صحابة وهو معنى قوله تعالى (ثم
 يوقف بينه) أى بين أجزائه بعد أن كان قطعاً في جهات مختلفة فيجعل القطع المتفرقة قطعة
 واحدة (ثم يجعله ركاماً) في غاية العظمة متراكماً بعضه على بعض بعد أن كان في غاية الرقة (فترى)
 أى في تلك الحالة المستمرة (الودق) أى المطر (يخرج من خلاله) أى من قنوقه التى حدثت
 بالتراكم وارهاص بعضها في بعض (فان قبيل) بين انما تدخل على منى فما فوقه فلم تدخل هنا
 على مفرد (أجيب) بأن المراد بالصحاب الجنس فعاد الضمير على حكمه أو على حذف مضاف أى
 بين أجزائه كما مر وبين قطعه فان كل قطعة صحابة وقرأ السوسى فترى فى الوصل بالامالة بخلاف
 عنه والباقون بالفتح وأما فى الوقف فأبو عمرو وحزرة والكسائى بالامالة تحضة وورش بالامالة
 بين بين والباقون بالفتح (وينزل من السماء) أى من الغمام وكل ما علا فهو سماء (من جبال فيها)
 أى فى السماء وهى السحاب الذى صار بعد تراكمه كالجبال وقوله تعالى (من برد) بيان للجبال
 والمفعول محذوف أى ينزل مبتدأ من السماء من جبال فيها من بردا فمن الاولى لا بداء
 الغاية بانقاف الثانية للتبعيض والثالثة للبيان ويجوز أن تكون الثانية لا بد الغاية أيضاً

وجبرورها بدل من الاولى باعادة العامل والتقديرو ينزل من جبال أى من جبال فيها فهو بدل
 اشتمال والاخيرة للتبعيض واقع موقع المفعول (فان قيل) مامعنى من جبال فيها من برد
 (أجيب) بأن فيه معنيين أحدهما أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال
 حجر وليس في العقل قاطع يمنع الثاني أن يراد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا
 من ذهب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون واخفاها عند الزاى وتخفيف الزاى
 والباقون بفتح النون وتشديد الزاى ثم بين تعالى أن ذلك باختياره وارادته بقوله تعالى (فصيب
 به) أى بكل من البرد والطرق على وجه النعمة أو الرحمة (من يشاء) أى من الناس وغيرهم
 (وبصره عن من يشاء) صرفه عنه (فائدة) عن مقطوعة من من في الرسم ثم نبه تعالى على ما هو
 غاية في العجب في ذلك مما في الماء من النور الذي ربما نزل منه صاعقة فأحرقت ما لا تحترق النار
 بقوله تعالى (يكاد) أى يقرب (سنا) أى ضوء (برقه) وهو اضطراب النور في خلاله (يذهب)
 أى هو متبسا (بالابصار) أى الساطرة له أى يحطفها الشدة لعلانه وتلا أنه فتكون قوة البرق
 دليلا على تكاثف السحاب وبشيرة بقوة المطر ونذيرا بنزول الصواعق واعلم أن البرق الذي
 صفته كذلك لا بد وأن يكون نارا عظيمة خالصة والنار ضد الماء والبرد فظهوره يقتضى ظهور
 الضد من الضد وذلك لا يمكن الا بقدره قادر حكيم ثم ذكر تعالى ما هو أدل على الاختيار بقوله
 تعالى مترجما ليشمل ما مضى وزيادة (يقب الله) أى الذى له الامر كله بتحويل الظلام ضياء
 والضياء ظلاما والنقص تارة والزيادة أخرى مع المطر تارة والصحو أخرى (الليل والنهار) فينشأ
 عن ذلك التقلب من الحر والبرد والنمو والتسويج واليبس ما يهبر العقول ولهذا قال منها على
 النتيجة (أن في ذلك) الامر العظيم الذى ذكر من جميع ما تقدم (لعبرة) أى دلالة على وجود
 الصانع القديم وكمال قدرته وحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزيهه عن الحاجة وما يقضى اليها
 (لاولى الابصار) أى لاصحاب البصائر على قدرة الله تعالى وقوته حمده ولما استدل تعالى أولا
 بأحوال السماء والارض وثانيا بالانوار العلوية استدلالا بالاثبات بحال الحيوانات بقوله
 تعالى (والله) أى الذى له العلم الكامل والقدرة الشاملة (خلق كل دابة) أى حيوان (من ماء)
 وقرأ حزة والكسائي بألف بعد الخاء وكسر اللام ورفع الصاد وكسر لام كل والباقون بفتح
 اللام والخاء ولا آت بينهما ونصب لام كل (فان قيل) كثير من الحيوانات لم يخلق من الماء
 كالملائكة خلقوا من النور وهم أعظم الحيوانات عددا وكذا الجن وهم مخلوقون من النار
 وخلق آدم من التراب كما قال تعالى خلقه من تراب وخلق عيسى من الریح كما قال تعالى
 فنحننا فيه من روحنا ونزى كثير من الحيوانات يتوالد من نطفة (أجيب) بوجوه أحسنها
 ما قال الفقا أن من ماء صلة كل دابة وليس هو من صله خلق والمعنى أن كل دابة متولدة من
 الماء فهى مخلوقة لله تعالى ثانيا أن أصل جميع المخلوقات من الماء على ما روى أن أول
 ما خلق الله تعالى جوهره فنظر إليها بعين الهيبة فصارت ماء ثم قسم ذلك الماء فخلق منه النار
 والهواء والنور والتراب والمقصود من هذه الآية بيان أصل الخلقة فكان أصل الخلقة الماء

فلهذا ذكره الله تعالى ثلثها المراد من الدابة التي تدب على وجه الارض ومسكنها هناك فخرج
 الملائكة والجن وابعدها لما كان الغالب من هذه الحيوانات كونها مخلوقة من الماء اتمالاً لها
 متولدة من المظفة واما لانها لاتعيش الا بالماء أطلق عليها لفظ كل تنزيلاً للغالب منزلة الكل
 (فان قيل) لم نكر الماء في قوله تعالى من ماء وعرفه في قوله تعالى من الماء كل شيء حي (أجيب)
 بأنه جاء ههنا منكر الان المعنى خلق كل دابة من نوع من الماء محتصاً بتلك الدابة وعرفه
 في قوله تعالى من الماء كل شيء حي لان المقصود هناك كونهم مخلوقين من هذا الجنس وههنا
 بيان أن ذلك الجنس ينقسم الى أنواع كثيرة (فمنهم) أي الدواب (من يشي على بطنه) كالخيسبة
 والحيتان والديدان واستعمل المشي للزحف على البطن كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا
 الامر ويقال فلان مامشي له أمر أو معنى بذلك للمشاكله يذكر الزاحف مع الماشي (ومنهم
 من يشي على رجلين) أي فقط كالآدمي والطير (ومنهم من يشي على أربع) أي من
 الابدى والارجل كالنم والوحش (فان قيل) لم حصر القسم في هذه الثلاثة أنواع
 من المشي وقد نجد من يشي على أكثر من أربع كالغناكب والعقارب والحيوان الذي له
 أربع وأربعون رجلاً الذي يسمى دخال الاذن (أجيب) بأن هذا القسم الذي لم يذكر كالنادر
 فكان ملحقا بالعدم وقال النقاش انه اكتفى بذكر ما يشي على أربع عن ذكر ما يشي على أكثر
 من أربع لان جميع الحيوان انما اعتماده على أربع وهي قوائم مشيه وكثرة الارجل لبعض
 الحيوان زيادة في الخلقة لا يحتاج ذلك الحيوان في مشيه الى جميعها وبأن قوله تعالى (يخلق
 الله ما يشاء) كالتمشية على سائر الاقسام (فان قيل) لم جاءت الاجناس الثلاثة على هذا
 الترتيب (أجيب) بأنه قدم ما هو أعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من أربع
 أو قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على أربع * (تنبيه) * انما أطلق من على غير العاقل
 لاختلاطه بالعاقل في المفصل بين وهو كل دابة وكان التعبير عن أولى لبواق اللفظ * ولما
 كانت هذه الالة ناظرة الى البعث اتمت نظر وكانوا منكرين له أكد ذلك بقوله تعالى (ان الله)
 أي الذي له الكمال المطلق (على كل شيء) من ذلك وغيره (قدير) لانه القادر على الكل والعالم
 بالكل فهو المطلع على أحوال هذه الحيوانات فأى عمقل يقف عليها وأي خاطر يصل الى ذرة
 من أسرارها بل هو الذي يخلق ما يشاء كيف يشاء ولا يمنعه منه مانع * ولما انضج بهذا
 ما لله تعالى من صفات الكمال والنزعة عن كل شائبة نقص وقامت أدلة الوحدة على
 ساق واتسقت براهين الألوهية أي اتساق قال تعالى مرتباً تلك الأدلة (لقد أنزنا) أي
 في هذه السورة وما تقدمها بما نؤمن العظيمة (آيات) أي مما لنا من الحكم والاحكام والآدلة
 والامثال (مبينات) للحقائق بأنواع الدلائل التي لا تخفا فيها (والله) أي الملك الاعظم (يهدي
 من يشاء) من عباده (الى صراط) طريق (مستقيم) هو دين الاسلام الموصل الى دار الحق
 والفوز بالجنة * ولما ذكر تعالى دلائل التوحيد أتبعه بذكر قوم اعترفوا بالدين بأنفسهم
 ولكنهم لم يفعلوا بتوحيدهم فقال تعالى (ويقولون) أي الذين ذمهم الله تعالى (أما بالله) أي

الذى أوضع لنا جلالة وعظمته وكلامه (وبالرسول) أى الذى علنا بكامل رسالته وعمومها بما قام عليها من الأدلة (وأعطنا) أى وأوجدنا الطاعة لله ورسوله ثم عظم المخالفة بين الفعل والقول بأداة البعد فقال تعالى (ثم تولى) أى يرتد بانكار القلب ويعرض عن طاعة الله ورسوله ضلالا منهم هو الحق (فريق منهم) أى ناس يقصدون الفرقة من هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة (من بعد ذلك) أى القول السديد المؤكد مع الله الذى هو أكبر من كل شئ ومع رسوله الذى هو أشرف الخلائق (ومأولئك) أى البعداء البغضاء الذين صاروا بتوليهم فى محل البعد (بالمؤمنين) أى المعهودين الموافقة قلوبهم ألسنتهم (فان قيل) انه تعالى حكى عن كلهم انهم يقولون آمنا ثم حكى عن فريق منهم التولى فكيف يصح أن يقول فى جميعهم ومأولئك بالمؤمنين مع أن التولى فريق (أجيب) بأن قوله تعالى ومأولئك بالمؤمنين راجع الى الذين تولوا الى الجملة الاولى ولو رجع الى الجملة الاولى لصح ويكون معنى قوله تعالى ثم تولى فريق منهم أى يرجع عن هذا الفريق الى الباقي فيظهر بعضهم لبعض الرجوع كما أظهره بينهم * ولم افضهم بما أخضوه من توليهم فجع عليهم ما أظهره فقال تعالى معبرا بأداة التحقيق (واذا دعوا) أى الفريق الذين ادعوا الى الإيمان من أى داع كان (الى الله) أى الى مانصب الملك الاعظم من أحكامه (ورسوله) وأفرد الضمير فى قوله تعالى (ليحكم) وقد تقدم اسمان وهما الله ورسوله فهو كقوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه لان حكم رسوله هو حكمه قال الرحمن شري كقولك أعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله

ومنهل من القلافى أوسطه * غلسته قبل القطا وفرطه

أى قبل فرط القطا (بينهم) أى بما أراه الله (اذا فريق منهم) أى ناس محبوبون على الإذى (معرضون) أى فاجزوا الأراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بأنك لاتحكم لهمم وهو شرح للتولى ومبالغة فيه (وأن يكن لهم) أى على سبيل الفرض (الحق) أى بلا شبهة (ياؤا اليه) أى الرسول (مذعنين) أى متقادين لعلمهم بأنه يحكم لهم لانهم يعلنون أنه دائر مع الحق لهمم وعلمهم فليس انقيادهم طاعة الله ورسوله * (تنبيه) * قوله تعالى اليه يجوز تعليقه بياؤا لأن أى وجاء قد يتعديان بالى ويجوز أن يتعلق بذنبيين لانه بمعنى مسرعين فى الطاعة وصححه الرحمن شري قال تقدم صاته ودلالتة على الاختصاص ومذعنين حال ثم قسم تعالى الامر فى عدولهم عن حكومتهم صلى الله عليه وسلم اذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب بقوله تعالى (أففى قلوبهم مرض) أى نوع فساد من أصل الفطرة يحملهم على الضلال أو مرتابين فى نبوته بقوله تعالى (أم ادناؤا) أى بأن رأوا منك تهمة فزال ثقتهم وبقيهم بك أو ثائفين الحيف فى قضائه بقوله تعالى (أم يخافون أن يحيف) أى يجوز (الله) أى الغنى عن كل شئ لأن له كل شئ (عليهم ورسوله) أى الذى لا ينطق عن الهوى * ثم أضر ب عن القسمين الأخيرين لتحقيق القسم الاول بقوله تعالى (بل أولئك) أى البعداء البغضاء (هم الظالمون) أى الكاملون فى الظلم ووجه التقسيم أن امتناعهم أما الخلل فيهم أو فى الحاكم والناسى اما أن يكون محققا

عندهم أو متوقعا وكل منهم باطل لأن منصب نبوته وفرط أمانته تمنعه فتعين الأول فظلمهم بعم
خلل عقيدتهم وميل نفوسهم إلى الخيف وضيق الفصول لنفي ذلك عن غيرهم (فان قيل) إذا
خافوا أن يحيف الله عليهم ورسوله فقد ارتابوا في الدنيا وارتابوا في قلوبهم مرض والكل
واحد قائل فائدة في التعديد (أجيب) بأن قوله تعالى في قلوبهم مرض أشار به إلى التناقض وقوله
تعالى أم ارتابوا الإشارة إلى أنهم بلغوا في حب الدنيا إلى حيث يتركون الدين بسببه (فان قيل)
هذه الثلاثة متغايرة ولكنهما متلازمة فكيف أدخل عليها كلمة أم (أجيب) بأنه تعالى نهيهم على
كل واحد من هذه الأوصاف فكان في قلوبهم مرض وهو التناقض وكان فيها شك وارتباب
وكانوا يخافون الخيف من الرسول وكل واحد من ذلك كفر وتناقض واختلاف في سبب نزول
هذه الآية فقال مقاتل نزلت في بشر المنافق وكان قد خاصم يهوديا في أرض فقال اليهودي
تصاحم إلى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق تصاحم إلى كعب بن الأشرف فان محمد يحيف
علينا فانزل الله تعالى هذه الآية وقدمت قصتها في سورة النساء وقال الضحاك نزلت في المغيرة
ابن وائل كان بينه وبين علي رضي الله تعالى عنه أرض فقاما فاقوع إلى علي ما لا يصيبه الماء
الآنسقة فقال المغيرة يعني أرضك فباعه أياها وتقاضا فقبل للمغيرة أخذت سبعة لا ينالها الماء
فقال لعلي اقبض أرضك فاقما اشتريتها ان رضىتم اولم أرضها فقال علي بل اشتريتها ورضىتمها
وقبضتمها وعرفت حالها لا أقبلها منك ودعاه إلى أن يخاصمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال المغيرة أما محمد فلا تأبه ولا تأحم اليه فانه يفضي وأنا أخاف أن يحيف علي فنزلت الآية
وقال الحسن نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الإيمان ويسرون الكفر * ولما نفي تعالى
عنهم الإيمان الكامل بما وصفهم به كان كآته يستل عن حال المؤمنين فقال تعالى (أما كان)
أى دائما (قول المؤمنين) أى العريقين في ذلك الوصف (أذادعوا) أى من أى داع كان
(إلى الله) أى إلى ما أنزل الملك الذى لا كف له من أحكامه (ورسوله) الذى لا ينطق عن الهوى
(أيهكم) أى الرسول (بينهم) بما أراه الله تعالى أى حكومة من الحكومات لهم وأعلمهم
(أن يقولوا سمعنا) أى الدعاء (وأطعنا) أى بالاجابة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وهذا ليس
على طريق الخبر ولكنه تعليم أدب الشرع بمعنى ان المؤمنين ينبغي أن يكونوا هكذا (وأولئك)
أى العالو الرتبة (هم المفلحون) الذين وصفهم الله تعالى في أول المؤمنين وهذا يدل على
عادة تعالى في اتباع ذكر الحق المبطل والتنبية على ما ينبغي بعد انكاره لما لا ينبغي * ولما رتب
تعالى الفلاح على هذا النوع الخاص أتبعه عموم الطاعة بقوله تعالى (ومن يطع الله) أى الذى
له الامر كله (ورسوله) أى فيما ساء وسره (ويحس الله) أى فيما صدر عنه من الذنوب في الماضي
ليحمله ذلك على كل خير (ويتقه) أى الله فيما يلقى من عمره بأن يجعل بينه وبين ما يستخطه وقاية
من المباحات فيتركها ويرى (فأولئك) أى العالو الرتبة (هم الفائزون) بما لا عين رأت ولا أذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر من النعيم المقيم وعن ابن عباس في تفسير هذه الآية ومن يطع
الله في فرائضه ورسوله في سنته ويحس الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل وعن بعض

المولود أنه سأل عن آية كاذبة فقلت عليه هذه الآية وقرأ أبو عمرو وشعبة وخلاّد ويثقه يسكون
 الهاء بخلاف عن خلاّد وقالون باختلاس كسرة الهاء وحذف يسكون القاف وقصر كسرة
 الهاء والباقون وخلاّد في أحد وجهيه بأشباع كسرة الهاء * ولما ذكر تعالى ما رتب على الطاعة
 الظاهرة التي هي دليل الاقياد الباطن ذكر حال المنافقين بقوله تعالى (وأقسموا بالله) أي
 الذي له الكمال المطلق وقوله تعالى (جهداً أيمانهم) مستعار من جهده نفسه اذا بلغ أقصى
 وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها أو وكادتها وعن ابن عباس من قال بالله فقد بالغ
 في اليمين وبلغ غاية شدتها (لئن أمرتهم) أي أمر من الأمور (ليخرجن) محامهم متلبسون به
 من خلافه كأنما كان وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما
 كنت نكن معك لئن خرجت نخرجنا ولئن أقتلنا وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا فقال الله
 تعالى (قل) أي لهم (لا تقسموا) أي لا تحلفوا فإن العلم بما أنتم عليه لا يحتاج الى الاقسام
 وههنا قد تم الكلام ولو كان قسمهم صادقا لمانعوا عنه لأن من حلف على القيام بالبر لا ينهى عنه
 فثبت أن قسمهم كان لفظاً وهم وكنان باطنهم يخالف ظاهرهم ومن نوى الغدر لا الوفاء
 فضحه قبيح قال المتنبي

وفي اليمين على ما أنت واعدته * ما دلئك في المعادتهم

وفي رفع قوله تعالى (طاعة معروفة) ثلاثة أوجه أحدها أنه خبر مبتدأ مضمر تقديره أمر بالطاعة
 أو المطلوب طاعة ثانياً أنه مبتدأ والخبر محذوف أي أمثل أو أؤلى أو خير أي طاعة معروفة
 للنبى صلى الله عليه وسلم خير من قسمكم الذي لا تصدقون فيه ثالثاً طاعة مبتدأ أي هذه الحقيقة
 ومعروفة والخبر أي معروفة منكم ومن غيركم وإرادة الحقيقة هو الذي سوغ الابتداء بهامع
 تشكيك لفظها لان العموم الذي تصلح له قد تخصص بإرادة الحقيقة كما قاله في أعرف المعارف
 والمعنى ان الطاعة وان اجتهد العبد في اخفائها لا بد أن تظهر مخفاً لها على شمالك وكذا المعصية
 لانه ما أسر عبد سريرة الا ألبسه الله رداءه راء الطبراني عن عثمان وعن عثمان بن عفان
 رضى الله تعالى عنه قال لو أن رجلاً دخل بيتاً في جوف بيت فأدى هناك عملاً وشك الناس أن
 يتخذ ثوبه وما من عامل عمل عملاً الا كساه الله رداء عمله ان كان خيراً خيراً وان كان شراً فشر
 وعن سعيد لو أن أحدكم يعمل في حفرة معاه ليس لها باب ولا كوة فخرج عمله للناس كأنما من كان
 (ان الله) أي الذي له الاحاطة بكل شيء (خبير بما تعملون) أي لا يخفى عليه شيء من سرائركم فانه
 فاضحكم بالحالة ومجازيكم على تقاكم * ولما تبه تعالى على خداعهم وأشار الى عدم الاعتذار
 بأيمانهم أمر بترغيهم وترهيبهم مشيراً الى الاعراض عن عتوبتهم بقوله تعالى (قل) أي لهم
 (أطيعوا الله) أي الذي له الكمال المطلق (وأطيعوا الرسول) أي الذي له الرسالة المطلقة ظاهراً
 وباطناً وقوله تعالى (فان تولوا) أي عن طاعته بحدف إحدى التاينين خطاب لهم أي فان تولوا
 فما ضر رفقوه وانما ضررت أنفسكم (فانما عليه) أي محمد صلى الله عليه وسلم (ما حمل) أي
 ما حمله الله تعالى من أداء الرسالة واذا أدى فقد خرج من عهدة التكليف (وعليكم) أي وأما

أنتم فعليكم (ما حلت) أي ما كلفتم من التلق بالقبول والاذعان فإن لم تفعلوا وتوليت فقد عرضتم
 أنفسكم لحظ الله عذابه وإن أضغتموه فقد أحرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة إلى
 الهدى فالنفع والضرعائد إليكم (وإن تطيعوه) بالاقبال على كل ما يأمركم به (تمتعوا)
 أي إلى كل خير (وما على الرسول) أي من جهة غيره (الالبلاغ) أي بما الرسول الأمام
 وهاد وما عليه إلا أن يبلغ ما له تنفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليتكم والبلاغ معنى التبليغ
 كالإداء بمعنى التأدية ومعنى (المبين) كونه مقرر وأبالات والمعجزات روى أنه صلى الله عليه
 وسلم قال على المنبر من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث
 بنعمة الله شكر وتركه كفر والجساعة رجة والفرقة عذاب وقال أبو أمامة الباهلي عليكم بالسواد
 الأعظم فقال رجل ما السواد الأعظم فنادى أبو أمامة هذه الآية في سورة النور فإن تولوا فأتوا
 عليه ما حل وعليكم ما حلت وقوله تعالى (وعد الله) أي الذي له الأساطة بكل شيء (الذين
 آمنوا ومنكم وعمالوا) أي تصديقاً لآيمانهم (الصالحات) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
 وللامة أوله ولن معه ومن للبيان ثم أكد غاية التأكيد بلام القسم لما عداكم كثر الناس من
 الرب في ذلك بقوله تعالى (لنختلفنهم في الأرض) أي أرض العرب والجم بأن يتد زمانهم
 وينفذ أحكامهم فيجعلهم متصرفين في الأرض تصرف الملوك في عملهم (كما استخلف الذين
 من قبلهم) أي من الأمم من بني إسرائيل وغيرهم من كل من حصلت له مكنة وظفر على الأعداء
 بعد الضعف الشديد كما كتب في الزبور أن الأرض يرثها عبادي الصالحون وكما قال موسى عليه
 السلام أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقرأ أبو بكر رضي الله
 عنه الفوقية وكسر اللام والباقون بفتح التاء واللام (ولم يكن لهم) أي في الباطن والظاهر (دينهم
 الذي أَرْضَى لهم) وهو دين الإسلام وتمكنه تهيئة وتوسعه وضافه إليهم إشارة إلى
 وسوخ أقدامهم فيه وأنه الذي لا يفسخ ولما بشرهم بالتمكين أشارناهم إلى مقداره بقوله تعالى
 (وليبذلهم من بعد خوفهم) أي الذي كانوا عليه (أمناً) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم
 وأصحابه مكنوا بمكة عشرين سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون
 فيه حتى قال رجل ما أتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله عليه وسلم لا تصبرون
 إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتجباً بالبس فيه حديدية وأنجز الله تعالى وعده
 وأظهرهم على جزيرة العرب واقتصوا بعض بلاد المشرق والمغرب ومن قوا ملك الأكاسرة
 وملكوا خراجهم واستولوا على الدنيا واستعبدوا أبناء القياصرة وتمكنوا شراً وغسراً ما مكنهم
 تحصل قبلهم لآتية من الأمم كما قال صلى الله عليه وسلم إن الله زوى لي الأرض ف رأيت مشارقها
 ومغاربها وسيلغ ملك أمتي ما زوى لي منها ولما قتلوا عثمان رضي الله عنه وخرجوا على علي
 ثم ابنه الحسن نزع الله ذلك الأمر كما أشير إليه من وتذكروا منا وجاء الخوف واستقرت أطاول
 ويرد أدق لقليل إلى أن صاوفي زمانها هذا إلى أمر عظيم وذلك تصديق لقوله عليه أفضل الصلاة
 والسلام الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم ملك الله من يشاء فتصيرة لكانتم نصير بيزي قطع سبيل

وسفل دما وأخذ أموال بغير حقها والثلثون خلافة أبي بكر سفتان وخلافة عمر عشرة
 وخلافة عثمان اثناعشر وخلافة علي ستة واليزري **ب**كسر الباء وتشديد الزاي الاولى
 والقصر السلب والتغلب وقوله قطع سبيل نصب اما عطف بيان لقوله يزري أو بدل منه وقرأ
 ابن كثير وأبو بكر يسكون الباء الموحدة وتخفيف الهمزة والباقون بفتح الموحدة وتشديد الهمزة
 ثم اتبع ذلك بتجته بقوله تعالى تعليلاً للتكبير ومآله (بعبدوني) أي وحدي وقوله تعالى
 (لا يشركون شيئاً) حال من الواو أي بعبدوني غير مشركين (فان قيل) فما محل بعبدوني
 (أجيب) بأنه مستأنف لا محل له كان قالوا قال حالهم مستقلين ويؤمنون فقال بعبدوني
 ويجوز أن يكون حالهم وعدهم أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم وأخلافهم فحله نصب
 ولما كان التقدير بنيت على دين الاسلام وانقاد لاحكامه استقام حال هذه البشرية عطف
 عليه قوله تعالى (ومن كفر) أي ارتد وكفر هذه النعمة (بعذلك) أي بعد الوعد والخلافة
 (فأولئك) أي البعداء من الخير (هم الفاسقون) أي الخارجون عن الدين خروجا كاملاً
 لا يقبل معه معذرة ولا يقبل لصاحبه عثرة بل تقام عليهم الاحكام بالقتل وغيره ولا يراعى منهم
 ملام ولا تؤخذ منهم رافة عند اتقام كما تقدم أول السورة فين لزمه الجلد وقيل المراد بالكفر
 كفران النعمة لا الكفر بالله وقوله تعالى فأولئك هم الفاسقون أي العاصون لله وقوله تعالى
 (وأطيعوا الصلاة) أي فأنها أقوام ما ينسبكم وبين ربكم معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا
 الرسول قال الزنجشري وليس يبعد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال
 لان حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه (وأما الزكاة) فأنها نظام ما ينسبكم وبين
 اخوانكم (وأطيعوا الرسول) أي في كل حال بأمركم به وكررت طاعة الرسول تأكيداً لوجوبها
 (لعلكم ترحبون) أي لتكونوا على رجا من الرحمة من لاراحم في الحقيقة غيره والفاعل
 في قوله تعالى (لا تحسبن) ضمير المخاطب أي لا تحسبن أيها المخاطب (الذين كفروا) أي وان
 ازدادت كفرتهم على العت وتجاوزت عظمتهم الحد (مجهزين) أي لاهل ودنا وقيل لنا
 (في الارض) أي فأنهم مأخوذون للاحالة وقرأ ابن عامر وحزرة الباء على الغيبة قال النحاس
 ما علمت أحداً من أهل العربية بصرياً ولا كوفياً الا وهو يطن قراءة حجة فنه من يقول هي لمن
 لانه لم يأت بالفعول واحداً يحسن وأجيب عن ذلك من وجهين أحدهما أن المفعول الاول
 محذوف تقديره ولا يحسن الذين كفروا أنفسهم مجهزين الا ان حذف أحد المفعولين ضعيف
 عند البصريين ومنه قول عنزة

ولقد نزلت فلا تلقني فيه • من عنزة الهب المكرم

أي فلا تلقني فيه وانما والثاني ان المفعولين هما قوله مجهزين في الارض قاله الكوفيون وقرأ
 الباقر بالتاء على الخطاب وفتح السين ابن عامر وعاصم وحزرة وكسر هـ الباقر وقوله تعالى
 (وما اوههم النار) أي مسكنهم معطوف على لا يحسن الذين كفروا ومجهزين كما قيل الذين
 كفروا والباقرتون اهل دناء ولا يفوتونا وما اوههم النار والمراد بهم المقصرون عليه بالله جهنم

أيمانهم • ولما كانت سكنى النشئ لا تكون الا بعد المصير اليه قال تعالى (وليس المصير)
 أى المرجع مصيرها فكيف اذا كان على وجه السكنى واختلف بسبب نزول قوله تعالى
 (يا أيها الذين امنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) الآية فقال ابن عباس وجه رسول
 الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر رضى الله تعالى عنه
 وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته لذلك فزلت وقال مقاتل نزلت في
 أسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت فكرهته فأنت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلامنا يدخلون علينا في حال نكرهها فنزلت واللام في ليستأذنكم
 للامر وملكت اليمين يشمل العبيد والاماء قال بعض المفسرين هذا الخطاب وان كان ظاهره
 للرجال فالمراد به الرجال والنساء لان التسديد يغلب على التأنيث قال الرازي والاولى عندي
 ان الحكم ثابت في النساء بقياس جلي لان النساء في باب العورة أشد حلا من الرجال فهو كتحريم
 الضرب بالقياس على حرمة التأقيف وقال ابن عباس هي في الرجال والنساء أى البالغين أو من
 قاربوا البلوغ يستأذنون على كل حال في الليل والنهار للدخول عليكم كراهة الاطلاع على
 عوراتكم والمتطرق بذلك الى مساكنكم واختلف العلماء في هذا الامر فقبل للنسب وقبل
 للوجوب واستظهر (والذين) أى وليستأذنكم الذين ظهر واعلى عورات النساء ولكنهم
 (ليملقوا الحلم) وقيد بقوله تعالى (منكم) ليخرج الكفار والارفاة وعبر عن البلوغ بالاحلام
 لانه أقوى دلالة (ثلاث مرات) في اليوم واليلة وقبل ثلاث استئذانات في كل مرة فان لم يحصل
 الاذن رجع المستأذن كما تقدم المرة الاولى من الاوقات الثلاث (من قبل صلاة الفجر) لانه
 وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم (و) المرة الثانية (حين تضعون ثيابكم) أى التي
 للخروج بين الناس (من الظهيرة) أى شدة الحر وهو انصاف النهار (و) المرة الثالثة (من
 بعد صلاة العشاء) لانه وقت الانفصال من ثياب البقطة والاتصال بثياب النوم وخص هذه
 الاوقات لان ساعات الخلوة ووضع الثياب والاتصاف بالصفاء وأثبت من في الموضعين
 دلالة على قرب الزمن من الوقت المذكور لضبطه وأسقطها في الاوسط دلالة على استغراقه لانه
 غير مضبوط ثم علل ذلك بقوله تعالى (ثلاث عورات) أى اختلافات في التستر والتعطف
 (لكم) لانهم من ساعات وضع الثياب والخلوة قال البيضاوي وأصل العورة الخل ومنها
 اعورت المكان وجعل أعورا اذا بدا فيه خلل انتهى وسميت هذه الاوقات عورات لان
 الانسان يضع فيها ثيابه فربما بدو عورته وقرأ أبو بكر وحزرة والكسائي في الوصل ثلاث
 بالنصب بتقدير أوقات منصوب بديل من محل ما قبله فام المضاف اليه مقامه والباقيون بالرفع على
 انها خبر مبتدأ مقدر بعده مضاف وقام المضاف اليه مقامه أى هي أوقات ويجوز ان يكون
 مبتدأ وخبره ما بعده ثم بين سبحانه وتعالى حكم ما عدا ذلك بقوله تعالى مستأفعا (ليس عليكم)
 أى في ترك الامر (ولا عليهم) أى المالك والمصيان في ترك الاستئذان (جناح) أى اثم
 وأمله الميل في الدخول عليكم في جميع الساعات (تعدون) أى بعد هذه الاوقات الثلاثة اذا

هجموا عليكم ثم علل الإباحة في غيرها مخرجا لغيرهم بقوله تعالى (طوافون عليكم) أي لعمل ما تحتاجون في الخدمة كما أنتم طوافون عليهم لعمل ما يصلحهم ويصلحكم في الاستعداد (بعضكم) طواف (على بعض) لعمل ما يميز عنه الآخر أو يشق عليه فلو عم الأمر بالاستئذان لآذى إلى المخرج (فان قيل) لم رفع بعضكم على بعض (أجيب) بأنه رفع بالإنشاء وخبره على بعض أي طواف على بعض وحذف لأن طوافون يدل عليه ويجوز أن يرتفع يطفوف مضمرا لتلك الدلالة (كذلك) أي كما بين ما ذكر (بين الله) أي بما له من احاطة العلم والقدرة (لكم) أي بها الأمة (الآيات) في الأحكام وغيرها بعلمه وحكمته (والله) أي الذي له الاحاطة العامة بكل شيء (عليه) بكل شيء (حكيم) فيما يريد فلا يقدر أحد على نقضه وختم الآية بهذا الوصف يدل على أنها محكمة لم تنسخ واختلف في ذلك فقال الرخسري عن ابن عباس أنه قال آية لا يؤمن بها أكثر الناس آية الأذن وافي لا أمر جاري أي زوجي أن تستأذن عليّ - وسأله عطاء استأذن على اختي قال نعم وإن كانت في حجر لثغونها وتلا هذه الآية وعنه ثلاث آيات محمد بن الناس الأذن كله وقوله تعالى أن أكرمكم عند الله أتقاكم فقال الناس أعظمكم بيتا وقوله وإذا حضر القسعة وعن ابن مسعود عليكم أن تستأذنوا على آبائكم وامهاتكم واخواتكم وعن الشعبي ليست منسوخة فقيل له أن الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير أن الناس يقولون هي منسوخة والله ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها وقال قوم هي منسوخة روى البغوي عن ابن عباس أنه قال لم يكن للقوم ستر ولا حجاب فكان الخدم والولائد يخلون فرج عبايرن منهم ما لا يحجبون فأمر بالاستئذان وقد بسط الله الرزق واتخذ الناس الستور فعمل الرواية اختلفت عن ابن عباس * ولما بين تعالى حكم الصبيان والارقاء الذين هم أطوع للأمر وأقبل لكل خبراً تبعه حكم البالغين من الاحرار بقوله تعالى (واذ بلغ الاطفال منكم الحلم) أي إذا بلغ أطفالكم الاحرار بلوغ السن الذي يكون فيه انزال المني سواء من أي من أم لا واختلف في ذلك السن فقال عامة العلماء هو خمس عشرة سنة أي قرية تحديده لا فرق في ذلك بين الذكر وغيره وقال أبو حنيفة هو ثمانى عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة سنة في الجارية وعن علي رضي الله عنه أنه تعتبر القامة وتقدر بخمسة أشبار وبه أخذ الفرزدق في قوله

ما زال مذمعت يداه ازاره * ومما فآذر خمسة الاشبار

واعتبر غيره الآيات أي للعانة وعن عثمان رضي الله تعالى عنه أنه سأل عن غلامه فقال هل اخضر ازاره أي نبت شعر عاتيه فأستند الاخضر اراى الازار على المحارولانه مما اشتل عليه الازار ونبات العانة الحسن عندنا علامة على بلوغ ولد الكافر فقط أما اذا رأى المني في وقت امكانه وهو اسد متكأل تسع سنين قرية فانما تحكم ببلوغه سواء كان ذكراً أم أنثى مسلماً أم كافراً وأما الخنثى فلا بد أن يبنى من فرجه أو يحمض بالفرج ويعنى من الذكر (فليستأذنوا) أي على غيرهم في جميع الاوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) أي من الاحرار الكبار الذين

جعلوا قسما للمماليك فلا يدخل في ذلك الا رقاقا فلا يستعمل بذلك على أن العبد البالغ يستأذن
 على سيده وقيل المراد الذين كانوا مع ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام (كذلك) أي كأي
 لكم ما ذكر (بين الله) أي الذي له الاحاطة والقدرة (لكم) أيها الامة (آبانه) أي دلالاته
 (والله) أي الذي يعلم السر وأخفى (عليه) أي بأحوال خلقه (حكيم) أي فيما دبر لهم قال
 سعيد بن المسيب يستأذن الرجل على امته فأما أنزلت هذه الآية في ذلك وهل حذيفة أيستأذن
 الرجل على والدته فقال نعم ان لم تفعل رأيت منها ما تكره وعن أنس قال لما كانت صبيحة يوم
 احتلت دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته اني قد احتلت فقال لا تدخل على النساء
 فما أتى على يوم كان أشد منه ولما ذكر تعالى اقبال الشباب في تعيين حكم الحجاب أجهه الحكم
 عند ادبار الشباب في اتقاء الظاهر من الشباب بقوله تعالى (والقواعد من النساء) أي
 اللاتي قد عدن عن الولد والحيض من الكبر فلا يلدن ولا يحضن واحسنهن قاعد بلاهه وقيل
 قد عدن عن الزواج وهو معنى قوله (اللاتي لا يرجون نكاحا) أي لا يردن الرجال لكبرهن
 قال ابن منبه سميت المرأة قاعدا اذا كبرت لانها تكثر القعود وقال ربيعة هن العجز المواتي
 اذا رأت هن الرجل استقدرن فأما من كان فيها بقية من جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل
 في هذه الآية (فليس عليهن جناح) أي حرج في (أن يضعن ثيابهن) أي المظاهرة فوق الثياب
 الساترة بحضرة الرجال كالجلباب والرداء والقناع فوق الخمار أما الخمار فلا يجوز وضعه لما
 فيه من كشف العورة (غير متبرجات بزينة) أي من غير أن يرندن بوضع الجلباب والرداء
 اظهار زينتهن ثم ان الزينة الخفية في قوله تعالى ولا يبدن زينتهن الالبعولتهن وأغير قاصدات
 بالوضع التبرج والتبرج هو أن تظهر المرأة محاسن ما ينبغي لها أن تستره ولما ذكر الله تعالى
 الجوارع بقية بالمستحب بعثا منه على اختيار أفضل الاعمال وأحسنها بقوله تعالى (وأن
 يستعففن) أي فلا يفتن الرداء أو الجلباب (خبر لهن) من الالتقاء كقوله تعالى وأن تعفوا أقرب
 للتقوى وان تصدقوا لانه أبعد عن التهمة (والله) أي الذي جلت عظمته (سميع) اقول لكم
 (عليه) بما في قلوبكم واختلف في سبب نزول قوله تعالى (ليس على الاعمى حرج) أي في مؤاكلة
 غيره (ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) كذلك فقال ابن عباس لما أنزل الله تعالى
 يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل تخرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى
 والزمن والعمى والعرج وقالوا الطعام أفضل الاموال وقد نهى الله تعالى عن أكل المال
 بالباطل والاعمى لا يصير موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع
 المساعدة على الطعام والمريض يضعف عن تناول فلا يستوفي من الطعام حقه فأمر الله تعالى
 هذه الآية وعلى هذا تكون على معنى في أي ليس في الاعمى أي ليس عليكم في مؤاكلة الاعمى
 والاعرج والمريض حرج وقال سعيد بن جبيرة والغصاة وغيرهما كان العربان والعميان
 والمرضى يتزهدون عن مؤاكلة الاحياء لان الناس يستقذرون منهم ويكرهون مؤاكلتهم وعن
 عكرمة كانت الانصار في أنفسهم لانه فكانت لا تأكل من هذه البيوت اذا استغفوا وكان

هو لاء يقولون الاعشى رجلاً كل أ كثر ورعاً سبقت يده الى ما سبقت عين أكله وهو لا يشهر
والاعرج رجلاً أخذ في مجلسه مكان اثنين فيسبق على جلسيه والمرضى غلوم راحة
تؤذى أو جرح يئس أو نحو ذلك فزلت وقال مجاهد زلت الآية ترخيصاً لهم في الأكل من
بيوت من سعى الله في هذه الآية وذلك ان هؤلاء كانوا يدخلون محل الرجل لطلب الطعام فاذا
لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى بيت أبيه وبيت امه وبعض من سعى الله في هذه الآية
فكان أهل الزمانة يتخرجون من هذا الطعام ويقولون ذهب بنا الى بيت غيرنا الآية وقال
سعد بن المسيب كان المسلمون اذا غزوا غلقوا منازلهم ويدفعون اليهم مفاصل ابوابهم ويقولون
قد أحلنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتخرجون من ذلك ويقولون ندخلها وهم غيب
فأنزل الله تعالى هذه الآية رخصة لهم وقال الحسن زلت رخصة لهم في التخلف عن الجهاد
وقال تم الكلام عند قوله تعالى ولا على المريض حرج وقوله تعالى ولا على أنفسكم أن
تأكلوا من بيوتكم كلام مستأنف منقطع عما قبله (فان قيل) أي تله في اباحة كل الانسان
طعامه في بيته (أجيب) بأن المراد من البيوت التي فيها أزواجكم عيالكم فيدخل فيه بيوت
الاولاد لان بيت ولده كبيته قال صلى الله عليه وسلم أنت ومالك بيتك وقال صلى الله عليه وسلم
ان أطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه وللمنازل قوله تعالى ولان تأكلوا
أموالكم ينسحب بالباطل قالوا لا يحصل لاحد منا أن يأكل عند أحدنا من أموال الله تعالى ولا على
أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أي لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم (أو بيوت آبائكم)
أي وان بعدت أنسابهم قال البقاعي واهل جمع لذلك فانه لم يركب حرمة محرمكم (أو بيوت
أمتهم) كذلك وقدم الاب لانه أجل وهو حاكم بيته دليلاً والماله (أو بيوت اخوانكم) أي
من الابوين أو الالب أو الام بالنسب أو الرضاع فانه من أولى من رضى بذلك بعد الوالدين لانهم
منكم وهم أولياء بيوتهم (أو بيوت اخوانكم) فانه بعدهم من أولى البيت فان كن من زوجات
فلا بد من اذن الزوج (أو بيوت أعمامكم) فانه شائق آبائكم سواء كانوا أشقاء أو اب أم لام
ولو أفردهم لم تنوهم انه الشقيق فقط فانه أحق بالام (أو بيوت عماتكم) فانه بعد الاعمام
لضعفهن ولان رجلاً كان أولياء بيوتهم الأزواج (أو بيوت أخوالكم) لانهم شائق
أمتهم (أو بيوت خالاتكم) آخرهن لما ذكر في العمات (أو أمامكم مفاصله) قال ابن
عباس عن ذلك وكيل الرجل وقبحة في ضيعته وما شئت لابس عليه أن يأكل من غرضيعته
ويشرب من لبن ما شئت ولا يحمل ولا يدخر مصلك المفاصل كونها في يده وحفظه وقال الضحاك
يعني من بيوت عبيدكم وعمالكم لان السيد ملك منزل عبده والمفاتيح الخزائن لقوله تعالى وعنده
مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويجوز أن تكون الذي يفتح به وقال عكرمة اذا ملك الرجل المفتاح
فهو خازن فلا بأس أن يطعم الشيء اليسير وقال السدي الرجل يولى طعام غيره ويقوم عليه فلا
بأس أن يأكل منه وقيل أو مما ملكتم مفاتيحه ما خزنتموه عندهم وقال مجاهد وقتادة من بيوت
أنفسكم مما ذخرت وطعمتم (أو صدقكم) أي أو بيوت اصدقائكم والصدق هو الذي

صدق في آية ويكون واحدا وجعا وكذا الخليلط والقطين والعدو قال ابن عباس نزلت
في الحرب بن يخرج غازيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على أهله
فلما رجع وجد مجهودا فأسأله عن حاله فقال تقرحت أكل طعامك بغير اذنك فانزل الله هذه
الآية يحكى عن نلسن أنه دخل داره واذا حلقة من أصدقائه وقد استلوا سلا من تحت سريره
فيها الخبيص ولطف الاطعمة وهم مكبون عليها بأكلون فتملت أسارير وجهه سرورا
وضحك وقال هل كوجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقهم من البديين وكان الرجل منهم يدخل
دار صديقه وهو ثوب فيسأل جاريته كدسه فبأخذ ما شاء فاذا حضر مولاها فأخبرته أعتقها
سرورا بذلك وعن يهر بن محمد من عظم حرمة الصديق أن جعله الله تعالى في الانس والثقة
والابسا وطرح الحمة بمنزلة النفس والاب والابن والاخ وعن ابن عباس الصديق أكبر
من الوالد بن الجهمين استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والامهات بل قالوا اننا من شافعين
ولا صديق جيم والمعنى يجوز الاكل من بيوت من ذكر وان لم يحضروا واذا علم رضا صاحب
البيت باذن أو قرينة ظاهرة الحال فان ذلك يقوم مقام الاذن الصريح ولذلك خص هؤلاء
فانهم يعقدون التبسط بينهم وربما سمح الاستئذان ونقل كن قدم اليه طعام فاستاذن
صاحبه في الاكل منه (فان قيل) اذا كان ذلك لا بد فيه من العلم بالرضا فليست لافرق بينهم وبين
غيرهم (أجيب) بأن هؤلاء يكفونهم أدنى قرينة بل ينبغي أن يشترط فيهم أن لا يعلم عدم الرضا
بخلاف غيرهم لا بد فيه من صريح الاذن أو قرينة قوية هذا ما ظهر لي ولم أر من تعرض
لذلك وكان الحسن وقتادة يريان دخول الرجل بيت صديقه والاكل من طعامه بغير اذنه لهذه
الآية واحتج أوجه حنفية بهذه الآية ع أن من سرق من ذى رحم محرم أنه لا يقطع لأن الله تعالى
أباح لهم الاكل من بيوتهم ودخول البيوت منهم (فان قيل) فيلزم أن لا يقطع اذا سرق من
مال صديقه (أجيب) بأن من سرق من ماله لا يكون صديقه وقيل ان هذا كان أول الاسلام
ثم نسخ فلا دليل له فيه وقرأ يوتكم ريبون وناورس وأبو عمرو وحفص بضم الباء الموحدة
والباقون بالكسر وقرأ حجة والكسائي أمهاتكم في الوصل بكسر الهمزة والباءون بالضم
وكسر الميم حمزة وفتحها الباقون ولما ذكر تعالى معدن الاكل ذكر حاله بقوله تعالى (ليس
عليكم جناح) أي اثم (أن تأكلوا جميعا) أي مجتمعين (أو أشاتا) أي متفرقين واختلف في سب
نزول هذه الآية فقال الاكثرون نزلت في بني لبي بن عمرو من كنانة وكانوا يتخرجون أن يأكل
الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاية الليل فان لم يجد من يؤاكله كل ضرورة وقال عطاء
عن ابن عباس كان القتي يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه
فيقول والله اني لا جنح أي أنخرج أن أكل معك وأاغنى وأنت فقير فنزلت هذه الآية وقال
عكرمة وأبو صالح نزلت في قوم من الانصار كانوا الاياكون اذا نزل بهم ضيف الامع ضيفهم
فرخص لهم في أن يأكلوا كيف شاؤوا مجتمعين أو أشاتا متفرقين وقال الكلبي كانوا اذا اجتمعوا
لبأكلوا طعاما عزوا للاعنى طعاما وحده وكذلك الزمن والمريض فين الله تعالى لهم أن ذلك غير

واجب وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الأكل وزيادة بعضهم
 بعض * (تنبيه) * جميعا حال من فاعل تأكلوا وأشتا ناعطف عليه وهو جمع شئت وشيت
 شيت وشستان تنبيه شئت روى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أنا فأكل ولا نسمع ل
 فاعلكم تأكلون متفرقين اجتماعا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه وروى
 صلى الله عليه وسلم قال كلوا جميعا ولا تفرقوا واذكروا اسم الله فان البركة مع الجماعة * ولما
 تعالى مواطن الأكل وكيفيته ذكر الحال التي عليها الدخول إلى تلك المواطن أو غيرها بقا
 تعالى (فاذا دخلتم) أي بسبب ذلك أو غيره (بيوتا) أي من هذه البيوت (فسلوا على أنفسكم
 أي على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة جعل أنفس المؤمنين كالنفس الواحدة كقوله تعالى
 ولا تقتلوا أنفسكم وقال ابن عباس إذا لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا
 السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال قتادة إذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحو
 بالسلام من سلمت عليهم وإذا دخلت بيتا لا أحد فيه فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
 حدثنا أن الملائكة ترد عليه (تحية من عند الله) أي ثابتة بأمره مشروعة من الله (مباركة)
 أي لانه يرجي بها زيادة الخير والثواب (طيبة) أي تطيب بها نفس المستمع والتحية طلب سلامة
 وحياة للمسلم عليه والحما من عند الله ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجي
 بها من الله تعالى زيادة الخير وطيب الرزق وعن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 عشر سنين وقيل تسع سنين فما قال لي شي فعلته لم فعلته ولا قال لي شي تركته لم تركته وكنت
 واقفا على رأسه أصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال ألا أعلم ثلاث خصال تتفهم ما قلت بلي
 بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال متى لقيت من امتي أحد فسلم عليه بطل عرك وإذا دخلت بيتك
 فسلم عليهم بكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة البرار الا راوا زين * (تنبيه) * تحية
 منصوب على المصدر من معنى فسأوا فهو من باب قعدت جلو سافكا نه قال فحيوا تحية وقال
 القفال وان كان في البيت أهل الذمة فليقل السلام على من اتبع الهدى وكرهه تعالى (كذلك
 بين الله) أي الذي أحاط علمه بكل شيء (الآيات) ثالثا لمزيد التأكيد وتغنيم الاحكام
 المحققة به وفصل الاولين بما هو المقصود لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال تعالى (لعلكم
 تعقلون) أي عن الله أمره ونهيته وأدبه * ولما كان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل
 موطن تجب الإقامة فيه ويهجر ما عدا من الاوطان قال تعالى (انما المؤمنون) أي الكاملون
 في الايمان (الذين آمنوا بالله) أي الملك الاعلى (ورسوله) أي ظاهره وباطنه (واذا كانوا معه)
 أي الرسول صلى الله عليه وسلم (على أمر جامع) أي يجمعهم من حرب حضرت أو صلاة جمعة
 أو عيد أو جماعة أو تشاور في أمر نزل ووصف الامر بالجمع للمباقة أو من الاسناد المجازي
 لانه لما كان سببا في جمعهم نسب الفعل اليه مجازا (لم يذهبوا) أي يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا
 عما اجتمعوا له لعذر لهم (حتى يستأذنه) قال الكلبي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض في
 خطبته بالمناقين ويعيهم فينظر المنافقين يميناً وشمالاً فاذا لم يرهم أحد انسلوا وخرجوا

ولم يداوان أبصرهم أحدهم أو صلوا أو خافوا فزلت هذه الآية فكان المؤمن بعد نزولها
 لأصح الحاجة حتى يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المنافقون يخرجون بغير إذن
 فأما هذا إذن الامام يوم الجمعة أن يشير بيده قال أهل العلم كذلك كل أمر اجتمع عليه
 المؤمن مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الا باذن وهذا اذا لم يكن سبب يمنعه من المقام
 فحدث سبب يمنعه عن المقام كأن يكونوا في المسجد فتقيض منهم امرأة أو يجنب الرجل
 أمرض له مرض فلا يحتاج الى الاستئذان * ولما كان اعتبار الاذن كالمصدق لجهة كمال
 الشأن والمميز للمخلص فيه أعاده مؤكدا على أسلوب أبلغ بقوله تعالى (ان الذين يستأذنونك)
 ليعظموا لك ورجاء للادب (أو لئلا) أي العالو الرتبة (الذين يؤمنون بالله) أي الذي له الامر
 له (ورسوله) فانه يفيد أن المستأذن مؤمن لا محالة وان المذهب بغير إذن ليس كذلك * ولما
 سأل على الاستئذان تسبب عن ذلك اعلامه صلى الله عليه وسلم بما يفعل اذا انبذ بقوله تعالى
 فاذا استأذنتهم لبعض شأنهم وهو ما تشبه بالحاجة اليه (فأذن لمن شئت منهم) بالانصراف
 أي ان شئت فأذن وان شئت فلا تأذن ففي ذلك تفويض الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 واستدل به على أن بعض الاحكام منقوض الى رأيه قال الخليل ومقاتل المراد عرب الخطاب
 وذلك أنه استأذن في غزوة تبوك في الرجوع الى أهله فأذن له وقال انطلق فوالله ما أنت بمنافق
 يريد أن يسمع المنافقون ذلك الكلام فلما سمعوا ذلك قالوا ما بال محمد اذا استأذنه أصحابه أذن
 لهم واذا استأذناه أي فوالله ما نراه يعدل قال ابن عباس ان عمر استأذن النبي صلى الله عليه
 وسلم في العصر فأذن له ثم قال يا أبا حفص لا تنسنا من صالح دعائك ولما كان في الاستئذان
 ولو اعذر قصور لانه فيه تقديم الامر الدنيا على أمر الدين أمره الله تعالى بأن يستغفر لهم
 بقوله تعالى (واستغفر لهم الله) أي الذي له الامر كله بعد الاذن ليكون ذلك شاملا لمن
 دعواه وغيره ثم علل ذلك ترغيبا في الاستغفار وتطيبا لقلوب أهل الاوزار بقوله تعالى (ان الله)
 أي الذي لا يخفى عليه شيء (غفور) أي لفرط العباد (رحيم) أي بالتستر عليهم ولما أظهرت
 هذه السورة بعمومها وهذه الآيات بخصوصها من شرف الرسول ما أجمع العقول صرح بتفخيم
 شأنه وتعظيم مقامه بقوله تعالى (لأنجعلوا) أي بأبيها الذين آمنوا (دعاء الرسول ينكم كدعاه
 بعضهم بعضا) قال سعيد بن جبيرة وجماعة معناه لا تتنادوه باسمه فتقولوا يا محمد ولا بكنيته فتقولوا
 يا أبا القاسم بل نادوه وناطبوهم بالتوقير فتقولوا يا رسول الله يا نبي الله وعلى هذا يكون المصدر
 مضافا للمشعولة وقال المبرد والفضل لا تجعلوا دعاءه اياكم كدعاء بعضهم بعضا فتباطون منه كما
 يتباطأ بعضهم عن بعض اذا دعاه لامر بل يجب عليكم المبادنة لأمرة ويؤيده قوله تعالى فليحذر
 الذين يخافون عن أمره وعلى هذا يكون المصدر مضافا للفاعل وقال ابن عباس احذر ودعاه
 الرسول عليكم اذا مضطسموه فان دعاهم موجب ليس كدعاه غيره وروى عنه ايضا لا ترفعوا
 أصواتكم في دعائه وهو المراد من قوله ان الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله وقول
 المبرد كما قال ابن عادل أقرب الى نظم الآية ولما كان بعضهم يظهر الموافقة فيمن الخالفة

حذر من ذلك بقوله تعالى (قد يعلم الله) أي الذي لا تخفى عليه خافية (الذين يتسللون منكم) أي يسلمون قليلا قليلا ليعملوا ذهابهم في غاية الخفاء ونظير تسلل ندرج وتدخل وقوله تعالى (لو إذا) حال أي ملاوذين واللواد والملاوذة التستر يقال لا ذفران بكذا إذا استتر به وقال ابن عباس أي يلوذ بعضهم ببعض وذلك أن المنافقين كان ينقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة لاسيما في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد في استتار وقد للتحقيق ونسب عن علمه تعالى قوله تعالى (فليحذر) أي يوقع الحذر (الذين يخافون عن أمره) أي يعرضون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصرفون عنه بغرابة وقال أبو بكر الرازي الضمير في أمره لله لأنه يله وقال الجلال المحلى أي الله ورسوله وكل صحيح فإن مخالفة أمر أحد هما مخالفة أمر الآخر (أن أي لكلا) (تصميم قسنة) قال مجاهد بلاء في الدنيا وعن ابن عباس قسنة قتل وعن عطاء زلازل وأحوال وعن جعفر بن محمد بلاء الله عليهم سلطانا جازا (أو يصدى بهم عذاب أليم) أي وجميع في الآخرة * (تنبيه) الآية تدل على أن الأمر للوجوب لأن تاركه الأمور مخالفة للأمر ومخالفة الأمر يستحق العذاب ولا معنى للوجوب إلا ذلك ولما أقام تعالى الأدلة على أنه نور السموات والأرض وختم بالتحذير لكل مخالفة أتبع ذلك أن كل شيء فقال تعالى (ألا إن الله مافي السموات والأرض) خلقا وملكا وعبيدا (فان قيل) ما فائدة ذكر عبيد بعد مملوك (أجيب) عنه انما ذكر استلابهم أن ماله لا يعقل فقط ولما كانت أحوالهم من جهة ما هو له وانما يخلفه قال تعالى (قد يعلم ما أنتم) أي أيها المكلفون (عليه) أي من الموافقة والمخالفة والاخلاص والتفان وانما كدعله بقصد لتأكيده الوعيد وذلك أن قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى رعبا ووافقت ربما في خروجها إلى معنى التكثير في فهو قول بعضهم

فان تمس مهجورا القضاء فرعا • أقام به بعد الوفاء وفود

وفهو قول زهير

أخى ثقة لانهلك الخرماله • ولكنه قد ملك المال ناله

والمعنى أن جميع ما في السموات والأرض مختص به تعالى فكيف يخفى عليه أحوال المنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها عن العيون واخفاها وقوله تعالى (ويوم) أي ويعلم يوم (يرجعون اليه) فيه التفات عن الخطاب أي متى تكون أو يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء (فينبئهم) أي فنسب عن ذلك أنه يحذرهم (بما علوا) أي من الخير والشر فيجازيهم عليه (والله) أي الذي لا تخفى عليه خافية (بكل شيء) أي من أعمالهم وغيرها (عليه) عن عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبيها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تظنوهن الصكاة وعلوهن الغزل وسورة النور أخرجه أبو عبد الله في البيع في صحيحه وأما قول البيضاوي تعالى لكشاف من قرأ سورة النور أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي فهو حديث موضوع

(سورة الفرقان مكتبة)

الاقوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها آخرا الى رحمتنا قدنى وآمها سبع وسبعون
آيه وعثمانه واثنتان وسبعون كلمة وعدد حرفها ثلاثة آلاف وسبع مائة وعشرون حرفا

(بسم الله) الذى له الحجة البالغة (الرحمن) الذى عم الخلق بنعمه (الرحيم) الذى وسعت رحمته
كل شئ (تبارك) قال الزجاج تفاعل من البركة وهي كثرة الخير وزادته ومنه تبارك الله وفيه
معنيان تزايد خبره وتكاثر أوزايد عن كل شئ وتعالى عنه في صفاته وأفعاله وعن ابن عباس
كان معناه جاءنا بكل بر صكة وخير وقال الضحاك تبارك تعاضم ولا يستعمل الا الله تعالى ولا
يتصرف فيه ثم وصف ذاته الشريفة بما يدل على ذلك بقوله تعالى (الذى نزل الفرقان) أى
القرآن والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمى به القرآن لفصله بين الحق
والباطل ولأنه لم ينزل بجملة واحدة ولكن مفروقا مفصلا بين بعضه وبعض في الانزال ألا ترى
قوله تعالى وقرأنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث (على عبده) أى محمد صلى الله عليه وسلم
وأضافه الى نفسه اضافة تشريف وفي عود ضمير (ليكون) ثلاثة أوجه أحدها أنه يعود على
الذى نزل أى ليكون الذى نزل الفرقان نذيرا الثاني أنه يعون على الفرقان أى ليكون الفرقان
نذيرا وأضاف الانذار اليه كما أضاف الهداية اليه في قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي
أقوم قال ابن عادل وهو بعد لأن المندبر والنذير في صفات الفضائل المحمودة ووصف القرآن به
مجاز وجل الكلام على الحقيقة أولى الثالث أنه يعود على عبده أى ليكون عبده محمد صلى الله
عليه وسلم (للعالمين نذيرا) أى وبشيرا وهذا أحسن الوجوه معنى وصناعة لقربه بما يعود عليه
والضمير يعود على أقرب مذكور وللعالمين متعلق بنذيرا وانما قدم لاجل الفواصل ونذير جامع
منذرا أى يخوف ويجوز أن يكون مصدرا بمعنى الانذار كالتكبير بمعنى الانكار ومنه قوله تعالى
فكيف كان عذابي ونذر (تنبيه) المراد بالعالمين قال الباقى أى المكلفين كلهم من الجن
والانس والملائكة اه ولكن في ارساله للملائكة خلاف بين العلماء فقد نقل الجلال اهلى
في شرحه على جمع الجوامع الاجماع على أنه لم يرسل اليهم وغيره صرح بأنه أرسل اليهم ومن حفظ
هجة على من لم يحفظ (فان قيل) قوله تعالى تبارك يدل على كثرة الخير والبركة فالمدح كونه
لا بد وأن يكون مينا لكثرة الخير والمنافع والانداز يوجب التمسك والخوف فكيف يليق ذكره بهذا
الموضع (أجيب) بأن الانذار يجرى مجرى تأديب الوالد (اه) كما كانت المبالغة في تأديب
الوالد أكثر كان رجوع الخلق الى الله تعالى أكثر وكانت السعادة الآخرة أكثر وأكثرو هذا
كالتنبيه على أنه لا التفات الى المنافع العاجلة لانه تعالى لما وصف نفسه أن يعطى الخبيرات
الكثيرة لم يذكر الامتناع الدين ولم يذكر منافع الدنيا البتة وقوله تعالى (الذى يملك السموات
والارض) إشارة الى احتياج هذه المخلوقات اليه سبحانه وتعالى حال حدوثها وانه تعالى
هو المتصرف فيها كيف يشاء فلا انكار أن يرسل رسولا الى كل من فيها (تنبيه) يجوز في

(١) قوله كما انه الخ
كذا في التسخ ولا
يحتق ما فيه والذي
يستفاد من أطرافه
أن يقال فالولد كما
بالغ والده في تأديبه
كان رجوعه اليه
أكثر وأتم لسعادته
وكذلك الخلق
كلما بالغ خالقهم
في انذارهم كان
رجوعهم اليه أكثر
وأتم لسعادتهم
الآخروية اه

الذي رفع نعتا للذي الاول أوسيانا أو بدلا أو خيرا المبتدأ محذوف والنصب على المدح وما
بعده يدل على أنه من تمام الجملة فليس أجنبيًا فلا يضر الفصل به بين الموصول الاول والثاني اذا
جعلنا الثاني تابعًا له (ولم يتخذ ولدًا) أي هو الفرد أبدًا ولا يصح أن يكون غيره تعالى معبودا
ووارثا للملك عنه وهذا رد على النصارى (ولم يكن له شريك في الملك) أي هو المنفرد بالالوهية
واذا عرف العبد ذلك انقطع رجاءه عن كل من سواه تعالى ولم يستغل قلبه الا برجسته
واحسانه وفيه رد على الوثنية القائلين بعبادة النجوم والاورقان * ولما نفي تعالى الشريك
فكان فالتا يقول «هنا أقوام يعترفون بنبي الشريك والشركاء والانداد ومع ذلك يقولون
بخلق أفعال أنفسهم فرد الله تعالى عليهم بقوله (وخلق كل شيء) أي من شأنه أن يخلق ومنه
أفعال العباد وخلق هنا يعني الاحداث أي احدث كل شيء احداثا امرأهي فيه التقدير
والتسوية (فقدرة تقديرًا) أي هيأه لما يصلح له مثاله أنه خلق الانسان على هذا الشكل
المقدر الذي تراه فقدره للتكليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان
وجاد جاء به على الجبلبة المستوية لقدرته وسمى احداث الله خلقا لانه لا يحدث شيئا بالحكمة
الاعلى وجه التقدير من غير تفاروت فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك احدث وأوجد
من غير نظر الى وجه الاشتقاق فكأنه قيل وأوجد كل شيء فقدره تقديرًا في ايجادهم ولم يوجد
متفاوتا ولو جعل خلق كل شيء على معناه الاصل من التقدير لصار الكلام وقد ذكر كل شيء فقدره
فلم يصر له كبير فائدة وقيل لجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء الى امد معلوم واختلف في
عود الضمير في قوله تعالى (واتخذوا من دونه) أي الله تعالى أي غيره (آلهة) على ثلاثة
أوجه أحدها أنه يعود على الكفار الذين تضمنهم لفظ العالمين ثانياً أنه يعود على من ادعى
لله شركا وولد الدلالة قوله تعالى ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ثالثاً انه يعود على
المنذرين لدلالة نذر عليهم * ولما وصف نفسه سبحانه وتعالى بصفات الحلال والعزة
والعلو أردفه بتزييف مذهب من يعبد غيره من وجوه منها أنهم ليست خالقون للشيء بقوله تعالى
(لا يخفون شيئا) والاله يجب أن يكون قادرا على الخلق والايجاد ومنها أنها مخلوقة بقوله تعالى
(وهم مخلوقون) والمخلوق محتاج والاله يجب أن يكون غنيا وعلب العقلاء على غيرهم لان
الكفار كانوا يعبدون العقلاء كعزيز والمسيح والملائكة وغيرهم كالنكواب والاصنام
التي يسمونها ويصورونها ومنها أنها لا تملك لانفسها شراً ولا تنفعا بقوله تعالى (ولا يملكون)
أي لا يستطيعون (انفسهم ضرراً) أي دفعه (ولا نفعاً) أي جلبه ومن كان كذلك فليس باله ومنها
أنها لا تقدر على موت ولا حياة ولا نشور بقوله تعالى (ولا يملكون موتاً ولا حياة) أي امانة
لاحد واحياء لاحد (ولا نشورا) أي بعثا للاموات فيجب أن يكون المعبود قادراً على ايصال
النواب الى المطيعين والعقاب الى العصاة فمن لا يكون كذلك فيجب أن لا يصلح للالهية * (تبيينه)
احتج أهل السنة بقوله تعالى لا يخلقون شيئاً على أن فعل العبد مخلوق لله تعالى لانه تعالى عاب
هؤلاء الكفار من حيث عبدوا وما لا يخلق شيئاً وذلك لئلا يدل على أن من خلق يستحق أن يعبد

فلو كان الصمد خالق الكائن معبود الهاء * ولما تكلم تعالى أو لا على التوحيد وثاني الردة على
 عبدة غيره تكلم ثالث في مسئلة النبوة وحكي شبه الكفار في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
 * الشبهة الاولى قوله تعالى (وقال الذين كفروا) أي مظهر والوصف الذي جلمهم على هذا القول
 وهو ستر ما ظهر لهم ولغيرهم كالشمس والاجتهاد في اخفائه (ان) أي ما (هذا) أي القرآن
 (الافن) أي كذب مصر وف عن وجهه (افتراه) اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم (وأعانه
 عليه) أي القرآن (قوم آخرون) أي من غير قومه وهم اليهود فانهم يلقون اليه أخبار الامم
 وهو يعبر عنها بعبادته وقيل عداس مولى حويط بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن
 الحضرمي وأبو فكيمة الرومي كانوا يحكمون من أهل الكتاب فزعم المشركون أن محمداً يأخذ عنهم
 فرد الله تعالى عليهم بقوله تعالى (فقد جاؤا) أي قائلوا هذه المقالة (ظلماً) وهو جعل الكلام
 المعجز افتكاً محتقلاً متلقفاً من اليهود وجعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي كلاماً عربياً أعجز
 بفصاحته جميع فصحاء العرب (وزورا) أي بهتوه بنسبة ما هو بري منه اليه وقرأ ابن كثير
 وابن ذكوان وعاصم بإظهار الدال والباقيون بالادغام * (تجهيه) * جاء وأتى يستعملان في معنى
 فعل فيعديان تعديته وظلماً مفعول به وقيل انه على اسقاط الخافض أي جاؤا وظلم * الشبهة الثانية
 قوله تعالى (وقالوا أساطير الاولين) أي ما سطره الاولون من أكاذيبهم جمع أسطورة بالضم
 كاحدونه أو أسطار (اكتبها) أي تطلب كتابتها من ذلك القوم وأخذها والمعنى ان هذا القرآن
 ليس من الله تعالى انما هو مما سطره الاولون الاول كحادث رسمه واسفنديار استنسخها
 محمد من أهل الكتاب (فهى) أي فتسبب عن تكلفه ذلك أنها (غلى عليه) أي تقرأ عليه ليحفظها
 (بكرة) قبل أن تنتشر الناس (وأصيلاً) أي عشياً حين يأوون الى مساكنهم أو دأماً لئلا يتكلف
 حفظها بالانتساخ لانه أمي لا يقدر أن يكتب من الكتاب أو ليكتب وهذا كما تزي لا بقوله
 من لمسكه في عقل أو مرؤاة كيف وهو يدعوه الى المعارضة ولو بسورة من مثله وفيهم
 الكتاب والشعراء والبغاة والخطباء وهم أكثر منه مالا وأعظم أعوانا ولا يقدررون على شيء
 منه (فان قيل) كيف قيل اكتبها فهي غلى عليه وانما يقال أمليت عليه فهو يكتبها (أجيب)
 بوجهين أحدهما أراد اكتبها وطلبه فهي غلى عليه الثاني انها كتبت له وهو أمي فهي
 غلى أي تلقى عليه من كتاب ليحفظها لان صورة اللقاء على الحافظ كصورة اللقاء على الكاتب
 وقرأ فهي قالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقيون بكسر هاء ثم أمره الله تعالى
 بجوابهم بقوله تعالى (قل) أي اذال على بطلان ما قالوه وهدد الهيم (أنزله الذي يعلم السر)
 أي الغيب (في السموات والارض) لانه أعجز كم عن آخركم بفصاحته وتضمنه أخبارا عن
 منجيات مستقبله واشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه أساطير الاولين مع
 علمكم أن ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبراهنه محاسنه
 وهو يحاز بكم على ما علم منكم وعلم منه (فان قيل) كيف بطابق هذا قوله تعالى (انه كان) أي أنزل
 وأبدا (غفوراً رحيماً) أجيب بأننا كلنا ما قدمه في معنى الوعد عقبه ما يدل على القدرة

عليه لانه لا يوصف بالرحمة والمغفرة الا القادر على العقوبة أو هو تقيسه على انهم استوجبوا
بكبائرهم هذه أن يصب عليهم العذاب صبا ولا يكن صرف ذلك عنهم لانه غفور رحيم يهمل
ولا يعاجل * الشبهة الثالثة قوله تعالى (وقالوا مال هذا الرسول) أي ما هذا الذي يزعم الرسالة
وفيه استهانة وتهكم وتصغير شأنه وتسميته بالرسول سخريه منهم كأنهم قالوا مال هذا الزاعم أنه
رسول ونحوه قول فرعون أن رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون أي أن أصح انه رسول الله
فما باله حاله مثل حالنا (يا كل الطعام) أي كما أنا كاه (ويحشى) أي ويتردد (في الاسواق) اطلب
المعاش كما تحشى فلا يجوز أن يمتاز عنا بالنسبة يعنون انه يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن
الاكل والشرب والتعيش وكذلك كانوا يقولون له انت بملك لانك تأكل الطعام والملك
لا يأكل ولأن الملك لا يتسوق وأنت تسوق وما قالوه فاسد لأن أكله الطعام لكونه آدميا
ومشيه في الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفته في التوراة ولم يكن محذوف في الاسواق وليس شيء
من ذلك ينافي النبوة ولانه لم يدع أنه ملك من الملوك ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكا في
اقتراح أن يكون انسا نامعه ملك حتى يسأله في الاذار والتخويف فقالوا (ولولا) أي هلا (أنزل
اليه ملك) أي يصدقه وبشده (فيكون معه نذرا) أي داعيا ثم نزلوا أيضا الى أنه لم يكن مرفودا
بملك فليكن مرفودا بكنز فقالوا (أو يلقى اليه كنز) أي ينزل عليه كنز من السماء ينقذه فلا يحتاج
الى المشي في الاسواق لطلب المعاش ثم نزلوا فاقنعوا بان يكون رجلا له بستان فقالوا (أو تكون
له جنة) أي بستان (يا كل منها) أي ان لم يلق اليه كنز فلا أقل أن يكون له بستان كالمساير
فيتمش ربعه وقرأ جزء والكسائي بالنون أن نأكل نحن منها فيكون له مزية علينا بها
والباقيون بالياء وقوله تعالى (وقال الظالمون) وضع فيه الظاهر موضع المضمر اذا الاصل وقالوا
تسبيلا عليهم بالظلم فيما قالوا (أن) أي ما (تبعون الارحلا مسحورا) أي تحذو وعامفوا على
عقله وقيل صروفا عن الحق ولما أنهى تعالى ما ذكر من أقوالهم الناشئة عن ضلالهم التفت
سبحانه وتعالى الى رسوله صلى الله عليه وسلم مسأله بقوله تعالى (انظر) أي يا أفضل الخلق
(كيف ضربوا لك الامثال) أي بالمسحور والمحتاج الى ما ينقذه الى ملك يقوم معه بالامر
(فضلوا) أي بذلك عن جميع طرق الهدى (فلا يستطيعون) أي في الحال ولا في المال بسبب
الضلال (سبيلا) أي سلاسل سبل من السبل الموصلة الى ما يستحق أن يقصد بل هم في مجاهل
موحشة وفيها في مهلكة * ولما أثبت انهم لاعلم لهم ولا قدرة ولا عين ولا بركة أثبت لنفسه سبحانه
وتعالى ما يستحق من الكمال الذي يفيض به على من يشاء من عباده ما يشاء بقوله تعالى (تبارك)
أي ثبت ثباتا مقترنا بالبين والبركة لا ثبات الا هو (الذي ان شاء) فانه لا مكر له (جعل لك) أي
في الدنيا (خيرا من ذلك) أي من الذي قالوه على طريق التهكم من الكثر والبستان وقوله تعالى
(جنات) بدل من خيرا ويجوز أن يكون منصوبا باضمار أعني ثم وصفها بقوله تعالى (تجري من
تحتها الانهار) أي تكون أرضها عيونا تابعة أي في أي موضع أريد منه اجرا منه جري فهي

لاتزال رباحة في صاحبها عن كل حاجة ولا توجه في استمراها الى سقى (ويجعل لك قصورا) أيضا
وهي جمع قصر وهو المسكن الرفيع قال المفسرون القصور هي البيوت المشيدة والعرب تسمى
كل بيت مشيد قصرا ويحتمل أن يكون لكل جنة قصر فيكون مسكنا ومنزلا ويجوز أن تكون
القصور مجموعة والجنات مجموعة وقال مجاهد إن شاء جعل جنان في الآخرة وقصورا في
الدنيا ولم يشأ الله سبحانه وتعالى ما أشار إليه في هذه الآية الشريفة في هذه الدنيا الثانية وأخره
الى الآخرة الباقية وقد عرض عليه سبحانه وتعالى ما شاء في ذلك في الدنيا فأباه روى أنه عليه
الصلاة والسلام قال عرض على ربى لي يجعل لى بطعام مكة ذهباً فقلت لا يا رب ولكن أشبع
يوماً وأجوع يوماً وقال ثلاثاً وأخوه هذا فاذا جعت تضمرعت اليك واذا شبعت حمدتك
وشكرتك وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت
لسارت معى جبال مكة ذهباً فى ملك فقال ان ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك ان شئت
لم يعبدا وان شئت نيام ملكا فنظرت الى جبريل عليه السلام فأشار الى أن تضع نفسك فقلت نياما
عبدا قالت وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يأكل متكئا ويقول آكل كائما كل
العبد وأجلس كما يجلس العبد وعن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس
وجبريل عليه السلام معه فقال جبريل عليه السلام هذا ملك قد نزل من السماء استأذن
ربه في زيارتك فلم يلبث الا قليلا حتى جاء الملك وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
ان الله يخبرك أن يعطيك مفاتيح كل شيء لم يعطه أحد قبلك ولا يعطيه أحد بعدك من غير
أن يتفصل عما أذن الشياطين فقال صلى الله عليه وسلم بل يجتمعها لى في الآخرة فنزل تبارك الذى
ان شاء الآية وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة برفع اللام من يجعل وفيه وجهان
أحدهما أنا مستأنف والثانى أنه معطوف على جواب الشرط لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز
في جوابه الجزم والرفع كقوله

وان آناه خليل يوم مسئلة * يقول لا غائب مالى ولا حرم

والباقيون بالجزم ويجوز في يجعل لك اذا دغمت أن تكون اللام في تقدير الجزم والرفع * ثم
أضرب سبحانه وتعالى عن كلامهم في حق رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (بل أى
لا يظنوا أنهم كذبو بما جئت به لانهم لا يعتقدون فيك كذبا بل (كذبوا بالساعة) أى القيامة
فقصرت أظفارهم على الخطام الذينى وظنوا أن الكرامة انما هى بالمال فلا يرجون ثوابا ولا
عقابا فلا يتكفون النظر والفكر ولهذا لا فتعنون بما يورد عليهم من الدلائل (وأعتدنا) أى
والحال انا اعتدنا أى هيأنا بما لنا من العظمة (لمن كذب) من هؤلاء وغيرهم (بالساعة سعيرا) أى
نارا شديدة الاتقاد بما أعظموا الحريق في قلوب من كذبهم من الانبياء وأتباعهم وعن الحسن
أن السعير اسم من أسماء جهنم * (تنبيه) * احتج أهل السنة على أن الجنة مخلوقة بقوله تعالى
أعدت للمتقين وعلى أن النار وهى دار العقاب مخلوقة بهذه الآية (اذا رأتهم من مكان بعيد)
وهو أقصى ما تمكن رؤيته منهم وقال الكلبي والسدى من محبرة عام وقيل من مسيرة مائة مئة

وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال من كذب على متعمدا فليتبوأ عيني جهنم مقعدا قالوا وهل
 لهم من عيني قال نعم ألم تسمع قوله تعالى إذا رأيتهم من مكان بعيد وقال البضاوى تبعا
 للزحششرى إذا كانت يرى منهم كقوله عليه الصلاة والسلام لا ترى أى نارا هما أى لا تتقاربان
 بحيث تكون احداهما يرى من الاخرى على الجازاتهى وهذا نأويل للمعتزلة بناء منهم على
 أن الرؤية مشروطة بالحياة بخلاف الاشاعرة فانهم يحوزون رؤيتها حقيقة كتنغيظها وزفيرها
 في قوله تعالى (سجوا لها تنغيظا) أى علينا كالغضب ان اذغى صدره من الغضب (وزفيرا) أى
 صوتا شديدا اذا امتناع عن أنها تكون رابية مغتاطة زافرة وأشار البضاوى الى ذلك بعد
 ما ذكر بقوله هذا وان الحياة لما تكن مشروطة عندنا بالبيئة أمكن أن يخلق الله فيها حياة
 قبرى وتنغيظ وتزفر وقال الجلال المحلى وسماع التنغيظ رؤيته وعلمه انتهى قال عبد الله بن عمر
 تزفر جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خر لوجهه وقيل اذا رأيتهم
 زبانتهم تنغيظوا وزفروا غصبا على الكفار للانتقام منهم فنسب اليها على حذف مضاف (واذا
 ألقوا) أى طرحوا طرح اهانة (منها) أى النار (مكنا) ثم وصفه تعالى بقوله تعالى (ضيقا)
 زيادة فى فظاعتها قال ابن عباس يضيق عليهم كما يضيق الزج فى الرمح (مترين) أى مصغدين
 زيادة قد قرفت أيديهم الى أعناقهم من الاغلال وقد قيل الكرب مع الضيق كما أن الروح
 مع السعة ولذلك وصف الله تعالى الجنة بان عرضها السموات والارض وجاء فى الاحاديث ان
 لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله تعالى على أهل النار أنواع الضيق
 والارهاق حيث ألقاهم فى مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما مترن ابن عباس أنه يضيق
 عليهم كما يضيق الزج فى الرمح وهو منقول أيضا عن ابن عمر وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن
 ذلك فقال والذى نفسى بيده انهم يستكروهون فى النار كما يستكروه الوند فى الحائط وهم مع ذلك
 الضيق مسلولون مقرنون فى السلاسل قرفت أيديهم الى أعناقهم ويقرن مع كل كافر شيطانه
 فى سسله فى أرجلهم * (تنبيه) مكانا منصوب على الظرف ومنها فى محل نصب على الحال
 من مكانا لانه فى الاصل صفة له ومقرنين حال من مفعول ألقوا وقرأ ابن كثير ضيقا يسكون
 الياء والباقون بكسر الياء مشددة (دعوا هالك) أى فى ذلك المكان البغيض البعيد
 عن الرفق (ثبورا) قال ابن عباس ويلا وقال الضحاك هلا كافق قولون واثبورا هذا حينئذ
 وزعماء لانه لا مناد لهم غيره وليس يحضر أحد منهم سواء قال البغوى وفى الحديث ان أول
 من يكسى حلة من النار بل يس قبضها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه
 وهو يقول يا ثبورا وهى نادون يا ثبورهى حتى يقفوا على النار فيقال لهم (لاندعوا اليوم)
 أى أيها الكفار (ثبورا واحدا) لانكم لا تموتون اذا حلت بكم أسباب العذاب والهلاك
 (وادعوا ثبورا كثيرا) أى هلاككم أكثر من أن تدعومرة واحدة وادعوا أدعية كثيرة
 وقال الكلبي نزل هذا كله فى أبى جهل والكفار الذين ذكر واثلك الشبه * ولما وصف تعالى

العقاب المثل للمكذبين بالساعة اتبعه بما يؤكدا الحسرة والندامة بقوله تعالى (قل) أي لهؤلاء
 البعداء البغضاء (أذلك) أي المذكور من الوعيد وصفة النار (خير أم جنة الخلد) أي الإقامة
 الدائمة (التي وعد المتقون) أي وعدها لله تعالى لهم فالراجع إلى الموصوف وهوها وعددها
 محذوف (فان قيل) كيف يقال العذاب خيراً ثم جنة الخلد وهل يجوز أن يقول القائل السكر
 أحلى أم الصبر (أجيب) بأنه يحسن في معرض التقرير كما إذا أعطى السيد عبده مالا
 فخره وأبي واستكبر فضر به ويقول له هذا خير أم ذلك قال أبو مسلم جنة الخلد هي التي لا ينقطع
 نعيمها والخلد والخلود سواء كالشكر والشكور قال تعالى لا تريد منكم جزاء ولا شكورا
 (فان قيل) الجنة اسم لدار الخلد فأى فائدة في قوله تعالى جنة الخلد (أجيب) بأن الأضائة
 قد تكون للتمييز وقد تكون لبيان صفة الكمال كقوله تعالى هو الله الخالق البارئ وهذا من هذا
 اللسان أو للتمييز عن جنات الدنيا ثم حقق تعالى أمرها تأكيدها بالبشارة بقوله (كانت لهم جزاء)
 أي ثوابا على أعمالهم بفضل الله تعالى وكرمه (ومصيراً) أي مرجعاً (فان قيل) إن الجنة مستصير
 للمتقين جزاء ومصير الكفار بعد ما صارت كذلك فلم قال تعالى كانت (أجيب) من وجهين
 الأول أن ما وعد الله تعالى فهو في تحققه كالواقع الثاني أنه كان مكتوباً في اللوح المحفوظ
 قبل أن يخلقهم الله تعالى بأزمته متطاوله أن الجنة جزاؤهم ومصيرهم (فان قيل) لم جمع تعالى
 بين الجزاء والمصير (أجيب) بأن ذلك كقوله تعالى نعم الثواب وحسنت من تقفا فذبح الثواب
 ومكانه كما قال تعالى بئس الشراب وساء من تقفا فذم العقاب ومكانه لأن النعيم لا يتم للمتعم
 الاطبب المكان وسعته وموافقه للمراد والشهوة والانتقص وكذلك العقاب يتضاعف
 بفشائه الموضع وضيقه وغلظه فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء * (تبيه) * المتق يشمل من
 اتقى الكفر وان لم يتق المعاصي وان كان غيره أكل * ثم ذكر تعالى تنعمهم فيها بعد أن ذكر
 نعيمهم بقوله تعالى (لهم فيها) أي الجنة (ما يشاؤون) من كل ما تشتهيه أنفسهم كما قال تعالى
 ولكم فيها ما تشتهون أنفسكم وفيها ما تنسوا الانفس (فان قيل) أهل الدرجات النازلة إذا
 شاهدوا الدرجات العالية لا بد وأن يريدوها فاذا أسألوا ربهم فان أعطاهم لم يبق بين الناقص
 والكامل تفاوت في الدرجة وان لم يعطها لهم قدح ذلك في قوله تعالى لهم فيها ما يشاؤون (أجيب)
 بأن الله تعالى يزيل هذا الخاطر عن قلوب أهل الجنة ويستغلون بجماعهم فيه من اللذات عن
 الالتفات إلى حال غيرهم وقوله تعالى (خالدين) منصوب على الحال أمان فاعل يشاؤون وأما
 من فاعل لهم لوقوعه خبراً وإلما على ما محذوف أي لهم فيها الذي يشاؤون حال كونهم
 خالدين وقوله تعالى (كان على ربك) أي وعدهم ما ذكر (وعداً) يدل على أن الجنة جعلت لهم
 بحكم الوعد والتفضل لا بحكم الاستحقاق وقوله تعالى (منولاً) أي مطلوباً اختلف في المسائل
 فلا أكثر على أن المؤمنين سألوهم في الدنيا حين قالوا ربنا وأتانا ما وعدتنا على رسلك روى أنه
 صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من يدعو بدعوة ليس فيها ثم ولا قطعة رحم الأعداء بها
 إحدى ثلاث إما أن يجعل له دعوته وإما أن يدخرها له في الآخرة وإما أن يصرف عنه من

السوء مثلها قالوا اذا تكبر قال الله تعالى **أَكْثَرُ** وروى أنه يدعى بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه الله تعالى بين يديه فيقول عبي فيقول نعم يا رب فيقول اني امرتك أن تدعوني ووعدتك أن أستجيب لك فهل كنت تدعوني اما انك لم تدعني بدعوة الاستجيب لك أليس دعوتني يوم كذا وكذا لم تنزل بك ان أفرج عنك ففرجت عنك فيقول نعم يا رب فيقول اني عملت لك في الدنيا ودعوتني يوم كذا وكذا لم تنزل بك ان أفرج عنك فلم تفرج قال نعم يا رب فيقول اني ادخرت لك في الجنة كذا وكذا ودعوتني في حاجة أقضيها لك في يوم كذا وكذا فقضيتها فيقول نعم يا رب فيقول اني عملت لك في الدنيا ودعوتني يوم كذا وكذا في حاجة أقضيها لك فلم ترقضها فيقول نعم يا رب فيقول اني ادخرت لك في الجنة كذا وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يدع الله دعوة دعاها عبده المؤمن الا بين له اما ان يكون عمل له في الدنيا واما ان يكون ادخله في الآخرة فيقول المؤمن في هذا المقام باليتيم لم يكن عمل له شيء من دعائه وروى لا تنجلوا في الدعاء فانه لا يهلك مع الدعاء أحد وروى ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة وروى يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي وروى لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم أو قطعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت فلم يستجب لي فيستحسر أي يمل عند ذلك ويدع الدعاء فليدع الانسان وهو موقن بالاجابة وقال محمد بن كعب القرظي الطلب من الملائكة للمؤمنين سألوهم للمؤمنين بقولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم وقيل ان المكلفين سألوها بلسان الحال لانهم لما تحملوا المشقة الشديدة في طاعة الله كان ذلك قائما مقام السؤال قال المتنبى

وفي النفس حاجات وفيك فطنة * سكوني كلام عندها وخطاب

* ولما ذكر تعالى حالهم في أنفسهم أتبعه ذكر حالهم مع معبوداتهم من دونه بقوله تعالى (ويوم) أي واذا كرلهم يوم (نحشرهم) أي المشركين وقرأ ابن كثير وحفص بالياء والباقيون بالنون واختلف في المراد بقوله تعالى (وما يعبدون من دون الله) أي غيره فقال الاكثرون من الملائكة والجن والسميع وعزروا وغيرهم وقال عكرمة والخالك والكلي من الاصنام فقيل لهم كيف يخاطب الله تعالى الجهاد بقوله تعالى (فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء) أي أوقعوهم في الضلال بأمركم اياهم بعبادتهم (أم هم ضلوا السبيل) أي طريق الحق بأنفسهم فأجابوا بوجهين أحدهما انه تعالى يخلق الحياة فيموتها ويخطأها فأنهم ما أن يكون ذلك بالكلام النفساني لا بالقول اللساني بل بلسان الحال كما ذكره بعضهم في تسبيح الجهاد وكلام الايدي والارجل ويجوز أن يكون السؤال عامالهم جميعا (فان قيل) كيف صح استعمال ما في العقلاء (أجيب) على الاول بأنه أريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم الاتزان فيقول اذا أردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعني أطويل أم قصير فقيه أم طيب وقال تعالى والسماء وما بناها ولا أنتم عابدون ما أعبد وأما على القول الثاني فواضح وأما على القول الثالث فغلب غير العاقل

لغلبة عباده أو تصغيراً (فان قيل) ما فائدة هذا السؤال مع ان الله تعالى كان عالم بالازل بحال
 المسؤل عنه (أجيب) بأن هذا سؤال تقرير للمشركين كما قال لعيسى عليه السلام أنت قلت
 للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وقرأ ابن عامر فتنقول بالنون والباقون بالياء وقرأ
 أنتم نافع وابن كثير بسهيل الثانية وادخل ألف بينها وبين همزة الاستفهام وورث وابن
 كثير بسهيل الثانية ولا ألف بينهما وبين الاولى ولورث وجه آخر وهو بادل الثانية ألفا
 وهشام بسهيل الثانية وتحقيقهما مع الادخال والباقون بتحقيقهما وقرأ هؤلاء أم هم نافع وابن
 كثير وأبو عمر وفي الوصل بادل الهمزة من أم ياء خالصة والباقون بتحقيقها (قالوا سبحانك)
 أي تنزيهاً لك عما يليق بك أو تعجباً عما قيل لهم لانهم اعلموا لا تشكوا وأنبياء معصومون فما
 أبعدهم عن الضلال الذي هو مختص بالبدلر وجذوده أو جادات وهي لا تقدر على شيء أو اشعاراً
 بأنهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده (ما كان ينبغي) أي يستقيم
 (لنا ان نتخذ) أي نتكلف أن نأخذ باختيارنا بغير ارادة منك (من دونك) أي غيرك (من أولياء)
 لاهلصة أولعدهم القدرة فكيف يستقيم لنا أن نأمر بعبادتنا (فان قيل) ما فائدة أنتم وهم وهلا قيل
 أو اضلالهم عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل (أجيب) بأن السؤال ليس عن الفعل ووجوده لانه لولا
 وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن مقوليه فلا بد من ذكره وإيلائه سرف الاستفهام
 حتى يعلم أنه المسؤل عنه * (تنبيه) * من أولياء مفعول أول ومن فائدة لتأكيد النفي ومقابله
 المفعول الثاني ولما تضمن كلامهم انهم فضلهم ولم يحمله هم على الضلال حسن الاستدراك
 بقولهم (ولكن متعهم وآباءهم) وهو أن ذكر واسبيه أي أنعمت عليهم وعلى آباءهم من قبلهم بأنواع
 النعم والصحة وطول العمر في الدنيا فجعلوا ذلك ذريعة الى ضلالهم عكس القضية (حتى نسوا
 الذكر) أي تركوا الايمان بالقرآن وقيل تركوا ذكر كرك وغفلوا عنه (وكانوا) أي في علمك
 بما قضيت عليهم في الازل (قوما بورا) أي هلكي وهو مصدرو صفبه ولذلك يستوى فيه الواحد
 والجمع أو جمع بالتركاء وعود وقوله (فقد كذبوكم) فيه التفات الى العبد بالاحتجاج والالزام
 على حذف القول والمعنى فقد كذب المعبودون العابدين (بما) أي بسبب ما (تقولون) أي أيها
 العابدون من أنهم يستحقون العبادة وأنهم يشفعون لكم وأنهم أضلوكم ولما نسب عن
 تظلمهم عن عبدتهم أنه لا نفع في أيديهم ولا ضرر قال تعالى (فما يستظعنون) أي المعبودون
 (صرفاً) أي انشئ من الاشياء عن أحد من الناس لأنهم ولا غيركم من عذاب ولا غيره بوجه حيلة
 ولا شفاعاة ولا معاداة (ولا نصرأ) أي ضللكم من الله تعالى ان أراد بكم سوءاً وهذا انصوح قوله
 تعالى لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً وقرأ حفص بالتاء على الخطاب والباقون بالياء
 على الغيبة (ومن يظلم) أي بالشرك (منكم) أي أيها المكلفون (نذقه) أي بما لتان من العظمة
 (عذاباً كبيراً) أي شديداً في الدنيا بالقتل أو الاسر أو ضرب الجزية وفي الآخرة بتأرجحهم وروى
 الفضائل عن ابن عباس أنه قال لما نهر المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهم
 ما لهذا الرسول الى آخره أنزل الله تعالى (وما أرسلنا قبلك) أي يا أشرف المخلوق أحداً (من)

المرسلين الا وحالهم (انهم لباكلون الطعام) كانوا كل ديا كل غيرك من الادميين (ويعشون
 في الاسواق) كما يفعل فهم - هذه عادة مسقرة من الله تعالى في كل رسله وهم يعلمون ذلك بالسمع
 من اخبارهم وهذا ناكيد من الله تعالى لانهم لا يكذبونه صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الآية
 وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا قد قيل لهم مثل هذا انهم باكلون الطعام ويعشون في الاسواق
 كما قال تعالى في موضع آخر ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك (وجعلنا) أي بالعطاء والمنع
 بالثامن العظمة (بعضكم) أي أيها الناس (لبعض فتنة) أي بليمة والمعنى أنه تعالى ابتلي المرسلين
 بالمرسل اليهم وبما صبتهم والعداوة لهم وأقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وبجعل الفتنة
 فتنة للفقير والصحيح فتنة للمريض والشريف فتنة للوضيع يقول الثاني من كل مالى لا أكون
 كالاول وقال ابن عباس جعلت بعضكم بلاء لبعض لتصبروا على ما تمسعون منهم وترون
 من خلافهم فتنبعوا الهدى أم لا وقال مقاتل نزلت هذه الآية في أبي جهل والوليد بن عتبة
 والعاصي بن وائل والنضر بن الحرث وذلك أنهم رأوا اباذروا بن مسعود وعمارا وبلالا وصهبا
 وعامرا بن فهيرة ومن دونهم قد أسلخوا قبلهم فقالوا أنسلم ونكون مثل هؤلاء وقيل جعلناك فتنة
 لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وبنات لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدينيا فتكون
 ممزوجة بالدنيا وانما به هناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خاصة لوجه الله من غير طمع دينوى
 وقوله تعالى (أتصبرون) أي على ما تمسعون مما بليتيم به استفهام بمعنى الامر أي اصبروا (وكان
 ربك) أي المحسن اليك احسانا لم يحسمه الى أحد سواك لاسيما يجعلك نبياعدا (بصبرا) أي بكل
 شئ فهو عالم بالانسان قبل الامتحان لم يفده ذلك علما لم يكن عنده ولكن يعلم ذلك شهادة كما يعلم
 علم الغيب ولتقوم عليهم بذلك الحجة فلا يضيعن صدورك ولا تستحقن أكافويلهم فان صبرك عليها
 سعادتك وفوزك في الدارين روى أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا نظر أحدكم من فضل عليه في
 المال والجسم قلنه ظرا لي من هودونه في المال والجسم وروى انظر والى من هو أسفل منكم ولا
 تنظروا الى من هو فوقكم حذر أن تزدروا نعمة الله عليكم * الشبهة الرابعة لمنكري نبوة محمد صلى
 الله عليه وسلم قوله تعالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يخافون البعث قال القراء الرباء
 بمعنى الخوف لغة تهامة ومنه قوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا أي لا تخافون لله عظمة
 (لولا) أي هلا ولا (أنزل) أي على أي وجه كان من أي منزل كان (علينا الملائكة) كما نزلت
 عليه فيما يزعم وكانوا رسلنا البنا وفخبرنا بصدقه (أو نرى ربنا) بما جعلنا من الاحسان وبما لنا
 نحن من العظمة بالقوة بالاموال وغيره افا امرنا بما يريد من غير حاجة الى واسطة قال الله ردنا
 عليهم (لقد استكبروا) أي تعظموا (في شأن) أنفسهم أي أظهروا الاستكبار عن الحق
 وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال تعالى ان في صدورهم الاكبر ما هم يبالغيه
 (وعتوا) أي تجاوزوا الحد في الظلم (عتوا كبيرا) أي بالغوا أقصى مراتب حيث عاينوا المعجزات
 الظاهرة فأعرضوا عنها واقترحوا انفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامع النفوس القدسية
 واللام جواب قسم محذوف وفي غوى هذا الفعل دلائل على التعجب من غير لفظ تعجب ألا ترى

أن المعنى ما أشد استكبارهم وما أكبر عقوبتهم * ثم يبين تعالى لهم حالهم عند بعض ما طلبوا بقوله
 تعالى (يوم يرون الملائكة) أي يوم القيامة وقال ابن عباس عند الموت (لأبشري) أي من البشر
 أصلاً (يومئذ) وقوله تعالى (المجرمين) أي الكافرين أما ظاهر في موضع ضمير وأما لأنه عام
 فقد تناولهم بعمومه بخلاف المؤمنين فلهم البشري بالجنة * (تنبيه) * في نصب يوم أو وجه
 أحدها أنه منصوب بأخبار فعل يدل عليه قوله تعالى لأبشري أي ينعون البشري يوم يرون
 الثاني بذكر فيكون مفعولاً به الثالث يهذبون مقدراً ولا يجوز أن يعمل فيه نفس البشري
 لوجهين أحدهما أنها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله والثاني أنها منفية بلا وما بعد لا لا يعمل
 فيما قبلها وقوله (ويقولون) أي في ذلك الوقت (حجراً محجوراً) عطف على المدلول ويقول الكفرة
 لهم حينئذ هذه الكلمة استعازة وطلباً من الله تعالى أن يمنع لقاء الملائكة عنهم مع أنهم كانوا
 يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم إذا رأوه عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم
 وفزعوا منهم لأنهم لا يلقونهم إلا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو
 والشداء النازلة أو نحو ذلك حجراً محجوراً يضعونها موضع الاستعازة فهم يقولون ذلك إذا عابوا
 الملائكة قال سيويه يقول الرجل للرجل تفعل كذا وكذا فيقول حجراً وهي من حجره إذا منع
 لأن المستعذ طالب من الله أن يمنع المكروه عنه فلا يلحقه وكان المعنى أسأل الله أن يمنع ذلك
 منعاً ويحجره حجراً وقال ابن عباس تقول الملائكة حراماً محترماً أن يدخل الجنة الآمن قال
 لا اله الا الله وقيل إذا خرج الكفار من قبورهم تقول الملائكة لهم حرام محرم عليكم
 أن تكون لكم البشري * ولما كان المريد لا يظال شيء لشدته كراهته له لا يقع في إبطاله بغيره بل
 يأتيه بنفسه فيبطله عبرة تعالى بقوله (وقدمنا) أي وعمدنا بما لنا من العظمة والقدرة الباهرة في
 ذلك اليوم الذي يرون فيه الملائكة سواء كان في الدنيا أم في الآخرة (إلى ما عملوا من عمل)
 أي من مكالم الأخلق من الجود وصله الرحم وإغاثة الملهوف ونحو ذلك (لجملته) أي كونه
 لم يؤسس على الإيمان وإغاثة الملهوف والشيطان (هباءً) وهو ما يرى في شعاع الشمس
 الداخل من قوة مما يشبه الغبار (منثوراً) أي مفرقاً أي مثله في عدم النفع إذا ثواب فيه لعدم
 شرطه فيجوزون عليه في الدنيا فتكون النار مستقرهم ومقبلهم ولهذا بين حال اضدادهم
 وهم المؤمنون بقوله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ) أي يوم أذ يرون الملائكة (خير مستقراً)
 من الكفار (وأحسن مقبلاً) منهم والمستقر المكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم
 مستقرين فيجالسون ويتجادون والمقبل المكان الذي يأتون إليه للاستراحة إلى أزواجهم
 والتمتع بغير أزواجهم وملاستحق كما أن المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب روى أنه يفرغ
 من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار قال ابن مسعود
 لا يتصف النهار يوم القيامة حتى يقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وقال ابن
 عباس في هذه الآية الحساب في ذلك اليوم في أوله وقال يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى
 يكون قد واصل العصر إلى غروب الشمس * (تنبيه) * في أن فعل ههنا قولان أحدهما أنها على

بأنهم آمنوا بالتفضل والمعنى أن المؤمنين خبروا في الآخرة مستقر آمن مستقر الكفار وأخسر
مضلا من مضاهم ولو فرض أن يكون لهم ذلك أو على أنهم خبروا في الآخرة منهم في الدنيا والثاني
أن يكون مجزأ الوصف من غير مفاضلة ومن ذلك المعنى قوله تعالى إن أصحاب الجنة اليوم في
شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ذكرنا في تفسير الشغل اقتضا
الابكار وانما سمى مكان دعوتهم واسترواحهم الحور ومقلامع أنه لا نوم في الجنة على طريق
التشبيه * ثم عطف تعالى على قوله يوم يرون قوله تعالى (ويوم تشقق السماء) أى كل سماء
(بالغمام) أى كانت شقق الأرض بالنبات فيخرج من خلال شقوقها وهو غيم أبيض رقيق مثل
الضباب ولم يكن إلا بين إسرائيل في تيههم * (تنبيه) في هذه الباء ثلاثة أوجه أحدها أنها
سببية أى بسبب الغمام يعنى سبب طلوعه منها ونحوه السماء منقطعة كأنه الذى تشقق به
السماء الثانى أنها الحال أى ملتبسة بالغمام الثالث أنها بمعنى عن أى عن الغمام كقوله تعالى
يوم تشقق الأرض عنهم سراعا والباء وعن يتعاقبان تقول رميت عن القوس وبالقوس وقرأ
أبو عمرو والكوفيون بتخفيف الشين والباقون بتشديدها ثم أشار تعالى إلى جهل من طلب
نزول الملائكة دفعة واحدة بقوله تعالى (ونزل الملائكة) أى بالتدريج بأمر حتم لا يمكنهم
التخلف عنه بأمر من الأمور وغيرة من الذين طلبوا أن يروهم في حال واحد (تنزيلا) في أيديهم
مصانف الأعمال قال ابن عباس تشقق السماء الدنيا فنزل أهلها وهم أكثر من في الأرض من
الجن والانس ثم تشقق السماء الثانية فنزل أهلها وهم أكثر من أهل سماء الدنيا وأهل
الأرض جنا وانسانم كذلك حتى تشقق السماء السابعة وأهل كل سما يدورون على السماء
التي قبلها ثم تنزل الكروبيون ثم حلة العرش (فان قيل) ثبت أن نسبة الأرض إلى سماء الدنيا
كحكمة في فلاة فكيف نسع الأرض هؤلاء (أجاب) بعض المفسرين بأن الملائكة تكونون في
الغمام والغمام يكون مقر الملائكة ويجوز أن الله تعالى يوسع الأرض حتى تسع الجميع وقرأ
ابن كثير بنونين الأولى مضعومة والثانية ساكنة وتخفيف الزاى ورفع اللام ونصب الملائكة
والباقون بنون واحدة والزاى مشددة ونصب اللام ورفع الملائكة ثم بين تعالى أن ذلك اليوم
لا يقضى فيه غيره بقوله تعالى (الملك يومئذ) أى اذن تشقق السماء بالغمام ثم وصف الملك بقوله
تعالى (الحق) أى الثابت ثباتا لا يمكن زواله ثم أخبر عنه بقوله تعالى (الرحمن) أى العام الرحمة
في الدارين ومن عموم رحمة وحقيقته ما كنه أن يسر قلوب أهل وده بتعذيب أهل عادونه
الذين عادوهم فيه لضميعهم الحق بتأباع الباطل ولولا اتصافه بالرحمة لم يدخل أحد الجنة (فان
قيل) مثل هذا الملك لم يكن قط إلا للرحمن فما الفائدة في قوله تعالى يومئذ (أجيب) بأن في ذلك
اليوم لا مالك سواه لا في الصورة ولا في المعنى فتخضع له الملوذ وتقول له الوجود وتذل له الجبارة
بجلا في سائر الأيام (وكان) أى ذلك اليوم الذى تظهر فيه الملائكة الذى طلب الكفار رؤيتهم له
(يوما على الكافرين عسيرا) أى شديد العسر والاستعار * (تنبيه) هذا الخطاب يدل على أنه
لا يكون على المؤمنين عسيرا جاء في الحديث أنه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون عليه

قوله وغيره الضمير
عائد على من طلب
باعتبار معناه اهـ

أخف من صلاة مكتوبة صلاحها في الدنيا وقوله تعالى (ويوم بعض الظالم) أي المشرك القرمط
تأسفه لما يرى فيه من الأحوال المعمول لها وذوق أو معطوف على يوم تشقق وأل في الظلم تحتمل
العهد والجنس لكن قال ابن عباس أراد بالظالم عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس كان
لا يقدم من سفر الا صنع طعاما ودعا اليه جهر اجبرانه وأشرف قومه وكان يكثر مجالسة النبي
صلى الله عليه وسلم ويحببه حديه فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودعا الناس ودعا النبي
صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال النبي صلى الله عليه وسلم ما أنا بأكل طعامك حتى تشهد
أن لا اله الا الله وانى رسول الله فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله
فأكل صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فلما أتى أبي بن خلف قال له
يا عقبة صبا فتقال لا والله ما صبا ولكن دخل على رجل فابى أن يأكل طعامي الا أن أشهده
فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم والشهادة تسببت في نفسي فقال ما أنا بالذي
أرضى منك أبدا الا أن تأتيه وتبصق في وجهه وتطافقه وتلطم وجهه وعينه فوجده ساجدا في
دار الندوة ففعل ذلك عقبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ألقاك خارجا من مكة الا علوت رأسك
بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا أمر عليا رضي الله عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن أفلح
الانصاري وأما أبي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد طعنه في المارزة فرجع
الى مكة ومات قال الضعفاء لما بصق عقبة في وجه النبي صلى الله عليه وسلم عاد بصاقه في وجهه
فاحترق خده فكان أثر ذلك فيه حتى مات وقال الشعبي كان عقبة خليل أمية فأسلم عقبة
فقال أمية وجهي من وجهك حرام ان بايعت محمدا فكفروا رتد فأرسل الله تعالى ويوم بعض
الظالم أي عقبة (على يديه) قال الضعفاء يأكل يديه الى المرفق ثم تنبت ولا يزال هكذا كلما
أكلها تنبت وقال المحققون هذه اللفظة للتخسر والغم يقال عض أنامله وعض على يده وهو
لا يشعر حال كونه مع هذا الفعل (يقول) أي يجتد في كل لحظة قوله (يا ليتني اتخذت) أي
أرغمت نفسي وكأنتها أن أخذ في الدنيا (مع الرسول) أي محمد صلى الله عليه وسلم (سبيلا)
أي طريقا الى الهدى * ولما تأسف على محاربة الرسول ندم على مصادقة غيره بقوله (يا ولبتني)
أي يا هلاكي الذي ليس لي منادم غيره لانه ليس يحضرنى سواه (ليتني لم أتخذ فلانا) أي أيسا
(خليلا) أي صديقا واقفه في أعماله لما علت من سوء عاقبتهم فكفى عن اسمه وان أريد به الجنس
فكل من اتخذ من الضلن خليلا كان خليله اسم علم عليه لا محالة فجعله كناية عنه وقرأ أبو عمرو
بفتح الميم والباءون بالسكون وأظهر المأل عند التأني كسبر وحفص وأدغمها الباقون ثم
استأنف قوله الذي يتوقع كل سامع أن يقوله (أقد) أي والله لقد (أضلني عن الذكر) أي عمي على
طريق القرآن الذي لا ذكر في الحقيقة غيره وصرفني عنه والجله في موضع العلة لما قبلها (بعد
اذباني) ولم يكن لي منه مانع يرتقى عن الايمان به وقرأ نافع وابن ذكوان وعاصم بظاهر المأل
والباقيون بالادغام وقوله تعالى (وكان الشيطان) إشارة الى خليله سماء شيطانا لانه أضله
كما يبطل الشيطان وألى كل من كان سبيلا للضلal من غماة الحق والانس (للانسان خذولا) أي

شديد الخذلان بورده ثم يسلمه الى اكره ما يكون لا ينصره ولو اراد ما استطاع بل هو في شر من ذلك لان عليه اثم في نفسه ومثل اثم من أضله * (تنبيه) * حكم هذه الآية عام في كل خيلين ومغنايين اجتمعوا على معصية الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكبر فحامل المسك اما ان يجديك واما ان يتباع منه واما ان تجدي يحاطية ونافخ الكبر اما ان يحرق ثيابك واما ان تجدي يحاخينة وقال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال قال صلى الله عليه وسلم لا تصاحب الا مؤمنا ولا بائعا كل طعامك الا نتق * ولما ذكر تعالى أقوال الكفار ذكر قول رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (وقال الرسول يا رب) أي أيها المحسن الى بأنواع الاحسان وعبر بآداة البعد هضمًا لنفسه ومبالغة في التضرع (ان قومي) أي قريشا الذين لهم قوة ومنعة (اتخذوا هذا القرآن) أي المقتضى للاجماع عليه والمبادرة اليه (مهجورا) أي متروكا بعيد الميؤمنوا به ولم يقبلوه وأعرضوا عن استماعه * (تنبيه) * أشار بصفة الاعتعال الى أنهم عاجلوا أنفسهم في تركه علاجا كثيرا ما يرون من حسن نظمه ويزوقون من لذته ما يهواون أساليبه واطيف عجايبه وبديع غرائبه وأكثروا المنسرين على أن هذا القول وقع من النبي صلى الله عليه وسلم وقال أبو مسلم بل المراد أنه يقوله في الآخرة كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد الآية والآثر اولى لان قوله تعالى (وكذلك) أي كما جاء لك عدو من مشركي قومك (جعلنا لكل نبي) من الانبياء قبلك رفعة لدرجاتهم (عدو من المجرمين) أي من المشركين نسليه صلى الله عليه وسلم كأنه تعالى يقول له فاصبر كما صبروا ولا يكون ذلك الا اذا وقع القول منه (وكفى ربك) أي المحسن اليك (هاديا) أي يهدي بك من قضى بسعادته (ونصيرا) أي ينصرك على من حكم بشقاوته * (تنبيه) * اخرج أهل السنة بهذه الآية على أنه تعالى خلق الخبير والنسر لان قوله تعالى لكل نبي عدو فايدل على أن تلك العداوة من جعل الله تعالى وتلك العداوة كفر (فان قبل) قوله تعالى يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا كقول نوح عليه السلام رب اني دعوت قومي لبلاؤهم اراهم يزهدون دعائي الا فرارا فكم ان المقصود من هذا انزال العذاب فكذلك ما هنا فكيف يليق هذا بمن وصفه الله تعالى بالرجة في قوله تعالى وما أرسلناك الا رجة للعالمين (أجيب) بأن نوحا عليه السلام لما ذكر ذلك دعا عليهم وأما النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر هذا المديد عليهم بل انتظر فلما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا كان ذلك كالامر له بالصبر على ذلك وترك الدعاء عليهم فاقتربا الشبهة الخامسة لم تذكر التوبة ما حكاها الله تعالى عنهم بقوله تعالى (وقال الذين كفروا) أي الذين غطوا عداوتهم وصداد ما شهد عقولهم بعصمتهم أن القرآن كلام الله تعالى لا يجاهه لهم مفترقا فضلا عن كونه مجععا (لولا) أي هلا (نزل عليه القرآن) أي أنزل كغيره في آخر لئلا يناقض قولهم (بجله) وأكثروا بقولهم (واحدة) أي من أوله الى آخره كما أنزل التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزيور على داود لتعق أنه من عند الله تعالى ويزول عما تواترهم من أنه الذي يرتبه قليلا قليلا وهذا

الاعتراض في غاية السقوط لان الاعجاز لا يتخلف بنزوله جملة أو متفرقا مع أن التتريق فوائد
 منها ما أشار إليه بقوله تعالى (كذلك) أي أنزلناه شيئا فشيئا هل هذا الوجه العظيم الذي أنكروه
 (الكتبت) أي تقوى (به فوائدك) أي قلبك فتعبيه وتحفظه لأن المتلقن انما يقوى قلبه على
 حفظ العلم شيئا فشيئا وجزأ عقب جزأ ولو ألقى عليه جملة واحدة لتعبيا بحفظه والرسول صلى
 الله عليه وسلم فارت حاله حال داود وموسى عليه السلام وعيسى حيث كان أميالا يقرأ ولا
 يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والحفظ فأنزله الله عليه مخفيا في عشرين
 سنة وقبل في ثلاث وعشرين سنة وأيضاف كان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين
 ولأن بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتأتى ذلك الا فيما أنزل مفرقا (فان قبيل) ذاق كذلك
 يجب أن يكون إشارة الى شيء تقدمه والذي تقدم هو انزاله جملة فكيف فسر كذلك بأنزلناه
 مفرقا (أجيب) بأن الإشارة الى الانزال مفرقا لا الى جملة والدليل على فساد هذا الاعتراض
 أيضا أنهم يحجزوا عن أن يأتيوا بفهم واحد من نجومه ونحوه وبسورة واحدة من أقصر السور
 فأبرزوا صفحة يحجزهم وسجلوا به على أنفسهم حين لا ذوا بالناصبية وفزعوا الى المجازبة ثم
 قالوا هل أنزل جملة واحدة كأنهم قد روعا على تفاريقه حتى بقدر روعا على جملة وقوله تعالى
 (ورتلناه ترتيلا) معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كأنه قال تعالى كذلك فرقناه ورتلناه
 ترتيلا ومعنى ترتيله قال ابن عباس ينادي بالترتيل التبيين في تودة وثبت وقال السدي
 فصلناه تفصيلا وقال مجاهد بعضه في أثر بعض وقال الحسن تقريرا آية بعد آية ووقعة عقب
 وقعة ويجوز أن يكون المعنى وأمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا أي
 اقرأه بترتيل وثبت ومنه حديث عائشة رضي الله تعالى عنها في صفة قراءته لا كسر دكم هذا
 لو أراد السامع أن بعد حروفه لعدّها وقيل هو أن تنزله مع كونه ممتدة فاعلى عنك وقهل في مدة
 متباعدة وهي عشرون سنة ولم تفرقه في مدة متقاربة * ولما كان التقدير قد بطل ما أتوا به من
 هذا الاعتراض عطف عليه (ولأبأنوك) أي يا أشرف الخلق أي المشركون (بمثل) أي باعتراض
 في ابطال أمرنا فيخيلون به لعقول الضعفاء يجتهدون في تخنيقه وتحسينه وتدقيقه حتى يصبر
 عندهم في غاية الحسن والرشاقة لفظا ومعنى (الاجتنالك) في جوابه (بالحق) أي الذي
 لا يحمد عنه فيزعم ما أتوا به لطلانه فسمى ما يوردون من الشبه مثل ما يسمى ما يدفع به الشبه حقا
 (وأحسن) أي من مثلهم (تفسيرا) أي بياناً وتفصيلاً * ولما كان التفسير هو التوكيف
 عملياً دل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه
 كذا وكذا أو لأبأنوك بحال وصفة هجيية يقولون هلا كانت هذه صفتك وحال نفوعنا بقرن
 بك ملك ينذر معك أو يلقى اليك ككزاً وتكون لك جنة أو ينزل عليك القرآن جملة واحدة
 الا أعطيناك نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا أن نعطاء وما هو أحسن
 فكشفنا ما بعثت عليه ودلالة على حصته * ثم بين تعالى حال هؤلاء المعاندين في الاخرة بقوله
 تعالى (الذين) أي هم الذين (يحشرون) أي يحجمعون قهراً ما شين مقوليين (على وجوههم)

مسحوبين (الى جهنم) أى كما أنهم لم ينظروا فى الدنيا بعين الانصاف فان الآخرة صرآة
 الدنيا مهما عمل هنا رآه هناك كما أن الدنيا من رعة الآخرة مهما عمل فيها حتى ثمرة هناك روى
 البخارى أن رجلاً قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال الذى أمشاه
 على الرجلين فى الدنيا فادرا أن يحشيه على وجهه يوم القيامة وروى البيهقي يحشر الناس يوم
 القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على الوجود وصنف على الاقدام * ولما
 وصف الله تعالى المتعذبين فى أمر القرآن بهذا الوصف استأنف الاخبار عنهم بقوله تعالى
 (أولئك) أى البعداء البغضاء (نمر) أى شر الخلق (مكاناً) هو جهنم (وأصل تسليماً) أى أخذاً
 طريقاً من غيرهم وهو كفرهم * ولما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين
 وذكر ذلك فى معرض التسلية لصلى الله عليه وسلم ذكر قصص جماعة من الانبياء وعرفه تكذيب
 أهمهم زيادة فى تسليته * القصة الاولى قصة موسى عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (ولقد
 آتينا) أى بالنامن العظيمة (موسى الكتاب) أى التوراة (وجعلنا معه أخاه هرون وزيراً) أى
 معيناً (فان قيل) كونه وزيراً كلنا فى لكونه شريكاً فى النبوة والرسالة (أجيب) بأنه لا منافاة
 بين النبوة والرسالة والوزارة فقد كان يعثى فى الزمن الواحد أنبياء متعددون ويؤمنون
 بأن يوازي بعضهم بعضاً * (تنبيه) هرون بدل أويان أو منصوب على القطع ووزير مفعول ثان
 وقيل حال والمفعول الثانى معه ويدل على رسالة هرون عليه السلام قوله تعالى (فقلنا اذهبنا
 الى القوم) أى الذين فيهم قوة وقدرة على ما يعاونونه وهم القبط فرعون وقومه (الذين كذبوا
 بآياتنا) فذهب اليهم بالرسالة فكذبوهما (فدمرناهم تدميراً) أى أهلكناهم اهلاً كآى فانت
 يا محمد لست أول من كذب من الرسل فلك اسوة بمن قبلك (فان قيل) الفاء للتعقيب والاهلاك لم
 يحصل عقب بعثة موسى وهرون اليهم بل بعده بفترة مديدة (أجيب) بأن فاء التعقيب محمولة هنا
 على الحكم باهلاكهم لا على الوقوع أو على أنه على ارادة اختصار القصة فاقصر على حاشيتيها
 أى أولها وآخرها لانهم المقصودان من القصة بطولها أعنى الزام الحق ببعثة الرسل واستحقاق
 التدمير بكذبيهم * (تنبيه) قوله تعالى كذبوا بآياتنا ان حملنا تكذيب الآيات على الآيات
 الالهية فهو ظاهر وان حملناه على تكذيب آيات النبوة فاللفظ وان كان للماضى فالمراد به
 المستقبل * القصة الثانية قصة نوح عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (وقوم) أى ودمرنا
 قوم (نوح لما كذبوا الرسل) كأنهم كذبوا نوحاً ومن قبله من الرسل صريحاً أو كان تكذيبهم
 لواحد منهم تكذيباً للجميع بالقوة لان المعجزات هى البرهان على صدقهم وهى تساوية
 الاقدام فى كونها خوارق لا يقدر على معارضتها فالتكذيب بنسبها اليهم مباح لم يروا
 بعثة الرسل أصلاً كالبراهمة وهم قوم يمنعون بعثة الرسل نسبوا الى رجل يقال له رهام قدمه
 لهم ذلك وقتره فى عقولهم ولانهم عللوا تكذيبهم بأنه من البشر فزعمهم تكذيب كل رسول من
 البشر * ثم بين تعالى تدميرهم بقوله تعالى (أغرقناهم) قال الكلبي أمطرنا عليهم السماء ماء أربعين
 يوماً وأخرج ماء الارض أيضاً فى تلك الاربعين فصارت الارض بحراً واحداً (وجعلناهم) أى

قوم نوح في ذلك (للتاس آية) أي لمن بعدهم عبرة ليعتبر كل من سلك طريقهم (وأعدنا) أي
 ههنا في الآخرة (لظالمين) أي للكافرين وكان الأصل لهم ولكنه تعالى أظهر تعميما
 وتعليقا للحكم بالوصف (عدنا ألبما) أي مؤلما سوى ما يحمل بهم في الدنيا * القصة الثالثة قصة
 هود عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (وعادا) أي ودمرنا عاد قوم هود بالريح * القصة
 الرابعة قصة صالح عليه السلام المذكورة في قوله (وعمودا) أي ودمرنا عمودا قوم صالح
 بالصيحة * القصة الخامسة المذكورة في قوله تعالى (وأصحاب الرس) أي البئر التي هي غير مطوية
 أي مبنية قال ابن جرير والرس في كلام العرب كل محفور مثل البئر والقبر أي ودمرناهم
 بالحدف واختلف في نعيم فقيل شعيب وقيل غيره كانوا أقعدوا حولها فانهارت بهم وبغنازلهم
 فهلكوا جميعا وقال الكلبي الرس بئر بقلج البماة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله تعالى وفلج بفتح الفاء
 واللام والبطيم قرية عظيمة بناحية اليمن من مساكن عاد وبسكون اللام واد قريب من البصرة
 وقيل الرس الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا التجار وقيل أصحاب حنظلة بن
 صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهي أعظم ما يكون من الطير سميت بذلك لطول عنقها وكانت
 تسكن جبلهم الذي يقال له قنقيل هو بناء فوقية نخاع مجة أو موهلة وبياء تبة وجم وهي
 تنقض على صبيانهم فتحطفهم أن أعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فأصابتهما الصاعقة ثم انهم
 قتلوا حنظلة فأهلكوا (وقرونا) أي ودمرنا قرونا (بين ذلك) أي الامر العظيم المذكور وهو
 بين كل أمتين من هذه الامم وقد ذكرنا أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك وبحسب الحاسب
 أعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كبت وكبت على معنى فذلك المحسوب أو المعدود ثم قال الله
 تعالى (كثرا) وناهيك بما يقول فيه سبحانه وتعالى انه كثير وأسند البغوي في تفسير أمة
 وسطافي البقرة عن أبي سعيد الخدري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بعد صلاة
 العصر فثار له شيا إلى يوم القيامة الا ذكره في مقامه ذلك حتى اذا كانت الشمس على رؤس
 النخل وأطراف المحيطان قال انه لم يبق من الدنيا فيما مضى الا كاجني من يومكم هذا الا وان هذه
 الامة نوفي سبعين أمة هي آخرها واكرمها على الله عز وجل ثم انه تعالى قال تسليمة لنبيه محمد
 صلى الله عليه وسلم وناسية وبيان الشر بعينه بالعفو عن أمتهم (وكلا) أي من هذه الامم
 (ضربنا) أي بما لنا من العظمة (له الامثال) حتى وضع له السبيل وقام من غير شبهة الدليل
 (وكلا ضربنا تبيرا) أي أهلكنا أهلا كما قال الاخفش كسرنا تبكسيرا وقال الزجاج كل
 شيء كسرته وقتته فقد تبيره (ولقد أنوا) أي هؤلاء المكذبون من قومك (على القرية التي
 أمطرت) أي وقع امطارها من لا يقدر على الامطار سواها بالجحارة ولذا قال تعالى (مطر السوء)
 مصدر ساء وهي قرى قوم لوط قال البغوي كانت خمس قرى فأهلك الله تعالى أربعها منها
 لعملهم الفاحشة وبجنتهم واحدة منهم وهي صغر وكان أهلها لا يعملون العمل الخبيث (فان
 قيل) لم عبرت على القرية وهي قرى (أجيب) بأنه تعالى قال ذلك تحقيرا شأنها في جنب قدرته
 تعالى واهانة لمن يريد عذابه ولأنهم ما كره على الفاحشة جميعهم حتى كانوا كائنا منهم شيء واحد

وقوله تعالى (أن لم يكونوا يرثونهما بل كانوا اليرجون) أى لا يخافون (نشورا) أى بعثا
 بعد الموت لانه استعز في أنفسهم اعتقادهم التكذيب بالآخرة واستعزوا عليه قرنا بعد
 قرن حتى تمكن منهم ذلك ~~تلك~~ كينا لا ينفع معه الاعتبار الا من شاء الله (واذا رأوك) أى مع
 ما يعلمون من صدق حديثك وكرم أفعالك ولولم تأتهم بمجزة فكيف وقد أتيتهم بما بهر العقول
 (إن) أى ما (يتخذونك الالهوا) أى مهزوا بك وعبر تعالى بالمصدر إشارة الى ما بلغتهم
 في الاستهزاء مع شدة بعده صلى الله عليه وسلم عن ذلك يقولون (أهذا الذى بعث الله رسولا)
 أى في دعواه محققين له أن تأتبه الرسالة وقولهم (إن) مخففة من الثقيلة أى انه (كذلك لنا)
 أى بصرفنا (عن آلهتنا) أى عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد
 مما سبق الى الذهن انها حجج ومعجزات (لولا ان صبرنا) أى بما لنا من الاجتماع والتعاقد
 (عليها) أى على التمسك بعبادتها قال الله تعالى (وسوف يعلمون) أى في حال لا ينفعهم
 فيه العمل ولا العلم وان طالتم مدة الامهال في التمكين (حين يرون العذاب) عيانا في الآخرة
 (من أضل سبيلا) أى أخطأ طريقا هم أم المؤمنون * ولما كان صلى الله عليه وسلم حريصا
 على رجوعهم ولزوم ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم سلاهم تعالى بقوله تعالى متحجبا من حالهم
 (أرأيت) أى أخبرني (من اتخذ الهه هواه) أى أطاعه وبغى عليه دينه لا سمع حجة ولا نظر
 دليلا (فان قيل) لم آخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها (أجيب) بأنه ما هو الانقياد
 المفعول الثاني على الاول العناية كما تقول علت منطلقا زيدا النزل عنايتك بالمنطلق ولما كان
 لا يقدر على صرف الهوى الا الله تعالى تسبب عن شدة حرصه على هدايتهم قوله تعالى (أفأنت
 تـكـون عليهم ركيلا) أى حافظا تحفظه من اتباع هواه لا قدرة لك على ذلك (أم تحسب
 أن أكثرهم) أى هؤلاء المدعوس (يسمعون) أى سماع من ينزجر ولو كان غير عاقل كالبهائم
 (أو يقولون) أى كالبهائم ما يرون وان لم يكن لهم سمع حتى تقطع في رجوعهم باختيارهم من
 غير قسر (فان قيل) انه تعالى لما نفي عنهم السمع والعقل فكيف ذمهم على الاعراض عن الدين
 وكيف بعث اليهم الرسول فان من شرط التكليف العقل (أجيب) بأنه ليس المراد أنهم
 لا يعقلون شيئا بل المراد أنهم لم ينتفعوا بذلك العقل فهو كقول الرجل لغيره اذا لم يفهم انما أنت
 أعمى وأصم (فان قيل) لم خص الاكثر بذلك دون الكل (أجيب) بأنه كان منهم من آمن
 ومنهم من عقل الحق فكبار استكبارا وخوفا على الرئاسة ولما كان هذا الاستفهام مضيدا
 للنفى استأنف ما فهمه بقوله تعالى (إن) أى ما (هم) ألا كالانعام) أى في عدم انتفاعهم بقرع
 الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات (بل هم أضل) أى منها
 (سبيلا) لانها تفادى لنتهدها وتميز بين يحسن اليها ممن يسى اليها وتطلب ما ينفعها
 وتتجنب ما يضرها وتهدى لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا يتقادون لرحم ولا يعرفون احسانه
 اليهم من اساءة الشيطان الذى هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذى هو أعظم المنافع ولا يتقون
 العقاب الذى هو أشد المضار والمهلك ولا يهتدون للعق الذى هو المشرع الهى والعذاب الروى

* ولما بين تعالى جهل المعرضين عن دلائل التوحيد وبين فساد طريقتهم ذكر أنوفاً من
 الدلائل على وجود الصانع أولها الاستدلال بالنظر إلى حال الظل مخاطباً بأرباب المخلصين
 الناظرين هذا النظر حثاً لاهل وده على مثل ذلك بقوله تعالى (ألم تر) أي تنظر (إلى ربك)
 أي إلى صنعه وقدرته (كيف مذكّر للظل) وهو ما بين طلوع الصبح إلى طلوع الشمس يجعله ممدوداً
 لأنه ظل لا شمس معه كما قال تعالى في ظل الجنة وظل ممدوداً لم يكن معه شمس وإن كان بينهما
 فرق وهو الليل لأن ظل الأرض الممدود على قريب من نصف وجهها مدة فحجب نور الشمس
 عما قابل قرصها من الأرض حتى امتد بساطه وضرب فسطاطه كما يجب ظل ضلالهم
 أنوار عقولهم وغفلت طباعهم نفوذ اسماعهم (ولو شاء لجلعه) أي الظل (سكناً) أي دائماً ثابتاً
 لا يزول ولا تذهب الشمس لا صقاً بأصل كل منزل من جبل وبناء وشجر غير منبسط فلم تنفع به
 أحد سعى انبساط الظل وامتداده فحر كامنه وعدم ذلك سكوناً لكنه تعالى لم يشأ بل جعله
 منتهراً كما يجلسوق الشمس له وقال أبو عبيدة الظل ما نسخته الشمس وهو بالقدرة والنبي ما نصح
 الشمس وهو بعد الزوال سمي في لأنه فاء من جانب المشرق إلى جانب المغرب (ثم جعلنا الشمس
 عليه) أي الظل (دليلاً) أي أن الناس يستدلون بالشمس وأحوالها في مسيرها على
 أحوال الظل من كونه ثابتاً في مكان أو زائلاً ومتسعاً ومتقلصاً فلم تكن الشمس لما
 عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والأشياء تعرف باضدادها (ثم قبضناه) أي الظل
 (الينا) أي إلى الجهة التي أردنا لا بقدر أحد غيرنا أن يحوله إلى جهة غيرها والقبض جمع
 المنبسط من الشيء ومعناه أن الظل يجمع جميع الأرض قبل طلوع الشمس فإذا طلعت قبض الله
 الظل (قبضاً يسيراً) أي على مهل وفي هذا القبض اليسير شيئاً بعد شيء من المنافع مالا
 يعد ولا يحصى ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعاً
 وقيل المراد من قبضها يسيراً قبضها عند قيام الساعة وذلك قبض أسبابها وهي الأجرام
 التي تلقى الظلال وقوله تعالى يسيراً كقوله تعالى حشر علينا يسيراً (فان قيل) ثم في هذين
 الموضعين كيف موقعها (أجيب) بأن موقعها بيان تفاضل الأمور الثلاثة كان
 الثاني أعظم من الأول والثالث أعظم منهما تشبيهاً للتباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين
 الحوادث في الوقت * ولما تضمنت هذه الآية الليل والنهار وهو النوع الثاني قال تعالى مصرحاً
 بهما (وهو) أي ربك المحسن إليك وحده (الذي جعل) دليلاً على الحق واطهاراً للنعمة
 على الخلق (لكم الليل) أي الذي تكامل به مدة الظل (لباساً) أي ساتراً للأشياء شبه ظلامه
 باللباس في ستره (والنوم سباتاً) أي راحة لا يبدان يقطع المشاغل هو عبارة عن كونه موتاً أصغر
 طويلاً ما كان من الاحساس فاطعاً لما كان من الشعور والتقلب فيه دلائل لاهل البصائر
 قال البغوي وغيره وأصل السبت القطع وفي جعله تعالى لذلك من القوائد الدينية والدينية
 ما لا يعد ولا يحصى وكذا في قوله تعالى (وجعل) أي وحده (النهار نشوراً) أي منشوراً
 فيه لا بشقاء الرزق وغيره وفي ذلك إشارة إلى أن النوم واليقظة أمران لجان للموت والنشور يمكن

ان لقمان قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشئ ثم ذكر النوع الثالث بقوله تعالى
 (وهو) أي وحده (الذي أرسل الرياح) وقرأه ابن كثير بالافراد لارادة الجنس وقرأه الباقون
 بالجمع لكونها تارة صبا وتارة دبوراً وتارة شمالاً وتارة جنوباً وغير ذلك ويسن الدعاء عند هبوب
 الريح ويكره سبها لخبر الريح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فاذا رأى تموها فلا تسبوها
 واسألوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها رواه أبو داود وغيره باسناد حسن وقوله تعالى
 (نشراً) قرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم النون والشين أي ناشراً للسموات وقرأه ابن
 عاصم بضم النون وسكون الشين على التخفيف وقرأه عاصم بالياء الموحدة مضمومة وسكون
 الشين جمع بشور بمعنى مبشر وقرأه حمزة والكسائي بفتح النون وسكون الشين على أنه
 مصدر وصف به (بين يدي رحمة) أي قدام المطر ولما كان الماء مسبباً عما تحمله الريح من
 السحاب أتبعه بقوله تعالى (وأنزلنا) أي بالنا من العظمة (من السماء) أي من السحاب
 أو الجرم المهيود (ماء) ثم أبدل منه بياناً للعظمة به فقال تعالى (طهوراً) أي طاهر في نفسه
 مطهر الفير كما قال تعالى في آية أخرى ليطهركم به فهو اسم لما يطهر به كالوضوء لما يتوضأ به
 وكالسحور اسم لما يتسحرو به والظهور اسم لما يظفر به قال صلى الله عليه وسلم في البحر هو الظهور
 مأوّه الخيل ميتته أراد به المطهر فالماء المطهر لانه يظفر الانسان من الحدث والخبث وذهب
 بعض الأئمة الى أن الظهور هو الطاهر حتى جوزوا زالة النجاسة بالمناطات الطاهرة مثل الخل ورد
 بأنه لو جاز ازالة النجاسة بها لجاز ازالة الحدث بها وذهب بعض منهم الى أن الظهور ما يتكرر
 به التطهير كالصبر واسم لمن يتكرر منه الصبر والشكور واسم لمن يتكرر منه الشكر حتى
 جوزوا الوضوء بالماء الذي يتوضأ به مرة بعد مرة ورد بأن فعولاً يأتي اسم الالة كسحور لما
 يتسحرو به كما تفرج جوزان يكون طهوراً وكذلك ولو سلم اقتضاؤه التكرار لما ادجعا بين الأدلة
 فان العبادة رضى الله عنهم لم يجمعوا الماء في أسفارهم القليلة الماء بل عدلوا عنه الى التيمم
 ثبوت ذلك لجنس الماء وفي المحل الذي كان يتر عليه فانه يظفر بكل جزء منه (النجي به) أي
 بالماء (بلدة ميتة) أي بالنبت وذكريتا باعتبار المكان (ونسقيه) أي بالماء وهو من أسقاه
 مزيد أسقاه وهما الفتان قال ابن القطاع سقيتك شراباً وأسقيتك والله تعالى أسقى عباده وأرضه
 (مما خلقنا أنعاماً) أي ابلاً وبقراً وغنماً (وأناساً كثيراً) جمع انسان وأصله أناسين فأبدلت
 النون ياءً وأدغمت فيها الياء أو جمع أنسى وقدم تعالى النبات لأنه به حياة الانعام والانعام على
 الانسان لأن بها كمال حياته (فان قيل) لم خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان (أجيب) بأن
 الطير والوحش تبع في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها قانية الاناسي وعامة
 منافقهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم يسقى أنعامهم كالانعام بسقيهم (فان قيل) لما تكرر الانعام
 والاناسي ووصفها بالكثرة (أجيب) بأن جل الناس منيخون بالقرب من الودية والانهار ومنابع
 الماء فيهم غنية عن سقى السماء فأعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشون الا بما ينزل الله من رحمة
 وسقياسماءه وكذلك قوله تعالى لنحيي به بلدة ميتاً يريد به بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان

الماء واختلف في عود الماء في قوله تعالى (ولقد صرفناه بينهم) على ثلاثة أوجه أولها قال الجمهور أنها ترجع إلى المطر أي صرفنا نزول الماء من وابل وطل وغير ذلك مرة يبلد ومرة يبلدة أخرى قال ابن عباس ما علمنا بمطر من عام آخر ولكن الله تعالى يصرفه في الأرض وقرأ هذه الآية وهذا كما روى مرفوعا ما بين ساعة من ليل أو نهار إلا والسما عطر فيها فصرفه الله تعالى حيث يشاء وروى عن ابن مسعود رفعه قال ليس من سنة بمطر من أخرى ولكن الله تعالى قسم هذه الأرزاق فجعلها في السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم وإذا عمل قوم بالمعاصي حوّل الله ذلك إلى غيرهم فإذا عصوا جميعا صرف الله ذلك إلى الضيافي والجار وروى أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لأنه لا يتخلف ولكن تختلف فيه البلاد نائها قال أبو مسلم القمي راجع إلى المطر والسحاب والظلال وسائر ما ذكره الله من الأدلة نائها صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والحجف التي أنزلت على الرسل عليهم الصلاة والسلام وهو ذكر إنشاء السحاب وانزال المطر (ليذكروا) أي ليتفكروا ويطالعوا كمال القدرة وحق النعمة ويقوموا بشكره * (تنبيه) * أصل يذكروا ويذكروا أدغمت التاء في الذال وقرأه زكية والكسائي بـ **ك** كون الذال ورفع الكاف مخففة والباء قون بفتح الذال والكاف مشدّدتين (فأني) أي لم يرد (أكثر الناس) أي بعبادتهم (الأكفورا) أي جحودا للنعمة وقلة الاكتران بها و **ك** كفرانهم هو أنهم إذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا وهو بفتح النون وهمزة آخره وقت النجم القلاني على عادة العرب في إضافة المطر إلى الأنواع فيكروه أن يقول بذلك لايهامه أن النوء فاعل المطر حقيقة فإن اعتقد أنه الفاعل له حقيقة كفر روى زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في ازهماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم الليلة قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي فأما من قال مطرنا بنوء كذا وهو **ك** كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب وأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب وأفاد تعليق الحكم بالباء أنه لو قال مطرنا في نوء كذا لم يكره ونقل الشافعي عن بعض أصحابه أنه كان يقول عند المطر مطرنا بنوء الفتح ثم يقرأ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا يحسب لها (ولو شئنا لبعثنا) أي بما لنا من العظمة ونفوذ الكلمة (في كل قرية نذيرا) أي رسولاً لينذرهم من الذمير والملائكة أو غيرهم كما قسمنا المطر عليهم أو انما قصرنا الأمر عليك وعظمتك به وأجلناك وفصلناك على سائر الرسل (فلا تطع الكافرين) فيما قصدوا من التفسير عن الدعاء بما يبدونه من المقترحات أو يظهرون لك من المداهنة أو من القلق من صاعد الانذار ويحيلون لك أنك لو أقلت منهم رجوا أن يوافقوك فقابل ذلك بالتشدد والتصبر (وجاهدكم) أي بالذلة (به) أي القرآن الذي تقدم الحديث عنه في قوله تعالى ولقد صرفناه وأبترك طاعتهم المدلول عليه بقوله تعالى فلا تطع أو بالسيف والأقرب الأول لأن السورة مكية والأمر بالقتال ورد بعد الهجرة بزمان (جهادا كبيرا) أي جامعاً لكل المجاهدات الظاهرة والباطنة لأن في ذلك أقبال كثير

من الناس اليك واجتماعهم عليك فيقوى أمرك ويعظم خطبك وتضعف شوكتهم وتنكسر
 سورتهم فان مجاهدة السفهاء بالحق أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف * ثم ذكر النوع الرابع
 بقوله تعالى (وهو الذي مرج البحرين) أي الماءين الواسعين الكبيرين بأن خلاهما متجاورين
 متلاصقين وهو بقدرته تعالى يفصل بينهما ويمنعهما التمازج (هذا عذب) أي خلوسائع (فراش)
 أي شديد العذوبة بالغ الغاية فيها حتى يضرب الى الخلاوة لافرق بين ما كان منه على وجه
 الأرض وما كان في بطنها (وهذا ملح) أي شديد الملوحة (أجاج) أي مرمحوق بلوحته وممرارته
 لا يصلح لسقى ولا شرب * (تنبيه) * أشار تعالى بأداة القرب في الموضوعين تنبيه على وجود
 الوصفين مع مدة المقاربة لا يلتبس أحدهما بالآخر حتى انه اذا حفر على شاطئ البحر الملح
 بالقرب جد ما منه خرج الماء عذبا (وجعل) أي الله تعالى (بينهما رزقا) أي حازما من قدرته
 مانعا من اختلاطهما ثم انه تعالى أتم تقرير النعمة في منعهما من الاختلاط بالكلمة التي جرت
 عادتهم بقولها عند التعوذ تشبيها لكل منهما بالمتعوذ بقوله تعالى (وجزا عجمورا) فكان كل
 واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له ذلك كما قال تعالى لا تغان أي لا يبغي أحدهما
 على صاحبه بالملوحة أو العذوبة فانتفاء البغى كالة وذهنها تم جعل كل واحد منهما في صورة
 الباغى على صاحبه فهو يتعوذ منه وهو من أحسن الاستعارات وأشهدا على البلاغة
 (فان قيل) لا وجود للبحر العذب فكيف ذكره الله تعالى هنا (أجيب) بأن المراد منه الأودية
 العظام كالنيل وحيصون ومن البحر الأجاج البحار الكبار * ثم ذكر النوع الخامس بقوله تعالى
 (وهو) أي وحده (الذي خلق من الماء) أي المني من الرجل والمرأة (بشر) أي انسانا (فجعل)
 أي بعد ذلك بالتطوير في أطوار الخلقة والتدوير في أدوار التربية (نسبا) أي ذكر ان نسب اليه
 (وصهرا) أي أنى يصاهر بها فيقسم هذا الماء بعد التطوير الى ذكر وأنثى كما جعل ذلك الماء
 قسما عذبا وملحا ونحو هذا قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى وقيل النسب مالا
 يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه فالنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا يوجبها قال البغوي
 وقيل وهو الصحيح النسب من القرابة والصهر الخلطة التي تشبه القرابة وهو النسب المحرم
 للنكاح وقيل ذكر الله تعالى أنه حرم بالنسب سبعاً في قوله تعالى في النساء حرمت عليكم أمهاتكم
 (وكان ربك) أي المحسن اليك بارسالك وانزال هذا الذكر اليك (قدرا) حيث خلق من مادة
 واحدة بشر اذا أعضاء مختلفة وطباع متباينة وجعله قسما ذكر وأنثى وربما يخلق من نقطة
 واحدة نوعين ذكر وأنثى فهو يوفق من يشاء فيجعل له عذب المذاق سهل الاخلاق ويجذل من
 يشاء فيجعل له الاخلاق كثير الشقاق غريفا في النفاق * ولما ذكر تعالى دلائل التوحيد
 عاد الى تمجيد سببهم فقال تعالى (ويعبدون) أي هؤلاء الكفرة (من دون الله) أي مما
 يعلمون أنه في الرتبة دون الله المستجمع لصفات الكمال والعظمة بحيث انه لا ضر ولا نفع الا وهو
 يبداه (ما لا يتفهم) بوجه من الوجوه ان عبودته في ازالة كربة (ولا يضرمهم) في ازالة نعمة من نعم
 الله تعالى عليهم ان تركهم (وكان الكافر) أي مع علمه بضعفه وعجزه (على ربه) أي المحسن اليه

لا غيره (ظهيراً) أى معبداً للشيطان من الانس والجن على أولياء الله تعالى روى أنها نزلت في أبى
جهل ويجوز أن يراد بالظهير الجماعة كقوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق
والخليفة وعلى هذا يكون المراد بالكافر الجنس فإن بعضهم مظاهر لبعض على اطلاق توريدين
الله قال تعالى واخوانهم يتدعونهم فى النجى وهذا أولى لأن خصوص السبب لا يقدر فى عموم اللفظ
ولأنه أوفق لظاهر قوله تعالى وبعدون من دون الله وقيل معناه وكان الذى يفعل هذا الفعل
وهو عبادة ما لا يتبع ولا يضر على ربه هيناً مهيناً من قولهم ظهرت به اذا خلقته خلف ظهره
لا تلتفت اليه وهو نحو قوله تعالى وأذن لا خلق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم
وما كان التقدير تسلياً لمصلى الله عليه وسلم فالزم ما أمر بك به ولا يزدهمك بردهم عما هم
فيه فانما أمرناك عليهم وكذا عطف عليه قوله تعالى (وما أرسلناك) بأشرف الخلق بما لنا
من العظمة (الأمشيراً) بالثواب على الإيمان والطاعة (ونذيراً) أى مخوفاً بالعقاب على الكفر
والعصية ثم كأنه قيل فلماذا أقول لهم اذا طعنوا فى الرسالة فقال تعالى (قل) أى لهم يا أكرم
الخلق حقيقة وأعد لهم طريقة محتجاً عليهم بأزالة ما يكون موضعاً للتهمة (ما أسألكم عليه)
أى على تبليغ ما أرسلت به (من أجرة) فتعهمونى أى أدعوكم لاجله اذا لغرض لى الانفعلكم ثم أكد
هذا المعنى بقوله تعالى مستنبهاً لأن الاستثناء معيار العموم (الأمين) أى الأجر من (شاء أن
يتخذ) أى يكلف نفسه ويخالف هواه ويجعل له (الى ربه سبيلاً) فانه اذا اهتدى به دابة ربه كان
لى مثل أجره لا تنفع لى من جهته لكم الا هذا فان سمعتم هذا أجزافهم ومطلوبى ولا مريه فى أنه
لا ينقص أحد شيئاً من دينه فأفاد فائدة تين الأولى أنه لا طمع له أصلاً فى شئ ينقصهم والثانية
أظهار الشفقة البالغة حيث لم يقصد بنفعهم الموصلة لهم الى ربهم فوالنفسه وقيل الاستثناء
مستقطع أى لكن من يشاء أن يتخذ الى ربه سبيلاً فليفعل وجرى على هذا الجلال المحلى وقال
ابن عادلى فى الأول نظر لانه لم يسند السؤال المتنى فى الظاهر الى الله تعالى انما أسنده الى
المخاطبين فكيف يصح هذا التقدير انتهى وقرأ قالون والبرى وأبو عمر وباسقاط الهمزة
الأولى مع المد والقصر وسهل ورش وقبل الثانية ولهما أيضاً الدالها ألفاً والباقيون بتعقيق
الهمزة تين * ولما بين تعالى أن الكفار يتظاهرون على ايذائه وأمره أن لا يطلب منهم أجراً
أمره أن يتوكل عليه فى دفع جميع المضار وجلب جميع المنافع بقوله تعالى (وتوكل) أى أظهر
العجز والضعف واستسلم واعتمد فى أمره كله ولا سيما فى مواجهتهم بالانذار وفى رددهم من عنادهم
(على المحلى الذى لا يموت) فلا ضياع لمن توكل عليه فانه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الاحياء
الذين يموتون فانهم اذا ما تواضع من توكل عليهم وعن بعض السلف انه قرأها فقال لا يصح
لنى عقل أن يتوكل على مخلوق (وسبح) متلبساً (بحمده) أى ترجمه عن كل نقص مشبته كل كمال
وقبل صل لشكر اعلى نعمه وقيل قل سبحانه الله والحمد لله وحده وعلى هذا اقتصر الجلال
المحلى (وكفى به بذنوب عباده) أى ما ظهر منها وما بطن وكل ما سواه عبد (خيراً) أى عالماً مطلقاً
فلا يخفى عليه خافية شئ منها وان دق ظلالك ان آمنوا أو كفروا وهذه الكلمة يراد بها المبالغة

يقال كفى بالعلم كالاوكنى بالادب مالا وهو معنى حسبك أى لا تحتاج معه الى غيره لانه تعالى خير
 بأحوالهم قادر على مكافأتهم وهذا وعيد شديد * ولما أمر الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه
 وسلم أن يتوكل عليه وصف تعالى نفسه بأمر منها أنه حي لا يموت ومنها أنه عالم بجميع
 المعلومات ومنها أنه قادر على كل الممكنات وهو قوله تعالى (الذى خلق السموات والارض) على
 عظمهما (وما بينهما) من الفضاء والعناصر والعباد وأعمالهم من الذنوب وغيرها لا يعلم من
 خلق وقوله تعالى (فى ستة أيام) أى من أيام الدنيا تجيب للغبى الجاهل وتدريب للفظن العالم فى
 الحلم والالانة والصبر على عباد الله تعالى فى دعوتهم (فان قيل) الايام عبارة عن حركة الشمس فى
 السموات فقبل السموات لا أيام فكيف قال تعالى فى ستة أيام (أجيب) بأنه تعالى خلقها فى
 مدة مقدارها هذه الايام (فان قيل) يلزم على هذا اقدم الزمان وهو ممنوع (أجيب) بأن الله
 تعالى خلق هذه المدة أولاً ثم خلق السموات والارض فيها بمقدار ستة أيام فلا يلزم من ذلك قدم
 الزمان وقيل فى ستة أيام من أيام الآخرة كل يوم مقداره ألف سنة وهو بعيد لان التعريف
 لا بد وأن يكون بأمر معلوم لا بأمر مجهول (فان قيل) لم قدر الخلق والايام بهذا المقدار
 (أجيب) بأنه يجب على المكلف أن يقطع الطمع عن مثل هذا فانه بجور لا ساحل له من ذلك تقدير
 الملائكة الذين هم أصحاب النار بسعة عشر ووجه العرش بثمانية والشهوية باني عشر والسموات
 بالسبع وعدد الصلوات ومقادير النصب فى الزكوات والحدود والكفارات فلا قرار بأن
 كل ما قاله الله حق هو الدين والواجب ترك البحث عن هذه الاشياء وقد نص الله تعالى على
 ذلك فى قوله عز وجل وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فئة للذين
 كفروا ليعتقن الذين يؤوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايماناً ولا يناب الذين يؤوا الكتاب
 والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً ثم قال تعالى
 وما يعلم جنود ربك الا هو وهذا اجواب أيضاً عن أنه لم يخلقها فى لحظة وهو قادر على ذلك وعن
 سعيد بن جبيرة انما خلقها فى ستة أيام وهو قادر أن يخلقها فى لحظة واحدة تعلمى لخلق الرفق
 والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيد للمسلمين وعن مجاهد أول الايام يوم
 الاحد وآخرها يوم الجمعة * ولما كان تدبير هذا الملك أمر اياهراً أشار اليه بأداة التراخي بقوله
 تعالى (ثم استوى على العرش) أى شرع فى التدبير لهذا الملك الذى اخترعه وأوجده
 ولا يجوز أن يفسر بالاستقرار لانه يقتضى التغير الذى هو دليل الحدوث ويقتضى التركيب
 وكل ذلك على الله محال (فان قيل) يلزم من ذلك أن يكون خلق العرش بعد خلق السموات
 وقد قال تعالى وكان عرشه على الماء (أجيب) بأن كلمة ثم ما دخلت على خلق العرش بل على رفعه
 على السموات وهو فى اللغة سرير الملك وفى رفع قوله تعالى (الرحمن) أوجه أحدها أنه خبر
 الذى خلق أو خبر مبتدأ مضمرة أى هو الرحمن ولهذا أجاز الزجاج وغيره الوقف على العرش ثم
 يستدعى الرحمن أى هو الرحمن الذى لا يفتنى السجود والتعظيم الا له ولا يكون بد لامن الضمير فى
 استوى وعلى هذا اقتصر الجلال المحلى واختلف فى معنى الفاء فى قوله تعالى (فأسئل به) على

قولين أحدهما أنهما على بابها وهي متعلقة بالسؤال والمراد بقوله (خبراً) أي عالمياً خبرك بحقيقته هو الله تعالى ويكون من التجربة كقوله رأيت به أسداً والمعنى فأسأل الله الخبر بالاشياء قال الزنجشيري أو فأسأل بسؤاله خبراً كقولك رأيت به أسداً أي برؤيته انتهى قال الكلبي فقوله به يعود إلى ما ذكر من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش والباء من صلة الخبر وذلك الخبر هو الله تعالى لأنه لا دليل في العقل على كيفية خلق السموات والأرض والاستواء على العرش ولا يعلمها أحد إلا الله تعالى والثاني أن تكون الباء بمعنى عن أما مطلقاً وأما مع السؤال خاصة كهذه الآية وكقول علقمة بن عبيدة

فان تسألوني بالنساء فأنى * خير بأدواء النساء طبيب

والضمير في به لله وخبراً من صفات الملك وهو جبريل عليه السلام فعن ابن عباس أن ذلك الخبر هو جبريل وإنما قدم لرؤس الآي وحسن النظم وقال ابن جرير الباء في به صلة والمعنى فأسأله خبراً وخبراً نصب على الحال وقيل به يجرى مجرى القدم كقوله تعالى واتقوا الله الذي تسمون به وقيل فأسأل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب حتى تعرف من شكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن إلا الذي باليامة يعنون مسيلة الكذاب وكان يقال له رجن اليمامة وقيل فأسأل بسبب سؤالك إياه خبراً عن هذه الأمور وكل أمر تريد فيخبرك بحقيقة أمره ابتداءً وحالاً وما لا فلا يضيّق صدرك بسبب هؤلاء المدعين فإنه ما أرسلك إلا وهو عالم بهم فسمعي كعبك عليهم ويحسن لك العاقبة وقرأ ابن كثير والكسائي بالنقل وكذا يقرأ جزة في الوقف والياقون بسكون السين وفتح الهمزة * ولما ذكر تعالى أحسانه إليهم وانعامه عليهم ذكر ما أبدوه من كفرهم في موضع شكرهم بقوله (وإذا قيل لهم) أي من أي قائل قال لهؤلاء الذين يتقبلون في نعمه (اسجدوا) أي اخضعوا بالسلامة وغيرها (للرحن) أي الذي لا نعمة لكم إلا منه (قالوا وما الرحمن) متجاهلين في معرفته فضلاً عن كفر نعمته ومعرين بأداة ما لا يعقل وقال ابن عربي إنما عبروا بذلك إشارة إلى جهلهم بالصفة دون الموصوف ثم عجبوا من أمره بذلك منكرين عليه بقولهم (أنسجد لما أمرنا) فعبوا عنه بعد التجاهل في أمره والانكار على الداعي إليه أيضاً بأداة ما لا يعقل (وإذا هم) أي هذا الأمر الواضح المقضي للانقياد والسكون شكر النعمة وطمعاً في الزيادة (تقربوا) أي عن الإيمان والسجود * (تنبيه) هذه السجدة من عزائم مجرّد التلاوة يسّن للقارئ والمستمع والسماع أن يسجد عند قراءتها أو سماعها وقرأ وإذا قيل لهم هشام والكسائي بالاشتمال وضم القاف مع سكون الياء والياقون بكسر القاف وقرأ المأبأمر ناجزة والكسائي بالياء التحتية والياقون بالتاء الفوقية وأبدل ورس والسوسى الهمزة وقفاً وصلابة وقرأ لا وصلاً * ولما حكى تعالى عن الكفار مزيد النفرة عن السجود وذكر ما لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود والعبادة للرحن قال عز من قائل (تبارك) أي ثبت ثباتاً لا نظيره (الذي جعل في السماء) التي تقدّم أنها اخترعها واختلف في معنى قوله (بروجاً) فقال الزجاج ومجاهد وقطادة هي النجوم الكبار سميت بروجاً

لظهورها وقال عطية العوفي هي القصور فيها الحرس كما قال تعالى ولو كنتم في بروج مشيدة
 وقال عطية عن ابن عباس هي الاشعشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي
 الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس
 والجدي والدلو والحوت فالحمل والعقرب بيتا المريخ والثور والميزان بيتا الزهرة والجوزاء
 والسنبلة بيتا عطارد والسرطان بيت القمر والاسديت الشمس والقوس والحوت بيتا
 المشتري والجدي والدلو بيتا زحل وهذه البروج مقسومة على الطبائع الاربعة فيكون
 نصيب كل واحد منها ثلاثة بروج تسمى المثلثات فالحمل والاسد والقوس مثلثة نارية
 والثور والسنبلة والجدي مثلثة ارضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان
 والعقرب والحوت مثلثة مائية (وجعل فيها) أي السماء وقيل البروج (سراجا) أي شمسا
 وقرأ حزة والكسائي بضم السين والراء على الجمع للتنبية على عظمته في ذلك من حيث انه اعظم
 من ألوف من السرج فهو قائم مقام الوصف كما في الذي بعده كما سيأتي وقيل المراد بالجمع
 الشمس والكواكب الكبار والباقيون بكسر السين وفتح الراء وألف بعده على التوحيد
 (وقرأ منبرا) أي مضيا بالليل * ولما ذكر تعالى هاتين الآيتين ذكرهما آياتا بقوله تعالى (وهو
 الذي جعل الليل) أي الذي آتاه القهر (والنهار) أي الذي آتاه الشمس (خليفة) أي ذوى
 حالة معروفة في الاختلاف فيأتي هذا خلف ذلك بضد ما لهم من الاوصاف وقال ابن عباس
 والحسن يعني خلفا وعوضا يقوم أحدهما مقام صاحبه من فاته عمله في أحدهما قضاء في الآخر
 قال شقيق جاهر رجل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال فاتني الصلاة الليلة قال أدرك
 ما فاتك من ليلتك في نهارك فان الله عز وجل جعل الليل والنهار خليفة (لمن أراد أن يذكر) أي
 يتذكر الله ويتفكر في صنعه فيعلم أنه لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على
 العباد وقرأ حزة بسكون الدال وضم الكاف مخففة من ذكر بمعنى تذكر والباقيون بفتح الكاف
 والذال مشددتين (أو أراد شكورا) أي شكره ممة ربه عليه من الاتيان بكل منه ما بعد
 الآخر لاجتناء ثمراته ولو جعل أحدهما دائما لكانت مصالح الآخر وطلعت السامة
 والمثل منه والتواني في الامور المقدرة بالاوقات وقتر العزم الذي انما يشير له ادراكها دخول
 وقت آخر وغير ذلك من الامور التي أحكمها العلي الكبير وعن الحسن من فاته عمله من
 التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستغيب ومن فاته بالليل كان له في النهار مستغيب
 * ولما ذكر الله تعالى عباد الذين خذلهم بتسلط السطان عليهم فصاروا حرا بول بعضهم الى
 اسم من اسمائه ايذانا بانهم لهوا بنهم عن عبادته أشار الى عبادته الذين أخضعهم لنفسه بقوله تعالى
 (وعباد الرحمن) فأضافهم اليه وفعلة لهم وان كان الخلق كلهم عبادا وأضافهم الى وصف
 الرحمة الابليغ الذي أنكره أولئك بتشير اليهم * ثم وصفهم بضد ما وصف به المتكبرين عن السجود
 اشارة الى أنهم مخلوقا ومن هذه الصفة التي أضيفوا اليها صفات كثيرة الصفة الاولى قوله
 تعالى (الذين يشرون) وقال تعالى (على الارض) تذكر كبريائهم يصرون اليه وحقا على السعي في

معالي الاخلاق (هونا) أي هينين أو مشيا هينا مصدر وصف به مبالغة والهون الرفق واللين
ومنه الحديث أحب حبيبك هونا وما قوله المؤمنون هينون والمثل اذا عزأخولك فنهن والمعنى
اذا عاسر فبأسر والمعنى أنهم يعيشون بسكينة ورواضع ووقار لا يضربون لوقارهم بأقدامهم ولا
يحققون بنعالهم أشرا وبطر اولئك كره بعض العلماء الركوب في الاسواق لقوله تعالى ويعشون
في الاسواق (تنبيه) * عبدا مرفوع بالابتداء وفي خبر وجهان أحدهما الجملة الاخيرة
في آخر السورة ولئن لم يجزوا به بدأ الرخصى والذين يعيشون وما بعده صفات للبئدا والثاني
أن الخبر الذين يعيشون الصفة الثانية (واذا خاطبهم الجاهلون) أي بما يكرهون (قالوا سلاما)
أي تسليما منكم لانجاهلكم ومشاركة لا خبر بيننا ولا شر أي قد سلم منكم تسليما فاقم السلام
مقام التسليم وقيل قالوا سدا من القول أي يسلمون فيه من الاتم والابذاء وليس المراد التحية
لان المؤمنين لم يؤمر وبالسلام على المشركين وعن أبي العالمة نسختها آية القتال ولا حاجة الى
ادعاء النسخ بآية القتال ولا غيرها لان الاغضاء عن السفهاء وترك المفاصلة مستحسن في الادب
والمرأة والنسبة أسلم للعرض والورع وأطلق الخطاب اعلاما بأن أكثر خصال الجاهل وهو
الذي يخالف العلم والحكمة الجهل وهو السفه وقوله الادب من قوله

الا لا يجهلن أحد علينا * فجهل فوق جهل الجاهلينا

* ولما ذكر تعالى ما بينهم وبين الخلق ذكر ما بينهم وبينه وهي الصفة الثالثة بقوله تعالى (والذين
يبيتون) من البيوتة قال الزجاج كل من أدركه الليل قيل بات وان لم يمت كما يقال بات فلان
قلقا والمعنى يبيتون (لربهم) أي المحسن اليهم (سجدا) على وجوههم في الصلاة وقدمه لانه أنه
الخضوع وأخر عنه قوله تعالى (وقياما) أي على أقدامهم وان كان تطويل القيام أفضل
للرؤى وتخصيص البيوتة لان العباداة بالليل أشق وأبعد من الرياء قال الرخصى والظاهر
أنه وصف لهم باحياء الليل أو أكثره وقيل من قرأ شيئا من القرآن في صلاة وان قل فقد بات
ساجدا وقائما وقال ابن عباس من صلى بعد العشاء ركعتين فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما
الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى عشاء الآخرة في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى
الصبح في جماعة كان كقيام ليلة * ولما ذكر تعالى تهذيبهم للخلق والخلق وصفهم الله تعالى أنهم
مع ذلك خائفون وجلون وهي الصفة الرابعة بقوله تعالى (والذين يقولون ربنا) أي المحسن
الينا (ادبر عذاب جهنم) قال ابن عباس يقولون في سجودهم وقيامهم هذا القول
ثم علل سؤالهم بقوله تعالى (أن عذابها كان) أي كونها جابت عليه (غراما) أي هلاكا وخسرانا
ملحا لازما لا ينقل عنه كما قال

ان يعاقب يكن غراما وان يعـ * ط جزيلا فانه لا يبالى

ومنه الغريم للارزمتة والحاحه فهم يبتلون الى الله تعالى في صرف العذاب عنهم لعدم اعتدادهم
بأعمالهم ووثوقهم على امتحان أحوالهم * ولما ثبت لهم هذا الوصف أتبع قوله تعالى (انها ساءت)

أى تناهت هى فى كل ما يحصل منه سوء وهى فى معنى ينسب فى جميع المذام (مستقرا) أى موضع
استقرار (ومقاما) أى موضع إقامة * (تنبيه) * ساءت فى حكم ينسب كما مر فقها صغيرهم
يفسر مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هى وهذا الضمير هو
الذى ربط الجمله باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز أن تكون ساءت بمعنى أحرزت فقها صغير
اسم ان ومستقرا حال أو تمييز والتعليل ان يصح أن يكونا متداخلين أو مترادفين وأن يكونا من
كلام الله تعالى وحكاية لقولهم * ولما ذكر تعالى أفعالهم وأقوالهم أتبع ذلك بذكر انفاقهم وهو
الصفة الخامسة بقوله تعالى (والذين إذا أنفقوا) أى للخلق أو الخلق فى واجب أو مستحب
أو مباح (لم يسرفوا) أى لم يجاوزوا الحد فى النفقة بالتبذير فيضيعوا الاموال فى غير حقها (ولم
يقتروا) أى لم يضيعوا فيه ضيعوا الحقوق (وكان) أى انفاقهم (بين ذلك) أى الاسراف والاقتار
(قواما) أى وسطا * (تنبيه) * اسم كان ضمير يعود على الانفاق المفهوم من قوله تعالى انفقوا
وخبرها قواما وبين ذلك معمول له وقيل غير ذلك وذكر المفسرون فى الاسراف والتقتير وجوها
أحدها قال الرازى وهو الاقوى وصفهم بالقصد الذى هو بين الغلو والتقتير وبغلة أمر صلى الله
عليه وسلم بقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط اذ يقال ما عال من
اقتصاد وسأل رجل بعض العلماء ما البناء الذى لا سرف فيه قال ما ستر لمن الشمس وأكنك من
المطر قال فما الطعام الذى لا سرف فيه قال ماسدة الجوعة قال فما اللباس الذى لا سرف فيه قال
ما ستر عورتك وأدفاك لمن البرد * ثانياً وهو قول ابن عباس الاسراف النفقة فى معصية الله
تعالى والاقتار منع حق الله تعالى وقال مجاهد لو أنفق أحد مثل جبل أى قيس ذهباً فى
طاعة الله تعالى لم يكن سرفاً ولو أنفق مائة فى معصية الله تعالى كان سرفاً وقال الحسن
لم ينفقوا فى معاصى الله ولم يسكوا عما ينهى وأنشدوا

ذهب المال فى جد وخير * ذهب ليقال له ذهب

وسمع رجل رجلا يقول لآخر فى الاسراف فقال لا اسراف فى الخير وعن عمر بن عبد العزيز
انه شكرو عبد الملك بن مروان حين تزوجه ابنته وأحسن اليه فقال وصلت الرحم وذهلت
وصنعت وجاء بكلام كثير حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام أعد هذا المقام فسكت
عبد الملك فلما كان بعد أيام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته وأحواله فقال النفقة
بين الشينين فعرف عبد الملك أنه أراد ما فى هذه الآية فقال لابنه يا بنى هذا أيضا مما أعد
* وثالثها السرف مجاوزة الحد فى التعم والتوسع فى الدنيا وان كان من حلال لانه يؤدى الى
الخيلاء وكسر قلوب الفقراء فكانت العصابة لا يأكلون طعاما للتم واللذة ولا يلبسون ثوبا
للجمال والزينة ولكن كانوا يأكلون ما يستجوعونهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون
ما يستعرونه ويطهرونهم من الخمر والبرد وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه كفى سرفاً أن لا يشتهى
الرجل شياً الا اشتراه فأكله وقرأ نافع وابن عامر يقتروا بضم التحتية وكسر القوقبة من اقتر
وابن كثير وأبو عمرو بفتح التحتية وكسر القوقبة والكوفون بفتح التحتية وضم القوقبة * ولما

ذكر تعالى ما قلناه من أصول الطاعات أتبعه بذكر ما تخلوا عنه من أمهات المعاصي التي هي
 الفحشاء والمنكر وهو الصفة السادسة بقوله تعالى (والذين لا يدعون) أي رجة لانفسهم
 واستعمال العدل (مع الله) أي الذي اختص بصفات الكمال (الها آخر) أي دعاء جليلا للعبادة
 ولا خفاء بالرياء ولما نفي عنهم ما يوجب قتل انفسهم بخسارتهم اياها أتبعه نفي قتل غيرهم بقوله
 سبحانه (ولا يقتلون النفس) رجة للخلق وطاعة للخالق ولما كان من الانفس ما لا حرم له بين
 المراد بقوله تعالى (التي حرم الله) أي منع من قتلها (الابالقي) أي بأن نعمل ما يبيع قتلها ولما
 ذكر القتل الجلي أتبعه الخفي بتضييع نسب الولد بقوله تعالى (ولا يزنون) أي رجة للمزني بها
 ولا فارها ان تهتك حرمتهم مع رجته لنفسه على أن الزنا أيضا جاري القتل والقتل وفيه
 التسبب الى ايجاد نفس بالباطل كما أن القتل سبب الى اعدامها بذلك وقد روى في الصحيح عن
 عبد الله بن مسعود أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم وفي رواية أكبر عند الله
 قال أن تدعوه لئلا هو خلقك قال ثم أي قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قال ثم أي
 قال أن تزاني حليله جارية فأقر الله تصديق ذلك والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآية (وقد
 استشكل) تصديق هذه الآية الخبر من حيث أن الذي فيه قتل خاص وزنا خاص والتقييد بكونه
 أكبر والذي فيه مطلق القتل والزنا من غير تعرض لعظم (وأجيب) بدفع الاشكال بأنها ناطقت
 بتعظيم ذلك من سبعة أوجه الاول الاعتراض بين المبتدأ الذي هو وعباد الرحمن وماء عطف عليه
 والخبر الذي هو أولئك يجوزون الفرفة على احدي الروايتين بذكر هذه الثلاثة خاصة وذلك دال
 على مزيد الاهتمام الدال على الاعظام الثاني الاشارة بأداة البعد في قوله تعالى (ومن يفعل
 ذلك) أي هذا الفعل العظيم القصير مع قرب المذكورات فدل على أن البعد من رتبته فاهو اشارة
 الى جميع ما تقدم لانه بمعنى ما ذكر فذلك وحده وأدغم لام يفعل في الدال أبو الحرف والباقيون
 بالظهار الثالث التعبير بالتي مع المصدر المزيد الدال على زيادة المعنى في قوله (يلق أثاما) دون
 يأثم ويلق أثما أي جزاءه الرابع التقييد بالمضاعفة في قوله تعالى مستأفها (يضاعف) بأسهل
 أمر (فه العذاب) جزاها ما أتبع نفسه هوها الخامس التحويل بقوله تعالى (يوم القيامة)
 الذي هو أهول من غيره بما لا يقاس السادس الاخبار بالخلود الذي أقل درجاته أن يكون
 مكنا طويلا بقوله تعالى (ويخلد فيه) وقرا يضاعف ويخلد ابن عامر وشعبة برفع الفاء والدال
 والباقيون يجرزهمها وأسقط الالف من يضاعف مع تشديد العين ابن كثير وابن عامر فالجرز على
 أنهم ما يدلان من يلقي بدل اشتغال والرفع على الاستئناف السابع التصريح بقوله تعالى
 (مها) فلما أعظم الأمر من هذه الاوجه علم أن كلام من هذه الذنوب كبير واذ كان
 الاعتم كبيرا كان الاخص المذكور أعظم من مطلق الاعتم لانه زاد عليه بمصاربه خاصا فثبت
 بهذا أنها كارتوان قتل الولد والزنا بجعله الجسار أكبر ما ذكر فوجد تصديق الآية للخبر وقرا
 حفص مع ابن كثير بصله الها بالياء من فيه قبل مها (فان قيل) قد رآنا من صفات عباد
 الرحمن صفات حسنة فكيف يليق بعد ذلك أن يطهرهم عن الأمور العظيمة مثل الشرك والقتل

يعامل المرحوم فيعطيه مكان كل سيئة حسنة روى البخاري عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في أهل الشرك. ولما نزل صدرها قال أهل مكة قد عدلنا بالله وقتلنا النفس التي حرم الله وأتيننا القواحيش فأنزله الله الامن تاب الى رحمة روى البخاري في التفسير ان ناسا من أهل الشرك كانوا قتلوا قاتلا كثيرا ووزنوا قاتلا كثيرا فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعوا اليه احسن لو تخبرنا ان لنا علما ككفاة فنزلت هذه الآية ونزل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله (ومن تاب) أي عن ذنوبه غير ما ذكر (وعمل) تصديقا لادعائه التوبة (صالحا) ولو كان كل من فاته وعمله ضعيفا ورغب سبحانه في ذلك بقوله تعالى معلما أنه يصل الى الله (فانه يتوب) أي يرجع واصلا (الى الله) أي الذي له صفات الكمال فهو يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات (متابا) أي رجوعا مريضا عن الله بأن يرغبه تعالى في الاعمال الصالحة فلا يزال كل يوم في زيادة بنيته وعمله فيخف عليه ما كان ثقيلا ويتيسر عليه ما كان عسيرا وبسهل عليه ما كان صعبا كما مر في ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم ولا يزال كذلك حتى يحبه فيكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها بأن يوفقه للخير فلا يسمع الا ما يرضيه وهكذا • ولما وصف سبحانه وتعالى عباده بأنهم تحلوا بأصول الفضائل وتحلوا عن أمهات الرذائل ورغب في التوبة لان الانسان لعجزه لا ينفك عن النقص مدحهم بصفة أخرى وهي الصفة المذكورة في قوله تعالى (والذين لا يشهدون) أي لا يحضرون (الزور) أي القول المتحرف عن الصدق كذبا كان أو مقاربا له فضلا عن أن يتقوه وابه الخبر فلا يسمعوا ويقرأوا عليه في مواضع عيسى بن مريم عليه السلام أياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل أنهم لا يشهدون شهادة الزور لحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والقناء وعن مجاهد أعياد المشركين ثم عطف عليه بما هو أعظم منه بقوله تعالى (واذا مروا باللقو) أي الذي ينبغي أن يطرح من الكلام القبيح وغيره (مروا كما) أي أمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ان تعلق بهم أمرأ ونهى إشارة وعبرة على حسب ما يرون نافعان لم يتعلق بهم ذلك كانوا معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه لقوله تعالى وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنأعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا ينبغي الجاهلين ومن ذلك الاعضاء عن القواحيش والصفح عن الذنوب والكتابة عما يستهجن التصريح به وعن الحسن لم تشبههم المعاصي وقيل اذا سمعوا من الكفار الاذى أعرضوا عنه * ثم ذكر الصفة الثامنة بقوله تعالى (والذين اذا ذكروا) أي ذكروهم غيرهم كأنهم كانوا من كان لانهم يعرفون الحق بنفسه لا بقائله (بآيات ربهم) أي الذي وفقهم لذكر احسانه اليهم في حسن تربيته لهم بالاخبار بالآيات المرئية والمسموعة (لم يحزوا) أي لم يستطعوا (عليها صما) أي غير واعين لها (وعيانا) أي غير متبصرين بما فيها كن لا يسمع ولا يبصر كابي جهل والاخنس بن شريق بل خروا سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من التي في الحال وهي صما وبعيانا دون

الفعل وهو الخرزور فالمراد نفي القيد دون المقيد كما تقول لأبلاق في زيد مسلما عوني للسلام
 للقاء * الصفة التاسعة المذكورة في قوله تعالى (والذين يقولون) أي علم منهم بعد اتصافهم
 بجميع ما مضى أنهم أهل للإمامة (ربنا هب لنا من أزواجنا) الذي قرنته بنا كما فعلت بنبيك
 محمد صلى الله عليه وسلم قد حلت أزواجه في كلامك القديم وجعلت مدحهن بتي على تعاقب
 الأزمان والسنين (وذرياتناقرة أعين) لنا بأن نراهم مطيعين لك ولا شيء أسرار المؤمن من أن يرى
 حبيبهم بطبع الله تعالى وعن محمد بن كعب ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده
 يطيعون الله وعن ابن عباس هو الولد إذا رآه يكتب الفقه وخصوصا الأزواج والذرية بذلك لأن
 الأقربين أولى بالمعروف * (تنبيه) * من في قوله تعالى من أزواجنا يحتمل أن تكون بيانية
 كأنه قيل هب لناقرة أعين ثم نبهت القرعة وفسرت بقوله من أزواجنا وذرياتنا ومعناه أن اجعل لهم
 لهم قرعة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا أي أنت أسد وأن تكون ابتدائية على معنى هب
 لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وإصلاح وأن يجتمع القسلة في أعين لأن المتقين الذين
 يفعلون الطاعة ويسرون بها قليلون في جنب العاصين وقيل سألو أن يلحق الله بهم أزواجهم
 وذرياتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم ووجد القرعة لأنهم مصدر وأصلها من البرذلان العرب
 تتأذى من الحزن وتروح إلى البرد وتذكر قرعة العين عند السرور وخضة العين عند الحزن ويقال
 دمع العين عند السرور وبارد عند الحزن حار وقال الأزهري معنى قرعة العين أن يصادف
 قلبه من رضاء فنقر عينه عن النظر إلى غيره وقرأ نافع وابن كثير وابن عاصم وحفص بألف بعد
 الياء على الجمع والباقيون بغير ألف على الأفراد (واجعلنا للمتقين إماما) أي أئمة يقتدون بنا في
 أمر الدين بإضافة العلم والتوفيق للعمل فاكتفى بالواحد لالتصافه على الجنس ولعدم اللبس
 كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا أو أرادوا واجعل كل واحد منا أو أرادوا جمع أم كصائمه
 وصيام أو أرادوا اجعلنا إماما واحدا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم في الآية ما يدل على
 أن الرئاسة في الدين يحسن أن تطلب ويرغب فيها وقال الحسن فتعدي بالمتقين ويقعدي
 المتقون بنا وقيل هذان المقلوب أي واجعل المتقين لنا إماما واجعلنا مؤمنين مقدين بهم وهو
 قول مجاهد وقيل نزلت هذه الآية في العشرة المبشرين بالجنة * ولما بين تعالى صفات المتقين
 المخلصين بين بعده إحسانه إليهم بقوله تعالى (أولئك) أي العاقلون الرتبة العظيمة العظيمة المتزلة
 (يجوزون) أي فضلا من الله تعالى على ما وفقهم له من هذه الأعمال الزاكية والأحوال
 الصافية (الغرفة) أي الغرفات وهي العلال في الجنة فوجد اقتصارا على الواحد الدال
 على الجنس والدليل على ذلك قوله تعالى وهم في الغرفات آمنون وقيل هي من أسماء الجنة
 * ولما كانت القرب في غاية التعجب لما فاتها الشهوات النفس وهوها وطبع البدن وغب فيها
 بأن جعلها سببا لهذا الجزاء بقوله تعالى (بما صبروا) أي أوقعوا الصبر على أمر ربهم وصراة
 غربتهم بين الجاهلين في أفعالهم وأقوالهم وأحوالهم وغير ذلك من معالي خلالهم * ولما كان
 المنزل لا يطيب إلا بالاباء كرامة والسلامة قال تعالى (ويلقون فيها) أي الغرفة (نحية) أي دعاء

الحياة من بعضهم لبعض ومن الملائكة الذين لا يرد دعاؤهم ولا يعترى في اخبارهم لانهم عن الله تعالى ينطقون وذلك على وجه الاعظام والاكرام مكان ما أنهانهم عباد الشيطان وقيل ملكا وقيل بقا دائما (وسلاما) أي من الله والملائكة وغيرهم وسلامه من كل آفة مكان ما أصابوهم بالمصائب اللهم ونفعا لما اعتك واجعلنا من أهل رحمتك وارزقنا عمار زقتهم في دار رضوانك يا أرحم الراحمين وقرأ حجة والكسافي وشعبة بفتح الباء وسكون اللام وتخفيف القاف من لقي كما قال تعالى فسوف يلقون غيا والباقر بن بضم الباء وفتح اللام وتشديد القاف أي يجعلهم الله تعالى لاقين بأيسر أمر كما قال تعالى ولقاهم نضرة وسرورا (خالد بن فيما) أي الغرفة لا يموتون ولا يخرجون مكان ما أنجزوهم من ديارهم حتى هاجروا وذل على علواً مرها وعظيم قدرها بابرار مدحها في مظهر التعجب بقوله تعالى (حسنت) أي ما أحسنها (مستقرا) أي وضع استقرار (ومقاماً) أي موضع إقامة وهذا مقابل ساءت ومثله في الاعراب * ولما شرح سبحانه وتعالى صفات المتقين وأثنى عليهم من أجلها وشرح نوابهم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (قل) أي لكفار مكة (ما يعبا) أي ما يصنع (بكم) أيها الكافرون من عبأت الجيوش أولا يعتد بكم (ربي) أي المحسن إلى واليكم برحانيته المخصص لي بالاحسان برحميته وانما خص بالاضافة لاعترافة دونهم (لولا دعاؤكم) أي عبادتكم وما متفعنة لمعنى الاستغفار وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كانه قيل وأي عب يعبا بكم لولا عبادتكم وطاعتكم اياه كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (فقد كذبتم) عما أخبرتكم به حيث خالفتموه وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وقال قوم ما يعبا ما يالي بغير ترككم ربي لولا دعاؤكم معه آلهة وما يفعل بعدا بكم لولا شرككم كما قال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم لولا دعاؤكم أي نداؤكم في الشدايد كما قال تعالى فاذا ركبو في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وقوله تعالى فاخذناهم بالأساء والضراء لعلمهم بضرعون ويجوز أن تكون ما نافية بحري على ذلك الجلال الهلي (فسوف) أي قسب عن تكذيبكم أن يجازيكم على ذلك ولكنه مع قدرته واختياره وقوته لا يعاجلكم بل (يكون) جزاء هذا التكذيب عند انقضاء ما ضرب لكم من الآجال (زاما) أي لازما بحيث يكم للمحالة فاعتمدوا وتمموا ذلك اليوم فكل آت قريب وكل بعيد عندكم قريب عنده وعن مجاهد هو القتل يوم بدروانه لوزم بين القتل لزاما قتل منهم تسعون وأسر منهم سبعون وعن ابن مسعود خمس قدميين الدخان والقر والروم والبطشة والزام وما رواه البخاري بسند صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن من قرأ سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن بأن الساعة آتية

لاريب فيها وادخل الجنة بغير حساب

حديث موضوع

والله أعلم

• (تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث أول سورة الشعراء) •

